

عقيدة السلف أصحاب الحديث

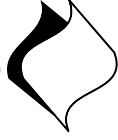
تأليف

أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني

(المتوفى سنة ٤٤٩ هـ)

شرح

أ.د: محمد بن خليفة بن علي التميمي



مقدمة الشارح

إنَّ الحمد لله نحمده، ونَستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحْده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

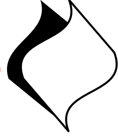
أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسنَ الهَدْي هدي محمدٍ، وشرَّ الأُمُور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

فهذا شرح لكتاب "عقيدة السلف أصحاب الحديث" تأليف أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (المتوفى سنة ٤٤٩ هـ)، وهي عقيدةٌ موافقة لما يعتقده أهل الحديث والأثر، أهل السنة والجماعة، وتكتسب أهمية لدى علماء أهل السنة، فهو يعد من الكتب المتقدمة، وحوى جل أصول مسائل الاعتقاد.

دوافع شرح هذا المتن

دفعني لشرح هذا المتن عدة أمور منها:



الأمر الأول: أهمية هذا المتن، حيث يعد هذا المتن من المتون الهامة التي حفظت لنا معتقد أهل السنة والجماعة، وكثيرًا ما يرد ذكره والإشارة إليه في كتب الاعتقاد التي جاءت بعده، وخدمة هذا النوع من المتون فيه إحياء لمنهج السلف الصالح، ونشر له بين طلبة العلم.

الأمر الثاني: الرغبة في إحياء هذا النوع من الشروح باعتبار أن هذه المتون بمثابة الجسر الموصل إلى سنة النبي–صلى الله عليه وسلم–علمًا وفهمًا وفقهًا واعتقادًا، ففقه الاعتقاد أمر ضروري باعتبار أن المسلم متعبد بذلك الفهم السليم حتى يسلم معتقده من شوائب البدع والأهواء والفتن.

الأمر الثالث: حاجة طلبة العلم لفهم عبارات هذا النوع من المتون التي اعتنت بتأصيل قواعد أهل السنة على وجه الإجمال دون التعرض لتفاصيل تلك القواعد، وما يلحقها من مسائل.

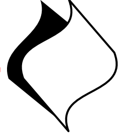
ومن هنا تمس الحاجة إلى شرح تلك القواعد على وجه التفصيل وما تحتويه من مسائل وفروع يتعين على طالب المعلم معرفتها ليتمكن من فهمها حتى لا يحمل تلك النصوص ما لا تحتمل، أو تقصر معرفتها على فهم قاصر ناتج عن قلة دراية بكلام العلماء وما وجهوا فيه الاختلاف الذي يقع بين بعض العبارات والقواعد إن وجد.

المنهج المتبع في الشرح:

سرت في هذا الشرح على مسلك المؤلفين من التوثيق والعزو والتعليق والتوضيح والشرح والبيان.

قد سلكت في هذا الشرح مسلك التوسع في بيان وشرح مسائل الكتاب وذلك لسببين هما:

السبب الأول: رأيت أن الأنفع في الشروح هو التوسع كما وقع في شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي–رحمه الله–وقد أثنى على هذا الشرح عدد كبير من أهل العلم،



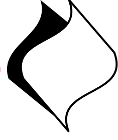
وقد تميز الشرح بالتوسع والبسط للمسائل التي تناولها المتن، وكما فعل الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" فأحببت أن أسلك هذا المسلك متأسياً بمن سبق.

والسبب الثاني: رأيت أن الشروح المعاصرة التي تناولت "عقيدة السلف أصحاب الحديث" للصابوني جلها عبارة عن تفريغ لدروس صوتية لم تخضع للمراجعة والتوثيق، فضلًا عن كونها أقرب إلى التعليقات منها إلى الشروح، وكان الكلام فيها عن المسائل مقتضبًا ومختصرًا لا أراه محققًا للمقصود في شرح مسائل تحتاج إلى البسط والتوضيح والبيان.

ولهدين السببين رأيت أن أقوم بشرح موسع للمسائل الواردة في هذا المتن بحسب ما وقفت من كلام أهل العلم المتقدمين والمعاصرين، وذلك بهدف أن ينتفع بها المبتدئ في طلب العلم، ولتكون مرجعًا للباحثين في مسائل أصول الدين التي أوردها البربهاري في شرحه.

وقد سلكت في الشرح مسلك الاستعانة بكلام أهل العلم في تلك المسائل ومستعينًا-بعد فضل الله وتوفيقه-بكتب الفضلاء الذين بسطوا القول في تلك المسائل العقدية وأصولها وخدموها فكلما وجدت مسألة خدمت بشكل جيد أفدت من تلك البحوث والرسائل التي تناولت الموضوع، وسعيت إلى توثيق ذلك في الحواشي.

وقد استفدت كذلك من بعض المواقع الإسلامية مثل موقع الدرر السنية، وموقع الإسلام سؤال وجواب، وموقع الألوكة، وملتقى أهل الحديث، وغيرها من المواقع متى ما وجدت التوثيق والإحالة للمصادر.

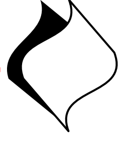


مقدمة المصنف

"الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان، متوجهاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين، وعلماء المسلمين، والسلف الصالحين، وهدوا ودعوا الناس إليها في كل حين، ونهوا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين، ووالوا في اتباعها، وعادوا فيها، وبدعوا، وكفروا من اعتقد غيرها، وأحرزوا لأنفسهم، ولمن دعوهم إليها بركتها، وخيرها، وأفضوا إلى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها، واستمساكهم بها، وإرشاد العباد إليها، وحملهم إياهم عليها؛ فاستخرت الله تعالى، وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار؛ رجاء أن ينتفع به أولو الألباب والأبصار، والله سبحانه يحقق الظن، ويجزل علينا المن بالتوفيق والاستقامة على سبيل الرشد والحق بمنه وفضله.

قلت، وبالله التوفيق".



[ألقاب أهل السنة]

أولًا: المقدمة.

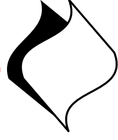
ثانيًا: سبب ظهور ألقاب أهل السنة.

ثالثًا: ألقاب أهل السنة.

ربعًا: الجمع بين ألقاب أهل السنة.

خامسًا: ضوابط مهمة.

سادسًا: ألقاب أهل السنة عند مخالفيهم.



[١]. قال المصنف–رحمه الله–:

"أصحاب الحديث–حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم–"

الشرح:

أولاً: مقدمة.

هناك ألقابٌ وأسماءٌ لأهل السُّنة والجماعة يُعْرَفون بها، ويُفارِقون بها أهلَ البدع والفُرقة، ويتميَّزون بها عنهم، ومع ذلك فإنَّ أهل السنة والجماعة ليس لهم اسمٌ يُعرَفون به، ولا لقبٌ، ولا رمزٌ يُمَيِّزهم عن غيرِهم إلاَّ الإسلام وما دلَّ عليه، بل لا ينتمون لأيِّ شخص مهما علت رتبتُه، ويجعلون قدوتهم في كلِّ شؤونهم رسولَ الله–صلى الله عليه وسلم–". [١]

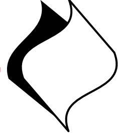
يقول مالك بن مغول–رحمه الله–(ت: ١٥٨ هـ): "إذا تسمَّى الرجلُ بغير الإسلام والسُّنة؛ فأَلْحِقْه بأيِّ دِينٍ شِئت". [٢]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)، فيمَن تسمَّى بأسماء ليست من الإسلام في شيء: "هذه أسماءٌ باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله–صلى الله عليه وسلم–، ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأئمة. والواجب على المسلم إذا سُئل عن ذلك يقول: أنا مسلمٌ مُتَّبِع لكتاب الله، وسنة رسوله... واللهُ تعالى قد سمَّانا في القرآن؛ المسلمين،

---

١ انظر: أهل السنة والجماعة، (ص٧٥).

٢ انظر: الإبانة الصغرى، لابن بطة (ص١٣٧).



المؤمنين، عباد الله، فلا نعدل عن الأسماء التي سمَّانا الله بها إلى أسماءٍ أحدَثَها قوم، وسمَّوها هم وآباؤهم، ما أنزل الله بها من سلطان". [1]

ثانيًا: سبب ظهور ألقاب أهل السنة.

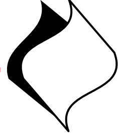
وسبب ظهور ألقاب أهل السنة والجماعة: أنه لَمَّا انتسبَ إلى الإسلام من أهل البدع، وانتسب إليه مَنْ يُخالف تعاليمَه، ظهرت هذه الألقاب والمسمَّيات للتفريق بين الانتساب الشرعي الصحيح، والانتساب الباطل، وهي في حقيقتها أوصافٌ تدلُّ على موصوف، ولكنها لا تُعبِّر بحال من الأحوال عن استقلالٍ عن الإسلام، فإذا أُطلِق وصفٌ منها يكون أوَّل ما يتبادر إلى ذهن السامع أنَّ المقصود هو المسلِم المتَّبع لكتاب ربِّه، والمقتدي بسنَّة نبيِّه. أمَّا غيرها من الألقاب فإطلاقها يُحدِث مُفارقةً ومباينةً بينه وبين الإسلام، من وجه أو وجوه، أو مفارقةً كلية.

ثالثًا: ألقاب أهل السنة.

والألقاب المشهورة لأهل السنة ما يلي:

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى، (٣/٤١٥) بتصرف يسير.



١-أهل الجماعة:

وأصل هذا المسمَّى ورد في قول النبي-صلى الله عليه وسلم-وهو يصف الفرقة الناجية: ((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلاَّ وَاحِدَةً وَهِي: الْجَمَاعَة)). [١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-: "وسُمُّوا أهلَ الجماعة؛ لأنَّ الجماعة هي الاجتماع، وضِدُّها الفُرقة". [٢]

٢-السلف الصالح:

"السلف: جمع سالف، وهو لفظ يدل على السَّبق والتَّقدم". [٣]

قال ابن الأثير-رحمه الله-: "وسلف الإنسان: مَنْ تقدَّمه بالموت من آبائه وذوي قرابته؛ ولهذا سُمِّيَ الصدر الأوَّل من التابعين السلف الصالح". [٤]

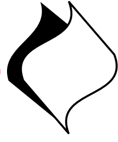
---

١ رواه ابن ماجه، (١٣٢٢/٢)، (ح٣٩٩٣). وصححه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه)، (٣٠٨/٣)، (ح٣٢٤٢).

٢ انظر: العقيدة الواسطية، (ص٤٦).

٣ انظر: الزاهر، (ص١٤٨)؛ لسان العرب، (١٥٨/٩).

٤ انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣٩٠/٢).



و(السلف) في الاصطلاح: "هم الصحابة، والتابعون، وتابعو التابعين، وهو قول جمهور العلماء". [1]

ويدلُّ عليه: قول النبيّ–صلى الله عليه وسلم–: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ)). [2]

قال النووي–رحمه الله–:"الصحيح: أنَّ قرنه صلى الله عليه وسلم الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم". [3]

وقال السفاريني –رحمه الله–وهو يبين من هم القدوة بقوله: "المراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابةُ الكرام–رضوان الله عليهم–وأعيانُ التابعين لهم بإحسان، وأتباعُهم، وأئمة الدِّين مِمَّنْ شُهِدَ له بالإمامة، وعُرِفَ عِظَمُ شأنه في الدِّين، وتلقَّى الناسُ كلامَهم خلفًا عن سلف، دون مَنْ رُمِيَ ببدعة، أو شُهِرَ بلقب غير مرضي". [4]

السلفية لها معنيان: تُطلق السلفية ويراد بها أحد معنيين: [5]

---

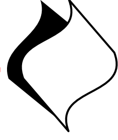
١ انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (١/ ٩).

٢ رواه البخاري، واللفظ له، (٢/ ٩٣٨)، (ح٢٥٠٩)؛ ومسلم، (٤/ ١٩٦٣)، (ح٢٥٣٣)..

٣ انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (١٦/ ٨٥).

٤ لوامع الأنوار البهية، (١/ ٢٠).

٥ انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، (ص٣٥).



الأوَّل: حِقبة تاريخية معينة، تختص بأهل القرون الثلاثة المتقدِّمة؛ كما يشهد له حديث: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي...) [1]

فالسَّلفية بهذا الإطلاق مرحلة تاريخية قد انتهت بموت رجالها.

الثاني: طريقة الصحابة والتابعين، ومَنْ تبعهم بإحسان؛ من التمسُّك بالكتاب والسُّنة وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مُقتضى فهم الصحابة والسلف الصالح؛ ويدلُّ عليه قوله صلى الله عليه وسلم: ((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ؛ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ)). [2]

والسلفية بهذا الإطلاق تكون منهاجًا باقيًا إلى قيام الساعة، يصح الانتساب إليها متى الْتُزِمَت شروطُه وقواعدُه.

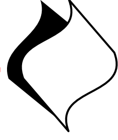
قال ابن تيمية – رحمه الله –: "لا عيب على مَنْ أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعْتَزَى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإنَّ مذهب السلف لا يكون إلاَّ حقًّا". [3]

---

١ رواه البخاري، واللفظ له، (٢/ ٩٣٨)، (ح٢٥٠٩)؛ ومسلم، (٤/ ١٩٦٣)، (ح٢٥٣٣)..

٢ رواه مسلم، (٣/ ١٥٢٤)، (ح١٠٣٧).

٣ مجموع الفتاوى، (٤/ ١٤٩).



وبناءً عليه: فكلُّ متأخِّرٍ عن زمن السلف الصالح، وهو على مذهبهم في الاعتقاد، والتَّلقي والاستدلال، والعمل والتطبيق، والسلوك والأخلاق؛ فهو سلفيٌّ بالإطلاق الثاني، لا الأوَّل؛ فابن تيمية – مثلًا – سلفيٌّ بالإطلاق الثاني، لا الأوَّل، وهكذا. [١]

٣-أهل الحديث:

من الألقاب التي أُطلقت على أهل السنة لقب أهل الحديث. والحديث لغة: ضدُّ القديم، والحديث: الجديد، [٢]

و(الحديث) في الاصطلاح: ما أُضيف إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–من قول أو فعل، أو تقرير، أو وصف خُلقي أو خَلقي. [٣]

و(أهل الحديث) في الاصطلاح: هم العاملون بحديث رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، المتَّبعون لرسول الله–صلى الله عليه وسل–ظاهرًا وباطنًا عِلمًا وعَمَلًا.

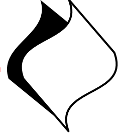
ومن الذين تحدَّثوا عن هذا الاصطلاح: اللالكائي–رحمه الل–حيث قال: "فلم نجد في كتابِ الله، وسنةِ رسوله، وآثارِ صحابته إلاَّ الحث على الاتباع، وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتَّبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقَّهم بهذا الوَسْم، وأخصَّهم بهذا

---

١ انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، (ص٣٦)..

٢ انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/ ٣٥٠)؛ لسان العرب، (٢/ ١٣٣).

٣ انظر: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لابن جماعة (ص٤٠).



الرَّسْم أصحابُ الحديث؛ لاختصاصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، واتباعِهم لقوله، وطولِ ملازمتهم له، وتحمُّلِهم عِلْمَه". [1]

٤-أهل الأثر:

ويُطلق الأَثَرُ في اللغة على بقِيَّةِ الشَّيْءِ وعلامتِه، وجمعُه آثارٌ.. [2]

وفي الاصطلاح: "فإنَّه مرادف للخبر، فيُطلق على المرفوع والموقوف، وفقهاء خراسان يُسمُّون الموقوفَ بالأثر، والمرفوعَ بالخبر". [3]

ولقب "أهل الأثر" مرادف للقب "أهل الحديث" ويقول السفاريني-رحمه الله-في وصف أهل الأثر بأنهم: "الذين إنما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله - جل شأنه - في كتابه، أو في سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم، أو ما ثبت وصحَّ عن السلف الصالح من الصحابة الكرام، والتابعين لهم الفخام". [4]

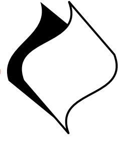
---

١ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، (١/ ٢٢).

٢ انظر: المحكم والمحيط الأعظم، (١٠/ ١٧٣)..

٣ توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر الجزائري (١/ ٤٠). وانظر: تدريب الراوي، (١/ ١٨٤).

٤ لوامع الأنوار البهية، (١/ ٦٤).



٥–الفرقة الناجية:

وأصل اللقب مأخوذ من حديث الافتراق؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ)). قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ هُمْ؟ قال: ((الْجَمَاعَةُ)). [١]

وقد سئل الإمام أحمد–رحمه الله–عن الفرقة الناجية في حديث الافتراق، فقال: "إنْ لم يكونوا أصحابَ الحديث؛ فلا أدري مَنْ هم؟!". [٢]

٦–الطائفة المنصورة:

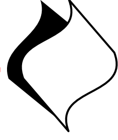
وأصل اللقب مأخوذ من قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)). [٣]

---

١ رواه ابن ماجه، (٢/ ١٣٢٢)، (ح٣٩٩٢). وصححه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه)، (٣/ ٣٠٧)، (ح٣٢٤١)..

٢ شرف أصحاب الحديث، (ص٢٥).

٣ رواه أحمد في (المسند)، (٥/ ٣٤)، (ح٢٠٣٧٧)؛ وابن ماجه، (١/ ٤)، (ح٦)؛ والترمذي، (٤/ ٤٨٥)، (ح٢١٩٢) وقال: (حسن صحيح)؛ وابن حبان في (صحيحه)، (١/ ٢٦١)، (ح٦١). وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي)، (٢/ ٤٧١)، (ح٢١٩٢). قال الترمذي – رحمه الله: (قال محمد بن إسماعيل: قال عَلِيُّ بن الْمَدِينِيِّ: هُمْ أَصْحَابُ الحديث) سنن الترمذي، (٤/ ٤٨٥)..

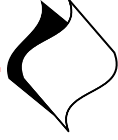


رابعًا: الجمع بين ألقاب أهل السنة والجماعة:

ويُمكن الجمع بين هذه الألقاب المتنوعة تنوع اختلاف لا تضاد؛ بأنَّ أهل السنة تميَّزوا عن غيرهم من الفِرق الضالة بهذه الألقاب، رائدهم في ذلك اتِّباعُ الحق، والابتعادُ والتَّمايز عن أهل الباطل والمبتدعة، وكل مَنْ أمعن النظر جيدًا في هذه الألقاب يلحظ أنها ألقاب دالة على الإسلام الصحيح الخالص من الشوائب والبدع والمحدثات والأباطيل، فبعض هذه الألقاب ثابت بنصِّ كلام رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وبعضها لُقِّبوا به بسبب اتِّباعهم وتحقيقهم للإسلام الصحيح ظاهرًا وباطنًا، والقاسِم المشتَرَكُ بين هذه الألقاب المباركة لأهل السنة والجماعة أنهم تميَّزوا بها عن ألقاب أهل الباطل، والبدع، والأهواء، والضلال.

وجميع هذه الألقاب كلُّها تُطلق على السلف الصالح، وهؤلاء السلف الصالح: هم أهل السنة؛ لاتِّباعهم سُنَّة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وهم الجماعة؛ لاجتماعهم على الحق، وهم أهل الحديث والأثر؛ لاتِّباعهم حديثَ رسول الله، وتطبيقه ظاهرًا وباطنًا، وهم الفِرقة الناجية والطائفة المنصورة، الذين استثناهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من فرق أهل النار الهالكة، وهذا الوصف الوارد في النصوص لا ينطبق إلاَّ عليهم، وعلى مَن اتَّبع منهجَهم، واقتفى أثرَهم، نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يجعلنا داخلين في زُمرتهم [1]

١ انظر: أهل السنة والجماعة، (ص: ٩٧).



خامسًا: ضوابط مهمة.

ومن الأهمية بمكان أن تكون هناك ضوابط تضبط هذه الألقاب المختلفة لأهل السنة والجماعة؛ لتتباين عن منهج أهل الأهواء والبدع والضلالات ومُسمَّياتهم وألقابهم المحدَثة، وتلخيص ذلك فيما يلي: [١]

١) ألقاب أهل السنة والجماعة لم تنفصل –ولا لحظة واحدة –عن الأمة الإسلامية منذ تكوينها على منهاج النبوة، فهي تشمل المسلمين كلَّهم على طريقة الرعيل الأول، ومَنْ يُقتدى بهم في تلقِّي العلم وطريقة فهمه، وطبيعة الدعوة إليه.

٢) هذه الألقاب تشمل جميعَ الإسلام–كتابًا وسُنَّة–فهي لا تختصُّ برسمٍ يُخالف الكتاب والسُّنة زيادةً أو نقصًا.

٣) هذه الألقاب منها ما هو ثابت بالسنة الصحيحة؛ كما تقدَّم، ومنها ما بَرَزَ وظَهَرَ في مواجهة مناهج أهل الأهواء والبدع، والفرق الضالة؛ لردِّ بدعتهم والتَّمايزِ عنهم.

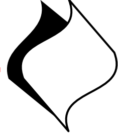
٤) عقد الولاء والبراء، والموالاة والمعاداة، لدى أهل السنة والجماعة إنما هو على الكتاب والسنة قُربًا وبُعدًا، لا على شيء آخر، ولا على رسم باسمٍ معين، ولا على رسم محدد، إنما هو الإسلام بحسب؛ المتمثل في الكتاب والسنة.

٥) هذه الألقاب لم تكن داعية لهم للتعصُّب لشخصٍ دون رسول الله–صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–: "والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله،

---

١ انظر: حكم الانتماء، د. بكر أبو زيد (ص٣١-٣٧)..



يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-؛ ولا لطائفة انتصارا مطلقا عامًا، إلا للصحابة-رضي الله عنهم أجمعين-. فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء، فإنهم قد يجمعون على خطأ، بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ؛ فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلمًا إلى عالم واحد وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم....". [1]

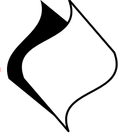
٦) هذه الألقاب لا تُفضي إلى بدعة ولا معصية، ولا عصبية لشخص معيَّن، ولا لطائفة معيَّنة، فإذا قيل: (أهل السنة والجماعة) انتظم هذا اللقب هذه الخواص، وهذا لا يكون لأحد من الفِرق بأسمائهم ورسومهم التي انشقُّوا بها عن جماعة المسلمين، وهكذا بقيَّة ألقاب أهل السنة.

٧) كما أنَّ هذا اللقب (أهل السنة والجماعة) يرتبط بالمنهج لا بالأشخاص". [2]

---

١ (منهاج السنة) (٥/ ٢٥٤-٢٥٥).

٢ انظر بتصرف: بحث الدكتور/ محمد الدوسري ألقاب أهل السنة والجماعة مقال نشر في موقع الألوكة.



[الشهادة لله بالوحدانية]

شرح قول المصنف: "يشهدون لله تعالى بالوحدانية".

المسألة الأولى: بيان معنى كلمة إله في اللغة.

المسألة الثانية: معنى الإله في الشرع.

المسألة الثالثة: معنى لا إله إلا الله.

المسألة الرابعة: العمل بمقتضاها.

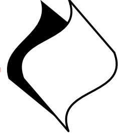
المسألة الخامسة: أركان لا إله إلا الله.

المسألة السادسة: شروط لا إله إلا الله.

المسألة السابعة: مراتب الشهادة.

المسألة الثامنة: متي ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله.

المسألة التاسعة: بما يتحقق توحيد الله.



شرح قول المصنف: "يشهدون لله تعالى بالوحدانية".

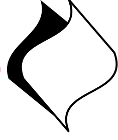
[٢]. قال المصنف–رحمه الله–

"يشهدون لله تعالى بالوحدانية".

الشرح:

وفيه المسائل الآتية:

المسألة الأولى: بيان معنى كلمة إله في اللغة:



أ-أصل الكلمة:

قال ابن فارس: الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد. [1]

ب-تصريفها:

قال الفيروزأبادي: أله يأله ألهة وتالها كعبد يعبد عبادة وتعبدا. [2]

ج-معناها:

فقد ذكرت له عدة معان:

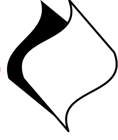
أولا: **الإله** فعال بمعنى مألوه، أي: معبود، كإمام بمعنى مؤتم به، وأله إلهة: عبد عبادة، والتأليه: التعبيد، والآلهة: المعبودون من الأصنام وغيرها، والتأله: التعبد والتنسك. [3]

---

١ معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).

٢ بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٤).

٣ تهذيب اللغة: (١/ ٤٢٤،٤٢٢)، معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧)، مجمل اللغة: (١/ ١٠١)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٢٢٣،٢٢٢٤)، المفردات (٢١-٢٢)، أساس البلاغة (٩)، لسان العرب: (١/ ١٩١،١٨٨)، القاموس : (٤-٢٨٢)، وتاج العروس (٩/ ٣٧٤-٣٨٥).



فالإله: هو المعبود وهو **الله** سبحانه، وهو على وزن فعال بمعنى مفعول، مثل كتاب معنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط، فالإله إذن على معنى ما روي عن ابن عباس: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق، والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين". [١]

ثانيا: الإله مأخوذ من أله: إذا تحير، وأصله وله يوله ولها، على وزن تعب يتعب تعبا، فإن الإله هو الله سبحانه تتحير الألباب والفكر في حقائق صفاته ومعرفته، وعلى هذا، فأصل كلمة إله: ولاه، وأن الهمزة مبدلة من واو. [٢] وقد أنكر بعض أصحاب المعاجم هذا المعنى. [٣]

ثالثا: أن الإله مأخوذ من أله إلى كذا: أي لجأ إليه، فروي عن الضحاك أنه قال: إنما سمي الله إلها؛ لأن الخلق يتضرعون إليه في حوائجهم ويتضرعون إليه عند شدائدهم [٤] فيكون المعنى: هو من يفزع إليه في النوائب لأنه المجير لجميع الخلائق من كل المضار.

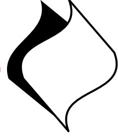
---

١ الطبري في تفسيره (١/ ٥٤).

٢ لسان العرب: (١/ ١٨٨،١٩١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٠٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٩).

٣ انظر : معجم مقاييس اللغة : (١/ ١٢٧).

٤ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٠٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٩).



رابعا: أن الإله مشتق من (لاه يليه ويلوه لياها) إذا احتجب [١]، فلفظ الجلالة يتضمن معنى الاحتجاب كما قال تعالى: {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}. [الأنعام: الآية: ١٠٣].

خامسا: أنه مشتق من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه، فالقلوب لا تسكن إلا بذكره، فمن خاف الله تقرب إليه فيحصل له الاطمئنان والسكونه. [٢]

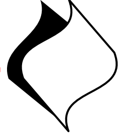
سادسا: أنه مشتق من أله الرجل إلى الرجل إذا اتجه إليه لشدة شوقه إليه، ومنه: "أله الفصيل بأمه إذا أولع بأمه، وعلى هذا معناه : أن العباد يتوجهون إليه وحده".

والمعنى: "أن العباد مألوهون: أي مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال". [٣]

سابعا: أنه مشتق من الارتفاع، فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع : الاها، وإذا طلعت الشمس تقول: لاهت [٤]، وعلى هذا يتضمن **لفظ الجلالة** معنى العلو والارتفاع.

---

١ تفسير ابن كثير (١/ ١٩).
٢ انظر ما ذكره ابن كثير في التفسير (١/ ١٩).
٣ انظر ما ذكره ابن كثير في التفسير (١/ ١٩).
٤ انظر ماذكره القرطبي في التفسير (١/ ١٠٣).



فهذه كما ترى معاني اشتقاقات هذا اللفظ، وليس في شيء منها أن معناه القادر على الاختراع أو أنه الصانع المالك.

وقد رجح جماعة من العلماء القول الأول، وأن لفظ الجلالة (**الله**) مشتق من أله يأله: إذا عبد، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود، وكل الاشتقاقات والمعاني الأخرى تدخل تحت هذا المعنى الأول، فهو متضمن لها، وسأذكر فيما يأتي من قال بهذا من أئمة اللغة:

قال الراغب الأصفهاني: و(إله) جعلوه اسما لكل معبود لهم. [١]

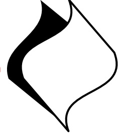
قال ابن منظور: الإله (الله)-عز وجل-، وكل ما اتخذ من دون الله معبودا (إله) عند متخذه، والجمع (آلهة). [٢]

وقال المجد الفيروزآبادي: (إله) كفعال، بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبودا (إله) عند متخذه. [٣]

وقال الزبيدي: فإذا قيل: (الإله) أطلق على الله سبحانه، وعلى ما يعبد من الأصنام، وإذا قلت: (الله) لم يطلق إلا عليه سبحانه وتعالى". [٤]

---

١ المفردات (٢١).
٢ لسان العرب (١/ ١٨٨- ١٩١).
٣ القاموس المحيط (١٦٠٣).
٤ تاج العروس : (٩/ ٣٧٥).



المسألة الثانية: معنى الإله في الشرع.

الإله في القرآن وفي فهم السلف والمفسرين

الألوهية والإله في لغة القرآن وما حكى الله–سبحانه وتعالى–عن مشركي العرب لم يختلف عن معناها الذي ذكرناه عن معاجم اللغة. فالإله يطلق على كل معبود حقًا كان أم باطلًا، والأدلة عليها كثيرة، منها:

١– أن الله سبحانه وتعالى سمى معبودات المشركين (**آلهة**) وأبطل كونها آلهة حقا؛ قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا}. [الفرقان: الآية : ٣].

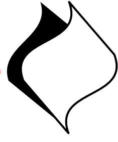
وهكذا كان مشركو العرب يسمون معبوداتهم (آلهة) مع اعتقادهم أنها ليست خالقة لهذا الكون ولا مالكة؛ كما حكى عنهم:

{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}. [ص: الآية: ٥]

وقال عنهم : {إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَ}. [الفرقان: الآية : ٤٢].

وقال تعالى: {وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} [الصافات: الآية: ٣٦].

وقال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان: الآية ٤٣].



وقال تعالى: {وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا} [طه: الآية : ٩٧].

وقال تعالى: {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ}. [طه: الآية : ٨٨].

وقال تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}. [الأعراف: الآية : ١٣٨].

فأنت ترى في هذه الآيات أن المشركين سموا معبوداتهم (آلهة) مع أن المشركين لم يعتقدوا فيها أنها خالقة لهذا الكون وأرباب للعالم؛ قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [العنكبوت: الآية: ٦١].

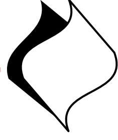
وهكذا ترى اللغة القرآنية لكلمة (الإله) تتفق مع معاني أهل اللغة لهذه الكلمة، كما أن هذا ما كان عليه فهم السلف والمفسرين:

قال ابن عباس: "الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين، ومنه قوله في {وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} [الأعراف: الآية: ١٢٧]، يذرك وإلاهتك، أي عبادتك". [١] وهو قول مجاهد أيضا. [٢]

---

١ الطبري، ابن جرير : جامع البيان (١/ ٤١).

٢ جامع البيان (١/ ٤١).



قال الطبري: "ولا شك أن الإلهة على ما فسره ابن عباس ومجاهد مصدر من قول القائل : أله الله فلان إلهة: كما يقال : عبد الله فلانٌ عبادة وعبر الرؤيا عبارة، فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا: أن أله عبد وأن الإلاهة مصدره". [1]

وقال أيضا: "فالإله: هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط، فالإله إذن على معنى ما روي عن ابن عباس: هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق". [2]

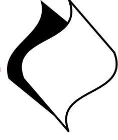
قال الزجاجي: "(إله) فعال بمعنى مفعول، كأنه مألوه، أي معبود مستحق للعبادة يعبده الخلق ويولهونه". [3]

وقال الزمخشري: "(الإله) من أسماء الأجناس، كالرجل والفرس، يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم على المعبود بحق". [4]

قال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره: لا إله إلا الله: "معناه: لا معبود إلا الله". [5]

---

١ جامع البيان (١/ ٤٢).
٢ جامع البيان (١/ ٤٢).
٣ اشتقاق أسماء الله الحسنى (٢٤).
٤ الزمخشري : الكشاف: (١/ ٦).
٥ الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٧٥)، والصحيح: لا معبود بحق إلا هو.



والصحيح: لا معبود بحق إلا الله، ومعنى ذلك أن كل المعبودات إنما عبدت بغير الحق، قال جل وعلا: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [لقمان: الآية: ٣٠].

فهذه بعض أقوال المفسرين في معنى الإله.

وقال ابن تيمية: "فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع". [١]

وقال ابن القيم: "الإله: هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالًا وإنابة وإكرامًا وتعظيمًا وذلًا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلًا". [٢]

وقال ابن رجب: "الإله: هو الذي يطاع فلا يعصي، هيبة له وإجلالا، ومحبة وخوفا ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤالا منه ودعاء له، ولا يصلح هذا كله إلا الله عز وجل". [٣]

---

١ مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٩).

٢ ابن القيم، مدارج السالكين (٣/ ٤٩٠).

٣ تحقيق كلمة الإخلاص (٢٣، ٢٤).

وقال البقاعي: "لا إله إلا الله: أي انتفاء عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك العظيم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف". [1]

وقال الطيبي: "الإله: فعال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أنه إلهة: أي عبد عبادة". [2]

قال الشوكاني: "لفظ (إله) إنما هو لبيان استحقاق الله للألوهية التي هي حقيقة العبودية، ولهذا جاء في كتاب الله {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} [الزخرف: الآية: ٨٤]، أي: مألوه معبود فيها، قال قتادة: يعبد في السماء والأرض". [3]

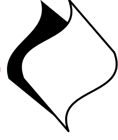
بهذا يتضح لنا أن لفظة (إله) مأخوذة من التأله وهو التعبد ومعناه المعبود المطاع سواء كان بحق أو بغير حق، فكل ما عبد بأي نوع من أنواع العبادات ولو كان المعبود جمادًا فهو إله عند عابده كما قال تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} [هود: الآية: ١٠١].

---

١ فتح المجيد (١/ ٥٣٣).

٢ انظر ما نقله عنه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد (١/ ٥٣٣).

٣ فتح القدير (٤/ ٥٩٧).



ولكن هذا اللفظ غلب على المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى يقول الزمخشري: "والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق ...". [1]

وأما لفظ الجلالة (الله) فلا يطلق إلا على المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى، فهو مختص به عز وجل ولا يطلق على غيره. [2]

فالتفسير الصحيح لكلمة الإله هو المألوه والمعبود المطاع، ولا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى.

الرد على من فسر الإله بالقادر على الاختراع.

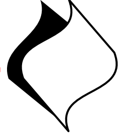
المتكلمون ومن سار على نهجهم يفسرون الإله بأنه الخالق والقادر على الاختراع، أو شبه ذلك من معاني الربوبية فجعلوا الألوهية بمعنى الربوبية.

وقد عَرَّف كثير من الأشعرية كلمة (إله) بأنه القادر على الاختراع، فمن ذلك ما نسبه البغدادي إلى أبي الحسن الأشعري فقال: "واختلف أصحابنا في معنى الإله: فمنهم من قال إنه مشتق

---

١ الكشاف (١/ ٣٦).

٢ انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٦٩).



من الألهية، وهي: قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري" [١]، ثم اختار البغدادي القول بأنه غير مشتق!

وقد حكى الرازي هذا القول ذاكرًا دليله دون أن يسمي قائله، فقال في صدد حكاية مذاهب الناس في أصل اشتقاق اسم الله تعالى (الله) قال: "القول السابع: الإله من له الإلهية، وهي القدرة على الاختراع، والدليل عليه أن فرعون لما قال: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: الآية: ٢٣]، قال موسى في الجواب: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الشعراء: الآية: ٢٤] فذكر في الجواب عن السؤال الطالب لماهية الإله: القدرة على الاختراع، ولولا أن حقيقة الإلهية هي القدرة على الاختراع لم يكن هذا الجواب مطابقًا لذلك السؤال". [٢]

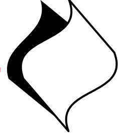
وهذا التفسير لا شك أنه تفسير خاطىء مخالف للغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، هذا القول غير معروف عند أهل اللغة، ولذلك لم يحتج من قال بهذا القول بشاهد من شواهد لغة العرب ولا بنقل إمام معتبر من أئمة اللغة [٣]، كما أنه يؤدي إلى إغفال حقيقة التوحيد الذي

---

١ ((أصول الدين للبغدادي)) (ص: ١٢٣).

٢ ((شرح أسماء الله الحسنى للرازي)) (ص ١٢٤).

٣ انظر ((تيسير العزيز الحميد)) (ص: ٧٦).



من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وخلق الله الخلق ألا وهو توحيد العبادة الذي ضل فيه كثير من الناس خصوصًا في هذا العصر.

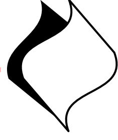
ليس المراد (بالإله) هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو. [1]

ولو كان هذا معنى لا إله إلا الله؛ لما أنكرت قريش على النبي–صلى الله عليه وسلم–دعوته ولآمنت به وصدقت؛ لأن قريشًا تقول: لا خالق إلا الله، ولا خالق أبلغ من كلمة لا قادر، لأن القادر قد يفعل وقد لا يفعل، أما الخالق؛ فقد فعل وحقق بقدرة منه، فصار فهم المشركين خيرًا من فهم هؤلاء المتكلمين، والمنتسبين للإسلام.

قال ابن تيمية–رحمه الله–: "فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه؛ لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، كما قال تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} [يوسف: الآية:

---

[1] الرسالة التدمرية – مجمل اعتقاد السلف لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية – ص ١٠٨.



١٠٦]، قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره". [١]

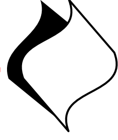
قال ابن تيمية–رحمه الله–: "وليس المراد "بالإله" هو القادر على الاختراع، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أنه لا إله إلا هو، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه. بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد فهو إله بمعنى مألوه، لا إله بمعنى آله. والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك أن يجعل مع الله إلها آخر". [٢]

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب–رحمه الله تعالى–بعد أن ذكر أن معنى الإله هو المعبود المطاع: "وهذا كثير جدًا في كلام العلماء، وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبود خلافا لما يعتقده عباد القبور وأشباههم في معنى الإله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات، ويظنون أنهم إذا قالوها بهذا المعنى، فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى، ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله ... وما شعروا أن إخوانهم من كفار العرب يشاركونهم في هذا الإقرار، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع، ويعبدونه بأنواع من العبادات

---

١ درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٣٣٧٧-٣٧٨.

٢ شرح التدمرية (٢/ ١١٣٧).



...فإن قيل: فما الجواب عن قول من قال: بأن معنى الإله القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة؟ قيل الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم فيكون هذا القول باطلا.

الثاني: على تقدير تسليمه، فهو تفسير باللازم للإله الحق، فإن اللازم له أن يكون خالقا قادرا على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك، فليس بإله حتى وإن سمي إلها، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام، فإن هذا لا يقوله أحد، لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين، ولو قدر أن بعض المتأخرين أراد ذالك فهو مخطىء يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية". [١] . [٢]

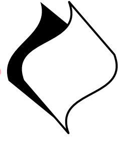
المسألة الثالثة: معنى لا إله إلا الله.

(لا إله إلا الله) تعني إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وحده لا شريك له، والبراءة من كل معبود سواه، فهي كلمة الإخلاص وعنوان التوحيد ولا يتم إيمان أي عبد بدون تحقيق معناها والعمل بمدلولها.

---

١ تيسير العزيز الحميد (ص ٧٦ - ٨١).

٢ المصدر: كتاب ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف (ص: ٣٠٢-٣٠٧)، بتصرف.



فهي تعني الإيمان بالقلب والإقرار باللســـان أنه **لا معبود بحق إلا الله تعالى**؛ فلا يســـتحق العبادة أحدٌ غير الله تعالى؛ فإنه وإن كانت هناك معبودات تعبد من دون الله تعالى إلا أنها معبودات باطلة؛ وأما المعبود بحق فهو الله تعالى وحده؛ كما قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج: الآية: ٦٢].

قال ابن تيميه (ت: ٧٢٨ هـ)-رحمه الله-: "تحقيق شـهادة أن لا إله إلا الله، أن ينفي عن قلبه ألوهية ما ســـوى الله، ويثبت في قلبه ألوهية الله، فيكون نافياً لألوهية كل شئ من المخلوقات مثبتا لألوهية رب العالمين رب الأرض والسماوات؛ وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله وعلى مفارقة ما سواه". [١]

قـال ابن حجر الهيتمي-رحمـه الله-(ت: ٩٧٤ هـ): "لا إلـه إلا الله ... معناها: لا معبود بحق إلا ذلك الواحد الحق". [٢]

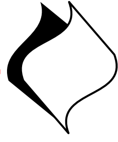
قال الصنعاني-رحمه الله-(ت: ١١٨٢ هـ): "إن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة ... وهذا الذي تضمنه قول: (لا إله إلا الله) فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة، واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان.

ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه.

---

١ مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٥٥.

٢ انظر: الإيعاب (١/ ٦).



وهذا الأصل لا مرية فيما تضمنه، ولا شك فيه، وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه". [1]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- (ت: ١٢٠٦ هـ): "فإن هذه الكلمة "لا إله إلا الله" نفي وإثبات؛ نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المخلوقات، حتى من المرسلين البشر وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، وحتى من الملائكة وجبريل-عليهم وعلى جميع المرسلين الصلاة والسلام-، فضلا عن غيرهم من الأنبياء والصالحين وسائر المخلوقات؛ وإثباتها بجميع أنواعها كلها لله عز وجل وحده لا شريك له". [2]

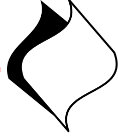
قال الشيخ صالح الفوزان: "معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لا شريك له، لأنه المستحق للعبادة فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله من سائر المعبودات ليس بإله حق وأنه باطل، لأنه لا يستحق العبادة.

ولهذا كثيرًا ما يرد الأمر بعبادة الله مقرونًا ينفي عبادة ما سواه، لأن عبادة الله لا تصح مع إشراك غيره معه قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: الآية: ٣٦].

---

[1] تطهير الاعتقاد (ص: ٥ - ٦).

[2] مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول-العقيدة: تفسير كلمة التوحيد- (ص: ٣٦٣، ٣٦٤).



وقال تعالى: {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: الآية: ٢٥٦].

وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: الآية: ٣٦].

وقال-صلى الله عليه وسلم-: ((ومن قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وماله)). [١]

وكل رسول يقول لقومه: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ} [هود: الآية: ٨٤].

إلى غير ذلك من الأدلة". [٢]

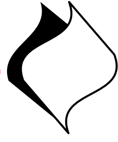
المسألة الرابعة: العمل بمقتضاها

من قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها عاملًا بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا من نفى الشرك وإثبات العبادة لله مع الإعتقاد الجازم لما تضمنته والعمل به فهو المسلم حقًا، ومن قالها وعمل بها وبمقتضاها ظاهرًا من غير اعتقاد لما دلت عليه فهو منافق، ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لها فهو المشرك المتناقض فلابد مع النطق بهذه الكلمة من معرفة معناها، لأن

---

١ أخرجه مسلم (٢٣).

٢ معنى لا اله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع (ص: ٢٠-٢١).



ذلك وسيلة للعمل بمقتضاها قال تعالى: {إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: الآية: ٨٦].

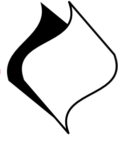
والعمل بمقتضاها: هو عبادة الله والكفر بعبادة ما سواه وهو الغاية المقصود من هذه الكلمة؛ ومن مقتضي لا إله إلا الله قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والتحليل والتحريم، ورفض تشريع من سواه قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} [الشورى: الآية: ٢١].

فلابد من قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه في الأحوال الشخصية وغيرها رفض القوانين الوضيعة، ومعنى ذلك رفض جميع البدع والخرافات التي يبتدعها ويروجها شياطين الإنس والجن في العبادات ومن تقبل شيئًا من ذلك فهو مشرك كما قال في هذه الآية: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} [الشورى: الآية: ٢١].

وقال تعالى: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: الآية: ١٢١].

وقال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} [التوبة: الآية: ٣١].

وفي الحديث الصحيح أن النبي-صلى الله عليه وسلم-: تلى هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي-رضي الله عنه-فقال: "يا رسول الله لسنا نعبدهم"، قال: ((أليس يحلون لكم ما حرم



الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه))، قال: "بلى"، قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((فتلك عبادتهم)). [1]

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن–رحمه الله–: "فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أربابًا المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله ... فتبين أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة". [2] [3]

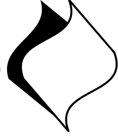
وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في معنى قوله–عليه السلام–: "من شهد أنه لا إله إلا الله": "أي: من تكلم بهذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها، باطنًا وظاهرًا كما دل عليه قوله: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: الآية: ١٩]، وقوله: {إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: الآية: ٨٦]، أما النطق بها من غير معرفة لمعناها، ولا عمل

---

١ أخرجه الطبراني في ((الكبير)) (١٧/ ٩٢)، واللفظ له، والترمذي (٣٠٩٥)، والبيهقي في ((الكبرى)) (٢٠٣٥٠) باختلاف يسير.

٢ فتح المجيد (ص: ١٠٧).

٣ معنى لا اله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع (ص: ٢٤-٢٧).



بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع، وفي الحديث ما يدل على هذا وهو قوله: (من شهد)؛ إذ كيف يشهد وهو لا يعلم [١]، ومجرد النطق بشيء لا يسمى شهادة به". [٢]

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ: "وكل من عقل عن الله يعلم علمًا ضروريًا: أن المقصود من الشهادتين ما دلتا عليه من الحقيقة والمعنى، وما اشتملتا عليه من العلم والعمل، وأما مجرد اللفظ من غير علم بمعناهما، ولا اعتقاد لحقيقتهما فهذا لا يفيد العبد شيئًا، ولا يخلصه من شعب الشرك وفروعه ...

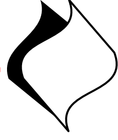
فالإيمان بمعناهما، والانقياد له لا يتصور ولا يتحقق إلا بعد العلم، والحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ فإذا لم يعلم، ولم يتصور فهو كالهاذي، وكالنائم، وأمثالهما ممن لا يعقل ما يقول، بل لو حصل له العلم، وفاته الصدق لم يكن شاهدا، بل هو كاذب، وإن أتى بهما صورة". [٣]

---

١ روى الإمام الخلال في كتاب السنة: عن أبي بكر بن حماد المقري أنه سأل أبا عبد الله في هذه المسألة – أي: الشهادة للعشرة بالجنة– قال: تفرق بين العلم وبين الشهادة؟ قال: لا؛ إذا قلت أعلم فأنا أشهد، قال الله: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون (٨٦)}، وقال: {وما شهدنا إلا بما علمنا} [يوسف: ٨١] إسناده صحيح. [السنة للخلال (٢/ ٣٥٦)، رقم (٤٧٨)].

٢ تيسير العزيز الحميد (ص ٥٦).

٣ مصباح الظلام للشيخ عبد اللطيف آل الشيخ (ص ١٦١).



المسألة الخامسة: أركان لا إله إلا الله:

لها ركنان:

الركن الأول: النفي: أي: نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى؛ بقولك: (لا إله).

الركن الثاني: الإثبات: أي: إثبات الإلهية لله وحده؛ بقولك: (إلا الله).

"لا إله إلا الله" لها نوعان من الأركان؛ نوع لفظي، ونوع معنوي.

أما النوع اللفظي: وهو ما تضمنه لفظ الشهادة "لا إله إلا الله": فركناه نفي وإثبات؛ "لا إله": نفي، "وإلا الله": إثبات.

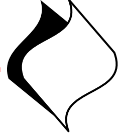
وأما النوع المعنوي، وهو ما تضمنه معنى الشهادة "لا معبود بحق إلا الله": فركناه نفي وإثبات أيضا؛ فـ "لا معبود بحق": نفي، و"إلا الله": إثبات.

والنفي: مصدر نفيت الشيء أنفيه نفيا، وأصله من الفعل الثلاثي (نفى)، فالنون والفاء والحرف المعتل: أصيل يدل على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه، تقول: نفيت الشيء أنفيه نفيا ونفاية: إذا رددته، وأزلته، وجحدته.[1]

وأما الإثبات: فهو ضد النفي، وهو مصدر للفعل الرباعي (أثبت) وأصله (ثبت) صحيح سالم، قال أهل اللغة: الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء، وثبت الشيء

---

[1] انظر: معجم مقاييس اللغة (/)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٤٩٥)، والأفعال (٣/ ٢٨١)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٧٢)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٤١)، وتاج العروس (٤٠/ ١١٧)، ولسان العرب (١٥/ ٣٣٧).



يثبت ثبوتا دام واستقر فهو ثابت، وثبت الأمر صح، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أثبته وثبته والاسم الثبات. [1]

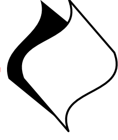
وقال المناوي في معناه: "الإثبات: ضد الإزالة؛ ثم تارة يقال بالفعل، فيقال لما يخرج من العدم نحو: أثبت الله كذا، وتارة لما ثبت بالحكم، فيقال: أثبت الحاكم كذا، وتارة لما يكون بالقول؛ سواء كان صدقا أم كذبا، فيقال: أثبت التوحيد، وصدق النبوة، وفلان أثبت مع الله إلها آخر". [2]

فشهادة أن لا إله إلا الله اشتمالت على معنيين عظيمين، بل على أصلين كبيرين لا تقوم الشهادة إلا عليهما؛ وهما النفي والإثبات؛ فالنفي في شقها الأول: (لا إله)، والإثبات في الشق الثاني: (إلا الله)، والمقصود بالنفي: نفي جميع الآلهة المعبودة من دون الله تعالى، ونفيها يستلزم إبطالها، والكفر بها، وبغضها، وإزالتها عند القدرة، وبيان ضعفها وحقارتها، وأنها لا تستحق مثقال ذرة من العبادة ولا أدنى من ذلك.

---

١ انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٣٩٩)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٩٠)، وتاج العروس (٤/ ٤٧٢)، والمصباح المنير (١/ ٨٠)، والمعجم الوسيط (١/ ٩٣)، ومعجم تصريف الأفعال العربية للدحداح (٢٧٤)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف (٢٧).

٢ التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٣٣).



قال ابن القيم-رحمه الله-: "طريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات، فينفي عبادة ما سوى الله، ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد". [1]

والمقصـود بالإثبات هو إثبات الألوهية لله تعالى وحده دون ما سـواه، ثم إفراده عز وجل بأنواع العبادة.

يقول الصـنعاني: "قوله: (لا إله إلا الله) للتوحيد؛ أي: وضـع لإفادته، ومعناه: النفي والإثبات، فلو كان تكلما بالباقي لكان نفيا لغيره؛ أي: نفيا لما سـوى الله تعالى؛ لأنه هو الباقي بعد الاستثناء؛ لإثباته للألوهية لله، فيصح من كونها كلمة التوحيد بالإجماع". [2]

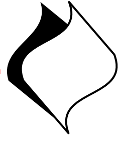
ويقول الشـيخ عبد الرحمن بن حسـن: "والمقصـود أن نفي الأوثان الذي دلت عليه كلمة الإخلاص يحصـل بتركها، والرغبة عنها، والبراءة منها، والكفر بها وبمن يعبدها، واعتزالها واعتزال عابديها، وبغضـها وعداوتها، وكل هذا في القرآن مبينا، وقد انتفت عبادة كل ما عبد من دون الله مما هو موجود في الخارج مما يعبده المشركون سلفا وخلفا بهذه الكلمة كما تقدم". [3]

---

١ "البدائع" (١/ ١٤١).

٢ إجابة السائل شرح بغية الأمل (ص: ٢٦٥).

٣ بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود للشيخ عبد الرحمن بن حسن مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٣٤٣).



ويقول الشـيخ محمد الأمين الشـنقيطي: "لأن (لا إله إلا الله): نفي وإثبات؛ فمعنى النفي منهـا هو البراءة من جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبـادات، وهـذا المعنى جـاء موضحا في قوله: {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ} [الزخرف: الآية: ٢٦]، ومعنى الإثبات منها: هو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله، وهذا المعنى جاء موضحا في قوله: {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} [الزخرف: الآية: ٢٧]". [١]

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "فقولك: (لا إله إلا الله): فـــ (لا): نافية للجنس، و (الإله) هو: المألوه بالعبادة، وهو الذي تألهه القلوب، وتقصــده رغبة إليه في حصول نفع، أو دفع ضر، كحال من عبد الأموات، والغائبين، والأصنام، فكل معبود مألوه بالعبادة، والخبر المرفوع محذوف تقديره: حق، وقوله: (إلا الله): اســتثناء من الخبر المرفوع، فالله سبحانه هو الحق، وعبادته وحده هي الحق، وعبادة غيره منتفية بلا في هذه الكلمة.

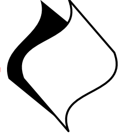
قال الله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [لقمان: الآية:٣٠]، فإلهية ما سواه باطلة، فدلت الآية على أن صرف الدعاء الذي هو مخ العبادة عنه لغيره باطل؛ فتبين أن الإلهية هي العبادة؛ لأن الدعاء من أفرادها، فمن صــرف منها شيئا لغيره تعالى فهو باطل". [٢]

يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين: فلا إله إلا الله" اشتملت على نفي وإثبات؛ فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى؛ فكل ما سواه من الملائكة، والأنبياء، فضلا عن

---

١ أضواء النبيان (٧/ ١٠٢).

٢ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٨٨).



غيرهم؛ فليس بإله، ولا له من العبادة شيء. وأثبتت الإلهية لله وحده؛ بمعنى أن العبد لا يأله غيره؛ أي لا يقصـده بشـيء من التأله؛ وهو تعلق القلب الذي يوجب قصـده بشـيء من أنواع العبادة؛ كالدعاء، والذبح، والنذر، وغير ذلك. [1]

فالنفي إذا: نفي الإلهية واستحقاق العبادة عن كل ما سوى الله عز وجل.

والإثبات: إثبات الإلهية واستحقاق العبادة عن كل ما سو الله عز وجل.

والإثبات: إثبات الإلهية واستحقاق العبادة لله عز وجل وحده، لا شريك له. [2]

وهو معنى قوله سبحانه وتعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: الآيات: ١٦٢-١٦٣] .

المسألة السادسة: شروط لا إله إلا الله:

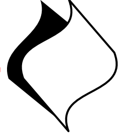
شروط جمع، مفردها شرط، والشرط: إلزام الشيء، والتزامه؛ يقال: شرط له أمرا: التزمه، وشرط عليه أمرا: ألزمه إياه". [3]

---

١ الشهادتان: معناهما، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين (ص: ٢٢). وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان (١/ ١٨٩).

٢ انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي (ص: ٣٩).

٣ انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (ص: ٨٦٩). والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين (ص: ٤٧٨).



يراد بشروط "لا إله إلا الله": الأمور التي يجب على الإنسان أن يلزمها، حتى يحقق "لا إله إلا الله"، أو: ما لا تصح شهادة "لا إله إلا الله" إلا بوجودها، ويجب اجتماعها.

منزلة هذه الشروط من شهادة "لا إله إلا الله":

هذه الشروط بمثابة الأسنان للمفتاح، فلا يفتح إلا بوجودها.

وقد أشار إلى ذلك عدد من علماء الأمة؛ منهم الإمام الحسن البصري–رحمه الله–، حين قال للشاعر الفرزدق–وهو يدفن امرأته–: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال الفرزدق: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. فقال الحسن: نعم العدة، إن لـ "لا إله إلا الله شروطا"؛ فإياك وقذف المحصنات. [1]

وقيل لوهب بن منبه–رحمه الله–: أليس "لا إله إلا الله" مفتاح الجنة؟ فقال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك. [2]

للشهادة شروط لا بد من توفرها فيهما، إذ لا يمكن لقائلهما أن ينتفع بهما إلا بعد اجتماعها فيهما، وهذه الشروط مطلوبة فالعبد لا يدخل في الدين إلا بها.

وباستقراء أهل العلم لنصوص الكتاب والسنة تبين أن لا إله إلا الله لا تقبل إلا بشروط

وهي سبعة شروط:

الشرط الأول: العلم:

---

١ انظر: كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي (ص: ٣٩). والدين الخالص لصديق حسن خان (١/ ١٥٧).

٢ أخرجه البخاري تعليقًا في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله. وقد وصله في تاريخ ١/ ٩٥، وأبو نعيم في حيلة الأولياء ١/ ٦٦.

إذ العلم بالشيء شرط عند الشهادة به.

والدليل على ذلك:

قوله تعالى: {إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: الآية: ٨٦].

وقوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: الآية: ١٩].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)). [١]

والعلم المراد به هنا هو معرفة معنى الشهادتين ومقتضاهما واللوازم المترتبة على ذلك.

فلا إله إلا الله:

معناها: لا معبود بحق إلا الله.

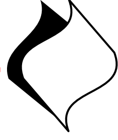
ومقتضاها ولازمها: نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله تعالى وإفراده بالعبادة مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به. [٢]

"فكلمة الإخلاص لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلهية عما سوى الله، والبراءة من الشرك في العبادة، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، كما قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} [آل عمران: الآية: ٦٤] .

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار. انظر (١/ ٤١).

٢ تيسير العزيز الحميد صـ ٥٨.



ومعنى: {سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [آل عمران: الآية: ٦٤] ، أي: نستوي نحن وأنتم في قصر العبادة على الله، وترك الشرك كله.

وقال الخليل عليه السلام: {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} [الزخرف: الآية: ٢٦] . {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} [الزخرف: الآية: ٢٧] . {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ} [الزخرف: الآية: ٢٨]. فهذا، هو حقيقة معنى: لا إله إلا الله; وهو البراءة من كل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده وهذا هو معناها الذي دلت عليه هذه الآيات وما في معناها; فمن تحقق ذلك وعلمه، فقد حصل له العلم بها، المنافي لما عليه أكثر الناس، حتى من ينتسب إلى العلم، من الجهل بمعناها". [1]

الشرط الثاني: اليقين:

أي استيقان القلب بالشهادتين، وذلك بأن يعتقدهما اعتقادا جازما لا يصاحبه شك أو ارتياب، لأن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن.

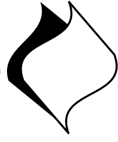
والدليل على ذلك:

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} [الحجرات: الآية: ١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله، كونهم لم يرتابوا؛ أي: لم يشكوا.

---

[1] الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢٥٢-٢٥٣.



فأمَّا المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله تعالى فيهم: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} [التوبة: الآية: ٤٥].

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال له: ((من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقينا بها قلبه فبشره بالجنة)). الحديث. [١]

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة)). [٢]

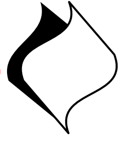
"فلا بد لقائل هذه الكلمة من اليقين بمعناها، المنافي للشك والريب، كما في الحديث الصحيح: ((مستيقنا بها قلبه، غير شاك فيها))، ومن لم يكن كذلك فإنها لا تنفعه، كما دل عليه حديث: سؤال الميت في قبره". [٣]

قال أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٥٦ هـ): "باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين، بل لابدَّ من استيقان القلب" هذه الترجمة تنبيه على فساد

١ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/ ٤٤).

٢ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/ ٤١- ٤٢).

٣ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢٥٥.



مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان، وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها؛ ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح ، وهو باطل قطعاً ا.ه". [1]

الشرط الثالث: الإخلاص:

"وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك"[2].

والدليل على ذلك:

قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: الآية: ٥].

وقال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر: الآية: ٣] "أي لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له".

وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} شهادة أن لا إله إلا الله". [3]

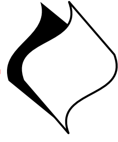
قال تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} [الزمر: الآية: ١١-١٢] ، إلى قوله: {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ} [سورة الزمر آية: ١٤-١٥]

---

١ المفهم على صحيح مسلم (١/ ٢٠٤).

٢معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكمي (١/ ٣٨٢).

٣ تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥.



وعن عتبان بن مالك–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)). [1]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)). [2]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما قال عبدٌ قط لا إله إلا الله مخلصًا؛ إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر)). [3]

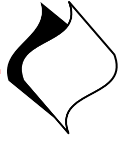
وللنسائي في "اليوم والليلة" من حديث رجلين من الصحابة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو

---

١ أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، انظر: فتح الباري (١/ ٥١٩) ح ٤٢٥، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (٢/ ١٢٦) .

٢ أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، انظر: فتح الباري (١١/ ٤١٨) ح ٦٥٧٠.

٣ أخرجه الترمذي (٣٥٩٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه؛ وقال العلامة الألباني: في "صحيح وضعيف الترمذي": حسن".



على كل شيء قدير، مخلصًا له بها قلبه، يصدق بها لسانه، إلا فتق الله لها السماء فتقًا، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله)). [1]

"فلا بد من الإخلاص المنافي للشرك". [2]

الشرط الرابع: "الصدق فيها المنافي للكذب.

وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطيء قلبه لسانه"[3].

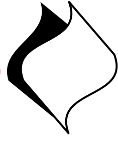
والدليل على ذلك:

قال تعالى: {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: الآيات: ١-٣]، "أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه، والله سبحانه وتعالى

١ أخرجه النسائي في اليوم والليلة (٢٨)، قال العلامة الألباني: في تخريج "كلمة الإخلاص" (ص٦١): إسناده صحيح.

٢ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢٥٣-٢٥٤.

٣ معارج القبول ١/ ٣٨١.



يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة"[١].

وقال في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: الآيات: ٨ – ١٠].

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم– ومعاذ رديفه على الرحل–قال: "يا معاذ بن جبل" قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: "يا معاذ" قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا.قال: ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار)). الحديث. [٢]

"فلا بد من الصدق المنافي للكذب، كما قال تعالى عن المنافقين: {يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} [الفتح: الآية: ١١] ، فالصادق يعرف معنى هذه الكلمة، ويقبله، ويعمل بما تقتضيه، وما يلزم قائلها من واجبات الدين، فيصدق قلبه لسانه". [٣]

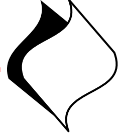
الشرط الخامس: المحبة:

---

١ تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٤.

٢ أخرجه البخاري في صحيحها واللفظ له،كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا. انظر فتح الباري (١/ ٢٢٦) ح ١٢٨.

٣ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢٥٥.



"لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت علييه ولأهلها والعاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك"[1].

والدليل على ذلك:

قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: الآية: ٢٣٤]، ففي الآية دليل على وجوب محبة الله ورسوله ولا خلاف في ذلك بين الأمة وأن ذلك مقدم على كل محبوب"[2].

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ} [البقرة: الآية: ١٦٥].

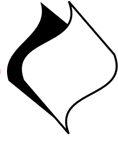
وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة: الآية: ٥٤].

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا

---

١ معارج القبول ١/ ٣٨٣.

٢ تفسير القرطبي ٨/ ٩٥.



يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)).
[1]

"فلا بد من المحبة المنافية لضدها، فلا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بمحبة ما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك؛ فمن أحب الله أحب دينه، ومن لا فلا، كما قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ} [البقرة: الآية: ١٦٥] ، فصارت محبتهم لله ولدينه خاصة، فأحبوا لله ولدينه، ووالوا لله ولدينه، فأحبوا من أحبه الله، وأبغضوا من أبغضه الله.

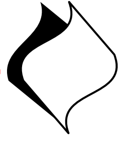
وفي الحديث: ((وهل الدين إلا الحب والبغض)) [2]، ولهذا وجب أن يكون الرسول أحب إلى العبد من نفسه، وولده، ووالده، والناس أجمعين فإن شهادة ألا إله إلا الله تستلزم شهادة أن محمدا رسول الله، وتقتضي متابعته، كما قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: الآية: ٣١]". [3]

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان. انظر: فتح الباري (١/ ٧٢) ح ٢١. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، واللفظ له. انظر: (١/ ٤٨).

٢ أخرجه ابن أبي حاتم (٣٣٩٩) واللفظ له، والحاكم (٣١٤٨)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٨/ ٣٦٨) بلفظه في آخر حديث طويل. والحديث فيه عبد الأعلى قال أبو زرعة: "منكر الحديث".

٣ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢٥٤.



الشرط السادس: الانقياد:

(الانقياد) لما دلت عليه المنافي لترك ذلك، أي الانقياد والاستسلام ظاهرا وباطنا لأوامر الله وما أنزله من الشرع على لسان نبيه-صلى الله عليه وسلم-.

والدليل على ذلك:

قال تعالى: {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [لقمان: الآية: ٢٢]

ففي هذه الآية: "يقول تعالى مخبرا عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه،ولهذا قال: {وَهُوَ مُحْسِنٌ} ، أي في عمله: باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ} أي فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه {وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}"[1].

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} [الأحزاب: الآية: ٣٦].

والآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: الآية: ٦٥]"[2].

---

١ تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٠.

٢ تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٠.

ولا بد أيضا من الانقياد لحقوق لا إله إلا الله، بالعمل بما فرضه الله وترك ما حرمه الله، والتزام ذلك، وهو ينافي الشرك، فإن كثيرا ممن يدعي الدين يستخف بالأمر والنهي، ولا يبالي بذلك.

والإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله تعالى، وينقاد له بالتوحيد والطاعة، كما قال تعالى: {بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: الآية: ١١٢] . وقال تعالى: {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [لقمان: الآية: ٢٢] ، وإحسان العمل لا بد فيه من الإخلاص، ومتابعة ما شرعه الله ورسوله". [١]

الشرط السابع: القبول:

أي قبول الشهادتين والالتزام بمقتضياتها ولوازمها.

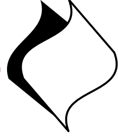
والدليل على ذلك:

قال تعالى {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: الآية: ٢٨٥]،

وقال تعالى في شأن من لم يقبلها: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} [الصافات: الآيات: ٣٥-٣٦].

---

١ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢٥٤-٢٥٥.



وقد قص الله–عز وجل–علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قَبِلها وانتقامه ممن ردها وأباها، قال تعالى: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} إلى قوله {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ}[الصافات: الآيات: ٢٢ – ٣٦].

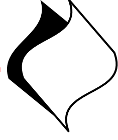
فجعل الله علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكاراً واستكباراً {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص: الآيات: ٥–٧].

فكذبهم الله–عز وجل–ورد ذلك عليهم على لسان رسوله–صلى الله عليه وسلم–فقال: {بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ} [الصافات: الآية: ٣٧]... ثم قال في شأن من قبلها: {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [الصافات: الآيات: ٤٠ – ٤٣].

وعن أبي موسى الأشعري–رضي الله عنه–عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية[١]، قبلت

---

١ هي مستنقع الماء في الجبال والصخور. فتح الباري (١/ ١٧٦).



الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب[1]، أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان[2]، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)). [3]

"فلا بد له من القبول لما دلت عليه، وذلك ينافي الرد، لأن كثيرا ممن يقولها ويعرف معناها، لا يقبلها، كحال مشركي قريش، والعرب، وأمثالهم، فإنهم عرفوا ما دلت عليه، لكن لم يقبلوا، فصارت دماؤهم، وأموالهم، حلالا لأهل التوحيد، فإنهم كما قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} [الصافات: الآية: ٣٥] ، {وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} [الصافات آية: ٣٦] . عرفوا أن لا إله إلا الله توجب ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله". [4]

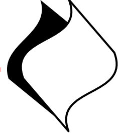
---

١ هي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء. فتح الباري (١/ ١٧٦).

٢ بكسر القاف جمع قاع وهو الأرض المستوية اللمساء التي لا تنبت. فتح الباري (١/ ١٧٧).

٣ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم: باب فضل من علم وعلم واللفظ له. انظر فتح الباري (١/ ١٧٥) ح ٧٩. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب بيان مثل ما بعث النبي–صلى الله عليه وسلم–من الهدى والعلم. انظر: (٧/ ٦٣).

٤ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢٥٣.



فهذه هي شروط الشهادتين يجب على المسلم تحقيقها والإتيان بها على الوجه المطلوب حتى يكون من أهلها.

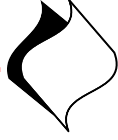
قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن-رحمه الله-"وسرنا ما ذكرت من معرفتك جهل أكثر الناس بمعنى لا إله إلا الله، وإن تكلموا بها لفظا، فقد أنكروها معنى، فانتبه لأمور ستة أو سبعة، لا يسلم العبد من الكفر والنفاق إلا باجتماعها، وباجتماعها والعمل بمقتضاها، يكون العبد مسلما؛ إذ لا بد من مطابقة القلب للسان، علما، وعملا، واعتقادا، وقبولا، ومحبة، وانقيادا.

فلا بد من العلم بها المنافي للجهل، ولا بد من الإخلاص المنافي للشرك؛ ولا بد من الصدق المنافي للكذب، بخلاف المشركين والمنافقين؛ ولا بد من اليقين المنافي للشك والريب؛ فقد يقولها وهو شاك في مدلولها ومقتضاها؛ ولا بد من المحبة المنافية للكراهة؛ ولا بد من القبول المنافي للرد، فقد يعرف معناها ولا يقبله، كحال مشركي العرب.

ولا بد أيضا من الانقياد المنافي للشرك، لترك مقتضياتها، ولوازمها، وحقوقها، المصححة للإسلام والإيمان؛ فمن تحقق ما ذكرته، ووقع منه موقعا، صرف الهمة إلى تعلم معنى: لا إله إلا الله؛ وصار على بصيرة من دينه، وفرقان، ونور، وهدى، واستقامة. وبالله التوفيق". [1]

---

١ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٣/ ٢٥٥-٢٥٦.



زاد الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ إلي هذه الشروط السبعة المتقدم ذكرها شرطًا ثامنًا، وهو الكفر بما يعبد من دون الله [1] أي: الكفر بالطاغوت.

ونظمه بعض أهل العلم في قوله:

وزيدَ ثَامِنُها الكُفْرَانُ مِنْكَ وبِمَا // سوى الإله مِنْ الأَنْدَادِ قَدْ أَلِهَا [2]

وهذا الشرط قد استحسنه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله-، وعبّر عنه بالبراءة . أي: البراءة من الشرك. [3]

وممن عده في الشروط أيضاً: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي-رحمه الله-، وعبّر عنه بشرط الكفر بما سوى الله تعالى. [4]

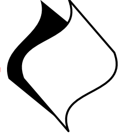
---

١ قرة عيون الموحدين ص: ٥٣.

٢ انظر: الشهادتان وما يستلزم كل منهما لابن جبرين (ص: ١٠٣)، والبيت منسوب إلى سعد بن عتيق.

٣ مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٣/ ٤٩-٥٠).

٤ حاشية الثلاثة الأصول (ص: ٥٢).



"شروط (لا إله إلا الله) شروط صحة لا شروط كمال؛ لأن الإنسان لا يحصل منه الإيمان إلا بها كلها، مثل: القبول المنافي للرد واليقين المنافي للشك، فإذا حصل الرد أو حصل الشك أو حصل التكذيب فهذا يدل على عدم حصول الإيمان". [١]

المسألة السابعة: مراتب الشهادة:

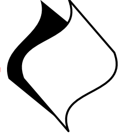
الشهادة مشتقة من الأصل الثلاثي (شهد)، فالشين والهاء والدال أصل يدل على حضور، وعلم، وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن ذلك، يقال: شهد يشهد شهادة، وشهد الرجل على كذا يشهد عليه شهادة: إذا أخبر به قطعًا، والأصل في الشهادة الإخبار عما شاهد المخبر بحسه، ثم قد تطلق على ما يحققه الإنسان ويتقنه معرفة وعلما، وإن لم يكن شاهدا للحس؛ لأن المحقق علما كالمدرك حسا ومشاهدة. [٢]

إذا علم العبد معنى الشهادة وشروطها فينبغي له أن يكون على علم بأن للشهادة مراتب يتدرج عليها الشاهد مرتبة بعد مرتبة حتى يتم له تحقيق الشهادة على الوجه المطلوب.

---

١ شرح سنن أبي داود للعباد (٥٥/ ٢٥-.

٢ انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٢١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/ ٤٧)، والكليات (٥٢٨)، والمعجم الوسيط (١/ ٤٩٧)، والمفهم بشرح صحيح مسلم للقرطبي (١/ ٨٧).



ومراتب الشهادة أربع هي: [1]

المرتبة الأولى: العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به وثبوته، فلا بد للشاهد أن يعلم ويعرف معنى الشهادتين وإلا كان الشاهد شاهدا بما لا علم له به قال تعالى: {إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: الآية: ٨٦].

المرتبة الثانية: تكلمه بالشهادتين وإن لم يعلم بها غيره، بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها.

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف: الآية: ١٩]، فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم.

المرتبة الثالثة: أن يعلم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له ومرتبة الإعلام والإخبار نوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل.

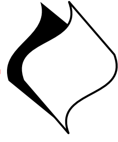
وهذا شأن كل معلم لغيره بأمر، تارة يعلمه به بالقول وتارة بفعل ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل قوله تعالى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ} [التوبة: الآية: ١٧]، فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه. [2]

المرتبة الرابعة: أن يلتزم بمضمونها ويأتمر به.

---

١ انظر: كتاب الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان من (ص ٣٨ إلى ص ٤٠) بتصرف.

٢ الكواشف الجلية (٣٩- ٤٠) بتصرف.



ومجرد الشهادة لا يستلزم هذه المرتبة، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه، فإنه سبحانه وتعالى شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده كما قال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء: الآية: ٢٣].

وقال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا} [التوبة: الآية: ٣١].

والقرآن كله شاهد بذلك.

وقد شهد الله لنفسه بالوحدانية فقال تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: الآية: ١٨]، فشهادته سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع وهي: علمه بذلك، وتكلمه، وإخباره لخلقه، وإلزامهم وأمرهم به". [١]

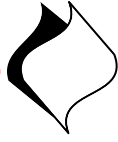
المسألة الثامنة: متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله؟

قول لا إله إلا الله لا بد أن يكون مصحوبا بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها، ولكن لما كان هناك نصوص قد يتوهم منها أن مجرد التلفظ بها يكفي وقد تعلق بهذا الوهم بعض الناس، فاقتضى الأمر إيضاح ذلك لإزالة هذا الوهم عمن يريد الحق، قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله على حديث عتبان. . الذي فيه: ((فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)). [٢] قال: اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين

---

١ الكواشف الجلية (صـ ٤٠) بتصرف.

٢ رواه البخاري (١١/ ٢٠٦)، ومسلم رقم (٣٣).



حرم على النار كهذا الحديث وحديث أنس قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل، فقال: يا معاذ. قال: لبيك رسول الله وسعديك. قال: ((ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار)) [1]، ولمسلم عن عبادة مرفوعا: ((ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله حرمه الله على النار)) [2]، ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة، وليس فيها أن يحرم على النار، منها حديث عبادة الذي تقدم قريبا وحديث أبي هريرة "أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك" [3] الحديث وفيه: فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة)) [4] رواه مسلم. [5]

قال: وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها –كما جاءت مقيدة– وقالها خالصا من قلبه مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها، بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن

---

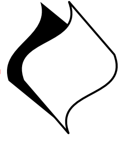
١ رواه البخاري (١/ ١٩٩)، ورواه مسلم في الإيمان.

٢ صحيح مسلم (١/ ٢٨٨-٢٢٩) بشرح النووي.

٣ سنن أبو داود البيوع (٣٣٥٧)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ١٧١).

٤ صحيح مسلم الإيمان (٢٧)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٤٢١).

٥ صحيح مسلم مع شرح النووي (١/ ٢٢٤).

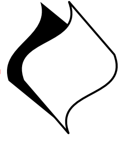


يتوب من الذنوب توبة نصوحا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة. وتواترت بأن كثيرا ممن يقول: لا إله إلا الله، يدخل النار ثم يخرج منها،، وتواترت بأن الله حرم النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها يقولها تقليدا وعادة، لم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: ((سمعت الناس يقولون شيئا فقلته)) [1]، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالى: {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ} [الزخرف: الآية: ٢٢]، وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب أصلا، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبا إلا يمحى كما يمحى الليل بالنهار". [2]

---

١ أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) .

٢ تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد (ص: ٦٦-٦٧).



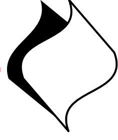
وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كشف الشبهات: [1] "ولهم مشبهة أخرى، يقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله. وقال: ((أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله)). [2]، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء الجهال معلوم أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

وقال رحمه الله: فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا} [النساء: الآية: ٩٤]، أي (فتثبتوا) فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت فإن تبين بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل؛ لقوله: فتبينوا ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت

---

١ انظر مجموعة التوحيد (ص: ١٢٠-١٢١).

٢ صحيح البخاري (٦٨٧٢).



معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه من أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال: ((أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله)) [1] ، وقال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)) [2] هو الذي قال في الخوارج: ((أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)) [3] مع كونهم من أكثر الناس تهليلًا حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة.

وقال الحافظ ابن رجب على قوله صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله)). [4] قال: ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا لمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة، وفهم الصديق أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله صلى الله عليه وسلم: ((فإذا فعلوا ذلك منعوا

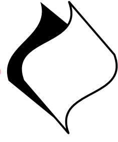
---

١ أخرجه البخاري (٤٢٦٩).

٢ أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

٣ أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

٤ أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).



مني دمائها إلا بحقها وحسابهم على الله)) [1]، وقال: "الزكاة حق المال" [2]، وهذا الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم صريحا غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما وأنه قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة)) [3]، وقد دل على ذلك قوله تعالى: {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: الآية: ٥]، كما دل قوله تعالى: {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة: الآية: ١١]، على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد، فلما قرر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صوابا، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقا، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة". [4]

وقال أيضا: "وقالت طائفة من العلماء المراد من هذه الأحاديث أن التلفظ بلا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود

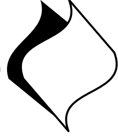
---

١ أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

٢ أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠).

٣ أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١).

٤ كلمة الإخلاص لابن رجب (ص: ١٣-١٤).



مانع، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الأظهر. ثم ذكر عن الحسن البصري أنه قال للفرزدق وهو يدفن امراته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدة، لكن للا إله إلا الله شروط، فإياك وقذف المحصنات. وقيل للحسن: إن أناسا يقولون: من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة. فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة. وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك". [1] . [2]

المسألة التاسعة: بما يتحقق توحيد الله

أولًا: التعريف اللغوي لكلمة التوحيد عند أهل السنة.

١-أصلها: أصل هذه الكلمة من "وحد".

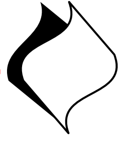
قال ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ): "(وحد) الواو، والحاء، والدال: أصل واحد يدل على الانفراد". [3]

---

١ كلمة الإخلاص لابن رجب (ص: ٩-١١).

٢ المصدر: بحث بعنوان حقيقة لا إله إلا الله، ضمن مجلة البحوث الإسلامية (١٣/ ١٢٣-١٢٧) .

٣ معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٩٠).



٢-تصريفها: التوحيد: مصدر خماسي مشتق من الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه(وحد)، فالحاء هنا مشددة، فهو ثلاثي لكنه من حيث عد الأحرف أربعة أحرف، فيقال: وحد يوحد توحيدًا، والتوحيد مصدر تفعيل، فعل يفعل تفعيلا، مثل علم يعلم تعليما، خرج يخرج تخريجا، إذا التفعيل يكون مصدرا للفعل الماضي الثلاثي المضعف العين. ١

فهي على وزن تفعيل، ويعني: الحكم والعلم بأن الشيء واحد.

قال ابن منظور-رحمه الله-(ت: ٧١١ هـ): "التوحيد: مصدر من: وحد يوحد توحيدًا؛ إذا أفرده وجعله واحدًا". ٢

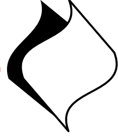
وقال أبو القاسم التيمي-رحمه الله-(ت: ٥٣٥ هـ): "التوحيد على وزن التفعيل، وهو مصدر وحّدته توحيدّا...، ومعنى وحدته: جعلته منفردا عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته...، فالله تعالى واحد، أَي: منفرد عن الأنداد والأشكال فيجميع الأحوال". ٣

٣-اشتقاقها: التوحيد مشتق من وحد الشيء أي: جعل الشيء واحداً.

٤-معناها: مادة "وحد" في اللغة مدارها على انفراد الشيء، فإذا قلت: توحيد الله: فالمعنى إفراد الله.

---

١ شرح كتاب التوحيد للحازمي (٢/ ٨).
٢ لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٤٨).
٣ الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٣٢).



المقصود من التفعيل: النسبة كالتصديق لا للجعل، فمعنى وحدت الله: نسبته إلى الوحدانية لا جعلته واحدًا. [1]

لأن وحدانيته: صفته، وليست بجعل جاعل، أما التوحيد فهو فعل المكلف، ولذلك جاء في القاموس: "التوحيد: إيمان بالله وحده". [2]

وقال الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ): "التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد". [3]

ثانيًا: التعريف الشرعي للتوحيد عند أهل السنة.

فهو: إفراد الله -تعالى- بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات". [4]

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي-رحمه الله-(ت: ١٧٠ هـ): "التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو التوحد والوحدانية". [5]

---

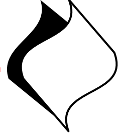
١ انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (١ /٥٦-٥٧).

٢ القاموس المحيط (ص: ٤١٤) مادة: (وحد).

٣ التعريفات للجرجاني (ص: ٦٩).

٤ القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين ١١/١.

٥ العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/ ٢٨١).



وقال ابن منظور–رحمه الله–(ت: ٧١١ هـ): "التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له. والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحد". [١]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ) عن توحيد الرسل إنه "يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات". [٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ): "التوحيد الذي بعث الله به رسله هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وذلك يتضمن **التوحيد بالقول والاعتقاد** و**بالإرادة والقصد**". [٣]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ): "والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول:

١–**التوحيد في العلم والقول** وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليس له فيها شبيه ولاكفؤ.

٢–و**التوحيد في الإرادة والعمل** وهو عبادته وحده لا شريك له". [٤]

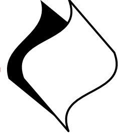
---

١ لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٥٠).

٢ درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/٢٢٤، وانظر: الصفدية لابن تيمية ٢/٢٢٨.

٣ بيان تلبيس الجهمية ٤/ ١٢٣.

٤ بيان تلبيس الجهمية ٣/ ١٤٠–١٤١.



وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "توحيد الرسل: إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل، وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له ندًا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته". [١]

وقال محمد بن أحمد السفاريني–رحمه الله–(ت: ١١٨٨هـ): التوحيد:"إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا". [٢] والمعبود هو الله وحده.

وقال محمد بن صالح بن عثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ): "التوحيد: إفراد الله–سبحانه–بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات". [٣]

وقال صديق حسن خان–رحمه الله–: "التوحيد: إفراد الله بما تفرد به، وبما أمر أن يفرد به؛ فنفرده في ملكه وأفعاله فلا رب سواه ولا شريك له، ونفرده في ألوهيته فلا يستحق العبادة إلا هو، ونفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له". [٤]

الأدلة من القرآن والسنة على التوحيد:

أولًا: الأدلة من القرآن:

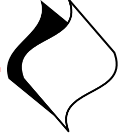
---

١ الروح لابن قيم الجوزية ص ٣٨٦، وانظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ٩٣٣/٣، مدارج السالكين إلى منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ٤٥٩/٣.

٢لوامع الأنوار (١ /٥٧).

٣القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين (١١/١).

٤الدين الخالص لصديق حسن خان (١/ ٥٦)؛ وانظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية للسلمان (ص٤١).



القرآن كله دعوة للتوحيد ويوضح ذلك قول ابن القيم-رحمه الله-(٧٥١هـ): "كل سورة في القرآن هي متضمنة للتوحيد، بل نقول قولاً كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.

فإن القرآن:

١-إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

٢-وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

٣-وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

٤-وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

٥-وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم توحيده.

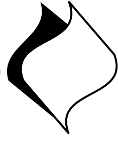
فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم". [١]

والآيات الدالة على التوحيد في القرآن كثيرة ومنها:

ما جاء في إثبات الألوهية:

---

١ مدارج السالكين ٣/٤٤٩-٤٥٠.



قال–تعالى–: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: الآية: ١٣٣]

وقال–تعالى–: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: الآية: ٧٣]

وقال–تعالى–: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [النحل: الآية: ٥١].

قال محمد بن جرير الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): "إلها واحدا أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئا، ولا نتخذ دونه ربا". [1]

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي–رحمه الله–(ت ٧١٦ هـ): "قال–تعالى–: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [النحل: الآية: ٥١], هذا نهي عن الشرك، وإثبات للتوحيد يتضمن الأمر به". [2]

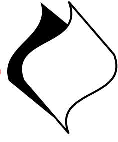
ومنها ما جاء في إثبات الأسماء والصفات لله –تعالى–:

قال –تعالى–: {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ} [البقرة: الآية: ١٦٣]

---

١ جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١/٥٦٢.

٢ الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية للطوفي ص: ٣٨٠.



وقوله-تعالى-: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ } [الإخلاص: الآيات: ١-٤].

ومنها ما جاء في إثبات الربوبية:

قال-تعالى-: {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: الآية: ١٦].

وقال-تعالى-: { إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ} [الصافات: الآيات: ٤-٥].

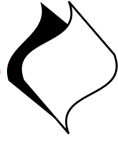
ثانيًا: الأدلة من السنة:

قوله-صلى الله عليه وسلم-لمعاذ (ت: ١٨ هـ)، لما بعثه إلى اليمن: ((إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله-تعالى-)). [١]

ولفظ مصنف عبد الرزاق: ((إنك ستأتي على ناس من أهل الكتاب فادعهم إلى التوحيد)). [٢]

١ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/ ٣٧٨، ح ٧٣٧٢.

٢ مصنف عبد الرزاق، باب دعاء العدو ٥/ ٢١٥ (ح ٩٤٢٠).



عن ابن عمر–رضي الله عنهما–(ت: ٧٣ هـ) عن النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((بني الإسلام على خمسة على أن يوحدوا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج)). [١]

وعنه –صلى الله عليه وسلم–أنه قال: ((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)). [٢]

وفي رواية: ((من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله..)). [٣]

عن أبي أمامة–رضي الله عنه–، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت رجلًا بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، مستخفيًا جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال: ((أنا نبي)). فقلت: وما نبي؟ قال: ((أرسلني الله)). فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: ((أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله ولا يشرك به شيء)). الحديث.... [٤]

ثالثًا: من أقوال السلف.

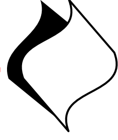
---

١ رواه مسلم (١/ ٣٤) (ح ١٢٠).

٢ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّـلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَـبِيلَهُمْ} [التوبة: ٥] ١/٢٤، ح ٢٥، ومســلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. ١/ ٥٣، ح ٣٧.

٣ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. ١/٥٣، ح ٣٨.

٤ أخرجه مسلم (٢/ ٢٠٨) (ح: ١٩٦٧).



قول جابر–رضي الله عنه– (ت: ٧٨ هـ): عند قول رسول الله–صلى الله عليه وسلم– في حديث صفة حج النبي–صلى الله عليه وسلم–، حيث قال: "فأهل بالتوحيد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك". [1]

قول ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨هـ) في معنى قوله –تعالى–: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} [البقرة: الآية: ٢١] قال "وحدوا". [2]

وقال–رضي الله عنه–: "كل عبادة في القرآن فهو التوحيد". [3] وفسر–رضي الله عنه– قوله–تعالى–: {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال: الآية: ٣٩] بقوله: "يخلص له التوحيد". [4] فالدين عنده هو التوحيد.

قول عطاء بن أبي رباح–رحمه الله–(ت: ١١٤هـ) في قوله–تعالى–: {وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ} [المائدة: ٥] قال: "الإيمان التوحيد". [5]

---

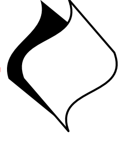
١ أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي–صلى الله عليه وسلم–٢/٨٨٦–٨٨٧، ح ١٢١٨.

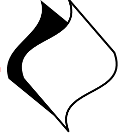
٢ الدر المنثور للسيوطي ١/٨٥، وانظر: حقيقة التوحيد للدكتور العلياني ص: ٥٥.

٣ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/١٩٣، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/١٤، ٤/٧٥، البحر الرايق لابن نجيم ١/٢٩١.

٤ زاد المسير ١/٢٠٠، وانظر: جامع البيان٩/٢٤٩.

٥ جامع البيان للطبري ٦/١٠٩.





ثالثًا: أقسام التوحيد عند أهل السنة.

الأمر الأول: هل تقسيم التوحيد استقرائي أم اصطلاحي.

أولًا: تعريف التقسيم لغة.

أصل الكلمة مأخوذ من قولهم: قَسَمَ الشيء يقسمه قسماً فانقسم، ومعناه إفراز النصيب.

والتقسيم هو مصدر قَسَّمه تَقْسِيما وهي القِسْمة، أي جزاه وفرقه تفريقاً، يقال قسم فلان المال أي فرقه قسما ههنا وقسما ههنا.

والقسم النصيب والحظ، والجمع أقسام وهو القسيم وحقيقته: أنه جزء يقبل التقسيم، يقال: هذا ينقسم قسمين بالكسر إذا أريد به الجزء من الشيء المقسوم، والقسيم هو شطر الشيء.

فالتقسيم معناه في اللغة

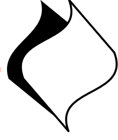
من المقسوم فهو قسم له هو عملية الفرز والتفريق بين الأجزاء لشيء معين، وكل جزء من المقسوم فهو قسم له.[1]

وأما اصطلاحا: "فالتقسيم: هو أن يتتبع المستقري جزئيات فيتوصل إلى أنها لا تدخل تحت نوع واحد، ولكنها أقسام تحت أمر كلي، بشرط أن يستقصي الأنواع حتى يعلم أنه لم يبق قسم في الخارج غير ما ذكر".[2]

---

١ انظر الصحاح للجوهري ٥/ ٢٠١٠، والمفردات للأصفهاني ص ٦٧٠، وتاج العروس للزبيدي ٩/ ٢٥، ولسان العرب ١١/ ١٦٢-١٦٤.

٢ أدب البحث والمناظرة (٢/ ١٠-١١).



وأما الاستقراء فهو أحد أنواع الاستدلال، وللاستدلال أنواع كثيرة عند الأصوليين منها:

الاستقراء: وهو: استدلال على الكلي بالجزئي.

القياس: وهو: استدلال على الجزئي بالكلي.

والتمثيل: وهو: استدلال على الجزئي بالجزئي.

التمثيل أو قياس: وهو: استدلال على الكلي بالكلي.

الاستقراء لغة: "مأخوذ من الفعل الثلاثي "قرأ"، الذي من معانيه الجمع والضم.

قال ابن منظور: "قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض". [١]

واصطلاحًا: قال الغزالي: الاستقراء "أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كل، حتى إذا وجدت حكما في تلك الجزئيات، حكم على ذلك الكلي به". [٢]

من الجوانب التي يظهر فيها الاستقراء علم العقيدة، والقواعد الكلية المتعلقة به، ذلك أن كل علم توجد فيه قواعد كلية تحكم جزئياته، وحيث تكون القواعد الكلية يكون الاستقراء موجوداً، ولذا كانت قواعد علم العقيدة منها ما بني على الاستقراء؛ إلا أن الاستقراء هنا مقصور-في الغالب-على استقراء النصوص الشرعية: دلالاتها ومعانيهاواستعمالاتها". [٣]

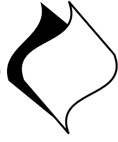
وتقسيمات التوحيد استقرائية وليست اصطلاحية، وذلك باعتبار أنها ترجع إلى النصوص فهي

---

١ لسان العرب (١/ ١٢٨).

٢ معيار العلم ص: ١٤٨.

٣ المصدر: بحث بعنوان "الاستقراء ومجالاته في العلوم الشرعية" للباحث محمد أيمن الزهر، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية-المجلد ٢٩-العدد الأول-٢٠١٣م. (ص: ٤٧٧)



مصدرها، فتقسيم العلماء للتوحيد ناتج من استقراء الآيات والأحاديث الواردة في التوحيد؛ لأن المصدر في تلقي العقيدة هو القرآن والسنة، وبهذا يعلم أنها من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-وليست أمرًا اصطلاحيًا أنشأه بعض العلماء.

فالفرق بين النوعين:

أن التقسيم الشرعي هو التقسيم الذي تنبني الأحكام عليه بمجرد التقسيم، وهذا النوع من التقسيم يحتاج إلى دليل؛ لأن الحكم لا يكون إلا بدليل.

ومثاله: تقسيم الكفر إلى نوعين أكبر وأصغر، فالأول مخرج من الملة دون الثاني.

والاستقراء نوع من أنواع الأدلة اليقينية في منهج البحث والتحري.

وأما التقسيم الاصطلاحي: فهو تقسيم المتشابهات إلى أقسام بوصفٍ جامع بينها دون بناء الأحكام عليها بمجرد التقسيم، فهذا لا يحتاج إلى دليل؛ إذ لا مشاحة في الاصطلاح.

فالاصطلاح فمعناه كما عرفه الجرجاني بعدة تعريفات بقوله:

"الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول.

الاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما.

وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.

وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر؛ لبيان المراد.

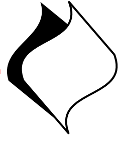
وقيل: الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين". [١]

وقال الزبيدي: "والاصطلاح: اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص؛ قاله الخفاجي". [٢]

---

١ التعريفات للجرجاني (ص: ٢٨).

٢ (تاج العروس ٦/ ٥٥١).



وهذه المناسبة لا تكون دائما في المصطلحات لذا يقال "لا مشاحة في الاصطلاح" إذا كانت لا توجد مناسبة بين الكلمة والمصطلح، قال ابن القيم-رحمه الله: "والاصطلاحات لا مشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة ". [1]

وبهذه التعريفات التي أوردها الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ) والزبيدي وغيرهما يتبين أن مقولة إن تقسيمات التوحيد اصطلاحية لا تنطبق على تقسيمات التوحيد فهي استقرائية كما صرح بذلك بعض أهل العلم.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-(ت: ١٣٩٣ هـ): "وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته.

الثاني: توحيده جل وعلا في عبوديته.

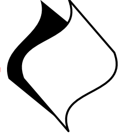
النوع الثالث: توحيده-جل وعلا-في أسمائه وصفاته". [2]

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ): "اعلم أن التوحيد ينقسم ثلاثة أقسام، وأن هذه القسمة استقرائية؛ والاستقراء: هو تتبع النصوص؛ كما أن النحو علم بالاستقراء بتتبع لغة العرب؛ إما اسم، أو فعل، أو حرف، فكذلك علمنا أقسام التوحيد من تتبع القرآن؛ فالله-تعالى-قسم التوحيد ثلاثة أقسام في سورة الفاتحة؛ فقال {الْحَمْدُ لِلَّهِ} [الفاتحة: الآية: ٢]، والله هو المعبود بحق، {رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: الآية: ٢]، والرب هو الذي يربي الأشياء، وهذا توحيد الربوبية. ثم قال: {الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة:

---

١ (مدارج السالكين ٣ / ٣٠٦).

٢ أضواء البيان (٣/ ٤١٠-٤١١) وانظر: المعين والزاد ص: ٦٤-٦٥.



الآيات: ٣-٤]، وهذا توحيد الأسماء والصــفات. وقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْــتَعِينُ} [الفاتحة: الآية: ٥]، دل على توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية أن تكون جميع أعمالك خالصة لله؛ من صلاة وصيام وزكاة ونذر وخوف ورجاء وغير ذلك مما لا يجوز صرفه إلا لله". [١]

قال عبد العزيز بن باز-رحمه الله-(ت: ١٤٢٠ هـ): "هذا التقســيم مأخوذ من الاســتقراء والتأمل، لأن العلماء لما استقرأوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعا رابعا هو توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء". [٢]

قال الشــيخ محمد بن صــالح بن عثيمين-رحمه الله-(ت: ١٤٢١ هـ): "وعلموا [أي العلماء الذين قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام] ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والحديث، فوجدوا زن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوهوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع". [٣]

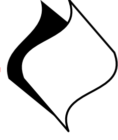
وقال الشــيخ بكر أبو زيد-رحمه الله-(ت: ١٤٢٩ هـ): "هذا التقســيم الاســتقرائي لدى متقدمي علماء الســلف أشــار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ)، وغيرهما، وقرره شـيخا الإسـلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشـيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين-رحم الله الجميع-، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في اســتقراء النحاة كلام العرب إلى اســم وفعل وحرف،

---

١ كتاب جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ١/ ٩٥.

٢ مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦/٢١٥).

٣ مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ١٧-١٨).



والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء". [1]
وقال الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد: "وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة". [2]

وهناك من يقول إن تقسيمات التوحيد اصطلاحية كما ذكر ذلك كل من:

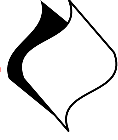
الدكتور صلاح الصاوي حيث قال: "التقسيم المعهود للتوحيد، إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فإن هذا التقسيم اصطلاحي، والهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العلم على أسماء اصطلاحية للعلوم؛ كعلم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وعلم النحو والصرف، وعلم البلاغة ونحوه..." إلى أن قال: "وعلى هذا لا مشاحة في الاصطلاح، وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما يدخل في توحيد الألوهية، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات، بل إن هذا التقسيم ابتداء على هذا النحو لم يرد به–فيما نعلم–آية محكمة أو سنة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني". [3]

وقال الشيخ محمد إسماعيل المقدم: "وهذا التقسيم ما جاء به النبي–صلى الله عليه وسلم–، ولم يستعمل هذه الاصطلاحات: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات" إلى أن قال: "والنبي–صلى الله عليه وسلم–قد أتى بمضمون هذه الأقسام الثلاثة، ولا مشاحة في الاصطلاح، فلا نختلف

١التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» (ص ٣٠).

٢ مقدمة تحقيق كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني ص: ١٠.

٣ كتاب الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر (ص: ١٥١).



في الاصطلاح، لكن المهم ما وراء هذا الاصطلاح". [1]

قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق-رحمه الله-(ت: ١٤٤٢ هـ): "وتقسيم معاني توحيده إلى اثنين علمي خبري، وقصدي طلبي؛ أو ثلاثة ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات، إنما هو عمل تعليمي إرشادي اصطلاحي لم يأت هذا التقسيم بهذه القسمة الثنائية أو الثلاثية في الكتاب والسنة ولا في أقوال الصحابة والتابعين، وإنما هذا التقسيم مستفاد من معاني أسمائه وصفاته وتوحيده سبحانه وتعالى". [2]

وقال الدكتور ناصر العقل: "فتقسيم التوحيد تقسيم اصطلاحي علمي فني، وهو نتيجة لاستقراء نصوص التوحيد". [3]

قال الدكتور عبد الرحيم السلمي: "وهذا التقسيم وإن لم يرد في الكتاب والسنة بألفاظه إلا أن معناه صحيح وحق لا شك فيه.

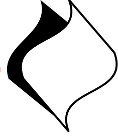
لأن الاصطلاح هو استخدام ألفاظ معينة، وترتيب أقسام معينة المعاني معينة، فإن كانت هذه المعاني صحيحة فالتقسيم والاصطلاح صحيح، وإن كانت المعاني باطلة فالتقسيم والاصطلاح

---

١ (دروس الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم ٦٠/ ١٣).

٢ انظر: (كتاب أقسام التوحيد الاصطلاح والمضمون) وانظر مقال بعنوان: (أقسام التوحيد) منشور بموقع طريق الإسلام.

٣ (كتاب شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية ٣/ ١٩).



باطل. فالاصطلاحات ليست كلها حقا، وليست كلها باطة، بل هي بحسب المعاني الداخلة ضمن دلالة اللفظ الاصطلاحي.

ولهذا لم يختلف أهل العلم في أن مصطلحات النحو والصرف وأصول الفقه -في الجملة-ونحوها صحيحة لصحة المعاني الدالة عليها، ولم يعترض أحد من العلماء على هذه الاصطلاحات بأنها لم ترد في الكتاب والسنة.

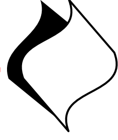
وهذا المعنى مجمع عليه، لا أعلم فيه خلافا عند من عرف العلم، بينما اعترض علماء أهل السنة على مصطلحات أهل الكلام وتقسيماتهم إما لدلالتها على معنى باطل أو لإجمالها وغموضها وذلك الاحتمال دخول المعنى الباطل في هذا الإجمال". [١]

ولكنه ذكر بعد ذلك أن هذا التقسيم استقرائي فقال: "يتلخص مما تقدم أن تقسيم التوحيد موجود في القرآن والسنة، وقد دل التبغ والاستقراء على أن التوحيد له ثلاثة أقسام باعتبار وقسمين باعتبار آخر.
وهذا الاستقراء الاستقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى (اسم، وفعل، وحرف) والعرب لم ته بهذا ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء. [٢]
وهذا يشير إلى عدم تفريقه بين الاستقراء والاصطلاح.

---

١ حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص: ٨٩.

٢ وعزا هذا النقل إلى التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ص ٣٠ حاشية (٢).



الأمر الثاني: تقسيمات التوحيد عند أهل السنة.

تنوعت عبارات علماء أهل السنة في التعبير عن أنواع التوحيد، ولكنها مع ذلك التنوع متفقة في المضمون، ولعل السبب في ذلك هو أن تلك التقسيمات مأخوذة من استقراء النصوص ولم يُنص عليها باللفظ مباشرة.

١-تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

فمن العلماء من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، هي: [١]

١-توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعاله كالخلق والرزق.

٢-توحيد الأسماء والصفات: وقد تقدم ذكر تعريفه.

٣-توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بأفعال العباد التعبدية؟ كالصلاة والصوم والدعاء.

قال الإمام **أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري-رحمه الله-**(ت: ٣٨٧ هـ): "وذلك أن أصل الإيمان الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدهما: أن يعتقد العبد ربانيته[٢]؛ ليكون مبايناً بذلك لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

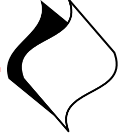
الثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشـــرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

الثالث: أن يعتقده موصــوفاً بالصــفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصــوفاً بها من

---

١ انظر: طريق الهجرتين ص: ٣٠، وشرح الطحاوية ص: ٧٦، ولوامع الأنوار للسفاريني ١/ ١٢٨، وتيسير العزيز الحميد ص: ١٧-١٩.

٢ أي: إثبات وجود الرب تبارك وتعالى.



العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه؛ إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقربه ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته؛ فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده". [1]

قال **أبو جعفر الطحاوي**–**رحمه الله**–(**ت: ٣٢١ هـ**): "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له ولاشيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره". [2]

وقال الإمام الحافظ **أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده**–**رحمه الله**– (**ت: ٣٩٥ هـ**)، حيث فصل وبوب في كتابه القيم: (كتاب التوحيد) في الأقسام الثلاثة للتوحيد فمن تبويباته:

١. ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

٢. ذكر معرفة بدأ الخلق.

٣. ذكر معرفة أسماء الله عز وجل الحسنة التي تسمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر–وأبواب أخرى كثيرة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور.

ولذلك وصف الكتاب ومباحثه محققه الدكتور علي الفقيهي بقوله:

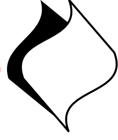
"قسم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسام حيث جعل أسماء الله الحسنى قسما مستقلا ثم أتبعها بالصفات، وأقسام التوحيد الذي ذكرها هي:

الوحدانية في الربوبية.

---

١ الإبانة الكبرى [الرد على الجهمية] (٢/ ١٧٢-١٧٣).

٢ العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي ص: ٧٧.



توحيد الألوهية وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

توحيد أسماء الله الحسنى.

الصفات". [1]. [2]

✓ قال الإمام **أبي عمرو عثمان الداني (ت: ٤٤٤ هـ)**: "والإيمان بالله–تعالى–: يتضمن التوحيد له سبحانه، والوصف له بصفاته، ...والتوحيد له: هو الإقرار بأنه ثابتٌ موجود، وواحدٌ معبود". [3]

✓ قال **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)**: "والكلام في التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له". [4]

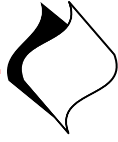
✓ قال **ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ)**: "فصل في اشتمال هذه السورة على

١التوحيد ابن مندة (١/ ٣٣) تحقيق علي بن ناصر الفقيهي ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

٢انظر في ذلك: ((القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد))، عبد الرزاق البدر، دار ابن عفان.

٣ الرسالة الوافية، لأبي عمرو الداني ص: ١٢٠.

٤ شرح العقيدة الأصبهانية ص: ١٠٧. تحقيق: محمد بن عودة السعوي، ط: مكتبة دار المنهاج. الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.



أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-.

التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة، وهذا الثاني أيضا نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية، فهذه ثلاثة أنواع.

فأما توحيد العلم: فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص، وقد دل على هذا شيئان: مجمل، ومفصل.

أما المجمل: فإثبات الحمد له سبحانه، وأما المفصل: فذكر صفة الإلهية والربوبية، والرحمة والملك، وعلى هذه الأربع مدار الأسماء والصفات". [1]

✓ قال **ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ)**: "فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

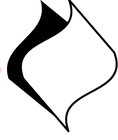
والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له". [2]

✓ قال **سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ت: ١٢٣٣هـ)**: "وسمي دين الإسلام توحيدا؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد

---

١ مدارج السالكين ١/ ٣٧-٣٨.

٢ شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٧٨.



الأنبياء، والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب". [1]

- ✓ وقال **الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي-رحمه الله-(ت: ١٤٠٧هـ)**: "واعلم أنه يجب على كل مسلم أن يوحد الله في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته فهذه أنواع التوحيد الثلاثة من أخل بها أو بشيء منها فهو كافر.

أما توحيد الربوبية: فهو أن يوحد الله تعالى بأفعاله بأن تعتقد أنه الموجد الممد فهو الذي يخلق وهو الذي يرزق وهو الذي يحيي ويميت ويعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويعز ويذل ويتصرف في الخلق ويحفظ على كل مخلوق وجوده.

وأما توحيد العبادة ويسمى أيضا توحيد الإلهية: فهو أن توحد الله بأفعالك فلا تتوجه بقلبك ولسانك إلى غيره بدعائك واستغاثتك واستعادتك واستمدادك واستشفائك واستعانتك وغير ذلك من حاجاتك التي لا يقدر عليها إلا الله.

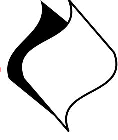
وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو ألا تسمي الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في حديثه، وكل اسم سميت الله به لا تسم به أحدا من خلقه، وكل صفة وصفت الله بها لا تصف بها أحدا من خلقه". [2]

- ✓ وقال الشيخ **أحمد بن حجر آل أبو طامي-رحمه الله-(ت: ١٤٣٢هـ)**: "ينقسم

---

١ تيسير العزيز الحميد ص:١٧.

٢ كتاب الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية ١/ ٥٢-٥٣.



التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات". [1]

- ✓ **وقال الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (ت: ١٤١٨هـ)**: "التوحيد قد بينه الله في أول سورة الفاتحة،

فبدأ بتوحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة، وهلم جرا.

وذكر توحيد الأسماء والصفات، وقد تقدم التفصيل فيه.

وذكر توحيد الألوهية، وأنه توحيد الله بأفعال العباد كالصلاة والزكاة وهلم جرا". [2]

- ✓ وقال الشيخ **حماد بن محمد الأنصاري-رحمه الله-(ت: ١٤١٨هـ)**: "وأما كونها-أي سورة الفاتحة-اشتملت على التوحيد: فإنك حينما تقرأ هذه السورة أول ما يواجهك فيها التوحيد {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: الآية:]، هذا توحيد الربوبية الذي يسميه علماء التوحيد الصحيح: بتوحيد السيادة، وبتوحيد الخلق، وبتوحيد الملك، وبتوحيد الإحياء والإماتة، وهلم جرا.

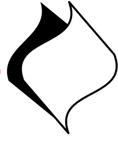
وهذا النوع من التوحيد هو: توحيد الله بأفعاله، فنوحده بأنه: الخالق، السيد، المالك، المحيي المميت، النافع الضار، وغير ذلك من أسمائه التسعة والتسعين اسمًا، نوحده بتلك الأسماء.

وأما النوع الثاني: وهو توحيد الأسماء والصفات: الذي ثنى الله-عز وجل-به في هذه

---

١ العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ١/ ٢٤.

٢ تفسير سورة الفاتحة بيان ما تضمنته من أنواع التوحيد ص ٥٨-٥٩.



السورة في قوله: {الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}....ذكر الله-عز وجل-هنا ثلاثة أسماء من أسمائه التسعة والتسعين اسمًا التي من أحصاها دخل الجنة، والتي سردها الترمذي في جامعه.

ذكر منها ثلاثة أسماء: الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين.

ذكرها مثالًا لتوحيد الأسماء والصفات....

وتوحيد الألوهية وهو النوع الثالث من أنواع التوحيد الذي نص الله-عز وجل-في هذه الكلمة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} [الفاتحة: الآية: ٥]: هو الغاية والمقصد الأعظم.. وهو معنى: لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله". [١]

٢- تقسيم التوحيد إلى أربعة أقسام

ومن المتأخرين من زاد قسمًا رابعًا على الأقسام الثلاثة السابقة وسماه:

٤-توحيد الاتباع أو توحيد الحاكمية (أي التحاكم إلى الكتاب والسنة)، ولكن يلاحظ على من ذكر هذا القسم أن هذا القسم في الحقيقة داخل ضمن توحيد الألوهية، لأن العبادة لا تقبل شرعًا إلا بشرطين هما:

١-الإخلاص.

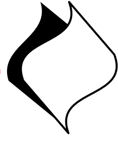
٢-الاتباع.

كما قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: الآية: ١١٠].

✓ قال الشيخ **محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت: ١٣٨٩هـ)**: "الهام هو النظر في

---

١ تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد ص: ٢٥-٣٩.



الأصول العظام التي الإخلال بها هادم للدين من أساس، وذلك مسائل:

أ- توحيد الله تعالى بإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات: إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل.

ب- وكذلك توحيد الألوهية،

ت- وتوحيد الربوبية.

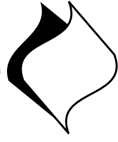
ث- وكذا توحيد الاتباع، والحكم بين الناس عند النزاع: بأن لا يحاكم إلا إلى الكتاب والسنة، ولا يحكم إلا بهما". [1]

✓ وقد ألف الشيخ **تقي الدين الهلالي-رحمه الله-(ت: ١٤٠٧هـ)**: مؤلفاً على هذا التقسيم وهو (سبيل الرشاد)، وقال عنه: "خطر ببالي منذ مدة أن أؤلف كتاباً لنفسي ولمن شاء الله بعدي، أشرح فيه أنواع التوحيد الأربعة، التي أولها توحيد الربوبية، وثانيها توحيد العبادة، وثالثها توحيد الاتباع، [2] ورابعها توحيد الأسماء والصفات".

---

١ كتاب فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٤/ ١٥٦.

٢ علق الباحث عبد الرحمن بن محمد عميسان في رسالته (جهود العلامة محمد تقي الدين الهلالي في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين) (ص: ١٠٠) فقال: "بيَّن الشيخ-رحمه الله- قصده في تقسيمه التوحيد إلى أربعة، وجعله القسم الرابع: توحيد الاتباع، وهو في الحقيقة داخلٌ في توحيد الألوهية؛ وذلك لكون توحيد الألوهية هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ومعنى لا إله إلا الله لا معبود بحقٍ إلا الله، ومعنى محمد رسول الله أي لا متبوع بحق إلا رسول الله، وهذا معنى الاتباع، وقول الشيخ-رحمه الله-إن سبب هذا التقسيم هو كثرة خلاف المقلدين، أقول: لو فتح هذا الباب لما أغلق؛ لكون الخلاف وجد في أشياء كثيرة فهذا سيقول توحيد المشيئة؛راداً على القدرية، وهذا سيقول توحيد



علَّق الشيخ على كلامه السابق مبيناً سبب تقسيمه التوحيد إلى أربعة أقسام فقال:"أنواع التوحيد في الحقيقة ثلاثة لأن الثالث الاتباع داخل في الثاني، ولكنني جعلته قسماً لكثرة خلاف المقلدين لما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم". [١]

وقال أيضاً في بيان الواجب على المسلمين تجاه أقسام التوحيد قائلاً:"فاتباع توحيد الله تعالى بأنواعه الأربعة فرض على كل مسلم، والإعراض عن المشركين بمخالفتهم والبراءة منهم واجب حتم". [٢]

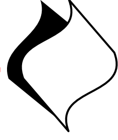
وعرَّف الشيخ بالإجمال والاختصار هذه الأنواع الأربعة بقوله: "فتوحيد الربوبية: أن تعلم وتعتقد بأن الذي أوجدك من العدم، وأفاض عليك النعم، وحفظ عليك وجودك، وأمدك بكل ما تحتاج إليه، وبيده حياتك، وموتك، وضرك، ونفعك، وفلاحك، وإخفاقك، هو الله رب العالمين لا شريك له لا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الصالحين.

وتوحيد الألوهية: ويسمى أيضاً توحيد العبادة، وهو القسم الثاني: ألا تدعو لجلب خير، أو دفع شر إلا الله، ولا تستغيث في الشدائد إلا بالله، ولا تذبح بقصد التعظيم إلا

التوكل؛ ليرد على الصوفية، ويأتي آخر بتوحيد الحاكمية ليكفروا بذلك المسلمين، مع أن الشيخ الهلالي قد نص أن جعل الحكم لله داخلٌ في توحيد الألوهية فقال: "اعلم أن دين الرسل واحد في أصوله وهي أربعة: -الأول:- توحيد الله في ربوبيته وعبادته -أي: الألوهية- وأسمائه وصفاته، ومن توحيده في عبادته جعل الحكم له -ثم ساق الثاني والثالث والرابع فيما تتفق عليه الرُسل-"[سبيل الرشاد(٤/ ٦٠)].

١ سبيل الرشاد ١/ ١٩. (١/ ٦٧)

٢ سبيل الرشاد ١/ ١٩١.



لله...ثم قال: النوع الثالث: من أنواع التوحيد توحيد الأسماء والصفات، وهو أن تصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم... النوع الرابع: توحيد الاتباع...". [1]

✓ وقال الشيخ **حماد بن محمد الأنصاري (ت: ١٤١٨هـ)**: "وقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: الآية: ٥]، دل على توحيدين:

التوحيد الأول: توحيد الألوهية.

التوحيد الثاني: توحيد المتابعة.

ومعنى توحيد الألوهية: توحيد العبادة لله عز وجل بجميع أنواعها....

ومعنى توحيد المتابعة: إفراد هذا النبي الكريم-عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-بالمتابعة دون غيره من المخلوقات...

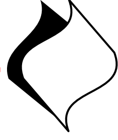
وكثير من المؤلفين والمصنفين، وكثير من طلبة العلم يقتصرون على أنواع التوحيد الثلاثة (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات)، وليس معنى ذلك أنه لم يكن هناك توحيد رابع، كما ظن بعض الناس، بل التوحيد أربع أقسام، سواء ذكرنا الرابع أم لم نذكره، فهو موجود ضمنًا.

فالرابع هو توحيد المتابعة، أي توحيد النبي-صلى الله عليه وسلم-بالمتابعة دون غيره من المخلوقات، لأنه لم يرسل إلينا غيره.

والدليل على هذا التوحيد آيات كثيرة تقدم ذكر بعضها، ويكفي دليلًا عليه كلمة شهادة

---

١ السراج المنير ص: ٩١-٩٢.



الإخلاص، وشهادة الإخلاص ذات شقين:

الشق الأول: لا إله إلا الله.

والشق الثاني: محمد رسول الله.

فالشق الأول: توحيد الألوهية، أي العبادة.

والشق الثاني: توحيد المتابعة، أي إفراد النبي-صلى الله عليه وسلم-دون غيره من المخلوقات بالمتابعة، كما قال تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}". [١]

✓ قال الشيخ **عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠ هـ)**: "هذا التقسيم مأخوذ من الاستقراء والتأمل، لأن العلماء لما استقرأوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعا رابعا هو توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء". [٢]

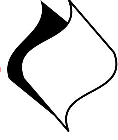
ومن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين، وهذا هو الأغلب في كلام أهل العلم المتقدمين لأنهم يجمعون بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك بالنظر إلى أنهما يشكلان بمجموعهما جانب العلم بالله ومعرفته عز وجل، فجمعوا بينهما لذلك، بينما توحيد الألوهية يشكل جانب العمل لله.

وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام راجع إلى اعتبار متعلق التوحيد، وتقسيمه إلى قسمين راجع إلى اعتبار ما يجب على الموحد.

---

١ تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد ص: ٤٣-٤٤.

٢ مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦/٢١٥).



٣- تقسيم العلماء التوحيد إلى قسمين:

فمن العلماء من يقول: التوحيد قسمان: [١]

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات:

ويريد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وسمي بتوحيد المعرفة، لأن معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

والإثبات: أي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال.

القسم الثاني: توحيد القصد والطلب:

ويراد به الألوهية، وسمي بتوحيد القصد والطلب لأن العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه بالعبادة لله وحده رغبة ورهبة، ويقصد بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين هما:[٢]

القسم الأول: التوحيد العلمي الخبري:

والمقصود به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وسمي بالتوحيد العلمي: لأنه يعتني بجانب معرفة الله، فالعلمي أي "العلم بالله".

والخبري: لأنه يتوقف على الخبر أي: "الكتاب والسنة".

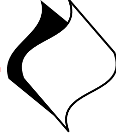
القسم الثاني: التوحيد الإرادي الطلبي:

والمقصود به توحيد الألوهية، وسمي بالتوحيد الإرادي لأن العبد له في العبادات إرادة، فهو إما أن يقوم بتلك العبادة أو لا يقوم بها، وسمي بالطلبي، لأن العبد يطلب بتلك العبادات

---

١ ممن ذكر ابن القيم في كتابه مدارج السالكين ٣/٤٤٩

٢ ممن ذكر ذلك ابن القيم في كتابه مدارج السالكين ٣/٤٥٠، وابن تيمية في الصفدية ٢/٢٢٨



وجه الله ويقصده عز وجل بذلك.

- ✓ قال **ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)**: "التوحيد الذي بعث الله به رسله هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وذلك يتضمن التوحيد بالقول والاعتقاد وبالإرادة والقصد". [١]
- ✓ وقال **ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)**: "والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول التوحيد في العلم والقول وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليسله فيها شبيه ولاكفؤ والتوحيد في الإرادة والعمل وهو عبادته وحده لا شريك له". [٢]
- ✓ وقال **ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ)**: "وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه: فوراء ذلك كله وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد.

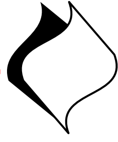
فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح**.**

كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة " تنزيل " السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك**.**

---

١ بيان تلبيس الجهمية ٤/ ١٢٣.

٢ بيان تلبيس الجهمية ٣/ ١٤٠-١٤١.



النوع الثاني: مثل ما تضـــمنته ســـورة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: الآية: ١] وقوله: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَـوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [آل عمران: الآية: ٦٤]، -الآية وأول ســـورة " تنزيل الكتاب " وآخرها، وأول ســـورة يونس ووســـطها وآخرها، وأول ســـورة الأعراف وآخرها، وجملة ســـورة الأنعام وغالب ســـور القرآن، بل كل ســـورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد.

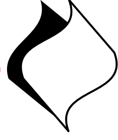
بل نقول قولا كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضـمنة للتوحيد، شـاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصـفاته وأفعاله، فهو التوحيدالعلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شـــريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهـل توحيـده وطاعتـه، ومـا فعـل بهم في الـدنيـا، ومـا يكرمهم بـه في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشـرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد". [1]

- ✓ وقال **ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ)**: "فالأول: تسـليم منازعات الأسـباب لتجريد التوحيد العملي القصـــدي الإرادي. وهذا تجريد منازعات الأوهام المخالفة للخبر لتجريد التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي. وهذا حقيقة التسليم". [2]
- ✓ وقال الشـــيخ **حافظ بن أحمد حكمي-رحمه الله-(ت: ١٣٧٧هـ)**: "التوحيد

---

١ مدارج السالكين ٣/ ٤١٧-٤١٨.

٢ مدارج السالكين ٢/ ١٤٨.



نوعان:

الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز وجل، وتنزيهه عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه والرضا به ربا وإلها ووليا، وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء، وهو توحيد الإلهية". [1]

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول: [2]

القسم الأول: التوحيد القولي:

والمراد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسمي بالقولي لأنه في مقابل توحيد الألوهية الذي يشكل الجانب العلمي من التوحيد، وأما هذا الجانب فهو مختص بالجانب القولي العلمي.

القسم الثاني: التوحيد العملي:

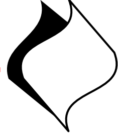
والمراد به توحيد الألوهية، وسمي بالعملي، لأنه يشمل كلاًّ من عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح التي تشكل بمجموعها جانب العمل من التوحيد، فالتوحيد له جانبان: جانب تصديقي علمي، وجانب انقيادي عملي.

✓ قال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "فأما {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}

---

١ معارج القبول ١/ ٥٤.

٢ ممن ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: مجموع الفتاوى (١/٣٦٧)، (١٩/ ١٧١)



[الكافرون: الآية: ١]، فهي متضـمنة للتوحيد العملي الإرادي وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة وهو الذي يتكلم به مشايخ التصوف غالبا.

وأما سورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١]، أحد فمتضمنة للتوحيد القولي العلمي". [١]

✓ قال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال ولا بد له في أحكامهمن أن يثبت خلقه وأمره فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه: من القول والعمل، ويؤمن بشرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل وهذا يتضمن (التوحيد في عبادته وحده لا شريك له): وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل.

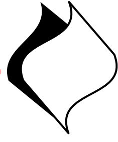
والأول يتضمن (التوحيد في العلم والقول) كما دل على ذلك سورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١].

ودل على الآخر سورة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: الآية: ١] وهما سورتا الإخلاص وبهما كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك.

فأما الأول وهو-التوحيد في الصفات-فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما

---

١ مجموع الفتاوى ١٥/ ٥٤.



وصف به نفسه وبما وصفته به رسله: نفيا وإثباتا؛ فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه". [1]

- ✓ وقال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "التوحيد الذي بعث الله به رسوله قولا وعملا

فالتوحيد القولي مثل سورة الإخلاص {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١].

والتوحيد العملي {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: الآية: ١]". [2]

- ✓ وقال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "وكان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقرأ في ركعتي الفجر تارة (سورة الإخلاص) و (قل يا أيها الكافرون) ففي {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: الآية: ١] عبادة الله وحده وهو دين الإسلام؛ وفي {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١]، صفة الرحمن وأن يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الإيمان هذا هو التوحيد القولي، وذلك هو التوحيد العملي". [3]

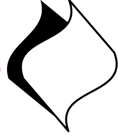
- ✓ وقال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "و {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١] اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصا وهي دالة

---

١ مجموع الفتاوى ٣/ ٣.

٢مجموع الفتاوى ١/ ٣٦٧.

٣مجموع الفتاوى ١٩/ ١٧١.



على التوحيد العملي لزوما". [1]

✓ قال **ابن تيمية**–**رحمه الله**–**(ت: ٧٢٨هـ)**: "وقد بسط الكلام في التوحيد وأنه نوعان:

علمي قولي

وعملي قصدي.

فقل يا أيها الكافرون اشتملت على التوحيد العملي نصا وهي دالة على العلميلزوما. و {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١] اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصا وهي دالة على التوحيد العملي لزوما". [2]

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول:

القسم الأول: توحيد السيادة:

ويعنى بذلك توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسمي بذلك لأن تفرد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته يوجب له القيادة المطلقة والتصرف التام في هذا الكون خلقا ورزقا وإحياء وإماتة وتصرفا وتدبيرًا، سبحانه وتعالى. فمن واجب الموحد أن يفرد الله بذلك.

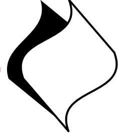
والقسم الثاني: توحيد العبادة:

المراد به توحيد الألوهية، وتسميته بذلك واضحة لا تحتاج إلى مزيد تفصيل.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول:

١مجموع الفتاوى ١٧/ ١٠٨.

٢ مجموع الفتاوى ١٧/ ١٠٧-١٠٨.



التوحيد توحيدان:

القسم الأول: توحيد الربوبية.

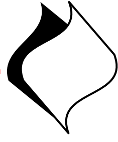
والقسم الثاني: توحيد الإلهية.

✓ قال **أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي–رحمه الله–(ت: ٤٠٤هـ)**: "فالإيمان بالله–تعالى جده–إثباته والاعتراف بوجوده، والإيمان له القبول عنه والطاعة له.

والإيمان بالنبي إثباته والاعتراف بنبوته، والإيمان للنبي موافقته والطاعة له. ويدل على افتراق الصلتين أن إحداهما تصلح حيث لا تصلح الأخرى، فإن بني يعقوب عليه السلام لو قالوا لأبيهم: "وما أنت بمؤمن بنا" لما صلح لذلك. ولو قال كفار العرب: "ولا تؤمنوا إلا بمن اتبع دينكم" لما أدى ذلك لما أرادوه من المعنى. وأمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمنافقين: {لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ} [التوبة: الآية: ٩٤]، أي لن نقبل منكم عذركم، ولو كان مكانه: "لن نؤمن بكم"، ما جاز ولا حسن. وقال–جل ثناؤه–: {قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: الآية: ٦١]، ولو كان مكان ذلك: "ويؤمن بالمؤمنين" لما جاز ولا صلح. فثبت بما اقتصصنا أن الصلتين موضوعان لمعنيين متغايرين لا لمعنى واحد. ويدل على صحة ما ذكرت أن اسم التصديق الذي هو حقيقة الإيمان قد يحتمل صلتين: إحداهما الباء والأخرى الهاء.

فأما الباء فإنه يليق بالتصديق وبما يتصرف عنه من فعل ونعت.

وأما الهاء فإنه يلزم ما ينصرف عنه من فعل، فإذا جاء النعت جازت اللام مكان الهاء، فيقال: "صدقت فلانا وصدقت به"، فمعنى صدقته أثبت قوله وخبره ووثقت بصحته ومعنى



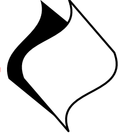
صدقت به: أثبت وجوده وكونه. ثم يقال: صدقت به وأنا مصدق. وإذا قيل صدقته، جاز أن يقال: "وأنا مصدقه ومصدق له، قال الله-تعالى-: {مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ} [المائدة: الآية: ٤٨]، ولا يصلح مكانه ومصدقا بما بين يديه لأن الغرض، أن هذا الكتاب مثبت من وحدانية الله تعالى وقدسه ووجوب طاعته وتحسين العدل، وتقبيح الظلم والشهادة للذين جاؤوا بالكتب المقدمة، بأنهم جاؤوا بها من عند الله-تعالى-ما أثبتته تلك الكتب أنفسها. ولو قيل: "مصدقا لما بين يديه من الكتاب"، لصلح، فعلم أن اللام قائمة مقام الهاء في صدقته. ولو قيل: "ومصدقا بما يديه"، لم يدلك على أكثر من أنه أثبت أن كتبا كانت قبله، فثبت بهذا افتراق الصلتين، وتغاير ما يراد بهما، والله أعلم وما ينبغي لأحد أن يستنكر هذا الفرق، فإن الوجود منه هو الموافق للصواب والحكمة إذ كان الاعتراف بالله-جل جلاله-، لابد من أن يسبق حتى يصح القبول عنه وطاعته وعبادته من بعد، والاعتراف بالنبي كذلك لأنه يسبق، ثم تكون متابعته والقبول عنه، ولو تجردت المتابعة بفعل ما يأمر به، والانتهاء عما ينهي عنه عن الاعتراف بالنبوة لما سلمت، ولا سلمت نفعت، فكان حقا أن يعود الأصل من هاتين الخصلتين بإحدى هاتين اللفظتين والتابع منهما بالأخرى. فيكون التصديق بالله إثباته والاعتراف بوجوده، والتصديق له قبول شرائعه، وإتباع فرائضه على أنها صواب وحكمة وعدل، والطاعة فيها لازمة، والمحافظة على حدوده، والثقة بوعده ووعيده.

وكذلك التصديق بالنبي، غير التصديق له.

فالتصديق به: هو الاعتراف بوجوده وكونه وإثباته نبيا في الجملة.

والتصديق له: إتباعه وطاعته وقبول ما جاء عنه.

وكذلك الإيمان بالله: هو الاعتراف به وإثباته.



والإيمان له: طاعته وإتباع أمره.

وعلى هذا الإيمان بالله أو النبي، إيمان بالدلائل التي دلت عليه، لأنه قبول لدلالتها عنها، وانقياد لموجبها". [1]

- ✓ وقال **محمد بن يعقوب الفيروزأبادي–رحمه الله–(ت: ٨١٧هـ)**: "والتوحيد توحيدان: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، فصاحب توحيد الربوبية يشهد قيومية الرب فوق عرشه يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق، ولا معطى ولا مانع ولا مميت ولا محيي ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرا وباطنا غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجرى حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاها علمه وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته، واقتضتها حكمته.

وأما توحيد الإلهية فهو أن يجمع همه وقلبه وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه والقيام بعبوديته". [2]

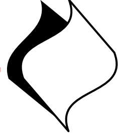
- ✓ قال **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ)**: "التوحيد: "توحيد الربوبية" و "توحيد الإلهية". [3]

---

١ شعب الإيمان للحليمي ١/ ٢١-٢٢.

٢ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ١٧٢.

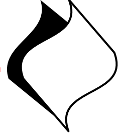
٣ مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٣١.



- ✓ **وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ)**: "وهذه المعاني تدل على توحيد الربوبية وعلى توحيد الإلهية وهو التوحيد الواجب الكامل الذي جاء به القرآن ...فإثبات الإلهية يوجب إثبات الربوبية ونفي الربوية يوجب نفي الإلهية؛ إذ الإلهية هي الغاية وهي مستلزمة للبداية كاستلزام العلة الغائية للفاعلية. وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية –وإن كان معلوما بالفطرة الضرورية البديهية وبالشرعية النبوية الإلهية–فهو أيضا معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية". [1]
- ✓ **قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ)**–في معرض كلامه عن غلط بعض العامة والسالكين–: "وذلك أن هذا الموضع غلط فيه كثير من العامة؛ بل ومن السالكين فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد الحقيقة الكونية دون الدينية فيرى أن الله خالق كل شيء وربه ولا يفرق بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما يسخطه ويبغضه وإن قدره وقضاه ولا يميز بين توحيد الألوهية وبين توحيد الربوبية". [2]

١مجموع الفتاوى ٢/ ٣٧.

٢ مجموع الفتاوى ١٥/ ٦٦٨. وانظر: ١٥/ ٤٩٧.

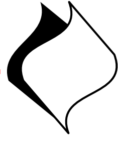


- ✓ وقال **ابن تيمية**–**رحمه الله**–(**ت: ٧٢٨هـ**): "وهذه المعاني تدل على توحيد الربوبية؛ وعلى توحيد الإلهية؛ وهو: التوحيد الواجب الكامل الذي جاء به القرآن". [1]
- ✓ وقال **ابن تيمية**–**رحمه الله**–(**ت: ٧٢٨هـ**): "وكثير من المتوجهين السالكين يشهد في سلوكه الربوبية والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق؛ من الأعيان والصفات. وهذه الأمور قائمة بكلمات الله الكونية التي كان النبي–صلى الله تعالى عليه وسلم– يستعيذ بها فيقول: ((أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن)). فيغيب ويفنى بهذا **التوحيد الرباني** عما هو مأمور به أيضا ومطلوب منه وهو محبوب الحق ومرضيه من **التوحيد الإلهي**؛ الذي هو عبادته وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله والأمر بما أمر به والنهي عما نهى عنه والحب فيه والبغض فيه". [2]

---

١ مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٨٣.

٢ مجموع الفتاوى ٢/ ٤٥٧.



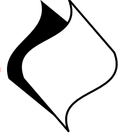
- ✓ وقال **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ)**: "وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام أن الألوهية هي نفس الربوبية وأن ما ذكر في القرآن من نفي إله آخر والأمثال المضروبة البينة فالمقصود به نفي رب يشركه في خلق العالم كما هو عادتهم في كتب الكلام فهذا قصور وتقصير منهم في فهم القرآن وما فيه من الحجج والأمثال أتوا فيه من جهة أن مبلغ علمهم هو ما سلكوه من الطريقة الكلامية فاعتقدوا أن المقصودين واحد وليس كذلك بل القرآن ينفي أن يعبد غير الله أو أن يتخذه إلها فيحبه ويخضع له محبة الإله وخضوعه كما بينت ذلك عامة آيات القرآن مثل قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا} [البقرة: الآية: ٦٥]، ولهذا قال الخليل {لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} [الأنعام: الآية: ٧٦]

ومن المعلوم أن كل حي فله إرادة وعمل بحسبه وكل متحرك فأصل حركته المحبة والإرادة ولا صلاح للموجودات إلا أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى كما لا وجود لها إلا أن يبدعها الله ولهذا قال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: الآية: ٢٢]، ولم يقل لعدمتا إذ هو قادر على أن يبقيها على وجهة الفساد لكن لا يمكن أن تكون صالحة إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له فإن صلاح الحي إنما هو صلاح مقصوده ومراده وصلاح الأعمال والحركات بصلاح إرادتها ونياتها". [١]

- ✓ قال **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ)**: "فمتكلمة أهل الإثبات يثبتون لله صفات الكمال كالحياة والعلم والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر.

---

١ قاعدة في المحبة صـ ١٤–١٥.



وهؤلاء يثبتون ذلك لكن قصروا في بعض صفات الكمال، وقصروا في التوحيد، فظنوا أن كمال التوحيد هو توحيد الربوبية، ولم يصعدوا إلى توحيد الإلهية الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب.

وذلك أن كثيرا من كلامهم أخذوه من كلام المعتزلة، والمعتزلة مقصرون في هذا الباب، فإنهم لم يوفوا توحيد الربوبية حقه، فكيف بتوحيد الإلهية.

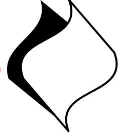
ومع هذا فأئمة المعتزلة وشيوخهم وأئمة الأشعرية والكرامية ونحوهم خير في تقرير توحيد الربوبية من متفلسفة الأشعرية كالرازي والآمدي وأمثال هؤلاء، فإن هؤلاء خلطوا ذلك بتوحيد الفلاسفة كابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، وأمثاله، وهو أبعد الكلام عن التحقيق في التوحيد، وإن كان خيرا من كلام قدمائهم أرسطو وذويه". [١]

✓ وقال **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ)**: "حتى أن كثيرا منهم يظنون أن التوحيد المفروض هو الإقرار والتصـــديق بأن الله خالق كل شـــيء وربه ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية الذي أقر به مشـــركو العرب وبين توحيد الإلهية الذي دعاهم إليه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–". [٢]

---

١ منهاج السنة ٣/ ٢٩٤-٢٩٥.

٢ مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٦٤.



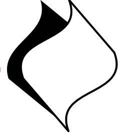
- ✓ وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ): "فقوله: ((لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت)) توحيد الربوبية الذي يقتضي: أنه سبحانه: هو الذي يسأل ويدعى ويتوكل عليه. وهو سبب لتوحيد الإلهية ودليل عليه". [١]
- ✓ وقال **أحمد بن علي المقريزي–رحمه الله–(ت: ٨٤٥هـ)**: "ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة". [٢]
- ✓ وقال **المقريزي–رحمه الله–(ت: ٨٤٥هـ)**: "فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين". [٣]
- ✓ وقال الشيخ **محمد بن إسماعيل الصنعاني–رحمه الله–(ت: ١١٨٢هـ)**: "الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد". [٤]

١مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٧٧.

٢ تجريد التوحيد المفيد ص: ٧.

٣ تجريد التوحيد المفيد ص: ٨.

٤ تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ص: ٤٧.



✓ وقال الشيخ **محمد بن إسماعيل الصنعاني**–**رحمه الله**–(ت: ١١٨٢هـ): "التوحيد قسمان:

القسم الأول: توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها، ومعناه: أن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الرب لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا، بل هم مقرون به.

والقسم الثاني: توحيد العبادة، ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء، ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى". [١]

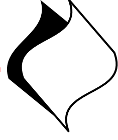
✓ وقال **المرتضى الزبيدي**–**رحمه الله**–**صاحب تاج العروس في شرح القاموس** (ت: ١٢٠٥هـ): "التوحيد توحيدان:

توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية.

فصاحب **توحيد الربانية** يشهد قيومية الرب فرق عرشه يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا محيي ولا مميت ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرًا وباطنًا غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجوز حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من

---

١ تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ص: ٥٠.



ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته، واقتضتها حكمته.

وأما **توحيد الإلهية**: فهو أن يجمع همته وقلب وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه، والقيام بعبوديته". [1]

✓ وقال الشيخ **محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي–رحمه الله–**(ت ١٢٠٦هـ): "وهو نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية:

أما توحيد الربوبية فيقر به الكافر والمسلم،

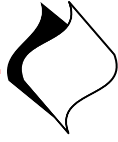
وأما توحيد الألوهية فهو الفارق بين الكفر والإسلام". [2]

✓ وقال **الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي–رحمه الله–**(ت ١٢٠٦هـ): "التوحيد نوعان: توحيد الربوبية: وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم. وهذا حق لا بد منه، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام؛ بل أكثر الناس مقرون به، قال الله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ

---

١ تاج العروس (٩/ ٢٧٦).

٢ كتاب الجواهر المضية ص: ٣٧.



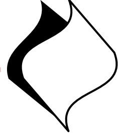
الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس: الآية: ٣١]، وأن الذي يدخل الرجل في الإســـلام هو توحيد الإلهية، وهو: ألا يعبد إلا الله، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا". [١]

- ✓ وقال الشيخ **محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي-رحمه الله-**(ت ١٢٠٦هـ): "واعلم، أرشدك الله، أن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب لمسألة واحدة، هي: توحيد الله وحده، والكفر بالطاغوت، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: الآية: ٣٦] ، والطاغوت هو الذي يسمى: "السيد"، الذي ينخى وينذر له، ويطلب منه تفريج الكربات غير الله-تعالى-. وهذا يتبين بأمرين عظيمين:

الأول: توحيد الربوبية، وهو الشـــهادة بأنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر الأمور إلا هو؛ وهذا حق، ولكن أعظم الكفار كفرا، الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشـــهدون به ولم يدخلهم في الإسـلام، كما قال تعالى: قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس: الآية: ٣١].

---

١ كتاب الرسائل الشخصية ص: ١٥١.



الأمر الثاني: وهو توحيد الإلهية، وهو أنه لا يسـجد إلا لله، ولا يركع إلا له، ولا يدعى في الرخاء والشـدائد إلا هو، ولا يذبح إلا له، ولا يعبد بجميع العبادات إلا الله وحده لا شـريك له، وأن من فعل ذلك في نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء فقد أشرك بالله". [١]

✓ وقال الشيخ محمد رشيد رضا–رحمه الله–(ت: ١٣٥٤هـ): "أقول: المراد بهذا تقرير وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية، وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء ... ". [٢]

ويقول في موضع آخر مصرحا بهذه القسمة: "ولما كان التوحيد الذي هو لباب الدين وروحه نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية بين كلا منهما بالآيات والبراهين ... ". [٣]

وهناك من يقسم التوحيد إلى قسمين:

القسم الأول: توحيد المرسل.

القسم الثاني: توحيد متابعة الرسول.

✓ قال **ابن القيم–رحمه الله**–(ت: ٧٥١ هـ): "توحيدان. لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما:

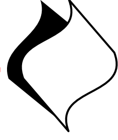
توحيد المرسل.

---

١ الرسائل الشخصية ص: ١٤٦-١٤٧.

٢ تفسير المنار ٣/ ٣٢٥.

٣ تفسير المنار ٨/ ٢٧٢.



وتوحيد متابعة الرسول. فلا يحاكم إلى غيره. ولا يرضى بحكم غيره". [1]

✓ وقال **ابن أبي العز**–**رحمه الله**–(ت: ٧٩٢هـ): "فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا نحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غير". [2]

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين:

القسم الأول: التوحيد الإجمالي.

القسم الثاني: التوحيد التفصيلي.

✓ قال الشيخ **حماد بن محمد الأنصاري**–**رحمه الله**–(ت: ١٤١٨هـ): "والتوحيد ينقسم باعتبار آخر إلى قسمين:

أولًا: توحيد إجمالي.

ثانيًا: توحيد تفصيلي.

التوحيد الإجمالي: هو الذي يدرك بالآيات الفعلية.

والتوحيد التفصيلي: هو الذي يدرك بالآيات القولية.

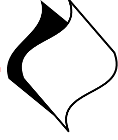
والتوحيد الإجمالي الذي يدرك بالآيات الفعلية هو توحيد الربوبية.

والآيات الفعلية: هي السموات والأرض وما بينهما، وبالنظر إلى الخلق نستنتج أن لهذا الخلق ربًا عظيمًا متصفًا بجميع صفات الجمال والكمال.

---

١ مدارج السالكين ٢/ ٣٦٦.

٢ شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٠٠.



وهذا في الإمكان أن يدركه كل أحد لأنه فطري.

أما التوحيد التفصيلي الذي بينه الله عز وجل في سورة الفاتحة فلا يمكن إدراكه إلا بالآيات القولية، وهي القرآن والسنة". [١]

وقد قسم بعض العلماء التوحيد إلى قسمين:

الأول: توحيد عامي

الثاني: توحيد خاصي.

✓ قال **ابن القيم**–**رحمه الله**–(ت: ٧٥١ هـ): "فإن التوحيد نوعان: عامي وخاصي، كما أن الصلاة نوعان، والذكر نوعان، وسائر القرب كذلك خاصية وعامية.

فالخاصية: ما بذل فيها العامل نصحه وقصده بحيث يوقعها على أحسن الوجوه وأكملها.

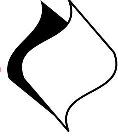
والعامية: ما لم يكن كذلك.

فالمسلمون كلهم مشتركون في إتيانهم بشهادة أن لا إله إلا الله، وتفاوتهم في معرفتهم بمضمون هذه الشهادة وقيامهم بحقها باطنا وظاهرا أمر لا يحصيه إلا الله عز وجل". [٢]

---

١ تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أقسام التوحيد ص: ٤٧.

٢ طريق الهجرتين ص ٥٩.



✓ قال **ابن تيمية–رحمه الله**–(ت: ٧٢٨ هـ): "من كان توكله على الله ودعاؤه له هـو في حصول مباحات فهو من العامة، وإن كان في حصول مستحبات وواجبات فهو الخاصة". ".[١]

قال **ابن تيمية–رحمه الله**–(ت: ٧٢٨ هـ): "قوم ينظرون إلى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لإلهية الرب سبحانه الذي أمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة، وهو حال كثير من المتفقهة والمتعبدة، فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخـذلان لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجوء إليه والدعاء له هي التي تقوي العبد وتيسـر عليـه". [٢]

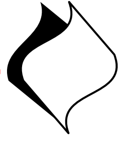
فالتوحيد الخاصي هو الذي حقق التوحيد معرفة بكل معانيه وعمـلا بـه وبلوازمه، وأما العامي ما نقص من ذلك إما معرفة وعلما أو عملا وطاعة، والله أعلم.

وهذا ما وقفت عليه من تقسيمات العلماء للتوحيد وهي واحدة من حيث مضمونها كما سبق إيضاح ذلك من خلال ربطها بالتقسيم الأول، ولذا فإن الاختلاف بينها منحصر في الألفاظ فقط. والله أعلم.

---

١ مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٦.

٢ مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٢.



الأمر الثالث: الرد على شبهة من أنكر تقسيم التوحيد.

هناك من حاول إنكار تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام بدعوى:

أولًا: أن هذا التقسيم لا يعرف عند السلف البتة، وأن هذا التقسيم إنما انتشر بعد القرن السابع الهجري.

ومن ذلك قول حسن السقاف: "وخصوصًا أن هذا التقسيم لا يُعرف عند السَّلَف البتَّة، وإنما اختُرِع هذا التقسيم وانتشر بعد القرن السابع الهجري". [1]

وقال: "ولم يَذكر الله تعالى في كتابه ولا النبيُّ–صلى الله عليه وسلم–في سنته أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيدِ ربوبية، وتوحيدِ ألوهية، وتوحيدِ أسماء وصفات، بل لم ينطق بهذا التقسيم أحدٌ من الصحابة، بل ولا أحدٌ من التابعين، بل ولا أحدٌ من السَّلَف الصالح–رضي الله عن الجميع–، بل إن هذا التقسيم بدعة خَلَفية مذمومة حَدَثت في القرن الثامن الهجري، أي بعد زمن النبي–صلى الله عليه وسلم–بنحو ثمان مئة سنة، ولم يقل بهذا التقسيم أحدٌ من قبل". [2]

وقال: "ابن تيمية الذي اختَرَع تقسيمَ التوحيدِ إلى ألوهية وربوبية". [3]

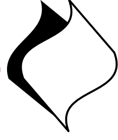
وقال أبو حامد بن مرزوق: "إن تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والقول بأنَّ المشركين كانوا مؤمنين بالأول دون الثاني ولم يُدخلهم في الإسلام أنَّ ذلك بدعة ابتدعها

---

١ التنديد بمن عدَّد التوحيد (ص: ٣).

٢ التنديد بمن عدَّد التوحيد (ص: ٦).

٣التنديد بمن عدَّد التوحيد (ص: ١٠).



ابن تيمية وقلَّده فيها محمد بن عبد الوهاب". [1]

ثانيًا: أن ذلك دعوة إلى التثليث،

والرد على هذه الدعوى بأن يقال هذه الدعوى مقصودها التشغيب وإثارة الشكوك والبلبلة ومردودة على قائليها:

أولًا: هذا التقسيم مأخوذ من التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة فوجد العلماء أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأقسام وكل قسم من هذه الأقسام له أدلته من القرآن والسنة، وكل قسم له مميزاته وخصائصه.

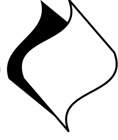
ثم إن هذا التقسيم من جنس تقسيمات العلماء الأخرى المتعلقة بالأمور الشرعية مثل تقسيم العلماء الأمر الشرعي إلى واجب ومندوب أو تقسيم النواهي الشرعية إلى محرم ومكروه، أو قولهم إن الإيمان قول واعتقاد وعمل، أو تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية. فسائر هذه التقسيمات وغيرها كثير لم ترد في الشارع منصوصاً عليها وإنما استنبطها العلماء من خلال استقراء كلام الشارع. [2]

وقال الشيخ بكر أبو زيد:"هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ) ، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين-رحم الله الجميع-، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب

---

١ كتاب التوسل بالنبي وجهالة الوهابيين.

٢أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (ص:٩١).



على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء". [1]

وقال الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد: "وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة". [2]

ثانيًا: هذا التقسيم موجود مع بداية التصنيف والتدوين لمسائل العقيدة ومن الأدلة على ذلك بعض النصوص الواردة عن السلف في بيان ذلك:

النص الأول: للإمام **أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري–رحمه الله–**(ت: ٣٨٧ هـ) حيث قال في كتابه (الإبانة) ما نصه: (... وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذاهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

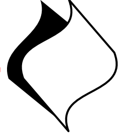
والثالث: أن يعتقده موصوفا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.."[3]

وكلامه هذا صريح في أن أصل الإيمان بالله وتوحيده مبني على هذه الأمور الثلاثة فسمى الأول اعتقاد الربانية والثاني اعتقاد الوحدانية والثالث اعتقاد اتصافه بالصفات العلى اللازمة

١التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» (ص ٣٠).

٢ مقدمة تحقيق كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني ص: ١٠.

٣ الإبانة (٢/ ١٧٢-١٧٣).



لكمال الله سبحانه وتعالى.

والنص الثاني: للإمام الحافظ **أبي عبد الله محمد بن إسـحاق بن يحيى بن منده–رحمه الله–** (**ت: ٣٩٥ هـ**) حيث فصـل وبوب في كتابه القيم: (كتاب التوحيد) في الأقسـام الثلاثة للتوحيد فمن تبويباته:

١.ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

٢.ذكر معرفة بدأ الخلق.

٣.ذكر معرفة أسماء الله عز وجل الحسـنى التي تسـمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر–وأبواب أخرى كثيرة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور.

ولذلك وصف الكتاب ومباحثه محققه الدكتور علي الفقيهي بقوله:

"قسم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسام حيث جعل أسماء الله الحسنى قسما مستقلا ثم أتبعها بالصفات، وأقسام التوحيد الذي ذكرها هي:

الوحدانية في الربوبية.

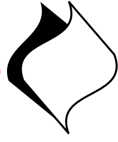
توحيد الألوهية وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

توحيد أسماء الله الحسنى.

الصفات". [١]. [٢]

١التوحيد ابن مندة (١/ ٣٣) تحقيق علي بن ناصر الفقيهي ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

٢انظر في ذلك: ((القول السـديد في الرد على من أنكر تقسـيم التوحيد))، عبد الرزاق البدر، دار ابن عفان.



ثالثًا: أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام أمر مقرر عند المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية على خلل في التقسيم لديهم بعدم ذكرهم لتوحيد الألوهية ومن قولهم في ذلك ما قاله الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ): "وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له". [١]

وقال الرازي (ت: ٦٠٦ هـ): "اعلم أنه تعالى واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، أما أنه واحد في ذاته فلأن ذاته منزهة عن جهات التركيبات، لا من التركيبات المقدارية الحسية كما في الجسم، ولا من التركيبات العقلية كما في النوع المركب من الجنس والفصل.

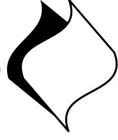
وأما أنه واحد في صفاته فهو أنه ليس في الوجود مواد آخر يساويه في الوجود بالذات، وفي العلم بكل المعلومات، وفي القدرة على كل الممكنات، وفي الغني عن كل ما سواه.

وأما إنه واحد في أفعاله فهو أنه ليس في الوجود موجود بكون مبدئا لجميع الممكنات إما بغير واسطة، وإما بواسطة إلا هو". [٢]

وقال أبو منصور الماتريدي–رحمه الله–(ت: ٣٣٣ هـ): "الإيمان بالله: هو أن تجعله رب كل شيء، وأن له الخلق والأمر، والإيمان برسوله: هو أن تصدقه في كل ما يخبر عن الله تعالى وفي كل قول وفعل، وأنه صادق، وأنه محق، وتعلم أنه بأمر الله تعالى ونهيه يأمر وينهى ويفعل

١الملل والنحل (١ /٤٢).

٢المطالَب العالية ١/ ١٦٣.



لا من ذات نفسه؛ هذا هو الإيمان بالله تعالى ورسوله–صلى الله عليه وسلم–". [١]

قال الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ)في تعريف التوحيد: "التوحيد ثلاثة أشـــياء: معرفة الله–تعالى–بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة". [٢]

وقال كمال الدين ابن أبي شـــريف (ت: ٩٠٦ هـ):"التوحيد هو اعتقاد الوحدانية في الذات والصفات والأفعال". [٣]

فلماذا لم يسـقط هذا المنكر لتقسـيم التوحيد دعواه على هذا القول بأن يقول عنه ما قاله عن تقســـيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصـــفات، بحيث يقال هذا التقســـيم مبتدع وفيه مشـــابهة لدعوى النصـــارى بالتثليث، فهلا أخبرونا عن دليلهم الذي استدلوا به لهذا التقسيم؟! فما كان جوابًا لهم فهو جوابٌ لنا.

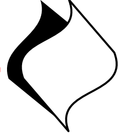
رابعًا: أن دعوى كون هذا التقسيم هو دعوة لعقيدة التثليث فهذه الدعوى فاسدة وميتة وهي دعوى ادعاها قدماء الجهمية

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وضـــربنا لهم مثلا في ذلك فقلنا أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعفوخوص وجمار واسمها اسم شـيء واحد وسميت نخلة بجميع صـــفاتها فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صـــفاته إله واحد لانقول إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة حتى خلق قدرته والذي ليس له قدرة هو عاجز ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق لـه علما فعلم والـذي لا يعلم هو جـاهـل، ولكن

١تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ٩/ ٥١٥–٥١٦.

٢التعريفات للجرجاني ص: ٩٩.

٣المسامرة شرح المسايرة: ص: ٤٣.



نقول لم يزل الله عالما قادرا مالكا لا متى ولا كيف.

قال وسمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر: الآية: ١١] وقد كان الذي سماه وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة وقد سماه وحيدا بجميع صفاته فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد". ١

ثم إن التمييز بين الربوبية والألوهية ومن ثم تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية، لم ينفرد به ابن تيمية،بل قال به العديد من العلماء، وعلى سبيل المثال لا الحصر يقول أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت: ٣٥٤هـ):"الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته". ٢

قال الشيخ أحمد بن حجر آل طامي (ت: ١٤٣٢هـ): "أورد بعض المتعصبين: إن ذلك التقسيم لم يقل به النبي؟.

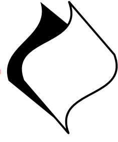
الجواب:

أولًا: أن يقال له: إن ترد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل به لا لفظًا ولا معنى فباطل،

---

١ بيان تلبيس الجهمية ٣/ ٩٦-٩٧.

٢ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ١٤.



فإنه قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)) [1] **...**

وهذا هو توحيد الألوهية، والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه علموا الداخلين في الإسلام بأن لا يعبدوا إلا الله، وهو ما نريده.

وأكثر القوم كانوا معترفين بالربوبية، فكانوا عارفين بمعاني الألفاظ، لا يحتاجون إلى تفرقة.

فإذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ولا خالق ولا رازق إلا الله، عرفوا ما تدل عليه الجملة الأولى والثانية، وأنت حين توازن بين قوله تعالى إخبارًا عنهم: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف: الآية: ٨٧]، وقوله-تعالى-: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: الآية: ٥]، يظهر لك ما قلناه بجلاء ووضوح.

على أنه لا يضرنا أن النبي-صلى الله عليه وسلم-وصحبه لم يصطلحوا هذا الاصطلاح، لأننا نقول: تؤخذ الأشياء بمعانيها، ولا يلزم أن يكون النبي-صلى الله عليه وسلم-وصحابته-رضي الله عنهم-يمشون على هذا النهج المصطلح عليه.

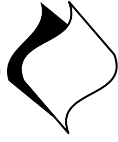
وغاية قولنا: إن معنى الرب في اللغة غير معنى الإله، يدل الأول على الإحاطة والخلق والإيجاد والتربية، والثاني: على المعبود بحق أو باطل.

ونقول في الجواب ثانيًا: إن لم يقسم النبي التوحيد إلى أقسام ثلاثة، فلم يحصره في قسم واحد-كما تزعم-، ومعنى الألفاظ الواردة في القرآن والسنة واللغة تساعدنا على ذلك، وليس معك ما ينصرك على دعواك". [2]

---

[1] رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

[2] العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ١/ ٦٦-٦٧.



رابعًا: أن إخراج توحيد الألوهية من تقسيم التوحيد مرده إلى عدم تفريقهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وزعمهم بأنهما بمعنى واحد.

والذي دلت عليه النصوص وأقوال المفسرين والعلماء هو التفريق بين هذين النوعين من التوحيد.

عن مجاهد بن جبر–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ): "{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} [يوسف: الآية: ١٠٦]، إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره". [١]

وعن قتادة بن دعامة السدوسي–رحمه الله–(ت: ١١٨هـ)، قوله: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} [يوسف: الآية: ١٠٦]، في إيمانهم هذا. إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته". [٢]

قال محمد بن جرير الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): "يقول تعالى ذكره: وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله: {وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف: الآية: ١٠٥]، بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء {إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ}، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أربابا، وزعمهم أن له ولدا، تعالى الله عما يقولون". [٣] وقول هنا فيه تفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

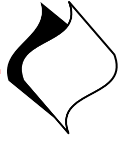
قال الشيخ حماد بن محمد الأنصاري–رحمه الله–(ت: ١٤١٨ هـ): "توحيد الربوبية، وتوحيد

---

١ تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٧.

٢ تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٨.

٣ تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٦.



الألوهية ليســـا بمعنى واحد، كما ظنه الأشـــعرية الكلابية، والحنفية الماتريدية، والكرامية السجستانية، والجهمية الجعدية.

وهكذا كل هؤلاء الطوائف من المتكلمين المتفلسـفين، الذين أعرضـوا عن القرآن وعن السـنة النبوية، واشـتغلوا بالفلسـفة والكلام، وبمجرد آراء يبدونها حول قضـايا جوفاء لا نتيجة لها صحيحة". [1]

خامسًـا: أن إخراج توحيد الألوهية من تقسـيم التوحيد مرده إلى قول طوائف المتكلمين من إخراجهم العمل عن مسمى الإيمان وأنه التصديق فقط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-(ت: ٧٢٨ هـ): ((الوجه الثاني من غلط المرجئة: ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب، كما تقدم عن جهمية المرجئة، الثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب، ولا يجعلونها لازمة له، والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر". [2]

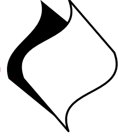
الأمر الرابع: العلاقة بين أقسام التوحيد

أقسـام التوحيد تُشـكل بمجموعها جانب الإيمان بالله الذي نُسـميه التوحيد، فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة، فهي متكافلة متلازمة يكمل بعضـها بعضًـا، ولا يمكن الاسـتغناء ببعضـها عن الآخر، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية،

---

١ تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد ص: ٣٠.

٢ مجموع الفتاوى (٧/ ٢٠٤).



وكذلك لا يصح–ولا يقوم–توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أيِّ نوع منها هو خلل في التوحيد كله، "فمعرفة الله لا تكون بدون عبادته، والعبادة لا تكون بدون معرفة الله، فهما متلازمان". (١)

وقد أوضح بعضُ أهل العلم العلاقة بين أنواع التوحيد بقوله: "هي علاقة تلازم وتضمن وشمول".

فتوحيد الربوبية مُستلزم لتوحيد الألوهية.

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

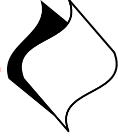
وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معًا.

بيان ذلك: أنَّ مَن أقرَّ بتوحيد الربوبية، وعلم أنَّ الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته لَزمه (٢) من ذلك الإقرار أن يُفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربًّا خالقًا مالكًا مدبرًا، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

---

(١) «تحذير أهل الإيمان» (١/ ١٤٠)، (ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية»).

(٢) اللازم هنا قد يتخلف، كما هو الحال في كفار قريش؛ فهم يُقرون بتوحيد الربوبية، كما دَلَّت على ذلك النصوص، ولكنهم لم يُحققوا اللازم مِن إقرارهم بتوحيد الربوبية.



ولهذا جَرَت سُنَّة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مَقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد الألوهية، ومن أمثلة ذلك:

قوله-تعالى-: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: الآية: ٢١].

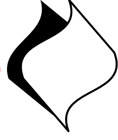
وأمَّا توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأنَّ مَن عبد الله ولم يُشرك به شيئًا فهذا يدل ضمنًا على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذي لا ربَّ غيره.

وهذا أمر يشاهده الموحد من نفسه، فكونه قد أفرد الله بالعبادة ولم يَصرف شيئًا منها لغير الله، ما هو إلا لإقراره بتوحيد الربوبية، وأنه لا ربَّ ولا مالك ولا متصرف إلا الله وحده.

وأمَّا توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنَّوعين معًا، وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكلِّ ما له من الأسماء الحسنى والصفات العُلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى، والتي من جملتها: الرَّب-الخالق-الرازق-الملك، وهذا هو توحيد الربوبية.

ومن جملتها: الله-الغفور-الرحيم-التَّواب، وهذا هو توحيد الألوهية. (١)

(١) انظر: «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» للشيخ عبد العزيز السلمان (ص ٤٢١، ٤٢٢).



[الشهادة للنبي–صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة]

شرح: قول المصنف–رحمه الله–: "وللرسول–صلى الله عليه وآله وسلم–بالرسالة والنبوة".

المسألة الأولى: معنى شهادة أن محمدًا رسول الله.

المسألة الثانية: معنى النبوة والرسالة.

أ–معنى النبي لغة وشرعًا.

ب–معنى الرسول لغة وشرعًا.

المسألة الثالثة: الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به–صلى الله عليه وسلم–.

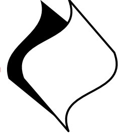
أ–الأدلة من القرآن.

ب–الأدلة من السنة.

المسألة الرابعة: حقوق النبي–صلى الله عليه وسلم–.

أ–الحقوق التي تتصل بجانب الرسالة التي بعث بها.

ب–الحقوق التي تتعلق بخاصة شخص الرسول–صلى الله عليه وسلم–تفضيلًا وتكريمًا من الله له.



شرح قول المصنف: "وللرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– بالرسالة والنبوة".

[٢]. قال المصنف –رحمه الله–: "وللرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– بالرسالة والنبوة".

الشرح:

وفيه المسائل الآتية:

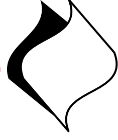
المسألة الأولى: معنى شهادة أن محمدًا رسول الله.

أ– معناها:

"معنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع". [١]

---

١ الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٩) ضمن مجموعة الرسائل المفيدة.



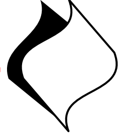
وهذه الشهادة هي الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة، كما أن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل في الركن الرابع من أركان الإيمان الستة، ويشهد لذلك حديث جبريل المشهور. ويلاحظ أننا عرفنا الشهادة والإيمان به بتعريف واحد، وهذا الأمر يصح في حالة الإفراد كما سبق وأن ذكرت في لفظ الإسلام والإيمان، أما في حالة الاقتران فالإيمان به يختص بتصديق القلب وإقراره، والشهادة يراد بها نطق اللسان واعترافه، ويجب تحقيق هذه الشهادة معرفة وإقرارا وانقيادا وطاعة. [١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الإيمان بالرسول فهو المهم، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه، ولهذا كان ركنا الإسلام: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله". [٢]

---

١ زاد المعاد (١/ ٣٤).

٢ مجموع الفتاوى (٨/ ٦٣٨، ٦٣٩).



المسألة الثانية: معنى النبوة والرسالة.

جمع الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يين النبوة والرسالة قال تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: الآية: ٤٠].

أ- معنى النبي لغة وشرعا:

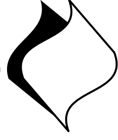
لغة:

النبوة في اللغة العربية مشتقة إما من (النبأ) أو (النباوة) أو (النبوة) أو (النبي)

١- فإذا كانت مأخوذة من (النبأ) فتكون بمعنى الإخبار، لأن النبأ هو الخبر.

٢- وإذا كانت مأخوذة من (النباوة أو النبوة) فتكون بمعنى الرفعة والعلو، لأن (النباوة أو النبوة: هي الشيء المرتفع)

٣- أما إذا كانت مأخوذة من (النبي) بدون همز، فيكون معناها الطريق إلى الله-عز وجل-لأن معنى "النبي" الطريق.



ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعاني إذ النبوة إخبار عن الله–عز وجل–، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهى الطريق الموصلة إلى الله سبحانه.

شرعًا:

أما النبوة في اصطلاح الشرع: "فهي خبر خاص يكرم الله عز وجل به أحدًا من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد". [١]

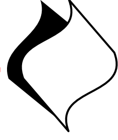
أما النبي فقد اختلف العلماء في تعريفه:

–فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه بشرع [٢] ليعمل به ولم يؤمر بتبليغه.

---

١ شعب الإيمان للبيهقي، (ص: ٢٧٥).

٢ شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٦٧).



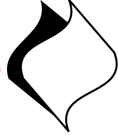
-فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله. [1]

-ومنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين [2] وهذا هو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ولعله هو أرجح الأقوال وأسلمها من الاعتراض فقد اعترض على القول الأول بأنه غير صحيح لأن قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} [الحج: الآية:: ٥٢]، يدل على أن كلا منهما مرسل وأنهما مع ذلك بينهما تغاير [3] وكذلك مما يؤكد كون الأنبياء مأمورين بتبليغ قومهم ما أوحي إليهم والحكم بينهم بذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة-

١ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٥/ ٧٣٥).

٢ النبوات لابن تيمية (ص: ٢٥٥).

٣ أضواء البيان (٥/ ٧٣٥).



رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ((كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي ...)). الحديث. [1]

"أي تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية، والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه". [2]

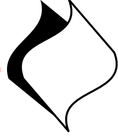
وقد اعترض على القول الثاني بأن الضابط الذي ذكروه لا يستقيم فيوسف عليه السلام كان رسولا وكان على شريعة إبراهيم قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا} [غافر: الآية: ٣٤].

وكذلك داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

---

١ أخرجه البخاري (٣٤٥٥). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٦/ ١٧).

٢ النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٢١).



وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء: الآيات: ١٦٣-١٦٤].

ب–معنى الرسول لغة وشرعًا:

لغة:

الرسول لغة: إما مأخوذ من الرسل.

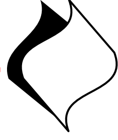
والرسل: هو الانبعاث على تؤدة. يقال: ناقة رسله: أي سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثا سهلا. ولفظ الرسل متضمن لمعنى الرفق ومعنى الانبعاث. فإذا تصور منه معنى الرفق يقال على رسلك إذا أمرته بالرفق. وإذا تصور منه معنى الانبعاث يقال إبل مراسيل أي منبعثة.

ولفظ الرسول اشتق من المعنى الثاني أي الانبعاث.

فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبعث. [١]

---

١ المفردات في غريب القرآن (: ١٩٥) مادة "رسل".



وإما مأخوذ من الرسل وهو التتابع فيقال جاءت الإبل رسلا أي متتابعة، ويقال جاءوا أرسالًا: أي متتابعين.

ومعنى الرسول على هذا الاشتقاق: هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه. [1]

ولو نظرنا إلى كلا الاشتقاقين فإنا نجد أن لفظ الرسول في اصطلاح الشرع يدل عليهما فالرسول مبعوث من قبل الله، وهو كذلك يتابع أخبار الوحي المنزل إليه من الله تعالى.

ولفظ الرسول تارة يقال للقول المتحمل كقول الشاعر:

ألا بلغ أبا حفص رسولا

وتارة لمتحمل القول والرسالة [2]

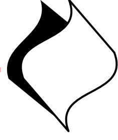
شرعًا:

والرسول في الشرع: عرف بعدة تعريفات:

---

١ المفردات في غريب القرآنً: ١٩٥) مادة "رسل"، ولسان العرب مادة "رسل" (١١/ ٢٨٤).

٢ المفردات في غريب القرآنً: ١٩٥) مادة "رسل"، ولسان العرب مادة "رسل" (١١/ ٢٨٤).



فمن العلماء من عرفه بقوله: هو الذي أوحى الله إليه بخبر وأمره بتبليغه للناس، وهؤلاء فرقوا بينه وبين النبي بأن النبي أوحي إليه بخبر ولم يؤمر بتبليغه. [1]

ومنهم من عرفه بقوله: هو الذي أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته.

وقالوا: إن النبي هو الذي لم ينزل إليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله. [2]

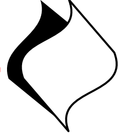
ومنهم من قال: إن الرسول هو الذي ينبئه الله ثم يأمره أن يبلغ رسالته إلى من خالف أمره أي إلى قوم كافرين.

أما النبي فهو من أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين بهما.

---

١ شعب الإيمان للبيهقي (ص ٢٧٥- ٢٧٦) بتحقيق فلاح بن ثاني، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٧).

٢ أضواء البيان (٥/ ٧٣٥).



وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، واستشهد لذلك بأن نوحا عليه السلام كان هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض وكان أول شرك بالله قد وقع في قومه.

وقد كان قبل نوح أنبياء كشيث وإدريس–عليهما السلام–وقبلهما آدم كان نبيا مكلما، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وكان المبعوثون في هذه القرون أنبياء فقط.

٢١

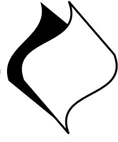
وهذا القول الثالث هو أرجح الأقوال.

أما القول الأول فهو غير مسلم كما سبق وإن وضحت في الكلام على معنى النبي. وكذا الأمر بالنسبة للقول للثاني فليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة كما تقدم ذكر ذلك.

---

١ أضواء البيان (٥/ ٧٣٥).

٢ النبوات (ص: ٢٥٥–٢٥٦).



المسألة الثالثة: الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به–صلى الله عليه وسلم–.

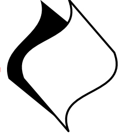
أ–الأدلة من القرآن:

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين–الإنس والجن–الذين أدركتهم رسالة النبي–صلى الله عليه وسلم–أن يؤمنوا بالنبي–صلى الله عليه وسلم–وبما جاء به كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز.

كما أكد الله وجوب الإيمان بأن جعله مقترنا بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:

قال تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ * وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [الحديد: الآيات: ٧–٨]، وقال تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [التغابن: الآية: ٨].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

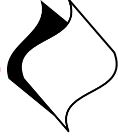


بَعِيدًا} [النساء: الآية: ١٣٦]، وقال تعالى: {لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح: الآية: ٩]، وقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: الآية: ١٥٨]، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: الآية: ١٥].

والإيمان به–صلى الله عليه وسلم–واحد من ثلاثة حقوق اقترن بها حقه–صلى الله عليه وسلم– مع حق الله تعالى في القرآن الكريم.

أما الحق الثاني له: فهو طاعته قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [آل عمران: الآية: ١٣٢].

والحق الثالث هو: محبته قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ



وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: الآية: ٢٤].

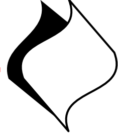
"كما أن الإيمان به واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه". [١]

وقال تعالى في حق من لم يؤمن: {وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا} [الفتح: الآية: ١٣].

ب- الأدلة من السنة على وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم:

وردت في السنة أحاديث كثيرة جدًا تدل على وجوب الإيمان به-صلى الله عليه وسلم-على الجن والإنس الذين أدركتهم رسالته، سواء كانوا أهل كتاب، أم ليسوا بأهل كتاب، ويستوي في ذلك عربهم وعجمهم، وذكرهم وأنثاهم، فلا يسع أحدا من هؤلاء الخروج عن شريعته أو التعبد

١ الشفا للقاضي عياض (٢/ ٥٣٨) بتصرف.



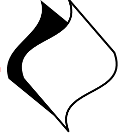
لله بغير ما جاء به. لأن الله لا يقبل من أحد عملا يخالف شرع نبيه محمد–صلى الله عليه وسلم–.

قال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: الآية: ٨٥]، ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن:

أ–عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قال: ((أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)). [١]

---

١ أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٣٩) .



٢- وعن ابن عمر-رضي الله عنهما- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)). [١]

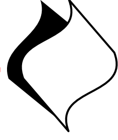
٣- عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع لي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)). [٢]

٤- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، في حديث وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: "أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} ، انظر: فتح الباري (١/ ٧٥) ح ٢٥. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله, انظر (١/ ٣٩).

٢ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١/ ٩٣).



إلا ال له وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس...." الحديث. [1]

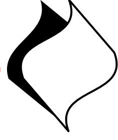
٥- وعن معاذ بن جبل-رضي الله عنه-، قال: بعثني رسول الله فقال: ((إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم)). [2]

وبما تقدم من آيات وأحاديث يعلم وجوب الإيمان بالرسول-صلى الله عليه وسلم-وأهميته وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به لأنه هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك كان أول أركان الإسلام "شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله".

---

١ أخرجه البخاري (٥٢٣)، ومسلم (١٧).

٢ أخرجه البخاري(١٤٩٦)، ومسلم (١٩).



المسألة الرابعة: حقوق النبي–صلى الله عليه وسلم–.

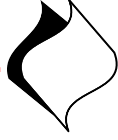
فقد أوجب الله لنبيه–صلى الله عليه وسلم–على هذه الأمة جملة من الحقوق والواجبات تنظم العلاقة التي تربطهم به تنظيمًا دقيقًا لا لبس فيه ولا اشتباه.

وقد وردت في شأن تلك الحقوق نصوص كثيرة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–وضحت وفصلت وبينت جوانب تلك الحقوق.

وهذه الحقوق في جملتها هي الأصل الثاني من أصلي الدين كما يدل عليه قولنا "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله".

ولذا فقد كان لزاما على كل من ينطق بهذه الشهادة، ويدين الله بهذا الدين أن يحيط بتلك الحقوق معرفة، ويلتزم بها اعتقادا وقولا وعملا، فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يحصل إيمان العبد إلا به.

ومما يؤسف له أن كثيرا من المسلمين اليوم هم على درجة كبيرة من الجهل بهذه الحقوق فتراهم لذلك على طرفي نقيض هذا المقام:



- فإما مقصر عن القيام بهذه الحقوق التي أوجبها الله على الأمة فتراه لا يقيم لها وزنا ولا يلقي لها بالا.

- وإما غال مبتدع منكب على ما ابتدعه، يظن أنه بما يفعله من أمور مبتدعة في هذا المقام قد أحسن صنعا وأنه مؤد لما أوجبه الله من حق لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكلا الطرفين صاحب حال مذموم غير محمود. فلما كان عامة أصحاب هذين الطرفين إنما أوقعهم فيما هم فيه، جهلهم بمعرفة تلك الحقوق على الوجه المطلوب شرعا.

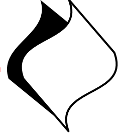
وهذه الحقوق:

أ-الحقوق التي تتصل بجانب الرسالة التي بعث بها.

١-وجوب الإيمان بنبوته ورسالته. وقد تقدم بيان الأدلة على ذلك.

٢-وجوب الإيمان بأن رسالته خاتمة الرسالات وأنه خاتم النبيين.

قال تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} .[الأحزاب: الآية: ٤٠].



والآية نص صريح واضح على ختم النبوة بمحمد–صلى الله عليه وسلم–وكونه خاتم الأنبياء وآخرهم مبعثًا فلا نبي بعده ولا رسول

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: "أتي رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بلحم، فرفع إليه الذراع – وكانت تعجبه – فنهس منها نهسة ثم قال ((أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مما ذلك؟))، ثم ذكر–صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وما يحدث فيه من استشفاع الناس بالأنبياء للحساب حتى يصلوا إليه–صلى الله عليه وسلم–، فذكر–صلى الله عليه وسلم–أنهم يقولون: "أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تشفع لنا إلى ربك ... " الحديث [١]

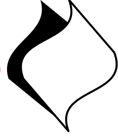
٣–وجوب الإيمان بأن رسالته عامة للإنس والجن وأنه لايسع أحدًا الخروج عنها.

وأما الأدلة من القرآن على ذلك فمنها:

١–قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: الآية: ١٥٨].

---

١ أخرجه البخاري(٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).



٢-وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ} [سبأ: الآية: ٢٨].

٣-وقوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا} [النساء: الآية: ٧٩].

٤-قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: الآية: ١٠٧].

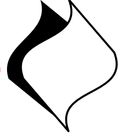
٥-وقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: الآية: ١].

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

١-عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)). [١]

---

١ أخرجه البخاري(٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).



٢-وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: ((فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)). [١]

٣-وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار)). [٢]

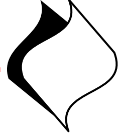
وذكر اليهود والنصارى تنبيها على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى. [٣]

---

١ أخرجه مسلم (٥٢٣).

٢ أخرجه مسلم (١٥٣).

٣ انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٨٨).



٤- وعن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: ((من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني ثم لم يؤمن بي دخل النار))). [١]

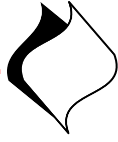
٤-وجوب الإيمان بعصمته فيما بلغه عن ربه.

وأما الأدلة من القرآن على ذلك فمنها:

١-قوله تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم: الآيات: ٣-٤]، فالآية نص في عصمة لسانه-صلى الله عليه وسلم-من كل هوى وغرض فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه ولا يقول إلا ما أمر به فيبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان.

وهذه الآية شهادة وتزكية من الله لنبيه ورسوله محمد-صلى الله عليه وسلم-في كل ما بلغه للناس من شرع الله.

١ أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٦- ٣٩٨).



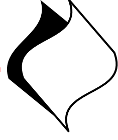
٢- وقوله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} [الحاقة: الآيات: ٤٤-٤٧]، فالآيات نصت على أن الله سبحانه وتعالى لا يؤيد من يكذب عليه بل لابد أن يظهر كذبه وأن ينتقم منه

وقوله تعالى: {وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء: الآيات: ٧٣-٧٥]. وهذه الآيات دالة على عصمة الله وتثبيته لنبيه-صلى الله عليه وسلم-في تبليغ ما أوحى إليه، ومعناها مقارب لمعنى الآيات التي ذكرناها قبلها "فقد أخبر تعالى عن تأييده لرسوله-صلوات الله عليه وسلامه-وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه في مشارق الأرض ومغاربها". (١)

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣).



١- حديث طلحة بن عبيد الله٢ وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم: ((ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله)). (١)

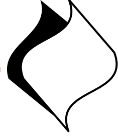
والحديث نص على عصمته-صلى الله عليه وسلم-من الكذب فيما يخبر به عن الله.

٢- حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-، قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ورسول الله-صلى الله عليه وسلم-بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: ((اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق)). (٢)

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٢، ١٩٢) ، وأبو داود في سننه، كتاب العلم: باب في كتاب العلم (٤/ ٦٠) خ ٣٦٤٦، والحاكم في المستدرك (١/١٠٤، ١٠٥) وصححه ووافقه الذهبي.



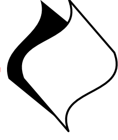
٣- حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: ((إني لا أقول إلا حقًا))، قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله. قال: ((إني لا أقول إلا حقا)). (١)

٥-الإيمان بأن النبي بلغ الرسالة وأكملها.

من تمام نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن أكمل لهم دينهم فلا ينقصه أبدا، ولا يحتاج إلى زيادة أبدا، واقترن هذا الإكمال برضاه سبحانه بأن يكون هذا الدين الكامل دينا نتعبده به، قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} .

وهذه الآية دليل على كمال الدين وحيا من الله، وتبليغا من رسوله صلى الله عليه وسلم، ولقد نزلت هذه الآية الكريمة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات في حجة الوداع، وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٤٠، ٣٦٠) . والترمذي في سننه،كتاب البر والصلاة: باب مما جاء في المزاح (٤/ ٣٥٧) ح ١٩٩٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح.



وهي شهادة من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على تبليغه لما أرسله به أتم تبليغ وأكمله وبذلك جعله الله خاتم النبيين، لأن الخلق بعد هذا لن يحتاجوا إلى نبي غير نبيهم صلى الله عليه وسلم ليكمل لهم دينهم، كما أنهم لا يحتاجون إلى دين آخر وذلك لكمال دينهم.

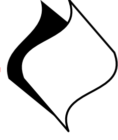
ووجه الدلالة من الآية على ذلك "أن الله أخبر في هذه الآية بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمل بما بلغه، إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه، فعلم من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده". (١)

وما كان من النبي-صلى الله عليه وسلم-بعد نزول هذه الآية الكريمة إلا أن استشهد الناس على ذلك في نفس المناسبة التي نزلت فيها الآية.

فعن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟".

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٥، ١٥٦) بتصرف.



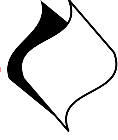
قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: ((اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات ...)). الحديث. (١)

فشهد له خير قرون هذه الأمة وهم صحابته رضوان الله عليهم وكانوا في ذلك الموقف نحوا من أربعين ألفًا". (٢)

ولقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في مواطن متعددة من كتابه العزيز بأن يبلغ أمور هذا الدين البلاغ المبين الواضح فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة: الآية: ٦٧]، وقال تعالى: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النحل: الآية: ٨٢]، وقال تعالى: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النور: الآية: ٥٤]، وقال تعالى: {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} [الشورى: الآية: ٤٨].

وهذا الأمر والحث من الله لرسوله–صلى الله عليه وسلم–على البلاغ لشرع الله والدين الذي أوحاه إليه نابع من كون الرسول–صلى الله عليه وسلم–هو الطريق الوحيد الذي يعرف بواسطة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٤/ ٤١).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٧).



ما شرعه من دين يدين العباد له به، فليس ثمت طريق آخر إلى معرفة شرع الله وأوامره ونواهيه إلا طريقه بها فهو المبلغ عن الله تعالى، وهذه هي سنة الله في خلقه حيث جعل طريق معرفته وعبادته عن طريق من أرسله من الرسل "فلا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدارين إلا على أيدي الرسل، كما أنه لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث والحلال من الحرام إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير" (١) وبهذا وبغيره نلمس عظم الحاجة إلى تبليغ الرسل.

٦-وجوب طاعته واتباعه ولزوم سنته والمحافظة عليها.

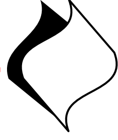
وأما الأدلة من القرآن على ذلك فمنها:

قال الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله تعالى-: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول-صلى الله عليه وسلم-في ثلاثة وثلاثين موضعا". (٢)

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم (١/ ٦٩).

(٢) الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٥٦) .



جعل الرب طاعته طاعة له في مثل قوله تعالى: {مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: الآية: ٨٠].

وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [النساء: الآية: ٦٥].

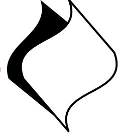
وهو الذي لا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته، ولا يسأل الناس يوم القيامة إلا عن الإيمان به واتباعه وطاعته، وبه يمتحنون في القبور، قال تعالى: { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: الآية: ٦].

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [النساء: الآية: ٦٤].

قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: الآية: ٥٢].

وقال تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: الآية: ١٥٨].

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:



عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى))، قالوا:يارسول الله ومن يأبى؟، قال: ((من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)). (١)

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: ((من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ...)) الحديث. (٢)

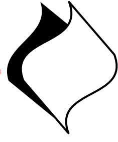
وعن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير. قال: يارسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة؟، قال: ((من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)). (٣)

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ١٥٣) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٠) ، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وله شاهد من طريق أبي هريرة بنحوه أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٤٧) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي. وله شاهد آخر من طريق أبي أمامة بنحوه. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٧) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي.



وعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)). (١)

ب-الحقوق التي تتعلق بخاصة شخص الرسول-صلى الله عليه وسلم-تفضيلًا وتكريمًا من الله له.

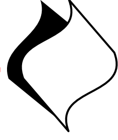
١-وجوب محبته-صلى الله عليه وسلم-.

قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: الآية: ٢٤].

عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).



يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يلقى في النار)). (١)

ما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي–صلى الله عليه وسلم–: "يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك)) ."فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي" .فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((الآن ياعمر)). (٢)

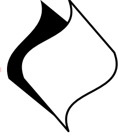
فالحديث نص على وجوب تقديم محبة الرسول–صلى الله عليه وسلم–على محبة النفس.

وأما الدليل على وجوب تقديم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين:

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).



ثانيا: فعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: ((فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده". (١)

ثالثا: وعن أنس–رضي الله عنه–، قال: قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)). (٢)

٢–وجوب تعزيره وتعظيمه وتوقيره–صلى الله عليه وسلم–.

قال تعالى: {لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [الفتح: الآية: ٩].

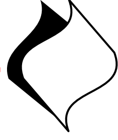
وقال تعالى: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: الآية: ١٥٧].

أ– أما التعزير في اللغة:

فيقول صاحب معجم مقاييس اللغة عن أصل هذه الكلمة: "عزر" العين والزاء. والراء: كلمتان

(١) أخرجه البخاري (١٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٥).



أحدهما: التعظيم والنصر. والكلمة الأخرى: جنس من الضرب. فالأولى: النصر والتوقير كقوله تعالى: {وتعزروه وتوقروه}

والأصل الآخر: التعزير وهو الضرب دون الحد". (١)

وفي النهاية في غريب الحديث "أصل التعزير: المنع والرد. فكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه. ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحد تعزير، لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب، يقال عزرته، وعزرته. فهو من الأضداد". (٢)

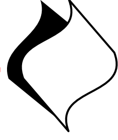
وجاء في تهذيب اللغة: "عزر" قال الله عز وجل: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [الفتح: الآية: ٩].

جاء في التفسير في قوله تعالى {وتعزروه} أي لتنصروه بالسيف {وعزرتموهم} عظمتموهم. وقيل: نصرتموهم.

واللفظة تستعمل لعدة معان هي:

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣١١).
(٢) النهاية (٣/ ٢٢٨).



١- التعزير: النصر باللسان والسيف.

٢- التعزير: التوقير.

٣- التعزير: التأديب دون الحد.

٤- التعزير: التوقيف على الفرائض والأحكام". (١)

وأما عن المعنى الشرعي المراد هنا:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: {وعزروه} يقول: "حموه ووقروه". (٢)

وعن مجاهد قال: "عزروه: سددوا أمره، وأعانوا رسوله ونصروه". (٣)

وعن قتادة في قوله: {وتعزروه} قال ينصروه". (٤)

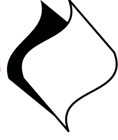
---

(١) تهذيب اللغة (٢/ ١٢٩- ١٣٠) بتصرف.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٨٥).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٨٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٥).



وقال ابن جرر الطبري: {وعزروه} "وقروه وعظموه وحموه من الناس". (١)

وقال أيضا بعد أن نقل قول ابن عباس ومجاهد وقتادة "وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصر والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال". (٢)

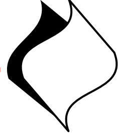
وقال شيخ الإسلام: "التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه". (٣)

ب- وأما عن التوقير في اللغة:

ففي معجم مقاييس اللغة: "وقر" الواو. والقاف. والراء: أصل يدل على ثقل في الشيء ... ومنه الوقار: الحلم والرزانه". (٤)

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٨٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٥).
(٣) الصارم المسلول (ص: ٤٢٢).
(٤) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٣٢).



وجاء في تهذيب اللغة "وقر الرجل من الوقار، يقر، فهو وقور. ووقرت الرجل: إذا عظمته ومنه قوله عز وجل: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [الفتح: الآية: ٩].

وفي لسان العرب: "وقر الرجل: بجله، والتوقير: التعظيم والترزين". (١)

وأما المعنى الشرعي المراد هنا:

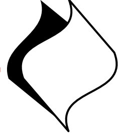
فقال ابن عباس: {وتوقروه} يعني التعظيم. (٢)

وقال قتادة: {وتوقروه} أمر الله بتسويده وتفخيمه". (٣)

وقال أيضا: "{وتوقروه} أي ليعظموه". (٤)

وقال ابن جرير الطبري: "فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم". (٥)

(١) تهذيب اللغة (٩/ ٢٨٠).
(٢) لسان العرب (٥/ ٢٩١).
(٣) تفسيرالطبري (٢٦/ ٧٤).
(٤) تفسيرالطبري (٢٦/ ٧٤).
(٥) تفسيرالطبري (٢٦/ ٧٥).



وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "التوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار". (١)

قال ابن كثير: "التوقير: هو الإحترام والإجلال والإعظام". (٢)

ج- وأما التعظيم في اللغة:

ففي لسان العرب "التعظيم: التبجيل: يقال لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها". (٣)

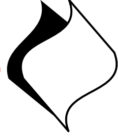
ولفظ "التعظيم" لا يرد في خطاب الشارع كما ورد لفظ "التعزير" و"التوقير" لكن العلماء استعملوه في كلامهم عند هذه المسألة وذلك لقربه في المعنى إلى ذهن السامع، ولتأديته للمعنى المراد من لفظتي "التعزير" و"التوقير".

---

(١) الصارم المسلول (ص: ٤٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١٨٥/٤).

(٣) لسان العرب (٤١٠/١٢-٤١١).



تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة (١) بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة. ذلك لأنه ليس كل محب معظما، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه.

والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم. والسيد قد يحب مماليكه ولكنه لا يعظمهم. والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم.

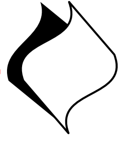
فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة. (٢)

فمن حق النبي-صلى الله عليه وسلم-على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجل أكثر من كل ولد لوالده ومن كل عبد لسيده، فهذا حق من حقوقه الواجبة له مما يزيد على لوازم الرسالة. (٣)

(١) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢/ ١٢٤) الشعبة الخامسة عشرة. وكذلك الجامع في شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٣٠٠) الشعبة الخامسة عشرة..

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢/ ١٢٤).

(٣) المعنى المقصود هنا: أنه يجوز أن يبعث الله رسولا ولا يوجب له هذا الحق بخلاف الإيمان والاتباع فإنهما من لوازم الرسالة.



وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز قال تعالى: {لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [الفتح: الآية: ٩].

وقال تعالى: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: الآية: ١٥٧].

فأبان أن حق الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته أن يكون معزرا موقرا مهيبا.

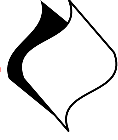
وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره ولا خلاف في أن التعزير هاهنا التعظيم٢. (١)

وفي الجمع الحاصل في الآيتين بين الإيمان به وتعظيمه، تنبيه وإرشاد إلى أن القيام بحقوقه-صلى الله عليه وسلم-يعد من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به.

قال الحليمي: "فمعلوم أن حقوق رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة،

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٥) "بتصرف".



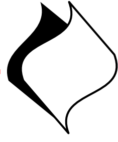
فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم. فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن. ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار. ووعدنا باتباعه الجنة. فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة. فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده. وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر الله جل ثناؤه". (١)

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه–صلى الله عليه وسلم–وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه ومن تلك الآيات ما يلي:

١- قوله تعالى: {لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا} [النور: الآية: ٦٣]، "ففي هذه الآية نهي من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع". (٢)

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١٢٤- ١٢٥) والجامع لشعب الإيمان (٣٠٢- ٣٠٣).
(٢) تفسير الطبري (١٨/١٧٧).



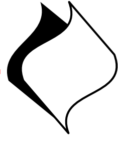
وروى الطبري بسنده عن مجاهد في تفسيرها فقال: "أمرهم أن يدعوه يارسول الله في لين وتواضع، ولا يقولوا: يامحمد، في تجهم". (١)

وعن قتادة قال: "أمرهم أن يفخموه ويشرفوه". (٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-في تفسيرها "خص الله نبيه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به، فنهى أن يقولوا: يامحمد أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يارسول الله، يانبي الله وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سبحانه أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا} [الأحزاب: الآية: ٢٨] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ} [الأحزاب: الآية: ٥٠] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ } [الأحزاب: الآية: ١] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: الآية: ٤٥] { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} [الطلاق: الآية: ١] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: الآية: ١].

(١) تفسير الطبري (١٧٧/١٨).

(٢) تفسير الطبري (١٧٧/١٨).

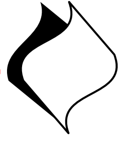


{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} [المائدة: الآية: ٦٧]، {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل: الآيات: ١-٢]، {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ} [المدثر: الآيات: ١-٢]، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ} [الأنفال: الآية: ٦٤].

مع أنه سبحانه قال: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [البقرة: الآية: ٣٥]، {قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ} [البقرة: الآية: ٣٣] {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود: الآية: ٤٦]، {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا} [هود: الآية: ٧٦] {قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ} [الأعراف: الآية: ١٤٤]، {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} [ص: الآية: ٢٦]، {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ} [المائدة: الآية: ١١٠] . (١)

وقال رحمه الله: "وإذا كنا في باب العبارة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-علينا أن نفرق بين مخاطبته والإخبار عنه. فإذا خاطبناه كان علينا أن نتأدب بآداب الله تعالى حيث قال: {لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا} [النور: الآية: ٦٣]، فلا تقول يا محمد يا أحمد، كما يدعو بعضنا بعضا بل نقول: يارسول الله، يانبي الله. والله سبحانه وتعالى خاطب

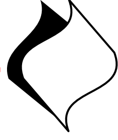
(١) الصارم المسلول (ص: ٤٢٢-٤٢٣).



الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال: {يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [البقرة: الآية: ٣٥]، {يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ} [هود: الآية: ٤٨]، {يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ} [طه: الآيات: ١١-١٢] {يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: الآية: ٥٥]

ولما خاطبه صلى الله عليه وسلم قال {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } [الأنفال: الآية: ٦٤]، {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} [المائدة: الآية: ٤١]، {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} [المائدة: الآية: ٦٧] {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} [المزمل: الآية: ١]، {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: الآية: ١]، فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه.

وأما إذا كنا في مقام الإخبار عنه قلنا: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله" وقلنا محمد رسول الله وخاتم النبيين، فنخبر عنه باسمه كما أخبر الله سبحانه لما أخبر عنه- صلى الله عليه وسلم-: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: الآية: ٤٠]، وقال {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا} [الفتح: الآية: ٢٩] وقال { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ

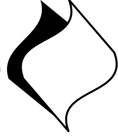


الرُّسُلُ} [آل عمران: الآية: ١٤٤]، وقال {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ} [محمد: الآية: ٢].

فالفرق يين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل".

٢- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ* إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: الآيات: ١-٥].

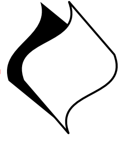
فهذه الآيات اشتملت على جملة من الآداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يجب أن يعاملوا به الرسول-صلى الله عليه وسلم-من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام وهذه الآداب هي:



أولًا: أنه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات: الآية: ١].

قال ابن كثير في معناها: "أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعا له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن ((بم تحكم؟)). قال: بكتاب الله تعالى. قال -صلى الله عليه وسلم-: ((فإن لم تجد؟)). قال بسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-. قال-صلى الله عليه وسلم-: ((فإن لم تجد؟)). قال-رضي الله عنه-: أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال: ((الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لما يرضي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-)). (١)

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢) .وأبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء (٤/ ١٨) ح ٣٥٩٢. والترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب القاضي كيف يقضي (٣/ ٦١٦) ح ١٣٢٧. وابن ماجة في سننه، المقدمة، باب اجتناب الرأي والقياس بنحوه (١/ ٢١).

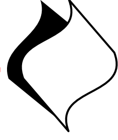


فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقدم بين يدي الله ورسوله". (١)

وقال الحليمي عند تعليقه على هذه الآية: "والمعنى لا تقدموا قولًا أو فعلًا بين يدي قول رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر دين أو دنيا، بل أخروا أقوالكم وأفعالكم إلى أن يأمر رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في ذلك بما يراه فإنكم إذا قدمتم بين يديه كنتم مقدمين بين يدي الله–عز وجل–إذ كان رسوله لا يقضي إلا عنه، {وَاتَّقُوا اللَّهَ}! أي احذروا عقابه بتقديمكم يين يدي رسول الله ومعاملته بما يوهم الاستخفاف به ومخالفة شيء مما يأمركم به عن الله بوحي متلو أو بوحي غير متلو {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} أي سميع لما تقدمونه بين يدي رسوله صلى الله عليه وسلم، أو تأتونه اقتداء به واتباعا له، عليم بما يكون منكم من إجلاله أو خلاف ذلك فهو يجزيكم بما سمعه ويعلمه منكم". (٢)

ولقد تأدب الصحابة مع ربهم ومع رسولهم، فما عاد بعد نزول هذه الآية مقترح منهم يقترح على الله ورسوله، وما عاد واحد منهم يدلي برأي لم يطلب منه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٥).
(٢) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٧).

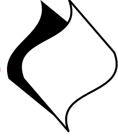


أن يدلي به، وما عاد أحد يقضي برأيه في أمر أو حكم إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول النبي–صلى الله عليه وسلم–.

حتى كان الرسول–صلى الله عليه وسلم–يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه وهم يعلمونه حق العلم،فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم: الله ورسوله أعلم. خشية أن يكون في قولهم تقدم بين يدي الله ورسوله. ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–سأل في حجة الوداع ((أي شهر هذا؟)). قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أن سيسميه بغير اسمه، قال: ((أليس ذو الحجة؟)). قلنا: بلى. قال: ((فأي بلد هذا؟)). قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير أسمه، قال: ((أليس البلدة؟)). قلنا بلى. قال ((فأي يوم هذا؟)). قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: ((أليس يوم النحر؟)). قلنا بلى ... " الحديث. (١)

---

(١) أخرجه البخاري في صـــحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع واللفظ له. انظر فتح الباري (٨/ ١٠٨) ح ٤٤٠٦.



فهذه صورة من الأدب، ومن التحرج، ومن التقوى التي انتهى إليها الصحابة بعد سماعهم ذلك النداء، وذلك التوجيه، وتلك الإشارة إلى التقوى تقوى الله السميع العليم.

ثانيا: أنه حرم رفع الصوت فوق صوت النبي–صلى الله عليه وسلم– وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل، وهذا من باب الأدب مع النبي–صلى الله عليه وسلم–في الحديث والخطاب ومن التوقير الذي يجب له، ذلك التوقير الذي ينعكس على نبرات أصوات الصحابة ليتميز بذلك شخص الرسول–صلى الله عليه وسلم بينهم ويميز مجلسه فيهم فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: الآية: ٢].

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم يين يدي النبي–صلى الله عليه وسلم–فوق صوته، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر–رضي الله عنهما–، فعن ابن أبي مليكة قال: "كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس–رضي الله عنه–أخي بن مجاشع وأشار الآخر برجل آخر،

قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر-رضي الله عنهما-ما أردت إلا خلافي، قال: مما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ} [الحجرات: الآية: ٢].

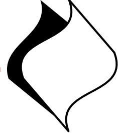
قال ابن الزبير-رضي الله عنه-: "فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر". (١)

فقد نهي الله-عز وجل-عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي-صلى الله عليه وسلم-قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا". (٢)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات. انظر: فتح الباري (٨/ ٥٩٠) خ ٤٨٤٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المسجد. انظر: فتح الباري (١/ ٥٦٠) خ ٤٧٠.



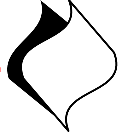
وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حيًا وفي قبره صلى الله عليه وسلم دائمًا.

ثم نهي عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم، ولهذا قال تبارك وتعالى: {وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} [الحجرات: الآية: ٢]، كما قال {لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا} [النور: الآية: ٣].

وقوله-عز وجل-: {أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: الآية: ٢]، أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض)). (١)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان. فتح الباري (١١/ ٣٠٨) ح ٦٤٧٨.



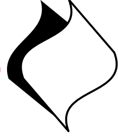
ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ} [الحجرات: الآية: ٣] أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا {لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات: الآية: ٣]". (١)

وجاء في الكشاف عند تفسير هذه الآيات قوله: "أعاد النداء عليهم- أي في قوله {يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي} استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك هممهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم.

وذلك لأن في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به، ومستعظم الحق لايدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه، وارتداعا بما يصده عنه، وانتهاء إلى كل خير.

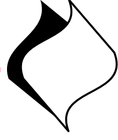
---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٥- ٢٠٦).



والمراد بقوله: {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: الآية: ٢]، أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم، وجهره باهرا لجهركم، حتى تكون ميزته عليكم لائحة، وسابقته واضحة، وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف، لا أن تغمروا صوته بلغطكم، وتبهروا منطقه بصخبكم.

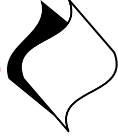
وبقوله {وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ} [الحجرات: الآية: ٢]، أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت، بل عليهم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول البين المقرب من الهمس الذي لا يضاهي الجهر، كما تكون مخاطبة المهيب المعظم، عاملين بقوله عز شأنه: {وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [الفتح: الآية: ٩]، وليس الغرض من رفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء، ويوقر الكبراء، فيتكلف الغض منه، ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير.



ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأتى به رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وهو ما كان منهم في حرب، أو مجادلة معاند، أو إرهاب عدو أو ما أشبهه، فلم ينهوا عن الجهر مطلقًا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه إلا بالهمس والمخافتة، وإنما نهوا عن جهر مقيد بصفة أعلى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم، وهو الخلو عن مراعاة أبهة النبوة، وجلالة مقدارها، وانحطاط سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها". (١)

"ومن البداهة أن هذه الآيات وأمثالها في تأديب الأمة وتعليمها إنما جاءت بأسلوبها المعجز لتفخيم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار رفعة قدره المنيف، وسمو منزلته صلى الله عليه وسلم فوق كل منزلة أحد من الخلق، وهي مسوقة في مواضعها من القرآن الكريم لتعليم الأمة أفرادا وجماعات الأدب الأكمل مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يتصل بمخاطبته والتحدث إليه، والإصغاء إلى حديثه، ومجالسته حتى يستشعر المؤمن بقلبه وروحه وكافة إحساساته ومشاعره ما أوجبه الله تعالى من توقيره صلى الله عليه وسلم توقيرا يجلي رفيع قدره،

(١) الكشاف (٣/ ٥٥٤، ٥٥٥).



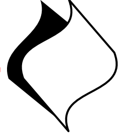
وعظيم مقامه، ويظهر تشريف الله تعالى له بما ميزه به على سائر الخلق، وقد اتفق أهل العلم من أئمة أعلام الأمة على أن حرمته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كحرمته في حياته". (١)

ثالثا: أن الله تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه فقال {أكثرهم لا يعقلون} ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال {ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم} أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة فكره إليهم النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لهم ما يجب عليهم وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم وحبب إليهم التوبة والإنابة، ورغبهم في المغفرة والرحمة.(٢)

---

(١) كتاب محمد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–منهج ورسالة تأليف محمد الصادق إبراهيم عرجون (٤/ ٣٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٨).

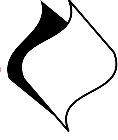


قال الحليمي "في هذه الآية يسلى الله نبيه–صلى الله عليه وسلم–بما أخبره من أن الذين يصيحون خارج منزله ولا يصبرون حتى يخرج إليهم إنما حملهم على ذاك جهلهم وقلة عقلهم وأكثرهم لا يهتدون إلى ما يلزمهم من تعظيمك في حال مخاطبتك". (١)

٣– وقال تعالى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ} [التوبة: الآية: ١٢٠].

قال الحليمي: "فأعلمهم أن نفس الرسول صلى الله عليه وسلم أكرم وأشرف وأزكى وأجمل من أنفسهم، فلا يسعهم من ذلك أن يصرفوا أنفسهم عمالا يصرف نفسه عنه فيتخلفوا عنه إذا خرج لجهاد أعداء الله معتذرين من شدة حر، أو طول طريق، أو عوز ماء، أو قلة زاد، بل يلزمهم متابعته ومشايعته على أي حال رضيها لنفسه، وفي هذا أعظم البيان لمن عقل، وأبين الدلالة على وجوب تعظيمه وإجلاله وتوقيره". (٢)

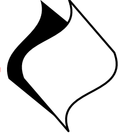
(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٨).
(٢) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٦).



٤- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ} [الأحزاب: الآية: ٥٣].

فنهاهم سبحانه وتعالى عن أن يعاملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوسع في الانبساط والإسترسال كما يعامل من لا يهاب ولا يتقى، فيدخل بيته بغير إذنه إذا دعاهم إلى طعام لم ينضج، وأحاطوا به منتظرين إدراكه وإذا حضر الطعام ودخلوا وطعموا لزموا مجالسهم مستأنسين بالمحادثة، وأخبرهم أن ذلك منهي عنه، إذ كان النبي-صلى الله عليه وسلم-قد تأذى منه ويستحى أن يكلمهم، كما أدبهم فيما ينبغي عليهم تجاه معاملتهم مع أزواجه-صلى الله عليه وسلم-وهذا كله مما يدل على ماله-صلى الله عليه وسلم-من التعظيم والاحترام.

٥- وقد جاء بعد هذه الآيات الأمر بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: الآية: ٥٦].

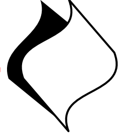


ووجه إيصال هذه الآية بما قبلها هو أنه لما كان من الواجب على المكلفين تعظيم النبي–صلى الله عليه وسلم–برفع الأذى عنه وإظهار شرفه وكرامته فذكر الله تعالى القسم الأول– أي رفع الأذى– في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} [الأحزاب: الآية: ٥٣]، إلى آخرها وذكر القسم الثاني– أي إظهار شرفه وكرامته– في هذه الآية الثانية، وبدأ بالأول لأن دفع المفاسد أهم.

وأيضا لما أرشد الله تعالى المؤمنين إلى تعظيمه–صلى الله عليه وسلم–بتعلم سلوك طريق الأدب معه في أشياء كثيرة تتعلق بحياته وموته إظهارا لشرفه وتعظيما له، عقبه بما يدل على أنه تعالى أيضا معظم لشأنه أيضا، وكذلك ملائكته المقربون حملة العرش وحفظته الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وفيه بيان لمنقبة عظيمة له صلى الله عليه وسلم فإن الملك قد يأمربإكرام شخص ولا يكون عنده بمكان فأزيل هذا التوهم وبين أنه أكرم الخلق على ربه تعالى.

وأيضا لما أرشد الله المؤمنين إلى الحال التي يجب أن يكونوا عليها مع نبيه–صلى الله عليه وسلم– من التعظيم والتوقير–ولهم معه حالتان:



١- حالة الخلوة: والواجب هناك عدم إزعاجه- بين ذلك بقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} [الأحزاب: الآية: ٥٣]

٢- وحالة الملأ: والواجب هناك إظهار التعظيم، بين ذلك بقوله: {صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: الآية: ٥٦].

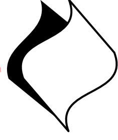
وأيضا لما أمر الله سبحانه وتعالى بالاستئذان في بيوته، وعدم النظر إلى وجوه زوجاته، وغير ذلك من الآداب إكراما وتبجيلا، كمل سبحانه بيان حرمته بقوله {صَلُّوا عَلَيْهِ} .

وأيضا لما بين الأدب معه في حال الخلوة، وكان حاله في الملأ نوعين، لأنه يكون أعلى وأسفل، فبين أنه في الأعلى محترم في غاية الاحترام ثم بين ما يجب على الملأ الأسفل من ذلك التعظيم بقوله {صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: الآية: ٥٦]. (١)

٦- وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} [الأحزاب: الآيات: ٥٧-٥٨].

---

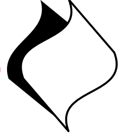
(١) الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر (ص ١٩- ٢٠).



فالله تعالى من تعظيمه لنبيه–صلى الله عليه وسلم–حفظ له كرامته وصان له حقه ففرق بين أذاه وأذى المؤمنين، فأوجب على من آذى النبي صلى الله عليه وسلم اللعن والطرد من رحمته وهذا حكم على من آذاه بالكفر وفي الآخرة له العذاب المهين ومصيره إلى جهنم وبئس المصير. بينما حكم على من آذى المؤمنين بالبهتان والإثم والفرق بين الحكمين ناتج عن الفرق بين حق النبي صلى الله عليه وسلم وحق غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في استدلاله بهذه الآية على وجوب قتل من أذى النبي–صلى الله عليه وسلم–: "ودلالتها من وجوه:

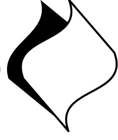
أحدها: أنه قرن أذاه بأذاه كما قرن طاعته بطاعته، فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوصا عنه، ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم. بين ذلك أن الله تعالى جعل محبة الله ورسوله، وإرضاء الله ورسوله وطاعة الله ورسوله شيئا واحدا فقال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة: الآية: ٤]، وقال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} [آل عمران: الآية: ١٣٢]، في مواضع متعددة، وقال تعالى: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ



أَن يُرْضُوهُ} [التوبة: الآية: ٦٢]، فوحد الضمير، وفي ذلك إشارة إلى أن إرضاء الله إرضاء للرسول وإرضاء الرسول فيه إرضاء لله، وقال أيضا {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} [الفتح: الآية: ١٠]، وقال أيضا: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} [الأنفال: الآية: ١].

وجعل شقاق الله ورسوله ومحادة الله ورسوله وأذى الله ورسوله ومعصية الله ورسوله شيئا واحدا، فقال: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الأنفال: الآية: ١٣]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة: الآية: ٥]، وقال تعالى: { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [التوبة: الآية: ٦٣]، وقال: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [النساء: الآية: ٤].

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا سبب سواه وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور.



وثانيها: أنه فرق بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتانا وإثما مبينا وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل.

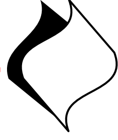
الثالث: أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا، واللعن: الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا فإن المؤمن يقرب إليها بعض الأوقات ولا يكون مباح الدم، لأن حقن الدم رحمة عظيمة من الله، فلا تثبت في حقه ... ". (١)

ومما يوضح ذلك أن سب النبي صلى الله عليه وسلم قد تعلق به عدة حقوق:

أ- حق الله سبحانه من حيث كفر برسوله وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة ومن حيث طعن في كتابه ودينه، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة، ومن حيث طعن في ألوهيته، فإن الطعن في الرسول طعن في المرسل، وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته.

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص ٤٠- ٤١).



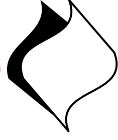
ب- وتعلق به حق جميع المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمته فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بوساطته وسفارته، فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين.

ج- وتعلق به حق رسول الله كلها من حيث خصوص نفسه فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله، وأكثر مما يؤذيه الضرب، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه، خصوصا من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة". (١)

٣-الصلاة والسلام عليه-صلى الله عليه وسلم.

فقد أمرنا الباري تبارك وتعالى أن نصلي ونسلم على نبينا-محمد صلى الله عليه وسلم-، وذلك تشريف منه عز وجل لنبيه ورسوله-صلى الله عليه وسلم-وإظهار للاحترام والتعظيم الذي شرعه في حقه فقد قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

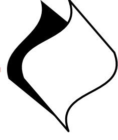
(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص ٣٩٣- ٣٩٤).



وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: الآية: ٥٦]، فهذه الآية فيها من تعظيم النبي–صلى الله عليه وسلم–والتنويه به ما ليس في غيرها، وذلك بسبب ما فيها من تمييز للنبي–صلى الله عليه وسلم–عند ذكره ولا شك أن ذلك فيه رفع لقدره وإعلاء لمكانته في حياته وبعد موته.

ولذلك فإن من أعظم شعب الإيمان الصلاة والسلام على النبي–صلى الله عليه وسلم–محبة له وأداء لحقه وتعظيما لقدره، والمواظبة عليها من باب أداء شكره–صلى الله عليه وسلم–، وشكره واجب لعظمة الإنعام به، فقد جعله الله سببا لنجاتنا من الجحيم، ودخولنا في دار النعيم، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب، ونيلنا السعادة من كل الأبواب.

وليست صلاتنا على النبي–صلى الله عليه وسلم–شفاعة منا له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فأرشدنا الله–لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا– إلى الصلاة عليه لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا وإفضاله علينا إذ لا إحسان لمخلوق أفضل من إحسانه–صلى الله عليه وسلم–، وكذلك فإن المقصود بصلاتنا على النبي–صلى الله عليه وسلم–هو التقرب إلى الله تعالى بامتثال ما أمر به، وقضاء لحق من حقوق لصطفى–صلى الله عليه وسلم–التي أوجبها الله علينا فحق على هذه



الأمة أن تعظم قدر نبيها وذلك بأن تكثر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم اتباعا لأمر ربها تبارك وتعالى وقياما بما لنبيها صلى الله عليه وسلم من الحق عليها. وقد اعتنى العلماء بهذه الخصيصة العظيمة فأفردوها بالتأليف وتناولوا في مؤلفاتهم تلك جوانب هذا الموضوع، من أشهر تلك المؤلفات وأجمعها كتاب "جلاء الأفهام" في الصلاة والسلام على خير الأنام للعلامة ابن القيم، بل هو أشهرها وأحسنها.

ومن تلك المؤلفات كتاب القول البديل في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي (ت: ٩٠٢ هـ). وقد ختم كتابه هذا ببيان الكتب المصنفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر جملة كبيرة من هذه الكتب مرتبة. (١)

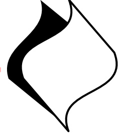
الأدلة:

أ- من القرآن:

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: الآية: ٥٦].

---

(١) انظر: القول البديع (ص ٢٥٨- ٢٥٩).



وهذه الآية هي الأصل في هذا الباب (١) والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها. (٢)

وهي مدنية النزول وقد جاءت بعد جملة من الآيات في سورة الأحزاب ذكر الله فيها عددا من حقوق نبيه صلى الله عليه وسلم وما خصه به دون أمته، من حل نكاحه لمن تهب نفسها له، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة من بعده، ومن سائر ما ذكر بعد ذلك من حقوقه وتعظيمه وتبجيله.

ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه في تكليمهن آباءهن وأبناءهن ودخولهم عليهن، وخلوتهم بهن.

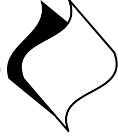
ثم عقب ذلك بما هو حق من حقوقه الأكيدة على أمته، وهو أمرهم بصلاتهم عليه وسلامهم، مستفتحا ذلك الأمر بإخباره بأنه هو وملائكته يصلون عليه". (٣)

---

(١) المنهاج للحليمي (٢/ ١٤٣).

(٢) انظر: القول البديع (ص: ٢١).

(٣) جلاء الأفهام (ص ١٧٤- ١٧٥).



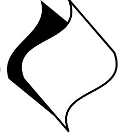
قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا". (١)

"فهذه الآية شرف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد موته". (٢) "وفيها تنبيه على كمال الرسول–صلى الله عليه وسلم–ورفعة درجته وعلو منزلته عند الله وعند خلقه ورفع ذكره، فقوله: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} أي يثني الله عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى، ويثني عليه الملائكة المقربون ويدعون له ويتضرعون.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٣٢) بتصرف.



{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: الآية: ٥٦]. اقتداء بالله وملائكته وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيما له-صلى الله عليه وسلم-ومحبة وإكراما وزيادة في حسناتكم وتكفيرا من سيئاتكم". (١)

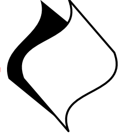
قال الحليمي: " وقد أمر الله تعالى في كتابه بالصلاة والتسليم عليه جملة فقال: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: الآية: ٥٦]، فأمر الله عباده أن يصلوا عليه ويسلموا، وقدم قبل أمرهم بذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل، إذ كانت الملائكة مع انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا أنهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق". (٢)

ب- من السنة النبوية:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (٦/١٢٠-١٢١).

(٢) المنهاج للحليمي (٢/ ١٣١).



ورد في شأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث التي وضحت وبينت ما يتعلق بشأن هذه الصلاة من جهة مشروعيتها وكيفيتها ومواطنها وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها.

وقد روى هذه الأحاديث ما جمع من الصحابة رضوان الله عليهم عدهم ابن القيم في كتابه "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام" فبلغوا اثنين وأربعين صحابيا.

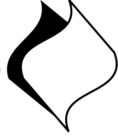
وقد جمع ابن القيم هذه الأحاديث وبين طرقها وصحيحها من حسنها ومعلولها، وما في معلولها من العلل بيانا شافيا.

قال ابن القيم: "إن طلب الصلاة من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو من أجل أدعية العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته". (١) يدلك على ذلك ما جاء في فضلها من الأحاديث.

فعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "من صلى على واحدة صلى عليه عشرا". (٢)

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٠).
(٢) رواه مسلم (٤٠٨).



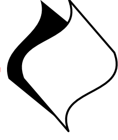
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)). (١)

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت: "يارسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال:((ما شئت)). "قلت: الربع؟" قال: ((ما شئت، وإن زدت فهو خير)). قلت: النصف؟ قال: ((ما شئت، وإن زدت فهو خير)). قلت: الثلثين؟ قال: ((ما شئت وإن زدت فهو خير)). قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: ((إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك)). (٢)

---

(١) رواه مسلم (٣٨٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٥٧) وأحمد (٢٠٧٣٦) وابن أبي شيبة في "المصنف" (٨٧٠٦) وعبد بن حميد في "المسند" (١٧٠) والبيهقي في "الشعب" (١٥٧٩). قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وحسنه المنذري في (الترغيب والترهيب)، وكذا حسنه الحافظ في "الفتح" (١١/١٦٨)، وأشار البيهقي في "الشعب" (٢/٢١٥) إلى تقويته، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب" (١٦٧٠) وغيره.



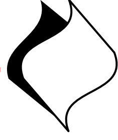
وللحديث طريق آخر عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أتاني آت من ربي فقال: ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرا)). فقام إليه رجل فقال: يارسول الله أجعل نصف دعائي لك؟ قال: ((إن شئت)). قال: ألا أجعل ثلثي دعائي لك؟ قال: ((إن شئت)). قال: ألا أجعل دعائي كله؟ قال: ((إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة)). (١)

وعن أنس بن مالك-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: ((من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا)). (٢)

---

(١) أخرجه اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص: ٨٧) ح رقم ١٣ وقال: قال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان: عمن أسنده؟ قال: لا أدري، وقال الألباني في تعليقه: هذا مرسل صحيح الإسناد، ويشهد له الحديث الذي بعده- يعني الحديث الذي تقدم ذكره.

(٢) أخرجه النسائي في عمل أليوم والليلة (ص ١٦٥) ح رقم ٦١ باب ثواب الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم-وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: ١٣٥، ١٣٦) ح رقم ٣٨٠.



وفي رواية: "من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات". (١)

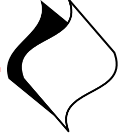
وفي رواية: ((من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات)). (٢)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٠٢، ٢٦١) . والبخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤، ٩٥) باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٦) ح ٦٣ باب ثواب الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم-. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن (٢٣٩٥).

(٢) أخرجه النسائي في السنن (٣/ ٥٠) باب الفضل في الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم وكذلك في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٥، ١٦٦) ح ٦٢، ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم-، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وكل من رواية "صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات". ورواية "صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات" جاءت من طريق بريد بن أبي مريم وقد جاء في بعض الروايات عن بريد بن أبي مريم عن الحسن عن أنس وفي بعضها عن بريد بن أبي مريم عن أنس، وقد ذكر ابن القيم أن هذه العلة لا تقدح فيه شيئًا، لأن الحسن لا شك في سماعه من أنس، وقد صح سماع بريد بن أبي مريم من أنس أيضًا هذا الحديث، فرواه ابن حبان في صحيحه موارد ٢٣٩٠ والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٠) من حديث يونس بن أبي إسحاق، عن بريد بن أبي مريم،

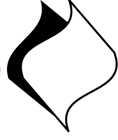


وقد ورد كذلك في فضل السلام على النبي-صلى الله عليه وسلم-ومواطنها عدد من الأحاديث أورد بعضا منها هنا:.

فالسلام على النبي-صلى الله عليه وسلم-مشروع في التشهد عند كل صلاة ففي الصحيحين عن ابن مسعود-رضي الله عنه-، قال: "كنا إذا كنا مع النبي-صلى الله عليه وسلم-في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان.

فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((لا تقولوا السلام على لله، فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله الصلوات الطيبات، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء

قال سمعت أنس بن مالك ... نذكره. ولعل بريدا سمعه من الحسن ثم سمعه من أنس، فحدث به على الوجهين، فإنه قال: كنت أزامل الحسن بن محمد، فقال حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره، ثم إنه حدثه به أنس فرواه عنه كما تقدم". جلاء الأفهام (ص: ٥٦) .



والأرض أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو)). (١)

وشرع السلام كذلك عند دخول المسجد والخروج منه.

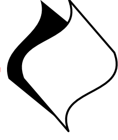
فعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال: بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك)). (٢)

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي–صلى الله عليه وسلم–، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد. وليس بواجب. فتح الباري (٢/٣٢٠) ح ٨٣٥. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (٢/ ١٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٧٧١) وغيره، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٦٢٥).



خرج فليسلم على النبي–صلى الله عليه وسلم–، وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم)).
(١)

وعن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام". (٢)

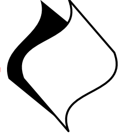
وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "ما من أحد يسلم علي إلا رد الله–عز وجل–إلى روحي حتى أرد عليه السلام". (٣)

---

(١) رواه ابن ماجه (٧٦٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٦٢٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٨٧، ١ ٤٤، ٤٥٢). وأخرجه النسائي ني السنن، كتاب السهو، باب السلام على النبي–صلى الله عليه وسلم– (٣/ ٤٣) . وأخرجه أيضا في اليوم الليلة، فضل السلام على النبي–صلى الله عليه وسلم–، ح ٦٦. وأخرجه الدارمي في السنن، كتاب الرقائق، باب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٢/ ٣١٧) ح ٢٧٧٧، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الأدعية، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: موارد الضمآن (ح ٢٣٩٣) . وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١١) ح ٢١، وقال ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٥٤) : إسناده صحيح..

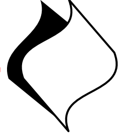
(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٢٧). وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب زيارة القبور (٢/ ٥٣٤) ح ٢٠٤١، وعزاه السخاوي في القول البديع (ص ١٦١) إلى الطبراني والبيهقي أيضا والحديث لا يسلم من مقال في إسناده. قال ابن عبد الهادى: أما المقال في إسناه فمن جهة



وبما تقدم من نصوص يعلم أن السلام هو حق من الحقوق التي للنبي-صلى الله عليه وسلم- على أمته، والمسلم مأمور بالقيام بهذا الحق حيث كان إما مطلقا، وإما عند الأسباب المؤكدة لذلك كما في التشهد وعند الدخول إلى المسجد أو الخروج منه. وهذا السلام فيه من الخاصية للنبي صلى الله عليه وسلم والفضل على هذه الأمة ما فيه. أما الخاصية التي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن تيمية: "فالأمر بالسلام عليه-صلى الله عليه وسلم-، مع الغيبة من خصائصه التي خصه الله بها، فلم يرد في الشرع الأمر بالسلام على معين مع مغيبه إلا عليه-صلى الله عليه

تفرد أبي صخر به عن ابن قسيط عن أبي هريرة. ولم يتابع ابن قسيط أحد في روايته عن أبي هريرة ولا تابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط. الصارم المنكي (ص ٢٥٠) وحميد بن زياد أبو صخر، ويزيد بن عبد الله بن قسيط فيهما كلام قال ابن عبد الهادي: وأبو صخر حميد بن زياد قد اختلف الأئمة في عدالته والاحتجاج بخبره مع الاضطراب في اسمه وكنيته واسم أبيه، فما تفرد به من الحديث ولم يتابعه عليه أحد لا ينهض الى درجة الصحة بل يستشهد به ويعتبر به. انتهي كلامه. وهذا الحديث مما تفرد به كما سبق بيانه من كلام ابن عبد الهادى. وقد ذكر ابن عبد الهادي أقوال أئمة الجرح والتعديل في كل من حميد بن زياد أبي صخر ويزيد بن عبد الله بن قسيط وقال في نهاية نقله والحديث إسناده مقارب وهو صالح أن يكون متابعا لغيره عاضدا له والله أعلم. الصارم المنكى (ص ٢٥٩) ..



وسلم-، وذلك كما في التشهد فليس فيه سلام على معين إلا عليه، وكذلك عند دخول المسجد والخروج منه". (١)

وأما الفضل الذي جعله الله لهذه الأمة بهذا السلام فهو جعله سبحانه وتعالى هذا السلام مطلقا لا يتكلف فيه المرء قطع المسافة ولا يشترط فيه اللقاء به في حياته أو المجيء إلى قبره بعد وفاته.

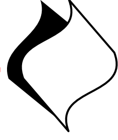
فالمسلم يسلم على النبي-صلى الله عليه وسلم-في أي مكان في هذه الدنيا وفي أي وقت وزمان يشاء وهذا من الفضل والنعمة التي امتن الله بها علينا.

٤-الإقرار ببشريته وعدم الغلو في حقه-صلى الله عليه وسلم-.

أما المعنى اللغوي للغلو:

جاء في مقاييس اللغة: الغين -واللام- والحرف المعتل -أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر. يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه. وغلا الرجل في الأمر غلوا، إذا جاوز حده.

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤١٢).



وغلا بسهمه غلوا، إذا رمى به سهما أقصى غايته. وتغالى النبت ارتفع وطال. وتغالى لحم الدابة: إذا انحسر عنه وبره، وذلك لا يكون إلا عن قوة وسمن وعلو ... الخ (١)

جاء في اللسان: ... "أصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء. وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده. وفي التنزيل: {لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} [النساء: الآية: ١٧١]. (٢)

وفي التهذيب " ... غلا السعر غلاء ممدود. وغلا في الدين يغلو غلوا: إذا تجاوز الحد ... ". (٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الغلو: هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك". (٤)

الغلو في الشرع:

هو مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل.

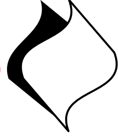
---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٧، ٣٨٨).

(٢) لسان العرب (١٥/ ١٣١، ١٣٢) مادة (غلا).

(٣) تهذيب اللغة (٨/ ١٩٥، ١٩٢).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦).

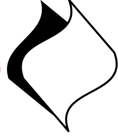


وقد جاء ذكر لفظ الغلو في القرآن الكريم في موضعين وكان الخطاب فيهما للنصارى باعتبارهم أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وأما الموضعان:

فأحدهما: في قوله تعالى {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: الآية: ١٧١].

والموضع الثاني: قوله تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: الآية: ٧٧].

قال ابن جرير الطبري: "يعني جل ثناؤه بقوله {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ}: يا أهل الإنجيل من النصارى {لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} يقول: " لا تتجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق فإن قيلكم في عيسى إنه ابن الله قول منكم على الله غير الحق، لأن الله لم يتخذ ولدا، فيكون عيسى أو غيره من خلقه ابنا {ولا تقولوا على الله إلا الحق} .

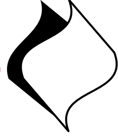


وأصل الغلو في كل شيء: مجاوزة حده الذي حده، ويقال منه في الدين قد غلا فهو يغلو غلوًا ". (١)

وقال في تفسير آية المائدة: وهذا خطاب من الله تعالى ذكره، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ} يعني بالكتاب الإنجيل {لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} يقول لا تفرطوا في القول فيما تدينون به في أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه: هو الله أو هو ابنه، ولكن قولوا: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه {وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا} يقول لا تتبعوا أيضا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه كما قالوا وتبهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية ... ". (٢)

وقال ابن كثير في تفسيره للآية الواردة في سورة النساء: "ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا

(١) تفسير الطبري (٦/٣٤).
(٢) تفسير الطبري (٦/٣١٦).



في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا ولهذا قال الله تعالى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} [التوبة: الآية: ٣١]". (١)

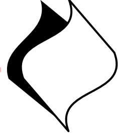
وقال عند تفسير آية سورة المائدة: "أي لا تتجاوزوا الحد في إتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما ... ". (٢)

والمتأمل للنصوص القرآنية يجد أن النصارى لم يكتفوا بالغلو في المسيح ورفعه إلى درجة الألوهية بل غلوا أيضا في حق أحبارهم ورهبانهم فأعطوهم حق التشريع والطاعة المطلقة والإتباع حتى فيما يخالف شرع الله وأحكامه. فكان الأحبار والرهبان يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله ويقررون شرائع وأحكاما ما أنزل الله بها من سلطان فتلقى النصارى ذلك كله بالقبول والطاعة.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٩).

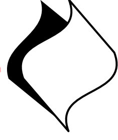
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٢).



قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: الآية: ٣١]، فهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، ولهذا قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا}أي الذي إذا حرم شيئا فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ {لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأنداد والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه". (١)

ولم يقتصر غلو النصارى عند الحد، بل قدسوهم أمواتا كما قدسوهم أحياء فأقاموا على قبورهم الأضرحة وقدموا لهم القرابين فكان ذلك سببا في لعنهم قال صلى الله عليه وسلم ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)). (٢). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنصارى أشد غلوا في ذلك من اليهود كما في الصحيحين: " أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما كنيسة بأرض الحبشة، وذكرتا من حسنها

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤١)، ومسلم (٥٢٩).



وتصاوير فيها. فقال: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنو على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)). (١)

والنصارى كثيرا ما يعظمون آثار القديسين منهم، فلا يستبعد أنهم ألقوا إلى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعض من يعظمه المسلمون ليوافقوهم على تعظيمه.

فالذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شبه شديد بالنصارى". (٢)

فالنصارى أمة ضلت وهلكت وكان سبب ضلالها وهلاكها غلوها وقد تجلى غلوها في عدة أمور منها:

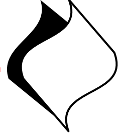
١- غلوهم في نبي الله عيسى ورفعه إلى مكانة الألوهية.

٢- غلوهم في رهبانهم وصالحيهم وذلك بإعطائهم حق التشريع في التحليل والتحريم، والعكوف على قبورهم وتقديسها بعد موتهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٦١، ٤٦٠).



٣- ابتداعهم الرهبانية.

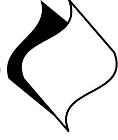
والله سبحانه وتعالى بذكره لأحوالهم في كتابه العزيز يحذرنا من الوقوع فيما وقعوا فيه، وفي هذا دعوة للاعتبار بالأمم السابقة ومعرفة سبب هلاكها وضرورة اجتنابه قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف: الآية: ١١١].

والغلو عند النصارى هدم أصلي الدين: ١- التوحيد، ٢- الإتباع.

فهم هدموا الأصل الأول بجعلهم عيسى في مقام الألوهية. وهدموا الأصل الثاني بأن جعلوا لرهبانهم حق التشريع والتحليل والتحريم.

فانظر كيف كان الغلو سببا لهدم الدين.

فإن المسيح قال لهم {اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} [المائدة: الآية: ١١٧]، وقال {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: الآية: ٦]، فلو امتثلوا أمره كانوا مطعين لرسول الله موحدين لله، ونالوا بذلك السعادة من الله في الدنيا والآخرة، ولكنهم غلوا فيه واتخذوه وأمه إلهين من دون الله، يستغيثون به وبغيره من الأنبياء والصالحين ويطلبون منهم ويشركون بهم، وكذبوا بالرسول الذي بشر به، وحرفوا التوراة



التي صدق بها وظنوا في ذلك أنهم معظمون للمسيح وكان هذا من جهلهم وضلالهم، فإنهم لو أطاعوه فيما دعاهم إليه لكان له مثل أجورهم، وكانت طاعتهم له والإقرار بعبوديته وبما بشر به فيه له ولهم من الأجر ما لا يحصيه إلا الله، ففوتوا هذا الأجر والثواب عليهم وعليه وله ولهم فيه الخير المستطاب واعتاضوا عن ذلك بما ضرهم في الدنيا والآخرة.

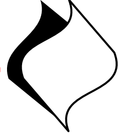
وإذا بين لهم قدر المسيح فقيل لهم {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} [المائدة: الآية: ٧٥].

قالوا: إن هذا تنقص بالمسيح وسب له واستخفاف بدرجته وسوء أدب معه، بل قالوا هذا كفر وجحد لحقه، وسلب لصفات الكمال الثابتة له.

وهذا في الحقيقة إنما هو نقص لما في نفوسهم من الغلو فيه لا نقص لنفس المسيح الموجود في نفس الأمر.

وفي ذلك من الحمد له والمدح وإعظامه والإيمان به وإعطائه الدرجة العلية ما ليس في الغلو فيه.

لأن في تقرير كمال عبوديته التي هي كمال الخلوق، وهذا هو الكمال فأما الغلو فيه إلى حد الربوبية فذاك خيال باطل لا كمال حاصل وفي إثبات العبودية له، إيمان به وموافقة لخبره وأمره،



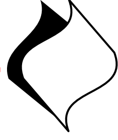
فيحصل له بذلك من الخير والرحمة ما لا يحصل له بالغلو فيه، الذي هو كذب فيه مكذوب عليه ومعصية له وإشراك بالله، وليس في ذلك ما ينفعه ولا ما يرفعه بل في ذلك ضرر على المشركين المفترين ". (١)

ولم يقتصر الغلو على النصارى وحدهم بل كان واقعا في الأمم قبلهم فالغلو كان أول خطوات الإنحراف عن الدين القويم والوقوع في الشرك.

فقد روى الطبري بسنده عن عكرمة قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ". (٢)

فكان مبدأ الشرك في قوم نوح، وكان سببه غلوهم في الصالحين فقد روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه باب قوله تعالى {وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح: الآية:]، عن ابن عباس أنه قال: " أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى

(١) الرد على البكري (ص ١٠٤- ١٠٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ٩٩).



قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت ". (١)

فالغلو في الصالحين هو الطامة الكبرى والبلية العظمى التي جنحت بالبشرية عن جادة الحق والصواب إلى ظلمات الشرك والضلال باتخاذ أنداد لله من خلقه واعتقاد أنها تملك شيئًا من خصائص الإلهية.

قال ابن القيم: "ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطائه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه.

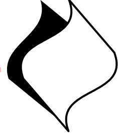
وهذا التشبيه الواقع في الأمم هو الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله". (٢)

ولهذا نهي الشارع الحكيم عن الغلو بشتى صوره وأشكاله وحذر منه وذلك لما له من آثار سيئة على الدين ولما فيه من منافاة لعقيدة التوحيد وهدم لأصلي الدين: التوحيد، والإتباع.

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٦٦٧).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٦).



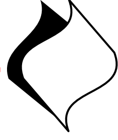
ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو في الدين وأخبر أنه سببا لهلاك من قبلنا من الأمم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: ((إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)). (١)

---

(١) أخرجه الأمام أحمد في المسند (١/ ٢١٥، ٣٤٧) . والنسائي في السنن (٥/ ٨ .١ ٢)كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى. وابن ماجه في سننه، أبراب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٢/ ١٨٣) ح ٣٠٦٤.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: رواه أحمد والنسائي وابن ماجة من حديث عوف بن أبي جميلة عن زيادة بن حصين عن أبي العالية عنه وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦) . وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢٧٨) ح ١٢٨٣ وقال في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١/٤٦) إسناده صحيح. وقد صححه ابن خزيمة والحاكم (١/٤٦٦) والذهبي والنووي وابن تيمية.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقوله "إياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال". (١)

وسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم لهذه العبارة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس غداة العقبة وهو على ناقته "القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: أيها الناس إياكم والغلو في الدين ... " الحديث.

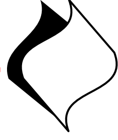
فسبب ورود الحديث ينبهنا إلى أمر هام جدا وهو أن الغلو قد يبدأ بشيء صغير ثم تتسع دائرته فتهلك بذلك أمم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه فالغلو فيه: مثل رمي الحجارة ونحو ذلك، بناء على أنه بالغ في الحصى الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك. كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه في النصارى". (٢)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٥٦).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦).



ولو لم يرد في السنة إلا هذا الحديث لكفى به زاجرا ورادعا للأمة عن الوقوع في الغلو، كيف والسنة مليئة بالأحاديث التي تحذر من الغلو وتبين خطره وهلاكه.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هلك المتنطعون)): قالها ثلاثا. (١)

قال النووي: "هلك المتنطعون": أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم". (٢)

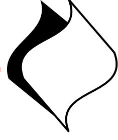
وقال أيضا: "المتنطعون: المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد". (٣)، فهذا الحديث موافق لما جاء في الحديث السابق من الإخبار بهلاك أصحاب الغلو. وهناك أحاديث كثيرة نهي فيها النبي–صلى الله عليه وسلم–أصحابه–رضوان الله عليهم–عن الغلو في جوانب معينة من الدين نذكر اثنين منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٨/ ٥٨).

(٢) شرح النووي (١٦/ ٢٢٠).

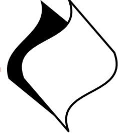
(٣) رياض الصالحين باب الاقتصاد في الطاعة (ص: ٨٨).



فعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي–صلى الله عليه وسلم–فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي–صلى الله عليه وسلم–وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ال فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)). (١)

فسمى النبي صلى الله عليه وسلم الغلو في جانب العبادات والسنن التي سنها لهم رغبة عن الشرع الذي جاء به، وتبرأ ممن هذه حاله، حتى وإن كان الدافع لذلك التقرب إلى الله تعالى ذلك لأن هذا الغلو فيه هدم للأصل الثاني من أصول هذا الدين ألا وهو الإتباع فنحن مأمورون بالاقتداء به–صلى الله عليه وسلم–والأخذ بسنته. والغلو في هذا الجانب مناقض تماما لهذا

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).



الأصل، ولذلك فلا غرابة أن يتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم ممن غلا في جانب ما سنه وشرعه للأمة.

لأنه لو فتح هذا الباب وولجته الأمة لأصبحت عبادة الله مجالا لأهواء الناس وعقولهم وبذلك يتلاشى دينها وتنطمس معالمه فتستحق بذلك غضب الله ومقته فتهلك كما هلكت الأمم السابقة.

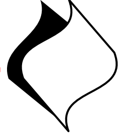
وعن أنس–رضي الله عنه–، قال: دخل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ((ما هذا الحبل؟)). قالوا: هذا حبل زينب فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد)) (١) وعند مسلم " حبل لزينب تصلي ".

قال ابن حجر: "وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها ... ". (٢)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة. انظر: فتح الباري (٣٦١٣) ح ١١٥٠. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومراجع الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته ... (١٨٩/٢).

(٢) فتح الباري (٣/ ٣٧).



وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته كذلك من الغلو في حقه-صلى الله عليه وسلم-.

وذلك لما ينطوي عليه الغلو من الشر العظيم، ولما يعلمه-صلى الله عليه وسلم-من منزلته في قلوب المؤمنين.

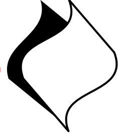
فقد خشي-صلى الله عليه وسلم-أن يدفعهم حبهم وتعظيمهم له إلى رفعه فوق منزلته التي جعلها الله له وتشريكه مع الله في بعض ما هو حق لله.

فحذرهم من الغلو في شخصه بأساليب مختلفة وذلك حماية منه لجناب التوحيد وقطعا لذريعة الشرك.

وقد جاء تحذره تارة بأسلوب النهي الصريح.

وتارة بالتجائه إلى ربه ودعائه بأن لا يتحول قبره إلى وثن يعبد.

وتارة بلعنة الغلاة الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.



فمما ورد عنه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فانما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله". (١)

قال ابن حجر: "الإطراء: المدح بالباطل تقول أطربت فلانا: مدحته فأفرطت في مدحه". (٢)

فمعنى الحديث: أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بذلك كما وصفني به ربى، وقولوا عبد الله ورسوله.

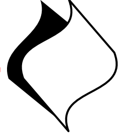
فأبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره، وارتكابا لنهيه، وناقضوه أعظم المناقضة وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد الله ورسوله، وأنه لا يدعى ولا يستغاث به، ولا ينذر له، ولا يطاف بحجرته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، أن في ذلك هضما لجنابه وغضا من قدره، فرفعوه فوق منزلته، وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب وغير ذلك من الأمور. (٣)

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٩٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٧٢- ٢٧٣).



وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب تلخيص الاستغاثة (١) عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول-صلى الله عليه وسلم-في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف فيه مصنفا. وكان يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله. وحكي عن آخر من جنسه يباشر التدريس وينسب إلى الفتيا أنه كان يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه.

ومن هؤلاء من يقول في قول الله تعالى: {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الأحزاب: الآية: ٤٢]، إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يسبح بكرة وأصيلا.

ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله فيجعلون الرسول معبودا ويقول قائلهم:

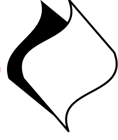
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من جوده، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ". (٢)

---

(١) الرد على البكري (ص: ٢١٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٧٣).



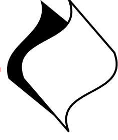
فانظر إلى ما أدى إليه هذا الإطراء من صرف أمور قد اختص بها الرب عز وجل فصرفت للنبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن ما على الرسول إلا البلاغ فقد سد النبي–صلى الله عليه وسلم– كل ذريعة مؤدية إلى الغلو والشرك حتى يبقى هذا الدين وسطا صافيا لا كدر فيه، وتبقى عقيدة التوحيد نقية قوية خالدة.

فلقد نهي الرسول الكريم عن المبالغة في مدحه لعلمه بأن هذه المبالغة بريد إلى الغلو ومدعاة للشرك والانحراف عن الطريق السوي.

وهذا من الحرص الكامل للرسول–صلى الله عليه وسلم–على حماية التوحيد، فبهذا النهي الشديد سد الرسول–صلى الله عليه وسلم–طريق الغلو.

والنهي عن المبالغة في الإطراء لا يعني التقليل من قدره وتوقيره فإن للتوقير والتعظيم وسائله المشروعة والتي سبق ذكرها.



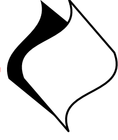
ولكن هناك أناس شق عليهم التوقير المشروع فلجأوا إلى التوقير الممنوع فنسجوا قصائد مطولة أغرقوا فيها بالمديح المجاوز للحد والمنافي لقواعد التوحيد والذي لا يرضى به الله ورسوله بل جاء التحذير منه بنص القرآن والسنة المطهرة.

"ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحرص الخلق على تجريد التوحيد حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: ((اجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده)). (١)

ونهى أن يحلف بغير الله، وأخبر أن ذلك شرك.

ونهي أن يصلى إلى القبر أو يتخذ مسجدا أو عيدا أو يوقد عليه سراج، بل مدار دينه على هذا الأصل–أي تجريد التوحيد– الذي هو قطب رحا النجاة، ولم يقرر أحد ما قرره–صلى الله

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧) ، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٥٤٥ ح ٩٨٧.

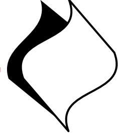


عليه وسلم-بقوله وفعله وسد الذرائع المنافية له، فتعظيمه-صلى الله عليه وسلم-بموافقته على ذلك لا مناقضته فيه". (١)

والغلو بشتى صوره وأشكاله مناف لأصلي التوحيد ويكفيك أن تعلم أن سبب عبادة الأصنام هو الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في الأم الذي أبطه الله سبحانه، وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله. فهو سبحانه ينفي، وينهي، أن يجعل غيره مثلا له، وندا له وشبها له. لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلته سبحانه مثلا لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوق أصلا وشبهت به الخالق، فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم.

وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك، غلوا فيمن يعظمونه، ويحبونه، حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله، وأنكروا جعل الألهة إلها واحدا وقالوا: {وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ} [ص: الآية: ٦]وصرحوا بأنه إله معبود، يرجى، ويخاف، ويعظم، ويسجد له ويحلف باسمه، وتقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٧٤).



لا تنبغي إلا لله تعالى. فكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده بالله سبحانه، وإن لم يشبه من كل وجه. (١)

فحقيقة الشرك هو التشبه بالخالق أو التشبيه للمخلوق به فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية.

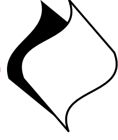
فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده.

فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا -فضلا عن غيره- شبيها لمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيديه، ومرجعها إليه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد.

فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات. ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٦).

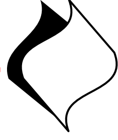


وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك عقلا وشرعا وفطرة أن يكون له وحده، ويمنع عقلا وشرعا وفطرة أن يكون لغيره. فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله.

ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

ومن خصائص الإلهية: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل، هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه وهذا من المحال أن تجئ به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم، وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها. ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسنى فأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه بما يوفق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور {يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ} [النور: الآية: ٣٥].



إذا عرف هذا فمن خصائص الإلهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به.

ومنها المتوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.

ومنها التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به.

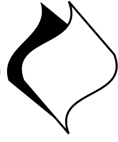
ومنها الحلف باسمه تعظيما وإجلالا له، فمن حلف بغيره فقد شبهه به. هذا في جانب التشبيه.

وأما في جانب التشبه به: فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه.

وفي الصحيح عنه–صلى الله عليه وسلم–قال: ((يقول الله عز وجل: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدا منهما عذبته)). (١)

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة، فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والإلهية؟ ففي الصحيحين عنه صلى الله عليه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر (٨/٣٦).



وسلم أنه قال: ((قال الله -عز وجل-: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة)). (١) فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر وقال -صلى الله عليه وسلم-: ((أشد الناس عذابا ئرم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم)) (٢)". (٣)

الفرق بين ها هو حق لله وحده لا يشركه فيه غيره وبين ما هو حق للرسول

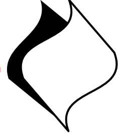
بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن دعاء ما سواه -لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة-. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: الآية: ٢٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى {والله خلقكم وما تعملون} فتح الباري (١٣/ ٥٢٨) ح ٧٥٥٩. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٦/ ١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة. فتح الباري (١٠/ ٨٢-٨٣) ح ٤٩٥٠-٤٩٥١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كثاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولاصورة (١٦١١٦).

(٣) الجواب الكافي (ص: ١٥٩-١٦١).



وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: الآية: ٣٦].

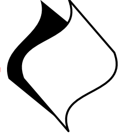
وقال تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف: الآية: ٤٥].

وقال تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: الآيتان: ٧٩-٨٠].

فدين الحق دين الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسله كما يدل عليه قولنا: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله".

فهذان الأصلان:

1 - توحيد الرب بالعبادة، ٢- الإيمان برسله.



2 - لابد منهما، ولهذا لا يدخل أحد في الإسلام حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ذلك لأن دين الإسلام مبني على هذين الأصلين ومن خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين.

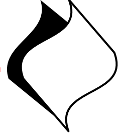
فلا إله إلا الله معناها أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا.

فإن الإله: هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيما وخوفا ورجاء وإجلالا وإكراما.

وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره، فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله.

وأما شهادة أن محمدا رسول الله فهي تعني ألا نعبد الله إلا بما شرعه على لسان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فهو المبلغ عن الله طاعته وأمره ونهيه وتحليله وتحريمه، فهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده.

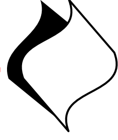
وليس للرسول واسطة في إجابة الدعاء، وكشف البلاء، والهداية، والإغناء ونحو ذلك.



فالله تعالى هو المتفرد بذلك فهو سبحانه الذي يسمع ويرى ويعلم السر والنجوى وهو القادر على إنزال النعم وإزالة الضر من غير احتياج منه إلى أن يعرفه أحد أحوال عباده أو يعينه على قضاء حوائجهم.

والأسباب التي بها يحصل ذلك هو خلقها ويسرها، فهو مسبب الأسباب التي يحصل بها ذلك ولهذا فرض سبحانه على المصلى أن يقول في صلاته {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: الآية: ٥].

فالله سبحانه أجل وأعظم وأغني وأعلى من أن يفتقر إلى شيء، بل هو الأحد الصمد وكل ما سواه مفتقر إليه، وهو مستغن عن كل ما سواه. وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: " قام فينا النبي–صلى الله عليه وسلم–فذكر الغلول وعظم أمره قال: ((لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يارسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك،



وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول يارسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك)) الحديث. (١)

فهؤلاء الذين بلغهم أخبر أنهم إذا استغاثوا به يوم القيامة وسألوه الشفاعة يقول لهم لا أملك لكم من الله شيئا قد أبلغتكم. (٢)

فعلى المسلم أن يفرق لأن ما هو حق لله وحده وبين ما هو حق لرسله.

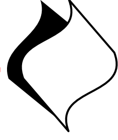
فالله أمرنا أن نؤمن بالأنبياء وما جاؤا به وفرض علينا طاعة الرسول الذي بعث إلينا ومحبته وتعزيره وتوقيره والتسليم لحكمه.

وأمرنا أيضا أن لا نعبد إلا الله وحده لا نشرك به شيئا ولا نتخذ الملائكة والنبيين أربابا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الغلول. انظر: فتح الباري (٦/ ١٨٥) ح ٣٠٧٣.
وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول (٦/ ١٠).

(٢) انظر: الرد على البكري (ص: ٥٢-٥٤) بتصرف.

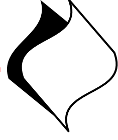


وفرق بين حقه الذي يختص به الذي لا يشركه فيه لا ملك ولا نبي.

وبين الحق الذي أوجبه علينا لملائكته وأنبيائه عموما ولمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل

وخير مرسل الذي جاءه بالوحي خصوصا، فإن الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، فاصطفي من الملائكة جبريل لرسالته واصطفي من البشر محمدا-صلى الله عليه وسلم-، وأخبر أن هذا القرآن الذي نزل به هذا الرسول إلى هذا الرسول مبلغا له عن الله قال تعالى: {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: الآية: ٩٧]، وقال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [الشعراء: الآيات: ١٩٢-١٩٥].

فالله أوجب علينا الإيمان بمحمد-صلى الله عليه وسلم-خصوصا وبالملك الذي جاءه بالقرآن. وأمرنا بالإيمان بالأنبياء كلهم وبجميع ما أوتوا كما قال تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: الآية: ١٣٦].



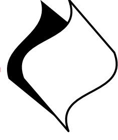
وقال تعالى: {ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين} [البقرة: الآية: ١٧٧].

وقال تعالى {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} [البقرة: الآية: ٢٨٥].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: الآية: ١٣٦].

فالأنبياء وسائط بين الله عز وجل وبين عباده في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده، وما أخبر به عن نفسه وملائكته وغير ذلك مما كان وسيكون. وسائر الأنبياء علينا أن نؤمن بهم، مجملا وذلك بأن كل ما أخبروا به عن الله فهو حق وأن طاعتهم فرض على من أرسلوا إليهم.

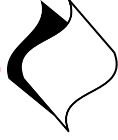
أما محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي أرسل إلينا وإلى جميع الخلق وقد ختم الله به الأنبياء وآتاه من الفضائل ما فضله به على غيره وجعله سيد ولد آدم وخصائصه وفضائله كثيرة وعظيمة لا يسعها هذا الموضع.



وقد أوجب الله علينا أن نطيعه في كل ما أوجبه وأمر به وأن نصدقه في كل ما أخبر به، كما سبق ذكر ذلك في الباب الأول من هذه الرسالة.

وهو سبحانه مع هذا كله نهانا عن الشرك بهم والغلو فيهم، وميز بين حقه تعالى وحقهم.

فقال تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: الآيتان: ٧٩-٨٠]. فهذا بيان أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر مع وجوب الإيمان بهم ما لم يحصل بعبادة الأوثان، فإن الأوثان تستحق الإهانة وأن تكسر كما كسر إبراهيم الأصنام وكما حرق موسى العجل ونسفه وكما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يكسر الأصنام ويهدم صوتها وقد قال تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء: الآية: ٩٨]. فإهانتها من تمام التوحيد والإيمان.



والملائكة والأنبياء بل الصالحون يستحقون المحبة والموالاة والتكريم والثناء. مع أنه يحرم الغلو فيهم والشرك بهم، فلهذا صار بعض الناس يزيد في التعظيم على ما يستحقونه فيصير شركا، وبعضهم يقصر عما يجب لهم من الحق فيصير فيه نوع من الكفر.

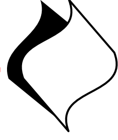
والصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو القيام بما أمر الله به ورسله في هذا وهذا.

والله تعالى يميز حقه من حق غيره ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد"

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: "أن يعبدوه ولا شركوا به شيئا، أتدرى يا معاذ ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟ " قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((أن لا يعذبهم)). (١) وقد قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠) باختلاف يسير.



شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [القصص: الآيتان: ٧٤-٧٥].

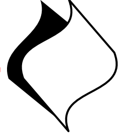
فالرسل كلهم نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم يبينون أن العبادة والتقوى حق لله وحده، وحق الرسل طاعتهم.

قال نوح عليه السلام {يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ} [نوح: الآيتان: ٢-٣].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: الآيات: (٦٥- ٧٣- ٨٥)].

وقال تعالى {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}. [الشعراء: الآيات: ١٠٥-١٠٨].

وكذلك قال سائر الرسل هود وصالح وشعيب كل يقول {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء الآيات: ١٢٦-١٣١-١٤٤-١٦٣-١٧٩].



وكذلك في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: الآية: ٥٢].

فجعل الطاعة لله والرسول. وجعل الخشية والتقوى لله وحده.

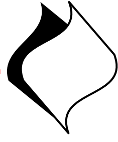
وقال تعالى: {لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح: الآية: ٩].

فالإيمان بالله والرسول، والتعزير والتوقير للرسول، وتعزيره، نصره ومنعه.

والتسبيح بكرة وأصيلا لله وحده، فإن ذلك من العبادة لله وحده والعبادة هي لله وحده.

وقال تعالى: { وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ} [النحل: الآيتان: ٥١-٥٢]. فأنكر سبحانه أن يتقى غيره كما أمر أن لا يرهب إلا إياه.

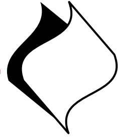
وقال تعالى: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} [البقرة: الآية: ١٥٠].



وقال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}. [التوبة: الآية: ١٨]. فقد أمر الله تعالى في غير موضع بأن يخشى ويخاف ولا يخشى ويخاف غيره. وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ}. [التوبة: الآية: ٥٩].

ففي الإيتاء قال {مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} كما قال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} [الحشر: الآية: ٧]، لأن الحلال ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله.

فما أعطاه الرسول للناس فهو حقهم بالقول والعمل كالفرائض التي قسمها الله وأعطى كل ذي حق حقه وكذلك من الفيء والصدقات ما أعطى فهو حقه، وما أباحه له فهو مباح، وما نهاه عنه فهو حرام عليه فلهذا قال تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ } [التوبة: الآية: ٥٩]، ولم يقل هنا ورسوله لأن الله تعالى وحده حسب عبده أي كافيه. لا يحتاج الرب في كفايته إلى أحد لا رسول ولا نبي، ولهذا لا تجئ هذه الكلمة إلا الله وحده

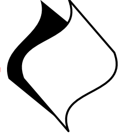


كقوله: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: الآية: ١٧٣].

وقال تعالى: {فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة: الآية: ١٢٩].

وقال تعالى {وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } [الأنفال: الآية: ٦٢]. إلى قوله {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: الآية: ٦٤]. أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين كما قاله جمهور أهل العلم. ومن قال إن الله ومن اتبعك حسبك فقد غلط، ولم يجعل الله وحده حسبه بل جعله وبعض المخلوقين حسبه، وهذا مخالف لسائر آيات القرآن.

وقال تعالى {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: الآية: ٣٦]. فهو وحده كاف عبده، وقال تعالى {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: الآية: ٣].



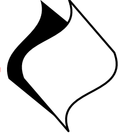
فلهذا قال تعالى {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} [التوبة: الآية: ٥٩]، ولم يقل ورسوله ثم قال {إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} [التوبة: الآية: ٥٩]، ولم يقل ورسوله بل جعل الرغبة إلى الله وحده كما قال { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب} [الشرح: الآيتان: ٧-٨].

فالرغبة تتضمن التوكل وقد أمر أن لا نتوكل إلا عليه كقوله {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا} [المائدة: الآية: ١١١]، وقوله {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: الآية: ٩٩].

فالتوكل على الله وحده، والرغبة إليه وحده، والرهبة منه وحده.

ليس لمخلوق لا الملائكة ولا الأنبياء في هذا حق كما ليس لهم حق في العبادة ولا يجوز أن نعبد إلا الله وحده ولا نخشى ولا نتقى إلا الله وحده كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: الآية: ٢].

فإذا قال القائل لا يجوز التوكل إلا على الله وحده، ولا العبادة إلا لله وحده ولا يتقى ولا يخشى إلا الله وحده لا الملائك ولا الأنبياء ولا غيرهم كان هذا تحقيقا للتوحيد.

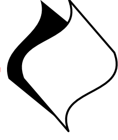


ولم يكن، هذا سبا لهم ولا تنقصا بهم ولا عيبا لهم وإن كان فيه بيان نقص درجتهم عن درجة الربوبية فنقص المخلوق عن الخالق من لوازم كل مخلوق. ويمتنع أن يكون المخلوق مثل الخالق.

والملائكة والأنبياء كلهم عباد الله يعبدونه كما قال تعالى {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء: الآية: ١٧٢].

وقال تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: الآيات: ٢٦-٢٩].

فإذا نفي عن مخلوق ملك أو نبي أو غيرهما ما كان من خصائص الربوبية وبين أنه عبد الله كان هذا حقا واجب القبول، وكان إثباته إطراء للمخلوق فإن دفعه عن ذلك كان عاصيا بل مشركا.



ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله)). (١)

فالله تعالى قد وصفه بالعبودية حين أرسله، وحين تحدى، وحين أسرى به فقال تعالى {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ} [الجن: الآية: ١٩].

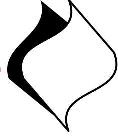
وقال تعالى {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} [البقرة: الآية: ٢٣].

وقال تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ} [الإسراء: الآية: ١].

وأهل الباطل يقولون لمن وصفهم بالعبودية إنه عابهم وسبهم ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).



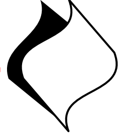
ولهذا لما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب -رضي لله عنه- ما تقول في المسيح عيسى؟ فقال: هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه رفع النجاشي عودا وقال: ما زاد المسيح على ما قلت هذا العود فنخرت بطارقته. (١) فقال: "وإن نخرتم". (٢)

فهم يجعلون قول الحق في المخلوق سبا له، وهم يسبون الله ويصفونه بالنقائص والعيوب كما في الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: ((يقول الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. أما تكذبه إياي أن يقول: إني

---

(١) أي تكلمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور. النهاية (٥/٣٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/٢٠١-٢٠٣) (٥/٢٩٠-٢٩٢) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢٤-٢٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٩٣-٢٩٥). وهو في سيرة ابن هشام (١/٢٨٩-٢٩١).



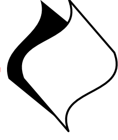
لن أعيده كما بدأته، وأما شتمه إياي أن يقول: اتخذ الله ولدا، وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد)). (١)

فقد أخبر سبحانه أن هؤلاء يسبونه، وقد كان معاذ بن جبل يقول عن النصارى: لا ترحموهم فقد سبوا الله سبة ما سبه إياها أحد من البشر. وهذا نظير ما ذكره الله تعالى عن المشركين بقوله {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ} [الأنبياء: الآية: ٣٦].

فكانوا ينكرون على محمد عليه السلام أن يذكر آلهتهم بما تستحقه وهم يكفرون بذكر الرحمن ولا ينكرون ذلك كما قال تعالى {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: الآية: ١٠٨].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ... } الآية (٢٨٧/٦) ح ٣١٩٣ وكذلك في كتاب التفسير، تفسير سورة الإخلاص. انظر فتح الباري (٧٣٩/٨) ح ٤٩٧٤، ٤٩٧٥.

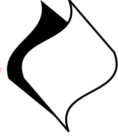


وهكذا من فيه شبهه من اليهود والنصارى والمشركين تجده يغلو في بعض المخلوقين من المشايخ والأئمة والأنبياء وغيرهم وإذا ذكروا بما يستحقونه أنكر ذلك ونفر منه وعادى من فعل ذلك وهو وأصحابه يستخفون بعبادة الله وحده وبحقه وبحرماته وشعائره ولا ينكر ذلك. ويحلف أحدهم بالله ويكذب ويحلف بمن يعظمه ويصدق ولا يستجيز الكذب إذا حلف به. وهؤلاء من جنس النصارى والمشركين وكذلك قد يعيبون من نهي عن شركهم كالحج إلى القبور التي يحجون إليها عادة وهم يستخفون بحرمة الحج إلى بيت الله ويجعلون الحج إلى القبور أفضل منه. وقد ينهون عن الحج اعتياضا إلى القبور ويقولون هذا الحج الأكبر.

ويرون النهي عن الحج إلى قبور الأنبياء والصالحين إخلالا بحقهم ومعاداة لهم ونحو ذلك.

وهم لا يرون الشرك بالله ودعاء غيره واتخاذ عباده من دونه أولياء إخلالا بحقه ومعاداة له.

ومعلوم أن المشركين من أعظم أعداء الله عز وجل قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِن

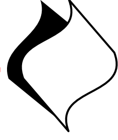


يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة: الآيات: ١-٤] فأمر بالتأسي بإبراهيم ومن معه لما تبرءوا من المشركين وما يعبده المشركون، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء حتى يؤمنوا بالله وحده. فالمشرك والآمر بالشرك والراضي به معاد لله، ومن عادى الله فقد عادى أنبياءه وأولياءه.

وأما من أمر بما جاءت به الرسل فلم يعادهم ولم يعاندهم قال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون: الآيات: ١-٦].

وهنا موضع يشكل على بعض الناس وذلك أنه قال عليه السلام في الحديث الصحيح: "

أصدق كلمة قد قالها شاعر كلمة لبيد



ألا كل شيء ما خلا الله باطل. (١)

وذلك مثل قوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [الحج: الآية: ٦٢].

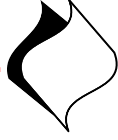
فالمراد بالباطل: ما لا ينفع، وكل ما سوى الله لا تنفع عبادته، وهذا يدخل فيه كل ما عبد من دون الله من الملائكة والأنبياء وهؤلاء قد سبقت لهم من الله الحسني فكيف يدخلون في الباطل؟.

وكذلك قوله: {فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ} [يونس: الآية: ٣٢]..

فيقال: إن المراد عبادتهم والعمل لهم باطل، وقد يقال عن الشيء أنه لا شيء لانتفاء المقصود منه ليس بشيء وكما قال صلى الله عليه وسلم عن الكهان لما سئل عنهم فقال: "ليسوا بشيء"

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية فتح الباري (١٤٩/٧) ح ٣٨٤١. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر (٤٩/٧).

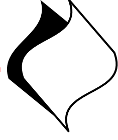


فقالوا إنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة)). (١) فهم ليسوا بشيء: أي لا ينتفع بهم فيما يقصد منهم، وهو الاستخبار عن الأمور الغائبة لأنهم يكذبون كثيرا فلا يدرى ما قالوه أهو صدق أم كذب. وهم مع ذلك موجودون يضلون ويضلون.

فقوله: "ليس بشيء" مثل قوله: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل" وقوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [الحج: الآية: ٦٢]، فهو من جهة كونه معبودا باطل لا ينتفع به ولا يحصل لعابده مقصود العبادة وإن كان من جهة أخرى هو شمس وقمر ينتفع بضيائه ونوره وهو يسجد لله ويسبحه. وكذلك الملائكة والأنبياء إذا نفي عنهم كونهم آلهة معبودين وتبين أن عبادتهم عمل باطل لا ينتفع به، لم ينف ذلك ما يستحقونه من الإجلال والإكرام وعلو قدرهم عند الله تعالى.

---

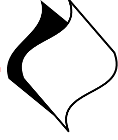
(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٧/٣٦).



والتبري من عبادتهم وكونهم معبودين، لا من موالاتهم والإيمان بهم وقولهم {إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ} [الممتحنة: الآية: ٤]، أي ومن عبادتهم ومن كونهم معبودين كما قال الخليل عليه السلام: {يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام: الآية: ٧٨]، فهو بريء من كل شريك لله من جهة كونه جعل شريكا وندا لله ولم يبرأ منه من جهات أخرى.

فإبراهيم لم يبرأ من الشمس والقمر والكواكب من جهة كونها مسخرة لمنافع العباد وكونها تسجد لله وتسبحه وكونها من آياته العظيمة بل من جهة كونها

شركاء لله. أما الأوثان ونحوها فتعادى مطلقا. والشمس والقمر والملائكة والكواكب تعادى عبادتها وكونها آلهة معبودة فتبغض من هذه الجهات وتعادى، مع وجوب الإيمان بالملائكة وإذا قيل للنصارى نحن براء من شرككم ومما تعبدون من دون الله. وقد قال تعالى: {قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [المائدة: الآية: ٧٦]. هذا بعد قوله: {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} [المائدة: الآية: ٧٥].

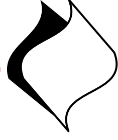


فالبراءة من كل معبود سوى الله كالبراءة من كل إله سوى الله، وذلك براءة من الشرك ومن كل ما سوى الله معبودا، وليس هو براءة من المسيح من جهة كونه رسولا كريما وجيها عند الله، بل براءة مما قيل فيه من الباطل لا من الحق. والمسيح والملائكة وغيرهم يتبرؤن ممن عبدوهم ويعادونهم ولا يوالونهم قال الله تعالى { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ }. [سبأ: الآيات: ٤٠-٤١].

وقال تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا} [الفرقان: الآيات: ١٧-١٨].

وقال تعالى {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ} [الكهف: الآية: ١٠٢]، وقال تعالى {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى: الآية: ٩].

وقال تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا} [الأنعام: الآية: ١٤].



وهو سبحانه لم ينه عن موالاتهم فمن أحبهم ووالاهم فهو موحد ومن جعلهم أندادا أحبهم كما يحب الله فهو مشرك كافر. فالحب لله توحيد وإيمان. والحب كما يحب الله شرك وكفر.

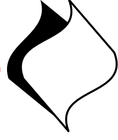
وكذلك الشفاعة قال تعالى: {مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ} [السجدة: الآية: ٤].

وقال تعالى {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: الآية: ٢٥٥].

فتبين أنه لا تنفع شفاعة الملائكة والأنبياء ولا غيرهم إلا لمن أذن له حتى ((إذا قضى بالأمر ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله تعالى كأنه سلسلة على صفوان)) (١) وصعقوا فلا يعلمون ما قال: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: الآية: ٢٣]، فحينئذ يعلمون ما قضى به، فكيف يضفعون بدودت إذنه؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة سبأ، باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير) . فتح الباري (٨/ ٥٣٧-٥٣٨) ح ٤٨٠٠.

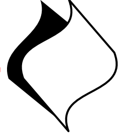


قال الله تعالى: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء: الآيتان: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} [الزمر: الآية: ٤٣].

وأوجه الشفعاء وأول شافع يوم القيامة محمد-صلى الله عليه وسلم-وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أحاديث الشفاعة أن الناس يوم القيامة إذا ذهبوا إلى آدم ليشفع لهم يردهم إلى نوح ونوح إلى إبراهيم وإبراهيم إلى موسى وموسى إلى المسيح والمسيح إلى محمد-صلى الله عليهم وسلم أجمعين-فيقول اذهبوا إلى محمد فإنه عبد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال صلى الله عليه وسلم ((فيأتوني فأذهب إلى ربي فإذا رأيت ربي خررت ساجدا وأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن وحينئذ فيقول الله تعالى "أي محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه واشفع تشفع" قال فأقول: أي رب أمتي فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة)) وكذلك ذكر في الثانية والثالثة. (١)

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠).

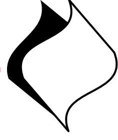


وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قلت: يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ " الحديث إلى أن قال-صلى الله عليه وسلم-: ((أسعد الناس بشفاعتى من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)). (١)

فقد بين أوجه الشفعاء أنه إذا أتى يبدأ بالسجود لله والحمد لله لا يبدأ بالشفاعة حتى يؤذن له فإن أذن له فحينئذ يشفع، فإذا شفع حد له حدا فيدخلهم الجنة، وبين أن أولى الناس بشفاعته من كان أعظم إخلاصا وتوحيدا لا من كان سائلا وطالبا منه أو من غيره. فالأمر كله لله وحده لا شريك له هو الذي يأذن في الشفاعة وهو الذي يقبل شفاعة الشفيع فيمن يختار قال تعالى {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [القصص: الآية: ٦٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

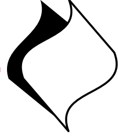


فالذين يخالفون شريعة الأنبياء ويغلون فيهم ويقولون إنهم يحبونهم ويوالونهم ويعظمونهم بذلك، فالأنبياء يتبرءون منهم، ومحمد صلى الله عليه وسلم بريء من عمل يخالف أمره وسنته قال الله تعالى {فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} [الشعراء: الآية: ٢١٦].

ولا ينفع من عصى الرسول أن يقول قصدي تعظيمهم فإنه إنما أمر بطاعتهم ولم يأمر أن يعبد الله بالظن وما تهوى الأنفس، قال الله تعالى {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} [المائدة: الآيتان: ١١٦-١١٧].

فقد أخبر أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به أن يعبدوا الله وحده وكذلك سائر الانبياء قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: الآية: ٢٥].

وهو سبحانه انما يعبد بما شرع من الدين، لا يعبد بما شرع من الدين بغير إذنه فإن ذلك شرك قال الله تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} [الشورى: الآية: ٢١].



وقال تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} [الشورى: الآية: ١٣]. والدين الذي شرعه إما واجب أو مستحب فكل من عبد عبادة ليست واجبة في شرع الرسول ولا مستحبة كانخا من الشرك والبدع، وكلما تدبر الإنسان ما أمر به وشرعه تبين له أنه جمع في شرعه بين كمال توحيد الرب واخلاص الدين له.

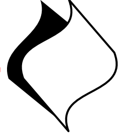
وبين كمال طاعة الرسل وتعزيرهم ومحبتهم وموالاتهم ومتابعتهم فأسعد الناس في الدنيا والآخرة أتبعهم للرسول باطنا وظاهرا صلى الله عليه وسلم تسليما. (١)

فهذا هو صراط الله المستقيم قال تعالى {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: الآية: ١٥٣].

ولما أمرنا الله أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين. كان ذلك

---

(١) الرد على الأخنائي (٣٣٣- ٣٨٨) بتصرف.

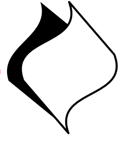


مما لحين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين. (١) والمغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى. (٢)

وقد افترق اليهود والنصارى في شأن الأنبياء، فاليهود جفوا عنهم فكذبوهم وقتلوهم كما أخبر الله عنهم بقوله {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: الآية: ٨٧]، والنصارى غلوا فيهم فأشركوا بهم حتى كفروا بالله تعالى قال تعالى {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٦٥).

(٢) كتاب الله يدل على ذلك فقد قال الله في حق اليهود {فباءوا بغضب على غضب}، وقال في النصارى {قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل} .



خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: الآية: ١٧١].

فبالإيمان بهم وتصديقهم وطاعتهم يخرج المسلم عن مشابهة اليهود وبعبادة الله وحده والاعتراف بأنهم عباد الله لا يجوز اتخاذهم أربابا إلا اك ك بهم والغلو فيهم يخرج عن مشابهة النصارى.

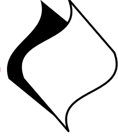
فإن اتخاذهم أربابا كفر تال الله تعالى {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: الآية: ٨٠]، والنصارى يشركون بمن دون المسيح من الأحبار والرهبان قال تعالى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} [التوبة: الآية: ٣١]، فمن غلا فيهم واتخذهم أربابا فهو كافر.

ومن كذب شيئا مما جاؤا به أو سبهم أو عابهم أو عاداهم فهو كافر.

فلابد من رعاية هذا الأصل. (١)

---

(١) الرد على الأخنائي (ص: ٣٢٤-٣٢٥).



وكان السلف يرون أن من انحرف من العلماء عن الصراط المستقيم ففيه شبه من اليهود كما ئرى في أحوال منحرفة أهل العلم من تحريف الكلم عن مواضعه، وقسوة القلوب، والبخل بالعلم وغير ذلك.

ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى كما ئرى في منحرفة أهل العبادة من الغلو في الأنبياء والصالحين وغير ذلك. (١)

والغلو في هذه الأمة وقع في طائفتين:

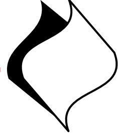
الطائفة الأولى: طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية.

الطائفة الثانية: طائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين. (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٦٥) بتصرف.

(٢) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٩٢) والرد على البكري (ص: ١٠٥، ١٠٦).



فمن توهم في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئا من الألوهية والربوبية فهو من جنس النصارى.

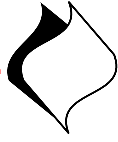
وإنما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم قال تعالى في خطابه لبني إسرائيل {وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [المائدة: الآية: ١٢].

والتعزير: النصر والتوقير والتأييد.

وقال تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} [الفتح: الآيتان: ٨-٩]. فهذا في حق الرسول، ثم قال في حق الله تعالى {وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح: الآية: ٩].

وقال تعالى {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: الآية: ١٥٧].

وقال تعالى {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران: الآية: ٣١].



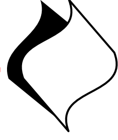
وقال تعالى {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} [آل عمران: الآية: ٣٢]، وذكر طاعة الرسول في أكثر من ثلاثين موضعا.

وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: الآية: ٥٦].

وقال تعالى {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا} [التوبة: الآية: ٢٤]، فقد بين الله في كتابه حقوق الرسول من الطاعة له، ومحبته، وتعزيره، وتوقيره، ونصره، وتحكيمه، والرضى بحكمه، والتسليم له واتباعه والصلاة والتسليم عليه، وتقديمه على النفس والأهل والمال، ورد ما يتنازع فيه إليه وغير ذلك من الحقوق.

وأخبر أن طاعته طاعته فقال: {مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: الآية: ٨٠]، ومبايعته مبايعته فقال {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} [الفتح: الآية: ١٠].

وقرن بين اسمه واسمه في المحبة فقال {أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة: الآية: ٢٤]، وفي الأذى فقال {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الأحزاب: الآية: ٥٧]، وفي الطاعة والمعصية



فقال {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [النساء: الآية: ١٣]، {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [النساء: الآية: ١٤]، وفي الرضا فقال {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ} [التوبة: الآية: ٦٢].

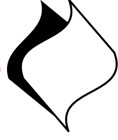
فهذا ونحوه هو الذي يستحقه رسول الله بأبي هو وأمي.

فأما العبادة والاستعانة فلله وحده لا شريك له كما قال {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: الآية: ٣٦].

نماذج من الغلو في حق النبي –صلى الله عليه وسلم–.

أ– ما يسمى بـ (الحقيقة المحمدية) :

وهي أسطورة من أساطير الصوفية، نسجها خيالهم المريض، وأوهامهم الفاسدة، فهي كذبة ليس لها رصيد من الواقع، بل هي مناقضة تماما لما أخبر به الله تعالى وقرره في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. أما عن فحوى هذه الأسطورة فيقول قائلهم:"اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها



وسفلها ... ثم انبخست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح فهو الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات". (١)

ويقول آخر: "اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأراضين وجنات وحجبا وما فوقها وما تحتها إذا اجتمعت كلها وجدت بعضا من نور النبي، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت". (٢)

وفي هذا يقول شاعرهم:

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى ... فردا لفرد، والبرية في عدم

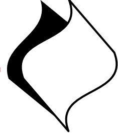
ثم استمد جميع مخلوقاته ... من نورك السامي، فيا عظم الكرم

فلذا إليك الخلق تفزع كلهم ... في هذه الدنيا، وفي اليوم الأهم

---

(١) الأنوار المحمدية (ص ٩).

(٢) هذه هي الصوفية (ص ٨٧).



وإذا دعتهم كربة فرجتها ... حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم. (١)

وهذا الزعم الباطل تضمن ثلاث دعاوى كلها كذب وافتراء.

الدعوى الأولى: دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق من نور رب العالمين.

الدعوى الثانية: أنه وجد قبل خلق آدم.

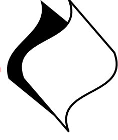
الدعوى الثالثة: أن الأشياء خلقت منه.

وكل دعوى من هذه الدعاوى هي أكذب من أختها، وقد قال بها جميعا بعض الغلاة المنتسبين إلى الإسلام مضاهاة لقول النصارى في عيسى، ويروون في ذلك أحاديث، وكلها كذب، فمن هؤلاء الغلاة من يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال إني كلى بشر فقد كفر، ومن قال لست ببشر فقد كفر" وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث. (٢)

---

(١)الأبيات لأحمد بن عبد المنعم الحلواني من قصيدته المستجيرة (نقلا عن كتاب هذه الصوفية) (ص ٨٧) .

(٢)الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٠٠- ٢٠١) بتصرف .



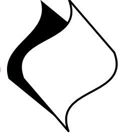
ومنهم من يروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأراضين ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربع أجزاء فخلق من الأول أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله". (١)

وهذا الحديث باطل قال عنه السيوطي: "ليس له إسناد يعتمد عليه". (٢)

---

(١) الرد على البكري (ص ٨- ٩).

(٢) الحاوي للفتاوى (١/ ٣٢٥).



ولا يخفي على من له أدني معرفة بنصوص القرآن والسنة ما في هذا الخبر المكذوب من المخالفات والمغالطات، ولا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه. وكذلك مما يرونه "كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين."

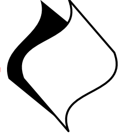
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحدا من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حينئذ موجودا وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه "أنه كان نورا حول العرش، فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور". (١)

ومن العجيب أن كثيرا من الناس صاروا يتناقلون مثل هذه الأخبار المفتراة حتى أصبحت عندهم عقيدة راسخة في قلوبهم.

---

(١) الأنوار المحمدية (ص: ١٣).



ومما يبين كذب هذه الدعاوى ويظهر زيفها مخالفتها لنصوص الكتاب والسنة.

فقد أخبرنا عز وجل عن أصل ما خلق منه الإنس والجن فقال تعالى { خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ}. [الرحمن: الآيتان: ١٤-١٥].

والنبي صلى الله عليه وسلم بشر خلق مما خلق منه باقي البشر فلا ميزة له في هذا الشأن عن باقي البشر قال تعالى {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا} [الإسراء: الآية: ٩٣].

وقال تعالى {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ}. [الأحقاف: الآية: ٩].

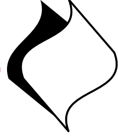
والآيات في هذا الشأن، وفي شأن خلق السموات والأرض وكذا الأحاديث الثابتة كثيرة وكلها تخالف هذا الخبر المذكور وتبين زيفه وبطلانه. (١)

ب- دعوى أن الدنيا خلقت من أجل النبي-صلى الله عليه وسلم-:

وفي هذا يقول قائلهم

---

(١) انظر في هذا الشأن رسالة تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق.



وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم (١)

وقول الآخر ممن هو من نقطة وشكله

لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم (٢)

ويستند هؤلاء على أحاديث موضوعة وأخبار مكذوبة منها حدثا "لولاك ما خلقت الأفلاك" وهو موضوع. (٣)

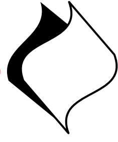
---

(١) ديوان البوصيري (ص: ٢٤٠) . تنبيه الحذاق (ص: ٢٧).

(٢) تنبيه الحذاق (ص: ٢٧).

(٣) لا أصل له مرفوعا إنما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٤، ٦١٥) من طريق عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: فذكره موقوفا وقال: "صحيح الإسناد" وتعقبه الذهبي بقوله "أظنه موضوعا على سعيد".

وقد قال الذهبي في الميزان (٣/ ٢٤٦) عند ترجمته لعمرو بن أوس الذي روى هذا الحديث عن سعيد ما نصه: "عمرو بن أوس يجهل حاله أتى بخبر منكر، أخرجه الحاكم في مستدركه، وأظنه موضوعا من طريق جندل بن والق" ثم ذكر نص هذا الحديث. ووافقه ابن حجر في اللسان (٤/ ٣٥٤) ..



وعن ابن عباس –رضي الله عنهما–، قال: أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت جنة ولا نار ... ". (١)

وهذه الأحاديث الموضوعة وأمثالها لا يمكن أن يعول عليها في إثبات أمر شرعي كهذا.

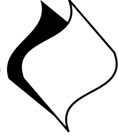
أضف إلى ذلك مخالفتها للشرع فالذي تدل عليه النصوص الشرعية أن الله عز وجل إنما خلق الجن والإنس لغاية ذكرها في القرآن الكريم حيث قال عز وجل {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}. [الذاريات: الآية: ٥٦].

قال ابن كثير: "ومعني الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب". (٢) وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}. [هود: الآية: ٧].

---

(١) . قاله الصغاني في الأحاديث الموضوعة (ص ٧) ، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص ٣٢٦) وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم ٢٨٢

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٨).



وقال تعالى {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}. [الملك: الآية: ٢].

وقال تعالى {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}. [الكهف: الآية: ٧].

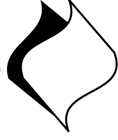
فصرح جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

فهذه هي الحكمة من خلقهم أولًا وبعثهم ثانيًا. (١)

والنصوص من آيات وأحاديث كلها تؤكد هذا الأمر وتدل عليه، وفي الوقت نفسه تبطل ما زعمه الغلاة من أن الغاية من خلق الخلق هي من أجل محمد-صلى الله عليه وسلم-.

---

(١) انظر أضواء البيان (٧/ ٦٧٣- ٦٧٧).



فهذه الدعاوى يعرف بطلانها من له أدنى بصيرة في نصوص الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم قد أعطاه الله خصائص وفضائل كثيرة تدل على فضله ومكانته، فليس هو بحاجة إلى أن ترفع مكانته ويبين شرفة بمثل هذه الأخبار الباطلة الموضوعة.

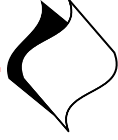
ج- دعوى الغلاة: جواز صرف بعض جوانب العبادة له صلى الله عليه وسلم:

وقد تفنن الغلاة في هذا

"فمن قائل يقول إنه يستغاث به في كل يستغاث فيه بالخالق بمعني أنه يطلب منه كما يطلب من الخالق.

فهؤلاء جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه الناس ما يطلبونه من الله تعالى.

فآذوا الرسول وأساؤا في حقه إذ سألوه ما لا يقدر عليه مخلوق وسووه برب العالمين وسلطوا عليه العامة، فهذا يطلب منه إنزال المطر، وهذا يطلب منه غفران الذنوب، وهذا يطب منه النصر على الأعداء، وهذا يطلب منه أن يتزوج، وهذا يطلب منه الولد.



وهذا يطلب منه المعيشة وهذا يطلب منه الملك، وهذا يطلب منه الولاية، وهذا يطلب منه قضاء دينه، وهذا يطلب منه شفاء مريضه إلى غير ذلك من الأمور فنزلوا المخلوق منزلة الإله وطلبوا منه من جلب المنافع ودفع المضار ما لا يقدر عليه إلا الله". (١)

ومن نظم بعضهم في هذا قوله:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

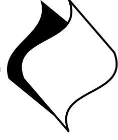
إن لم يكن في معادى آخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم. (٢)

فنفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث، إلا النبي–صلى الله عليه وسلم–وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا إياه سبحانه وتعالى.

---

(١) الرد على البكري (ص ٣٣٥، ٣٣٦) بتصرف.

(٢) ديوان البوصيري (ص ٢٤٨).



ودعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك الشرك في الإلهية. (١)

ومن شعر بعضهم قوله:

ماذا تعامل يا شمس النبوة من ... أضحى إليك من الأشواق في كبدي

فامنع جناب صريع لا صريخ له ... نائي المزار غريب الدار مبتعدي

حليف ودك واه الصبر منتظر ... لغارة منك يا ركني ويا عضدي

أسير ذنبي وزلاتي ولا عمل ... أرجو النجاة به إن أما لم تجد

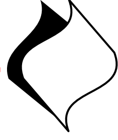
وجرى في شركه والى أن قال:

وحل عقدة كربي يا محمد من ... هم على خطرات القلب مطرد

أرجوك في سكرات الموت تشهدني ... كيما يهون إذ الأنفاس في صعد

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٨٧).



وإن نزلت ضريحا لا أنيس به ... فكن أنيس وحيد فيه منفرد

وارحم مؤلفها عبد الرحيم ومن ... يليه من أجله وانعشه وافتقد

وإن دعا فأجبه واحم جانبه ... من حاسد شامت أو ظالم نكد

وقوله من أخرى:

يا رسول الله يا ذا الفضل يا ... بهجة الحشر جاها ومقاما

عد على عبد الرحيم الملتجي ... بحمى عزك يا غوث اليتامى

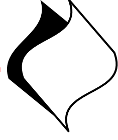
وأقلني عثرتي يا سيدي ... في اكتساب الذنب في خمسين عاما

وقوله:

يا سيدي يا رسول الله يا أملي ... ويا موئلي يا ملاذي يوم يلقاني

هبني بجاهك ما قدت من زلل ... جودا أو رجح بفضل منك ميزاني

واسمع دعائي واكشف ما يساورني ... من الخطوب ونفسه كل أحزاني



فأنت أقرب من ترجى عواطفه ... عندي وإن بعدت داري وأوطاني

إني دعوتك من نيابتي برع ... وأنت اسمع من يدعوه ذو شأن

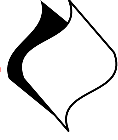
فامنع جنابي وأكرمني وصل نسبي ... برحمة وكرامات وغفران

لقد أنسانا هذا ما قبله، وهذا بعينه هو الذي ادعته النصارى في عيسى عليه السلام، إلا أن أولئك أطلقوا عليه اسم الإله، وهذا لم يطقه ولكن أتى بلباب دعواهم وخلاصتها، وترك الاسم، إذ في الاسم نوع تمييز، فرأى الشيطان أن الإتيان بالمعني دون الاسم أقرب إلى ترويج الباطل، وقبوله عند ذوى العقول السخيفة، إذ كان من المتقرر عند الأمة المحمدية أن دعوى النصارى في عيسى عليه السلام كفر، فلو أتاهم بدعوى النصارى اسما ومعنى لردوه وأنكروه، فأخذ المعنى وأعطاه البرعى وإضرابه، وترك الاسم للنصارى وإلا فما ندرى ماذا أبقى هذا المتكلم الخبيث للخالق تعالى وتقدس من سؤال مطلب أو تحصيل مأرب، فالله المستعان. (١)

ويقول صاحب المواهب اللدنية: وينبغي للزائر -لقبره- أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به لا فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه فإن كلا من

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٨٩-١٩٠).



الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي صلى الله عليه وسلم واقع في كل حال كل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة. (١)

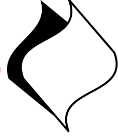
ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الحج إلى الكعبة وأن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة بالله تعالى ودعائه. (٢)

ومنهم من يظن أن الرسول يعلم ذنوبه وحوائجه وإن لم يذكرها وأنه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه ويقدر على ما يقدر عليه الله ويعلم ما يعلمه الله". (٣)

ومنهم من يقول "إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان" يريدون بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود، ولا من مكان إلا هو فيه موجود. (٤)

---

(١) انظر الأنوار المحمدية (ص ٦٠٤).
(٢) الرد على البكري (ص ٣٤٩).
(٣) الرد على البكري (ص ٣٠).
(٤) غاية الأماني (١/ ٤٨).



ومنهم من يقول: "إنه يحضر في كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته". (١)

ومنهم من يقول في قوله تعالى {إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا} [الفتح: الآيتان: ٨-٩].

يقول: إن الرسول هو الذي يصبح بكرة وأصيلا.

ومنهم من يقول: اسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت.

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

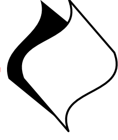
فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرم. (٢)

---

(١) هذه هي الصوفية (ص: ٨١).

(٢) ديوان البوصيري (ص: ٢٤١).



ومنهم من يقول نحن نعبد لله ورسوله فيجعلون الرسول معبودا. (١)

بل لم يكتف غلاة الصوفية بهذا القدر حتى اعتقدوا أنه هو الله سبحانه ذاتا وصفة. (٢)

وكتب أصحاب البدع وعباد القبور مملوءة بالكثير من أنواع هذا الغلو وألوانه والذي لا يشك الموحد بكذبه وبطلانه.

[قولهم في الصفات عمومًا]

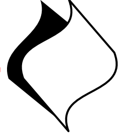
[٣]. قال المصنف–رحمه الله–: "ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله؛ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلت العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه".

الشرح:

---

(١) الرد على البكري (ص: ٢١٩).

(٢) هذه هي الصرفية (ص: ٧٤– ٧٥).



في هذا النص مسائل:

المسألة الأولى: أهمية توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة.

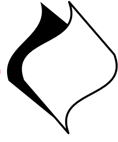
تتجلى أهمية توحيد الأسماء الحُسنى والصِّفات العُلى في الأمور الآتية:

الأمر الأول: هذا التوحيد شَطر باب الإيمان بالله تعالى:

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان بالله، فهو أول أركان الإيمان، بل هو أعظمها، فما بقية الأركان إلا تَبَع له وفرع عنه، وهو أهم ما خُلق لها الخلق، وأُرسلت به الرسل، وأُنزلت به الكتب، وأُسِّست عليه الملة؛ فالإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح، ذلك لأنَّ الإنسان لما كان مخلوقًا مَربوبًا عاد في علمه وعمله إلى خالقه وبارئه؛ فبه يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غِنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عِوض، وليس لكل شيء عن الله عوض؛ فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربِّه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خُلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع، أو فُضول غير نافعة، أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته؛ فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يُعلم من تَتبع دعوات الرسل في القرآن.

وملاك السعادة والنجاة والفوز يكون بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما يقوم الإيمان بالله تعالى، وبتحقيقهما بَعث الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، وإليه دَعت الرسل –صلوات الله وسلامه عليهم– من أولهم إلى آخرهم.

وأحدهما: التوحيد العِلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى،



وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

قال الإمامُ ابنُ القَيِّم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "ولا ريبَ أنَّ العِلم به و بأسمائه وصفاته وأفعاله أَجَلُّ العلوم وأَفضلها، ونِسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، وكما أنَّ العلمَ به أَجَلُّ العلوم وأشرفُها، فهو أصلها كلها، كما أنَّ كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومفتقر اليه في تحقق ذاته وأينيته، وكل علم فهو تابع للعلم به مُفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم، كما أنَّه-سبحانه-ربُّ كل شيء ومليكه ومُوجده..."، إلى أن قال: "فالعِلم بذاته-سبحانه-وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه فهو-في ذاته-ربُّ كل شيء ومليكه، والعلم به أصل كل علم ومَنشؤه؛ فمَن عَرَف الله عرف ما سواه، ومَن جهل ربَّه فهو لما سواه أجهل". (١)

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه، والرضا به ربًّا وإلهًا ووليًّا، وأن لا يَجعل له عدلًا في شيء من الأشياء.

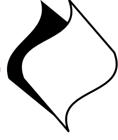
وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين في سورتي الإخلاص، وهما سورة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: الآية: ١]، المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي.

وسورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١]، المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري.

فسورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١]، فيها بيانُ ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٦)، دار الكتب العلمية -بيروت.



وسورة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: الآية: ١]، فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه.

ولا يتمُّ أحدُ التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقرأ بهاتين السورتين في سُنَّة الفجر والوتر والمغرب، وقد ورد كذلك في سُنَّة المغرب القراءة بهاتين السورتين؛ (١) ليكون فاتحة العمل وخاتمته توحيدًا؛ إذ مبدأ النهار توحيدًا وخاتمته توحيدًا". (٢)

فالتوحيد المطلوب من العبد شَطره هو توحيد الأسماء والصفات.

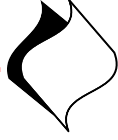
---

(١) قد ثبت في «صحيح مسلم» (٧٢٦) عن أبي هريرة-رضي الله عنه-: ((أنَّ رسول الله ﷺ قَرَأَ فِي رَكعَتَي الفَجرِ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ})).

وأخرج الترمذي (٤٦٢) عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: ((كان النبي ﷺ يقرأ في الوتر: بـ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، و {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} في ركعة ركعة))، وأخرجه الدارمي بنحوه (١٦٣٠)، وصححه الألباني في «صلاة التراويح» (ص ١٠٨).

وأخرج النسائي (٩٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((رَمَقتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِشرين مَرَّةً يقرأ في الرَّكعَتَينِ بعد المغرب، وفي الرَّكعَتَين قبل الفجرِ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ})))، وقال النووي في «المجموع» (٣/ ٣٨٥): «إسناده جيد»، وصححه الشيخ أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (٨/ ٨٩)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٢٨).

(٢) انظر «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية» لابن القيم (ص: ٣٥، ٣٦).



الأمر الثاني: توحيد الأسماء والصِّفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق:

إنَّ شرف العلم تابع لشرف معلومه؛ لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه، ولشدة الحاجة إلى معرفته وعِظم النفع بها.

ولا ريب أن أَجَلَّ مَعلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو ربُّ العالمين، وقَيُّوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

فلا ريب أن العلمَ به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أَجَلُّ العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات. (١)

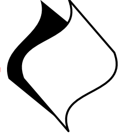
قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي–رحمه الله–(ت: ٤٠٤هـ): "الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسه أفضل أو خير، بمعنى أن يتعين أنها أسنى وأجل قدرا". (٢)

قال العز بن عبد السلام–رحمه الله–(ت: ٦٣٩ هـ): "تعليم ما يجب تعليمه، وتفهيم ما يجب تفهيمه، يختلف باختلاف رتبه وهذان قسمان: أحدهما: وسيلة إلى ما هو مقصود في نفسه،

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٦).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٤٤.



كتعريف التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل.

القسم الثاني: ما هو وسيلة إلى وسيلة كتعليم أحكام الشرع، فإنه وسيلة إلى العلم بالأحكام التي هي وسيلة إلى إقامه الطاعات، التي هي وسائل إلى المثوبة والرضوان، وكلاهما من أفضل المقاصد". [1]

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ): "وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال-سبحانه-: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: الآية: ١]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات". [2]

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "ولهذا ورد في فضل هذه الكلمة شهادة أن لا إله إلا الله من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وهي أفضل الكلام وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم والمحبات كالحديث الذي في السنن ((أفضل الذكر لا إله ألا الله)) [4]". [3]

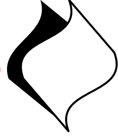
---

١ تفسير الرازي ٧/ ٢٢١.

٢ الرد على الشاذلي بن حزبية ١/ ٢٤٢.

٣ قاعدة في المحبة صـ ١٣.

٤ سنن الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجة (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١٨٣٤)، والنسائي في "السنن الكبرى" (١٠٥٩٩)،وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي".



قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "معرفة رب العالمين غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية". [١]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "لما كان العلم للعمل قرينا وشافعًا، وشرفه لشرف معلومه تابعًا، كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد". [٢]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها.

ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

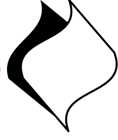
فلا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات". [٣]

---

١ مجموع الفتاوى ٢/ ١٣.

٢ إعلام الموقعين ١/ ٤.

٣ مفتاح دار. السعادة ١/ ٨٦.



قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "والعلمُ الأعلى، هو العلمُ بالأعلى". [١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وهذا بخلاف العلم الأعلى عند المسلمين فإنه العلم بالله، الذي هو في نفسه أعلى من غيره من كل وجه، والعلم به أعلى العلوم من كل وجه، والعلم به أصل لكل علم". [٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال–سبحانه–: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: الآية: ١]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات". [٣]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "فإن قيل: فالعلم إنما هو وسيلة إلى العمل ومراد له، والعمل هو الغاية، ومعلوم أن الغاية أشرف من الوسيلة، فكيف تفضل الوسائل على غاياتها؟

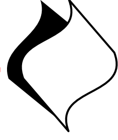
قيل: كل من العلم والعمل ينقسم إلى قسمين، منه ما يكون وسيلة، ومنه ما يكون غاية، فليس العلم كله وسيلة مرادة لغيرها، فإن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته، قال الله–تعالى–: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ

---

١ جامع الرسائل (٢/ ٦٨٥).

٢ الرد على المنطقيين صـ ١١١.

٣ الرد على الشاذلي بن حزبية وما صنفه في آداب الطريق ١/ ٢٤٢.



الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: الآية: ١٢] فقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهن ليعلم عباده أنه بكل شي عليم، وعلى كل شي قدير فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة، وقال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: الآية: ١٩] فالعلم بوحدانيته–تعالى–، وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده، بل لابد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما أمران مطلوبان لأنفسهما.

الأمر الأول: أن يعرف الرب تعالى بأسمائه، وصفاته وأفعاله وأحكامه.

والأمر الثاني: أن يعبد بموجبها ومقتضاها.

فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها، فكذلك العلم به ومعرفته أيضا، فإن العلم من أفضل العبادات". [١]

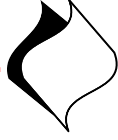
قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "مراتب العلمُ به سبحانه خمس مراتب:

١–العلم بذاته، ٢–وصفاته، ٣–وأفعاله، ٤–وأسمائه، ٥–وتنزيهه عما لا يليق به". [٢]

---

١ مفتاح دار. السعادة ١/ ١٧٨.

٢ مدارج السالكين ١/ ١٢٨.



قال ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ): "فأفضل العلم العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه.

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره، وبالعكس". [١]

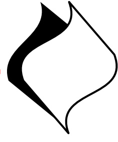
قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي–رحمه الله–(ت: ٨١٧ هـ): "فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسا لا يخل به؛ فمن الوجوه المغلطة أن يظن في العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرًا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهى أشرف منه قطعا". [٢]

---

١ شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب (ص: ٤١).

٢ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٥.



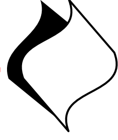
قال الملا علي القاري-رحمه الله-(ت: ١٠١٤ هـ): "علم التوحيد أفضل العلوم وأكملها، وعالم هذا العلم. أفضل العلماء، وبهذا السبب خصهم الله بالذكر في أجل المراتب فقال: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: الآية: ١٨]". [١]

الأمر الثالث: توحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية:

كما أن العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها فهو أصلها كلها، فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومَنشؤه؛ فمَن عرف الله عَرف ما سواه، ومَن جهل ربَّه فهو لما سواه أجهل؛ قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} [الحشر: الآية: ١٩]، فتأمل هذه الآية: تجد تحتها معنى شريفًا عظيمًا، وهو: أنَّ مَن نسي ربَّه أنساه ذاته ونفسه، فلم يَعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نَسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده؛ لأنَّه خرج عن فطرته التي خلق عليها، فنسي ربَّه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها؛ قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} [الكهف: الآية: ٢٨]، فغفل عن ذكر ربه؛ فانفرط عليه أمره وقلبه، فلا التفات له إلى مصالحه وكماله وما تزكو به نفسه وقلبه، بل هو مُشتت القلب مُضيعه، مفرط الأمر حيران لا يهتدي سبيلًا.

---

١ شرح الفقه الأكبر ص: ٣٨.



فالعِلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مُستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته". (١)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فإن النفس خلقت بفطرتها تقتضي معرفة الله ومحبته. وقد هديت إلى علوم وأعمال تعينها على ذلك. وهذا كله من فضل الله وإحسانه". [٢]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "معرفة الله والشهادة له بالتوحيد، وإثبات أسمائه وصفاته، ورسالة رسله، والبعث للجزاء مسطورة مثبتة في الفطرة". [٣]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "مراتب العلمُ به سبحانه خمس مراتب:

١–العلم بذاته، ٢–وصفاته، ٣–وأفعاله، ٤–وأسمائه، ٥–وتنزيهه عما لا يليق به"[٤].

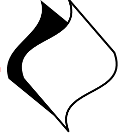
---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٦).

٢ مجموع الفتاوى ١٤/ ٣١٦.

٣ مفتاح دار السعادة: ٢/ ٧٩٨.

٤ مدارج السالكين ١/ ١٢٨.



قال ابن رجب-رحمه الله-(ت: ٧٩٥ هـ): "فأفضل العلم العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه.

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره، وبالعكس". [١]

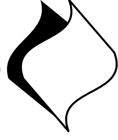
قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي-رحمه الله-(ت: ٨١٧ هـ): "فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسا لا يخل به؛ فمن الوجوه المغلطة أن يظن فى العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرًا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهى أشرف منه قطعا". [٢]

---

١ شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب (ص ٤١).

٢ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٥.



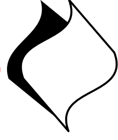
قال الملا علي القاري-رحمه الله-(ت: ١٠١٤ هـ): "علم التوحيد أفضل العلوم وأكملها، وعالم هذا العلم. أفضل العلماء، وبهذا السبب خصهم الله بالذكر في أجل المراتب فقال: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: الآية: ١٨]".[١]

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-(ت: ١٣٧٦ هـ): "هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم".[٢]

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-(ت: ١٣٧٦ هـ) ، عند تفسير قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: الآية: ١٨]: "وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة

١ شرح الفقه الأكبر ص: ٣٨.

٢ تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي، (تفسير سورة الذاريات الآية: ٥٦).



للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم". [1]

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ)-رحمه الله-: "علم العقائد وأصول التوحيد؛ هو أشرف العلوم على الإطلاق، وأفضلها وأكملها، وبه تستقيم القلوب على العقائد الصحيحة، وبه تزكو الأخلاق وتنمو، وبه تصح الأعمال وتكمل". [2]

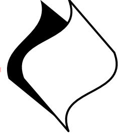
قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-(ت: ١٣٧٦ هـ): "وزبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: {أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} [النحل: الآية: ٢]. أي: على معرفة الله-تعالى-وتوحده، في صفات العظمة، التي هي صفات الألوهية، وعبادته وحده لا شريك له، فهي التي أنزل بها كتبه، وأرسل بها رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها، وقام بضدها". [3]

---

١ تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران الآية: ١٨).

٢ فتح الرحيم الملك العلام ص ٢١.

٣ تيسير الكريم الرحمن ص٤٣٥.



الأمر الرابع: معرفة أسماء الله وصفاته أصل عظيم في منهج السلف:

معرفة أسماء الله وصفاته هي الأساس الذي يَنبني عليه عمل العبد، ومن خلالها تتحدد العلاقة التي تربط العبد بربه، وعلى ضوئها يَعبد المسلم ربَّه، ويتقرب إليه.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وأصلُ الإيمان: قولُ القلب الذي هو التَّصديق. وعمل القلب الذي هو المحبة على سبيل الخضوع؛ إذ لا مُلائمة لأرواح العباد أتم من ملاءمة إلهها؛ الذي هو الله الذي لا إله إلا هو".

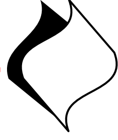
ولذلك كان منهج السلف يقوم على أمرين؛ هما:

١-العلم بالله.

٢-والعمل لله.

فجمعوا بذلك بين التصديق العِلمي والعَمل الحُبِّي، وبذلك تميز منهج أهل السنة والجماعة (السلف) عن المناهج الأخرى.

وحققوا كِلا الأمرين؛ من القول التصديقي المعتمد على معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في الكتاب والسنة. والعمل الإرادي، وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهي وفق ما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.



ولذلك كان كلامهم وعملهم باطنًا وظاهرًا بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرونًا بالآخر، وهؤلاء هم المسلمون حقًّا؛ الذين سَلِموا من آفات منحرفة المتكلمة والمتصوفة.

فوقعت كل طائفة من هاتين الطائفتين المنحرفتين في مفسدتين:

إحداهما: القول بلا علم إن كان متكلمًا، والعمل بلا علم إن كان متصوفًا.

والمفسدة الثانية: فوت المتكلم العمل، وفوت المتصوف القول والكلام". (١)

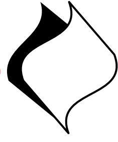
وهو ما وقع من البدع الكلامية والعملية المخالفة للكتاب والسنة.

فالكلاميون: غالب نظرهم وقولهم في الثبوت والانتفاء، والوجود والعدم، والقضايا التصديقية؛ فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر؛ فاعتنوا بجانب علمي لم يَنْبَنِ على الكتاب والسنة؛ لذلك عَطَّلوا أسماء الله–تعالى–، وعَطَّلوا صفاتِه عز وجل.

وعندما عَرَّفوا التوحيد؛ قالوا: "واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله". وأهملوا جانب توحيد العبادة: "واحد في ذاته" قالوا: "لا شريكَ له". و"واحد في صفاته": "لا نظير له". و"واحد في أفعاله": "لا نِدَّ له". فهذا تقسيمهم للتوحيد. (٢) ويُلاحظ أنه قد خلا في هذه الثلاثة من الجانب العملي، فلا يوجد عمل، ثم إذا تحدثوا عن ذات الله تعالى تحدثوا بالتعطيل؛ فقالوا بما قالوا: "ليس في جهة، ولا في عُلو، ولا في مكان، ولا في حيز" ولا إلى غير

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤١) بتصرف.

(٢) انظر: «المِلل والنِّحَل» للشهرستاني (١/ ٤٢)، مؤسسة الحلبي.



ذلك؛ فجعلوه والعدم سواء، وإذا تحدثوا عن صفات الله تعالى تحدثوا عن سبع صفات فقط، وإذا تحدثوا عن أفعال الله تعالى هذا هو الذي سَلِم لهم: "توحيد الربوبية"؛ فلم يَسلم لهم إلا توحيد الربوبية، ونحن نعلم أن كفار قريش كانوا مُقِرّين بتوحيد الربوبية: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [الزمر: الآية: ٣٨]؛ فهذا حاصل توحيد هؤلاء.

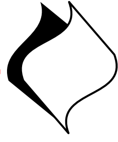
وأمَّا الصُّوفيون: فغالب طلبهم وعملهم في المحبة والبغضة، والإرادة والكراهة، والحركات العملية؛ فاعتنوا بجانب العمل، وأهملوا جانب العلم، وكذلك عملهم لم ينبنِ على السنة، وإنَّما انبنى على البدعة؛ إذ غايتهم المحبة والانقياد والعمل والإرادة.

وهكذا إذا جئنا إلى أهل التصوف لم نجد عندهم من حقيقة التوحيد شيء.

أمَّا توحيدُ أهل السُّنَّة فيقوم على هذين الأصلين العظيمين: أن تَعرف اللهَ، وذاك بمعرفة أسمائه وصفاته التي وردت في الكتاب والسُّنَّة. وأن تعبد الله، وهذا باتِّباع شرع الله ٥ على لسان رسوله ﷺ.

فالسلف وأتباعهم جعلوا من توحيد الأسماء والصفات إحدى الرَّكيزتين التي قام عليها منهجهم المعتمد على نصوص الكتاب والسنة، وذلك لما لهذا التوحيد من أهمية ومنزلة، وهذا ما تشهد له كثرة النصوص الشرعية الواردة في هذا الشأن.

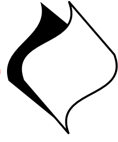
فلذلك لا بد لصاحب السُّنَّة أن يدرس هذا الباب، وأن يَبني هذه الدراسة على الكتاب والسنة؛ ليعرف الله عز وجل، فلن تكون من أصحاب السنة ولن تكون من أتباع السلف حتى تُعنى بهذا الباب، وطبعًا العلم بهذا الباب–كما ذكر العلماء مطلوب لذاته، ليس وسيلة للعمل



كما يزعم البعض؛ فكلٌّ من العِلم بالله والعمل لله مطلوب لذاته؛ فقد يكون منه ما هو وسيلة، ومنه ما هو غاية؛ فيجب أن نعلم أنه لا بد من معرفة هذا الباب وتعلمه؛ باعتبار أنه أمر مطلوب لذاته، وإن كان لا يُكتفى به وحده، بل لا بد وأن يجتمع معه عبادة الله عز وجل، وإلا فإن العبد لا يكون مؤمنًا، وبهذا نعلم أن من أهمية هذا الباب أنه أصلٌ عظيمٌ في منهج أهل السنة والجماعة؛ فبالتالي لا بد من الاعتناء به، ولا بد من الاهتمام به، ولا بد من تعلُّمِه، وكذلك لوقوع الاختلاف والافتراق في هذا الباب بين الفِرَق والطوائف لا بد من مزيد جهد وعناية بفهمه وتوضيحه ودراسته وتعلمه وتطبيقه.

والله تعالى ليس له مَثيل حتى يُقاس عليه، وعقول البشر لا يمكن أن تستقلَّ بمعرفة الله تعالى استقلالًا؛ لأنها قاصرة عاجزة، كما قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: الآية: ٨٥]؛ فالله–تعالى–تَعَرَّف إليك! فضلًا منه ومِنَّة عليك عَرَّفك بأسمائه وصفاته، عَرَّفك بأنه العليم، وأنه السميع، وأنه البصير، وأنه القدير، وأنه الغفور، وأنه الرحيم، وأنه الجبَّار، وأنه المتكبر. إلى غير ذلك مِن أسماء الله–تعالى–وصفاتِه الواردة في الكتاب والسُّنَّة؛ فمِنَّةٌ عُظمى فتحها الله عليك! بالله عليك كيف تُغلقها على نفسِك؟! بل إن الله رَغَّبك في هذه المعرفة فقال: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الأعراف: الآية:١٨٠]، وقال: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: الآية: ٢٤]، وقال: {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} [طه: الآية: ٨].. إلى غير ذلك من المواطن التي ذُكرت فيها أسماء الله عز وجل؛ إمَّا جملة وإما تفصيلًا.

ففاتح بابَ معرفة الله تعالى! لا تُغلقه على نفسك! لا تحرم هذا القلب من أن يَعرف ربَّه،



ويَعرف معبودَه!

قال الإمام الشافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ): "لا يدرك خيرٌ إلا بعونه. فإن مَن أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه؛ فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريَب، ونُوِّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة". (١)

قال أبو الفرج ابن الجوزي-رحمه الله-(ت: ٥٩٧ هـ): "إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه"(٢).

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فإذا كان القلب مشغولاً بالله، عاقلاً للحق، متفكراً في العلم، فقد وُضِع في موضعه"(٣).

الأمر الخامس: العلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد باب معرفة الله:

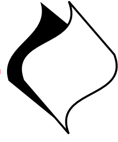
إنَّ محبة الشيء فرع عن الشعور به، وأعرف الخلق بالله أشدهم حُبًّا له، فكل من عرف الله أحبه، والعلم يَفتح هذا الباب العظيم الذي هو سِرُّ الخَلق والأمر؛ (٤) فمن أعظم أصول الدين: المحبة، بل هي قاعدة العبادة، فكيف يكون حبٌّ في قلب العبد المؤمن وهو لم يعرف الله-تعالى-؛ فالله تعالى فتح لنا باب معرفته من هذا الطريق، فإن شأت فادخل وتعَرَّف على

(١) الرسالة ص١٩، وأحكام القرآن جمع البيهقي ١/ ٢١.

(٢) تلبيس إبليس ١/ ٣٣٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٩/٣١٢.

(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٧).



أسماء الله وصفاته وأفعاله، وإلا فإنك محروم مِن ضِمن مَن حُرم مِن هذا الخير العظيم؛ فطمأنينة القلب وحياته هي في هذا الأمر العظيم: في معرفة الله عز وجل، ولا سبيل للحصول على هذه المعرفة إلا من باب العلم بأسماء الله وصفاته، فلا تَستقر للعبد قَدَم في معرفة الله إلا بالتعرف على أسمائه وصفاته الواردة في القرآن والسنة؛ فالعلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد هذا البابَ العظيمَ، فالله عز وجل لم يجعل السبيل إلى معرفته من طريق الاطلاع على ذاته، فهذا الباب موصود إلى قيام الساعة، كما أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: «تَعَلَّمُوا أنَّه لن يَرى أحدٌ مِنكم ربَّه عز وجل حتى يَموت". (١)

وكذلك فإنَّ من المحال أن تَستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على وجه التفصيل، فهي عاجزة عن ذلك لكونه من المغيبات التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحي، والله- عز وجل-يقول: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} [الإسراء: الآية: ٥]، فهذه الآية: تُبين محدودية علم الإنسان.

وقد اقتضت رحمة العزيز الحكيم أن بَعث الرسل به مُعَرِّفين وإليه داعين، وجعل معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته، أفعاله هي مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم، فأساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والأصل الأول فيها: معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله. ثم يتبع هذا الأصل أصلان عظيمان هما:

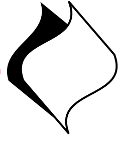
١-تعريف الناس الطريق الموصلة إلى الله، وهي: «شريعته المتضمنة لأمره ونهيه».

٢-تعريفهم مآلهم في الآخرة.

وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول مَبنيان عليه، فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.



الموصلة إليه، وأعرفهم بحال الناس عند القدوم عليه.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الله سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو؛ فتَخلو القلوب عن محبة ما سواه بِمَحَبَّته، وعن رجاء ما سواه برجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به". (١)

قال العز بن عبد السلام–رحمه الله–(ت: ٦٣٩ هـ): "التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل". [٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فالعلوم بعضها أفضل من بعض فالعلم بالله أفضل من العلم بخلقه، ولهذا كانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن؛ لأنها صفة الله تعالى. وكانت: {قل هو الله أحد} [الإخلاص: الآية: ١]، تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن " ثلاثة أثلاث ": ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي. وثلث التوحيد أفضل من غيره". [٣]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهاً؛ فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله". (٤)

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "شجرة الإسلام في القلب، إن لم يتعاهدها

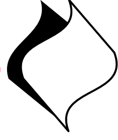
---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٢٣، ٥٢٤).

٢ قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ١٢٤.

٣ مجموع الفتاوى ٩/ ٣٠٦.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٦١.



صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس". (١)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك". (٢)

قال الإمام ابن رجب-رحمه الله-(ت: ٧٩٥ هـ): "ومن الأنس بالله-عز وجل-، الأنس بكلامه وذكره، والأنس بالعلم النافع، الَّذِي بلغه رسوله ﷺ عنه". (٣)

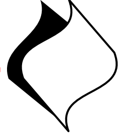
الأمر السادس: أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته:

على أساس العلم الصحيح بالله وبأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص، وتنبني مطالب الرسالة جميعها؛ فهذا التوحيد هو أساس الهداية والإيمان، وهو أصل الدين الذي يقوم عليه، ولذلك فإنه لا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه، فهذه المعرفة لازمة لانعقاد أصل الإيمان، وهي مهمة جدًّا للمؤمن لشدة حاجته إليها؛ لسلامة قلبه، وصلاح معتقده، واستقامة عمله، فهذه المعرفة لأسماء الله وصفاته وأفعاله تُوجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عما لا يَليق به، ووصفه بما هو أهله من

(١) التفسير القيم ص: ٣٤١.

(٢) الفوائد ص١٦٤.

(٣) مجموع الرسائل ٣/٣٣٩.



الجلال والإكرام.

وذلك يتم بتدبر كلام الله تعالى، وما تعَرَّف به سبحانه إلى عباده على ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما نَزَّه نفسه عنه مما لا ينبغي له ولا يليق به سبحانه.

والجدير ذِكره أن معرفة الله نوعان:

النوع الأول: المعرفة الإجمالية:

وهي التي تَلزم العبد المؤمن؛ لينعقد بها أصلُ الإيمان، وهي تتحقق بالقدر الذي يميز العبد به بين ربه وبين سائر الآلهة الباطلة، ويتحقق بها الإيمان المجمل، وتجعله في سلامة من الكفر والشرك المخرجين من الإيمان، وتُخرجه من حدِّ الجهل بربه وما يجب له.

وهذه المعرفة يتحصل عليها من قراءة سورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرها من الآيات، ومعرفة معانيها.

ولكن هذه المعرفة لا تُوجب قوة الإيمان والرسوخ فيه.

النوع الثاني: المعرفة التفصيلية:

وهذه تكون بمعرفة الأدلة التفصيلية الواردة في هذا الباب، وتعلمها واعتقاد اتصاف الله بها، ومعرفة معانيها، والعمل بمقتضياتها وأحكامها.

وهذه المعرفة هي التي يحصل بها زيادة الإيمان ورسوخه، فكلما ازداد العبد علمًا بالله زاد إيمانه وخشيته ومحبته لربّه وتَعلقه به؛ قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: الآية: ٢٨]، كما تجلب للعبد النور والبصيرة التي تُحَصِّنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

"والعلم بالله يُراد به في الأصل نوعان:

أحدهما: العلم به نفسه، أي: بما هو متصف به مِن نُعوت الجلال والإكرام، وما دَلَّت عليه أسماؤه الحسنى.

وهذا العلم إذا رَسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فإنه لابد أن يعلم أن الله يُثيب على طاعته، ويعاقب على معصيته.

والنوع الثاني: يُراد بالعلم بالله: العلم بالأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي والحلال والحرام.

ولهذا قال بعض السلف: العلماء ثلاثة:

١-عالم بالله ليس عالما بأمر الله.

٢-عالم بأمر الله ليس عالما بالله.

٣-عالم بالله وبأمر الله.

فالعالم بالله: الذي يخشى الله. والعالم بأمر الله: الذي يعرف الحلال والحرام". (١)

قال أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني-رحمه الله-(ت: ٣٢٢ هـ): "العلم بالله أعلى وأولى من العبادة له". (٢)

قال ابن شاهين-رحمه الله-(ت: ٣٨٥ هـ): "فمن لزم الحق لم يضره قلة العمل، ومن لم يعرف الحق لم ينفعه كثرة العمل؛ لأن العمل بلا علم لا يضر ولا ينفع". (٣)

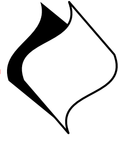
قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال-رحمه الله-(ت: ٤٤٩ هـ): "تمام الإيمان وتمام

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٣٣) بتصرف بسير.

(٢) حلية الأولياء ١٥/ ٣٥٨.

(٣) كتاب شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن ص: ٣٥.



العلم إنما هو المعرفة بالله ورسله، ومعرفة الدلالة على ذلك". (١)

قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي–رحمه الله–(ت: ٤٠٤ هـ): "الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسه أفضل أو خير، بمعنى أن يتعين أنها أسنى وأجل قدرا". ٢

قال فخر الدين الرازي–رحمه الله–(ت: ٦٠٦ هـ): "الآيات المشتملة على دلائل علم الأصول أشرف من الآيات المشتملة على دلائل علم الفروع، بدليل أنه قد جاء في فضيلة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١]. و {آمَنَ الرَّسُولُ} [البقرة: الآية: ٢٨٥]، وآية الكرسي، و {شَهِدَ اللَّهُ} [آل عمران: الآية: ١٨]، ما لم يجيء في فضيلة قوله–تعالى–: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ} [البقرة: الآية: ٢٢٢]، {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ} [البقرة: الآية: ٢٧٥]. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ} [البقرة: الآية: ٢٨٢] الآية. ولذلك فإن الزهاد والعباد يواظبون في شرائف الأوقات على قراءة هذه الآيات المشتملة على الإلهيات، دون الآيات المشتملة على الأحكام.

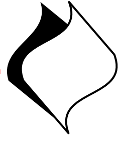
والآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأما اللواتي في بيان التوحيد والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين، وفي إثبات النبوات والمعاد، ومسألة القضاء والقدر فكثيرة."٣.

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/ ٤٤–٤٥.

٢ المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٤٤.

٣ عجائب القرآن صـ ١٧–١٨.



قال أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي -رحمه الله- (ت: ٥٤٣ هـ): "القرآن توحيد وأحكام ووعظ و {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١]، فيها التوحيد كله. وبهذه المعاني وقع البيان في قوله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بن كعب: ((أي آية في القرآن أعظم؟)) قال: {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: الآية: ٢٥٥]. قال: ((ليهنك العلم يا أبا المنذر)). [١] وإنما كانت أعظم؟ لأنها توحيد كلها، كما صار قوله: ((أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله)) الحديث. [٢] أفضل الذكر؛ لأنها كلمة حوت علوم جميع التوحيد، والفاتحة تضمنت التوحيد كله والعبادة والوعظ والتذكير، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله، فإن الله جمع التوحيد كله في آية الكرسي، ثم جمعه في أقل حروفا منها التوحيد، وهو: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١]. ثم جمعه لرسوله في كلمات يوم عرفة المتقدمة. ثم جمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} [الأحقاف: الآية: ٣]. وقوله: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} [المؤمنون: الآية: ١١٥]" [٣].

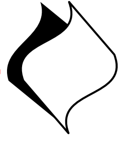
قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي (ت: ٧١٦) -رحمه الله-: "قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: الآية: ١٩] يحتج به على تقديم أصول الدين كالتوحيد على فروعه كالاستغفار وغيره؛

---

١ أخرجه مسلم (٨١٠).

٢ أخرجه مالك في الموطأ (٥٧٢) رواية يحيى، وأحمد: ٢/ ٢١٠، والترمذي (٣٥٨٥) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه". وصححه من المعاصرين الألباني في سلسلته الصحيحة (١٥٠).

٣ كتاب المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي المالكي ٢/ ٣٧٠.



لتقديمه التوحيد ها هنا، ولأن رتبة الأصل قبل رتبة الفرع، وعلى أن المعتبر في الأصول العلم لا غيره". (١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "ولهذا كانت سورة "الأنعام" أفضل من غيرها، وكذلك سورة "يس" ونحوها من السور التي فيها أصول الدين التي اتفق عليها الرسل كلهم صلوات الله عليهم.

ولهذا كانت {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [الإخلاص: الآية: ١]، مع قلة حروفها تعدل ثلث القرآن؛ لأن فيها التوحيد فعلم أن آيات التوحيد أفضل من غيرها}"[٢].

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "كلمة التوحيد أفضل الكلام، وأعظمه فأعظم آية في القرآن آية الكرسي {الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم} [البقرة: الآية: ٢٥٥]. وقال-صلى الله عليه وسلم-: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)). [٣]".[٤]

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "النبي-صلى الله عليه وسلم-، سأل أبيًا ((أي آية في كتاب الله أعظم؟)) فأجابه أبيّ بأنها آية الكرسي، فضرب بيده في صدره وقال ((ليهنك العلم))، ولم يستشكل أبيّ ولا غيره السؤال عن كون بعض القرآن أعظم من بعض، بل شهد

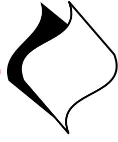
---

(١) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٥٨٤.

٢ مجموع الفتاوى (١٧/ ١٩٠).

٣ رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في "إرواء الغليل" (٦٨٧) .

٤ مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٠).



النبي بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض؛ وعرف أفضل الآيات"[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ): "والقرآن فيه من ذِكْر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذِكر الأكل والشُّرب والنكاح في الجنة، والآياتُ المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظمُ قدرًا من آيات المعاد؛ فأعظمُ آيةٍ في القرآن آيةُ الكرسي المتضمنة لذلك...، وأعظم سورةٍ سورةُ أمّ القرآن..". ٢.

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "من أَرَادَ علو بُنْيَانه فَعَلَيهِ بتوثيق أساسه وإحكامه وَشدَّة الاعتناء بِهِ، فَإِن علو الْبُنيان على قدر تَوْثِيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بُنيان وأساسها الْإِيمَان وَمَتى كَانَ الأساس وثيقا حمل الْبُنيان واعتلى عَلَيْهِ". (٣)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "العلم به-تعالى-أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم". (٤)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "والإيمان به أصل الإيمان بما عداه". ٥

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها. وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه

---

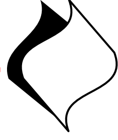
١ مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٩).

٢ درء تعارض العقل والنقل، (٣/٦١)،

(٣) الفوائد ص ١٥٥.

(٤) بدائع الفوائد ١/ ٢٨٧.

٥ الصواعق المرسلة ١/ ٣٦٥.



وحكمته تعالى؛ ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتا؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر في العبد أو يفعله؛ إما أن يكون لجهله به، أو لعدم حكمته. وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض". (١)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "من كمال رحمته أن يعرف عباده نفسه وصفاته، ويدلهم على ما يقربهم إليه، ويباعدهم منه، ويثيبهم على طاعته، ويجزيهم بالحسنى، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة، فكانت رحمته مقتضية لها". (٢)

قال برهان الدين البقاعي-رحمه الله- (ت: ٨٨٥هـ): "التوحيد هو الأساس الذي ينبني عليه كل خير، والمنتهى الذي هو غاية السير، والعالي على كل غير". (٣)

قال برهان الدين البقاعي-رحمه الله-(ت: ٨٨٥ هـ): "التوحيد هو الأمر الذي لا يقوم بناء إلا عليه". (٤)

قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى-رحمه الله-(ت: ٨٩٨ هـ): " قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت: الآية: ٣٠]،

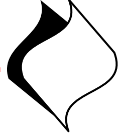
أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى

(١) كتاب فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى لابن القيم ص: ٢٨-٢٩.

(٢) بدائع التفسير: ١/ ١٧١.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ٥٧.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ١٩٦.



العمل؛ وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد". (١)

قال أبو حيان الأندلسي-رحمه الله-(ت: ٧٤٥ هـ): "وقال تعالى وتقدس: {لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} [طه: الآية: ١٤]. فذكر العبادة عقيب التوحيد، لأن التوحيد هو الأصل، والعبادة فرعه". ٢

قال برهان الدين البقاعي-رحمه الله-(ت: ٨٨٥ هـ): "التوحيد هو الأمر الذي لا يقوم بناء إلا عليه". ٣

قال برهان الدين البقاعي-رحمه الله-(ت: ٨٨٥هـ): "والتوحيد هو الأساس الذي لا تصح عبادة إلا به، وتحقيقه هو العلم الذي لا علم يعدله". ٤

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-(ت: ١٣٧٦ هـ): "فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم". (٥)

قال حافظ بن أحمد حكمي-رحمه الله-(ت: ١٣٧٧ هـ): "وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه, وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها, ومتشعبة منها

---

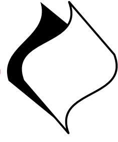
(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (سورة الأحقاف: الآية: ١٣)، ٨/ ٨٢.

٢ البحر المحيط في التفسير ١/ ٤٤.

٣ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ١٩٦.

٤ تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

(٥) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي، (تفسير سورة الذاريات الآية: ٥٦).



مكملات لها مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها". [١]

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين–رحمه الله–(ت: ١٢٨٢ هـ): "أفرض العلوم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته؛ ومعرفة حقه على عباده الذي خلق الجن والإنس لأجله؛ وهو توحيد الألوهية". [٢]

قال عبد الرحمن بن قاسم–رحمه الله–(ت: ١٣٩٢ هـ): "التوحيد أوجب الواجبات، ومعرفته أفرض الفرائض". [٣]

الأمر السابع: العلم بأسماء الله وصفاته هو حياة القلوب:

يجب أن نعلم أنَّ معرفة الله تعالى هي حياة قلوبنا؛ فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تَعرف ربها ومعبودها وفاطرها، ويكون أحب إليها مما سواه، ولا يمكن أن تنجو وأن تَسعد في الآخرة إلَّا بهذه المعرفة والمحبة.

والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية، وبدون اهتدائه إلى ربِّه لا يكون إلا شقيًّا مُعذَّبًا كما هو حال الكافرين.

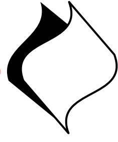
فالله–تبارك وتعالى–خلق هذا الإنسان وركَّبه من الجسد والروح، وشاء أن يكون قَوَام هذا الجسد من هذه الأرض؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ} [الحج: الآية: ٥]، وجعل حياة هذا الجسد من التراب؛ فهو يأكل ويشرب ويكتسي

---

١ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص: ٢٢١.

٢ الرد على البردة ص: ٣٧٥.

٣ حاشية الأصول الثلاثة ص: ١٣٧.



من الأرض وما فيها.

وجعل في هذا الجسد الروح؛ قال تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر: الآية:٢٩].

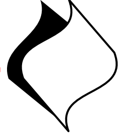
أمَّا أصل هذه الروح ومادتها فهذا لا علم لنا به: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: الآية: ٨٥]؛ فأمرٌ استأثر الله تعالى به في علم الغيب عنده.

لكن الله عز وجل شاء أن يكون قِوام هذه الروح وحياتها في معرفة الله وعبادته؛ قال–عز وجل–: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: الآية: ٢٨]؛ فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبَّة فاطره وبارئه، ودوام ذِكره، والسعي في مرضاته، لذلك فإنَّ مَن في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التَّبَصُّر فيه وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته، فهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه، وله خُلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأُرسلت الرسل، وقامت السموات والأرض، ووُجدت الجنة والنار، ولأجله شُرعت الشرائع، وأُسِّست الملة، ونُصبت القِبلة، وهو قطب رحى الخلق والأمر الذي مدارهما عليه.

وهو بحقٍّ أفضل ما اكتسبته القلوب، وحصَّلته النفوس، وأدركته العقول، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه. (١)

---

(١) انظر: «الفتوى الحموية الكبرى» (ص٢٨، ٢٩).



قال الحافظ عبيد الله بن أبي جعفر-رحمه الله-(ت: ١٣٤ هـ): "ما استعان عبد على دينه بمثل الخشية من الله". (١)

قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي-رحمه الله-(ت: ٣٢٠ هـ): "فمن نور الله قلبه بالإيمان قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام به قلبه، واطمأنت به نفسه، وسكنت ووثقت وأيقنت، وأتمنته على نفسها، فرضيت لها به وكيلا، وتركت التدبير عليه". (٢)

سئل محمد بن عبد الله الفرغاني-رحمه الله-(ت: ٣٦٢ هـ) عن الافتقار إلى الله تعالى والاستغناء به أيهما أكمل؟ فقال: "إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الاستغناء به، واذا صح الاستغناء به صح الافتقار إليه، فلا يقال أيهما أكمل لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر". (٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الجمال الذي للخُلُق، من العلم والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي للخَلْق، وهو الصورة الظاهرة". (٤)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وما أحسن ما قال أبو الفرج ابن الجوزي-رحمه الله-(ت: ٥٩٧ هـ)، في بعض وعظه: "قبيح بالعبد أن يقول بلسانه الله أكبر وقد امتلأ قلبه

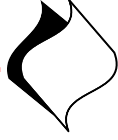
---

(١) سير أعلام النبلاء، (٦/٩).

(٢) كتاب آداب النفس للحكيم الترمذي ص: ١٦.

(٣) طريق الهجرتين ١/ ٩٧.

(٤) الاستقامة، لابن تيمية ١ /٤٤١.



بغير الله". (١)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "الشوق إلى الله ولقائه نسيمٌ يهب على القلب؛ يروح عنه وهج الدنيا". (٢)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): عند تفسير قوله-تعالى-: {وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} [الإنسان: الآية: ١١]، "جمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا حال بواطنهم كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان". (٣)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "فالغاية الحميدة التي يحصل بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاحهم هي معرفة الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وهي حقيقة قول العبد لا اله إلا الله وبها بعث الرسل ونزلت جميع الكتب ولا تصلح النفس ولا تزكو ولا تكمل إلا بذلك". ٤.

وإذا تأملت أعمال القلوب وجدت-مثلًا-أن كل حبٍّ هو تَبَعٌ لحبِّ الله عز وجل؛ وكذلك الخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والإخلاص، والرغبة، والرهبة.. إلى غير ذلك.

فلا يمكن أن تتحرك أعمال القلوب في القلب ولا أن تقوم بواجبها ما لم تكن على معرفة بالله عز وجل!

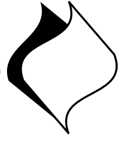
---

(١) بدائع الفوائد ٢ / ٦٩٦.

(٢) الفوائد لابن القيم ص٩٨.

(٣) حادي الأرواح ص: ١٨٥.

٤ مفتاح دار السعادة ٢/ ١٢٠.

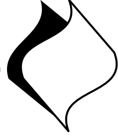


إذًا، كيف تتحقق في القلب أعمال القلوب؟

فمثلًا إذا علمت أن الله هو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو النَّافع، وهو الضَّار، وهو القابض، وهو الباسط. إذا علمت هذا أَثْمَر في قلبك توكلًا على الله عز وجل. هذه المعرفة تُوَلِّدُ التوكل. ممن تخاف ومَن ترجو والرزق بيد الواحد الأحد عز وجل؟! يرزق من يشاء بغير حساب. وكيف ترجو ما في يد الناس؟ أو حتى كيف تحسد فلانًا من الناس: أن أعطاه الله تعالى من فضله؛ {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: الآية:٢٦]؛ فالخير بيد الله–عز وجل–، والله يختص برحمته مَن يشاء؛ فكيف لقلبٍ أن يحسد لو كان على إيمان؟! ويحسد مَن؟! كأنما يعترض على حكم الله عز وجل: أن أعطى فلانًا ومنع فلانًا!

فصلاح قلوبنا وحمايتها من تلك الأمراض التي تضرها، وتفسد على الإنسان حياته مِن غِلٍّ وحسد وحقد وغِيبة ونميمة. إلى غير ذلك من أمراض–سببها هو: أن الإنسان ما عرف الله تعالى حقَّ المعرفة، ومثلًا الله–عز وجل–أخبرك بأنه عليم، وأنَّه سميع، وأنه بصير؛ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومُطَّلِع على عملك وعلى فعلك؛ أفَلَا يحمِلُك هذا على الحياء منه؟!

فيجب أن يحمل هذا العبدَ على خوف الله–تعالى–، على مراقبته، على خشيته؛ فلو أن النفوس استحضرت هذه المعاني لَمَا أَقْدَمَت على فِعل معصية، ولذلك يقول النبي ﷺ: ((لا يَزني الزَّاني حين يَزني وهو مؤمن، ولا يَشرب الخمرَ حين يَشرب وهو مُؤمنٌ، ولا يَسرق السارق



حين يَسرق وهو مؤمن...))، الحديث. (١)؛ لأنه لو قام الإيمان كما يجب-وكما ينبغي-في نفسِه في تلك اللحظات لَمَا أقدم على فَعلته.

أنت لو لَمَحت أحدًا من الناس وأنت على معصية لربما استحييت منه، ولربما خِفت أن يُفشي سِرَّك! فكيف وأنت أمام عالم الغيب والشَّهادة، المطَّلِع على جميع أحوالك وعلى جميع أمورك وعلى جميع سكناتك وعلى جميع حركاتك؛ ألا تستحي مِن الله عز وجل؟! وكما يذكرون أنَّ رجلًا لقي أعرابية فأرادها على نفسها فأَبَت وقالت: أي ثكلتك أمك، أَمَا لك زاجر من كرم؟ أما لك ناهٍ مِن دين؟ قال: قلت: واللهِ إنَّه لا يَرانا إلا الكواكب، قالت: ها بأبي أنت، وأين مُكوكبها". (٢)؛ فأراد أن يُطمأنها أنَّه لا يراهم أحد إلا هذه الكواكب! فقالت له: "وأين مُكوكِبُها؟!"؛ فذكَّرَته بالله-عز وجل-في تلك اللحظة؛ فقام عنها، وكان ذلك سببًا في هدايته.

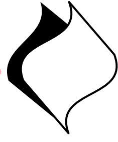
فنحن لو استحضرنا معاني أسماء الله وصفاته لكان هذا سببًا في حياة قلوبنا، ولكنَّ قلوبَنا مُلئت بالغفلة عن الله عز وجل والإعراض عن معرفة أسمائه وصفاته؛ فأصابها ما أصابها من أمراض أثقلت كواهلنا، وأفسدت علينا أمر ديننا، وأفسدت علينا أمر دنيانا، بل إن الواحد منا يقف في الصلاة ويسمع آيات الله سبحانه تُتلى عليه، ومع ذلك قلبه قاسٍ، وأصبح قلبًا متحجرًا مهما ذُكِّر بآية عذاب أو وعيد لا يهتز لها، ولا يتحرك لها شعور في قلبه من ذِكر شيء من آيات الله عز وجل؛ فأصابنا ما أصابنا من أمراض في قلوبنا وفي نفوسنا بسبب أننا غفلنا عن معرفة الله-عز وجل-.

فليتنا نعودُ إلى أسماء الله وصفاته! ليتنا نتدبر ما جاء فيها من معانٍ، وما تُثمره من ثمرات!

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٦٥) عن العتبي.



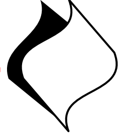
أنت إذا أثمرت هذه المعرفة في قلبك التوكل حصلت عِزَّة للمؤمن، وحصلت طمأنينة للنفس، وكذلك إذا حصل حياء وإذا حصل خوف وإذا حصلت خشية-منعك هذا مِن أن تقترف معصية؛ لا في السر ولا في العلن. إذا حصلت هذه المعرفة قامت بك محبةٌ لله تعالى وتعظيم وإجلال.

هذه المعرفة وهذه المحبة وهذا التعظيم وهذا الإجلال يحملك على أن تُراقب الله-عز وجل- في جميع أحوالك، وأن يكون اللهُ تعالى أحبَّ إليك مِن كل شيء وأعظم وأكبر وأجَل من كل شيء، لكن للأسف حَرمنا قلوبنا من ذلك، فلربما استحقت وعيدَ الله عز وجل: {فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر: الآية: ٢٢]؛ فقست القلوب، والقلوب تقسو، بل وتمرض وتموت، والله تعالى قد قال: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: الآية: ١٤]؛ فالران: هو الصدأ؛ يعلو على هذه القلوب حتى تصبح هذه القلوب صَدِأَة، هذه القلوب قاسية مُبتعدة عن ذكر الله عز وجل.

فأين النفس المطمئنة التي ستنادى كما قال الله عز وجل: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي *} [الفجر: الآيات: ٢٧-٢٨]

فمعرفةُ الله-عز وجل-حياةٌ لقلوبنا، وستثمر لنا من أنواع الإيمان وأنواع العمل ما يكون- بإذن الله تعالى-سببًا في صلاحنا وصلاح أحوالنا وصلاح مَعاشنا وصلاح معادنا؛ لو أننا عرفنا ذلك وعملنا به!

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص "لا إله إلا الله" علما وعقيدة وعملا



وبراءة وموالاة ومعاداة: كان أحق بالرحمة". (١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "ومن أعظم البلاء إعراض القلب عن الله، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له؛ لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب". (٢)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ):"فمن تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر وما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه ولا يرجون أحدا سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم التوكل عليه والإنابة إليه". (٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وأما التوحيد أن يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، فلا يحب شيئا مثل ما يحب الله، ولا يخافه كما يخاف الله، ولا يرجوه كما يرجوه، ولا يجله ويكرمه مثل ما يجل الله ويكرمه". (٤)

الأمر الثامن: ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته:

مما يدلل ويؤكد أهمية هذا التوحيد هو ما تُثمره معرفة أسماء الله وصفاته في قلب المؤمن من زيادة في الإيمان ورسوخ في اليقين، وما تَجلبه له من النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشيةَ الله لا محالة؛ فلكلِّ اسم من أسماء الله تأثير

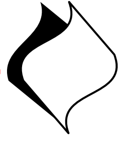
---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤١٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٨٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/ ١٩٣.

(٤) جامع المسائل ٢/ ٢٧٩..



معين في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك-تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها؛ فالأسماء الحسنى والصفات العُلى مقتضية لآثارها من العبودية، وهذا مُطَّرِد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح؛ فمثلًا: علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يُثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا.

وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنَّه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يُرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبِرّه وإحسانه ورحمته تُوجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعِزّه تُثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها.

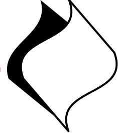
وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العُلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية.

فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها". (١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٩٠).



ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه.

ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه". (١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "لتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم، لكن مجرد العمل لا يفيد ذلك إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول". (٢)

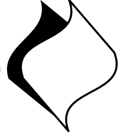
قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه أهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن، ....مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب؛ ولذات الأرواح وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله والإنابة إليه، وذكره وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذى تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه فى ذلك أبدا. قال الله تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: الآية: ٦٥]" ٣.

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "من وطَّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن

(١) مجموع الفتاوى (١٩٤/١٠).

(٢) منهاج السنة النبوية ٥/ ٤٣٠.

٣ قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص: ٣٦-٣٧.



أرسله في الناس اضطرب، واشتد به القلق"(١).

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقهَا بهَا. فالقلوب آنِية الله فِي أرضه فأحبها إِلَيه أرقها وأصلبها وأصفاها". ٢

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "فما كبر النفوس وشرفها، ورفعها، وأعزها مثل طاعة الله، وما صغر النفوس وأذلها، وحقرها مثل معصية الله-عز وجل-". ٣

قال ابن مسعود-ضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ): "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا". (٤).

قال ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ): عند تعليقه على هذا الأثر: "المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان فلا يأمن العقوبة بسببها وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيء، قوله" "وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب" في رواية أبي الربيع الزهراني عن أبي شهاب عند الإسماعيلي "يرى ذنوبه كأنها ذباب مر على أنفه" أي ذنبه سهل عنده لا يعتقد أنه يحصل له بسببه كبير ضرر كما أن ضرر الذباب عنده سهل وكذا دفعه عنه، والذباب بضم المعجمة وموحدتين الأولى خفيفة بينهما ألف جمع ذبابة وهي الطير المعروف قوله: "فقال به هكذا" أي نحاه بيده أو دفعه هو من إطلاق القول

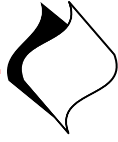
---

(١) الفوائد لابن القيم ص: ٩٨.

٢ الفوائد، ١/ ٢٦٢.

٣ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص: ١٤٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٣٠٨).



على الفعل قالوا وهو أبلغ قوله قال أبو شهاب هو موصول بالسند المذكور قوله: "بيده على أنفه" هو تفسير منه لقوله: "فقال به" قال المحب الطبري-رحمه الله-(ت: ٦٩٤ هـ): إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية وقال ابن أبي جمرة السبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم فوقوع الذنب خفيف عنده ولهذا تجد من يقع في المعصية إذا وعظ يقول هذا سهل قال ويستفاد من الحديث أن قلة خوف المؤمن ذنوبه وخفته عليه يدل على فجوره". (١)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "من خاف من الله خاف منه كل شيء، ومن خاف من غير الله خاف من كل شيء". (٢)

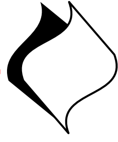
وبهذا يتبين أنَّ معرفة العبد لأسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر الله عز وجل به في كتابه وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-تُوجب على العبد القيام بعبودية الله على الوجه الأكمل، فكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر؛ إذ كل اسم من أسمائه-عز وجل-له تَعَبُّد مُختص به؛ علمًا ومعرفة وحالًا.

(علمًا ومعرفة): أي: إنَّ مَن عَلِم أنَّ الله مسمى بهذا الاسم، وعرف ما يتضمنه من الصفة، ثم اعتقد ذلك-فهذه عبادة.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١١/ ١٠٥.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٢٧٤.



و(حالًا) أي: إن لكل اسم من أسماء الله مدلولًا خاصًّا وتأثيرًا معينًا في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك-تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

وهذه الطريقة مُشتقة من قلب القرآن؛ قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: الآية: ١٨٠].

والدعاء بها يتناول: دعاء المسألة. ودعاء الثناء. ودعاء التعبد.

وهو-سبحانه-يدعو عباده إلى أن يَعرفوه بأسمائه وصفاته، ويُثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظّهم من عبوديتها. (١)

قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-(ت: ١٨٧ هـ): "أحق الناس بالرضا عن الله، أهل المعرفة بالله". (٢)

قال الحكيم الترمذي-رحمه الله-(ت: ٣٢٠ هـ): "إذا استقر في قلب المؤمن توحيد رب كريم ودود ظهر له وداده وكرمه وبره فقد وجد حلاوة التوحيد ونزاهته؛ فإذا جاءت شهوات النفس سبيلا إلى القلب فخالطته وكدرته ومازجت حلاوته فدنست وكدرت فأي خسران أعظم من هذا". (٣)

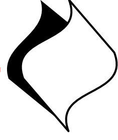
قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال-رحمه الله-(ت: ٤٤٩ هـ): "وقد سئل بعض الصالحين عن المحبة ما هي؟

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٢٠).

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤.

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٣/ ٥١.



فقال: مواطأة القلب لمراد الرب، أن توافق الله –عز وجل–، فتحب ما أحب وتكره ما كره". (١)

قال ابن تيمية –رحمه الله– (ت: ٧٢٨ هـ): "وليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه؛ إلا الله –سبحانه–؛ ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة أكل الطعام المسموم". (٢)

قال ابن القيم –رحمه الله– (ت: ٧٥١ هـ): "ومن أعز أنواع المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال وهي معرفة خواص الخلق وكلهم عرفه بصفة من صفاته وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه ليس كمثله شيء في سائر صفاته". (٣)

قال ابن القيم –رحمه الله– (ت: ٧٥١ هـ): "المحب الصادق: إن نطق نطق لله وبالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فسكونه استعانة على مرضاة الله، فهو لله وبالله ومع الله". (٤)

قال ابن القيم –رحمه الله– (ت: ٧٥١ هـ): "إذا كان العبد ليس له من صلاته إلا ما عقل منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله". (٥)

---

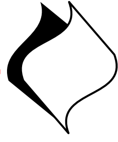
(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٦٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٣.

(٣) الفوائد ١٨١.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٤٥٣.

(٥) الجواب الكافي ص ٢١٣.



قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ)-رحمه الله-: "فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد يقتضي تعظيم حرماته وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره". (١)

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-(ت: ١٣٧٦ هـ): عند تفسير قوله تعالى: {واللَّه يَرزُق من يَشَاء بغَير حِسَاب} [النور: الآية: ٣٨]، "فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر، وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك ، فلا يعطيها إلا من يحب". (٢)

الأمر التاسع: ومن ثمرات هذا العلم حسن الأدب مع الله

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "لا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره. ونفس مستعدة قابلة لينة، متهيئة لقبول الحق علمًا وعملًا وحالًا". (٣)

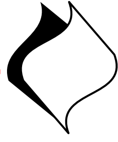
قال الخطابي-رحمه الله-(ت: ٣٨٨ هـ): "وقد روينا عن عون بن عبد الله، أنه كان يقول: "ليعظم أحدكم ربه، أن يذكر اسمه في كل شيء، حتى يقول: أخزى الله الكلب، وفعل الله به كذا". وكان بعض من أدركناه من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله-جل وعز-إلا فيما يتصل

---

(١) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٣٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٩٥.

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦٥).



بطاعة، أو قربة، وكان يقول للرجل إذا جزاه خيرا: جزيت خيرا، وقل ما يقول: جزاك الله خيرا، إعظاما للاسم أن يمتهن في غير قربة، أو عبادة". (١)

الأمر العاشر: أسماء الله وصفاته تورث محبة الله عز وجل.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: (ت: ٧٢٨ هـ): "كلما قويت محبة العبد لمولاه صغرت عنده المحبوبات وقلت، وكلما ضعفت كثرت محبوباته وانتشرت. وكذا الخوف والرجاء وما أشبه ذلك فإن كمل خوف العبد من ربه لم يخف شيئا سواه قال الله-تعالى-: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا} [الأحزاب: الآية: ٣٩]، وإذا نقص خوفه خاف من المخلوق وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف". (٢)

الأمر الحادي عشر: أسماء الله وصفاته هي مادة ذكر الله-عز وجل-.

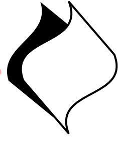
قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ) في بيان فضل ذكر الله تعالى: "...وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض؛ فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم ، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد .

لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره: أن ملازمة ذكر الله دائما هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة، وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة: ((سبق المفردون قالوا يا رسول

---

(١) شأن الدعاء ص: ١٨-١٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٩٤.



الله ومن المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)) (١)، وعن أبي الدرداء–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر الله)). (٢)

والدلائل القرآنية والإيمانية بصرًا وخبرًا ونظرًا على ذلك كثيرة، وأقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين–صلى الله عليه وسلم–، كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره، وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك ، وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل اليوم والليلة.

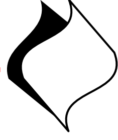
ثم ملازمة الذكر مطلقا ، وأفضله لا إله إلا الله. وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل: ((سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله)) أفضل منه .

ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله ، ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض ، أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضا من أفضل ذكر الله ، وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كبير

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٦/ ٤٤٧). وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٢٢٠٩) إسناده صحيح



اختلاف". (١)

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ)-رحمه الله-: "إن التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحب إليه، وأنفع للعبد من التوسل إليه بمخلوقاته، وكذلك سائر الأحاديث، كما في حديث الاسم الأعظم: ((اللهم إني أسألك بأن : الحمد لا إله إلا أنت، المتان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي ياقيوم)). ٢

وفي الحديث الآخر: ((أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد)) ٣ .

وفي الحديث الآخر: ((اللهم إني أسألك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق)). ٤

وكلها أحاديث صحاح رواها ابن حبان والإمام أحمد والحاكم. وهذا تحقيق لقوله {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: الآية: ١٨٠]". ٥

---

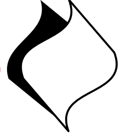
(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٦٦٠-٦٦١).

٢ أخرجه أبو داود (١٩٩٠)، والترمذي (٣٥٤٤) وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه (٣٨٠٨)، وأحمد (٣/ ١٢٠، ١٠٨، ٢٦٥، ٢٩١).

٣ أخرجه أبو داود (١٩٩٣)، والترمذي (٣٤٧٣)، وقال: هذا حديث غريب ، وابن ماجه (٣٨٠٧)، وأحمد (٥/ ٣٤٩، ٣٦٠).

٤ أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤)، والحاكم (١/ ٥٢٤)، وابن حبان (٣/ ٢١٣).

٥ أسماء الله الحسنى : (٥٠).



الأمر الثاني عشر: معرفة الله تنتج للعبد فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته.

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "الفقر فقران:

فقر اضطراري، وهو فقر عام لاخروج لبرّ ولا فاجر عنه، وهذا لا يقتضى مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقاباً ، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقاً ومصنوعاً.

والفقر الثاني فقر اختياري، هو نتيجة علمين شريفين:

أَحدهما : معرفة العبد بربه ، والثاني : معرفته بنفسه .

فمتى حصلت له هاتان المعرفتان، أَنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته". (١)

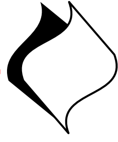
الأمر الثالث عشر: ضرورة تجنُّب الباطل، وعدم مخالفة طر يق الحق في هذا الباب.

قد وقع الخلاف في هذا الباب، وكَثُر كلام أهل الباطل فيه؛ لما عرفوا من أهميته، فبالتالي ازداد تسلطهم عليه، وأرادوا أن يَحجبوا الناس عن معرفة الله-تعالى-؛ لأنهم بهذا سيوصدون الباب، وإذا أُوصد الباب لم يمكن الدخول! فَكَثُرَ الخلاف والافتراق، فكان لا بد مِن مَعرفة تَنبني على الكتاب والسنة، وكان لا بد من فهم للحقِّ حتى يُتَّبع، ولا بد من معرفة للباطل حتى يُجتنب.

فباب الأسماء والصفات من أكثر الأبواب خطورة ومَزلة؛ من جهة كونه محل خلافات شديدة ومعقدة دارت رحاها بين علماء السلف من جهة والفلاسفة وأهل الكلام والمشبهة من جهة أخرى.

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٩).

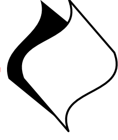


فمن واجب طالب العلم: أن يَتعمق في فهم الحق المبني على الكتاب والسنة؛ قال-تعالى-: {فإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: الآية: ٥٩]، فالرد إلى الله يكون بالرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد وفاته يكون بالرد إلى سنته صلى الله عليه وسلم، وقد قال-تعالى-: {أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} [البقرة: الآية: ١٤٠]، فالله أعلم بنفسه، وهو الذي أخبر بأسمائه وصفاته في كتابه وعلى لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-، وكذلك فإن النبي-صلى الله عليه وسلم-أعلم الناس بربِّه وأصدقهم خبرًا، وقد قال الله في حقه: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: الآيات: ٣-٤].

فمن الواجب على المسلم: أن يدرس هذا الباب وأن يتعمق في فهمه وفق ما ورد في الكتاب والسنة، وأن يحذر من التيارات الفلسفية التي أضَرَّت أصحابها، وأدخلتهم في دوامة الانحراف والضياع، فحالت بين قلوبهم وبين معرفة ربهم، فأصبحت قلوبهم مظلمة جاهلة بحقائق الإيمان، فترتب على ذلك إعراضهم عن الله وعن ذكره ومحبته والثناء عليه بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، فانصرفت قُوى حُبِّهم وشوقهم وأنسهم إلى سواه.

ومعلوم: أنه لا يستقر للعبد قَدَمٌ في المعرفة-بل ولا في الإيمان-حتى يؤمن بأسماء وصفات الربِّ جل جلاله، ويَعرفها معرفة تُخرجه عن حدِّ الجهل بربه، فالإيمان بالأسماء والصفات وتَعَرُّفها هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان؛ فمَن جَحدها فقد هدم أساس الإسلام والإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فضلًا عن أن يكون من أهل العرفان.

فينبغي للمؤمن أن يَبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وأن تكون معرفته سالمة من داء التعطيل وداء التمثيل اللذين ابتُلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فالمعرفة الصحيحة هي المتلقاة من الكتاب والسنة، وما رُوي عن



الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة أحواله.

مجمل معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته هو: أنهم يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتًا ونفيًا، فهم بذلك:

١-يسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

٢-ويثبتون لله عز وجل ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٣-وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد-صلى الله عليه وسلم-، مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

فأهل السنة سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة فكل اسم أو صفة لله سبحانه وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبيل الإثبات فيجب بذلك إثباتها.

وأما النفي فهو أن ينفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي.

قال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "لا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١]. ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله؛ محكمه ومتشابهه". (١)

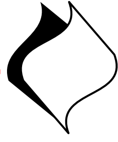
وقال عبد الرحمن بن القاسم-رحمه الله-(ت: ١٩١ هـ): "لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب؛ فإنه-تبارك وتعالى-لا مثل له ولا شبيه، ولكن هو الله لا إله إلا الله كما وصف نفسه، ويداه مبسوطتان كما وصفها: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: الآية: ٦٧] ، كما وصف نفسه". (٢)

وقال ابن خزيمة-رحمه الله-(ت: ٣١١ هـ): "إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرنا بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله-تعالى-في تنزيله، ونبيه

---

(١) يُنظر: ((ذم التأويل)) لابن قدامة (ص: ٢٢).

(٢) ينظر: ((أصول السنة)) لابن أبي زمنين (ص: ٧٥).



الرسول–صلى الله عليه وسلم–عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف". (١)

وقال الكلاباذي–رحمه الله–(ت: ٣٨٤ هـ): "أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة هو بها موصوف؛ من العلم، والقدرة، والقوة، والعز، والحلم، والحكمة، والكبرياء، والجبروت، والقدم، والحياة، والإرادة، والمشيئة، والكلام... وأن له سمعا وبصرا ووجها ويدا على الحقيقة، ليس كالأسماع والأبصار والأيدي والوجوه". (٢)

وقال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله". (٣)

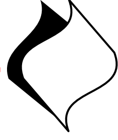
وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فلا

---

(١) ينظر: ((ذم التأويل)) لابن قدامة (ص: ١٨).

(٢) ينظر: ((التعرف لمذهب أهل التصوف)) (ص: ٣٥).

(٣) ينظر: ((التمهيد)) (٧/ ١٤٥).



ينفون عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، ولا يمثلون صفاته بصفات المخلوقين؛ فالنافي معطل، والمعطل يعبد عدما، والمشبه ممثل، والممثل يعبد صنما، ومذهب السلف إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: الآية: ١١]، وهذا رد على الممثلة. وقوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١]، رد على المعطلة). (١)

وقال أيضًا–رحمه الله–: "جماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل، والتكييف والتعطيل؛ فإن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. فمن نفى صفاته كان معطلا، ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلا، والواجب إثبات الصفات، ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات؛ إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: الآية: ١١]، فهذا رد على الممثلة، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١]، رد على المعطلة، فالممثل يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما". (٢)

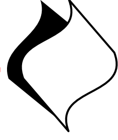
فقولهم في الصفات مبني على أصلين:

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقًا كالسنة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.

---

(١) ينظر: ((مجموع الفتاوى)) (٨/ ٤٣٢).

(٢) ينظر: ((مجموع الفتاوى)) (٦/ ٥١٥).



والثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات". [1]

ومن النصوص التي توضح ذلك ما يلي:

أ-قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١].

ففي مقام النفي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.

وفي مقام ا لإثبات: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

ب-قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ} [الفرقان: الآية: ٥٨].

ففي مقام الإثبات: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ}.

وفي مقام النفي: {الَّذِي لا يَمُوتُ}.

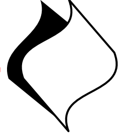
ج-قوله تعالى: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ} [البقرة: الآية: ٢٥٥].

ففي مقام الإثبات: {اللَّهُ}، و {الْحَيُّ الْقَيُّومُ}.

وفي مقام النفي: {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}، و{لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ}.

---

١ منهاج السنة ٥٢٣/٢



وأما من السنة، ففي مقام الإثبات قوله–صلى الله عليه وسلم–: ((ينزل ربنا–عز وجل– حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى سماء الدنيا)). متفق عليه [١]

وقوله–صلى الله عليه وسلم–: ((لما قضى الله عز وجل الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي)). متفق عليه [٢]

وفي مقام النفي قوله–صلى الله عليه وسلم–: ((أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً)). [٣]

وقوله–صلى الله عليه وسلم–: ((إن الله تعالى ليس بأعور)). [٤]

وقوله–صلى الله عليه وسلم–: ((إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام)). [٥]

شرح قول أهل السنة: "من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل".

توحيد الأسماء والصفات له ضدان هما:

١–التعطيل.

---

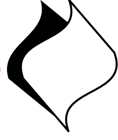
١ البخاري ٣/٢٢٩، ومسلم ١/٥٢١ ح ١٦٨

٢ البخاري ٦/٢٨٧، ح ١٩٤، ومسلم ٤/٢١٠٧ ح ١٤

٣ البخاري ١٣/٣٧٢ ح ٧٣٨٦

٤ متفق عليه، البخاري ١٣/٩٠، ومسلم ١٨/٥٩

٥ مسلم في صحيحه ١/١١١



٢-التشبيه والتمثيل.

فمن نفى صفات الرب عز وجل وعطلها، فقد كذب تعطيله توحيده.

ومن شبهه بخلقه ومثله بهم، فقد كذب تشبيهه وتمثيله توحيده. [١]

أولًا: معنى قولهم: "من غير تحريف ولا تعطيل":

هذه العبارة فيها تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة أهل التعطيل، وهذه العبارة يمكن توضيحها من خلال النقاط الآتية:

أ-معنى التحريف وبيان أنواعه:

ا-معنى التحريف:

التحريف لغة: التغيير والتبديل والإمالة.

فهو في الأصل مأخوذ من قولهم: حرفت الشيء عن وجهه إذا أملته وغيرتة.

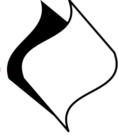
والتحريف شرعًا: الميل بالنصوص عما هي عليه، إما بالطعن فيها، أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها.

أو نقول بعبارة مختصرة: هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره. [٢]

---

١ اجتماع الجيوش الإسلامية ص: ٣٦

٢ الصواعق المرسلة ١/٢١٥



والتحريف في باب الأسماء والصفات: هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها.

٢-أنواع التحريف:

التحريف نوعان:

النوع الأول: تحريف اللفظ:

وتعريفه: هو العدول باللفظ عن جهته إلى غيرها، وله أربع صور:

١-الزيادة في اللفظ.

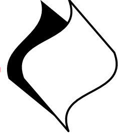
٢-النقصان في اللفظ.

٣-تغيير حركة إعرابية.

٤-تغيير حركة غير إعرابية.

ومن أمثلة تحريف اللفظ:

المثال الأول: تحريف إعراب قوله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً} [النساء: الآية: ١٦٤]، من الرفع إلى النصب، وقال: {وَكَلَّمَ اللَّهَ} أي موسى كلم الله، ولم يكلمه الله، ولما حرفها بعض الجهمية هذا التحريف قال له بعض أهل التوحيد: فكيف تصنع بقوله: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف: الآية: ١٤٣]، فبهت المحرف.



مثال آخر: إن بعض المعطلة سأل بعض أئمة العربية: هل يمكن أن يقرأ العرشُ بالرفع في قوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: الآية: ٥]، وقصد بهذا التحريف أن يكون الاستواء صفة للمخلوق لا للخالق. [١]

النوع الثاني: تحريف المعنى:

وتعريفه: هو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ[٢]. أو نقول: تعريفه: هو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما.

وهذا النوع هو الذي جال فيه أهل الكلام من المعطلة وصالوا وتوسعوا وسموه تأويلاً، وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة. [٣]

والتعبير عنه بالتحريف هو الأولى بالتسمية، فإن الله تعالى قال: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} [النساء: الآية: ٤٦]، والتعبير الذي عبر به القرآن أولى من غيره، لأنه أدل على المعنى

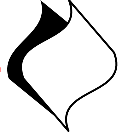
ومن أمثلة تحريف المعنى:

---

١ الصواعق المرسلة ١/ ٢١٨

٢ الصواعق المنزلة ١/ ٢٠١

٣ مختصر الصواعق ٢/١٤٧



كقول المعطلة في معنى استوى: استولى في قوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: الآية: ٥].

وفي معنى اليد في قوله تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان} [المائدة: الآية: ٦٤]، النعمة والقدرة.

وفي معنى المجيء في قوله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ} [الفجر: الآية: ٢٢]، وجاء أمر ربك.

وقد ذكر الله التحريف وذمه حيث ذكره، وهو مأخوذ في الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيه، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيرًا من ألفاظ التوراة وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه، ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم.

وقد درج على آثارهم الرافضة، فهم أشبه بهم من القذة بالقذة، وكذلك الجهمية، فإنهم سلكوا في تحريف النصوص مسالك إخوانهم في اليهود. [١]

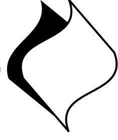
وأصحاب تحريف الألفاظ شر من أصحاب تحريف المعنى من وجه.

وأصحاب تحريف المعنى شر من أصحاب تحريف اللفظ من وجه.

فأصحاب تحريف اللفظ عدلوا باللفظ والمعنى جميعًا عما هما عليه فأفسدوا اللفظ والمعنى، بينما أصحاب تحريف المعنى أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله فكانوا خيرًا من أولئك من هذا الوجه.

---

١ الصواعق المرسلة ١/ ٢١٥، ٢١٦.



فأصحاب تحريف اللفظ لما أرادوا المعنى الباطل حرفوا له لفظًا يصلح له لئلا يتنافر اللفظ والمعنى، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فهم منه المعنى المحرف، فإنهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه، فبدأوا بتحريف اللفظ ليستقيم لهم حكمهم على المعنى الذي قصدوا. [1]

وأما كون أصحاب تحريف المعنى شرا من أصحاب تحريف اللفظ من وجه، فلأن تحريف المعنى هو الأكثر استعمالا عند أصحاب التحريف، ولأنه أسهل رواجا وسوقًا عند الجهلة والعوام من الناس، فيفتتن به من ليس لديه زاد من العلم الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

ب–معنى التعطيل:

التعطيل لغة: مأخوذ من "العطل": الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: {وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ} [الحج: الآية: ٤٥]، أي أهملها أهلها وتركوا وردها. [2]

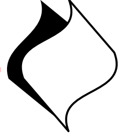
والتعطيل في جانب الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وهو المتمثل فيمن ينكر وجود خالق لهذا الكون، وهو قول الدهرية الملاحدة.

---

١ مختصر الصواعق ٢/ ١٤٧، ١٤٨.

٢ شرح الواسطية ص: ٢٠



قال ابن الجوزي-رحمه الله-(ت: ٥٩٧ هـ): "لَمَّا رأى إبليس قلَّة موافقيه على جحد الصانع، لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع، حسَّن لأقوام أن هذه المخلوقات من فِعْل الطبيعة". [١]

القسم الثاني: تعطيل عبادته عز وجل، أي ما يجب له عز وجل على عباده من حقيقة التوحيد وإفراده بالعبادة، وهو المتمثل في أهل الشرك الذين صرفوا شيئا من العبادة لغير الله عز وجل.

القسم الثالث: تعطيل الله سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله. [٢]

وهذا القسم الثالث هو الذي نقصده هنا.

فالمراد بالتعطيل في باب الأسماء والصفات هو: نفي الأسماء والصفات أو بعضها وسلبها عن الله.

أو نقول: هو نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذات الله تعالى. [٣]

ثانياً: معنى قولهم: "من غير تكييف ولاتمثيل":

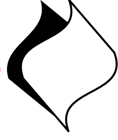
هذه العبارة فيها تميز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة.

---

١ تلبيس إبليس, لابن الجوزي, ص: ٤١-٤٢.

٢ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص: ١٥٣.

٣شرح الواسطية ص: ٢٠.



"فالتكييف"هو: جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدها بمماثل.

مثال ذلك: قول الهشامية عن الله: "طوله كعرضه". [1]

أو قولهم: "طوله طول سبعة أشبار بشبر نفسه".

وعلى هذا التعريف يكون هناك فرق بين التكييف والتمثيل.

فالتكييف: ليس فيه تقيد بمماثل.

وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

ولعل الصواب أن التكييف أعم من التمثيل.

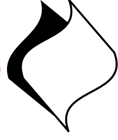
فكل تمثيل تكييف، لأن من مثل صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كيف تلك الصفة أي جعل لها حقيقة معينة مشاهدة.

وليس كل تكييف تمثيلاً، لأن من التكييف ما ليس فيه تمثيل بصفات المخلوقين، كقولهم: طوله كعرضه.

ومعنى قول أهل السنة: "من غير تكييف" أي من غير كيف يعقله البشر، وليس المراد من قولهم: "من غير تكييف" أنهم ينفون الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لابد أن يكون على

---

١ مقالات الإسلاميين ص ٣١



كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه. [1]

فمن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته عز وجل، لأنه تعالى أخبرنا عن الصفات ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا في أمر الكيفية قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وقد أخذ العلماء من قول الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة" قاعدة ساروا عليها في هذا الباب.

"ولا تمثيل":

المثيل لغة: هو الند والنظير.

والتمثيل: هو الاعتقاد في صفات الخالق، أنها مثل صفات المخلوقين.

وهو قول الممثل: له يد كيدي وسمع كسمعي، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

والتمثيل والتشبيه هنا بمعنى واحد، وإن كان هناك فرق بينهما في أصل اللغة[2].

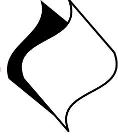
فالمماثلة: هي مساواة الشيء لغيره من كل وجه.

والمشابهة: هي مساواة الشيء لغيره في أكثر الوجوه.

---

١ شرح العقيدة الواسطية ص: ٢١

٢ القواعد المثلى ص: ٢٧



ولكن التعبير هنا بنفي "التمثيل" أولى لموافقة لفظ القرآن.

في قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: الآية: ١١].

وقوله تعالى: {فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَال} [النحل: الآية: ٧٤].

وقد وقع في التمثيل والتكييف "المشبهة" الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق بالمخلوق.

التمثيل نزعة يهودية الأصل، "فإن اليهود كثيرا ما يعدلون الخالق بالمخلوق ويمثلونه به حتى يصفوا الله بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك من النقائص التي يجب تنزيهه عنها، وهي من صفات خلقه". [١]

فقد حكى الله عنهم ذلك في كتابه، كقوله –تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: الآية: ٦٤].

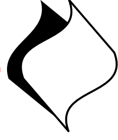
، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} [آل عمران: الآية: ١٨١]، وقوله رداً على وصفه سبحانه بالتعب: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} [ق: الآية: ٣٨].

أقسام التمثيل:

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "حقيقة الشرك هو:

---

١ مجموع الفتاوى ١٠/ ٥٥.



١. التشبه بالخالق.

٢. التشبيه للمخلوق به.

هذا هو التشبيه في الحقيقة". ١

وإذا كان التشبيه هو حقيقة الشرك كما ذكر ابن القيم، فإنه يمكن توضيح صوره بناءً على أقسام التوحيد الثلاثة المعروفة وذلك على النحو التالي:

أولاً: التمثيل في جانب الربوبية

وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التشبيه للمخلوق به، ومثاله:

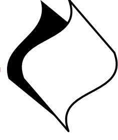
١. شرك القدرية القائلين بأن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته.

٢. شرك غلاة عباد القبور الذين يعتقدون في أصحاب القبور أنهم يتصرفون وينفعون ويضرون من دون الله.

ولا شك أن من خصائص الرب التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل به وحده. فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، -فضلاً عن غيره- شبيهاً

---

١ الجواب الكافي (١٥٩).



لمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيده، ومرجعها إليه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات". ١

القسم الثاني: التشبه بالخالق، ومن أمثلته:

١. من تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم. ٢

ففي الصحيح عنه–صلى الله عليه وسلم–قال: ((يقول الله–عز وجل–: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبته)). ٣

ثانياً: التمثيل في جانب الألوهية.

وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التشبيه للمخلوق به، ومن أمثلة ذلك:

السجود لغير الله، والذبح لغير الله، والتوبة لغير الله، والحلف بغير الله.

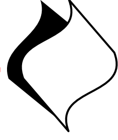
فمن خصائص الإلهية، العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما:

---

١ الجواب الكافي (ص: ١٥٩–١٦٠).

٢ المصدر السابق (ص: ١٦١).

٣ أخرجه أبو داود (٤٠٩٠)، وأحمد (٩٣٥٩) واللفظ لهما، وابن ماجه (٤١٧٤) باختلاف يسير.



١. غاية الحب.

٢. مع غاية الذل.

هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين. فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه.

فإذا عرف هذا، فمن خصائص الإلهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به.

ومنها التوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.

ومنها التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به.

ومنها الحلف باسمه تعظيماً وإجلالاً له، فمن حلف بغيره فقد شبهه به. ١

القسم الثاني: التشبه به، ومثاله:

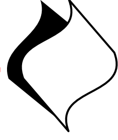
من دعا الناس إلى تعليق القلب به خوفاً، ورجاءً، وتوكلاً، والتجاءً، واستعانةً. ٢، كما يفعله بعض مشايخ طرق الصوفية مع مريديهم.

أقسام التمثيل في باب الأسماء والصفات:

---

١ انظر الجواب الكافي (ص١٦٠-١٦١).

٢ المصدر السابق (ص١٦١).



ينقسم التمثيل في باب الأسماء والصفات إلى قسمين:

القسم الأول: تمثيل المخلوق بالخالق.

وهذا ما زعمه النصارى في شأن عيسى–عليه السلام–إذ أعطوه خصائص الخالق–عز وجل–وجعلوه إلهاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها، ويشبهون المخلوق بالخالق، حيث قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة، وقالوا المسيح ابن الله". ١

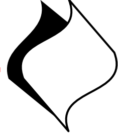
ومن هذا القسم كذلك السبيئة٢ من غلاة الروافض: الذين شبهوا علياً–رضي الله عنه–، بالله، وجعلوه إلهاً، وقالوا: أنت الله حتى حرقهم، فإنه خرج ذات يوم فسجدوا له. فقال لهم: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو. قال: من أنا؟ قالوا: أنت الله الذي لا إله إلا هو.

فقال: ويحكم هذا كفر، فارجعوا عنه، وإلا ضربت أعناقكم، فصنعوا به في اليوم الثاني والثالث كذلك، فأخرهم ثلاثة أيام –لأن المرتد يستتاب ثلاثة أيام– فلما لم يرجعوا، أمر بأخاديد من نار فخدت عند باب كندة، وقذفهم في تلك النار، وروي عنه أنه قال:

---

١ منهاج السنة (١٦٩/٥).

٢ السبيئة: نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي أظهر الإسلام، وكاد للمسلمين كيداً عظيماً، وهو الذي قال لعلي: أنت الله. انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٣٣)، والملل والنحل (١٧٤/١).



لما رأيت الأمر أمراً منكراً *** أججت ناري ودعوت قنبراً". ١

القسم الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق

وهذا ما زعمه اليهود قاتلهم الله إذ وصفوا الخالق ببعض صفات المخلوقين، كما ذكر الله ذلك عنهم في كتابه العزيز حيث قال: {لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء} [آل عمران: الآية: ١٨١]، وقال تعالى {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ} [المائدة: الآية: ٦٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فاليهود تصف الرب بصفات النقص التي يتصف بها المخلوق، كما قالوا: إنه بخيل، وإنه فقير، وإنه لما خلق السموات والأرض تعب". ٢

وإنّه رمد وعادته الملائكة وإنّه بكى على طوفان نوح عليه السلام. ٣

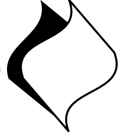
ويدخل في هذا القسم المشبهة الذين جعلوا ما ورد من صفات الله-جل وعلا- مماثلاً ومشابهاً لصفات المخلوقين كقولهم له يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري.

---

١ منهاج السنة (٣٠٧/١).

٢ منهاج السنة (١٦٨/٥).

٣ منهاج السنة (٦٢٧/٢).



"كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل".

فكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل.

١-بيان جمع المعطلة بين التعطيل والتمثيل:

أما تمثيل المعطلة: فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات.

فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته، بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم.

وتعطيل المعطلة: في نفيهم لما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات اللائقة به سبحانه.

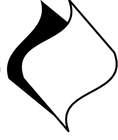
وبذلك جمعوا بين التعطيل والتمثيل: مثلوا أولاً، وعطلوا آخرًا.

وامتاز أهل التعطيل عن أهل التمثيل بنفيهم المعاني الصحيحة للصفات.

مثال لجمع المعطلة بين التعطيل والتمثيل:

نصوص الاستواء، كقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: الآية: ٥].

فإن المعطل يقول: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويًا، وكل ذلك من المحال، ونحو ذلك من الكلام. فهذا المعطل لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، وهذا اللازم الذي جاء به المعطل تابع لهذا المفهوم.



وكان الواجب عليه أن يثبت لله استواء يليق بجلاله ويختص به، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي هي من لوازم المخلوقات، ويجب نفيها في حق الله.

فأهل التعطيل وقعوا في أربعة محاذير:

الأول: كونهم مثلوا ما فهموه من النصوص بصفات المخلوقين، وظنوا أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنهم عطلوا النصوص عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله.

الثالث: أنهم بنفي تلك الصفات صاروا معطلين لما يستحقه الرب من صفات الكمال.

الرابع: أنهم وصفوا الرب بنقيض تلك الصفات، من صفات الأموات والجمادات والمعدومات[1].

٢-بيان جمع أهل التمثيل بين التعطيل، والتمثيل: [2]

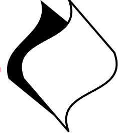
أما تعطيل الممثل فمن وجوه ثلاثة:

أحدها: أنه عطل نفس النص الذي أثبت الصفة، حيث صرفه عن مقتضى ما يدل عليه، فإن النص دال على إثبات صفة تليق بالله لا على مشابهة الله لخلقه.

---

١ الرسالة التدمرية ص: ٧٩-٨٠

٢ انظر: الفتوى الحموية ص: ٦٢-٦٣، ط: دار فجر للتراث



الثاني: أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطله عن كماله الواجب، حيث شبه الرب الكامل بالمخلوق الناقص.

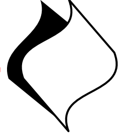
الثالث: أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطل كل نص يدل على نفي مشابهة الله لخلقه، مثل قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: الآية: ١١]، وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ٤].

أما تمثيل أهل التمثيل: فإنهم يقولون: إن الله عز وجل لا يخاطبنا إلا بما نعقل، فإذا كان مستويًا على العرش فهو كاستواء الإنسان على السرير، إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا، فامتاز هؤلاء الممثلة بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين، كما امتاز المعطلة بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي.

والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها.

"فقد هدى الله أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى فأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات، وتفوا عنه مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين وهديا بين ضلالتين.

فقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله–صلى الله عليه وسلم–، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف.



بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات، فلا نعطل ولا نؤول ولا نمثل ولا نجهل.

ولا نقول: ليس له يدان، ولا وجه، ولا سمع، ولا بصر، ولا حياة، ولا قدرة، ولا استوى على عرشه.

ولا نقول: له يدان كأيدي المخلوقين، ووجه كوجوههم وسمع وبصر وحياة وقدرة واستواء، كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم.

بل نقول: له ذات حقيقة ليست كذوات المخلوقين.

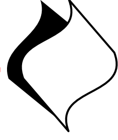
وله صفات حقيقة ليست كصفات المخلوقين.

وكذلك قولنا: في وجهه تبارك وتعالى، ويديه، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستوائه.

ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك، الصفات وحقائقها، كما لم يمنع ذلك من أثبت لله شيئا من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها، فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصر أثبتهما حقيقة وفهم معناهما، فهكذا سائر الصفات المقدسة، يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك، ولا أراده منهم، ولم يجعل لهم إليه سبيلا". [1]

---

١ الصواعق المرسلة ٢/ ٤٢٥-٤٢٧



الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات.

بيان مجمل الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته.

ارتكز معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته على ثلاثة أسس رئيسية، هي: [1]

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا.

الأساس الثاني: تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.

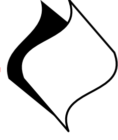
وهذه الأسس الثلاثة هي التي تفصل وتميز عقيدة أهل السنة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل (من الفلاسفة وأهل الكلام) من جهة.

وعن عقيدة أهل التمثيل (من الكرامية والهشامية وغيرهم) من جهة أخرى.

فالأساس الأول: فيه تمييز لعقيدة أهل، السنة عن عقيدة المعطلة، فأهل السنة يجعلون الأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيها عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–، ولا يتجاوزونها، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه.

---

١ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص: ٢٥



"وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقًا، وأما في باب الأخبار فمن السلف من يمنع ذلك، ومنهم من يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عر وجل وجب رده". [1]

ومجمل القول إن في الأمر ثلاثة أبواب:

١-باب الأسماء: وهذا يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٢-باب الصفات: وهذا كذلك يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

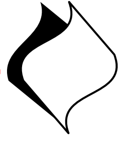
٣-باب الأخبار: وهذا لا يشترط فيه ورود النص الشرعي، ولكن يشترط أن يكون معنى اللفظ المستعمل ليس بسيء.

أما أهل التعطيل: فقد جعلوا "العقل" وحده هو أصل علمهم، فالشبه العقلية هي الأصول الكلية الأولية عندهم، وهي التي تثبت وتنفي، ثم يعرضون الكتاب والسنة على تلك الشبه العقلية، فإن وافقتها قبلت اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن عارضتها ردت تلك النصوص الشرعية وطرحت، وفي هذا يقول قائلهم: "كل ما ورد السمع به ينظر فإن كان العقل مجوزا له وجب التصديق به.

وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول.

---

١ رسالة في العقل والروح ٢/ ٤٦-٤٧ لابن تيمية (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية)



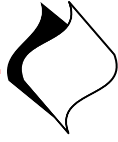
وظواهر أحاديث التشبيه–يعني بها أحاديث الصفات–أكثرها غير صحيحة، والصحيح منها ليس بقاطع، بل هو قابل للتأويل". ١

فهذا النقل يبين لك مدى تقديم هؤلاء لشبههم العقلية وتعصبهم لها، وكيف أنهم يجعلونها هي الأصول والسمع معروضا عليها، فما أجازته عقولهم قبلوه، وما لم تجزه عقولهم شككوا فيه وانتقصوه، ومن ثم سعوا في تأويله وتحريفه، ومن يلقي نظرةً على كتب الأشاعرة مثلاً يجد أن القوم يقسمون أبواب العقيدة إلى إلهيات–ونبوّات–وسمعيات، وهم في باب الإلهيات والنبوات لا يقبلون نصوص الكتاب والسنة، ولذلك لن تجد في هذين البابين إلا الشبه العقلية المركبة وفق القواعد المنطقية، ويا عجبا أنأخذ ديننا من كلام الله ورسوله، أم من ملاحدة اليونان وتلاميذهم!

وأما باب السمعيات–أي البعث والحشر والجنة والنار والوعد والوعيد–فهم يقبلون فيه النصوص الشرعية، وبالتالي سموا هذا الباب بالسمعيات. في مقابل باب الإلهيات والنبوات، إذ إنهم يعتمدون فيهما على العقليات، وهؤلاء شابهوا حال من قال الله تعالى فيهم: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: الآية: ٨٥]

---

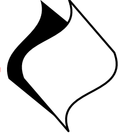
١ الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص: ١٣٢–١٣٣. وقال في كتابه المستصفى ٢/ ١٣٧–١٣٨: "كل ما دل العقل فيه على أحد الجانبين فليس للتعارض فيه مجال، إذ الأدلة العقلية يستعجل نسخها وتكاذبها، فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل، فإما أن لا يكون متواترًا فيعلم أنه غير صحيح، وإما أن يكون متواترًا فيكون مؤولاً ولا يكون متعارضًا".



وأما الأساس الثاني: وهو تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة من جهة، وعن عقيدة المشبهة من جهة أخرى.

فأهل السنة: يعتقدون أن ما اتصف الله به من الصفات لا يماثله فيها أحد من خلقه، فالله عز وجل قد أخبرنا بذلك بنص كتابه العزيز حيث قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١]، فإذا ورد النص بصفة من صفات الله تعالى في الكتاب أو السنة فيجبب الإيمان به والاعتقاد الجازم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو مما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فالشر كل الشر في عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات الله التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يكون معظمًا لله جل وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه، لتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه، أخذا بقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١]

أما أهل التعطيل: فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات التي لا وجود لها إلا في أفهامهم الفاسدة، فعقيدة هؤلاء المعطلة جمعت بين التمثيل والتعطيل، وهذا الشر إنما جاء من تنجس قلوبهم وتدنسها بأقذار التشبيه، فإذا سمعوا صفة من صفات الكمال التي أثنى الله بها على نفسه كاستوائه على عرشه ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال، فإن أول ما يخطر في أذهانهم أن هذه الصفة تشبه صفات الخلق، فيتلطخ القلب بأقذار التشبيه لم يقدر الله حق قدره ولم يعظم الله حق عظمته حيث سبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فيكون أولاً نجس القلب



بأقذار التشبيه ثم دعاه ذلك إلى أن ينفي صفة الخالق جلَّ وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق، فيكون فيها أولاً مشبهًا، وثانيًا معطلاً ضالاً ابتداءً وانتهاءً متهجمًا على رب العالمين ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق. [1]

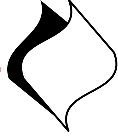
وأما عقيدة أهل التمثيل: فهي تقوم على دعواهم أن الله عز وجل لا يخاطبنا إلا بما نعقل، فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة، فشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، فقالوا: له يد كيدي، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأمَّا العارفون به، المصدقون لرسله، المقرون بكماله فهم يثبتون لله جميع صفاته، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدًى بين ضلالتين.

وأما الأساس الثالث: ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة، فأهل السنة يفوضون علم كيفية اتصاف الباري عز وجل بتلك الصفات إلى الله عز وجل، فلا علم للبشر بكيفية ذات الله–تبارك وتعالى "ولا تفسير كنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة كذا، وكل من تجرأ على شيء من ذلك فقوله من الغلو في الدين والافتراء على الله عز وجل، واعتقاد ما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوبًا من العباد في الشريعة لبينه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهو لم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علمهم

---

١ انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص: ١٩–٢٠



كما قال تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة: الآية: ٢٥٥]، فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه". [١]

وأما المشبهة فقد تعمقوا في شأن كيفيات صفات الله وتقولوا على الله بغير علم، فقالوا: له بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا، وسيأتي توضيح الأسس الثلاثة في المطالب الآتية.

بيان الأساس الأول من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات

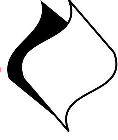
وهو: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتا ونفيا.

وهذا الأساس لابد فيه من مراعاة ما يلي:

أولاً: إن طلب العلم في المطالب الإلهية إنما يكون عن طريق الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة.

فالذي يجب اعتقاده هو أن معرفة هذا النوع من أنواع التوحيد تتوقف على دراسة الكتاب والسنة، لأن هذا التوحيد يتطلب، أسماء وصفات معينة، وهذه لا سبيل إلى معرفتها

١ انظر: معارج القبول ١/ ٣٢٦-٣٢٧

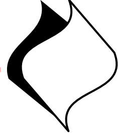


والحصول عليها إلا من طريق الكتاب والسنة (فنحن نؤمن بالله تعالى وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى بلا تكييف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته، فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأبين دليلاً من غيره)[١]، ولذلك كان معتقد أهل السنة هو الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه إثباتًا ونفيًا، لأنه لا يسمي الله أعلم بالله من الله، قال تعالى: {أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} [البقرة: الآية: ١٤٠]، وقال تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً} [النساء: الآية: ١٢٢]، وقال تعالى: {وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: الآية:١٤]، وقال تعالى: {فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً} [الفرقان: الآية: ٥٩]، فالله-عز وجل-، هو الذي سمى ووصف نفسه بما جاء في نص كلامه الذي هو القرآن.

ولا يسمي ويصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، الذي قال الله في حقه: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: الآيات: ٣-٤]، ولقد جاءت رسالة النبي-صلى الله عليه وسلم-بإثبات الصفات إثباتًا مفصلاً على وجه ثلجت به الصدور واطمأنت به القلوب، واستقر الإيمان في نصابه، وفصلت ذلك أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررته أكمل تقرير في أبلغ لفظ، ولذلك كان لزامًا على كل مسلم أن يؤمن بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.

---

١ معارج القبول ١/٣٣٠-٣٣١



قال ابن خزيمة-رحمه الله-(ت:٣١١ هـ): "نحن نثبت لخالقنا جل وعلا صفاته التي وصف الله عز و جل بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى، مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولا إليه"[١].

وقال أيضًا: "لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه إما في كتاب الله أو على لسان نبيه بنقل العدل عن العدل موصولا إليه لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية ولا نحتج أيضا في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس شيء منها أبدا مخالفا لكتاب الله، أو الشيء منه، فمن ادعى من الجهلة أن شيئا من سنن النبي إذا ثبت من جهة النقل مخالف لشيء من كتاب الله فأنا الضامن بتثبيت صحة مذهبنا على ما أبوح به منذ أكثر من أربعين سنة". [٢]

قال الحافظ أبو نصر الوائلي البكري السجزي-رحمه الله-(ت: ٤٤٤ هـ]: "وقبل كل شيء ينبغي أن يعلم أن اعتمادنا في المعتقدات أجمع على السمع فإذا ورد السمع بشيء قلنا به، ولم نلتفت إلى شبهة يدعيها مخالف". [٣]

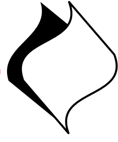
ثانيًا: تقديم الشرع على العقل، فالأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع. فمعتقد أهل السنة في هذا الباب وفي غيره من أبواب العقائد والأحكام أن العقل المجرد ليس له إثبات شيء من العقائد والأحكام، وإنما المرجع في ذلك إلى القرآن والسنة.

---

١ التوحيد (١/ ٥٧) وينظر (١/ ٥١، ٦٥).

٢ التوحيد (١/٣٧).

٣ الرد على من أنكر الحرف والصوت ص: ١٥٣.



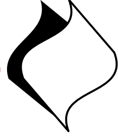
فالعقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجب الوقوف في ذلك على النص، لأن العقل يقصر عن إدراك حقيقة المغيبات حتى وإن كانت تلك المغيبات أقرب شيء إليه، فهو قاصر عن أن يحيط علمًا بحقيقة روحه التي بين جنبيه لما أخفى الله أمرها عنه، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} [الإسراء: الآية: ٨٥]، فإذا كان الإنسان يجهل أمر روحه فكيف يحيط علمًا بذات الله وما يصلح وما لا يصلح لذاته من الأسماء والصفات، والله قد أخفى عن الخلق كيفية ذاته؟!.

"ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس باعتقاده من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفة الجنة وصفة النار، وجدناها أمورًا لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئا من أمور الذين، وعقلناه، وفهمناه، فلله الحمد في ذلك، والشكر ومنه التوفيق، وما لم يمكنًّا إدراكه ولم تبلغه عقولنا آمنا به، وصدقناه، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه، ومشيئته، قال تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء} [البقرة: الآية: ٢٥٥]". [١]

"واعلم أن فصل ما بيننا وبين المعطلة هو "مسألة العقل"، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعًا للمعقول.

---

١ الحجة في بيان المحجة ٣٢١/١ بتصرف



وأما أهل السنة فقالوا: الأصل في الدين الإتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء". [١]

فالتقرير بأن النقل مقدم على العقل لا ينبغي أن يفهم منه أن أهل السنة ينكرون العقل والتوصل به إلى المعارف والتفكير به في خلق السموات والأرض، وفي الآيات الكونية الكثيرة، فأهل السنة لا ينكرون استعمال العقل، ولكنهم توسطوا في شأن "العقل" بين طائفتين ضلتا في هذا الباب، هما:

أهل الكلام: الذين يجعلون العقل وحده أصل علمهم، ويفردونه، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية، المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

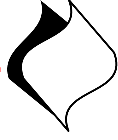
فهؤلاء جعلوا عقولهم هي التي تثبت وتنفي والسمع معروضا عليها، فإن وافقها قيل اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن عارضها رُدَّ وطُرِحَ، وهذا من أعظم أسباب الضلال التي دخلت على هذه الأمة.

وأهل التصوف: الذين يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية، والمقامات الرفيعة، لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب صريح العقل.

ويمدحون السكر والجنون والوله، وأمورًا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها.

---

١ المصدر السابق ١/ ٣٢٠



وكلا الطرفين مذموم.

وأما أهل السنة: فيرون أن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك.

فالعقل غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين.

فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس أو النار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها.

وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه. [1]

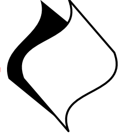
رابعًا: رفض التحريف والتعطيل لنصوص الأسماء والصفات.

فالسلف يعتقدون أن الواجب في نصوص القرآن والسنة بما في ذلك نصوص الأسماء والصفات هو إجراؤها على ظاهرها، وذلك بأن تُفهتم وفق ما يقتضيه اللسان العربي، وأن لا يتعرض لها بتحريف أو تعطيل كما فعل المعطلة، الذين تلاعبوا بظواهر النصوص! لمجرد أنها خالفت باطلهم ومناهجهم الفاسدة[2].

---

١ مجموع الفتاوى ٣/٣٣٨-٣٣٩ بتصرف

٢ درء تعارض العقل والنقل ٢/٣٠١



فنصوص الصفات ألفاظ شرعية يجب أن تحفظ لها حرمتها، وذلك بأن نفهمها وفق مراد الشارع، فلا نتلاعب بمعانيها لنصرفها عن مراد الشارع.

فمن الأصول الكلية عند السلف أن الألفاظ الشرعية لها حرمتها، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد الله ورسوله بها ليثبت ما أثبته الله ورسوله من المعاني، وينفى ما نفاه الله ورسوله من المعاني. [1]

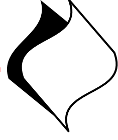
وبحمد الله وفضله نجد أن نصوص الصفات الواردة في القرآن والسنة هي من الوضوح والكثرة بمكان، بحيث يستحيل تأويلها والتلاعب بنصوصها، فلقد جاءت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بإثبات الصفات إثباتًا مفصَّلاً على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء، وحصل به العلم اليقيني، ورفع الشك والريب، فثلجت به الصدور، واطمأنت به القلوب، واستقر الإيمان في نصابه، فلقد فصلت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الأسماء والصفات والأفعال أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررت إثباتها أكمل تقرير في أبلغ لفظ.

فالمطلع على نصوص القرآن والسنة الخبير بهما، لا يزيده تحريف المعطلة لتلك النصوص إلا احتقارًا لهم، ويقينًا بفساد معتقدهم وبطلانه.

ولا تروج تحريفات المعطلة إلا على الجاهل بمعرفة تلك النصوص قليل البضاعة فيها، فهذا الصنف! أتي من جهة جهله لا من قلة النصوص الواردة في هذا الباب، والله أعلم.

---

١ مجموع الفتاوى ١٢/١١٣-١١٤ بتصرف



قال المقريزي–رحمه الله–(ت: ٨٤٥ هـ) في كلامه على افتراق الناس في نصوص الصفات: "فصار للمسلمين في ذلك خمسة أقوال:

أحدها: اعتقاد ما يفهم مثله من اللغة.

وثانيها: السكوت عنها مطلقا،

وثالثها: السكوت عنها بعد نفي إرادة الظاهر،

ورابعها: حملها على المجاز،

وخامسها: حملها على الاشتراك". [١]

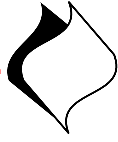
وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي الشافعي[٢](ت: ٦٩٤ هـ): "وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك: من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها، أو الوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل". [٣]

---

[١] الخطط المقريزية ٣/ ٣١٩.

[٢] أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عماد الدين الواسطي، البغدادي، فقيه كان شافعا، قدم دمشق فتتلمذ على ابن تيمية وانتقل إلى المذهب الحنبلي ورد على المبتدعة الذين خالطهم. من كتبه اختصار دلائل النبوة»، و «شرح منازل السائرين وغيرها. الأعلام ١/ ٨٩، الدرر الكامنة ١/ ١١، الشذرات ٩/ ٢٩.

[٣] النصيحة في صفات الرب جل وعلا ص ٩.

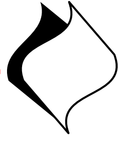


ومن أقوال العلماء في تقرير هذا الأساس:

قول عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون–رحمه الله–(ت: ١٦٤ هـ)–وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب–. "وقد سئل فيما جحدت به الجهمية:

أما بعد: فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب [العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير وَكَلَّت الألسن عن] تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجد مساغًا فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أُمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال «كيف»؟ لمن لم يكن ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول، ولم يَزَلْ، وليس له مثل، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يعرف قدر من لم يبد ومن لم يمت، ولا يبلى، وكيف [يكون] لصفة شيء منه حد أو منتهى؟ يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين، لا حق أحق منه، ولا شيء، أبين منه. الدليل على عجز العقول في تحقيق صفته، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صغرًا يحول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر، لما يتقلب به ويحتال من عقله، أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم وسيد السادات، وربهم {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١].

اعرف ـ رحمك الله ـ غناك عن تَكَلُّف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها، إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف، هل تستدل بذلك على شيء من طاعته، أو تنزجر به عن شيء من معصيته؟



فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقًا وتكلفًا، فقد {اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ} [الأنعام: الآية: ٧١] فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن [قال]: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا فعمي عن البَيِّن بالخفي، وجحد ما سمى الرب من نفسه بصمت الرب عما لم يسم منها، فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الرب ـ عز وجل ـ {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣] فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه، ونضرته إياهم {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} [القمر: الآية: ٥٥] ، "وقد قضى أنهم لا يموتون، فهم بالنظر إليه ينظرون.

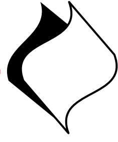
إلى أن قال: وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدًا.

وقال المسلمون: يا رسول الله، هل نرى ربنا؟

فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((هل تُضَارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟)) قالوا: لا. قال: ((فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترون ربكم كذلك)).

وقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه، فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض)).

وقال لثابت بن قيس-رضي الله عنه-: ((لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة)).

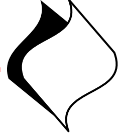


وقال فيما بلغنا: ((إن الله ليضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم))، فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟ [قال: ((نعم)). قال: لا نعدم من رب يضحك خيرًا" في أشباه لهذا مما لم نحصه.

وقال الله تعالى: {وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١]، {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: الآية: ٤٨] ، وقال تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه: الآية: ٣٩] ، وقال: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: الآية: ٧٥] ، وقال تعالى: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: الآية: ٦٧] . فوالله ما دلَّهُم على عِظَم ما وصفه من نفسه، وما تحيط به قبضته إلا صغر [نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي] ألقى في روعهم، وخلق على معرفة [قلوبهم]، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-سميناه كما أسماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه. لا هذا ولا هذا. لا نجحد ما وصف، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف.

اعلم-رحمك الله-أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهي بك ولا تجاوز ما حد لك، فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة، فلا تخافنّ في ذكره وصفته من ربك ما وصفه من نفسه عيبًا، ولا تتكلفنّ لما وصف لك من ذلك قدرًا.

وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك. من ذكر ربك. فلا تتكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه، فإن تكلفك [معرفة] ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت



ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم [تكلف] ما وصف الواصفون مما لم يصف منها.

فقد ـ والله عَزّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله من نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلبُ مسلم، ولا تكلَّف صفة قدرة ولا تسمية غيره من الرب مؤمن.

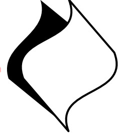
وما ذكر عن الرسول–صلى الله عليه وسلم–أنه سماه من صفة ربه، فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب من نفسه.

والراسخون في العلم ـ الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها ـ لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدًا، ولا يتكلَّفون وصفه بما لم يُسم تعمُّقًا، لأن الحقَّ تركُ ما ترك وتسميةُ ما سمَّى ومن يتبع {غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: الآية: ١١٥]، وَهَبَ اللهُ لنا ولكم حُكْمًا، وألحَقَنا بالصالحين اهـ.

وقد تضمن كلامه رحمه الله عدداً من المسائل منها:

أن هناك أربعة أمور لابد من مراعاتها في باب الصفات:

أولًا: الإثبات في قوله: "**فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما أسماه**" أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.



ثانيًا: عدم الزيادة في قوله: "**ولم نتكلف منه صفة ما سواه ـ لا هذا ولا هذا**". أي: لا نزيد على ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

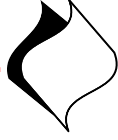
ثالثا: التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه في قوله: "**ولا نتكلف معرفة ما لم يصف**" أي لا نخوض ونتكلف في معرفة ما لم يرد به النص.

رابعاً: عدم النقص في قوله: "**لا نجحد ما وصف**" أي: لا ننقص مما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-.

وقوله: "**اعلم ـ رحمك الله ـ أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهي بك ولا تجاوز ما حد لك**"، هذه قاعدة لو التزمها العبد لسلِم ونجا، قف عند ما أخبرك الله من الغيب ولا تتجاوز ذلك الحد، "**فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر** ": أي: من إقامة الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر.

"**فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة، فلا تخافنّ في ذكره**" يعني: اصدع به، وقل ربنا يضحك، وربنا يغضب، وربنا يرضى، لماذا تجبن في هذه المواقف؟ مع أن عندك كلام الله تعالى وكلام رسوله صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم؟

"**وصفته من ربك ما وصفه من نفسه عيبًا**"، يعني: لا تخف عيب أن يُعاب عليك فيُقال لك مشبِّه، أو يُقال لك مجسِّم، أو يُقال لك حشوي، أو يُقال وهَّابي، وغير ذلك من العبارات التي تسمعها، ومعك من ذلك دليلٌ من كلام الله-تعالى-وكلام رسوله-صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم-؟



فلا بُدَّ من إقامة المعروف ولا بُدَّ من إنكار المنكر، أمة تعطِّل وتجحد، وأنت على الحق تعرف الحق وعندك دليله، لماذا لا تصدع بالحق؟ ولماذا لا تنكر المنكر الذي هو في هذا الباب هو التعطيل؟ "**ولا تتكلفنّ لما وصف لك من ذلك قدرًا**" يعني: لا تخض في الكيفية كما وقع المشبه في هذا.

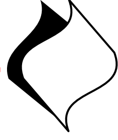
"**وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك، فلا تكلفن علمه بعقلك**"، هذا الباب ليس فيه رأي وليس فيه اجتهاد، فيه نص فقط، فإن جاء النص فبها، وإلا فاسكت ولا تخض فيما لا علم لك بك.

ليس الأمر كمسائل الفروع مثلًا، أو مسائل ما يتعلق بأمور الفقه، فأمور الفقه تخضع لاجتهاد في حال عدم النص، لكن أمور الاعتقاد لا بُدَّ فيها من نص.

"**ولا تصفه بلسانك**" يعني: هذا في حق ما لم يرد، نصيحة غالية من أحد أئمة السلف: لا تتجاوز الحدَّ الذي يُحدُّ لك، فما جاء به النص فآمن وسلم، وما لم يأت به النص فعندنا هنا في هذا الباب ثلاثة أمور:

- أمورٌ أثبتها الله لنفسه فنثبت ما أثبته لنفسه.
- أمورٌ نفاها عن نفسه فننفي ما نفاه عن نفسه.
- وأمورٌ لم يرِد بها نفيٌ ولا إثبات فنتوقف فيها ولا نخوض فيها.

هذه ثلاثة أمور: نثبت ما أثبته لنفسه، وننفي ما نفاه عن نفسه، وما لم يرد إثباته أو نفيه نسكت عنه ولا نخوض فيه.



"فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها" يعني: يستوي، فهذا محظور وهذا محظور، التعطيل محظور وكذلك التقول على الله بغير علمٍ محظور، **"فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظِم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها"**.

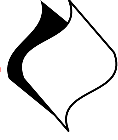
إذًا كما أنت تكبر وتعظم ما فعله المعطِّلة من جحد الصفات، فكذلك أكبر وأعظم التقول على الله بغير علم، وقلنا إن هذا من سبيل الشيطان؛ لأن الله تعالى عندما ذكر الشيطان ذكره بذلك، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: الآية:١٦٩] فهذا من سبيل الشيطان.

فإذًا من القول على الله-عزَّ وجلَّ-بغير علم: أن تصفه بما لم يصف به نفسه، فهل هناك أسلم من هذا المنهج؟! منهجٌ يقف مع النص ولا يتجاوز النص، فبالتالي ما أثبته الله لنفسه يُثبت، وما نفاه عن نفسه يُنفى، وما لم يثبته أو ينفه فنقف فيه فلا نخوض فيه لا نفيًّا ولا إثباتًا.

"فقد-والله-عز المسلمون" يعني: قل الذين على المعتقد الصحيح، **"الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن"** فهذا حال المؤمن.

فهذه نصوص واضحة لو أن الإنسان نظر لها النظرة السليمة، ولكن كما قال الشاعر:

وكَمْ من عائِبٍ قوْلًا صَحيحًا وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السّقيمِ



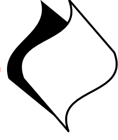
فالسبب في هذا: أفهام سقيمة، وإن النصوص واضحة وثابتة، فالخلل هنا إما أن يكون في النصوص، أو يكون في عقول هؤلاء، وحاشا أن يكون في النصوص، فالنصوص ثابتة والله تعالى أخبر عن استوائه ونبيه -صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم-أخبر عن نزوله، وهكذا في سائر صفاته بين الكتاب والسُنَّة نصوص ثابتة صريحة صحيحة.

لكن الخلل من أفهامٍ تنظر إلى هذه الأمور بنظرةٍ غير صحيحة وغير سليمة، فهذه النصوص فلذلك عزَّ والله من يعرف المعروف وينكر المنكر، وهذه النصوص واضحة وصريحة وامتلأت بها الكتب التي حوت هذا الأمر.

"وما ذُكر عن رسول الله-صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم-أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب تعالى من نفسه" يعني: ما جاء في السُنَّة مثل ما جاء في القرآن لا نفرق بين هذا وبين هذا، فهذا وحيٌ متلو، وهذا وحيٌ غير متلو، وكلٌ نحن متعبدون به، الإيمان به والتصديق به والإقرار به كما أخبر الله تعالى، والله تعالى قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: الآية: ٧].

"والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها، لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدها، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقًا" فانظر المنهج الصحيح: يثبتون ما أثبته لنفسه ولا يجحدون، وكذلك ما أثبتوه لا يخوضون في كيفيات، **"لأن الحق ترك ما ترك، وتسمية ما سمى"**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ)-رحمه الله-: "وهذا كله كلام ابن الماجشون (ت: ١٦٤ هـ) الإمام فتدبره، وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقة لغيره من



الأئمة، وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية: أنه يلزم أن يكون جسمًا أو [عَرَضًا فيكون]."

قول عبد الرحمن بن قاسم العُتَقي من كبار فقهاء المالكية، صحب مالكاً -رحمه الله- (ت: ١٩١ هـ): "لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن". (١)

وقال الإمام الشافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ): "حرامٌ على العقول أن تُمَثِّل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحدَّه، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكِّر، وعلى الضمائر أن تعمَّق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم". (٢)

قال الشافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ): "هذه المعاني التي وصف الله-عز وجل-بها نفسه، ووصفه بها رسوله-صلى الله عليه وسلم-، لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والرؤية". (٣)

---

(١) انظر: رياض الجنة بتخريج أصول السنة ص (٧٥) برقم (٢٥)، والصفات أيضاً تؤخذ من السنة الصحيحة، ولعل قول عبد الرحمن بن القاسم جاء على الغالب، والله أعلم.

(٢) انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص: (٢٣٤-٢٣٥) برقم (٣٤).

(٣) اعتقاد الإمام الشافعي، رواية أبي طالب العشاري (١٨).

قال الشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ): "نثبت هذه الصفات، وننفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه–تعالى–ذكره، فقال: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١]". (١)

وقال الإمام أحمد (ت: ٢٤١ هـ)–رحمه الله–: "ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية، ... ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت". (٢)

وقال سحنون (ت: ٢٥٦ هـ)–رحمه الله–: "من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه". (٣).

وقال ابن قتيبة–رحمه الله–(ت: ٢٧٦ هـ)، عن نصوص الصفات: "نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها ... من غير أن نقول في ذلك بكيفية، أو بحد، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجوا أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً، إن شاء الله تعالى". (٤)

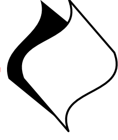
---

(١) اعتقاد الإمام الشافعي، رواية أبي طالب العشاري (١٨).

(٢) انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص (٢٣٤) برقم (٣٣).

(٣) انظر: التمهيد (٧/١٤٦)، ذم التأويل لابن قدامة ص (٢٣٦) برقم (٣٨).

(٤) الاختلاف في اللفظ (٢٤٣) مطبوع ضمن كتاب عقائد السلف للنشار.



وقال الدارمي-رحمه الله-(ت: ٢٨٠ هـ): "لا نكيف مجيئه وإتيانه أكثر مما وصف الناطق من كتابه ثم ما وصف رسوله". (١)

وقال الدارمي (ت: ٢٨٠ هـ)-رحمه الله-:"ليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعًلا، أو صفة، بفعالهم، وصفتهم". (٢)

وقال الطبري-رحمه الله- (ت: ٣١٠ هـ) عن الصفات: "الصواب من هذا القول عندنا: أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات، ونفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه جل ثناؤه فقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١]". (٣)

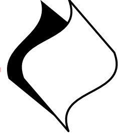
وقال ابن خزيمة-رحمه الله-(ت: ٣١١ هـ)، عن أحاديث نزول الرب-جَّل وعلا-: "رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي-صلى الله عليه وسلم-في نزول الرب-جل وعلا-إلى السماء الدنيا كل ليلة نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله-جل وعلا-لم يترك ولا نبيه-عليه السلام-بيان ما

---

(١) نقض الدارمي (٢/ ٦٨٠).

(٢) الرد على الجهمية (٩٣).

(٣) التبصير في معالم الدين (١٤٠) وينظر: (١٤٢،١٤٤).



بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول". (١)

وقال ابن خزيمة (ت: ٣١١ هـ)-رحمه الله-: "نحن نثبت لخالقنا-جل وعلا-صفاته التي وصف الله-عز وجل-بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولا إليه". (٢)

وقال البربهاري-رحمه الله-(ت: ٣٢٩ هـ) "ولا يقول في صفات الرب-تعالى-: كيف؟ ولِمَ؟ إلا شاك في الله". (٣)

وقال أبو بكر الإسماعيلي-رحمه الله-(ت: ٣٧٠ هـ): "اعلموا-رحمنا الله وإياكم-أن مذهب أهل الحديث-أهل السنة والجماعة-: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله-تعالى-، وما صحت به الرواية عن رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم-، لا معدل عما وردا به، ولا سبيل إلى رده... ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى، موصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم". (٤)

---

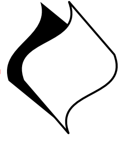
(١) التوحيد (١/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٢) التوحيد (١/ ٥٧).

(٣) شرح السنة (٤١).

(٤) اعتقاد أهل السنة (٣١-٣٢) وأورده الذهبي بإسناده في العلو (٢٢٩) وفي السير (١٦/ ٢٩٥)

وانظر: مختصر العلو للألباني (٢٤٨).



وقال الإمام الخطابي-رحمه الله-(ت: ٣٨٨ هـ): "إن صفات الله-تعالى-لا تؤخذ إلا من كتاب أو من قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-دون قول أحد من الناس كائناً من كان علت درجته أو نزلت تقدم زمانه أو تأخر لأنها لا تدرك من طريق القياس والاجتهاد فيكون فيها لقائل مقال ولناظر مجال". (١)

وقال أيضاً: "ومن علم هذا الباب -أعني الأسماء والصفات-ومما يدخل في أحكامه، ويتعلق به من شرائط، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس، فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارض الكلام". (٢)

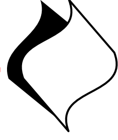
قال ابن عقيل-رحمه الله-(ت: ٥١٣ هـ) في الكفاية(٣): ((فصل عجيب يخفى على كثير من الأصوليين: وذلك أنه لا يجوز الإغراق في الإثبات مجاوزة لما أثبته الشرع ودلَّ عليه، كذلك لا يجوز الإغراق في النفي ولا الإقدام على نفي شيء عن الله إلا بدليل؛ لأن النفي أيضا لا يؤمن معه إزالة ما وجب له سبحانه، فالنفي يحتاج إلى دليل كما أن الإثبات يحتاج إلى دليل، كما أن إثبات ما لا يجب له كفر، فنفي ما جُوِّزَ عليه خطأ وفسق، ومثال ذلك: أن يغرق هؤلاء الخطباء والقصاص في نفي النقائص، ثم يدرجون فيها ما وردت به السنن

---

(١) نقلاً عن بيان تلبيس الجهمية (٤٤٢/١).

(٢) شأن الدعاء ص (١١١).

(٣) "كفاية المفتي" في عشر مجلدات، ويسمى أيضاً: "الفصول"، معظمه مفقود، وتوجد منه قطعتان مخطوطتان، إحداهما: بدار الكتب المصرية، والأخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق، انظر: مقدمة تحقيق كتاب "الواضح في أصول الفقه" (١٩/١).



ويقولون ليس بفوق ولا تحت ولا يدرك ولا يعلم ولا يعرف ولا ولا، فربما ساقوا في نفيهم نفي صفة وردت بها السنن)). (١)

وعلق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): ((وهذا هو الصواب عند السلف والأئمة وجماهير المسلمين أنه لا يجوز النفي إلا بدليل كالإثبات، فكيف ينفى بلا دليل ما دل عليه دليل إما قطعي وإما ظاهري، بل كيف يقال: ما لم يقم دليل قطعي على ثبوته من الصفات يجب نفيه أو يجب القطع بنفيه، ثم يقال في القطعي إنه ليس بقطعي، فهذه المقدمات الفاسدة هي وسائل الجهل والتعطيل وتكذيب المرسلين)). (٢)

وقال الإمام السجزي-رحمه الله-(ت: ٤٤٤ هـ): "وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف ... ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله-صلى الله عليه وسلم-". (٣)

وقال الإمام ابن عبد البر-رحمه الله-(ت: ٤٦٣ هـ): ((... ما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله-تعالى-إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم)) (٤).

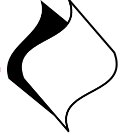
---

(١) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في بيان تلبيس الجهمية (٧٩/١).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٧٩/١).

(٣) الردّ على من أنكر الحرف والصوت ص (١٢١).

(٤) التمهيد (١٤٥/٧).



وقال قوام السنة الأصبهاني-رحمه الله-(ت: ٥٣٢ هـ): "قال علماء السلف: جاءت الأخبار عن النبي-صلى الله عليه وسلم-متواترة في صفات الله تعالى، موافقة لكتاب الله-تعالى-، نقلها السلف على سبيل الإثبات والمعرفة، والإيمان به والتسليم، وترك التمثيل والتكييف، وأنه-عز وجل-أزلي بصفاته وأسمائه، التي وصف بها نفسه، أو وصفه الرسول-صلى الله عليه وسلم-بها، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدا، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت دخل في حكم التشبيه في الصفات التي هي محدثة في المخلوق، زائلة بفنائه غير باقية، وذلك أن الله-تعالى-امتدح نفسه بصفاته، ودعا عباده إلى مدحه بذلك، وصدق به المصطفى-صلى الله عليه وسلم-، وبين مراد الله فيما أظهر الله لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته، وكان ذلك مفهومًا عند العرب غير محتاج إلى تأويله". (١)

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي-رحمه الله-(ت: ٦٢٠ هـ): "فإن صفات الله تعالى لا تُثبت ولا تُنفى إلا بالتوقيف". (٢)

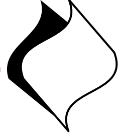
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- (ت: ٧٢٨ هـ): "وباب الأسماء والصفات يُتَّبَع فيها الألفاظ الشرعية، فلا نطلق إلا ما يرد به الأثر". (٣)

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٨٣) و (٢/ ٥٤٩).

(٢) ذم التأويل لابن قدامة ص: (١٢١).

(٣) قاعدة في المحبة، ضمن جامع الرسائل (٢/ ٢٣٩).



وقال أيضاً: "ومن الوجوه الصحيحة أن معرفة الله بأسمائه وصفاته على وجه التفصيل لا تعلم إلا من جهة الرسول–عليه الصلاة والسلام–، إما بخبره وإما بخبره وتنبيهه ودلالته على الأدلة العقلية، ولهذا يقولون لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله–صلى الله عليه وسلم–قال الله–تعالى–: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصفات: الآيات: ١٨١-١٨٢]". (١)

وقال–رحمه الله–: "ومعلوم أن الوصف بالنفي كالوصف بالإثبات". (٢) أي يحتاج فيهما إلى دليل من الكتاب والسنة.

وقال أيضاً: "فالأصل في هذا الباب–أي باب توحيد الأسماء واصفات–، أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله: نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه". (٣)

وقال شيخ الإسلام أيضاً: "فنثبت ما علمنا ثبوته، وننفي ما علمنا نفيه، ونسكت عما لا نعلم نفيه ولا إثباته". (٤)

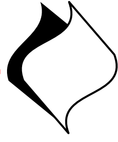
---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٤٨).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/٤٤٤).

(٣) التدمرية ص (٦-٧).

(٤) التدمرية ص (١٤٦).



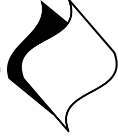
وقال أيضاً: "بل النافي عليه الدليل على نفي ما نفاه، كما على المثبت الدليل على ثبوت ما أثبته، ومن ليس عنده دليل على النفي والإثبات، فعليه أن لا ينفى ولا يثبت فغاية ما عنده التوقف في نفي ذلك وإثباته". (١)

وقال أيضاً: "وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل، كما قال تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ}[الصافات: الآية: ١٨٠]، أي: عما يصفه الكفار المخالفون للرسل، {وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} [الصافات: الآية: ١٨١]، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الصافات: الآية: ١٨٢]، فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل، فأتوا بإثبات مفصَّل ونفي مجمل، فمن نفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات كان معطلاً، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلاً، والمعطِّل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً، وقد قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: الآية: ١١]، وهو ردٌّ على الممثلة، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١]، وهو ردٌّ على المعطِّلة". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/٤٤).

(٢) الجواب الصحيح (٤/ ٤٠٥).



وقال أيضاً: "فالواجب أن ينظر في هذا الباب فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني". (١)

وقال الإمام ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي". (٢)

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي–رحمه الله–(ت: ٧٩٢ هـ): "فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يُعتصم بها في الإثبات والنفي، فنُثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني". (٣)

وقال ابن الوزير اليمني–رحمه الله–(ت: ٨٤٠ هـ): "وأيضا فأسماء الله وصفاته توقيفية شرعية وهو أعز من أن يطلق عليه عبيده الجهلة ما رأوا من ذلك". (٤)

وقال الملا علي القاري–رحمه الله–(ت: ١٠١٤ هـ): "حيث إن أوصاف الله تعالى توقيفية". (٥)

---

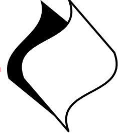
(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٥٤).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٤٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص: (٢٦١).

(٤) إيثار الحق على الخلق ص: (٣٠٨).

(٥) الردّ على القائلين بوحدة الوجود ص: (١١٣).



وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ): "إذا قال قائل: هل الصفات توقيفية كالأسماء، أو هي اجتهادية؛ بمعنى أنه يصح لنا أن نصف الله–تعالى–بشيء لم يصف به نفسه؟

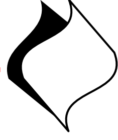
فالجواب أن نقول: إن الصفات توقيفية على المشهور عند أهل العلم، كالأسماء، فلا نصف الله إلا بما وصف به نفسه". (١)

هذه بعض النقول من بعض الأئمة فيها بيان أن توحيد الأسماء والصفات عموماً وباب الصفات منه، توقيفيٌ لا يؤخذ إلا من الكتاب والسنة، وهذا شاملٌ للنفي والإثبات، فكما أننا لا نثبت لله–عز وجل–شيئاً إلا إذا ورد في الكتاب والسنة، فكذلك لا ننفي عن الله–عز وجل–شيئاً إلا إذا ورد نفيه في الكتاب والسنة.

فكلام هؤلاء الأئمة صريح في أن هذا الباب توقيفي؛ لأنه من باب الغيب الذي لا يُعْلَم إلا بخبر من الله–عز وجل– على لسان رسوله–صلى الله عليه وسلم–، في كتابه–عز وجل–أو سنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–الصحيحة، والكلام فيه دون توقيف من أعظم الافتراء على الله–عز وجل–، وهو من الأبواب التي لا يصلح معها النظر العقلي الصِّرف؛ لأن الله–عز وجل–قرر بأنه: {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ} [الشورى: الآية: ١١]، وإذا كان كذلك، كان لابد من اعتماد على النصوص الشرعية.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١٤٢/١).



بيان الأساس الثاني من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات

وهو: تنزيه الله جل وعلا أن يماثل شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

فتوضيحه يكون وفق ما يلي:

أولاً: ا لأدلة الشرعية الواردة في تنزيه، الله عن مشابهة المخلوقين:

١-قال-تعالى-: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}. [الشورى: الآية: ١١]

٢-وقال-تعالى-: {فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ}. [النحل: الآية: ٧٤]

٣-وقال-تعالى-: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}. [النحل: الآية: ٦٠]

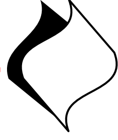
٤-وقال-تعالى-: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}. [الروم: الآية: ٢٧]

٥-وقال-تعالى-: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً}. [مريم: الآية: ٦٥]

٦-وقال-تعالى-: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}. [الإخلاص: الآية: ١]

٧-وقال-تعالى-: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ}. [الإخلاص: الآية: ٤]

وجه دلالة الآيات:



١-قوله-عز وجل-: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}. [الشورى: الآية: ١١]: دليل على أن الله منزه عن أن يكون له مثل في شيء مما يوصف به من صفات كماله. [١]

والآية: في تفسيرها وجهان:

الأول: أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل "المثل" في الكلام توكيدًا للكلام.

والثاني: أن يكون معناها: ليس مثله شيء، فتكون "الكاف" هي المدخلة في الكلام توكيدًا [٢] وهذا وجه قوي حسن وهو الأظهر. [٣]

وقد اتفق أهل السنة على أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. [٤]

٢-وقوله-تعالى-: {فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ}. [النحل: الآية: ٧٤]:

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ) في تفسيرها: "فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه، فإنه لا مثل ولا شبه". [٥]

---

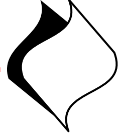
١ مجموع الفتاوى ١٦/٩٨

٢ تفسير الطبري ٢٥/١٢-١٣

٣ شرح الطحاوية ص: ١٤٦

٤ شرح الطحاوية ص: ٩٩

٥ تفسير الطبري ١٤/ ١٤٨.



وقال ابن كثير-رحمه الله-(ت: ٧٧٤ هـ): "أي لا تجعلوا له أندادًا وأشباهًا وأمثالاً". [١]

٣-وقوله-تعالى-: {لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}. [النحل: الآية: ٦٠].

٤-وقوله-تعالى-: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. [الروم: الآية: ٢٧]

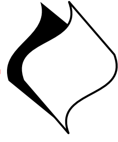
"فالله تعالى وصف نفسه بأن له المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلَّما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنهما إن تكافآ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة". [٢]

---

١ تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٨.

٢ الصواعق المنزلة ٣/ ١٠٣٢، وشرح الطحاوية ص: ١٤٤.



٥-وقوله-تعالى-: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً}. [مريم: الآية: ٦٥]: روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-في تفسيرها قوله: "هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً". [١]

وكذلك قال مجاهد (ت: ١٠٤ هـ) وسعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) وقتادة (ت: ١١٨ هـ) وابن جريج (ت: ١٥٠ هـ)، وغيرهم. [٢]

٦-وأما قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١]، فالأحد يقتضي أنه لا مثل له ولا نظير.

٧-وكذا قوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ٤]، فالوحدانية تقتضي الكمال، والشركة تقتضي النقص. [٣]

ثانيًا: دلالة العقل على بطلان.شبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين:

١-القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شي لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات. [٤]

فقد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر من صفات المخلوقين

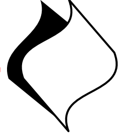
---

١ تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦.

٢ تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٣١.

٣ مجموع الفتاوى ١٦/ ٩٩.

٤ الرسالة التدمرية ص: ٤٣



المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكهما في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينهما وبين الخالق أجلى وأقوى. [١]

وبهذا نعلم أن الله لا مثل له، ولا تضرب له الأمثال، التي فيها مماثلة لخلقه، بل له المثل الأعلى.

٢-أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا. [٢]

٣- "إذا كان المخلوق منزهًا عن مماثلة المخلوق، مع الموافقة في الاسم، فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصلت موافقة في الاسم". [٣]

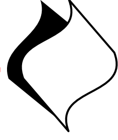
"فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات، من أصناف المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمساكن، فأخبرنا أن فيها لبنًا وعسلاً وخمرًا وماءً ولحمًا وفاكهةً وحريرًا وذهبًا وفضةً وحورًا وقصورًا.

---

١ القواعد المثلى ص: ٢٦

٢ القواعد المثلى ص: ٢٦

٣ الرسالة التدمرية ص ٥٠



وقد قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: "ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء".[1]

فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها، هي موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا، وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق، وهذا بين واضح.[2]

ثالثًا: فصل ما بين معتقد أهل السنة في هذا الأساس ومعتقد أهل التعطيل وأهل التمثيل:

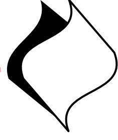
قال شارح الطحاوية: " اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

ولكن لفظ "التشبيه" قد صار في كلام الناس لفظًا مجملاً يراد به:

---

١ أخرجه مسدد في مسنده كما عند ابن حجر في المطالب العالية (١٨/ ٦٩٦) من طريق يحيى بن سعيد القطان، والطبري في تفسيره ت شاكر (١/ ٣٩١-٣٩٢) أخرجه هناد بن السري في الزهد (١/ ٤٩) ومن طريقه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (١/ ١٤٧) وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (ص: ٢١٠) وابن عساكر في معجمه (٢/ ٩٣٨).

٢ المصدر السابق ص ٤٧



١-المعنى الصحيح: من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته، وهذا ما دل عليه القرآن، قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى الآية: ١١]، فهذا رد على الممثلة المشبهة.

فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوقين فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم.

٢-المعنى المردود: أن يراد به أنه لا يثبت لله شيء من الصفات فلا يقال: له قدرة، ولا علم، ولا حياة، لأن العبد موصوف بهذه الصفات ولازم هذا القول إنه لا يقال له: حي، عليم، قدير، لأن العبد يسمى بهذه الأسماء، وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك. [١]

وأصل الخطأ والغلط توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتا في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك، فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقًا كليًّا، بل لا يوجد إلا معينًا مختصًّا.

وهذه الأسماء إذا سُمي الله بها كان مسمَّاها معينا مختصا به.

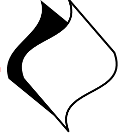
فإذا سُمي بها العبد كان مسماها مختصًّا به.

فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى فزادوا فيه على الحق فضلوا.

---

١ شرح الطحاوية ص: ٩٩ بتصرف



وأن المعطلة أخذوا نفى المماثلة بوجه من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا.

وأن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه[1].

ومن أقوال العلماء في تقرير هذا الأساس:

قال أبو عبد الله بن أبي زَمِنِين–رحمه الله–(ت: ٣٩٩ هـ): "فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه–صلى الله عليه وسلم–ليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لم تره العيون فتَحُدُّه كيف هو كينونته، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به". (٢)

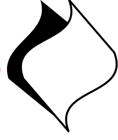
وقال الإمام ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "الذي عليه أهل السنة، وأئمة الفقه والأثر، في هذه المسألة–أي مسألة الصفات–وما أشبهها، الإيمان بما جاء عن النبي–صلى الله عليه وسلم–فيها، والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية في شيء منه". (٣)

---

١ شرح الطحاوية ص ١٠٤ بتصرف

(٢) رياض الجنة بتخريج أصول السنة (ص: ٧٤).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٤٨).



بيان الأساس الثالث من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات:

وهو: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بصفاته:

وتوضيح هذا الأساس يتم بما يلي:

أولاً: إن الله لم يطلع الخلق على ذاته ولم يكلفهم معرفة ذاته.

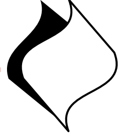
لم يشأ الله –عز وجل– أن يجعل للعباد من سبيل إلى معرفة كيفية وكنه صفاته، فقد سد سبحانه الطرق الموصلة إلى ذلك، فهو من جهة لم يطلع الخلق على ذاته، فهذا باب موصود إلى قيام الساعة كما جاء في الحديث: "اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا". (١)

ومن جهة ثانية لم يخبرنا الله –عز وجل– بكيفية وكنه صفاته في كتابه، أو على لسان رسوله –صلى الله عليه وسلم–، فما وردت به النصوص إنما هو إثبات وجود لتلك الصفات لا إثبات كيفية.

ومن جهة ثالثة فإن الله لم يكلف العباد معرفة كيفية صفاته، ولم يتعبدهم بذلك ولا أراده منهم، بل قصرهم على الإيمان بما أخبرهم به، فالواجب عليهم أن يؤمنوا الإيمان الصحيح بما كلفوا به، وأن لا يتجاوزوا حدود ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٧٧٦٤)، وأحمد (٢٢٧٦٤) باختلاف يسير.



وقد ورد النص في وجوب قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله، فإدراك ذلك مستحيل، قال تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً} [طه: الآية: ١١٠]

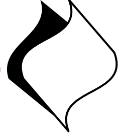
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– (ت: ١٣٩٣ هـ): "إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا ما نص عليه في هذه الآية: من سورة طه، فقوله: {يُحِيطُونَ بِهِ} [طه: الآية: ١١٠]، فعل مضارع منفي، والفعل الصناعي الذي يسمى (بالفعل المضارع، وفعل الأمر، والفعل الماضي) ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، فالمصدر كامن في مفهومه إجماعًا، فيحيطون في مفهومها (الإحاطة) فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح، فيصير المعنى: لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض، فينفى جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها، فالإحاطة المسندة منفية (للخلق) عن رب العالمين". [١]

ثانيًا: قصور العقل عن معرفة كيفية صفات الله.

إن على العقل أن ييأس من تعرف كنه الصفات وكيفياتها لعجزه عن معرفة ذلك، لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله، فوجب بطلان تكييفها.

---

١ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٤



وعلم الإنسان محدود كما أخبر الله بذلك، حيث قال: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} [الإسراء: الآية: ٨٥]، وقال تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة: الآية: ٢٥٥].

وإذا كانت نفس الإنسان التي هي أقرب الأشياء إليه بل هي هويته، لا يعرف الإنسان كيفيتها ولا يحيط علمًا بحقيقتها، فالخالق جل جلاله أولى أن لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علمًا بحقيقته[1].

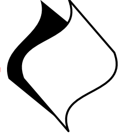
وقد أدب الله عباده المؤمنين ووجههم بأن لا يخوضوا في أمور لا علم لهم بها، فقال: {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} [الإسراء: الآية: ٣٦].

وقال-تعالى-: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: الآية: ٣٣].

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته عز وجل، لأنه تعالى أخبرنا عنها، ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا، في أمر الكيفية قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به، ومخالفة لما نهانا الله وحذرنا منه، وحرمه علينا.

---

١ رسالة في الحقل والروح لابن تيمية ٢/ ٤٤ "مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية"



فيجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان أو تقريرًا باللسان، أو تحريرًا بالبنان، لأن أية كيفية تقدرها الأذهان فالله أعظم وأجل من ذلك، ثم هي في الوقت ذاته ستكون كذبًا، لأنه لا علم لقائلها بذلك[1]. ولهذا نقل أصحاب المقالات عن بعض المشبهة–الذين خاضوا في كيفية صفات الله–أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل[2]، وصدق الله إذ قال في كتابه العزيز: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً} [النساء: الآية: ٨٢].

فعلى المسلم أن يحذر من التكييف أو محاولته، فإن من فعل ذلك فقد وقع في مفاوز لا يستطيع الخلاص منها، فالخوض في ذلك هو مما يلقيه الشيطان في القلوب، وهو نزغة من نزغاته، فلذلك يجب على المؤمن أن يلجأ إلى ربه ويستعيذ به من نزغات الشيطان، قال–تعالى–: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}. [الأعراف: الآية: ٢٠٠].

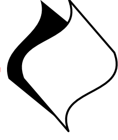
قال الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ): "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهرالتسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا زائغًا شاكًا، لا مؤمنا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبا". [3]

---

١ القواعد المثلى ص ٢٧-٢٨

٢ مقالات الإسلاميين ص ٣٣

٣ العقيدة الطحاوية ص: ٩-١٠



ثالثاً: معنى قول السلف: "بلا كيف".

إن معنى قول السلف "بلا كيف" أي بلا كيف يعقله البشر، فليس المراد من قولهم "بلا كيف" هو نفي الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد هو نفي العلم بالكيف، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه[1]، فهذا مما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى الوصول إليه، فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها، فكذلك صفاته سبحانه لا نعلم كيفيتها. ولهذا لما سئل الإمام مالك-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)، فقيل له: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: الآية: ٥]، كيف استوى؟

قال-رحمه الله-: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم قال للسائل: وما أراك إلا رجل سوء، وأمر بإخراجه من مجلسه". [2]

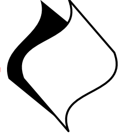
وقد روى عن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن-رحمه الله-(ت: ١٣٦ هـ) قوله: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول". [3] أي لا تعقله العقول ولا تحيط به.

---

١ شرح العقيدة الواسطية للهراس

٢ أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٦٦) واللالكائي في شرح أصببول اعتقاد أهل السببنة والجماعة (٣/٤٤١) والصابوني-من ثلاثة طرق-في عقيدة السلف (١٨٠-١٨٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٥) ح (٨٦٧) وفي الاعتقاد (٥٦). وقال الذهبي في العلو (١٣٩): "هذا ثابت عن مالك "

٣ أخرجه اللالكائي في شرح أ صول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٤٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٦) ح (٨٦٨) وساقه الذهبي في العلو (١٢٩) بإسناده إلى ربيعة، وصححه الألباني في مختصر العلو (١٣٢).



وهذا يقال في سائر الصفات، وقد مشى أهل العلم على هذا الميزان واعتبروا ذلك قاعدة من قواعد الصفات.

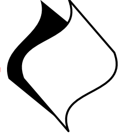
فقول الإمام مالك (الاستواء معلوم): أي معلوم المعنى في لغة العرب، فاستوى هنا عديت بعلى فهي هنا بمعنى علا وارتفع، وهكذا الأمر في سائر نصوص الصفات، فإن معانيها معروفة في لغة العرب، وليست مجهولة.

(والكيف مجهول): أي مع إثباتهم لمعنى الاستواء واعتقادهم بأن الله مستوٍ على عرشه ومرتفع عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء إلى الله عز وجل، لأنه مما استأثر الله بعلمه.

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠): "وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن..." فذكره. وقال أيضًا في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥): "ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك". - وروي نحوه عن أم سلمة-رضي الله عنها-، [أخرجه اللالكائي في شرح أصببول اعتقاد أهل السببنة والجماعة (٣/ ٤٤٠) والصابوني في عقيدة السلف (١٧٨-١٧٩)] لكنه غير ثابت عنها من طريق صحيح.

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥): "وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة-رضي الله عنها-، موقوفًا ومرفوعا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه".

وقال الذهبي في العلو (٨١): "هذا القول محفوظ عن جماعة، كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح". وللدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر كتاب بعنوان: الأثر المشهور عن الإمام مالك-رحمه الله-في صفة الاستواء، دراسة تحليلية



(والإيمان به واجب): أي الإيمان باستواء الله على عرشه حقيقة واجب لوروده في النصوص الشرعية.

(والسؤال عنه بدعة): أي السؤال عن كيفية الاستواء، لأن السائل قال: كيف استوى؟

قال الوليد بن مسلم-رحمه الله-(ت: ١٩٥ هـ): "سألت الأوزاعي (ت: ١٥٧ هـ)، والثوري (ت: ١٦١ هـ)، ومالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ)، والليث بن سعد (ت: ١٧٥ هـ)، عن الأحاديث التي فيها الصفات، فكلهم قال: أمروها كما جاءت بلا تفسير[١]". [٢]

وسئل عبد الله بن المبارك-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ)، عن أحاديث الصفات فقال: "تمر كما جاءت بلا كيف". [٣]

وجاء عن وكيع بن الجراح-رحمه الله-(ت: ١٩٧ هـ)، أنه قال عن أحاديث الصفات: "نسلم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف هذا، ولِمَ جاء هذا". [٤]

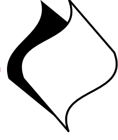
---

١ أي: تفسير الكيفية، كما في الرواية الأخرى عن الوليد أنهم قالوا: "امضها بلا كيف".

٢ أخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ١١٤٦)، والدارقطني في الصفات (٧٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السبنة والجماعة (٣/ ٥٥٨)، وأورده أبو يعلى في إبطال التأويلات (١/ ٤٧)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩) وعزاه إلى الخلال في السنة، وأورده الذهبي في العلو (١٤٠-١٣٩).

٣ إبطال التأويلات (١/ ٥٣).

٤ أخرجه الدارقطني في الصفات (٧١).



وقال أبو عبيد القاسم بن سلام–رحمه الله– (ت: ٢٢٤ هـ)، –وقد ذكر بعض أحاديث الصفات–: "هذه الأحاديث صحاح، حملها أصحاب الحدبث والفقهاء، بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه ؟ وكيف ضحك ؟ قلنا: لا يفسر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسره". [١]

وقال أبو زرعة الرازي–رحمه الله–(ت: ٢٦٤ هـ)، عن أحاديث الصفات: "هذه أحاديث متواترة عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، أمروها كما جاءت بلا كيف". [٢]

قال أبو يعلى–رحمه الله–(ت: ٤٥٨ هـ): "روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ) وغيره من أئمة أصحاب الحديث أنهم قالوا: أمروها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين". [٣]

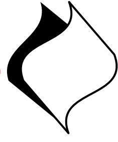
قال قوام السنة الأصبهاني–رحمه الله–(ت: ٥٣٥ هـ): "الكلام في صفات الله عز وجل، ما جاء منها في كتاب الله، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–

---

١ أخرجه الدارقطني في الصفات (٦٨–٦٩) وانظر: إبطال التأويلات (١/ ٤٨).

٢ إبطال التأويلات (١/ ٥٣).

٣ إبطال التأويلات (١/ ٤٣–٤٤).



، فمذهب السلف–رحمة الله عليهم أجمعين–: إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها". [1]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ومثل هذا يوجد كثيرًا في كلام السلف والأئمة، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله، وأنه لا يعلم كيف الله إلا الله، فلا يعلم ما هو إلا هو"[2].

وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "العقل قد يئس من تعرف كنه الصفة وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول السلف: (بلا كيف) أي: بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف حقيقة كيفيته، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم.

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله، والجمال كله، والعلم كله، والقدرة كلها، والعظمة كلها، والكبرياء كلها ؟...". [3]

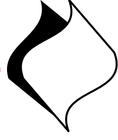
رابعًا: عدم معرفة الكيفية لا يقدح في الإيمان بالصفات ومعرفة معانيها.

---

١ الحجة في بيان المحجة (١/ ١٨٨) وبنحوه قال الخطيب البغدادي، كما في السـبير للذهبي (١٨/ ٢٨٤).

٢ مجموع الفتاوى (٣/ ٥٨).

٣ مدارج السالكين (٣/ ٣٧٦)



إن عدم العلم بكيفية صفات الله لا يقدح في الإيمان بتلك الصفات ومعرفة معانيها، لأن الكيفية وراء ذلك، فالسلف يثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ويفهمون معاني تلك الصفات، ويفسرونها، فإذا أثبتوا لله السمع والبصر أثبتوهما حقيقية وفهموا معناهما، وهكذا سائر الصفات يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك ولا أراده منهم ولم يجعل لهم إليه سبيلاً.

وكثير من المخلوقات لم يجعل الله للعباد سبيلاً إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فهذه أرواح الخلائق التي هي أدنى إليهم من كل دان قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها، وقد أخبرنا الله عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كيفيته وكنهه، فلا يشك المسلمون أن في الجنة أنهارًا من خمر وأنهارًا من عسل، ولكن لا يعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته كما قال ابن عباس: "ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء".

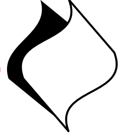
فكذا الأسماء والصفات لا يمنع انتفاء نظيرها في الدنيا من فهم معانيها وحقائقها والإيمان بذلك واعتقاد اتصاف الله بها[١].

فإيماننا صحيح بحق ما كلفنا به، وإن لم نعرف حقيقة ماهيته وكيفيته، والله أعلم.

وهذه الأسس الثلاثة يجب الأخذ بها جميعًا، ولا يجوز الإخلال بشيء منها، فهذا ما كان عليه معتقد السلف من هذه الأمة ومن سار على نهجهم.

---

١ مدارج السالكين ٣/٣٥٨



وهم بهذا توسطوا في هذا الباب بين طائفتين ضلتا في هذا الباب هما:

١-المعطلة.

٢-المشبهة.

فمعتقد السلف هو الإثبات بلا تشبيه، والتنزيه بلا تعطيل، فهم لا ينفون عن الله ما سمى أو وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العلى ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسمائه وآياته كما فعل المعطلة.

كما أنهم لا يشبهون صفات الله بصفات خلقه كما فعل المشبهة.

الأبواب الثلاثة التي يشتمل عليها توحيد الأسماء والصفات.

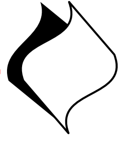
يجب أن يُعْلَم أن توحيد الأسماء والصفات يشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: باب الأسماء

الباب الثاني: باب الصفات

الباب الثالث: باب الإخبار

فنحن إذا وقفنا وقفةَ تأمل عند نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الشأن نجد الحقائق التالية: أن الله أطلق على نفسه أسماء ك (السَّميع) و(البصير)، وأوصافاً ك (السمع) و(البصر)، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها فقال: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا}



[المجادلة: الآية: ١]، وقال تعالى: {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: الآية: ١٥]. فاستعملها في تصاريفها المتنوعة، مما يدل على أن مثل ذلك يجوز إطلاقه عليه في أي صورة ورد.

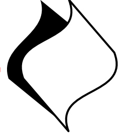
وأطلق على نفسه أفعالاً كـ (الصُّنع) و(الصِّبغة) و(الفعل) ونحوها. قال تعالى: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} [النمل: الآية: ٨٨]، وقال تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} [البقرة: الآية: ١٣٨] وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود: الآية: ١٠٧]، لكنه لم يَتَسَمَّ ولم يصف نفسه بها ولكن أخبر بها عن نفسه، ممَّا يدل على أنَّها تخالف الأوَّل في الحكم فوجب الوقوف فيها على ما ورد

ووصف نفسه بأفعال في سياق المدح كـ (يريد) و(يشاء) فقال جلَّ شأنه:

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ} [الأنعام: الآية: ١٢٥] وقال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: الآية: ٢٩] إلا أنه لم يشتق له منها أسماء فدل على أن هذا النوع مخالف للقسمين الأولين، فوجب رده إلى الكتاب والسنة وذلك بالوقوف حيث أوقفنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

ووصف نفسه بأفعال أخرى على سبيل المقابلة بالعقاب والجزاء فقال تعالى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُم} [النساء: الآية: ١٤٢] وقال تعالى: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّه} [الأنفال: الآية: ٣٠]. ولم يشتق منها أسماء له تعالى فدل ذلك على أن مثل هذه الأفعال لها حكمٌ خاصٌ فوجب الوقوف على ما ورد

فهذه الحقائق السابقة قررت عند العلماء النتائج التالية:



١. أن النصوص جاءت بثلاثة أبواب هي (باب الأسماء) و(باب الصفات) و(باب الإخبار)

٢. أن باب الأسماء هو أخص تلك الأبواب، فما صح اسماً صحَّ صفة وصحَّ خبراً وليس العكس

٣. باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فما صحَّ صفة فليس شرطاً أن يصحَّ اسماً، فقد يصحُّ وقد لا يصح، مع أن الأسماء جميعها مشتقة من صفاته

٤. أن ما يدخل في باب الإخبار عنه–تعالى–أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، فالله يُخْبَرُ عنه بالاسم وبالصفة وبما ليس باسم ولا صفة كألفاظ (الشييء) و(الموجود) و(القائم بنفسه) و(المعلوم)، فإنه يخبر بهذه الألفاظ عنه ولا تدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا

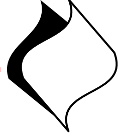
إن باب الأسماء والصفات توقيفيان.

فالأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيهما عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه– صلى الله عليه وسلم–، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه

وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء والصفات إطلاقاً. [١]

---

[١] – رسالة في العقل والروح لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢/ ٤٦– ٤٧).



قال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والسنة".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله–صلى الله عليه وسلم–". [١]

أما باب الإخبار فالسلف لهم فيه قولان:

القول الأول: أن باب الإخبار توقيفي، فإن الله لا يُخْبَرُ عنه إلا بما ورد به النص، وهذا يشمل الأسماء والصفات، وما ليس باسم ولا صفة مما ورد به النص كـ (الشيء) و(الصنع) ونحوها

وأما مالم يرد به النص فإنهم يمنعون استعماله. [٢]

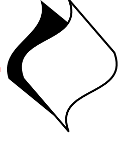
القول الثاني: إن باب الإخبار لا يشترط فيه التوقيف، فما يدخل في الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كـ (الشيء) و(الموجود) و(القائم بنفسه)، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فالإخبار عنه قد يكون باسم حسن، أو باسم ليس بسيِّئ، أي باسم لا ينافي الحسن، ولا يجب أن يكون حسناً، ولا يجوز أن يخبر عن الله باسم سيِّئ [٣] فيخبر عن الله بما لم يرد إثباته ونفيه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه،

---

١ منهاج السنة (٢/ ٥٢٣).

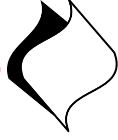
٢ انظر رسالة في العقل والروح (٢/ ٤٦-٤٧).

٣ بدائع الفوائد (١/ ١٦١)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢-١٤٣)



فإن أراد به حَقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده. [١]

١ رسالة في العقل والروح (٢/٤٦-٤٧).



الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها.

يمكن تقسيم الألفاظ المجملة–أي التي لم يرد استعمالها في النصوص–على النحو التالي:

أولاً: ألفاظ ورد استعمالها ابتداءً في بعض كلام السلف.

ومن أمثلة ذلك لفظ (الذات) و(بائن)

وهذه الألفاظ تحمل معاني صحيحة دلت عليها النصوص

وهذا النوع من الألفاظ يجيز جمهور أهل السنة استعمالها

وهناك من يمنع ذلك بحجة أن باب الإخبار توقيفي كسائر الأبواب

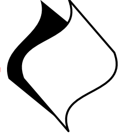
والصواب أنه ما دام المعنى المقصود من ذلك اللفظ يوافق ما دلت عليه النصوص، واستعمل اللفظ لتأكيد ذلك فلا مانع

كقول أهل السنة: "إن الله استوى على العرش بذاته"

فلفظة (بذاته) مراد بها أن الله مستو على العرش حقيقة وأن الاستواء صفة له.

وكقولهم: "إن الله عالٍ على خلقه بائن منهم"

فلفظة (بائن) يراد بها إثبات العلو حقيقة، والرد على زعم من قال إن الله في كل مكان بذاته



قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة، لما فيها من لبس الحق بالباطل، مع ما تُوقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة، بخلاف الألفاظ المأثورة، والألفاظ التي بينت معانيها، فإن ما كان مأثوراً حصلت به الألفة، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة" [١]

وقال أيضاً: "فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل

ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا

ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه

ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة، وقالوا إنما قابل البدعة ببدعة ورد باطلاً بباطل". [٢]

فيستفاد من كلام شيخ الإسلام المتقدم أن الألفاظ على أربعة أقسام:

القسم الأول: الألفاظ المأثورة وهي التي وردت بها النصوص

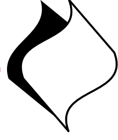
القسم الثاني: الألفاظ المعروفة وهي التي بُيِّنَت معانيها

القسم الثالث: الألفاظ المبتدعة التي تدل على معنى باطل

---

١ درء تعارض العقل والنقل (١/٢٧١).

٢ درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٥٤).



القسم الرابع: الألفاظ المبتدعة التي تحتمل الحق والباطل

فلفظ (الذات) و(بائن) هي من القسم الثاني

وهذه الألفاظ كما أسلفنا إنما تستعمل في باب الإخبار ولا تستعمل في باب الأسماء والصفات، ولذلك لما اعترض الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ) على استعمالها بقوله: "وزعم بعضهم أنه جائز أن يقال له تعالى حد لا كالحدود كما نقول يد لا كالأيدي فيقال له: إنما أُحْوِجْنَا إلى أن نقول يد لا كالأيدي لأن اليد قد جاء ذكرها في القرآن وفي السنة فلزم قبولها ولم يجز رَدُّها. فأين ذكر الحد في الكتاب والسنة حتى نقول حد لا كالحدود، كما نقول يد لا كالأيدي؟!". [١]

فرد شيخ الإسلام ابن تيمية على قول الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ) من وجوه منها: "أن هذا الكلام الذي ذكره إنما يتوجه لو قالوا: إن له صفة هي الحد، كما توهمه هذا الراد عليهم. وهذا لم يقله أحد، ولا يقوله عاقل؛ فإن هذا الكلام لا حقيقة له إذ ليس في الصفات التي يوصف بها شييء من الموصوفات–كما وصف باليد والعلم–صفة معينة يقال لها الحد، وإنما الحد ما يتميز به الشييء عن غيره من صفته وقدره". [٢]

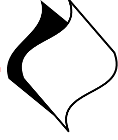
فأهل السنة لم يثبتوا بهذه الألفاظ صفة زائدة على ما في الكتاب والسنة، بل بينوا بها ما عطله المبطلون من وجود الرب تعالى ومباينته من خلقه وثبوت حقيقته". [٣]

---

١ نقض تأسيس الجهمية (١/٤٤٢).

٢ نقض تأسيس الجهمية (١/ ٤٤٢–٤٤٣).

٣ نقض تأسيس الجهمية (١/ ٤٤٥).



ثانياً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام بعض السلف تارة لإثباتها وتارة لنفيها.

ومن أمثلة ذلك: لفظ (الحد) ولفظ (المماسة)، فإطلاق السلف لها ليس من باب الصفات وإنما هو من باب الإخبار، ولهم في حال الإثبات والنفي توجيه ليس هذا محل بسطه

ثالثاً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام بعض السلف وفي كلام خصومهم.

ومن أمثلة ذلك: لفظة (الجهة)

رابعاً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام الخصوم ولم يرد استعمالها في كلام السلف.

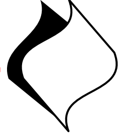
ومن أمثلة ذلك: لفظ (الجسم) و(الحيز) و(واجب الوجود) و(الجوهر) و(العرض)

وأما النوعان الثالث والرابع فالجواب عن ذلك أن نقول الأصل في هذا الباب أن الألفاظ نوعان:

النوع الأول: نوع مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل الإجماع.

فهذا يجب اعتبار معناه، وتعليق الحكم به، فإن كان المذكور به مدحاً استحق صاحبه المدح، وإن كان ذماً استحق الذم، وإن أثبت شيئا وجب إثباته، وإن نفى شيئا وجب نفيه، لأن كلام الله حق، وكلام رسوله حق، وكلام أهل الإجماع حق

وهذا كقوله–تعالى–: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص: الآيات: ١-٤]، وقوله–تعالى–: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنِ} [الحشر ٢٢-٢٣]، ونحو ذلك من أسماء الله وصفاته



وكذلك قوله–تعالى–: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: الآية: ١١]، وقوله–تعالى–: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَار} [الأنعام: الآية: ١٠٣]، وقوله–تعالى–: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: الآيات: ٢٢–٢٣]، وأمثال ذلك مما ذكره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا كله حق.

النوع الثاني: الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع

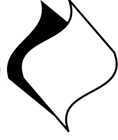
فتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفي على معناها، إلا أن يبين أنه يوافق الشرع، والألفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب، كلفظ (الجسم) و(الحيز) و(الجهة) و(الجوهر) و(العرض) [١]. فإن هذه الألفاظ يدخلون في مسماها الذي ينفونه أموراً مما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، فيدخلون فيها نفي علمه وقدرته وكلامه، ويقولون إن القرآن مخلوق، ولم يتكلم الله به، وينفون رؤيته لأن رؤيته على اصطلاحهم لا تكون إلا لمتحيز في جهة وهو جسم، ثم يقولون: والله منزه عن ذلك فلا تجوز رؤيته. وكذلك يقولون إن المتكلم لا يكون إلا جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز فلا يكون متكلماً، ويقولون: لو كان فوق العرش لكان جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز، فلا يكون متكلماً فوق العرش وأمثال ذلك. [٢]

الموقف من هذا النوع: "إذا كانت هذه الألفاظ مجملة–كما ذُكر–فالمخاطب لهم إما:

---

١ انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤١–٢٤١)

٢ انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٨).



١-أن يفصل لهم ويقول: ما تريدون بهذه الألفاظ؟ فإن فسروها بالمعنى الذي يوافق القرآن قُبلت. وإن فسروها بخلاف ذلك رُدَّت

٢-وأما أن يمتنع عن موافقتهم في التكلم بهذه الألفاظ نفياً وإثباتاً. ولكن يلاحظ

أن الإنسان إذا امتنع عن التكلم بها معهم فقد ينسبونه إلى الجهل والانقطاع

وأن الإنسان إذا تكلم بها معهم نسبوه إلى أنه أطلق تلك الألفاظ التي تحتمل حقاً وباطلاً، وأوهموا الجهال باصطلاحهم أن إطلاق تلك الألفاظ يتناول المعاني الباطلة التي ينزه الله عنها". [١]

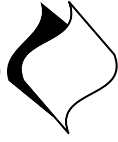
ولعل الراجح في المسألة أن الأمر يختلف باختلاف المِصْلَحَةِ

١-فإن كان الخصم في مقام دعوة الناس إلى قوله وإلزام الناس بها أمكن أن يقال له: لا يجب على أحد أن يجيب داعياً إلا إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه، ولا له دعوة الناس إلى ذلك، ولو قدر أن ذلك المعنى حق

وهذه الطريق تكون أصلح إذا لَبَّسَ مُلَبِّسٌ منهم على ولاة الأمور، وأدخلوه في بدعتهم، كما فعلت الجهمية بمن لبسوا عليه من الخلفاء حتى أدخلوه في بدعتهم من القول بخلق القرآن وغير ذلك، فكان من أحسن مناظرتهم أن يقال: إئتونا بكتاب أو سنة حتى نجيبكم إلى ذلك وإلا فلسنا نجيبكم إلى ما لم يدل عليه الكتاب والسنة

---

١ انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٩).



وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل، وهؤلاء المختلفون يدعي أحدهم أن العقل أدَّاه إلى علم ضروري ينازعه فيه الآخر، فلهذا لا يجوز أن يجعل الحاكم بين الأمة في موارد النزاع إلا الكتاب والسنة

وبهذا ناظر الإمام أحمد الجهمية لما دعوه إلى المحنة، وصار يطالبهم بدلالة الكتاب والسنة على قولهم

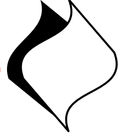
فلما ذكروا حججهم كقوله تعالى: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: الآية: ١٠٢]، وقوله: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ} [الأنبياء: الآية: ٢]، وقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((تجيء البقرة وآل عمران))، وأمثال ذلك من الأحاديث.

أجابهم عن هذه الحجج بما بين به أنها لا تدل على مطلوبهم

ولما قالوا: ما تقول في القرآن أهو الله أو غير الله؟ عارضهم بالعلم فقال: ما تقولون في العلم أهو الله أو غير الله؟ ولما ناظره أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث–وكان من أحذقهم بالكلام–ألزمه التجسيم، وأنه إذا أثبت لله كلاماً غير مخلوق لزم أن يكون جسماً

فأجابه الإمام أحمد: بأن هذا اللفظ لا يُدرى مقصود المتكلم به، وليس له أصل في الكتاب والسنة والإجماع، فليس لأحد أن يلزم الناس أن ينطقوا به ولا بمدلوله

وأخبره أني أقول: هو أحد، صمد، لم يلد ولم يلد، ولم يكن له كفواً أحد، فبين أني لا أقول هو جسم ولا ليس بجسم، لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام، فليست هذه من الحجج الشرعية التي يجب على الناس إجابة من دعا إلى موجبها، فإن الناس إنما عليهم إجابة الرسول فيما دعاهم إليه وإجابة من دعاهم إليه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، لا إجابة



من دعاهم إلى قول مبتدع، ومقصود المتكلم بها مجمل لا يُعرف إلا بعد الاستفصال والاستفسار، فلا هي معروفة في الشرع، ولا معروفة بالعقل إن لم يستفسر المتكلم بها

فهذه المناظرة ونحوها هي التي تصلح إذا كان المناظر داعياً

٢-وأما إذا كان المناظر معارضاً للشرع بما يذكره، أو ممن لا يمكن أن يرد إلى الشريعة

مثل من لا يلتزم الإسلام ويدعو الناس إلى ما يزعمه من العقليات أو ممن يدَّعي أن الشرع خاطب الجمهور، وأن المعقول الصريح يدل على باطن يخالف الشرع، ونحو ذلك.

أو كان الرجل ممن عرضت له شبهة من كلام هؤلاء

فهؤلاء لابد في مخاطبتهم من الكلام على المعاني التي يدعونها إما:

١-بألفاظهم

٢-وإما بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم، وحينئذ يقال لهم الكلام إما:

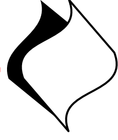
أ-أن يكون في الألفاظ.

ب-وإما أن يكون في المعاني.

جـ-وإما أن يكون فيهما.

فإن كان الكلام في المعاني المجردة من غير تقييد بلفظ كما تسلكه المتفلسفة ونحوهم ممن لا يتقيد في أسماء الله وصفاته بالشرائع بل يسميه علة وعاشقاً ومعشوقاً ونحو ذلك

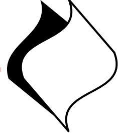
فهؤلاء إن أمكن نقل معانيهم إلى العبارة الشرعية كان حسناً



وإن لم يمكن مخاطبتهم إلا بلغتهم، فبيان ضلالهم ودفع صيالهم عن الإسلام بلغتهم أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ. كما لو جاء جيش كفار ولا يمكن دفع شرهم عن المسلمين إلا بلبس ثيابهم، فدفعهم بلبس ثيابهم خير من ترك الكفار يجولون في خلال الديار خوفاً من التشبه بهم في الثياب

وأما إذا كان الكلام مع من قد يتقيد بالشريعة

فإنه يقال له: إطلاق هذه الألفاظ نفياً وإثباتاً بدعة، وفي كل منها تلبيس وإيهام، فلابد من الاستفسار والاستفصال؛ أو الامتناع عن إطلاق كلا الأمرين في النفي والإثبات.



وقد ظن طائفة من الناس أن ذم السلف والأئمة للكلام إنما لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثة كلفظ (الجوهر) و(الجسم) و(العرض)، وقالوا: إن مثل هذا لا يقتضي الذم، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها، أو سلاحاً يحتاجون إليه لمقاتلة العدو، وقد ذكر هذا صاحب الإحياء وغيره

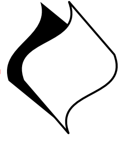
وليس الأمر كذلك: بل ذمهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث الألفاظ، فذموه لاشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة، ومخالفته للعقل الصريح، ولكن علامة بطلانها مخالفتها للكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل قطعاً. ثم من الناس من يعلم بطلانه بعقله، ومنهم من لا يعلم ذلك

وأيضاً: فإن المناظرة بالألفاظ المحدثة المجملة المبتدعة المحتملة للحق والباطل إذا أثبتها أحد المتناظرين ونفاها الآخر كان كلاهما مخطئاً، وأكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وفي ذلك من فساد العقل والدين ما لا يعلمه إلا الله

فإذا رد الناس ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة فالمعاني الصحيحة ثابتة فيهما، والمحق يمكنه بيان ما يقوله من الحق بالكتاب والسنة. [1]

---

١ انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٢٢٨-٢٣٣).



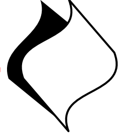
[قولهم في إثبات صفة اليد لله–عز وجل]

[٤]. قال المصنف–رحمه الله–:

"فيقولون: إنه خلق آدم بيده، كما نص سبحانه عليه في قوله– عز من قائل: {يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: الآية: ٧٥]، ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة الجهمية، أهلكهم الله، ولا يكيفونهما بكيف أو تشبيههما بأيدي المخلوقين، تشبيه المشبهة، خذلهم الله، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتشبيه والتكييف، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الل–عز وجل–: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١]".

[وكما ورد القرآن بذكر اليدين بقوله: "لما خلقت بيدي"، وقوله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: الآية: ٦٤]، ووردت الأخبار الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر اليد، كخبر محاجة موسى وآدم، وقوله له: ((خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته))، ومثل قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا أجعل صالح ذرية من خلقته بيديّ كمن قلت له: كن فكان))، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((خلق الله الفردوس بيده))..]

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة، والعزة والعظمة والإرادة، والمشيئة والقول والكلام، والرضى والسخط والحب، والبغض والفرح والضحك وغيرها من غير



تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى، وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه، بتأويل منكر مستنكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولون في قوله تعالى: (والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولوا الألباب).

الشرح:

وفيه مسائل:

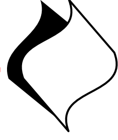
المسألة الأولى: قول أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليد لله تعالى.

أ–معتقد أهل السنة والجماعة في صفة اليد.

اليدان صفة ثبوتية ذاتية خبرية لله عز وجل، نثبتها كما نثبت باقي صفاته؛ على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهي ثابتة بالكتاب والسنة

والمقصود هنا بعبارة (صفة اليدين من الصفات:

١–الثبوتية.



٢-الذاتية.

٣-الخبرية).

١-(الثبوتية): فهي من الصفات ثبوتية الصفات الثبوتية، وتعريفها: هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. (١)

٢-(الذاتية): وهي صفة ذاتية باعتبار أنها لاتنفك عن الذات، والصفات الذاتية ضابطها: هي التي لا تنفك عن الذات. (٢)، أو: التي لم يزل ولا يزال الله متصفا بها. أو: الملازمة لذات الله تعالى. (٣)، ومنها: الوجه - اليدين - العينين (٤)

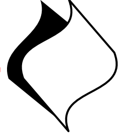
---

(١) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ص: ٥٧.

(٢) الكواشف الجلية ص ٤٢٩.

(٣) التعريفات للجرجاني ص١٣٣.

(٤) مجموع الفتاوى ٦/٦٨.



قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "لله تعالى يدين مختصتان به، ذاتيتان له، كما يليق بجلاله" (١)

٣–(الخبرية): باعتبار أدلتها حيث تنقسم الصفات الثبوتية باعتبار أدلتها إلى قسمين:

القسم الأول: صفات شرعية عقلية، وهي ما اشترك في إثباتها الدليل العقلي مع الدليل الشرعي.

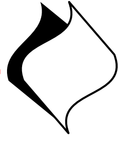
القسم الثاني: الصفات الخبرية وهي ما اقتصر في إثباتها على الدليل الشرعي فقط". (٢)

فصفة اليدين من القسم الثاني، وهي ما اقتصر في إثباتها على الدليل الشرعي فقط.

قال ابن القيم رحمه الله: "وَرَدَ لفظ اليد في القرآن، والسنة، وكلام الصحابة والتابعين، في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوّعًا، متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها يدٌ حقيقية، من الإمساك، والطي، والقبض، والبسط، والمصافحة، والحثيات، والنضح باليد، والخلق باليدين، والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغَرس جنة عدن بيده، وتخمير طينة آدم بيده، ووقوف العبد بين يديه، وكون المقسطين عن يمينه، وقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة عن يمينه، وتخيير آدم بين ما في يديه، فقال: ((اخترتُ يمينَ ربي))، وأخذ الصدقة بيمينه يربّيها لصاحبها،

(١) الرسالة المدنية ص: ٩.

(٢) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ص: ٨٩.



وكتابته بيده على نفسه أن رحمته تغلب غضبه، وأنه مَسَحَ ظهرَ آدم بيده، ثم قال له – ويداه مقبوضتان –: "اختر"، فقال: ((اخترتُ يمين ربي))، وكلتا يديه يمين مباركة، وأن يمينه ملأى، لا يغيضها نفقة، سَحَّاء الليل والنهار، وبيده الأخرى القسط، يرفع ويخفض، وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وأنه يطوي السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليُمْنَى، ثم يطوي الأرض باليد الأخرى، وأنه خَطَّ الألواحَ التي كتبها لموسى بيده". (١).

ب–الأدلة على إثبات صفة اليد لله عز وجل.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع: مفردًا ومثنى ومجموعًا،

١–فالمفرد كقوله: **{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}** [الملك: الآية: ١].

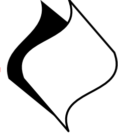
٢–والمثنى كقوله: **{خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}** [ص: الآية: ٧٥].

٣–والمجموع **{مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا}** [يس: الآية: ٧١].

فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدى الفعل بالباء إليها فقال **{خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}** [ص: الآية: ٧٥]، وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ولم يعد

---

(١) انظر: ((مختصر الصواعق المرسلة))، ص (٣٤٨).



الفعل بالباء". (١).

١-قوله تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}** [المائدة: الآية: ٦٤].

٢-قوله تعالى: **{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ}** [ص: الآية: ٧٥].

قال ابن جرير-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ): "**{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}**، يقول لخلق يديّ؛ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه". (٢)

٤-قال تعالى: **{بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [آل عمران: الآية: ٢٦].

٥-قال تعالى: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}** [الزمر: الآية: ٦٧].

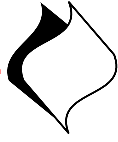
٦-قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}** [الفتح: الآية: ١٠].

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "ووجه الدلالة أن الله أضاف اليد إلى

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٤٠.

(٢) تفسير الطبري (تفسير سورة ص: الآية: ٧٥).



نفسه، فنثبتها صفة كمال كما يليق بجلاله وعظمته.

ولا يلزم من ظاهر اللفظ حصول المماسة بين يد الله تعالى وأيديهم، بل إن من المتقرر شرعًا وعقلًا علو الله تعالى على خلقه، فيد الله تعالى حقيقة فوق أيديهم، فجاء ذكر اليد تأكيداً للمبايعة وتشديداً عليها، فلما كانوا يبايعون رسول الله بأيديهم، ويضرب بيده على أيديهم، وكان رسول الله هو السفير بينه وبينهم، كانت مبايعتهم له مبايعة الله تعالى، ولما كان سبحانه فوق سماواته على عرشه، وفوق الخلائق كلهم، كانت يده فوق أيديهم، كما أنه سبحانه فوقهم". (١)

فالسياق وإن كان دالاً على تأكيد المبايعة، إلا أنه لما أضاف اليد إلى نفسه دل على اتصافه بها، فلو كانت نقصاً لم يضفها - تعالى - إلى نفسه.

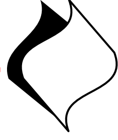
٧-قال تعالى: **{قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}** [المؤمنون: الآية: ٨٨].

٨-قال تعالى: **{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** [يس: الآية: ٨٣].

٩-قال تعالى: **{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ}** [يس:

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٣٣٤.



الآية: ٧١].

١٠-قال تعالى: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}** [الزمر: الآية: ٦٧].

١١-قال تعالى: **{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}** [الملك: الآية: ١].

الأدلة من السنة على إثبات صفة اليدين لله عز وجل.

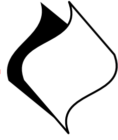
قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد تواتر في السنة مجيء اليد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم". (١).

عن أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنه-(ت: ٥٩ هـ) أنَّ النَّبيَّ-صلى الله عليه وسلم-قال: **((يمينُ الرحمن ملأى سحَّاءُ لا يغيضُها اللَّيلَ والنَّهارَ))**، قالَ: **((أرأيتُم ما أنفقَ منذُ خلقَ السَّماواتِ، فإنَّهُ لم يغِضْ ما في يمينِهِ، وعرشُهُ على الماءِ، وبيدِهِ الأخرى الميزانُ يخفِضُ ويرفعُ))**. (٢).

---

(١) الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله ص: ٩.

(٢) رواه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣)، والترمذي (٣٠٤٥) واللفظ له.



عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ–رضِيَ اللهُ عنه–(ت: ٧٤ هـ) قَالَ النَّبِيُّ–صلى الله عليه وسلم–: **((تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ))**. (١)

عن أبي هُرَيْرَةَ–رضِيَ اللهُ عنه–(ت: ٥٩ هـ) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ((: **مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً))**. (٢)

عن أبي هُرَيْرَةَ–رضِيَ اللهُ عنه–(ت: ٥٩ هـ) أنَّ النَّبيَّ–صلى الله عليه وسلم–قال: **((احتجَّ آدمُ وموسى، فقال موسى: يا آدمُ، أنتَ أبونا، خيَّبْتَنا وأخرجْتَنا منَ الجنَّةِ، فقالَ لَهُ آدمُ: أنتَ موسَى، اصطفاكَ اللهُ بِكَلامِهِ، وخطَّ لَكَ بيدِهِ))**. (٣)

عن أَبِي مُوسَى–رضِيَ اللهُ عنه–(ت: ٤٤ هـ): قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ–صلى الله عليه وسلم–: **((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))**. (٤).

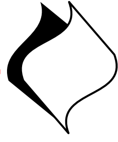
---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

(٢) رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) واللفظ له.

(٣) رواه مسلم (٢٦٥٢).

(٤) رواه مسلم (٢٧٥٩).



عن أبي هُرَيْرَةَ–**رضِيَ اللهُ عنه**–**(ت: ٥٩ هـ)**، أنَّ النَّبيَّ–صلى الله عليه وسلم–في حديث الشفاعة: قال: ((**فيأتونَ آدمَ فيقولونَ: أنتَ أبو البشرِ، خلقَكَ اللَّهُ بيدِهِ ونفخَ فيكَ من روحِهِ، وأمرَ الملائِكةَ فسجدوا لَكَ، اشفع لنا إلى ربّكَ**)). (١)

عن عَبْدِاللَّهِ بن مسعود–**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**–**(ت: ٣٢ هـ)** قال: جاء حَبرٌ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقال: ((**يا محمدُ، إنَّ اللهَ يَضَعُ السماءَ على إصبَعٍ، والأرضَ على إصبَعٍ، والجبالَ على إصبَعٍ، والشجرَ والأنهارَ على إصبَعٍ، وسائرَ الخلقِ على إصبَعٍ، ثم يقولُ بيدِه: أنا الملِكُ، فضحِك رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقال: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**)). (٢)

عن أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنه–**(ت: ٥٩ هـ)**، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: ((**يقبِضُ اللهُ الأرضَ، ويَطوي السَّماواتِ بيَمينِه، ثمَّ يقولُ: أنا الملِكُ، أين مُلوكُ الأرضِ؟**)). (٣)

عن عمر–**رضِيَ اللهُ عنه**–**(ت: ٢٣ هـ)**، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: ((**إنَّ اللهَ عز وجل خلق آدمَ، ثم مسح ظهرَه بيمينِه، فاستخرج منه ذريةً**)). (٤)

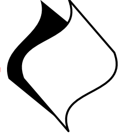
---

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) رواه البخاري (٧٤٥١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٦).

(٣) رواه البخاري (٤٨١٢) واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٧).

(٤) رواه أبوداود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، وصححه الألباني في ((صحيح الترمذي)) (٣٠٧٦).



عن عبد الله بن عمرو-رضِيَ اللهُ عنهما-(ت: ٦٥ هـ): قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**)). (١)

عن ابْنِ عباس-رضِيَ اللهُ عنهما-(ت: ٦٨ هـ)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-قَالَ: ((**إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ، وَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**)). (٢).

عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-(ت: ٧٤ هـ)، قال: قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك**)). (٣)

عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-(ت: ٦٥ هـ)، قال: رأيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على المنبر وهو يقول: ((**يأخذ الجبار عز وجل، سماوته وأرضيه بيديه**)). (٤)

الأدلة النقلية على إثبات الكف والأصابع والأنامل لله عز وجل:

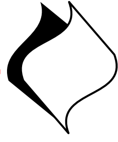
---

(١) رواه مسلم (١٨٢٧).

(٢) رواه الآجري في ((الشريعة)) (٥٤٢) (٢/٩٤٧) بهذا السياق، قال الألباني في (السلسلة الصحيحة) (٣١٣٦): إسناده صحيح، وله شواهد متفرقة.

(٣) رواه البخاري (٧٥١٨)، ورواه مسلم (٢، ٤/ ٢١٧٦ رقم: ٩).

(٤) رواه مسلم (٤/ ٢١٤٩ رقم: ٢٦).



عن أَبِي هُرَيْرَةَ–رضِيَ اللهُ عنه–(ت: ٥٩ هـ): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–: ((**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ**)). (١)

عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–(ت: ٦٥ هـ)، قال: جاء حَبْرٌ إلى رسولِ اللهِ–صلى الله عليه وسلم–فقال: ((**يا محمدُ، إنَّ اللهَ يَضَعُ السماءَ على إصبَعٍ، والأرضَ على إصبَعٍ، والجبالَ على إصبَعٍ، والشجرَ والأنهارَ على إصبَعٍ، وسائرَ الخلقِ على إصبَعٍ، ثم يقولُ بيدِه: أنا الملِكُ، فضحِك رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقال**: ((**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**)). (٢)

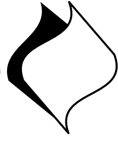
عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–(ت: ٦٥ هـ)، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–يَقُولُ: ((**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**))، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–: ((**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**)). (٣)

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٠).

(٢) رواه البخاري (٧٤٥١)، ومسلم (٢٧٨٦).

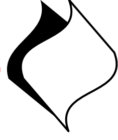
(٣) رواه مسلم (٢٦٥٤).



عَنْ مُعَاذ بْنَ جَبَلٍ-رضِيَ اللهُ عنه-(ت: ١٨ هـ)، قَالَ: احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى قَرْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَرِيعًا، فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، وَصَلَّى وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَالَ: **((كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ كما أنتم))**، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: **((إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا رَبِّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: نَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَجُلُوسٌ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْكَرِيهَاتِ، قَالَ: وَمَا الدَّرَجَاتُ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا وَتَعَلَّمُوهَا))**. (١)

---

(١) رواه أحمد (٥ /٢٤٣)، والترمذي (٣٢٣٥)، وصححه والألباني.



أقوال السلف في إثبات صفة اليدين لله–عزو جل–.

لفظ اليد ورد متواترًا في القرآن، والسنة، وفي كلام الصحابة والتابعين:

قال الإمام الشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ): "لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمَّته...، وأن له يدين بقوله: **{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}** [المائدة: الآية: ٦٤]، وأن له يمينًا بقوله: **{وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}** [الزمر: الآية: ٦٧]". (١)

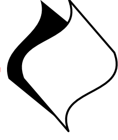
قال أبو الحسَن الأشعَري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ): "وأجمعوا على أنه عزَّ وجلَّ يَسْمَعُ ويَرَى، وأن له تعالى يدين مبسوطتَيْن". (٢)

قال أبو عيسى الترمذي–رحمه الله–(ت: ٢٧٩ هـ): "قال أهل العلم في أحاديث الصفات مثل حديث النزول، وذكر الرجل، والقدم، واليدين: نؤمن بهذا كله ولا يقال: كيف، ولا لم، مع اعتقاد التمجيد ونفي التشبيه والتمثيل، وينسبون من أنكرها إلى الجهمية، والصحيح إمرارها

---

(١) ((طبقات الحنابلة)) لابن أبي يعلى (١ /٢٨٢).

(٢) انظر: ((رسالته إلى أهل الثغر))، ص (٢٢٥).



كما جاءت، وبه قال مالك والشافعي، والثوري، وابن عيينة، وابن المبارك وجميع المحدثين وأهل العلم من السنة والجماعة، وأما الجهمية فقالوا: هذا تشبيه ثم تأولوه". (١)

قال ابن خزيمة–رحمه الله–(ت: ٣١١ هـ): "باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا والبيان أنَّ الله –تعالى– له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله ...".

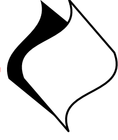
ثم قال: باب ذكر البيان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم: على إثبات يد الله–جل وعلا–، موافقاً لما تلونا من تنزيل ربنا لا مخالفاً"، ثم ذكر عدداً من النصوص الدالة على ذلك. (٢)

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول والكلام، والرضا والسخط، والحياة، واليقظة، والفرح، والضحك، وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله–تعالى–، وقاله رسوله–صلى الله عليه وآله وسلم–من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه بتأويل منكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى،

---

(١) انظر الجامع للترمذي ٣/ ٥٠–٥١، مستخرج الطوسي ٣/ ٣٦٧، وراجع العلو رقم (٤٧٧)..

(٢) كتاب التوحيد ١/ ١١٨–١٢٥.



ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله-تعالى-: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: الآية: ٧].

وقال أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-(ت: ٣٢٤ هـ): "وأجمعوا على أنه عزَّ وجلَّ يسمع ويرى، وأنَّ له تعالى يدين مبسوطتين". (١).

وقال أبو بكر الإسماعيلي-رحمه الله-(ت: ٣٧٠ هـ)، -فيما ذكره عن اعتقاد أئمة الحديث-: "ويعتقدون أنَّ الله -تعالى-مدعو بأسمائه الحسنى، وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه-صلى الله عليه وسلم-، خلق آدم بيده، ويداه مبسوطتان ينفق، كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف يداه إذ لم ينطق كتاب الله- تعالى-فيه بكيف". (٢)

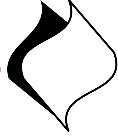
وقال أبو بكر الإسماعيلي-رحمه الله-(ت: ٣٧٠ هـ): "وخلق آدم عليه السلام بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف يداه، إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف". (٣)

---

(١) ((رسالة إلى أهل الثغر)) (ص ٢٢٥).

(٢) اعتقاد أئمة الحديث ٤٩-٥١.

(٣) ((اعتقاد أئمة الحديث)) (ص ٥١).



وقال السمعاني–رحمه الله–(ت: ٤٨٩ هـ): "وأما اليد: صفة الله–تعالى–بلا كيف، وله يدان ...". (١)

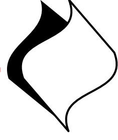
وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي–رحمه الله–(ت: ٣٩٢ هـ): "وأما الكلام في الصفات؛ فما روي في السنن الصحاح؛ فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في صفات فرع على الكلام في الذات، وإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته فإنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: يد وسمع وبصر؛ فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد: القدرة، ولا نقول: إن معنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول: إنها جوارح وأدوات الفعل". (٢)

وقال البغوي–رحمه الله–(ت: ٥١٦ هـ): "... وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب والسنة كاليد، والإصبع ... فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي

---

(١) تفسير القرآن ٢/ ٥١.

(٢) انظر رسالته في الصفات ص ٦٤–٦٥، ونقله عنه ابن قدامه في ذم التاويل ص: ١٥.



من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مُشبه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ...". (١)

وقال الأصبهاني–رحمه الله–(ت: ٥٣٥ هـ): "والإيمان بما ورد في القرآن من صفات الله–تعالى–، كاليد وإمرارها على ما جاءت لا تكيّف، ولا تتأول". (٢)

وقرر ابن قدامة المقدسي–رحمه الله–(ت: ٦٠٠ هـ) ثبوت صفة اليد الله، فقال: "ومن صفاته– سبحانه– الواردة في كتابه العزيز، الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين اليدان فلا نقول يد كيد ولا نكيف ولا نشبه". (٣)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "إنَّ لله تعالى يدين مختصتين به، ذاتيتين له، كما يليق بجلاله". (٤)

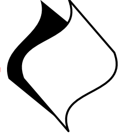
---

(١) شرح السنة ١٥/ ٢٥٧–٢٥٨.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٣١١.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد ص: ١١٢–١١٧.

(٤) ((مجموع الفتاوى)) (٦ /٢٦٣).



وقال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ): "فإن قيل: لا تكون اليد حقيقة إلا جارحة وجسما.

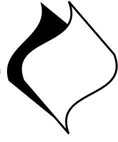
قيل: فما تقولون في يدي الله تعالى؟ فإن قالوا: نقول: بمعنى القدرة.

قيل: فالقدرة لا تكون [إلا] عرضا، ولا تُعقل إلا عرضًا.

فإن قالوا: إنما تكون عرضًا فينا.

قلنا: إنما تكون جارحة فينا ...

ولِمَ قلتم أيضًا: إن اليد إنما تكون حقيقة هذه الجارحة، بل إنما اليد لفظ مشترك، وهي بحسب ما تضاف إليه ومن جنس ما توصف بها، فإن كان الموصوف بها حيواناً كانت جارحة، وإن كان تمثالاً من صفراء وحجر كانت صفراء وحجر، وإن كان تمثالاً عرضاً في حائط كانت عرضاً في حائط، وإن كان ليس كمثله شيء وليس بجسم كانت ليس كمثلها شيء وليست بجسم ...



فنقول: لله تعالى يد حقيقة تليق به، ولا يلزم من ذلك محذور من تشبيه أو تجسيم". (١)

وصف إحدى يدي الله جل وعلا بالشمال على قولَيْن لأهل العلم:

١-القائلون بأنَّ كلتا يدي الله يَمِين لا شمال ولا يسار فيهما، ومنهم: **الإمام ابن خزيمة-رحمه الله-(ت: ٣١١ هـ) في (كتاب التوحيد)، والإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، والبيهقي-رحمه الله-(ت: ٤٥٨ هـ)**.

واستدلوا **بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-(ت: ٦٥ هـ)**، مرفوعًا: ((**إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يَمِين الرحمن عزَّ وجلَّ، وكلتا يديه يَمِين...**)). (٢)

وأهل السنة والجماعة يُثبتون صفة الأصابع لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل:

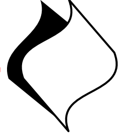
قال الإمام الشافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ): "لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيُّه صلى الله عليه وسلم أمته ... وأن له إصبعًا بقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**ما من قلبٍ إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عزَّ وجلّ**)). (٣)

---

(١) رسالة في إثبات صفة اليد (ص: ٤٢، ٤٦) [ضمن مجموع رسائل بتحقيق: عبد الله البراك].

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧).

(٣) ((طبقات الحنابلة)) لابن أبي يعلى (١ /٢٨٢).



قال **إمام الأئمة ابن خزيمة–رحمه الله–(ت: ٣١١ هـ)** في كتاب ((التوحيد)): (باب إثبات الأصابع لله عَزَّ وجَلَّ)، وذكر بأسانيده ما يثبت ذلك.

وقال أبو بكر الآجري–رحمه الله–(ت: ٣٦٠ هـ) في كتاب ((الشريعة)): (باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الرب–عَزَّ وجَلَّ–، بلا كيف).

وقال البغوي–رحمه الله–(ت: ٥١٦ هـ): "والإصْبع المذكورة في الحديث صفةٌ من صفات الله عَزَّ وجَلَّ، وكذلك كلُّ ما جاء به الكتاب أو السنَّة من هذا القبيل من صفات الله تعالى؛ كالنَّفس، والوجه، والعين، واليد، والرِّجل، والإتيان، والمجيء، والنُّزُول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح". (١)

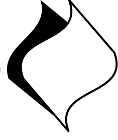
وأهل السنة والجماعة يُثْبِتُون صفة الكف لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غَيْر تكْييف ولا تمثيل:

قال قَوَّام السُّنَّة الأصبهاني–رحمه الله–(ت: ٥٣٥ هـ) بعد سرده لجملة من أحاديث الصفات: "وقوله: ((**إنَّ أحدكم يأتي بصدقته فيضعها في كف الرحمن**))، وقوله: ((**يضع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع**)).. وأمثال هذه الأحاديث، فإذا تدبَّره متدبر، ولم يتعصب بانَ له صحة ذلك، وأنَّ الإيمان به واجب، وأنَّ البحث عن كيفية ذلك باطل". (٢)

---

(١) ((شرح السنة)) (١/ ١٦٨).

(٢) ((الحجة)) (٢/ ٢٥٩).



وقال رحمه الله: "وللكف معانٍ، وليس يحتمل الحديث شيئًا من ذلك، إلا ما هو معروف في كلام العرب، فهو معلوم بالحديث، مجهول الكيفية". (١)

وقال صديق حسن خان–رحمه الله–(ت: ١٣٠٧ هـ): "ومن صفاته سبحانه: اليد والإصبع والكف". (٢)

وأهل السنة والجماعة يُثبتون صفة الأنامل لله تعالى كما يَلِيق بجلاله، من غَيْر تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل:

ويدل على هذه الصفة حديث معاذ بن جبل–حديث اختصام الملأ الأعلى–وفيه: ((**أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا رَبِّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي**)). (٣)

واستدل رحمه الله بهذا الحديث على إثبات صفة الأنامل لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله وعظيم سلطانه. (٤)

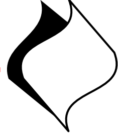
---

(١) ((الحجة)) (٢/ ٢٦٢).

(٢) ((قطف الثمر)) (٦٦).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٤٣)، والترمذي (٣٢٣٥)، وصحَّحه والألباني.

(٤) انظر: ((نقض أساس التقديس)) (٥٢٤-٥٢٦).



أقوال المخالفين.

انقسم المبتدعة المخالفون لمنهج السلف في إثبات صفة اليد الله وعمل إلى طائفتين(١):

الطائفة الأولى: المعطلة النفاة:

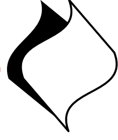
أنكر المعطلة ثبوت صفة اليد الله–عز وجل–حقيقة واحتجوا بأنَّ وصفه بذلك يعني وصفه–عز وجل–بالجوارح، والأعضاء، والأدوات والأبعاض، وهذا يقتضي كونه جسماً مركباً متبعضاً متجزئاً محدوداً، وهذا يستلزم تشبيه الخالق–عز وجل–بالمخلوق، والله–تعالى–منزه عن ذلك، ولا يشبه المخلوق. (٢)

وما ذهب إليه هؤلاء المعطلة غير صحيح والجواب عنه من وجوه:

---

(١) المصدر: بحث صفة اليد لله تعالى والرد على المخالفين، نوره بنت محمد الجاسر، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية العدد (٨٣) من ص: ٢٤٠–٢٤٧.

(٢) ينظر: متشابه القرآن: عبد الجبار الهمذاني، ١/ ٢٣٠– ٢٣١، أصول الدين: البغدادي، ص: ١١١، الأسماء والصفات: البيهقي، ٢/ ١٧٢، العقيدة النظامية: الجويني، ص: ١٠٥، التفسير الكبير: الرازي، ٢٦/ ٢٠١.



الأول: أنَّ ظاهر هذا اللفظ ونحوه إذا أطلق على المخلوق كان عرضاً وجسماً؛ لأنَّ ذات المخلوق كذلك، لكن إذا أطلق على الله–عز وجل–فلا يكون ظاهره إلا ما يليق بجلاله–عز وجل–ويناسب نفسه. (١)

الثاني: أنَّ إثبات هذه الصفة الله–عز وجل–وإنما يمتنع لو كانت اليد التي وصف الله بها أيدي المخلوقين، أما إذا كانت يداً تناسب ذاته عز وجل، وتليق بعظمته، فإنَّ هذا لا يمتنع (٢)، والسلف–رحمهم الله–يثبتون اليد الله وعلى وجه يليق بجلاله وعظمته دون تشبيه بيد المخلوق.

الثالث: أنَّ هؤلاء المعطلة قد فروا من إثبات تلك الصفة الله–عز وجل–حقيقة، خشية التشبيه والتمثيل، والتجسيم، والتركيب، وهذا المحذور لازم لهم فيما أثبتوه من صفات، فيلزمهم لذلك أن ينفوا ما أثبتوه من الصفات، خشية الوقوع في المحذور. (٣)

الرابع: أن لفظ التجسيم، والتركيب، والتحديد ... إلخ من الألفاظ المجملة، التي تحتمل معنى حقًا ومعنى باطلاً، ومنهج السلف فيها، التفصيل في معناها، فإن أريد بها معنى حق قبلت، وإن أريد بها معنى باطل ردت. (٤)

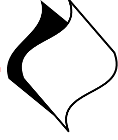
---

(١) ينظر الفتاوى الكبرى ابن تيمية، ٦/ ٤٧٢.

(٢) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: الغنيمان، ١/ ٣٢٩.

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/ ٤٠٩.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى شيخ الإسلام، ١/ ١١٠، ١٢/ ١١٤.



فإن كان المراد بالجسم المنفي الجسد أو البدن الكثيف، الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه، فقولهم حق.

وإن كان المراد به الجسم المركب من الجواهر المفردة، أو من المادة والصورة، فهذا أيضاً حق.

أما إذا كان المراد به ما يقوم به-عز وجل-من الصفات، فقولهم باطل، فإنَّ هذه المعاني ثابتة الله-عز وجل-وهو موصوف بها. (١)

ومثل لفظ الجسم بقية الألفاظ يستفصل في معناها، فإن أريد بها معنى حق قبلت، وإن أريد بها معنى باطل ردت.

ولما رأى المعطلة استحالة وصف الله-عز وجل-باليد حقيقة، قاموا بتأويل هذه الصفة لله-عز وجل-بجملة من التأويلات، من أشهرها ما يلي:

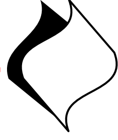
التأويل الأول: قيل المراد باليد النعمة؛ لأنَّ اليد تطلق في اللغة بمعنى النعمة، يقال: لفلان علي يد، أي: نعمة ومنة. (٢)

وأجابوا عن معنى التثنية الوارد في بعض النصوص بما يأتي:

---

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ١/ ١٣٢، ٢/ ٤٠٩.

(٢) ينظر التمهيد الباقلاني ص: ٢٩٦ — ٢٩٧، تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، ص: ٤٠، شرح الأصول الخمسة: عبد الجبار الهمذاني، ص: ٢٢٨.



الأول: أنّ الله إنما ثنى اليد مبالغة في الرد على اليهود ونفي البخل عنه، وإثباتاً لغاية الجود والسخاء، فإنَّ غاية ما يبذل السخي من ماله أن يعطيه بيديه جميعاً. (١)

الثاني: أنَّهَا تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد، فيدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع لا نهاية لها. (٢)

فقد يكون المراد بالتثنية باعتبار نعمة الدنيا ونعمة الآخرة (٣)، أو نعمة النفع ونعمة الدفع (٤)، أو نعمة الشدة ونعمة الرخاء (٥)، أو نعمة المطر والنبات (٦)، أو نعمة الظاهر ونعمة الباطن. (٧)

---

(١) ينظر: متشابه القرآن عبد الجبار الهمذاني، ١/ ٢٣٢، البحر المحيط: أبو حيان، ٣/ ٥٢٤، التفسير الكبير: الرازي، ١٢/ ٣٧.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: الرازي، ١٢/ ٣٧، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ٦/ ٢٢٦.

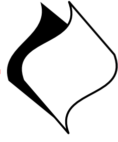
(٣) ينظر: متشابه القرآن عبد الجبار المعتزلي ١/ ٢٣، التفسير الكبير: الرازي، ١٢/ ٣٧، ٢٦/ ٢٠١.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: الرازي ١٢/ ٣٧.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: الرازي ١٢/ ٣٧.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي؛ ٦/ ٢٢٦، البحر المحيط: أبو حيان، ٣/ ٥٢٤.

(٧) ينظر متشابه القرآن عبد الجبار الهمذاني، ١/ ٢٣١، التفسير الكبير: الرازي، ١٢/ ٣٧، ٢٦/ ٢٠١.



الثالث: أنَّ من عادة العرب أن تضع المثنى مكان المفرد. (١)

التأويل الثاني: قيل المراد باليد القوة والقدرة؛ لأنَّ اليد يعبر بها في اللغة عن القوة والقدرة، يقال: هذا الشيء في يد فلان وتحت يد فلان، أي: تحت قدرته وقوته (٢)، واحتج على ذلك بقوله-تعالى-: **{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْدٍ}** [الذاريات: الآية: ٤٧]، أي بقوة. (٣)

وأجابوا عن معنى التثنية الوارد في بعض النصوص بما يأتي:

- الأول: أنَّ الله-عز وجل-وإنما ثنى اليد باعتبار قوة الثواب وقوة العقاب. (٤)

- الثاني: أنَّ من عادة العرب أن تأتي بالمثنى بمعنى الواحد. (٥)

وما ذهب إليه هؤلاء المعطلة من تأويل اليد بمعنى النعمة أو القدرة والقوة يعد تأويلاً باطلاً، والجواب عنه من وجوه:

---

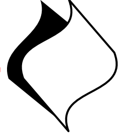
(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة: عبد الجبار الهمذاني، ص: ٢٢٨، إكمال المعلم: القاضي عياض، ١/ ٥٦٨.

(٢) ينظر: التمهيد الباقلاني، ص: ٢٩٦-٢٩٧، مشكل الحديث ابن فورك ص: ١٨٩،١٨٨،١٨٤، ٢٢٤.

(٣) ينظر: الإبانة: الأشعري: ص: ٥٥، دفع شبه التشبيه: ابن الجوزي، ص: ٣٣.

(٤) ينظر النكت والعيون الماوردي، ١/٥١، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ٦/ ٢٢٦.

(٥) ينظر: إكمال المعلم: القاضي عياض، ١/ ٥٦٨.



الأول: أنَّ الأصل في الكلام الحقيقة، ولا ينصرف عنها إلى المجاز إلا بقرينة، ولا قرينة هنا، فدعوى المجاز مخالفة للأصل. (١)، وقد تكرر التصريح بذكر اليد لله-عز وجل-في العديد من النصوص، وهي لا تحتمل التأويل بحال، ولا يمكن حمل اليد فيها إلا على الحقيقة، ومن لم يحملها على الحقيقة فهو معطل لها. (٢)

الثاني: أنّ هذا التأويل مخالف لإجماع السلف وطريقتهم-رحمهم الله-؛ حيث إنّهم مجمعون على إثبات اليد لله-عز وجل-حقيقة على الوجه اللائق به دون تعطيل وتأويل. (٣)

الثالث: أنَّ هذه المعاني اللغوية لليد إذا جازت في حق المخلوق، فإنَّها لا تجوز في حق الخالق-عز وجل-؛ لأن هذا لا يليق بصفاته-عز وجل-.

الرابع: أنَّ هذه الصفة لله-عز وجل-قد تصرفت تصرفاً يمنع هذا التأويل. (٤) الخامس: أنَّ هذا التأويل مخالف للغة العرب التي نزل بها القرآن، إذ لا يوجد في كلام العرب، ولا العجم

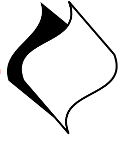
---

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/٤٠١.

(٢) ينظر: شرح لمعة الاعتقاد: ابن عثيمين، ص: ٥٠.

(٣) ينظر: شرح لمعة الاعتقاد: ابن عثيمين، ص: ٥٠، شرح العقيدة الواسطية: ابن عثيمين، ١/ ٢٤٣، ٣٠٦

(٤) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/ ٤١٥.



أيضاً، أنَّ فصيحاً يقول: فعلت هذا بيدي إلا يكون قد فعله بيديه حقيقة، ولا يصح أن يكون لا يد له أو أن يكون له يد، والفعل يقع بغيرها. (١)

السادس: أنَّ مثل هذا التأويل لا يستعمل إلا مفرداً أو مجموعاً، كقولك: له عندي يد يجزيه الله بها، وله عندي آياد، أما إذا جاء بلفظ التثنية، لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية. (٢)

السابع: أنَّ لفظ (اليدين) بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة؛ لأنَّ من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع، كقوله – تعالى –: **{إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ}** [العصر: الآية: ٢]، ولفظ الجمع في الواحد، كقوله تعالى: **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاس}** [آل عمران: الآية: ١٧٣]، ولفظ الجمع في الاثنين، كقوله تعالى: **{صَغَتْ قُلُوبُكُما}** [التحريم: الآية: ٤]، أمَّا استعمال لفظ الواحد في الاثنين، أو الاثنين في الواحد فلا أصل له؛ لأن هذه الألفاظ عدد، وهي نصوص في معناها لا يتجوز بها. (٣)

الثامن: أنَّ هؤلاء المعطلة لما رأوا أنَّ اليد قد تطلق في بعض المواضع على النعمة والقدرة، ظنوا أنَّ كل سياق وتركيب صالح لذلك، فوهموا وأوهموا. (٤)

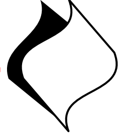
---

(١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٦/ ٣٦٦.

(٢) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/ ٤٠٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٦/ ٣٦٥.

(٤) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/ ٤٠٢- ٤٠٣.



التاسع: أنَّ هذا التركيب المذكور في قوله تعالى: **{خَلَقْتُ بِيَدَى}** [ص: الآية: ٧٥] يأبى حمل الكلام على القدرة؛ لأنه نسب الخلق إلى نفسه سبحانه، ثم عدى الفعل إلى اليد، ثم ثناها، ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على قولك: كتبت بالقلم، ومثل هذا النص صريح لا يحتمل المجاز. (١).

العاشر: أنه لو صح تأويل اليد بالنّعمة لاستلزم ذلك أن تكون النعمة من الله ول نعمتين فقط، وهذا باطل؛ لأنَّ نعم الله وعمل أكثر من أن تحصى، قال – تعالى–: **{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}** [إبراهيم: الآية: ٣٤]. (٢)

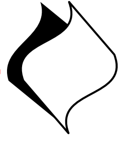
الحادي عشر: أنَّ نعم الله وحادثة مخلوقة؛ لذلك لايصح تأويل اليد بالنعمة، لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق مثله. (٣)

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/ ٤٠٤.

(٢) ينظر: كتاب التوحيد ابن خزيمة، ١/ ١٩٧-١٩٨، الاقتصاد في الاعتقاد المقدسي، ص: ١١٨، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٦/ ٣٦٥..

(٣) ينظر: شرح صحيح البخاري: ابن بطال، ١٠/ ٤٣٧، فتح الباري: ابن حجر، ١٣/ ٣٩٤.



الثاني عشر: لو كان المراد باليد القوة أو القدرة لاستلزم ذلك أن تكون القوة قوتان، والقدرة قدرتان، والقدرة والقوة عند السلف-رحمهم الله-صفة واحدة لا تتعدد، والنفاة لا يثبتون قدرة واحدة فكيف يثبتون قدرتين. (١)

الثالث عشر: الاستدلال بقوله-تعالى-: **{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}** [الذاريات: الآية: ٤٧]، أي: بقوة، لا حجة فيه؛ لأنَّ لفظ (أييد) هنا ليس جمع يد، وإنما مصدر أدَّ الرجل يئيد أيداً، أي قوي وعلى هذا فإنَّ الآية ليست صفة الله-عز وجل-. (٢)

التأويل الثالث: قيل المراد باليد: الرزق. (٣)

وقد أبطل **الدارمي-رحمه الله-(ت: ٢٨٠ هـ)** هذا التأويل، وبيَّن أنَّه يُعَدُّ كذباً محالاً، فضلاً عن أن يكون كفراً، وذكر أنَّ القائلين بذلك قد خرجوا بهذا التأويل من لغات العرب والعجم، ثم استدل-رحمه الله-بعدد من النصوص التي ورد فيها ذكر اليد لله-عز وجل-، وبين أنها تدل دلالة واضحة على ثبوت اليد لله-عز وجل-حقيقة، وأنها لا تصح أن تفسر بالرزق. (٤)

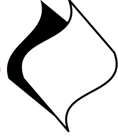
---

(١) ينظر: الإبانة: الأشعري، ص: ٥٥ شرح صحيح البخاري: ابن بطال ١٠/ ٤٣٦، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٦/ ٣٦٥.

(٢) ينظر: كتاب التوحيد: لابن خزيمة ١/ ١٩٩، الكليات: الكفوي ص: ٩٨٤.

(٣) ينظر: نقض الدارمي على المريسي، ١/ ٢٤١-٢٩٩، الرد على الجهمية: الدارمي، ص: ٢٠١.

(٤) ينظر: النقض على المريسي، ١/ ٢٤٢-٢٥٥، ٢٩٩، الرد على الجهمية، ص: ٢٠١.



التأويل الرابع: قيل المراد باليد: الملك، بكسر الميم. (١)

وهذا التأويل باطل أيضاً، ولا يجوز؛ لتثنية اليد والله-عز وجل-ليس له ملكان. (٢). التأويل الخامس: قيل: قد يكون المراد باليد في قوله-تعالى-: **{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَى}** [ص: الآية: ٧٥] التأكيد والصلة، والمعنى: أنَّه خلق آدم فحسب. (٣)

وهذا التأويل أيضاً باطل؛ لأنَّ اليد لو كانت بمعنى الصلة، لكان لإبليس أن يقول: إن كنت قد خلقته فقد خلقتني"، (٤) فتبين مما سبق بطلان قول المعطلة النفاة، وبطلان التأويلات التي ذكروها.

الطائفة الثانية المشبهة والممثلة أثبت المشبهة صفة اليد لله-عز وجل-حقيقة، لكن على وجه يماثل يد المخلوق؛ حيث قالوا: يد الله -عز وجل-كيد المخلوق. (٥) وهؤلاء لم يوفقوا للصواب في قولهم؛ حيث إنهم غلوا في إثبات هذه الصفة الله، فجعلوا يد الله-عز وجل-كيد المخلوق،

---

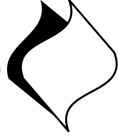
(١) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن الشريف الرضي، ص: ٢٨١، ٢٩٦ - إكمال المعلم: القاضي عياض، ١/ ٥٦٧، التفسير الكبير: الرازي، ١٢/ ٣٧.

(٢) ينظر الحجة في بيان المحجة: الأصبهاني، ٢/ ٢٧٦.

(٣) ينظر: أصول الدين: البغدادي، ص: ١١١، الأسماء والصفات: البيهقي، ٢/ ١٢٧.

(٤) ينظر: الإتقان السيوطي، ٢/ ٧-٨.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٣٦٦.



والله–عز وجل–يقول: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}** [الشورى: الآية: ١١]، فنفى الله–عز وجل–في هذه الآية مشابهته لخلقه.

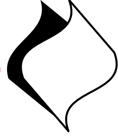
وبناءً على ما سبق يتبيّن بطلان قول كلتا الطائفتين ومدى مخالفتهم لإجماع السلف وطريقتهم–رحمهم الله–الذين نصوا على إثبات هذه الصفة الله–عز وجل–، حقيقة، من غير تمثيل ولا تشبيه بيد المخلوق، ومن غير تعرض لتأويلها بما يخالف الظاهر والحقيقة.

[القرآن كلام الله غير مخلوق].

[٥]. قال المصنف–رحمه الله–:

"ويشهد أهل الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه، ووحيه، وتنزيله غير مخلوق؛ ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم.

والقرآن – الذي هو كلام الله ووحيه. هو الذي نزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً؛ كما قال عز وجل: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ

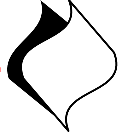


بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [الشعراء: الآيات: ١٩٢-١٩٥].

وهو الذي بلغه الرسول الله أمته؛ كما أمر به في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} [المائدة: الآية: ٦٧]، فكان الذي بلغهم ـ بأمر الله تعالى ـ كلامه عز وجل، وفيه قال: أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي).

وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة، ويكتب في المصاحف، كيفما تصرف بقراءة قارىء، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تلي وفي أي موضع قرىء وكتب في مصاحف أهل الإسلام، وألواح صبيانهم، وغيرها، كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق؛ فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: (القرآن كلام الله غير مخلوق؛ فمن قال إن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم، لا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض، ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، يستتاب؛ فإن تاب وإلا ضربت عنقه".

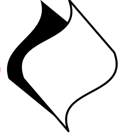


فأما اللفظ بالقرآن: فإن الشيخ أبا بكر الإسماعيلي الجرجاني ذكر في رسالته التي صنفها لأهل جيلان من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق ـ يريد به القرآن – فقد قال بخلق القرآن".

وذكر ابن مهدي الطبري في كتاب (الاعتقاد) الذي صنفه لأهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه، ووحيه وتنزيله، وأمره ونهيه غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وأن القرآن في صدورنا محفوظ، بألسنتنا مقروء، في مصاحفنا مكتوب. وهو الكلام الذي تكلم الله عزَّ وجلّ به، ومن قال: إن القرآن بلفظي مخلوق، أو لفظي به مخلوق فهو جاهل، ضال، كافر بالله العظيم.

وإنما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدي لاستحساني ذلك منه؛ فإنه اتبع السلف من أصحاب الحديث فيما ذكره، مع تبحره في علم الكلام، وتصانيفه الكبيرة فيه، وتقدمه وتبرزه عند أهله.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: قرأت بخط أبي عمرو المستملي: سمعت أبا عثمان سعيد بن إشكاب يقول: سألت إسحاق بن إبراهيم عن اللفظ بالقرآن؟ فقال: لا ينبغي أن يناظر في هذا! القرآن كلام الله غير مخلوق.

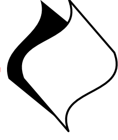


وذكر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في كتاب (الاعتقاد) الذي صنفه في هذه المسألة وقال: أما القول في ألفاظ العباد بالقرآن؛ فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي، ولا تابعي، إلا عن من في قوله الغناء، والشفاء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله مقام الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله. فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: اللفظية جهمية. قال الله عز وجل: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ممن يسمع؟ قال: ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم؛ يذكرون عنه رضي الله عنه أنه كان يقول: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع).

قال محمد بن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله : إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع، رحمة الله عليه ورضوانه).

هذه ألفاظ محمد بن جرير، التي نقلتها نفسها إلى ماههنا من كتاب الاعتقاد الذي صنفه.

قلت: وهو ـ أعني محمد بن جرير ـ قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نسب إليه، وقذف به من عدول عن سبيل السنة أو ميل إلى شيء من البدعة.

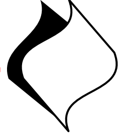


والذي حكاه عن أحمد–رضي الله عنه وأرضاه–: أن اللفظية جهمية، فصحيح عنه، وإنما قال ذلك لأن جهما وأصحابه صرحوا بخلق القرآن والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن، وخافوا.] أهل السنة . في ذلك الزمان . من التصريح بخلق القرآن؛ فذكروا هذا اللفظ، وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق، فلذلك سماهم أحمد رحمه الله . جهمية.

وحكي عنه أيضاً أنه قال: (اللفظية شر من الجهمية).

وأما ما حكاه محمد بن جرير عن أحمد رحمه الله . أن من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، فإنما أراد أن السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق، وذوي الحمق، الذين أتوا بالمحدثات، وعتوا عما نهوا عنه من الضلالات، وذميم المقالات، وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام؛ فقال الإمام هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتسنن أن يدعه، ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه.

أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجراحي بمرو، حدثنا يحي بن ساسويه ثنا عبد الكريم السكري قال: وهب بن زمعة أخبرني على الباشاني



قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: "من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن، ومن قال لا أؤمن بهذه اللام فقد كفر"".

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أهمية صفة الكلام.

هذه مسألة من كبريات مسائلِ باب الصفات؛ فأكبرُ مسألتين في باب الأسماء والصفات ركَّز عليها أعداءُ الإسلام تركيزاً شديداً

- مسألةُ العلو.
- ومسألةُ الكلام.

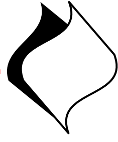
لأنهم إذا أبطلوا كونَ القرآن كلام الله أبطلوا حقيقةَ الوحي،

وإذا أبطلوا علوَّ الله تعالى أبطلوا وجوده،

فهذه غايتهم وهدفهم الذي يريدون أن يصلوا إليه.

ذلك لأن أعظم ركيزتين تقوم عليهما المبادئ الفلسفية لدى الفلاسفة هما:

١. أن العلمَ مصدره الإنسان. وفي هذا تكذيب للوحي.
٢. وأن المعلومات والعلوم محصورةٌ في المحسوس المشاهَد. وفي هذا إنكار للغيب وأعظم الغيب هو الله.



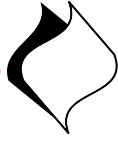
فتسلَّط أعداءُ الله على باب الصفات من أجلِ أن يشكِّكُّوا في كلامِ الله وذلك بإنكارهم بأن يكون القرآن كلامُ الله حقيقة.

وأن يشكِّكُّوا في وجودِ الله بإنكارهم لعلو الله عز وجل.

فلذلك وقفوا وقفةً خبيثة، وهجموا هجمةً شرسة ضد هاتين الصفتين، فإذا كنا نقول إنهم يزعمون أن العلوم مصدرها الإنسان، ونحن نقول إن العلم الشرعي مصدره الوحي فلمَّا هؤلاء يلغونَ أن الله تكلم حقيقة، ويشكَّكُّون في أن هناك وحي وقالوا: هذه عبارة محمد؛ أو عبارة جبريل، وأن الله ما تكلم حقيقة. لأنهم إذا أسقطوا الوحي وقطعوا عليك طريق الوحي فسيتساوى قولُ محمد مع قولِ أي بشرٍ من الناس.

صفة الكلام تأتي –من حيث الأهمية– مع صفة العُلو لله سبحانه وتعالى؛ لذلك اهتم بهما أئمة السلف، وأكدوا على ثُبوتهما لله تعالى حقيقة، وأوردوا في ذلك أدلة كثيرة.

وبالنسبة لصفة الكلام التي هي موضوع حديثنا هنا فإن علماء أهل السنة بينوا الحق في هذه المسألة ووقفوا موقفاً عظيماً صلباً حتى إنه كما هو معلوم في زمن فتنةَ القولِ بخلقِ القرآن، فقام المأمون وهو كان من المعتزلة ويتبنَّى قول المعتزلة، فعذَّب مَن عذَّب من العلماء وفصَلَهم عن وظائفهم وسجنهم وقام بتعذيبهم لأجلِ أن يرفعَ هذا الشعار؛ أن القرآنَ مخلوق وأنه ليس كلامُ الله حقيقة.



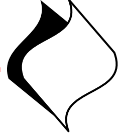
فدفع أهل السـنة شـبهات المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومَن دَار في فَلَكهم القائلين بأنَّ الله خلق القرآن في غيره، وردوا كذلك على الكلَّابية الذين قالوا: القرآن حكاية عن كلام الله، وردوا-أيضًا-على الأشاعرة الذين قالوا: القرآن عبارة عن كلام الله.

فالمعطلة أرادوا بقولهم هذا: إسـقاط قيمة الوحي؛ ليصـبح لدى الناس خلل في اتباع الوحي، فأهل السنة يؤمنون بأن أول مصدر للتشريع هو وحي الله تعالى إلى رسوله ﷺ، أي: كلامه بحروفه ومعانيه، وأن الله تعالى قاله بحرف وصوت.

وأوَّل مَن عُرف أنه قال: مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان.

وأول مَن عُرف أنه قال: هو قديم عبد الله بن سـعيد بن كلاب، (ت: ٢٤١ هـ)، ثم افترق الذين شـاركوه في هذا القول؛ فمنهم مَن قال: الكلام معنى واحد قائم بذات الرَّبِّ، ومعنى القرآن كله والتوراة والإنجيل وسـائر كتب الله وكلامه هو ذلك المعنى الواحد الذي لا يَتعدد ولا يتبعض، والقرآن العربي لم يتكلم الله به، بل هو مخلوق خلقه في غيره.

وقال جمهور العقلاء: هذا القول معلوم الفسـاد بالاضـطرار؛ فإنَّه مِن المعلوم بصـريح العقل أن معنى (آية الكرسـي) ليس معنى (آية الدَّيْن)، ولا معنى {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: الآية: ١]، معنى {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسـد: الآية: ١]؛ فكيف بمعاني كلام الله كله في الكتب المنزلة وخطابه لملائكته وحسـابه لعباده يوم القيامة وغير ذلك من كلامه؟!



ومنهم مَن قال: هو حروف، أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته لم يَزل ولا يزال موصوفًا بها.

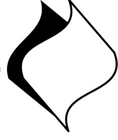
وكلا الحزبين يقول: إن الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وإنه لم يزل ولا يزال يقول: يا نوح، يا إبراهيم، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، ولم يقل أحد من السلف بواحد من القولين، ولم يقل أحدٌ من السلف: إنَّ هذا القرآن عبارة عن كلام الله، ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم: إن لفظي بالقرآن قديم أو غير مخلوق، فضلًا عن أن يقول: إن صوتي به قديم أو غير مخلوق؛ بل كانوا يقولون بما دلَّ عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يَقرءونه بأصواتهم، ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مَخلوق". (١)

وأما المعتزلة والجهمية فقالوا: القرآن كلام الله مخلوق؛ فهم أضافوا الكلام إلى الله من باب إضافة الوصف على حد قولهم: (ناقة الله).

ومن المتفلسفة مَن يزعم أن المعاني والحروف تأليفه؛ لكنها فاضت عليه كما يفيض العلم على غيره من العلماء.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٠١، ٣٠٢).



المسألة الثانية: الأقوال في كلام الله. (١).

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "مسألة كلام الله تعالى، والناس فيها مضطربون، وقد بلغوا فيها إلى تسعة أقوال: وعامة الكتب المصنفة في الكلام وأصول الدين لم يذكر أصحابها

---

(١) لخص شارح العقيدة الطحاوية أقوال المخالفين في صفة الكلام فقال: "وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه، وهذا قول المعتزلة.

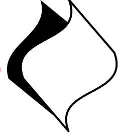
وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبريه كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره.

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

وخامسها: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما، وهذا قول الكرامية وغيرهم.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل إليه الرازي في المطالب العالية.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.



إلا بعض هذه الأقوال إذ لم يعرفوا غير ما ذكروه، فمنهم من يذكر قولين، ومنهم من يذكر ثلاثة، ومنهم من يذكر أربعة، ومنهم من يذكر خمسة، وأكثرهم لا يعرفون قول السلف.

– **أحدها**: قول من يقول: إن كلام الله ما يفيض على النفوس من المعاني التي تفيض: إما من العقل الفعال عند بعضهم، وإما من غيره.

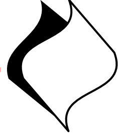
وهذا قول الصابئة والمتفلسفة الموافقين لهم كابن سينا وأمثاله، ومن دخل مع هؤلاء من متصوفة الفلاسفة ومتكلميهم كأصحاب وحدة الوجود. وفي كلام صاحب الكتب "المضنون بها على غير أهلها" (بل "المضنون الكبير والمضنون الصغير") ورسالة "مشكاة الأنوار" وأمثاله ما قد يشار به إلى هذا، وهو في غير ذلك من كتبه يقول ضد هذا، لكن كلامه يوافق هؤلاء تارة وتارة يخالفه، وآخر أمره استقر على مخالفتهم ومطالعة الأحاديث النبوية.

وثانيها: قول من يقول: إنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة".

شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢-١٧٤.



وهذا قول هذا الإمامي وأمثاله من الرافضة المتأخرين، والزيدية، والمعتزلة، والجهمية.

وثالثها: قول من يقول: إنه معنى واحد قديم قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

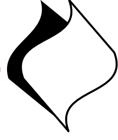
ورابعها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل.

وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث. ذكره الأشعري في " المقالات " عن طائفة. وهو الذي يذكر عن السالمية ونحوهم. وهؤلاء

قال طائفة منهم: إن تلك الأصوات القديمة هي الصوت المسموع من القارئ، أو هي بعض الصوت المسموع من القارئ.

وأما جمهورهم مع جمهور العقلاء فأنكروا ذلك، قالوا: هذا مخالف لضرورة العقل.

وخامسها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات لكن تكلم به بعد أن لم يكن متكلما، وكلامه حادث في ذاته كما أن فعله حادث في ذاته بعد أن لم يكن متكلما ولا فاعلا. وهذا قول الكرامية وغيرهم.



وهو قول هشام بن الحكم وأمثاله من الشيعة. وهؤلاء منهم من يقول: هو حادث وليس بمحدث، ومنهم من يقول: بل هو محدث أيضا. وقد ذكر القولين الأشعري عنهم في "المقالات" وذكر الخلاف بين أبي معاذ التومني وبين زهير الأثري. والكرامية يقولون: حادث لا محدث.

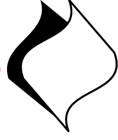
وسادسها: قول من يقول: إنه لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء بكلام يقوم به وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام أزلي قديم، م وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديما.

وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

وسابعها: قول من يقول: كلامه يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته. ثم من هؤلاء من يقول: لم يزل ذاك حادثا في ذاته، كما يقوله أبو البركات صاحب "المعتبر" وغيره، ومنهم من لا يقول بذلك، وأبو عبد الله الرازي يقول بهذا القول في مثل " المطالب العالية ".

وثامنها: قول من يقول: كلامه يتضمن معنى قائما بذاته وهو ما خلقه في غيره. ثم من هؤلاء من يقول في ذلك المعنى بقول ابن كلاب، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

ومنهم من يقول بقول المتفلسفة وهذا قول طائفة من الملاحدة الباطنية متشيعهم ومتصوفيهم.



وتاسعها: قول من يقول: كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات. وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه من متأخري الأشعرية". (١)

وفصل ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ) هذه الأقوال فقال: "فصل: اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى،

[مذهب الاتحادية]

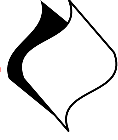
فذهب الاتحادية القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلام الله: نظمه ونثره وحقه وباطله سحره وكفره والسب والشتم والهجر والفحش، وأضداده كله غير كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصلوه، وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله، وكلامه هو كلام الله، وأصل هذا المذهب إنكار مسألة المباينة والعلو،

---

(١) ((منهاج السنة النبوية)) (٢/ ٣٥٨ – ٣٦٣).

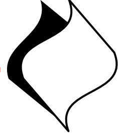


فإنهم لما أصلوا أن الله تعالى غير مباين لهذا العالم المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما إلا المكابرة.

أحدهما: إنه معدوم لا وجود له، إذ لو كان موجودا لكان إما داخل العالم وإما خارجا عنه، وهذا معلوم بالضرورة، فإنه إذا كان قائما بنفسه، فإما أن يكون مباينا للعالم أو محايثا له، إما داخلا فيه وإما خارجا عنه.

الأمر الثاني: أن يكون هو عين هذا العالم، فإنه يصح أن يقال فيه حينئذ أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباينا له ولا حالا فيه، إذ هو عينه، والشيء لا ينافي نفسه ولا يحايثها، فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده وبالحكم عليه بأنه معدوم، ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجود قائم بنفسه، لا داخل العالم ولا خارجا، ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مباين له ولا محايث ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامه، فرارا إلى ما لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة ولا تأتي به شريعة. ولا يمكن أن يقر برب هذا شأنه إلا على أحد وجهين لا ثالث لهما.

أحدهما: أن يكون ساريا فيه حالا فيه، فهو في كل مكان بذاته، وهو قول جميع الجهمية الأقدمين.

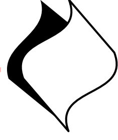


الوجه الثاني: أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج، فيكون وجوده سبحانه وجودا عقليا، إذ لو كان موجودا في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره، ولو كان غيره لكان إما بائنا عنه أو حالا فيه، كلاهما باطل، فثبت أنه عين هذا العالم، فله حينئذ كل اسم حسن قبيح، وكل صفة كمال ونقص، وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك.

[مذهب الفلاسفة المتأخرين]

المذهب الثاني: مذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، لهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور وقوة التخييل وقوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صورا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج، وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية، قالوا وربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصور العقلية لعين الرائي فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج.

فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب وملائكته وأنبيائه ورسله، والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه، وهو القائم بنفسه المباين العالي فوق



سماواته فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته ومشيئته، العالم بجميع المعلومات، القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله.

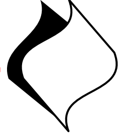
[مذهب المعتزلة]

المذهب الثالث: مذهب الجهمية لصفات الرب تعالى أن كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته، فلم يقم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل واختلفوا في فروعه، قال الأشعري في كتاب المقالات: اختلفت المعتزلة في كلام الله، هل هو جسم أو ليس بجسم، وفي خلقه على ستة أقاويل:

فالفرقة الأولى: منهم يزعمون أن كلام الله جسم، وأنه مخلوق، وأنه لا شيء إلا جسم.

والفرقة الثانية: زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة؛ لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة وأن كلام الخالق جسم، وأن ذلك الجسم صوت متقطع مؤلف مسموع، وهو فعل الله وخلقه، وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه، وأحال النظام أن يكون كلام الله في أماكن كثيرة أو مكانين في وقت واحد، وزعم أنه في المكان الذي خلق فيه.

والفرقة الثالثة: من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق لله وأنه عرض وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه قال فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وجد مع كتابته، وإذا حفظه وجد مع حفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ والكتابة ولا يجوز عليه الانتقال والزوال.

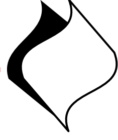


والفرقة الرابعة: يزعمون أن كلام الله عز وجل عرض وأنه مخلوق وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقت واحد، وزعموا أن المكان الذي خلقه الله تعالى فيه محال انتقاله وزواله منه ووجوده في غيره، وهذا قول جعفر بن حرب وأكثر البغداديين.

والفرقة الخامسة: أصحاب معمر يزعمون أن القرآن عرض، والأعراض عندهم قسمان: قسم منهما يفعله الأحياء وقسم منهما يفعله الأموات، ومحال أن يكون ما يفعله الأموات فعلا للأحياء، والقرآن مفعول وهو عرض، ومحال أن يكون الله فعله في الحقيقة، لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله، وزعموا أن القرآن فعل للمحل الذي يسمع منه، إذ سمع من الشجرة، فهو فعل لها حيث سمع، فهو فعل المحل الذي حل فيه.

والفرقة السادسة: يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق، وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قول الإسكافي.

واختلفت المعتزلة في كلام الله هل يبقى؟ فقالت فرقة منهم: يبقى بعد خلقه، وقالت فرقة أخرى: لا يبقى إنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يعدم بعد ذلك، وهذا المذهب هو من فروع الأصل الباطل المخالف لجميع كتب الله ورسله، ولصريح المعقول والفطر، من جحد صفات الرب وتعطيل حقائق أسمائه ونفي قيام الأفعال به، فلما أصلوا أنه لا يقوم به وصف ولا فعل كان من فروع هذا الأصل أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآن مخلوق، وطرد ذلك إنكار ربوبيته وإلهيته، فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالا مدبرا متصرفا في خلقه،



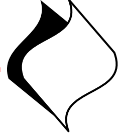
يعلم ويقدر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته، إذا انتفت عنه صفة الكلام انتفى الأمر والنهي ولوازمها وذلك ينفي حقيقة الإلهية، فطرد ما أصلوه أن الله سبحانه ليس برب العالم ولا إله، فضلا عن أن يكون لا رب غيره ولا إله سواه.

[مذهب الكلابية]

المذهب الرابع: مذهب الكلابية، أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة، وهو أربع معان في نفسه: الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة، وهذا المذهب أول من يعرف أنه قال به ابن كلاب، وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلا للحوادث، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم ذلك المعنى وهو غير مخلوق.

[مذهب الأشعري]

المذهب الخامس: مذهب الأشعري ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء ولا عين الأمر وعين

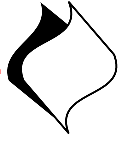


النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل من واحد وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرا ونهيا، وخبرا واستخبارا صفات لذلك المعنى الواحد، وأنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآنا وتوراة وإنجيلا تقسيم للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلا، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنه لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي، ولا سمع من الله وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة، ويجوز أن يرى ويشم، ويذاق ويلمس، ويدرك بالحواس الخمس، إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، فكل وجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة من الرائي، وأنه يرى حقيقة وليس مقابلا للرائي.

هذا قولهم في الرؤية وذلك قولهم في الكلام.

والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة، وأنهم أهل الحق، ومن عداهم أهل الباطل، وجمهور العقلاء يقولون: إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم في بطلانه، وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات، وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى ويسمونها مسألة حلول الحوادث، وحقيقتها إنكار أفعاله وربوبيته إرادته ومشيئته.

[مذهب الكرامية]



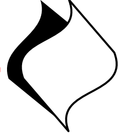
المذهب السادس: مذهب الكرامية، وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب تعالى، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلما، كما يقوله سائر فرق المتكلمين أنه فعل بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن فاعلا، كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام، فهو لازم لهم في مسألة الفعل، والكرامية أقرب إلى الصواب منهم، فإنهم أثبتوا كلاما وفعلا حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل، وجعلوا لهما أولا، فرارا من القول بحوادث لا أول لها، ومنازعون أبطلوا حقيقة الكلام والفعل، وقالوا لم يقم به فعل ولا كلام البتة، وأما من أثبت منهم معنى قائما بنفسه سبحانه، فلو كان ما أثبته مفعولا لكان من جنس الإرادة والعلم لم يكن شيئا خارجا عنهما، فهم لم يثبتوا له كلاما ولا فعلا وأما الكرامية فإنهم جعلوه متكلما بعد أن لم يكن متكلما، كما جعله خصومهم فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا.

[مذهب السالمية] (١)

---

(١) "جماعة ينسبون إِلَى مَذْهَب أبي الحسن مُحَمَّد بن أَحْمد بن سالم السالمي فِي الْأُصُول يُقَال لَهُم السالمية وَهُوَ مَذْهَب مَشْهُور بِالْبَصْرَةِ وسوادها". «اللباب في تهذيب الأنساب» (ج٢ص٩٣).

وقال الذهبي عن أبي الحسن البصري هذا: "وَلَهُ أَصْحَابٌ يُسَمَّوْنَ السَّالِمِيَّة، هجرهُمُ النَّاسُ لأَلْفَاظِ هُجنَةٍ أطلقُوهَا وَذَكَرُوهَا ... وَمَاتَ ابْنُ سَالِمٍ وَقَدْ قَاربَ التِّسْعِيْنَ سَنَةَ بضع وَخَمْسِيْنَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ" - «سير أعلام النبلاء - ط الرسالة (١٦/ ٢٧٣).

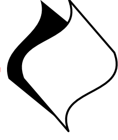


المذهب السابع: مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، وسور وآيات سمعه جبرائيل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان: بواسطة وبغير واسطة ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا: تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه.

والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها.

المسألة الثالثة: قول أهل السنة في القرآن وأنه كلام الله

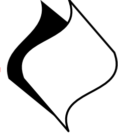
صفة الكلام من الصفات التي لها تشعبات كثيرة متعددة يحسن عند عرضها أن يكون العرض لها مفصلًا بحسب تلك التفريعات التي سأضع لها عناوين جانبية مما يساعد من جهة على التعرف على قول أهل السنة بشكل أدق، والتعرف على أقوال المخالفين حين عرضها في تلك الجزئيات من جهة أخرى.



أولًا: إثبات صفة الكلام لله عز وجل.

يثبت أتباع الرسل صفة الكلام لله عز وجل كما أثبتوا له سائر الصفات، ومحال قيام هذه الصفة بنفسها كما يقوله بعض المكابرين أنه خلق الكلام لا في محل، ومحال قيامها بغير الموصوف بها كما يقوله المكابر الآخر أنه خلق في محل فكان هو المتكلم به دون المحل، قالوا والكلام الحقيقي هو الذي يوجد بقدرة المتكلم وإرادته قائما به، لا يعقل غير هذا، وأما ما كان موجودا بدون قدرته ومشيئته وإن سمع منه فإنه ليس بكلام له، وإنما هو مخلوق خلقه الله فيه، فلو كان ما قام بالرب تعالى من الكلام غير متعلق بمشيئته بل يتكلم بغير اختياره لم يكن هذا هو الكلام المعهود، بل هذا شيء آخر غير ما يعرفه العقل ويشهد به الشرع، قالوا: ولو لم يكن هناك ألفاظ مسموعة حقيقة السمع لم يكن ثم صفة كلام البتة، ولو كان عاجزا عن الكلام في الأزل لم يصر قادرا عليه فيما لم يزل، فإنه إذا كانت حاله قبل وبعد سواء وهو لم يستفد صفة الكلام من غيره، فمن المستحيل أن تجدد له هذه الصفة بعد أن كان فاقدا لها بالكلية.

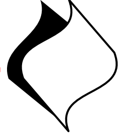
وكذلك إثبات قدم عين كل فرد من أنواع الكلام وبقائه أزلا وأبدا واقتران حروفه بعضها ببعض بحيث لا يسبق شيء منها لغيره، لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة وقد دلت النصوص النبوية أنه متكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامه يسمع، وأن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقا، لا تأليف ملك ولا بشر، وأنه سبحانه الذي قاله



بنفسه: **{المص}** [الأعراف: الآية: ١]، **{حم عسق}** [الشورى: الآية: ١]، **{كهيعص}** [مريم: الآية: ١].

وأن القرآن جميعه، حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به، وليس بمخلوق ولا بعضه قديما، وهو المعنى وبعضه مخلوق، وهو الكلمات والحروف، ولا بعضه كلامه وبعضه كلام غيره، ولا ألفاظ القرآن وحروفه ترجمة ترجم بها جبرائيل أو محمد عليهما السلام عما قام بالرب من المعنى من غير أن يتكلم الله بها، بل القرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة، والقرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن رب العالمين.

فللرسولين منه مجرد التبليغ والأداء، لا الوضع والإنشاء، كما يقول أهل الزيغ والاعتداء، فكتاب الله عندهم غير كلامه، كتابه مخلوق وكلامه غير مخلوق، والقرآن إن أريد به الكتاب كان مخلوقا، وإن أريد به الكلام كان غير مخلوق، وعندهم أن الذي قال السلف هو غير مخلوق هو عين القائم بالنفس وأما ما جاء به الرسول وتلاه على الأمة فمخلوق، وهو عبارة عن ذلك المعنى، وعندهم أن الله تعالى لم يكلم موسى، وإنما اضطره إلى معرفة المعنى القائم بالنفس من غير أن يسمع منه كلمة واحدة، وما يقرؤه القارئون ويتلوه التالون فهو عبارة عن ذلك المعنى، وفرعوا على هذا الأصل فروعا: منها: أن كلام الله لا يتكلم به غيره، فإنه عين القائم بنفسه، ومحال قيامه بغيره فلم يتل أحد قط كلام الله ولا قرأه.



ومنها: أن هذا الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كلام الله إلا على سبيل المجاز.

ومنها: أنه لا يقال إن الله تكلم ولا يتكلم ولا قال ولا يقول ولا خاطب ولا يخاطب، فإن هذه كلها أفعال إرادية تكون بالمشيئة، وذلك المعنى صفة أزلية لا يتعلق بالمشيئة.

ومنها: أنهم قالوا لا يجوز أن ينزل القرآن إلى الأرض، فألفاظ النزول والتنزيل لا حقيقة لشيء منها عندهم.

ومنها: أن القرآن القديم لا نصف له ولا ربع ولا خمس ولا عشر ولا جزء له البتة.

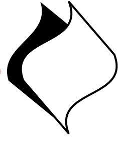
ومنها: أن معنى الأمر هو معنى النهي، ومعنى الخبر والاستخبار، وكل ذلك معنى واحد بالعين.

ومنها: أن نفس التوراة هي نفس القرآن ونفس الإنجيل والزبور، والاختلاف في التأويلات فقط.

ومنها: أن هذا القرآن العربي تأليف جبرائيل أو محمد أو مخلوق خلقه الله تعالى في اللوح المحفوظ، فنزل به جبرائيل من اللوح لا من الله على الحقيقة كما هو معروف من أقوالهم.

ومنها: أن ذلك العين القديم يجور أن تتعلق به الإدراكات الخمس فيسمع ويرى ويشم ويذاق ويلمس إلى غير ذلك من الفروع الباطلة سمعا وعقلا وفطرة.

وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل قال الله تعالى: **{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ**

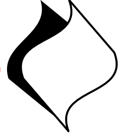


إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [النحل: الآية: ٤٠] ، وقوله: **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}** [يس: الآية: ٨٢] فإذا: تخلص الفعل للاستقبال (وأن) كذلك (ونقول) فعل دال على الحال والاستقبال (وكن) حرفان يسبق أحدهما الآخر، فالذي اقتضته هذه الآية هو الذي في صريح العقول والفطر.

وكذلك قوله: **{وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً}** [الإسراء: الآية: ١٦] الآية، سواء كان الأمر هاهنا أمر تكوين أو أمر تشريع فهو موجود بعد أن لم يكن، وكذلك قوله: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}** [الأعراف: الآية: ١١] وإنما قال لهم اسجدوا بعد خلق آدم وتصويره.

وكذلك قوله تعالى: **{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي}** [الأعراف: الآية: ١٤٣] الآيات كلها، فكم من برهان يدل على أن التكلم هو الخطاب وقع في ذلك الوقت.

وكذلك قوله: **{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ}** [القصص: الآية: ٣٠]، والذي ناداه هو الذي قال له: **{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي}** [طه: الآية: ١٤]، وكذلك قوله: **{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ}** [القصص: الآية: ٦٢]، وقوله: **{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ}** [سبأ: الآية: ٤٠] وقوله: **{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ}** [ق:



الآية: ٣٠] الآية، ومحال أن يقول سبحانه لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قبل خلقها ووجودها.

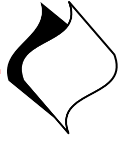
وتأمل نصوص القرآن من أوله إلى آخره ونصوص السنة، ولا سيما أحاديث الشفاعة وحديث المعراج وغيرها، كقوله:" ((**أتدرون ماذا قال ربكم الليلة**)). (١)، وقوله: " ((**إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة**)). (٢)، وقوله: " ((**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب**)). (٣).

وقد أخبر الصادق المصدوق أنه يكلم ملائكته في الدنيا فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي، ويكلمهم يوم القيامة، ويكلم أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين يومئذ ويكلم أهل الجنة في الجنة ويسلم عليهم في منازلهم، وأنه كل ليلة يقول: ((**من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر**

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١) باختلاف يسير.

(٢) أخرجه أبو داود (٩٢٤) واللفظ له، والنسائي (١٢٢١) باختلاف يسير. وأخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث (٧٥٢٢) مختصراً.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) باختلاف يسير.



له، من يقرض غير عديم ولا ظلوم)). (١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **((إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا))**. (٢)، ومعلوم أنه في ذلك الوقت كلمه وقال له: تمن علي.

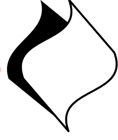
إلى أضعاف أضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي إن دفعت الرسالة بأجمعها، وإن كانت مجازا كان الوحي كله مجازا، وإن كانت من المتشابه كان الوحي كله من المتشابه، وإن وجب أو ساغ تأويلها على خلاف ظاهرها ساغ تأويل جميع القرآن والسنة على خلاف ظاهره، فإن مجيء هذه النصوص في الكتاب وظهور معانيها وتعدد أنواعها واختلاف مراتبها أظهر من كل ظاهر، وأوضح من كل واضح، فكم جهد ما يبلغ التأويل والتحريف والحمل على المجاز.

هب أن ذلك يمكن في موضع واثنين وثلاثة وعشرة، أفيسوغ حمل أكثر من ثلاثة آلاف وأربعة آلاف موضع كلها على المجاز وتأويل الجميع بما يخالف الظاهر؟ ولا تستبعد قولنا أكثر من ثلاث آلاف، فكل آية وكل حديث إلهي وكل حديث فيه الإخبار عما قال الله تعالى أو يقول، وكل أثر فيه ذلك، إذا استقرئت زادت على هذا العدد، ويكفي أحاديث الشفاعة وأحاديث الرؤية وأحاديث الحساب، وأحاديث تكليم الله لملائكته وأنبيائه ورسله وأهل الجنة، وأحاديث

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥) بنحوه، ومسلم (٧٥٨) باختلاف يسير.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠١٠) واللفظ له، وابن ماجه (١٩٠) باختلاف يسير، وأحمد (١٤٨٨١) مختصراً.



تكليم الله لموسى، وأحاديث تكلمه عند النزول الإلهي، وأحاديث تكلمه بالوحي، وأحاديث تكليمه للشهداء، وأحاديث تكليم كافة عباده يوم القيامة بلا ترجمان ولا واسطة، وأحاديث تكليمه للشفعاء يوم القيامة حين يأذن لهم في الشفاعة، إلى غير ذلك، إذ كل هذا وأمثاله وأضعافه مجاز لا حقيقة له، سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهدك ونشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أنك أحق بهذه الصفة وأولى من كل أحد، وأن البحر لو أمده من بعده سبعة أبحر، وكانت أشجار الأرض أقلاما يكتب بها ما تتكلم به، لنفدت البحار والأقلام ولم تنفد كلماتك، وأنك لك الخلق والأمر، فأنت الخالق حقيقة". (١)

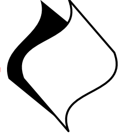
قال ابنُ تَيميَّةَ–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الرب تعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال والإكرام، وكماله من لوازم ذاته، فيمتنع أن يزول عنه شيء من صفات كماله، ويمتنع أن يصير ناقصا بعد كماله. وهذا الأصل عليه قول السلف وأهل السنة: أنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم يزل قادرا، ولم يزل موصوفا بصفات الكمال، ولا يزال كذلك". (٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ولا نزاع بين العلماء أن كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله، ولا يباينه كلامه، ولا شيء من صفاته، بل ليس صفة شيء من موصوف

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٤٩٤-٥٠٣.

(٢) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (٦/ ٢٥٠).



تباين موصوفها وتنتقل عنه إلى غيره. فكيف يتوهم عاقل أن كلام الله يباينه، وينتقل إلى غيره". (١)

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل". (٢)

فصفة الكلام صفة ذاتية فعلية (٣). فكلام الله عز وجل باعتبار أصله ونوعه: صفة ذات، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده: صفة فعل". (٤)

وقال السعدي–رحمه الله–(ت: ١٣٧٦ هـ): "يصفونه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات الذاتية؛ كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعال

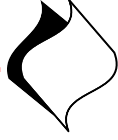
---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٢، مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٣٥.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ص: ١٣١٨.

(٣) "الصفات الفعلية من حيث قيامها بالذات تسمى: صفات ذات، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمى: صفات أفعال، ومن أمثلة ذلك: صفة الكلام". يُنظر: ((القواعد المثلى)) لابن عثيمين (ص: ٢٥).

(٤) يُنظر: ((القواعد المثلى)) لابن عثيمين (ص: ٢٥)



المتعلقة بمشـيئته وقدرته؛ كالرحمة، والرضـا، والسـخط، والكلام، وأنه يتكلم بما يشـاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد". (١)

أ-الأدلة من القرآن.

وقد أثبت الله الكلام لنفسه، خلافًا لما يعتقده الضالون،

١ - قال تعالى: **{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ}** [البقرة: الآية: ٢٥٣].

٢ - وقالَ عزَّ وجلَّ: **{وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}** [النساء: الآية: ١٦٤].

٣ - وقال تعالى: **{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣].

٤ - وقال تعالى: **{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}** [طه: الآيات: ١٣ - ١٤].

٥ - وقال تعالى: **{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَـاطِئِ الْوَادِ الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [القصص: الآية: ٣٠].

---

(١) يُنظر: ((القول السـديد)) (ص: ٨). يُنظر: ((القواعد المثلى)) لابن عثيمين (ص: ٢٥).

٦ - وقالَ تعالى: **{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَــيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** [النحل: الآية: ٤٠].

- وقال تعالى: **{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}** [الكهف: الآية: ١٠٩].

٨ - وقال تعالى: **{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}** [الأنعام: الآية: ١١٥].

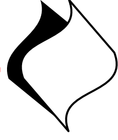
٩ - وقال تعالى: **{يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ}** [الفتح: الآية: ١٥].

١٠ - وقال تعالى: **{يَسْــمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** [البقرة: الآية: ٧٥].

١١ - وقال تعالى: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْـمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ}** [التوبة: الآية: ٦].

وأمَّا الأدلَّةُ على حِرْمانِ أقوامٍ من تكليمِ الله لهم، فمنها:

١ - قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْـتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ**



أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ} [البقرة: الآيات: ١٧٤ - ١٧٥].

٢ - وقوله عزَّ وجلَّ: **{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [آل عمران: الآية: ٧٧].

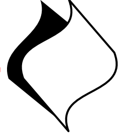
والأيات في ذلك كثيرةٌ جدًا.

ب-الأدلة من السنة.

١- **حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((**احتجّ آدمُ وموسى، فقالَ له موسى: يا آدم، أنتَ أبونا، خَيَّبْتَنا وأخرَجْتَنا من الجنَّة، قال له آدم: يا موسى، اصطفاكَ الله بكلامِهِ، وخَطَّ لكَ [التوراةَ] بيدهِ، أتلومُني على أمْرٍ قدَّرهُ الله عليَّ قبلَ أن يخلقَني بأربعينَ سنةً؟ فحَجَّ آدمُ موسى، فحَجَّ آدمُ موسى -ثلاثًا-**)). (١)

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ١٦٠، ٩/ ٣٨٨، ١١/ ٥٤٨ – ٥٤٩، ومسلم رقم (١٢٧).



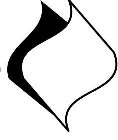
٢- **حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-(ت: ما بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ)**، قال: "كانَ النبيُّ-صلى الله عليه وسلم-يَعْرِضُ نفسَه على الناس بالموقفِ فيقول: ((**هلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُني إلى قومِهِ؟ فإنَّ قريشًا قدْ مَنعوني أن أبلِّغَ كلامَ رَبِّي عَزَّ وجلَّ**)). الحديث. (١).

٣ - **حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "فضلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفَضْلِ الله على سائرِ خلقِه". (٢)

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٣٩٠، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي رقم (٢٩٢٥)، وابن ماجة رقم (٢٠١)، والدارمي رقم (٣٣٥٧)، والنسائي في "الكبرى" -كما في "تحفة الأشراف" ٢/ ١٧٥ -، والبخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (٨٦، ٢٠٥)، وعثمان الدارمي في "الرد على الجهمية" رقم (٢٨٤)، والحاكم ٢/ ٦١٢ — ٦١٣، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" رقم (٢١٧)، واللالكائي في "السنة" رقم (٥٥٤، ٥٥٥)، والبيهقي في "الاعتقاد" ص: ١٠٠، و"الأسماء والصفات" ص: ١٨٧، و"دلائل النبوة" ٢/ ٤١٣، وإسماعيل بن الفضل الأصبهاني في "الحجة" ق ٤٨/ أ – ب من طرق عن إسرائيل: حدثنا عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن جابر به.

(٢) أخرجه عثمان الدارميُّ في "الرَّدِّ على الجَهْميَّة" رقم (٢٨٧، ٣٤٠)، واللالكائي رقم (٥٥٧)، والترمذي رقم (٢٩٢٦)، والدارمي رقم (٣٣٥٩)..



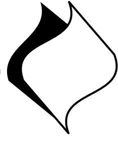
٤-**حديث أبي أمامةَ-رضـي الله عنه-(ت: ٨١ أو ٨٦ هـ)** أنَّ رجلاً أتى النبيَّ-صـلى الله عليه وسلم-قال: يا نبيَّ الله، أنبيًّا كانَ آدمُ؟ قالَ: ((**نَعَمْ، مُكَلَّمًا**)). قَالَ: كم بينَه وبينَ نُوحٍ؟ قالَ: ((**عَشرةُ قُرون**)). (١)

٥-**حديث النعمان بن بشـير-رضـي الله عنه-(ت: ٦٥ هـ)**، عن النبي -صـلى الله عليه وسـلم- قال: ((إنَّ الله كَتَبَ كتابًا قبلَ أن يخلقَ السـماواتِ والأرضَ بألفَي عام، فأنزلَ منه آيتين ختمَ بِهما سورةَ البقرةِ، فلا تقْرآنِ في "دارٍ ثلاثَ ليالٍ فيقرَبُها شَيْطانٌ)). (٢)

---

(١) أخرجه الدارمي في "الرد على الجهمية" رقم (٢٩٩)، وابن حبان رقم (٢٠٨٥ - == موارد)، والطبراني في "الكبير" ٨/ ١٣٩ - ١٤٠، و"الأوسط" رقم (٤٠٥)، والحاكم ٢/ ٢٦٢، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص: ٢٠٦، وابن عساكر ٢/ ٣٢٥/ ب، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم". وأقرّه الذهبي، وابن كثير في "البداية والنهاية" ١/ ١٠١. وقال الهيثمي في "المجمع" ١/ ١٩٦ و٨/ ٢١٠: "رجاله رجال الصحيح" زاد في الموضع الثاني: "غير أحمد بن خُليد الحلبي وهو ثقة".

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٤، والترمذي رقم (٢٨٨٢)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٩٦٧)، والدارمي رقم (٢٢٩٠)، وابن حبان رقم (١٧٢٦ - موارد)، والحاكم ١/ ٥٦٢ أو البيهقي في "الأسماء والصفات" ص: ٢٣١ - ٢٣٢.



٦-**حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((**يَقبِضُ الله الأرضَ، ويَطْوي السَّماواتِ بيمينه، ثمَّ يقول: أنا المَلِكُ؛ أَينَ مُلوكُ الأرضِ؟** " وفي لفظ: "**يَقبِضُّ الله الأرضَ يوم القيامة ...**)). (١)

٧- **وحديث عَدِىّ بنِ حاتِمٍ-رضي الله عنهما-(ت: ٦٦ أو ٦٩ هـ)**، قالَ: قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-:

((**ما مِنْكمْ من أحَدٍ إلا سيكلِّمُهُ الله، ليسَ بينه وبينَه تُرْجُمانٌ، فينظُرُ أيْمَنَ منه فلا يَرى إلاَّ ما قدَّم، وينظُرُ بينَ يدَيْهِ فَلَا يَرى إلاَّ النَّارَ تِلقاءَ وَجْهِهِ، فاتَّقوا النَّارَ ولو بشِقّ تَمْرةٍ**)).

وفي لَفْظٍ: ((**ما مِنْكُمْ من أحْدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ليسَ بينَه وبينَه تُرْجُمانٌ ولا حِجَابٌ يَحْجُبُه**)). (٢)

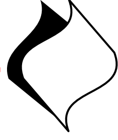
وبوَّب البخاري في «صحيحه» على ذلك فقال: «باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة» (٣)، وقال لأهل النار: **{اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}** [المؤمنون: الآية: ١٠٨].

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٥٥١ و١١/ ٣٧٢ و١٣/ ٣٦٧ ومسلم رقم (٢٧٨٧).

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٢٥٦ والبخاري ١١/ ٤٠٠ و١٣/ ٤٢٣، ٤٧٤، ومسلم ٢/ ٧٠٣ - ٧٠٤.

(٣) «صحيح البخاري» (٩/ ١٥١).



ثانيًا: أن الله تعالى لم يَزل متكلِّمًا، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء.

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته على قولين،

فقالت طائفة: كلامه بغير مشيئته واختياره، ثم انقسم هؤلاء أربع فرق،

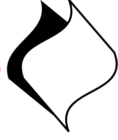
١-قالت فرقة: هو فيض فاض منه بواسطة العقل الفعال على نفس شريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو.

٢-وفرقة قالت: بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم، وهو قول الكلابية ومن تبعهم، وانقسم هؤلاء فريقين،

فرقة قالت: هو معان متعددة في أنفسها أمر ونهي وخبر واستخبار، ومعنى جامع لهذا الأربعة، وفرقة قالت: بل هو معنى واحد بالعين لا ينقسم ولا يتبعض.

وفرقة قالت: كلامه هو هذه الحروف والأصوات، خلقها خارجة عن ذاته، فصار بها متكلما، وهذا قول المعتزلة وهو في الأصل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل الاعتزال فنسب إليهم.

٣-وفرقة قالت: يتكلم بقدرته ومشيئته كلاما قائما بذاته سبحانه كما يقول به سائر أفعاله لكنه حادث النوع، وعندهم أنه صار متكلما بعد أن لم يكن متكلما كما قاله من لم



يصفهم من المتكلمين أنه صار فاعلا بعد أن لم يكن، فقول هؤلاء في الفعل المتصل كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قول الكرامية.

٤-وفرقة قالت: يتكلم بمشيئته، وكلامه سبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه وباطله وصدقه وكذبه، كما يقوله طوائف الاتحادية.

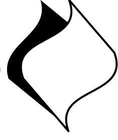
وقال أهل الحديث والسنة: إنه لم يزل سبحانه متكلما إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتجدد له هذه الصفة، بل كونه متكلما بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة، وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه، وليس متحدا بهم ولا حالا فيهم". (١)

قال الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "بل نقول: إن الله لم يزل متكلما إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام. ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورا، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلقه لنفسه عظمة". (٢)

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٥٢٧-٥٢٨.

(٢) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص: ١٣٩.



وقال عبد المغني المقدسي-رحمه الله-(ت: ٦٠٠ هـ): "مذهب أهل الحق أن الله عز وجل لم يزل متكلما بكلام مسموع مفهوم مكتوب". (١)

وقال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-(ت: ٧٩٢ هـ): "والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى؛ فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك ... كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف". (٢)

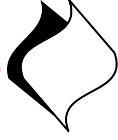
قال عبد الباقي المواهبي الحنبلي-رحمه الله-(ت ١٠٧١ هـ): "قال الأئمة: إن الله سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته وقدرته، بمعنى أنه لم يزل متكلما إذا شاء، فإن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لم يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته، أكمل ممن يكون الكلام ممكنا له". (٣)

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ١/ ١٣٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٢.

(٣) كتاب العين والأثر في في عقائد أهل الأثر ص: ٦٨.



ثالثًا: القرآن كلام الله.

من أركان الإيمان السِّتة: الإيمانُ بالكُتُبِ التي أنزلها اللهُ، كما دلَّ على ذلك قولُه سبحانه وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}** [النساء: الآية: ١٣٦]، وكذلك جاء في حديث جبريل عليه السلام، وفيه: ((الإيمان))، قال: ((**أن تُؤمن باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِر، وتُؤمن بالقَدَرِ؛ خَيْرِه وشَرِّه**)). (١)

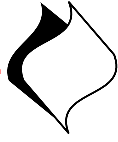
ومن الإيمانِ بالكتب: الإيمانُ بِأَنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ.

والقرآنُ في الأصل: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا؛ قال الله تعالى: **{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}** [القيامة: ١٧]، أي: قراءته، فهو مَصدر على وزن فُعلان–بالضم– كالغُفران والشُّكران. (٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «لسان العرب» (١/ ١٢٩)، و«مناهل العرفان» للزرقاني (١/ ٧).



وفي الاصــطلاح هو: «كلام الله المنَزَّل على خاتم الأنبياء والمرســلين محمد ﷺ، المعجز بلفظه ومعناه، المكتوب في المصـــاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بســـورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس". (١)

والقرآنُ كلامُ الله، وهو صِفَةٌ مِن صِفَاتِهِ عز وجل؛ قال تَعَالى: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْـتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْـمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}** [التوبة: الآية:٦]، وروي عن **جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–(ت: ما بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ)** أنه قَالَ: "كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفسَهُ فِي المَوْسِمِ؛ فَيَقُولُ: ((**أَلَا رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؛ لِأُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**)). (٢)

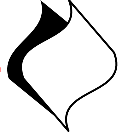
وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "إنَّ سلفَ الأمَّةِ وأئمَّتَها كانوا على الإيمان الذي بعثَ الله به نبيَّه –صلى الله عليه وسلم–، يصِفون الله بما وصَف به نفسَه، وبما وصَفَه به رسولُهُ من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ويقولون: إنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، ويصفونَ الله بما وصفَ به نفسَهُ، من التكليمِ، والمناجاة، والمناداةِ، وما جاءت به السُّنَنُ والآثارُ موافقةً لكتاب الله تعالى". (٣)

---

(١) انظر: «مناهل العرفان» (١/ ١٠–١٣)، و«مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان (ص ٢٠–٢١)، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٢٠١)، والحاكم (٢/ ٦٦٩) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال في «المجمع» (٦/ ٣٥): «رجاله ثقات».

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦/٥١٨).



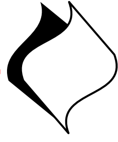
رابعًا: القرآن غير مخلوق. (١).

الذِي عَلَيهِ إِجماعُ السَّلفِ الصَّالحِ مِنَ الصَّحابةِ-رضي الله عنهم-وَالتَّابعِينَ لَهم بِإحسَانٍ: أَنَّ القرانَ كلامُ اللهِ غَيرُ مَخلوقٍ؛ حُرُوفه وَمَعَانِيه، مُنَزَّلٌ مِن عِندِ اللهِ؛ نَزَلَ بِهِ جِبريلُ عليه السلام إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ. فكلامُ الله تعالى صفةٌ من صفاتِهِ غيرُ مَخلوقٍ كسائر صِفاتِه، سَواء كان القرآن العربِيَّ، أوِ التَّوراةَ العِبرِيَّةَ، أو غيرَ ذلك من كلامِهِ تعالى، ممَّا وقَعَ من كلامِهِ، وممَّا لَم يقع بَعْدُ.

ولَقَدْ كانَ السَّلفُ في صَدْرِ الإسلام في غِنًى عن إطلاقِ لفظِ (غير مخلوق) لأنَّه كانَ من المسَلَّمِ عندهم أنَّ كلامَ الله صفةٌ مِن صفاتِهِ، وصفاتُهُ غيرُ مَخلوقةٍ، حتى ظَهَرت الجَهميةُ، فنفَتْ صفةَ الكلامِ عن الله تعالى، لكنْ لما كانَ هذا القولُ منكَراً شَنيعاً، تَنفرُ منه قلوبُ الناسِ، وتقشَعِرُّ منه جلودُهم، ويرفُضُهُ إيمانُهُمْ، أبدَلوهُ بقَوْلِهم: كلامُ الله مَخْلوقٌ، فتظاهَروا بإثباتِ الكلامِ، وأبطلُوهُ بقولهم: مخلوقٌ.

فلمَّا كانَ حقيقةُ قَوْلِهم إبطالَ صفةِ الكلامِ وتَعطيلَها قابَلهم السَّلَفُ برفْضِ هذهِ البدعةِ وإنكارِها، والتَّشديدِ عليهم في ذلكَ، بل وتكفيرهم، لأنَّ حقيقةَ قولهم الكفرُ، لِما تضمَّنَ من

(١) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.



تكذيبِ القرآنِ، وإثبات النَّقْصِ للرَّحمنِ، فقالَ السَّلَفُ حينئذٍ: (كلامُ الله -كالقرآن وغيره- غيرُ مخلوقٍ).

ولقَدْ كانَتْ لهذه العقيدةُ مبنيَّةً على أسُسٍ متينةٍ وقَواعدَ عظيمةٍ من الكتابِ والسُّنَّةِ، والمعقولِ الصَّريحِ، ونُصوصِ السَّلَفِ وكَلامِهم، خِلافًا لما يحسَبُه الجاهلونَ.

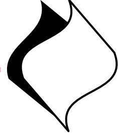
الأدلة من القرآن الكريم:

١ - قالَ الله تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [الأعراف: الآية: ٥٤].

والاحتجاجُ بهذه الآيةِ من وَجْهَيْنِ:

الأول: أنَّه تعالى فرَّقَ بين الخَلْقِ والأمْرِ، وهما صِفَتان من صِفاتِهِ، أضافَهما إلى نفسهِ، أمَّا الخَلْقُ فَفِعْلُهُ، وأمَّا الأَمرُ فقولُهُ، والأصْلُ في المتعاطفين التَّغايُرُ إلاَّ إذا قامَتِ القرينةُ على عَدم إرادَة ذَلكَ، وهنا قد قامتِ القرائنُ على توكيدِ الفَرْقِ بَيْنَهُما، ومنها الوجهُ الآتي.

والثاني: أنَّ الخَلْقَ إنَّما يكونُ بالأمْرِ، كما قال تعالى: **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** [يس: الآية: ٨٢].



فقوله تعالى: {كُنْ} هو أمْرُهُ، فلو كانَ مَخْلوقاً لاحتاجَ خلقُهُ إلى أمْرٍ، والأمْرُ إلى أمرٍ، إلى ما لا نِهاية، وهذا باطلٌ.

وقد احَتجَّ الإمامُ أحمدُ–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ) على الجَهْمِيَّة المعْتزلةِ بهذه الآية.

قال رحمه الله: "قلتُ: قال الله: **{ألَا لَهُ الْخَلْقُ والأمْرُ}** [الأعراف: الآية: ٥٤]، ففرَّقَ بين الخَلْقِ والأمْرِ". (١)

وقال لهم: "قال الله: **{أتَى أَمْرُ اللهِ ...}** [النحل: الآية: ١] فأمْرُهُ كلامُه واستطاعَتُهُ ليسَ بمخلوقٍ، فلا تَضْرِبوا كِتابَ الله بعضَهُ بِبعضٍ". (٢)

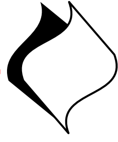
وقالَ فيما كَتَبَهُ للمتوكّل حينَ سألَهُ عن مَسألةِ القرآنِ: "وقَدْ قالَ الله تعالى: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ...}** [التوبة: الآية: ٦]، وقَالَ: **{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ}** [الأعراف: الآية: ٥٤]، فَأخبرَ بالخَلْقِ، ثُمَّ قَالَ: **{وَالأمْرُ}**، فأخبرَ أنَّ الأمرَ غَيْرُ مَخلوقٍ". (٣)

---

(١) رواه حنبل في "المحنة" ص: ٥٣ عن أحمد.

(٢) رواه حنبل في "المحنة" ص: ٥٤ عنه.

(٣) رواه صالح ابنه في "المحنة" روايتة ص: ١٢٠ – ١٢١.



وقد سبَقَ الإمامَ أحمد إلى هذا الاحتجاج شيخُه الإمامُ **سفيانُ بن عُيَيْنَةَ الهِلاليُّ**-**الحافظُ الثِّقَةُ الحُجَّةُ**-(**ت: ١٩٨ هـ**)، فقالَ رَحمه الله: "ما يَقولُ هذا الدُّوَيْبَّةُ؟ " -يعني بشرًا المريسِيّ-.

قالوا: يا أبا محمَّدٍ، يزعُمُ أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ،

فقالَ: "كَذَبَ، قال الله عَزَّ وجَلَّ: **{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ}** [الأعراف: الآية: ٥٤]، فالخَلْقُ خَلْقُ الله تبارك وتعالى، والأَمْرُ القرآنُ". (١)

قال الحافظُ هبةُ الله ابنُ الطَّبَرِيّ-**رحمه الله**-(**ت: ٤١٨ هـ**)، عقبَ هذا: "وكذلكَ قالَ أحمدُ بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، ونُعَيْمُ بن حمَّادٍ (ت: ٢٢٨ هـ)، ومحمَّدُ بن يحيى الذُّهْليُّ (ت: ٢٥٨ هـ)، وعَبْدُ السَّلام بن عاصمٍ الرازيُّ، وأحمدُ بن سِنانٍ الواسطيُّ (ت: ٢٥٦ هـ)، وأبو حاتِمٍ الرازيُّ (ت: ٢٧٧ هـ)". (٢)

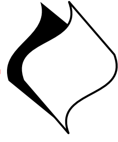
٢ - وقالَ تعالى: **{الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ}** [الرحمن: الآيات: ١ - ٣].

ففرَّقَ تعالى بينَ عِلمهِ وخَلْقِهِ، فالقرآنُ عِلْمُهُ، والإنسانُ خلقُهُ، وعِلْمُهُ تعالى غيرُ مَخلوقٍ.

---

(١) رواه الآجري في "الشريعة" ص: ٨٠ وابن الطبري في "السنة" رقم (٣٥٨) والخطيب في "تاريخ بغداد" ٩/ ٨٨ - ٨٩ بسند جيد عنه.

(٢) ابن الطبري في "السنة" رقم (٣٥٨).



قالَ تعالى: {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: الآية: ١٤٠].

وقالَ تعالى: **{... وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ}** [البقرة: الآية: ١٤٥].

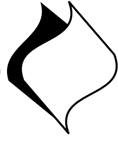
وقالَ تعالى: **{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ}** [الرعد: الآية: ٣٧].

فسمَّى الله تعالى القرآنَ عِلْماً، إذْ هو الذي جاءَه مِنْ رَبِّهِ؟ وهو الذي عَلَّمهُ الله تعالى إيَّاه -صلى الله عليه وسلم-، وعِلْمُهُ تعالى غيرُ مَخلوقٍ، إذ لو كانَ مخلوقًا لاتَّصَفَ تعالى بِضدِّهِ قبلَ الخَلْقِ، تعالى الله عن ذلك وتنزَّه وتقدَّس.

وبهذا احتجَّ **الإمامُ أحمدُ-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)**، على الجَهْميةِ فيما كتبَهُ للمتوكِّلِ في مسألة القرآنِ.

قالَ-رحمه الله-: "قالَ عَزَّ وَجَلَّ: **{الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}**، فَأخبرَ تَعالى أنَّ القرآنَ مِنْ عِلْمِهِ" ثمَّ احتجَّ بالآياتِ الثلاثِ المذكوراتِ، ثمَّ قال: "فالقرآنُ من علم الله تعالى، وفي هذه الآيات دليلٌ على أنَّ الذي جاءَه -صلى الله عليه وسلم- هو القرآنُ، لقولِهِ: **{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ}** [البقرة: الآية: ١٢٠]". (١)

(١) رواه صالح في "المحنة" ص: ١٢١ وعبد الله في "السنة" رقم (١٠٧) عن أبيهما به.



وقالَ-رحِمَه الله-في حكايةِ مُناظرتِهِ للجَهْميةِ في مَجْلس المعتصِم: "قالَ لي عبدُ الرَّحمن القزّازُ (١): كانَ اللهُ ولا قرآنَ، قلتُ له: فكانَ الله ولا عِلْم! فأمْسَكَ، ولَوْ زعَمَ أنَّ اللهَ كانَ ولا عِلْم لكفَرَ باللهِ". (٢)

وقيلَ له-رحِمَه الله-: قومٌ يقولونَ: إذا قال الرَّجُلُ: كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ، يقولون: مَنْ إمامُكَ في هذا؟ ومِنْ أيْنَ قلتَ: ليس بمخلوقٍ؟ قال:

"الحجَّة قولُ الله تبارك وتعالى: **{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ}** [البقرة: الآية: ١٢٠]، فما جاءَه غيرُ القرآن".

قال: "القرآنُ من عِلْمِ الله، وعلمُ الله ليسَ بمخلوقٍ، والقُرْآنُ كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ، ومثلُ هذا في القرآنِ كثيرٌ". (٣)

وقالَ رحِمَه الله: "القُرآنُ علمٌ مِنْ عِلمِ الله، فمَنْ زعَمَ أنَّ عِلمَ الله مخلوقٌ فهو كافرٌ". (٤)

٣ - وقالَ تعالى: **{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً}** [الكهف: الآية: ١٠٩].

وقالَ تعالى: **{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [لقمان: الآية: ٢٧].

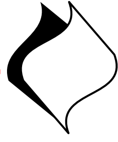
---

(١) أحدُ مناظِري الإمام بحضرة المعتصم.

(٢) رواه حنبل في "المحنة" ص: ٤٥ عنه.

(٣) رواه صالح في "المحنة" ص: ٦٩ عنه.

(٤) رواه ابن هانئ في "المسائل" ٢/ ١٥٣، ١٥٤عنه.



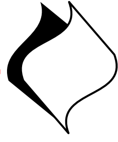
فأخبرَ تعالى -وقولُهُ الحَقُّ- أنَّ كَلِماتِهِ غيرُ مُتَناهِيَةٍ، فَلو أنَّ البحارَ التي خَلَقَ اللهُ كانتْ مِدادًا تُكْتَبُ به، والشَّجَرَ الذي خلقَ الله أقلاماً تُخَطُّ بِهِ، لَنَفِدَ مِدادُ البُحورِ، وَلَفَنِيَت الأقْلامُ، ولم تَفْنَ كَلِماتُ الله.

وإنَّمَا في هذه الإبانةُ عن عَظَمَةِ كَلَامِهِ تعالى، وأنَّه وَصْفُهُ وَعِلْمُهُ، وهذا لا يُقاسُ بالكلامِ المخلوقِ الفاني، إذ لَوْ كان مخلوقًا لَفَنِيَ من قبلِ أنْ يَفنى بَحْرٌ من البُحورِ، ولكنَّ الله تعالى إنَّما كتَبَ الفناءَ على المخلوقِ لا عَلَى نفسِهِ وصفَتِهِ.

٤ - أسماءُ الله تعالى في القُرآنِ، كـ (الله، الرحمن، الرحيم، السميع، العليم، العفور، الكريم ...) وغيرها من أسمائِهِ الحُسْنى، وهي من كلامِهِ، إذ هو الذي سَمَّى بها نفسَه، بألفاظِها وَمَعانِيها.

وقد ساوى الله تعالى بين تَسبيحِ نَفْسِهِ وتَسبيحِ أسمائِهِ، فقال تعالى: **{وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}** [الأحزاب: الآية: ٤٢]، وقال: **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** [الأعلى: الآية: ١]، وقال: **{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}** [الواقعة: الآيات: ٧٤، ٩٦ والحاقة: الآية: ٥٢].

وساوى تعالى بين دُعائِهِ بنفسِهِ ودُعائِهِ بأسمائِهِ، فقال: **{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}** [الأعراف: الآية: ٥٥] وقال: **{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}** [الإسراء: الآية: ١١٠] وقال: **{وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}** [الأعراف: الآية: ١٨٠].



وكذلك ساوى تعالى بين ذِكْرِهِ بنفسهِ وذِكْرِهِ بأسمائِهِ، فقالَ: **{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً}** [الأعراف: الآية: ٢٠٥] وقالَ: **{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}** [الإنسان: الآية: ٢٥].

وهذا التَّسبيحُ والدُّعاءُ والذِّكْرُ إنْ كانَ يَقَعُ لمِخلوقٍ كان كُفْراً بالله.

فإنْ قيلَ: إنَّ كلامَه تعالى مخلوقٌ، كانتْ أسماؤُهُ داخِلةً في ذلكَ، ومَنْ زعَمَ ذلك فقَدْ كَفَرَ لِما ذكرنا، ولأنَّ معنى ذلكَ أنَّ الله تعالى لم تكن لَه الأسماءُ الحُسنى قبل خَلْقِ كلامهِ، ولَكانَ الحالفُ باسْم من أسمائِهِ مُشْرِكاً لأنه حلَفَ بمَخلوقٍ، والمخلوقُ غيرُ الخالقِ، وقد قالَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: ((**مَن حَلَفَ بغير الله فقد أشركَ**)). (١)

وبهذه الحُجَّةِ احتجَّ جماعةٌ من السَّلفِ والأئمَّةِ على كَوْنِ القرآنِ غيرَ مخلوقٍ، منهم:

١) **الإمام الحُجَّة سُفيان بن سَعيد الثوريّ-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ).**

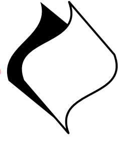
قال: "مَنْ قالَ: إنَّ **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ}** [الإخلاص: الآيات: ١-٢] مخلوقٌ، فهو كافِر". (٢)

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٤٩٠٤، ٦٠٧٢)، وأبو داود رقم (٣٢٥١)، والترمذي رقم (١٥٣٥)، وابن حِبّان رقم (١١٧٧ - موارد)، والحاكم ١/ ١٨ و٤/ ٢٩٧، وآخرون من حديث عبد الله بن عمر به. وحسّنه الترمذي، وصححه الحاكم وأقرَّه الذهبي.

.

(٢) أخرجه عبد الله في "السنة" رقم (١٣).



٢) ناصرُ السُّنَّة أبو عبد الله محمَّد بن إدريسَ الشَّافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ).

قال: "مَنْ حَلَفَ باسمٍ مِن أسماءِ الله فحنَثَ فعليه الكفَّارة، لأنَّ اسمَ الله غيرُ مَخلوقٍ، ومن حلَفَ بالكعبةِ، أو بالصَّفا والمرْوةِ، فليسَ عليه الكفَّارةُ، لأنَّهُ مَخلوقٌ، وذاكَ غيرُ مَخْلوقٍ". (١)

٣) إمامُ أهل السُّنَّة أحمدُ بن حَنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ).

قال: "مَنْ قالَ: القرآن مخلوق فهو عندنا كافرٌ، لأنَّ القُرآن من عِلْمِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وفيه أسماءُ الله عَزَّ وَجَلَّ". (٢)

وقالَ: "وأسماءُ الله في القُرْآنِ، والقُرْآنُ من عِلْمِ الله، فمَنْ زَعَمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو كافرٌ، ومن زعَمَ أنَّ أسْمَاءَ الله مخلوقةٌ فقدْ كَفَرَ". (٣)

وذَكَرَ لَه رَجُلٌ أنَّ رَجُلاً قالَ: إنَّ أسماءَ الله مخلوقةٌ، والقرآنُ مخلوقٌ، فقال أحمدُ: "كُفْرٌ بَيِّنٌ". (٤)

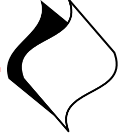
---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في "آداب الشافعي" ص: ١٩٣ وأبو نعيم ٩/ ١١٣ والبيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٨ و"الأسماء والصفات" ص: ٢٥٥ – ٢٥٦ و"المناقب" ١/ ٤٠٥ بإسناد صحيح.

(٢) رواه ابنه عبد الله في "السنة" رقم.

(٣) رواه ابنه صالح في "المحنة" ص: ٥٢، ٦٦ – ٦٧.

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٢ عنه.



وقالَ: "أسْماءُ الله في القرآنِ، والقرآنُ من عِلْم الله، وعِلْمُ الله ليس بمخلوقٍ، والقرآنُ كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ على كلِّ وجهٍ، وعلى كلِّ جهةٍ، وعلى أيِّ حالٍ". (١)

وكما أنَّه تعالى لا يوصَف بصفةٍ مخلوقةٍ، فلا يسمَّى باسم مَخلوقٍ.

٥ - أخبرَ تعالى عن تَنزيلهِ منه وإضافتهِ إليهِ، كما قالَ: **{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [السجدة: الآية: ٢]، وقالَ: **{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ}** [الأنعام: الآية: ١١٤]، وقال: **{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ}** [النحل: الآية: ١٠٢]، ولَمْ يُضِف شيئًا ممَّا أنزلَه إلى نفسِه غير كلامِهِ (٢)، ممَّا دَلَّ على الاختصاصِ بمَعنى، فليسَ هو كإنزالِ المطَر والحديد وغير ذلك، فإنَّ هذه الأشياءَ أخبرَ عن إنزالِها، لكنَّه لم يُضِفْها إلى نفسِهِ، بخِلافِ كلامِهِ تعالى، والكلامُ صِفَةٌ، والصِّفَةُ إنَّما تُضافُ إلى مَن اتَّصَفَ بها لا إلى غيرِهِ، فلو كانت مخلوقةً لفارقت الخالقَ، ولم تصلحْ وَصْفاً له، لأنَّه تعالى غَنِيٌّ عن خَلقِهِ، لا يَتَّصفُ بشيءٍ منه.

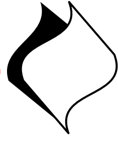
الأدلة السنة:

١ - **حديث خَوْلَةَ بنت حَكيم السُّلميَّة -رضي الله عنها-**، قالَتْ: سَمِعْتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

---

(١) رواه ابنه صالح في "المحنة" ص: ٦٩.

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى": ١٢/ ٢٤٧، ٢٩٧.



((مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أعوذُ بِكَلِماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حتَّى يرتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذلكَ)). (١)

وحديثُ أبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)، قالَ: جاء رجلٌ إلى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فقال: يا رَسُولَ الله، ما لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البارحةَ، قال:

((أما لَو قُلْتَ حين أمْسَيْتَ: أعوذ بكلماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ لم تَضُرَّكَ)). (٢)

وفي سياق آخرَ عنه قال: قال النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–:

((مَنْ قالَ إذَا أمْسى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أعوذُ بكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تلكَ اللَّيْلة)).

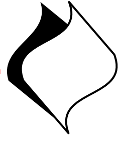
قال: فكان أهلُنا قد تعلَّمُوها، فكانوا يقولونَها، فلُدِغَتْ جاريةٌ منهم، فلم تَجِدْ لها وَجَعاً". (٣)

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٣٧٧، ٤٠٩ ومسلم ٤/ ٢٠٨٠ والترمذي رقم (٣٤٣٧)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٥٦٠، ٥٦١) وابن ماجة رقم (٣٥٤٧) من حديث سعد بن أبي وقاص عن خولة به. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب".

(٢) أخرجه مالك ٢/ ٩٥١ وأحمد ٢/ ٣٧٥ ومسلم ٤/ ٢٠٨١ والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٥٨٥ – ٥٨٩، ٥٩١ – ٥٩٢) وابن ماجة رقم (٣٥١٨).

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٠ والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٥٩٠).



وحَديثُ عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)، أنَّ رَسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- كانَ يُعَوِّذُ حَسَنًا وحُسَيْنًا، يقولُ:

"أعيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيطانٍ وهامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ".

وكانَ يقولُ: **"كانَ إبْراهيمُ أبي يُعَوِّذُ بهما إسْماعيلَ وإسحاقَ"**. (١).

فأثبتَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- بما ذكَرْناهُ عنه شرعيَّةَ الاستعاذةِ بكلماتِ الله، فلو كانَتْ كلماتُهُ مخلوقةً لكانت الاستعاذةُ بها شِرْكًا، لأنَّها استعاذةٌ بمَخلوقٍ، ومن المعلوم أنَّ الاستعاذةَ بغير الله تعالى وأسمائِهِ وصفاتِهِ شِرْكٌ، فكيفَ يَصِحُّ أن يُعلِّمَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أمَّتَه ما هو شركٌ ظاهرٌ، وهو الذي جاءهم بالتَّوحيدِ الخالصِ؟

فدلَّ هذا على أنَّ كلماتِ الله تعالى غيرُ مخلوقةٍ.

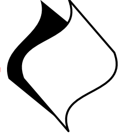
وقالَ نُعَيْمُ بن حمَّاد (شيخُ البخاري، ومن أئمَّة السُّنَّة): "لا يُستعاذُ بالمخلوقِ، ولا بكلامِ العباد والجنِّ والإنسِ والملائكةِ".

وقال البخاري عَقِبهُ: "وفي هذا دَليلٌ أنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ، وأنَّ سواه خَلْقٌ" (٢). ثمَّ احتجَّ البخاريُّ لذلك بما ذكرنا.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢١١٢، ٢٤٣٤)، والبخاري ٦/ ٤٠٨، وأبو داود رقم (٤٧٣٧)، والترمذي رقم (٢٠٦٠)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (١٠٠٦، ١٠٠٧)، وابن ماجة رقم (٣٥٢٥)، من طريق منصور بن المعتمر عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"..

(٢) "خلق أفعال العباد" ص: ١٤٣.



واعترضَ بعضُ أهل البدَعِ على هذه الحُجَّة بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "**اللَّهمَّ أعوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِكَ، وبِمُعافاتِك من عُقوبَتِك** ... " الحديث (١)، فقالوا: فاستعاذَ النبي - صلى الله عليه وسلم- بالرِّضا والمعافاة وهما مَخلوقان.

---

(١) حديث صحيح.

مرويٌّ من حديث عائشة وعلي، رضي الله عنهما.

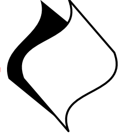
أما حديث عائشة، فأخرجه أحمد ٦/ ٥٨، ٢٠١، ومسلم رقم (٤٨٦)، وأبو داود رقم (٨٧٩)، والنسائي ١/ ١٠٢ و ٢/ ٢١٠، وابن ماجة رقم (٣٨٤١) من طريق عُبَيْد الله ابن عمر عن محمد بن يحيى بن حَبَّان عن الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فَقَدْتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة من الفراش، فالتمسْتُهُ، فوقَعتْ يَدِي على بطنِ قَدَمَيْه وهو في المسجد، وهما منصوبتان (زاد في بعض الطرق: وهو ساجد) وهو يقولُ: ((**اللَّهمَّ أعوذُ برضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبمعافاتك من عقوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك**)).

وأخرجه مالك ١/ ٢١٤، والترمذي رقم (٣٤٩٣)، والنسائي ٢/ ٢٢٢، عن يحيى ابن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن عائشة بنحوه.

قلت: وهذا سند منقطع، محمد بن إبراهيم لم يسمَع من عائشةَ، وقد حسَّن الترمذي هذه الطريق لمجيء الحديث من غير هذا الوجه عن عائشة.

وللحديث طريق ثالثة.

أخرجها النسائي ٨/ ٢٨٣ - ٢٨٤ من حديث مسروق بن الأجدع عن عائشة به نحوه.



والجوابُ: أن هذا الاعتراضَ من فاسدِ الفهْم الذي أدخلَه عليهم الشيطانُ -لعنه الله- وذلك أنَّهم حَسِبوا أنَّ الرِّضا والمعافاةَ من خَلْقه تعالى، جَرْياً على سُنَّتِهِم في أنَّ الله تعالى لا يقوم به اختيارٌ ولا مَشيئة، والرِّضا والمعافاةُ إنَّما يتعلَّقان بالمشيئةِ، وكلُّ ما تعلَّقَ بالمشيئة فهو مخلوقٌ.

قلت: لكن إسناده ضعيف، لحال العلاء بن هلال أحد رجال الإِسناد فإنَّه منكر الحديث جداً.

أما حديث علي رضي الله عنه. فأخرجه أحمد رقم (٧٥١، ٩٥٧)، وأبو داود رقم (١٤٢٧)، والترمذي رقم == (٣٥٦٦)، والنسائي ٣/ ٢٤٨ – ٢٤٩، وابن ماجة رقم (١١٧٩) من طرق عن حماد بن سلمة عن هشام بن عمرو عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن عليّ أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- كان يقولُ في آخر وترِه: "اللَّهم إنِّي أعُوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وأعُوذُ بمعافاتِكَ من عقوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحصي ثناءٌ عليك، أنتَ كما أثنيْتَ على نفسِكَ".

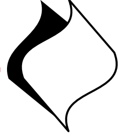
قال الترمذي: "حديث حسنٌ غريبٌ من حديث عليّ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، من حديث حماد بن سلمة".

قلت: إسناده صحيح، وهشام هذا هو الفَزاري معروف برواية هذا الحديث، وهو ثقة.

وقد رواه عن عليّ أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن عَبْدٍ القاري.

أخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٨٩١، ٨٩٢).

وإسناده منقطع، إبراهيم عن علي مرسل.



وهذا الأصل الفاسِدُ جرَّهم إلى الوقوع في تعطيل جميعِ الصفاتِ الاختيارية، كالرِّضا، والغَضبِ، والرَّحْمةِ، والرَّأفةِ، والحُبِّ، والبُغْضِ، والإِنْعام، والانتقامِ، وغيرِها مَما يتعلَّقُ بمشيئتهِ تعالى واختيارهِ.

والحَقُّ الأبلجُ الذي يبهَرُ أبصارَ أهلِ البِدَع أنَّه تعالى تقومُ به الصِّفاتُ الاختياريةُ، والاستعاذة بالرِّضا والمعافاةِ، استعاذةٌ بصفته تعالى، إذ رضاهُ تعالى صفتهُ التي يرضى بها عمَّنْ شاءَ من عبادهِ، ومعافاتُهُ صفَتُهُ التي يُعافي بها من شاءَ من عبادِهِ، والمخلوق إنَّما هو العافيةُ الموجودةُ في الناس، والتي كانت بمعافاتِهِ تبارك وتعالى، فتأمَّل هذا رحِمَكَ الله ترشَد إن شاءَ الله.

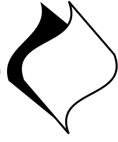
٢ - **حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((**فَضْلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفَضْلِ الله على سائرِ خلقِهِ**)). (١)

تضمَّن هذا الحديث إثباتَ عقيدةِ السَّلَفِ (القرآن كلام الله غيرُ مخلوق) وذلك من وجهين:

الأوَّل: التفريق بين كلام الله وما سِواه من الكلام، والكلامُ إما كلامُ الله الذي هو صفته، أو الكلامُ المخلوق الذي يقَعُ من خلقِهِ، فأضافَ ما كانَ صفةً لله إلى الله، وعمَّمَ ما سِواهُ، ليشمَلَ كلَّ كلام سوى ما أضافه إلى الله، ولو كان الجميعُ مَخْلوقاً لما كانت هناك حاجة إلى التفريق.

---

(١) أخرجه عثمان الدارمي في " الرد على الجهمية " رقم: (٢٨٧، ٣٤٠)، واللالكائي رقم: (٥٥٧).



والثاني: جعلَ الفَرْقَ بينَ كلام الله وكلام غيره كالفَرْقِ بينَ ذاتِ الله وذاتِ غيره، فجعلَ كلامَه مساوياً لذاتِهِ، وكَلاَمَ المخلوقِ مساوياً لذات المخلوقِ، ولو كان كلامُهُ مخلوقاً لم يساوِه بذاتِهِ، فإنَّ الله تعالى ليسَ يُساويه شيءٌ غيرُ صفاتِهِ وأسمائِهِ.

وقد احتجَّ بهذا الإمام عثمان بن سعيد الدَّارِمِيُّ في "الردِّ على الجهمية" فقال بعدَما ذكَر الأحاديثَ في هذا المعنى:

"ففي هذه الأحاديث بيانُ أنَّ القرآنَ غير مخلوقٍ, لأنَّه ليس شيءٌ من المخلوقينَ من التفاوت في فَضْلِ ما بينهما كما بين الله وبينَ خلقِهِ في الفَضْلِ, لأنَّ فَضْلَ ما بين المخلوقين يُسْتَدْرَك، ولا يُسْتدركُ فَضْلُ الله على خلقِهِ، ولا يُحْصِيهِ أحَدٌ، وكذلك فَضْلُ كلامِهِ على كلام المخلوقين، ولو كانَ مخلوقاً لم يكن فضْلُ ما بينَه وبين سائر الكلام كفضْلِ الله على خلقهِ، ولا كَعُشْرِ عُشْرِ جُزءٍ من ألفِ ألفِ جُزْءٍ، ولا قريباً فافْهَموه، فإنَّه ليسَ كمثله شيءٌ, فليسَ كَكَلامِهِ كلامٌ، ولن يُؤْتى بمثلِهِ أبداً". (١)

الأدلة من المعقول الصريح:

وذلك من وجهين:

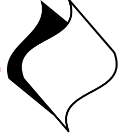
الأول: أنَّ كلامَ الله إنْ كانَ مخلوقاً، فلا يخلو من أحَدِ حالَيْن:

الأولى: أنْ يكونَ مخلوقاً قائماً بذاتِ الله.

والثانية: أنْ يكونَ منفصلاً عن الله بائناً عنه.

---

(١) "الرد على الجهمية" ص: ١٦٢ - ١٦٣.



وكلا الحالين باطلٌ، بل كفرٌ شنيعٌ.

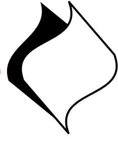
أمّا الأولى فيَلزَمُ منها أن يقوم المخلوقُ بالخالقِ، وهو باطلٌ في قولِ أهلِ السُّنَّةِ، وعامَّةِ أهلِ البِدَعِ، فإنَّ الله تعالى مُستغنٍ عن خلقهِ من جميع الوجوهِ.

وأمّا الثانية فيلزَمُ تعطيلُ صفَةِ الكلام للباري تعالى، إذْ أنَّ الصفةَ إنَّما تقومُ بالموصوف – كما سبق تقريرهُ– لا تقومُ بسِواه، فإنْ قامَتْ بغير الموصوف كانت وصفاً لمن قامتْ به، وهذا معناه أنَّ الرَّبَّ تعالى غيرُ متكلّمٍ، وهو كفرٌ بَيّنٌ، كما بَيَّنا الدلالةَ عليه.

والثاني: علمتَ أنَّ الصفةَ لا تقومُ بنفسِها، فإن كانتْ صفةً للخالق قامت به، وإن كانتْ صفةً للمخلوقِ قامتْ به ولا بدَّ، فالحركةُ، والسُّكونُ، والقيامُ، والقعودُ، والقدرةُ، والإرادةُ، والعلمُ، والحياةُ، وغيرُها من الصِّفاتِ، إن أضيفت لشيءٍ كانت وصفاً لهُ، وهي تابعةٌ لمن قامَتْ به، فهذه صفاتٌ تُضاف للمخلوقِ، فهي صفات له حيث أضيفتْ له، ومنها ما يُضافُ إلى الخالق، كالقُدْرةِ والإرادةِ والعلمِ والحياةِ وغيرِ ذلك، فهي صفاتٌ له حيثُ أضيفت له، وحيثُ أضيفت للمخلوقِ فهي مخلوقةٌ، وحيثُ أضيفت للخالقِ فهي غير مخلوقةٍ.

فصفةُ الكلامِ كغيرها من الصِّفاتِ، لا بدَّ أن تقومَ بمَحَلٍّ، فإذا قامت بمَحَلٍّ كانت صفةً لذلك المحَلّ، لا صفةً لغيرِه، فإنْ هى أضيفت إلى الخالق تعالى فهيَ صفتُهُ، وإنْ أضيفتْ إلى غيرِهِ فهي صفةٌ لذلك الغيرِ، وصفةُ الخالقِ غير مخلوقةٍ كنفسهِ، وصفةُ المخلوقِ مخلوقةٌ كنفسهِ.

فلمَّا أضافَ الله لنفسه كلاماً، ووصَفَ نفسَهُ به، كان كلامُهُ غيرَ مخلوقٍ، لأنَّه تابعٌ لنفسِهِ، ونفسُهُ تعالى غيرُ مخلوقةٍ، والكلامُ في الصِّفات فَرْعٌ عن الكلامِ في الذاتِ.



فإنْ قيلَ: هو مخلوقٌ، قُلْنَا: إذاً يتنزَّهُ الله عن الاتّصافِ بمخلوقٍ، وأنتم تنزهونه تعالى بزَعْمِكُمْ عن قيام الحوادث به، فحيثُ نزّهتم ربَّكم تعالى عن ذلك فإنَّه يلزمُكُم أن لا تضيفوا إليه كلاماً، وبهذا تكذِّبون السَّمْعَ والعقل الشاهِدَيْنِ على أنَّ لله تعالى صفةَ الكلام، كما قدْ بيَّناه فيما مضى.

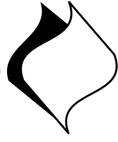
لكنَّهم أبَوْا الإقرار بأنَّ كلامَ الله تعالى غيرُ مخلوقٍ بأدهى ممَّا سبَقَ من الباطل، فقالوا: نُثْبِتُ أنَّ الله متكلمٌ بكلامٍ قائمٍ في غيرِهِ، فكلَّم الله تعالى موسى بكلامٍ مَخلوقٍ قائمٍ بالشَّجَرة، لا بهِ تعالى، فنحن نزَّهناه عن قيام الحوادث بهِ.

قُلْنا: جعلتُمُ الكلامَ إذاً صفةً للمَحَلِّ الذي قامَ به، وهو على قولِكم الشَّجَرةُ، فكانت الشجرةُ بهذا هي القائلةُ لموسى: **{يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [القصص: الآية: ٣٠]، فانتفى حينئذ الفرقُ بين قولِ الشَّجرةِ وقول فرعونَ اللَّعين: **{أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}** [النازعات: الآية: ٢٤]؛ لأنَّ كلامَ الشجرةِ صفَتُها لا صفةُ الله، وكلامَ فرعونَ صفتُهُ، وكلٌّ ادَّعى الربوبيَّة، فلم يكن موسى إذاً محِقّاً في إنكارِهِ قولَ فرعونَ وقبولِهِ قولَ الشجرةِ.

سُبحان الله! كم تجُرُّ البدعُ على أهلِها من المحاذير؟

تأمَّل رحِمَكَ الله لهذا الكُفْرَ الصُّراح، الَّذي أوقعَ أهلَه فيه الابتداعُ المشِينُ، وعدَمُ الرِّضا والتَّسليم لحَقائق التَّنزيلِ، واستبدالُ الوحي الشريفِ بزُبالاتِ الأذْهانِ التي تُصَرِّفها الأهواءُ كيف شاءَت.

ولقد كانتْ هذه الحجَّةُ العَقْليَّة ممَّا احتَجَّ به الإمامُ أحمدُ رحمه الله على الجَهْميةِ المعتزلةِ حين ناظرَهم بحضْرَة المعتصِم، قال رحمه الله:



"وهذه قصَّةُ موسى، قال الله في كتابهِ حكاهُ عن نفسهِ: **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى}** [النساء: الآية: ١٦٤]، فأثبتَ الله الكلامَ لموسى كرامةً منه لموسى، ثمَّ قالَ بعدَ كلامهِ له **{تَكْلِيمًا}** تأكيداً للكلامِ، قالَ الله تعالى: يَا مُوسَى **{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا}** [طه: الآية: ١٤]، وَتُنْكرونَ هذا، فتكونُ هذه الياءُ تَرِدُ على غير الله، ويكونُ مخلوقٌ يدَّعِي الرُّبوبية؟! ألَا هو الله عَزَّ وجَلَّ". (١).

وكذا احتجَّ بهذه الحُجَّة من أئمَّة السَّلَفِ

الثِّقةُ المأمونُ أبو أيوب سليمانُ بن داودَ الهاشميُّ–رحمه الله–(ت: ٢١٩ هـ)، فقال:

"مَنْ قالَ: القرآن مخلوقٌ فهو كافرٌ، وإن كانَ القرآنُ مخلوقاً كما زعمها فَلِمَ صارَ فرعونُ أولى بأنْ يُخَلَّدَ في النَّارِ، إذْ قالَ: **{أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}** [النازعات: الآية: ٢٤]، وزعَموا أنَّ هذا مخلوقٌ، والذي قال: **{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي}** [طه: الآية: ١٤]، هذا أيضاً قد ادّعى ما ادّعى فرعونُ، فَلِمَ صارَ فرعونُ أولي بأن يُخَلَّدَ في النَّارِ من هذا، وكلاهُما مخلوقٌ؟ ".

قال البُخاريُّ–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ): فأخْبِرَ بذلكَ أبو عُبَيْد (٢) فاستحسَنه وأعجَبه. (٣).

---

(١) رواه حنبل في "المحنة" ص: ٥٢ عنه.

(٢) أبو عُبَيد هو القاسم بن سلاَّم–رحمه الله–(ت: ٢٢٤ هـ) لغويُّ أهلِ الحديث.

(٣) "خلق أفعال العباد" رقم (٥٩) عن سليمان به.

كلام أئمه السلف في إثبات هذه العقيدة:

١-**عمرو بن في دينار-رحمه الله-(ت: مابين: ١٢٥إلى ١٢٩ هـ)** (من خيار أئمَّةِ التَّابعينَ):

قال: "أدركتُ أصحابَ النَّبي -صلى الله عليه وسلم- فَمَن دونَهم منذ سبعينَ سنة، يقولون: الله الخالقُ، وما سِواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خَرجَ وإليه يعودُ". (١)

٢-**قال إسحاقُ بن راهوَيْهِ-رحمه الله-(ت: ٢٣٨ هـ):**

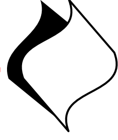
"وقد أدْرَكَ عَمْرُو بن دينارٍ أجلّةَ أصحابِ رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم-، من البَدْريينَ، والمهاجِرينَ، والأنصار، مثل: جابر بن عبد الله، وأبي سعيدٍ الخُدْري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن الزبير، وأجلّة التابعين، وعلى هذا مضى صدرُ هذه الأمَّةِ". (٢)

٣-**جَعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحُسَين المَعروف بـ "الصادق"-رحمه الله-(ت: ١٤٨ هـ)** (إمامٌ ثقةٌ سُنِّيٌّ):

---

(١) أخرجه الدارمي في " الردّ على الجهمية" رقم (٣٤٤) و"النقض على المريسي" ص: ١١٦ والبيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٠٥.

(٢) قول إسحاق هذا زاده البيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٠٥ و"الأسماء والصفات" ص: ٢٤٥ عقب قول عمرو بن دينار، وسنده صحيح.



قال معاويةُ بن عمَّارٍ الدُّهْنِيُّ-رحمه الله-(ت: ١٧٥ هـ): قلْتُ لجَعْفر -يعني ابنَ محمد- إنَّهم يسألون عن القرآنِ: مخلوقٌ هو؟ قال:

"ليس بخالِقٍ ولا مَخلوقٍ، ولكنَّه كلامُ الله". (١).

٤-**مالك بن أنس-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)** (إمام دار الهجرة):

قال عبد الله بن نافع-رحمه الله-(ت: ١٨٦ هـ): كان مالكٌ يقول: "كلَّم الله موسى -صلى الله عليه وسلم- " ويقول: "القرآنُ كلامُ الله" ويستفظِع قولَ من يقول: القرآن مخلوق. (٢).

٥-**سفيان بن عُيَيْنَة-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ) (إمامٌ حُجَّةٌ)**:

سئل عن القرآن؟ فقال: "كلامُ الله، وليس بمخلوقٍ". (٣).

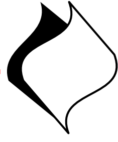
٦-**عبد الله بن المبارك-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ) (ذاكَ العَلَم)**:

---

(١) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (١٠٩) والدارمي في "الرد على الجهمية" رقم (٣٤٥) و"النقض على المريسي" ص: ١١٦ وعبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٣٢ - ١٣٤) وأبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٥ والآجري في "الشريعة" ص: ٧٧ البيهقي في "الأسماء" ص: ٢٤٦ - ٢٤٧ و"الاعتقاد" ص: ١٠٧ من طريق معاوية به.

(٢) رواه صالح بن أحمد في "المحنة" ص: ٦٦ بسند صحيح عنه.

(٣) أخرجه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٥ بسند جيد عنه.



قال: "القرآنُ كلامُ الله عَزَّ وَجَلَّ، ليسَ بخالقٍ ولا مَخلوقٍ". (١).

٧-**أبو عبد الله الشَّافعيُّ الإمامُ-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ)**:

قالَ الرَّبيعُ بن سُلَيْمان-رحمه الله-(ت: ٢٧٠ هـ) صاحبهُ وتلميذُهُ حاكياً المناظرةَ التي جَرَتْ بينَهُ وبينَ حفْصٍ الفَرْدِ في القرآن:

فسألَ الشَّافعيَّ، فاحتجَّ عليه الشافعيُّ وطالَت فيه المناظرةُ، فأقامَ الشَّافعيُّ الحُجَّةَ عليهِ بأنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، وكفَّر حَفْصاً الفَرْدَ.

قال الرَّبِيعُ:

فلقيتُ حفْصاً الفَرْدَ في المجْلسِ بَعْدُ، فقال: أرادَ الشَّافعيُّ قَتْلي. (٢)

٨-**وكيعُ بن الجرَّاح-رحمه الله-(ت: ١٩٧ هـ)** (أحدُ كبارِ الحُفَّاظ):

قال: "القرآنُ كلامُ الله عزَّ وجَلَّ ليسَ بالمخلوقِ". (٣)

٩- **يحيى بن سعيد القطَّان-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ)** (رأسٌ في الحَديثِ وعِلَلِهِ):

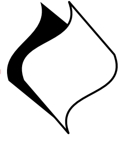
قال الحافظُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ-رحمه الله-(ت: ٢٢٧ هـ): قالَ لي يحيى بن سعيدٍ:

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٤٤) وسنده صحيح، وكذا رواه اللالكائي رقم (٤٢٦).

(٢) رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في "آداب الشافعي" ص: ١٩٤ - ١٩٥ وسنده صحيح..

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٥١) بسند صحيح.



"كيف يصْنَعونَ بـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]؟ كيف يَصْنَعونَ بهذه الآية: {إِنِّي أَنَا اللَّهُ}؟ يكونُ مخلوقاً؟ ". (١)

١٠-**يزيد بن هارون-رحمه الله-(ت: ٢٠٦ هـ)** (من كبار أئمَّةِ الحَديثِ):

قال: "مَنْ قالَ: القرآنُ مخلوقٌ فهو كافرٌ". (٢)

١١-**عبد الله بن إدريس-رحمه الله-(ت: ١٩٢ هـ)** (ثقَةٌ ثَبْتٌ):

قال: "القرآنُ كلامُ الله، ومنَ الله، وما كانَ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ فليسَ بمخلوقٍ". (٣)

١٢-**أبو الوليد الطَّيالِسي: هشامُ بن عبد الملك-رحمه الله-(ت: ٢٢٧ هـ)** (ثِقَةٌ حافِظٌ):

قال: "القرآنُ كلامُ الله، وكلامُ الله ليسَ بمَخلوقٍ". (٤)

١٣-**سليمان بن حَرْبٍ-رحمه الله-(ت: ٢٢٤ هـ)** (ثقَةٌ جَبَلٌ صاحبُ سُنَّة):

قال عباسُ بن عبد العظيم-رحمه الله-(ت: ٢٤٦ هـ)، -وكان ثِقَةً- سمعتُ سُليمانَ بن حَرْبٍ قال:

"القرآنُ ليسَ بمَخلوقٍ".

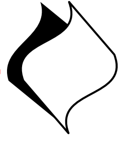
---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٥٧) بسند صحيح. وكذا أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (٣٠) عن الطيالسي نحوه.

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٨ بسند صحيح.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦١) بسند صحيح.

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٦ بسند صحيح.



فقلت له: إنَّكَ كنتَ لا تقولُ هذا، فما بَدا لكَ؟

قالَ: "استَخْرَجْتُهُ من كتاب الله عَز وجَل: **{لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ}** [آل عمران: الآية: ٧٧] فالكلام والنظرُ واحدٌ". (١)

١٤-الإمام أحمدُ بن حَنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) إمام أهل السُّنَّة:

النَّقْلُ عنه في ذلك متواترٌ، والناقلونَ عنه لا يُحصيهم العدُّ، وكَفى ما كان منه في المِحْنَةِ مع الجهميةِ المعتزلةِ القائلين بخلقِ القرآن، وقد تقدَّم ذكرُ بعضِ النقلِ عنه، وسيأتي بعض ذلك متناثراً.

وممَّا يَحْسُنُ ذكرُهُ هنا ما قالَه الإمام أحمدُ جواباً لسؤالِ المتوكّلِ عن مسألة القرآنِ:

"وقد رُويَ عن غير واحدٍ ممَّن مَضى من سَلَفِنا رحمهم الله أنَّهم كانوا يقولون: القرآنُ كلام الله عَزَّ وجَلَّ، وليس بمخلوقٍ، وهو الذي أذْهَبُ إلَيهِ، ولسْتُ بصاحبِ كلامٍ، ولا أرى الكلامَ في شَيْءٍ من هذا، إلاَّ ما كانَ في كتابِ الله عَزَّ وجَلَّ، أو في حديثٍ عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو عن أصحابِهِ، أو عنِ التابعينَ، فأمَّا غير ذلك فإنَّ الكلامَ فيه غيرُ مَحْمودٍ". (٢)

وقال حنبلٌ: سمعتُ أبا عبد الله يقولُ:

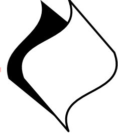
"لم يَزَل الله -عَزَّ وَجَلَّ- متكلِّماً، والقرآنُ كلامُ الله -عَزَّ وَجَلَّ- غيرُ مخلوقٍ، وعلى كلِّ جِهَةٍ، ولا يوصَفُ الله بشَيْءٍ أكثرَ ممَّا وصَفَ به نَفْسَهُ -عَزَّ وَجَلَّ- ". (٣)

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦٩) عن عباس عنه به.

(٢) رواه صالح في "المحنة" ص: ١٢٢ وعبد الله في "السنة" رقم (١٠٨) عن أبيهما.

(٣) رواه حنبل في "المحنة" ص: ٦٨ وانظر ص: ٧٤.



١٥ -يحيى بن مَعين-رحمه الله-(ت: ٢٣٣ هـ) (إمامُ الجَرْحِ والتَّعديلِ) وأبو خيثمة زُهَيْر بن حَرْب-رحمه الله-(ت: ٢٧٩ هـ) (حافظٌ إمامٌ ناقِدٌ):

قالا: "القرآنُ كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهو غيرُ مَخْلوقٍ". (١)

١٦-أبو بكر بن أبي شَيْبَة-رحمه الله-(ت: ٢٣٥ هـ) (حافظٌ إمامٌ مُصَنِّفٌ):

قال له رجُلٌ من أصحابِهِ: القرآنُ كَلامُ الله وليسَ بمَخلوقٍ، فقال أبو بكر:

"مَنْ لَمْ يَقُلْ هذا فهو ضالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ". (٢)

١٧-عثمان بن أبي شَيْبَةَ-رحمه الله-(ت: ٢٣٩ هـ) (ثِقَةٌ حافِظٌ):

قال: "القرآنُ كلامُ الله وليسَ بمَخلوقٍ". (٣)

١٨-جماعةٌ من شُيوخ أبي داودَ السِّجِستاني صاحب "السُّنن":

قال أبو داود-رحمه الله-(ت: ٢٧٥ هـ):

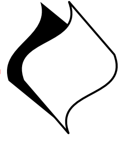
سمعتُ إسحاقَ بن إبراهيمَ بن راهُوَيهِ-رحمه الله-(ت: ٢٣٨ هـ)، وهَنَّادَ بن السَّريّ-رحمه الله-(ت: ٢٤٣ هـ)، وعبدَ الأعلي بنَ حمَّادٍ-رحمه الله-(ت: ٢٣٧ هـ)، وعُبيدَ الله بن عُمَر بنِ مَيسرةَ القواريريَّ-رحمه الله-(ت: ٢٣٥ هـ)، وحكِيم بن سيفٍ الرَّقيَّ-رحمه الله-(ت: ٢٣٥ هـ)، وأيوبَ بن محمَّدٍ-رحمه الله-(ت: ٢٤٦ هـ)، وسَوّارَ

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٧٣) بسند صحيح، وانظر "تاريخ يحيى" رواية الدوري ٣/ ٣٣٥.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦٢) عنه به.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦٣) عنه به.



بنَ عبد الله–رحمه الله–(ت: ٢٤٥ هـ)، والرَّبيعَ بن سليمان–رحمه الله–(ت: ٢٧٠ هـ)–صاحبَ الشَّافعيّ–، وعبدَ الوهّابِ بن الحَكَم–رحمه الله–(ت: ٢٥١ هـ)، ومحمَّدَ بن الصَبّاح بنِ سُفيانَ–رحمه الله–(ت: ٢٤٠ هـ)، وعُثمانَ بن أبي شَيْبَة–رحمه الله–(ت: ٢٣٩ هـ)، ومحمَّدَ بنَ بَكّارِ بنِ الرَّيَّانِ–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ)، وأحمدَ بن جَوَّاس الحنَفيَّ–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ)، ووَهْبَ بن بَقِيَّةَ–رحمه الله–(ت: ٢٣٩ هـ)، ومَن لا أحْصيهم من عُلمائِنا، كلُّ هؤلاءِ سَمِعْتُهم يقولونَ:

"القُرْآنُ كلامُ الله ليسَ بمَخلوقٍ".

وبعضهُم [قال: "القرآنُ] غيرُ مخلوقٍ". (١)

قلتُ: وجميعُ هؤلاءِ الشيوخِ من أئمَّة الحديثِ، وكلُّهم ثِقاتٌ، سِوى حَكيم بن سَيْف فإنَّه صالحٌ لا بأس به.

١٩–**عليُّ بن المديني–رحمه الله–(ت: ٢٣٤ هـ)** (صَيْرِفيّ الحَديثِ وأهلِهِ).

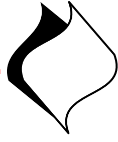
قال محمَّدُ بن عثمانَ بن أبي شَيْبة–رحمه الله–(ت: ٢٩٧ هـ): سمعتُ عليَّ بن المدِيني يقولُ قبلَ أن يموتَ بشَهرين:

"القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ: مخلوقٌ، فهو كافرٌ". (٢)

---

(١) "المسائل" لأبي داود ص: ٢٦٦.

(٢) أخرجه ابن الطبري في "السنة" رقم (٤٥٣) والخطيب في "تاريخ بغداد" ١١/ ٤٧٢ بسند صحيح، وانظر "مسائل ابن أبي شيبة لابن المديني" نص: (١١٣).



٢٠-**أبو يعقوب البُوَيْطِيّ**-رحمه الله-(**ت: ٢٣١ هـ**) (تلميذُ الشافعي وخرّيجُهُ):

قال:"مَنْ قالَ: القرآنُ مخلوقٌ، فهو كافرٌ". (١)

٢١-**المُزَنِيُّ: إسماعيل بن يحيى**-رحمه الله-(**ت: ٢٦٤ هـ**) (إمامٌ فَقيهٌ، من أخَصّ أصحابِ الشافعي به):

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فهو كافرٌ". (٢)

٢٢-**البخاريّ: محمَّد بن إسماعيل**-رحمه الله-(**ت: ٢٥٦ هـ**) (إمامُ المحدّثين):

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ". (٣).

٢٣-**أبو حاتِمٍ**-رحمه الله-(**ت: ٢٧٧ هـ**) **وأبو زُرْعَة**-رحمه الله-(**ت: ٢٨٩ هـ**) الرّازيانِ (عالمانِ حافظانِ، من كبارِ أئمَّةِ الحديثِ):

قال عبدُ الرَّحمن بن أبي حاتِم-رحمه الله-(ت: ٣٢٧ هـ):

سألتُ أبي وأبا زُرْعةَ عن مَذاهبِ أهل السُّنَّة في أصولِ الدّينِ، وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصارِ، وما يَعْتَقِدان من ذلك؟

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٨بسند صحيح عنه.

(٢) رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" ص: ٢٥٢ بسند صحيح، ورواه هو وابن الطبري بإسنادين آخرين عنه.

(٣) "خلق أفعال العباد" ص: ٣٧.

فقالا: "أدْرَكْنَا العُلَماءَ في جَميع الأمصار: حِجازاً، وعِراقاً، وشاماً، ويَمَناً، فكان من مذهبهم: الإيمان قولٌ وعَمَلٌ يَزيدُ وينقصُ، والقرآنُ كلامُ الله غير مخلوقٍ بجميع جهاتِهِ". (١)

فهؤلاءِ بِضْعةٌ وثلاثونَ من الأئمَّةِ، قد سمّيناهم، عامَّتهم ممَّن يُقْتَدى بهم، وجميعهم من أهلِ القُرونِ المفَضَّلَة التي هي خيرُ القرون.

٢٤-قال الإمام أبو عثمانَ الصابونيُّ-رحمه الله-(ت: ٤٤٩ هـ):

"ويشهَد أصحابُ الحديث، ويعتقدونَ: أنَّ القرآنَ كلام الله وكتابُه، وخِطابُه، ووحيُهُ، وتنزيلُهُ، غيرُ مخلوقٍ، ومَنْ قالَ بِخَلْقِهِ واعتقدَه فهو كافرٌ عندهم". (٢)

ولو أرَدْنا استيعاب ما بلَغنا من أقوالهم في إثباتِ هذه العقيدةِ (القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوقٍ) لاحتاجَ ذلك إلى تصنيفٍ مُستقلٍّ.

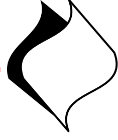
وقد ساقَ الإمامُ أبو القاسِم هبةُ الله بن الحَسَن الطَّبريُّ اللَّالكائي-رحمه الله-(ت: ٤١٨ هـ) في كتابه العَظيم (شرحِ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) أو (كتاب السنة) القولَ بذلك عن خَمْسِ مِئَةٍ وخَمسينَ نَفْساً من علماءِ الأمَّةِ وسَلَفِها، كلُّهُم يقولونَ: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قال: مخلوقٌ، فهو كافرٌ".

قال رحمه الله: "فهؤلاء خَمْسُ مِئَةٍ وخمسونَ نَفْساً أو أكثر، من التَّابعينَ، وأتباع التَّابعينَ، والأئمةِ المرْضيِيّنَ، سوى الصحابة الخيّرين، على اختلاف الأعصارِ، ومُضِيّ السّنين والأعوامِ،

---

(١) أخرجه ابن الطبري في "السنة" ١/ ١٧٦ بسند صحيح.

(٢) "رسالته في السُّنَّة" نص/٦.



وفيهم نحوٌ من مِئة إمامٍ، ممَّن أخذَ الناسُ بقَوْلهم، وتَديَّنوا بمَذاهبهم، ولو اشتغلتُ بنقلِ قولِ المحَدِّثينَ لبلَغتْ أسماؤهم ألوفاً كثيرةً". (١).

قلتُ: وفيما ذُكر كفايةٌ لإثباتِ الحَقِّ البيّن الصَّريحِ الذي أطبقَ على اعتقادهِ سادةُ علماءِ الأمَّة، فهو إجماعُ أهلِ السُّنَّة الَّذي لا يقعُ فيهِ امتراءٌ، والله أعلم.

مسألة القائلين بالتوقف.

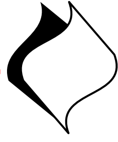
أما مَسْألة السُّكوتُ عن القولِ: القرآنُ مَخلوقٌ، أو غيرُ مَخلوقٍ، والاكتفاء بالقول: إنَّه كلامُ الله.

فقد سُئِلَ الإمامُ أحمدُ–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): هَلْ لهم رُخْصَةً أنْ يقولَ الرجلُ: القرآن كلام الله تعالى ثمَّ يَسْكت؟ فقالَ: "ولِمَ يسكُت؟ لولا ما وقَعَ فيه الناس كان يسَعُهُ السُّكوتُ، ولكن حيثُ تكلَّموا فيما تكلَّموا لأيِّ شيءٍ لا يتكلَّمون؟ ". (٢)

---

(١) كتاب "السنة" رقم (٤٩٣).

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٣ – ٢٦٤ومن طريقه: الآجري ص: ٨٧ وإسماعيل بن الفضل ق ١١٤/أ.



قال الحافظ أبو بكر الآجُريُّ–رحمه الله–(ت: ٣٦٠ هـ):"معنى قول أحمدَ بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلفْ أهلُ الإيمان أنَّ القرآنَ كلامُ الله عَزَّ وجَلَّ، فلمَّا جاءَ جَهْمٌ فأحْدَثَ الكُفْرَ بقولِهِ: إنَّ القرآن مخلوقٌ، لم يسَع العلماءَ إلاَّ الرَّدُّ عليه بأنَّ القرآنَ كلامُ الله عَزَّ وجَلَّ غيرُ مخلوقٍ بلا شكٍّ ولا تَوقُّفٍ فيهِ، فمَنْ لم يَقُلْ: غيرُ مخلوقٍ، سُمّيَ واقفيّاً شاكاً في دينه". (١)

وقال أحمدُ أيضاً: "كنا نرى السُّكوتَ عن هذا قبلَ أن يخوضَ فيه هؤلاء، فلمَّا أظهروهُ لم نَجِدْ بُدّاً من مُخالفتهم والرَّدِّ عليهم". (٢)

والأئمةُ جميعاً على إنكارِ مَسْلَكِ هؤلاءِ، والتَّشديد عليهم، وتَبْدِيعهم، وأبو عبد الله أحمد بن حنبل أشدُّهم إنكاراً.

قال أبو داود السِّجِستانيُّ–رحمه الله–(ت: ٢٧٥ هـ): سمعتُ أحمدَ ذَكَرَ رَجُلينِ كانا وَقَفا في القرآنِ، ودَعَوَا إليه، فجعَلَ يَدعو علَيْهما، وقالَ لي: هذا لأحدِهما فِتْنةٌ، وجعَلَ يذكرهما بالمكْروهِ. (٣)

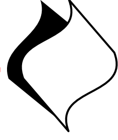
وقالَ: رأيتُ أحمدَ سلَّمَ عليه رجلُ من أهْلِ بغداد ممَّن وقَفَ–فيما بلَغني–فقال: "اغْرُبْ، لا أرَيَنَّكَ تَجِيءُ إلى بابي–في كلام غَليظ–" ولَمْ يُرُدَّ عليه السَّلامَ، وقالَ لَهُ:

---

(١) "الشريعة" للآجري ص: ٨٧.

(٢) ذكره عنه عثمان الدارمي في "النقض على المريسي" ص: ١١٠.

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٤ ومن طريقه الآجري ص: ٨٧.



"ما أحوَجَكَ إلى أنْ يُصْنَعَ بك ما صنعَ عُمَرُ بصَبِيغٍ".

قال أبو داودَ: فهَّمَني بصَبيغ بعضُ ولَد أحمدَ - [فدخَلَ بيتَه وردَّ البابَ]. (١)

وقالَ أبو طالب: سألتُ أبا عبد الله عمَّن أمسكَ، فقال: لا أقولُ ليسَ هو مخلوقاً، إذا لَقِيَني بالطريقِ وسلَّمَ عليَّ، أسَلِّمُ عليه؟

قال: "لا تُسَلِّمْ عليه، ولا تكلِّمْهُ، كيفَ يعرفُه الناسُ إذا سلَّمتَ عليْهِ؟ وكيفَ يعرفُ هو أنَّك مُنكرٌ عليه، فإذا لَمْ تُسَلِّم عليه عَرَفَ الذّلَّ، وعرفَ أنك أنكرتَ عليه، وعرفهُ النَّاسُ". (٢)

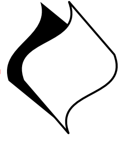
وقال أبو داودَ: سمعتُ أحمدَ وقيلَ له: ما تَرى في الصَّلاةِ خَلْفَ من يقولُ في القرآنِ: كلامُ الله، ويَقِفُ؟ قال: "يُعْجِبُني أنْ يُجْفَوا". (٣)

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٤ومن طريقه: الآجري ص: ٨٧. وصَبيغ هذا بصريٌّ قَدِم على عُمَر فكان يجادل في متشابه القرآن، فجلَده عمر رضي الله عنه لذلك، وقصته صحيحة مشهورة، رويت موصولةً بسند صحيح عند ابن عساكر ٨/ ١١٧/أوغيره، ورويت مرسلةً من وجوه متعددة..

(٢) رواه الآجري ص: ٨٨ بسند صحيح.

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٤.



وقال الإمامُ أحمدُ–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "افترقَت الجَهميَّةُ على ثَلَاثِ فِرَق: فِرْقَةٍ قالوا: القرآنُ مخلوقٌ، وفرقةٍ قالوا: كلامُ الله وتسْكُتُ، وفرقةٍ قالوا: لفظُنا بالقرآنِ مخلوقٌ". (١)

ومقالاتُ الإمام أحمدَ فيهم كثيرةٌ مُستفيضةٌ، وكذا عن غيرِه من أئمَّةِ السُّنَّة، فمِنْ ذلك:

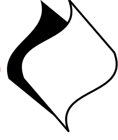
١ - قال مُهَنّا أبو عبد الله السُّلَميّ–رحمه الله–(ت: ٢٦٠ هـ تقريبًا) (وكان من خيار أصحاب أحمد):

سألتُ أحمدَ بن حنبل بعدَ ما أخْرِجَ من السِّجنِ بسنتين: ما تقول في القرآنِ؟ فقَالَ: "كلامُ الله غيرُ مخلوق" وقال: "مَن رَوى عنّي غيرَ هذا القولَ فهو مُبْطِل" قلتُ له: إنَّ بعضَ مَن ذكَرَ عنك أنَّك قلتَ له: هو كلام الله، لا مَخلوق ولا غيرُ مخلوق، ولكن هو كلام الله، فقال أحمد: "أبْطَلَ، ما قلتُ هذا، ولكنَّه هو كلامُ الله غير مخلوقٍ". (٢)

٢ - وقالَ سلَمةُ بن شَبيب–رحمه الله–(ت: ٢٤٦ هـ): دخلتُ على أحمد بن حنبل فقلتُ: ما تقول فيمن يقول: القرآن كلامُ الله؟ فقال أحمد: "مَنْ لم يَقُلْ: القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق فهو كافرٌ".

(١) رواه صالح في "المحنة" ص ٧٢ عن أبيه به.

(٢) رواه عبد الله في "السنة" رقم (٥٢٩) عن مهنّا عن أحمد.



ثمَّ قالَ: "لا تَشُكَّنَّ في كُفْرِهم، فإنَّ مَن لم يَقُلِ: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق فهو يقول: مخلوقٌ، ومَن قال: هو مخلوقٌ، فهو كافر بالله عزَّ وجَلَّ".

قال سلمَةُ: وقلتُ لأحمدَ: الواقفة كفّارٌ؟ فقال:"كفّارٌ". (١)

٣ - **وقال عبد الله بن أحمدَ–رحمه الله–(ت: ٢٩٠ هـ)**: سمعتُ أبي -وسُئلَ عن الواقفة- فقال أبي:

"مَن كانَ يُخاصِمُ ويُعرَفُ بالكلام فهو جَهْميٌّ، ومن لم يُعرَف بالكلام يُجانَب حتى يَرْجِعَ، ومَن لم يكن له عِلمٌ يَسأل". (٢)

وقالَ مرَّةً في الواقِفَةِ:"هُمْ شَرٌّ مِن الجهميَّةِ". (٣)

قلتُ: لخَفاءِ أمرِهم.

٤ - **وقال إسحاقُ بن راهُوَيْهِ–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ)** (الإمامُ الفقيهُ الحافِظُ):

"مَنْ قالَ: لا أقولُ: القرآنُ مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوقٍ، فهو جَهميٌّ". (٤)

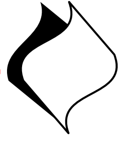
---

(١) رواه ابن الجوزي في "مناقب الإمام أحمد" ص: ١٥٧ بسند جيد.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (٢٢٣).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (٢٢٥).

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٧٠ ومن طريقه الآجري في "الشريعة" ص: ٨٨.



٥ - **وقال قُتَيبةُ بن سعيد-رحمه الله-(ت: ٢٤٠ هـ)** (وهو ثِقَةٌ ثَبْتُ حافِظٌ):

"هؤلاءِ -يعني الواقفة- شَرٌّ مِنْهم، ممَّن قالَ: القرآنُ مخلوقٌ". (١)

٦ - **وقال الحافظُ الإمامُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ-رحمه الله-(ت: ٢٢٧ هـ)**:

"مَن لم يَعْقِدْ قلبَه على أنَّ القرآنَ ليسَ بمخلوقٍ فهو خارجٌ من الإِسلام". (٢)

٧ - **وقال عثمانُ بن أبي شيبة-رحمه الله-(ت: ٢٣٩ هـ)** (ثِقَةٌ حافِظٌ):

"هؤلاء الذين يقولونَ: كلامُ الله ويسكُتونَ، شَرٌّ من هؤلاء -يعني ممن قالَ: القرآنُ مخلوقٌ". (٣)

٨ - **وقال أبو داودَ: سألتُ أحمَدَ بن صالح المِصْريَّ-رحمه الله-(ت: ٢٤٨ هـ)** (الحافظ الإِمام) عمَّن يقول: القرآن كلامُ الله، ولا يقول: مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوقٍ؟ قال: "لهذا شاكٌّ". (٤)

٩ - **وقال أبو خَيْثَمة-رحمه الله-(ت: ٢٧٩ هـ)** (ثِقَةٌ حافِظٌ) **-وسأل يَحيى بن مَعِين-رحمه الله-(ت: ٢٣٣ هـ)**، فقال:

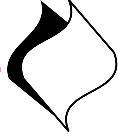
---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" ص:٢٧٠ ومن طريقه الآجري ص: ٨٨.

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٦ بسند صحيح.

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٧١ ومن طريقه الآجري ص: ٨٨.

(٤) رواه أبو داود ص: ٢٧١ وعنه الآجري ص: ٨٨.



إنَّهم يقولون: إنّكَ تقولُ: القرآنُ كلامُ الله، وتَسْكُت، ولا تقولُ: مخلوقٌ، ولا غيرُ مَخلوقٍ، قال: "لا" فعاوَدتهُ، فقال: "مَعاذَ الله، القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوقٍ، ومَن قالَ غير لهذا فعليه لعنةُ الله". (١)

١٠ - وقالَ أبو حاتمٍ-رحمه الله-(ت: ٢٧٧ هـ)، وأبو زُرْعةَ-رحمه الله-(ت: ٢٨٩ هـ) الرّازيان الحافظان:

"ومَن شَكَّ في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، فوقَفَ شاكّاً فيه، يقولُ: لا أدْري، مَخْلوقٌ أو غير مَخلوقٍ، فهو جَهميّ، ومَن وقَفَ جاهلاً عُلِّمَ، ويُبَدّعَ ولَم يُكَفَّر". (٢)

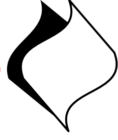
وكذا ذكَر الإمامُ هِبَةُ الله ابنُ الطَّبريّ-رحمه الله-(ت: ٤١٨ هـ) نحوَ ما ذُكِرَ من الإنكار عن نَحْوِ مِئَةٍ من المحدِّثينَ والفُقَهاء. (٣) (٤).

(١) رواه ابن الطبري في "السنة" رقم (٤٥٦) بسند صحيح.

(٢) رواه ابن الطبري ١/ ١٧٨ بسند صحيح.

(٣) كتاب "السنة" ٢/ ٣٢٣ - ٣٢٩.

(٤) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.



خامسًا: مسألة أنه منه بدأ وإليه يعود. (١).

الجانب الأول: (منه بدأ).

يَعْتَقِدُ السَّلَفُ أنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، منه خرجَ وبدأ، تكلَّمَ به بحُروفِهِ ومَعانيهِ، فأسمَعَهُ جبريلَ عليه السَّلام، ونَزَل به جبريلُ على قلبِ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم، وهو هذا اللِّسانُ العربيُّ المبينُ، النّازلُ بلغةِ قُرَيْشٍ.

الأدلة على ذلك:

وهذا مُبَيَّن في غيرِ مَوْضع من كتاب الله تعالى، فمِنْ ذلك:

١ - قولُه تعالى: **{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}** [هود: ١].

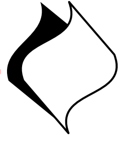
٢ - وقولُه -عَزَّ وَجَلَّ-: **{تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى}** [طه: الآية: ٤].

٣ - وقولهُ تعالى: **{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ}** [النمل: الآية: ٦].

٤ - وقولُه تعالى: **{الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}** [السجدة: الآيات: ١ - ٣].

---

(١) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.



٥ – وقولُه جلَّ وَعَلا: **{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ...}** [الزمر: الآيات: ١ – ٢].

٦ – وقولُه تعالى: **{حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا}** [فصّلت: الآيات:١ – ٤].

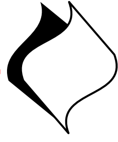
٧ – وقولُه تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}** [فصلت: الآيات: ٤١ – ٤٢].

فأخبرَ تعالى في هذه الآيات وما يشبهُها أنَّ القرآنَ العربيَّ الذي هو كلامهُ، إنَّما هو تنزيلُه، نَزلَ منهُ، فمنه بدَأ وَخَرَجَ لا مِنْ سِواه.

٨ – وقولُه تعالى: **{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}** [النحل: الآيات: ١٠١ – ١٠٣].

فأنبأ تعالى في هذه الآياتِ أنَّ القرآنَ العربيَّ نزَلَ به رُوحُ القُدُس منه، ورُوحُ القُدُس هو جبريلُ عليه السَّلام، كما قال تعالى: **{قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}** [البقرة: الآية: ٩٧].

فليسَ هو كلامَ محمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم– كما زعَمَ الكفَّارُ– ولا كلامَ جبريلَ عليه السَّلام –كما زعمَه بعضُ أهلِ البِدَعِ– وإنَّما هو كلامُ الله تعالى، منه بدأ وخَرَجَ، وهو الذي أنزلَه

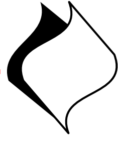


بواسطةِ رسولهِ الملَك جبريلَ، فمن قال غير هذا فقَدْ كَفَرَ، لأنَّه كذَّبَ الله في قولِهِ، وجَحَدَ ما أنبأتْ به رسلُه، وإنِ ادّعى الإِسلامَ وانتسبَ إليه، فالإِسلامُ يَبْرأ منه.

والله تعالى لم يُضِف شيئاً ممَّا أنزله إلى نفسِهِ غيرَ كلامهِ، وذلك لأنَّه صفتُهُ.

تنبيه:

ويجب أن يُعلَمَ أنَّه ليسَ معنى قولهم (منه خَرَجَ) أنَّ صفةَ الكلام فارَقَتْهُ تعالى، وحلَّتْ في غيرِهِ، وأنَّ ما تكلَّم به نُسِبَ إلى غيرِه، وصارَ وصفاً لذلك الغَيْر -كما قد وَسْوَسَ به بعضُ أهل البدَع-فإنَّ هذا المعنى لا يُعقَل في حَقّ الإِنسانِ المخلوقِ الضَّعيفِ، إذا تكلَّمَ بكلام تزولُ عنهُ صفةُ الكَلام بذلك وتفارقُه إلى غيرِهِ، فإنَّ من كانَ كذلكَ لم يمكِنْه الكلامُ إلاَّ مرّةً واحدةً، فإذا تكلَّمَ هذه المرَّة فارقَتْهُ صفتُهُ، لأنَّ الكلامَ خرَجَ منه وفارقَهُ، وبمفارقته زالتْ عنه الصّفة ولَحِقَتْ غيرَهُ، هذا كلامٌ لا يقوله مَن يَدري ما يقولُ، فإنَّ مَنْ وُصِفَ بالكلام على هذا المعنى موصوفٌ بالعَجْز عنه، وهو غيرُ متصوَّرٍ في حقّ الناطق المخلوق على ضَعْفه، فكيف تصوَّرَهُ هؤلاء الضُّلاَّلُ في حقّ الله الذي ليسَ كمثلهِ شيءٌ، فإنَّه تعالى وصفَ نفسَه بأنَّه متكلمٌ بكلامٍ متعلقٍ بمَشيئتهِ وقُدْرتهِ، يُسْمِعُه من شاءَ من خلقهِ، متى شاءَ، وأنَّ كلماتِهِ تعالى لا تَنْفَدُ، ومن كان هذا وصْفُهُ لم تفارقْهُ صفتُهُ بتكلّمهِ مرَّةً أو مرَّاتٍ، وكانَ كلُّ ما تكلَّمَ به منسوباً إليه لا إلى غيرِهِ.



قالَ الإمام الحافظُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ–رحمه الله–(ت: ٢٢٧ هـ): "القُرْآنُ كلامُ الله ليسَ ببائنٍ من الله". (١)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وإنَّ قولَ السَّلَف: (منه بدأ) لم يُريدوا به أنه فارقَ ذاتَهُ، وحَلَّ في غيره، فإنَّ كلامَ المخلوقِ، بل وسائرَ صفاتهِ لا تفارقُه وتَنْتَقِلُ إلى غيرِهِ، فكيفَ يجوزُ أنْ يفارقَ ذاتَ الله كلامُه أو غيرُهُ من صفاتِهِ". (٢)

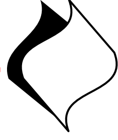
قالَ الله تعالى: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: الآية: ٦]** فالَّذي يسمَعُهُ المشْرك المستجيرُ من القارئ إنَّما هو كلامُ الله المضافُ إليه لا إلى غيرِهِ، فلو أن كلامَه بانَ منه وفارقَه لَما صَحَّتْ إضافَتُهُ إليه إضافةَ الصِّفَةِ إلى الموصوفِ.

وهذا الكلامُ بعَيْنِهِ هو الذي في مَصاحفِ المسلمينَ بلا شَكٍّ ولا ريبٍ، خِلافاً لِلَّفظيةِ من الأشعريةِ وغيرهم القائلينَ بأنَّ ما في المصاحفِ دلالةٌ على كلام الله، وليسَ هو كلامَ الله، وقد قالَ الله تعالى: **{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [الواقعة: الآيات: ٧٧–٨٠]، فأبان أنَّ كلامَه الذي هو وحيُهُ وتنزيلُهُ يكونُ في الكتاب المكنونِ، فكذلك كونُه في المصاحفِ، ونحنُ لا نعلَمُ القرآنَ إلاَّ هذا العربيَّ المنزَلَ، وهو الذي سمَّاه الله تعالى كلامَه.

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٦ بسند صحيح عنه.

(٢) "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٢٧٤ وانظر: ١٢/ ٥١٧ – ٥١٨، ٥٥٠، ٥٦١.



وقَدْ قالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم-: ((لا تُسافِروا بالقرآن إلى أرْضِ العَدُوّ، فإنِّي أخافُ أن ينالَهُ العدوُّ)). (١)

ولا خِلافَ في أنَّ النَّهيَ عن السَّفر بالقرآن، إنَّما هو النَّهْيُ عن السَّفَرِ بالمصاحفِ، لأنَّ القرآنَ إنَّما يكونُ فيها، وهي التي تُحْمَلُ وتُنْقَلُ، ولا نعلَمُ القرآنَ إلاَّ كلامَ الله المنزَلَ على الحقيقةِ.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وممَّا كانَ أحمدُ أنكرَه من قولِ الجهميَّةِ قولُ من زعَمَ أنَّ القرآنَ ليسَ في الصُّدورِ، ولا في المِصاحفِ". (٢)

الجانب الثاني: (**إليه يعود**)

وقد اختلف العلماء في تفسير معنى قوله: وإليه يعود.

القول الأول: وقد تأوَّلَهُ بعضُ أهلِ السُّنَّة بعَودِ تلاوته وقراءته التي هي كَسْبُ العبدِ.

---

(١) أخرجه مالك٢/ ٤٤٦, والشـــافعي رقم (١١٤٩، ١١٥٠)، وأحمد رقم (٤٥٠٧، ٤٥٢٥، ٤٥٧٦، ٥١٧٠، ٥٢٩٣)، والبخاري ٦/ ١٣٣، ومسـلم رقم (١٨٦٩)، وأبو داود رقم (٢٦١٠)، والنسائي في "فضائل القرآن" –من "الكبرى"– رقم (٨٥)، وابن ماجة رقم (٢٨٧٩، ٢٨٨٠)، من طرق عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً.
وتابع نافعاً عليـه عبـد الله بن دينـار، أخرجـه أحمـد رقم (٦١٢٤) وابن أبي داود في "المصاحف" ص: ١٨٣ بسند صحيح عنه.
وكذا تابعه سالم عن أبيه، أخرجه ابن أبي داود ص: ١٧٩ – ١٨٠ بسند صالح في المتابعات.

(٢) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

وهذا المعنى حَق، فإنَّه تعالى: **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}** [فاطر: الآية: ١٠]

القول الثاني: يعود إليه نسبة.

أي أنه يعود إلى الله تعالى وصفا، فهو الموصوف به سبحانه وتعالى لا يوصف به أحد سوى الرب سبحانه وتعالى.

قال ابن النجار الفتوحي–رحمه الله–(ت ٩٧٢ هـ): "قال أحمد: كلام الله من الله ليس ببائن منه. وقد جاء في الأحاديث والآثار "أنه منه بدأ، ومنه خرج، وإليه يعود" نصا منه، ومن غيره عليه.

ومعنى ذلك: أنه هو المتكلم به، أو الذي يخرج منه، ولا يقتضي ذلك أنه يباينه وانتقل عنه. (١)

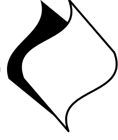
وقال: ومعلوم أن كلام المخلوق لا يباين محله. (٢)

قال أحمد: منه بدأ وإليه يعود. (٣)

وقال: منه بدأ علمه، وإليه يعود حكمه. (٤)

---

(١) ينظر: فتاوى ابن تيمية ١٢/ ٥٢، مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٣٥.
(٢) ينظر: مسائل الإمام أحمد ص ٢٦٦.
(٣) ينظر: فتاوى ابن تيمية ٢/ ٥١٧.
(٤) ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة ٢/ ٥١٨.



وقال تارة: منه خرج، وهو المتكلم به، وإليه يعود، وهو القرآن". (١)

القول الثالث: يُسرى به من الأرض في آخر الزمان، كما روي في بعض الآثار أنه إذا لم يعمل الناس بالقرآن، أي: أطبقت الأرض على عدم العمل به، ينزه الله كتابه فيرفعه من صدور الناس ومن مدادهم.

وبهذا جاء الخبرُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وغيرِه من أصحابه.

فأمَّا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

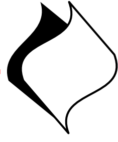
١-**عن حذيفة بن اليمان (ت: ٣٦ هـ)، وأبي هريرة-(ت: ٥٧ هـ)-رضي الله عنهما-**، قالا: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((يسرى على كتاب الله ليلا، فيصبح الناس ليس في الأرض ولا في جوف مسلم منه آية)). (٢)

٢ - عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال:

---

(١) ينظر: الفتوحي، شرح الكوكب المنير شرح مختصر التحرير ٢/ ٨٨.

(٢) أورده الديلمي في الفردوس ٥/ ٤٨٨ (٨٨٤٨) عن أبي هريرة. وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ، وابن مردويه.



((يسرى على كتاب الله عز وجل فيرفع إلى السماء؛ فلا يصبح في الأرض آية من القرآن ولا من التوراة والإنجيل ولا الزبور، وينتزع من قلوب الرجال فيصبحون ولا يدرون ما هو)). (١)

ومما ورد من الآثار (٢):

١-وعن شَدَّاد بن مَعْقِل-رحمه الله-أنَّ عبد الله بن مسعودٍ-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، قال:

"لَيُنْتَزَعَنَّ هذا القرآنُ من بين أظْهُرِكُمْ".

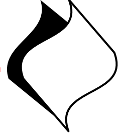
قال: قلتُ: يا أبا عبد الرَّحمن! كيفَ يُنْتَزَعُ وقد أثْبَتْنَاهُ في صُدورِنا، وأثبتناهُ في مَصاحِفنا؟

قالَ: "يُسْرى عليهِ في ليلةٍ، فلا يَبقى في قَلْبِ عَبْدٍ منه، ولا مُصحَفٍ منه شَيْءٌ، ويُصْبِحُ الناسُ فُقَراءَ كالبَهائم".

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم: ٨٥٤٤، وقال الإمام الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط الإمام مسلم.

(٢) كما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣/ ٣٦٢، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥٣٤، والبخاري في خلق أفعال العباد، رقم ٣٨١، ٣٨٢، وسعيد بن منصور في السنن ٢/ ٣٣٥، وابن جرير الطبري في التفسير ١٥/ ١٥٨، والبيهقي في السنن ٦/ ٢٨٩.



ثمَّ قرأ عبد الله: **{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا}** [الإسراء: الآية: ٨٦]". (١)

٢-**عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، من طريق زر بن حبيش- قال: "ليسرين على القرآن في ليلة، فلا تترك آية في قلب رجل ولا مصحف إلا رفعت". (٢)

٣-**عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، من طريق عبد الله بن عتبة بن مسعود- قال: "اقرءوا القرآن قبل أن يرفع، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الناس؟ قال: يعدى عليه ليلا فيرفع من صدورهم، فيصبحون فيقولون: لكأنا كنا نعلم شيئا. ثم يقعون في الشعر". (٣)

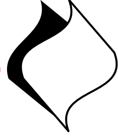
٤-**عن حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه-(ت: ٣٦ هـ)**، من طريق ربعي بن حراش- قال: "يوشك أن يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، ويقرأ الناس القرآن لا يجدون له حلاوة، فيبيتون ليلة ويصبحون وقد أسري بالقرآن وما قبله من كتاب، حتى ينتزع من قلب

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٨٥٣٨) وصحَّحه، وأخرجه الطبراني (٨٧٠٠)، وله طُرُقٌ مرفوعةٌ وموقوفةٌ، ذَكَرَ تخريجَها الشوكانيُّ في «فتح القدير» (٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(٢) أخرجه يحيي بن سلام ١/ ١٦١. وعزاه السيوطي إلى ابن أبي داود في المصاحف.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٢٦).



شيخ كبير وعجوز كبيرة، فلا يعرفون وقت صلاة ولا صيام ولا نسك، حتى يقول القائل منهم: إنا سمعنا الناس يقولون: لا إله إلا الله. فنحن نقول: لا إله إلا الله". (١)

٥-**عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، من طريق أبي حازم- قال: "يسرى على كتاب الله، فيرفع إلى السماء، فلا يبقى في الأرض آية من القرآن ولا من التوراة والإنجيل والزبور، فينزع من قلوب الرجال، فيصبحون في الضلالة، لا يدرون ما هم فيه". (٢)

٦-**عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-(ت: ٦٥ هـ)**، قال: "لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي حول العرش كدوي النحل، يقول: أتلى ولا يعمل بي". (٣)

٧-**عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-(ت: ٤٠ هـ)**: "يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول لا إله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين ذنبه فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما يجمع قرع الخريف. ثم قال علي: إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم، يقولون: القرآن مخلوق. وليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله، منه بدأ وإليه يعود". (٤)

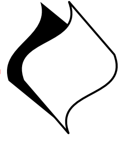
---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه ١/ ٤٠٠.

(٢) أخرجه الحاكم ٤/ ٥٠٦. وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٣) عزاه السيوطي إلى محمد بن نصر في كتاب الصلاة.

(٤) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد ٢/ ٢٥٤ عن علي رضي الله عنه موقوفًا.



٨-**عن عكرمة-رحمه الله-(ت: ١٠٥ هـ) قال: كان ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**، في جنازة، فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: "اللهم رب القرآن اغفر له. فوثب إليه ابن عباس فقال: "مه، القرآن منه" زاد الصهبي في حديثه فقال ابن عباس: "القرآن كلام الله ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود". (١)

٩-**عن شمر بن عطية-رحمه الله-(ت: في ولاية خالد القسري)**، قال: "يسرى على القران في ليلة، فيقوم المتهجدون في ساعاتهم فلا يقدرون على شيء، فيفزعون إلى مصاحفهم فلا يقدرون عليها، فيخرج بعضهم إلى بعض فيلتقون، فيخبر بعضهم بعضا بما قد لقوا". (٢)

١٠-**عن عمرو بن دينار-رحمه الله-(ت: ١٢٦ هـ)**، يقول: "أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود". (٣)

١١- **سفيان الثَّوْري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ).**

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخلوقٍ، منه بَدَأ وإليه يعودُ، مَنْ قال غيرَ هذا فهو كُفْرٌ".

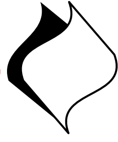
١٢- **أبو بكر بن عيَّاش (ت: ١٩٣ هـ).**

---

(١) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد ٢/ ٢٥٦.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي داود، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد ٢/ ٢٦٠. وذكر الحافظ ضياء الدين المقدسي في "اختصاص القرآن" فقرة [٦] عشرة أنفس من الصحابة أدركهم عمرو بن دينار فيهم: عبد الله بن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وجابر بن عبد الله، وغيرهم.



قال: "القرآنُ كلامُ الله، ألقاه إلى جبرائيلَ، وألقاهُ جِبرائيلُ إلى محمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم–، منه بدَأ، وإليه يعودُ". (١)

١٣–سفيان بن عُيَيْنَة–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ).

سأله رجُلٌ: يا أبا محمَّدٍ، ما تقولُ في القرآنِ؟ فقال: "كَلامُ الله، مِنْهُ خَرجَ وإليه يَعودُ".

١٤– الإمام أحمدُ بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ).

قال: "لقيتُ الرِّجالَ، والعُلَماءَ، والفُقَهاءَ، بمكَّةَ، والمدينةِ، والكُوفةِ، والبَصْرةِ، والشامِ، والثُّغورِ، وخُراسانَ، فرأيتُهم على السُّنَّة والجَماعَة، وسألتُ عنها –يعني هذه اللفظة– الفُقَهاءَ؟ فكلٌّ يقولُ: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوق، منه بدَأ، وإليه يعودُ". (٢)

وقالَ: "لم يَزَلِ الله عالماً متكلّماً، نعبُدُ الله لصِفاتهِ، غير محدودَةٍ ولا مَعلومةٍ إلَّا بما وصَفَ به نفسه، ونردُّ القرآن إلى عالمهِ تبارك وتعالى، إلى الله، فهو أعلَمُ به، منه بَدَأَ وإليه يَعودُ". (٣)

١٥– أبو جعفر أحمد بن سِنان الواسطي (ت: ٢٥٦ هـ).

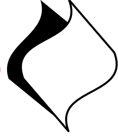
قال: "مَن زَعَمَ أنَّ القرآنَ شَيْئَين أو أنَّ القرآنَ حِكايةٌ، فهو والله الذي لا إله إلاَّ هو، زِنديقٌ كافرٌ بالله، هذا القُرْآنُ هو القُرآنُ الذي أنزله الله على لسانِ جبريلَ على محمَّد –صلى

---

(١) جميع هذه الآثار الأربعة صحيحة، انظر تخريجها في التعليق على "اختصاص القرآن" وأثر عمرو قد سبق ذكره.

(٢) ذكر هذا النص الحافظ الضياء في "اختصاص القرآن" عن المرّوذى عن أحمد، فقرة (٩).

(٣) رواه حنبل فى "المحنة" ص: ٤٥ عنه به.



الله عليه وسلم-، لا يغيَّر ولا يُبَدَّل: **{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}** [فصلت: الآية: ٤٢]، كما قالَ الله عزَّ وجلّ: **{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ...}** [الإسراء: الآية: ٨٨]، ولو أنَّ رجلاً حلفَ لا يتكلَّمُ اليومَ، ثمَّ قرأ القرآنَ، أو صلَّى وقرأ القرآنَ، أو سلَّمَ في الصَّلاةِ، لم يحنَثْ، لا يُقاسُ بكَلام الله شَيْءٌ، القرآنُ كلامُ الله، منه بَدَأ وإليه يَعودُ، ليس من الله تعالى شَيْءٌ مخلوقٌ، ولا صِفاتُهُ، ولا أسماؤُهُ، ولا عِلْمُهُ". (١)

وقال ابن قدامة-رحمه الله-(ت: ٦٢٠ هـ): "من كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود". (٢)

ونقلَ ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)، اتّفاقَ السَّلَفِ والأئمَّةِ على ذلك في غيرِ موضع من كلامه. (٣)

فبهذا يظهرُ لكَ معنى قولِ من قال من السَّلَفِ: "القرآنُ كلامُ الله، مُنْزَلٌ غيرُ مَخْلوقٍ، منه بدّأ وإليه يَعودُ".

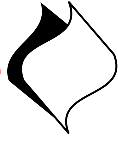
وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فقالوا: (منه بدأ) ردّاً على الجَهْمية الذين يقولون: بدأ من غيرِهِ، ومقصودُهُم أنَّه هو المتكلِّمُ به، كما قالَ تعالى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ

---

(١) أخرجه الضياء في "اختصاص القرآن" رقم (١٦).

(٢) لمعة الاعتقاد ص: ١٨.

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى": ٦/ ٥٢٨، ١٢/ ١٦٤.



مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر: الآية: ١]، وقالَ تعالى: {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ...} [السجدة: الآية: ١٣]، وأمثال ذلك". (١)

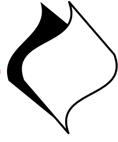
قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وأمَّا (إليه يَعودُ) فإنه يُسْرى به في آخِرِ الزَّمانِ، من المصاحفِ والصُّدور، فلا يبقى في الصُّدور منه كلمةٌ، ولا في المصاحف منه حرفٌ". (٢)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وَالَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ: أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَإِنَّمَا قَالَ السَّلَفُ: «مِنْهُ بَدَأَ» لِأَنَّ الجَهْمِيَّة-مِن المعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ-كَانُوا يَقُولُونَ: إنَّهُ خَلَقَ الكَلَامَ فِي المحَلِّ. فَقَالَ السَّلَفُ: «مِنْهُ بَدَأَ». أَيْ: هُوَ المتَكَلِّمُ بِهِ؛ فَمِنْهُ بَدَأَ، لَا مِنْ بَعْضِ المخْلُوقَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}** [الزمر: الآية:١]، وَقَالَ تَعَالَى: **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}** [السجدة: الآية: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: **{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}** [سبأ: الآية: ٦]، وقَالَ تَعَالَى: **{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ}** [النحل: الآية: ١٠٢].

---

(١) "درء التعارض"٢/ ١١٣.

(٢) "مجموع الفتاوى" ٣/ ١٧٤ - ١٧٥ عن المناظرة في الواسطية.



وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: «إِلَيْهِ يَعُودُ»: أَنَّهُ يُرْفَعُ مِن الصُّدُورِ وَالمِصَاحِفِ؛ فَلَا يَبْقَى فِي الصُّدُورِ مِنْهُ آيَةٌ وَلَا مِنْهُ حَرْفٌ، كَمَا جَاءَ فِي عِدَّةِ آثارٍ". (١)

سادسًا: أن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت مسموعين. (٢)

أولًا: إثبات الحرف.

ومن اعتقادِ السَّلَف في كلامِ الله تعالى أنَّ كلامَه جَلَّ وعَزَّ مؤلَّفٌ من الحُروفِ، إنْ شاءَ جَعَلَها عَرَبيَّةً، وإن شاءَ جعَلَها عِبْرانيَّةً، وإن شاء جَعَلها غيرَ ذلك، فهو المتكلّمُ بحُروفِ القرآنِ، والتَّوراةِ، والإِنجيلِ، وغيرِها من كلامِهِ.

---

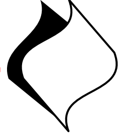
(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٥٢٨، ٥٢٩).

(٢) ممن ألف في مسألة الحرف والصوت:

١- : رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد لعبد الله بن يوسف بن محمد الجويني-رحمه الله-(ت: ٤٣٨ هـ).

٢-رسالة عبيد الله السجزي (ت: ٤٤٤ هـ)، إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، وهي رسالة مطبوعة.

٣-كتب أبو يعلى-رحمه الله-(ت: ٤٥٨ هـ)، جزءا سماه ايضاح البيان في مسألة القرآن، وهو مفقود، وهذا الكتاب نقل منه شيخ الإسلام في عدة مواطن من كتبه انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص ٣٢، مجموع الفتاوى ٦/ ١٥٨، درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٧٤.



قالَ تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم: الآية: ٤].

وقال تعالى: {الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [آل عمران: الآيات: ١ - ٤].

٤-كما ألف ابن عقيل (ت: ٥١٣ هـ)، كتابا في مسألة الحرف والصوت وقد طبع بعنوان جزء في الأصول أصول الدين مسألة القرآن أو الرد على الأشاعرة العزال وإثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال

أما ابن قدامه-رحمه الله-(ت: ٦٢٠ هـ)، فله ثلاثة كتب لهذا الغرض وهي مطبوعة:

٥-الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم

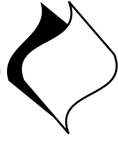
٦-والبرهان في بيان القرآن

٧-وكتاب حكاية المناظرة في القرآن.

٨-كما جمع محمد بن عبد الواحد المقدسي-رحمه الله-(ت: ٦٤٣ هـ) جزء في الأحاديث الواردة في هذه المسألة سماه جزء أحاديث الحرف والصوت وهو مفقود.

٩-كتاب "غاية المرام في مسألة الكلام" للشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الأرموي الشافعي. وقد طبعت رسالة بعنوان "جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات" ونسبت للنووي، ولكن جاء في ص: ٦٩ عبارة: "وهذا الذي ذكرناه جميعه من كلام الشيخ أبي العباس الأرموي رحمه الله".

١٠-كتاب طرف الطرف في مسألة الصوت والحرف تأليف الشيخ أبي العباس أحمد ابن يحيى الحنبلي-رحمه الله-(ت: ٩٤٨ هـ) وهو مطبوع..



فأخْبَرَ تعالى أنه أنْزَل الكُتُبَ: القرآنَ، والتَّوراةَ والإِنجيلَ، وإنَّما ذلك بلُغاتِ الرُّسل الذين أنْزَل عَلَيهم، وبلُغات أقوامِهم، لأجْلِ أن تقومَ الحُجَّةُ عليهم به، إذ لوكانَ بغيرِ لُغتهم ما فَقِهُوهُ. قال تعالى: **{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** [يوسف: الآيات: ١ – ٢]

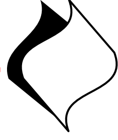
وقالَ تعالى: **{حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}** [الزخرف: الآيات: ١ – ٤]

وقالَ تعالى: **{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}** [النحل: الآية: ١٠٣].

وقالَ جَلَّ وَعَزَّ **{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ}** [الشعراء: الآيات: ١٩٢ – ١٩٩]

وقالَ تعالى: **{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** [الزمر: ٢٧ – ٢٨].

وقالَ سُبحانه: **{حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ}** [فصلت: الآيات: ١ – ٤].



وقالَ تعالى: **{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ...}** [فصلت: الآية: ٤٤].

فأخبرَ تعالى أنَّ القرآنَ الذي نزلَ به جِبريلُ عليه السَّلامُ منهُ تبارك وتعالى وحيُهُ وتنزيلُهُ، وهو هذا القرآنُ العربيُّ الذي أنْزِلَ على محمَّد -صلى الله عليه وسلم- بلغةِ قومِهِ، ليفقَهوهُ ويَعْقِلُوهُ ويعْلَمُوهُ.

وقولُه: **{لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}** أي: بلغةِ العربِ.

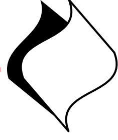
فالله تعالى تكلَّمَ به كذلك، بحروفهِ العربيَّةِ، كالألفِ والباءِ والتَّاءِ، ليسَ شَيْءٌ من ذلك قولَ أحَدٍ سِواهُ، وإنّما بلَّغَهُ جبريلُ عليه السَّلامُ عنه، وبلَّغَهُ محمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم- عن جِبريل، وهو الذي أعجزَ الكفَّارَ أنْ يأتوا بمثلِه، بَلْ تحدَّى الله تعالى الإنسَ والجنَّ أنْ يأتوا بمثلِهِ، كما قالَ تعالى: **{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}** [الإسراء: الآية: ٨٨].

فكونُهُ مؤلّفًا من الحُروفِ ظاهرٌ لا يَحْتاجُ إلى استدلالٍ، إذْ أنَّ كُلَّ أحَدٍ يعلَم أنَّ **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}** آيةٌ، وهي أربَعُ كَلِمَاتٍ، كلُّ كلمةٍ مؤلَّفةٌ من حَرْفيْنِ أو أكثر، وهي كَلِماتٌ عَرَبيَّةٌ، وحروفٌ عربيَّةٌ.

ولكنَّ بعضَ أهْلِ البدَعِ نازعَ في إطلاقِ لفظِ (الحَرْف) وأنَّه يَحتاجُ إطلاقُهُ إلى دليلٍ.

وهذا المنازع لا يَخْلو من أحَدِ حالَيْنِ:

إمّا أنْ يكونَ مُكابِرًا -كما هي سِمَة أهلِ البِدَعِ-.



وإمَّا أنْ يكونَ غَبيّاً جاهلًا.

وذلك أنَّ كُلَّ أحَدٍ يُبصرُ (آلمَ. آلمر. كهيعص. حم. طه. يس) لا يخطرُ ببالهِ غيرُ أنَّها حُروفٌ، وليسَ لها تسميةٌ إلاَّ هذهِ.

ونحن معَ ذلك نزيدُهُ حُجَجاً على صِحَّةِ إطلاقِ لهذه التَّسْميةِ من السُّنَّة وآثارِ السَّلَفِ، لنكْسِرَ أنفَ كِبْرِهِ، أو نَمْحُو جَهْلَ فِكْرِهِ، فمِنْ ذلك:

١ - **حديث ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**، قال: بينَما جِبريلُ قاعِدٌ عندَ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- سَمِعَ نقيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فرفَعَ رأسَه فقال:

((هذا بابٌ منَ السَّماءِ فُتِحَ اليومَ لم يُفْتَح قطّ إلاَّ اليوم، فَنَزَلَ منه مَلَكٌ، فقال: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلاَّ اليَوْم، فسَلَّمَ وقالَ: أبْشِرْ بنورَين أوتيتَهما لم يؤتَهُما نبيٌّ قبلَكَ: فاتحةِ الكتابِ، وخَواتيمِ سُورَةِ البقرَةِ، لَنْ تَقْرَأ بحَرْفٍ منهما إلاَّ أعْطِيتَه)). (١)

٢ - **حديث عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، قال:

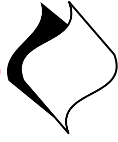
((تعلَّموا القرآنَ، فإنَّه يُكْتَبُ بكلّ حرفٍ منه عشرُ حسناتٍ، ويُكَفَّرُ به عَشْرُ سيّئاتٍ، أمَا إني لا أقول: {الم} ولكن أقولُ: ألفٌ عَشْرٌ، ولامٌ عَشْرٌ، وميمٌ عَشْرٌ)). (٢)

٣ - **وقول ابن عبَّاس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ):**

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٨٠٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦١.



"ما يمنَعُ أحدَكُم إذا رَجَعَ من سُوقِهِ، أو منْ حاجَتِهِ، إلى أهْلِهِ، أنْ يَقْرأ القرآنَ فيكونَ لَه بكلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَناتٍ". (١)

٤ - **وقالَ شُعَيْبُ بن الحَبْحاب -رحمه الله- (ت: ١٣٠ أو ١٣١ هـ)** (ثِقَةٌ منْ صِغار التَّابعينَ):

كانَ أبو العاليةِ -رحمه الله- (ت: ٩٠ هـ)، إذا قَرَأَ عنده رَجُلٌ لم يَقُلْ: ليس كما يَقرأ، وإنَّما يَقولُ: أمَّا أنا فأقرأ كَذا وكَذا، قال: فذكَرْتُ ذلك لإبراهيمَ النَّخَعيّ، فقالَ: أرى صاحِبَك قَدْ سَمِعَ: "أنَّ مَنْ كَفَرَ بحَرْفٍ منهُ، فقد كَفَرَ به كُلِّه". (٢)

مسألة الفرق بين الحروف التي يتكلم بها الله، والحروف التي يتكلم بها المخلوق.

الأول: الفَرْقُ بين الحُروفِ التي يتكلَّمُ الله بها، والحُروفِ التي يتكلَّمُ بها المخلوق.

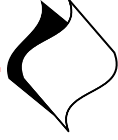
تنازع الناسُ في حُروف المعجم: هَلْ هي مخلوقةٌ؟ أو غيرُ مخلوقة؟

وليس في تحقيق ذلك كبيرُ فائدةٍ، وليس فيه نصٌّ عن معصومٍ يُصار إليه، وإنَّما يَجِبُ الكَفُّ عن إطلاقِ القَوْلِ بالخَلْقِ لئلاَّ يتوهّم متوهّمٌ أنَّ الحروفَ التي تكلَّم الله بها مخلوقةٌ.

---

(١) رواه ابن المبارك في "الزهد" رقم (٨٠٧) وسنده جيد.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ١٠/ ٥١٣ - ٥١٤ وابن جرير في "التفسير" رقم (٥٦) وسنده صحيح.



وذكرَ ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ) في غير مَوْضِع أنَّ الإمامَ أحمدَ–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، أنكرَ الإطلاقَ، لأنَّهُ مَسْلَكٌ إلى البِدْعَةِ، وإلى القَوْلِ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ. (١)

وكما يُمْنَع مِن إطلاق القَوْلِ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ، يُمْنَع أيضاً إطلاقُ القَوْل بأنَّ الحُروفَ غيرُ مخلوقةٍ، لئلا يتوهَّمَ متوهِّم أنَّ الحُروفَ التي هي مَباني كَلام الناس غيرُ مخلوقةٍ، والذي يجرُّ إلى القول بأنَّ ما يتكلَّمُ به العبادُ مِن كلام أنفُسهم هو نفسُه كلامُ الله، فيتحقَّقُ حينئذ للمَلاحِدَة كابن عربي الطائي وأمثاله صِحَّةُ قولِهم:

وكلُّ كَلامٍ في الوجودِ كلامُهُ ... سَواء علينا نَثْرُه ونِظامُهُ

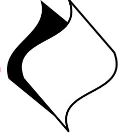
وهذا القولُ من أفحَش الباطِل، وأكفَر الكُفْرِ، إذ مَعْناه أنَّ كلَّ ما تلفِظُ به الخَلائق من الصِّدْق والكَذِبِ، والزُّورِ، والبُهْتان، وألفاظِ الخَنا والفُجور والكُفْر، كلامُ الله.

وحينئذ لا يتميَّزُ حَقٌّ من باطلٍ، ولا صِدْقٌ من كَذبٍ ولا كفرٌ من إيمانٍ.

وإنَّما الحَقُّ والصَّوابُ أن يُقالَ:

---

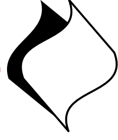
(١) انظر: "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٤١، ٨٤ – ٨٥، ٤٤٢.



إنَّ الحَرْفَ المجرَّد الَّذي هو جزءٌ من اللفظ، مثل: (ز) من كلمة: (زيد) لا يُقالُ فيه مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوق، لأنَّ الحرْفَ المجرَّدَ ليس كَلاماً، وإنَّما يقَع الكلام فيما ألّفَ من الحروفِ فأفادَ مَعنًى، ككلمةِ (زيد) اسمُ عَلَمٍ مَعْروفٌ. (١)

---

(١) فإن اعترض معترض بقوله تعالى: (الم)، (الر)، (ص)، (ن)، وما يشبهها مما جاء في أوائل بعض السور، وقال: إنَّها حروف، ونطلق أنَّها غيرُ مخلوقة لأنَّها كلام الله، فالجواب: أنَّ هذه ليست حروفاً مجردة، كحروف كلمة (زيد) وغيرها من الكلام المؤلف، وإنَّما هي أسماء للحروف، ألا ترى أنَّك تقرؤها: (ألف، لام، ميم ...)؟ فلو كان حرفاً مجرداً لقلت: (أ. لْ. مْ) فهي على ما تُلْفَظ وتُسْمَع لا على ما تُكْتب وترسم، وقد نقل شيخ الإسلام أنَّ الخليل بن أحمد -إمام العربية- سأل == أصحابَه: كيف تنطقون بالزاء مِن (زيد)؟ قالوا: نقول: (زا) قال: جئتم بالاسم، وإنَّما يقال: (زه) - "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٤٤٨ -.



والكلامُ المؤلَّفُ من الحُروف الذي يُفيد معنًى يُفَصَّل فيه: فإنْ كانَ كلاماً لله تعالى كانَ غيرَ مخلوقٍ، وإنْ كان كلاماً للعبد يُنْشِئُهُ من تِلقاء نفسهِ، ولا يُريدُ به قِراءةَ كلام الله فهو مَخلوقٌ، فقوله تعالى: **{فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا ....}** [الأحزاب: الآية: ٣٧] غيرُ مخلوق، وقولك: (جاءَني زيدٌ فأكرمتُهُ) مخلوقٌ، لأنَّ الأوَّل كلامُ الله تعالى نظمه وحروفه، والثانيَ كلامُكَ نظمه وحروفه.

ولو قالَ قائلٌ: (محمَّدٌ رسولُ الله) أو: (ألف، لام، ميم) لم يصحّ فيه إطلاق أنَّه مخلوقٌ، أو غيرُ مخلوق، حتى يُسْتَفْصَل منه، فإنْ أرادَ بهِ قِراءةَ كلامِ اللهِ كانَ غيرَ مخلوقٍ، وإنْ كان أنشأهُ مبتدِئاً مِن نفسهِ، أو يُبَلِّغُهُ عن غيرِهِ، وهو من إنشاءِ ذلكَ الغيرِ سِوى الله تعالى، كانَ مخلوقاً.

وقد سألَ **الحافظُ الثِّقَةُ أحمدُ بن الحَسن الترمذيُّ–رحمه الله–(ت: غير معروف)** الإمامَ أحمَدَ فقال:

قلتُ لأحمدَ بن حنبل: إنَّ الناسَ قد وقَعوا في أمرِ القرآنِ، فكيف أقولُ؟

قال: "أليسَ أنت مخلوق؟ ".

قلتُ: نعَمْ.

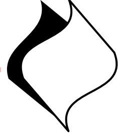
قال: "فكلامُكَ منك مخلوقٌ؟ ".

قلت: نعم.

قال: "أوَلَيس القرآنُ من كلامِ الله؟ ".

قلت: نعم.

قال: "وكلامُ الله؟ ".



قلت: نعم.

قال: "فيكون من الله شيءٌ مَخلوق؟ ". (١).

فتأمَّل هذا القولَ الموجَز فإنَّه من أسَدِّ الكلام وأحسَنِهِ، فرَّق الإمامُ أحمدُ فيه بَيْنَ كلامِ الله وكلامِ المخلوق، بأنَّ كلامَ الله هو الذي قالَه مبتدئاً، وكلامَ المخلوق هو الذي قالَه مبتدئاً، فلمَّا كان كلامُ الله ابتدأ منه كانَ غيرَ مخلوقٍ، لأنَّه ليسَ من الله شيءٌ مخلوق، ولما كانَ كلامُ المخلوقِ ابتدأ منه -بمعنى أنه هو الذي أنشأه- كانَ مخلوقاً، لأنَّ العبدَ بأفعاله جميعاً مخلوقٌ.

ثانيًا: إثبات الصوت.

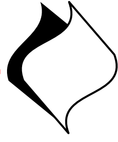
أ- حد الصوت.

قال المرداوي: "وحد الصوت: ما يتحقق سماعه، فكل متحقق سماعه صوت، وكل ما لا يتأتى سماعه البتة ليس بصوت، وحجة الحد كونه مطردا منعكسا.

وقول من قال: إن الصوت هو الخارج من هواء بين جرمين، فغير صحيح، لأنه يوجد سماع الصوت من غير ذلك، كتسليم الأحجار، وتسبيح الطعام والجبال، وشهادة الأيدي والأرجل، وحنين الجذع،

---

(١) رواه اللالكائي في "السُّنَّة" رقم (٤٥١) بسند صحيح.



وقد قال الله تعالى: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الإسراء: الآية: ٤٤]، وقال تعالى: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ} [ق: الآية: ٣٠]، وما لشيء من ذلك منخرق بين جرمين". (١)

ب–الأدلة على إثبات الصوت

وأمَّا كلامُهُ تعالى بصَوْتٍ، فقد قامت الدَّلائلُ القَواطِعُ على إثباتِهِ، وهو كسائِرِ صفاتِهِ تعالي، كلما أنَّها لا تَشْبَهُ صفاتِ المخلوقينَ، فصوتُهُ تعالى لا يشبَهُ أصواتَهم، وقياسُ الخالِقِ على المخلوقِ تَشْبيهٌ، والله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: الآية: ١١]، في ذاتِهِ، وجَميعِ صفاتِهِ.

والأدلَّةُ على إثباتِ كلامِ الله تعالى بصَوْتٍ كثيرةٌ، منها:

أولًا: الأدلة من القرآن:

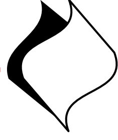
١ – تكليمُهُ تعالى لموسى عليه السَّلام، فإنَّه قالَ له: {فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ} [طه: الآية: ١٣].

فَدَلَّ هذا على أنَّهُ سَمِعَ كلامَ الله تعالى، ولا يُسْمَعُ إلاَّ الصَّوْتُ، وربُّنا تعالى قَدْ خاطَبَنا باللِّسانِ العَرَبيّ الذي نفْهَمُهُ، وليسَ فيه سَماعٌ يحصَل من غير صَوْتٍ. (٢)

---

(١) التحرير شرح التحبير ٣/ ١٣٤٦–١٣٤٥.

(٢) انظر: "درء تعارض العقل والنقل" ٢/ ٩٣.



وسبق أنْ بيّنّا أنَّ كلامَ الله لموسى كانَ أعلى درجاتِ التَّكليمِ، وليس هو من جنسْ الإلهاماتِ، وإنَّما هو كلامٌ مسموعٌ بالآذانِ.

وقد **قالَ عبد الله بن أحمدَ بن حَنْبل-(ت: ٢٩٠ هـ)**: سألْتُ أبي رحمه الله عن قومٍ يقولونَ: لما كلَّمَ الله موسى لم يتكلَّمْ بصَوْتٍ؟ فقال أبي:

"بَلَى، إنَّ ربَّكَ-عَزَّ وَجَلَّ-تَكَلَّمَ بصَوْتٍ، هذه الأحاديثُ نَرْويها كما جاءت". (١)

واحتجَّ لذلكَ بحديث ابن مَسعودٍ الآتي.

وقالَ الإمام أبو بكر المَرُّوذِيُّ-رحمه الله-(ت: ٢٧٥ هـ) صاحبُ الإمام أحمدَ: سمعتُ أبا عبد الله -يعني أحمدَ- وقيل له: إنَّ عبْدَ الوهّاب قَدْ تكلَّم وقالَ: مَنْ زعَمَ أنَّ الله كلَّمَ موسى بلا صَوْتٍ فهو جَهميٌّ عدُوُّ الله وعدوُّ الإسلام، فتبسَّمَ أبو عبد الله وقال: "ما أحسَنَ ما قال، عافاه الله". (٢)

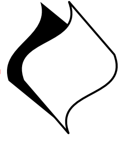
وقال عبدُ الله بن أحمدَ-رحمه الله-(ت: ٢٩٠ هـ) أيضًا: قلتُ لأبي: إنَّ ههُنا مَنْ يقولُ: إنَّ الله لا يتكلَّمُ بصوْتٍ، فقال: "يا بُنيَّ، هؤلاء جَهْميَّةٌ زنادِقَةٌ، إنَّما يَدوُرونَ على التَّعطيل" وذكرَ الآثارَ في خِلاف قَوْلهم. (٣)

---

(١) رواه عبد الله في "السنة" رقم (٥٣٣) عنه.

(٢) رواه الخلاّل عن المرّوزي به -كما في "درء التعارض ٢/ ٣٨ - ٣٩.

(٣) ذكر هذا النَّص شيخ الإسلام -كما في "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٣٦٨ - ونسبه إلى "كتاب السنة" لعبد الله، ولم أقف عليه فيه، فلعله وقع له في نسخة.



٢ - إخبارُه تعالى عن ندائِهِ لموسى عليه السَّلام، ولعبادهِ يومَ القيامةِ.

وذلك في عدَّةِ مَواضِعَ مِن كتابِهِ، منها:

قوله تعالى: **{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}** [النازعات: الآيات: ١٥، ١٦]

وقوله تعالى: **{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}** [مريم: الآية: ٥٢].

وقوله تعالى: **{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى}** [طه: الآية: ١١].

وقوله تعالى: **{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ}** [القصص: الآية: ٦٥].

وقوله تعالى: **{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}** [القصص: الآيات: ٦٢، ٧٤].

والنِّداءُ: **قال الجوهَريّ-رحمه الله-(ت: ٣٩٣ هـ)**: "الصَّوْتُ، وقد يُضَمّ، مثل: الدُّعاء، والرُّغاء، وناداه مُناداةً، ونِداءً، أي: صاحَ به". (١)

وفي "اللسان": النِّداءُ -ممدودٌ- الدُّعاءُ بأرفَع الصَّوْت، وقد نادَيْتُه. (٢)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "والنِّداء في لغة العَرَب: هو صوتٌ رَفيعٌ، لا يُطلَق النِّداء على ما ليسَ بصوتٍ، لا حَقيقةً ولا مَجازًا". (٣)

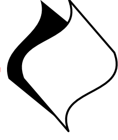
وما قالَه ابن تيمية مُوافق لِما ذكر عن أهلِ اللغةِ من أنَّ النداءَ الصَّوتُ الرَّفيعُ.

---

(١) "الصحاح" مادة (ندا). نِداءً" (٣٠). (١).

(٢) "اللسان" مادة (ندي).

(٣) "مجموع الفتاوى" ٦/ ٥٣١.



فإذا عُلِمَ هذا ثَبَتَ أنَّ الله تعالى نادى موسى بصَوْتٍ، ويُنادِي بصَوتٍ عبادَه يومَ القيامةِ.

ثانيًا: الأدلة من السنة.

١- **حديثُ عبد الله بن أنَيسٍ-رضي الله عنه-(ت: ٥٤ هـ)**، قال: سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

((يَحْشُرُ الله العبادَ -أو الناسَ- عُراةً غُرْلًا بُهْمًا".

قلنا: ما بُهْماً؟ قال:

"ليسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، فَيُناديهم بصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ -أحسَبُه قالَ: كما يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ-: أنا المَلِكُ، أنا الدَّيَّانُ ...)). الحديث. (١)

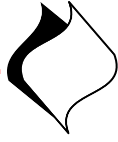
وهذا الحديثُ صَريحٌ في إثْباتِ كلام الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ، وقَد احْتجَّ به على ذلك **إمامُ أهل الحديث محمَّدُ بن إسماعيل البُخاريُّ-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ)**، فقال:

"وإنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- ينادي بِصَوْتٍ، يَسْمَعُه مَنْ بَعُدَ كما يَسْمَعه من قَرُبَ، فليسَ هذا لغير الله جَلَّ ذكرُه، وفي هذا دليلٌ أنَّ صوتَ الله لا يشبَهُ أصواتَ الخَلْقِ، لأنَّ صوتَ الله جلَّ ذكرُهُ يُسْمَع من بُعْدٍ كما يُسْمَع من قُرْبٍ ... " ثُمَّ أسنَدَ الحديثَ. (٢)

---

(١) أخرجه البخاري معلقا بصيغة التمريض مختصراً قبل حديث (٧٤٨١)، وأخرجه موصولاً أحمد (١٦٠٤٢) مطولا باختلاف يسير.

(٢) "خلق أفعال العباد" ص: ١٤٩.



٢- **حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، أنَّ نبيَّ الله -صلى الله عليه وسلم-قال: ((**إذا قَضى الله الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بأجْنِحَتِها خُضْعانًا لقولِهِ، كأنَّه سلْسِلةٌ على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّعَ عن قُلوبِهم قالوا: ماذا قالَ**)). (١)

ولقد أبى بعضُ أهل البدع الاحتجاجَ بهذا الحديث على إثبات الصوت لله تعالى، وأوَّلَه بأنَّه من مَجاز الحذف، والتقدير: يأمر من ينادي.

- وهذا باطلٌ من أوجهٍ:

الأول: أنَّ الأصلَ في الإطلاق الحقيقة، وهذا ربَّما وافقنا فيه المبتدع في مواضع أُخرى.

والثاني: أنَّ التقدير إنَّما يُصار إله في أحد حالين:

- دلالة القرينة.

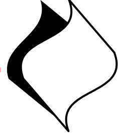
- عدم استقامة السياق.

وكلاهما منتفٍ هُنا، فلا قرينةَ تدعو إلى هذا التقدير سِوى التنزيه في دعوى المبتدع، وهو عندنا غير مُنتفٍ، وشأنها كسائر صفات الباري تعالى، نُثْبِتُها مع التنزيه.

وأمَّا السياق فهو مستقيمُ لا اضطرابَ فيه، ويؤكِّده الوجهُ الآتي.

والثالث: أنَّه خُروجٌ عن الظاهر بغير برهان، بلْ إنَّ البرهانَ ضِدُّه، ألا تَراه قال: "أنا المِلِكُ، أنا الديّان ... "؟ فهل يُناسبُ أن يكون هذا كلاماً لغير الله مِن مَلَكٍ أو غيرِه؟

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٠).



ربُّكُم؟ قالوا للَّذي قال: الحَقَّ، وهو العليُّ الكبيرُ". (١)

وفي لفظ: ((**إنَّ الله إذا قضى أمْراً في السَّماءِ، ضَرَبتِ الملائكةُ بأجْنحتِها جَميعاً، ولقولهِ صَوْتٌ كصَوْتِ السِّلْسِلةِ على الصَّفا الصَّفوانِ، فذلكَ قوله: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}** [سبأ: الآية: ٢٣])). (٢)

ووجه الاستدلال بهذا اللَّفظ ظاهرٌ، وذلكَ أنَّ قولَه: "ولقوله صوتٌ كصوتِ السِّلْسِلَة" صَريحٌ في أنَّ قولَه تعالى وكلامَه يكون بصوتٍ.

وأمَّا اللفظُ الأوَّل فإنَّ الضَّميرَ في قوله: "كأنَّه سِلْسِلة" عائدٌ إلى أقرب مذكورٍ، وهو قوله: "لقولِه" فقوله: "سِلْسِلَة على صَفْوان" تضمَّنَ إثباتَ الصَّوتِ للمُخْبَرِ عنه الذي هو القولُ، فيظهرُ بهذا إثباتُ قولِهِ تعالى وكلامِهِ بصَوْتٍ.

ولكنَّ بعضَ أهل البِدَع أبَوْا ذلك من أجْلِ أنْ يُبْطلوا تَكَلُّمَ الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ، فقالوا: الضَّميرُ في قوله: "كأنَّه" عائدٌ على أجنحةِ الملائكةِ، فالصَّوتُ صَوْتُ أجْنِحةِ الملائكةِ.

ولهذا ظاهرُ البُطلانِ لوَجهينِ:

الأول: أنَّ الضَّميرَ في الأصْل يعودُ إلى أقرَب مذكورٍ.

والثاني: أنَّه ضميرُ مذكَّرٍ، ولو كان عائداً على أجنحةِ الملائكة لكانَ مؤنَّثاً.

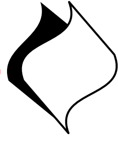
فإن قيلَ: هذان الوجهان تصرفهُما القَرائن!

قلنا: نعَمْ، إن وُجِدتْ، لكنَّها هنا مُنْتفية، يؤَكِّدُ نفْيَها اللَّفظُ الثاني

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٣٨٠، ٥٣٧ و١٣/ ٤٥٣.

(٢) أخرجه ابن جرير في "التفسير" ٢٢/ ٩١.



لحَديث أبي هُرَيْرَة كما تَراه.

والحديثُ مِمَّا احتجَّ به البخاريُّ-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ ﻫ)، لإِثباتِ تَكَلُّم الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ. (١)

٣- **حديث عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ ﻫ)** قال:

"إنَّ الله إذا تكلَّمَ بالوَحْي، سَمِعَ أهلُ السماواتِ للسَّماءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسلةِ على الصَّفا، فيُصْعَقونَ، فلا يزالونَ كذلك حتى يأتيَهم جِبريلُ، فإذا جاءَهم جِبْريلُ فُزِّعَ عن قُلوبِهم، قال: فيقولونَ: يا جبريلُ، ماذَا قالَ رَبُّكَ؟ قال: الحَقَّ". (٢)

وفي لفظٍ عن عبد الله قال:

"إذا تكلَّمَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالوحْيِ سَمِعَ صوتَهُ أهلُ السَّماءِ، فَيَخِرّونَ سُجْداً **{حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ}** [سبأ: الآية: ٢٣]، قال: سُكِّنَ عنْ قُلُوبِهم -نادى أهلُ السَّماءِ: **{مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ ...}** [سبأ: الآية: ٢٣]، قال: كَذا وكَذا". (٣)

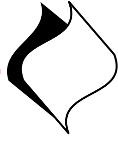
وهذا الحديث مما احتجّ به الإِمامُ أحمد لإثبات كلام الربّ تعالى بصوتٍ.

---

(١) "خلق أفعال العباد" ص: ١٥١.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في "التوحيد" ص: ١٤٦، ١٤٧ وابن جرير ٢٢/ ٩٠ وعبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم (٥٣٧) والبيهقي في "الأسماء والصفات".

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم (٥٣٦) والخَلاَّل -كما في "درء التعارض" ٢/ ٣٨ - عن الإمام أحمد.



قال ابنُه عبد الله، قال أبي رحمه الله:

"**حديث ابن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)**: إذا تكلَّم الله عَزَّ وَجَلَّ سُمِعَ له صَوْتٌ كَجَرّ السِّلْسِلة على الصَّفْوان".

قال أبي: "وهذا الجهميةُ تُنْكِرُهُ".

وقال أبي: هؤلاء كُفَّارٌ، يُريدونَ أن يُمَوِّهوا على النَّاسِ، مَنْ زَعَمَ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يتكلَّمْ فهو كافرٌ، إلاَّ أنَّا نروي هذه الأحاديث كما جاءَت". (١)

ثالثًا: أقوال العلماء في إثبات الصوت.

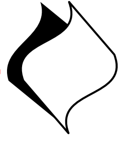
قال البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ)، في إثبات الصوت: "وأن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله جل ذكره.

قال أبو عبد الله: وفي هذا دليل على أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوته جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يَصعقوا". (٢)

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم (٥٣٤)، ونحوه روى الخلاَّلُ عن يعقوب بن بختان –أحد الثقات من أصحاب أحمد–عن أحمد–كما في "درء التعارض" ٢/ ٣٨.

(٢) "خلق أفعال العباد"، للبخاري، ص١٤٩. (٢).



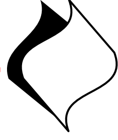
وقال الحافظُ أبو نَصْرٍ السِّجْزيُّ-رحمه الله-(ت: ٤٤٤ هـ): "وليسَ في وجود الصَّوْتِ من الله تعالى تَشبيهٌ بمَنْ يوجَد الصَّوْتُ منه من الخَلْق، كما لَمْ يكنْ في إثباتِ الكلامِ له تشبيهٌ بمنْ له كلامٌ من خلقِهِ". (١)

وقال الإمام ابن قدامة-رحمه الله-(ت: ٦٢٠ هـ): "ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}** [النساء: الآية: ١٦٤] وقال سبحانه: **{يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي}** [الأعراف: الآية: ١٤٤] وقال سبحانه: **{مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ}** [البقرة: الآية: ٢٥٣] وقال سبحانه: **{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}** [الشورى: الآية: ٥١] وقال سبحانه: **{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى - إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}** [طه: الآية: ١١ - ١٢] وقال سبحانه: **{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي}** [طه: الآية: ١٤] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ): " إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء "، روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عبد الله بن أنيس عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: ((**يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما**

---

(١) "درء تعارض العقل والنقل" ٢/ ٩٣.



فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان))، رواه الأئمة واستشهد به البخاري". (١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "واستفاضت الأثار عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم-، والصَّحابةِ، والتابعين، ومَن بعدَهم من أئمَّةِ السُّنَّة، أنَّه سبحانه يُنادي بصَوْتٍ، نادى موسى، ويُنادي عِبادَه يومَ القيامةِ بصَوْتٍ، ويتكلَّمُ بالوحي بصَوتٍ، ولم يُنْقَل عن أحدٍ من السَّلَفِ أنه قال: إنَّ الله يتكلَّمُ بلا صَوْتٍ، أو بِلا حَرْفٍ، ولا أنَّهُ أنْكَرَ أنْ يَتَكَلَّمَ الله بصَوْتٍ، أو بحَرْفٍ". (٢)

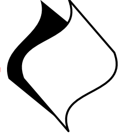
وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وليسَ في الأئمَّة والسَّلَف من قالَ: إنَّ الله لا يتكلَّمُ بصَوْتٍ، بل قَدْ ثبَتَ عن غير واحدٍ من السَّلَفِ والأئمَّة أنَّ الله يتكلَّمُ بصَوْتٍ، وجاءَ ذلك في آثارٍ مشهورةٍ عن السَّلَفِ والأئمَّةِ، وكانَ السَّلَفُ والأئمةُ يذكرونَ الآثارَ التي فيها ذكرُ تَكلُّمِ الله بالصَّوْتِ ولا يُنْكِرُها منهم أحدٌ". (٣)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): " قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم: إن الله تعالى لم يزل متكلما إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره

(١) "لمعة الاعتقاد" ص١٥. "خلق أفعال العباد"، للبخاري، ص١٤٩. (١).

(٢) "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٣) "مجموع الفتاوى" ٦/ ٥٢٧، وانظر: ٢٤٤.



من الكتب الإلهية كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقا. ولا يقولون إنه صار متكلما بعد أن لم يكن متكلما ". (١)

وقال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-(ت: ٧٩٢ هـ): " أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة". (٢)

الأقوال في مسألة الصوت.

والذين قالوا: إن الله يتكلم بصوت أربع فرق:

فرقة قالت: يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه، وهم المعتزلة.

وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم لم يزل ولا يزال، وهم السالمية والاقترانية.

وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم حادث في ذاته بعد أن لم يكن، وهم الكرامية.

وقال أهل السنة والحديث: لم يزل الله متكلما بصوته إذا شاء.

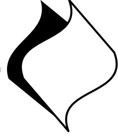
والذين قالوا: لا يتكلم بصوت فرقتان:

١-أصحاب الفيض،

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١٧٣/١٢).

(٢) "شرح الطحاوية" (١٧٤/١).

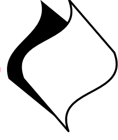


٢-والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس". (١)

أصل الخلاف في مسألة الصوت:

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "أول ما ظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المائة الثالثة، فإنه لما ظهرت الجهمية المعطلة في إمارة أبي العباس المأمون (ت: ٢١٨ هـ)، وأدخلته في آرائها بعد أن كانوا أذلاء مقموعين، وهؤلاء كان عندهم أن الله لا يتكلم أصلا بحرف، ولا صوت ولا معنى ولا يرى، ولا هو مستو على عرشه، ولا علم ولا حياة ولا إرادة ولا حكمة تقوم به فلما وقعت المحنة وثبت الله خلفاء الرسل وورثة الأنبياء على ما ورثوه عن الأنبياء والمرسلين، وعلموا أن باطل أولئك هو نفاق مشتق من أقوال المشركين والصابئين الذين هم أعداء الرسول وسوس الملك، وظهر للأمة سوء مذاهب الجهمية وما فيها من التعطيل ظهر حينئذ عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري (ت: ٢٤١ هـ) وأثبت الصفات موافقة لأهل السنة، ونفى عنها الخلق ردا على الجهمية والمعتزلة، ولم يفهم لنفي الخلق عنها معنى إلا كونها قديمة قائمة بذاته سبحانه، فأثبت قدم العلم والسمع والبصر والكلام وغيرها، ورأى أن القديم لا يتصور أن يكون حروفا وأصواتا لما فيها من التعاقب وسبق بعضها بعضا،

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٥٢٨-٥٢٩.



فجعل كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق هو مجرد معنى أو معان محصورة، وسلك طريقة خالف فيها المعتزلة، ولم يوافق فيها أهل الحديث في كل ما هم عليه، فلزم من ذلك أن يقول إن الله لم يتكلم بصوت وحرف وتبعه طائفة من الناس.

وأنكر ذلك الإمام أحمد وأصحابه كلهم، والبخاري صاحب الصحيح، فقال عبد الله بن أحمد في كتاب السنة: قلت لأبي: يا أبت إن قوما يقولون إن الله لم يتكلم بصوت، فقال: يا بني هؤلاء الجهمية إنما يدورون على التعطيل يريدون أن يلبسوا على الناس، بلى تكلم بصوت". (١)

مسألة الصوت المسموع من القارئ.

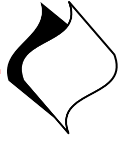
الصَّوْتُ المسموعُ من القارئ وهو يتلو كلامَ الله، هو صَوْتُ القارئ، لا صَوْت الله تعالى، كما نصَّ عليه الأئمَّةُ كأحمدَ وغيرِهِ. (٢)

وذلكَ أنَّ صوتَ العبْدِ إنَّما هو فعلُه القائمُ به، وأفعاله جميعاً مضافة إليه مخلوقةٌ كخَلقهِ، لكنَّ المسموعَ بصَوْتهِ، الذي نطَقَ به لسانُهُ، وتحرَّكَتْ به شفَتاهُ، كلامُ الله تعالى.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٥٢٥-٥٢٦.

(٢) ذكر ذلك شيخ الإسلام في "درء التعارض" ٢/ ٤٠.



والدَّليلُ على ذلكَ قولُ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–: "زيّنوا القرآنَ بأصواتِكم". (١)

فأضافَ النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– الأصواتَ إلى القُرّاء، لأنَّها اكْتِسابُهُمْ وفعلُهُمْ، وفرَّقَ بينها وبينَ القرآن الذي هو كلامُ الله ووحيُهُ وتنزيلُهُ، الذي لا يكونُ من التالي سِوى قراءتِه وأدائِه وتبليغهِ.

فالقرآنُ كلامُ الله مُضافٌ إليه تعالى لأنَّه منهُ، لا يُضافُ للتالي لأنَّه أدّاه بصَوتِهِ وحَرَكَتِهِ، شأن كلّ كلامٍ سواه يُبلِّغهُ الواحدُ مِنَّا، فإنَّهُ إنَّما يُضافُ إلى مَن قالَه مُبتدئاً.

فقولُكَ: "إنَّمَا الأعمالُ بالنّياتِ، وإنَّما لكلّ امرئٍ ما نَوى" (٢) تُبلّغُه أنتَ بصَوْتِكَ وحَرَكَتِكَ، وليسَ لك من نظْمِهِ شيْءٌ، إنَّما هو كلامُ النَّبي –صلى الله عليه وسلم– بلفظِهِ ومعناه، ولو قلتَ: هو كَلامي، لكذّبكَ مَن يسمَعُك، إذ ليسَ لك من ذلك إلاَّ التبليغُ والأداءُ.

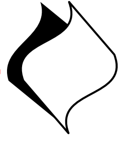
فكذلكَ كلامُ الله تعالى إذا تلاه التالي، وقرأه القارئ.

قال الله تعالى: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ...}** [التوبة: الآية: ٦] فأضافَ الكلام إلى نفسِهِ، لأنَّه هو الذي ابتدأ نَظْمَهُ بحُروفِهِ ومعانيهِ، يسمَعُه المشرك بأذُنَيْهِ بصَوْتِ القارئ، فإنَّه إنَّما يسمَع كلامَ الله مِنَ القارئ.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤، وأبو داود رقم (١٤٦٨)، والنَّسائي ٢/ ١٧٩ وفي "فضائل القرآن" –من "الكبرى"– رقم (٧٥)، وابن ماجة رقم (١٣٤٢)، والبخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (٢٥٠ – ٢٥٤، ٢٥٦) والدارمي رقم (٣٥٠٣)، وابن حبان رقم (٧٣٧)، والحاكم ١/ ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤. ٥٧٥.

(٢) خرجه الشيخان في "صحيحيهما" من حديث عمر رضي الله عنه.



سابعًا: أن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم.

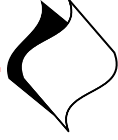
وقالَ ابن تيمية رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وَمَذْهَبُ سَـلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَخَلَفِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ الْقُرْآنَ مِنْ جِبْرِيلَ، وَجِبْرِيلُ سَمِعَهُ مِن اللَّهِ عز وجل". (١)

يؤمنُ أهل السـنة بأن القرآن كلامُ الله عز وجل، منه بدأ وإليه يعود، وأن هذا كلام الله بحرفٍ وصوتٍ مسموعين وأن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الكلام هو كلام الله عز وجل.

ومذهب أئمَّة الحديث والسنَّة: أن الله تعالى لم يَزل متكلِّمًا، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلَّمُ بصوت يُسمَع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا.

ثم قال: "الآثار مُتواترة عنهم-أي: عن الصـحابة والتابعين-بأنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله، ولما ظهر مَن قال: إنه مخلوق، قالوا ردًّا لكلامه: إنه غير مخلوق، ولم يريدوا بذلك أنه مُفترى، كما ظنه بعض الناس؛ فإن أحدًا من المسـلمين لم يَقل: إنه مفترى، بل هذا كفر ظاهر يَعلمه كل مسلم، وإنَّما قالوا: إنه مخلوق خلقه الله في غيره، فرَدَّ السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنفوا في ذلك مصنفات متعددة، وقالوا: «منه بدأ وإليه يعود».

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/٢٣٣).



ونصوصُ القرآن واضحة بأنه كلامه سبحانه وتعالى **{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ}** [التوبة: الآية:٦] فهذا الكلام كلامه سبحانه وتعالى، منه بدأ، تكلم به حقيقةً، ونثبتُ صفة الكلام لله عز وجل كما أثبتها لنفسه وكما أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن الله سبحانه وتعالى لكلامه صوت كما جاءَ في النصوص، وأنه بحرف وصوت مسموعين، وأنه سبحانه وتعالى يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء سبحانه وتعالى، وأن القرآن كلامُ الله تعالى غيرُ مخلوق.

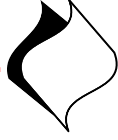
فالقرآن كلام الله، ليس ككلام البشر، وقد توعَّد الله من وصَف القرآن بأنه ككلام البشر، توعَّده بالنار فقال تعالى: **{إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}** [المدثر: الآيات: ٢٥، ٢٦]، فإن كان كلام البشر مخلوقًا لهم، فكلام الله ليس مخلوقًا له، إنما هو صفةٌ من صفاته سبحانه.

الأقوال في سماع كلام الله

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "واختلفت الفرق هل يسمع كلام الله على الحقيقة؟

فقالت فرقة: لا يسمع كلامه على الحقيقة إنما يسمع حكايته والعبارة عنه، وهذا قول الكلابية ومن تبعهم،

وقالت بقية الطوائف، بل يسمع كلامه حقيقة، ثم اختلفوا



فقالت فرقة: يسمعه كل أحد من الله، وهذا قول الاتحادية،

وقالت فرقة: بل لا يسمع إلا من غيره، وعندهم يسمع كلام الله منه، فهذا قول الجهمية والمعتزلة.

وقال أهل السنة والحديث يسمع كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبرائيل وغيره، وكما يكلم عباده يوم القيامة، ويكلم أهل الجنة، ويكلم الأنبياء في الموقف، ويسمع من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبرائيل تبليغا عنه، وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله، فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي.

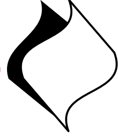
فإذا قيل: المسموع مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل إن أردت المسموع عن الله فهو كلامه غير مخلوق،

وإن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل، فإن سألت عن الصوت الذي روي به كلام الله فهو مخلوق،

وإن سألت عن الكلام المؤدى بالصوت فهو غير مخلوق". (١)

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٥٢٨.



مسألة: هل اللفظ بالقرآن مخلوق أو لا؟

وهل يجوز أن يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق؟

واللفظ يأتي بمعنى: التلفظ، ويأتي بمعنى الملفوظ؛ هل هو الملفوظ الخارج، أو حركة اللسان التلفظ؟

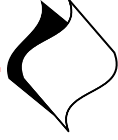
فمعلوم أنه إن أريد الأول وهو التلفظ: فالتلفظ من أفعال العبد، وأفعال العباد مخلوقة.

وإن عُني باللفظ الملفوظ فالملفوظ هو القرآن.

لهذا صارت الكلمة محتملة، واستعمال المحتملات في العقيدة بدعة؛ فإنه لا يجوز أن تستعمل مثل هذه العبارة التي قد تحتمل شيئًا آخر؛ فيفهم الناس منها فهمًا غير سليم.

ولهذا كان **الإمام أحمد**–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ) يقول: "مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع أيضًا"؛ لأنها تحتمل هذه وهذه، وقد سكت السلف عن الإطلاق؛ لأنَّ الألفاظ المحتملة فيما يتصل بذات الله جل وعلا أو صفاته أو أفعاله أو أمور العقيدة والغيبيات لا يجوز استعمالها، وينهى عنها.

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "أئمة أهل السنة وأهل الحديث من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم ينكرون على من يجعل لفظ العبد



بالقرآن أو صوته به أو غير ذلك من صفات العباد المتعلقة بالقرآن- غير مخلوقة، ويأمرون بعقوبته بالهجر وغيره، وقد جمع بعض كلامهم في ذلك أبو بكر الخلال في (كتاب السنة)، ومن المشهور في (كتاب صريح السنة) لمحمد بن جرير الطبري وهو متواتر عنه، لما ذكر الكلام في أبواب السنة قال: وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا عن تابعي قفا إلا عمن في قوله الشفاء والغناء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية، يقول الله: {حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ} [التوبة: الآية: ٦] ، ممن يسمع؟! **قال ابن جرير-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ)**: وسمعت جماعة من أصحابنا -لا أحفظ أسماءهم- يحكون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق، فهو مبتدع. قال ابن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله؛ إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع" (١)

ولهذا **قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ)**:

وَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّبْيِينِ فَالْ *** إِطْلَاقُ وَالإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٢٢-٤٢٣.

قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الوُجُودَ وَخَبَّطَا الـ *** أَذْهَانَ وَالآرَاءَ كُلَّ زَمَانِ". (١)

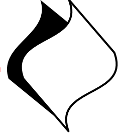
وقد رأي الإمام أحمد وبعض الأئمة أنه لا يُقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق؛ لأن الكلام هنا محتمل، فعندما يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق، فهل يقصد به القرآن الذي هو كلام الله تعالى، أو يقصد فعل المخلوق؟ فإن قال: اللفظ بالقرآن غير مخلوق، فقد لا يقصد هنا كلام الله تعالى، وإنما يقصد كلامه هو، وهذا خطأ؛ لأن نطق الإنسان مخلوق، فالمسألة تكون محتملة، فمن هذا الباب باب منع الإمام أحمد والأئمة من أهل السنة أن يُقال: لفظي القرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ لأن هذا اللفظ محتمل.

قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني-رحمه الله-(ت: ٥٣٥ هـ): "وأول من قال باللفظ، وقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة: حسين الكرابيسي (ت: ٢٥٦ هـ). فبدعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار...." ثم سمّى طائفة كثيرة من علماء الأمصار، ثم قال: "فمذهبهم ومذهب أهل السنة جميعاً أن القرآن كلام الله آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً في جميع أحواله، حيث قرئ وكتب وسمع". (٢)

---

(١) انظر: «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» لابن القيم.

(٢) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٧٠.



بينما ينص الإمام البخاري وبعض أهل السنة على أن اللفظ بالقرآن الذي هو نطق الإنسان مخلوق، فإذًا فَصَّلوا وبيَّنوا أنه إذا قصد النطق فهذا مخلوق، وإذا قصد الأصل الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى الملفوظ، فهذا غير مخلوق.

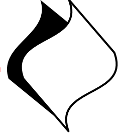
وحدثت في هذه المسألة فتنة للبخاري، أثارها عليه شيخه محمد بن يحيى الذهلي–رحمه الله–(ت: ٢٥٨ هـ)، ودافع عنه ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ) في كتابه «الصواعق»، وقال: «إن البخاري في هذه المسألة أقعد وبيَّن ووضَّح وفصَّل في هذه المسألة، وتشنيع الذهلي عليه هذا من باب الغيرة والحسد الذي بين الشيخ وتلميذه؛ لأن البخاريَّ تفوق عليه.

فالمسألة محل خلاف، مثل مسألة الاسم والمسمَّى؛ لأن المخرج فيهما واحد؛ لأن كِلا المسألتين تعودان إلى صفة الكلام، والكلام: صفة من صفات الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، وبناء على ذلك ترتَّب خلاف في مسألة اللفظ وفي مسألة الاسم والمسمى؛ لأن أسماء الله تعالى من كلامه، والقرآن من كلامه عز وجل، فحصل خلاف في هذه المسألة بناءً على ذلك.

أصل النزاع في المسألة:

مسألة خلق القرآن حدثت في زمن محنة الجهمية والفتنة المشهورة فهي وليدة هذه الفتنة ومنها نشأ النزاع فيها هل الإيمان مخلوق أم لا؟

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ) لما سئل: هل الإيمان مخلوق أم غير مخلوق؟



"فالجواب أن هذه المسألة نشأ النزاع فيها لما ظهرت محنة الجهمية في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ وهي محنة الإمام أحمد وغيره من علماء المسلمين، وقد جرت بها أمور يطول وصفها هنا، لكن لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأطفأ الله نار الجهمية المعطلة.

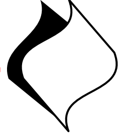
صارت طائفة يقولون: إن كلام الله الذي أنزله مخلوق، ويعبرون عن ذلك باللفظ، فصاروا يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، أو تلاوتنا أو قراءتنا مخلوقة، وليس مقصودهم مجرد كلامهم وحركاتهم، بل يدخلون فيه نفس كلام الله الذي نقرؤه بأصواتنا وحركاتنا.

وعارضهم طائفة أخرى فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة.

فرد الإمام أحمد على الطائفتين وقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع. وتكلم الناس حينئذ بالإيمان فقالت طائفة: الإيمان مخلوق وأدرجوا في ذلك ما تكلم الله به من الإيمان مثل (قول لا إله إلا الله)، فصار مقتضى قولهم إن هذه الكلمة مخلوقة، ولم يتكلم الله بها، فبدع الإمام أحمد هؤلاء، وقال: قال النبي–صلى الله عليه وسلم-: ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول لا إله إلا الله**)). [1] أفيكون قول لا إله إلا الله مخلوقا؟

---

١ رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

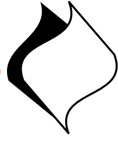


ومراده أن من قال: إن ألفاظنا وتلاوتنا وقراءتنا للقرآن مخلوقة، كان مقتضى كلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله. وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله". [١]

وقال رحمه الله: "وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له: ما تريد (بالإيمان)؟ أتريد شيئا من صفات الله وكلامه، كقول (لا إله إلا الله) و(إيمانه) الذي دل عليه اسمه المؤمن، فهو غير مخلوق. أو تريد شيئا من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة، ولا يقول هذا من يتصور ما يقول، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل، وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وأمثالها مما كثر فيه تنازع الناس بالنفي والإثبات إذا فصل فيها الخطاب، ظهر الخطأ من الصواب.

والواجب على الخلق أن ما أثبته الكتاب والسنة أثبتوه، وما نفاه الكتاب والسنة نفوه، وما لم ينطق به الكتاب والسنة لا بنفي ولا إثبات استفصلوا فيه قول القائل: فمن أثبت ما أثبته الله ورسوله، فقد أصاب، ومن نفى ما نفاه الله ورسوله فقد أصاب، ومن أثبت ما نفاه الله أو نفى ما أثبته الله فقد لبس دين الحق بالباطل، فيجب أن يفصل ما في كلامه من حق أو باطل، فيتبع الحق

١ مجموع الفتاوى ٧/ ٦٥٥



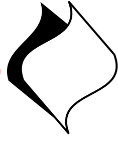
ويترك الباطل، وكل من خالف الكتاب والسنة فإنه مخالف أيضا لصريح المعقول، فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، كما أن المنقول عن الأنبياء عليهم السلام لا يخالف بعضه بعضا، ولكن كثيرا من الناس يظن تناقض ذلك، وهؤلاء من الذين اختلفوا في الكتاب {**ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**} [البقرة الآية: ١٧٦]، ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا". [١]

قال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "من قال: الإيمان مخلوق كفر، ومن قال: غير مخلوق ابتدع. فقيل: بالوقف مطلقا، وقيل: أقواله قديمة وأفعاله مخلوقة.

قال ابن حمدان–رحمه الله–(ت: ٦٩٥ هـ) في نهاية المبتدئين: وهو أصح، ونقله عن ابن أبي موسى وغيره. ونقل الإمام **الحافظ ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ)** في طبقات الأصحاب في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي–رحمه الله–(ت: ٦٠٠ هـ)، ما لفظه قال: روي عن إمامنا أحمد–رضي الله عنه–(ت: ٢٤١ هـ)، أنه قال: من قال: الإيمان مخلوق فهو كافر، ومن قال: قديم فهو مبتدع.

---

[١] مجموع الفتاوى ٧/ ٦٦٤



قال الحافظ عبد الغني–رحمه الله–(ت: ٦٠٠ هـ): "وإنما كفر من قال بخلقه؛ لأن الصلاة من الإيمان، وهي تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر الله–عز وجل– ومن قال بخلق ذلك كفر، وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون ومن قال بقدم ذلك ابتدع. انتهى بحروفه، والله–تعالى–الموفق". [١]

قال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "لسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله عز وجل غير مخلوق، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل ولم يزل به متكلما". [(٢)]

وقال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر". [(٣)]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وأما مسألة تكلم العباد بالقرآن فقد اشتبهت على كثير من الناس،

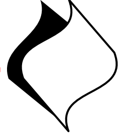
فقالت طائفة: إن الله يخلق كلامه عند تلاوة كل تال، فيجري كلامه المخلوق على لسان التالي، وفعل التالي هو حركة اللسان فقط وهي القراءة: فالقراءة

---

١ لوامع الأنوار البهية ١/ ٤٤٦

(٣) نقله عنه الأشعري في كتاب الإبانة عن أصول الديانة (ص٨٨)

(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/٢١٤).



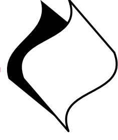
صـــنع العبد عندهم، والمقروء صـــنع الله وخلقه، فالمســـموع عندهم مخلوق بين صنعين: صنع الرب وصنع العبد، وهذا قول أبي هذيل والإسكافي وأصحابه.

وقالت فرقة أخرى: إن العبد هو المحدث لأفعاله وتلاوته، والله تعالى خلقه في مكان واحد لا ينتقل عنه ولا يفارقه إلى غيره، فهذا المســـموع هو صـــنع التالي ألفاظه وتلاوته، وهذا قول أكثر البغداديين من المعتزلة، وقول جعفر بن حرب.

وقالت فرقة: إن القرآن لم يخلقه الله تعالى في الحقيقة ولا هو فعله، فإنه عرض وهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله، قالوا فهو فعل المحل الذي قام به، وهذا قول معمر وأصحابه من المعتزلة.

وقالت فرقة: إن الله سبحانه خلق كلامه في اللوح المحفوظ ثم مكن جبرائيل أن يأخذه منه نقلا ويعلمه رسوله صلى الله عليه وسلم، فجبرائيل إذا نطق به كان نطقه بمنزلة من يقرأ كتاب غيره، لكن الحروف والأصوات في الحقيقة لجبرائيل لم تقم بذات الرب حروف القرآن ولا ألفاظه، ولا سمعه جبرائيل من الله تعالى، وإنما نزل به من المحل الذي خلق فيه، وهذا قول كثير من الكلابية، فعندهم أن المسموع قول الرسول الملكي حقيقة سمعه منه الرسول البشري فأداه كما سمعه، فالرســـول الملكي ناقل لما في اللوح المحفوظ غير ســـامع له من الله، والرســـول البشري ناقل له عن جبرائيل قوله وألفاظه.

ومن هؤلاء من يقول: بل الله تعالى ألهم جبرائيل معانيه، فعبر عنها جبرائيل بعبارته، فهذه الألفاظ كلام جبرائيل في الحقيقة لا كلام الله.



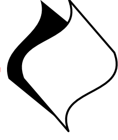
ومنهم من يقول: جبرائيل علم رسول الله نص معانيه وألقاها في روعه، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشأ ألفاظها وعبر بها من عنده دلالة على ذلك المعنى الذي ألقاه إليه الملك، فالقرآن العربي على قولهم قول محمد -صلى الله عليه وسلم- أو قول جبرائيل -عليه السلام-، وهذا قول من لا نسميهم لشهرتهم، وإن حرفوا العبارة وزينوا له الألفاظ، فهو قولهم الذي يناظرون عليه ويكفرون من خالفهم فيه يقولون فيه: قال أهل الحق كذا، وقالت سائر فرق أهل الزيغ بخلافه.

وقالت فرقة أخرى: بل لسان التالي مظهر للكلام القديم، فيسمع منه عند التلاوة كما سمع موسى كلام الله من الشجرة، فلسان التالي كالشجرة محل ومظهر للكلام، فإذا قال التالي **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [الفاتحة: الآية: ٢] كان المسموع كله حروفه وأصواته غير كلام الله القائم به من غير حلول في القارئ ولا اتحاد به، كما أن الله سبحانه لم يحل في الشجرة ولا اتحد بها، وسمع موسى كلامه منها.

واختلفت هذه الفرقة في الصوت الذي يسمع من القارئ على قولين:

أحدهما: إنه عين صوت الله بالقرآن ظهر عند تلاوة التالي، فكانت التلاوة مظهرة له.

وقالت فرقة أخرى منهم: ما لا بد منه من الصوت في الأداء ولا يتأدى الكلام بدونه، فهو الصوت القديم، وما زاد عليه من قوة الاعتماد والرفع فمحدث.



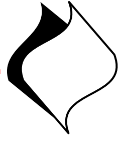
قالوا: وقد اقترن القديم بالمحدث على وجه معسـر التمييز بينهما جدا، فلما ورد عليهم أن الحس شاهد بأن هذا الصوت موجود بعد أن كان معدوما ومعدوما بعد وجوده وهذا مستحيل على القديم، أجابوا بأن الذي وجد بعد عدمه ثم عدم بعد وجوده هو ظهور الصوت القديم لا نفسه، فالمحدث وقع على الإدراك لا على المدرك، كما إذا سمع كلامه سبحانه منه بعد أن لم يسمع، ثم عدم السمع فالحدوث واقع على السمع لا على المسموع، وهذا قول جماعة ممن ينسب إلى الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ).

وأصحابه المتقدمون بريئون من هذا المذهب المخالف للحس والعقل والفطرة، ونصوص أحمد إنما تدل على خلافه، فقد نص في رواية جماعة من أصحابه على أن الصوت صوت العبد، فقال في قول النبي-صلى الله عليه وسلم- ((**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**)). [1]، قال يجهر به ويحسنه بصوته ما استطاع، وقد نص على ذلك الأئمة كالبخاري وغيره.

قال البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ) في صحيحه: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**الماهر بالقرآن مع الكرام البررة**)). [2]، ((**وزينوا القرآن**

١ أخرجه البخاري (٧٥٢٧).

٢ أخرجه البخاري (٤٩٣٧) بلفظ مقارب، ومسلم (٧٩٨) باختلاف يسير.



بأصــواتكم)). [1] ثم احتج بحديث **أبي هريرة–رضــي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي–صــلى الله عليه وســلم– **((ما أذن الله لشــيء ما أذن لنبي حســن الصــوت يتغنى بالقرآن يجهر به))**. [2] ، فأضــاف الصــوت إلى النبي صــلى الله عليه وسلم؛ ثم ساق حديث **البراء–رضي الله عنه–(ت: ٧٢ هـ)**، **((أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في العشاء بالتين والزيتون، ما سمعت صوتا أحسن منه))**. [3]، فأضاف الصوت إليه ثم ذكر حديث **ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**، **((أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متواريا بمكة وكان يرفع صــوته بالقرآن، فإذا سمع المشــركون ســبوا القرآن ومن جاء به، فأنزل الله تعالى: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَــلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا}** [الإســراء: الآية: ١١٠])). [4] ثم قال: باب قراءة الفاجر والمنافق وأصـــواتهم وتلاوتهم لا تجاوز تراقيهم، وذكر في الباب حديث **أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–(ت: ٧٤ هـ)** **((يخرج أناس**

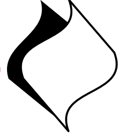
---

١ رواه الإمام أحمد ٤/ ٨٣، وأبو داود (١٤٦٨)، وابن ماجه (١٣٤٢)، والنسائي ٢/ ١٧٩، وصححه ابن حبان ٣/ ٢٥ (٧٤٩)، والحاكم ١/ ٥٧١. وعلقه البخاري قبل حديث (٧٥٤٤) كلهم من حديث البراء بن عازب وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" (١٣٢٥) وقال: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عبد الرحمن بن عوسجة وهو ثقة.

٢ أخرجه البخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٧٩٢).

٣ أخرجه البخاري (٧٥٤٦)، ومسلم (٤٦٤).

٤ أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦) باختلاف يسير.



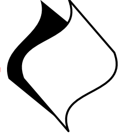
من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم)). [١]، ومعلوم أن المراد التلاوة والأداء وما قام بهم من الأصـــوات، وأنها لم تجاوز حناجرهم، وكان البخاري قد امتحن بهذه الفرقة، فتجرد للرد عليهم وبالغ في ذلك في كتاب (خلق أفعال العباد) فإنه بناه على ذلك وأن أصوات العباد من أفعالهم أو متولدة عن أفعالهم فهي من أفعالهم، فالصوت صوت العبد حقيقة، والكلام كلام الله حقيقة، أداه العبد بصـــوته كما يؤدي كلام الرســـول وغيره بصـــوته، فالعبد مخلوق وصـــفاته مخلوقة وأفعاله مخلوقة وصوته وتلاوته مخلوقة، والمتلو المؤدى بالصوت غير مخلوق.

واحتج البخاري في الصـــحيح في (خلق أفعال العباد) على ذلك بنصـــوص التبليغ، كقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ}** [المائدة: الآية: ٦٧] وقوله: **{إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ}** [الشورى: الآية: ٤٨] وقوله: **{لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي}** [الأعراف: الآية: ٧٩] وهذا من رسـوخه في العلم، فإن ذلك يتضمن أصلين ضل فيهما أهل الزيغ:

أحدهما: أن الرســول ليس له من الكلام إلا مجرد تبليغه، فلو كان هو قد أنشأ ألفاظه لم يكن مبلغا، بل منشئا مبتدئا، ولا تعقل الأمم كلها من التبليغ سوى تأدية كلام الغير بألفاظه ومعانيه ولهذا يضـــاف الكلام إلى المبلغ عنه لا إلى المبلغ.

---

١ أخرجه البخاري (٧٥٦٢).



وأيضا فالتبليغ والبلاغ هو الإيصال، وهو معدى من بلغ إذا وصل، والإيصال حقيقة أن يورد إلى الموصل إليه ما حمله إياه غيره، فله مجرد إيصاله.

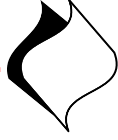
الأصل الثاني: أن التبليغ فعل المبلغ وهو مأمور به مقدور له، وتبليغه هو تلاوته بصوت نفسه، فلو كان الصوت والتلاوة وصوت المتكلم به أزليا وتلاوته لم يكن فعلا مأمورا به مضافا إلى المأمور، وبالجملة فالتبليغ هو صوت المبلغ القائم به.

قال البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ): باب ما جاء في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}** [المائدة: الآية: ٦٧]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " ((بلغوا عني ولو آية وليبلغ الشاهد الغائب وأن الوحي قد انقطع)). [١]، فتأمل مقصوده بقوله: وإن الوحي قد انقطع فلو كانت أصواتنا بالقرآن هي نفس الصوت القديم الذي تكلم الله تعالى به لم يكن الوحي قد انقطع، بل هو متصل ما دامت أصوات العباد مسموعة بالتلاوة، فالقائلون إن هذا الصوت القديم ظهر عند تلاوة التالي، وهو الصوت الذي أوحى الله به الوحي إلى رسوله، وهو غير منقطع لزمه لزوما بينا أن الوحي متصل غير منقطع.

قال البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ): في كتاب (خلق أفعال العباد) ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب أن يكون الرجل

---

١ خلق أفعال العباد ص: ٨٨.



خفت الصوت، ويكره أن يكون رفيع الصوت، وأن الله سبحانه ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله تعالى.

قال أبو عبد الله: وفي الدليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا نادى جبرائيل الملائكة لم يصعقوا، ثم ساق في الباب أحاديث تكلم الله بالصوت محتجا بها. [1]

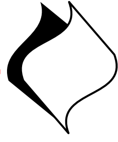
قال البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ): وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) [2]. فقرأه ترجمان قيصر على قيصر وأصحابه، ولا يشك في قراءة الكفار أهل الكتاب أنها أعمالهم، وأما المقروء فهو كلام العليم المنان ليس بخلق، فمن حلف بأصوات قيصر أو بنداء المشركين الذين يقرون بالله لم تكن عليه يمين دون الحلف بالله لقول النبي–صلى الله عليه وسلم– ((لا تحلفوا بغير الله)) [3]. وليس للعبد أن يحلف بالخواتيم والدراهم البيض وألواح الصبيان التي يكتبونها ثم يمحونها المرة بعد المرة، وإن حلف فلا

---

١ خلق أفعال العباد ص: ٩٨.

٢ خلق أفعال العباد ص: ٩٨.

٣ خلق أفعال العباد ص: ٩٨.



يمين عليه لقوله تعالى: **{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}** [البقرة: الآية: ٢٢]. [1]

قال البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ): وقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((بينا أنا في الجنة سمعت صــوت رجل بالقرآن)) [2]. فبين أن الصــوت غير القرآن.

قلت: ونظيره إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن.

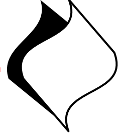
قال أبو عبد الله: ويقال له صــفة الله وكلامه، وعلمه وأسمائه وعزه وقدرته بائنة من الله أم لا، وقولك وكلامك بائن من الله أم لا.

قال أبو عبد الله: قال الله تعالى: **{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ}** [النجم: الآيات: ٣٩–٤٠]، وقال تعالى: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ}** [نوح: الآية: ١] والإنذار من نوح وهو نذير مبين يأمرهم بطاعة الله، وأما الغفران فإنه من الله يقول **{يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ}** [نوح: الآية: ٤] ، ثم قال: **{رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا}** [نوح: الأية: ٥] فذكر الدعاء سرا وعلانية من نوح، وقال ابن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)، قال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم كانوا يقرءون

---

١ خلق أفعال العباد ص: ١٠٢.

٢ خلق أفعال العباد ص: ١٠٩.



القرآن فيجهرون به ((**خلطتم علي القرآن يقول علت أصـواتكم صـوتي**)) [1]، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفع بعضهم على بعض صوته، ولم ينه عن القرآن ولا عن كلام الله.

قال البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ): واعتل بعضهم فقال حتى يسمع كلام الله، قيل له إنما قال حتى يسمع كلام الله لا كلامك ونغمتك وصوتك، إن الله فضل موسى بكلامه، ولو كان يسمع الخلق كلهم كلام الله كما سمع موسى لم يكن لموسى عليك فضل، ومعنى هذا أن هذا الصوت المسموع من القارئ لو كان هو الصوت الذي سمعه موسى لكان كل من سمع القرآن بمنزلة موسى في ذلك". (٢)

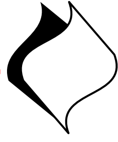
[إثبات علو الله واستواء الله على عرشه]

[٦]. قال المصنف–رحمه الله–:

"ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله–سبحانه وتعالى–فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه في قوله–عز وجل–: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

١ أخرجه البخاري في "القراءة خلف الإمام " (٢٥٤)، وفي خلق أفعال العباد ص: ١١١.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٥٠٣–٥٠٨.

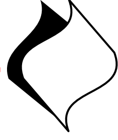


وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ} [يونس: الآية: ٣]، وقوله في سورة الرعد: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} [الرعد: الآية: ٢]، وقوله في سورة الفرقان {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} [الفرقان: الآية: ٥٩]، وقوله في سورة السجدة: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} [السجدة: الآية: ٤]، وقوله في سورة طه: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: الآية: ٥]،

[وأخبر الله سبحانه عن فرعون اللعين أنه قال لهامان:{ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا". وإنما قال ذلك لأنه سمع موسى عليه السلام يذكر أن ربه في السماء، ألا ترى إلى قوله: "وإني لأظنه كاذباً" يعني في قوله: إن في السماء إلهاً، وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله لم يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه، وعرشه فوق سماواته].

يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى، ويؤمنون به ويصدقون الرب–جل جلاله– في خبره، ويطلقون ما أطلقه–سبحانه وتعالى–من استوائه على العرش، ويمرونه على ظاهره ويكلون علمه إلى الله، ويقولون: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: الآية: ٧]، كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك، ورضيه منهم، فأثنى عليهم به.

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى، حدثني محمد بن داود بن سليمان الزاهد، أخبرني علي بن محمد بن عبيد أبو الحسن الحافظ–من أصله العتيق–حدثنا أبو يحيى بن كيسبة الوراق، حدثنا محمد بن الأشرس الوراق أبو

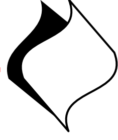


كنانة، حدثنا أبو المغيرة الحنفي، حدثنا قرة بن خالد، عن الحسن، عن أبيه، عن أم سلمة في قوله-تعالى-: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: الآية: ٥]، قالت: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر".

وحدثنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكى بن المزكى ثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي ثنا شاذان، ثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني، ثنا جعفر بن ميمون، قال: سئل مالك بن أنس عن قوله: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: الآية: ٥]، كيف استوى؟ قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالًا وأمر به أن يخرج من مجلسه".

أخبرنا أبو محمد المخلدي العدل حدثنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن مسلم الاسفراييني حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملي عن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: الآية: ٥]، قال: فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرحضاء، وأطرق القوم، فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه، ثم سري عن مالك فقال: "الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه، وإني لأخاف أن تكون ضالا، ثم أمر به فأخرج".

أخبرنا به جدي أبو حامد أحمد بن إسماعيل عن جد والدي الشهيد، وهو أبو عبد الله محمد بن عدي بن حمدوية الصابوني، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون النسوى، ثنا سلمة بن شبيب، ثنا مهدي بن جعفر الرملي، ثنا جعفر بن عبد الله، قال: جاء



رجل إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: الآية: ٥]، كيف استوى؟ قال فما رأينا مالكا وجد من شيء كوجده من مقالته، وذكر بنحوه.

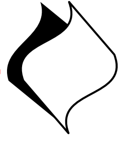
وسئل أبو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء، وقيل له كيف استوى على عرشه، فقال: أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا، وقد أعلمنا جل ذكره أنه استوى على عرشه، ولم يخبرنا كيف استوى.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد، أخنا محمد بن عبد الرحمن السامي، حدثني عبد الله ابن أحمد بن شبويه المروزي، سمعت علي بن الحسين بن شقيق يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: "نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائنا منه خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية إنه ها هنا" وأشار إلى الأرض.

وسمعت الحاكم أبا عبد الله في كتابه (التاريخ) الذي جمعه لأهل نيسابور، وفي كتابه (معرفة الحديث) اللذين جمعهما ولم يسبق إلى مثلهما يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: "من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه، قد استوى فوق سبع سمواته، فهو كافر بربه، حلال الدم، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان ماله فيئا لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)).

[وإمامنا أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه احتج في كتابه المبسوط في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وأن /غير المؤمنة/ لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم، وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء لكفارة، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إعتاقه إياها، فامتحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لها: "من أنا؟"، فأشارت إليه وإلى السماء، يعني أنك رسول الله الذي في السماء، فقال صلى الله عليه وسلم: "أعتقها فإنها مؤمنة". فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامها وإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية.

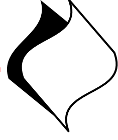
وإنما احتج الشافعي رحمة الله عليه على المخالفين في قولهم بجواز إعتاق الرقبة الكافرة في الكفارة بهذا الخبر، لاعتقاده أن الله سبحانه فوق خلقه، وفوق سبع سماواته على عرشه، كما معتقد المسلمين من أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم، إذ كان رحمه الله لا يروي خبراً صحيحاً ثم لا يقول به. وقد أخبرنا الحاكم أبو عبد الله رحمه الله قال: أنبأنا الإمام أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه قال: حدثنا إبراهيم بن محمود قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: "إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه فاعلموا أن عقلي قد ذهب".
قال الحاكم رحمه الله سمعت أبا الوليد غير مرة يقول: حُدثت عن الزعفراني أن الشافعي رحمه الله روى يوماً حديثاً فقال السائل: يا أبا عبد الله تقول به؟ قال: (تراني في بيعة أو كنيسة! ترى علي زيّ الكفار!



هو ذا تراني في مسجد المسلمين، على زي المسلمين، مستقبل قبلتهم، أروي حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا أقول به).

قال أبو عثمان: والفرق بين أهل السنة وبين أهل البدع أنهم إذا سمعوا خبراً في صفات الرب ردوه أصلاً، ولم يقبلوه /.../ للظاهر، ثم تأولوه بتأويل يقصدون به رفع الخبر من أصله، وإبطال /.../ عقولهم وآرائهم فيه ويعلمون حقاً يقيناً أن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى ما قاله، إذ هو كان أعرف بالرب جل جلاله من غيره، ولم يقل فيه إلا حقاً وصدقاً ووحياً، قال الله عز وجل: "وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى". قال الزهري إمام الأئمة وغيره من علماء الأمة رضي الله عنه: (على الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم).

وروى يونس بن عبد الصمد بن نعقل عن أبيه أن الجعد بن درهم قدم على وهب من منبه يسأله عن صفات الله تعالى فقال: "ويلك يا جعد، بعض المسألة، إني لأظنك من الهالكين، يا جعد لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً وعيناً ووجهاً، لما قلنا ذلك، فاتق الله" ثم لم يلبث جعد أن قتل وصلب. وخطب خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بالبصرة، فقال في آخر خطبته: "انصرفوا إلى منازلكم، وضحوا بارك الله في ضحاياكم، فإن مضح اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول: (لم يتخذ الله إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً) سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علواً كبيراً ونزل عن المنبر فذبحه بيده، وأمر بصلبه)]



الشرح:

وفيه مسائل

المسألة الأولى: صفة العلو والأقوال فيها.

أولًا: قول أهل السنة والجماعة ومن وافقهم.

يؤمن أهل السنة بعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وأنه بائن من خلقه وهم بائنون منه.

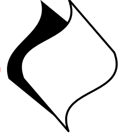
وقد وافقهم على قولهم في إثبات العلو عامة الصفاتية، كأبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) وأتباعه، وأبي العباس القلانسي-رحمه الله-(ت: في العشر الثاني من القرن الرابع هـ)، (١) وأبي الحسن الأشعري-رحمه الله-(ت: ٣٢٤ هـ) والمتقدمين من أصحابه.

وهو قول الكرامية ومتقدمي الشيعة الإمامية. (٢).

---

(١) قال عنه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص٢٩٨): (أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي، من معاصري أبي الحسن الأشعري رحمه الله لا من تلاميذه، كما قال الأهوازي، وهو من جلة العلماء الكبار الأثبات، واعتقاده موافق لاعتقاده في الإثبات (أي موافق لاعتقاد الأشعري)).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٢/٢٩٧)، ونقض تأسيس الجهمية (١/١٢٧، ٢/١٤).



وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة العلو بالقرآن، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

أ-الأدلة من القرآن.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "قَدْ وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ بِالْعُلُوِّ وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَالْفَوْقِيَّةِ فِي كِتَابِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى قَالَ بَعْضُ كِبَارِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ: فِي الْقُرْآنِ أَلْفُ دَلِيلٍ أَوْ أَزْيَدُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَالٍ عَلَى الْخَلْقِ وَأَنَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: فِيهِ ثَلَاثُمِائَةِ دَلِيلٍ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ". [1]

وقال رحمه الله: "دَلَالَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى إثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَأَنَّهُ نَفْسُهُ فَوْقَ الْعَرْشِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ؛ كَقَوْلِهِ: **{إلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}** [فاطر: الآية:١٠]، وَقَوْلِهِ: **{بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إلَيْهِ}** [النساء: الآية:١٥٨]، وَقَوْلِهِ: **{تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إلَيْهِ}** [المعارج: الآية:٤]، وَقَوْلِهِ: **{إنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ}** [الأعراف: الآية: ٢٠٦]. وَقَدْ قِيلَ: إنَّ ذَلِكَ يَبْلُغُ ثَلَاثَمِائَةِ آيَةٍ وَهِيَ دَلَائِلُ جَلِيَّةٌ بَيِّنَةٌ مَفْهُومَةٌ: مِنْ الْقُرْآنِ مَعْقُولَةٌ: مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى". [2]

وقد تنوعت عبارات القرآن في إثبات صفة العلو.

---

١ مجموع الفتاوى٥/ ٥٢٦

٢ مجموع الفتاوى ٥ / ٢٢٤

فالقرآن الكريم من أوله إلى آخره مليء بما هو إما نص ظاهر في أن الله فوق كل شـــيء، وأنه عال على خلقه ومســـتو على عرشـــه، وقد تنوعت تلك الدلالات، فوردت بأصـــناف من العبارات، فقد أشار العلماء إلى ذلك التنوع في العبارة على إثبات هذه الصفة، ومن ذلك:

١-التصريح بالفوقية مقرونة بأداة (من) المعينة لفوقية الذات نحو: **{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ}** [النحل: الآية:٥٠].

٢-ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله: **{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}** [الأنعام: الآية: ١٨].

٣-التصريح بالعروج إليه، نحو **{تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}** [المعارج: الآية:٤].

٤-التصريح بالصعود إليه، كقوله: **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}** [فاطر: الآية:١٠].

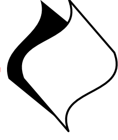
٥-التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله: **{بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}** [النساء: الآية:١٥٨]، وقوله: **{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}** [آل عمران: الآية:٥٥].

٦-التصـريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو، ذاتاً، وقدراً، وشـرفاً، كقوله: **{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}** [البقرة: الآية: ٢٥٥]، **{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}** [ســـبأ: ٢٣]، **{إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}** [الشورى: الآية: ٥١].

٧-التصـــــريح بتنزيل الكتاب منه كقوله: **{تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}** [الزمر: الآية: ١]، **{تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}** [فصـــلت: الآية:٤٢]، **{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ}** [النحل: الآية: ١٠٢]. وهذا يدل على شيئين:

الأول: على أنَّ القرآنَ ظَهَر منه لا من غيره، وأَنَّهُ الذي تكلم به، لا غيره.

الثاني: على عُلُوِّهِ على خَلْقِهِ، وأنَّ كلامَه نزل به الرُّوح الأمين من عنده من أعلى مكان إلى رسوله.



٨-التصـــريح باختصـــاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضـــها أقرب إليه من بعض، كقوله: **{فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ}** [فصلت: الآية:٣٨]، وقوله **{وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ}** [الأنبياء: الآية:١٩]، ففرَّق بين من له عمومًا، ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصًا.

٩-التَّصريح بأنه سبحانه في السَّماء، وهذا عند أَهْل السُّنَّة على أحد وجهين:

إما أن تكون «في» بمعنى «على».

وإما أن يراد بالسَّماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز حملُ النَّصِّ على غيره.

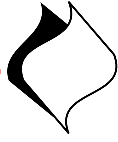
١٠ــــ التَّصريح بالاستواء مقرونًا بأداة «على» مختصًّا بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحبًا في الأكثر لأداة «ثُمَّ» الدَّالَّة على الترتيب والمهلة، وهو بهذا السِّياق صريحٌ في معناه الذي لا يفهم المخاطبون غيره من العُلُوِّ والارتفاع، ولا يحتمل غيره البتَّة.

١١-إخباره سبحانه عن فرعون أنه رَامَ الصُّعُودَ إلى السماء؛ لِيَطَّلِعَ إلى إله موسى، فيُكذبه فيما أخبر به من أنه فوق السـماوات؛ فقال: **{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَـرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْـبَابَ أَسْـبَابَ السَّـمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَـىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}** [غافر: الآيات: ٣٦ -٣٧]، فكذَّب فرعونُ موسى في إخباره إيَّاه بأن ربَّه فوق السماء. (١).

وفي قوله ســبحانه وتعالى: **{لَنْ يَسْـتَنْكِفَ الْمَسِـيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ}** [النساء: الآية: ١٧٢]، فبيَّن أن الملائكة أقرب إليه من غيرهم من خلقه.

---

(١) انظر: «إعلام الموقعين» (٢/٣١٤-٣١٧).



وكذلك قوله: **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** [الأعلى: الآية: ١]، وقوله: **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** [الأعراف: الآية: ٥٤]، **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]، إلى غير ذلك من ألفاظ متنوعة ومتعددة تدل دلالة واضحة على أن الله عال على خلقه مُستوٍ على عرشه.

ب-الأدلة من السنة على إثبات صفة العلو.

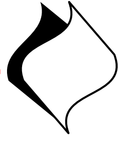
السنة مليئة بالأحاديث الدالة على علو الله-سبحانه وتعالى-واستوائه على عرشه، وقد تكلم المصنف على إثبات ذلك في خلال الكثير من الأحاديث، كأحاديث المعراج، وأحاديث صعود الملائكة ونزولها من عند الله، وعروج الروح إليه، واستواء الخالق على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا، ورؤيته في الآخرة، فالسُّنَّةُ قد دلَّت على عُلُوِّ الله بدلالاتها الثلاث: (**القولية، والفعلية، والتقريرية**).

أولاً: أما السُّنَّة القولية فمنها:

١ . حديث الخوارج: ((**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**)). متفق عليه[1]

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي (٣٢٦/٥). وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٤٢/٢) كتاب الزكاة.



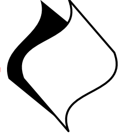
٢ . وعن **أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها**)). رواه مسلم[1]

٣ . وعن **ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)** حدثني رجال من أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ رمي بنجم فاستنار، فقال: ((**ما كنتم تقولون إذ رمي مثله؟**)). قالوا: كنا نقول: ولد الليلة عظيم، أو مات عظيم. فقال: ((**إنها لم ترم لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبحت حملة العرش، حتى يسبحوا أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا، فيقول الذين يلون حملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيستخبر أهل السموات بعضهم بعضاً، حتى يبلغ الخبر أهل الدنيا، فيخطف الجن السمع فيلقونه إلى أوليائهم، فما جاءوا به على وجهه، فهو الحق، ولكنهم يفرقون ويزيدون**)). رواه مسلم[2]

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٣٦/٢) كتاب النكاح.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان. انظر شرح النووي (٢٢٥/١٤). والإمام أحمد في المسند (٢١٨/١). والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة سبأ (٣٦٢/٥، برقم ٢٣٢٤). والدارمي في الرد على الجهمية (ص٧٨). والطحاوي في المشكل (١١٣/٣). والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٢/١–٥١٣، ح٤٣٦). وأبو نعيم في الحلية (١٤٣/٣).



٤ ــ حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره: ((ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض)). رواه أبو داود وغيره ١

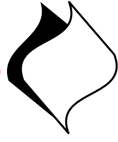
ثانياً: وأما أدلة السُّنَّة الفِعلية فمنها:

١–ما رواه مسلم من حديث **جابر–رضي الله عنه–(ت: ما بين ٧٣ و٧٧ هـ)** في حديث حَجَّةِ الوَدَاعِ، وفيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطَبَ النَّاسَ، فقال: ((**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُمْ هَذَا**...))، إلى أن قال جابر رضي الله عنه: ((**فقال بإصبعه السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إلى السَّماء وَيَنْكُتُهَا إلى الناس: اللهم اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ**)). (٢)

---

١ أخرجه أحمد في مسنده (٢١/٦). وأبو داود في سننه، كتاب الطب (٢١٨/٤). والدارمي في الرد على الجهمية (ص١٨). والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٣٨). وابن حبان في الضعفاء (١٠٨/١). وابن عدي في الكامل (١٠٥٤/٣). والحاكم في المستدرك (٣٤٣/١–٣٤٤)، وصححه. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٨٩/٣). وأبو يعلى في إبطال التأويلات (ق١٥٣/ب). والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٧/٢، ح٨٩٢). وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص٤٨، برقم ١٨). وأخرجه قوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١٠٥/٢، برقم ٥٩)، و(١١١/٢–١١٢، برقم ٦٥). وأورده الذهبي في العلو (ص٢٧)، وقال: "وزيادة لين الحديث". ورد الذهبي تصحيح الحاكم له بقوله: "زيادة، قال البخاري وغيره منكر الحديث"، وذكر في ترجمته في الميزان (٩٨/٢) أنه انفرد بهذا الحديث فالإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).



قال ابن القَيِّم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ) مُعَلِّقًا على هذا الحديث: "ليشـــهد الجميعُ أن الرَّبَّ الذي أرسله ودعا إليه واستشهده هو الذي فوق سماواته على عرشه". (١)

٢–ما في الصَّحيحين في رفعه صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء قائلًا: ((**اللهم اسقنا**)). (٢). وهكذا رفعه يديه في الاستسقاء وغير ذلك.

ثالثاً: ومن أدلة السُّنَّة التقريريَّة وأشهرها:

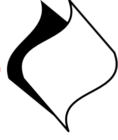
ما رواه معاوية بن الحَكَم السُّلَمِي–رضي الله عنه–، (ت: غير معروف)، قال: "كانت لي جاريةٌ تَرْعَى غَنَمًا قِبَلَ أُحُدٍ والجوَّانيَّة، فاطَّلَعْتُ ذات يومٍ فإذا بالذئب قد ذهب بشاةٍ مِن غَنَمِهَا، وأنا رجلٌ من بني آدم، آسَفُ كما يَأْسَفُونَ لكني صَكَكْتُهَا، فأتيتُ رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فعظَّم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ((**ائتني بها**))، فأتيتُه بها، فقال لها: ((**أين الله؟**)). [٣]. قالت: في السماء، قال: ((**ومَن أنا؟**)). قالت: رسول الله،

---

(١) «إعلام الموقعين» (٢/٣١٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٣) ومسلم (٨٩٥).

[٣] "من المعلوم أن مذهب عامة أهل السنة، وسلف الأمة، وأئمتها أنهم يرون إثبات السؤال عن الله تعالى (بأين)، ولا ينفون ذلك عنه مطلقاً، وذلك لثبوت النصوص الصريحة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك سؤالاً وجواباً.



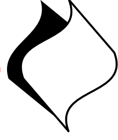
والسلف يقولون: إن من نفى السؤال بأين، لا بد له من دليل يستدل به على انتفاء ذلك، ولا دليل لهم، ذلك لأنها مسألة إثبات الشرع، فمن أنكرها فإنما ينكر المصطفى".

وقد خالف السلف في قولهم هذا الجهمية، والمعتزلة، ومتأخرة الأشاعرة، الذين يزعمون أنه لا يجوز السؤال عن الله تعالى بأين؛ لأن في ذلك سؤالاً عن المكان، وهم يزعمون أن الله ليس في مكان، لأن المكان لا يكون إلا للجسم، والله ليس بجسم، لأن الجسم لا يكون إلا محدثاً ممكناً ويظهر توضيح هذا الرأي في قول ابن الأثير في النهاية (٣/٣٠٤) "ولا بد في قوله "أين كان ربنا؟ " من تقدير مضاف محذوف، كما حدث في قوله تعالى {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ} ونحوه فيكون التقدير: أين كان عرش ربنا؟ يدل عليه قوله {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} ".

فقول ابن الأثير "أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف" الذي دفعه إليه هو اعتقاده بأنه لا يجوز السؤال عن الله تعالى بأين، لأنه يترتب على ذلك إثبات الجهة والمكان لله تعالى، وهي منفية عنه كما هو مذهب الأشاعرة المتأخرين الذين يعد ابن الأثير واحداً منهم. ومما يجدر ذكره أن ما هرب إليه ابن الأثير من تقدير المضاف لا ينجيه مما هرب منه، لأنه إذا أثبت الجهة لعرشه سبحانه وتعالى ثبتت له أيضاً لكونه مستوياً عليه". انظر الاستقامة لابن تيمية (١/١٢٦-١٢٧).

وقال الذهبي في العلو (ص٢٦) بعد ذكر حديث الجارية: "وهكذا رأينا في كل من يُسأل أين الله، يبادر بفطرته ويقول في السماء. في الخبر مسألتان

إحداهما: شرعية قول المسلم (أين الله)؟

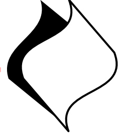


وثانيهما: قول المسؤول (في السماء) فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى صلى الله عليه وسلم" ا. هـ."

وقال القاضي أبو يعلى الفراء في كتاب "إبطال التأويل": قال بعد أن ذكر حديث الجارية: "اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما: في جواز السؤال عنه سبحانه بأين هو؟، وجواز الإخبار عنه بأنه في السماء"٧.

وذكر أشياء، إلى أن قال: "وقد أطلق أحمد بذلك فيما أخرجه في "الرد على الجهمية" فقال: فقد أخبرنا بأنه في السماء فقال {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ}، وقال {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}، وقال {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} فقد أخبر الله عز وجل أنه في السماء وهو على عرشه".

وذكر كلاماً طويلاً ليس هذا موضعه" "انظر إبطال التأويلات (١/٢٣٣)."



قال: ((**أَعْتِقها؛ فإنَّها مؤمنة**)). هذا حديث صحيح؛ رواه مسلم[1]، وأبو داود[2]، والنسائي[3]، ومالك في الموطأ. [4]

وقد تقدم ذكر موقف المعطلة عموماً من نصـوص السـنة ورفضـهم الاحتجاج بها بزعم أنها أخبار آحاد، وأخبار الآحاد لا يحتج بها في باب الاعتقاد، مع وصـفهم لها بأنها أحاديث التشـبيه كقول الغزالي: "وظواهر أحاديث التشـبيه أكثرها غير صـحيحة". (٥). وأحاديث التشبيه يقصد بها أحاديث الصفات، والحديث كلام المصطفى –صلى الله عليه وسلم– كيف يُنبز بهذا الوصـف الذي ينفر السـامع؟ ثم كيف تحكم عليها هكذا أنها غير صـحيحة؟ ولا

---

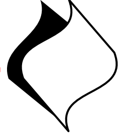
١ أخرجه في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٨٢/١).

٢ سنن أبي داود (٥٧٢/١) كتاب الصلاة، "باب ١٧١ تشميت العاطس في الصلاة" رقم (٩٣٠).

٣ سنن النسائي (١٤/٣–١٨).

٤ كتاب العتق، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة (ص٥٥٢–٥٥٣، ح١٤٦٤). وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٤٧/٥). وابن أبي عاصم في السنة (٢١٥/١). وابن خزيمة في التوحيد (٢٧٨/١–٢٨٠، ح١٧٨). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٩٢/٣). والذهبي في العلو (ص١٦)، وانظر مختصر العلو للذهبي (ص٨١).

(١) انظر كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي صفحة (١١٦).



يتوهم السامع أن معنى أكثرها غير صحيحة أنها ضعيفة أو موضوعة، بل يقصدون بها أنها أخبار آحاد وعنده أن أخبار الآحاد لا صحة لها.

فشتان بين من يعظم السنة ويوقرها يحتج بها ويصدرها ويستدل بها، وبين من لا يقيم لها وزناً أو اعتباراً، بل ويتهكم بنصوصها وينفر منها بألقاب وأسماء تجعل السامع ينفر منها، بل ويقدم عليها زبالة الأفكار وأقوال من لم يعرف الله عز وجل حق المعرفة.

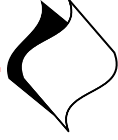
ج-دليل الإجماع:

إجماع السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم منعقد على إثبات علو الله، واستوائه على عرشه، وقد نقل غير واحد من السلف هذا الإجماع عنهم، ومن ذلك ما رواه **البيهقي-رحمه الله-(ت: ٤٥٨ هـ)** بإسناد صحيح عن **الأوزاعي-رحمه الله-(ت: ١٥٧ هـ)** أنه قال: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله-تعالى-ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته".[١]

وقال **أبو نصر السجزي-رحمه الله-(ت: ٤٤٤هـ)**: "فأئمتنا كسفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)، ومالك-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)، وسفيان ابن عيينة-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ)، وحماد بن سلمة-رحمه الله-(ت: ١٦٧ هـ)، وحماد بن زيد-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)، وعبد الله بن المبارك-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ)، وفضيل بن عياض-رحمه الله-(ت: ١٨٧ هـ)، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي-رحمه الله-

---

[١] "الأسماء والصفات": ص ٥١٥.



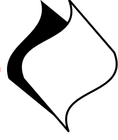
(ت: ٢٣٨ هـ): متفقون على أن الله–سبحانه–بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش".[١]

وقال أبو نعيم الأصبهاني–رحمه الله–(ت: ٤٣٠ هـ) في عقيدته المشهورة: "وطريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش والاستواء عليه يقولون بها، ويثبتونها من غير تكييف ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمواته من دون أرضه".[٢]

وكلام السلف من الصحابة والتابعين، من تبعهم في إثبات العلو كثير جدا ولا يتسع المقام ههنا لذكره، وقد نقل ابن قدامة–رحمه الله–(ت: ٦٢٠ هـ) في كتاب "إثبات صفة العلو"، وكذلك نقل ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ) في الفتوى الحموية وغيرها الكثير من تلك النصوص الواردة عنهم، وبين إجماعهم على إثبات ذلك،[٣] وكذلك فعل تلميذه **ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ)** في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية"، وكذلك **الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ)** في كتابيه "العلو" و"العرش"،

---

[١] "درء تعارض العقل والنقل": (٦/ ٢٥٠).
[٢] "درء تعارض العقل والنقل": (٦/ ٢٥٠).
[٣] انظر: "مجموع الفتاوى": (٥/ ٦).



د-الأدلة من العقل.

أما الأدلة العقلية فهي كثيرة وسأورد ههنا ثلاثة منها:

الدليل الأول: قول **الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)**: "إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله تعالى حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان

فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟

فسيقول: نعم.

فقل له: حين خلق الشيء هل خلقه في نفسه؟ أم خارجاً عن نفسه؟

فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال:

واحد منها: إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه، كفر حين زعم أنه خلق الجن والشياطين وإبليس في نفسه.

وإن قال: خلقهم خارجا عن نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا أيضاً كفر حين زعم أنه في كل مكان وحش قذر رديء.

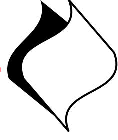
وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله كله أجمع". (١)

الدليل الثاني: قول **ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ)**: "إن كل من أقر بوجود رب للعالم مدبر له، لزمه الإقرار بمباينته لخلقه وعلوه عليهم.

فمن أقر بالرب، فإما أن يقر بأن له ذاتاً وماهية مخصوصة أو لا؟

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية (ص٩٥-٩٦).



فإن لم يقر بذلك، لم يقر بالرب، فإن رباً لا ذات له ولا ماهية له هو والعدم سواء، وإن أقر بأن له ذاتاً مخصوصة وماهية، فإما أن يقر بتعينها أو يقول إنها غير معينة؟

فإن قيل إنها غير معينة كانت خيالاً في الذهن لا في الخارج، فإنه لا يوجد في الخارج إلا معيناً، لا سيما وتلك الذات أولى من تعيين كل معين فإنه يستحيل وقوع الشركة فيها، وأن يوجد لها نظير، فتعيين ذاته سبحانه واجب.

وإذا أقر بأنها معينة لا كلية، والعالم مشهود معين لا كلي، لزم قطعاً مباينة أحد المتعينين للآخر، فإنه إذا لم يباينه لم يعقل تميزه عنه وتعينه.

فإن قيل: هو يتعين بكونه لا داخلاً فيه ولا خارجاً عنه.

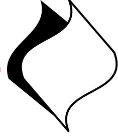
قيل: هذا -والله أعلم- حقيقة قولكم، وهو عين المحال، وهو تصريح منكم بأنه لا ذات له ولا ماهية تخصه، فإنه لو كان له ماهية يختص بها لكان تعينها لماهيته وذاته المخصوصة، وأنتم إنما جعلتم تعيينه أمراً عدمياً محضاً ونفياً صرفاً وهو كونه لا داخل العالم ولا خارجا عنه، وهذا التعيين لا يقتضي وجوده مما به يصح على العدم المحض.

وأيضاً فالعدم المحض لا يعين المتعين، فإنه لا شيء وإنما يعينه ذاته المخصوصة وصفاته، فلزم قطعاً من إثبات ذاته تعيين تلك الذات، ومن تعيينها مباينتها للمخلوقات، ومن المباينة العلو عليها لما تقدم من تقريره". (١)

الدليل الثالث: أنه قد ثبت بصريح المعقول أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص، فإن الله يوصف بالكمال منهما دون النقص، فلما تقابل الموت والحياة، وصف بالحياة دون الموت، ولما تقابل العلم والجهل، وصف بالعلم دون الجهل، ولما

---

(١) مختصر الصواعق (١/٢٧٩-٢٨٠).



تقابل القدرة والعجز، وصـــف بالقدرة دون العجز، ولما تقابل المباينة للعالم والمداخلة له، وصـــف بالمباينة دون المداخلة، وإذا كان مع المباينة لا يخلو إما أن يكون عالياً على العالم أو مسامتا له، وجب أن يوصف بالعلو دون المسامتة، فضلاً عن السفول.

والمنازع يسـلم أنه موصـوف بعلو المكانة وعلو القهر، وعلو القهر، وعلو المكانة معناه أنه أكمل من العالم، وعلو القهر مضـمونة أنه قادر على العالم، فإذا كان مبايناً للعالم كان من تمام علوه أن يكون فوق العالم، ولا محاذياً له ولا سافلا عنه.

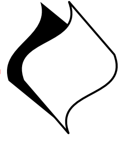
ولما كان العلو صـــفة كمال، وكان ذلك من لوازم ذاته، فلا يكون مع وجود غيره إلا عالياً عليه، ولا يكون قط غير عالٍ عليه". (١)

وبهذه النماذج التي أوردناها عن الأدلة العقلية يتضـح لنا مدى دلالة المعقول الصـريح على إثبات علو الله ومباينته لخلقه وكذلك مدى مخالفة أقوال المعطلة والحلولية لصريح المعقول وصحيح المنقول.

هـ–أما دليل الفطرة:

فمن المعلوم أن الفطرة الســليمة قد جبلت على الاعتراف بعلو الله ســبحانه وتعالى، ويظهر هذا الأمر عندما يجد الإنسـان نفسـه مضـطراً إلى أن يقصـد جهة العلو ولو بالقلب حين الدعاء، وهذا الأمر لا يسـتطيع الإنسـان دفعه عن نفسـه فضـلاً عن أن يرد على قائله وينكر هذا الأمر عليه.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/٥–٦).



ومن أجل ذلك لم يجد الجويني -إمام الحرمين-جواباً حين سألـه الهمداني محتجاً عليه بها، فقد ذكر **محمد بن طاهر المقدسي-رحمه الله-(ت: ٥٠٧ هـ) أن الشيخ أبا جعفر الهمداني-رحمه الله-(ت: ٥٣١ هـ)** حضر مجلس الاستاذ **أبا المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين-رحمه الله-(ت: ٤٧٨ هـ)**، وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول: "كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان"، فقال الشيخ أبو جعفر: "يا أستاذ دعنا من ذكر العرش -يعني لأن ذلك إنما جاء في السمع-أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: يا ألله، إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنه ولا يسره، فكيف تدفع هذه الضرورة على قلوبنا؟

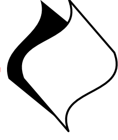
قال: فطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني". (١)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "علو الخالق على المخلوق وأنه فوق العالم، أمر مستقر في فطر العباد، معلوم لهم بالضرورة، كما اتفق عليه جميع الأمم، إقراراً بذلك، وتصديقاً من غير أن يتواطؤوا على ذلك ويتشاعروا، وهم يخبرون عن أنفسهم أنهم يجدون التصديق بذلك في فطرهم.

وكذلك هم عندما يضطرون إلى قصد الله وإرادته، مثل قصده عند الدعاء والمسألة، يضطرون إلى توجه قلوبهم إلى العلو، فكما أنهم مضطرون إلى أن يوجهوا قلوبهم إلى العلو إليه، لا يجدون في قلوبهم توجهاً إلى جهة أخرى، ولا استواء الجهات كلها عندها وخلو القلب عن قصد جهة من الجهات، بل يجدون قلوبهم مضطرة إلى أن تقصد جهة علوهم دون غيرها من الجهات.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٤، ٦١)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص٣٢٥-٣٢٦).



فهذا يتضمن بيان اضطرارهم إلى قصده في العلو وتوجههم عند دعائه إلى العلو، كما يتضمن فطرتهم على الإقرار بأنه في العلو والتصديق بذلك". (١)

ثانيًا: أقوال المخالفين في صفة العلو.

القول الأول: قول المعطلة من الفلاسفة (٢)، والجهمية (٣)، والمعتزلة (٤)، ومتأخري الأشاعرة (٥)، والقرامطة الباطنية (٦).

وهؤلاء جميعاً ينفون علو الله وارتفاعه فوق خلقه، وكل ذلك تحت دعوى التوحيد والتنزيه ونفي التشبيه، فهم يزعمون أن إثبات العلو لله تعالى فيه إثبات للجهة، والمحايثة، والحد، والحركة، والانتقال، وهذه الأمور على زعمهم تستلزم، الجسمية، والأجسام، حادثة، والله منزه عن الحوادث فمن أجل ذلك نفوا العلو، وأولوا النصوص الثابتة فيه بأن المراد بها علو القهر والغلبة.

وقد انقسم الجهمية المعطلة النافون لعلو الله إلى فريقين في هذه المسألة:

---

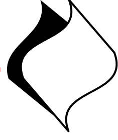
(١) انظر درء تعارض العقل والنقل (٧/٥) بتصرف.

(٢) النجاة لابن سينا (ص٣٧).

(٣) (٣) مجموع الفتاوى (٢/٢٩٧-٢٩٨)، (٥/١٢٢).

(٥) تأويل مشكل الحديث لابن فورك (ص٦٣)، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٢٩، ٣٤).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٥/١٧٨)، والقرامطة من الباطنية وهم ينتسبون إلى حمدان بن الأشعث الذي كان يلقب بقرمط لقرمطة في خطه أو خَطْوِه، انظر الفرق بين الفرق (٢٨١، ٢٩٣)، المنتظم لابن الجوزي (٥/١١٠، ١١١).



الفريق الأول:

وهم الذين يقولون إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا هو مباين له ولا محايث له.

وهذا القول هو ما يذهب إليه النظار والمتكلمون من هؤلاء المعطلة، (١) وهم بقولهم هذا قد نفوا الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود منهما، وذلك خشية منهم أن يشبهوا، فهم قالوا بهذه المقالة هرباً منهم -على حد زعمهم- من إثبات الجهة والمكان والحيز، لأن فيها كما يدعون تجسيماً وهو تشبيه، فقالوا: يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات فنحن نسد الباب بالكلية.

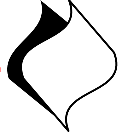
وقد استند أصحاب هذا القول في قولهم هذا على حجج زعموا أنها عقلية أسسوها وابتدعوها وجعلوها مقدمة كل نص، وليس لهؤلاء أي دليل من القرآن أو السنة على صحة قولهم هذا، وفي ذلك يقول **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)**: "وجميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص، كالخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة وغيرهم إلا الجهمية، فإنهم ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه في النفي". (٢).

وسنأتي بعد ذكر القول الثاني إلى ذكر بعض تلك الحجج التي زعمها هؤلاء.

---

(١) الرسالة الأضحوية (نقلا عن مختصر الصواعق ١/٢٣٧)، والاقتصاد في الاعتقاد (ص٣٤)، تأويل مشكل الحديث (ص٦٣-٦٤)، مجموع الفتاوى (٢/٢٩٧-٢٩٨، ٥/١٢٢-١٢٤)، نقض التأسيس (١/٦-٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/١٢٢).



القول الثاني: وهم الذين يقولون بأن الله بذاته في كل مكان.

وهذا القول هو ما يذهب إليه النجارية (١)، وكثير من الجهمية وبخاصـــة عبادهم وصوفيتهم وعوامهم وأهل المعرفة والتحقيق منهم. (٢)

ويحتج هؤلاء ببعض الحجج العقلية المزعومة بالإضـــافة إلى بعض الآيات القرآنية الدالة على المعية والقرب.

وقد يجمع كثير من هؤلاء المعطلة بين القولين، فهو في حالة نظره وبحثه يقول بسلب الوصفين المتقابلين كليهما، فيقول لا هو داخل العالم ولا خارجه.

وفي حالة تعبده وتألهه يقول بأنه في كل مكان ولا يخلو منه شيء. (٣)

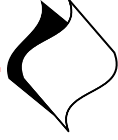
---

(١) هم أتباع حسين بن محمد بن عبد الله بن النجار، وقد كان أكثر معتزلة الري ومن حولها على مذهبه، وقد نقل الشهرستاني في الملل والنحل (١/١١٣-١١٤) عن الكعبي قوله: (إن النجار كان يقول: إن الباري بكل مكان وجودا لا معنى العلم والقدرة).

وانظر مقالات الإسلاميين (١/١٣٥-١٣٧، ٢٨٣-٢٨٥)، والفرق بين الفرق (١٢٦-١٢٧)، وأصول الدين للبغدادي (ص٣٣٤)، والتبصير في الدين (١٠١، ١٠٢، ١٠٣).

(٢) انظر نقض التأسيس (١/٧).

(٣) انظر نقض التأسيس (١/٧).



شبهة المعطلة العقلية:

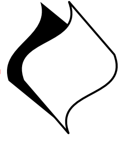
إن جل ما اعتمد عليه هؤلاء المعطلة من أدلة على نفي صفة العلو وغيرها من الصفات إنما هو عبارة عن حجج عقلية مزعومة ومبتدعة بناها هؤلاء المعطلة على أصول فلسفية كانوا قد تأثروا بها وليس لهؤلاء المعطلة في نفيهم هذا أساس من كتاب الله أو سنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

وقد جعل هؤلاء المعطلة لتلك الحجج حكم الأمر المحكم الذي يجب اتباعه واعتقاد موجبه والتسليم به، وقد بلغ من تقديسهم لها أنهم جعلوها مقدمة على الكتاب والسنة فإذا ورد النص من الكتاب أو السنة عرضوه على تلك الأسس العقلية، فإن وافقها احتجوا به اعتضادا لا اعتمادا، وإن خالفها فهم يحرفون الكلم عن مواضعه فيؤولون نصوص القرآن ويطعنون في نصوص السنة، وكل ذلك تحت دعوى التنزيه والتوحيد ونفي التشبيه.

وقد أفرط هؤلاء المعطلة في هذا الجانب -أي جانب نفي التشبيه-فجعلوا من قوله تعالى **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [الشورى: الآية: ١١] جنة يتترسون بها لنفي علو الله سبحانه فوق عرشه وتكليمه لرسله وإثبات صفات كماله، وغير ذلك مما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر به رسوله-صلى الله عليه وسلم-، حتى إنه قد آل ببعض هؤلاء المعطلة إلى نفي ذاته خشية التشبيه فقالوا: هو وجود محض لا ماهية له، ونفى آخرون وجوده بالكلية خشية التشبيه -على حد زعمهم-حيث قالوا: يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات والكلام والعلو فنحن نسد الباب بالكلية. (١)

---

(١) مختصر الصواعق (١/٢٨٥).



وسـوف نتعرض لبعض أسـس تلك الشـبه العقلية المزعومة التي جعلها هؤلاء المعطلة مسـتندا لهم في نفي صـفة العلو وغيرها من الصـفات، ونبين ما فيها من مخالفة لكتاب الله وسنة نبيه محمد–صلى الله عليه وسلم–مع بيان ما في تلك الأسس من تناقض وبخاصة من الناحية العقلية.

ونظراً لتعدد مذاهب المعطلة واختلاف بعضـها عن بعض في القول والرأي، فسـوف نعرض شبهة كل فرقة من الفرق السابقة الذكر على حدة فنبدأ أولاً بـ:

١. شبهة الفلاسفة (١):

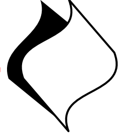
الفلاسفة ينفون صفة العلو وباقي صفات الباري عز وجل –كما سبق وأن ذكرنا– تحت دعوى التوحيد والتنزيه عن مشـابهة المخلوقين، **فابن سـينا (ت: ٤٢٧ هـ)** يقول: "إن واجب الوجود بذاته واحد بسـيط لا تكثر فيه بوجه من الوجوه فهو ليس بجسـم ولا صـورة جسـم ولا مادة معقولة لصـورة معقولة، ولا صـورة معقولة في مادة معقولة، ولا له قسـمة في الكلم ولا في المبادئ المقومة له، ولا في قول الشـارح ولا غير ذلك مما ينافي وحدة واجب الوجود وبساطته المطلقة". (٢)

والمتأمل لهذه العبارات التي أوردها ابن سـينا يعرف أنها إنما هي مجرد اصـطلاحات اصـطلحها هو وأمثاله من الفلاسـفة الذين تأثروا بفلسـفة اليونان، فجعلوا من تلك العبارات المبتدعة ما أسموه بالتوحيد، وادعوا أن ما تضـمنته هو التنزيه، مع أنها في الحقيقة متضـمنة لنفي جميع الصـفات بما فيها العلو والاسـتواء، فقوله: "إن واجب

---

(١) أقصد بهم فلاسفة المسلمين كابن سينا والفارابي.

(٢) النجاة لابن سينا (ص٣٧).



الوجود بذاته واحد بسـيط لا تكثر فيه بوجه من الوجوه"، يعني به أنه ليس لله تعالى صفة ولا قدر، لأن ذلك على رأيه يستلزم التجسيم والتجزئة والتركيب فيلزم نفيه، لأنه يلزم من ذلك الحدوث والافتقار وذلك ينافي واجب الوجود.

فابن سـينا وأمثاله من الفلاسـفة يعتمدون في نفي الصـفات على حجة التركيب والتي هي: "أنه لو كان له صـفة لكان مركباً والمركب يفتقر إلى جزئيه وجزءاه غيره والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسـه"، وهم بهذا الكلام تجدهم قد نفوا صـفات الباري جميعها.

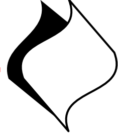
ولو توفقنا عند العبارة السـابقة وهي قوله: "أن واجب الوجود بذاته واحد بسـيط ..."، من أجل بيان ما فيها من مخالفة لكتاب الله وسـنة رسـوله-صـلى الله عليه وسلم-وحتى مخالفتها للعقل الذي يقدمه هؤلاء على كل شيء.

لوجدنا هذه العبارة هي تفسير للواحد بما لا أصل له في الكتاب أو السنة، بل هو تفسير باطل شرعاً وعقلاً ولغة.

أما في اللغة:

فإن أهل اللغة مطبقون على أن هذا القول ليس هو معنى الواحد في اللغة، إذ القرآن ونحوه من الكلام العربي متطابق على ما هو معلوم بالاضـطرار في لغة العرب وسـائر اللغات أنهم يصـفون كثيراً من المخلوقات بأنه واحد ويكون ذلك جسـماً، إذ المخلوقات إما أجسام وإما أعراض عند من يجعلها غيرها أو زائدة عليها.

وإذا كان أهل اللغة متفقين على تسـمية الجسـم الواحد واحداً، امتنع أن يكون في اللغة معنى الواحد الذي لا ينقسـم إذا أريد بذلك أنه ليس بجسـم وأنه لا يشـار إلى



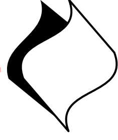
شيء منه دون شيء، ولا يوجد في اللغة اسم الواحد الاعلى ذي صفة ومقدار لقوله تعالى **{الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ}** [النساء: الآية: ١]، ومعلوم أن النفس الواحدة المراد بها هنا آدم عليه السلام، وحواء خلقت من ضلع آدم، فمن جسده خلقت لا من روحه حتى لا يقول القائل: الوحدة هي باعتبار النفس الناطقة التي لا تركيب فيها، وإذا كانت حواء خلقت من جسد آدم، وجسد آدم جسم من الأجسام التي سماها الله نفساً واحدة علم أن الجسم قد يوصف بالوحدة، وأبلغ من ذلك ما ذكره الإمام أحمد وغيره من قوله تعالى: **{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}** [المدثر: الآية: ١١]، فإن الوحيد مبالغة في الواحد فإذا وصف البشر الواحد بأنه وحيد في صفة فإنه واحد من باب أولى، ومع هذا فهو جسم من الأجسام.

وأما في العقل:

فإن الواحد الذي وصفوه يقول لهم فيه أكثر العقلاء وأهل الفطر السليمة إنه أمر لا يعقل، ولا له وجود في الخارج، وإنما هو أمر مقدر في الذهن، فليس في الخارج شيء موجود لا يكون له صفات ولا قدر ولا يتميز من شيء عن شيء بحيث يمكن أن يرى ولا يدرك ولا يحاط به وإن سماه المسمى جسماً.

وأما في الشرع:

فنقول إن مقصود المسلمين أن الأسماء المذكورة في القرآن والسنة وكلام المؤمنين المتفق عليه بمدح أو ذم، تعرف مسميات تلك الأسماء حتى يعطوها حقها، ومن



المعلوم بالاضطرار أن اسم (الواحد) في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات وسلب إدراكه بالحواس ولا نفي الحد والقدر ونحو ذلك من المعاني التي ابتدعها هؤلاء. (١).

وأما حجة التركيب التي اعتمد عليها هؤلاء الفلاسفة في نفي الصفات وهي قولهم: "إنه لو كان صفة لكان مركبا والمركب يفتقر إلى جزئية وجزءاه غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه" فهي تتكون من ألفاظ مجملة بمعنى أن كل لفظة منها تحتمل عدة معان فلا بد من توضيح المراد من كل لفظ أولاً حتى يتكلم فيه.

فلفظ "المركب" مثلاً: قد يراد به ما ركبه غيره، أو ما كان مفترقاً فاجتمع، أو ما يقبل التفريق، والله منزه عن هذه المعاني باتفاق.

وأما الذات الموصوفة بصفاتها اللازمة لها فإذا سميتم هذا تركيباً كان ذلك اصطلاحاً لكم، وليس هو المفهوم من لفظ المركب ولن تستطيعوا أيها الفلاسفة إقامة الدليل على نفيه.

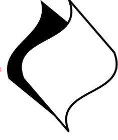
وأما قولهم: "لكان مركباً" فإن أرادوا لكان غيره ركبه، أو لكان مجتمعاً بعد افتراقه، أو لكان قابلاً للتفريق. فاللازم باطل فإن الكلام إنما هو في الصفات اللازمة للموصوف الذي يمتنع وجوده بدونها.

وإن أراد بالمركب الموصوف أو ما يشبه ذلك فلِما قالوا إن ذلك يمتنع.

وأما قولهم "والمركب مفتقر إلى غيره" فالجواب عنه: أما المركب بالتفسير الأول فهو مفتقر إلى ما يباينه وهذا ممتنع على الله تعالى.

---

(١) انظر نقض التأسيس (١/٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٨).



وأما الموصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته الذي سميتموه أنتم مركباً فليس في اتصافه هذا ما يوجب كونه مفتقراً إلى مباين له.

وإن قالوا: هي غيره وهو لا يوجد إلا بها وهذا افتقار إليها، قيل لهم: إن أرادوا بقولهم هي غيره أنها مباينة له فذلك باطل.

وإن أرادوا أنها ليست إياه، قيل لهم: إذا لم تكن الصفة هي الموصوف فأي محذور في هذا.

وإذا قالوا: هو مفتقر إليها، قيل: أتريدون بالافتقار أنه مفتقر إلى فاعل يفعله أو محل يقبله، أم تريدون أنه مستلزم لها فلا يكون موجوداً إلا وهو متصف بها.

أما الثاني فأي محذور فيه، وأما الأول فباطل إذ الصفة اللازمة للموصوف لا يكون فاعلاً لها. (١)

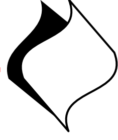
أما قولهم: "أنه لو كان صفة لكان مركباً والمركب مفتقر إلى جزئية"، فهذا القول لا يتم إلا عند من يثبت الجوهر الفرد، أما نفاته فعندهم أن الجسم في نفسه واحد بسيط ليس مركباً من الجواهر المنفردة، وهذه المسألة خلافية قد توقف فيها أذكى المتأخرين من الأشعرية وإمامهم أبو المعالي الجويني وكذلك أذكى متأخري المعتزلة أبو الحسين البصري وكذلك الرازي فهي مقدمة ممنوعة لا تصلح دليلا لوجود النزاع فيها حتى بين الفلاسفة أنفسهم. (٢)

٢. شبهة المعتزلة:

---

(١) انظر منهاج السنة (١/١٨٨-١٩٠) بتصرف.

(٢) نقض التأسيس (١/٤٩٥-٤٩٦).



وأما شبهة المعتزلة التي اعتمدوا عليها في نفي صفات الباري عز وجل بما فيها صفة العلو فهي ما تسمى بطريقة الأعراض، ذلك أنهم يزعمون أن الصفات إنما هي أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، والأجسام حادثة، والله منزه عن الحوادث، ومن أجل ذلك كان قول المعتزلة في الله: إنه قديم واحد ليس معه في القدم غيره، فلو قامت به الصفات لكان معه غيره. (١) ولكان جسماً إذ أن ثبوت الصفات يقتضي كثرة وتعدداً في ذاته ويقتضي أنه جسم وذلك خلاف التوحيد.

فهم يزعمون أن توحيد الله وتنزيهه متوقف على أنه ليس بجسم، وكونه ليس بجسم موقوف على عدم قيام الأعراض والحوادث به التي هي الصفات والأفعال، ونفي ذلك عندهم موقوف على ما يدل عليه حدوث الأجسام، والذي دلهم على حدوث الاجسام أنها لا تخلو من الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث لا يسبقها، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث.

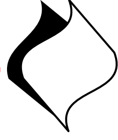
ويزعمون أيضاً أن الأجسام لا تخلو من الأعراض، والأعراض لا تبقى زمانين فهي حادثة، فإذا لم تخل الأجسام منها لزم حدوثها.

ويزعمون أيضاً أن الاجسام مركبة من الجواهر المفردة، والمركب مفتقر إلى جزئية وجزءاه غيره، وما افتقر إلى غيره لم يكن إلا حادثاً مخلوقاً، فالأجسام متماثلة فكل ما

---

(١) بالإضافة إلى زعم المعتزلة أن الصفات لا تقوم إلا بأجسام، فهم أيضاً يزعمون أن في إثبات الصفات قول بكثرة وتعدد ذات الله، لأنهم يقولون: "إن من أثبت لله صفة أزلية قديمة فقد أثبت إلهين"، كما اعتقدوا أن الصفات لو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية.

انظر الملل للشهرستاني (١/٤٤-٤٦)، مقالات الإسلاميين (١/٢٤٥)، منهاج السنة (٢/١٦٩).



صح على بعضها صح على جميعها، وقد صح على بعضها التحليل والتركيب والاجتماع والافتراق فيجب أن يصح على جميعها. (١)

والمعتزلة يقولون إننا بهذا الطريق أثبتنا حدوث العالم ونفي كون الصانع جسماً وإمكان المعاد.

الرد عليهم:

مما تقدم نعلم أن المعتزلة إنما بنوا دليلهم في نفي الصفات على أن القديم لا يكون محلا للصفات والحركات فلا يكون جسماً ولا محيزاً لأن الصفات أعراض وهم يستدلون على حدوث الجسم بحدوث الأعراض والحركات، وأن الجسم لا يخلو منها، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

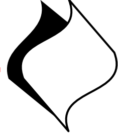
فهم بهذا القول نفوا صفات الباري وجعلوا نفيها يتوقف عليه ثبوت الصانع وحدوث العالم، فإذا جاء في القرآن والسنة ما يدل على إثبات الصفات لم يمكن القول بموجبه.

والمتدبر لحجج المعتزلة يرى فيها الأمور التالية:

أولاً: أنهم يستدلون لأقوالهم بعبارات مبتدعة وفيها الكثير من الاشتباه والاجمال، وذلك كلفظ العرش والجسم والحيز والمركب وغير ذلك، فهم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ليخدعوا به جهال الناس بما يشبهون عليهم، وهذه الألفاظ المجملة تتضمن معاني باطلة ومعاني أخرى صحيحة فهم بهذا ينفون كلا المعنيين الحق والباطل.

---

(١) انظر مختصر الصواعق (٢٥٤/١).



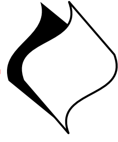
وقد بين **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)** ما في هذه الألفاظ من معانٍ، وما تدل عليه من عبارات (١)، وكيف استعملها هؤلاء المعطلة في نفي صفات الباري عز وجل حيث ادعوا أن هذه الأمور من مستلزمات الجسمية، والله منزه من ذلك، وقد بين **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)** أن استعمال هذه الألفاظ نفياً وإثباتاً لم يرد عن السلف ولا جاء به أثر صحيح ولم يستعملها الأقدمون بالمعنى الاصطلاحي الذي اتفق عليه هؤلاء، بل جميعهم معترفون بأن العلو صفة كمال كما أن السفل صفة نقص، وما ثبت لله من العلو فهو العلو المناسب لكمال ذاته المنزهة عن اعتبارات المحدثين ومماثلتهم.

ومعلوم أن القول بأن العلو يستلزم هذه المعاني المبهمة إنما هو مأخوذ من قياس الغائب على الشاهد، ومحاولة تطبيق الاعتبارات الإنسانية على الصفات الإلهية، وهذا قياس خاطئ إذ ليس معنى كونه في السماء أن السماء تحويه وتحيط به وتحصره، أو هي محل وظرف له، بل هو سبحانه محيط بكل شيء وسع كرسيه السموات والأرض، وهو فوق كل شيء وعالٍ على كل شيء. (٢)

---

(١) انظر شرح ابن تيمية لهذه العبارات في نقض التأسيس الجهمية (١/٥٠٤، ٥١١)، وفي مجموع الفتاوى (٥/٤١٨-٤٣٠).

(٢) انظر كتاب موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قضية التأويل (٣٨١-٣٨٥).



ثانيا: أن ما استدل به المعتزلة لا أصل له من الكتاب أو السنة، بل هو مأخوذ من كلام الفلاسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً ليس بعالم ولا قادر ولا حي. (١)

كما أن مذهب المعتزلة في الذات قريب من مذهب اليونان القائلين بأن ذات الله واحدة لا كثرة فيها بوجه من الوجوه. (٢)

ثالثاً: أن أصل هذه القاعدة التي اعتمد عليها المعتزلة في نفي الصفات إنما هي مأخوذة من قولهم في دليل حدوث العالم (٣) الذي أثبتوا فيه حدوث العالم بحدوث الأجسام، وهذا الدليل قد بين الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر: أنه دليل محرم في شرائع الأنبياء، ولم يستدل به أحد من الرسل ولا أتباعهم (٤)، فهي بهذا طريق يحرم سلوكها لما فيها من الخطر والتطويل وما يلزم عليها من لوازم باطلة لأنها مستلزمة لنفي الصانع بالكلية، وهي مستلزمة لنفي صفاته ونفي أفعاله ونفي المبدأ والمعاد، فهذه الطريق لا تتم إلا بنفي سمع الرب وبصره وقدرته وحياته وإرادته وكلامه فضلاً عن نفي علوه على خلقه ونفي الصفات الخبرية من أولها إلى آخرها، فلو صحت هذه الطريقة لنفت الصانع وأفعاله وصفاته وكلامه وخلقه للعالم وتدبيره له، وما يثبته أصحاب هذه الطريقة من ذلك لا حقيقة له بل هو لفظ لا معنى له، وأن الله بذاته في كل مكان،

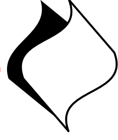
---

(١) مقالات الإسلاميين (١٧٧/٢)، وموقف المعتزلة من السنة النبوية (٥٣).

(٢) موقف المعتزلة من السنة النبوية (٥٣).

(٣) انظر الكلام على دليل حدوث العالم في مجموع الفتاوى (١٥٣/١٣).

(٤) انظر كتاب رسالة إلى أهل الثغر (ص١٦٤-١٧٢) تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي، رسالة ماجستير من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية.



وقال إخوانهم إنه ليس داخل العالم ولا خارج العالم، وقالوا بخلق القرآن إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة. (١)

٣. شبه متأخري الأشاعرة:

وهم أيضاً ينفون صفة العلو لأنها من الصفات الخبرية (٢)، ومعلوم أن مذهب متأخري الأشاعرة في الصفات أنهم يثبتون سبع صفات فقط وهي ما يسمونها بصفات المعاني وهي العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام، وهم يثبتون لهذه الصفات أربعة أحكام هي:

١ـ أن هذه الصفات ليست هي الذات، بل زائدة عليها فصانع العالم عندهم عالم بعلم وحي بحياة وقادر وهكذا.

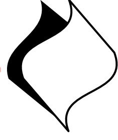
٢ـ أن هذه الصفات كلها قائمة بذات الله تعالى ولا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته لأن الدليل دل على أنه متصف بها ولا معنى لاتصافه بها إلا قيامها بذاته، حتى لو قلنا، إنه عالم كان هو بعينه مفهوم قولنا قام بذاته علم فلا تكون الصفة لشيء إلا إذا قامت به لا بغيره.

٣ـ أن هذه الصفات كلها قديمة لأنها إن كانت حادثة كان القديم محلاً للحوادث وهذا محال، أو متصف بصفة لا تقوم به وذلك أظهر استحالة.

---

(١) مختصر الصواعق (١/٢٥٧،٢٥٦)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/٣٨-٤٠).

(٢) الصفات الخبرية وتسمى الصفات السمعية وهي: ما كان الدليل عليها مجرد خبر الرسول دون استناد إلى نظر عقلي كالاستواء والنزول والمجيء وغير ذلك.



٤. أن الأسماء المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبع صادقة عليه أزلاً وأبداً فهو في القدم كان حياً قادراً عليماً سميعاً بصيراً متكلماً. (١)

فهم على قولهم هذا لا يثبتون سوى هذه الصفات السبع فقط لأنها قديمة.

أما باقي الصفات التي يسمونها الصفات الخبرية فهم ينفونها جميعها، بدعوى تنزيه ذات الله عن الحوادث.

ومتأخرو الأشاعرة هؤلاء وإن كانوا يخالفون المعتزلة في جعلهم الصفة غير الذات كما في الحكم الأول فيثبتون الصفات القديمة من هذا الباب، إلا أنهم قد وافقوا المعتزلة في دليلهم المسمى بدليل نفي الحوادث فنفوا باقي الصفات الأخرى، ذلك لأن قولهم في الحكم الثالث من الأحكام الأربعة التي أوردناها إنها لو كانت حادثة لكان القديم محلا للحوادث، هو بعينه ما استدل به المعتزلة على نفي الصفات. (٢)

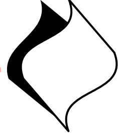
ويقول متأخرو الأشاعرة في دليلهم العقلي على نفي العلو إن إثبات العلو يقتضي إثبات الجهة وإثبات الجهة، يقتضي كونه جسماً، وكونه جسماً يقتضي كونه مركباً، والمركب مفتقر إلى جزئيه، والمفتقر إلى جزئيه لا يكون إلا حادثا والله سبحانه منزه عن الحوادث. (٣)

---

(١) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص٨٤-١٠١)، بتصرف.

(٢) مختصر الصواعق (١/٢٥٥).

(٣) نقض التأسيس (١/٥٠٣).



فعلى قولهم هذا يكونون هم والمعتزلة على دليل واحد، وقد سبق وأن ذكرنا الرد على المعتزلة فيكون الرد على هؤلاء من جنس الرد على أولئك، ويضاف إلى ذلك أن القول في الصفات التي نفاها هؤلاء هو كالقول في الصفات التي أثبتوها فإن كان هذا تجسيماً وقولا باطلاً فهذا كذلك.

وإن قالوا: إن إثباتها على الوجه الذي يليق بالرب.

قيل لهم: وكذلك هذا.

فإن قالوا: نحن نثبت تلك الصفات وننفي التجسيم.

قيل لهم: وهذا كذلك، فليس لكم أن تفرقوا بين المتماثلين. (١)

٤. شبه النفاة السمعية في نفي صفة العلو:

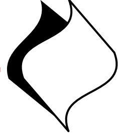
لقد سبق وأن ذكرنا أن المعطلة قد انقسموا في هذه المسألة إلى فريقين:

فأما الفريق الأول: وهم القائلون بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته وهؤلاء كما سبق وأن ذكرنا ليس لهم دليل واحد من الكتاب أو السنة.

وأما الفريق الثاني: وهم القائلون بأن الله بذاته في كل مكان فقد احتجوا لقولهم هذا بنصوص "المعية" و"القرب" الواردة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [المجادلة: الآية: ٧]، وقوله تعالى: **{يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ}** [النساء:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٦٥).

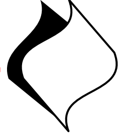


الآية: ١٠٨]، وقوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** [الحديد: الآية: ٤]، وقوله تعالى: **{إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}** [التوبة: الآية: ٤٠]، وقوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}** [ق: الآية: ١٦]، وقوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ}** [الزخرف: الآية: ٨٤]، وقوله تعالى: **{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ}** [الأنعام: الآية: ٣].

وقد زعم حلولية الجهمية أن المراد بهذه النصوص معية الذات وقرب الذات، فلذلك قالوا: إن الله بذاته في كل مكان.

الرد عليهم:

قد أبطل علماء السلف زعم هؤلاء الجهمية واستدلالهم بهذه الآيات وبينوا أن كل نص يحتجون به هو في الحقيقة حجة عليهم، فنصوص المعية التي استدلوا بها لا تدل بأي حال من الأحوال على ما زعمه هؤلاء، وذلك لأن كلمة (مع) في لغة العرب لا تقتضي أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر، وهي إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى.



ولفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع واقتضت في كل موضع أموراً لم تقتضيها في الموضع الآخر، وذلك بحسب اختلاف دلالتها في كل موضع وهي قد وردت في القرآن بمعنين هما:

المعنى الأول: المعية العامة

والمراد بها أن الله معنا بعلمه، فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم، ومهيمن وعالم بهم، وهذه المعية هي المرادة بقوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [المجادلة: الآية: ٧].

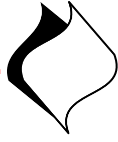
فالله سبحانه وتعالى قد افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم ولذلك أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم تفسير القرآن على أن تفسير الآية هو أنه معهم بعلمه، وقد نقل هذا الإجماع **ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ) (١)**، **وأبو عمرو الطلمنكي–رحمه الله–(ت: ٤٢٩ هـ)، وابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ) (٢)، وابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ).** (٣)

---

(١) التمهيد (٧/١٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/١٩٣)، و(٥/٥١٩)، و(١١/٢٤٩-٢٥٠).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٤).



قال أبو عمر بن عبد البر-رحمه الله-(ت: ٤٦٣ هـ): "إن علماء الصـــحابة والتـابعين الـذين حملت عنهم التـأويل في القرآن قـالوا في تأويل هـذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله". [١]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ) بعد أن نقل كلام ابن عبد البر هذا وأقره-: "فهذا ما تلقاه الخلف عن الســـلف إذ لم ينقل عنهم غير ذلك، إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية". اهـ [٢]

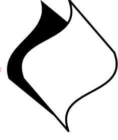
وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد ثبت عن الســـلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه. وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحســـان، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله، وهو مأثور عن ابن عباس-رضـــي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)، والضـــحاك-رحمه الله-(ت: ٦٤ هـ)، ومقاتل بن حيان-رحمه الله-(ت: ١٥٠ هـ)، وســـفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، وغيرهم.

ثم ذكر الشيخ ما رواه ابن أبي حاتم-رحمه الله-(ت: ٣٢٧ هـ) في تفسـيره عن ابن عباس-رضي الله عنهما-في قوله: **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}**، قال: هو على العرش، وعلمه معهم. وروى-أيضـا-عن سـفيان الثوري أنه قال: علمه معهم. وروى-أيضـا-

---

١ كتاب "التمهيد" (٧/١٣٨).

٢ "مجموع الفتاوى" (٥/ ١٩٣).



عن الضـــحاك بن مزاحم في قوله: **{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُم}** إلى قوله: **{أَيْنَ مَا كَانُوا}** قال: هو على العرش، وعلمه معهم.

وقال أبو عمرو الطلمنكي–رحمه الله–(ت: ٤٢٩ هـ): وأجمعوا–يعني أهل السنة والجماعة–على أن لله عرشا، وعلى أنه مستو على عرشه، وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلقه قال: فأجمع المســلمون من أهل الســنة على أن معنى **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}** ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء". [١]

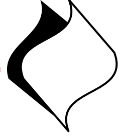
وعلى هذا فلا حجة للمخالفين في ظاهر هذه الآية.

وكذلك أيضـاً ما جاء في قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّـمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِـيرٌ}** [الحديد: الآية: ٤].

فظاهر الآية دال على أن المراد بهذه المعية هو علم الله تبارك وتعالى واطلاعه على خلقه، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه فوق العرش يعلم كل شـيء، وهو معنا أينما كنا، فجمع تعالى في هذه الآية بين العلو والمعية، فليس بين الاثنين تناقض البتة،

---

١ انظر: "مجموع الفتاوى": (٥١٩/٥).



وهو كقوله-صلى الله عليه وسلم-في حديث الأوعال: ((**والله فوق العرش يعلم ما أنتم عليه**)).

المعنى الثاني: المعية الخاصة

وهي معية الاطلاع والنصرة والتأييد، وسميت خاصة لأنها تخص أنبياء الله وأولياءه مثل قوله تعالى: **{إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}** [التوبة: الآية: ٤٠]، وقوله تعالى **{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}** [النحل: الآية: ١٢٨].

فهذه المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد.

ولفظ المعية على كلا الاستعمالين ليس مقتضاه أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق، ولو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان لتناقض الخبر العام والخبر الخاص، ولكن المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك. (١)

وأما استدلالهم بقوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}** [ق: الآية: ١٦]، فقد أجاب عنه **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)** بقوله: "إن هذه الآية لا تخلوا من أن يراد بها قربه سبحانه أو قرب ملائكته كما قد اختلف الناس في ذلك

فإن أريد بها قرب الملائكة: فدليل ذلك من الآية قوله: **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ}** [ق: الآيات: ١٦-

(١) مجموع الفتاوى (١١/٢٥٠)، و(٥/١٠٤).

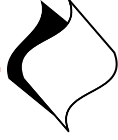
١٧]، ففسر ذلك القرب الذي هو حين يتلقى المتلقيان، فيكون الله سبحانه قد أخبر بعلمه هو سبحانه بما في نفس الإنسان، **{وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}** وأخبر بقرب الملائكة الكرام الكاتبين منه، **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}** وعلى هذا التفسير تكون هذه الآية مثل قوله تعالى: **{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}** [الزخرف: الآية: ٨٠].

أما إذا كان المراد بالقرب في الآية قربه سبحانه، فإن ظاهر السياق في الآية دل على أن المراد بقربه هنا قربه بعلمه، وذلك لورود لفظ العلم في سياق الآية **{وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}**". (١)

وأما استدلالهم بقوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ}** [الزخرف: الآية: ٨٤]، فمعنى الآية: أي هو إله من في السموات وإله من في الأرض، **قال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ)**: "فوجب حمل هذه الآية على المعنى الصحيح المجتمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير". (٢)

وقال الآجري–رحمه الله–(ت: ٣٦٠ هـ): "وقوله عز وجل: **{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ}** [الزخرف: الآية: ٨٤]، فمعناه: أنه جل ذكره إله من

(١) الفتاوى (٦/١٩–٢٠).
(٢) التمهيد (٧/١٣٤).



في السموات وإله من في الأرض، وهو الإله يعبد في السموات، وهو الإله يعبد في الأرض، هكذا فسره العلماء". (١)

وروى **الآجري**–**رحمه الله**–(**ت: ٣٦٠ هـ**) بسنده في تفسيره هذه الآية عن **قتادة**–**رحمه الله**–(**ت: ١١٨ هـ**)، قوله: "هو إله يعبد في السماء، وإله يعبد في الأرض". (٢)

وأما استدلالهم بقوله تعالى: **{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ}** [الأنعام: الآية: ٣]، فقد فسرها أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السموات والأرض. (٣)

وقال الآجري–**رحمه الله**–(**ت: ٣٦٠ هـ**): "وعند أهل العلم من أهل الحق **{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ}** [الأنعام: الآية: ٣]، هو كما قال الحق **{يَعْلَمُ سِرَّكُمْ}** فما جاءت به السنن أن الله عز وجل على عرشه، وعلمه محيط بجميع خلقه، يعلم ما تسرون وما تعلنون، ويعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون". (٤)

القول الثاني:

وهو قول من يقول إن الله بذاته فوق العرش وهو بذاته في كل مكان.

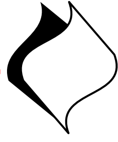
---

(١) الشريعة (٣/١١٠٤).

(٢) الشريعة (٣/١١٠٤-١١٠٥).

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص٩٢-٩٣)، ومجموع الفتاوى (١١/٢٥٠).

(٤) الشريعة (٣/١١٠٤).



هذا قول جماعة من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ التومني (١)، وزهير الأثري (٢)، وأصـحابهما (٣)، وهو موجود في كلام السـالمية (٤) كأبي طالب المكي (٥) وأتباعه كأبي الحكم برجان (٦) وأمثاله ما يشـير إلى نحو هذا، كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا (٧) فهم يقولون بأن الله في كل مكان، وأنه مع ذلك مسـتو على عرشـه وأنه يرى بالأبصـار بلا

(١) أبو معاذ التومني من أئمة المرجئة ورأس فرقة التومنية منها.

انظر ترجمته ومذهبه في مقالات الأشعري (١/٢٠٤، ٣٢٦)، (٢/٢٣٢)، والملل والنحل (١/١٢٨).

(٢) زهير الأثري، لم أقف على ترجمته، وقد تكلم الأشعري عن آرائه بالتفصيل في المقالات (١/٣٢٦).

(٣) انظر نقض تأسيس الجهمية (١/٦)، والفتاوى (٢/٢٩٩)، ومقالات الإسلاميين (١/٣٢٦).

(٤) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم المتوفى سنة (٢٩٧هـ) وابنه أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم المتوفى سنة (٣٥٠هـ)، وقد تتلمذ أحمد بن محمد بن سالم على سهل بن عبد الله التستري، ويجمع السالمية بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية اتحادية، انظر شذرات الذهب (٣/٣٦)، وطبقات الصوفية (ص٤١٤-٤١٦)، والفرق بين الفرق (ص١٥٧-٢٠٢).

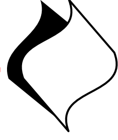
(٥) أبو طالب، محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، صوفي نشأ واشتهر بمكة، وهو صاحب كتاب "قوت القلوب" في التصـوف وهو من أكبر رجال السـالمية، قال عنه الخطيب البغدادي: (ذكر فيه أشياء مستشنعة في الصفات)، توفي سنة (٣٨٦هـ).

انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٣/٨٩)، وميزان الاعتدال (٣/٦٥٥)، ولسان الميزان (٥/٣٠٠).

(٦) أبو الحكم، عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي، متصوف، توفي سنة (٥٣٦هـ) بمراكش.

انظر ترجمته في لسان الميزان (٤/١٣-١٤)، فوات الوفيات (١/٥٦٩)، الاعلام (٤/١٢٩).

(٧) مجموع الفتاوى (٢/٢٩٩).



كيف، وأنه موجود الذات بكل مكان، وأنه ليس بجسم ولا محدود ولا يجوز عليه الحلول ولا المماسة، ويزعمون أنه يجيء يوم القيامة كما قال تعالى **{وَجَاءَ رَبُّكَ}** [الفجر: الآية: ٢٢]، وقولهم هذا يشبه قول بعض مثبتة الجسم الذين يقولون إنه لا نهاية له (١).

والفرق بين هذا القول وقول الجهمية: بأن الله في كل مكان هو أن هؤلاء يثبتون العلو ونوعا من الحلول، أما الجهمية فلا يثبتون العلو على مقصود هؤلاء من الاستواء على العرش والمباينة.

ويزعم أصحاب هذا القول إنهم بقولهم هذا قد اتبعوا النصوص كلها سواء كانت نصوص علو أو معية أو قرب.

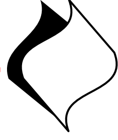
الرد عليهم:

إنهم بقولهم هذا جمعوا بين كلام أهل السنة وكلام الجهمية، ولذلك كان قولهم ظاهر الخطأ وغاية في التناقض.

أما بيان خطئه فيكمن في أن كل من قال بأن الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الامة وأئمتها مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده، ولصريح المعقول وللأدلة الكثيرة، فالقرآن الكريم مملوء بالآيات التي تنص على علو الله بذاته فوق خلقه واستوائه على عرشه وبينونته من خلقه، كما أن السنة قد تحدثت عن هذا المعنى في كثير من الأحاديث، كقصة المعراج وصعود الملائكة ونزولها من عند الله وعروج الروح إليه واستوائه على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا، فكل هذه الأدلة تبين بطلان هذا القول ومخالفته.

---

(١) نقض تأسيس الجهمية (٦/٢).



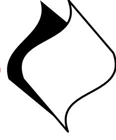
وأما استدلال هؤلاء بنصوص المعية والقرب، فقد بينا خطأ هذا الاستدلال وبطلانه عند الرد على الأدلة السمعية لمذهب الجهمية، وقد بينا أنه ليس للمخالفين أي متمسك في جعلها لمعية الذات أو قرب الذات.

أما بيان تناقض هذا القول: فهو واضح من أقوالهم، فهم يجمعون بين أقوال متناقضة، فهم تارة يقولون إنه بذاته فوق العرش، وتارة يقولون إنه فوق العرش ونصيب العرش فيه كنصيب قلب العارف -كما يذكر ذلك أبو طالب المكي وغيره-، ومعلوم أن قلب العارف نصيبه منه المعرفة والإيمان وما يتبع ذلك، فإن قالوا: إن العرش كذلك فقد نقضوا قولهم بأنه بنفسه فوق العرش.

وإن قالوا بحلول ذاته في قلوب العارفين، كان ذلك قولا بالحلول الخاص، وهذا ما وقع فيه طائفة من الصوفية ومنهم صاحب منازل السائرين. (١)

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/١٢٢-١٣١).



المسألة الثانية: صفة الاستواء والأقوال فيها

أولًا: مذهب السلف في صفة الاستواء

أ–معتقد السلف في صفة الاستواء.

والمقصود بالسلف هم الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم.

ولقد كان قولهم في الاستواء كقولهم في سائر صفات الله فهم وسط بين طائفتين هم المعطلة والمشبهة.

فهم لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، ولا ذاته بذوات خلقه كما يفعل المشبهة.

وكذلك لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله–صلى الله عليه وسلم–، فيعطلون أسماءه وصفاته، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسمائه وآياته كما فعل المعطلة.

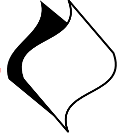
بل كان مذهبهم في سائر الصفات –بما في ذلك الاستواء–أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه محمد–صلى الله عليه وسلم–نفياً وإثباتاً.

وطريقتهم في الإثبات أنهم يثبتون ما أثبته الله من الصفات من غير تكييف لها، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل.

وطريقتهم في النفي أنهم ينفون عن الله ما نفاه عن نفسه مع إثبات كمال ضد ذلك المنفي.

فطريقة السلف هي إثبات أسماء الله وصفاته مع نفي مماثلة المخلوقين، إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** [الشورى: الآية: ١١]، ففي قوله تعالى **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله **{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** رد للإلحاد والتعطيل. (١١٣٢)

(١١٣٢) انظر الرسالة التدمرية (ص٤–٧)، المطبعة السلفية، الفتوى الحموية الكبرى (١٦–١٧)، المطبعة السلفية.



ولقد كانت هذه طريقة السلف في جميع الصفات دون تفريق بين صفة وصفة، وفي ذلك يقول **الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)**: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله–صلى الله عليه وسلم–لا نتجاوز القرآن والسنة". (١١٣٣)

وبناءً على هذه القاعدة كان مذهب السلف في صفة الاستواء أنهم يثبتون استواء الله على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته ويناسب كبريائه وهو بائن من خلقه وخلقه بائنون منه.

فأهل السنة والجماعة أثبتوا تلك الأسماء والصفات التي جاء ذكرها في كلام الله عز وجل وكلام رسوله–صلى الله عليه وسلم–، فإذا قال الله تعالى: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]، فإن هذا النص خبر، أخبر الله فيه أنه استوى على عرشه، فأهل السنة والجماعة يعتقدون: إن الله استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله، لا يماثله فيه أحدٌ من خلقه والله أعلم بكيفيته.

وذلك الإيمان يتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إثبات صفة الاستواء لله عز وجل.

الأمر الثاني: نفي مماثلة صفات الله عز وجل لصفات المخلوقين.

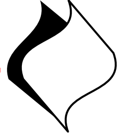
الأمر الثالث: عدم الخوض في كيفية صفات الله عز وجل.

فما أخبر الله به في هذه الآية يجب أن يُثبت لله تعالى، فإذا قال تعالى: **{الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}** [طه: الآية: ٥]، فإن هذا يوجب على المؤمن أن يصدق به، لأن نصوص القرآن والسنة تدور حول حالين:

إما إخبارٌ أو أمر، إما أن يُخبر الله تعالى بشيء، وإما أن يأمر بشيء، فقوله: **{الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}** [طه: الآية: ٥]، هذا إخبارٌ، والأمر مثل قوله تعالى: **{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}** [البقرة: الآية: ٤٣]، فهنا أمر من الله لعباده بأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

فالخبر يجب على المؤمن تجاهه التصديق، فإذا أخبرك الله تعالى بأنه استوى على عرشه، فإن عليك أن تصدق بأن الله تعالى استوى على عرشه، وإذا جاءك الأمر مثل: وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة، فيجب عليك الامتثال والانقياد، فإن كان أمر إيجاب يجب عليك أن تقوم به، وإن كان أمر نهيٍ فيجب عليك أن تنتهي.

(١١٣٣) مجموع الفتاوى (٥/٢٦).



فالواجب على الموحد إذا أخبر الله تعالى باستوائه على عرشه أن يعتقد ثلاثة أمور:

أولاً: يجب عليه أن يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه استواءً حقيقة كما أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: أن يثبت لله استواءً يليق بجلاله وكماله تعالى؛ لِأن الله تعالى قد قال في آية أخرى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [الشورى: الآية: ١١]، فمعنى هذا أن الله في استوائه على عرشه لا يماثله في ذلك أحدٌ من خلقه، نعني بذلك أن الله تعالى لا يحتاج إلى العرش ولا يفتقر إليه.

ثالثاً: يجب علينا ألا نخوض في كيفية استوائه، هذا أمرٌ لا ينبغي ولا يجوز للمسلم أن يخوض فيه.

فإذاً تُثبتُ ما أثبته الله لنفسه؛ لأن الله أخبر بذلك، ومع إثبات ذلك يجب أن تعتقد أن الله تعالى لا يماثله ولا يساويه في ذلك أحدٌ من خلقه، مع عدم الخوض في كيفية الاستواء.

فالمقصود والمراد من نفي المماثلة أن لله خصائص، أي أمورٌ يختص بها لا يماثله في ذلك أحدٌ من خلقه، ثم بعد ذلك فالله تعالى ما أطلعك ولا أخبرك ولا تعبدك بمعرفة كيفية استوائه، وكلنا يعلم جواب **الإمام مالك–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ)** إذ سأله السائل: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]، كيف استوى؟ فغضب الإمام مالك من سؤال السائل وقال: **"الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"**. (١)١٣٤

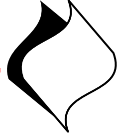
فإذاً الكيف مجهول، كيف استوى؟ كيف ينزل؟ كيف يداه؟ كيف قدماه؟ إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى لا نعلم كيفيتها وهذا سيأتي جوابه إن شاء الله تعالى.

والسلف يقولون إن معنى هذا الاستواء الوارد في الكتاب والسنة معلوم في اللغة العربية، كما **قال ربيعة بن عبد الرحمن–رحمه الله–(ت: ١٣٦ وقيل: ١٤٢ هـ)، والإمام مالك–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ)**: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". فقولهم: (الاستواء معلوم): أي أن معنى الاستواء معلوم في اللغة وهو ههنا بمعنى العلو والارتفاع.

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله بلغتهم وأنزل به كلامه نوعان: مطلق، ومقيد.

---

(١) انظر الموطأ للإمام مالك الجزء الأول صفحة (٢٥٣).



فالمطلق مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: **{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ}** [القصص: الآية: ١٤]، وهذا معناه: كمل وتم، ويقال: استوى النبات، واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد "بإلى" كقوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ}** [فصلت: الآية: ١١]، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المعدى بإلى في موضعين من كتابه، الأول في سورة البقرة في قوله: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ}** [البقرة: الآية: ٢٩]، والثاني في سورة فصلت **{ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ}** [فصلت: الآية: ١١]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: المقيد "بعلى" كقوله تعالى: **{لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ}** [الزخرف: الآية: ١٣]، وقوله: **{وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ}** [هود: الآية: ٤٤]، وقوله: **{فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ}** [الفتح: الآية: ٢٩]، وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون "بواو مع" التي تعدى الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة، بمعنى ساواها وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم. (١١٣٥)

ومما يؤكد أيضاً أن السلف يعلمون معنى الاستواء **قول ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ)**: "والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه".

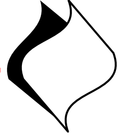
قال أبو عبيدة–رحمه الله–(ت: ٢٠٩ هـ) في قوله {استوى} قال: علا، قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد، والاستواء والاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله عز وجل فقال: **{لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ}** [الزخرف: الآية: ١٣]، وقال: **{وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ}** [هود: الآية: ٤٤]، وقال: **{فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ}** [المؤمنون: الآية: ٢٨].

وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بضبضاء قفرة ... وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد: استولى لأن النجم لا يستولى.

(١١٣٥) انظر مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٢٦-١٢٧).



وقد ذكر **النضـــر بن شميل**–رحمه الله–(ت: ٢٠٣ هـ)–وكان ثقة مأموناً جليلاً في علم الديانة واللغة–قال: "حدثني **الخليل**–رحمه الله–(ت: ١٧٤ هـ)–وحســـبك بالخليل–قال: أتيت **أبا ربيعة الأعرابي**–رحمه الله–(ت: ١٧٠ هـ تقريبًا) وكان من أعلم من رأيت فغذا هو على سـطح، فسـلمنا فرد علينا الســـلام وقال لنا: اســـتووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال؟ فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، **قال الخليل**–رحمه الله–(ت: ١٧٤ هـ): هو من قول الله عز وجل **{ثُمَّ اسْـتَوَىٰ إِلَى السَّـمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ}** [فصلت: الآية: ١١]، فصعدنا إليه". (١١٣٦)

وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن ظاهر الاســـتواء وحقيقته هو العلو والارتفاع كما نص عليه جميع أهل اللغة والتفسير المقبول". (١١٣٧)

ولما كان هذا هو معنى الاستواء في لغة العرب فقد تكلم السلف والمفسرون بهذا المعنى عند تفسير هذه الآية فقد روى عن **مجاهد**–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ) في تفســـير قوله تعالى **{ثُمَّ اسْـتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ}** [الأعراف: الآية: ٥٤]، قال: علا على العرش. (١١٣٨)

وقد روى **ابن ابي حاتم**–رحمه الله–(ت: ٣٢٧ هـ) في تفسيره بسنده **عن أبي العالية**–رحمه الله–(ت: ٩٠ أو٩٣ هـ) في تفسير الآية السابقة الذكر قال: ارتفع. (١١٣٩)

وقد روى عن الحسن البصري–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)، والربيع بن أنس–رحمه الله–(ت: ١٣٩ هـ) مثله (١١٤٠).

وقد روى **اللالكائي**–رحمه الله–(ت: ٤١٨ هـ) **بســـنده عن بشـــر بن عمر**–رحمه الله–(ت: ٢٠٧ هـ) قال: "سمعت غير واحد من المفســرين يقولون: **{الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْـتَوَىٰ}** [طه: الآية: ٥]، قال: على العرش استوى: ارتفع". (١١٤١)

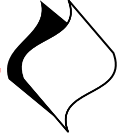
(١١٣٦) التمهيد (٧/١٣١-١٣٢).

(١١٣٧) انظر مختصر الصواعق (٢/١٤٥).

(١١٣٨) انظر فتح الباري (١٣/٤٠٣).

(١١٣٩) (٢) مجموع الفتاوى (٥/٥١٩).

(١١٤١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٣٩٧).



وفي هذا التفسير لمعنى الاستواء من قبل السلف رد على من زعم أن مذهب السلف هو التقيد باللفظ مع تفويض المعنى المراد وأنهم كانوا لا يفسرون الاستواء ولا يتكلمون فيه، فمن خلال ما تقدم من الأقوال التي نقلت عن السلف يتضح كذب هؤلاء وزيف ادعائهم.

ومما ينبغي معرفته أن السلف مع إثباتهم لمعنى الاستواء واعتقادهم بأن الله مستو على عرشه ومرتفع عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء إلى الله عز وجل لأن أمره هو مما استأثر الله بعلمه وفي ذلك يقول القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ): "ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته كما قال الإمام مالك: (الاستواء معلوم -يعني في اللغة-والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة". (١١٤٢)

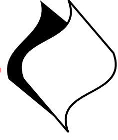
وقال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "إن العقل قد يئس من تعرف كنه صفات الله وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول السلف (بلا كيف) أي بلا كيف يعقله البشر، فإنه من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف كيفيتها مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا من معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم". (١١٤٣)

واستواءه-سبحانه وتعالى-على العرش بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام إنما هذا الاستواء هو-علو خاص-، ذلك لأن من المعلوم أن كل مستو على شيء هو عال عليه، وليس كل عال على شيء مستويا عليه، ولهذا لا يقال لكل ما كان عاليا على غيره أنه مستو عليه، ولكن كل ما قيل فيه: إنه استوى على غيره، فإنه عال عليه.

والذي أخبر الله أنه كان بعد خلق السموات والأرض "الاستواء" لا مطلق العلو، مع أنه يجوز أنه كان مستويا على العرش قبل خلق السموات والأرض لما كان عرشه على الماء، ثم لما خلق هذا العالم كان عاليا عليه ولم يكن مستويا عليه، وبعد الانتهاء من خلق هذا العالم استوى على العرش.

(١١٤٢) تفسير القرطبي.

(١١٤٣) مدارج السالكين (٣/٣٥٩).



فالأصل أن علوه على المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعل يفعله سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته، ولهذا قال فيها **{ثُمَّ اسْتَوَى}** ومن أجل ذلك كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر، وأما علوه على المخلوقات فهو عند أئمة أهل الإثبات من الصفات العقلية المعلومة بالعقل مع السمع". [1144]

فالاستواء صفة ثابتة في القرآن والسنة وقد أجمع سلف الأمة على إثباتها.

ب-: الأدلة من القرآن على إثبات صفة الاستواء.

جاء ذكر الاستواء في سبع آيات، وهذه الآيات السبع التي جاء فيه ذكر الاستواء على العرش قد جاءت مصحوبة بما يبهر العقول من صفات الله وجلاله وكماله، [1145]

وسنذكر تلك الآيات وما اقترن بها.

١-الموضع الأول: فأول سورة ذكر الله فيها صفة الاستواء حسب ترتيب المصحف سورة الأعراف: قال تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بأمره أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [الأعراف: الآية: ٥٤].

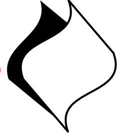
فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال[1146]

٢-والموضع الثاني: في سورة يونس قال تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِما كَانُوا يَكْفُرُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بالْحَقِّ**

١١٤٤ انظر: "الفتاوى": (٥/ ٥٢١-٥٢٣) بتصرف.

١١٤٥ "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": ص ١٥.

١١٤٦ "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": ص ١٥.



يُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ} [يونس: الآيات: ٣-٦].

فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الكمال والجلال.

٣-الموضع الثالث: في سورة الرعد في قوله جل وعلا: **{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِماءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}** [الرعد: الآيات: ٢-٤].

فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

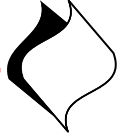
٤-الموضع الرابع: في سوره طه قال تعالى: **{طه * ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّماوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ ما فِي السَّماوَاتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنَى}** [طه: الآيات: ١-٨].

فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

٥-الموضع الخامس: في سورة الفرقان في قوله تعالى: **{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً * الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً}** [الفرقان: الآيات: ٥٨-٥٩].

فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الكمال والجلال.

وقال **محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-(ت: ١٣٩٣ هـ)**: "إنه ينبغي للمؤولين أن يتأملوا هذه الآية من سورة الفرقان وهي قوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً}** [الفرقان: الآية: ٥٨]، ويتأملوا معها قوله تعالى: **{وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}** [فاطر: الآية: ١٤]، فإن قوله في الفرقان: **{فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً}** بعد قوله: **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ}** يدل دلالة واضحة أن الله الذي وصف



نفسه بالاستواء خبير بما يصف به نفسه، ولا تخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها ويفهم منه أن الذي ينفي عنه صفة الاستواء ليس بخبير، نعم هو والله ليس بخبير". ١١٤٧

٦- **الموضع السادس**: في سورة السجدة في قوله تعالى: **{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْما ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِما تَعُدُّونَ * ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ}** [السجدة، الآيات: ٣-٩].

فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

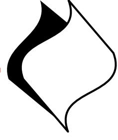
٧-**الموضع السابع**: في سورة الحديد في قوله تعالى: **{هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْهَا وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** [الحديد، الآيتان: ٣-٤].

فالله سبحانه وتعالى مع استوائه على عرشه لا يخفى عنه شيء من أمور مخلوقاته، فهو يعلم جميع ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وجميع ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، فسبحان من لا يعزب عن علمه مثقال حبة من خردل لا في السماء ولا في الأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم.

فالشاهد من ذكر آيات الاستواء على العرش وذكر ما اقترن بها من صفات العظمة والجلال بيان أن هذه الصفة التي ظن الجاهلون أنها صفة نقص، ويتهجمون على رب السموات والأرض بأنه وصف نفسه بصفة نقص، ثم يسببون عن هذا أن ينفوها ويؤولوها، مع أن الله-جل وعلا-تمدح بها، وجعلها من صفات الجلال والكمال مقرونة بما يبهر العقول من صفات الجلال والكمال، وهذا يدل على جهل وهوس من ينفي بعض صفات الله جل وعلا بالتأويل. ١١٤٨

١١٤٧ "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": ص ٢٦.

١١٤٨ "كتاب منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": ص ١٧.



ج-الأدلة من السنة على إثبات صفة الاستواء.

كما أن السنة مليئة بالأحاديث الثابتة الصحيحة الدالة على استواء الله على عرشه.

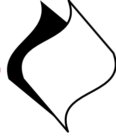
عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: **((إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه، إن رحمتي سبقت غضبي))**. متفق عليه. ١١٤٩

وعن أبي رزين العقيلي-رضي الله عنه- قال: "قلت يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟" قال: **((كان في عما ١١٥٠ ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق العرش، ثم استوى عليه))**. وفي لفظ آخر: **((ثم كان على العرش فارتفع على عرشه))**. ١١٥١

١١٤٩ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب (١٥) (ح٧٤٠٤). وانظر (ح ٣١٩٤، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤). وأخرجه مسلم في صحيحه، التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (٨/٩٥).

١١٥٠ العما: السحاب الأبيض، كذا فسره الأصمعي. انظر كتاب العظمة لأبي الشيخ (١/٣٦٥-٣٦٦)، والعرش لابن أبي شيبة(رقم٨)، والحد للدشتي (ق١٥/ب).

١١٥١ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة هود (٥/٢٨٨، رقم٣١٠٩). والإمام أحمد في مسنده (٤/١١-١٢). وابن أبي شيبة في العرش (ح٧). وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (١/٦٤). وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧١). وابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/٤) وفي تاريخه (١/١٩). والحكيم الترمذي في الرد على المعطلة (ق١٠٦/ أ). وأبو الشيخ في كتاب العظمة (١/٣٦٣-٣٦٤، ح٨٣). وابن بطة في الإبانة (تتمة الرد على الجهمية، ٣/١٦٨، ح١٢٥). وابن أبي زمنين في أصول السنة (ص٨٩، ح٣١). والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٣٥-٢٣٦، ح٨٠١ و٢/٣٠٣، ح٨٦٤). قال الترمذي: حديث حسن. وقال الذهبي في العلو (ص١٩) إسناده حسن. وقال في كتاب العرش حديث رقم (١٥) "وهذا حديث حسن رواه الترمذي وغيره"؛ وقال الألباني: "في تصحيحه نظر، فإن مداره على وكيع بن عدس ويقال حدس، وهو مجهول، لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، ولا وثقه غير ابن حبان".



التعليق: اختلف في لفظة "عما" من حيث الشكل ومن حيث المعنى المراد بها.

فالأصمعي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والأزهري وغيرهم يرون أن لفظة "عما" هي من حيث الشكل بالمد، وليست بالقصر، وأن معناها المراد في الحديث السحاب الأبيض، لأنه هذا هو معنى الكلمة في كلام العرب المنقول عنهم. ومما يشهد لذلك قول الحارث بن حلزة اليشكري:

وكأن المنون تردى بنا أعصم ينجاب عنه العما

ومعنى البيت: أن الشاعر يقول هو في ارتفاعه، قد بلغ السحاب ينشق عنه، ويقول نحن في عزنا مثل الأعصم، فالمنون إذا أرادتنا فكأنما تريد أعصم (أي الجبل الشاهق).

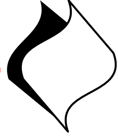
وقال الأزهري: "ولا يدرى كيف ذلك العما بصفة تحصره ولا نعت يحده، ويقوي هذا القول قول الله تعالى {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ} الآية ٢١٠ من سورة البقرة، فالغمام معروف في كلام العرب، إلا أنا لا ندري كيف الغمام الذي يأتي الله - عز وجل - يوم القيامة في ظلل منه، فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته، وكذلك سائر صفات الله عز وجل". تهذيب اللغة (٣/٢٤٦).

وهذا القول ليس فيه دليل، على قول الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم العالم، وأن مادة السموات والأرض ليست مبتدعة، وذلك أن الله سبحانه أخبرنا في كتابه بابتداء الخلق الذي يعيده، وأخبر بخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام في غير موضع، وجاءت بذلك الأحاديث الكثيرة، وأخبر أيضاً أنه يغير هذه المخلوقات.

ويرى يزيد بن هارون، وأقره على ذلك الترمذي أن لفظة "عما" هي من حيث الشكل بالمد، ولكن معناها في هذه الحديث هو: "أي ليس مع الله شيء" وعلى هذا يكون معنى الحديث أن الله كان ولم يكن شيء معه، ويشهد لهذا المعنى ما جاء في حديث عمران بن حصين من قوله صلى الله عليه وسلم: "كان الله ولم يكن شيء معه".

وهناك رأي ثالث في المسألة، يخالف القولين الأولين من حيث الشكل والمعنى: فمن حيث اللفظ يرى أنه بالقصر، وليس بالمد.

وعلى هذا يكون المعنى: أنه كان حيث لا تدركه عقول بني آدم، ولا يبلغ كنهه وصف، وذلك لأن كل أمر لا يدركه القلوب بالعقول فهو عمى.



وعن جبير بن مطعم–رضي الله عنه–(ت: ٥٩ هـ)، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال للأعرابي في حديث الاستسقاء: ((**ويحك أتدري ما الله؟ إن شأنه أعظم من أن يستشفع به على أحد، إنه لفوق عرشه على سمواته**)).

رواه أبو داود، وغيره، في الرد على الجهمية. [١١٥٢] بإسناد حسن عنده من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

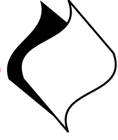
وعن العباس بن عبد المطلب–رحمه الله–(ت: ٣٢ هـ) قال: كنا بالبطحاء فمرت سحابة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟**))، قالوا: لا، قال: ((**إما واحدة، وإما اثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة**))، ثم عد سبع سموات، ثم قال: ((**فوق السابعة بحر بين أسفله، وأعلاه كما بين السماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ١١٥٣ بين أظلافهم، وركبهم كما بين سماء، إلى سماء ثم على ظهورهم العرش، ثم الله فوق ذلك، وهو يعلم ما أنتم عليه**)). رواه أبو داود بإسناد حسن وفوق الحسن. ١١٥٤

انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٢/٨–٩)، تهذيب اللغة (٣/٢٤٦)، نقص تأسيس الجهمية (١/٥٩١).

١١٥٢ سنن أبي داود (٥/٩٤–٩٦، ح٤٧٢٦).

١١٥٣ الأوعال جمع وعل بكسر العين، وهو تيس الجبل. النهاية (٥/٢٠٧).

١١٥٤ أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/٢٠٧). وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية (٥/٩٣، برقم ٤٧٢٣). وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (١/٦٩). وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة الحاقة (٥/٤٢٤–٤٢٥، برقم ٣٣٢٠). والدارمي في الرد على بشر المريسي (ص٤٤٨). وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٥٣). وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٢٣٤–٢٣٥، ح١٤٤). والآجري في الشريعة (٣/١٠٨٩–١٠٩٠، ح٦٦٥). وابن منده في التوحيد (١/١١٧). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٠). والذهبي في العلو (ص٤٩). ومدار الحديث من جميع طرقه على "عبد الله بن عميرة" وعبد الله فيه جهالة، ولذلك قال الألباني في تخريج السنة (١/٢٥٤): "إسناده ضعيف، وعبد الله بن عميرة، قال الذهبي: فيه جهالة، وقال البخاري: لا نعلم له سماعاً من الأحنف بن قيس". انتهى كلامه. ولكن الجوزقاني صرح في الأباطيل (١/٧٩) بصحة الحديث. وكذلك ابن تيمية في الفتاوى (٣/١٩٢) حيث قال: "إن هذا الحديث قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في



وعن زينب بنت جحش–رضي الله عنها–(ت: ٢٠ أو ٢١ هـ) أنها كانت تقول للنبي صلى الله عليه وسلم: "زوجنيك الرحمن من فوق عرشه". [١١٥٥]

وفي لفظ للبخاري كانت تقول: "إن الله أنكحني من فوق سبع سموات". [١١٥٦]

د–دليل الإجماع على إثبات صفة الاستواء.

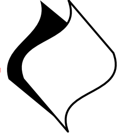
إجماع السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم منعقد على إثبات علو الله، واستوائه على عرشه وقد نقل غير واحد من السلف هذا الإجماع عنهم، ومن ذلك ما رواه **البيهقي–رحمه الله–(ت: ٤٥٨ هـ)، بإسناد صحيح عن الأوزاعي–رحمه الله–(ت: ١٥٧ هـ)** أنه قال: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله–تعالى–ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته". [١١٥٧]

كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، ولم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته". انتهى كلامه. وكذلك مال تلميذه ابن القيم إلى تصحيحه. انظر تهذيب السنن (٧/٩٢–٩٣).

١١٥٥ رواه الطبري بلفظ مقارب في التفسير (١٤/٢٢). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢٥/٤). وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص٦١، برقم ٣١). وابن كثير في تفسيره (٤٩٢/٣). والذهبي في العلو(ص٤٠) و(ص٢٠)، وفي كتاب العرش برقم (٢٦). وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (١٢٥/١). وابن حجر في الفتح (٤١٢/١٣) وقال: "وفي مرسل الشعبي قالت زينب... فذكره، ثم قال: أخرجه الطبري وأبو القاسم الطحاوي في كتاب الحجة والتبيان له". وقال الذهبي: "وهذا مرسل" أي أنه منقطع بين الشعبي وزينب.

١١٥٦ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب (٢٢) {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} (ح٧٤٢١، ص١٥٥٥) ولفظه "إن الله أنكحني في السماء".

١١٥٧ الأسماء والصفات": ص ٥١٥.



وقال أبو نصر السجزي–رحمه الله–(ت: ٤٤٤ هـ): " فأئمتنا كسفيان الثوري–رحمه الله–(ت: ١٦١ هـ)، ومالك–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ)، وسفيان ابن عيينة–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ)، وحماد بن سلمة–رحمه الله–(ت: ١٦٧ هـ)، وحماد بن زيد–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ)، وعبد الله بن المبارك–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ)، وفضـيل بن عياض–رحمه الله–(ت: ١٨٧ هـ)، وأحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، وإسـحاق بن إبراهيم الحنظلي–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ): متفقون على أن الله–سـبحانه–بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش". [١١٥٨]

وقال أبو نعيم الأصـبهاني–رحمه الله–(ت: ٤٣٠ هـ) في عقيدته المشـهورة: "وطريقتنا طريقة السـلف المتبعين للكتاب والسـنة وإجماع سـلف الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبي صـلى الله عليه وسـلم في العرش والاسـتواء عليه يقولون بها، ويثبتونها من غير تكييف ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمواته من دون أرضه". [١١٥٩]

ثانيًا: أقوال المخالفين في صفة الاستواء.

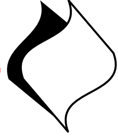
أ–الفريق الأول: نفاة الاستواء.

سبق أن ذكرنا أن المعطلة من الفلاسفة، والجهمية، والأشاعرة، والماتريدية، على الرغم من أن لكل واحد منهم منهجاً مستقلاً في مسـألة الصـفات إلا أنهم يتفقون جميعاً على إنكار الصفات الاختبارية بما فيها صـفة الاسـتواء، ويذهبون إلى تأويل الآيات القرآنية الواردة في إثباتها إلى ما أدت إليه عقولهم من المعاني الفاسدة التي يزعمون أن في ذلك تنزيهاً لله عن مشابهة المخلوقين.

وإن سبب ذلك التأويل الباطل هو اعتقاد هؤلاء المعطلة أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها النصوص، وذلك بسبب الشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الفلاسفة، فلما اعتقدوا انتفاء الصـفات في نفس الأمر –وكان مع ذلك لابد للنصـوص من معنى–بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ

١١٥٨ درء تعارض العقل والنقل": (٦/ ٢٥٠).

١١٥٩ درء تعارض العقل والنقل": (٦/ ٢٥٠).



وتفويض المعنى، وهي التي يسميها هؤلاء المعطلة طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع من التكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف. وبهذا يتبين لنا أن هذا الباطل الذي ذهب إليه هؤلاء المعطلة إنما هو مركب من فساد العقل والكفر بالسمع، وذلك لأنهم إنما اعتمدوا في نفي تلك الصفات على شبه عقلية ظنوها بينات وهي في الحقيقة شبهات.

وبناء على المسلك الثاني الذي سلكه هؤلاء المعطلة من تأويل تلك النصوص، فقد تعددت أقوالهم واختلفت في المعنى الذي يجب أن يؤول إليه لفظ الاستواء الوارد في الآيات إلى عدة أقوال منها:

القول الأول:

من هؤلاء المعطلة من يؤول معنى الاستواء في قوله تعالى: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]، على الاستيلاء والقهر والغلبة.

وهذا القول يذهب إليه كثير من الجهمية (١١٦٠)، والمعتزلة (١١٦١)، والحرورية (١١٦٢)، وكثير من متأخري الأشاعرة (١١٦٣)، كسيف الدين الآمدي (ت: ٦٣١ هـ) (١١٦٤)، والغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) (١١٦٥)، والبغدادي (ت: ٤٢٩ هـ) (١١٦٦)، وغيرهم.

وقد استدل هؤلاء المعطلة على صحة زعمهم هذا بأن هذا التأويل الذي هو تأويل الاستواء بالاستيلاء هو أمر مشهور في لغة العرب من ذلك:

قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

وقال الآخر:

(١١٦٠) انظر مجموع الفتاوى (٥/٩٦)، ومختصر الصواعق (٢/١٤٤).

(١١٦١) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (١/٧٣، ٣٥١).

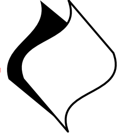
(١١٦٢) انظر مجموع الفتاوى (٥/٦٦)، ومختصر الصواعق (٢/١٤٤).

(١١٦٣) انظر تحفة المريد على شرح جوهرة التوحيد (ص٥٤).

(١١٦٤) انظر غاية المرام (ص١٤١).

(١١٦٥) انظر الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٠٤).

(١١٦٦) شرح الأصول الخمسة (ص٢٢٦).



هما استويا بفضلهما جميعاً   على عرش الملوك بغير زور

وقال الآخر:

فلما علونا واستوينا عليهم   تركناهم صرعى لنسر كاسر

وقد ذكر **أبو عمر بن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ)** أن بعضهم قد احتج بما رواه عبد الله بن داود الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]، قال: "استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان". (١١٦٧)

ومن هؤلاء المعطلة من يبقي كلمة العرش الواردة في الآية على معناها الحقيقي الثابت، ويقول إنما خصص العرش بالذكر من بين جميع المخلوقات لكونه أعظم المخلوقات وأرفعها وأوسطها فخصص بالذكر تنبيهاً على ما دونه.

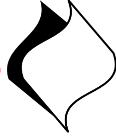
ومنهم من يؤول العرش الوارد في الآية بمعنى الملك (١١٦٨)، ويزعم أن معنى الآية استولى واستعلى على الملك، ويقول أصحاب هذا القول إن الله قد عبر بالعرش كناية على الملك، لأنه يخاطب الناس على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم، واستقر في قلوبهم، ذلك أن العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك، فجعل العرش كناية عن نفس الملك، ويستدل هؤلاء بأن هذا الأمر مشهور في اللغة، وكذلك بقوله تعالى في سورة يونس: **{ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}** [يونس: الآية: ٣]، فقالوا: إن قوله يدبر الأمر جرى مجرى التفسير لقوله {اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} (١١٦٩).

(١١٦٧) التمهيد (١٣٢/٧).

وقد أجاب ابن عبد البر على استدلالهم هذا بقوله: "إن هذا الحديث منكر على ابن عباس رضي الله عنهما، ونقلته مجهولون وضعفاء، فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف، وهم لا يقبلون أخبار الأحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا". اهـ.

(١١٦٨) انظر شرح الأصول الخمسة (ص٢٢٦)، تفسير الرازي (١٥/١٤)، وأصول الدين للبغدادي (ص١١٢).

(١١٦٩) تفسير الرازي (١١٥/١٤).



الرد عليهم:

لقد أجمع السـلف على أن هذا التأويل الذي ذهب إليه هؤلاء الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، ومتأخرو الأشاعرة، هو تأويل باطل ترده نصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة، وهو قول لا أصل له في لغة العرب، بل هو تفسير لكلام الله بالرأي المجرد، لم يذهب إليه صاحب ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل التفسير الذين يحكون قول السلف.

ولبيان فساد هذا القول على وجه التفصيل نقول:

أولاً: أنه من المعلوم أن لفظ الاستواء قد ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع، وهذه المواضع جميعها قد اطرد فيها لفظ الاستواء دون الاستيلاء، وكذلك الأمر بالنسبة لما ورد في السنة، فلو كان معناه استولى –كما يزعم هؤلاء– لكان استعماله في أكثر موارده كذلك، فإذا جاء في موضع أو موضعين بلفظ استوى حمل على معنى استولى لأنه المألوف المعهود.

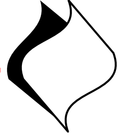
أما أن يُأتى إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد فيدعى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه، فهذا أمر في غاية الفساد ولم يقصده ويفعله من قصد البيان، هذا لو لم يكن في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك. (١١٧٠)

ثانياً: ومما يرد هذا التأويل الباطل أن كلمة استوى قد جاءت بعد "ثم" التي حقها الترتيب والمهلة، فلو كان المعنى القدرة على العرش والاستيلاء عليه لم يتأخر ذلك إلى ما بعد خلق السموات والأرض، فإن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض بخمسين الف عام كما ثبت في صحيح مسلم عنه –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: ((**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**)). (١١٧١)

وقال تعالى {وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء}.

(١١٧٠) انظر مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٢٨-١٢٩).

(١١٧١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر (٨/٥١).



وفي صحيح البخاري **عن عمران بن حصين-رضي الله عنه-(ت: ٥٢ هـ)** عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ((**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض**)). (١١٧٢)

فالآيات والحديثان يدلان دلالة واضحة على أن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض فكيف يجوز أن يكون غير قادر ولا مستولٍ على العرش إلى أن خلق السموات والأرض. (١١٧٣)

ثالثاً: أن الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك عام في المخلوقات كالربوبية.، والعرش وإن كان أعظم المخلوقات ونسبة الربوبية إليه لا تنفي نسبتها إلى غيره كما في قوله تعالى **{قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}** [المؤمنون: الآية: ٨٦]، فلو كان استوى بمعنى استولى كما هو عام في المخلوقات كلها لجاز مع إضافته للعرش أن يقال: استوى على السماء وعلى الهواء وعلى البحار والأرض، وعليها ودونها ونحوها إذ هو مستو على العرش، فلما اتفق المسلمون على أن يقال: استوى على العرش، ولا يقال استوى على هذه الأشياء مع أنه يقال: استولى على العرش والأشياء، علم أن معنى استوى خاص بالعرش وليس عاما كعموم الأشياء (١١٧٤).

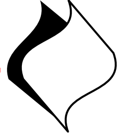
رابعاً: أنه إذا فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى الآيات كلها إلى أن الله تعالى أعلم عباده بأنه خلق السموات والأرض ثم غلب على العرش بعد ذلك وقهره وحكم عليه! أفلا يستحي من الله من في قلبه أدنى وقار لله ولكلامه أن ينسب ذلك إليه وأنه أراد بقوله: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]: أي اعلموا يا عبادي أني بعد فراغي من خلق السموات والأرض غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه. (١١٧٥)

(١١٧٢) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب التوحيد، {وكان عرشه على الماء} (ح ٧٤١٨).

(١١٧٣) مجموع الفتاوى (٥/١٤٥).

(١١٧٤) المصدر السابق (٥/١٤٤).

(١١٧٥) مختصر الصواعق (٢/١٤٠-١٤١).



خامساً: أن ما يستند إليه هؤلاء المعطلة في زعمهم هذا من قولهم إن تفسير استوى باستولى أمر مشهور في اللغة، هو قول باطل مردود لأنه لم يثبت عند أحد من أهل اللغة أن لفظة استوى يصح استعمالها بمعنى استولى، بل إن هذا القول منكر عند اللغويين.

فهذا **ابن الأعرابي**–**رحمه الله**–(**ت: ٢٣١ هـ**) أحد علماء اللغة أتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عز وجل **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]؟ فقال: (هو كما أخبر عز وجل)، فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه استولى، قال: (اسكت ما أنت وهذا، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاداً فإذا غلب أحدهما قيل استولى، أما سمعت النابغة:

ألا لمثلك أو من أنت سابقة ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد

(١١٧٦)

"وقد سئل **الخليل بن أحمد**–**رحمه الله**–(**ت: ١٧٤ هـ**): هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟

فقال: "هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها". والخليل إمام في اللغة على ما عرف من حاله، فحينئذ حمله على ما لا نعرف في اللغة هو قول باطل". (١١٧٧).

وكذلك فإنه قد روي عن جماعة من أهل اللغة قالوا: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال، فامتنع أن يكون بمعنى استولى.

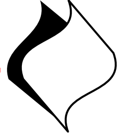
وقد روي عن أبي العباس ثعلب–رحمه الله–(ت: ٢٩١ هـ) أنه قال: "استوى: أقبل عليه وإن لم يكن معوجاً، **{ثم استوى إلى السماء}** [البقرة ٢٩]، و**{استوى على العرش}**: علا، واستوى الوجه: اتصل، واستوى القمر: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها واستوى فعلاهما وإن لم تتشابه شخوصهما، هذا الذي نعرفه من كلام العرب". (١١٧٨)

فبما تقدم من أقوال علماء اللغة يتضح لنا فساد زعم هؤلاء المعطلة وكذب ادعائهم بأن هذا القول مشهور في اللغة.

(١١٧٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣٩٩/٢).

(١١٧٧) مجموع الفتاوى (١٤٤/٥، ١٤٩)

(١١٧٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣٩٩/٢-٤٠٠).



وأما ما استدل به هؤلاء من أبيات، كقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولادم مهراق

وقول آخر:

هما استويا بفضلهما جميعاً   على عرش الملوك بغير زور

فهذان البيتان لم يثبت نقل صحيح على أنهما شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروهما.

قال ابن فارس–رحمه الله–٣٩٥ هـ): "هذان البيتان لا يعرف قائلهما". (١١٧٩)

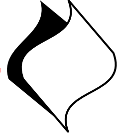
فهما على هذا بيتان مصنوعان، ومعلوم أنه لو احتج بحديث رسول الله–صلى الله عليه وسلم– لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة.

قال أبو عمر بن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "وأما ادعائهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه أحد ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى إتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عز وجل أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطبتها، مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: **{استوى}** قال: وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى: أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد". (١١٨٠)

وأما ما استدل به المعطلة من قول ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ) فقد بين ابن عبد البر أنه مكذوب على ابن عباس ورواته مجهولون وضعفاء كما تقدم ذكره.

(١١٧٩) زاد المسير لابن الجوزي.

(١١٨٠) التمهيد (١٣١/٧).



القول الثاني:

أن معنى اســتوى: أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه كقوله تعالى **{ثُمَّ اسْـتَوَىٰ إِلَى السَّـمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ}** [فصلت: الآية: ١١]، أي عمد إلى خلق السماء.

وهذا هو قول بعض الجهمية (١١٨١)، وإليه ذهب **الفراء** (**ت: ٢٠٧ هـ**)، **والأشـــعري** (**ت: ٣٢٤ هـ**)، **وابن الضرير** (**ت: ٢٠٩ هـ**)، **واختاره الثعلبي** (**ت: ٤٢٧ هـ**) (١١٨٢).

الرد عليهم:

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وهذا الوجه من أضـــعف الوجوه، فإنه قد أخبر أن العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض.

وكذلك ثبت في صحيح البخاري عن **عمران–رضي الله عنهما–(ت: ٥٢ هـ)** عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: ((**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء** ...))، فإذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض، فكيف يكون استواؤه عمده إلى خلقه له؟!

هذا لو كان يعرف في اللغة أن اســـتوى على كذا، بمعنى أنه عمد إلى فعله، فكيف إذا كان لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً ولا في نظم ولا في نثر.

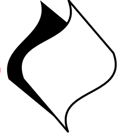
ومن قال استوى بمعنى عمد ذكره في قوله **{ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ}** [فصلت: الآية: ١١] لأنه عدى بحرف الغاية، كما يقال: عمدت إلى كذا وقصـدت إلى كذا، ولا يقال عمدت على كذا ولا قصــدت عليه، مع أن ما ذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضــاً ولا هو قول أحد من مفســري السلف، بل المفسرون من السلف بخلاف ذلك". (١١٨٣)

وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن قولهم هذا يتضـــمن أن يكون خلقه بعد خلق الســـموات والأرض، وهذ بخلاف إجماع الأمة، وخلاف ما دل عليه القرآن والســـنة، وإن ادعى بعض

(١١٨١) مختصر الصواعق (٢/١٢٦).

(١١٨٢) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/٨-٩).

(١١٨٣) مجموع الفتاوى (٥/٥٢٠-٥٢١).



الجهمية المتأخرين أنه خلق بعد خلق السموات والأرض وادعى الإجماع على ذلك، وليس العجيب من جهله، بل من إقدامه على حكاية الإجماع على ما لم يقله مسلم". (١١٨٤)

القول الثالث:

أن استوى بمعنى علا في هذه الآية، ولكن ليس المراد علو المسافة والمكان، وإنما المراد علو المكانة والقهر، وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من الأشاعرة منهم **أبو بكر بن فورك** (**ت: ٤٠٦ ﻫ**) (١١٨٥)، وهم بهذا القول جعلوا الاستواء صفة ذات وليست صفة فعل.

الرد عليهم:

أن الآيات والأحاديث قد أثبتت استواء الله على العرش حقيقة، ولو كان معنى الاستواء ههنا المراد به علو المكانة فإن الله لم يزل متعالياً على الأشياء قبل خلق العرش، فلما أضاف الاستواء على العرش فيجب على ذلك أن يكون لهذا التخصيص فائدة. (١١٨٦)

القول الرابع:

وهو قول من يثبت الاستواء على أنه صفة للعرش وليس صفة لله تعالى.

وأصحاب هذا القول يقولون: أن الاستواء فعل يفعله الرب في العرش بمعنى أنه يحدث في العرش قرباً فيصير مستوياً عليه من غير أن يقوم به -أي بالله-فعل اختياري.

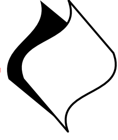
وهذا القول هو ما يقول به **ابن كلاب** (**ت: بعد ٢٤٠ ﻫ**)، **والأشعري** (**ت: ٣٢٤ ﻫ**) (١١٨٧)، وأئمة أصحابه المتقدمين **كالباقلاني** (**ت: ٤٠٣ ﻫ**) وغيره، وهو أيضاً قول **القلانسي** (**ت:**

(١١٨٤) مختصر الصواعق المرسلة (١٤٣/٢).

(١١٨٥) كتاب مشكل الحديث لابن فورك (ص١٩٣)، والأسماء والصفات للبيهقي (ص٥١٨).

(١١٨٦) المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى (ص٥٤).

(١١٨٧) هذا القول لأبي الحسن الأشعري قاله عندما كان على قول ابن كلاب من نفي الأفعال الاختيارية عن الله تعالى.



٥٥٥ هـ)، ومن وافق هؤلاء من أتباع الأئمة وغيرهم من أصحاب الإمام أحمد **كالقاضي أبي يعلى** (**ت: ٤٥٨ هـ**) **وابن الزاغوني** (**٥٢٧ هـ**) **وابن عقيل** (**ت: ٥١٣ هـ**) في كثير من أقواله (١١٨٨).

والسبب الذي جعل هؤلاء القوم يمنعون جعل الاستواء صفة لله تعالى هو قولهم بنفي قيام الأفعال الاختيارية بذاته سبحانه وتعالى ولذلك يجعلون أفعاله اللازمة لذاته -كالنزول والاستواء-كأفعاله المتعدية -كالخلق والإحسان-، وقولهم في نفي الأفعال الاختيارية راجع إلى قولهم في صفات الله.

وهم يقولون: "إن الله هو الموصوف بالصفات، لكن ليست الصفات أعراضاً، إذ هي قديمة أزلية". (١١٨٩)

وحجتهم في منع قيام الحوادث بذات الله تعالى أنهم يقولون: "إن كل ما صح قيامه بالباري تعالى فإما أن يكون صفة كمال أو لا يكون فإن كان صفة كمال استحال أن يكون حادثاً، وإلا كانت ذاته قبل اتصافه بتلك الصفة خالية من صفة الكمال، والخالي من الكمال الذي هو ممكن الاتصاف به ناقص، والنقص على الله محال بإجماع الأمة.

وإن لم يكن صفة كمال استحال اتصاف الباري بها لأن إجماع الأمة على أن صفات الباري بأسرها صفات كمال، فإثبات صفة لا من صفات الكمال خرق للإجماع وهو أمر غير جائز". (١١٩٠)

الرد عليهم:

لقد اعتمد أصحاب هذا القول في منعهم كون الاستواء صفة لله تعالى على حجة منع قيام الحوادث بذاته تعالى، وهي حجة واهية وقد رد عليها ابن تيمية بقوله: "إن المقدمة التي اعتمد عليها هؤلاء وهي قولهم: إن الخالي من الكمال الذي يمكن الاتصاف به ناقص. فيقال لهم: معلوم أن الحوادث المتعاقبة لا يمكن الاتصاف بها في الأزل، كما لا يمكن وجودها في الأزل، وعلى هذا فالخلو عنه في الأزل لا يكون خلواً عما يمكن الاتصاف به في الأزل.

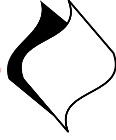
(١١٨٨) مجموع الفتاوى (٥/٤٦٦،٤٣٧،٣٨٦)، (١٦/٣٩٣).

الأسماء والصفات (٥١٧).

اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٦٥،٦٤).

(١١٨٩) مجموع الفتاوى (٦/٣٦).

(١١٩٠) انظر كتاب ابن تيمية السلفي (ص١٣٠).



ثم إنه لم يثبت امتناع ما ذكر من النقص بدليل عقلي ولا بنص من كتاب ولا سـنة، بل بما ادعوه من إجماع، وإذاً فمعلوم أن المنازعين في اتصـافه بذلك هم من أهل الإجماع فكيف يحتج بالإجماع في مسألة النزاع.

وقولهم بإجماع الأمة على أن صفاته صفات كمال، فإن قصد بذلك صفاته اللازمة لم يكن في هذا حجة لهم، وإن قصـد بذلك ما يحدث بمشـيئته وقدرته لم يكن هذا إجماعاً فإن أهل الكلام يقولون إن صفة الفعل ليست صفة كمال ولا نقص والله موصوف بها بعد أن لم يكن موصوفاً.

ثم إن هذ الإجماع الذي ادعوه حجة عليهم فإنا إذا عرضـنا على العقول موجودين: أحدهما يمكنه أن يتكلم ويفعل بمشيئته كلاماً وفعلاً، والآخر لا يمكنه ذلك، بل لا يكون كلامه إلا غير مقدور ولا مراد أو يكون بائناً عنه، لكانت العقول تقضي بأن الأول أكمل من الثاني.

وكذلك إذا عرضـنا على العقول موجودين من المخلوقين أو مطلقاً أحدهما يقدر على الذهاب والمجيء والتصرف بنفسه والآخر لا يمكنه ذلك لكانت العقول تقصي بأن الأول أكمل

فنفس ما به يعلم أن اتصـافه بالحياة والقدرة صـفات كمال، به يعلم أن اتصـافه بالأفعال والأقوال الاختيارية التي تقوم به والتي يفعل بها المفعولات المباينة له صفات كمال". (١١٩١)

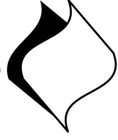
وكذلك مما يرد به على هذا القول ما قاله ابن القيم: (إنه لو كان الاسـتواء عائداً على العرش لكانت القراءة برفع العرش، ولم تكن بخفضـه، فلما كانت بخفض العرش دل على أن الاسـتواء عائد إلى الله تعالى". (١١٩٢)

ب–الفريق الثاني: القول بالتفويض.

ويذهب أصـحاب هذا القول إلى إثبات لفظ الاسـتواء فقط مع التوقف في المعنى المراد، فهم يقولون: إن الاسـتواء ثابت في القرآن حيث إنه قد ورد في سـبع آيات، وكذلك قد وردت به الأخبار

(١١٩١) الموافقة بين صريح العقل وصحيح النقل (٢/٧٣–١٧٥)، ط: دار الكتب.

(١١٩٢) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٦٤–٦٥).



الصحيحة وقبوله من جهة التوقف واجب، والبحث عنه وطلب الكيفية غير جائز وهو استواء لا نعلمه. (١١٩٣)

وقد ذهب إلى هذا القول **البيهقي-رحمه الله-(ت: ٤٥٨ هـ)** في كتابه الاعتقاد. (١١٩٤) وهو أحد قولي **الرازي-رحمه الله-(ت: ٦٠٦ هـ)**. (١١٩٥)

وهؤلاء في الحقيقة ينفون صفة الاستواء، ولكن يتوقفون في المعنى الذي على زعمهم يجب تأويل اللفظ إليه.

وقد زعم كثير من الأشاعرة أن القول بالتفويض هو قول السلف. (١١٩٦)

ويستدلون على نسبة هذا القول إلى السلف بعبارات نقلت عن السلف ظنوا أنها ترمي إلى القول بالتفويض كقول الأوزاعي-رحمه الله-(ت: ١٥٧ هـ): "كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته جل وعلا".

وقول ربيعة بن عبد الرحمن-رحمه الله-(ت: ١٣٦ هـ)، **والإمام مالك-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)**: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب".

والقول بالتفويض هو مقصود هؤلاء القوم في قولهم: (إن طريقة السلف أسلم)، حيث إنهم ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم **{وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ}** [البقرة: الآية: ٧٨].

الرد عليهم:

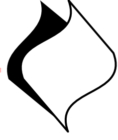
معلوم أن نسبة هذا القول إلى السلف إنما هي محض كذب وافتراء ومن نسب هذا القول إلى السلف فإنما هو جاهل بطريقة السلف الذين لم يقولوا بهذا القول، ولم يرد عن واحد منهم أنه فوض معنى

(١١٩٣) الاعتقاد للبيهقي (ص١١٥).

(١١٩٤) المصدر السابق.

(١١٩٥) تلخيص المحصل (ص١١٤).

(١١٩٦) الاعتقاد للبيهقي (ص١١٧)، الإتقان في علوم القرآن (٢/٦)، مناهل العرفان (٢/١٨٣-١٨٣)، تحفة المريد (ص٩١-٩٢)، شرح الخريدة البهية (ص٧٥)، الأسماء والصفات (ص٥١٧).



الاســتواء، بل أن الوارد عنهم جميعاً أنهم يفســرون الاســتواء بالمعنى المراد وهو العلو والارتفاع على العرش ويؤمنون بأن الله مستو على العرش حقيقة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وهذا القول على الإطلاق كذب صــريح على السلف، أما في كثير من الصفات فقطعاً مثل أن الله فوق العرش فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم علم بالاضـطرار أن القوم كانوا مصـرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما قصـدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك". (١١٩٧)

وقال في موضع آخر: "وقد فسر الإمام أحمد النصوص التي نسميها متشابهات فبين معانيها آية آية، وحديثاً حديثاً ولم يتوقف فيها هو والأئمة قبله مما يدل على أن التوقف عن بيان معاني آيات الصـفات وصـرف الألفاظ عن ظواهرها لم يكن مذهباً لأهل السـنة وهم أعرف بمذهب السـلف، وإنما مذهب السلف إجراء معاني آيات الصفات على ظاهرها بإثبات الصفات له حقيقة وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعاني لا تحرف ولا يلحد فيها". (١١٩٨)

ويقول ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصـفات وأخبارها في موضـع واحد، بل اتفق الصـحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنة والكيفية". (١١٩٩)

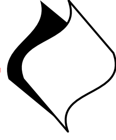
وأما بالنسبة إلى ما استدل به أصحاب هذا القول على أن القول بالتفويض هو مذهب السلف وذكرهم **لقول الإمام مالك-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)**: "الاســتواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسـؤال عنه بدعة"، فليس المراد ههنا تفويض معنى الاسـتواء ولا نفي حقيقة الصـفة، ولو كان المراد الإيمان بمجرد اللفظ من غير فهم على ما يليق بالله لما قال (الكيف مجهول)، لأنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى. (١٢٠٠)

(١١٩٧) الفتوى الحموية (ص٦٤).

(١١٩٨) مجموع الفتاوى (٤١٤/١٧).

(١١٩٩) مختصر الصواعق (١٥/١).

(١٢٠٠) الفتوى الحموية (ص٢٥).



والاستواء على هذا المعنى لا يكون معلومًا، بل هو مجهول بمنزلة حروف المعجم، لكن الأمر على عكس ذلك، فنفي علم الكيفية لأنه أثبت الصفة وأراد بقوله الاستواء معلوم معناه في اللغة التي نزل بها القرآن فعلى هذا يكون معلوماً في القرآن.

ومعلوم أن ادعاء هؤلاء أن مذهب السلف إنما هو القول بالتفويض سببه اعتقاد هؤلاء أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر -كان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى-فبقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع من التكلف، وهذا التردد هو الذي وقع فيه من قال بالتفويض من هؤلاء كالبيهقي والرازي، فهم لم يلتزموا بهذا القول مطلقاً، بل غالباً ما يخالفونه كما فعل الرازي في تأسيسه حيث جنح إلى التأويل وترك القول بالتفويض.

ج-الفريق الثالث: قول المشبهة.

والمقصود بهم الهشامية (١٢٠١) من الروافض، والكرامية (١٢٠٢)، وغيرهم.

وهؤلاء يثبتون استواء الله وارتفاعه فوق عرشه، إلا أنهم تعمقوا في الكلام على كيفية ذلك الاستواء.

فالهشامية مثلاً يقولون إن الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شيء في العرش ولا يفضل عن العرش شيء منه. (١٢٠٣)

وأما الكرامية فقد تعددت أقوالهم في كيفية استوائه:

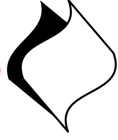
فمنهم من يقول: إنه على بعض أجزاء العرش.

ومنهم من يقول: إن العرش مكان له وأن العرش امتلأ به.

(١٢٠١) هم أصحاب هشام بن عبد الحكم الرافضي من الإمامية، وتنسب إليه وإلى هشام بن سالم الجواليقي أحيانا، من الإمامية المشبهة. انظر المقالات (١/٣١-٣٤)، الملل والنحل (١/١٤٤-١٤٧).

(١٢٠٢) هم أصحاب محمد بن كرام وهم طوائف يبلغ عددهم اثنتي عشرة فرقة وأصولها ستة هي: العابدية، والنونية، والزرينية، والإسحاقية، والواحدية، وأقربهم الهيصمية. انظر الملل والنحل (١/١٤٤-١٤٧).

(١٢٠٣) الملل والنحل (٢/٢٢).



ومنهم من يقول: إنه لو خلق بإزاء العرش عروشاً موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكاناً له لأنه أكبر منها كلها.

ومنهم من يقول: أن بينه وبين العرش من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولا بالجواهر لاتصلت به. (١٢٠٤)

وقول هؤلاء المشبهة إنما هو نتيجة لازمة لأقوالهم في صفات الله وكلامهم في ذاته.

فالهشامية يقولون: "إن الله جسم ذو أبعاض له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء".

ونقل عنهم أنهم قالوا إنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأن له مكاناً مخصوصاً ووجهة مخصوصة وأنه يتحرك وحركته فعله، وليست من مكان إلى مكان وهو متناه بالذات غير متناه بالقدرة، وأنه مماس لعرشه ولا يفضل منه شيء من العرش ولا يفضل عن العرش شيء منه". (١٢٠٥)

وأما الكرامية **فيقول ابن كرام** (**ت: ٢٥٥ هـ**): "إن معبوده مستقر على العرش استقراراً وأنه بجهة فوقَ ذاتاً وأنه أُحدي الذات أُحدي الجوهر وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا".

ولهم في معنى العظم خلاف فقال بعضهم: "إنه مع وحدته على جميع أجزاء العرش والعرش تحته وهو فوقه كله على الوجه الذي هو فوق جزء منه.

وقال بعضهم: أنه يلاقى مع وحدته من جهة واحدة أكثر من واحد، وهو يلاقى جميع أجزاء العرش وهو العلي العظيم.

وقالت المهاجرية منهم: إنه لا يزيد على عرشه في جهة المماسة ولا يفضل منه شيء على العرش، وهذا يقتضي أن يكون عرضه كعرض العرش.

وصار المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوق وأنه محاذ للعرش". (١٢٠٦)

الرد عليهم:

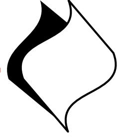
هذا القول للمشبهة يتضمن حقاً وباطلاً.

فالحق فيه هو: اعترافهم بعلو الله واستوائه على عرشه وأنه بائن من خلقه والخلق بائنون عنه.

(١٢٠٤) الملل والنحل (١/١٤٤-١٤٧).

(١٢٠٥) المصدر السابق (٢/٢٢).

(١٢٠٦) انظر كتاب التجسيم عند المسلمين (ص٢٠٥).



وأما الباطل فهو: كلامهم في ذات الله والتعرض لكيفية استوائه، وهو كلام باطل وفاسد ليس لهم به دليل من القرآن أو السنة، بل هو قول على الله بغير علم فالله سبحانه وتعالى لم يطلعنا على كيفية ذاته فأنّى لنا أن نعلم كيفية صفاته، وأمر الكيفية هو مما استئثر الله بعلمه قال تعالى **{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}** [البقرة: الآية: ٢٥٥].

ومما يدلنا على فساد هذا القول وعدم وجود دليل لأصحابه على ما يقولون هو اختلاف أرائهم وأقوالهم عند الحديث عن ذات الله وكيفية استواءه، فمن خلال عرض أقوالهم يتضح اختلافهم وتناقضهم، وما ذاك إلا أنهم يفترون على الله الكذب قال تعالى **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}** [النساء: الآية: ٨٢].

والسؤال الذي ينبغي أن يوجه إلى هؤلاء المشبهة في هذا المقام هو: أين الدليل من الكتاب أو السنة على ما تزعمون؟

والجواب معروف وهو أنه لا دليل لهم على ذلك لا من القرآن ولا من السنة.

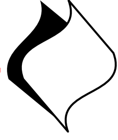
ومما ينبغي معرفته أن الكلام على كيفية ذات الله أو كيفية استوائه أو غيرها من الصفات هو أمر غير جائز عند السلف ويحرم الخوض فيه، بل يبدعون السائل عن ذلك ولذلك بدع الإمام مالك السائل الذي سأله عن كيفية استواء الباري عز وجل، حيث قال له: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وما أراك إلا رجل سوء، وأمر بإخراجه"، وما قاله الإمام مالك هو الذي جاءت به النصوص وهو الذي سار عليه السلف جميعاً.

المسألة الثالثة: التعريف بالعرش والأقوال فيه.

أولًا: التعريف بالعرش.

المعنى اللغوي لكلمة العرش، **قال ابن فارس–رحمه الله–(ت:٣٩٥ هـ)** ""عرش" العين، والراء، والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك)· [١٢٠٧].

[١٢٠٧] معجم مقاييس اللغة (٤/٢٦٤).



والعرش في كلام العرب يطلق على عدة معاني:

١-سرير الملك:

قال الخليل-رحمه الله-(ت: ١٧٤ هـ): (العرش: السرير للملك). (١٢٠٨).

وقال الأزهري-رحمه الله-(ت: ٣٧٠ هـ): (والعرش في كلام العرب: سرير الملك، يدلك على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله جل وعز عرشاً فقال ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: الآية ٢٣]). (١٢٠٩)

٢-سقف البيت:

قال الخليل-رحمه الله-(ت: ١٧٤ هـ)، والجوهري-رحمه الله-(ت: ٣٩٣ هـ): (عرش البيت: سقفه). (١٢١٠).

وقال الزبيدي-رحمه الله-(ت: ١٢٠٥ هـ): "والعرش من البيت سقفه ومنه الحديث ((**أو كالقنديل المعلق بالعرش**)) يعني: السقف، وفي حديث آخر: ((**كنت أسمع قراءة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على عرشي**)). (١٢١١) أي: سقف بيتي، وبه فسر قوله تعالى ﴿**وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٩]، أي: صارت على سقوفها كما قال عز من قائل: ﴿**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا**﴾ [الحجر: الآية: ٧٤]، أراد أن حيطانها قائمة وقد تهدمت سقوفها فصارت في قرارها وانقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت على السقوف المتهدمة قبلها، ومعنى الخاوية والمنقعرة واحد وهي المنقلعة من أصولها". (١٢١٢)

٣-ركن الشيء:

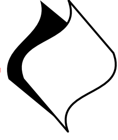
(١٢٠٨) كتاب العين (٢٩١/١).

(١٢٠٩) تهذيب اللغة (٤١٣/١).

(١٢١٠) كتاب العين (٢٩١/١)، الصحاح (ص٧٢٢).

(١٢١١) أخرجه النسائي (١٠١٣) باختلاف يسير، وابن ماجه (١٣٤٩)، وأحمد (٢٦٩٠٥) واللفظ لهما.

(١٢١٢) تاج العروس (٣٢١/٤).



وقال الزبيدي–رحمه الله–(ت: ١٢٠٥ هـ): "والعرش ركن الشيء، قاله الزجاج والكسائي، وبه فسر قوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، أي وخرت على أركانها". (١٢١٣)

٤–الملك:

وقال الأزهري–رحمه الله–(ت: ٣٧٠ هـ): "قال: والعرش الملك، يقال: ثل عرشه، أي زال ملكه وعزه.

قال زهير:

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل". (١٢١٤)

وقال الزبيدي–رحمه الله–(ت: ١٢٠٥ هـ): "قال **ابن الأعرابي–رحمه الله–(ت: ٢٣١ هـ)**: العرش الملك، بضم الميم، وهو كناية...". (١٢١٥)

٥–قوام أمر الرجل:

قال ابن فارس–رحمه الله–(ت:٣٩٥ هـ): (استعيرت كلمة عرش هنا، فقيل لأمر الرجل وقوامه: عرش، وإذا زال عنه ذلك، قيل: ثل عرشه.

قال زهير:

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل). (١٢١٦)

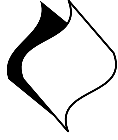
وقال الزبيدي–رحمه الله–(ت: ١٢٠٥ هـ): "قولهم: ثل عرشه أي: عدم ما هو عليه من قوام أمره، وقيل: وهي أمره، وقيل: ذهب عزه، ومنه حديث عمر رضي الله عنه أنه رُئي في المنام، فقيل له: ما

(١٢١٣) المصدر السابق.

(١٢١٤) تهذيب اللغة (٤١٤/١).

(١٢١٥) تاج العروس (٣٢١/٤).

(١٢١٦) معجم مقاييس اللغة (٢٦٤/٤) –بتصرف–.



فعل بك ربك؟ قال: لولا أن تداركني لثل عرشي". (١٢١٧)

٦-عرش السماك:

قال ابن فارس-رحمه الله-(ت:٣٩٥ هـ): "ويقال: أن عرش السماك، أربعة كواكب، أسفل من العواء على صورة النعش، ويقال: هي عجز الأسد، قال ابن أحمر:

باتت عليه ليلة عرشية شربت وبات إلى نقا متهدم". (١٢١٨)

٧-عرش البئر:

وقال الأزهري-رحمه الله-(ت: ٣٧٠ هـ): "وقال أبو عبيد: قال أبو زيد: بئر معروشة، وهي التي تطوى قدر قامة من أسفلها بالحجارة ثم يطوى سائرها بالخشب وحده، فذلك الخشب هو العرش، يقال منه: عرشت البئر، أعرشها، فإذا كانت كلها بالحجارة فهي مطوية وليست بمعروشة.

وقال غيره: المثاب: مقام الساقي فوق العروش، ومنه قول الشاعر:

وما لم ثابات العروش بقية إذا استل من تحت العروش الدعائم

وقال ابن الأعرابي-رحمه الله-(ت: ٢٣١ هـ): العرش بناء فوق البئر يقوم عليه الساقي، وأنشد -أكل يوم عرشها مقيل-". (١٢١٩)

٨-عرش القدم:

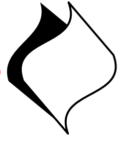
قال الخليل-رحمه الله-(ت: ١٧٤ هـ): "العرش في القدم، ما بين الحمار والأصابع من ظهر القدم، والحمار: المرتفع من ظهر القدم، وجمعه: عرشه وأعراش". (١٢٢٠)

(١٢١٧) تاج العروس (٣٢١/٤).

(١٢١٨) معجم مقاييس اللغة (٢٦٧/٤)

(١٢١٩) تهذيب اللغة (٤١٦/١).

(١٢٢٠) كتاب العين (٢٩٣/١).



وقال ابن الأعرابي–رحمه الله–(ت: ٢٣١ هـ): (ظهر القدم: العرش، وباطنه: الأخمص". (١٢٢١)

قلت: ومن المعلوم أن معرفة كل معنى من تلك المعاني إنما يتحدد بحسب ما أضيف إلى الكلمة، والمعنى المقصود في عرش الرحمن من تلك المعاني السابقة، هو سرير الملك، ذلك لأن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة قد جاءت معينة لهذا المعنى وحده دون غيره من المعاني، وهذا ما سيأتي بيانه.

أما زعم الجهمية بأن معنى العرش في قوله تعالى **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]، يحتمل عدة معاني، فلا يعرف أي هذه المعاني هو المراد؟

فقد أجاب عنه **ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ)** بقوله: "هذا تلبيس منك على الجهال، وكذب ظاهر، فإنه ليس لعرش الرحمن الذي استوى عليه إلا معنى واحد، وإن كان للعرش من حيث الجملة عدة معانٍ، فاللام للعهد وقد صار بها العرش معيناً، وهو عرش الرب تعالى الذي هو سرير ملكه، التي اتفقت عليه الرسل، وأقرت به الأمم، إلا من نابذ الرسل...". (١٢٢٢)

ثانيًا: تعريف العرش شرعًا:

وأما تعريف العرش شرعًا فقد اختلف فيه إلى مذاهب

أولاً: مذهب السلف:

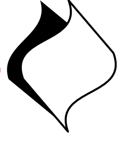
قال الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ) عند قوله تعالى: **{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ}** [الزمر: الآية: ٧٥] (يعني بالعرش: السرير)، ثم ذكر بسنده عن السدي في تفسير هذه الآية قوله: "محدقين حول العرش قال: العرش: السرير". (١٢٢٣)

قال الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ) في موضع آخر **{ذُو الْعَرْشِ}** [غافر ١٥] يقول: "ذو

(١٢٢١) لسان العرب (٢٨٨٢/٤).

(١٢٢٢) مختصر الصواعق المرسلة (١٧/١-١٨).

(١٢٢٣) تفسير الطبري (٣٧/٢٤-٣٨).



السرير المحيط بما دونه". (١٢٢٤)

وقال البيهقي-رحمه الله-(ت: ٤٥٨ هـ): "وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة، وفي الآيات والأحاديث والأثار دلالة واضحة على ما ذهبوا إليه". (١٢٢٥)

وقال أيضاً: (العرش هو السرير المشهور فيما بين العقلاء). (١٢٢٦)

وقال ابن كثير-رحمه الله-(ت: ٧٧٤ هـ): "هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات". (١٢٢٧)

وقال الذهبي-رحمه الله-(ت: ٧٤٨ هـ)، -بعد أن ذكر سرر أهل الجنة-: "فما الظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه في ارتفاعه وسعته، وقوائمه وماهيته وحملته، والكروبيين الحافين من حوله، وحسنه ورونقه وقيمته، فقد ورد أنه من ياقوتة حمراء". (١٢٢٨)

قلت: وهذا الذي ذكره الطبري والبيهقي وابن كثير والذهبي في تعريف العرش، هو الذي جاءت به الآيات والأحاديث والآثار، وهو ما ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها في عرش الله، فهم يعتقدون أن عرش الرحمن هو:

❋ سرير:

قال ابن قتيبة-رحمه الله-٢٧٦ هـ): "وطلبوا للعرش معنى غير السرير، والعلماء في اللغة لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير، وما عرش من السقوف وأشباهها، قال أمية بن أبي الصلت:

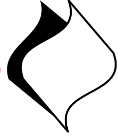
(١٢٢٤) تفسير الطبري (٤٩/٢٤).

(١٢٢٥) الأسماء والصفات (٢٧٢/٢).

(١٢٢٦) الاعتقاد (١١٢).

(١٢٢٧) البداية (١٢/١).

(١٢٢٨) العلو (ص٥٧).



مجدوا الله وهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق النـ ـاس وسوى فوق السماء سريرا

شرجعاً لا يناله بصر العيـ ـن ترى دونه الملائك صورا". (١٢٢٩)

قال ابن كثير –رحمه الله– (ت: ٧٧٤ هـ): "العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى: **{وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}** [النمل: الآية: ٢٣]. وليس هو فلكاً ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سرير ذو قوائم...". (١٢٣٠)

❋ وأنه ذو قوائم:

قال شارح الطحاوية (ت: ٧٩٢ هـ): "قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، كما قال –صلى الله عليه وسلم–: ((**فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**)). (١٢٣١) (١٢٣٢).

❋ وأنه مخلوق:

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– (ت: ٨٥٢ هـ): "قوله: **{وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}** [التوبة: الآية: ١٢٩]، إشارة إلى أن العرش مربوب، وكل مربوب مخلوق... وفي إثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب له أبعاض وأجزاء، والجسم المؤلف محدث مخلوق". (١٢٣٣).

❋ وأن الله سبحانه قد أمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه:

قال تعالى: **{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}** [غافر: الآية: ٧]، وقال

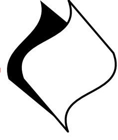
(١٢٢٩) الاختلاف في اللفظ (ص٢٤٠).

(١٢٣٠) البداية (١/١١-١٢).

(١٢٣١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي. انظر فتح الباري (٥/٧٠). ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل (٤/١٠١-١٠٢).

(١٢٣٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٣١٠-٣١١).

(١٢٣٣) فتح الباري (١٣/٤٠٥).



تعالى: **{وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ}** [الحاقة: الآية: ١٧].

وعن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–(ت: مابين ٧٣ و٧٧ هـ) عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: ((**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**)). (١٢٣٤)

❋ وهو أعلى المخلوقات، وأعظمها، وسقفها، وهو كالقبة على العالم وما تحته بالنسبة إليه كحلقة في فلاة:

وقال ابن أبي زمنين–رحمه الله–(ت: ٣٩٩ هـ) في كتابه "أصول السنة": "ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق...". (١٢٣٥)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): (واما العرش فإنه مقبب، لما روي في السنن لأبي داود عن جبير بن مطعم قال: ((أتى رسول الله–صلى الله عليه وسلم–أعرابي فقال: يا رسول جهدت الأنفس، وجاع العيال –وذكر الحديث إلى أن قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: إن الله على عرشه وإن عرشه على سمواته وأرضه كهكذا)). (١٢٣٦) وقال بأصابعه مثل القبة... وفي علوه قوله–صلى الله عليه وسلم–

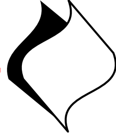
(١٢٣٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية (٥/٩٦، ح٤٧٢٧).

أورده ابن كثير في تفسير (٤/٤١٤) وعزاه لابن أبي حاتم وقال: (إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات).

(١٢٣٥) أصول السنة (ص٨٨).

(١٢٣٦) الحديث أخرجه كذلك الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص٤٤٧). وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٥٢). وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٣٩–٢٤٠، ح١٤٧). والطبراني في المعجم الكبير (٢/١٣٢، برقم ١٥٤٧). وأبو الشيخ في العظمة (٢/٥٥٤–٥٥٦، ح١٩٨). والدارقطني في الصفات (ص٥١، ح٣٨). وابن منده في التوحيد (١/١٨٨، برقم ٦٤٣). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٤). والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣١٧–٣١٨، ح٨٨٣).

وقد تكلم بعض الأئمة على هذا الحديث: فقال الذهبي في العلو (ص٣٩): "هذا الحديث غريب جداً فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أم لا؟ وأما الله فليس كمثله شيء جل جلاله، وتقدست أسماؤه ولا إله غيره" انتهى كلامه. واستغربه الحافظ ابن كثير في تفسير آية الكرسي من تفسيره (١/٣١٠). ثم إن في إسناده اختلافاً.



: ((إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلاها وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)). (١٢٣٧)

فقد تبين بهذه الأحاديث أنه أعلى المخلوقات، وسقفها، وأنه مقبب...". (١٢٣٨)

وفي حديث **أبي ذر–رضي الله عنه–(ت: ٣١ أو ٣٢ هـ)** المشهور قال: قلت يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: ((آية الكرسي، ثم قال: يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة)). (١٢٣٩)

هذا وقد تكلم ابن القيم في تهذيب السنن (٧/٩٥–١١٧) بكلام طويل نصر فيه تصحيح الحديث، ورد المطاعن التي طعن بها هذا الحديث، وبخاصة عن ابن إسحاق.

والصواب أن هذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف، ولا سيما أن جبير بن محمد قال فيه الحافظ ابن حجر: "مقبول" يعني إذا توبع ولم يتابع هنا.

التعليق: منهج السلف في إيراد مثل هذه الأحاديث التي في إسنادها مقال إنما هو من باب التأكيد لا من باب التأييد، وهذا الحديث إنما ساقه الكثير من السلف لما فيه من تواتر علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات القرآن والأحاديث الصحيحة".

(١٢٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب {وكان عرشه على الماء}. انظر فتح الباري (١٣/٤٠٤).

(١٢٣٨) الفتاوى (٥/١٥١).

(١٢٣٩) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش رقم (٥٨).

وابن حبان في صحيحه (١/٧٦–٧٩).

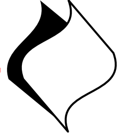
وأبو الشيخ في العظمة (٢/٦٤٨–٦٤٩، ح٢٥٩).

وأبو نعيم في الحلية (١/١٦٦).

والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٠–٣٠١، ح٨٦٢).

وللحديث أيضاً طرق أخرى ذكرها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٠٩)، وقال: (وجملة القول إن الحديث بهذه الطرق صحيح)، وصححه أيضاً في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (ص٣١٢)، وتخريجه لأحاديث كتاب "ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان" للألوسي (ص١٤٠).

وقد نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/٤١١) عن ابن حبان تصحيح الحديث وقال: (وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره بسند صحيح عنه).



وهذا القول للسلف في عرش الله هو ما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة، وقد كان سلف الأمة وأئمتها دائماً يصرحون بذلك في كتبهم عند الحديث عن هذه المسألة.

وقد وافقهم في هذا القول في عرش الله الكلابية، والكرامية، ومتقدمو الأشاعرة، وبعض الجهمية، والمعتزلة. (١٢٤٠)

ثانياً: أقوال المخالفين

القول الأول:

ما زعمه طائفة من الجهمية، والمعتزلة، والماتريدية (١٢٤١)، وعامة متأخري الأشاعرة (١٢٤٢)، من أن معنى العرش في قوله تعالى **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]، هو الملك.

قال الدارمي–رحمه الله–(ت: ٢٨٠ هـ) في كتابه "الرد على الجهمية": (باب الإيمان بالعرش وهو أحد ما أنكرته المعطلة. فادعت هذه العصابة أنهم يؤمنون بالعرش ويقرون به، فقلت لبعضهم: ما إيمانكم به إلا كإيمان ﴿**الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ**﴾ [المائدة: الآية: ٤١]، وكالذين ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٤]، أتقرون أن لله عرشاً معلوماً، موصوفاً فوق السماء السابعة، تحمله الملائكة، والله فوقه كما وصف نفسه، بائن من خلقه! فأبى أن يقر به كذلك، وتردد في الجواب وخلط ولم يصرح.

قال أبو سعيد: فقال لي زعيم منهم كبير: لا، ولكن لما خلق الله الخلق يعني السموات والأرض وما فيهن سمى ذلك كله عرشاً له، واستوى على جميع ذلك كله". (١٢٤٣).

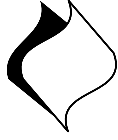
(١٢٤٠) شرح أصول الخمسة (ص٢٢٦)، أصول الدين للبغدادي (ص١١٢)، الفرق بين الفرق (ص٢١٥–٢١٦)، شرح جوهرة التوحيد (ص١٨١)، نقض التأسيس (١/٣٩٦، ٢/١٤–١٥).

(١٢٤١) هم أتباع أبو منصور، محمد بن محمد الماتريدي، السمرقندي.

انظر قولهم في هذه المسألة في "تأويلات أهل السنة" للماتريدي (١/٨٥).

(١٢٤٢) التبصير في الدين للإسفراييني (١٥٨).

(١٢٤٣) الرد على الجهمية (ص١٢–١٣).



وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)، -في سياق كلامه على حملة العرش-: "ثم إن قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ**﴾ [غافر: الآية: ٧]، وقوله ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: الآية: ١٧]، يوجب أن لله عرشاً يحمل، يوجب أن ذلك العرش ليس هو الملك، كما تقوله طائفة من الجهمية". (١٢٤٤)

وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): "إنه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك، فقالوا: استوى فلان على العرش يريدون ملك، وإن لم يقعد على السرير البتة، وقالوه أيضاً في شهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه، وإن كان أشرح، وأبسط، وأدل، على صورة الأمر". (١٢٤٥)

وقال البغدادي، (ت: ٤٢٩ هـ): "والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك، كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره، وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب: ثُلَ عرش فلان، إذا ذهب ملكه، قال متمم بن نويرة في هذا المعنى:

عروشٌ تفانوا بعد عز وأمة — هووا بعد ما نالوا السلامة والبقا

وأراد بالعروش، ملوكاً انقرضوا.

وقال سعيد بن زائدة الخزاعي في النعمان بن المنذر:

قد نال عرشاً لم ينله حائل — جن ولا إنس ولا ديـار

وأراد بالعرش، الملك والسلطان.

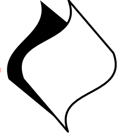
وقال النابغة:

بعد ابن جفنة وابن هاتك عرشه — والحارثين يؤمنون فلاحـا

وأراد بهاتك عرش ابن جفنة سالب ملكه، فصح بهذا تأويل العرش على الملك في آية الاستواء على

(١٢٤٤) نقض تأسيس الجهمية

(١٢٤٥) الكشاف (٢/٥٣٠).



ما بيناه". (١٢٤٦)

الرد عليهم:

ما ذهب إليه هؤلاء المخالفون من تفسير معنى العرش الوارد في الآيات بمعنى الملك، إنما هو تأويل باطلٌ، وصرف للفظ عن معناه إلى معنى آخر لا يحتمله.

والمتأمل لهذا القول يرى ما فيه من التلبيس والمخالفة.

فقد سبق أن ذكرنا في المبحث اللغوي لكلمة (عرش)، أن لهذه الكلمة عدة معاني في اللغة العربية، ومن المعلوم أن معرفة المعنى المراد من تلك المعاني لهذه الكلمة أو غيرها، إنما يتحدد بحسب سياق الكلمة وبحسب ما أضيفت إليه، وليس في سياق الآيات ما يثبت صحة ما ذهبوا إليه، كما أن ما استدل به هؤلاء المخالفون من الأبيات الشعرية ليس إلا دليلا على أن الملك هو من المعاني اللغوية لكلمة (عرش)، وهذا أمر لا خلاف فيه، وهذا الاستدلال يماثل ما لو استدللنا على أن من معاني كلمة العرش: السقف، بقوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٩]، فليس في هذه الأبيات أي إشارة لا من قريب ولا من بعيد على أن الملك هو المعنى المراد في الآيات الواردة في العرش، بل إن المتأمل للآيات والأحاديث الواردة في هذه المسألة يرى أنها تدل دلالة واضحة وصريحة على أن المراد بالعرش هو ذلك المخلوق العظيم الذي خلقه الله تعالى فوق العالم كله، ثم استوى عليه بعد أن خلق السموات والأرض، وكذلك ترد على هؤلاء المخالفين زعمهم الباطل الذي هو في الحقيقة تحريف لكلام الله.

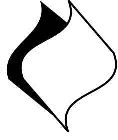
فيا ترى ماذا يصنع ذلك المخالف الذي يزعم أن العرش إنما هو كناية عن الملك والسلطان بقوله تعالى: **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** [هود: الآية: ٧]، هل يزعم أن الملك كان على الماء؟

وكذلك ماذا يصنع بقوله تعالى: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** [الحاقة: الآية: ١٧]، أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟

وقوله-صلى الله عليه وسلم-: (**(فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش"**. (١٢٤٧) أيقول

[١٢٤٦] أصول الدين (ص١١٢). وانظر أيضاً التفسير الكبير للرازي (١١٥/١٤)، وروح المعاني (٦٥/١١).

[١٢٤٧] تقدم تخريجه في (ص٧).



آخذ بقائمة من قوائم الملك؟ وكذا قوله–صلى الله عليه وسلم–: ((**اهتز عرش الرحمن**)). (١٢٤٨)، أيقول: اهتز ملكه وسلطانه؟

القول الثاني:

زعم طائفة من الفلاسفة أن العرش فلك مستدير من جميع الجوانب محيط بالعالم من كل جهة، وهو محدود الجهات، وربما سموه الفلك الأطلس، أو الفلك التاسع، أو الأثير، أو الفلك الأعلى. (١٢٤٩)

وفي ذلك يقول **ابن سينا (ت: ٤٢٧ هـ)** في رسالته " إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم": "ومن السهل عليك أن تفهم كيف أن العرش بنص القرآن يحمله ثمانية، فهذه الثمانية هي: الثمانية أفلاك التي تحت هذا الفلك المحيط". (١٢٥٠)

الرد عليهم:

إن المتأمل لكلام هؤلاء الفلاسفة كابن سينا وأمثاله يرى مدى انحرافهم، حتى أنهم وصلوا إلى درجة اعتقادهم أنه لا موجود إلا ما علموه.

ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة إذا سمعوا إخبار الأنبياء بالملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار، صاروا حائرين ومتأولين لكلام الأنبياء على ما عرفوه وعلى ما تعلموه، وإن كان هذا التأويل لا دليل لهم عليه سوى ظنهم الفاسد بأنه لا موجود إلا ما عرفوه، فقالوا العرش هو: الفلك التاسع،

(١٢٤٨) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣٧١/٢).

وأحمد في المسند (٣١٦/٣)، وفي فضائل الصحابة (٨١٨/٢).

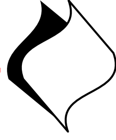
والبخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، مثله. فتح الباري (١٢٢/٧–١٢٣).

ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة (١٥٠/٧).

وابن ماجة في سننه، المقدمة (٥٦/١).

(١٢٤٩) البداية (١١/١)، الرسالة العرشية (ص٢)، مفردات (ص٣٢٩)، روح المعاني (٤٥/٢٤).

(١٢٥٠) نقلاً عن كتاب "ابن سينا بين الدين والفلسفة" (ص١٣٧–١٣٩).



والكرسي هو: الفلك الثامن، فنفوا ما ليس لهم به علم (١٢٥١) فانطبق عليهم قوله تعالى ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله**﴾ [يونس: الآية: ٣٩].

وقد ثبت أنه ليس لهؤلاء دليل يتمسكون به لا من الشرع ولا من العقل، وأن الذي دفعهم إلى هذا القول هو أنهم نظروا في علم الهيئة وعلوم الفلسفة فرأوا أن الأفلاك تسعة، وأن التاسع وهو الأطلس محيط بها ومستدير كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية، وأن لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة، ثم سمعوا في أخبار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله، وذكر السموات السبع، فقالوا بطريق الظن أن العرش هو الفلك التاسع، لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شيء، إما مطلقاً وإما أنه ليس وراءه مخلوق. (١٢٥٢)

وهم معترفون بأنه لم يقم لديهم دليل عقلي على صحة قولهم هذا، وفي ذلك **يقول ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)**: "إن أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على أن الأفلاك هي تسعة فقط، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك، ولكن دلتهم الحركات المختلفة والكسوفات ونحو ذلك على ما ذكروه، ومالم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لا يعلمون ثبوته ولا انتفاءه.

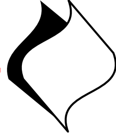
مثال ذلك: أنهم علموا أن هذا الكوكب تحت هذا بأن السفلي يكسف العلوي من غير عكس، فاستدلوا بذلك على أنه من فلك فوقه، كما استدلوا بالحركات المختلفة على أن الأفلاك مختلفة حتى جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك، كفلك التدوير وغيره، فأما ما كان موجوداً فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته، فهم لا يعلمون نفيه ولا إثباته بطريقهم... وإذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء أخر فوق الأفلاك التسعة، كان الجزم بأن ما أخبرت به الرسل من أن العرش هو الفلك التاسع رجماً بالغيب وقولاً بلا علم". (١٢٥٣)

ومع عدم وجود الدليل العقلي عند هؤلاء على صحة زعمهم فكذلك الأدلة الشرعية ترد زعمهم هذا وتبطله.

(١٢٥١) الفتاوى (١٧/٣٣٥-٣٣٦).

(١٢٥٢) الرسالة العرشية (ص٢-٣).

(١٢٥٣) الرسالة العرشية (ص٢).



وقد ذكر ابن تيمية في معرض رده على هؤلاء الفلاسفة المتكلمين في رسالته العرشية أن الآيات والأحاديث قد دلت على أن العرش مباين لغيره من المخلوقات وأن الله قد اختصه وميزه بأمور كثيرة منها، أن له حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة، وأن الله قد أخبر بوجوده قبل خلق السموات والأرض وقبل وجود الأفلاك وأن الله سبحانه تمدح نفسه بأنه ذو العرش، ووصف العرش بأنه مجيد، وعظيم، وكريم، فكل هذه الميزات والخصائص تبطل قول المنازع لأنه يقول بأن نسبة الفلك الأعلى إلى ما دونه كنسبة الآخر إلى ما دونه، ذلك لأنه لو كان العرش من جنس الأفلاك لكان إلى ما دونه كنسبة الآخر إلى ما دونه، وهذا لا يوجب خروجه عن الجنس وتخصيصه بالذكر؛. (١٢٥٤)

كما أن مما يدل على فساد قولهم ما ثبت في الشرع من أن للعرش قوائم وأنه يهتز، ومعلوم أن الأفلاك مستديرة وليس لها قوائم، كما أنها متحركة دائماً بحركة متشابهة لا تتغير، كما ثبت أيضاً أن العرش أثقل الأوزان، وهم يقولون إن الفلك لا ثقيل ولا خفيف. (١٢٥٥)

فعلم مما تقدم انتفاء الدليل العقلي عند هؤلاء كما علم مخالفتهم للأدلة الشرعية وإبطالها لأقوالهم، ويضاف إلى هذا مخالفتهم للغة العرب، فالعرب لا تفهم من كلمة العرش هذا المعنى ولا هو مستعمل في لغتها، والقرآن إنما نزل بما يفهمون.

وبعد هذا كله لا تبقى أدنى شبهة في فساد هذا القول وبطلانه والله أعلم.

ثالثًا: الأدلة إثبات العرش

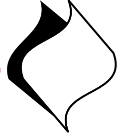
أ–الأدلة القرآنية على إثبات العرش.

لقد جاء ذكر عرش الرحمن في القرآن الكريم في واحد وعشرين موضعاً:

١–قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]

(١٢٥٤) المصدر السابق (ص٣–٧).

(١٢٥٥) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص٣٦٣).



٢-وقال تعالى: ﴿**فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩].

٣-وقال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [يونس: الآية: ٣].

٤-وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾ [هود: الآية: ٧].

٥-وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**﴾ [الرعد: الآية: ٢].

٦-وقال تعالى: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: الآية: ٤٢].

٧-وقال تعالى: {**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**} [طه: الآية: ٥].

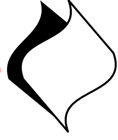
٨-وقال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٢].

٩-وقال تعالى: ﴿**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [المؤمنون: الآية: ٨٦].

١٠-وقال تعالى: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون: الآية: ١١٦].

١١-وقال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**﴾ [الفرقان: الآية: ٥٩].

١٢-وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [النمل: الآية: ٢٦].



١٣-وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: الآية: ٤].

١٤-وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: الآية: ٧٥].

١٥-وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: الآية: ٧].

١٦-وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: الآية: ١٦].

١٧-وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٢].

١٨-وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: الآية: ٤].

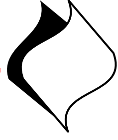
١٩-وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية: ١٧].

٢٠-وقال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: الآية: ٢٠].

٢١-وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: الآية: ١٥].

ب-الأدلة من السنة على إثبات العرش

أورد **الذهبي-رحمه الله-(ت: ٧٤٨ هـ)**، في كتابه "العرش" جملة طيبة من الأحاديث والآثار الواردة في العرش وصفته، وفي هذا المبحث لن نذكر تلك الأحاديث والآثار التي أوردها لأنها ستأتي، وإنما سنورد ههنا بعض الأحاديث الصحيحة في العرش وصفته والتي لم يذكرها الذهبي في كتابه، وهذه الأحاديث كثيراً



ما يوردها السلف في كتبهم ويستدلون بها لما فيها من الصحة والقوة ولما فيها من الصفات الدالة على عرش الخالق سبحانه وتعالى.

١-فقد جاء في الصحيحين **عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-(ت: ٧٤ هـ)** قال: ((**بينا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-جالس، جاء يهودي فقال: يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك، فقال: من؟ قال: رجل من الأنصار، قال: ادعوه، فقال: أضربته؟ فقال: سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أي خبيث على محمد-صلى الله عليه وسلم-، فأخذتني غضبة فضربت وجهه، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان صعق أم حوسب بصعقته الأولى**)). (١٢٥٦)

والشاهد لنا من هذا الحديث قوله: ((فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش))، حيث إن للعرش قوائم، ولم يرد في الشرع تحديد عدد لها، وهذا الحديث هو من أقوى الأدلة على أن العرش ليس المراد به الملك أو الفلك التاسع.

٢-وفي صحيح مسلم عن **عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-(ت: ٦٥ هـ)** قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: ((**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**)). (١٢٥٧)

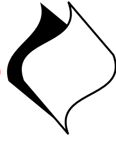
وفي الحديث دلالة واضحة على أن العرش كان مخلوقاً على الماء قبل خلق السموات.

٣-وفي الصحيحين **عن ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)** قال: كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول عن الكرب: ((**لا إله إلا الله العليم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله**

(١٢٥٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٧٠ مع الفتح) كتاب الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي.

ومسام في صحيحه (٤/١٠١-١٠٢) كتاب الفضائل.

(١٢٥٧) أخرجه مسلم في القدر (٨/٥١).



إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم)). (١٢٥٨)

٤-وعن **ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)، عن جويرية-رضي الله عنها-(ت: ٥٠ هـ)** أن النبي-صلى الله عليه وسلم-خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: ((**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها**))، قالت: نعم، قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**)). (١٢٥٩)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان". (١٢٦٠)

٥-وعن **جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-(ت: مابين ٧٣ إلى ٧٧ هـ)** عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ((**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**)). (١٢٦١)

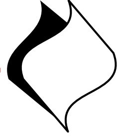
٦-**وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٩ هـ)**، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ((**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة**)).

(١٢٥٨) أخرجه البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، واللفظ له. فتح الباري (١٣/٤٠٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٨/٨٥).

(١٢٥٩) أخرجه مسلم في الذكر (٨/٨٣) واللفظ له، وأخرجه أبو داود في تخريج أبواب الوتر، باب التسبيح بالحصى (٢/١٧١)، وأخرجه الترمذي في الدعوات، وقال: (حديث حسن صحيح). (٥/٥٥٦).

(١٢٦٠) الرسالة العرشية (ص٨).

(١٢٦١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية (٥/٩٦، ح٤٧٢٧)، أورده ابن كثير في تفسير (٤/٤١٤) وعزاه لابن أبي حاتم وقال: (إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات).



(١٢٦٢)

٧-**وعن عائشة-رضي الله عنها-(ت: ٥٧ هـ)**، قالت: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **((الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله))**. (١٢٦٣)

٨-**وعن أبي ذر-رضي الله عنه-(ت: ٣١ أو ٣٢ هـ)**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لأبي ذر حين غربت الشمس: **((أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئتي فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: الآية: ٣٨]))**. (١٢٦٤)

٩-وفي الصحيحين **عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٩ هـ)** قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **((لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي))**. (١٢٦٥)

١٠-**وعن معاذ بن جبل-رضي الله عنه-(ت: ١٧ أو ١٨ هـ)**، قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: **((المتحابون في الله يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله))**. (١٢٦٦)

(١٢٦٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء. فتح الباري (١٣/٤٠٤).

(١٢٦٣) أخرجه مسلم في البر والصلة (٨/٧).

(١٢٦٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب صفة الشمس والقمر. فتح الباري (٦/٢٩٧).

(١٢٦٥) أخرجه البخاري في بدء خلق، باب ما جاء في قوله تعالى {وهو يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}. فتح الباري (٦/٢٨٧).

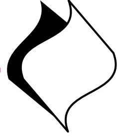
وأخرجه مسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله أنها سبقت غضبه. (٨/٩٥).

(١٢٦٦) أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٢٩، ٢٣٦، ٢٣٧).

وابن حبان (٢٥١٠).

والحاكم (٤/١٦٩-١٧٠).

وابن المبارك في الزهد (ص٧١٥) من طريقين صحيحين عنه.



رابعًا: صفة العرش وخصائصه

أولاً: خلق العرش وهيئته

إن أول صفة نذكرها لعرش البارئ سبحانه وتعالى كونه مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى، ذلك لأن كل ما على الوجود هو مخلوق خلقه الله تعالى وأوجده، قال الله تعالى: ﴿**ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٢]، فكل شيء في هذا الكون مخلوق والعرش من ضمن هذا الكون فهو مخلوق أيضاً.

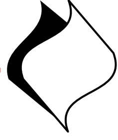
وسلف الأمة وأئمتها يقولون إن القرآن والسنة قد دلا على أن العرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى خلقه وأوجده، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩]، فالعرش موصوف بأنه مربوب وكل مربوب مخلوق، فالعرش مخلوق من مخلوقات الله.

وقد دلت الآيات والأحاديث على أن خلق العرش متقدم على خلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ [هود: الآية: ٧]، فالآية تدل على أن العرش كان موجوداً على الماء قبل خلق السموات والأرض ويؤيد تفسير الآية بهذا المعنى حديث **عمران بن حصين–رضي الله عنه–(ت: ٥٢ هـ)**، الذي جاء فيه أن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: ((**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض**)). (١٢٦٧)

وأما مسألة خلق العرش فقد جاء ذكرها في حديث **أبي رزين العقيلي–رضي الله عنه–** قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: ((**كان في عما ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء**)). (١٢٦٨)

(١٢٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}. فتح الباري (٢٨٦/٦، رقم ٣١٩٠).

(١٢٦٨) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة هود (٢٨٨/٥، رقم٣١٠٩). والإمام أحمد في مسنده (١١/٤–١٢). وابن أبي شيبة في العرش (ح٧). وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (٦٤/١).



هذه الأدلة التي استدل بها السلف على إثبات خلق العرش، فيها أبلغ الرد على من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع، أو أنه لم يزل مع الله تعالى.

ولقد خالف السلف في قولهم هذا بعض أهل الكلام الذين زعموا أن السموات والأرض كانتا مخلوقتين قبل العرش، وهم بزعمهم هذا الذي لا دليل لهم عليه إنما يحاولون به إخراج الاستواء عن حقيقته في قوله تعالى ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، ليكون معنى الاستواء في الآية على زعمهم بمعنى القدرة على العرش والاستيلاء عليه، ذلك لأنهم لو سلموا أن العرش مخلوق قبل السموات والأرض لقيل لهم إنكم تزعمون أن (استوى) بمعنى استولى، فلماذا تأخر الاستيلاء إلى ما بعد خلق السموات مع أنه كان موجوداً قبل ذلك، فهم فراراً من هذا الأمر ادعوا أن العرش مخلوق بعد السموات والأرض.

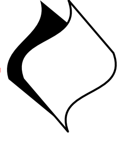
وقد رد **ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ)** على زعمهم هذا بقوله: (إن هذا لم يقله أحد من أهل العلم أصلاً، وهو مناقض لما دل عليه القرآن والسنة وإجماع المسلمين أظهر مناقضة، فإنه تعالى أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وعرشه حينئذ على الماء، وهذه واو الحال، أي خلقها في هذه الحال، فدل على سبق العرش والماء للسموات والأراضين وفي الصحيح عنه-صلى الله عليه وسلم-: ((**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**)). (١٢٦٩)". (١٢٧٠)

وكذلك فيما ذكرناه من أدلة على سبق خلق العرش للسموات والأرض فيه رد على زعم هؤلاء

وابن أبي عاصم في السنة (٢٧١/١). وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/١٢) وفي تاريخه (١٩/١). والحكيم الترمذي في الرد على المعطلة (ق١٠٦/ أ). وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٣٦٣/١-٣٦٤، ح٨٣). وابن بطة في الإبانة (تتمة الرد على الجهمية، ١٦٨/٣، ح١٢٥). وابن أبي زمنين في أصول السنة (ص٨٩، ح٣١). والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٥/٢-٢٣٦، ح٨٠١ و٣٠٣/٢، ح٨٦٤). قال الترمذي: حديث حسن. وقال الذهبي في العلو (ص١٩) إسناده حسن. وقال الألباني: "في تصحيحه نظر، فإن مداره على وكيع بن عدس ويقال حدس، وهو مجهول، لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، ولا وثقه غير ابن حبان".

(١٢٦٩) تقدم تخريجه ص ٢٦١.

(١٢٧٠) مختصر الصواعق (١٣١/٢).



ومدى مخالفة قولهم للكتاب والسنة.

وبعد أن علمنا أسبقية خلق العرش على خلق السموات والأرض وإجماع سلف الأمة على ذلك، نود أن نتطرق في هذا البحث أيضاً إلى ترتيب خلق العرش مع غيره من المخلوقات من حيث الأولوية في الخلق.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على عدة أقوال:

القول الأول:

إن القلم أول المخلوقات، وأنه أسبق في الخلق من العرش، وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري (١٢٧١) وابن الجوزي (١٢٧٢) وهو ما يفهم في الظاهر من قول من صنف في الأوائل كابن أبي عروبة الحراني، وأبو القاسم الطبراني. (١٢٧٣).

والدليل على هذا القول حديث **عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)**، قال: سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يقول: ((**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب ماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**...)). الحديث (١٢٧٤)

قال ابن جرير–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ) عند تخريج هذا القول: "وقول رسول الله–صلى الله عليه وسلم–الذي رويناه عنه أولى قول في ذلك بالصواب لأنه كان أعلم قائل في ذلك قولاً بحقيقته وصحته من غير استثناء منه شيئاً من الأشياء أنه تقدم خلق الله إياه خلق القلم، بل عم بقوله–صلى الله عليه وسلم–: ((**إن أول شيء خلقه الله القلم**))، كل شيء وأن القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا

(١٢٧١) تاريخ الطبري (١/٣٦).

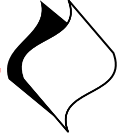
(١٢٧٢) البداية والنهاية (١/٨).

(١٢٧٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد.

(١٢٧٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/٣١٧).

وأبو داود في سننه (٥/٧٦، رقم٤٧٠٠).

والترمذي في سننه (٥/٤٢٤، رقم٣٣١٩).



ماء ولا شيئاً غير ذلك". (١٢٧٥)

القول الثاني:

إن الماء أول المخلوقات، وأنه مخلوق قبل العرش.

وهذا القول ذكره **ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ)** (١٢٧٦)، وذكره أيضاً **ابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ)** (١٢٧٧)، واستدل له بما رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً ((**أن الماء خلق قبل العرش**)).

وقال **ابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ)**: "وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة ((**أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء**))".

القول الثالث:

أن أول شيء خلقه الله عز وجل من خلقه النور والظلمة.

وهذا القول **ذكره ابن جرير–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ)، وعزاه إلى ابن إسحاق–رحمه الله–(ت: ١٥١ هـ)**. (١٢٧٨)

القول الرابع:

أن العرش هو أول المخلوقات.

وهذا القول هو اختيار **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)** (**١٢٧٩**)، **وابن القيم–رحمه الله–**

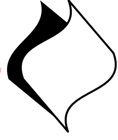
(١٢٧٥) تاريخ الطبري (١/٣٦،٣٥).

(١٢٧٦) البداية والنهاية (١/٩).

(١٢٧٧) فتح الباري (٦/٢٨٩).

(١٢٧٨) تاريخ الطبري (١/٣٣).

(١٢٧٩) مجموع الفتاوى (١٨/٢١٣).



(ت: ٧٥١ هـ) (١٢٨٠)**، وابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ)** (١٢٨١)**، وشارح العقيدة الطحاوية–رحمه الله–(ت: ٧٩٢ هـ)** (١٢٨٢)**، ونسبه ابن كثير وابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ) –نقلاً عن أبي العلاء الهمداني–رحمه الله–(ت: ٥٦٩ هـ)**–إلى الجمهور، ومال إليه ابن حجر أيضاً. (١٢٨٣).

واستدلوا على قولهم هذا بما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن **عبد الله ابن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–(ت: ٦٥ هـ)** مرفوعاً قال: ((**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**)). (١٢٨٤).

ففي هذا الحديث تصريح بأن التقدير وقع بعد خلق العرش وحديث عبادة صريح بأن التقدير وقع عند أول خلق القلم، فدل ذلك على أن العرش سابق على القلم.

ومما يؤيد هذا القول أيضاً حديث **عمران بن حصين–رضي الله عنه–(ت: ٥٢ هـ)**: ((**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض**)). (١٢٨٥)

فالحديث يدل على أن العرش كان موجوداً قبل كتابة المقادير.

وهذا هو الراجح من الأقوال.

وأما القول الثاني (أن الماء أول المخلوقات) واستدلال ابن حجر بحديث أبي رزين (أن الماء خلق قبل

(١٢٨٠) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢٥٣-٢٥٤).

وانظر مختصر الصواعق المرسلة (٢/٣٢٣).

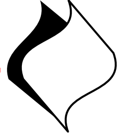
(١٢٨١) البداية والنهاية (١/٩).

(١٢٨٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٩٥).

(١٢٨٣) فتح الباري (٦/٢٨٩).

(١٢٨٤) تقدم تخريجه.

(١٢٨٥) تقدم تخريجه.



العرش) فغير صحيح، لأنه لم يرد في حديث أبي رزين هذا اللفظ، وإنما ورد فيه (ثم خلق عرشه على الماء) وليس في هذا ما يدل على أولية الماء.

وأما ما رواه **السدي–رحمه الله–(ت: ١٢٨ هـ)** فهو أيضاً لا يصلح للاحتجاج لكونه أثراً ولم يثبت عن النبي–صلى الله عليه وسلم–ما يدل على ذلك

وأما القول الثالث: وهو قول **ابن إسحاق–رحمه الله–(ت: ١٥١ هـ)**، فهو أيضاً غير صحيح، ولعله أخذه من الإسرائيليات كما أخذ غيره من الأمور، وقد قال **ابن جرير–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ)** في هذا القول: "وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قوله الذي قاله في ذلك إلى أحد، وذلك من الأمور التي لا يدرك علمها إلا بخبر من الله عز وجل أو من خبر رسول الله–صلى الله عليه وسلم–". (١٢٨٦)

أما القول الأول فقد أجاب الجمهور على استدلالهم بحديث **عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)** بقولهم لا يخلو قوله ((**أول ما خلق الله القلم... الخ**)) من أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة –وهو الصحيح–كان معناه أنه عند أول خلقه قال له ((**اكتب**)) كما في اللفظ، ((**أول ما خلق الله القلم قال له اكتب**)) بنصب ((**أول**)) و((**القلم**)) فعلى هذا تكون الأولية راجعة إلى الكتابة لا إلى الخلق.

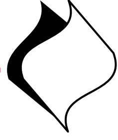
وإن كانت جملتين وهو مروي برفع ((**أول**)) و((**القلم**)) فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق بهذا الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم. (١٢٨٧)

أما هيئة العرش: فقد دلت الأحاديث على أنه مقبب الشكل وأنه على هذا العالم المكون من السموات والأرض وما فيهما كهيئة القبة وهذا ما يدل عليه حديث الأعرابي الذي جاء فيه أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((**إن عرشه على سمواته وأراضيه هكذا**)) وأشار بأصابعه مثل القبة، ويؤيد وصف هيئة العرش بهذه الصفة ما جاء في الحديث الآخر ((**إذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه وسط الجنة**

(١٢٨٦) تاريخ الطبري (٣٣/١).

(١٢٨٧) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٩٥-٢٩٦).

اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٥٣-٢٥٤).



وأعلاها وفوقه عرش الرحمن))، فالحديث يبين أن الفردوس أوسط الجنة وأعلاها كما جاء في الحديث الآخر: ((**مائة درجة وما بين كل درجة ودرجة كما بين السموات والأرض**)) فكون العرش سقفاً للفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها يدل على أنه مقبب لأن هذه الصفة لا تكون إلا في المستدير.

والعرش له قوائم كما جاء في الحديث الصحيح ((**لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش**)) الحديث.

وفي إثبات كون العرش مقبباً وأن له قوائم تحمله، رد على من زعم من الفلاسفة أن العرش فلك من الأفلاك أو أنه الفلك التاسع، وقد تقدم الرد على زعم هؤلاء، وكذلك فيه رد على من زعم أن العرش بمعنى الملك لأنه لا يعقل أن يكون ماسكاً بقائمة من قوائم الملك، وقد ذكر ابن كثير والذهبي أن العرش من ياقوتة حمراء. (١٢٨٨) وقد استدلوا لهذا القول بما رواه **إسماعيل بن أبي خالد–رحمه الله–(ت: ١٤٦ هـ)** قال: سمعت **سعداً الطائي–رحمه الله–(ت: بين ١٢١ هـ إلى ١٣٠ هـ)** يقول: "العرش ياقوتة حمراء". (١٢٨٩)

ثانياً: مكان العرش.

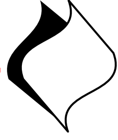
إن الآيات والأحاديث التي جاء فيها ذكر عرش الرحمن تبارك وتعالى لتدل دلالة واضحة على أن لعرش الرحمن مكاناً قبل وجود السموات والأرض وبعد خلقهما، فأما مكانه قبل خلق السموات والأرض فالآيات والأحاديث تبين لنا أن مكانه على الماء، فالله سبحانه يقول في كتابه الكريم ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ [هود: الآية: ٧].

قال **الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ)** في تفسير هذه الآية: "وقوله ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ [هود: الآية: ٧]، يقول وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن، وعن **أبي نجيح–رحمه الله–(ت: ١٣١هـ، أو ١٣٢هـ)، عن مجاهد–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ)** في قول الله ﴿**وَكَانَ**

(١٢٨٨) تفسير ابن كثير (٤/٧٤).

العلو للذهبي (ص٥٧)

(١٢٨٩) انظر العلو للذهبي (ص ٥٧).



عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: الآية: ٧]، قبل أن يخلق شيئاً". (١٢٩٠)

وأما الأدلة من السنة على ذلك فكثيرة منها حديث **عمران بن حصين–رضي الله عنه–(ت: ٥٢ هـ)** الذي جاء فيه: ((**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض**)).

وكذلك ما جاء في حديث **عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–(ت: ٦٥ هـ)**: ((**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**)).

وكذلك حديث **أبي رزين العقيلي–رضي الله عنه–**، قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: ((**كان في عما ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء**)).

فكل من الآية والأحاديث تدل دلالة قاطعة على أن مكان العرش منذ خلقه على الماء، وليس مراد بالماء هنا ماء البحر لأن ماء البحر إنما وجد بعد خلق السموات والأرض، وإنما الماء المذكور هنا ماء آخر تحت العرش على ما شاء الله تعالى. (١٢٩١)

وقد سئل **حبر الأمة عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)** عن قوله تعالى **﴿وكان عرشه على الماء﴾** [هود: الآية: ٧]، على أي شيء كان الماء؟ قال: "كان على متن الريح". (١٢٩٢)

(١٢٩٠) تفسير الطبري (٤/١٢).

(١٢٩١) فتح الباري (٤١١/١٣).

(١٢٩٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤٩/١٥).

والدارمي في الرد على بشر المريسي (ص٤٤٥).

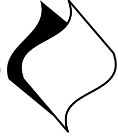
وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٨/١).

والحاكم في المستدرك (٣٤١/٢).

والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٧/٢، رقم٨٠٢).

كلهم بإسناده عن سفيان عن الأعمش بنحوه.

قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.



وعن **سليمان التيمي –رحمه الله–(ت: ١٤٣ هـ)** أنه قال: "ولو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت: لا أعلم، قال أبو عبد الله: وذلك لقوله تعالى ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾ [البقرة ٢٥٥]". (١٢٩٣).

هذا مكان العرش قبل خلق هذا الكون الذي هو عبارة عن السموات والأرض، أما مكانه بعد خلق السموات والأرض فالحديث عنه من جانبين:

الجانب الأول: مكانه بالنسبة إلى الله تعالى مع غيره من المخلوقات.

والجانب الثاني: مكانه بالنسبة إلى السموات والأرض بعد خلقهما.

أما مكان العرش بالنسبة إلى الله تعالى مع غيره من المخلوقات فهو أقربها إليه سبحانه، وذلك لأن الله سبحانه قد أخبر أنه مستو على عرشه في أكثر في موضع في القرآن الكريم، قال تعالى **{الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]، ففي إثبات الاستواء على العرش دليل على قربه إليه لأنه سبحانه مستو على أعلى مخلوقاته وأقربها إليه، وهذه ميزة امتاز بها العرش على ما سواه، ومما يؤيد كون العرش أقرب المخلوقات إلى الله ما جاء في حديث **ابن عباس رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)** أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((**ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال**)). (١٢٩٤)

وإسناده جيد موقوف.

(١٢٩٣) خلق أفعال العباد (١٢٧).

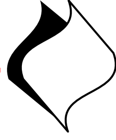
(١٢٩٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (١٤/٢٢٥).

والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة سبأ، (٥/٣٦٢ رقم٣٢٢٤).

والإمام أحمد في مسنده (١/٢١٨).

والدارمي في الرد على الجهمية (ص٧٨).

وابن منده في التوحيد (ق١٦/ب).



فالحديث يدل على أن حملة العرش هم أول من يتلقى أمر الله، ثم يبلغونه للذين يلونهم من أهل السموات، فكونهم أقرب الخلق إلى الله دليل على أن العرش أقرب منهم إليه سبحانه لأنهم إنما يحملونه.

أما مكان العرش بالنسبة للسموات والأرض بعد خلقهما، وهل مازال على الماء؟

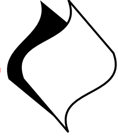
فالجواب ما يلي: إن العرش ما يزال على الماء المذكور في الآية والأحاديث بدليل ما جاء في أحاديث الأوعال، لقوله–صلى الله عليه وسلم–: ((**ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه أسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك كله ثمانية أملاك أوعال ما بين أظلافهم إلى ركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهم العرش**)).

فالحديث يشير كما أسلفنا إلى وجود ذلك الماء الذي تحت العرش، وإلى أنه ما زال موجوداً إلى ما بعد خلق السموات والأرض.

أما مكان العرش بالنسبة إلى السموات والأرض فهو أعلى منها وفوقها، وهو كالقبة عليها كما جاء في الحديث: ((**إن عرشه على سمواته وأراضيه هكذا" وأشار بأصابعه مثل القبة**))، وكذلك ما جاء في حديث **العباس بن عبد المطلب–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)** الذي يسمى بحديث الأوعال، فكلا الحديثين يدلان على أن العرش فوق السموات والأرض وأعلى منهما وهو كالسقف عليهما، بل هو سقف للجنة كما في حديث: ((**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن**)). [١٢٩٥]

فمكان العرش فوق السموات والأرض وفوق الجنة وهو أعلى المخلوقات وأرفعها، وجميع المخلوقات

والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٥١٢–٥١٣، رقم٤٣٦).
والطحاوي في المشكل (٣/١١٣).
وأبو نعيم في الحلية (٣/١٤٣).
كلهم بإسنادهم عن الزهري عن علي بن الحسين به، وبألفاظ متقاربة.
وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).
[١٢٩٥] تقدم تخريجه ص ٢٤٥.



دونه في العلو والارتفاع. والله أعلم.

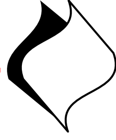
ثالثاً: خصائص العرش.

خص الخالق سبحانه وتعالى عرشه الكريم بخصائص عديدة ميزته على كثير من المخلوقات الأخرى، وذلك لما للعرش من المكانة الرفيعة عند البارئ عز وجل، وقد ذكر عرش الرحمن في واحد وعشرين موضعاً من القرآن الكريم، ومجيء ذكر العرش بهذا العدد يدل على ما له من مكانة ومنزلة عالية عند الخالق سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى قد مدح نفسه في أكثر من موضع من كتابه الكريم بأنه صاحب العرش العظيم والكريم والمجيد، قال تعالى ﴿**وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال تعالى ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون: الآية: ١١٦]، وقال تعالى ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾ [البروج: الآية: ١٥].

فالله سبحانه يصف لنا في هذه الآيات وغيرها العرش بأنه عظيم، وكريم، ومجيد، فهو عظيم لكونه أكبر المخلوقات وأعظمها وأعلاها، وذلك لما خص الله به هذا العرش من الاستواء عليه، ومجيد وكريم لما له من منزلة تميز بها عما سواه من المخلوقات، فهو إنما اتصف بهذه الصفات لجلالته وعظيم قدره، كما أن في قوله تعالى ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ**﴾ [غافر: الآية: ١٥]، إخبار منه تعالى عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع خلقه، ومما يدل أيضاً على عظمة هذا العرش اقترانه باسم (الرحمن) كثيراً في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: الآية: ٥]، وقوله تعالى ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**﴾ [الفرقان: الآية: ٥٩]، ففي هذا الاقتران بين اسم الرحمن والعرش حكمة وهي إخباره عز وجل بأنه قد استوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، ذلك لأن العرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها، والرحمة بالخلق واسعة لهم(١٢٩٦)، كما قال تعالى ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٦].

وسنذكر بعض الخصائص التي اختص بها العرش وكرم بها، والتي جعلته يوصف بهذا الوصف في القرآن الكريم ويجعل له تلك المنزلة الرفيعة.

(١٢٩٦) مدارج السالكين (١/٣٣-٣٤)



أولاً: الاستواء عليه:

يعتبر استواء الله سبحانه وتعالى على العرش أعظم الخصائص التي اختص بها العرش، بل إن ما سواها من الخصائص الأخرى التي تميز بها العرش إنما جعلت له لأجل استواء الله عز وجل عليه، وذلك أن الله تعالى لما اختصه بهذا الأمر جعل له من الخصائص والصفات كارتفاعه وعظم خلقه وكبره وثقل وزنه لكي يتناسب مع ما ميز وشرف به من الاستواء عليه.

ومسألة الاستواء على العرش ثابتة في الكتاب والسنة، فقد جاء ذكر الاستواء في القرآن الكريم في سبعة مواضع، ومجيء ذكر الاستواء في القرآن بهذا العدد إنما هو ليؤكد عظم هذا الأمر وأهميته، وأما السنة فهي مليئة بالأحاديث والأثار التي تثبت الاستواء وتؤكده.

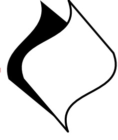
وإن مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم رضوان الله عليهم أجمعين أنهم يقولون إن الله استوى على عرشه بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، فهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، واستواؤه حقيقة لا مجاز كما يزعم الجهمية وأتباعهم الذين ينكرون العرش وأن يكون الله فوقه، وأما كيفية ذلك الاستواء فهي مجهولة لدينا والسؤال عن كيفية ذلك الاستواء بدعة، لأن الله سبحانه لم يطلعنا على كيفية ذاته فكيف يكون لنا أن نعرف كيفية استوائه، وهو سبحانه وتعالى يقول ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

ثانياً: العرش أعلى المخلوقات أرفعها وسقفها.

إن مما اختص به الخالق سبحانه وتعالى العرش مع استوائه عليه كونه أعلى المخلوقات وأرفعها وأقربها إلى الله تعالى، فقد ثبت أن العرش أعلى من السموات والأرض والجنة وأنه كالسقف عليها، والأدلة على هذا الأمر كثيرة وقد سبق أن أوردنا جزءاً منها خلال حديثنا عن مكان العرش.

والقول بأن العرش أعلى المخلوقات هو قول السلف الذي قالوا به وذهبوا إليه، وقال **ابن أبي زمنين– رحمه الله–(ت: ٣٩٩ هـ)** في كتابه " أصول السنة ": "ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء". (١٢٩٧)

(١٢٩٧) أصول السنة (ص٨٨).

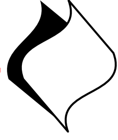


وكون العرش أعلى المخلوقات يدل على أنه أقرب إلى الله تعالى وهذه ميزة أخرى تضاف إلى الخصائص التي انفرد بها العرش، ويدل على هذا الأمر ما جاء في حديث الأوعال: **((ثم فوق ظهورهم العرش بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء والله تعالى فوق ذلك))**. (١٢٩٨).

وكذلك ما جاء عن **ابن مسعود –رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)**: **((بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه))**. (١٢٩٩)

(١٢٩٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠٧/١). وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية (٩٣/٥، برقم ٤٧٢٣). وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (٦٩/١). وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة الحاقة (٤٢٤/٥–٤٢٥، برقم ٣٣٢٠). والدارمي في الرد على بشر المريسي (ص٤٤٨). وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٣/١). وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢٣٤/١–٢٣٥، ح١٤٤). والآجري في الشريعة (١٠٨٩/٣–١٠٩٠، ح٦٦٥). وابن منده في التوحيد (١١٧/١). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٩٠/٣). والذهبي في العلو (ص٤٩). ومدار الحديث من جميع طرقه على "عبد الله بن عميرة" وعبد الله فيه جهالة، ولذلك قال الألباني في تخريج السنة (٢٥٤/١): "إسناده ضعيف، وعبد الله بن عميرة، قال الذهبي: فيه جهالة، وقال البخاري: لا نعلم له سماعاً من الأحنف بن قيس". انتهى كلامه. ولكن الجوزقاني صرح في الأباطيل (٧٩/١) بصحة الحديث. وكذلك ابن تيمية في الفتاوى (١٩٢/٣) حيث قال: "إن هذا الحديث قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، ولم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته". انتهى كلامه. وكذلك مال تلميذه ابن القيم إلى تصحيحه. انظر تهذيب السنن (٩٢/٧–٩٣).

(١٢٩٩) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٢٦، ٢٧).
واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٩٦/٣).
وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٠٠) وقال: (رواه سنيد بن داود بإسناد صحيح).



ثالثاً: العرش أكبر المخلوقات وأعظمها وأثقلها.

إن عرش الرحمن تبارك وتعالى يعتبر أكبر مخلوقات الله وأوسعها وأعظمها على الإطلاق، فقد خص الله عز وجل العرش بهذه الميزة العظيمة وشرفه بها مع غيرها من الميزات لكي يتناسب مع ذلك الشرف العظيم ألا وهو استواء البارئ عز وجل عليه.

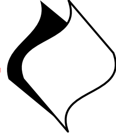
وعظم العرش وسعة خلقه قد دل عليهما القرآن والسنة، فالله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل ﴿**وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩]، فالله سبحانه وصف العرش في هذه الآية وغيرها بكونه عظيماً في خلقه وسعته، قال **ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ)** في تفسير هذه الآية: "أي هو مالك كل شيء وخالقه لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى". (١٣٠٠)

ومما يشهد لعظم العرش وسعة خلقه الأحاديث والآثار التي تتحدث عن كبر حجمه وسعته، فقد جاء في الحديث أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((**إن عرشه على سمواته وأرضه هكذا**)) وأشار بأصابعه مثل القبة، فالنبي–صلى الله عليه وسلم–يشبه العرش أنه كالقبة على هذا العالم المكون من السموات والأرض وما فيهما وكالسقف عليهما، وفي هذا بيان واضح على عظم العرش وكبر مساحته، وفي حديث أخر يبين لنا مدى عظم العرش وكبر مساحته، فليس العرش أكبر من السموات والأرض فقط، بل هو من الكبر وسعة الحجم بحيث لا تعدل السموات والأرض على سعة حجمهما بجانبه شيئاً يذكر، فعن **أبي ذر–رضي الله عنه–(ت: ٣١ أو ٣٢ هـ)** أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: ((**يا أبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**))، وفي رواية ((ما السموات السبع والأراضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة)).

فالحديث كما أسلفنا دليل واضح على سعة العرش وعظم خلقه، وأما مقدار ذلك الحجم وتلك السعة فلا يعلمها إلا الله تعالى.

قال **عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**: "الكرسي موضع القدمين والعرش لا

(١٣٠٠) تفسير ابن كثير (٢/٤٠٤).



يقدر قدره إلا الله تعالى". (١٣٠١)

والعرش يمتاز مع كبر حجمه وسعته، بكونه أثقل المخلوقات وزنته أثقل الأوزان، فقد جاء في الحديث أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال **لجويرية-رضي الله عنها-(ت: ٥٦ هـ)**: (**(لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**)).

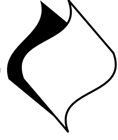
قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان". (١٣٠٢)

رابعاً: العرش ليس داخلا فيما يقبض ويطوى.

لقد خص الله سبحانه وتعالى العرش بخصائص منها ما انفرد بها العرش عن غيره من المخلوقات، ومنها ما اشترك بها العرش مع بعض المخلوقات الأخرى، ولقد سبق الحديث عن بعض الخصائص التي

(١٣٠١) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص٧١، ٧٣، ٧٤).
وعبد الله بن أحمد في السنة (ص٧٠، ١٤٢)
وابن جرير في التفسير (٣/١٠).
والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٣٩، برقم ١٢٤٠٤).
والدارقطني في الصفات (ص٣٠).
والحاكم في المستدرك (٢/٢٨٣).
والخطيب البغدادي في تاريخه (٩/٢٥١-٢٥٢) من أوجه.
والهروي في الأربعين (ص١٢٥).
كلهم من طريق سفيان الثوري عن عمار الذهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً.
قال الحاكم: (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.
وذكر هـ الذهبي في العلو (ص٦١) وقال: (رواته ثقات).
وقال الألباني: (هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وتابعه يوسف بن أبي إسحاق عن عمار الذهني) انظر مختصر العلو (ص١٠٢).
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣٢٣): (رجاله رجال الصحيح).

(١٣٠٢) الرسالة العرشية (ص٨).



انفرد بها العرش، وأود هاهنا أن أبين بعض ما اشترك به العرش مع غيره من المخلوقات من الخصائص.

فقد سبق أن علمنا أن العرش مخلوق قبل السموات والأرض فهو بهذا ليس داخلا فيما خلق في الأيام الستة، ومعلوم أن الله سبحانه قد أخبر في كتابه وعلى لسان نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-أنه يقبض يوم القيامة السموات والأرض ويطويها ويبدلها، قال تعالى ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ [الزمر: الآية: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ**﴾ [إبراهيم: الآية: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء: الآية: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ**﴾ [الانشقاق ١-٢]، وقال تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ**﴾ [الانفطار: الآية: ١]، وفي الصحيحين **عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((**يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**)). (١٣٠٣)

وفي صحيح مسلم عن **عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-(ت: ٧٣ هـ)**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((**يطوي الله السموات والأرض ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون**)). (١٣٠٤)

فالآيات والأحاديث السابقة تدل على أن السموات والأرض وما فيهما تقبض وتطوى وتبدل.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى كالجنة والنار والعرش. (١٣٠٥)

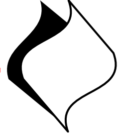
فعلى هذا يكون العرش ليس داخلا فيما يقبض ويطوى ويبدل، والأدلة على بقاء العرش كثيرة في

(١٣٠٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، انظر فتح الباري (٣٦٧/١٣).

ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (١٢٦/٨).

(١٣٠٤) صحيح مسلم كتاب صفة القيامة (١٢٦/٨).

(١٣٠٥) الفتاوى (٣٠٧/١٨).



الكتاب والسنة، فالله سبحانه وتعالى يقول مخبرا عن بقاء عرشه يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿**وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: الآيات: ١٤-١٧]، وكذلك ما جاء في سورة الزمر من إخباره تعالى بقبضه للأرض وطيه للسموات بيمينه وذكر نفخ الصور وصعق من في السموات والأرض إلا ما شاء الله، ثم ذكر النفخة الثانية التي يقومون بها، وأن الأرض تشرق بنور ربها وأن الكتاب يوضع، ويجاء بالنبيين والشهداء، وأنه توفى كل نفس ما عملت، وذكر سوق الكفار إلى النار وسوق المؤمنين إلى الجنة إلى أن قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الزمر: الآيات: ٧٤-٧٥].

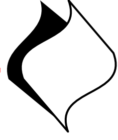
فالآيات فيها إخبار عن الموقف يوم القيامة وفيها شاهد على أن العرش باق حتى بعد انتهاء الحساب.

يقول ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وأما العرش فلم يكن داخلا فيما خلقه في الأيام الستة ولا يشقه ويفطره، بل الأحاديث المشهورة دلت على ما دل عليه القرآن من بقاء العرش، فقد ثبت في الصحيح أن جنة عدن سقفها عرش الرحمن قال-صلى الله عليه وسلم-: ((**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن**))." (١٣٠٦)

[عقيدتهم في نزول الرب الرب-سبحانه-ومجيئه].

[٧]. قال المصنف-رحمه الله-:

(١٣٠٦) نقض التأسيس (١/١٥٥).



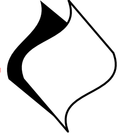
"ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب–سبحانه وتعالى–كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله.

وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه، من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله–عز وجل–: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ} [البقرة: الآية: ٢١٠]، وقوله–عز اسمه–: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: الآية: ٢٢].

وقرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول–صلى الله عليه وسلم–، وقد قال الله عز وجل: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ} [البقرة: الآية: ٢١٠]، وقال: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: الآية: ٢٢]، ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف، فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل، فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله–عز وجل–: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: الآية: ٧].

أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيباني، سمعت أبا حامد بن الشرقي يقول : سمعت حمدان السلمي، وأبا داود الخفاف ، يقولان : سمعنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر : يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ : (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا) كيف ينزل؟ قال، قلت : أعز الله الأمير ! لا يقال لأمر الرب كيف ؟ إنما ينزل بلا كيف.

حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العدل، ثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضي ، حدثني جدي أبو بكر محمد بن أحمد بن محبوب، ثنا أحمد بن حمويه ، ثنا أبو عبد الرحمن العتكي ، ثنا محمد



بن سلام قال : سألت عبد الله بن المبارك، عن نزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبد الله : يا ضعيف في كل ليلة ينزل، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن ، كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه ! فقال عبد الله : ينزل كيف شاء. وفي رواية أخرى هذه الحكاية : أن عبد الله بن المبارك، قال للرجل : إذا جاءك الحديث عن رسول الله ﷺ فاخضع له .

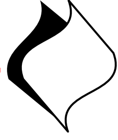
سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت أبا زكريا يحي بن محمد العنبري يقول : سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول : سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم أبا عبد الله الرباطي يقول : حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر – ذات يوم – وحضر إسحاق بن إبراهيم – يعني ابن راهويه – فسئل عن حديث النزول، أصحيح هو؟ قال: نعم، فقال له بعض قواد عبد الله : يا أبا يعقوب أتزعم أن الله تعالى ينزل كل ليلة؟ قال: نعم. قال: كيف ينزل ؟ فقال له إسحاق: أثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال الرجل : أثبته فوق . فقال إسحاق : قال الله عز وجل : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ فقال الأمير عبد الله : يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة، فقال إسحاق : أعز الله الأمير! ومن يجيء يوم القيامة؛ من يمنعه اليوم؟ .

وخبر نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا، خبر متفق على صحته، مخرج في الصحيحين، من طريق مالك بن أنس، عن الزهري، عن الأغر وأبي سلمة ، عن أبي هريرة .

أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد، ثنا أبو مصعب ، ثنا مالك .

(ح) حدثنا أبو بكر بن زكريا، ثنا أبو حاتم مكي بن عبدان، ثنا محمد بن يحي قال: وفيما قرأت على ابن نافع، وحدثني مُطَرِّف عن مالك.

(ح) وحدثنا أبو بكر بن زكريا، أنا أبو القاسم عبيد الله بن إبراهيم بن باكويه، ثنا يحيى بن محمد، ثنا يحي بن يحي، قال: قرأت على مالك، عن ابن شهاب الزهري، عن أبي عبد الله الأغر،



وأبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى، في كل ليلة إلى السماء الدنيا، حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟).

ولهذا الحديث طرق إلى أبي هريرة.

رواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

(ح) ورواه يزيد بن هارون، وغيره من الأئمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

ومالك، عن الزهري، عن الأعرج عن أبي هريرة.

ومالك، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة.

وعبيد الله بن عمر، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة.

وعبد الأعلى بن أبي المساور، وبشير بن سليمان عن أبي حازم، عن أبي هريرة.

وروي هذا الخبر من غير طريق أبي هريرة.

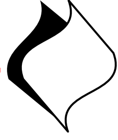
رواه نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه.

وموسى بن عقبة، عن إسحاق بن يحيى، عن عبادة بن الصامت.

وعبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن جابر بن عبد الله.

وعبيد الله بن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب.

وشريك، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود.



ومحمد بن كعب، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء.

وأبو الزبير، عن جابر.

وسعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وعن أم المؤمنين عائشة، وأم سلمة رضي الله عنهما.

وهذه الطرق كلها، مخرجة بأسانيدها في كتابنا الكبير، المعروف بالانتصار.

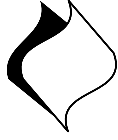
وفي رواية الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: (إذا مضى نصف الليل، أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا، فيقول هل من سائل فيعطى؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح).

وفي رواية سعيد بن مرجانة، عن أبي هريرة، زيادة في آخره، وهي: (ثم يبسط يديه فيقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم؟).

وفي رواية أبي حازم، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، في ثلث الليل الأخير، فينادي: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ فلا يبقى شيء فيه الروح، إلا علم به، إلا الثقلين الجن والإنس)، قال: (وذلك حين تصيح الديوك، وتنهق الحمير، وتنبح الكلاب).

وفي رواية موسى بن عقبة، عن إسحاق بن يحيى، عن عبادة بن الصامت زيادات حسنة.

وهي التي أخبرنا بها أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي قال: أنبأ عبد الله بن محمد الرازي قال: أنبأ أبو عثمان محمد بن عثمان بن أبي سويد قال: حدثنا عبد الرحمن ـ يعني ابن المبارك قال: حدثنا فضيل بن سليمان عن موسى بن عقبة، عن إسحاق بن يحيى، عن عبادة بن الصامت قال:



قال رسول الله ﷺ: (ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له! ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له! ألا مُقَتَّر عليه رزقه فيدعوني فأرزقه ألا مظلوم يذكرني فأنصره! ألا عان يدعوني فأفكه! قال: فيكون كذلك إلى أن يطلع الصبح، ويعلو على كرسيه).

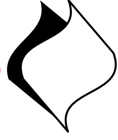
وفي رواية أبي الزبير عن جابر، من طريق مرزوق أبي بكر، الذي خرجه محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ مختصرة.

ومن طريق أيوب، عن أبي الزبير عن جابر، الذي خرجه الحسن بن سفيان في مسنده.

ومن طريق هشام الدستوائي، عن أبي الزبير، عن جابر، أن رسول الله ﷺ قال: (إن عشية عرفة ينزل الله فيه إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، ويقول: انظروا إلى عبادي شعثا غبراً ضاحين. جاؤوا من كل فج عميق / يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم ير يوم أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة).

وروى هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن رفاعة الجهني حدثه أن رسول الله ﷺ قال: إذا مضى ثلث الليل أو شطر الليل أو ثلثاه، ينزل الله إلى السماء الدنيا، فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من يستغفرني فأغفر له؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الصبح).

أخبرنا أبو محمد المخلدي، أنا أبو العباس السراج، ثنا محمد بن يحيى، ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي مسلم الأغر، قال: أشهد على أبي سعيد، وأبي هريرة، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ، وأنا أشهد عليهما، أنهما سمعا النبي ﷺ يقول: (إن الله يمهل، حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول، هبط إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مذنب؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى تطلع الشمس).

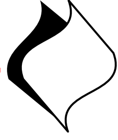


أخبرنا أبو محمد المخلدي، ثنا أبو العباس الثقفي، ثنا الحسن بن الصباح، ثنا شبابة بن سوار، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي مسلم الأغر، عن أبي سعيد، وأبي هريرة أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يمهل، حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى هذه السماء، ثم أمر بأبواب السماء ففتحت، فقال: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأجيبه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من مضطر أكشف عنه ضره؟ هل من مستغيث أغيثه؟ فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر، في كل ليلة من الدنيا).

أخبرنا أبو محمد المخلدي، ثنا أبو العباس ـ يعني الثقفي ـ ثنا مجاهد بن موسى، والفضل بن سهل، قالا: ثنا يزيد بن هارون، ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن الأغر، أنه شهد على أبي هريرة، وأبي سعيد، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فقال: ألا هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى سؤله؟ ألا هل من تائب يتاب عليه).

حدثنا الأستاذ أبو منصور بن حمشاد، ثنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار ببغداد، ثنا أبو منصور الرمادي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله: (ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: أنا الملك، أنا الملك ثلاثاً، من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر).

سمعت الأستاذ أبا منصور، على إثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول: سئل أبو حنيفة عنه فقال: ينزل بلا كيف وقال بعضهم: ينزل نزولاً يليق بالربوبية، بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق، بالتخلي، والتملي، لأنه ـ جل جلاله ـ منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق، كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات المخلوقين. فمجيئه وإتيانه، ونزوله على حسب ما يليق بصفاته، من غير تشبيه وكيف.



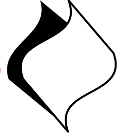
وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، في كتاب (التوحيد) الذي صنفه، وسمعت من حافده، أبي طاهر رحمه الله (باب ذكر أخبار ثابتة السند، رواها علماء الحجاز، والعراق، في نزول الرب إلى السماء الدنيا، كل ليلة، من غير صفة كيفية النزول، مع إثبات النزول، فنشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا محمداً لله لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل والله عز وجل ولى نبيه بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين للنزول بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول).

أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو محمد الصيدلاني، ثنا علي بن الحسين بن الجنيد، ثنا أحمد بن صالح المصري، ثنا ابن وهب، أنا مخرمة بن بكير، عن أبيه.

(ح) وأخبرنا الحاكم، ثنا محمد بن يعقوب الأصم – واللفظ له ـ ثنا إبراهيم بن منقذ، ثنا ابن وهب عن مخرمة بن بكير، عن أبيه، قال: سمعت محمد بن المنكدر، يزعم أنه سمع أم سلمة زوج النبي ﷺ تقول: (نعم اليوم، يوم ينزل الله تعالى فيه إلى السماء الدنيا، قالوا: وأي يوم؟ قالت: يوم عرفة).

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (ينزل الله تعالى في النصف من شعبان، إلى السماء الدنيا، ليلا إلى آخر النهار من الغد، فيعتق من النار بعدد شعر معز كلب ويكتب الحاج، وينزل أرزاق السنة، ولا يترك أحداً إلا غفر له، إلا مشركاً أو قاطع رحم، أو عاقاً، أو مشاحناً).

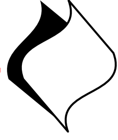
أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة، انبأ جدي الإمام، ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا إسماعيل بن علية، عن هشام الدستوائي. (ح) قال الإمام : وحدثنا الزعفراني، ثنا عبد الله بن بكر السهمي، ثنا هشام الدستوائي. وحدثنا الزعفراني، ثنا يزيد – يعني ابن هارون ـ أنا الدستوائي. (ح) وحدثنا محمد بن عبد الله بن ميمون، بالإسكندرية، ثنا الوليد، عن الأوزاعي. جميعاً عن يحيى بن أبي كثير، عن عطاء



بن يسار، حدثني رفاعة بن عرابة الجهني. (ح) قال الإمام: وحدثنا أبو / هاشم/ زياد ابن أيوب، ثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي، حدثني هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، حدثني رفاعة بن عرابة الجهني، قال: صدرنا مع رسول الله ﷺ من مكة؛ فجعلوا يستأذنون النبي، فجعل يأذن لهم، فقال النبي ﷺ: (ما بال شق الشجرة، الذي يلي رسول الله ﷺ أبغض إليكم من الآخر؟ فلا ترى من القوم إلا باكياً، قال يقول أبو بكر الصديق: إن الذي يستئذنك بعدها لسفيه، فقام النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، وكان إذا حلف قال: والذي نفسي بيده، أشهد عند الله، ما منكم من أحد، يؤمن بالله واليوم الآخر، ثم يسدد، إلا سلك به في الجنة، ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة؛ سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، وإني لأرجو ألا تدخلوها حتى تتبوؤا، ومن صلح من أزواجكم، وذرياتكم، مساكنكم في الجنة)، ثم قال: (إذا مضى شطر الليل، أو قال ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا؛ ثم يقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يدعوني فأجيبه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، حتى ينفجر الصبح). هذا لفظ حديث الوليد.

قال شيخ الإسلام: قلت: فلما صح خبر النزول عن الرسول ﷺ أقرّ به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه ولم يبحثوا عن كيفيته؛ إذ لا سبيل إليها صفات الله بحال]، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه، لا تشبه تعالى لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة، والمعطلة، علواً كبيراً، ولعنهم لعناً كبيراً.

وقرأت لأبي عبد الله بن أبي حفص البخاري، وكان شيخ بخارى في عصره بلا مدافعة، وأبو حفص هذا كان من كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيباني، قال أبو عبد الله أعني ابن أبي حفص هذا ـ عبد الله بن عثمان، وهو عبدان، شيخ مرو يقول: سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول: قال حماد بن أبي حنيفة، قلنا لهؤلاء: أرأيتم قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ وقوله



عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ فهل يجيء ربنا كما قال؟ وهل يجيء الملك صفاً صفاً؟ قالوا: أما الملائكة فيجيئون صفاً صفاً، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري ما عنى بذلك، ولا ندري كيف جيئته. فقلنا لهم: إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته، ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه. أرأيتم من أنكر أن الملك لا يجيء صفاً صفاً، ما هو عندكم؟ قالوا: كافر مكذب. قلنا: فكذلك من أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب.

قال أبو عبد الله بن أبي حفص البخاري أيضاً في كتابه: ذكر إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: "إذا قال لك الجهمي: أنا لا أؤمن برب يزول عن مكانه. فقل أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء".

الشرح

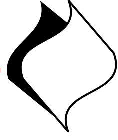
أولًا: الأدلة على إثبات صفة النزول.

جاءت النصوص بجملة من الصفات التي إما أن تكون وردت في القرآن أو تكون قد وردت في السنة، ويجب أن نتعامل مع ما ورد من الصفات في نصوص السنة الصحيحة، كما تعاملنا مع ما ورد منها في نصوص القرآن.

فأحاديث النزول مُتواترة، ومنها:

الحديث المشهور: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا-عز وجل-كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)). [١٣٠٧]

١٣٠٧ . أخرجه مسلم (٢٩٣٠).



وقَوْلِهِ ﷺ :((يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ ...)) الحديث. [1308]

وعن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-، أن النبي ﷺ قال: ((ينزلُ ربُّنا إلى سماءِ الدُّنيا ليلةَ النِّصفِ مِنْ شعبانَ؛ فيغفرُ لأهلِ الأرضِ إلَّا مُشرِكٍ أو مُشاحنٍ)).[1309]

وعن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-، أن النبي ﷺ قال: ((ما مِنْ أيامٍ أعظمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ عشيةِ ذي الحجةِ إذا كانتْ عشيةُ عرفةَ نزلَ-عز وجل-إلى سماءِ الدُّنيا وحَفَّتْ بهِ الملائكةُ؛ فيُباهي بهِ ملائكتَهُ ويقولُ: انظروا إلى عبادي أَتَوني شُعثًا غُبرًا ضاجينَ جاءوا مِنْ كُلِّ فجٍّ عميقٍ ولمْ يَروا رحمَتي ولا عذابي)). [1310] .

وغير هذا من أحاديث النزول الثابتة الصحيحة، التي قال عنها العلماء: "إنها قد بلغت حدًّا في التواتر، فقد رواه أكثر من عشرين من الصحابة.

ثانيًا: أقوال العلماء:

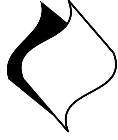
قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت (١٥٠ هـ) في إثبات النزول لله: "ينزل بلا كيف". [1311]

١٣٠٨ أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة.

١٣٠٩ أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٠) واللفظ له، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٦٣).

١٣١٠ أخرجه أبو يعلى (٢٠٩٠)، وابن حبان (٣٨٥٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٢٥٣) واللفظ له.

١٣١١ .



قال الإمام الحافظ الحجة حماد بن سلمة بن دينار البصرى أبو سلمة (١٦٧ هـ)، فيما روى عبد العزيز بن المغيرة عن حماد بن سلمة: أنه حدثهم بحديث نزول الرب عز وجل فقال: "من رأيتموه ينكر هذا فاتهموه". [١٣١٢]

وقال مالك عن حديث النزول: "ولهذا أمضِ الحديث كما ورد بلا كيف ولا تحديد إلا بما جاءت به الآثار، وبما جاء به الكتاب، قال الله تعالى: {فلا تضربوا لله الأمثال} [النحل: الآية: ٧٤]: ينزل كيف شاء بقدرته وعلمه وعظمته، أحاط بكل شيء.

وقال بشر بن السري لحماد بن زيد: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؛ يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حمَّادٌ، ثم قال: "هو مكانه يَقرب من خلقه كيف شاء". [١٣١٣]

فقد قال شيخُ الإسلام: "إن حديث النُّزول مُتواتِر". [١٣١٤]

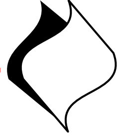
وقال العلَّامة ابن القيّم: "وتَواترتِ الرِّواية عن رسول الله ﷺ بنُزول الربِّ–عز وجل–كلَّ ليلة إلى سماءِ الدنيا)). [١٣١٥]

١٣١٢ . ذكره الذهبي في السير (٧/ ٤٥١).

١٣١٣ انظر «مختصر الصواعق» لابن القيّم (ص ٤٦٨).

١٣١٤ «شرح حديثِ النُّزول» (ص ١٠٢، ١٠٣).

١٣١٥ «مُختصَر الصَّواعق المرسلة» (ص ٤٣٠).



وقال أيضًا: «إن نُزول الربِّ–عز وجل–إلى سماءِ الدُّنيا قد تَواترتِ الأخبارُ به عن رسول الله ﷺ؛ رواهُ عنه نحوُ ثمانيةٌ وعشرون نَفْسًا من الصَّحابة". [١٣١٦]

وقال اللَّالكائيُّ: "سِياق ما رُوِيَ عن النَّبي ﷺ في نُزول الربِّ–عز وجل–رَواه عن النَّبي ﷺ عشرون نَفْسًا" ثم ساق روايات الصحابة بأسانيدها في أحاديث النزول". [١٣١٧]

وقال الحافظ ابن عبد البَرِّ عن حديث النُّزول: ((يَنْزِلُ رَبُّنا كلَّ ليلة ...)): "وهو حديث منقول من طرق مُتواترة ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ". [١٣١٨]

وقال شيخ الإسلام–رحمه الله–في (تفسير سورة الإخلاص): "فالربُّ–سبحانه–إذا وصفه رسولُه بأنه يَنْزِل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنَّه يَدنو عَشية عرفة إلى الحُجَّاج، وأنه كلَّم موسى بالوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وأنه استوى إلى السماء وهي دخانٌ، فقال لها وللأرض: {ائتيا طَوْعاً أو كَرْهاً}؛ لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نُزول هذه الأعيان المشهودة، حتى يُقال: ذلك يَستلزم تفريغ مكان وشَغل آخر". [١٣١٩]

وقد أجمع سلَفُ الأمَّة على إثبات صِفة النُّزول؛ فقد سُئل شيخ الإسلامِ–رحمه الله–عن رَجُلين أحدهما مُثبِت للنُّزول ومُستدِل بالحديث الوارد في ذلك، والآخر نافٍ للنُّزول، فقال: «الحمدُ لله ربِّ العالَمين، أما القائِلُ الأول الذي ذكَر نصَّ النَّبي ﷺ، فقد أصابَ فيما قال؛ فإن هذا القول الذي قاله قدِ استَفاضتْ

١٣١٦ «مُختصَر الصَّواعق المرسلة» (ص ٤٢٣).

١٣١٧ «أصول اعتِقاد أهل السُّنَّة والجَمَاعَة» (٣/ ٤٣٤).

١٣١٨ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البر (٧/ ١٢٨).

١٣١٩ «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٧/ ٣٥٠).

به السُّنَّة عن النَّبي ﷺ، واتَّفقَ سلَفُ الأمة وأئمتُها وأهل العلم بالسُّنة والحديث على تَصْديق ذلك وتَلقِّيه بالقَبول". [١٣٢٠]

ونقَل-رحمه الله-عن أبي عمرٍو الطَّلَمَنْكيِّ قولَه: «وأجمَعوا على أن الله يَنزِل كلَّ ليلة إلى سماءِ الدُّنيا على ما أتتْ به الآثارُ كيف شاء» [١٣٢١]

وقد قال الشيخ ابن عثيمين عن حديث النزول: «هذا الحديث حديث عظيم ذكر بعض أهل العلم أنه بلغ حَدَّ التواتر عن النبي ﷺ، ولا شكَّ أنه حديث مُستفيض مشهور، وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-بكتاب مُستقل [١٣٢٢]؛ لما فيه من الفوائد العظيمة". [١٣٢٣]

ثالثًا: لا نعلم كيفية النزول لا نحد في النزول حدًا.

ومن قول السلف في مسألة صفة النزول: "من غير أن يَحُدُّوا فيه حدًّا".

قال ابن معين عن نزول الله تعالى: "نعم؛ أُقر به، ولا أَحُدُّ فيه حدًّا". [١٣٢٤]

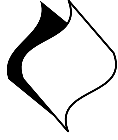
١٣٢٠ «مَجموع الفَتاوى» (٥/ ٣٢٢).

١٣٢١ انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٢٢) (٥/ ٥٧٨).

١٣٢٢ يقصد كتابه: «شرح حديثِ النُّزول»

١٣٢٣ «مجموع رسائل وفتاوى العثيمين» (١/ ٢٠٣).

١٣٢٤ انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٦).



فقول أهل السنة: "نؤمن بنزول الله إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل، من غير أن نحد فيه حدًّا"، معناه: أن النزول حق، ولكن لا نَصف كيفية نزوله سبحانه.

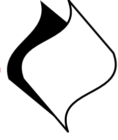
فنحن لا نعلم كيفية ذات الله حتى نعلم كيفية نزوله؛ فلذلك فسؤال السائل: كيف ينزل؟ هو مثل سؤاله: كيف استوى؟ سواء بسواء؛ فلا يُسأل عن كيفية نزوله كما لا يسأل عن كيفية استوائه؛ لأنه لا يَعلم كيفية استواء الله على عرشه، ولا كيفية نزوله إلى السماء الدنيا إلا هو–عز وجل.

لذلك قال أئمة السلف هذه العبارة: «من غير أن يَحُدُّوا فيه حدًّا»، أي: لا يستطيعون وصف كيفية هذا النزول؛ فالله–عز وجل–قد أخبرنا عن طريق رسوله ﷺ: أنَّه يَنزل، فما علينا إلا أن نُؤمن بذلك، ولا سبيل لنا بعد ذلك إلى معرفة كيفية نزوله–عز وجل .

ربعًا: الجواب على شبهة أن ثُلُث الليل يختلف في مكان عن آخر، فكل بلد لها ثُلُث ليل، فكيف يَنزل ربُّنا

فالمؤَوِّلون يُحدثون شُبهًا في مسألة النزول؛ مثل قولهم: ثُلُث الليل يختلف في مكان عن آخر، فكل بلد لها ثُلُث ليل، فكيف يَنزل ربُّنا؟!

والجواب: أن النبي ﷺ قد أخبر عن الله–عز وجل–فقال: "يَنْزِلُ رَبُّنَا–عز وجل–كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ... "، فلا سبيل لنا إلى معرفة كيفية هذا النزول، والله–عز وجل–يسمع كل شيء، ويبصر كل شيء، ولا يعزب عن علمه شيء، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا نعلم كيفية ذلك، لذا لا نستطيع أن نحدد كيفية نزوله إلا بعد معرفة كيفية ذاته، ولا سبيل لنا إلى معرفة ذلك إلا عن طريق الخبر عن النبي ﷺ، وقد جاء الخبر بنزوله–عز وجل–؛ فيجب أن نؤمن به، ونعتقد صِدْقَه، وأما السؤال عن الكيف، فلا شكَّ أنَّ الكيف مجهول، وأنَّ السؤال عنه بدعة، كما هو حال السؤال عن الاستواء.



وقال صاحب «أصول السنة» ابن زمنين عن حديث النزول: "وهذا الحديث يُبين أن الله-عز وجل-على العرش في السماء دون الأرض، وهو-أيضًا-بَيِّنٌ في كتاب الله تعالى، وفي غير ما حديث عن رسول الله ﷺ".

رابعًا: هل يخلو العرش منه حال نزوله.

ومن المسائل المتعلقة بصفة النزول هل يخلو العرش منه حال نزوله

ولأهل السنة في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: ينزل ويخلو منه العرش. [١٣٢٥]

وهو قول طائفة من أهل الحديث. [١٣٢٦]

القول الثاني: ينزل ولا يخلو منه العرش. [١٣٢٧]

وهو قول جمهور أهل الحديث. [١٣٢٨]

ومنهم الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد، وعثمان ابن سعيد الدارمي وغيرهم. [١٣٢٩]

القول الثالث: نثبت نزولاً، ولا نعقل معناه هل هو بزوال أو بغير زوال.

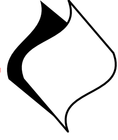
١٣٢٥ شرح حديث النزول (ص ١٦١، ٢٠١). مختصر الصواعق (٢/ ٢٥٣).

١٣٢٦ شرح حديث النزول (ص ٢٠١).

١٣٢٧ شرح حديث النزول (ص ١٦١، ٢٠١)، مختصر الصواعق (٢/ ٢٥٣).

١٣٢٨ شرح حديث النزول (ص ٢٠١)، ومنهاج السنة (٢/ ٦٣٨)

١٣٢٩ مجموع الفتاوى (٥/ ٣٧٥).



وهذا قول ابن بطة والحافظ عبد الغني المقدسي وغيرهما. [١٣٣٠]

أما القول الأول: وهو أنه ينزل ويخلو منه العرش، فمن قال به: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق بن منده، [١٣٣١] . [١٣٣٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد صنف أبو القاسم عبد الرحمن ابن أبي عبد الله بن محمد بن منده، مصنفاً في الإنكار على من قال لا يخلو منه العرش وسماه " الرد على من زعم أن الله في كل مكان، وعلى من زعم أن الله ليس له مكان، وعلى من تأول النزول على غير النزول". [١٣٣٣]

وقد لخص شيخ الإسلام جملة ما احتج به أبو القاسم ابن منده وبين أنه احتج بأحاديث النزول، وببعض أقوال السلف العامة كقولهم: (يفعل ما يشاء) وذكر بعض اعتراضاته على بعض النقول الواردة عن الأئمة. [١٣٣٤]

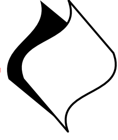
١٣٣٠ . شرح حديث النزول (ص ١٦١). مختصر الصواعق (٢/ ٢٥٤)

١٣٣١ . عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده العبدي الأصبهاني، قال عنه الذهبي: (الحافظ العالم المحدث)، وقال عنه إسماعيل التيمي كما في طبقات الحنابلة: (خالف أباه في مسائل وأعرض عنه مشايخ الوقت)، وقال شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري: (كانت مضرته في الإسلام أكثر من منفعته)، وقال ابن رجب: (وهذا ليس بقادح -إن صح- فإن الأنصاري والتيمي وأمثالهما يقدحون بأدنى شيء ينكرونه من مواضع النزاع، كما هجر التيمي عبد الجليل الحافظ على قوله: (ينزل بالذات)، وهو في الحقيقة يوافقه في اعتقاده، لكن أنكر إطلاق اللفظ لعدم ورود الأثر به) ا. هـ. توفي سنة (٤٧٠ هـ). انظر تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٥٦)، وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٦)

١٣٣٢ شرح حديث النزول (ص ٢٠١).

١٣٣٣ شرح حديث النزول (ص: ١٦١ - ١٦٢).

١٣٣٤ شرح حديث النزول (ص: ١٦١ - ٢٠١).



وأوضح شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لم ينقل على أحد من الأئمة المعروفين بالسنة بإسناد صحيح ولا ضعيف أن العرش يخلو منه. [١٣٣٥]

وذكر أن كلام أبو القاسم بن منده من جنس كلام طائفة تظن أنه لا يمكن إلا أحد القولين:

١ قول من يقول: إنه ينزل نزولاً يخلو منه العرش.

٢ وقول من يقول: ما ثم نزول أصلاً، كقول من يقول: ليس له فعل يقوم بذاته واختياره.

وهاتان الطائفتان ليس عندهما نزول إلا النزول الذي يوصف به أجساد العباد الذي يقتضي تفريغ مكان وشغل آخر.

ثم منهم من ينفي النزول عنه، وينزهه عن مثل ذلك.

ومنهم من أثبت له نزولاً من هذا الجنس، يقتضي تفريغ مكان وشغل آخر. [١٣٣٦]

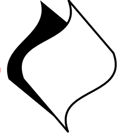
خامسًا: هل يقال في النزول والإتيان والمجيء إنه بحركة وانتقال.

والقول بخلو العرش حال نزوله مرتبط [١٣٣٧] بمسألة: هل يقال في النزول والإتيان والمجيء إنه بحركة وانتقال؟

١٣٣٥ شرح حديث النزول (ص: ٢٠١).

١٣٣٦ شرح حديث النزول (ص: ٢٠١).

١٣٣٧ ربط شيخ الإسلام بين المسألتين في شرح حديث النزول (ص ٢١٠ – ٢١١)، وكذا ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٢/ ٢٥٣).



وقد اختلف أصحاب الإمام أحمد وغيرهم من المنتسبين إلى السنة والحديث في المسألة على ثلاثة أقوال ذكرها القاضي أبو يعلى في كتاب "اختلاف الروايتين والوجهين"،[١٣٣٨] وهذه الأقوال هي:

١- أنه نزول انتقال وهو قول أبي عبد الله بن حامد.

٢- أنه نزول بغير انتقال وهو قول أبي الحسن التميمي وأهل بيته، وأن معناه: قدرته. [١٣٣٩]

٣- الإمساك عن القول في المسألة، وهو قول أبي عبد الله بن بطة [١٣٤٠]وغيره. ثم هؤلاء فيهم من يقف عن إثبات اللفظ مع الموافقة على المعنى وهو قول كثير منهم، ومنهم من يمسك عن إثبات المعنى وعن اللفظ. [١٣٤١]

والذي يخصنا من الأقوال الثلاثة قول ابن حامد الذي ذهب إلى أنه نزول انتقال وقال لأن هذا حقيقة النزول عند العرب، وهو نظير قوله في الاستواء بمعنى قعد.

قال القاضي أبو يعلى: "فذهب شيخنا أبو عبد الله-يعني ابن حامد-أنه نزول انتقال، وقال: لأن هذا حقيقة النزول عند العرب، وهذا نظير قوله في الاستواء، يعني قعد، وهذا على ظاهر حديث عبادة بن الصامت [١٣٤٢]، ولأن أكثر ما في هذا أنه من صفات الحدث في حقنا، وهذا لا يوجب كونه في حقه

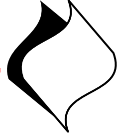
١٣٣٨ قام الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف بتحقيق الجزء المتعلق بمسائل أصول الديانات من كتاب "الروايتين والوجهين"، وطبعته مكتبة أضواء السلف. وانظر المسألة (ص ٥٢ - ٥٧) من الكتاب المذكور.

١٣٣٩ انظر الرد على هذا القول في مختصر الصواعق (٢/ ٢٥٩ - ٢٦٢).

١٣٤٠ قال ابن بطة: (فنقول كما قال: (ينزل ربنا-عز وجل-ولا نقول: إنه يزول، بل ينزل كيف يشاء، ولا نصف نزوله، ولا نحده، ولا نقول إن نزوله زواله).انظر المختار من الإبانة (ص: ٢٤٠).(٤).

١٣٤١ شرح حديث النزول (ص: ٢١٠ - ٢١١). مختصر الصواعق (٢/ ٢٥٣ - ٢٥٤).

١٣٤٢ يعني بحديث عبادة بن الصامت الذي فيه "ثم يعلو-عز وجل-على كرسيه".



محدثاً، كما الاستواء على العرش، هو موصوف به مع اختلافنا في صفته، وإن كان هذا الاستواء لم يكن موصوفاً به في القدم، وكذلك نقول تكلم بحرف وصوت، وإن كان هذا يوجب الحدث في صفاتنا، ولا يوجبه في حقه، كذلك النزول". ١٣٤٣

وقال ابن القيم-رحمه الله-: "أما قول ابن حامد أنه نزول انتقال فهو موافق لقول من يقول يخلو منه العرش، والذي حمله على هذا إثبات النزول حقيقة، وأن حقيقته لا تثبت إلا بالانتقال، ورأى أنه ليس في العقل ولا في النقل ما يحيل الانتقال عليه، فإنه كالمجيء والإتيان والذهاب والهبوط، وهذه أنواع الفعل اللازم القائم به، كما أن الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، والقبض، والبسط أنواع للفعل المتعدي، وهو سبحانه موصوف بالنوعين، وقد يجمعهما كقوله {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: الآية: ٥٤].

والانتقال جنس لأنواع المجيء، والإتيان، والنزول، والهبوط، والصعود، والدنو، والتدلي ونحوها؛ وإثبات النوع مع نفي جنسه جمع بين النقيضين.

قالوا: وليس في القول بلازم النزول والمجيء والإتيان والاستواء والصعود محذور البتة ولا يستلزم ذلك نقصاً، ولا سلب كمال، بل هو الكمال نفسه، وهذه الأفعال كمال ومدح، فهي حق دل عليه النقل ولازم الحق حق". ١٣٤٤

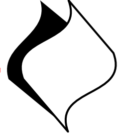
القول الثاني: أنه ينزل ولا يخلو منه العرش.

وهذا القول ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قول جمهور أهل الحديث. ١٣٤٥

١٣٤٣ كتاب اختلاف الروايتين والوجهين -مسائل من أصول الديانات- (ص ٥٥).

١٣٤٤ مختصر الصواعق (٢/ ٢٥٤ - ٢٥٥).

١٣٤٥ شرح حديث النزول (ص ٢٠١)، ومنهاج السنة (٢/ ٦٣٨).



وقال: "ونقل ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل في رسالته إلى مسدد، وعن إسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد، وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم". [1346]

قال القاضي أبو يعلى: "وقد قال أحمد في رسالته إلى مسدد: إن الله-عز وجل-ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخلو من العرش. فقد صرح أحمد بالقول إن العرش لا يخلو منه". [1347]

وسأل بشر بن السري حماد بن زيد، فقال: "يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد، ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف يشاء". [1348]

وقال إسحاق بن راهويه: "دخلت على عبد الله بن طاهر، فقال: ما هذه الأحاديث التي تروونها؟

قلت: أي شيء أصلح الله الأمير؟

قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا.

قلت: نعم، رواه الثقات الذين يروون الأحكام.

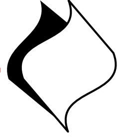
قال: أينزل ويدع عرشه؟

قال: فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه؟

١٣٤٦ شرح حديث النزول (ص ١٤٩).

١٣٤٧ إبطال التأويلات (١/ ٢٦١).

١٣٤٨ أخرجه العقيلي في الضعفاء (١/ ١٤٣). وأخرجه ابن بطة في الإبانة، كما في المختار من الإبانة (ص ٢٠٣ - ٢٠٤، برقم ١٥). وأورده ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص ١٥٠ - ١٥١)، وفي درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٤)، وفي الأصفهانية (ص ٢٥)، وعزاه للخلال في السنة وابن بطة في الإبانة..



قال: نعم.

قلت: ولم تتكلم في هذا؟ ". [١٣٤٩]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن قول إسحاق وقول حماد بن زيد: "وهذه والتي قبلها حكايتان صحيحتان رواتهما ثقات، فحماد بن زيد يقول: هو في مكانه، يقرب من خلقه كيف يشاء، فأثبت قربه مع كونه فوق عرشه.

وعبد الله بن طاهر وهو من خيار من ولي الأمر بخراسان كان يعرف أن الله فوق العرش، وأشكل عليه أنه ينزل، لتوهمه أن ذلك يقتضي أن يخلو منه العرش، فأقره الإمام إسحاق على أنه فوق العرش، وقال له: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ فقال له الأمير: نعم. فقال له إسحاق: لم تتكلم في هذا؟

يقول: فإذا كان قادراً على ذلك لم يلزم من نزوله خلو العرش منه، فلا يجوز أن يعترض على النزول بأنه يلزم منه خلو العرش، وكان هذا أهون من اعتراض من يقول: ليس فوق العرش شيء، فينكر هذا وهذا". [١٣٥٠]

القول الثالث: من يقول نثبت نزولاً ولا نعقل معناه، هل هو بزوال أو بغير زوال.

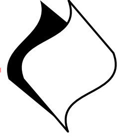
وهذا القول قال به ابن بطة [١٣٥١]، وعبد الغني المقدسي [١٣٥٢]، وغيرهما.

١٣٤٩ أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٨٦) مختصراً، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٥٢). وأورده ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص ١٥٢) وصحح إسناده.

١٣٥٠ شرح حديث النزول (ص ١٥٣).

١٣٥١ . انظر المختار من الإبانة (ص ٢٤٠). ومجموع الفتاوى (٥/ ٤٠٢)

١٣٥٢ شرح حديث النزول (ص ١٦١).



قال ابن بطة: "فنقول كما قال: "ينزل ربنا–عز وجل–" ولا نقول: إنه يزول، بل ينزل كيف يشاء، لا نصف نزوله ولا نحده، ولا نقول: إن نزوله زواله".

وروى بسنده عن حنبل بن إسحاق قال: "قلت لأبي عبد الله: ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا؟

قال: نعم.

قلت: نزوله بعلمه أم بماذا؟

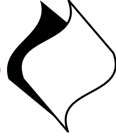
قال: فقال لي: اسكت عن هذا، وغضب غضباً شديداً، وقال: مالك ولهذا؟ أمض الحديث كما روي بلا كيف".[١٣٥٣]

وقال القاضي أبو يعلى: "وحكى شيخنا–يعني ابن حامد–عن طائفة أخرى من أصحابنا أنهم قالوا: نثبت نزولاً لا يعقل معناه هل هو زوال أو بغير زوال، كما جاء الخبر، ومثل هذا ليس يمتنع في صفاته، كما يثبت له ذاتاً ينفي عنها ماهيتها، وهذه الطريقة هي المذهب، وقد نص أحمد عليها في مواضع". [١٣٥٤] وذكر الأثر الذي ذكره ابن بطة عن حنبل.

قال ابن القيم–رحمه الله–: "وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا: لا نقول يتحرك وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه، فهم أسعد بالصواب والاتباع، فإنهم نطقوا بما نطق به النص، وسكتوا عما سكت عنه، وتظهر صحة هذه الطريقة ظهوراً تاماً فيما إذا كانت الألفاظ التي سكت عنها النص مجملة، محتملة المعنيين صحيح وفاسد، كلفظ (الحركة)، و (الانتقال)، و (الحوادث)، و (العلة)، و (التغير)، و (التركيب)، ونحو ذلك من الألفاظ التي تحتها حق وباطل.

١٣٥٣المختار من الإبانة (ص ٢٤٠ – ٢٤٢).

١٣٥٤ كتاب الروايتين والوجهين (ص ٥٦ – ٥٧).



فهذه لا تقبل مطلقاً، ولا ترد مطلقاً، فإن الله سبحانه لم يثبت لنفسه هذه المسميات، ولم ينفيها عنه، فمن أثبتها مطلقاً فقد أخطأ، ومن نفاها مطلقاً فقد أخطأ، فإن معانيها منقسمة إلى ما يمتنع إثباته لله، وما يجب إثباته له.

فإن الانتقال يراد به:

١ انتقال الجسم والعرض من مكان هو محتاج إليه إلى مكان آخر يحتاج إليه. وهو يمتنع إثباته للرب–عز وجل–، وكذلك الحركة إذا أريد بها هذا المعنى امتنع إثباتها لله تعالى.

٢ ويراد بالحركة والانتقال حركة الفاعل من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلاً، وانتقاله أيضاً من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلاً. فهذا المعنى حق في نفسه لا يعقل كون الفاعل فاعلاً إلا به فنفيه عن الفاعل نفي لحقيقة الفعل وتعطيل له.

٣ وقد يراد بالحركة والانتقال ما هو أعم من ذلك، وهو فعل يقوم بذات الفاعل يتعلق بالمكان الذي قصد له وأراد إيقاع الفعل بنفسه فيه.

وقد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة، وينزل لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وينزل عشية عرفة، وينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، وينزل إلى أهل الجنة. وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة به، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له.

وحركة الحي من لوازم ذاته، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور، فكل حي متحرك بالإرادة وله شعور فنفي الحركة عنه كنفي الشعور، وذلك يستلزم نفي الحياة". [١٣٥٥]

١٣٥٥ مختصر الصواعق (٢/ ٢٥٧ – ٢٥٨).

سادسًا: منكرو صفة النزول.

ومع ذلك يغالط البعض؛ فينكرون نزول الله–عز وجل–!

فالذين ينفون جميع الصفات ينفون صفة «النزول» كغيرها، وهناك من ينفي الصفات الفعلية الاختيارية، ومنها:«النزول» كالأشاعرة، فإنَّ المشهور من مذهبهم هو نفي الصفات الاختيارية، كالنزول، والاستواء، والغضب، والرِّضَا، وهذا يجعلهم يتأوَّلُون صفة النزول بنزول الملَك، أو نزول الرَّحمة، أو ما أشبه ذلك.

فالجهمية كانت تنكر أن ينزل الله بنفسه، وتتأول ذلك بنزول أمره، أو نزول ملك ونحوه، وأن هذا هو الذي أنكره السلف عليهم

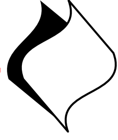
والأشاعرة يوافقون لجهمية في تأويل النزول، وأنه لا يراد به الحقيقة، بل هو من مجازات الكلام.

قال أبو المعالي الجويني في "الإرشاد": "والوجه: حمل النزول، وإن كان مضافاً إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين .... إلى أن قال: ومما يتجه في تأويل الحديث أن يُحمل النزول على إسباغ الله نعمائه على عباده .. ". [١٣٥٦]

وقال أيضاً في صفة المجيء: "بل المعني بقوله: {وجاء ربك} [الفجر: الآية: ٢٢]: أي جاء أمر ربك وقضاؤه الفصل وحكمه العدل". [١٣٥٧]

١٣٥٦ الإرشاد (ص١٦١).

١٣٥٧ الإرشاد (ص: ١٥٩).

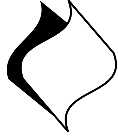


[التمسك بالسنة واتباعها].

[٨]. قال المصنف–رحمه الله–:

" وروى يزيد بن هارون في مجلسه، حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله في الرؤية، وقول رسول الله ﷺ: (إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر)) فقال له رجل في مجلسه يا أبا خالد ما معنى هذا الحديث؟ فغضب وحَرَدَ وقال: (ما أشبهك بصبيغ وأحوجك إلى مثل ما فعل به، ويلك! ومن يدري كيف هذا!! ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث، أو يتكلم فيه بشيء من تلقاء نفسه إلا من سفه نفسه واستخف بدينه؟ إذا سمعتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتبعوه، ولا تبتدعوا فيه فإنكم إن اتبعتموه، ولم تماروا فيه سلمتم، وإن لم تفعلوا هلكتم).

وقصة صبيغ – الذي قال يزيد بن هارون للسائل: ما أشبهك بصبيغ، وأحوجك إلى مثل ما فعل به ـ هي ما رواه يحي بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أن صبيغاً التميمي أتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا} [الذاريات: الآية: ١]؟ قال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن: {فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} [الذاريات: الآية: ٢]. قال: هي السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله

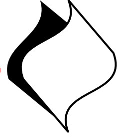


ما قلته. قال: فأخبرني عن: {فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا} [الذاريات: الآية: ٤]؟ قال: الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن: {فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا} [الذاريات: الآية: ٣]؟

قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: ثم أمر به فضرب مائة سوط، ثم جعله في بيت حتى إذا برأ دعا به، ثم ضربه مائة سوط أخرى، ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: أن حرم عليه مجالسة الناس، فلم يزل كذلك؛ حتى أتى أبا موسى الأشعري، فحلف بالأيمان المغلظة، ما يجد في نفسه مما كان يجده شيئاً. فكتب إلى عمر يخبره، فكتب إليه: ما إخاله إلا قد صدق، خل بينه وبين مجالسة الناس.

وروى حماد بن زيد، عن قطن بن كعب، سمعت رجلاً من بني عجل، يقال له فلان خالد بن زرعة، يحدث عن أبيه، قال: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة، كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحلق، فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه؛ ناداهم أهل الحلقة الأخرى عزمة أمير المؤمنين.

وروى حماد بن زيد أيضاً، عن يزيد بن حازم، عن سليمان بن يسار، أن رجلاً من بني تميم يقال له: صبيغ، قدم المدينة، فكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه، وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه، جلس فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ. قال: وأنا عبد الله عمر. ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه. فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي.



أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي، أنا محمد بن محمود الفقيه المروزي، ثنا محمد بن عمير الرازي، ثنا أبو زكريا يحيى بن أيوب العلاف التجيبي بمصر، ثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا أشهب بن عبد العزيز، سمعت مالك بن أنس يقول: إياكم والبدع. قيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: أهل البدع: الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته، لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون.

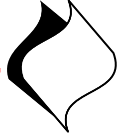
أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الزاهد الخفاف، أنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه، ثنا الربيع بن سليمان، سمعت الشافعي رحمه الله يقول: (لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك، أحب إلي من أن يلقاه بشيء من الأهواء).

أخبرني أبو طاهر محمد بن الفضل، حدثنا أبو عمرو الحيري، ثنا أبو الأزهر، ثنا قبيصة، ثنا سفيان، عن جعفر بن برقان قال: سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن شيء من الأهواء، فقال: (الزم دين الصبي في الكتاب، والأعرابي، واله عما سوى ذلك).

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن يزيد، د، سمعت أبا يحيى البزار يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: (كل ما وصف الله به نفسه في كتابه؛ فتفسيره تلاوته، والسكوت عنه).

أخبرنا أبو الحسين الخفاف، ثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، ثنا إسماعيل بن أبي الحارث، ثنا الهيثم بن خارجة، سمعت الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي، وسفيان، ومالك بن أنس، عن هذه الأحاديث في الصفات، والرؤية/ فقالوا: (أمروها كما جاءت بلا كيف).

قال الإمام الزهري – إمام الأئمة في عصره، وعين علماء الأمة في وقته ـ : (على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم).



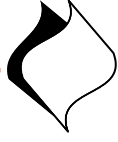
وعن بعض السلف: قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم.

أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة، حدثنا جدي الإمام، ثنا أحمد بن نصر، ثنا أبو يعقوب/ الحنيني/، ثنا كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن هذا الدين بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء. قيل يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: الذين يحيون سنتي من بعدي، ويعلمونها عباد الله).

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، سمعت أبا الحسن الكارزي يقول: سمعت علي بن عبد العزيز يقول: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: (المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله).

وروي عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال: (يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. قال الله عزَّ وجلَّ لنبيه: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [ص: الآية: ٨٦]).

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس المعقلي، ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، حدثني أبي، حدثني عبد الرحمن الضبي، عن القاسم بن عروة، عن محمد بن كعب القرظي قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز؛ فجعلت أنظر إليه نظراً شديداً، فقال: إنك لتنظر إليَّ نظراً ما كنت تنظره إلي وأنا بالمدينة، فقلت: لتعجبي، فقال: ومما تتعجب؟ قال: قلت: لما حال من لونك، ونحل من جسمك، ونفى من شعرك. قال: كيف ولو رأيتني بعد ثلاثة في قبري، وقد سالت حدقتاي على وجنتي، وسال منخراي في فمي صديداً؛ كنت لي أشد نكرة. حدثني حديثاً كنت حدثتنيه عن عبد الله بن عباس، قال قلت: حدثني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال: (إن لكل شيء شرفاً، وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة، لا تصلوا خلف نائم ولا محدث، واقتلوا الحية



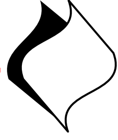
والعقرب وإن كنتم في صلاتكم، ولا تستروا الجدر بالثياب، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار، ألا أنبئكم بشراركم قالوا: بلى يا رسول الله ! قال: الذي يجلد عبده، ويمنع رفده، وينزل وحده. أفلا أنبئكم بشر من ذلك! الذي يبغض الناس ويبغضونه. أفلا أنبئكم بشر من ذلك الذي لا يقيل عشرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً. أو لا أنبئكم بشر من ذلك! الذي لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله. إن عيسى عليه السلام قام في قومه فقال: يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تظلموا ولا تكافئوا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم. الأمر ثلاثة: أمر بين رشده فاتبعوه، وأمر بين غيه فاجتنبوه، وأمر اختلف فيه فكلوه إلى الله عز وجل)".

الشرح

طريقَ السنَّة هو لزومُ طريقِ أصحابِ النبي صلى الله عليه وسلم، فمَن أرادَ الاستقامةَ على شرع الله–عز وجل–وعلى دينِ الإسلام فعليه بالتمسكِ بسنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–وذلك إنما يكون بما كان عليه فهمُ السلفِ الصالح من الصحابةِ والتابعين وتابعي التابعين.

التمسك والالتزام بالحق لا لأنه قولُ هذا الشخص ولكن لأنه قولُ أولئك ولذلك عبد الله بن مسعود قال: "مَن كان منكم مستَّناً فليستنَّ بمَن قد مات فإن الحيَ لا تُؤمَنُ عليه الفتنة"، أولئك أصحابُ محمد أبَّر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلَّفاً، قومٌ اختارهم الله لصحبةِ نبيه وإقامةِ دينه فاعرفوا لهم حقهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم".

فهم أبَّر هذه الأمة قلوباً، أعظمها إيماناً وأصلحها قلوباً، وأعمقها علماً، فمَن أعلم من أصحابِ محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الدين؟ فليس هناك أعلم منهم، "وأقلها تكلُّفاً" أي أبعدُ الناسِ عن البدع، فلم ينقل أن أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابتدعَ أو أحدَثَ بدعة،



هذا ما لم يكن، فهذه دعوةُ أهل السنَّة؛ إلى تمسكٍ بآثارهم، هل تكلمَ به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحدٌ من العلماء؟ فإن وجدت فيه أثراً عنهم فتمسك به ولا تُجاوزه لشيء ولا تختارَ عليه شيئاً فتسقطَ فيه.

فإذاً لزوم السنَّة هو سفينةُ النجاة كما قال السلف، فإذا أردت سفينة النجاة فاركبها،

والسنَّة هي ما كان عليها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين وتابعي التابعين.

من السنة لزوم الجماعة، لأن أهل البدع نوعان:

نوع يزعم أن له متمسك في النصوص.

ونوع لا يزعم بل هو لا يرضى بالنصوص.

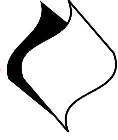
فإذا جئت للخوارج أو جئت للتشيع أو جئت للقدرية أو جئت للمرجئة، كل واحد من هؤلاء يزعم أنه له متمسك بالنصوص لكن وفق فهمه وهواه، ووفق رأيه هو، فعلى هذا الأساس انطلق من هذا الفهم لما يراه من رأي في هذا الأمر.

فالناسُ يمكنُ تقسيمهم من حيث مرجعيتهم وأصول التلقي لديهم إلى ثلاثةِ أقسام:

- فهناك أهل الحق الذين تمسكوا بالكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة.
- هناك طوائف مالوا إلى ما يسمونه–زوراً وبهتاناً–مناهج عقلية، وهي في الحقيقةِ أوهامٌ وخيالات.
- وهناك طوائف مالوا إلى مناهجَ باطنية اعتمدت على ما يسمَّى بتقديس الأشخاص.

فالصراعُ والاختلافُ قائمٌ كما مرَّ معنا في ذكرِ النصوص الواردة في هذا والافتراقُ لابد منه، فلابد أن يتبَّصَّر الإنسان في هذا الأمر وأن يعرفَ أين يضع قدمه في هذا الباب؛ أي في باب التأصيل لأنه من هذا المنطلق تتحدد معالمُ الاختلاف والافتراق الواقع في هذه الأمة.

وكان فهم أهل السنة في مقابل هؤلاء ففهمهم ينطلق من الجماعة، الذين هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق هذه الأمة وقال: «



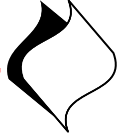
افترقت اليهود، وافترقت النصارى، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فعندما سئل من؟ قال: الجماعة، وفي رواية أخرى قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ».[١٣٥٨]

فإذًا هذا المحك والفارق بين صاحب السنة وبين أهل هذا النوع من أهل البدع، فالمتمسك عند السني في الفهم هو الفهم الذي كان عليه أولئك، فإذا كان الخلفاء الراشدون، والمبشرون بالجنة، والذين رضي الله تعالى عنهم لم يكن فهمه الفهم الصحيح فمن سيكون فهمه صحيحًا؟!

وهذه التزكية إنما هي من قبل الله، وقبل رسوله صلى الله عليه وسلم. فالجماعة هم أصحاب النبي، ينطلق هذا الفهم للفظ "الجماعة" من نصوص الكتاب والسنة، فالله تعالى زكى الصحابة في كتابه فقال: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ}[التوبة: الآية:١٠٠] انظر هذا القيد، وهذا الشرط {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة: الآية: ١٠٠] .فالله تعالى في هذه الآية أخبر بأنه رضي رضاء مطلقًا بدون قيد عن هؤلاء السابقين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ورضي عنا بقيد وهو إتباعهم، وكما قال في الآية الأخرى :﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

فإذا لم يكن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصدق عليهم وصف الإيمان، فعلى من يصدق وصف الإيمان؟ فإذا لم يكن هؤلاء الذين قاموا بنصرة الإسلام، والقيام بشأنه ونشره شرقًا وغربًا هم أهل الإيمان، فمن يكون أهل الإيمان بعد ذلك؟!

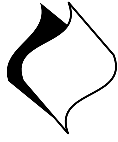
١٣٥٨ انظر: مسند الإمام أحمد باقي مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، حديث رقم (١٢٢٤٢)، قال الشيخ الألباني حديث صحيح، كتاب السلسلة الصحيحة الصفحة أو الرقم ١٤٩٢ / ٤٩٠.



ولذلك خير هذه الأمة بعد نبيها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فمن السنة لزوم الجماعة، فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالًا مضلًا "

قال ابن القيم: "قَالَ الشَّافِعِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ–فِي رِسَالَتِهِ الْبَغْدَادِيَّةِ الَّتِي رَوَاهَا عَنْهُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، وَهَذَا لَفْظُهُ: وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ "رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَسَبَقَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مِنَ الْفَضْلِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ، فَرَحِمَهُمُ اللَّهُ وَهَنَّأَهُمْ بِمَا آتَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِبُلُوغِ أَعْلَى مَنَازِلِ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، أَدَّوْا إِلَيْنَا سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَشَاهَدُوهُ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فَعَلِمُوا مَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَامًّا وَخَاصًّا وَعَزْمًا وَإِرْشَادًا، وَعَرَفُوا مِنْ سُنَّتِهِ مَا عَرَفْنَا وَجَهِلْنَا، وَهُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَوَرَعٍ وَعَقْلٍ وَأَمْرٍ اُسْتُدْرِكَ بِهِ عِلْمٌ وَاسْتُنْبِطَ بِهِ، وَآرَاؤُهُمْ لَنَا أَحْمَدُ، وَأَوْلَى بِنَا مِنْ رَأْيِنَا عِنْدَ أَنْفُسِنَا، وَمَنْ أَدْرَكْنَا مِمَّنْ يَرْضَى أَوْ حُكِيَ لَنَا عَنْهُ بِبَلَدِنَا صَارُوا فِيمَا لَمْ يَعْلَمُوا لِرَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِيهِ سُنَّةً إِلَى قَوْلِهِمْ إِنْ اجْتَمَعُوا، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ إِنْ تَفَرَّقُوا، وَهَكَذَا نَقُولُ، وَلَمْ نَخْرُجْ عَنْ أَقَاوِيلِهِمْ، وَإِنْ قَالَ أَحَدُهُمْ وَلَمْ يُخَالِفْهُ غَيْرُهُ أَخَذْنَا بِقَوْلِهِ "وَلَمَّا كَانَ رَأْيُ الصَّحَابَةِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ قَالَ فِي الْجَدِيدِ فِي كِتَابِ الْفَرَائِضِ فِي مِيرَاثِ الْجَدِّ وَالْإِخْوَةِ: وَهَذَا مَذْهَبٌ تَلَقَّيْنَاهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَعَنْهُ أَخَذْنَا أَكْثَرَ الْفَرَائِضِ وَقَالَ: وَالْقِيَاسُ عِنْدِي قَتْلُ الرَّاهِبِ لَوْلَا مَا جَاءَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، فَتَرْكُ صَرِيحِ الْقِيَاسِ لِقَوْلِ الصِّدِّيقِ، وَقَالَ فِي رِوَايَةِ الرَّبِيعِ عَنْهُ: وَالْبِدْعَةُ مَا خَالَفَ كِتَابًا أَوْ سُنَّةً أَوْ أَثَرًا عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَجَعَلَ مَا خَالَفَ قَوْلَ الصَّحَابِيِّ بِدْعَةً، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِشْبَاعُ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَذِكْرُ نُصُوصِ الشَّافِعِيِّ عِنْدَ ذِكْرِ تَحْرِيمِ الْفَتْوَى بِخِلَافِ مَا أَفْتَى بِهِ الصَّحَابَةُ، وَوُجُوبُ اتِّبَاعِهِمْ فِي فَتَاوِيهِمْ، وَأَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ جُمْلَةِ أَقْوَالِهِمْ، وَأَنَّ الْأَئِمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَلِكَ.

وَلَيْسَ مِثْلَ الصَّحَابَةِ أَحَدٌ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ لَا يُسَاوِيهِمْ فِي رَأْيِهِمْ، وَكَيْفَ يُسَاوِيهِمْ وَقَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَرَى الرَّأْيَ فَيَنْزِلُ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ؟ كَمَا رَأَى عُمَرُ فِي أُسَارَى بَدْرٍ أَنْ تُضْرَبَ



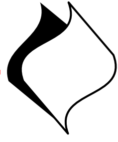
أَعْنَاقُهُمْ فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ، وَرَأَى أَنْ تُحَجَّبَ نِسَاءُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ، وَرَأَى أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ؛ وَقَالَ لِنِسَاءِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لَمَّا اجْتَمَعْنَ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ} [التحريم: ٥] فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ، «وَلَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: {وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} [التوبة: ٨٤] ».

«وَقَدْ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لَمَّا حَكَّمَهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي بَنِي قُرَيْظَةَ: إِنِّي أَرَى أَنْ تُقْتَلَ "مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذُرِّيَّاتُهُمْ، وَتُغْنَمَ أَمْوَالُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَقَدْ حَكَمْت فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ».

وَلَمَّا اخْتَلَفُوا إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ شَهْرًا فِي الْمُفَوَّضَةِ قَالَ: أَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي، فَإِنْ يَكُنْ صَوَابًا فَمِنْ اللَّهِ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِّي وَمِنْ الشَّيْطَانِ، وَاَللَّهُ وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُ، أَرَى أَنَّ لَهَا مَهْرَ نِسَائِهَا لَا وَكْسَ وَلَا شَطَطَ، وَلَهَا الْمِيرَاثُ، وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ، فَقَامَ نَاسٌ مِنْ أَشْجَعَ فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَضَى فِي امْرَأَةٍ مِنَّا يُقَالُ لَهَا بِرْوَعَ بِنْتُ وَاشِقٍ مِثْلَ مَا قَضَيْت بِهِ، فَمَا فَرِحَ ابْنُ مَسْعُودٍ بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحَهُ بِذَلِكَ.

وَحَقِيقٌ بِمَنْ كَانَتْ آرَاؤُهُمْ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرًا مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الرَّأْيُ الصَّادِرُ مِنْ قُلُوبٍ مُمْتَلِئَةٍ نُورًا وَإِيمَانًا وَحِكْمَةً وَعِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَفَهْمًا عَنْ اللَّهِ "وَرَسُولِهِ وَنَصِيحَةً لِلْأُمَّةِ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ نَبِيِّهِمْ، وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَهُمْ يَنْقُلُونَ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ غَضًّا طَرِيًّا لَمْ يَشُبْهُ إشْكَالٌ، وَلَمْ يَشُبْهُ خِلَافٌ، وَلَمْ تُدَنِّسْهُ مُعَارَضَةٌ، فَقِيَاسُ رَأْيِ غَيْرِهِمْ بِآرَائِهِمْ مِنْ أَفْسَدِ الْقِيَاسِ"[١٣٥٩]

١٣٥٩ إعلام الموقعين ١ / ٦٤.



قال ابن تيمية: كان الزُّهْرِيُّ يَقُولُ":كَانَ عُلَمَاؤُنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ هُوَ النَّجَاةُ"[١٣٦٠]

وَقَالَ مَالِكٌ "السُّنَّةُ سَفِينَةُ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غرق"[١٣٦١] .

وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْمِنْهَاجَ: هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي يُوَصِّلُ الْعِبَادَ إلَى اللَّهِ. وَالرَّسُولُ: هُوَ الدَّلِيلُ الْهَادِي الْخِرِّيتُ فِي هَذَا الصِّرَاطِ كَمَا قَالَ تعَالَى :﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب ٤٥] .وَقَالَ تَعَالَى :﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى ٥٢،٥٣] وَقَالَ تَعَالَى :﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام ١٥٣]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ:» هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ«، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: » هَذِهِ سُبُلٌ-قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ- عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ .«ثُمَّ قَرَأَ :﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام ١٥٣] "[١٣٦٢][١٣٦٣]

والجماعة هي من جمعت أربع خصال:

١-الإجماع.

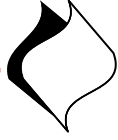
٢-عدم الفرقة.

١٣٦٠ مجموع الفتاوى (٤/ ٥٧).

١٣٦١ ذم الكلام للهروي (٥/ ٨١) وانظر مجموع الفتاوى (٤/ ٥٧).

١٣٦٢ أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٤١٤٢) (٧/ ٢٠٧) وقال الألباني صحيح انظر، السنة لابن أبي عاصم (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني) (١/ ١٣)

١٣٦٣ مجموع الفتاوى٤ / ٥٦-٥٧



٣-المنهج المتبع.

٤-القـدوة.

والطائفة الناجية قد توفرت فيها هذه الأمور، فهي مجتمعة على الحق المدلول عليه بنصوص الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، وهي غير متفرقة لاعتقادها لزوم الاجتماع على إمام، وهي ذات منهج واضح المعالم محدد الغاية، وقدوتهم هم أفضل وخيار هذه الأمة؛ وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان ممن رفع الله مقامهم وأعلى قدرهم، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[التوبة: ١٠٠].

وقال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». [١٣٦٤]

وقال عنهم لما سئل من هي يا رسول الله؟ قال: « ما أنا عليه وأصحابي[١٣٦٥]»

وكل هذا يؤول إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي«. وفي رواية: »هي الجماعة[١٣٦٦]».

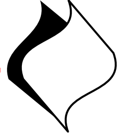
وهذا الحال الذي كان عليه أهل البدع، فلو نظرت إلى بدعة الخوارج، فبدعة الخوارج قامت على أصلين خطيرين:

-أولهما: الطعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي حاولوا إخراج أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام.

١٣٦٤ تقدم تخريجه.

١٣٦٥ تقدم تخريجه.

١٣٦٦ تقدم تخريجه.



-وثانيهما: الطعن في الحكام.

فبدعة الخوارج قامت على هذين الأصلين: الطعن في العلماء، والطعن في الحكام.

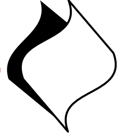
ولذلك أهل البدع الذين يسلكون مثل هذا المسلك دائمًا يتبعونهم في هذين الأصلين، وهو الطعن في العلماء، والطعن في ولاة الأمر. فإذا لم تكن أمة من الأمم تقوم في كل أمرها على هذين الأمرين فلا قيام لها، فالله تعالى قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩]، وقال العلماء في أولي الأمر: أنهم العلماء والحكام[١٣٦٧]، فقام هؤلاء في الطعن في هذا الأصل. فإن الذي يخلع عن الجماعة فإنما في الحقيقة يخلع ربقة الإسلام، يخلع شعار هذا الدين، وشعار هذا الإسلام. فالأساس الذي تبنى عليه الجماعة هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهم ورحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ» [١٣٦٨]فأمرنا بلزومها والتمسك بها.

وحذرنا ((وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))[١٣٦٩] و(كل) من ألفاظ العموم، كل بدعة ضلالة، فهل تريد لزوم الحق أو لزوم الضلال، فماذا بعد الهدى إلا الضلال! فهذا عمر كما جاء في الأثر عنه: "لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة" لأن الأمور قد بينت والنبي صلى الله عليه وسلم أوضح لنا الطريق، وأقام علينا الحجة، فلا حجة لمحتج، الحق بين واضح وما على الإنسان إلا أن يسلكه، وأن يسير عليه.

١٣٦٧ أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١ / ٢٥٧) وصححه الألباني في صفة الفتوى والمفتي والمستفتي(٥٤)

١٣٦٨ انظر: سنن أبي داود أول كتاب السنة، باب: في لزوم السُنة، رقم (٤٦٠٧) وقال الشيخ الألباني حديث صحيح في كتاب السلسلة الصحيحة، الصفحة / الرقم: ٦١٠، ٩٣٧.

١٣٦٩ تقدم تخريجه.



وأهل البدع قد يكون سبب بدعهم كثيرة، فهناك الجهل، وهناك اتباع الهوى، وهناك أسباب أخرى من أسباب البدع لكن لا عذر لأولئك لأن هذا الدين في غاية من الوضوح، وفي غاية من البيان، فلذلك السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، فإذا لزمت الجماعة فأنت على السنة.

ومصدر التلقي واضح وهو كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يتأتى إلا وفق فهم السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين.

وإذا علمنا أن مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة إنما هو كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن فهم ذلك إنما يكون على ضوء فهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والتابعين، وتابعي التابعين، فهذه هي أسس أهل السنة والجماعة كما هو معلوم.

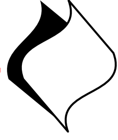
وهذه الأسس إذا تأملت فيها وجدت أن موقف أهل السنة من العقل ليس موقف التهميش والإلغاء التام، وليس موقف التقديس ورفع العقل فوق مقامه، ومكانه، ومنزلته؛ فأهل السنة عُرف عنهم الوسطية، والله تعالى قد قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة:١٤٣]. فمن وسطية أهل السنة وسطيتهم في شأن العقل، فلا يمكن أن نقدم عقولنا وآراءنا على كلام الله ورسوله، وكذلك لا يمكن أن نلغي العقل تمامًا، فما هو موقف أهل السنة ابتداء من العقل؟

كما قلنا: أن الله تعالى ركب في هذا الإنسان قوتان:

-قوة الإرادة والعمل.

-وقوة الفكر والنظر.

فالله أودع فينا هاتان القوتان، والعقل الذي هو الفكر والنظر قوة أودعها الله تعالى في نفس الإنسان، وهذه القوة شأنها كشأن أي قوة في البدن، فعلى سبيل المثال قوة النظر والرؤية، فالعين فيها قوة الإبصار، وهذا الدماغ فيه قوة الفكر والتفكير، فقوة الإبصار قوة في العين لكن كما نعلم أن هذه القوة تتعطل في حال غياب الضوء، فإذا كنت في مكان مظلم ومغلق لن تبصر

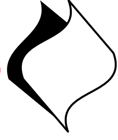


بعينك شيئًا، لأن هذه القوة بحاجة إلى الضوء حتى تبصر الأشياء على حقيقتها، كذلك العقل قوة الفكر والنظر لكنه في قضايا الغيب وفي قضايا الشرع هو بحاجة إلى ضوء ونور، وهذا الضوء والنور هكذا سماه الله تعالى في كتابه في شأن وحيه عز وجل. والله عز وجل قد قال لنا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢]، فعقولنا في جانب شرع الله عز وجل هي بحاجة إلى هذا النور، وإلى هذا الوحي لكي نستطيع من خلال هذا الوحي والنور أن نعرف ما يجب علينا في حق الله عز وجل، ما يجب علينا في حق ملائكته، في حق كتبه، في حق رسله، في حق اليوم الآخر، في حق القدر خيره وشره، وفي حق جميع الأمور التي أوجبها الله تعالى علينا وتعبدنا بها.

فهذا هو موقف أهل السنة؛ أن العقل قوة في التفكير والنظر لكنه في قضايا الشرع بحاجة إلى نور، هذا النور هو الوحي الذي أنزله الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. فمن هنا على الإنسان أن يعلم أمور دينه من خلال وحي الله عز وجل، والله عز وجل قد أكمل جميع جوانب الدين وبالتالي فالدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله، فلا تتبع شيئاً بهواك".

بينما أمور الدنيا الأخرى يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة في شأن تأبير النخل: ((أنتم أعلم بأمور دنياكم))[١٣٧٠] ، أما أمر الدين فيؤخذ من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، فعلى هذا يقف أهل السنة هذا الموقف من العقل فلم يعطلوه، ولم يلغوه تمامًا، فهو قوة إدراك وفهم الأمور، لكن هذه القوة يجب أن نستنير بنور الوحي في بيان ما أوجبه الله تعالى، وما أخبر الله تعالى به.

[١٣٧٠] انظر صحيح مسلم كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، برقم (٢٣٦٣)، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة (١٢٥٤٤).



فعند ذلك نسخر هذه القوة علمًا في تعلم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على وفق ما كان عليه سلف هذه الأمة، فهذه هي النظرة المعتدلة للعقل.

وإذا عرفنا ما عند الآخرين عرفنا نعمة الله علينا، فالذين خالفوا الحق في هذا على أحد جانبين:

-إما أناس رفعوا شأن العقل فوق كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وقدسوه، وأعطوه من المنزلة ما ليست له.

-وأما أناس ألغوا العقل تمامًا، وهمشوه، ونحوه تمامًا.

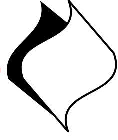
فالقسم الأول: قدس العقل ورفع من شأنه، ومن منزلته، بل إنه يقول: إن العقل يستحيل أن يرد، ويستحيل أن يكذب، فيقول قائلهم: "كل ما دل العقل فيه على أحد الجانبين." يقصد بأحد الجانبين إما الجواز وإما المنع، فليس للتّعارض فيه مجال، "إذ الأدلة العقلية يستحل نسخها وتكاذبها"، يعني لا يمكن أن يتطرَّق إليها الشكّ، فهي قطعيّة ولا تقبل النّسخ ولا تقبل ماذا؟ ولا تقبل التكذيب، يعني أيوجد تقديس أكثر من هذا؟!

"فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل، فإما ألا يكون متواترًا فيعلم أنه غير صحيح." فإما ألاَّ يكون متواترًا، ما النتيجة؟ ما مؤدّاها؟ ردّ أحاديث الآحاد كلّها، هذا موقفهم من سنّة المصطفى صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه، فحتى وإن جاء في الصحيحين، ما دام خبر آحاد فإنه غير صحيح غير عنده، لأنه يقول: "فإما ألا يكون متواترًا فيعلم أنه غير صحيح."

"إذ الأدلة العقلية يستحيل نسخها وتكاذبها[1371]"، "فإذا ورد دليل من السمع" الذي هو قال الله، وقال رسوله بخلاف العقل، "فإما أن لا يكون متواترًا" فهذا مردود يعني أخبار الآحاد.

وأعلم أن أخبار الآحاد في النصوص هي الأغلب والأكثر، فهذا عندهم يضرب به عرض الحائط. وإما أن يكون متواترًا فيقول: يجب أن يؤول، لأنه خالف العقل، والعقل آراء الرجال، فأعطي العقل عندهم هذه القدسية، وإذا سألت: عقل من نتبع؟ عقل هذا؟ أو ذاك؟

١٣٧١ انظر المستصفى للغزالي صفحة (٢٥٢).



فالناس لهم عقول مختلفة وآراء مختلفة، هذا مأخوذ عندهم من الأصل الفلسفي، وهذا الأصل الفلسفي هو الذي تصير عليه الحضارة المادية اليوم، فالحضارة المادية اليوم تقوم على أصل فلسفي منذ القدم، هذا الأصل الفلسفي يقوم على أمرين:

المبدأ الأول: أن مصدر العلوم هو الإنسان أي عقل الإنسان، وهذا المبدأ يهدم الوحي، فلا قيمة عندهم لوحي، يرون أن مصدر العلم أو العلوم هو عقل الإنسان.

والمبدأ الثاني: عندهم أن العلوم تنحصر في المحسوس المشاهد، فيبقى أي غيب لا قيمة له.

وعلى هذا قامت الفلسفة، وعلى هذا تسير الحضارة المادية اليوم، فهب تقوم على هذين المبدأين.

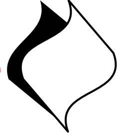
والمبدأ الأول هدم للوحي.

والمبدأ الثاني هدم للغيب وأعظم الغيب هو الله سبحانه وتعالى، فمعنى هذا لا إيمان بالله عز وجل، ولا جنة، ولا بنار، ولا... إلى آخره.

على هذين المبدأين تقوم الفلسفة، فمن قدس العقل انطلق من المنطلق الأول أن أصل العلم، ومصدر العلم، ومنبع العلم عنده هو عقل الإنسان، ويا ترى هذا الإنسان ما حجم عقله؟ والله لن يحيط علمًا بما وراء هذا الجدار، بل أقرب شيء إليه وهو بين جنبيه لما أخفى الله حقيقته عنه لم ولن يستطيع أن يصل إليه ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء:٨٥] هذا اختبار بسيط ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

فهذا الذي يكابر، ويخادع، ويقول: مصدر العلم هو الإنسان، فهذه الروح بين جنبيه بيه ولا تستطيع أن ينكرها، ومع ذلك لا سبيل لك إلى معرفة حقيقتها وكنهها. فكيف سيحيط علمًا برب العالمين؟ وكيف سيحيط علمًا باليوم الآخر؟ وكيف يحيط علمًا بعذاب القبر وغير ذلك؟

فالمبدأ مرفوض لكن هؤلاء سار من سار على نهجهم من أهل الفلسفة، وأهل الكلام، وبنوا مقدمات عقلية، وأخضعوا الدين لها، فإذا جاء من كلام الله وكلام رسوله ما يخالف ما عندهم،



طعنوا في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وألغوا قيمة الوحي، وجعلوه أمرًا مهمشًا. فهذا الذي يقول: "إذ الأدلة العقلية يستحيل نسخها وتكاذبها"، قدس آراء الرجال قدمها على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فهل هذا يقبله إنسان يؤمن بالله عز وجل ويؤمن برسوله صلى الله عليه وسلم؟

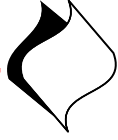
ولذلك كتب هؤلاء -للأسف الشديد- إذا ما قرأتها في هذه الأبواب، لن تجد فيها قال الله، ولا قال رسوله، وإنما ستجد قال العقلاء، قال الفضلاء، قال الحكماء، ومن العقلاء؟ ومن الفضلاء؟ ومن الحكماء؟

أرسطو، وأفلاطون، وإرسطاليس وهلم جرا، أناس ما عرفوا الله ورسوله فكيف نبني ديننا عليهم! لكن هذه حقيقة ماثلة واقعة أن كتب أولئك الناس امتلأت بهذه الفلسفات، وخلت من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. فقدموا آراء الرجال، وقدموا عقولهم على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

والقسم الثاني: ألغى العقل تمامًا، فمدح الجنون، والوله، ومدح أحوالاً هي أبعد ما تكون من العقل، وعندما ترى أحوال أولئك تقول: إن المجانين أخف حالاً من حال هؤلاء، فبعض من أهل التصوف وأمثالهم ألغوا العقل، ومن رأوه مجنونًا وسموه ووصفوه بالولاية، وأنه ولي من أولياء الله، وأنه في حال فقد الإنسان لعقله، وفي حال سكره ووله ووجده ويسمون ذلك الوجد أو الذوق وهذه الأحوال أنها أعلى المقامات.

فأنت بين هؤلاء وبين هؤلاء، وبين منهج أهل الحق الذي بحمد الله تعالى جعل هذا العقل آلة للفهم، لم يهمشه، ولم يلغه، ولم يرفعه فوق قدره، وإنما ربطه بالوحي.

وبالتالي نجد أن أهل السنة بحمد الله تعالى كما قال عنهم بعضهم: أعرف الناس بالحق، ونجد أن صاحب السنة في خضوعه، وفي عبوديته، إنما هو عبد لله عز وجل، وليس عبدًا الرجال، ولا عبدًا لأهواء الرجال، فهو متحرر من هذه القيود الباطلة والفاسدة، ولم يرتبط إلا بعبودية الواحد الأحد سبحانه وتعالى.



فإذًا نحن أمام دين جاء من عند الله عز وجل، ولم يوضع من عقول الرجال، وكما قال علي رضي الله عنه :"لو كان هذا الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه"[١٣٧٢].

دين نتعبد الله عز وجل به، فأمرنا بأن نمسح على ظاهر الخف ولم يأمرنا بأن نمسح على أسفله.

فعلى هذا نعلم مدى وسطية أهل السنة في هذا الباب.

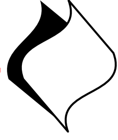
وعلينا أن نأخذ دين الله عز وجل من كلام الله وكلام رسوله، ووفق فهم سلف هذه الأمة كما أمرنا الله عز وجل، وأمرنا نبيه صلى الله عليه وسلم أن نتبع سبيلهم، وأن نسير على نهجهم.

ولو قال قائل كلامًا يخالف كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فما علينا إلا أن تضرب به عرض الحائط، لأنه خالف قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، وخالف ما كان عليه السلف الصالح.

فبهذا نرتبط فكرًا، وإرادة وشعورًا، فارتباطنا بالواحد الأحد حبًا، وخوفًا، ورجاء، وتوكلاً، وإخلاصًا، وإنابة، فلا نرتبط بشخص فلان من الناس، بل حتى إذا أحببنا فحبنا تبع لحب الله عز وجل، بل إذا أبغضنا يكون هذا البغض تبعًا لبغض الله عز وجل: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا هو، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى أو يقذف في النار[١٣٧٣])).

١٣٧٢ انظر سنن أبي داود (١٦٢)، والدارمي (٧٤٢)، والإمام أحمد في المسند مسند الخلفاء الراشدين (١٢٦٤)، قال الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح الجزء الأول، صفحة (١٦٣): صحيح.

١٣٧٣ انظر صحيح البخاري كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ برقم (١٦)، ومسلم كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ (٤٣)، والترمذي (٢٦٢٤)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، والنسائي (٤٩٨٧)، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة (١٢٠٠٢).



فارتباط المؤمن فكرًا وإرادة بالواحد الأحد سبحانه وتعالى، وبوحيه المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم. فإذا سار على هذا النهج تخلص من أوهام وقيود أهل الباطل، فأصبح بعد ذلك لا يخضع لبشر من البشر، وإنما خضوعه وعبوديته لله عز وجل وحده.

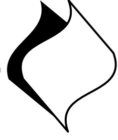
وهذا لا يجد متعته إلا صاحب السنة، أما أصحاب البدع فتجدهم إما قد تعلقت عقولهم بآراء الرجال، أو تعلقت مشاعرهم بأهواء الرجال، فانحرف أولئك عن هذا الطريق.

ولذلك تجد عند أهل الباطل أن عامتهم كقطيع الغنم في غاية الجهل بدين الله عز وجل، وهذا الجهل يجعلهم أتباعًا وأذلة عند شيوخهم وعند ساداتهم، فملكوهم عقولهم، بل وملكوهم أموالهم، بل وملكوهم أعراضهم، بل وملكوهم دينهم، فأصبحوا مسلوبين في كل هذه الأمور.

أما صاحب السنة فهو في عزة، فإنه إذا قيل له شيء أو أمر بشيء فإنه إذا كان ذلك الشيء موافقًا لكلام الله ورسوله فلأنه كلام الله ورسوله، وإن كان مخالفًا فهو مضروب به عرض الحائط كما قال الأئمة في ذلك، كما قال ذلك مالك، وكما قال ذلك الشافعي، وكما تواصت به علماء هذه الأمة. يقول الإمام مالك: "كلاً يؤخذ من قوله ويرد، إلا صاحب هذا القبر"[١٣٧٤]. على هذا تربي صاحب السنة ونشأ، وهذا الإمام ينشئ، ويربي ذلك الجيل على هذه النظرة، وعلى هذا تنشأ الأجيال جيلًا بعد جيل.

فالدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى، ولم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، أي: كن من المتيقنين الجازمين أن هذا الدين إنما جاء من عند الله تعالى؛ لأنه أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد نزل عليه القرآن وأوحى إليه السنة كذلك لأنها وحي، أي ليس على رأيي ولا على رأي فلان، وإنما هو دين، والدين من الوحي، وهو من قبل الله عز وجل ولم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، فعقول الرجال وآرائهم لم يجعلها الله هي الميزان الذي يرجع إليه، وإنما

١٣٧٤ انظر: موطأ مالك الجزء الأول، صفحة (٢٥١)، والمدخل لابن الحاج الجزء الأول، صفحة (١٧٥).



الميزان كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لأن الحق لا يعرف بعقول الرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق.

فاعرف الحق تعرف أهله، ولقد أمر الله تعالى المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، وهذا يوجب تقديم السمع، وهذا هو الواجب إذ لو ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم لم يزد هذا الرد إلا اختلافا واضطرابا، وشكا وارتيابا.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩] . وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين"[١٣٧٥].

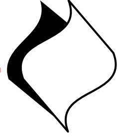
ويقول الإمام إسماعيل الأصبهاني رحمه الله: "فإنا وجدنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في أحكام الدين فلم يفترقوا، ولم يصيروا شيعا لأنهم لم يفارقوا الدين، ونظروا فيما أذن لهم، فاختلفت أقوالهم وآراؤهم في مسائل كثيرة... وكانوا مع هذا الاختلاف أهل مودة ونصح، وبقيت بينهم أخوة الإسلام ولم ينقطع منهم نظام الألفة"[١٣٧٦]

ولذلك قال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣].

فأنزل الله الكتاب حاكماً بين الناس فيما اختلفوا فيه، إذ لا يمكن الحكم بين الناس في موارد النزاع والاختلاف على الإطلاق إلا بكتاب منزل من السماء، ولا ريب أن بعض الناس قد يعلم بعقله ما لا يعلمه غيره، وإن لم يمكنه بيان ذلك لغيره، ولكن ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط.

١٣٧٥ ((الفتاوى)) (٤٢/٩٥).

١٣٧٦ الحجة في بيان المحجة (ص٢٤١) باختصار.



وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموفق للشرع.

وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك، ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه: إما حديث موضوع، أو دلالة ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول؟

ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمجالات العقول بل بمجاراة العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته[١٣٧٧].

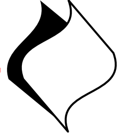
ولا تتبع شيئًا بهواك"، لأن الهوى هو الذي أضل من أضل من الناس فبسبب اتباع الهوى، هوى في النفس، أو هوى في الرأي، انحرف من انحرف وضل من ضل في هذا الباب، قال تعالى:﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦] فعلم أن الهوى طريق مخالف لسبيل الله.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم خط خطًا، وخط من جانبه خطوط، وقال: «هذا صراط الله مستقيمًا"، ثم قال: «وهذه السبل، وعلى كل سبيل منها شيطان[١٣٧٨]« ثم تلا قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] أمور نقرأها في كلام الله عز وجل، فبالله كيف نخالفه؟ وكيف نحيد عنها؟

فلا تتبع الهوى فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام، فإنه لا حجة لك" نعم، والله لا عذر لنا، ولا حجة لنا والعلة في ذلك كما ذكر المصنف

١٣٧٧ بتصرف موسع، انظر درء تعارض العقل والنقل (١ / ١٤٦).

١٣٧٨ انظر سنن الدارمي (٢٠٨)، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة (٤١٤٢)، قال الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح الجزء الأول، صفحة (٥٨): حسن.



"فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته السنة، وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة، وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله"

نعم ليس الحق بكثرة الناس ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، فأهل الحق قد يكونون قلة لكن السواد الأعظم هم الحق وأهله.

[البعث بعد الموت]

[٩]. قال المصنف–رحمه الله–:

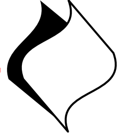
"ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل؛ من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل، والإجابة عن المسائل، إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم،

الشرح

أول مراحل الحياة الآخرة حياة البرزخ وعذاب القبر ونعيمه، ثم بعد ذلك يأتي البعث، ويسبق البعث النفخ.

البعث بعد الموت: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله سيبعث الناس بعد موتهم، ويُعيد إليهم أرواحهم، وذلك للحساب والجزاء.

دلَّ على ذلك الأدلة المتوافرة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين، بل واليهود والنصارى وكل الشرائع السماوية السابقة.



عظم الله أمر الإيمان باليوم الآخر وقرنه بالإيمان به، فقال تعالى: (يؤمنون بالله وباليوم الآخر)، فجمع بين الإيمان به عز وجل والإيمان باليوم الآخر لعظيم حقه وهو ركن من أركان الإيمان فنؤمن باليوم الآخر بجميع ما يتعلق به

ومن الأدلة على إثبات البعث

أولًا: من القرآن.

قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: الآية: ١٧٧].

قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: الآية: ٢٩]

قال تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)} [الرعد: ٢].

قال تعالى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الروم: ١١]،

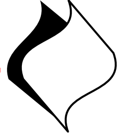
قال تعالى: {وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا} [النور: ٦٤].

ثانيًا: من السنة:

ما جاء في حديث جبريل–عليه السلام–؛ أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: ((أن تُؤمن باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِر، وتُؤمن بالقَدَرِ؛ خَيْرِه وشَرِّه)).[١٣٧٩] ، وفي رواية: ((والبَعْث بعدَ الموْتِ)).[١٣٨٠]

١٣٧٩ أخرجه البخاري (٥٠) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٨) من حديث ابن عمر.

١٣٨٠ أخرجها ابن حبان في «صحيحه» (١/ ٣٨٩) (١٦٨) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٧٢) (٣٠٤٤٥)، وصححها الألباني في «التعليقات الحسان» (١٦٨).



عن ابنِ عبَّاس-رضي الله عنهما-، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ((أيُّها النَّاس، إنَّكم مَحْشُورُونَ إلى الله حُفَاة عُرَاة غُرْلًا، {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: الآية: ١٠٤]، ثُمَّ إنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكسى يوم القيامة إبراهيمُ)).[١٣٨١]

ويوم البعث يخرج الإنسان من قبره فيجد ملكًا من قِبَل الله يأخذه ويوقفه في المكان الذي يريده الله له، أو يسوقه إلى موقفه المناسب قال تعالى: {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} [ق: الآية: ٢١].

عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قوله: {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} قال: "السائق من الملائكة، والشهيد: شاهد عليه من نفسه" .[١٣٨٢]

وروي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم. [١٣٨٣]

ثالثًا: الإجماع.

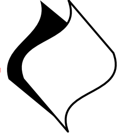
روي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم.[١٣٨٤]

١٣٨١ أخرجه البخاري (٤٧٤٠) ومسلم (٢٨٦٠).

١٣٨٢ انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٨).

١٣٨٣ رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٦)

١٣٨٤ رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٦)



قال ابن حزم: "اتفقوا أن البعث حق، وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا". [١٣٨٥]

وقال: "البعث حق، والحساب حق،... يجمع الله تعالى يوم القيامة بين الأرواح والأجساد، كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عن الإسلام". [١٣٨٦]

وقال ابن حزم: "اتفق جميع أهل القبلة –على تنابذ فرقهم– على القول بالبعث في القيامة، وعلى تكفير من أنكر ذلك". [١٣٨٧]

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

أولًا: الحرص على طاعة الله تعالى؛ رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته، خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

ثانيًا: تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا، ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.[١٣٨٨]

الذين خالفوا في مسألة البعث:

قال ابن حزم: "فمن قال: إن الأرواح أعراض فانية، أو قال: إنما تنتقل إلى أجسام أخر؛ فهو منسلخ من إجماع أهل الإسلام؛ لخلافه القرآن والسنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم والإجماع، ... وهو قول أهل التناسخ، وهو كفر بلا خلاف، وكذلك من أنكر إحياء العظام والأجساد يوم القيامة، أو أنكر البعث؛ فخارج عن دين الإسلام بلا خلاف من أحد من الأئمة". [١٣٨٩]

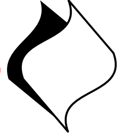
١٣٨٥ ينظر: ((مراتب الإجماع)) (ص: ١٧٥).

١٣٨٦ ينظر: ((الدرة)) (ص: ٣١١).

١٣٨٧ ينظر: ((الفصل)) (٤/٦٦).

١٣٨٨ «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» (٣/ ٢٦٠).

١٣٨٩ ينظر: ((الدرة)) (ص: ٣١٥).



وقال ابن عبد البر: "قد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث، فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما يغني ويكفي، مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت؛ فلا وجه للإنكار في ذلك".[١٣٩٠]

وقال الغزالي: "فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع؛ كالذي ينكر حشر الأجساد، وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام، واستبعادات من غير برهان قاطع، فيجب تكفيره قطعيا؛ إذ لا برهان على استحالة رد الأرواح إلى الأجساد، وذكر ذلك عظيم الضرر في الدين؛ فيجب تكفير كل من تعلق". [١٣٩١]

وقال عياض: "وكذلك نقطع على كفر من قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص، وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها". [١٣٩٢]

وقال أيضا: "كذلك من أنكر الجنة أو النار، أو البعث أو الحساب أو القيامة؛ فهو كافر بإجماع؛ للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا، وكذلك من اعترف بذلك، ولكنه قال: إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره، وأنها لذات روحانية، ومعان باطنة، كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة، وزعم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة". [١٣٩٣]

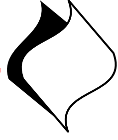
وقال ابن تيمية: "طوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بيانا في غاية التمام والكمال.

١٣٩٠ ينظر: ((التمهيد)) (٩/١١٦).

١٣٩١ ينظر: ((مجموعة رسائل الإمام الغزالي)) (ص: ٢٤٦).

١٣٩٢ ينظر: ((الشفا)) (٢/ ٢٨٣).

١٣٩٣ ينظر: ((الشفا)) (٢/ ٢٩٠).



وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة؛ فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون: هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ... وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان؛ فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد بين ذلك بيانا شافيا قاطعا للعذر". [١٣٩٤]

فالقرامطة الباطنية والفلاسفة أتباع المشائين، ونحوهم من الملاحدة ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر". [١٣٩٥]

فهذه الطوائف نفت ما دلت عليه نصوص المعاد، من البعث والنشور والجزاء على الأعمال، كما نفت ما دلت عليه نصوص الصفات من نعوت الجلال وأوصاف الكمال، وهذا ضلال صراح وكفر بواح، وهؤلاء هم الغلاة، من القرامطة والباطنية الإسماعيلية، والفلاسفة المشائين.

فالقرامطة معتقدهم في اليوم الآخر: أنهم كلهم أنكروا القيامة، وقالوا: هذا النظام، وتعاقب الليل والنهار، وتولد الحيوانات لا ينقضي أبدا. وأولوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الإمام، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ولا الجنة ولا النار. [١٣٩٦]

أما الجهمية والمعتزلة فهم يؤمنون بالبعث مع خلل في بعض مسائل المعاد كمسائل عذاب القبر، وكذلك الشفاعة، وفناء الجنة والنار، وغيرها من المسائل التي تتعلق باليوم الآخر.

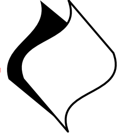
[الصراط والميزان ونشر الصحف]

قال المصنف-رحمه الله-:

١٣٩٤ ينظر: ((مجموع الفتاوى)) (٤/ ٣١٣)..

١٣٩٥ ينظر: ((مجموع الفتاوى)) (٣١٣/٤).

١٣٩٦ القرامطة لابن الجوزي (ص: ٦٠).



"والمقام الهائل من الصراط والميزان، ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر، وغيرها".

الشرح:

أولًا: شرح قول المصنف: "والمقام الهائل".

الشرح

اختلف أهل العلم في ترتيب أهوال يوم القيامة, تبعا لاختلافهم في الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب، لكن الذي عليه جمهور علماء أهل السنة والجماعة أن ترتيب أحداث ذلك اليوم يكون على النحو الآتي:

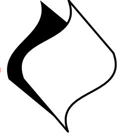
أولا: إذا مات ابن آدم قامت قيامته، لأن البرزخ هو أول منازل الآخرة؛ فإن نجى منه العبد فما بعده أيسر منه؛ وهو إما روضة من رياض الجنة,أو حفرة من حفر النار, فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق مات كل من في السموات والأرض إلا من شاء الله.

ثانيا: ثم ينفخ في الصور نفخة البعث؛ فتعاد الأرواح إلى أجسادها التي يبعثها الله تعالى من عظم عجب الذنب, ويقوم الناس من قبورهم إلى أرض المحشر {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم: الآية: ٤٨].

ثالثا: إذا بُعث الناس وقاموا من قبورهم ذهبوا إلى أرض المحشر، ثم يقومون في أرض المحشر قياماً طويلا، تشتد معه حالهم وظمؤُهُم، ويخافون في ذلك خوفًا شديدًا؛ لأجل طول المقام، ويقينهم بالحساب، وما سيُجري الله-عز وجل-عليهم.

فيقف الناس في أرض المحشر حفاة عراة غرلا، وتدنوا منهم الشمس قدر ميل, ويلجمهم العرق كل بحسب عمله، ولكن الله يخفف على عباده المؤمنين في ذلك اليوم الذي مدته خمسون ألف سنة -وبحسب إيمان كل منهم- بجملة أمور منها:

١- أن عرقهم يقل تبعا لقلة ذنوبهم وكثرة طاعاتهم.



٢- أنه يظل طائفة منهم في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

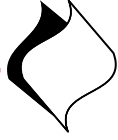
٣- يخفف على عباده المؤمنين طول ذلك اليوم حتى أنه ليكون بالنسبة للمؤمن كتدلِّي الشمسِ للغروبِ إلى أن تغربَ.

٤- أنه يقيم لهم الحوض الذي من شرب منه شربة لم يضمأ بعدها أبدا. فإذا طال المقام رَفَعَ الله-عز وجل- لنبيه-صلى الله عليه وسلم-أولًا حوضه المورود، فيكون حوض النبي-صلى الله عليه وسلم-في عرصات القيامة، إذا اشتد قيامهم لرب العالمين، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. فمن مات على سنّته، غير مُغَيِّرٍ ولا مُحْدِثٍ ولا مُبَدِّلْ: وَرَدَ عليه الحوض، وسُقِيَ منه، فيكونُ أول الأمان له أن يكون مَسْقِيًا من حوض نبينا-صلى الله عليه وسلم-، ثم بعدها يُرْفَعُ لكل نبي حوضه، فيُسْقَى منه صالح أمته.

رابعا: ثم يقوم الناس مقاما طويلا حتى يتعجلون الحساب؛ فيسألون الأنبياء واحدا تلو الآخر ان يشفعوا لله تعالى كي يقيم الحساب كما في الحديث الطويل المعروف: أنهم يسألونها آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم، إلى آخره،؛ فيعتذر كل منهم حتى يأتون نبينا-صلى الله عليه وسلم-فيسألونه أن يشفع لهم عند الله في الحساب، ثم تكون الشفاعة العظمى، شفاعة النبي-صلى الله عليه وسلم- بأن يُعَجِّلَ الله-عز وجل-حساب الخلائق، فيأتون إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-ويقولون له: يا محمد، ويصِفُونَ له الحال، وأن يسأل الله تعالى أن يقي الناس الشدة بسرعة الحساب، فيقول-صلى الله عليه وسلم-بعد طلبهم اشفع لنا عند ربك، يقول أنا لها، أنا لها، فيأتي فيسجد عند العرش فيحمد الله-عز وجل-بمحامد يفتحها الله-عز وجل-عليه، ثم يقال: ((يا محمد ارفع رأسك، وسل تُعْطَ واشْفَعْ تُشَفَّعْ))، فتكون شفاعته العظمى في تعجيل الحساب.

خامسًا: ثم يبدأ عرض الأعمال على الأمم والعباد, وأول هذه الأمة عرضا هم أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-؛ فتعرض أعمال هذه الأمة عليها, وتعرض أعمال كل واحد منهم عليه.

سادسًا: وبعد الحساب الأول تتطاير الصحف، والحساب الأول من ضمن العرض؛ لأنه فيه جدال ومعاذير، ثُمَّ بعد ذلك تتطاير الصحف، ويُؤْتَى أهل اليمين كتابهم باليمين، وأهل الشمال كتابهم بشمالهم، فيكون قراءة الكتاب.



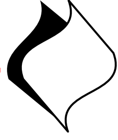
سابعًا: ثم بعد قراءة الكتاب: يكون هناك حساب أيضًا لقطع المعذرة، وقيام الحجة بقراءة ما في الكتب.

ثامنًا: ثم يوضع الميزان؛ ليوزن عمل كل إنسان، وعلى قدر رجحان طاعاته على سيئاته يكون ميل كفة الميزان لصالحه، والعكس كذلك, وبمقدار رجحان الميزان يكون الجزاء والوفاء, لأنه ميزان عدل وقسط، لا يغادر مثقال ذرة من خير أو شر..

تاسعًا: ثم بعد الميزان ينقسم الناس إلى طوائف وأزواج؛ أزواج بمعنى كل شكل إلى شكله، وتُقَامُ الألوية – ألوية الأنبياء– لواء محمد صلى الله عليه وسلم، ولواء إبراهيم، ولواء موسى إلى آخره، فيأتي النبي ومعه الرجل, والنبي ومعه الرجلان, والنبي ومعه الرهط, والنبي وليس معه أحد, وأكثر تلك الأمم رهطا في ذلك اليوم هم أمة نبينا–صلى الله عليه وسلم–.

ويتنوع الناس تحت اللواء بحسب أصنافهم، كل شَكْلٍ إلى شكله. والظالمون والكفرة أيضاً: يُحْشَرُونَ أزواجاً، يعني متشابهين كما قال: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ} [الصافات: الآيتان: ٢٢–٢٣]؛ يعني بأزواجهم: أشكالهم ونُظَرَاءَهُمْ، فيُحْشَرْ علماء المشركين مع علماء المشركين، ويُحْشَرْ الظلمة مع الظلمة، ويُحْشَرْ منكرو البعث مع منكري البعث، وهكذا، وكما في حديث أبي سعيد الخدري: [إذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ ما كَانَتْ تَعْبُدُ، فلا يَبْقَى مَن كانَ يَعْبُدُ غيرَ اللَّهِ مِنَ الأصْنَامِ والأنْصَابِ، إلَّا يَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ]..

عاشرًا: ثُمَّ بعد هذا يَضْرِبُ الله–عز وجل–الظُّلمة قبل جهنم والعياذ بالله، ثم يصير الناس في الظلمة, وينصب الصراط على متن جهنم، فحينئذ ترى المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيمشون بأيمانهم ونورهم ، كل على قدر إيمانه، وأما المنافقون فلا نور لهم يمشون به؛ فيسعون خلف المؤمنين ليقتبسوا من نورهم, فيضرب الله تعالى بينهم بسور له باب فيحجزهم عنهم, كما قال تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ



اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [الحديد: الآيات: ١٢ - ١٥].

فيلحق المنافقون بإخوانهم الكافرين إلى نار جهنم خالدين فيها وبئس المصير.

الحادي عشر: ثم يأتي النبي صلى الله عليه وسلم أولًا ويكون على الصراط، ويسأل الله–عز وجل–له ولأمته فيقول: اللهم سلّم سلم، اللهم سلّم سلم؛ فَيَمُرْ صلى الله عليه وسلم، وتَمُرُّ أمته على الصراط، كُلٌ يمر بقدر عمله، ومعه نور أيضاً بقدر عمله، فيمضي مَنْ غَفَرَ الله–عز وجل–له، ويسقط في النار، في طبقة الموحّدين، من شاء الله–عز وجل–أن يُعَذبه.

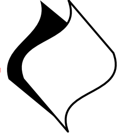
ثم يجتاز أتباع الرسل الصراط وهو شديد الظلمة، أدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فيه خَطاطِيفُ وكَلالِيبُ وحَسَكٌ، ويجتازه كل أحد من الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يجتازه كلَمْحِ البَرْقِ، ثم كمرِّ الريحِ، ثم كَحضرِ الفرسِ، ثم كالراكِبِ في رَحْلِه، ثمَّ كشَدِّ الرجُل، ثم كمَشْيِه, ومنهم من يزحف زحفا.

ولشدة ظلمة الصراط فإن الله تعالى يجعل لعباده نورا على قدر أعمالهم يتمكنون به من اجتياز الصراط, ويكون شدة نور كل منهم بقدر إيمانه في الدنيا؛ فمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مثل الجَبَلِ العَظِيمِ ومنهم من يُعْطَى نُورَهُ على إِبْهامِ قَدَمِهِ ، يُضِيءُ مرةً ، ويطفأُ مرةً ، فإذا أَضَاءَ قَدَمَهُ قدمٌ ومَشَى، وإذا طُفِيءَ قامَ.

ثم أنهم بعد مرورهم على الصراط إما: ناج سالم, أو ناج مجروح بالكلاليب على قدر ذنوب كل منهم، وإما من لا تسعفه أعماله فتخطفه الكلاليب إلى نار جهنم, وهم المعذبون من أتباع الرسل.

ثم إذا انتهوا من النار: اجتمعوا في عَرَصَات الجنة، يعني في السّاحات التي أعدها الله–عز وجل–لأن يقْتَصَّ أهل الإيمان بعضهم من بعض، ويُنْفَى الغل حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل.

الثاني عشر: ثم إذا اجتاز الناجون الصراط وقفوا على باب الجنة؛ فلا تفتح أبوابها إلا للنبي–صلى الله عليه وسلم–؛ فإذا فتحت أبواب الجنة كان النبي–صلى الله عليه وسلم–أول الناس دخولا إليها، وكانت أمته أول الأمم دخولًا، فيدخل الجنة أول الأمر، بعد–النبي صلى الله عليه وسلم–: فقراء المهاجرين، وفقراء الأنصار، ثم فقراء الأمة، ويُؤَخَّر الأغنياء لأجل الحساب الذي بينهم وبين الخلق، ولأجل محاسبتهم على ذلك، ثم يتبعهم سائر الأمم.



الثالث عشر: فإذا استقر اهل الجنة فيها تذاكروا إخوانهم الذين كانوا معهم في الدنيا ممن لم يجتازوا الصراط, فاستفقدوهم فوجدوهم في النار؛ فيستشفعون لهم؛ فيشفع الله فيهم من يشاء ويرضى من الملائكة والأنبياء والصالحين؛ فيخرجون منهم من عرفوه بآثار الطاعة والعبادة, حتى إذا بقي في النار من الموحدين ممن لم يعمل خيرا قط؛ يشفع الجبار فيهم فيخرجهم من النار بغير عمل عملوه ولا خير قدموه, فيدخلهم الجنة, ويعطيهم الدنيا وعشر أمثالها معها, ويبقى في الجنة فضلة ينشيء لها أقواما فيسكنهم إياها برحمته وفضله.

الرابع عشر: ثم ينادي مناد بعد ذلك و[يُقالُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لا مَوْتَ، ولِأَهْلِ النَّارِ: يا أهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لا مَوْتَ].

الخامس عشر: ثم يكون لأهل الجنة ما يشاؤون فيها من النعيم المقيم الدائم, وزيادة ذلك النظر إلى وجه الله تعالى، وهو أعظم نعيم وأكمله". [١٣٩٧]

ثانيًا: شرح قول المصنف: "من الصراط".

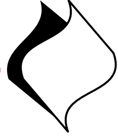
قال ابن القيم-رحمه الله-: "ولا ريب أن كل من له التفات إلى سنة رسول الله صلى الله وعليه وسلم واعتناء بها يشهدون شهادة جازمة أن المؤمنين يرون ربهم عيانا يوم القيامة، وإن قومًا من أهل التوحيد يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة، وأن الصراط حق، وتكليم الله لعباده يوم القيامة كذلك"[١٣٩٨]

وروي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: "السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم". [١٣٩٩]

١٣٩٧ انظر: "شرح الطحاوية" (ص: ٥٤٢) بترقيم الشاملة / للشيخ صالح آل الشيخ، بتصرف.

١٣٩٨"مختصر الصواعق للموصلي" ٤٨٠.

١٣٩٩ رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٦)



وقال شيخ الاسلام: "إذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول مما ينكره بعض أهل البدع كعذاب القبر وسؤال منكر ونكير وكالصراط والشفاعة" [١٤٠٠].

ففي حديث أبي بكرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يحمل الناس على الصراط، فينجي الله من شاء برحمته ثم يؤذن للملائكة، والنبيين، والشهداء، والصديقين فيشفعون)) الحديث[١٤٠١].

والصِّراط: جِسر منصوب على مَتن جهنم بين الجَنَّة والنَّار، يَمُرُّ النَّاسُ عليه على قَدْرِ أعمالِهِم.

قال السفاريني رحمه الله: "والصراط شرعًا: جِسر ممدود على مَتن جهنم يَرده الأولون والآخرون، فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار، وخُلِق مِن حين خُلِقت جهنم". [١٤٠٢]

وفي قوله سبحانه وتعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: الآيتان: ٧١، ٧٢].

قال الشيخ السعدي: "هذا خطابٌ لسائر الخلائق؛ بَرِّهم وفاجرهم، ومؤمنهم وكافرهم: أنَّه ما منهم مِن أحدٍ إلا سيرد النار حكمًا حَتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد مِن نفوذه، ولا محيد عن وقوعه". [١٤٠٣].

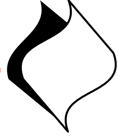
فالناس سيردون جهنم؛ لأنَّ الصراط مَنصوب على مَتْنِها.

١٤٠٠ الأصفهانية (٢/٢١٤).

١٤٠١ رواه أحمد (٥/٤٣) (٢٠٤٥٧)، والطبراني في ((المعجم الصغير)) (٢/١٤٢) (٩٢٩)، وابن أبي عاصم في ((السنة)) (ص: ٨٣٧). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/٣٦٢): رجاله رجال الصحيح، وقال السيوطي في ((البدور السافرة)) (٢٥١): إسناده صحيح.

١٤٠٢ لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢ / ١٨٩).

١٤٠٣ «تفسير السعدي» (٥٨٠).



وتختلف أحوال الناس في المرور عليه، كما جاء عن ابن مسعود-رضي الله عنه-: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يَرِدُ الناس النَّارَ، ثم يَصدرون عنها بأعمالهم؛ فأولهم كلمح البَرق، ثم كالرِّيح، ثم كحُضْر الفرس[١٤٠٤]، ثم كالرَّاكب في رَحْلِه، ثم كَشَدِّ الرَّجل ثم كمَشيه)). [١٤٠٥]

وقد جاء في وصفه أنه: صراطٌ دقيق جدًّا، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: "بَلَغني أنَّ الجسر أدق من الشعرة، وأحَدُّ من السيف". [١٤٠٦]

والصِّراط مِن عرصات وأهوال يوم القيامة، وأول مَن يجوز عليه: النبيُّ-صلى الله عليه وسلم-وأمته؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((... ويُضْرَبُ الصِّراط بين ظَهْري جَهَنَّم فأكونُ أنا وأُمَّتي أَوَّل مَن يُجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلَّا الرُّسل، ودَعوى الرُّسل يومئذ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وفي جهنم كلاليب مِثل شَوْك السَّعدان؛ هل رأيتم السَّعدان؟))، قالوا: نَعم يا رسول الله. قال: ((فإنَّها مِثل شَوك السَّعدان غَير أنَّه لا يَعلم قَدْرَ عِظَمِها إلَّا الله عز وجل، تَخطف النَّاسَ بأعمالهم، فمَنهم الموبق بعملِه، والموثق بعمله، ومنهم المخَرْدَل والمجَازَى)). [١٤٠٧]

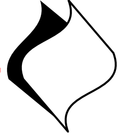
قال الإمامُ القرطبيُّ-رحمه الله تعالى-: "فَتَفَكَّر الآن فيما يَحِلُّ بك من الفَزع بفؤادك إذا رأيتَ الصِّراط ودِقَّتَه، ثُمَّ وَقَعَ بصرُك على سَوَادِ جَهنم من تحته، ثم قَرَعَ سَمْعَك شَهِيقُ النارِ وتَغَيُّظُها، وقد كُلِّفْت أن تَمشي على الصِّراط مع ضَعف حالك، واضطراب قلبِك، وتَزَلْزُلِ قَدَمِك، وثِقَل ظَهْرك بالأوزار المانعة لك مِن المشي على بساط الأرض فضلًا عن حِدَّة الصِّراط، فكيف بك إذا وَضَعْتَ عليه إحدى رِجليك فَأَحْسَسْتَ بِحِدَّتِه، واضطررت إلى أن تَرفع القَدَم الثاني، والخلائق بين يديك يَزِلُّون ويَعثرون، وتتناولهم زبانيةُ النَّار

١٤٠٤ أي: جريه، وهو العَدْوُ الشَّديد.

١٤٠٥ أخرجه الترمذي (٣١٥٩)، والدارمي (٢٨٥٢)، وقال: «حديث حسن»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٥٢٦).

١٤٠٦ أخرجه مسلم (١٨٣).

١٤٠٧ أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).



بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فَتَسْفُل إلى جهة النار رُءوسهم، وتَعْلُو أَرْجُلُهم؛ فَيَا له مِن مَنظر ما أَفْظَعَه! ومُرْتَقًى ما أَصْعَبَه! ومَجاز ما أَضْيَقَه!". [١٤٠٨]

ومع كل هذا فالمؤمن يمر عليه مرورًا سريعًا جدًّا.

ولذلك لا بد أن يعلم الإنسان أنه إذا أراد اجتياز الصراط إلى الجنة: أنه مطالب بمجاهدة نفسه في هذه الحياة؛ للثبات على منهج الله، وعليه النظر فيما هو مُقدم عليه من هذه الأهوال؛ قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: الآية: ١٨]؛ وإذا كان الإنسان يحتاط جدًّا في سفر الدنيا وخاصة إذا سَمِع أن فيه مشقة، وأنه قد يُصيبه العنت فيه-فماذا قَدَّم ليوم القيامة وما فيه من كربات وأهوال؟

وليحاسب نفسه هنا: لماذا هذه الغشاوة التي على عينيه، ولماذا هذه الغفلة التي في قلبه عن هذا المصير المحتوم؟! ولماذا الركون إلى الدنيا وعدم استثمار الأنفاس فيما ينفع وينجي في هذا اليوم؟!

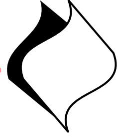
فكيف يوقن العبد بهذه الحقائق ومع ذلك يفرط في جنب الله؟!

ولماذا لا يجتهد في تحصيل مرضاة الله؟!

وليعلم كل امرئ أن نفسه إن لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل، وأن الله قد أعطاه قوة كامنة في نفسه؛ إمَّا أن يُوجهها للخير، وإما أن يوجهها للشر، ولا ينفعه يوم القيامة إلا ما قَدَّمه من أعمال صالحة في هذه الحياة صار قلبه بها سليمًا؛ كما قال الله سبحانه وتعالى عن الخليل إبراهيم عليه السلام: {وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: الآيات: ٨٧-٨٩].

فعلى حسب حال المؤمن هنا من التنافس في فعل الخيرات، والمسارعة إلى مغفرة الله-سيكون حاله في الآخرة على الصراط؛ فمن استقام على صراط الله (منهجه) في الدنيا-ثَبَّته الله على الصراط المنصوب على ظهر جهنم؛ فاللهم ثَبِّتنا وسَلِّمنا دنيا وآخرة.

١٤٠٨ «التذكرة» (ص ٢٨٩).



ثانيًا: شرح قول المصنف: "والميزان".

في هذا النص مسائل:

المسألة الأولى: معنى الميزان في اللغة[١٤٠٩]:

- **أصل الكلمة:**

أصله من مِوْزان؛ انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، وجمعه موازين.

قال الجوهري رحمه الله تعالى: "... وأصله مِوْزانٌ، انقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها... ووزنتُ الشيء وزنًا وزِنَة، ويقال: وَزَنْتُ فلانًا ووَزَنْتُ لفلان، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: ٣]، وهذا يزن درهمًا"[١٤١٠].

- **وزنها وتصاريفها**: الميزان مأخوذ من (وزن)، (يزن)، (وزنًا)، و(زنةً)، وأصله (مِوزَان) انقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها فصار (ميزان)، ويتعدَّى باللام وبدونها.

قال ابن فارس رحمه الله تعالى: "الْوَاوُ وَالزَّاءُ وَالنُّونُ: بِنَاءٌ يَدُلُّ عَلَى تَعْدِيلٍ وَاسْتِقَامَةٍ: وَوَزَنْتُ الشَّيْءَ وَزْنًا، وَالزِّنَةُ قَدْرُ وَزْنِ الشَّيْءِ، وَالْأَصْلُ وَزْنَةٌ... وَهَذَا يُوَازِنُ ذَلِكَ، أَيْ: هُوَ مُحَاذِيهِ، وَوَزِينُ الرَّأْيِ: مُعْتَدِلُهُ، وَهُوَ رَاجِحُ الْوَزْنِ: إِذَا نَسَبُوهُ إِلَى رَجَاحَةِ الرَّأْيِ وَشِدَّةِ الْعَقْلِ"[١٤١١].

- **معانيها:**

قال الليث: (الوزن ثقل شيء بشيء مثله)[١٤١٢].

والميزان: اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء، أو هو ما تُقَدَّرُ به الأشياء خفةً وثقلًا.

١٤٠٩ المصدر: الحياة الآخرة للدكتور غالب العواجي ٢/ ١٠٨٣

١٤١٠ "الصحاح للجوهري، مادة: (وزن)، (٦/ ٢٢١٣).

١٤١١ "معجم مقاييس اللغة"؛ لأحمد بن فارس مادة: (و-ز-ن)، (٦/ ١٠٧).

١٤١٢ لسان العرب ١٥/ ٢٠٦

وقد أطلقت لفظة الوزن والميزان على عدة معان:

المعنى الأول: فهو يطلق ويراد به بيان قدر الشيء وقيمته، أو خسة الشيء وسقوطه، كما قال تعالى: فلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا [الكهف: ١٠٥].

قال ابن الأعرابي: العرب تقول: (ما لفلان عندنا وزن أي قدر؛ لخسته، ويقال: وزن الشيء إذا قدره، وزن ثمر النخيل إذا خرصه)[١٤١٣].

المعنى الثاني: أن الميزان يأتي في باب اللغة مراداً به الميزان ذي الكفات.

المعنى الثالث: ويأتي مراداً به العدل أيضاً.

المعنى الرابع: كما يأتي ويراد به الكتاب الذي فيه أعمال الخلق.

ثم قال: وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ[١٤١٤].

وقال الراغب: الوزن معرفة قدر الشيء... والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان.[١٤١٥]

ثم ذكر بعض الآيات التي تدل على أنه يأتي مراداً به المعادلة في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال والأقوال، مثل قوله تعالى: وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ. [الشعراء: ١٨٢]، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ [الرحمن: ٩].

وأنه يأتي بمعنى العدل في محاسبة الناس، كما قال تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [الأنبياء: ٤٧].

- **استعمالاتها:**

١٤١٣ "تهذيب اللغة"؛ للأزهري، مادة: (و-ز-ن)، (١٣/ ١٧٥).

١٤١٤ "تهذيب اللغة"؛ للأزهري، مادة: (و ز ن)، (١٣/ ١٧٥).

١٤١٥ المفردات في غريب القرآن"؛ للراغب الأصفهاني، (ص ٨٦٨).

أما الميزان؛ فهو: (الآلة التي يوزن بها الأشياء) ويجمع على: موازين.

(وجائز أن يقال للميزان الواحد – بأوزانه وجميع آلته – الموازين، قال الله عز وجل: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [الأنبياء: ٤٧] يريد نضع الميزان ذا القسط. وسيأتي تفصيل هذا.

وجاء إطلاق الموازين على الأعمال:

كما قال تعالى: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف: ٨]

قال الأزهري: (أراد والله أعلم-: فمن ثقلت أعماله التي هي حسناته).

وذكر الراغب: (أن مجيء الميزان على صيغة الجمع تارة، ومجيئه تارة أخرى بالإفراد فإنما هو باعتبار المحاسب والمحاسبين، فمجيئه بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسب، ومجيئه بالجمع اعتباراً بالمحاسبين)

المسألة الثانية: الأدلة على ثبوت الميزان.

أولاً: الأدلة من القرآن:

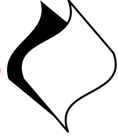
ومن أدلة الكتاب العزيز:

- وقوله: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} [الأعراف: ٨، ٩].
- وقال جل وعلا: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧.]
- وقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) ﴾ [القارعة:٦-٩]، وغير ذلك.

ثانياً: الأدلة من السنة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله-صلى الله عليه وسلم-قال: «كَلِمَتان خَفِيفتان على اللِّسان، ثَقِيلتان في الميزان، حَبِيبتان إلى الرَّحمن: سُبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.[١٤١٦]«

١٤١٦ أخرجه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤)



- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّه لَيُؤتى بالرَّجل العَظيم السَّمين يوم القيامة لا يَزن عند الله جناح بَعُوضة، وقال: اقْرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥]))[١٤١٧].
- وعن عبد الله بن عُمر أنَّ رسولَ الله-صلى الله عليه وسلم-قال: ((إنَّ الله سَيُخَلِّصُ رجلًا من أُمَّتي على رُءوس الخَلائق يوم القيامة، فَيَنْشُر عليه تِسعة وتِسعين سِجلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصر، ثُمَّ يقول له: أَتُنْكِر مِن هذا شيئًا؟ أَظَلَمَتك كَتَبَتِي الحَافظون؟ قال: لا يا رب. فيقول: أَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنة؟ فيهيب الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إنَّ لك عندنا حسنة واحدة، لا ظُلم عليك؛ فَتُخرج له بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسولُ الله. فيقول: أَحْضِروه. فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السِّجلات؟ فيُقال: إنَّك لا تُظلم. قال: فَتُوضع السِّجلات في كِفَّة والبطاقة في كِفَّة، قال: فَطاشت السِّجلات، وثَقُلت البِطاقة، ولا يَثْقُل شيءٌ بِسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ))[١٤١٨].
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّه كان يَجْني سِوَاكًا من الأَرَاك، وكان دقيقَ السَّاقين، فَجَعَلت الرِّيح تَكفؤه، فَضَحِك القومُ مِنه، فقال رسولُ الله-صلى الله عليه وسلم-: ((مِمَّ تَضْحَكُون؟)). قالوا: يا نَبيَّ الله مِن دِقَّة سَاقيه. فقال: ((والَّذي نَفْسِي بيدِه لَهُما أثقلُ في الميزان مِن أُحُدٍ))[١٤١٩].
- وعن أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم-صلى الله عليه وسلم-: ((الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تَمْلَأُ الميزانَ))[١٤٢٠].

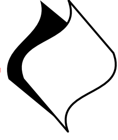
ثالثاً: دليل الإجماع:

١٤١٧ أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥).

١٤١٨ أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٣) (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٥).

١٤١٩ أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١١٤) (٩٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٦٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٥٠).

١٤٢٠ أخرجه مسلم (٢٢٣).



فقد أجمع السلف على ثبوت ذلك.

قال ابن حجر: قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال؛ ليرى العباد أعمالهم ممثلةً ليكونوا على أنفسهم شهداء.

قال القرطبي: «قد بلغت أحاديثه–أي: الميزان–مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه»[١٤٢١].

- وقال في موضع آخر: «أَجْمَعَ أكابرُ مُحَقِّقي هذه الأمة من أهل السُّنَّة بأنَّ الإيمان بثبوت الوزن والميزان حقٌّ واجبٌ وفَرْضٌ لازبٌ لِثُبوته، وعدم استحالة ذلك عقلًا»[١٤٢٢].
- قال السفاريني رحمه الله تعالى: "فَقَدْ دَلَّتِ الْآثَارُ عَلَى أَنَّهُ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ ذُو كِفَّتَيْنِ وَلِسَانٍ. ..وَقَدْ بَلَغَتْ أَحَادِيثُهُ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ، وَانْعَقَدَ إِجْمَاعُ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْه"[١٤٢٣]

المسألة الثالثة: معنى الميزان في الشرع.

الميزان في الشرع: هو ما يضعُه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

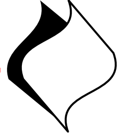
والميزان الذي تُوزن بِهِ الأعمال هو: ميزان حسيٌّ حقيقي، له كفتان، وفي بعض الروايات: "ولسان"، والميزان عند أهل السنة ميزانٌ حقيقي توزن به أعمال العباد، وخالف في هذا القول المعتزلة وقلة قليلةٌ من أهل السنة.

أقوال علماء الأمة:

١٤٢١ «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٨٤، ١٨٥).

١٤٢٢ «لوائح الأنوار السنية» (٢/ ١٧٩).

١٤٢٣ لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٥).



- قال السَّفارينيُّ: «قال علماؤنا كغيرهم: نُؤمن بأن الميزان الذي تُوزن به الحسنات والسيئات حقٌّ، قالوا: وله لسان وكفتان تُوزن به صحائف الأعمال؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: تُوزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة.
- قال العلامة الشيخ مرعي في «بهجته»: الصحيح: أنَّ المراد بالميزان: الميزان الحقيقي لا مجرد العدل، خلافًا لبعضهم.
- وقال القرطبي في «تذكرته»: «قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها». [١٤٢٤]

الذين خالفوا قول الجمهور في الميزان:

قال ابن فورك: أنكرت المعتزلة الميزان، بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها؛ إذ لا تُقَوَّم بأنفسها. قال: وروى بعض المتكلمين عن ابن عباس: "أن الله تعالى يقلب الأعراض أجسامًا، فيزنها"، وقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء، وعَزَا الطبري القول بذلك إلى مجاهد، والراجح ما ذهب إليه الجمهور، وهو أن الميزان ميزان حقيقي توزنُ بِهِ أعمالُ العباد.[١٤٢٥]

المسألة الرابعة: صفات الميزان.

الواقع أن العلماء لم يتفقوا على إثبات أوصاف الميزان–وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الجوانب في وجوب الإيمان بالميزان، ومواقف الناس في ذلك–وأما خلافهم في ثبوت صفاته فقد انقسموا إلى فريقين:

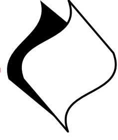
١–أما الفريق الأول: فهم المثبتون لصفات الميزان الحسية، من أن له كفتين... إلى آخر أوصافه، وهؤلاء وإن أثبتوا هذا لكنهم يرجعون صفة تلك الكفات واللسان إلى علم الله تعالى.

٢–أما الفريق الآخر: فهم النافون لتلك الصفات.

وسنذكر رأي الفريقين فيما يلي: –

١٤٢٤ «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٨٤، ١٨٥).

١٤٢٥ انظر: التذكرة (ص٣٠٩).



(١) المثبتون لصفات الميزان:

يثبت هؤلاء–وهم جمهور العلماء–أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان، وله لسان كذلك.

يقررون هذه الحقيقة غير ملتفتين إلى من تشمئز قلوبهم من سماعها، لعدم قبول عقولهم لها، وعدم تفهم ما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في ذلك. ذلك أن الحق ضالة المؤمن، وما ورد به الشرع هو الذي ينبغي أن يقدم على هوى النفس وحكم العقل.

وسنذكر فيما يلي بعض أقوال هؤلاء كأمثلة على ثبوت ما ذكرنا.

قال القرطبي–ردًّا على من ينكر الميزان، ويؤول الوزن بأنه من ضرب المثل، وأن الوزن يراد به العدل والقضاء– قال: (وهذا مجاز. وليس بشيء، وإن كان شائعاً في اللغة — للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي، ووصفه بكفتين ولسان، وأن كل كفة منها طباق السموات والأرض)[١٤٢٦].

ويعزو القرطبي إلى ابن عباس أنه قال: (توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان) [١٤٢٧].

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس أنه قال: (الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات، فيؤتى بالحسنات في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان، فتثقل على السيئات؛ فتؤخذ فتوضع في الجنة... ويؤتى بالسيئات في أقبح صورة فتوضع في كفة الميزان فتخف...)[١٤٢٨].

ويقول ابن قدامة: (والميزان له كفتان ولسان، توزن به الأعمال، فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣])[١٤٢٩].

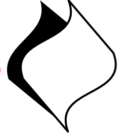
ويقول أبو الحسن الأشعري في معرض بيانه لاختلاف الناس في الميزان ومبيناً رأي أهل السنة: فقال أهل الحق: (له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حسناته؛

١٤٢٦ التذكرة، ص٣٧٨.

١٤٢٧ التذكرة، ص٣٧٨.

١٤٢٨ الدر المنثور، (٣/ ٧٠)

١٤٢٩ ابن قدامة في لمعة الاعتقاد، ص٣٣.



دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته، تفضل الله عليه فأدخله الجنة)[١٤٣٠].

ويثبت ابن كثير أن للميزان كفتين حسيتين، ويستدل على هذا من السنة بحديث صاحب البطاقة المشهور وغيره من الأحاديث[١٤٣١] .

وأخرج الطبري عن ابن جريج قال: قال لي عمرو بن دينار: (قوله: وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ [الأعراف: ٨] قال: إنا نرى ميزاناً وكفتين، سمعت عبيد بن عمير يقول: يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان، ثم لا يقوم بجناح ذباب)[١٤٣٢]. وهو القول الذي رجحه الطبري أيضاً.

ويقول ابن أبي العز: (والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان)[١٤٣٣] .

وقال أبو إسحاق الزجاج –كما نقل عنه الحافظ ابن حجر: (أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال)[١٤٣٤] .

ويقول السفاريني: (فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس، والحسن البصري، وصرح بذلك علماؤنا، والأشعرية وغيرهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه)[١٤٣٥] .

١٤٣٠ المقالات، (٢/ ١٦٤)

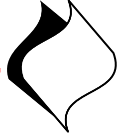
١٤٣١ النهاية، (٢/ ٢٤).

١٤٣٢ جامع البيان، (٨/ ١٢٣).

١٤٣٣ الطحاوية، ص ٤٧٢.

١٤٣٤ نقله عنه الحافظ ابن حجر في، فتح الباري، (١٣/ ٥٣٨).

١٤٣٥ لوامع الأنوار، (٢/ ١٥٢).



ويقول البرديسي: (وانعقد الإجماع على أنه ميزان حسي له كفتان ولسان يوضع فيه صحف أعمال العباد ليظهر الرابح والخاسر)[١٤٣٦] .

ويروى من طريق عبد الملك بن أبي سليمان أنه قال: (ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان)[١٤٣٧] .

وعن سليمان قال: (يوضع الميزان وله كفتان، لو وضع في إحداهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعته)[١٤٣٨] .

ويقول الهراس: (وهناك تنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد، وهي موازين حقيقية كل ميزان منها له لسان وكفتان، ويقلب الله أعمال العباد – وهي أعراض – أجساماً لها ثقل، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة)[١٤٣٩] .

ونقتصر في إثبات أن الميزان له لسان وكفتان على ما قدمناه من ذكر أقوال العلماء.

وبهذا يتبين أن أهل الحق – أهل السنة والجماعة – يثبتون حقيقة الميزان على ضوء ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يتأولون معناه، ولا يردون ما جاء في وصفه، ويقولون: الله وحده هو الذي يعلم قدرهما وكيفيتهما.

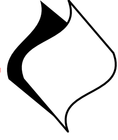
إذ لو لم يكن له لسان وكفتان؛ بل هو بمعنى العدل والقضاء كما ذهب إليه بعض العلماء، لو لم يكن كذلك لما وصف في السنة النبوية بأن له لسانا وكفتين، وأنه يخف ويثقل؛ إذ العدل لا يقال فيه تلك الصفات، فصح أنه ميزان حقيقي يزن الله فيه أعمال العباد، فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار، على ما علم من مذهب السلف.

١٤٣٦ تكملة شرح الصدور، ص ١٤.

١٤٣٧ تفسير المنار، (٨/ ٣٢٢).

١٤٣٨ فتح الباري، (١٣/ ٥٣٩).

١٤٣٩ شرح العقيدة الواسطية، (ص ١٢٣).



وإذ كنا نثبت صفات الميزان على ضوء ما جاء به الشرع فإنه لا ينبغي أن نتكلف فنثبت له أوصافاً تحتاج إلى إثبات من الشارع، أو نستند إلى أخبار لم تثبت، فإن الغلو في هذا مذموم.

وكمثال على هذا: ما يذهب إليه بعض الناس من أن كفتي الميزان من ذهب[١٤٤٠].

أو القول بأن كفة الحسنات من نور، وكفة السيئات من ظلام[١٤٤١] .

أو أن كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار[١٤٤٢].

أو ما يقال إن صاحب الميزان يوم القيامة هو جبريل عليه السلام[١٤٤٣].

فتلك المسائل كلها تحتاج لإثباتها — فضلاً عن اعتقادها — إلى نص صحيح، فإن بعض العلماء يتساهل فيما يقرره من هذه المسائل، مثل ما يرويه السفاريني بصيغة التضعيف–يروى–(أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان، فلما رآه غشي عليه، فلما أفاق قال: إلهي من ذا الذي يقدر يملأ كفة حسناته؟ فقال: إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة)[١٤٤٤] .

أو ما يذكره عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه–غير معزو إلى أحد–أنه قال: (ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم، لو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه)[١٤٤٥] .

١٤٤٠ الفصل لابن حزم، (٤/ ٦٥).

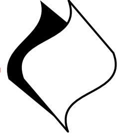
١٤٤١ التذكرة، ص ٣١٣.

١٤٤٢ التذكرة، ص ٣١٤، وعزاه إلى الترمذي الحكيم.

١٤٤٣ أخرجه الطبري في (جامع البيان) (٨/ ١٢٣) عن الحارث، قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا يوسف بن صهيب، عن موسى بن بلال ابن يحيى، عن حذيفة.

١٤٤٤ ذكره السفاريني في (لوامع الأنوار) (٢/ ١٨٤) وعزاه إلى الرازي والثعلبي

١٤٤٥ لوامع الأنوار، (٢/ ١٨٤) ولم يعزه إلى أحد.



وكذا ما يروى عن عمر مرفوعاً: ((من كبر تكبيرة في سبيل الله، كانت صخرة في ميزانه أثقل من السموات السبع وما فيهن وما تحتهن، وأعطاه الله بها رضوانه الأكبر، وجمع بينه وبين محمد وإبراهيم والمرسلين في دار الجلال: ينظر إلى الله بكرة وعشياً))[١٤٤٦] .

وفي رواية أخرى عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كبر تكبيرة على ساحل البحر، كان في ميزانه صخرة، قيل: يا رسول الله، وما قدرها؟ قال: تملأ ما بين السموات والأرض))[١٤٤٧] .

ويقول السفاريني: (ظواهر الآثار وأقوال العلماء: أن كيفية الوزن في الآخرة–خفة وثقلاً–مثل كيفيته في الدنيا، ما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى عليين، وما خف طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجين، وبه صرح جموع، منهم القرطبي).

وقال بعض المتأخرين بل الصفة مختلفة، وأن عمل المؤمن إذا رجح صعد وسفلت سيئته، والكافر تسفل كفته لخلو الأخرى عن الحسنات، ثم تلا قوله تعالى: (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) [فاطر: ١٠].

وذكر بعضهم في صفة الوزن: أن تجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة، كل الحسنات في كفة النور، وهي يمين العرش جهة الجنة، والسيئات في كفة الظلمة، وهي عن يسار جهة النار، ويخلق الله لكل إنسان علماً ضرورياً يدرك به خفة أعماله وثقلها.

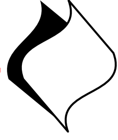
وقيل: بل علامة الرجحان عمود نور يقوم في كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات، وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات، لكل أحد[١٤٤٨] والظاهر أن هذه الكيفيات كلها تحتاج إلى إثبات، فهي مسألة غيبية، والله تعالى له القدرة على ما يشاء.

٢ – النافون لصفات الميزان:

١٤٤٦ قال السيوطي في (اللآلئ المصنوعة): (قال ابن حبان لا أصل له، وإسحاق يأتي بالموضوعات عن الثقات، قلت–وكذا قال الدارقطني في (غرائب مالك) إنه موضوع (٢/ ١٣٧).

١٤٤٧ قال ابن عدي: (هذا ما وضعه النخعي، وزيد ليس بشيء) (اللآلئ المصنوعة) (٢/ ١٣٧).

١٤٤٨ لوامع الأنوار (٢/ ١٨٨–١٨٩).



وهؤلاء قالوا بعكس ما قاله الفريق الأول، حيث أحجموا عن وصف الميزان بالأوصاف التي تقدمت، واكتفوا بإثبات أن هناك ميزاناً فقط.

١-يقول محمد رشيد رضا في نفي تلك الصفات وفي رده على الزجاج: (وإذا لم يكن في الصحيحين ولا في كتب السنة المعتمدة حديث صحيح مرفوع في صفة الميزان، ولا في أن له كفتين ولساناً، فلا تغتر بقول الزجاج أن هذا مما أجمع عليه أهل السنة، فإن كثيراً من المصنفين يتساهلون بإطلاق كلمة الإجماع ولاسيما غير الحفاظ المتقنين، والزجاج ليس منهم، ويتساهلون في عزو كل ما يوجد في كتب أهل السنة إلى جماعتهم، وإن لم يعرف له أصل من السلف، ولا اتفق عليه الخلف منهم، وهذه المسألة مما اختلف فيه السلف والخلف كما علمت)[١٤٤٩] .

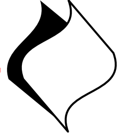
وقال أيضاً: (والأصل الذي عليه سلف الأمة في الإيمان بعالم الغيب: أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه، نؤمن به، ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته، فنؤمن إذا بأن في الأخرة وزناً للأعمال قطعاً، ونرجع أنه بميزان يليق بذلك العالم، ويوزن به الإيمان، والأخلاق، والأعمال، ولا نبحث عن صورته وكيفيته، ولا عن كفتيه – إن صح الحديث فيهما – كما صوره الشعراني في ميزانه)[١٤٥٠].

والواقع أن ما قاله محمد رشيد رضا – من إنكار أن يكون هناك أي إشارة إلى أن الميزان له كفتان من السنة – غير مسلم فقد جاء في السنة بعض الأحاديث التي تدل على وزن العمل ووزن العامل وكما أخرج البخاري: ((يؤتى بالرجل فيوضع في كفة)) [١٤٥١] وكقوله أيضاً: ((فطاشت السجلات وثقلت

١٤٤٩ تفسير، المنار، (٨/ ٣٢٢).

١٤٥٠ تفسير المنار، (٨/ ٣٢٣).

١٤٥١ الحديث رواه أحمد (٢٢١/ ٢) (٧٠٦٦) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٠/ ٨٢) رواه الترمذي باختصار، رواه أحمد وفيه بن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال أحمد شاكر في (مسند أحمد) (١٢/ ٢٤): إسناده صحيح.



البطاقة))[١٤٥٢]. وغيرها من الأحاديث التي قدمنا ذكرها، وفيها إشارة إلى إثبات أن ميزان الأعمال له كفتان.

ثم إن إثبات أن الميزان له كفتان لم يقل به الزجاج وحده، بل هو ما عليه الأئمة الذين قدمنا ذكر أقوالهم.

٢-ما علقه الدكتور طه محمد الزيني على ترجمة ابن كثير في إثبات أن للميزان كفتين حسيتين بقوله: (لا يوجد دليل قاطع في القرآن ولا في الحديث على أن كفتي ميزان الحساب يوم القيامة حسيتان – أي يدركان بإحدى الحواس الخمس، وأقرب الحواس إلى إدراك الكفتين اللمس باليد – بل كل ما في القرآن والحديث يحتمل أن يكون الوزن معنوياً، بل هو الأرجح؛ لأن الأعمال يوم القيامة أكثرها معنوي يقرب إلى الأذهان بتشبيهه بالحسيات)[١٤٥٣].

وهذا القول من الدكتور طه الزيني يعتبر بعيداً عما قرره العلماء، ومخالفاً لما جاءت به السنة في وزن الأعمال، وليس ما يذكره من أعمال يوم القيامة من الأشياء المتخيلة التي يشبه فيها المعنوي بالحسي. فإن القول بهذا يفتح باباً خطيراً من التشكيك في أمور الآخرة، وينبغي على من يقول بهذا أن يعيد النظر فيه.

المسألة السادسة: خلاف العلماء في الميزان هل هو واحد أم متعدد:

وقد اختلف العلماء في وحدة الميزان وتعدُّده على مذهبين:

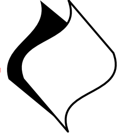
المذهب الأول: القائلون بتعدد الميزان:

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: "بلغني أن لكل أحد يوم القيامة ميزانًا على حدة"[١٤٥٤].

١٤٥٢ الحديث رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٣٤٨٨) وأحمد (٢/ ٢١٣) (٦٩٩٤)، والحاكم (١/ ٤٦) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما، قال الترمذي: حسن غريب، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال البغوي في (شرح السنة) (٧/ ٤٩٠) حسن غريب.

١٤٥٣ النهاية، (٢/ ٩١).

١٤٥٤ أورده ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٧٦)، ونسبه إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى.



وقال بعضهم: الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد؛ لقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله: ﴿ فمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ [الأعراف: ٨].

وقالوا: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان.

المذهب الثاني: القائلون بوحدة الميزان:

فذهب هؤلاء إلى أن لكل فرد ميزانًا خاصًّا به أو لكل عمل ميزان خاص به؛ لقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأجابوا عن جمع كلمة (الموازين) في الآية: إلى أن الميزان واحد، وأن الجمع في الآية إنما هو باعتبار تعدُّد الأعمال أو الأشخاص.

وقد رجَّح ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى بعد حكايته الخلاف أن الميزان واحد، وقال: "والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأن أحوال القيامة لا تكيَّف بأحوال الدنيا"[١٤٥٥].

وحَسَّنَ السفاريني رحمه الله تعالى القول بوحدة الميزان بعد ذكر الإجابة عن جمع كلمة (الموازين) في الآية بقوله: "وَهُوَ حَسَنٌ"[١٤٥٦] .

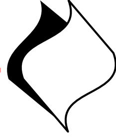
ومن المعاصرين الذين يرون هذا القول الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى في الجواب عن سؤال عن وحدة الميزان وتعدده، فقال–بعد ذكر الخلاف بين أهل العلم–: "الذي يظهر–والله أعلم–أن الميزان واحد، لكنه متعدد باعتبار الموزون"[١٤٥٧].

المسألة السابعة: الأقوال في الموزون:

١٤٥٥ "فتح الباري شرح صحيح البخاري"؛ لابن حجر العسقلاني، (١٣/ ٥٣٨).

١٤٥٦ لوامع الأنوار البهية للسفاريني، (٢/ ١٨٦).

١٤٥٧ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. (٢/ ٤٤)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.



اختلف أهل العلم في الموزون في ذلك اليوم على أقوال:

القول الأول: أن الذي يوزن في ذلك اليوم الأعمال نفسها، وأنها تجسم فتوضع في الميزان.

أدلته: ويدل لذلك:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه في (الصحيح) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم))[١٤٥٨] .
- وقد دلت نصوص كثيرة على أن الأعمال تأتي في يوم القيامة في صورةٍ الله أعلم بها، فمن ذلك: مجيء القرآن شافعاً لأصحابه في يوم القيامة، وأن البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف تحاجّان عن أصحابهما. ففي (صحيح مسلم) عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما))[١٤٥٩]. وروى مسلم أيضاً عن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان، أو ظلتان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما)) [١٤٦٠].

القائلين به: هذا القول رجَّحه ابن حجر العسقلاني ونصره، فقال: والصحيح أن الأعمال هي التي توزن، وقد أخرج أبو داود والترمذي، وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن الخلق))[١٤٦١] .

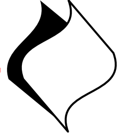
القول الثاني: أن الذي يوزن هو العامل نفسه.

١٤٥٨ رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

١٤٥٩ رواه مسلم (٨٠٤).

١٤٦٠ رواه مسلم (٨٠٥).

١٤٦١ رواه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)، وابن حبان (٢/ ٢٣٠) والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال الألباني في (صحيح سنن أبي داود): صحيح.



أدلته: فقد دلّت النصوص على أن العباد يوزنون في يوم القيامة، فيثقلون في الميزان أو يخفون بمقدار إيمانهم، لا بضخامة أجسامهم، وكثرة ما عليهم من لحم ودهن، ففي (صحيح البخاري) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا [الكهف: ١٠٥][١٤٦٢]((. ويؤتى بالرجل النحيف الضعيف دقيق الساقين فإذا به يزن الجبال، روى أحمد في (مسنده)، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، ((أنه كان رقيق الساقين، فجعلت الريح تلقيه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من رقة ساقيه. قال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد))[١٤٦٣] .

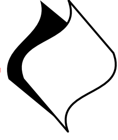
القول الثالث: أن الذي يوزن إنما هو صحائف الأعمال.

أدلته: فقد روى الترمذي في (سننه) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول الله تعالى: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء))[١٤٦٤] .

١٤٦٢ رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

١٤٦٣ رواه أحمد (١/ ٤٢٠) (٣٩٩١)، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد (٦/ ٣٩): إسناده صحيح، وقال الألباني في (السلسلة الصحيحة) (٢٧٥٠): إسناده حسن وهو صحيح بطرقه الكثيرة.

١٤٦٤ رواه الترمذي (٢٦٣٩)، والحديث رواه ابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣) والحاكم (١/ ٤٦) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في (الصحيحين) وهو صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥): وهو كما قالا.



القائلين به: وقد مال القرطبي إلى هذا القول، فقال: والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، قال ابن عمر: توزن صحائف الأعمال، وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام، فيجعل الله تعالى: رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار. وقال السفاريني: والحق أن الموزون صحائف الأعمال، وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما، وصوبه الشيخ مرعي في (بهجته)، وذهب إليه جمهور من المفسرين، وحكاه ابن عطية عن أبي المعالي.

القول الرابع: أن الذي يوزن هو العامل وعمله وصحف أعماله.

أدلته: فقد دلت النصوص التي سقناها على أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن، ولم تنف النصوص المثبتة لوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن، فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكورة جميعها. وهذا ما رجحه الشيخ حافظ الحكمي فقال: والذي استظهر من النصوص – والله أعلم – أن العامل وعمله وصحيفة عمله –كل ذلك يوزن، لأن الأحاديث التي في بيان القرآن، قد وردت بكل ذلك، ولا منافاة بينها، ويدل كذلك ما رواه أحمد – رحمه الله تعالى: – عن عبدالله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ: قال: قال رسول الله: ((توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل، فيوضع في كفة، ويوضع ما أحصي عليه، فيمايل به الميزان. قال: فيبعث به إلى النار. قال: فإذا أدبر، إذ صائح من عند الرحمن– عز وجل–يقول: لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة، حتى يميل به الميزان))[١٤٦٥] فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة.

المسألة السادسة: كيفية وزن الأعمال

١٤٦٥ رواه أحمد (٢/ ٢٢١) (٧٠٦٦)، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٠/ ٨٢): رواه الترمذي باختصار، رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال أحمد شاكر في (مسند أحمد) (١٢/ ٢٤): إسناده صحيح.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «قال علماؤنا رحمهم الله: الناس في الآخرة ثلاث طبقات:

- متقون لا كبائر لهم.
- ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر.
- والثالث: الكفار.

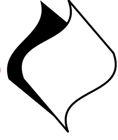
فأمَّا المتقون: فإن حسناتهم تُوضع في الكفة النيرة، وصغائرهم-إن كانت لهم الكفة الأخرى-فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنًا، وتثقل الكفة النيرة حتى لا تَبرح، وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي.

وأمَّا المخلطون: فحسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار إلا أن يغفر الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي، هذا إن كانت للكبائر فيما بينه وبين الله، وأما إن كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات؛ لكثرة ما عليه من التبعات؛ فيُحمل عليه مِن أوزار مَن ظلمه، ثم يُعَذَّب على الجميع. هذا ما تقتضيه الأخبارُ". [١٤٦٦]

وأمَّا الكفار: فلا تُوزن أعمالهم؛ إذ لا حسنات لهم، وما قَدَّموه مِن عمل نافع في الدنيا فإنَّهم يجازون به في الدنيا كذلك؛ قال الله سبحانه وتعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦]، فيُوفون جزاء أعمالهم النافعة في الدنيا، وأما في الآخرة فليس لهم فيها نصيب من الحسنات والأجر، وإنما يجازون بكفرهم.

فما يقدِّمه الكافر من أعمال صالحة، كالصدقة، والعتق، وصلة الأرحام، والإنفاق، ونحوها من سبل الخير لا تُغني عنه شيئا، فالله تعالى:

١٤٦٦ «التذكرة» للقرطبي (ص ٣٦٠).



شبهها بالسراب، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

وشـــبهها بالرماد، فقال: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْـتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

وســـيجعلها هباءً منثوراً، فقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وبيَّن أنهم بأعمالهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وهم في خسارة لا يقام لهم وزن يوم القيامة، فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا *أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٥].

رابعًا: شرح قول المصنف: "ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر، وغيرها".

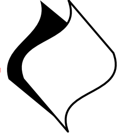
أولًا: الأدلة على ذلك:

أ–الأدلة من القرآن:

١–قال الله تعالى: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} [التكوير: الآية: ١٠] .

قال ابن جرير: "قوله: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} [التكوير: الآية: ١٠] يقول تعالى ذكره: وإذا صحف أعمال العباد نشرت لهم، بعد أن كانت مطوية على ما فيها مكتوب من الحسنات والسيئات". [١٤٦٧]

١٤٦٧ ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٤/ ١٤٨).



وقال السمعاني: "قوله تعالى: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} يعني: على الخلائق؛ فمنهم من يعطى بيمينه، ومنهم من يعطى بشماله". [١٤٦٨]

وقال البيضاوي: "{وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} يعني صحف الأعمال؛ فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب. وقيل: نشرت فرقت بين أصحابها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد نشرت للمبالغة في النشر، أو لكثرة الصحف، أو شدة التطاير". [١٤٦٩]

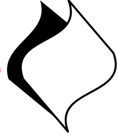
٢- قال الله عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الانشقاق: الآيات: ٧-١٣].

قال ابن كثير: "{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: الآيات: ٧-٨]، أي: سهلا بلا تعسير، أي: لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله؛ فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة... قوله تعالى: {وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الانشقاق: الآية: ٩]، أي: ويرجع إلى أهله في الجنة. قاله قتادة والضحاك مسرورا أي: فرحان مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل... وقوله: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} [الانشقاق: الآية: ١٠]، أي: بشماله من وراء ظهره، تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك، {فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا} [الانشقاق: الآية: ١١]، أي: خسارا وهلاكا، {وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا} [الانشقاق: الآية: ١٢]، {إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الانشقاق: الآية: ١٣]، أي: فرحًا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل". [١٤٧٠]

١٤٦٨ ينظر: ((تفسير السمعاني)) (٦/ ١٦٨).

١٤٦٩ ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٥/ ٢٨٩).

١٤٧٠ ينظر: ((تفسير ابن كثير)) (٨/ ٣٥٦-٣٥٨).



وقال السعدي: "{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} [الانشقاق: الآية: ٧]، وهم أهل السعادة. {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: الآية: ٨] وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى له: ((إني قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم)). {وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الانشقاق: الآية: ٩]، لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب، {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} [الانشقاق: الآية: ١٠]، أي: بشماله من خلفه. {فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا} [الانشقاق: الآية: ١١]، من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتب منها، {وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا} [الانشقاق: الآية: ١٢]، أي: تحيط به السعير من كل جانب، ويقلب على عذابها؛ وذلك لأنه في الدنيا كان في أهله مسرورا لا يخطر البعث على باله، وقد أساء ولم يظن أنه راجع إلى ربه وموقوف بين يديه". [١٤٧١]

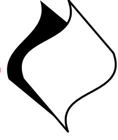
٣- قال الله تعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: الآيات: ١٣-١٤].

قال البغوي: "{اقْرَأْ كِتَابَكَ} أي: يقال له اقرأ كتابك، قوله تعالى: {كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}. قال الحسن: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك. قال قتادة: سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا". [١٤٧٢]

وقال ابن كثير: "قوله تعالى: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا} أي: نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة؛ إما بيمينه إن كان سعيدا، أو بشماله إن كان شقيا منشورا أي: مفتوحا يقرؤه هو وغيره، فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره {ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره} [القيامة: الآيات: ١٣ - ١٥] ؛ ولهذا قال تعالى: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ

١٤٧١ ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٩١٧).

١٤٧٢ ينظر: ((تفسير البغوي)) (٣/ ١٢٤).



عَلَيْكَ حَسِيبًا} أي: إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك غير ما عملت؛ لأنك ذكرت جميع ما كان منك، ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي". [١٤٧٣]

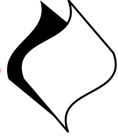
٤- قال الله سبحانه: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} [الحاقة: الآيات: ١٩ – ٢٩] .

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ} أي: خذوا اقرؤوا كتابيه؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة؛ لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات... وقوله: {إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ} أي: قد كنت موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة، كما قال: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ} [البقرة: الآية: ٤٦] ...{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}.... وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم، فيقول: {فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}... قال الضحاك: يعني موتة لا حياة بعدها. وكذا قال محمد بن كعب، والربيع، والسدي. وقال قتادة: تمنى الموت، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه!". [١٤٧٤]

وقال السعدي: "هؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزا لهم وتنويها بشأنهم ورفعا لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق على ما من الله

١٤٧٣ ينظر: ((تفسير ابن كثير)) (٥/ ٥١).

١٤٧٤ يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٨/ ٢١٣-٢١٥).



عليه به من الكرامة: هاؤم اقرءوا كتابيه أي: دونكم كتابي فاقرؤوه؛ فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب...

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}....

هؤلاء أهل الشقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة بشمالهم تمييزا لهم وخزيا وعارا وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والخزي: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ}، لأنه يبشر بدخول النار والخسارة الأبدية. {وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ} أي: ليتني كنت نسيا منسيا ولم أبعث وأحاسب؛ ولهذا قال: {يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها". [١٤٧٥]

٥- قال الله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [الإسراء: الآية: ٧١] .

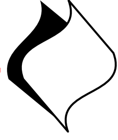
قال السمعاني: "قوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} فيه أقوال: أحدها: بنبيهم، والآخر: بكتابهم، والثالث: بأعمالهم... وقوله تعالى: فمن أوتي كتابه بيمينه {فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ}، والكتاب: هو صحيفة الحسنات والسيئات.

وقوله: {وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} أي: لا ينقص من حقهم بقدر الفتيل. والفتيل: هو الذي في شق النواة، وقيل: ما فتل بين الأصابع". [١٤٧٦]

وقال البيضاوي: "فمن أوتي من المدعوين كتابه بيمينه أي كتاب عمله. فأولئك يقرؤون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه. ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء، وجمع اسم الإشارة والضمير؛

١٤٧٥ يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٨٣).

١٤٧٦ يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٣/ ٢٦٣).



لأن من أوتي في معنى الجمع، وتعليق القراءة بإيتاء الكتاب باليمين يدل على أن من أوتى كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة؛ ولذلك لم يذكرهم". [١٤٧٧]

ب–الأدلة من السنة:

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: ((يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه–عز وجل–، حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم. فيعطى صحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله)). [١٤٧٨]

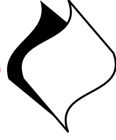
عن عائشة–رضي الله عنها–، أنها ذَكَرَتِ النار، فبَكَت، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((ما يبكيكِ؟ قالت: ذكرتُ النار فبكَيتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: أما في ثلاثة مواطن، فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيَخِفُّ ميزانه أو يثقُل، وعند الكتاب حين يُقال: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ} [الحاقة: الآية: ١٩]، حتى يعلم أين يقع كتابه؛ أفي يمينه، أم في شماله، أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وُضِع بين ظَهْرَي جهنم)). [١٤٧٩]

١٤٧٧ يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٣/ ٢٦٢).

١٤٧٨ أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) واللَّفظُ له.

١٤٧٩ أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١١٠)، وأبو داود في السنن (٢/ ٤٢٥)، والحاكم النيسابوري في المستدرك (٤/ ٥٧٨)، إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٧٤٠)، والآجري في الشريعة (٢/ ٤٩٥)، وعبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٣/ ٤٨، ٣١٤)، والنحاس في معاني القرآن (٤/ ٣٧٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود والآجرى في الشريعة والحاكم وصححه والبيهقي في البعث أبو الشيخ وابن مردويه، وأورده الهيثمى في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٨).

للحديث ثلاثة طرق عن عائشة



ثانيًا: أقوال أهل العلم في ذلك:

١- قال ابن حزم: "الصحف تكتب فيها أعمال العباد، الملائكة حق نؤمن بها ولا ندري كيف هي ... وأن الناس يعطون كتبهم يوم القيامة، فالمؤمنون الفائزون الذين لا يعذبون يعطونها بأيمانهم، والكفار بأشملهم، والمؤمنون أهل الكبائر وراء ظهورهم". [١٤٨٠]

الأول: من طريق الشعبي عن عائشة، اسناده منقطع عامر الشعبي لم يسمع من عائشة ورجاله موثقون وله طريق متصل في الوسيط في تفسير القرآن المجيد ومعاني القرءان للنحاس، عن عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة، واسناده ضعيف فيه عصام بن طليق.

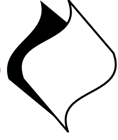
الثاني: من طريق قتادة مرسلا -تفسير الصنعاني (١٩٤٠)-[١٩٨٨]، اسناده ضعيف مرسل والراجح أن قتادة سمعه من الحسن.

الثالث: من طريق خالد بن أبي عمران عن القاسم عن عائشة كما جاء في مسند الامام أحمد، اسناده ضعيف ورجاله موثقون غير عبد الله بن لهيعة ضعفوه.

بالاضافة الى طريق الحسن، فقد أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، وأحمد مختصرا (٢٤٦٩٦)، والحاكم بنحوه في "مستدركه" (٨٧٢٢) من طريق الحسن عن عائشة. قال الحاكم: "هذا حديثٌ صحيحٌ إسنادُه على شرط الشيخين لولا إرسالٌ فيه بين الحسن وعائشة، على أنه قد صحَّت الروايات أنَّ الحسن كان يدخل وهو صبيٌّ منزل عائشة-رضي الله عنها- وأمّ سلمة"، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم لولا إرسالٌ فيه بين الحسن وعائشة".

ولعل الحديث يرتقي إلى الحسن لغيره والله أعلم.

١٤٨٠ ينظر: ((المحلى)) (١/ ١٧).



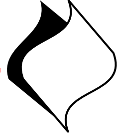
٢- قال أبو الحسن الأشعري: "الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم، فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حسابا يسيرا، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرا". [١٤٨١]

٣- قال القرطبي: "فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها، قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: الآية: ٧-٨]، فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب؛ لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم. قال الله تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ} [المجادلة: الآية: ٦]... فإذا بعثوا من قبورهم إلى المواقف وقاموا فيها ما شاء الله تعالى -على ما تقدم- حفاة عراة، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس، فأوتوها؛ فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كل كتابه... فتوهم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديت ونوه باسمك على رءوس الخلائق؛ أين فلان بن فلان؟ هلم إلى العرض على الله تعالى... فتوهم نفسك وأنت بين يدي ربك، في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكركها! وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها! وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك في ذلك الموقف، وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيما! فيا حسرة قلبك! ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك!". [١٤٨٢]

٤- قال ابن تيمية: "تنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال. فآخذ كتابه بيمينه. وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره. كما قال سبحانه وتعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ

١٤٨١ ينظر: ((رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب)) (ص: ١٦٢).

١٤٨٢ ينظر: ((التذكرة)) (١/ ٢٩٤).



وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: الآيات: ١٣-١٤]". [١٤٨٣]

٥- قال السفاريني: "الصحف جمع صحيفة، وهي الكتب كتبتها الملائكة، وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا، القولية والفعلية... والحاصل أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به، وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع". [١٤٨٤]

٦- قال ابن باز: "يجب الإيمان بما أخبر الله به ورسوله من أمر القيامة، والجنة والنار، والحساب والجزاء، ونشر الصحف، وأخذها باليمين أو الشمال، ووزن الأعمال، إلى غير ذلك مما جاءت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية". [١٤٨٥]

٧- قال ابن عثيمين: "الصحف يعني الصحف التي كتبت فيها أعمال العبد، وهي التي كتبتها الملائكة في الدنيا، قال الله تعالى: {كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ} [الانفطار: الآيات: ٩-١١].

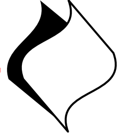
وقال تعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: الآيات: ١٣-١٤].

فهذه الصحف قد كتبت من قبل وسجلت، فتنشر يوم القيامة، ويقال للرجل: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: الآية: ١٤]، وقد قال بعض السلف: والله لقد أنصفك من جعلك حسيبا على نفسك. وهذه الصحف تنشر وتتطاير، فينقسم الناس فيها إلى قسمين: قسم يأخذها باليمين، وقسم يأخذها بالشمال، وفي آية ثالثة من وراء

١٤٨٣ ينظر: ((العقيدة الواسطية)) (ص: ٩٨).

١٤٨٤ ينظر: ((لوامع الأنوار البهية)) (٢/ ١٨٠).

١٤٨٥ ينظر: ((مجموع فتاوى ابن باز)) (٩/ ٣٩٨).



الظهر، ويحتمل أن تكون هذه صفة ثالثة، ويحتمل أن تكون صفة في صفة الشمال، وهو الصنف الثاني، وهذا هو الأقرب، والأول محتمل". [1486]

[الإيمان بالشفاعة]

[١٠]. قال المصنف –رحمه الله–:

"ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم– لمذنبي التوحيد، ومرتكبي الكبائر، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–،

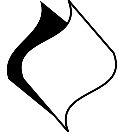
أخبرنا أبو سعيد بن حمدون، أنبأنا أبو حامد بن الشرقي، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق، أنبانا معمر عن ثابت عن أنس عن –النبي– صلى الله عليه وسلم –قال: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)).

وأخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد أخبرنا محمد بن المسيب الأغياني، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عبد السلام بن حرب الملائي، عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكفى. أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين)).

أخبرنا أبو محمد المجلدي، أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد

الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو، (ح). وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدي الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا علي بن حجر بن إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: ((لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث

١٤٨٦ ينظر: ((شرح العقيدة السفارينية)) (ص: ٤٦٩).



أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه))".

الشرح

المسألة الأولى: شفاعة النبي–صلى الله عليه وسلم–:

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في إثبات الشفاعة أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلغت حد التواتر، وصرحت هذه الأحاديث بأنه يدخل النار جملة من أهل الكبائر، من أهل التوحيد، مؤمنون موحدون، لكن دخلوا النار بذنوب ومعاص ارتكبوها ولم يتوبوا منها،

أنواع شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

لقد اختلف أهل العلم في عدد شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة[١٤٨٧]، فبعضهم أوصلها إلى عشر شفاعات وهو الراجح إن شاء الله لما تدل عليه الأحاديث الصحيحة وتقوم عليه الأدلة وهي كما يلي:

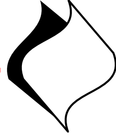
الأولى: الشفاعة العظمى: وهي في فصل الموقف بعد دلالة الرسل عليه واعتذارهم عنها[١٤٨٨]

الثانية: الشفاعة لمن يصبر على لأواء المدينة. [١٤٨٩].

١٤٨٧ غاية البيان شرح زبد ابن رسلان لمحمد الرملي الأنصاري (١٣).

١٤٨٨ أخرجه البخاري رقم (٣١٦٢) ٣ / ١٢١٥، ورقم (٤٤٣٥) ٤ / ١٧٤٥، ومسلم رقم (١٩٤) ١ / ١٨٤ – ١٨٥ واللفظ له.

١٤٨٩ أخرجه مسلم رقم (١٣٧٧) ٢ / ١٠٠٤، ومالك في الموطأ رقم (١٥٦٩) ٢ / ٨٨٥، وأحمد رقم (٦٠٠١) ٢ / ١١٩.



الثالثة: الشفاعة لمن يموت بالمدينة[١٤٩٠].

الرابعة: الشفاعة في دخول الجنة بغير حساب ولا عقاب،[١٤٩١]

الخامسة: الشفاعة فيمن قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه[١٤٩٢].

السادسة: الشفاعة في أهل الكبائر من الأمة[١٤٩٣].

السابعة: الشفاعة في رفع الدرجات[١٤٩٤].

الثامنة: الشفاعة في الخروج من النار[١٤٩٥]

١٤٩٠ أخرجه الترمذي رقم (٣٩١٧) ٥ / ٧١٩ وحسنه، وابن ماجه رقم (٣١١٢) ٢ / ١٠٣٩ولفظه " فإني أشهد لمن مات بها "، وأحمد رقم (٥٨١٨) ٢ / ١٠٤، وابن أبي شيبة رقم (٣٢٤٢١) ٦ / ٤٠٥، وابن حبان رقم (٣٧٤١) ٩ / ٥٧، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٤١٨٥-٤١٨٦) ٣ / ٤٩٨، والهيثمي في موارد الظمآن رقم (١٠٣١) ١/ ٢٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠١٥)، وفي صحيح الترمذي (٣٩١٧)، وفي صحيح الترغيب رقم (١١٩٣ – ١١٩٧)، وفي السلسلة الصحيحة رقم (٢٩٢).

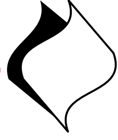
١٤٩١ أخرجه البخاري رقم (٦١٠٧) ٥ / ٢٣٧٥، ورقم (٥٣٧٨) ٥ / ٢١٥٧، ورقم (٥٤٢٠) ٥ / ٢١٧٠، ورقم (٦١٧٥) ٥/ ٢٣٩٦، ومسلم رقم (٢٢٠) ١ / ٢٠٠.

١٤٩٢ أخرجه البخاري رقم (٩٩) ١ / ٤٩، ورقم (٦٢٠١) ٥ / ٢٤٠٢، وأحمد رقم (٨٨٤٥) ٢ / ٣٧٣

١٤٩٣ أخرجه أبو داود رقم (٤٧٣٩) ٤ / ٢٣٦، والترمذي رقم (٢٤٣٥-٢٤٣٦) ٤/ ٦٢٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٤٧٣٩) ٤ / ٢٣٦، وفي صحيح سنن الترمذي رقم (٢٤٣٥-٢٤٣٦) ٤/ ٦٢٥، وفي صحيح الجامع رقم (٣٧١٤)، وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٦٤٩)، وفي ظلال الجنة رقم (٨٣١).

١٤٩٤ أخرجه مسلم رقم (٩٢٠) ٢ / ٦٣٤، وأبو داود رقم (٣١١٨) ٣ / ١٩٠، والنسائي في السنن الكبرى رقم (٨٢٨) ٥ / ٧٧.

١٤٩٥ أخرجه البخاري رقم (٦١٩٠) ٥ / ٢٣٩٩، ومسلم رقم (١٩١-١٩٢) ١ / ١٧٨،



التاسعة: الشفاعة التي يجتمع فيها الله والنبيون والملائكة والمؤمنون[1496].

العاشرة: الشفاعة في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه[1497].

المسألة الثانية: شفاعة الأنبياء.

وما من نبي إلا له شفاعة كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: "فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين" [1498]

وفي المسند من حديث أبي سعيد مرفوعاً: "ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً، فيخرجونهم منها، قال: ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا أخرجه منها"[1499]

المسألة الثالث: شفاعة الصديقين والشهداء والصالحين.

كذلك الصديقون يشفعون، الصديق: على وزن فِعِّيل، وهو من قوي تصديقه وإيمانه بالله، فأحرق بقوة تصديقه الشبهات والشهوات، وفي مقدمتهم الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه.

ودرجة الصديق أعلى من الشهداء، كما في حديث: ((أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان))[1500]، فالترتيب مقصود.

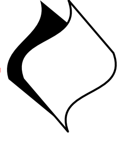
١٤٩٦ أخرجه البخاري رقم (٧٠٠١) ٦ / ٢٧٠٦، ومسلم رقم (١٨٣) ١ / ١٦٧،

١٤٩٧ أخرجه البخاري (٣٦٧٠) ٣ / ١٤٠٨، ورقم (٥٨٥٥) ٥ / ٢٢٩٣ ومسلم رقم (٢٠٩) ١ / ١٩٤،

١٤٩٨ أخرجه مسلم.(١٨٣)

١٤٩٩ رواه أحمد في مسنده: (١١٠٩٦) قال الشيخ مقبل: "الحديث بهذا السند حسن" أنظر الشفاعة للوادعي: (١/ ١١٩).

١٥٠٠ أخرجه البخاري (٣٦٧٥).



ثم درجة الشهداء:

الشهيد: هو الذي بذل نفسه رخيصة في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، فإنه بذل أغلى ما يملك وهي نفسه التي بين جنبيه، فقاتل أعداء الله، لإعلاء كلمة الله.

ثم درجة الصالحين:

الصالحون: على تفاوتهم فيما بينهم،

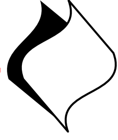
١-منهم السابقون، وهي أعلى الدرجات، وهم الذين داوموا على الفرائض والنوافل، وتركوا المحرمات والمكروهات،

٢-ومنهم المقتصدون، وهم الذين اقتصروا على أداء الفرائض وترك المحرمات، ولم يفعلوا النوافل وقد يفعلون بعض المكروهات.

٣-ومنهم الظالمون لأنفسهم، والظالمون لأنفسهم موحدون مؤمنون، لكنهم قصروا في بعض الواجبات، أو فعلوا بعض المحرمات، فهؤلاء عندهم أصل الصلاح وأصل التقوى، فينفعهم هذا الصلاح والتقوى في عدم الخلود في النار، ولكنهم قد يدخلون النار ويعذبون، لكن في النهاية مآلهم إلى الجنة والسلامة.

المسألة الرابعة: تفضل الله بعد ذلك على كثير فيمن يشاء ممن لم يشفع فيهم.

أي أن الله تعالى يتفضل بعد ذلك على من يشاء، فيخرج برحمته بقية أهل التوحيد الذين لم يشفع فيهم، كما جاء ذلك صريحا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ-أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ-فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ



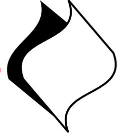
ضَبَائِرَ[١٥٠١] ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ "[١٥٠٢]

والله عز وجل قد خَصَّ هذه الأمة بفضائل كثيرة، ومنها مُضاعفة الأجر؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّما أجلُكم في أجلِ مَن خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنَّما مَثَلُكم ومَثَل اليهود والنصارى، كرجل استعمل عُمَّالًا، فقال: مَن يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، فعملت النَّصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: مَن يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا، فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس، على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين، فغَضِبَت اليهودُ والنصارى، فقالوا: نحن أكثر عملًا وأقل عطاء! قال الله: هل ظلمتُكم مِن حَقِّكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فإنَّه فَضلي أُعطيه مَن شِئْتُ»١٥٠٣.

١٥٠١ قال محمد فؤاد عبد الباقي: (منصوب على الحال وهو جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرها أشهرها الكسر ويقال فيها أيضا إضبارة قال أهل اللغة الضبائر جماعات في تفرقة (فبثوا) معناه فرقوا) انظر مسلم في صحيحه (١/ ١٧٢)

١٥٠٢ أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٧٢)

١٥٠٣ أخرجه البخاري (٣٤٥٩) ومسلم ().



فَمن نعمة الله علينا أن جعلنا من أمة محمد ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «نَحن الآخِرون السَّابقون يوم القيامة، بَيْدَ كلِّ أُمَّةٍ أُوتوا الكتاب مِن قبلنا، وأُوتينا مِن بعدهم، فهذا اليوم[١٥٠٤] الذي اختلفوا فيه، فغدًا لليهود، وبعدَ غدٍ للنَّصارى»[١٥٠٥].

وأمة محمد ﷺ هم أكثر أهل الجنة، فعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهلُ الجنة عشرون ومائة صف؛ ثمانون منها مِن هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»[١٥٠٦].

وذلك لأن النبي ﷺ أكثر الأنبياء أتباعًا؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خرج علينا النبي ﷺ يومًا فقال: «عُرِضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سوادًا كثيرًا سَدَّ الأفق، فرجوت أن تكون أُمَّتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر، فرأيت سوادًا كثيرًا سَدَّ الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سوادًا كثيرًا سَدَّ الأفق، فقيل: هؤلاء أُمَّتك، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب»[١٥٠٧].

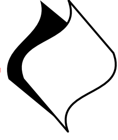
وهذا الفضل الذي أعطاه الله لنبيه الكريم ﷺ في الدنيا والآخرة–هو خير عظيم وعميم على هذه الأمة المرحومة؛ فصارت مَهْدِيَّة في الدنيا، مَرحومة وأكثر أهل الجنة في الآخرة، وذلك فضل الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء.

١٥٠٤ أي: يوم الجمعة.

١٥٠٥ أخرجه البخاري (٣٤٨٦) ومسلم (٨٥٥).

١٥٠٦ أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩)، والدارمي (٢٨٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٤٦٢).

١٥٠٧ أخرجه البخاري (٥٧٥٢) ومسلم (٢٢٠).



[الحوض والكوثر].

[١١]. قال المصنف –رحمه الله–:

"ويؤمنون بالحوض والكوثر".

الشرح

أولًا: الأدلة الشرعية.

هذا الحوضُ المورود الذي أعطاه الله لنبيه محمد ﷺ، كما قال: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ١-٣].

قال الإمامُ القرطبيُّ: «والصَّحيح: أنَّ للنبي ﷺ حَوْضَيْن:

أحدهما: في الموقف قبل الصِّراط.

والثَّاني: في الجَنَّة.

وكلاهما يُسَمَّى كوثرًا»[١٥٠٨].

وقد جاءت أحاديث كثيرة في وصفه؛ منها:

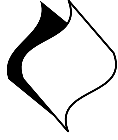
عن أبي عُبيدة أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١]، فقالت: «نَهرٌ أُعطيه نَبِيُّكم ﷺ؛ شاطئاه عليه دُرٌّ مُجَوَّف، آنيته كَعَدد النُّجوم»[١٥٠٩].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا أسيرُ في الجَنَّة إذ أنا بنهرٍ حافتاه قِباب الدُّرِّ المجَوَّف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاك رَبُّك، فإذا طِينُه–أو طِيبُه–مِسك أذفر»[١٥١٠].

١٥٠٨ «التذكرة» (ص ٣٦٢).

١٥٠٩ أخرجه البخاري (٤٩٦٥).

١٥١٠ أخرجه البخاري (٦٥٨١).



ومن الأحاديث التي ورد فيها ذكر الحوض:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي"[1511].
- وقوله صلى الله عليه وسلم للأنصار: ((اصبروا حتى تلقوني على الحوض)). [1512]

ثانيًا: أقوال العلماء.

روي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم.[1513]

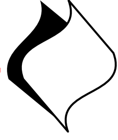
وقال شيخُ الإسلامِ رحمه الله تعالى: "خَصَّ اللهُ نَبيَّه صلى الله عليه وسلم أنَّه أعطاه الكوثر، وهو من الخير الكثير الذي آتاه اللهُ في الدُّنيا والآخرة؛ فمما أعطاه في الدُّنيا الهُدى والنَّصر والتأييد وقُرَّة العَين والنَّفس وشرح الصدر، ونَعَّم قلبَه بذكرِهِ وحُبِّه بحيث لا يُشبه نعيمُه نعيمَ الدُّنيا البتة، وأعطاه في الآخِرَة الوسيلةَ والمقامَ المحمودَ، وجعلَه أوَّلَ مَن يُفتح له ولأمته باب الجنة، وأعطاه في الآخِرَة لواءَ الحمد والحوض العظيم في موقف القيامة، إلى غير ذلك". [1514]

١٥١١ أخرجه البخاري في صـــحيحه، كتاب فضـــائل المدينة، باب ١٢. انظر: فتح الباري (٤/ ٩٩) ح ١٨٨٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (٤/ ١٢٣).

١٥١٢ انظر صحيح البخاري كتاب الجزية، بـــاب مَا أَقْطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ البَحْرَيْنِ، وَمَا وَعَدَ مِنْ مَالِ البَحْرَيْنِ وَالجِزْيَةِ، وَلِمَنْ يُقْسَـــمُ الفَيْءُ وَالجِزْيَةُ، برقم (٣١٦٣)، ومســـلم كتاب الزكاة، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ برقم (١٠٥٩)، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة (١٣٣٤٧).

١٥١٣ رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٦)

١٥١٤ «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٢٧-٥٢٨)، بتصرف يسير.



وقد حكم جمعٌ من أهل العلم بتواتر السُّنَّة في ذلك، قال ابن أبي العزِّ: «الأحاديث الواردة في ذِكر الحوض تَبلغُ حَدَّ التواتر؛ رَوَاها من الصَّحابة بضعٌ وثلاثون صحابياًّ، ولقد استقصى طرقَها شيخُنا عمادُ الدِّين ابنُ كثير-تَغَمَّدَه اللهُ برحمتِهِ في آخر «تاريخه الكبير»[1515].

[أحكام المؤمنين في الآخرة].

[١٢]. قال المصنف-رحمه الله-:

"وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب، ومحاسبة فريق منهم حسابًا يسيرًا، وإدخالهم الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم، وإدخال فريق من مذنبيهم النار ثم إعتاقهم أو إخراجهم منها، وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إليها، ولا يخلدون في النار، فأما الكفار فإنهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبدا، ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان أحدًا".

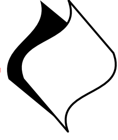
الشرح

أولًا: الأدلة الشرعية:

الأدلة الشرعية تقرر أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هم السابقون بالخيرات، وليسوا المقتصدين، فضلا عن الظالمين لأنفسهم.

- ومن ذلك: ما روى أحمد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ} [فاطر الآية:٣٢]، فَأَمَّا الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الَّذِينَ اقْتَصَدُوا فَأُولَئِكَ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحَاسَبُونَ فِي طُولِ الْمَحْشَرِ، ثُمَّ هُمُ الَّذِينَ تَلَافَاهُمُ اللهُ

١٥١٥ «شرح الطحاوية» (ص ٢٢٧).



بِرَحْمَتِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر الآية:٣٤]، إِلَى قَوْلِهِ : {لُغُوبٌ} [فاطر الآية:٣٥].

- قال ابن عباس رض الله عنهما: "السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم"[١٥١٦]
- وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه قال في تفسير الآية: "هم أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ورثهم الله كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب"[١٥١٧]

- وعن أَبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة؛ ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاءوا بذنوب عظام، إلا أنهم لم يشركوا بك، فيقول الرب: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي، وتلا عبد الله هذه الآية: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}"[١٥١٨]

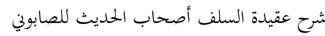
- وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: ((بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه قال فبايعناه على ذلك))[١٥١٩]

١٥١٦ أخرجه الطبراني في الكبير رقم (١١٤٥٤) ١١/ ١٨٩، وذكره ابن كثير في التفسير ٣/ ٥٥٦، ولشوكاني في فتح القدير ٤/ ٣٥٢.

١٥١٧ رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/٤٦٥).

١٥١٨ رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/٤٦٥).

١٥١٩ رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري



- وفي الصحيحين من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال وإن رغم أنف أبي ذر)).

فدلت هذه الأحاديث على أن مرتكب الكبيرة تحت المشيئة إن شاء الله عز وجل عفا عنه، وإن شاء عذبه، لكن آخر أمره إلى الجنة، ولو كان يكفر بكبيرته لكان من أهل النار خالداً فيها مخلداً.

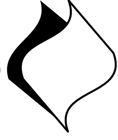
فصاحب الكبيرة إذا لقي الله بها من غير توبة، فهو ظالم لنفسه، وهذا يحاسب، ويوازن بين حسناته وسيئاته، فإن رجحت سيئاته، كان من أهل النار، إلا أن يعفو الله عنه، وقد يحاسب حسابا يسيرا، فيقرره الله بذنوبه، ثم يعفو عنه.

ثانيًا: أقوال العلماء.

وقال الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ): "وأهل الكبائر من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: سورة النساء الآية ٤٨ {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}. وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته، وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته". (١٥٢٠).

قال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار، ويخرج قوم من النار بشفاعة الشافعين، ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله

(١٥٢٠) الطحاوية (مع الشرح) صـ ٤١٦ – ٤١٧.



ثم يخرجهم من النار، وقوم يخلدون فيها أبدا، وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل". (١٠٢١)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): وهم – أي أهل السنة – في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي–صلى الله عليه وسلم–. وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء.. ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية، فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته". (١٠٢٢)

ومن هذه النصوص يتضح: أن أهل السنة وسط في حكم مرتكب الكبيرة الذي مات من غير توبة: فلم يقولوا: بعدم دخوله النار كما قالت المرجئة.

ولم يقولوا بتخليده فيها–كما قالت الخوارج–وإنما قالوا: هو تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة، فلا يخلد في النار.

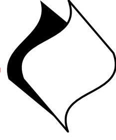
وسيأتي مزيد تفصيل للمسألة.

[رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة].

[١٣]. قال المصنف–رحمه الله–:

(١٠٢١) السنة للإمام أحمد صـ ٧٢ –٧٣.

(١٠٢٢) الفتاوى جـ ٣ صـ ٣٧٤..



"ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم، وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في قوله: ((إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر)).

والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية، لا للمرئي، والأخبار الواردة في الرؤية مخرجة في كتاب الانتصار بطرقها".

الشرح:

تمهيد.

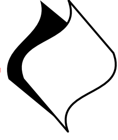
مسألة رؤية الله يُلحقها العلماء بباب الصِّفات، مع أن البحث في رؤية العبد لربه وليس العكس، ولكنهم يُلحقونها بباب الصفات.

ويجدر التنبيه على أمور مهمة تتعلق بمسألة الرؤية، فمسألة رؤية الله عز وجل مُتشعبة؛ إذ تشتمل على المسائل الآتية:

- المسألة الأولى: ما يتعلق برؤيته سبحانه وتعالى في الدنيا عيانًا.
- المسألة الثانية: ورؤيته جل وعلا منامًا.
- المسألة الثالثة: ورؤية النبي ﷺ لربِّه ليلة المعراج.
- المسألة الرابعة: ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وفي الجنة.
- المسألة الخامسة: وكذلك رؤية المنافقين والكافرين له جل جلاله يوم القيامة.

المسألة الألى: رؤية الله في الدنيا يقظة.

رؤية الله في الدنيا يقظة غير واقعة شرعًا، وغير مُمكنة، وقد اتفقت الأمةُ على أن الله تعالى لا يراه أحدٌ في الدنيا بعينه، ولم ينازعوا في ذلك إلا ما شَذَّ من بعض غُلاة الصُّوفية؛ فقد زعموا أنه يجوز رؤية الله



في الدنيا، وأنه يَزورهم ويَزورونه في الحضرة الإلهية ويَرَوْنه (١٥٢٣)، وهؤلاء لا عبرة بخلافهم؛ إذ كله كذب ودجل.

ومَن ادَّعى رؤية الله في الدنيا بعيني رأسه فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة، وهو ضالٌّ.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)، في ردِّه على مَن زعم رؤية الله في الدنيا يقظة: "مَن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضالٌّ، مُخالف للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، لا سيما إذا ادَّعوا أنهم أفضل مِن موسى، فإن هؤلاء يُستتابون، فإن تابوا وإلا قُتلوا". (١٥٢٤)

وقد بَيَّن–رحمه الله–علة عدم إمكان رؤية الله في الدنيا بالعين، حيث قال: "وإنَّما لم نَره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤيا، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرَّائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قُوى الآدميين حتى أطاقهم رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل خَرَّ موسى صعقًا، قال: سبحانك! تُبت إليك، وأنا أول المؤمنين بأنَّه لا يراك حيٌّ إلا مات، ولا يابس إلا تَدَهْدَه، ولهذا كان البشر يَعجزون عن رؤية المَلَك في صورته إلَّا مَن أيده الله، كما أيَّد نبينا صلى الله عليه وسلم". (١٥٢٥)

والأدلة التي استند عليها أهل السنة في إجماعهم على عدم وقوع رؤية الله في الدنيا يقظة–كثيرة؛ منها:

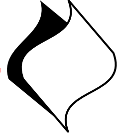
قول النبي–صلى الله عليه وسلم–كما في «صحيح مسلم»: ((**تَعَلَّمُوا أنَّه لن يرى أحدٌ مِنكم ربه–عز وجل–حتى يَموت**)). (١٥٢٦)، فهو صريح في عدم وقوع الرؤية البصرية لأحد من الناس لله جل وعلا في هذه الدار الدنيا حتى ولو كان نبيًّا؛ لأن الله–جل وعلا–قد مَنع موسى–عليه السلام–مِن أن يَرَاه، وهو أحد أُولي العزم من الرسل، فكيف بمن دونه مِن سائر المؤمنين؟! فإن الله–جل وعلا–لما قال له

(١٥٢٣) «المِلل والنِّحَل» للشَّهرستاني (١/ ١٠٥).

(١٥٢٤) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٠٤).

(١٥٢٥) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٣٣٢).

(١٥٢٦) أخرجه مسلم (٢٩٣١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.



موسى: **{رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣] قال: **{لَن تَرَانِي}** [الأعراف: الآية: ١٤٣] فمنعه من أن يراه، وفي قوله: **{فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]، أي: لما تجلى الله للجبل تدكدك ولم يَثبت، فكيف يَثبت البشر الضعيف؟!

المسألة الثانية: رؤية الله–عز وجل–في المنام.

ذهب جمهور العلماء إلى جواز رؤية الله في المنام، وأنها قد تقع صحيحة، بل ذكر القاضي عياض–رحمه الله–اتفاق العلماء على هذه المسألة؛ فقال: "ولم يختلف العلماء في جواز صحة رؤية الله في المنام". (١٥٢٧)

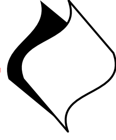
وقال الإمام البَغوي–رحمه الله–(ت: ٥١٠ هـ): "رؤية الله في المنام جائزة؛ قال معاذ–رضي الله عنه–(ت: ١٨ هـ)، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إني نَعست فرأيت ربِّي**)) (١٥٢٨)، وتكون رؤيته–جَلَّت قُدرته–ظهور العدل والفرج والخصب والخير لأهل ذلك الموضع، فإن رآه فوعد له جنة، أو مغفرة، أو نجاة من النار، فقوله حق، ووعده صدق، وإن رآه ينظر إليه فهو رحمته، وإن رآه معرضًا عنه فهو تحذير من الذنوب؛ لقوله سبحانه وتعالى: **{أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ}** [آل عمران: الآية: ٧٧]، وإن أعطاه شيئًا من متاع الدنيا فأخذه، فهو بلاء ومحن وأسقام تصيب بدنه، يَعظم بها أجرُه، لا يَزال يضطرب فيها حتى يُؤديه إلى الرحمة، وحسن العاقبة". (١٥٢٩)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ومن رأى الله–عز وجل–في المنام فإنَّه يراه في صورة من الصور بحسب حال الرَّائي؛ إن كان صالحًا رآه في صورة حسنة، ولهذا رآه النبي صلى الله عليه وسلم

(١٥٢٧) «إكمال المعْلِم بفوائد مُسلم» (٧/ ٢٢٠) ط. دار الوفاء.

(١٥٢٨) أخرجه أحمد في المسند (٢١٦٢٨)، والترمذي في العلل الكبير (٤٣٥)، والحاكم في المستدرك (١٨٦٩)، والطبراني في الكبير (١٦١٠٣).

(١٥٢٩) «شرح السنة» (١٢/ ٢٢٧، ٢٢٨).



في أحسن صورة...". (١٠٣٠)

وقال في موضع آخر: "وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورة متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يُشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق...". (١٠٣١)

وقال الإمام ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ) عند تفسير قوله تعالى: **{مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ}** [ص: الآية: ٦٩]: فأمَّا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: ((... **فإذا أنا بربي–عز وجل–في أحسن صورة، فقال: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب**)). **أعادها ثلاثًا**، ((**فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري، فتجلى لي كل شيء وعرفتُ**...))، فهو حديث المنام المشهور، ومَن جعله يقظة فقد غَلط، وهو في السُّنن من طرق". (١٠٣٢)

المسألة الثالثة: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج.

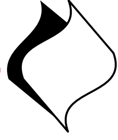
بعد اتفاق أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا يقظة فقد اختلفوا في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج.

قال الإمام ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "**حكى عثمان بن سعيد الدارمي–رحمه الله–(ت: ٢٨٠ هـ)** في كتاب (الرؤية) له: إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك، وشيخنا–أي: ابن تيمية–يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل: رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال: إنه–ﷺ صلى الله عليه وسلم – رآه عز وجل، ولم يقل: بعيني رأسه، ولفظ أحمد لفظ ابن عباس–رضي الله عنهما–، ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر–رضي الله عنه– عن النبي–صلى الله عليه وسلم–في الحديث الآخر:

(١٠٣٠) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٥١).

(١٠٣١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٩٠).

(١٠٣٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٨١).



((**حجابُه النُّورُ**)). (١٠٣٣)، فهذا النور هو–والله أعلم–النور المذكور في حديث أبي ذر–رضي الله عنه–: ((**رأيتُ نُورًا**))". (١٠٣٤) (١٠٣٥)

وهو ما رجَّحه–أيضًا–شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»، حيث قال–رحمه الله–: "ولم يتنازعوا إلا في النبي–صلى الله عليه وسلم–خاصة مع أن جماهير الأئمة على أنَّه لم يَرَه بعينه في الدنيا، وعلى هذا دَلَّت الآثار الصحيحة الثابتة النبي–صلى الله عليه وسلم–والصحابة وأئمة المسلمين، ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم قالوا: إن محمدًا رأى ربه بعينه، بل الثابت عنهم إمَّا إطلاق الرؤية، وإمَّا تقييدها بالفؤاد، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه، وقوله: ((**أتاني البارحةَ رَبِّي في أحسن صورة**)). (١٠٣٦) الحديث الذي رواه الترمذي وغيره إنما كان بالمدينة في المنام هكذا جاء مفسرًا". (١٠٣٧)

فحملوا الآثار المطلقة الواردة في الرؤية؛ كأثر ابن عباس: ((رأى محمدٌ ربَّه)) على الرؤية القلبية، وحملوا الآثار النافية للرؤية؛ كأثر عائشة–رضي الله عنها–على الرؤية البصرية؛ لأنه–من خلال التَّتبع–لم يَرِد عن أحد منهم أنه قال: رآه بعينه، وعليه فلا تعارض بين هذه النصوص.

المسألة الرابعة: **رؤية الله–عز وجل–في الآخرة.**

ورؤية الله تعالى هي أعظم النعيم وأعلاه، وغايته ومنتهاه، وهو لكل مؤمن اصطفاه، فهي أجل مسائل الدين وأشرفه.

قال ابن أبي العز الحنفي–رحمه الله–(ت:٧٩٢ هـ): "هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين

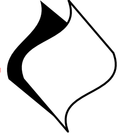
(١٠٣٣) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(١٠٣٤) أخرجه مسلم (١٧٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(١٠٣٥) «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» (١/ ٣).

(١٠٣٦) أخرجه الترمذي (٣١٥٧)، وأحمد (٣٣٠٤) وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩).

(١٠٣٧) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٦٩).



وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون". (١٥٣٨)

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون بأن أهلَ الإيمان يرون ربهم يومَ القيامة كما وردت الأدلة بذلك

أولًا: الأدلة من القرآن:

●قوله تعالى: **{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}** [يونس: الآية: ٢٦]، فقد فسرت الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم.

قال أبو بكر الصديق–رضي الله عنه–(ت: ١٣ هـ): "النظر إلى وجه الله". (١٥٣٩).

وقال قتادة–رحمه الله–(١١٨ هـ): "الحسني الجنة، والزيادة فيما بلغنا النظر إلى وجه الله". (١٥٤٠)

وقال عامر بن سعد–رحمه الله–٩٦ هـ): "الزيادة: النظر إلى وجه الرحمن". (١٥٤١)

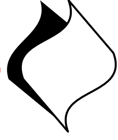
وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى–رحمه الله–(ت: ٨٣ هـ): "إذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه! قال: فيتجلى لهم. قال: فيصغر عندهم كل شيء أعطوه. قال: ثم قال: **{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}** [يونس: الآية: ٢٦]، قال: {**الْحُسْنَى**} الجنة، والزيادة النظر

(١٥٣٨) شرح الطحاوية للقاضي ابن أبي العز (١/ ٢٠٨).

(١٥٣٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٥٦ و١٦١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠٦) إلى ابن أبي شيبة، وابن خزيمة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، والدارقطني، وابن منده في الرد على الجهمية، واللالكائي والآجري، والبيهقي.

(١٥٤٠) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/ ١٧٤ رقم ١١٥٥).

(١٥٤١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٥٧).



إلى وجه ربهم، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد ذلك". (١٠٤٢)

قال البغوي–رحمه الله–(ت: ٥١٦ هـ): "للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجه الله الكريم، هذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق–رضي الله عنه–(ت: ١٣ هـ)، وحذيفة–رضي الله عنه–(ت: ٣٦ هـ)، وأبو موسى––رضي الله عنه–(ت: ٤٢ هـ)، وعبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)، وهو قول الحسن–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)، وعكرمة–رحمه الله–(ت: ١٠٥ هـ) وعطاء–رحمه الله–(ت: ١١٤ هـ)، ومقاتل–رحمه الله–(ت: ١٥٠ هـ)، والضحاك–رحمه الله–(ت: ٦٤ هـ)، والسدي–رحمه الله–(ت: ١٢٨ هـ)". (١٠٤٣)

قال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "للذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسنى وهي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، وهو قول جماعة من التابعين، وهو الصحيح في الباب". (١٠٤٤)

قال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "وقد ورد هذا عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب في راوية، وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وأبي موسى وصهيب وابن عباس في رواية، وهو قول جماعة من التابعين، وهو الصحيح في الباب.

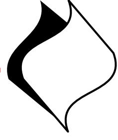
وروى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟! قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل. وفي رواية ثم تلا {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}** [يونس: الآية: ٢٦])) (١٠٤٥)"

(١٠٤٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٥٩).

(١٠٤٣) انظر: تفسير البغوي (٤/ ١٣٠).

(١٠٤٤) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٣٣٠) باختصار.

(١٠٤٥) رواه مسلم (١٨١).



(١٠٤٦)

● قوله تعالى: ولدينا مزيد **{لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}** [ق: الآية: ٣٥] فقد فسر المزيد في هذه الآية بأنه النظر إلى الله تعالى كالآية السابقة،

قال أنس–رضي الله عنه–(ت: ٩٣ هـ)، في قول الله تعالى : **{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}** قال: "يتجلى لهم كل جمعة". (١٠٤٧)

وقال الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): "يقول: وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلى الله جل ثناؤه". (١٠٤٨)

قال ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "إن المزيد الذي يتفضل الله به على عباده فوق ما يشاءون هو ظهوره تعالى لهم". (١٠٤٩) وبهذا فسر الآية ابن جرير الطبري والقرطبي وغيرهما ودلالتها عن الرؤية كالآية السابقة.

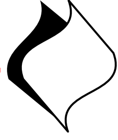
●قوله تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [القيامة: الآيات: ٢٢–٢٣]، ووجه الاستدلال بالآية على الجواز ما نقل أن **{نَاظِرَةٌ}** أي رائية رؤية بصرية يوم القيامة كما قال أهل السنة والجماعة.

(١٠٤٦) تفسير القرطبي ٨/ ٣٣٠.

(١٠٤٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (رقم ٩٤)، والدارمي في الرد على الجهمية (رقم ١٩٨)، والبزار في مسنده (رقم ٧٥٢٨)، وقال: "وعثمان صالح وهذا الحديث لا نعلم رواه عن أنس بهذا اللفظ إلا عثمان بن عمير أبو اليقظان". وبنحوه رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥١٩ رقم ٨١٣). قال ابن تيمية: "إسناده صحيح" مجموع الفتاوى (٦/ ٤١٥).

(١٠٤٨) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤).

(١٠٤٩) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٠٨.



عن عكرمة–رحمه الله–(ت: ١٠٥ هـ) قال: "تنظر إلى ربها نظرا". (١٥٥٠)

وقال عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد وأشياخ من أهل الكوفة: "تنظر إلى ربها نظرا". (١٥٥١)

وعن الحسن–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ) قال: "تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق". (١٥٥٢)

قال الواحدي–(ت: ٤٦٨ هـ): "قال ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، في رواية عطاء–رحمه الله–(ت: ١١٤ هـ): "يريد إلى الله ناظرة ،"وقال في رواية الكلبي: "تنظر إلى الله يومئذ، لا تحجب عنه ،"وقال مقاتل: "تنظر إلى ربها معاينة ". (١٥٥٣)

قال الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): "الصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ ". (١٥٥٤)

وقال الزجاج–رحمه الله–(ت: ٣٤٠ هـ): "نضرت بنعيم الجنة والنظر إلى ربها ". (١٥٥٥)

(١٥٥٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٠٧).

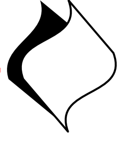
(١٥٥١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٠٧).

(١٥٥٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٠٧).

(١٥٥٣) انظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٣٩٣ - ٣٩٤).

(١٥٥٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠٩) بتصرف.

(١٥٥٥) انظر: معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج (٥/ ٢٥٣).



وقال السمعاني–رحمه الله–(ت: ٤٢٦ هـ): "قوله: **{نَاظِرَةٌ}** بالضاد أي: مسرورة طلقة هشة بشة، والنضرة: هي النعمة والبهجة في اللغة. وقوله: **{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** هو النظر إلى الله تعالى بالأعين، وهو ثابت للمؤمنين في الجنة بوعد الله تعالى وبخبر الرسول ". (١٠٥٦)

- **قال أبو الحسن الأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ)**: "قال الله عز وجل: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} [القيامة: الآية: ٢٢]، يعني: (مشرقة) إِلَى **{رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [القيامة: الآية: ٢٣] يعنى: رائية، ولا يجوز أن يكون بمعنى نظر التفكر والاعتبار لأن الآخرة ليست بدار الاعتبار، ولا يجوز أن يكون عني نظر الانتظار لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه". (١٠٥٧)

- قوله تعالى: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}** [المطففين: الآية: ١٥].

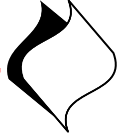
قال الحسن–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ): "في قوله: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}** [المطففين: الآية: ١٥]، قال: يكشف الحجاب، فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون. كل يوم غدوة وعشية". (١٠٥٨)

وعن أشهب بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ)، صاحب مالك قال: قال رجل لمالك: يا أبا عبد الله هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ قال: "لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير

(١٠٥٦) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٦/ ١٠٦).

(١٠٥٧) الإبانة عن أصول الديانة ص ١٢.

(١٠٥٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٣٥١).



الله الكفار بالحجاب، فقال: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}** [المطففين: الآية: ١٥]". (١٠٥٩)

وقال الإمام الشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ) في قول الله تعالى: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}** [المطففين: الآية: ١٥]، قال: "فلا حجبهم في السخط: كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا". (١٠٦٠)

وقال الربيع بن سليمان–رحمه الله–(ت: ٢٧٠ هـ): "كنت ذات يوم عند الشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ)، وجاءه كتاب من الصعيد –وهو اسم موضع بمصر–يسألونه عن قول الله جل ذكره: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}** [المطففين: الآية: ١٥] الآية. فكتب فيه: لما حجب الله قوما بالسخط، دل على أن قوما يرونه بالرضا. قال الربيع: قلت له: أو تدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد ابن إدريس أنه يرى ربه في الميعاد لما عبده في الدنيا". (١٠٦١)

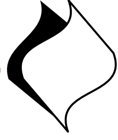
وقال الزجاج–رحمه الله–(ت: ٣٤٠ هـ): "وفي هذه الآية دليل على أن الله يرى في الآخرة، لولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن الله–تعالى– وقال تعالى في المؤمنين: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: الآيات: ٢٢ – ٢٣] فأعلم الله–تعالى–أن المؤمنين ينظرون إلى الله، وأن الكفار يحجبون عنه". (١٠٦٢)

(١٠٥٩) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٤٦٨ رقم ٨٠٨).

(١٠٦٠) انظر: أحكام القرآن للشافعي، جمع الإمام البيهقي (١/ ٤٠).

(١٠٦١) انظر مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤١٩).

(١٠٦٢) انظر: معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج (٥/ ٢٩٩).



أما الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر لقيا الله تعالى في الآخرة مثل:

قوله تعالى: **{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ}** [البقرة: الآية: ٢٢٣].

وقوله تعالى: **{قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ}** [البقرة: الآية: ٢٤٩].

وقوله تعالى: **{فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ}** [التوبة: الآية: ٧٧].

وقوله تعالى: **{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا}** [الأحزاب: الآية: ٤٤].

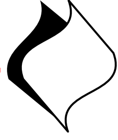
وقوله تعالى: **{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}** [الكهف: الآية: ١١٠].

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: **{فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ}** [التوبة: الآية: ٧٧] فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة، بل والكفار أيضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة". (١٠٦٣)

قال أبو العباس أحمد بن يحيى المشهور بثعلب–رحمه الله–(ت: ٢٩١ هـ): في قوله تعالى: **{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ}**. [الأحزاب: الآية: ٤٤]. "أجمع أهل اللغة أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرا بالأبصار". (١٠٦٤).

(١٠٦٣) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (١/ ٦٠٨).

(١٠٦٤) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ٦٢).



ثانيًا: الأدلة من السنة:

١-**حديث عمار بن ياسر-رضي الله عنهما-(ت: ٣٧ هـ)**، حين سمع النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء: ((**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**)). (١٠٦٥)

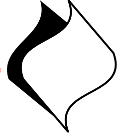
٢ - **عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٩ هـ)**، أن أناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**هل تضارون في القمر ليلة البدر؟**)). قالوا: لا. قال: ((**فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**)). قالوا: لا. قال: ((**فإنكم ترون ربكم يوم القيامة كذلك**. . .)). (١٠٦٦)

٣ - **عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري-رضي الله عنه-(ت: ٤٤ هـ)**: أن رسول الله ﷺ قال: ((**جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر، على وجهه في جنة عدن**)). (١٠٦٧)

(١٠٦٥) أخرجه النسائي (رقم ١٣٠٥)، وابن حبان (رقم ١٩٧١)، والطبراني في كتاب الدعاء (رقم ٦٢٤)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٤٢٥)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٩)، والدارمي في الرد على الجهمية (رقم ١٨٨)، وتمام الرازي في فوائده (٢/ ١٤٧ رقم ١٣٨٧)، والدارقطني في كتاب رؤية الله (رقم ١٥٨)، والحاكم في المستدرك (رقم ١٩٢٣) وصححه، ووافقه الذهبي، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٤٠ رقم ٨٤٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (رقم ٢٢٧).

(١٠٦٦) أخرجه البخاري (رقم ٦٥٧٣)، ومسلم (رقم ٢٩٩) وغيرهما.

(١٠٦٧) أخرجه البخاري (رقم ٤٨٧٨) ومسلم (رقم ١٨٠) وغيرهما.



٤ - **عن أبي سعيد الخدري**–**رضي الله عنه**–**(ت: ٧٤ هـ)**، قال: قلنا يا رسول الله: هل نرى ربنا–عز وجل–؟ قال: ((**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة في غير سحاب؟**)). قال: قلنا: لا، قال: ((**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر في غير سحاب؟**)). قال: قلنا: لا، قال: ((**فإنكم لا تضارون في رؤيته لك يوم القيامة إلا كما لا تضارون في رؤيتهما**)). (١٠٦٨)

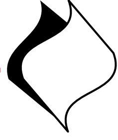
٥–**وعن جرير بن عبد الله**–**رضي الله عنه**–**(ت: ٥٤ هـ)**، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنكم سترون ربكم عيانا)) (١٠٦٩).

قال ابن القيم–**رحمه الله**–**(ت: ٧٥١ هـ)**: "وأما الأحاديث عن النبي–صلى الله عليه وسلم– وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله البجلي، وصهيب بن سنان الرومي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الخصيب الأسلمي، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص وحديثه موقوف، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف، ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمى. فهناك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقها بالقبول والتسليم، وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق الطعن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين". (١٠٧٠) ثم ذكر بعد ذلك سياق الأحاديث بكاملها.

(١٠٦٨) أخرجه البخاري (رقم ٧٤٣٩) والإمام أحمد في مسنده (رقم ١١١٢٠) وابن ماجه (رقم ١٧٩) وابن حبان (رقم ٧٣٧٧) وابن أبي عاصم في كتاب السنة (رقم ٤٥٢) وابن منده في كتاب الإيمان (رقم ٨١٧) والدارقطني في كتاب رؤية الله (رقم ١٠) وابن النحاس في كتاب رؤية الله (رقم ٥).

(١٠٦٩) رواه البخاري ٧٤٣٥.

(١٠٧٠) حادي الأرواح ص ٢٣١



قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-(ت: ١٣٩٣ هـ): "تواترت الأحاديث الصحاح في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد والأجزاء عن نحو من عشرين صحابيا كراماء فضلاء عن النبي ﷺ، أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، ولا يكاد ينازع من له إنصاف في تواتر أحاديث رؤية الله يوم القيامة". (١٥٧١)

وقد نظم ذلك بعض العلماء (١٥٧٢) فقال:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتا واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذى بعض

ثالثًا: دليل الإجماع.

أجمع سلف الأمة وأئمتها من الصحابة-رضي الله عنهم-، ومن بعدهم على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، رؤية حقيقة بالأبصار عيانا، كما ورد في الكتاب والسنة.

وحكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة رحمه الله تعالى.

قال الإمام ابن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ): "رؤية المؤمنين ربهم لك يوم القيامة، وهو ديننا الذي ندين الله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة، فهو: أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ". (١٥٧٣)

وقال أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-(ت: ٣٢٤ هـ): "وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله-عزوجل-يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣] وقد بين معنى ذلك النبي ﷺ ودفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين:

(١٥٧١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/ ١٥٠).

(١٥٧٢) نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد بن جعفر الكتاني (ص ١٨).

(١٥٧٣) انظر: صريح السنة للطبري (ص ٢٠).

"ترون ربكم عيانا". (١٥٧٤)

وقال ابن أبي زمنين المالكي–رحمه الله–(ت: ٣٩٩ هـ): "قول أهل السنة: إن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه". (١٥٧٥)

وقال ابنُ القيّم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "دلَّ الكتابُ والسنَّةُ المتواتِرَةُ وَإجماعُ الصَّحابةِ وأئمةُ أهلِ الإسلامِ والحديثِ عَلَى أَنَّ اللهَ يُرى يومَ القيامَةِ بِالأبصارِ عِيَانًا، كَمَا يُرى القَمَرُ ليلةَ البدرِ صَحْوًا، وَكَمَا تُرى الشَّمسُ فِي الظَّهيرة، فَإن كَانَ مَا أَخبَرَ به اللهُ وَرَسُوله عنه من ذلك حَقِيقَةً–وإنَّ له والله حقّ الحقيقة–فَلَا يُمكِنُ أن يَروهُ إِلَّا مِن فَوقِهم؛ لاستِحَالَةِ أَن يَروهُ أسفل منهم، أو مِن خلفهم، أَو أمامهم، وَنَحو ذَلِكَ...، فلَا يَجتَمِعُ فِي قَلبِ العبد بعد الاطلاع عَلَى هَذِهِ الأَحَادِيث وَفَهِمَ مَعنَاهَا إنكارُها والشهادةُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ أَبَدًا". (١٥٧٦)

رابعًا: دليل العقل.

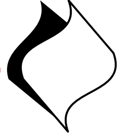
العقل لا يمنع رؤية الله تعالى، لأن كل موجود صح وجوده وثبت كانت رؤيته ممكنة، وما كانت رؤيته ممتنعة أو متعذرة فهو المعدوم، وكذلك إذا كانت الرؤية إنها تثبت للشيء لكماله، فالله تعالى أولى بالكمال فتكون الرؤية في حقه تعالى أولى، ورؤيته تعالى في الدنيا عيانا ممتنعة لضعف الإنسان وعجزه، أما في الآخرة فهي ثابتة متحققة.

قال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى

(١٥٧٤) انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (ص ١٣٤).

(١٥٧٥) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ١٢٠).

(١٥٧٦) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص ٣٤٢).



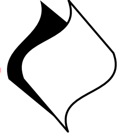
في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابية عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة" (١٥٧٧)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "معلوم أن الرؤية تعلق بالموجود دون المعدوم، ومعلوم أنها أمر وجودي محض لا يسيطر فيها أمر علمي وإذا كانت أمرا وجوديا محضا، ولا تتعلق إلا بالموجود فالمصحح لها الفارق بين ما يمكن رؤيته وما لا يمكن رؤيته: إما أن يكون وجودا محضا، أو متضمنا أمرا عدميا. والثاني باطل لأن العدم لا يكون له تأثير في الوجود المحض فلا يكون سببا له، ولا يكون أيضا شرطا أو جزءا من السبب إلا أن يتضمن وجودا فيكون ذلك الوجود هو المؤثر في الوجود ويكون ذلك العدم دليلا عليه ومستلزما له ونحو ذلك، وهذا من الأمور البينة عند التأمل. وإذا كان المقتضى جواز الرؤية، والمصحح للرؤية، والفارق بينما تجوز رؤيته وبينما لا تجوز: إما أن يكون وجودا محضا فلا حاجة بنا إلى تعيينه، سواء قيل هو مطلق الوجود أو القيام بالنفس، أو بالعين بشرط المقابلة والمحاذاة، أو غير ذلك مما يقال إنه مع وجوده تصح الرؤية ومع عدمه تمتنع، لكن المقصود أنه أمور وجودية، وإذا كان كذلك فقد علم أن الله تعالى هو أحق بالوجود، وكماله من كل موجود، إذ وجوده هو الوجود الواجب، ووجود كل ما سواه هو من وجوده، وله الكمال التام في جميع الأمور الوجودية المحضة فإنها هي الصفات التي بها يكون كمال الوجود، وحينئذ فيكون الله –وله المثل الأعلى– أحق بأن تجوز رؤيته لكان وجوده، ولكن لم نره في الدنيا لعجزنا عن ذلك وضعفنا كما لا نستطيع التحديق في شعاع الشمس". (١٥٧٨)

وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن الرؤية أمر وجودي لا يتعلق إلا بموجود، وما كان أكمل وجودا كان أحق بأن يرى، فالباري سبحانه أحق بأن يرى من كل ما سواه؛ لأن وجوده أكمل من وجود كل ما سواه، يوضحه: أن تعذر الرؤية: إما خفاء المرئي، وإما لآفة وضعف في الرائي، والرب سبحانه أظهر من كل موجود، وإنما تعذرت رؤيته في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر إليه، فإذا كان الرائي في دار البقاء كانت قوة الباصرة في غاية القوة لأنها دائمة فقويت على رؤيته تعالى، وإذا جاز أن يرى سبحانه فالرؤية المعقولة عند جميع بني آدم عربهم وعجمهم وتركهم وسائر طوائفهم أن يكون المرئي مقابلا

(١٥٧٧) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٣/ ١٥).

(١٥٧٨) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٣٠ – ٤٣٢) باختصار.



للرائي مواجهة له مباينا عنه، لا تعقل الأمم رؤية غير ذلك، وإذا كانت الرؤية مستلزمة لمواجهة الرائي ومباينته للمرئي لزم ضرورة أن يكون مرئيا له من فوقه أو من تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو خلفه أو أمامه، وقد دل النقل الصريح على أنهم إنما يرونه سبحانه من فوقهم لا من تحتهم". (١٥٧٩)

ومسألة رؤية الله عز وجل في الآخرة على أقسام:

القسم الأول: رؤية المؤمنين لربِّهم–جل وعلا:–

فالمؤمنون يرونَهُ سبحانه وتعالى يومَ القيامةِ؛ فَمَنِ لَم يُؤمن بِأَنَّهُ–سبحانه–يُرَى يومَ القيامةِ فَقَد رَدَّ أَدِلَّةَ الكتابِ والسُّنَّةِ، وَخَالَفَ مَا عَلَيهِ سَلفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتها، وَلَم يُؤمن بِاللهِ، وَمَلائكتِهِ، وكتبِهِ، وَرسلِهِ.

فالله سبحانه وتعالى سيخص المؤمنين بمزيد من الإنعام يوم القيامة، وهو رؤيته جل وعلا، فقد **روى أبو هريرة رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)** أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله: ((**هَل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟**)). قالوا: لا يا رسول الله. قال: ((**هل تُضارون في الشَّمس ليس دونَها سحاب؟**)). قالوا: لا. قال: ((**فإنَّكم ترونه كذلك**...))، الحديث. (١٥٨٠)

وسيخصهم في الجنة بأعظم نعمة أنعم عليهم بها؛ ألا وهي تشريفهم وإكرامهم بالنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن، كما قال تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [القيامة: الآيات:٢٢، ٢٣].

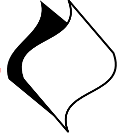
وقال تعالى عن الكافرين: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}** [المطففين: الآية: ١٥].

قال الإمامُ الشافعيُّ–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ): "فَدَلَّ هذا على أنَّ المؤمنين لا يُحجبون عنه تبارك وتعالى".

وقال جل شأنه: {لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: الآية: ٣٥].

(١٥٧٩) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٣٣٢).

(١٥٨٠) أخرجه البخاري (٦٠٨٨) ومسلم (٢٦٧).



فالمزيد هنا هو: النَّظر إلى وجه الله عز وجل، كما فسَّره بذلك علي (ت: ٤٠ هـ)، وأنس بن مالك (ت: مابين ٩٠ و٩٣ هـ)، -رضي الله عنهما-.

وقال سبحانه: **{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}** [يونس: الآية: ٢٦].

فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما فَسَّرها بذلك رسول الله ﷺ بقوله: **((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ! فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا اعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم مِن النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وهي الزيادة، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}))**. (١٥٨١)

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- (ت: ٧٧٤ هـ): "وأمَّا السنة، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ: أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه. آمين". (١٥٨٢)

القسم الثاني: رؤية الكفار والمنافقين لربِّهم جل وعلا.

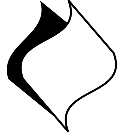
أَمَّا الكفارُ والمنَافِقِينَ، فَقَد **ذكر ابن تيمية -رحمه الله- (ت: ٧٢٨ هـ)** أنَّ الناسَ قد تَنَازَعَوا في ذلك على ثَلَاثَةِ أَقوالٍ؛ فقال: "فَأَمَّا مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ الكُفَّارِ فَأَوَّلُ مَا انْتَشَرَ الكَلَامُ فِيهَا، وَتَنَازَعَ النَّاسُ فِيهَا- فِيمَا بَلَغَنَا- بَعْدَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ مِن الهِجْرَةِ، وَأَمْسَكَ عَن الكَلَامِ فِي هَذَا قَوْمٌ مِن العُلَمَاءِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا آخَرُونَ؛ فَاخْتَلَفُوا فِيهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ، مَعَ أَنِّي مَا عَلِمْت أَنَّ أُولَئِكَ المخْتَلِفِينَ فِيهَا تَلَاعَنُوا وَلَا تَهَاجَرُوا فِيهَا؛ إذْ فِي الفِرَقِ الثَّلَاثَةِ قَوْمٌ فِيهِمْ فَضْلٌ، وَهُمْ أَصْحَابُ سُنَّةٍ".

ثم قال رحمه الله: "وَالأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ فِي (رُؤْيَةِ الكُفَّارِ):

أَحَدُهَا: أَنَّ الكُفَّارَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِحَالٍ؛ لَا المظْهِرُ لِلكُفْرِ، وَلَا المسِرُّ لَه، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ العُلَمَاءِ المتَأَخِّرِينَ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ عُمُومُ كَلَامِ المتَقَدِّمِينَ، وَعَلَيْهِ جُمْهُورُ أَصْحَابِ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِمْ.

(١٥٨١) أخرجه مسلم (٢٦٦) من حديث صُهَيْبٍ رضي الله عنه.

(١٥٨٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٠٩).



الثَّانِي: أَنَّهُ يَرَاهُ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ مِنْ مُؤْمِنِي هَذِهِ الأُمَّةِ، وَمُنَافِقِيهَا، وَغَبَرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَذَلِكَ فِي عَرْصَةِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنِ المنَافِقِينَ، فَلَا يَرَوْنَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي بَكْرِ بْنِ خُزَيْمَةَ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَ القَاضِي أَبُو يَعْلَى نَحْوَهُ فِي حَدِيثِ إِتْيَانِهِ-عز وجل-لَهُمْ فِي الموْقِفِ؛ الحَدِيث المشْهُور.

الثَّالِثُ: أَنَّ الكُفَّارَ يَرَوْنَهُ رُؤْيَةَ تَعْرِيفٍ وَتَعْذِيبٍ؛ كَاللِّصِّ إذَا رَأَى السُّلطَانَ، ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ؛ لِيَعْظُمَ عَذَابُهُمْ، وَيَشْتَدَّ عِقَابُهُمْ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَوْلِ غَيْرِهِمْ؛ وَهُمْ فِي الأُصُولِ مُنْتَسِبُونَ إلَى الإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِلَى سَهْل بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتري". (١٥٨٣)

وممَّن رَجَّحَ رؤيَةَ الكُفَّارِ وَالمنَافِقِينَ للهِ فِي عَرَصاتِ القيامةِ **ابنُ القيّم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ)** فِي «حادي الأرواح». (١٥٨٤)

أما أهل الكفر فكما قالَ الله سبحانه وتعالى عنهم: **{كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُون}** [المطفِّفين: الآية: ١٥]، فيُحجبون عن رؤية الله عز وجل، ولا شك أن أعظم عطاءٍ يُعطاه المؤمن؛ النظرُ إلى وجهه الكريم.

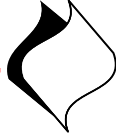
ولذلك أحد الصحابة لما سمعَ ذلك قال: "لن نعدِمِ من ربٍ يضحكُ خيرا". (١٥٨٥) فالله سبحانه وتعالى سيتجلَّى لعباده المؤمنين وسيرونه، وهذه الرؤية منها ما يكون في عرصاتِ يوم القيامة، ومنها ما يكون بعد دخولهم الجنة.

فمن عقيدةِ أهلِ السنَّةِ والجماعة أن رؤية الله عز وجل ثابتة بنصوصِ القرآن والسنَّة، فنؤمنُ بها ونصدِّقُ بها كما أخبرت بذلك النصوص.

(١٥٨٣) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٦).

(١٥٨٤) «حادي الأرواح» (ص٢٦٢).

(١٥٨٥) انظر سنن ابن ماجه برقم (١٨١)، والإمام أحمد في المسند مُسْنَدُ الْمَدَنِيِّينَ (١٦١٨٧)، ذكره الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة الجزء السادس، صفحة (٧٣٢)، وضعفه الأرنؤوط كما في المسند.



المسألة الخامسة: الفرق المخالفة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة. (١٥٨٦)

أولًا: أقوال المخالفين.

خالف في ذلك فرقتان من فرق الضلال، وقد تفرقوا إلى ثلاث فرق، وهي كما يلي:

الفرقة الأولى: المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والزيدية والمرجئة، ذهبوا إلى نفي رؤية الله تعالى في الآخرة، وحرفوها إلى معنى العلم به ومعرفته تعالى.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ): "ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية". (١٥٨٧)

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ): "الرؤية بالأبصار على الله تستحيل، والرؤية بالمعرفة والعلم تجوز عليه". (١٥٨٨)

وعندهم أن من زعم أن الله يرى بالأبصار فهو مشبه لله بخلقه، والمشبه عندهم كافر بالله تعالى. (١٥٨٩)

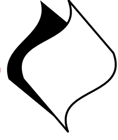
قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ): "أعلم أن من خالفنا في هذه المسألة لا يخلو حاله من أحد أمرين: إما أن يحقق الرؤية فيقول: إن الله يرى بلا مقابل لنا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل، أو لا يحقق فيقول: إنه تعالى يري بلا كيف، فمن ذهب إلى المذهب الأول فإنه يكون كافرا؛ لأنه جاهل بالله تعالى، والجهل كفر، والدليل على ذلك إجماع الأمة، وإجماع الأمة حجة. ومن قال: إنه تعالى يري بلا كيف فلا يكفر؛ لأن التكفير إنما يعرف شرعًا، ولا دلالة من جهة الشرع يدل على ذلك".

(١٥٨٦) المصدر: مقدمة تحقيق كتاب صفات رب العالمين لابن المحب الصامت ١/ ١٩٩-٢٥٣.

(١٥٨٧) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٣٢).

(١٥٨٨) انظر: المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٣٣٧).

(١٥٨٩) انظر: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد (ص ٦٨).



(١٥٩٠)

الفرقة الثانية: وهم جمهور الأشاعرة المتأخرون، فقد ذهبوا إلى القول بأن الله يرى بلا جهة، فأثبتوا رؤية الله في الآخرة لورود النصوص والإجماع على ذلك، لكنهم جعلوا ذلك إلى غير جهة. (١٥٩١)

الفرقة الثالثة: وذهب بعض الأشاعرة إلى القول بأن المقصود بالرؤية هو: "نوع إدراك هو كمال ومزيد كشف بالإضافة إلى التخيل". (١٥٩٢)

فجعلوا حقيقة الرؤية كشف وزيادة علم بالله تعالى.

ثانيًا: شبه المخالفين والرد عليها.

أولًا: الأدلة الشرعية التي استدل بها المعتزلة ومن وافقهم على نفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

استدل المعطلة على مذهبهم بعدة أدلة من القرآن الكريم وهي:

١ - قوله تعالى: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣].

وجه الدلالة: أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفي عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحا راجعا إلى ذاته، وما كان من نفيه تمدحا راجعا إلى ذاته كان إثباته نقصا، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال. (١٥٩٣)

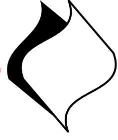
وقالوا أيضا: أنه نفى أن يدرك بالأبصار، وقد علمنا أن الإدراك إذا قرن بالبصر أفاد ما تفيده رؤية البصر، وإذا كان إذا أطلق فقد يستعمل بمعنى اللحوق، فيقال: أدرك الغلام إذا بلغ، وأدركت الثمرة إذا

(١٥٩٠) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٧٦ - ٢٧٧).

(١٥٩١) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني (ص ١٧٧ و١٧٨).

(١٥٩٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي (ص ٤٥).

(١٥٩٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٣٣).

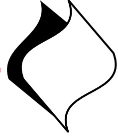


نضجت، وأدرك فلان فلانة إذا لحقه، وقال سبحانه: **{حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ}** [يونس: الآية: ٩٠] يعني: لحقه الغرق، وقال سبحانه: **{فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}** [الشعراء: الآية: ٦١] يعني: لملحوقون، وقد يقال عند الإطلاق: أدركت الحرارة والبرودة وأدركت الصوت، وكل ذلك إنما يصح إذا لم يقرن بالبصر، ومتي قرن به زال الاحتمال عنه، فاختص بفائدة واحدة وهي الرؤية بالبصر، فإذا صح ذلك فيجب أن يكون: **{لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣]، في باب الدلالة على أنه لا يرى، بمنزلة قوله لو قال: "لا تراه الأبصار"، فثبت أنه نفى عن نفسه إدراك البصر فيتناول جميع الأبصار في جميع الأوقات، يبين ما ذكرناه: أنه لا فرق بين قولهم: أدركت ببصري هذا الشخص، وبين قولهم: رأيت ببصري هذا الشخص، أو أبصرت ببصري هذا الشخص، حتى لو قال: أدركت ببصري وما رأيت، أو رأيت وما أدركت لعد متناقضة، ومن علامات اتفاق اللفظين في الفائدة أن يثبتا في الاستعمال معا ويزولا معا، حتى لو أثبت بأحدهما ونفى بالآخر لتناقض الكلام. (١٥٩٤)

قالوا: ومما يؤيد العموم **أن عائشة–رضي الله عنها–(ت: ٥٧ هـ)**، لما أنكرت قول ابن عباس في أن محمدا ﷺ رأى ربه ليلة المعراج تمسكت في نصرة ما ذهبت إليه بهذه الآية، ولو لم تكن هذه الآية مفيدة للعموم بالنسبة إلى كل الأشخاص وكل الأحوال لما تم ذلك الاستدلال، ولا شك أنها من أكثر الناس علما بلغة العرب، فثبت أن هذه الآية دالة على النفي بالنسبة إلى كل الأشخاص وذلك يفيد المطلوب.

وأيضا: إن الباري تعالى تمدح بكونه لا يرى، حيث إن قوله: **{لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣]، وقعت في أثناء المدائح فإن ما قبلها مشتمل على المدح والثناء، وقوله بعدها: **{وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣]، أيضا مدح وثناء، فيجب أن يكون قوله: **{لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣]، مدحا وثناء، وذلك يوجب الركاكة، وهي غير لائقة بكلام الله تعالى وتقدس، وحينئذ نقول: إن كل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا في حق الله تعالى، والنقص على الله تعالى محال،لقوله: **{لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ}** [البقرة: الآية: ٢٥٥] وقوله: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ}** [الشورى: الآية: ١١] وقوله **{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}** [الإخلاص: الآية:

(١٥٩٤) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤/ ١٤٤) وشرح الأصول الخمسة له أيضا (ص ٢٣٤).



٣] إلى غير ذلك، فوجب أن يقال: كونه تعالى مرئيا محال. (١٠٩٥)

٢ - قوله تعالى: **{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣].

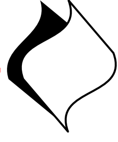
قالوا: دلت هذه الآية على عدم رؤية الله تعالى على التأبيد في الدنيا والآخرة، وأنه مما يمتنع على الله–عز وجل–، وذلك لما يلي:

الوجه الأول: قال تعالى: **{لَن تَرَانِي}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]، وكلمة "لن" تفيد النفي على التأبيد، قال الزمخشري: "إنها لتأكيد النفي الذي تعطيه لا، وذلك أن "لا" تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غدا، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غدا، والمعنى أن فعله ينافي حالي، كقوله تعالى: **{لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ}** [الحج: الآية: ٧٣] فقوله: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: ١٠٣] نفي للرؤية فيها يستقبل، و **{لَن تَرَانِي}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]، تأكيد وبيان؛ لأن النفي مناف لصفاته.

فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله **{وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]، بما قبله؟

قلت: اتصل به على معنى: "أن النظر إلى محال فلا تطلبه، ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله، دكا بسبب طلبك الرؤية؛

(١٠٩٥) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤/ ١٥٠)، وشرح الأصول الخمسة له أيضا (ص ٢٣٥ - ٢٣٧)، وتفسير الرازي (١٣/ ٩٩) الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.



لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره "كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله: {وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا} [مريم: الآيات ٩٠-٩١]". (١٠٩٦)

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ): "ولن موضوعة للتأبيد، فقد نفى أن يكون مرئيا البتة، وهذا يدل على استحالة الرؤية عليه، فإن قالوا: أليس أنه تعالى قال حاكيا عن اليهود: **{وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}** [البقرة: الآية: ٩٥] أي: لا يتمنون الموت، ثم قال حاكيا عنهم: **{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ}** [الزخرف: الآية: ٧٧]: فكيف يقال إن لن موضوعة للتأبيد؟

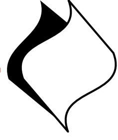
قلنا: إن "لن" موضوعة للتأبيد، ثم ليس يجب أن لا يصح استعماله إلا حقيقة، بل لا يمتنع أن يستعمل مجازا، وصار الحال فيها كالحال في قولهم: أسد وخنزير وحمار، فكما أن موضعها وحقيقتها لحيوانات مخصوصة ثم تستعمل في غيرها على سبيل المجاز والتوسع، واستعمالهم في غيرها لا يقدح في حقيقتها كذلك ههنا". (١٠٩٧)

الوجه الثاني: قوله تعالى: **{وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}** [الأعراف: الآية: ١٤٣] ووجه الدلالة: أنه علق الرؤية حال تحركه وتدكدكه لا قبل ذلك.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ): "علق الرؤية باستقرار الجبل فلا يخلو: إما أن يكون علقها باستقراره بعد تحركه وتدكدكه، أو علقها به حال تحركه، لا يجوز أن تكون الرؤية علقها باستقرار

(١٠٩٦) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥٤) الناشر: دار الكتاب العربي بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.

(١٠٩٧) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٦٤ – ٢٦٥).



الجبل؛ لأن الجبل قد استقر ولم ير موسى ربه، فيجب أن يكون قد علق ذلك باستقرار الجبل بحال تحركه، دالا بذلك على أن الرؤية مستحيلة عليه، كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه، ويكون هذا بمنزلة قوله تعالى: **{وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}** [الأعراف: الآية: ٤٠]". (١٥٩٨)

الوجه الثالث: قوله تعالى: **{وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا}** [الأعراف: الآية: ١٤٣] فلو كانت الرؤية جائزة ممكنة لم يخر موسى صعقا عند طلبه لها.

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): "وخر موسى صعقا من هول ما رأى، ومعناه: خر مغشيا عليه غشية كالموت، وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون: يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة". (١٥٩٩)

الوجه الرابع: قوله تعالى عن موسى: **{فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣] قالوا: فهذا تنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه وهو الرؤية، فقوله: **{سُبْحَانَكَ}** الكلمة للتنزيه، فوجب أن يكون المراد منه تنزيه الله تعالى عما تقدم ذكره، والذي تقدم ذكره هو رؤية الله تعالى. فكان قوله: **{سُبْحَانَكَ}** تنزيها له عن الرؤية، فثبت بهذا أن نفي الرؤية تنزيه لله تعالى، وتنزيه الله إنما يكون عن النقائص والآفات وذلك على الله محال فثبت أن الرؤية على الله ممتنعة. (١٦٠٠)

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): "فلما أفاق من صعقته قال: **{سُبْحَانَكَ}** أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها". (١٦٠١)

(١٥٩٨) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٦٥).

(١٥٩٩) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥٤) الناشر: دار الكتاب العربي بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ..

(١٦٠٠) انظر: تفسير الرازي (١٤/ ٣٥٧).

(١٦٠١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥٥).

الوجه الخامس: قوله تعالى: عن موسى -عليه السلام-: **{تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣] قالوا: ولولا أن طلب الرؤية ذنب لما تاب منه، ولولا أنه ذنب ينافي صحة الإسلام لما قال: **{وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]. (١٦٠٢)

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): "تبت إليك من طلب الرؤية **{وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]، بأنك لست بمرئي ولا تدرك بشيء من الحواس، فإن قيل: فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب؟ قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة -وإن كان لغرض صحيح- على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى". (١٦٠٣)

٣ - أن الله تعالى ما ذكر سؤال الرؤية إلا استعظمه، وذلك في آيات، وهي:

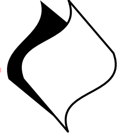
١ - قوله تعالى: **{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ}** [النساء: الآية: ١٥٣] فسمي ذلك ظلما وعاقبهم في الحال، فلو كانت الرؤية جائزة لجرى سؤالهم لها مجرى من يسأل معجزة زائدة، فإن قلت: أليس إنه -عز وجل- قد أجرى إنزال الكتاب من السماء مجرى الرؤية في كون كل واحد منهما عتوا، فكما أن إنزال الكتاب غير ممتنع في نفسه فكذا سؤال الرؤية؟ قلت: الظاهر يقتضي كون كل واحد منها ممتنعة ترك العمل به في إنزال الكتاب فيبقى معمولا به في الرؤية.

٢ - وقوله تعالى: **{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}** [البقرة: الآية: ٥٥] فإن الرؤية لو كانت جائزة لكان قولهم: **{لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}**، كقول الأمم لأنبيائهم: "لن نؤمن إلا بإحياء ميت" في أنه لا يستعظم ولا تأخذهم الصاعقة.

٣ - وقوله تعالى: **{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا}** [الفرقان: الآية: ٢١] فالرؤية لو كانت جائزة وهي عند مجزيها من أعظم المنافع لم يكن التماسها عتوا لأن من سأل الله تعالى نعمة في الدين أو الدنيا لم يكن عاتيا وجرى

(١٦٠٢) انظر: تفسير الرازي (١٤/ ٣٥٧).

(١٦٠٣) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥٥ - ١٥٦) بتصرف يسير.



ذلك مجرى ما يقال: لن نؤمن لك حتى يحيي الله بدعائك هذا الميت، فلو أن الرؤية كانت جائزة لما كان سؤالها عتوا ومنكرا، وذلك ممنوع. (١٦٠٤)

٤ - قوله تعالى: **{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}** [الشورى: الآية: ٥١]. ووجه الدلالة: أن الله-عز وجل-حصر تكليمه للبشرة في الوحي إلى الرسل، وتكليمه لهم من وراء حجاب، وإرساله إياهم إلى الأمم ليكلمهم على ألسنتهم، وإذا لم يره من يكلمه في وقت الوحي لم يره في غيره إجماعا، وإذا لم يره هو أصلا لم يره غيره أيضا، إذ لا قائل بالفرق". (١٦٠٥)

ثانيًا: الرد على شبه المعطلة في استدلالهم بالأدلة الشرعية لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

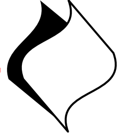
[الرد على حجتهم الأولى]

أن الآية الكريمة حجة عليهم، ولا حجة لهم فيها بأي حال من الأحوال، وذلك للأوجه التالية.

الوجه الأول: أن استدلالهم ذلك كذب على اللغة، ودعوى مجردة عن الدليل؛ لأن الله تعالى إنما نفي الإدراك، والإدراك في اللغة معن زائد على النظر والرؤية، وهو معنى الإحاطة ليس هذا المعنى في النظر والرؤية، فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، برهان ذلك قول الله-عز وجل-: **{فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}** [الشعراء: الآية: ٦١] وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضا فصحت منهم الرؤية لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى-عليه السلام-لهم: **{قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}** [الشعراء: الآية: ٦٢] فأخبر تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شك في أن ما نفاه الله تعالى غير الذي أثبته، فالإدراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قول

(١٦٠٤) انظر: تفسير الرازي (٣/ ٥٢٠) باختصار وتصرف، وشرح مواقف الإيجي لعلي الجرجاني (٨/ ١٥٨) ضبطه وصححه: محمود الدمياطي. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

(١٦٠٥) انظر: شرح مواقف الإيجي لعلي الجرجاني (٨/ ١٥٩).



الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: الآيات: ٢٢ - ٢٣]. (١٦٠٦)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الآية حجة عليهم لا لهم؛ لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة، والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال إنه أدركه، كما لا يقال أحاط به، كما سئل ابن عباس-رضي الله عنهما-عن ذلك فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال: أكلها ترى؟ قال لا".

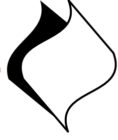
ومن رأى جوانب الجيش، أو الجبل، أو البستان، أو المدينة لا يقال إنه أدركها وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية، ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك وإنما ذكرنا هذا بيانا لسند المنع، بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية، وأن كل من رأى شيئا يقال في لغتهم أنه أدركه، وهذا لا سبيل إليه، كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص أو اشتراك لفظي؟! فقد تقع رؤية بلا إدراك، وقد يقع إدراك بلا رؤية، فإن الإدراك يستعمل في: إدراك العلم وإدراك القدرة، فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهد: كالأعمى الذي طلب رجلا هاربا منه فأدركه ولم يره، وقد قال تعالى: **{فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}** [الشعراء: الآيات: ٦١ - ٦٢] فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي، فعلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك، والإدراك هنا هو: إدراك القدرة، أي ملحوقون محاط بنا، وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضا.

ومما يبين ذلك: أن الله تعالى ذكر هذه الآية يمدح بها نفسه-عز وجل-، ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح؛ لأن النفي المحض لا يكون مدح إن لم يتضمن أمرا ثبوتيا، ولأن المعدوم أيضا لا يرى، والمعدوم لا يمدح فعلم أن مجرد نفي الرؤية لا مدح فيه، وهذا أصل مستمر وهو أن العدم المحض الذي لا يتضمن ثبوتا لا مدح فيه ولا كمال". (١٦٠٧)

وقال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "فلم ينف موسى-عليه السلام-الرؤية، ولم يريدوا

(١٦٠٦) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٣/ ٢ - ٣) الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة، بتصرف.

(١٦٠٧) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٣١٧ - ٣٢٠) باختصار.



بقولهم: **{إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}** إنا لمرئيون؛ فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: **{كَلَّا}** وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: **{وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ}** [طه: الآية: ٧٧]. فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما لا يعلم ولا يحاط به، وهذا هو الذي فهمته الصحابة والأئمة من بعدهم من الآية. قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣] لا تحيط به الأبصار. وقال قتادة: "هو أعظم من أن تدركه الأبصار". وقال ابن عطية: "ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم". (١٦٠٨)

الوجه الثاني: أن الآية رد عليكم، فهي حجة لأثبات الرؤية لا نفيها، وذلك لأمرين:

الأول: أن معنى: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: ١٠٣] كما جاء عن ابن عباس وجماعة من السلف: أن الإدراك المنفي هنا هو الإحاطة. والمعنى: لا تحيط به الأبصار. (١٦٠٩).

والإدراك قد يطلق على الإحاطة كثيرا، كقوله: **{أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ}** [يونس: الآية: ٩٠]، أي: أحاط به من جميع جهاته. **{إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}** [الشعراء: الآية: ٦١] أي: محاط بنا. وعلى هذا فمعنى: **{لَّا تُدْرِكُهُ}** أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه في الجملة، فالإدراك المنفي هو الإحاطة. والإحاطة لا يستلزم نفيها نفي مطلق الرؤية الثابت في الأحاديث المتواترة والآيات القرآنية.

الثاني: أن معنى: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** أي: لا تدركه في دار الدنيا، بدليل قوله: في الآخرة: **{وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة}** [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]. فلما قيد نظرها إلى ربها بقوله: **{يومئذ}** أي: يوم القيامة، عرفنا أن ذلك النظر مقيد بالقيامة، وأن: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** أي: في دار الدنيا. ولو سلمنا من أن الإدراك: الرؤية، وأن الآية عامة: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** فعمومها تخصصه آيات أخر بيوم القيامة: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [القيامة: الآيات: ٢٢ - ٢٣]، وقوله: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}** [المطففين: الآية: ١٥] أي: بخلاف المؤمنين فليسوا بمحجوبين عن ربهم، وقد

(١٦٠٨) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (٦٢٠).

(١٦٠٩) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٥٩).

تقرر في الأصول أن المفهوم يخصص العام، سواء كان مفهوم موافقة، أو مفهوم مخالفة. (١٦١٠)

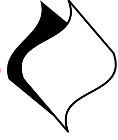
الوجه الثالث: قد يقال أيضا: إن المراد نفي الرؤية وقد عدم إذن الله تعالى للأبصار بالإدراك، والدليل على صحة إرادة هذا القيد أن إرادة الإبصار فعل من أفعال العبيد وكسب من كسبهم، وقد ثبت بغير ما دليل أن العباد لا يقدرون على شيء من المقدورات إلا بإذن الله تعالى ومشيئته وتمكينه، فلا تدركه الأبصار إلا بإذنه وهو المطلوب. ويؤيد هذا البيان ويشيد أركانه أن: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣] وقع بعد قوله سبحانه: **{وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}** [الأنعام: الآية: ١٠٢] ووجه التأييد: أن الله تعالى أخبر بأنه على كل شيء وكيل أي متول لأموره، ومعلوم أن الأبصار من الأشياء وأن إدراكها من أمورها، فهو-عز وجل-متوليها ومتصرف فيها على حسب مشيئته، فيفيض عليها الإدراك ويأذن لها إذا شاء كيف شاء وعلى الحد الذي شاء، ويقبض عنها الإدراك قبضا كليا أو جزئيا في أي وقت شاء كيف شاء، ولا يخفى على هذا أنه غاية التمدح بالعزة والقهر والغلبة؛ فإن من هو على كل شيء وكيل إذا لم تدركه الأبصار إلا بإذنه مع كونه يدرك الأبصار -ولا تخفى عليه خافية- كان ذلك غاية في عزته وقهره وكونه غالبا على أمره. (١٦١١)

الوجه الرابع: أن: "تدركه الأبصار" موجبة كلية؛ لأن موضعها جمع محلي كلية باللام الاستغراقية، وقد دخل عليها النفي فرفعها ورفع الموجبة الكلية سالبة جزئية، وبالجملة فيحتمل قوله: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣] إسناد النفي إلى الكل، بأن يلاحظ أو لا دخول النفي، ثم ورود العموم عليه فيكون سالبة جزئية، ومع احتمال المعنى الثاني فلم يبق فيه حجة لكم علينا؛ لأن أبصار الكفار لا تدركه إجماعا، هذا ما نقوله لو ثبت أن اللام في الجمع للعموم والاستغراق، وإلا عكسنا القضية وقلنا: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣] سالبة مهملة في قوة الجزئية فالمعنى: لا تدركه بعض الأبصار، وتخصيص البعض بالنفي يدل بالمفهوم على الإثبات للبعض، فالآية حجة لنا لا علينا". (١٦١٢)

(١٦١٠) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٥٣ - ٥٤) بتصرف.

(١٦١١) انظر: روح المعاني للألوسي (٤/ ٢٣٢).

(١٦١٢) انظر: شرح مواقف الإيجي للجرجاني (٨/ ١٥٦ - ١٥٧)، "اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع" لأبي الحسن



الوجه الخامس: أن قوله تعالى: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣] الآية، وإن عمت في الأشخاص باستغراق اللام، فإنها لا تعم في الأزمان؛ لأنها سالبة مطلقة لا دائمة، ونحن نقول بموجبه حيث لا يرى في الدنيا (١٦١٣)، وبهذا علمنا أن الوقت الذي قال إنه: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣] فيه غير الوقت الذي أخبرنا أنها تنظر إليه فيه. (١٦١٤)

الوجه السادس: ويقال لهم: إذا كان قول الله سبحانه: في: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣] في العموم كقوله: **{وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣]؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر فخبرونا أليس الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمسا ولا ذوقا ولا على وجه من الوجوه؟ فإن قالوا: نعم، فيقال لهم: أخبرونا عن قوله تعالى: **{وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}** أتزعمون أنه يدركها لمسا وذوقا بأن يلمسها؟ فمن قولهم: لا. فيقال لهم: فقد انتقض قولكم: إن قوله: **{وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}** في العموم كقوله: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}**. (١٦١٥)

الوجه السابع: أما قولهم: "إن الله تمدح بأن لا يرى"، فقول باطل؛ لأن العدم المحض الذي لا يتضمن إثباتا لا مدح فيه ولا كمال.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "قوله: {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: الآية: ١٠٣]، إنما نفي الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء. ولم ينف مجرد الرؤية، لأن المعدوم لا يرى، وليس في كونه لا يرى مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحا، وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رئي، كما أنه لا يحاط به وإن علم، فكما أنه إذا علم لا يحاط به علما، فكذلك إذا رئي لا يحاط به رؤية.

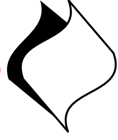
فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحة وصفة كان، وكان ذلك دليلا على إثبات الرؤية لا على نفيها، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف

الأشعري (٦٥).

(١٦١٣) انظر: "شرح المواقف" (٨/ ١٤٠).

(١٦١٤) انظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري (ص ٦٥).

(١٦١٥) انظر: الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (ص ٥٩ - ٦٠).

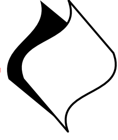


الأمة وأئمتها. (١٦١٦)

فتبين بهذا أن قول المعطلة النفاة دعو مجردة عن الدليل، فثبوت المدح في سياق الكلام ليس لهم فيه حجة على امتناع الرؤية، بل الحجة عليهم في إثبات صحة الرؤية؛ لأنه يمتنع حصول التمدح بنفي الرؤية، لمشاركة المعدوم في ذلك، وإنما يحصل التمدح بحيث تصح رؤيته، ثم إنه تعالى يحجب الأبصار عن رؤيته.

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها؛ فان الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب–عز وجل–بالعدم إذا تضمن أمرا وجوديا: كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيئة وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتظمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، وفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣] أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال؛ لمشاركة المعدوم له في ذلك فان العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار، والرب ﷻ يتعالى إن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله: **{وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ}** [يونس: الآية: ٦١] أنه يعلم كل شيء، وفي قوله: **{وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ}** [ق: الآية: ٣٨] أنه كامل القدرة، وفي قوله: **{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}** [الكهف: الآية: ٤٩] أنه كامل العدل، وفي قوله: **{لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}** [البقرة: الآية: ٢٥٥] أنه كامل القيومية، فقوله: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣] يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر

(١٦١٦) انظر: التدمرية لابن تيمية (ص ٥٩).



زائد على الرؤية". (١٦١٧)

[الرد على حجتهم الثانية]

الرد على الوجه الأول: أن الآية الكريمة حجة عليهم وأنها تدل على إمكان رؤية الله تعالى، وليس فيها ما يزعمونه من استحالة رؤية الله تعالى وامتناعها، وقولهم ذلك باطل لغة وشرعا، بدليل ما يلي:

أن قولهم: "إن لن موضوعة للتأبيد" باطل، ومخالف للغة العرب وما دلت عليه من المعاني. قال أبو القاسم السهيلي:"إن العرب إنما تنفي بـ "لن" ما كان ممكنا عند الخطاب مظنونا أنه سيكون، فتقول له: "لن يكون" لما يمكن أن يكون؛ لأن "لن" فيها معنى "أن"، وإذا كان الأمر عندهم على الشك لا على الظن كأنه يقول: أيكون أم لا يكون؟ -قلت: في النفي لا يكون- وهذا كله مقو لتركيبها من "لا" و"أن". (١٦١٨)

وبهذا يتبين أن من زعم أن "لن" تفيد النفي على التأبيد المطلق فقوله باطل مردود.

قال جمال الدين بن مالك-رحمه الله-(ت: ٦٢٧ هـ):

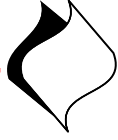
"ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله أردد وخلافه اعضدا". (١٦١٩)

وقال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وقد أكذبهم الله في قولهم بتأبيد النفي بـ "لن" صريحا بقوله: **{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ}** [الزخرف: الآية: ٧٧] فهذا تمن للموت، فلو اقتضت "لن" دوام النفي تناقض الكلام؛ كيف وهي مقرونة بالتأبيد بقوله: **{وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا}** [البقرة: الآية: ٩٥] ولكن ذلك لا ينافي تمنيه في النار؛ لأن التأبيد قد يراد به:التأبيد المقيد والتأبيد المطلق، فالمقيد كالتأبيد بمدة الحياة، كقولك: "والله لا أكلمه أبدا"، والمطلق كقولك: "والله لا أكفر بربي

(١٦١٧) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (٢٩٣ - ٢٩٤).

(١٦١٨) انظر: نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي (ص ١٠٣) وأبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي لمحمد إبراهيم البنا (ص ٣٦١).

(١٦١٩) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك (٣/ ١٥١٥).



أبدا"، وإذا كان كذلك فالآية إنما اقتضت نفي تمني الموت أبد الحياة الدنيا، ولم يتعرض للآخرة أصلا؛ وذلك لأنهم لحبهم الحياة وكراهتهم للجزاء لا يتمنون الموت وهذا منتف في الآخرة". (١٦٢٠)

الرد على الوجه الثاني: أنه علقه على استقرار الجبل من حيث هو من غير قيد بحال السكون أو الحركة، وإلا لزم الإضمار في الكلام، وأنه -أي استقرار الجبل- من حيث هو ممكن قطعا؛ إذ لو فرض وقوعه لم يلزم منه محال لذاته، وأيضا فاستقرار الجبل عند حركته أي في زمانها ليس بمحال؛ إذ في ذلك الوقت قد يحصل الاستقرار بدل الحركة ولا محذور فيه، إنما المحال هو الاستقرار مع الحركة في كونهما مجتمعين لا وقوع شيء منهما في وقت آخر بدل صاحبه. (١٦٢١)

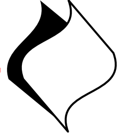
وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فأخبر سبحانه أنه تجلى للجبل وأنه لما تجلى له جعله دكا فتجليه له: إما أن يكون مجرد خلق الرؤية فيه كما يقولون إن ذلك هو تجليه لسائر من يراه، أو يكون تجليه هو رفع الحجاب حتى ظهر للجبل؟ فإن كان التجلي هو خلق الرؤية كان قد أخبر أن الجبل أطاق رؤيته وأن الجبل رأى الله، وإذا كان كذلك لم يجب أن يصير دكا إذا ورد عليه ما يعجز عن مقاومته فإذا كان التجلي ليس هو إلا أن جعل رائيا فمعلوم أنه يكون قادرا على ما جعل فاعلا له فلا يكون دكا ولو كان كذلك لكان العبارة المناسبة أن يقال: فلما رأى الجبل ربه جعله دكا فلما دل القرآن مع ما ورد به الحديث في تفسير هذه الآية أن التجلي هو ظهوره وأنه مع ذلك قد لا يطيق المتجلي له رؤيته لعجزه وأن التجلي ليس هو خلق الرؤية فيه علم أنه قد يتجلى لمن يراه ولمن لا يراه وأن التجلي ليس هو خلق الرؤية فيه عند الاحتجاب فعلم أن هناك حجابا خارجا عن الإنسان وأن التجلي يكون برفع كل الحجاب". (١٦٢٢)

الرد على الوجه الثالث: أنه ليس فيها دلالة على المنع، بل إن دلالتها على الجواز أقرب؛ فإن الصعق لم يحدث لموسى–عليه السلام–إلا عندما رأى الجبل يتدكدك لما تجلى له الرب–عز وجل–ظهورا، أو على

(١٦٢٠) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٦٨).

(١٦٢١) انظر: شرح مواقف الإيجي للجرجاني (٨/ ١٢١).

(١٦٢٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ١٣١ – ١٣٢).



القول أن موسى رأى الله –على ضعفه– فصعق، وهذا يدل على الجواز وإنما كان الصعق نتيجة عدم تحمل موسى رؤية الله تعالى في هذه الدار الفانية.

أما ما ذكره الزمخشري من الأثر المروي عن ابن عباس في "مرور الملائكة على موسى وهو صعق" فباطل؛ لإنه من رواية الواقدي" (١٦٢٣)، والواقدي متروك لا يحتج به.

وقد احتج برواية باطلة، وترك الأحاديث الكثيرة الصحيحة المتواترة، والتي تثبت رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

وهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عونا وظهرا على المعتقد الفاسد. والوجه التورك بالغلط على ناقلها، وتنزيه الملائكة–عليهم السلام–من إهانة موسى كليم الله بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب". (١٦٢٤)

على أن هناك رواية أخرى لذلك الأثر، وهي أقل ضعفا منها من طريق: أبي سعد سعيد بن المرزبان، عن عكرمة–رحمه الله–(ت: ١٠٥ هـ)، **عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)** قال: **{وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا}** [الأعراف: الآية: ١٤٣] فمرت به الملائكة وقد صعق، فقالت: يا ابن النساء الحيض لقد سألت ربك أمرا عظيما. فلما أفاق قال: سبحانك لا إله إلا أنت، تبت إليك، وأنا أول المؤمنين، قال: أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك، يعني في الدنيا". (١٦٢٥)

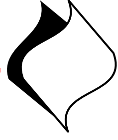
وهي كما ترى لا تنفي الرؤية مطلقا، إنما تمنع منها في الدنيا فقط، وتبين أن المراد بالإيمان به تعالى أي: أنه لا يراه أحد من خلقه في الدنيا.

الرد على الوجه الرابع: أن التسبيح كما أنه تنزيه لله تعالى عن النقائص، فهو كذلك تعظيم وإجلال

(١٦٢٣) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي (٤/ ٢٧٩).

(١٦٢٤) انظر: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد الإسكندري المالكي (٢/ ١١٥) من هامش الكشاف.

(١٦٢٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٣٣)، وفيه أبو سعد سعيد بن المرزبان البقال التابعي المقرئ تلميذ ابن عباس، وقد ضعف، وبعضهم يوثقه، على خلاف بينهم فيه، انظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٤/ ٤٣٢ – ٤٣٦).



لله تعالى. والمراد هو تنزيه الله تعالى وتعظيمه وإجلاله عن أن يرى في الدنيا أو أن يتحمل رؤيته مخلوق في هذه الدنيا، بل ثبتت الرؤية لله تعالى في الدار الآخرة عن الله وعن رسوله ﷺ.

والرؤية ليست كما تزعمون من النقائص، فإنها في المخلوق كمال وكل كمال اتصف به المخلوق لا نقص فيه بحال فالله أحق وأولى أن يتصف به، لا سيما وقد أثبتها الله لنفسه، وخص بها أهل جنته، وأثبتها له رسوله ﷺ، بل وسألها موسى–عليه السلام–في الدنيا، ولم يعاتبه الله على ذلك، فكيف يقال بعد ذلك: أنها من النقائص وجميع الأدلة من الكتاب والسنة خلاف ذلك؟

وقد سبق أن بينا أن الذي تمتنع رؤيته بإطلاق هو المعدوم، وأن ذلك لا مدح فيه البتة بأي وجه من الوجوه، وهذا هو الذي يتنزه الله تعالى عنه.

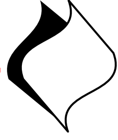
الرد على الوجه الخامس: أن قولكم ذلك لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها لا من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان. وليست توبة موسى–عليه السلام–بعدما أفاق لذنب قاله أو فعله، وإنما لأنه علم أن رؤية الله في الدنيا غير ممكنة لأحد من البشر، بدليل اندكاك الجبل حينما تجلى الله تعالى له.

قال مجاهد–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ): "سبحانك تبت إليك"، أن أسألك الرؤية". (١٦٢٦)

وأيضا لم يعاتبه الله تعالى على سؤاله الرؤية، ولم ينهه عن ذلك كما نهى نوحا–عليه السلام–في سؤاله منه تعالى أن ينجي ولده الذي أغرق لأنه من أهله، حينما قال الله تعالى له: **{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}** [هود: الآية: ٤٦]. ولذلك سارع نوح–عليه السلام–للاستعاذة بالله من سؤاله ذلك، وبادر بالتوبة وطلب المغفرة والرحمة منه تعالى، كما قال الله تعالى عنه: **{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ}** [هود: الآية: ٤٧].

قال الباقلاني–رحمه الله–(٤٠٣ هـ): "لم يقل جل اسمه أنه تاب من مسألته إياه الرؤية، فيمكن أن يكون ذكر ذنوبا له قد قدم التوبة منها، فجدد التوبة عند ذكرها لهول ما رأى، كما يسارع الناس إلى التوبة ويجددونها عند مشاهدة الأهوال والآيات، ويحتمل أن يكون المعنى في قوله: **{تُبْتُ إِلَيْكَ}** [الأعراف:

(١٦٢٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٣٤).



١٤٣] من ترك استئذاني لك في هذه المسألة العظيمة، ومثلها ما لا يكون معه تكليف لمعرفتك والعلم بك.

ويحتمل أن يكون أراد بقوله: **{تُبْتُ إِلَيْكَ}** أي: تبت إليك أن أسألك الرؤية لهول ما أصابني، لا لأنها مستحيلة عليك، ولا لأني عاص في سؤالي، كما يقول القائل: تبت من كلام فلان ومعاملته، ومن ركوب البحر، ومن الحج ماشيا، إذا ناله في ذلك تعب ونصب وشدة، وإن كان ذلك مباحا حسنا جائزا، والتوبة هي الرجوع عن الشيء، ومن ذلك سمي الإقلاع عن الذنوب والعود إلى طاعة الله تعالى توبة منها، ومعنى المراد بقوله: **{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا}** [التوبة: الآية: ١١٨] أي: رجع بهم إلى التفضل والامتنان ليرجعوا عما كانوا عليه، فقوله: **{تُبْتُ إِلَيْكَ}** أي: رجعت عن سؤالي إياك الرؤية، وهذا هو أصل التوبة، وليس الرجوع عن الشيء يقتضي كونه عصيانا فبطل تعلقهم بالآية". (١٦٢٧)

وقال الواحدي–رحمه الله–(ت: ٤٦٨ هـ): "تبت إليك من مسألتي الرؤية، وذلك أنه سألها من غير استئذان من الله، فلذلك تاب". (١٦٢٨).

وقال الزجاج–رحمه الله–(ت: ٤٠ هـ): "وقوله: **{وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]. أي: أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا". (١٦٢٩)

وقال ابن أبي زمنين–رحمه الله–(ت: ٣٩٩ هـ): "يعني: المصدقين بأنك لا ترى في الدنيا". (١٦٣٠)

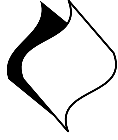
وقال السمعاني–رحمه الله–(ت: ٤٢٦ هـ): " **{تُبْتُ إِلَيْكَ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]، يعني:

(١٦٢٧) انظر: التمهيد للباقلاني (ص ٢٧٠ – ٢٧١) عني بتصحيحه: ريتشرد مكارثي اليسوعي. المكتبة الشرقية بيروت. ١٩٥٧ م.

(١٦٢٨) انظر: تفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٤٨٠).

(١٦٢٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٧٤).

(١٦٣٠) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٤١).



من سؤال الرؤية قبل الإذن {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}، يعني: أنا أول المؤمنين بأن من يراك متجليا في الدنيا لا يستقر مكانه، وقيل معناه: أنا أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا". (١٦٣١)

وقال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية". (١٦٣٢)

فإذا كان الجبل العظيم الراسي القوي لم يصمد لرؤية الله تعالى، بل تفتت وتدكدك حتى استوى بالأرض، فلا يمكن لبشر بعد ذلك أن يرى الله تعالى في الدنيا عيانا.

بل الملك المخلوق لا أحد يستطع رؤيته في الدنيا على خلقته التي خلقه الله عليها إلا من ثبته الله تعالى من الأنبياء والمرسلين، أما سائر البشر فلا يستطيعون ذلك.

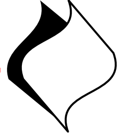
قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): " قوله تعالى: **{فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]، قيل: أول المؤمنين بأنه لا يراك حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، فهذا للعجز الموجود في المخلوق، لا لامتناع في ذات المرئي، بل كان المانع من ذاته، لم يكن إلا لنقص وجوده حتى ينتهي الأمر إلى المعدوم الذي لا يتصور أن يرى خارج الرائي، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أيده الله، كما أيد نبينا ﷺ قال تعالى: **{وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ}** [الأنعام: الآيات: ٨ – ٩] قال غير واحد من السلف: هم لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ كان يشتبه عليهم هل هو ملك أو بشر، فما كانوا ينتفعون بإرسال الملك إليهم، فأرسلنا إليهم بشرا من جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقي عنه، وكان هذا من تمام الإحسان إلى الخلق والرحمة". (١٦٣٣)

وقد رد **ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ)** عليهم في استدلالهم بهذه الآية ردا مفصلا، فقال–

(١٦٣١) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٢١٣).

(١٦٣٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٢٧٩).

(١٦٣٣) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٣٣٣).



رحمه الله-: "وقد أخبر الله-عز وجل-عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه-عز وجل-: **{لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]. وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أن لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال.

الوجه الثاني: أن الله-عز وجل-لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالا لأنكره عليه.

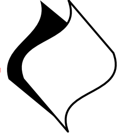
الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: **{لَن تَرَانِي}** ولم يقل: إني لا أرى، ولا: إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه-عز وجل-مرئ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: **{وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}** [الأعراف: الآية: ١٤٣] فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

الوجه الخامس: أن الله-عز وجل-قادر على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته.

الوجه السادس: قوله تعالى: **{فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}** [الأعراف: الآية: ١٤٣]. وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته-عز وجل-؛ فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ وأعلم سبحانه موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه قد كلمه منه إليه، وخاطبه وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، وأما قوله تعالى: **{لَن تَرَانِي}** فإنما يدل على النفي في المستقبل، ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد، فكيف إذا أطلقت؟! قال تعالى: **{وَلَن يَتَمَنَّوْهُ**



أَبَدًا} [البقرة: الآية: ٩٥] مع قوله تعالى: **{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}** [الزخرف: الآية: ٧٧]". (١٦٣٤)

[الرد على الحجة الثالثة]

أما الآية الأولى والثانية: فإن الاستعظام إنما كان لطلبهم الرؤية استخفافا وعنادا وتعنتا وإنكارا لنبوة موسى–عليه السلام–، وليس طلبا للعلم ولا الازدياد منه. قال أبو الحسن الأشعري: "إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله–عز وجل–على طريق الإنكار لنبوة موسى ﷺ، وترك الإيمان به حتى يروا الله، لأنهم قالوا: **{لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}** [البقرة: الآية: ٥٥]، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى ﷺ حتى يريهم الله نفسه، استعظم سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلا، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابا". (١٦٣٥)

وقال الباقلاني–رحمه الله–(ت: ٤٠٣ هـ): "لم ينكر الله تعالى مسألة خلاف بني إسرائيل أن ينزل عليهم كتابا من السماء، ومسألة أسلافهم أن يروا الله جهرة لاستحالة ذلك؛ وإنما أنكره لأنهم سألوا ذلك على طريق العناد لموسى ومحمد صلى الله عليهما، والشك في نبوتهما، والتقدم بين أيديهما، والامتناع من فعل ما أوجب عليهم من الإيمان بالله–عز وجل–، حتى يفعل ما يؤثرونه ويقتاتونه". (١٦٣٦)

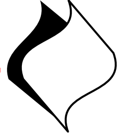
ومما يبين ذلك ويوضحه أن الله أكرم بني إسرائيل بكثير من الإكرام ونجاهم من كثير من الهلاك، وأنزل عليهم كثيرا من الآيات، ومع ذلك لم يؤمنوا بذلك كله وطلبوا من موسى أن يروا الله جهرة في الدنيا –مع علمهم بامتناع ذلك– عنادا واستخفافا.

قال الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): "فأعلم ربنا–عز وجل–الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بني إسرائيل، الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ أنهم لن يعدوا أن يكونوا –في تكذيبهم

(١٦٣٤) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (ص ٢٨٥ – ٢٨٧) باختصار.

(١٦٣٥) انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ص ٤٨).

(١٦٣٦) انظر: التمهيد للباقلاني (ص ٢٧٣).



محمدا ﷺ وجحودهم نبوته، وتركهم الإقرار به وبما جاء به، مع علمهم به ومعرفتهم بحقيقة أمره- كأسلافهم وآبائهم الذين قص الله علينا قصصهم". (١٦٣٧)

أما الآية الثالثة: فيقال: أنهم سبق وأن طلبوا إنزال الملائكة ورؤية الله تعالى، كما في قوله تعالى: **{أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا}** [الإسراء: الآية: ٩٢] وهم طلبوا قبل ذلك وبعده كثيرا من الآيات تعنتا، وعنادا، واستكبارا، واستخفافا.

قال الزجاج-رحمه الله-(ت: ٣٤٠ هـ): "فأعلم الله-عز وجل-أن الذين لا يوقنون بالبعث، ولا يرجون الثواب على الأعمال عند لقاء الله طلبوا من الآيات ما لم يأت أمة من الأمم، فأعلم الله-عز وجل- أنهم قد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا". (١٦٣٨)

فتبين بهذا أنهم لم يطلبوا ذلك طلب علم لينتفعوا به ويزدادوا منه، وإنما كان ذلك سؤال تحد واستكبار وعتو؛ لأنهم طلبوا ذلك في الدنيا.

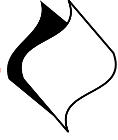
قال الواحدي-رحمه الله-(ت: ٤٦٨ هـ): "وإنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية؛ لأنهم طلبوها في الدنيا عنادا للحق وإباء على الله ورسوله في طاعتهما". (١٦٣٩).

ومما يوضحه: "أن أصحاب موسي سألوا موسى رؤية الله في الدنيا إلحافا فقالوا: **{لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}** [البقرة: الآية: ٥٥]، لم يقولوا: حتى نرى الله في الآخرة، ولكن في الدنيا، وقد سبق من الله القول بأنه: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣] أبصار أهل الدنيا فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم ما حظره على أهل الدنيا، ولو قد سألوه رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد ﷺ محمدا ﷺ لم تصبهم تلك الصاعقة ولم يقل لهم إلا ما قال محمد ﷺ لأصحابه إذ سألوه: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: ((**نعم لا تضارون في رؤيته**)) فلم يعبهم الله تعالى ولا رسوله بسؤالهم عن

(١٦٣٧) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (٢/ ٣٠٥).

(١٦٣٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦٣).

(١٦٣٩) انظر: الوسيط للواحدي (٣/ ٣٣٨).



ذلك، بل حسنه لهم وبشرهم بشرى جميلة". (١٦٤٠)

[الرد على حجتهم الرابعة]

أن دلالة الآية على إثبات الرؤية أدل منها على امتناعها، وذلك لما يلي:

١ - أنه أثبت التكليم من وراء حجاب، ولا يكون حجاب إلا لرؤية. (١٦٤١).

٢ - أن التكليم من وراء حجاب نوع غير الوحي، ويقتضي وأن المكلم بذلك محجوب أن يرى الله؛ لأن التكليم المسموع قد يكون مع رؤية المستمع للمتكلم، وقد يكون مع كونه محجوبا عنه، بخلاف الوحي، فإنه يقع في قلبه. (١٦٤٢)

٣ - أن الحجاب عن الرؤية المذكور في الآية الكريمة إنما هو في الدنيا، فلا يمكن لمخلوق أن يرى الله تعالى، أما الآخرة، فالله تعالى يرفع الحجاب عمن شاء من خلقه فيرونه عيانا كما روى عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه". (١٦٤٣)

ثالثًا: الأدلة العقلية التي استدل بها المعطلة لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

استدل المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم على مذهبهم بأدلة عقلية، وهي شبهات إبليسية، جعلوها حجة في معارضتهم للآيات الكريمة والأحاديث الثابتة الصحيحة، وهي كما يلي:

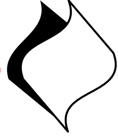
أولا: دليل الموانع: وهو زعمهم أن الله -عز وجل- لا يرى لاستحالة رؤيته، وليس لامتناعها، ففرق بين النوعين. **قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ)**: "ما لا يرى ينقسم إلى: ما لا يرى لمنع،

(١٦٤٠) انظر: نقض الدارمي على بشر المريسي (١/ ٣٦٧) تحقيق: رشيد الألمعي. الناشر: مكتبة الرشد الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

(١٦٤١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤/ ٤٥٤).

(١٦٤٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١٠/ ٢١٣).

(١٦٤٣) انظر: أخرجه البخاري (رقم ٦٥٣٩ و٧٥١٢ و٧٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (رقم ١٠١٦) وغيرهما.



وإلى ما لا يرى لاستحالة الرؤية عليه، والقديم تعالى إنما يرى لاستحالة الرؤية عليه لا لمنع". (١٦٤٤)

وقال أيضا: "والموانع المعقولة من الرؤية ستة: الحجاب، والرقة، واللطافة، والبعد المفرط، وكون المرئي في غير جهة محاذاة الرائي، وكون محله ينقض هذه الأوصاف، وشيء منها لا يجوز على الله تعالى بحال من الأحوال. (١٦٤٥)

وهذه الشروط الستة الأخيرة لا يمكن اعتبارها إلا في رؤية الأجسام، والله تعالى ليس بجسم، فلا يمكن اعتبار هذه الشرائط في رؤيته، فعلى هذا ولو صحت رؤيته لوجب أن لا يصير في حصول رؤيته إلا أمران: سلامة الحاسة، وكونه بحيث يصح أن يرى، وهذان الأمران حاصلان الآن، فثبت أنه لو صحت رؤيته لوجب أن نراه الآن، ولما لم يكن الأمر كذلك وجب أن يقال: إنما لا نراه الآن لأنه لا تصح رؤيته. (١٦٤٦)

والموانع على ضربين: أحدهما ما يمنع بنفسه، والثاني: يمنع بشرط.

أما المانع بنفسه فهو: كالحجاب، وكون المرئي في غير جهة محاذاة الرائي.

وأما المانع بشرط فهو على قسمين:

الأول: ما يمنع لأمر يرجع إلى الرائي.

والثاني: ما يمنع لأمر يرجع إلى المرئي.

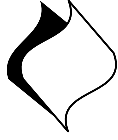
وما يرجع إلى الرائي: فهو كالرقة واللطافة، فإنه إنما يمنع لأمر يرجع إلى الرائي وهو ضعف الشعاع. وأما ما يرجع إلى المرئي: فنحو البعد المفرط، فإنه إنما لا يرى لبعده، حتى لو قرب لرئي. (١٦٤٧)

(١٦٤٤) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٥٣).

(١٦٤٥) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٥٧ - ٢٥٨) والأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٩٧ - ٢٩٨).

(١٦٤٦) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٩٧).

(١٦٤٧) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٥٩ - ٢٦٠).



ثانيا: دليل المقابلة: وهو أن الرؤية تقتضي مقابلة المرئي للرائي، وإذا كان كذلك فتكون الرؤية ممتنعة في حق الله –عز وجل–، قال عبد الجبار المعتزلي: "إن الواحد منا راء بحاسة، والرائي بالحاسة لا يرى الشيء إلا إذا كان مقابلا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل، وقد ثبت أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقال ولا في حكم المقابل، وهذه الدلالة مبنية على أصول:

أحدها: أن الواحد منا راء بالحاسة.

والثاني: أن الرائي بالحاسة لا يرى الشيء إلا إذا كان مقابلا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل.

والثالث: أن القديم تعالى لا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقابل ولا في حكم المقابل.

أما الأول: فالذي يدل عليه أن أحدنا متى كان له حاسة صحيحة والموانع مرتفعة والمدرك موجود: يجب أن يرى، ومتى لم يكن كذلك استحالة أن يرى، فيجب أن يكون لصحة الحاسة في ذلك تأثير؛ لأن بهذه الطريقة يعلم تأثير المؤثرات من الأسباب والعلل والشروط.

وأما الثاني: فالشيء المرئي إذا كان كذلك وجب أن يرى، وإذا لم يكن كذلك لم ير، فيجب أن تكون المقابلة أو ما في حكمها شرطا في الرؤية؛ لأنه بهذه الطريقة يعلم تأثير الشروط.

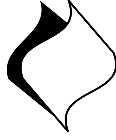
وأما الثالث: فلأن المقابلة والحلول إنما تصح على الأجسام والأعراض والله تعالى ليس بجسم ولا عرض فلا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقابل ولا في حكم المقابل". (١٦٤٨)

ثالثا: دليل الانطباع: وهو: أن كل ما يكون مرئيا فلا بد وأن تنطبع صورته ومثاله في العين، والله تعالى يتنزه عن الصورة والمثال، فوجب أن تمتنع رؤيته. (١٦٤٩)

رابعا: أن كل ما كان مرئيا فلا بد له من لون وشكل، ودليله الاستقراء والله تعالى منزه عن ذلك

(١٦٤٨) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٤٨ – ٢٤٩) والأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٩٧ – ٢٩٨).

(١٦٤٩) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٩٨).



فوجب ألا يرى. (١٦٥٠)

رابعًا: الرد على شبه المعطلة في استدلالهم بالأدلة العقلية لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

[الرد على الدليل الأول وهو دليل الموانع]

١ - **قال الرازي-رحمه الله-(ت: ٦٠٦ هـ)**: لا نسلم أن عند حصول الشرائط الثمانية يجب حصول الإبصار، ويدل على أنه غير واجب عقلا وجهان:

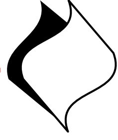
أولا: أنا نرى الجسم الكبير من البعد صغيرا وإن رأينا جميع أجزائه، وجب أن لا نراه صغيرا، بل كبيرا، وإن لم نر شيئا من أجزائه وجب ألا نراه البتة. وإن رأينا بعض أجزائه دون البعض مع أن جميع الأجزاء بالنسبة إلى "القرب والبعد واللطافة والكثافة وعدم الحجاب وسلامة الحاسة وصحة الرؤية" متساوية لزم أن لا يكون الإدراك مع حصول هذه الشروط متساويا.

ولا يقال: إنا إذا أبصرنا شيئا اتصل بطرفيه من العين خطان شعاعيان كساقي المثلث، وصار عرض المرئي كمالخط الثالث، فحصل هناك مثلث، ثم يخرج من نقطة الناظر خط آخر إلى وسط المرئي قائم عليه، يقسم ذلك المثلث الأول إلى مثلثين، وكل واحد منهما مثلث قائم الزاوية، وهذا يصلح أن يكون وترا لكل واحد من الزاويتين الحادتين الواقعتين على طرفي المثلث الأول الكبير، والخطان الطرفيان كل واحد منهما وتر للزاويتين القائمتين، ولا شك أن وتر القائمة أعظم من وتر الحادة، فالخطان الطرفيان كل واحد منهما أطول من الخط الوسطي، وإذا كان ذلك كذلك لم تكن أجزاء المرئي بالنسبة إلى الرائي متساوية في القرب والبعد، لأنا نقول: لنفرض أن هذا التفاوت واقع بمقدار شبر، فلو كان المانع من الرؤية هذا القدر من التفاوت في البعد لكنا إذا جعلنا المرئي أبعد مما كان قبل ذلك بمقدار شبر وجب أن لا نراه البتة، لكنا نراه، فعلمنا أنه ليس السبب في عدم رؤية بعض الأجزاء ذلك القدر من التفاوت في البعد". (١٦٥١)

فإن قيل: لا يلزم من رؤيتنا جميع أجزائه أن نراه كبيرا، وإنما يلزم ذلك أن لو كانت رؤيته صغيرا وكبيرا بحسب رؤية الأجزاء وعدمها وهو ممنوع.

(١٦٥٠) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٩٨) والتمهيد للباقلاني (ص ٢٧٨).

(١٦٥١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠١ - ٣٠٢).



قلنا: وضعفه ظاهر بناء على تركب الأجزاء التي لا تتجزأ، إذ على هذا التقدير إن رأى الأجزاء كلها وجب أن يرى الجسم كما هو في الواقع سواء كان قريبا أو بعيدا، وذلك لأن الرؤية لكل منها أو بعضها أصغر مما هو عليه توجب الانقسام فيما لا يتجزأ لثبوت ما هو أصغر منه، ورؤية كل من الأجزاء أكبر مما هو عليه بمثل أو بأزيد منه توجب ألا يرى إلا ضعفا أو أكبر من ذلك، وهو باطل قطعا، ورؤيته أكبر بأقل من مثل توجب الانقسام، ورؤية بعضها على ما هو عليه بعضها أكبر بمثل توجب ترجيحا بلا مرجح، فوجب أن يرى الكل على حاله، فلا تفاوت حينئذ بالصغر والكبر، فتعين أن يكون التفاوت بحسب رؤية بعض دون بعض". (١٦٥٢)

ثانيا: إذا نظرنا إلى مجموع كف من التراب، رأيناه وذلك الكيف من التراب عبارة عن مجموع تلك الذوات وتلك الأجزاء الصغيرة، فإما أن يكون إدراك كل واحد من تلك الذوات مشروطا بإدراك الآخر فيلزم الدور؟ وإما أن لا يكون إدراك شيء منها مشروطا بإدراك الآخر وحينئذ يكون إدراك كل واحد من تلك الذوات حالتي الاجتماع والانفراد على السوية؟ مع أنا نراها حال الاجتماع ولا نراها حال الانفراد، وحينئذ لا يكون الإدراك واجب الحصول عند حصول تلك الشرائط، وإما أن يكون إدراك البعض مشروطا بإدراك الباقي ولا ينعكس، وهذا محال، ومع أنه محال فالمقصود حاصل.

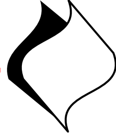
أما أنه محال: فلأن الأجزاء متساوية فيكون هذا مفتقرا إلى ذلك، مع أن ذلك غني عن هذا، وهذا ترجيح من غير مرجح وهو محال، وأما أن المقصود حاصل، فلأن إدراك أحد تلك الأجزاء إذا كان غنيا عن إدراك الآخر كان حاله عند الاجتماع وعند الانفراد في صحة الإدراك على السوية، وحينئذ يعود المحذور، فهذان برهانان قويان في بيان أنه عند حصول هذه الشرائط فالإدراك غير واجب الحصول.

وقولهم: لو لم يجب الإدراك لجاز أن يكون بحضرتنا جبال وبوقات ونحن لا نراها ولا نسمعها. (١٦٥٣)

قلنا: هذا معارض بجملة العاديات، فإن الأمور العادية تجوز نفائضها مع جزمنا بعدم وقوعها، ولا سفسطة هاهنا، فكذا الحال في الجبال الشاهقة التي لا نراها، فإنا نجوز وجودها وتجزم بعدمها؛ وذلك لأن

(١٦٥٢) انظر: شرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٥٢ - ١٥٣) باختصار.

(١٦٥٣) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣).



الجواز لا يستلزم الوقوع ولا ينافي الجزم بعدمه، فمجرد تجويزها لا يكون سفسطة.

ثم نقول: إن كان مأخذ الجزم بعدم الجبل المذكور ما ذكرتم من وجوب الرؤية عند اجتماع شرائطها لوجب أن لا نجزم به إلا بعد العلم بهذا، واللازم باطل؛ لأنه لا يجزم به من لا يخطر بباله هذه المسألة؛ ولأنه ينجر إلى أن يكون ذلك الجزم نظريا مع اتفاق الكل على كونه ضروريا. (١٦٥٤)

سلمنا أنه عند حضور هذه الشرائط في الشاهد يكون الإدراك واجب الحصول، فلم قلتم: أن في حق الله تعالى يجب أن يكون كذلك؟ وتحقيقه هو: أن ذات الله تعالى مخالفة بالحقيقة والماهية لهذه الحوادث، والمختلفان في الماهية لا يجب استواؤهما في اللوازم، فلم يلزم من كون الإدراك واجبا في الشاهد عند حضور هذه الشرائط كونه واجبا في الغائب عند حضورها، ومما يدل عليه: أن الإدراك في الشاهد مشروط بشرائط ثمانية، وفي الغائب نقطع بأنه لا يمكن اعتباره، فكذلك لا يمتنع أن يكون الإدراك في الشاهد واجب الحصول، وفي الغائب لا يكون واجبا". (١٦٥٥)

٢ - أن قولكم: إثبات الرؤية يستلزم إثبات الجسمية، وهذا منتف عن الله تعالى، غير صحيح، فلا يلزم من إثبات الرؤية إثبات الجسمية، ثم إن لفظ الجسم لم يرد في الشرع لا نفيا ولا إثباتا.

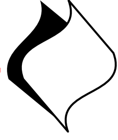
قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "نفاة الرؤية -من الجهمية والمعتزلة وغيرهم- إذا قالوا: إثباتها يستلزم أن يكون الله جسما، وذلك منتف، وادعوا أن العقل دل على المقدمتين، احتيج حينئذ إلى بيان بطلان المقدمتين، أو إحداهما، فإما أن يبطل نفس التلازم، أو نفي اللازم، أو المقدمتان جميعا.

وهنا افترقت طرق مثبتة الرؤية: فطائفة نازعت في الأولى، كالأشعري وأمثاله -وهو الذي حكاه الأشعري عن أهل الحديث وأصحاب السنة- وقالوا: لا نسلم أن كل مرئي يجب أن يكون جسما.

فقالت النفاة: لأن كل مرئي في جهة، وما كان في جهة فهو جسم. فافترقت نفاة الجسم على قولين: طائفة قالت: لا نسلم أن كل مرئي يكون في جهة، وطائفة قالت: لا نسلم أن كل ما كان في جهة فهو جسم. فادعت نفاة الرؤية أن العلم الضروري حاصل بالمقدمتين، وأن المنازع فيهما مكابر.

(١٦٥٤) انظر: شرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٥٢ - ١٥٣).

(١٦٥٥) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣).



وهذا هو البحث المشهور بين المعتزلة والأشعرية، فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة، فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا: النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي.

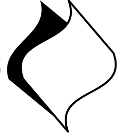
وطائفة نازعت في المقدمة الثانية -وهي انتفاء اللازم- وهي كالهشامية والكرامية وغيرهم، فأخذت المعتزلة وموافقوهم يشنعون على هؤلاء، وهؤلاء وإن كان في قولهم بدعة وخطأ، ففي قول المعتزلة من البدعة والخطأ أكثر مما في قولهم.

ومن أراد أن يناظر مناظرة شرعية بالعقل الصريح فلا يلتزم لفظا بدعيا، ولا يخالف دليلا عقليا ولا شرعيا، فإنه يسلك طريق أهل السنة والحديث والأئمة الذين لا يوافقون على إطلاق الإثبات ولا النفي، بل يقولون: ما تعنون بقولكم: إن كل مرئي جسم؟

فإن فسروا ذلك: بأن كل مرئي يجب أن يكون قد ركبه مركب، أو أن يكون كان متفرقا فاجتمع، أو أنه يمكن تفريقه، ونحو ذلك، منعوا هم المقدمة الأولى، وقالوا: هذه السموات مرئية مشهودة، ونحن لا نعلم أنها كانت متفرقة مجتمعة، وإذا جاز أن يرى ما يقبل التفريق فيما لا يقبله أولى بإمكان رؤيته، فالله تعالى أحق بأن تمكن رؤيته من السموات ومن كل قائم بنفسه، فإن المقتضي للرؤية لا يجوز أن يكون أمرا عدميا، بل لا يكون إلا وجوديا، وكلما كان الوجود أكمل كانت الرؤية أجوز.

وإن قالوا: "مرادنا بالجسم المركب أنه مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة"، نازعوهم في هذا، وقالوا: دعوى كون السموات مركبة من جواهر منفردة، أو من مادة وصورة دعوى ممنوعة أو باطلة، وبينوا فساد قول من يدعي هذا، وقول من يثبت الجوهر الفرد أو يثبت المادة والصورة، وقالوا: إن الله خلق هذا الجسم المشهود هكذا، وإن ركبه ركبه من أجسام أخرى، وهو سبحانه يخلق الجسم من الجسم، كما يخلق الإنسان من الماء المهين، وقد رب العظام في مواضعها من بدن ابن آدم، وركب الكواكب في السماء، فهذا معروف.

وأما أن يقال: "إنه خلق أجزاء لطيفة لا تقبل الانقسام ثم ركب منها العالم"، فهذا لا يعلم بعقل ولا سمع، بل هو باطل؛ لأن كل جزء لا بد أن يتميز منه جانب عن جانب، والأجزاء المتصاغرة كأجزاء الماء تستحيل عند تصغرها، كما يستحيل الماء إلى الهواء، مع أن المستحيل يتميز بعضه عن بعض.



والأدلة العقلية بينت جواز الرؤية وإمكانها، وليست العمدة على دليل الأشعري ومن وافقه في الاستدلال؛ لأن المصحح للرؤية مطلق الوجود.

وإن قالوا: "مرادنا أن المرئي لا بد أن يكون معاينا تجاه الرائي، وما كان كذلك فهو جسم"، ونحو هذا الكلام، قالوا لهم: الصادق المصدوق ﷺ قال: "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر"، وقال: "هل تضامون في رؤية الشمس صحوة ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فهل تضامون في رؤية القمر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر".

وهذا تشبيه للرؤية، لا للمرئي بالمرئي، وفي لفظ في الصحيح: "إنكم ترون ربكم عيانا" فإذن قد أخبرنا أنا نراه عيانا.

وقد أخبرنا أيضا أنه قد: "استوى على العرش" فهذه النصوص يصدق بعضها بعضا، والعقل أيضا يوافقها، ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته فوق سماواته، وأن وجود موجود لا مباين للعالم ولا محايث له محال في بديهة العقل، فإذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعاني فهذا حق، وإذا سميتم أنتم هذا قولا بالجهة وقولا بالتجسيم لم يكن هذا القول نافية لما علم بالشرع والعقل، إذ كان معنى هذا القول -والحال هذه- ليس منتفيا لا بشرع ولا عقل". (١٦٥٦)

[الرد على الدليل الثاني وهو دليل المقابلة]

قال الرازي: الجواب عنها من وجهين:

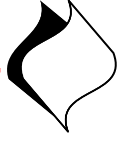
الأول: أن ذكر الدلائل لا بد أن يكون مسبوقا بتعيين محل النزاع، فنقول: محل النزاع: أن الموجود المنزه عن المكان والجهة هل تجوز رؤيته أم لا؟ فإن ادعيتم أن العلم بامتناع رؤيته ضروري (١٦٥٧) فذلك باطل من وجوه:

الأول: أن البديهي متفق عليه بين العقلاء، وهذا غير متفق عليه فلا يكون بديهيا.

الثاني: أنا إذا عرضنا على عقولنا رؤية هذا الموجود، بالتفسير الذي لخصناه، وعرضنا على عقولنا: أن

(١٦٥٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٢٥٠ - ٢٣٥) بتصرف يسير.

(١٦٥٧) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣).



الواحد نصف الإثنين لم نجد القضية الأولى في قوة هذه الثانية.

الثالث: أن حكم الوهم والخيال في معرفة الله تعالى: إما أن يكون مقبولا أو لا يكون مقبولا، فإن كان مقبولا لا يمتنع إثبات ذات منزهة عن الكمية والكيفية والجهة، والمعتزلي يسلم أن ذلك باطل، وإن لم يكن مقبولا لم يكن حكم الوهم بأن ما كان منزها عن الجهة، كان غير مرئي واجب القبول؛ لأن الوهم والخيال لما صار كل واحد منها مردود الحكم في بعض الأحكام لم يبق الاعتماد عليها في شيء من المواضع.

وبالجملة: فإن كان حكم الوهم حقا كان الحق مع المجسم، وإن كان مردودا كان الحق معنا، أما المعتزلي: فإنه يرد حكمه في إثبات الجسم والجهة، ويقبل حكمه في مسألة الرؤية، فكان كلامه متناقضا.

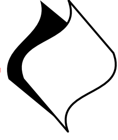
فثبت بما ذكرنا: أن من نفى الرؤية بالوجه الذي ذكرناه لا بد وأن يعول في نفيها على الدليل لا على ادعاء الضرورة. (١٦٥٨)

وإن ادعيتم أن هذا العلم استدلالي فلا بد فيه من الدليل، وقولكم: "إن كل مرئي لا بد وأن يكون مقابلا" يقرب من أنه إعادة للدعوى؛ لأن المقابل هو الذي يكون مختصا بجهة قدام الرائي، فكأنكم قلتم: "الدليل على أن ما لا يكون في الجهة لا يكون مرئية هو أن كل ما كان مرئية يكون في الجهة". والمنطقيون يسمون هذه القضية الثانية عكس نقيض القضية الأولى، وفي الحقيقة لا فرق بين القضيتين في الظهور والخفاء، فلم يجز جعل أحدهما حجة في صحة الأخرى، بل يقرب هذا من أن يكون إعادة المطلوب بعبارة أخرى.

والوجه الثاني في الجواب: ثبت أن المقابلة شرط للرؤية في الشاهد، فلم قلتم: إنه في الغائب كذلك؟ وتقريره: ما ذكرناه في الجواب عن الشبهة الأولى (١٦٥٩)، هو أن ذات الله تعالى مخالفة بالحقيقة والماهية لهذه الحوادث، والمختلفان في الماهية لا يجب استواؤهما في اللوازم، فلم يلزم من كون الإدراك واجبا في الشاهد عند حضور هذه الشرائط كونه واجبا في الغالب عند حضورها، ومما يدل عليه: أن الإدراك في الشاهد مشروط بشرائط ثمانية هي: سلامة الحاسة، وكون الشيء بحيث أن يكون جائز الرؤية، وأن لا

(١٦٥٨) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٦٧ - ٢٦٨).

(١٦٥٩) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣ - ٣٠٤).



يكون في غاية البعد، وأن لا يكون في غاية القرب، وأن يكون مقابلا للرائي أو في حكم المقابل، وأن لا يكون في غاية اللطافة، وأن لا يكون بين الرائي والمرئي حجاب، وأن لا يكون في غاية الصغر، فلا يمكن اعتبار هذه الشرائط في رؤيته. (١٦٦٠)

وفي الغالب نقطع بأنه لا يمكن اعتباره، فكذلك لا يمتنع أن يكون الإدراك في الشاهد واجب الحصول، وفي الغائب لا يكون واجبا. (١٦٦١)

وتمام الكشف والتحقيق: أنا ذكرنا في المقدمات: أن المراد من الرؤية أن يحصل لنا انكشاف بالنسبة إلى ذاته المخصوصة، وهو يجري مجرى الانكشاف الحاصل عند إبصار الألوان والأضواء، وإذا كان الأمر كذلك فإذا الانكشاف يجب أن يكون على وفق المكشوف، فإن كان المكشوف مخصوصا بالجهة والحيز: وجب أن يكون الانكشاف كذلك، وإن كان المكشوف منزها عن الجهة: وجب أن يكون انكشافه منزها عن الحيز والجهة". (١٦٦٢).

وهذا الجواب السابق مع ما فيه من حق إلا أنه اشتمل على باطل وهو: أن الجواب عن دليل المعتزلة بتسليم نفي الجهة والمقابلة عن الله تعالى باطل؛ لأن إثبات رؤية حقيقية بالأبصار عيانا من غير مقابلة أو جهة مكابرة عقلية، لأن الجهة من لوازم الرؤية وإثبات الملزوم ونفي اللازم مغالطة ظاهرة.

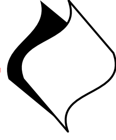
قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "يقال: هذا المنكر للرؤية المستدل على نفيها بانتفاء لازمها وهو الجهة: قولك ليس في جهة، وكل ما ليس في جهة لا يرى، فهو لا يرى، وهكذا جميع نفاة الحق ينفونه لانتفاء لازمه في ظنهم، فيقولون لو رئي للزم كذا، واللازم منتف فينتفي الملزوم.

والجواب العام لمثل هذه الحجج الفاسدة: بمنع إحدى المقدمتين: إما معينة وإما غير معينة، فإنه لا بد أن تكون إحداهما باطلة أو كلتاهما باطلة، وكثيرا ما يكون اللفظ فيها مجملا يصح باعتبار ويفسد باعتبار، وقد جعلوا الدليل هو ذلك اللفظ المجمل، ويسميه المنطقيون الحد الأوسط، فيصح في مقدمة

(١٦٦٠) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣).

(١٦٦١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣).

(١٦٦٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، وشرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٥٥).



بمعنى، ويصح في الأخرى بمعنى آخر، ولكن اللفظ مجمل، فيظن الظان لما في اللفظ من الإجمال وفي المعنى من الاشتباه أن المعنى المذكور في هذه المقدمة هو المعنى المذكور في المقدمة الأخرى، ولا يكون الأمر كذلك.

مثال ذلك في مسألة الرؤية أن يقال له: أتريد بالجهة أمرا وجوديا أو أمرا عدميا؟

فإذا أردت به أمرا وجوديا كان التقدير: كل ما ليس في شيء موجود لا يرى. وهذه المقدمة ممنوعة ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة فإن سطح العالم يمكن أن يرى وليس العالم في عالم آخر.

وإن أردت بالجهة أمرا عدميا كمانت المقدمة الثانية ممنوعة، فلا نسلم أنه ليس بجهة بهذا التفسير.

وهذا مما خاطبت به غير واحد من الشيعة والمعتزلة فنفعه الله به، وانكشف بسبب هذا التفصيل ما وقع في هذا المقام من الاشتباه والتعطيل وكانوا يعتقدون أن ما معهم من العقليات النافية للرؤية قطعية لا يقبل في نقيضها نص الرسل، فلما تبين لهم أنها شبهات مبنية على ألفاظ مجملة ومعان مشتبهة، تبين أن الذي ثبت عن الرسول هو الحق المقبول". (١٦٦٣)

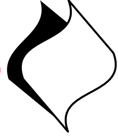
وقال أيضا: "يقال لهم: ما تعنون بأن هذا إثبات للجهة والجهة ممتنعة؟ أتعنون بالجهة أمرا وجوديا أو أمرا عدميا؟

فإن أردتم أمرا وجوديا. وقد علم أنه ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والله فوق سماواته بائن من مخلوقاته، لم يكن. والحالة هذه في جهة موجودة، فقولكم: إن المرئي لا بد أن يكون في جهة موجودة قول باطل، فإن سطح العالم مرئي، وليس هو في عالم آخر.

وإن فسرتم الجهة بأمر عدمي كما تقولون: إن الجسم في حيز، ولا حيز تقدير مكان، وتجعلون ما وراء العالم حيزا.

فيقال لكم: الجهة. والحيز. إذا كان أمرا عدميا فهو لا شيء، وما كان في جهة عدمية أو حيز عدمي، فليس هو في شيء، ولا فرق بين قول القائل: هذا ليس في شيء وبين قوله: هو في العدم أو أمر عدمي فإذا كان الخالق تعالى مباينا للمخلوقات عاليا عليها، وما ثم موجود إلا الخالق أو المخلوق، لم يكن معه غيره من الموجودات، فضلا عن أن يكون هو سبحانه في شيء موجود يحصره أو يحيط به.

(١٦٦٣) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩).



فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ومن تكلم بما فيه معني باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حق وباطلا نسبوه إلى البدعة أيضا، وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة، وردة باطلا بباطل". (١٦٦٤)

[الرد على الدليل الثاني والثالث]

أن نمنع كون الرؤية بالانطباع إما مطلقا أو في الغائب لاختلاف الرؤيتين. (١٦٦٥).

ونقول أيضا: أن الرؤية عبارة عن الانكشاف التام، فإن كان الشيء له صورة كان انكشافه بانكشاف صورته ولونه، وإن كان منزها عن الصورة واللون كان انكشافه كذلك أيضا؛ لأن شرط الانكشاف أن يحصل على وفق ماهية المكشوف. (١٦٦٦)

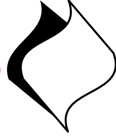
والحكم بأن المرئي لابد وأن تنطبع صورته ومثاله في العين، وأنه لا بد وأن يكون ذا لون وشكل مبني على أن هذه الأشياء المشاهدة المحسوسة لا ترى إلا كذلك، ثم قالوا: "لو صح أن يرى الله فلا يرى إلا كذلك" وهو ممنوع في حقه تعالى، والحق أنه تحكم محض وقياس للخالق على المخلوق، وهو باطل قطعا؛ لأنه قياس مع الفارق، فالله تعالى ليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء من خلقه، فلا يصح قياسه عليه. قال تعالى: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}** [الإخلاص: الآيات: ١-٤]، وقال تعالى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** [الشورى: الآية: ١١]. (١٦٦٧)

(١٦٦٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٢٥٣ - ٢٥٤) ومنهاج السنة النبوية له أيضا (٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩).

(١٦٦٥) انظر: شرح للمواقف للجرجاني (٨/ ١٥٥).

(١٦٦٦) انظر: الأربعين في أصول الدين الرازي (١/ ٣٠٤).

(١٦٦٧) انظر: رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها لأحمد بن ناصر آل حمد (ص ٧٢).



خامسًا: الأدلة العقلية للأشاعرة القائلين بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

استدل الأشاعرة على جواز رؤية الله تعالى بأدلة عقلية، وهي:

١ - دليل الوجود: وهو أن كل موجود مرئي سواء أمكن مشاهدته أم لم يمكن.

قال الجويني: "الدليل على جواز الرؤية عقلا أن الرب-عز وجل-موجود، وكل موجود مرئي" (١٦٦٨) ويدخل في ذلك جميع الموجودات كالأصوات، والروائح، والملموسات، والطعوم. (١٦٦٩)

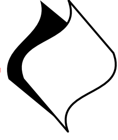
٢ - معنى الرؤية ومفهوما والمراد بها. وجميع ذلك هو حقيقة الرؤية.

قال الغزالي-رحمه الله-(ت: ٥٠٥ هـ): "لا حقيقة لها إلا أنها نوع إدراك هو كمال ومزيد كشف بالاضافة إلى التخيل، إلا أن هذا الكمال في الكشف غير مبذول في هذا العالم، والنفس في شغل البدن وكدورة صفائه، فهو محجوب عنه. وكما لا يبعد أن يكون الجفن أو الستر أو سواد ما في العين سببا بحكم اطراد العادة الامتناع الإبصار للمتخيلات فلا يبعد أن تكون كدورة النفس وتراكم حجب الأشغال بحكم اطراد العادة مانعا من إبصار المعلومات. فإذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، وزكيت القلوب بالشراب الطهور، وصفيت بأنوع التصفية والتنقية، لم يمتنع أن تشتغل بسببها لمزيد استكمال واستيضاح في ذات الله سبحانه أو في سائر المعلومات، يكون ارتفاع درجته عن العلم المعهود كارتفاع درجة الإبصار عن التخيل، يعبر عن ذلك بلقاء الله تعالى ومشاهدته، أو رؤيته، أو إبصاره، أو ما شئت من العبارات. فلا مشاحة فيها وبعد إيضاح المعاني. وإذا كان ذلك ممكنا بأن خلقت هذه الحالة في العين، كان اسم الرؤية بحكم وضع اللغة عليه أصدق وخلقه في العين غير مستحيل. كما أن خلقها في القلب غير مستحيل فإذا فهم المراد بها أطلقه أهل الحق من الرؤية، علم أن العقل لا يحيله، بل يوجبه، وأن الشرع قد شهد له فلا يبقى للمنازعة وجه إلا على سبيل العناد أو المشاحنة في إطلاق عبارة الرؤية أو القصور عن درك هذه المعاني الدقيقة التي ذكرناها". (١٦٧٠).

(١٦٦٨) انظر: لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة للجويني (ص ١١٥).

(١٦٦٩) انظر: شرح المواقف للجرجاني (ص ١٣٩).

(١٦٧٠) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص ٤٥ - ٤٦) باختصار.



٣ - أن كل مرئي فهو في جهة، وهذا إنما هو حكم الشاهد لا حكم الغائب، وهذا الموضع ليس من المواضع التي يجب فيها نقل حكم الشاهد إلى الغائب، وإنه جائز أن يرى الإنسان ما ليس في جهة، إذا كان جائزا أن يرى الإنسان بالقوة المبصرة نفسها دون عين. (١٦٧١)

٤ - أنه يمكن رؤية ما ليس في جهة، ومن أنكر ذلك فلا يقدر على انكار رؤية الإنسان نفسه في المرآة، ومعلوم أنه ليس في مقابلة نفسه. (١٦٧٢)

٥ - أن رؤية غير الأجسام ممكنة وذلك لما يلي:

الأول: أن الشيء لا يخلو أن يرى من جهة ما هو ملون، أو من جهة أنه جسم، أو من جهة أنه لون، أو من جهة أنه موجود، وربما من جهات أخر غير هذه الموجودة، وباطل أن يرى من قبل أنه جسم؛ إذ لو كان ذلك كذلك لما رئي ما هو غير جسم، وباطل أن يرى من قبل أنه ملون؛ إذ لو كان كذلك لمارئي اللون، وباطل أن يرى لمكان أنه لون؛ إذ لو كان ذلك كذلك لمارئي الجسم، وإذا بطلت جميع هذه الأقسام التي تتوهم في هذا الباب فلم يبق أن يرى الشيء إلا من قبل أنه موجود.

الثاني: أن الحواس إنما تدرك ذوات الأشياء وما تنفصل به الموجودات بعضها من بعض، وهي أحوال ليست بذوات، فالحواس لا تدركها وإنما تدرك الذات، والذات هي نفس الوجود المشترك لجميع الموجودات، فإذا: الحواس إنما تدرك الشيء من حيث هو موجود. (١٦٧٣)

سادسًا: الرد على أدلة الأشاعرة العقلية القائلين: بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

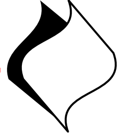
[الرد على الدليل العقلي الأول]

أن قولهم: "أن كل موجود يري" غير صحيح، حيث جعلوا ذلك عاما لكل موجود كالأصوات

(١٦٧١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٣٩).

(١٦٧٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص ٤٣).

(١٦٧٣) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد (ص ١٨٧ - ١٨٩) وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٤٢ و٤٤٥) ودرء تعارض العقل والنقل له (٦/ ٢٣٠ - ٢٣٣).



والروائح والطعوم وغيرها، وهذه مكابرة للعقل، ومناقضة للواقع.

فإن المعاني ونحوها لا يمكن رؤيتها، ومن زعم ذلك فقد قال بالمحال، والتخبط في المقال، وقد اعترف كبار الأشاعرة المخالفين للأشعري نفسه بعدم صحة هذا الدليل، وعدم سلامته من الاعتراضات والإشكالات.

قال الرازي–رحمه الله–(ت: ٦٠٦ هـ): "اعلم أن جمهور الأصحاب عولوا في إثبات أنه تعالى يصح أن يرى على دليل الوجود، وأما نحن فعاجزون عن تمشيه، ونحن نذكر ذلك الدليل، ثم نوجه عليه ما عندنا من الاعتراضات". (١٦٧٤)

وقد اعترف الرازي بعد إيراده للاستشكالات والاعتراضات على دليل الوجود بعجزه عن الجواب عنها فقال: "فهذا ما عندي من الأسئلة في هذا الدليل، وأنا غير قادر على الأجوبة عنها. . . اعلم أن الدليل العقلي المعول عليه في هذه المسألة هذا الذي أوردناه وأوردنا عليه هذه الاسئلة واعترفنا بالعجز عن الجواب عنها". (١٦٧٥)

وقال أيضا: "ثبت أن صحة الرؤية حكم مشترك فيه بين الجواهر والأعراض والحكم المشترك فيه لا بد له من علة مشتركة فيها والمشترك بين الجوهر والعرض إما الحدوث أو الوجود والحدوث لا يصلح للعلية لأن الحدوث عبارة عن وجود بعد عدم والقيد العلمي لا يصلح للعلية فوجب أن تكون العلة هي الوجود والله تعالى موجود فوجب القول بصحة رؤيته، وهذا عندي ضعيف". (١٦٧٦)

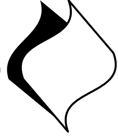
ولذلك توقف الرازي في القول بالدليل العقلي لعدم صحته عنده وعدم سلامته من الاعتراضات والإشكالات.

قال في كتابه المطالب العالية: "الدلائل التي تمسك بها نفاة الرؤية في غاية الضعف والسقوط، وأما مثبتوا الرؤية فقد عولوا على أن قالوا: "الله تعالى موجود، وكل موجود فإنه تصح رؤيته" ودليلهم في الإثبات:

(١٦٧٤) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٦٨).

(١٦٧٥) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٧٧).

(١٦٧٦) انظر: معالم أصول الدين للرازي (ص ٢٦٨).



أن كل موجود تصح رؤيته، قد ذكرناه في أحكام الموجودات، وأوردنا عليه اعتراضات قوية لا يمكن دفعها البتة، وإذا عرفت ضعف دلائل الفريقين فنقول: بقي هذا البحث في محل التوقف". (١٦٧٧)

وقال الشهرستاني–رحمه الله–(ت: ٥٤٨ هـ): "وأما جواز الرؤية فالمسلك العقلي ما ذكرناه وقد وردت عليه تلك الإشكالات ولم تسكن النفس في جوابها كل السكون ولا تحركت الأفكار العقلية الى التفصي عنها كل الحركة". (١٦٧٨)

وقال الآمدي–رحمه الله–(ت: ٦٣١ هـ): "والواجب البداية بتقديم النظر في طرف الجواز العقلي أولا ثم في وقوعه شرعا ثانيا، وقد سلك المتكلمون في ذلك ومن أهل الحق مسالك لا تقوى: المسلك الأول: وهو ما اشتهر من قولهم: الرؤية تتعلق بالموجودات المختلفة كالجواهر والأعراض. . . " ثم قال عن هذا الدليل: "ومن نظر بعين التحقيق علم أن المتعلق به منحرف عن سواء الطريق". (١٦٧٩)

وقال أيضا: "ولما تخيل بعض الأصحاب زيغ هذه الطريقة عن الصواب انتهج منهجا آخر فقال: إن الجواهر والأعراض متعلق الرؤية، ولا محالة أن بينهما اتفاقا وافتراقا. . . وهذا الإسهاب أيضا مما لا يشفي غليلا". (١٦٨٠)

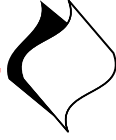
وقال أيضا: "لو سلم أن ما وقع به الافتراق لا يصلح أن يكون مصححا فإن المصحح لا بد وأن يكون أمرا مشتركا فلا بد من بيان أنه لا مشترك إلا "الوجود" والا فمع جواز القول باشتراكها في معنى آخر غير الوجود فيجوز أن يكون هو المصحح أو داخلا في المصحح، وعند ذلك فلا يلزم جواز تعلق الرؤية بواجب الوجود؛ لجواز أن يكون المصحح غير شامل له كما في الوجود، وذلك لا دليل عليه غير البحث والسبر وهو ما لا يرقى إلى ذروة اليقين بل لعله مما يقصر عن إفادة الظن والتخمين. . . ثم إنه لو قدر أنه لا مشترك إلا الوجود فلا بد من بيان أن وجود واجب الوجود مجانس للوجود الذي هو متعلق

(١٦٧٧) انظر: المطالب العالية للرازي (٢/ ٨٧).

(١٦٧٨) انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني (ص ٣٢٩) وغاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص ١٦٢).

(١٦٧٩) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص ١٤٢ – ١٤٣).

(١٦٨٠) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص ١٤٤ – ١٤٥).



الرؤية شاهدا حتى يلزم تعلق الرؤية به وذلك مما يعز ويشق جدا". (١٦٨١)

وقال في ختام إيراده للاستشكالات والاعتراضات: "وعلى الجملة فلسنا نعتمد في هذه المسألة على غير المسلك العقلي الذي أوضحناه؛ إذ ما سواه لا يخرج عن الظواهر السمعية والاستبصارات العقلية، وهي مما يتقاصر عن إفادة القطع واليقين، فلا يذكر إلا على سبيل التقريب واستدراج قانع بها إلى الإعتقاد الحقيقي، إذ رب شخص يكون انقياده إلى ظواهر الكتاب والسنة واتفاق الأمة اتم من انقياده إلى المسالك العقلية والطرق اليقينية خشونة معركها وقصوره عن مدركها". (١٦٨٢)

[الرد على الدليل العقلي الثاني]

١ - أن قولهم: "بأن الرؤية هي زيادة علم وكشف". هو نفس قول المعتزلة المنكرين للرؤية، فلا فرق بينهم في ذلك.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "أئمة أصحاب الأشعري المتأخرين لما تأملوا ذلك عادوا في الرؤية إلى قول المعتزلة أو قريب منه وفسروها بزيادة العلم كما يفسرها بذلك الجهمية والمعتزلة وغيرهم وهذا في الحقيقة تعطيل للرؤية الثابتة بالنصوص والإجماع والمعلوم جوازها بدلائل المعقول، بل المعلوم بدلائل العقول امتناع وجود موجود قائم بنفسه لا يمكن تعلقها به". (١٦٨٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة يتأولون النصوص فيها تارة برؤية أفعال الله، وتارة برؤية القلب الذي هو زيادة العلم". (١٦٨٤)

وقد اعترف بهذا كبار حذاق المتكلمين الأشعرية، وأن قولهم هو نفس قول المعتزلة.

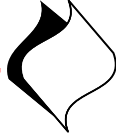
قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وهذا صار حذاقهم إلى إنكار الرؤية وقالوا: قولنا هو

(١٦٨١) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص ١٤٧).

(١٦٨٢) انظر: نفس المصدر (ص ١٥٤).

(١٦٨٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥) باختصار..

(١٦٨٤) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ٧٣).



قول المعتزلة في الباطن؛ فإنهم فسروا الرؤية بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا ننازع فيه المعتزلة". (١٦٨٥)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة، فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا: النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي". (١٦٨٦)

٢ – أن تحريفكم لمعنى الرؤية بالكشف وزيادة العلم قول مبتدع لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، وهو خلاف ما نقل عن الصادق المصدوق ﷺ حينما أخبرنا عن رؤية الله تعالى فقال: "إنكم سترون ربكم عيانا". (١٦٨٧)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وأما دعواه ودعوى غيره من الجهمية من المعتزلة ونحوهم أن الرؤية التي أخبر بها الرسول مزيد علم فمن سمع النصوص علم بالاضطرار أن الرسول إنما أخبر برؤية المعاينة، وأيضا فإن أدلة المعقول الصريحة تجوز هذه الرؤية". (١٦٨٨)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "أما إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة فهو قول سلف الأمة وأئمتها، وجماهير المسلمين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها، وقد تواترت فيه الأحاديث عن النبي ﷺ عند علماء الحديث، وجمهور القائلين بالرؤية يقولون: يرى عيانا مواجهة، كما هو المعروف بالعقل". (١٦٨٩)

[الرد على الدليل العقلي الثالث]

١ – نقول لهم: تفريقكم في نقل حكم الشاهد إلى الغائب بين الرؤية وبين غيرها من الصفات تفريق

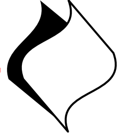
(١٦٨٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٨٥).

(١٦٨٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٢٥٠).

(١٦٨٧) أخرجه البخاري (رقم ٧٤٣٥).

(١٦٨٨) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٥٢).

(١٦٨٩) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣/ ٣٤١).



بين متماثلين، فكما نقلتم حكم الشاهد إلى الغائب في صفة الحياة والعلم، فكذلك يلزمكم في الرؤية.

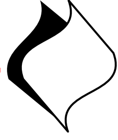
وهؤلاء اختلط عليهم إدراك العقل مع إدراك البصر، فإن العقل هو الذي يدرك ما ليس في جهة –أعني في مكان– وأما إدراك البصر فظاهر من أمره أن من شرطه أن يكون المرئي منه في جهة –أعني في مكان– ولا في كل جهة فقط بل في جهة ما مخصوصة، ولذلك ليس تتأتى الرؤية بأي وضع اتفق أن يكون البصر من المرئي، بل بأوضاع محدودة وشروط محدودة أيضا، وهي ثلاثة أشياء: "حضور الضوء، والجسم الشفاف المتوسط بين البصر والمبصر، وكون المبصر ذا ألوان ضرورة"، والرد هذه الأمور المعروفة بنفسها في الأبصار هو رد للأوائل المعلومة بالطبع للجميع، وإبطال لجميع علوم المناظر والهندسة، وقد قال القوم –أعني الأشعرية–: "إن أحد المواضع التي يجب أن ينقل فيها حكم الشاهد إلى الغائب هو الشرط، مثل: حكمنا أن كل عالم حي؛ لكون الحياة تظهر من الشاهد شرطا في وجود العالم"،وإن كان كذلك قلنا لهم: وكذلك يظهر في الشاهد أن هذه الأشياء هي شروط في الرؤية فألحقوا الغائب منها بالشاهد على أصلكم. (١٦٩٠)

٢ – أن قولكم: "جائز أن يرى الإنسان ما ليس في جهة" هذا إنما يكون متصورا في العقول، أما في الخارج فلا يوجد مرئي إلا وهو في جهة.

٣ – يقال لهم: قولكم: "ما ليس في جهة" هذا اللفظ قول مبتدع لم يرد به الشرع إثباتا ولا نفيا، ثم ماذا تقصدون به؟ إن قصدتم أنه لا داخل العالم ولا خارجه فقد قلتم الباطل والمحال، وإن قصدتم أنه ليس فوق العرش إله فقد جحدتم رب العالمين، وإن قصدتم أنه بذاته في كل مكان فقد قلتم قولا أعظم من قول النصاري في عيسى–عليه السلام–، وإن قصدتم أنه تعالى لا تحيط به المخلوقات، بل هو بائن عن المخلوقات، فقد أصابتم المعنى وأخطأتم في استعمال اللفظ؛ لأنه.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "من قال: إن الله ليس في جهة، قيل له: ما تريد بذلك؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السماوات رب يعبد، ولا على العرش إله، ومحمد لم يعرج به إلى الله تعالى، والأيدي لا ترفع إلى الله تعالى في الدعاء، ولا تتوجه القلوب إليه، فهذا فرعوني معطل جاحد لرب

(١٦٩٠) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد (ص ١٨٦) وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٣٩ – ٤٤٠) والدرء له أيضا (٦/ ٢٢٩).



العالمين.

وإن كان معتقدا أنه مقر به، فهو جاهل متناقض في كلامه. ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد كابن عربي، وقالوا: إن الله بذاته في كل مكان، وأن وجود المخلوقات هو وجود الخالق.

وإن قال: مرادي بقولي: "ليس في جهة" أنه لا تحيط به المخلوقات، بل هو بائن عن المخلوقات، فقد أصاب في هذا المعنى.

وكذلك من قال: إن الله متحيز، أو قال: ليس بمتحيز، إن أراد بقوله: "متحيز" أن المخلوقات تحوزه وتحيط به فقد أخطأ. وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات لا تحويه فقد أصاب. وإن أراد: ليس ببائن عنها، بل هو لا داخل فيها ولا خارج عنها فقد أخطأ.

والناس في ذلك ثلاثة أصناف: أهل الحلول والاتحاد، وأهل النفي والجحود، وأهل الإيمان، والتوحيد، والسنة.

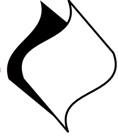
فأهل الحلول يقولون: إنه بذاته في كل مكان، وقد يقولون بالاتحاد والوحدة، فيقولون: وجود المخلوقات وجود الخالق، كما هو مذهب **ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)** صاحب "الفصوص" **وابن سبعين (ت: ٦٦٩ هـ)** ونحوهما.

وأما أهل النفي والجحود فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارج عنه، ولا مباين له ولا حال فيه، ولا فوق العالم ولا فيه، ولا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء، ولا يتقرب إليه شيء، ولا يدنو منه شيء، ولا يتجلى الشيء ولا يراه أحد، ونحو ذلك.

وهذا قول متكلمة الجهمية، كما أن الأول قول عباد الجهمية. فمتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء، وكلاهما مرجعهم إلى التعطيل والجحود الذي هو قول فرعون". (١٦٩١)

٤ - أن استلزام الرؤية لأن يكون الله بجهة من الرائي ثابت لا محذور فيه، فقد دل العقل الصريح والنقل الصحيح والقياس الصحيح وهو قياس التنبية وقياس الأولى على إثبات ذلك.

(١٦٩١) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٢٠٣ - ٢٠٤).



قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الوجه الثالث: أن كون الرؤية مستلزمة لأن يكون الله بجهة من الرائي أمر ثبت بالنصوص المتواترة وفيه مع إخباره أنهم يرونه إخبارهم أنه يرونه في جهة منهم من وجوه:

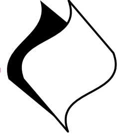
أحدها: أن الرؤية في لغتهم لا تعرف إلا لرؤية ما يكون بجهة منهم، فأما رؤية ما ليس في الجهة فهذا لم يكونوا يتصورونه ولا يعرفونه فضلا عن أن يكون اللفظ يدل عليه.

ولست تجد أحدا من الناس يتصور وجود موجود في غير جهة، فضلا عن أن يتصور أنه يرى، فضلا عن أن يكون اسم الرؤية المشهورة في اللغات كلها يدل على هذه الرؤية الخاصة.

الثاني: أنه شبه لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر، وليس ذلك تشبيها للمرئي بالمرئي، ومن المعلوم أنه إذا كانت رؤيته مثل رؤية الشمس والقمر وجب أن يرى في جهة من الرائي، كما أن رؤية الشمس والقمر كذلك، فإنه لو لم يكن كذلك لأخبرهم برؤية مطلقة نتأولها على ما يتأول من يقول بالرؤية في غير جهة، أما بعد أن يستفسرهم عن رؤية الشمس صحوة ورؤية البدر صحوة ويقول: "إنكم ترون ربكم كذلك" فهذا لا يمكن أن يتأول على الرؤية التي يزعمونها، فإن هذا اللفظ لا يحتملها لا حقيقة ولا مجازا.

الثالث: أنه شبه رؤيته برؤية أظهر المرئيات إذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئي، ومن يقول: "إنه يرى في غير جهة" يمتنع عنده أن يكون بينه وبين العباد حجاب منفصل عنهم، إذ الحجاب لا يكون إلا لجسم، ولما يكون في جهة، وهم يقولون: "الحجاب عدم خلق الإدراك في العين"، والنبي ﷺ مثل رؤيته برؤية هذين النورين العظيمين إذا لم يكن دونها حجاب.

الرابع: أنه أخبر أنهم: **"لا يضارون في رؤيته"** وفي حديث آخر: **"لا يضامون"** ونفي الضير والضيم إنما يكون لإمكان لحوقه للرائي، ومعلوم أنا يسمونه رؤية وهو "رؤية ما ليس بجهة" من الرائي لا فوقه ولا في شيء من جهاته لا يتصور فيها ضير ولا ضيم حتى ينفي ذلك، بخلاف رؤية ما يواجه الرائي ويكون فوقه، فإنه قد يلحقه فيه ضيم وضير إما بالازدحام عليه أو كلال البصر لخفائه: كالهلال، وإما لجلائه: كالشمس والقمر.



الوجه الرابع: أن كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت بإجماع السلف والأئمة". (١٦٩٢).

[الرد على الدليل العقلي الرابع]

أن قولهم ذلك مغالطة للواقع، فالمرآة في جهة الناظر إليها، وهو إنما ينظر إلى صورته فيها. فإن الذي يبصر هو خيال ذاته فقط، والخيال منه هو في جهة إذا كان الخيال في المرآة، والمرآة في جهة. (١٦٩٣)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "قال العقلاء هذا تلبيس فإنه إنما يرى خيال صورته وهو عرض منطبع في الجسم الصقيل وهو في جهة منه ولا يرى حقيقة صورته القائمة به". (١٦٩٤).

[الرد على الدليل العقلي الخامس]

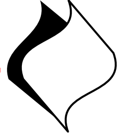
قولكم: أن رؤية غير الأجسام ممكنة، قول باطل مخالف للعقل الصريح والواقع، ومكابرة للمعقول والمحسوس.

فأما الوجه الأول في استدلالكم: فالمغالطة في هذا القول بينة؛ فإن المرئي منه ما هو مرئي بذاته ومنه ما هو مرئي من قبل المرئي بذاته، وهذه هي حال اللون والجسم، فإن اللون مرئي بذاته، والجسم مرئي من قبل اللون، ولذلك ما لم يكن له لون لم يبصر، ولو كان الشيء إنما يرى من حيث هو موجود فقط لوجب أن تبصر الأصوات وسائر المحسوسات الخمس، فكان يكون البصر والسمع وسائر الحواس الخمس حاسة واحدة، وهذا كله خلاف ما يعقل، وقد اضطر المتكلمون لمكان هذه المسألة وما أشبهها أن يسلموا أن الألوان ممكنة أن تسمع، والأصوات ممكنة أن ترى، وهذا كله خروج عن الطبع وعما يمكن أن يعقله الإنسان، فإنه من الظاهر أن حاسة البصر غير حاسة السمع، وأن محسوس هذه غير محسوس تلك، وأن آلة هذه غير آلة تلك، وأنه ليس يمكن أن ينقلب البصر سمعا، كما ليس يمكن أن يعود اللون صوتا، وعلى هذا فتكون الأشياء كلها شيئا واحدا حتى المتضادات، وهذا شيء فيها أحسب يسلمه المتكلمون من أهل

(١٦٩٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤/ ٤٣٢ - ٤٤٩) باختصار وتصرف.

(١٦٩٣) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد (ص ١٨٧) وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٤١) والدرء له أيضا (٦/ ٢٣٠).

(١٦٩٤) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٣٣٣).



ملتنا، أو يلزمهم تسليمه -يعني هؤلاء الأشعرية- وهو رأي سوفسطائي لأقوام قدماء مشهورين بالسفسطة.

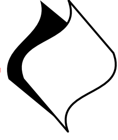
وأما الوجه الثاني في استدلالكم: ففي غاية الفساد، ومن أبين ما يظهر به فساد هذا القول أنه لو كان البصر إنما يدرك الأشياء لوجودها لما أمكنه أن يفرق بين الأبيض والأسود؛ لأن الأشياء لا تفترق بالشيء الذي تشترك فيه، ولكان بالجملة لا يمكن في الحواس: لا في البصر أن يدرك فصول الألوان، ولا في السمع أن يدرك فصول الأصوات، ولا في الطعم أن يدرك فصول المطعومات، وللزم أن تكون مدارك المحسوسات بالحس واحدا، فلا يكون فرق بين مدرك السمع وبين مدرك البصر، وهذا كله في غاية الخروج عما يعقله الإنسان، والسبب في مثل هذه الحيرة الواقعة في الشريعة حتى ألجأت القائمين بنصرتها في زعمهم إلى مثل هذه الأقاويل الهجينة التي هي ضحكة عند من عني بتمييز أصناف الأقاويل أدنى عناية، هو التصريح في الشرع بما لم يأذن الله ورسوله به، فإذا متى أخذ الشرع في أوصاف الله تعالى على ظاهره لم تعرض فيه هذه الشبهة ولا غيرها لأنه إذا قيل إنه نور وإن له حجابا من نور كما جاء في القرآن والسنن الثابتة ثم قيل إن المؤمنين يرونه في الدار الآخرة كما ترى الشمس لم يعرض في هذا شك ولا شبهة في حق الجمهور ولا في حق العلماء وذلك أنه قد تبرهن عند العلماء أن تلك الحال مزيد علم لكن متى صرح به للجمهور بطلت عندهم الشريعة كلها أو كفروا المصرح لهم بها، فمن خرج عن منهاج الشريعة في هذه الأشياء فقد ضل عن سواء السبيل". (١٦٩٥)

سابعًا: الأدلة الشرعية للأشاعرة القائلين: بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

استدل الأشاعرة بالأدلة الواردة في القرآن والسنة على صحة رؤية الله تعالى في الآخرة، وإمكان وقوعها. ومع قولهم بصحة ذلك إلا أنهم قد حكموا بأن دلالتها على الرؤية ظنية وليست قطعية.

قال الرازي-رحمه الله-(ت: ٦٠٦ هـ): "المسألة العاشرة: قيل: الدلائل النقلية لا تفيد اليقين؛ لأنها مبنية على نقل اللغات ونقل النحو والتصريف، وعدم الاشتراك، وعدم المجاز، وعدم الإضرار، وعدم النقل، وعدم التقديم والتأخير، وعدم التخصيص، وعدم النسخ، وعدم المعارض العقلي، وعدم هذه الأشياء مظنون لا معلوم، والموقوف على المظنون مظنون، وإذا ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية، وأن العقلية

(١٦٩٥) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد (ص ١٨٧ - ١٩٠) وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٦/ ٢٣٠ - ٢٣٦).



قطعية، والظن لا يعارض القطع". (١٦٩٦)

وقد ذهب جمهورهم ومتأخروهم لذلك إلى عدم إثبات رؤية حقيقة بالأبصار، وإنما يحرفونها ويؤولونها إما مجازا، أو زيادة علم وكشف، ويجعلونها في غير جهة.

ومن الأدلة التي استدلوا بها القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣].

قال الرازي–رحمه الله–(ت: ٦٠٦ هـ): "والنظر إلى الشيء يوجب رؤيته، فجاز أن يكون المراد من النظر هو الرؤية على سبيل إطلاق اسم السبب على المسبب، وأيضا حكى الله تعالى عن الخليل–عليه السلام–أنه قال: **{إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ}** [الصافات: الآيات: ٩٩] وليس المراد منه القرب بالجهة، فكذا ههنا". (١٦٩٧).

وقال الغزالي–رحمه الله–(ت: ٥٠٥ هـ): "وإن حصل له العلوم اليقينية إما على سبيل الحدس وإما على سبيل الفكر، ونزه أخلاقه وحسنها وعمل بموجب الشرع فله الدرجة العليا في السعادة، وله الوصول بلا انفصال وهو النظر الى الجمال الحق والجلال المحض، والكمال الصرف، كما قال الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]، فحق العاقل أن يسعى لطلب تلك السعادة ويحترز عن مضادها وعوائقها". (١٦٩٨).

وقال الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ): "أمثال هذه الظواهر لا تفيد إلا ظنونا ضعيفة جدا، وحينئذ لا تصلح هذه الظواهر للتعديل عليها في المسائل العلمية التي يطلب فيها اليقين". (١٦٩٩).

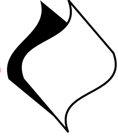
٢ - قوله تعالى: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}** [المطففين: الآية: ١٥].

(١٦٩٦) انظر: معالم أصول الدين للرازي (ص ٢٥).

(١٦٩٧) انظر: تأسيس التقديس للرازي (ص ٢٠٩).

(١٦٩٨) انظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي (ص ١٤٥).

(١٦٩٩) انظر: شرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٥٠).



قال الرازي–رحمه الله–(ت: ٦٠٦ هـ): "يجوز أن يكون المراد من الحجاب عدم الرؤية؛ وذلك لأن الحجاب يقتضي المنع من الرؤية، فكان إطلاق لفظ الحجاب على المنع من الرؤية: مجازة، من باب إطلاق السبب على المسبب". (١٧٠٠)

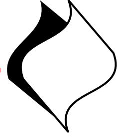
وقال الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ): "ذكر ذلك تحقيرا لشأنهم فلزم منه كون المؤمنين مبرئين عنه، فوجب أن لا يكونوا محجوبين عنه، بل رائين له، وهذا المسلك أيضا من الظواهر المفيدة للظن". (١٧٠١)

٣ – قوله تعالى: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣].

قال الغزالي–رحمه الله–(ت: ٥٠٥ هـ): "أي في الدنيا فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة في ذلك التلوث فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدأ فصارت كالمرآة التي قد فسد بطول تراكم الخبث جوهرها ولا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد، ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يستعد بصفائه ونقائه من الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأن يتجلى فيه الحق ﷻ، فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما عليه كانكشاف تجلي المرئيات بالإضافة إلى ما تخيله، وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية، فإذا الرؤية حق بشرط أن لا تفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان، فإن ذلك مما يتعالى عنه رب العالمين علوا كبيرا، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تصور وتخيل وتقدير شكل وصورة، فتراه في الآخرة كذلك، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الانكشاف والوضوح وتنقلب مشاهدة، فلا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح، فإذا لم يكن في المعرفة إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة؛ لأنها هي بعينها إلا في زيادة الكشف، كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف، ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا؛ لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما

(١٧٠٠) انظر: نفس المصدر (ص ٢١٠).

(١٧٠١) انظر: شرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٥٠).



تنقلب النواة شجرة والبذور زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل فكذلك من لا يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة". (١٧٠٢)

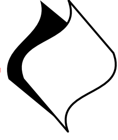
ومن الأدلة التي استدلوا بها من السنة النبوية:

حديث **عمار بن ياسر-رضي الله عنهما-(ت: ٣٧ هـ)**، حين سمع النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء: ((**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**)). (١٧٠٣)

قال الغزالي-رحمه الله-(ت: ٥٠٥ هـ): "لذة النظر إلى وجه الله الكريم، هذه المعرفة وإن عظمت لذتها، فلا نسبة لها إلى لذة النظر إلى وجه الله الكريم في الدار الآخرة، وذلك لا يتصور في الدنيا لسر. لا يمكن الآن كشفه، ولا ينبغي أن تفهم من النظر ما يفهمه العوام والمتكلمون، فيحتاج في تقديره إلى جهة ومقابلة، فلذلك من نظر من أقعده القصور في بحبوحة عالم الشهادة حتى لم يجاوز المحسوسات التي هي مدركات البهائم، لكن ينبغي أن تفهم أن الحضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجيب على ما هو عليه من البهاء والعظمة والجلال والمجد في قلب العارف، كما تنطبع مثلا صورة العالم المحسوس في حواسك، فكأنك تنظر إليه وإن غمت عينيك، فإن فتحت العين، وجدت الصورة المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل

(١٧٠٢) انظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي (ص ١٥٧ - ١٥٩) باختصار.

(١٧٠٣) أخرجه النسائي (رقم ١٣٠٥) وابن حبان (رقم ١٩٧١) والطبراني في كتاب الدعاء (رقم ٦٢٤) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٤٢٥) وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٩) والدارمي في الرد على الجهمية (رقم ١٨٨) وتمام الرازي في فوائده (٢/ ١٤٧ رقم ١٣٨٧) والدارقطني في كتاب رؤية الله (رقم ١٥٨) والحاكم في المستدرك (رقم ١٩٢٣) وصححه، ووافقه الذهبي، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥٤٠ رقم ٨٤٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (رقم ٢٢٧).



فتح العين لا تخالفها في شيء، إلا أن الإبصار في غاية الوضوح بالنسبة إلى التخيل، وكذلك ينبغي أن تعلم أن في إدراك ما لا يدخل في الخيال والحس أيضا في درجتين متفاوتين في الوضوح غاية التفاوت، ونسبة الثانية إلى الأولى كنسبة الإبصار إلى التخيل، فتكون الثانية غاية الكشف، فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية.

والرؤية لم تسم رؤية لأنها في العين؛ إذ لو خلقت في الجبهة لكانت رؤية، بل لأنها غاية الكشف، فكما أن تغميض الأجفان حجاب عن غاية الكشف في المبصر، فكدورة الشهوات وشواغل هذا القالب المظلم حجاب عن غاية المشاهدة؛ ولذلك قال الله تعالى: **{لَن تَرَانِي}** [الأعراف: الآية: ١٤٣] وقال تعالى: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** [الأنعام: الآية: ١٠٣]، فإذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة، ويكون مشاهدة كل واحد على قدر معرفته، ولذلك تزيد لذة أولياء الله سبحانه في النظر على لذة غيرهم، ويتجلى الله تعالى لأبي بكر-رضي الله عنه-(ت: ١٣ هـ) خاصة، ويتجلى للناس عامة، وكذلك لا يراه إلا العارفون؛ لأن المعرفة بذر النظر، بل هي التي تنقلب مشاهدة كما ينقلب التخيل إبصارا، فلذلك لا يقتضي مقابلة ولا جهة". (١٧٠٤)

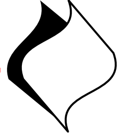
ثامنًا: الرد على الأشاعرة في تحريفهم للأدلة النقلية.

لقد خالف جمهور الأشاعرة مخالفة صريحة ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من إثبات رؤية الله في الدار الآخرة رؤية حقيقة بالأبصار عيانا، وتناقضوا حينما أثبتوا رؤية في غير جهة، وحقيقة قولهم هو موافقة المعطلة في إنكار الرؤية، والرد عليهم كما يلي:

١ - تفسيرهم لتلك الآيات الكريم، والأحاديث الصحيحة، إنما هو تحريف للكلم عن مواضعه، فلم يقل تلك التحريفات لا رسول الله ﷺ ولا أصحابه-رضي الله عنهم-ولا التابعون لهم بإحسان، ولا أئمة الإسلام من الأئمة الأربعة ونحوهم.

٢ - أنهم في تحريفهم لأدلة الرؤية عن معانيها الحقيقة الثابتة قد خالفوا إمامهم **الإمام أبا الحسن**

(١٧٠٤) انظر: الأربعين في أصول الدين للغزالي (ص ٢٥٤ - ٢٥٥) تحقيق: عبد الله عبد الحميد عرواني. الناشر: دار القلم دمشق. الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

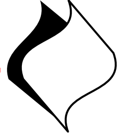


الأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ) المنتسبين إليه، وخالفوا كبار أتباعه المتقدمين، وهذا حال جمهور الأشاعرة الذين ينتسبون للإمام الأشعري، فقد خالفوه في كثير مما تبرأ منه من أقوال الجهمية والمعتزلة، ومنها مسألة الرؤية.

قال أبو الحسن الأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ): "الباب الأول: الكلام في إثبات رؤية الله سبحانه بالأبصار في الآخرة، قال الله عز وجل: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ}** [القيامة: الآية: ٢٢]، يعني: (مشرقة) **{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [القيامة: الآية: ٢٣]، يعنى: رائية؛ لأن النظر إذا ذكر مع ذكر "الوجه" فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا: "أنظر في هذا الأمر بقلبك"، لم يكن معناه نظر العينين، وكذلك إذا ذكر النظر مع "الوجه" لم يكن معناه نظر الانتظار الذي يكون للقلب، وأيضا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت" من العيش السليم والنعيم المقيم.

وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله–عز وجل–أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر، وهو: أن معنى قوله: **{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [القيامة: الآية: ٢٣]، أنها رائية ترى ربها–عز وجل–، والرؤية إذا أطلقت إطلاقا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان، إن المسلمين اتفقوا على أن الجنة فيها "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" من العيش السليم، والنعيم المقيم، وليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله تعالى بالأبصار.

وأكثر من عبد الله تعالى عبده للنظر إلى وجهه الكريم –أرانا الله إياه بفضله– فإذا لم يكن بعد رؤية الله–عز وجل–أفضل من رؤية نبيه ﷺ، وكانت رؤية نبي الله أفضل لذات الجنة كانت رؤية الله–عز وجل– أفضل من رؤية نبيه ﷺ، وإذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين، وملائكته المقربين، وجماعة المؤمنين، والصديقين النظر إلى وجهه الكريم؛ وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي؛ لأن رؤية الرائي تقوم به، فإذا كان هذا هكذا، وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئي لم توجب تشبيها ولا انقلابا عن حقيقة، ولم يستحل



على الله–عز وجل–أن يري عباده المؤمنين نفسه في جنانه". (١٧٠٥)

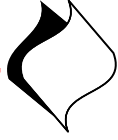
قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فهذا كله من كلام الأشعري مثل احتجاجه بما ذكره عن المسلمين جميعا من قولهم: إن الله احتجب بسمع سموات على أنه فوق العرش، وهو إنما احتجب عن أن يراه خلقه، لم يحتجب عن أن يراهم هو، فعلم أن هذا يحجب العباد عن رؤيته، وهذا يقتضي أنهم يرونه برفع هذه الحجب، وذلك يقتضي أنهم يرونه في الجهة، فإن من يثبت رؤيته في غير جهة من الرائي لا يقول بجواز الحجب المنفصلة أيضا كما تقدم، وكذلك احتجابه بقوله: **{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}** [الشورى: الآية: ٥١]، وأن الآية دلت على أن الله يحجب بعض المخلوقات دون بعض فعلم أنه لا يحتجب عن بعضهم واحتجاجه بذلك على أن الله فوق العرش يقتضي أن يحتجب عمن يراه ببعض مخلوقاته وهذا يستلزم أنه لا يرى إلا في جهة من الرائي وكذلك احتجاجه في مسألة العلم بأن الله نور وأن ذلك يقتضي أنه يرى ويقتضي أن رؤيته توجب علوه وكلام الأشعري في مسألة الرؤية والعلو يقتضي تلازمهما". (١٧٠٦)

٣ – أنهم يقصدون بقولهم: "في غير جهة" نفي علو الله تعالى عن خلقه، وفوقيته على عرشه واستوائه عليه.

قال الرازي–رحمه الله–(ت: ٦٠٦ هـ): "نقول: قوله: **{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}** [الأعراف: الآية: ٥٤] آية محكمة دالة على أن قوله: **{ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ}** [الأعراف: الآية: ٥٤] من المتشابهات التي يجب تأويلها، وهذه نكتة لطيفة، ونظير هذا أنه تعالى قال في أول سورة الأنعام: **{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ}** [الأنعام: الآية: ٣] ثم قال بعده بقليل: **{قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ}** [الأنعام: الآية: ١٢] فدلت هذه الآية المتأخرة على أن كل ما في السموات فهو ملك الله، فلو كان الله في السموات لزم كونه ملكا لنفسه وذلك محال، فهكذا هاهنا، فثبت بمجموع هذه الدلائل العقلية والنقلية أنه لا يمكن حمل قوله: **{ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ}** [الأعراف: الآية: ٥٤]، على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز، وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان: الأول: أن نقطع بكونه

(١٧٠٥) انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ص ٣٥ – ٥٥) باختصار وتصرف.

(١٧٠٦) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤/ ٤٦٢).



تعالى متعاليا عن المكان والجهة، ولا نخوض في تأويل الآية على التفصيل، بل نفوض علمها إلى الله، وهو الذي قررناه في تفسير قوله: **{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ}** [آل عمران: الآية: ٧] وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه". (١٧٠٧)

وجعل الرازي القول بنفي الجهة المتسلزمة للعلو والفوقية أمرا بدهيا اتفق عليه العقلاء سوى من شذ عنهم، ولم يشذ عن جميع العقلاء إلا فريقان وهم الحنابلة والكرامية.

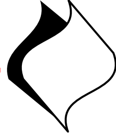
قال الرازي–رحمه الله–(ت: ٦٠٦ هـ): "إن العلوم البديهية لا يجوز وقوع الاختلاف فيها للجميع العظيم، فلو كان وقوع هذه المقدمة بديهيا لامتنع إطباق الجمع العظيم على إنكاره، ونرى جمهور الأذكيا من العقلاء متفقين على بطلان هذه المقدمة؛ فإن إثبات الجهة لله تعالى لم يقل به إلا الحنبلية والكرامية، وأما كل من سواهم فهم متفقون على أن ذاته–عز وجل–منزه عن الاختصاص بالحيز والجهة، فظهر أن هذه المقدمة ليس بديهية". (١٧٠٨)

وقد أخطأ الرازي في ذلك القول خطأ عظيما، وجهل ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من إثبات الرؤية في الآخرة إثباتا حقيقيا بالأبصار عيانا، وقد بين ابن تيمية خطأ الرازي في ذلك وانحرافه عن منهج الأنبياء والمرسلين، وتحريفه لكلام رب العالمين.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "بل خصومه في هذا الباب جميع الأنبياء والمرسلين وجميع الصحابة والتابعين، وجميع أئمة الدين من الأولين والآخرين، وجميع المؤمنين الباقين على الفطرة الصحيحة –دع ما قد تنازع فيه من ذلك– فإنهم لا يطلقون على الله هذا الإطلاق الذي ذكره، وإن كان فيهم وفي سائر الطوائف من نص بالصفات التي يطلق عليها هو وأمثاله أنها أجزاء وأبعاض، لكنهم لا يطلقون الألفاظ الموهمة المجملة إلا إذا نص الشرع، فأما ما لم يرد به الشرع فلا يطلقونه إلا إذا تبين معناه الصحيح الموافق للشرع، ونفي المعنى الباطل وفي لفظ الأجزاء، والأبعاض إجمال وإيهام كما سنذكره إن شاء الله، وما علمت أحدا من الحنابلة من يطلقه من غير بيان، بل كتبهم مصرحة بنفي ذلك المعنى الباطل،

(١٧٠٧) انظر: تفسير الرازي (١٤/ ٢٦٩).

(١٧٠٨) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ١٥٢).



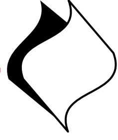
ومنهم من لا يتكلم في ذلك بنفي ولا إثبات.

فلا ريب أن الكتب الموجودة بأيدي الناس، تشهد بأن جميع السلف من القرون الثلاثة كانوا على خلاف ما ذكره، وأن الأئمة المتبوعين عند الناس والمشايخ المقتدى بهم، كانوا على خلاف ما ذكره، وهذه أئمة المالكية، والشافعية، والحنفية، وأهل الحديث، والصوفية على ذلك، بل أئمة الصفاتية من الكلابية والكرامية والأشعرية على خلاف ما قاله، فهذه كتب ابن كلاب (كان باقيا قبل الأربعين ومائتين) إمام طائفته، ثم الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) ونحوه، ثم أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، وأئمة أصحابه مثل أبي عبد الله بن مجاهد (ت: ٣٧٠ هـ)، وأبي الحسن الطبري (ت: ٣٦٠ هـ)، وأبي العباس القلانسي (ت: ٣٢٨ هـ)، وغيره –كما سيأتي إن شاء الله حكاية قوله وقول غيره– والقاضي أبي بكر بن الباقلاني (ت: ٣٣٨ هـ)، وأبي علي بن شاذان (٢٤٦ هـ)، وغيرهم، كلهم يقولون: بإثبات العلو لله على العرش واستوائه عليه دون ما سواه، ويضللون من يفسر ذلك بالاستيلاء والقهر ونحوه –كما قد حكينا بعض أقوالهم في جواب الاستفتاء، وفي جواب هذه المسائل الموردة عليه وذكرنا أن أبا الحسن الأشعري ذكر أن هذا قول جميع أهل السنة والحديث، وبه يقول الرازي وهو قد حكي أيضا في كتبه ذلك عن بعض أئمة أصحابه، وذكر للأشعري نفسه قولين –وقد تكلمنا على ذلك– فكيف يزعم أن خصومه إنما هم الكرامية والحنابلة! بل لم يوافقه إلا فريق قليل من أهل القبلة". (١٧٠٩)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "أكثر طوائف العقلاء يقولون بالعلو، وبامتناع وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، وأما كلام من نقل مذهب السلف والأئمة فأكثر من أن يمكن سطره. . **وعن جرير بن عبد الحميد الرازي–رحمه الله–(ت: ١٨٧ هـ)** أنه قال: "كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله".

وجميع الطوائف تنكر هذا، إلا من تلقى ذلك عن الجهمية، كالمعتزلة ونحوهم من الفلاسفة، فأما العامة من جميع الأمم فلا يستريب اثنان في أن فطرهم مقرة بأن الله فوق العالم، وأنهم إذا قيل لهم: "لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا يقرب إليه شيء، ولا يقرب هو من شيء، ولا يحجب العباد عنه شيء، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا تتوجه القلوب إليه طالبة له في العلو" فإن

(١٧٠٩) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ٢٣١ – ٢٣٥).

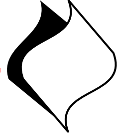


فطرهم تنكر ذلك، وإذا أنكروا هذا في هذه القضية المعينة التي هي المطلوب، فإنكارهم لذلك في القضايا المطلقة العامة التي تتناول هذا وغيره أبلغ وأبلغ، وأما خواص الأمم فمن المعلوم أن قول النفاة لم ينقل عن نبي من الأنبياء، بل جميع المنقول عن الأنبياء موافق لقول أهل الإثبات، وكذلك خيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم ينقل عنهم إلا ما يوافق قول أهل الإثبات، وأول من ظهر عنه قول النفاة هو الجعد بن درهم (ت: ١٢٤ هـ)، والجهم بن صفوان (ت: ١٢٨ هـ)، وكانا في أوائل المائة الثانية فقتلهما المسلمون، وأما سائر أئمة المسلمين، مثل: مالك-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)، والثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)، والأوزاعي-رحمه الله-(ت: ١٥٧ هـ)، وأبي حنيفة-رحمه الله-(ت: ١٥٠ هـ)، والشافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ)، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، وغيرهم، فالكتب مملوءة بالنقل عنهم لما يوافق قول أهل الإثبات، وكذلك شيوخ أهل الدين، مثل: الفضيل بن عياض-رحمه الله-(ت: ١٨٧ هـ)، وبشر الحافي (ت: ٢٢٧ هـ)، وأحمد بن أبي الحواري (ت: ٢٣٠ هـ)، وسهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣ هـ)، وعمرو بن عثمان المكي (ت: ٢٩٧ هـ)، والحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ)، ومحمد بن خفيف الشيرازي (ت: ٣٧١ هـ)، وغير هؤلاء.

وكتب أهل الآثار مملوءة بالنقل عن السلف والأئمة لما يوافق قول أهل الإثبات، ولم ينقل عن أحد منهم حرف واحد صحيح يوافق قول النفاة، فإذا كان سلف الأئمة وأئمتها وأفضل قرونها متفقين على قول أهل الإثبات، فكيف يقال: "ليس هذا إلا قول الكرامية والحنبلية"؟، ومن المعلوم أن ظهور قول أهل الإثبات قبل زمن أحمد بن حنبل كان أعظم من ظهوره في هذا الزمان، فكيف يضاف ذلك إلى أتباعه؟

وأيضا فعبد الله بن سعيد بن كلاب-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، والحارث المحاسبي-رحمه الله-(ت: ٢٤٣ هـ)، وأبو العباس القلانسي-رحمه الله-(ت: في العشر الثاني من القرن الرابع هـ)، وأبو الحسن بن مهدي الطبري-رحمه الله-(ت: نحو ٣٨٠ هـ)، وعامة قدماء الأشعرية يقولون: إن الله بذاته فوق العرش، ويردون على النفاة غاية الرد، وكلامهم في ذلك كثير مذكور في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا التنبيه على بطلان ما يعارض به النفاة من الحجج العقلية، وأما النفي فلم يكن يعرف إلا عن الجهمية كالمعتزلة ونحوهم، ومن وافقهم من الفلاسفة، وإلا فالمنقول عن أكثر الفلاسفة هو قول أهل الإثبات، كما نقله ابن رشد الحفيد عنهم، وهو من أعظم الناس انتصارا لهم، وسلوكا لطريقتهم، لا سيما لأرسطو وأتباعه، كما أنه يميل إلى القول بقدم العالم أيضا.



الثاني: من أجوبة قوله: "لو كان بديهيا لامتنع اتفاق الجمع العظيم على إنكاره، وهم ما سوى الحنابلة والكرامية".

هو أن يقال: لم يطبق على ذلك إلا من أخذه بعضهم عن بعض، كما اخذ النصارى دينهم بعضهم عن بعض، وكذلك اليهود والرافضة وغيرهم.

فأما أهل الفطر التي لم تغير فلا ينكرون هذا العلم، وإذا كان كذلك فأهل المذاهب الموروثة لا يمتنع إطباقهم على جحد العلوم البديهية، فإنه ما من طائفة من طوائف الضلال -وإن كثرت- إلا وهي مجتمعة على جحد بعض العلوم الضرورية.

الثالث: أن يقال: ما من طائفة من طوائف الكلام والفلسفة إلا وجمهور الناس يقولون: "إنهم جحدوا العلوم الضرورية". فالقائلون بأن الممكن قد يترجح أحد طرفيه بلا مرجح من القادر أو غيره، يقول جمهور العقلاء: إنهم جحدوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الأجسام لا تبقى والأعراض لا تبقى، يقول جمهور الناس: إنهم جحدوا العلوم الضرورية.

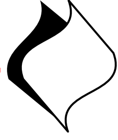
والقائلون بأن الأصوات المتعاقبة تكون قديمة أزلية الأعيان باقية، وأن الأصوات المسموعة من الآدميين هي قديمة، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأن الكلام هو معنى واحد: هو الأمر بكل ما أمر به، والخبر عن كل ما أخبر به، وأنه وإن عبر عنه بالعربية كان هو القرآن، وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة، يقول جمهور العقلاء: إنهم جحدوا العلم الضروري.

والقائلون بأن العالم هو العلم والمعلوم، والعاقل هو العقل والمعقول، والعاشق هو العشق والمعشوق، واللذة هي الملتذ، والعلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الوجود الواجب وجود مطلق بشرط الإطلاق أو لا بشرط، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن النفس لا تدرك إلا الكليات دون الجزئيات، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.



والقائلون بأن كل موجود يجوز أن تتعلق به الإدراكات الخمسة، وأن الصوت يرى، والطعم يسمع، واللون يشم، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأنه يحدث إرادة لا في محل، أو يحدث فناء لا في محل، يقول جمهور العقلاء: أن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأن الإرادة تحدث في الإنسان من غير سبب يوجب حدوثها، مما يقول جمهور العقلاء: إن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأنه حي عليم قدير، من غير حياة ولا علم ولا قدرة، مما يقول جمهور العقلاء: إن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأن النبي ﷺ نص على علي بالخلافة نصا جليا أشاعه بين المسلمين، فكتموه ولم يظهروه، يقول جمهور العقلاء: إن قولهم معلوم الفساد بالضرورة.

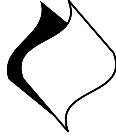
والقائلون بأن للأمة إماما معصوما عمره سنتان -أو ثلاث أو أربع- دخل السرداب من أكثر من أربعمائة سنة، أو أن عليا لم يمت، وأمثال ذلك، يقول جمهور الناس: إن قولهم معلوم الفساد بالضرورة.

وكذلك قول القائلين بأن الأعراض لا تبقي زمانين، مما يقول جمهور العقلاء: إن فساده معلوم بالضرورة.

وكذلك من يقول: إن النبي ﷺ كان يسمي المنافقين مؤمنين، ويجعل إيمانهم كإيمان المؤمنين غير المنافقين، وهم مع ذلك مخلدون في النار، مما يعلم جمهور العقلاء المسلمين فساده بالاضطرار من دين الإسلام.

وكذلك القائلون بأن القرآن العزيز زيد فيه زيادات، ونقص منه أشياء، مما يعلم بالضرورة امتناعه في العادة.

وقول النصارى: إن الكلمة اتحدت بالمسيح، وإنها ليس هي الآب الجامع للأقانيم، وهي مع ذلك الرب الذي يخلق ويرزق، وهي جوهر، والجوهر عندهم واحد ليس إلا الآب، مما يقول الناس: إنه معلوم الفساد بالضرورة. ومثل هذا إذا تتبعناه كثير.



فوجود الأقوال التي يقول جمهور الناس: إنها معلومة الفساد بالضرورة في قول طوائف كثيرة من الناس أكثر من أن تستوعب، فكيف يقال: "لا يجوز إطباق الجمع الكثير على إنكار ما علم بالبديهة"؟

الوجه الرابع: أن يقال: هذا معارض بما هو أبلغ منه، فإن الجموع الكثيرة يقولون: إنهم يجدون في أنفسهم عند الضرورة معني يطلب العلو في توجه قلوبهم إلى الله ودعائه، وأنه يمتنع في عقولهم وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، وأن هذا معلوم لهم بالضرورة، فإن امتنع اتفاق الجمع العظيم على مخالفة البديهة، فتجب الحجة المثبتة، فيبطل نقيضها، وإن لم تمتنع بطلت حجة النفاة، فيثبت بطلانها على التقديرين". (١٧١٠)

٤ – أن الذي ورد عن سلف الأمة وأئمتها هو إثبات الجهة، وهي جهة العلو والفوقية لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهو عكس ما ادعوه من نفي الجهة، وعكس ما زعموه من النهي عن إطلاقها أو القول بها.

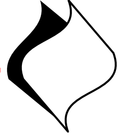
قال أبو عبد الله القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "كان السلف الأول–رضي الله عنهم–لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك–رحمه الله–: الاستواء معلوم –يعني في اللغة– والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة–رضي الله عنها–. وهذا القدر كاف، ومن أراد زيادة عليه فليقف عليه في موضعه من كتب العلماء". (١٧١١)

[والإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان].

[١٤]. قال المصنف–رحمه الله–:

(١٧١٠) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٦/ ٢٥٠ و٥٦٥ – ٢٧٢) باختصار وتصرف.

(١٧١١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢١٩ – ٢٢٠) باختصار.



"ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا يفنيان أبدا، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدا، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها، لايخرجون أبدا، وأن المنادي ينادي يومئذ ((يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت)) على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–".

الشرح

أولًا: شرح قول المصنف: "والجنة والنار مخلوقتان".

وفي هذا النص مسائل:

المسألة الأولى: الأقوال في المسألة:

القول الأول: قول أهل السنة والجماعة.

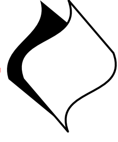
أن الجنة والنار الآن مخلوقتان دائمتان لا تفنيان.

قال الإمام ابن القيم: "يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون.

فيها قال أبو الحسن الأشعري في كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: "جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله لا يردّون من ذلك شيئا"...."ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان" قال ابن القيم بعد أن ساق كلام الأشعري "والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان" [١٧١٢].

أدلتهم:

[١٧١٢] حادي الأرواح: ص ١١ ـ ١٥.



أ–أدلة وجود الجنة في الحياة الدنيا:

وقد دل على ذلك من القرآن:

- قوله تعالى: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} [النجم: الآية: ١٣] . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره: "ثم أنطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هي قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك"[١٧١٣].
- وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة"[١٧١٤].

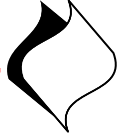
[١٧١٣] أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٦٤) ومسلم في صحيحه (١٦٣) واللفظ للبخاري.

[١٧١٤] أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٧) وأبو داود (٣٢١٢، ٤٧٥٣، ٤٧٥٤) والنسائي (٤/ ٧٨) وابن ماجه (١٥٤٨) و(١٥٤٩) والحاكم (١/ ٩٣) رقم (١٠٧) وأبو عوانة كما في (إتحاف المهرة) (٢/ ٤٥٩) وابن منده في الإيمان (١٠٦٤) والبيهقي في إثبات عذاب القبر رقم (٢١) و (٤٣) وغيرهم.

من طريق زاذان عن البراء بن عازب فذكره.

والحديث صححه: أبو عوانة وابن منده والحاكم والبيهقي وابن القيم وغيرهم.

قال ابن القيم في الروح، ص(٩١): (هذا حديث ثابت مشهور مستفيض، صححه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث طعن فيه، بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول، وجعلوه أصلا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه، ومسألة منكر ونكير، وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله، ثم رجوعها إلى القبر).

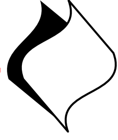


- وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء ابن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فذكر الحديث بطوله وفيه "فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها "[١٧١٥] وذكر الحديث.
- وفي الصحيحين من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا"[١٧١٦].
- وفي صحيح أبي عوانة الاسفرايني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح "ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال أسكن"[١٧١٧].
- وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي سعيد قال شهدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى

[١٧١٥] أخرجه البخاري برقم (١٣٠٨)، ومسلم برقم (٢٨٧٠) واللفظ لمسلم.

[١٧١٦] أخرجه البخاري (٢/٩٨) برقم (١٣٧٤)، ومسلم (٤/٢٢٠٠) برقم (٢٨٧٠) واللفظ للبخاري.

[١٧١٧] أخرجه أبو عوانة في صحيحه كما في إتحاف المهرة لابن حجر (٢/ ٤٥٩)، وأبو داود برقم (٤٧٥٣). ولعل هذا لفظ أبي عوانة في صحيحه، والحديث تقدم الكلام عليه مختصرًا.



في قبورها فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال ما تقول في هذا الرجل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فإن كان مؤمنا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده رسوله فيقولون له صدقت ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما إذا آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له اسكن "[١٧١٨]. وذكر الحديث.

- وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت خسفت الشمس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت الحديث إلى أن قالت ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: ((أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة)). [١٧١٩]

[١٧١٨] أخرجه أحمد النسخ (٣/ ٣-٤) والبزار كما في (كشف الأستار) رقم (٨٧٢) وابن أبي عاصم في (السنة) رقم (٨٦٥)، والطبري في تفسيره (١٣/ ٢١٤)، والبيهقي في (إثبات عذاب القبر) رقم (٣١)، من طريق عباد بن راشد البصري عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري فذكره.

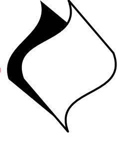
وقد تفرد به عباد وهو صدوق له أوهام، عن خاله داود بن أبي هند مرفوعا.

وقال البزار: (لا نعلمه عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد، وهذا من أغرب ما كان يسأل عنه الحسين وابن معمر).

وقد خولف عباد، خالفه مسلمة بن علقمة فأوقفه.

فرواه عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: فذكر نحوا من حديث عباد بن راشد ولم يرفعه.

[١٧١٩] رقم (٩٠١)، وهو عند البخاري أيضا رقم (٩٩٧، ١١٥٤).



وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم حتى لقد رأيتني آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني أقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها حين رأيتموني تأخرت "[١٧٢٠].

- وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله فذكر الحديث وفيه قال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ". فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيناك تناولت شيئا في مقامك ثم رأيناك تكعكعت فقال: "إني رأيت الجنة وتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا بم يا رسول قال: " بكفرهن" قيل: أيكفرن بالله قال: "يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط"[١٧٢١].
- وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف قال: " قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ودنت مني النار حتى قلت أي رب وأنا معهم فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة قلت ما شأن هذه قالوا حبستها حتى ماتت جوعا لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل"[١٧٢٢].

ب–أدلة وجود النار في الحياة الدنيا:

[١٧٢٠] أخرجه البخاري رقم (٣٥٨)، ومسلم رقم (٩٠٧).

[١٧٢١] رقم (٧١٢).

[١٧٢٢] رقم (٩٠٤) –(٩).

وجود النار في الحياة الدنيا.

ويدل على ذلك:

من القرآن:

قد ذكر الله تعالى في كتابه في مواضع كثيرة يتعسر حدها ويفوت عدها ووصفها. وأخبر بها على لسان نبيه، ونعتها فقال عز من قائل[١٧٢٣] :

- {فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين} [البقرة: الآية: ٢٤).
- وقال: {واتقوا النار التي أعدت للكافرين} [آل عمران: الآية: ١٣١].
- وقال: {إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها} [الكهف: الآية: ٢٩].
- وقال: {إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا} [الكهف: الآية: ١٠٢].
- وقال: {وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً} [الفرقان: الآية: ١١].
- وقال تعالى: {أغرقوا فأدخلوا ناراً} [نوح: الآية: ٢٠].

ومن السنة:

عن ابن عمر–رضي الله عنهما–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)). [١٧٢٤]

وفيهما أيضا: «أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في صلاة الكسوف النار فلم ير منظراً أفظع من ذلك»[١٧٢٥] .

١٧٢٣ المصدر: يقظة أولي الاعتبار: ص ٥١.

[١٧٢٤] البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

[١٧٢٥] رواه البخاري (١٠٥٢) (٤٣١)، ومسلم (٩٠٧) عن ابن عباس.

وعن عمران بن حصين–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–، قال: ((اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء))، وفيه دلالة على وجودها حال اطلاعه[١٧٢٦]، ورواه الترمذي والنسائي أيضا[١٧٢٧].

وعن أبي ذر–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–، قال: ((أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم)). [١٧٢٨]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعض فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير)). [١٧٢٩] أي: من ذلك التنفس.

وعن ابن عباس وابن عمر–رضي الله عنهم–، قال قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء)). [١٧٣٠]، وفي رواية ((من فور جهنم)) رواه عن رافع بن خديج[١٧٣١].

وكل ذلك يفيد وجود النار الآن[١٧٣٢]،

[١٧٢٦] يقظة أولي الاعتبار ص ٥٢.

[١٧٢٧] هو ضمن الحديث السابق. ورواه البخاري (٣٢٤١، ٥١٩٨، ٦٤٤٩، ٦٥٤٦ رواه الترمذي (٢٦٠٣)، والنسائي في الكبرى (٩٢٥٩)

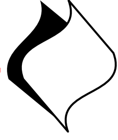
[١٧٢٨] رواه البخاري (٥٣٩) (٦٢٩) عن أبي ذر.

[١٧٢٩] ورواه (٥٣٦، ٥٣٣، ٥٣٤) عن أبي هريرة.

[١٧٣٠] رواه (٣٢٦٤، ٥٧٢٣) عن ابن عمر.

[١٧٣١] رواه (٥٧٢٦, ٣٢٦٢) عن رافع.

[١٧٣٢] يقظة أولي الاعتبار ص ٥٣.



وعن ابن عمر–رضي الله عنه–: ((ولقد أدنيت النار مني حتى جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم))، الحديث[١٧٣٣]

وعن أنس–رضي الله عنه–، قال: ((لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار)). [١٧٣٤]

القول الثاني: المعتزلة.

أنكروا خلقهما الآن، فقالوا: الجنة والنار لم تخلقا بعد، ولكن سوف يخلقهما الله تعالى يوم القيامة، أما الآن فلا توجد جنة ولا نار.

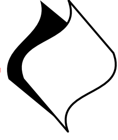
شبهتهم: سبب هذا القول إن المعتزلة يعملون عقولهم في مقابلة النصوص، فيعارضون النصوص بعقولهم، وهذا من جهلهم ومن ضلالهم، فهم يقولون: لو قلنا إن الجنة والنار مخلوقتان الآن لصار خلقهما عبثاً؛ لأنهما مخلوقتان وليس فيهما أحد، والعبث محال على الله، فتنزيهاً لله نقول: لا توجد جنة ولا نار الآن؛ لكن يخلقهما الله يوم القيامة حين ينتفع المؤمنون بالجنة ويكون الكفرة في النار.

ويجاب عليهم:

أولاً: قولكم هذا من أبطل الباطل؛ لأن الله تعالى أثبتهما، ونحن نصدق الله ونؤمن بالله، فقد أخبر تعالى أنهما موجودتان، قال عن الجنة: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: الآية: ١٣٣]، وقال عن النار: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: الآية: ٢٤]، فهي مرصدة معدة مهيأة.

[١٧٣٣] رواه الإمام أحمد (٢/ ١٥٩)، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٣٧-١٣٨)، وابن خزيمة (٩٠١)، وابن حبان(٢٨٣٨) بسند صحيح عن ابن عمر.

[١٧٣٤] أخرجه مسلم (٤٢٦).



ثانياً: أن خلق الجنة وخلق النار الآن وإعدادهما أبلغ في الزجر وأبلغ في التشديد، فإذا علم العاصي أن النار معدة الآن صار أبلغ في الزجر، وإذا علم المطيع أن الجنة معدة صار أبلغ في الشوق.

ثالثاً: نقول: من قال إن خلقهما الآن عبث؟ فالجنة فيها الولدان، وفيها الحور، وأرواح المؤمنين تتنعم في الجنة، وأرواح الشهداء تنعم فيها، كما جاء في الحديث: (أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وترد أنهارها، وتأكل من ثمارها، حتى يرجعها الله إلى أجسادها)، والمؤمن إذا مات نقلت روحه إلى الجنة على هيئة نسمة طائر يعلق في الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثون.

ونعلم أن المؤمن يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من نعيمها، والكافر يفتح له باب إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها.

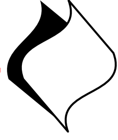
إذاً هناك حكمة وفائدة من خلقهما الآن، فهذا من جهل المعتزلة وضلالهم، حيث إنهم عارضوا النصوص بأفهامهم وآرائهم الفاسدة.

المسألة الثانية: مكان الجنة والنار

أولًا: مكان الجنة.

الجنة في السماء السابعة وسقفها العرش، والعرشُ كما جاءَ في النصوصِ والأخبار هو سقف الجنة، كما جاء في الحديث: ((إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسطُ الجنةِ وأعلاها وفوقه عرش الرحمن)). [١٧٣٥]

[١٧٣٥] انظر صحيح البخاري كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ دَرَجَاتِ المجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي، برقم (٢٧٩٠)، والإمام أحمد في المسند مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ (٨٤١٩).



فقد دلت الأحاديث على أن العرش مقبب الشكل، وأنه على هذا العالم المكون من السموات والأرض وما فيهما كهيئة القبة، فكون العرش سقفاً للفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها يدل على أنه مقبب لأن هذه الصفة لا تكون إلا في المستدير.

ويؤيد وصف هيئة العرش بهذه الصفة ما جاء في حديث الأعرابي الذي جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن عرشه على سمواته وأراضيه هكذا" وأشار بأصابعه مثل القبة.[١٧٣٦]

ثانيًا: مكان النار

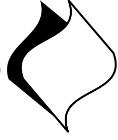
وقد اختلف في هذه المسألة على عدة أقوال[١٧٣٧]:

القول الأول: أن مكانها في الأرض تحت الأرض السابعة.

القول الثاني: أن جهنم على الأرض والله أعلم بموضعها على الأرض.

[١٧٣٦] سنن أبي داود (٥/ ٩٤-٩٦، ح ٤٧٢٦)، وأخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص٤٤٧). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢). وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٣٩-٢٤٠، ح١٤٧). والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٣٢، برقم ١٥٤٧). وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٥٤-٥٥٦، ح ١٩٨). والدارقطني في الصفات (ص ٥١، ح ٣٨). وابن منده في التوحيد (١/ ١٨٨، برقم ٦٤٣). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٤). والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣١٧-٣١٨، ح٨٨٣). وقد تكلم بعض الأئمة على هذا الحديث: فقال الذهبي في العلو (ص ٣٩): "هذا الحديث غريب جداً فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أم لا؟ وأما الله فليس كمثله شيء جل جلاله، وتقدست أسماؤه ولا إله غيره" انتهى كلامه. واستغربه الحافظ ابن كثير في تفسير آية الكرسي من تفسيره (١/ ٣١٠). ثم إن في إسناده اختلافاً. هذا وقد تكلم ابن القيم في تهذيب السنن (٧/ ٩٥-١١٧) بكلام طويل نصر فيه تصحيح الحديث، ورد المطاعن التي طعن بها هذا الحديث، وبخاصة عن ابن إسحاق. والصواب أن هذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف، ولا سيما أن جبير بن محمد قال فيه الحافظ ابن حجر: "مقبول" يعني إذا توبع ولم يتابع هنا.

[١٧٣٧] ذكر هذه الأقوال صاحب كتاب يقظة أولي الاعتبار ص ٦٢ . ٦٧



القول الثالث: أن مكان النار حالياً تحت الأرض السابعة السفلى، ويوم القيامة تبرز وتظهر، قال تعالى: {وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى} [النازعات: الآية:٣٦]، أي في السماء السابعة التي تظهر للناس.

القول الرابع: أن مكانها في السماء.

القول الخامس: التوقف في المسألة وأنه لم يرد نص صريح في مكانها

وقد استدل من قال إن مكانها في الأرض:

ما جاء في الحديث: ((يُجاء يوم القيامة بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها))[١٧٣٨]، وتسجر البحار وتكون جزءاً من جهنم، نسأل الله السلامة والعافية.

وقد روى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن عبد الله بن سلام–رضي الله عنه–، قال: إن أكرم خليقة الله عليه أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، وإن الجنة في السماء والنار في الأرض[١٧٣٩].

وروى أبو الشيخ في كتابه العظمة: عن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–، قال: "الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى". [١٧٤٠]

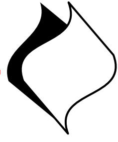
وقال ابن رجب في التخويف من النار: الباب الخامس في ذكر مكان جهنم: روى عطية عن ابن عباس–رضي الله عنهما–، قال: "الجنة في السماء السابعة ويجعلها الله حيث يشاء يوم القيامة وجهنم في الأرض السابعة". أخرجه أبو نعيم.[١٧٤١]

[١٧٣٨] أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٤٢).

[١٧٣٩] رواه الحاكم (٤/ ٦١٢)، والحارث (٩٣٠ -بغية) والبيهقي في الشعب (٣٦٦)

[١٧٤٠] أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٠٠).

[١٧٤١] التخويف من النار ص ٦٢.



وخرج ابن منده من حديث أبي يحيى القتات عن مجاهد قال: قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سموات. قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبع أبحر مطبقة[١٧٤٢].

وروى البيهقي بإسناد فيه ضعف عن أبي الذعراء عن ابن مسعود قال: الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى، ثم قرأ: إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ {المطففين: ١٨} إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ {المطففين: ٧}. وخرجه ابن مندة، وعنده: فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء،

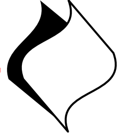
وقال محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام قال: إن الجنة في السماء وإن النار في الأرض. خرجه ابن خزيمة وابن أبي الدنيا، وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن قتادة قال: كانوا يقولون إن الجنة في السموات السبع، وإن جهنم لفي الأرضين السبع.

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات: الآية: ٢٢}. قال: الجنة في السماء،

وقد استدل بعضهم لهذا بأن الله تعالى أخبر أن الكفار يعرضون على النار غدواً وعشياً يعني في مدة البرزخ وأخبر أنه لا تفتح لهم أبواب السماء، فدل على أن النار في الأرض، وقال تعالى: {إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} {المطففين: الآية: ٧}. اهـ

قال ابن الجوزي في المنتظم: ومما يدل على أن النار في الأرض حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: كنا عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يوماً فسمعنا وجبة فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((أتدرون ما هذا؟)) قلنا: الله أعلم. قال: ((هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً، فالآن انتهى إلى قعرها)). انفرد بإخراجه مسلم.

[١٧٤٢] عزاه في الفيض (٣/ ٣٦٠) لابن عباس، وعزاه لابن منده ابن رجب في التخويف من النار (ص٧٢).



فإن قيل كيف تكون جهنم في الأرض، وقد رآها رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ليلة المعراج فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنه رآها في الأرض في طريقه إلى بيت المقدس، وقد روينا عن ابن الصامت أنه رؤي على سور بيت المقدس الشرقي يبكي، فقيل له في ذلك، فقال ههنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه رأى جهنم.

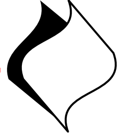
والثاني: أنه لا يمتنع في القدرة أن يرى جهنم في الأرض وهو في السماء، وقد بدى له المقدس وهو بمكة فوصفه للقوم.

المسألة الثالثة: الجنة التي أخرج منها آدم–عليه السلام–:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي: جنة الخلد، ومن قال: إنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة، أو غير ذلك، فهو من المتفلسفة والملحدين، أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين، فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة.

والكتاب والسنة يرد هذا القول، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} إلى قوله: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [البقرة: الآيات: ٣٤، ٣٦]. فقد أخبر سبحانه أنه أمرهم بالهبوط، وأن بعضهم عدو لبعض، ثم قال: {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} وهذا يبين أنهم لم يكونوا في الأرض، وإنما أهبطوا إلى الأرض، فإنهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا إلى أرض أخرى كانتقال قوم موسى من أرض إلى أرض، لكان مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده.

وكذلك قال في الأعراف لما قال إبليس: {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [الأعراف: الآيات:



١٣]. فقوله: {فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا} يبين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم، فإن الضمير في قوله: {مِنْهَا} عائد إلى معلوم غير مذكور في اللفظ، وهذا بخلاف قوله: {اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ} [البقرة: الآية: ٦١]. فإنه لم يذكر هناك ما أهبطوا فيه، وقال هنا: {اهْبِطُوا} لأن الهبوط يكون من علو إلى سفل، وعند أرض السراة حيث كان بنو إسرائيل حيال السراة المشرفة على المصر الذي يهبطون إليه، ومن هبط من جبل إلى واد قيل له: هبط.

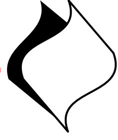
وأيضاً، فإن بني إسرائيل كانوا يسيرون ويرحلون، والذي يسير ويرحل إذا جاء بلدة يقال: نزل فيها، لأن في عادته أنه يركب في سيره، فإذا وصل نزل عن دوابه، يقال: نزل العسكر بأرض كذا، ونزل القفل بأرض كذا، لنزولهم عن الدواب.

ولفظ النزول كلفظ الهبوط، فلا يستعمل هبط إلا إذا كان من علو إلى سفل، وقوله: {قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا} [الأعراف: الآيتان: ٢٣-٢٤].

فقوله هنا بعد قوله: {اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} يبين أنهم هبطوا إلى الأرض من غيرها، وقال: {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} [الأعراف: الآية: ٢٥]. دليل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون، وإنما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة، والنصوص في ذلك كثيرة، وكذلك كلام السلف والأئمة"[١٧٤٣] .

وقال ابن القيم رحمه الله: "أما ما ذكرتموه من كون الجنة التي أهبط منها آدم ليست جنة الخلد، وإنما هي جنة غيرها، فهذا مما قد اختلف فيه الناس، والأشهر عند الخاصة والعامة الذي لا

[١٧٤٣] مجموع الفتاوى ٤/ ٣٤٦



يخطر بقلوبهم سواه أنها جنة الخلد التي أعدت للمتقين، وقد نص غير واحد من السلف على ذلك". [١٧٤٤]

المسألة الرابعة: أن الله قد علم عدد أهل الجنة ومن يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها"

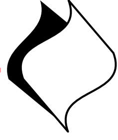
يذكر غير واحد من العلماء هذه المسألة بعينها في كتب الاعتقاد ومن هؤلاء الإمام الطحاوي حيث يقول: "وقد علم الله تَعَالَى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه" [١٧٤٥] .

قَالَ ابن أبي العز شارح العقيدة الطحاوية رحمه الله تعالى:

"قال الله تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال: الآية: ٧٥]. {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} [الأحزاب: الآية: ٤٠] فالله تَعَالَى موصوف بأنه بكل شيء عليم أزلا وأبداً، لم يتقدم علمه بالأشياء جهالة {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً} [مريم: الآية: ٦٤] وعن عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قال: "كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رَسُول الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته ثُمَّ قَالَ: ((ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنَّار وإلا قد كُتبت شقية أو سعيدة))، قَالَ: فَقَالَ رجل: يا رَسُول الله أفلا نمكث عَلَى كتابنا وندع العمل؟ فقَالَ: ((من كَانَ من أهل السعادة فسيصير إِلَى عمل أهل السعادة، ومن كَانَ من أهل الشقاوة فسيصير إِلَى عمل أهل الشقاوة، ثُمَّ قَالَ: اعملوا فكل ميسَّر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما

[١٧٤٤] مفتاح دار السعادة ١/ ١٤ وقد ذكر المسألة العلامة ابن القيم في كتابيه (حادي الأرواح، ومفتاح دار السعادة) وأطال فيها.

[١٧٤٥] شرح العقيدة الطحاوية ١ / ٣١٧



أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثُمَّ قرأ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: الآيات: ٥-١٠])).[١٧٤٦]

وقد أنكر الفلاسفة علم الله بالجزئيات قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "وَقَدْ يَقُولُونَ: إنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ الْكُلِّيَّاتِ دُونَ الْجُزْئِيَّاتِ؛ فَإِنَّهُ إنَّمَا يَعْلَمُهَا عَلَى وَجْهٍ كُلِّيٍّ وَيَقُولُونَ مَعَ ذَلِكَ: إنَّهُ يَعْلَمُ نَفْسَهُ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُهُ.

وَقَوْلُهُمْ يَعْلَمُ نَفْسَهُ وَمَفْعُولَاتِهِ حَقٌّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} لَكِنْ قَوْلُهُمْ مَعَ ذَلِكَ: إنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْأَعْيَانَ الْمُعَيَّنَةَ جَهْلٌ وَتَنَاقُضٌ فَإِنَّ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ مُعَيَّنَةٌ وَالْأَفْلَاكُ مُعَيَّنَةٌ وَكُلُّ مَوْجُودٍ مُعَيَّنٌ.

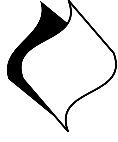
فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ الْمُعَيَّنَاتِ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ الْمَوْجُودَاتِ إذْ الْكُلِّيَّاتُ إنَّمَا تَكُونُ كُلِّيَّاتٍ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ فَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ إلَّا الْكُلِّيَّاتِ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ الْمَوْجُودَاتِ. تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا."[١٧٤٧]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهؤلاء المتفلسفة الدهرية عندهم أن الله لا يفعل شيئًا بمشيئته ولا يجيب دعاء الداعي بل ولا يعلم الجزئيات ولا يعرف هذا الداعي من هذا الداعي ولا يعرف إبراهيم من موسى من محمد وغيرهم بأعيانهم من رسله بل منهم من ينكر علمه مطلقا كأرسطو وأتباعه ومنهم من يقول إنما يعلم الكليات كابن سينا وأمثاله"[١٧٤٨].

[١٧٤٦] شرح العقيدة الطحاوية ١ / ٣١٧.

[١٧٤٧] مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٩٥

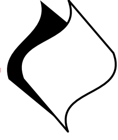
[١٧٤٨] الجواب الصحيح ١/ ١١٤



ثانيًا: شرح قول المصنف: "وأنهما باقيتان لا يفنيان أبدا".

قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: "وَقَوْلُهُ: "لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ "–هَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْأَئِمَّةِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ. وَقَالَ بِبَقَاءِ الْجَنَّةِ وَبِفَنَاءِ النَّارِ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَالْقَوْلَانِ مَذْكُورَانِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَغَيْرِهَا.

وَقَالَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ إِمَامُ الْمُعَطِّلَةِ، وَلَيْسَ لَهُ سَلَفٌ قَطُّ، لَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَلَا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ. وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِ عَامَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَكَفَّرُوهُ بِهِ، وَصَاحُوا بِهِ وَبِأَتْبَاعِهِ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ. وَهَذَا قَالَهُ لِأَصْلِهِ الْفَاسِدِ الَّذِي اعْتَقَدَهُ، وَهُوَ امْتِنَاعُ وُجُودِ مَا لَا يَتَنَاهَى مِنَ الْحَوَادِثِ! وَهُوَ عُمْدَةُ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، الَّتِي اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى حُدُوثِ الْأَجْسَامِ، وَحُدُوثِ مَا لَمْ يَخْلُ مِنَ الْحَوَادِثِ، وَجَعَلُوا ذَلِكَ عُمْدَتَهُمْ فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ. فَرَأَى الْجَهْمُ أَنَّ مَا يَمْنَعُ مِنْ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا فِي الْمَاضِي، يَمْنَعُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ! ! فَدَوَامُ الْفِعْلِ عِنْدَهُ عَلَى الرَّبِّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مُمْتَنِعٌ، كَمَا هُوَ مُمْتَنِعٌ عِنْدَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَاضِي! ! وَأَبُو الْهُذَيْلِ الْعَلَّافُ شَيْخُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَافَقَهُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ، لَكِنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا يَقْتَضِي فَنَاءَ الْحَرَكَاتِ، فَقَالَ بِفَنَاءِ حَرَكَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى يَصِيرُوا فِي سُكُونٍ دَائِمٍ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى حَرَكَةٍ! ! وَقَدْ تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَى اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي تَسَلْسُلِ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَهِيَ مَسْأَلَةُ دَوَامِ فَاعِلِيَّةِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ رَبًّا قَادِرًا فَعَّالًا لِمَا يُرِيدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ حَيًّا عَلِيمًا قَدِيرًا. وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ لِذَاتِهِ، ثُمَّ يَنْقَلِبُ فَيَصِيرُ مُمْكِنًا لِذَاتِهِ، مِنْ غَيْرِ تَجَدُّدِ شَيْءٍ، وَلَيْسَ لِلْأَوَّلِ حَدٌّ مَحْدُودٌ حَتَّى يَصِيرَ الْفِعْلُ مُمْكِنًا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ الْحَدِّ، وَيَكُونُ قَبْلَهُ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ. فَهَذَا الْقَوْلُ تَصَوُّرُهُ كَافٍ فِي الْجَزْمِ بِفَسَادِهِ. فَأَمَّا أَبَدِيَّةُ الْجَنَّةِ، وَأَنَّهَا لَا تَفْنَى وَلَا تَبِيدُ، فَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ



عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هُودٍ: ١٠٨] أَيْ غَيْرَ مَقْطُوعٍ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ قَوْلَهُ: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٨] ." [١٧٤٩]

ثالثًا: شرح قول المصنف:

"وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدا، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها، لايخرجون أبدا، وأن المنادي ينادي يومئذ ((يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت)) على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–".

الشرح:

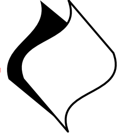
عن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم–: ((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت. ثم قرأ: {وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة}، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا {وهم لا يؤمنون} [مريم: الآية: ٣٩])). [١٧٥٠]

وعن ابن عمر–رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: ((يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم، فيقول: يا أهل الجنة، لا موت، ويا أهل النار، لا موت. كلّ خالد فيما هو فيه)). [١٧٥١]

[١٧٤٩] شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦٢٠ ـ ٦٢٢.

[١٧٥٠] أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

[١٧٥١] أخرجه البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠).



وعنه قال: قال رسول الله ﷺ ((إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، أتى بالموت، حتى يجعل بين النار والجنة. ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة، لا موت. ويا أهل النار لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحا. ويزداد أهل النار حزنا)). [١٧٥٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ((إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبّبا، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطّلعون خائفين. ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة. فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه، هو الموت الذي وكّل بنا، فيضجع فيذبح ذبحا على السور، قم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت)). [١٧٥٣]

قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: "وَأَمَّا أَبَدِيَّةُ النَّارِ وَدَوَامُهَا، فَلِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَقْوَالٍ:

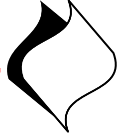
أَحَدُهَا: أَنَّ مَنْ دَخَلَهَا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدَ الْآبَادِ، وَهَذَا قَوْلُ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ أَهْلَهَا يُعَذَّبُونَ فِيهَا، ثُمَّ تَنْقَلِبُ طَبِيعَتُهُمْ وَتَبْقَى طَبِيعَةً نَارِيَّةً يَتَلَذَّذُونَ بِهَا لِمُوَافَقَتِهَا لِطَبْعِهِمْ! وَهَذَا قَوْلُ إِمَامِ الِاتِّحَادِيَّةِ ابْنِ عَرَبِيٍّ الطَّائِيِّ! !

الثَّالِثُ: أَنَّ أَهْلَهَا يُعَذَّبُونَ فِيهَا إِلَى وَقْتٍ مَحْدُودٍ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَيَخْلُفُهُمْ فِيهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَهَذَا الْقَوْلُ حَكَاهُ الْيَهُودُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَكْذَبَهُمْ فِيهِ، وَقَدْ أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: " {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ-بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٨٠-٨١].

[١٧٥٢] أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

[١٧٥٣] أخرجه البخاري (٦٥٤٥) مختصراً، والترمذي (٢٥٥٧) مطولاً بنحوه، وابن ماجه (٤٣٢٧) بنحوه، وأحمد (٩٤٤٩).



الرَّابِعُ: يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَتَبْقَى عَلَى حَالِهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ.

الْخَامِسُ: أَنَّهَا تَفْنَى بِنَفْسِهَا، لِأَنَّهَا حَادِثَةٌ وَمَا ثَبَتَ حُدُوثُهُ اسْتَحَالَ بَقَاؤُهُ! وَهَذَا قَوْلُ الْجَهْمِ وَشِيعَتِهِ، وَلَا فَرْقَ عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

السَّادِسُ: تَفْنَى حَرَكَاتُ أَهْلِهَا وَيَصِيرُونَ جَمَادًا، لَا يُحِسُّونَ بِأَلَمٍ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْهُذَيْلِ الْعَلَّافِ.

السَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ يَشَاءُ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ يُبْقِيهَا شَيْئًا، ثُمَّ يُفْنِيهَا، فَإِنَّهُ جَعَلَ لَهَا أَمَدًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ.

الثَّامِنُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ شَاءَ، كَمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ، وَيَبْقَى فِيهَا الْكُفَّارُ، بَقَاءً لَا انْقِضَاءَ لَهُ"[١٧٥٤].

وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ومن ذلك:

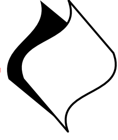
قوله تعالى عن أهل النار: {إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً *إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً} [النساء: الآيات: ١٦٨-١٦٩]

وقوله: {إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً* خالدين فيها أبداً} [الأحزاب: الآيات: ٦٣-٦٥].

وقوله: {ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا} [الجن: الآية: ٢٣]

وقوله: {إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون* لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون} [الزخرف: الآيتان: ٧٤-٧٥]

[١٧٥٤] شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٦٢٤ ..٦٢٥.



[الإيمان قول وعمل يزيد وينقص]

[١٥]. قال المصنف–رحمه الله–:

"ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل–رحمه الله–عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان، فقال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن عمير بن حبيب قال: "الإيمان يزيد وينقص" فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: "إذا ذكرنا الله فحمدناه سبحانه فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه".

أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكي، حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الحيري، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إدريس المكي، وأحمد بن شداد الترمذي، قالوا: حدثنا الحميدي حدثنا يحيى بن سليم: "سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان فقالوا: قول وعمل".

وسألت هشام بن حسان فقال: "قول وعمل".

وسألت ابن جرير فقال: "قول وعمل".

وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال: "قول وعمل".

وسألت سفيان الثوري فقال: "قول وعمل".

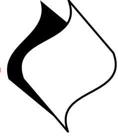
وسألت المثنى بن الصباح فقال: "قول وعمل".

وسألت فضيل فقال: "قول وعمل".

وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال: "قول وعمل".

وسألت سفيان بن عيينة فقال: "قول وعمل".

وأخرنا أبو عمرو الحيري، حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن إدريس سمعت الحميدي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد تقول: ينقص؟ فقال: اسكت يا صبي بل ينقص حتى لايبقى منه شيء.



وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي ومالكا وسعيد ابن عبد العزيز ينكرون على من يقول: إقرار بلا عمل. ويقولون لا إيمان إلا بعمل، فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيمانا، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فإيمانه ناقص.

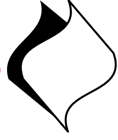
وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن باكويه الحلاب يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: قال لي عبد الله بن طاهر: يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلا، وأنا أبغضهم عن معرفة. أولًا: إنهم لا يرون للسلطان طاعة الثاني: إنه ليس للإيمان عندهم قدر، والله لا أستجيز أن أقول: إيماني كإيمان يحيى بن يحيى، ولا كإيمان أحمد بن حنبل، وهم يقولون: إيماننا كإيمان جبرائيل وميكائيل.

وسمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانيء يقول: سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قدم ابن المبارك الري فقام إليه رجل من العباد، الظن أنه يذهب مذهب الخوارج، فقال له: يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال لا أخرجه من الإيمان، فقال: يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئا؟ فقال: لا تقبلني المرجئة. المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة، ولو علمت أني قبلت مني حسنة لشهدت أني في الجنة، ثم ذكر عن أبي شوذب عن سلمة بن كهيل، عن هذيل بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح. سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني يقول: سمعت يحيى بن منصور القاضي

يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت الحسين بن حرب أخا أحمد بن حرب الزاهد يقول: أشهد أن دين أحمد بن حرب الذي يدين الله به أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص".

الشرح:

وفيه مسائل:



المسألة الأولى: شرح قول المصنف: "وأن الإيمان".

هذه المسألة يوردها العلماء ضمن مسائل الأسماء، ويحسن تناول هذه المسألة من خلال الجوانب الآتية:

الجانب الأول: الجانب اللغوي.

أ-المعنى اللغوي لكلمة "آمن":

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن

أ-فيرى جمع من أهل اللغة أن الإيمان في اللغة معناه: التصديق وقد حكوا الإجماع على ذلك قال الأزهري-رحمه الله-(ت: ٣٧٠ هـ): "واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق". (١٧٥٥). واستدلوا لذلك بقوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم {وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [يوسف: الآية: ١٧]، فقالوا: معناه ما أنت بمصدق لنا(١٧٥٦).

٢-أما علماء السلف(١٧٥٧) فيقولون إن الإيمان يأتي في اللغة لمعنيين هما:

أ-بمعنى صدق به وذلك إذا عدي بالباء كما في قوله تعالى {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ...} [البقرة: الآية: ٢٨٥]، أي صدق الرسول(١٧٥٨).

ب-وبمعنى أقر له وذلك إذا عدي باللام كما في قوله تعالى {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [يوسف: الآية: ١٧]، وقوله تعالى: {فَآمَنَ لَهُ لُوط} [العنكبوت: الآية: ٦].

(١٧٥٥) تهذيب اللغة (٥/ ٥١٣).

(١٧٥٦) لسان العرب لابن منظور، مادة آمن (١٣/ ٢٣).

(١٧٥٧) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٤٣).

(١٧٥٨) تفسير القرطبي (٣/ ٤٢٥).

وقد اعترض السلف على حصر بعض أهل اللغة لمعنى الإيمان بالتصديق فقط وقالوا: "إن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار[١٧٥٩] والطمأنينة أيضا"[١٧٦٠] واستدل السلف لقولهم بالأمور التالية:

[١٧٥٩] الإقرار: متضمن لمعنيين هما: قول القلب الذي هو التصديق. وعمل القلب الذي هو الانقياد. مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨-٦٣٩).

[١٧٦٠] الصارم المسلول لابن تيمية (ص٥١٩).

ومن الأقوال الواردة في تفسير الإيمان بمعنى الطمأنينة ما يلي:

يقول **الفيروزآبادي**–رحمه الله–(ت: **٨١٧ هـ**): "آمَنَ بِهِ: صَدَّقَهُ، وبِهِ: وثِقَ بِهِ وأَمِنَ عليهِ". (القاموس المحيط، ج١، ص٧٨).

وقال الراغب الأصفهاني–رحمه الله–(ت: ٥٠٢ هـ): "الإيمان: هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان... وأصل الكلمة من الأمن الذي هو الطمأنينة". (المفردات في غريب القرآن، ص٢٤).

وقال الفيومي–رحمه الله–(ت: ٧٧٠ هـ): "آمن به: صدقه، وبه: وثق به واطمأن إليه". (المصباح المنير، ج١، ص٢٩).

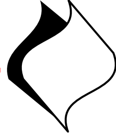
وقال الجوهري–رحمه الله–(ت: ٣٩٣ هـ): "آمن به: صدقه، وأمن به: وثق به واطمأن إليه". (الصحاح في اللغة، ج١، ص٧٨).

وقال الأزهري–رحمه الله–(ت: ٣٧٠ هـ): "آمن يؤمن إيمانًا: صدق، والطمأنينة التي تصحب التصديق". (تهذيب اللغة، ج١، ص١٣٤).

وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): "الإيمان في اللغة هو التصديق والاطمئنان". (الكشاف، ج١، ص٢٥).

وقال الزبيدي–رحمه الله–(ت: ١٢٠٥ هـ): "الإيمان: التصديق... وهو مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة." (تاج العروس، ج١، ص٢٥).

قال نشوان الحميري–رحمه الله–(ت: ٥٧٣ هـ): "آمن به: صدقه، وأمن به: وثق به واطمأن إليه". (شمس العلوم،



أولًا: إن الترادف التام ممتنع بين التصديق والإيمان من عدة وجوه،

١-إن كلمة آمن تتعدى بالباء وباللام وقد تقدم التمثيل لذلك.

-أما كلمة "صدق" فلا تتعدى باللام فلا يقال "صدق له" إنما يقال "صدق به" فهي تتعدى بالباء وبنفسها فيقال صدقه.

٢-إن كلمة آمن تتضمن ثلاثة معان هي: الأمن، والتصديق، والأمانة.

-أما كلمة صدق فلا تتضمن معنى الأمن والأمانة.

٣-إن لفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب لأن فيه أصل معنى الأمن والائتمان وهذا إنما يكون في الخبر عن الغائب، فلا يقال لمن قال طلعت الشمس آمنا له وإنما يقال صدقناه ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في الخبر عن الغائب.

-أما لفظ التصديق فيستعمل في كل مخبر عن مشاهد أو غيب، فمن قال السماء فوقنا، قيل له: صدقت.

٤-إن لفظ الإيمان ضده الكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب فقط، بل هو أعم منه، إذ يمكن أن يكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب ومع ذلك يسمى كفرا كما لو قال شخص: أنا أعلم أنك صادق، ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك، فهذا كفر أعظم.

-أما لفظ التصديق ضده التكذيب فقط.

وبهذا يتبين عدم الترادف التام بين اللفظين، وأن الإيمان ليس التصديق فقط[١٧٦١] كما أن الكفر ليس التكذيب فقط.

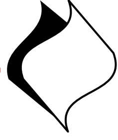
ثانيًا: من المعلوم أن كلام الله وشرعه إنما هو خبر وأمر.

فالخبر: يستوجب تصديق الخبر.

ج١، ص٧٨).

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي-رحمه الله-(ت: ١٧٤ هـ): "الإيمان: التصديق بالقلب، والاطمئنان". (العين، ج١، ص٢٥).

[١٧٦١] انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٨٠-٣٨١).



والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب، جماعه: الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به.

فإذا قوبل الخبر بالتصديق، والأمر بالانقياد، فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو "الطمأنينة والإقرار" فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد.

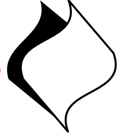
فلو فُسِّر الإيمان بالتصديق فقط، كما قال أهل اللغة، فإن التصديق إنما يعرض للجزء الأول من الشرع فقط الذي هو الخبر، ولا يعرض للجزء الثاني وهو الأمر، لأن الأمر ليس فيه تصديق من حيث هو أمر.

ومن المعلوم أن إبليس لم يكفر بسبب عدم تصديقه، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولا، ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له، واستكبر عن الطاعة فصار كافرا، قال تعالى: {إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} البقرة: ٣٤، فسماه الله كافرا وسلب عنه وصف الإيمان لاستكباره وعدم انقياده لأمر الله له بالسجود لآدم.

لازم القول بأن الإيمان مجرد التصديق فقط.

وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل إلا التصديق، ثم يرون مثل إبليس وفرعون مما لم يصدر عنه تكذيب أو صدر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من أغلظ الكفر فيتحيرون.

ومثل هؤلاء القوم لو أنهم هُدوا لما هُدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل أعني في الأصل قولا في القلب، وعملا في القلب، فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته–وكلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره–فيصدق القلب أخباره تصديقا يوجب حالا في القلب بحسب المصدق به، والتصديق هو من نوع العلم والقول، وينقاد لأمره ويستسلم، وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنا إلا بمجموع الأمرين فمتى ترك الانقياد كان مستكبرا فصار من الكافرين وإن كان مصدقا، لأن الكفر أعم من التكذيب، فالكفر يكون تكذيبا وجهلا، ويكون استكبارا وظلما، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب، ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر إبليس، وكان كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالا وهو "الجهل" ألا ترى أن نفرا من اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عن أشياء، فأخبرهم، فقالوا: نشهد أنك نبي، ولم يتبعوه، وكذلك هرقل وغيره، فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق.



ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله، وقد تضمنت خبرا وأمرا، فإنه يحتاج إلى مقام ثان، وهو تصديق خبر الله وانقياده لأمر الله، فإذا قال: "أشهد أن لا إله إلا الله" فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره والانقياد لأمره. "وأشهد أن محمدا رسول الله" تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله.

فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار.

فلما كان التصديق لا بد منه في كلا الشهادتين–وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول–ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان وغفل عن أن الأصل الآخر لا بد منه وهو الانقياد، وإلا فقد يصدق الرسول، ظاهرا وباطنا ثم يمتنع من الانقياد للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه كإبليس"(١٧٦٢).

ثالثًا: ما استدل به أهل اللغة على أن معنى الإيمان في قوله تعالى {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [يوسف: الآية: ١٧]، هو التصديق غير مسلم.

إذ يرى علماء السلف أن تفسيرها بـ "أقررت" أقرب من تفسيرها بـ " صدقت " وذلك لأن لفظ "آمن" متى عُدّي باللام يكون بمعنى "أقر" وليس بمعنى "صدق"، إذ لا يكون بمعنى صدق إلا إذا عُدّي بالباء أو بنفسه.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وأصل الإيمان في اللغة: التصديق، والطمأنينة، كما يقول العرب: أمن الرجل أمانة وأمناً: إذا صار ذا أمن". (١٧٦٣).

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فإن الإيمان في لغة العرب مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما قال أهل العلم باللغة". (١٧٦٤).

(١٧٦٢) الصارم المسلول (ص ٥١٩–٥٢٠) بتصرف.

(١٧٦٣) (كتاب الإيمان، ص ٢٢) بتصرف.

(١٧٦٤) (مجموع الفتاوى، ج ٧، ص ٦٣٣). بتصرف.

وقال أيضًا: "وأصل الإيمان في اللغة: التصديق والطمأنينة". (١٧٦٥).

الجانب الثاني: المعنى الشرعي للإيمان:

تتحدد دلالة اسم "الإيمان" في الشرع بحسب سياق الكلام الذي تستعمل فيه هذه اللفظة فلفظ "الإيمان" إما أن يستعمل:

أ-مطلقا: أي يذكر مطلقا عن لفظ "العمل" و"الإسلام".

٢-أو مقيدا: فتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام.

الحال الأول: فإذا استعمل مطلقا: "فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة-من الصحابة والتابعين وتابعيهم-الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات-فرضها ونفلها-في مسماه"(١٧٦٦).

ويلاحظ هنا أن لفظ "الإيمان" على هذا الاستعمال يكون مرادفا للفظ "العبادة" والعبادة كما هو معروف هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

ومن استعمال الشارع للفظ الإيمان بهذا المعنى ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)). (١٧٦٧)

فالإيمان في هذا الحديث شمل جميع أمور الدين بما في ذلك أمور الإسلام. ومن هذا الاستعمال أيضا ما جاء في حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ): أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: ((أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله

(١٧٦٥) (مجموع الفتاوى، ج ٧، ص ٦٤٢). بتصرف.

(١٧٦٦) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٢).

(١٧٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الدين. انظر: فتح الباري (١/ ٥١) ح ٩ وأخرجه مسلم-واللفظ له-كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١/ ٤٦).

وحده؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم خمس...)). الحديث (1768)

فلفظ الإيمان استعمل في الحديث مطلقا فدخل فيه الأمور الظاهرة مع أنها من أمور الإسلام كما جاء في حديث جبريل المشهور.

قال الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ): "الإيمان والإسلام هما دين الله تعالى، وكل منهما إذا ذكر منفردًا دخل فيه الآخر". (1769).

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فإن الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام؛ فإذا اجتمعا كان الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة" (1770).

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "الإسلام إذا أطلق شمل الدين كله، وإذا اجتمع مع الإيمان افترقا، فيكون الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة". (1771).

قال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام. فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه". (1772).

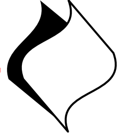
(1768) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان. انظر: فتح الباري (١/ ١٢٩) ح ٥٣، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه (١/ ٣٥-٣٦).

(1769) العقيدة الطحاوية ص: ٥٥.

(1770) (مجموع الفتاوى، ج٧، ص ٦٢١).

(1771) (مدارج السالكين، ج١، ص ٣٣٧).

(1772) (شرح صحيح مسلم، ج١، ص ١٤٦).



قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "إذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام. وإذا اجتمعا افترقا، فيكون الإيمان هو التصديق القلبي والإسلام هو الأعمال الظاهرة". (١٧٧٣).

قال الشاطبي–رحمه الله–(ت: ٥٩٠ هـ): "إذا أطلق لفظ الإسلام شمل الدين كله، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه، فكان الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة". (١٧٧٤).

قال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام؛ فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه". (١٧٧٥).

قال البيضاوي–رحمه الله–(ت: ٦٨٥ أو ٦٩١ هـ): "إذا أطلق لفظ الإسلام وحده شمل الدين كله من اعتقادات وأعمال، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه". (١٧٧٦).

قال السعدي–رحمه الله–(ت: ١٣٧٦ هـ): "إذا ذكر الإسلام وحده شمل كل ما يتعلق بالدين من تصديق بالقلب وأعمال الجوارح، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه". (١٧٧٧).

الحال الثاني: وأما إذا استعمل اسم الإيمان مقيدا: كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة: الآية: ٧٧]، وقوله {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس: الآية: ٦٣].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)). (١٧٧٨)

(١٧٧٣) (فتح الباري، ج١، ص ٩٠).

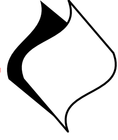
(١٧٧٤) (الموافقات، ج١، ص ١٠٦).

(١٧٧٥) (الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ١١٨).

(١٧٧٦) (أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص ١١٠).

(١٧٧٧) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج١، ص ٩٥).

(١٧٧٨) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (١/ ٢٩). والحديث



فهنا قد يقال: إنه متناول لذلك وإن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: {وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} [البقرة: الآية: ٩٨]، وقوله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} [الأحزاب: الآية: ٧].

وقد يقال إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين، فإن أحدهما إذا أفرد تناول الآخر، وإذا جمع بينهما كانا صنفين: كما في آية الصدقة، ولا ريب أن فروع الإيمان مع أصوله كالمعطوفين، وهي مع جميعه كالبعض مع الكل". (١٧٧٩)

قلت: إن القول بأن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام ينطبق على الآية وهي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة: الآية: ٧٧]، وقوله {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس: الآية: ٦٣]..

والقول بأن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران ينطبق على حديث جبريل حيث ذكر الإسلام والإيمان فأصبح كل واحد منهما يختص بأمور معينة فالإسلام اختص بالأمور الظاهرية، والإيمان اختص بالأمور الاعتقادية الباطنية.

"فلفظ الإسلام والإيمان إذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر إما تضمنا وإما لزوما، ودخوله فيه تضمنا أظهر، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند انفراد الآخر، وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة أشكلت على كثير من الناس"(١٧٨٠).

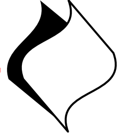
خلاصة القول:

إن اسم الإيمان إذا أفرد: تناول جميع أمور الدين الظاهرة والباطنة كما في حديث الشعب.

أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل بلفظ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث". انظر: فتح الباري (١/ ١١٤)، ح ٥٠.

(١٧٧٩) الفتاوى (٧/ ٦٤٧ - ٦٤٨).

(١٧٨٠) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٧ -٦٤٨).



وإذا اقترن اسم الإيمان مع الإسلام دل الإيمان على الأمور الباطنة ودل الإسلام على أمور الدين الظاهرة كما في حديث جبريل.

وإذا اقترن العمل مع الإيمان: فهو من باب عطف الخاص على العام(١٧٨١) كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة: الآية: ٧٧].

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فالإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام، وكذلك الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان". (١٧٨٢)

(١٧٨١) قال شارح الطحاوية: "اعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب:

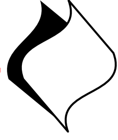
١-أعلاها: أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءا منه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} [الأنعام: الآية: ١]، وقال تعالى: {وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ} [آل عمران: الآية: ٣]، وهذا هو الغالب.

٢-ويليه: أن يكون منهما تلازم، كقوله تعالى: {وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: الآية: ٤٢]، وقال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [المائدة: الآية: ٩٢].

٣-الثالث: عطف بعض الشيء عليه كقوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى} [البقرة: الآية: ٢٣٨]، وقال تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَال} [البقرة: الآية: ٩٨]، وقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْك} [الأحزاب: الآية: ٧]، وفي مثل هذا وجهان: أحدهما: أن يكون داخلا في الأول، فيكون مذكورا مرتين. والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلا فيه هنا وإن كان داخلا فيه منفردا كما قيل في لفظ "الفقراء والمساكين" ونحوهما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.

٤-الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} [غافر: الآية: ٣]". شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٨٧-٣٨٨).

(١٧٨٢) (مجموع الفتاوى، ج٧، ص ٦٢١).



٢. قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "الإسلام هو الاستسلام والانقياد، والإيمان تصديق وإقرار، فإذا اجتمعا كان الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة". (١٧٨٣)

٣. قال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "الإسلام هو الاستسلام والانقياد الظاهري، والإيمان هو التصديق القلبي، فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه، وإذا افترقا دل أحدهما على الآخر". (١٧٨٤)

٤. قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "الإسلام والإيمان يجتمعان ويفترقان، فإذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، وإذا انفرد أحدهما في الذكر دخل فيه الآخر". (١٧٨٥).

٥. قال الشاطبي–رحمه الله–(ت: ٥٩٠ هـ): "الإسلام في الظاهر هو الاستسلام للأحكام، والإيمان في الباطن هو التصديق والإقرار". (١٧٨٦).

٦. قال الفيروزآبادي–رحمه الله–(ت: ٨١٧ هـ): "الإسلام هو الانقياد الظاهر للأحكام الشرعية، والإيمان هو التصديق الباطني". (١٧٨٧).

المسألة الثانية: شرح قول المصنف: "قول وعمل ومعرفة".

قول المصنف: "أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكي، حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الحيري، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إدريس المكي، وأحمد بن شداد الترمذي، قالوا: حدثنا الحميدي حدثنا يحيى بن سليم: "سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان فقالوا: قول وعمل". وسألت هشام بن حسان فقال: "قول وعمل".

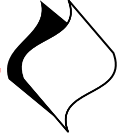
(١٧٨٣) (مدارج السالكين، ج١، ص ٣٣٧).

(١٧٨٤) (شرح صحيح مسلم، ج١، ص ١٤٦).

(١٧٨٥) (فتح الباري، ج١، ص ٩٠).

(١٧٨٦) (الموافقات، ج١، ص ١٠٦).

(١٧٨٧) (بصائر ذوي التمييز، ج١، ص ٣٤).



وسألت ابن جرير فقال: "قول وعمل".

وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال: "قول وعمل".

وسألت سفيان الثوري فقال: "قول وعمل".

وسألت المثنى بن الصباح فقال: "قول وعمل".

وسألت فضيل فقال: "قول وعمل".

وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال: "قول وعمل".

وسألت سفيان بن عيينة فقال: "قول وعمل".

الشرح:

تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان:

١-فتارة يقولون: الإيمان قول وعمل.

٢-وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية.

٣-وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية واتباع سنة[١٧٨٨].

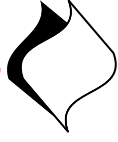
٤- وتارة يقولون: "قول وعمل ومعرفة". كما ذكر المصنف هنا.

٥- وتارة يقولون: الإيمان: قول اللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[١٧٨٩].

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ) -بعد أن أورد التعريفات الثلاثة الأول-: "وكل هذا

[١٧٨٨] هذه التعريفات الثلاثة أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان. انظر (ص ١٦٢).

[١٧٨٩] مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٢).



صحيح"[١٧٩٠] وعلل ذلك بقوله[١٧٩١]:

"فمن قال إن الإيمان قول وعمل فمرداه قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح".

وقول اللسان وعمل الجوارح معروفان.

وأما المقصود من قول القلب: فهو إقراره ومعرفته وتصديقه.

وأما عمله: فهو انقياده لما صدق به.

ومن عبر عن الإيمان بهذا التعريف ليس مراده كل قول أو عمل وإنما المراد ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال.

كما أن تعبير بعض السلف بهذه العبارة في تعريف الإيمان إنما جاء في معرض الرد على المرجئة. [١٧٩٢] الذين جعلوه قولا فقط، فقال بعض السلف ردا عليهم: بل قول وعمل. [١٧٩٣]

[١٧٩٠] كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٦٢).

[١٧٩١] كلام شيخ الإسلام نقلته بتصرف من كتابه الإيمان (ص ١٦٢-١٦٣).

[١٧٩٢] المرجئة هم الذين أرجأوا العمل عن مسمى الإيمان وهم خمس طوائف سيأتي ذكرهم.

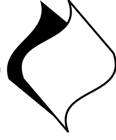
[١٧٩٣] قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الناس لهم في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال:

١-فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا.

٢-وقيل: بل مسماه اللفظ، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين الى السنة، وهو قول النحاة لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ.

٣-وقيل: مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

٤-وقيل: بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين". كتاب الإيمان (ص ١٦٢).



وأما من عرفه بقوله هو قول وعمل ونية، فمقصوده بزيادة لفظ "ونية": أن القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان.

وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك. (١٧٩٤)

وأما من عرفه بأنه قول وعمل ونية واتباع سنة، فقد زاد لفظة "واتباع سنة" لأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة. (١٧٩٥)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد سئل **سهل بن عبد الله التستري–رحمه الله–(ت: ٢٨٣ هـ)** عن الإيمان ما هو؟، فقال: قول وعمل ونية واتباع سنة.

لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر.

وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق.

وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة". (١٧٩٦)

وأجمع التعاريف الواردة وأشملها هو: أن الإيمان قول اللسان واعتقاد بالجنان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذا التعريف هو الذي يميز قول السلف في مسمى الإيمان عن قول غيرهم من الفرق. (١٧٩٧)

(١٧٩٤) كتاب الإيمان (ص ١٦٣).

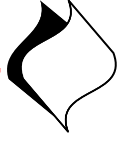
(١٧٩٥) كتاب الإيمان (ص ١٦٣).

(١٧٩٦) كتاب الإيمان (ص ١٦٣).

(١٧٩٧) الذين خالفوا السلف في مسمى الإيمان هم:

أ–المرجئة بطوائفهم الخمس:

ا–الجهمية: وقالوا الإيمان هو معرفة القلب فقط: أى المعرفة الفطرية التي هي المعرفة بربوبية الله.



ولهذا كان هذا التعريف هو أجمع التعاريف الواردة عن السلف وأكثرها دقة في بيان قولهم.

فإن الناظر إلى هذا الإنسان باعتبار ما يجب عليه تجاه ما أخبر الله به وما أمر الله تعالى به؛ فنصوص الشرع لا تخرج عن أمرين: إما أخبارٌ وإما أوامر، فالأخبار حقها التصديق بأن تُصدق بها، والأوامر حقها أن تعمل بها، كما جاء في الحديث "إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن نهيٍ فانتهوا". (١٧٩٨)

فأنت مأمور بأن تتبع، وأن تعمل بهذه الأوامر بحسب ما يأتي من حكمٍ عليها، فهذه الأمور أي الوحي تأتي لهذا الإنسان، وأول ما تأتي إليه في باطنه؛ لأنه لابد وأن يعلم أن الصلاة مثلاً ركنٌ من أركان الإسلام، ثم إذا جئت إلى الصلاة تجد أن منها فرائض ومنها نوافل، ثم أن هذه النوافل منها سنن رواتب ومنها غير ذلك، فهذا أول ما يقابله بالعلم.

٢-الأشاعرة: وقالوا الإيمان هو التصديق فقط أي التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله.

٣-الماتريدية: وقولهم في الإيمان مثل قول الأشاعرة.

٤-الكرامية: قالوا الإيمان قول باللسان فقط.

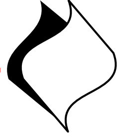
٥-مرجئة الأحناف (أو مرجئة الفقهاء) قالوا: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان. وهو قول الكلابية. وكل هذه الطوائف الخمسة أخرجت العمل عن الإيمان.

ب-الخوارج: قالوا الإيمان قول واعتقاد وعمل، ولكنهم يكفرون من أخل بشيء من هذه الثلاثة ويقولون بأنه كافر في الدنيا وفي الآخرة خالد في النار.

ج-المعتزلة: وقالوا بقول الخوارج إلا أنهم يقولون إنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين بمعنى أنه ليس بمؤمن ولا كافر، واتفقوا معهم في باقي الأمور.

انظر تفاصيل هذه الأقوال: في كتاب الإيمان لابن تيمية، والجزء السابع من مجموع الفتاوى، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٧٣-٣٩٢) وكتاب النبوات (ص ١٩٩).

(١٧٩٨) رواه البخاري (٤/٤٢٢) ومسلم (٧/٩١) وأحمد (٢/٢٥٨).



فإذاً هذا الإيمان سيخاطب هذا الباطن في الإنسان، وأول ما يخاطب أن يصدق بما أخبر الله به.

والثاني: أن ينقاد لأمر الله، فلابد أن يحصل الانقياد والتسليم لأوامر الله، فليس لك حق الاعتراض أن تقول: لا بدل خمس صلوات نجعلها ثلاثة أو نجعلها ستة، فهي خمس صلوات في اليوم الليلة لابد من أدائها في أوقاتها، فأصبح عليه أن يصدق وعليه أن ينقاد.

ومعلوم أن هنا ثلاثة أحوال:

القلب، والقلب يشمل أمرين:

يشمل جانب العلم، ويشمل جانب الإرادة هذا القلب.

والجانب الثاني: جانب اللسان.

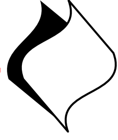
والجانب الثالث: جانب الجوارح.

فهناك قول القلب، وعمل القلب، وقول اللسان، وعمل اللسان، وهناك عمل الجوارح فهذه خمسة، فإذا جئت إلى قول القلب فهذا هو العلم الذي هو التصديق فعليه أن يعلم هذه الأشياء ويصدق بها، هذا الواجب الأول على القلب، والقلب هو الباطن، والباطن مجموع الأمرين وهذه هي العقيدة.

لذلك قال المصنف: "الإيمان قولٌ وعمل"، فالقول هنا هو العلم والتصديق، تعلم وتصدق، هذا واجبٌ على الإنسان لكي يكون مؤمناً، وهذا وحده لا يكفي فلو قال قائل: أنا أعلم أن الصلوات خمس وهي كذا وكذا وهيئتها كذا لكن لن أصلي، فهو بهذا لا يكون مؤمناً إذ لابد من الجانب الثاني.

والجانب الثاني: هو انقياد القلب، فهذه الإرادة لابد أن تنقاد لهذه الأخبار وهذه الأوامر، ولذلك يأتي عمل القلب، والقلب أعماله كثيرة، منها مثلاً الإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والخشية، والتقوى، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر التقوى قال: ((**التقوى هاهنا التقوى هاهنا التقوى هاهنا وأشار بيده على صدره**)). (١٧٩٩)، فهذه أعمال القلوب، وهي التي تنطلق إلى سائر

(١٧٩٩) انظر صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٥)، وأحمد (٧٦٧٠).



الجوارح

وأما قول اللسان وعمل اللسان، فقول اللسان جعله العلماء النطق بالشهادتين لأن هذا هو الفيصل بين الإسلام والكفر، ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**)). (١٨٠٠)، فأول ما يدخل الإنسان في الإسلام يُطالب بعد تطهره يطالب بالنطق بالشهادتين، فهذا يسميه العلماء: قول اللسان، فجعلوه في النطق بالشهادتين.

وأما عمل اللسان: فمنه قراءة القرآن وتلاوته، وذكر الله عز وجل، والتسبيح، والتهليل هذا كله عمل اللسان.

وأما أعمال الجوارح، فمنها الركوع والسجود والصوم والجهاد وغض البصر وغيرها فهذه أعمال الجوارح، وهذا بكله هو الذي يُسمى إيماناً عند أهل السنة.

المسألة الثالثة: شرح قول المصنف: "يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية،

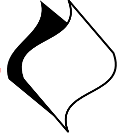
قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل –رحمه الله– عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان، فقال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن عمير بن حبيب قال: "الإيمان يزيد وينقص" فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: "إذا ذكرنا الله فحمدناه سبحانه فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه".

أهل السنة يؤمنون أن الإيمان يزيد وينقص، ومن الأدلة على ذلك:

أولًا: أدلة زيادة الإيمان ونقصانه من القرآن. (١٨٠١)

(١٨٠٠) انظر صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم برقم (٢٥)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ووكلت سريرته إلى الله تعالى وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، برقم (٢٥).

(١٨٠١) المصدر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق البدر ص ٣٥



لقد جاء في كتاب الله عز وجل نصوص كثيرة تدل على زيادة الإيمان ونقصانه وأن أهله متفاضلون فيه بعضهم أكمل إيماناً من بعض، فمنهم السابق بالخيرات، ومنهم المقتصد، ومنهم الظالم لنفسه، منهم المحسن، ومنهم المؤمن، ومنهم المسلم، ليسوا في الدين سواء في مرتبة واحدة، بل فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات.

وقبل الشروع في ذكر هذه الأدلة القرآنية الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه أودّ التنبيه على نقطة هامة، وهي:

أن كل دليل دلّ على زيادة الإيمان فهو يدل على نقصانه، وكذا العكس، فما دل على نقصان الإيمان فهو يدل على زيادته، فالآيات التي أوردها هنا وظاهرها الدلالة على زيادة الإيمان فقط، فهي تدل على نقص الإيمان باللزوم، وذلك لأن الزيادة تستلزم النقص، ولأن ما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقص، ولأن الزيادة لا تكون إلا عن نقص.

ولهذا فإنا نجد أهل العلم كثيراً ما يستشهدون بأدلة زيادة الإيمان على نقصانه وكذا العكس للأسباب المتقدمة، وتأمل-مثالاً على ذلك-صنيع البخاري في صحيحه فقد أورد بعض الآيات المصرحة بزيادة الإيمان في باب زيادة الإيمان ونقصانه مستدلاً بها على الزيادة والنقصان معاً.

قال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "إن كان قبل زيادته-أي الإيمان-تاماً فكما يزيد كذا ينقص". (١٨٠٢)

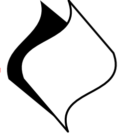
فمن الأدلة:

●قوله تعالى: **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}** [آل عمران: الآية: ١٧٣].

●وقوله تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}** [الأنفال: الآية: ٢].

●وقوله تعالى: **{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا**

(١٨٠٢) رواه الخلال في السنة (٢/ ٦٨٨، ح ١٠٣٠).



فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: الآية: ١٢٤].

●وقوله تعالى: **{وَلَمَّا رَأى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً}** [الأحزاب: ٢٢].

●وقوله تعالى :**{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ}** [الفتح: الآية: ٤].

● وقوله تعالى: **{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً}** [المدثر: الآية: ٣١].

● وقوله تعالى :**{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ}** [محمد: الآية: ١٧].

ثانياً: الأدلة من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه:

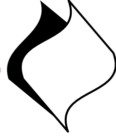
●حديث **أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)**، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**)). (١٨٠٣)

●حديث **أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)**، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**)). (١٨٠٤)

ففي هذا الحديث "بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أعلى وأدنى، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق–بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها".

(١٨٠٣) أخرجه البخاري (٥/ ١١٩، ١٠/ ٣٠، ١٢/ ٥٨، ١٢/ ١٤ فتح)، ومسلم (٢/ ٤١ نووي).

(١٨٠٤) أخرجه البخاري (١/ ٥١ فتح) ومسلم (٢/ ٦ نووي) وهذا لفظ مسلم.



(١٨٠٥)

وهذه الشعب متفاوتة ليست على درجة واحدة في الفضل، بل بعضها أفضل من بعض، كما هو ظاهر لفظ الحديث في قوله: "أعلاها "وقوله: "أدناها"، فشعب الإيمان منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً منها ما يقرب من شعبة الشهادتين، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى"(١٨٠٦).

وقال ابن سعدي–رحمة الله–(ت: ١٣٧ هـ) –بعد ذكره لحديث أبي هريرة–: "وهذا صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب، واتصاف العبد بها أو عدمه، ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتاً كثيراً، فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقد خالف الحس، مع مخالفته لنصوص الشرع كما ترى". (١٨٠٧)

● حديث **أنس بن مالك–رضي الله عنه–(ت: ٩٠ وقيل ٩٣ هـ)**، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((لا إيمان لمن لا أمانة له))**. (١٨٠٨)

فهذا الحديث دليل على أن من لا أمانة له، فقد نقص فيه شيء من واجبات هذا الدين، فيذهب عنه كمال الإيمان الواجب وتمامه، ويكون بذلك مؤمناً ناقص الإيمان. (١٨٠٩)

يوضح الاستدلال بهذا الحديث ويبينه ما جاء **عن عروة بن الزبير–رحمه الله–(ت: ٩٤ هـ)**، أنه

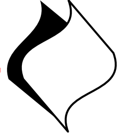
(١٨٠٥) معالم السنن للخطابي (٧/٤٤،٤٣).

(١٨٠٦) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ٣٢٢).

(١٨٠٧) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص ١٤).

(١٨٠٨) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٣٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١/١١) وفي الإيمان (ص ٥)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٠٨ الإحسان)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٧٥)؛ وقال البغوي: "هذا حديث حسن"؛ وصححه الألباني في تحقيقه للإيمان لابن أبي شيبة.

(١٨٠٩) انظر الفتاوى (١١/ ٦٥٣).



قال: "ما نقصت أمانة عبد قط إلا نقص إيمانه"(١٨١٠)، فنقص الأمانة في العبد دليل على نقص الإيمان وضعفه فيه

●ولهذا لما سئل الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) مرة عن نقصان الإيمان احتج بهذا، قال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله وسئل عن نقص الإيمان فقال: حدثنا وكيع عن سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال: "ما انتقصت أمانة رجل إلا نقص إيمانه"(١٨١١).

●حديث **أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-(ت: ٧٤ هـ)**، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**)). (١٨١٢)

فبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث مراتب إنكار المنكر، وأنه حسب الاستطاعة فإما أن يغير باليد أو باللسان أو بالقلب، بمعنى يكرهه بقلبه، وهذه المراتب الثلاث للإنكار يقوم بها المكلف على قدر استطاعته، ولا شك أن المرتبة الأخيرة باستطاعة جميع المكلفين، فمن رأى المنكر ولم يكرهه بقلبه وهو يعلم أنه منكر فإن هذا يكون علامة على ضعف إيمانه.

وقد احتج بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه النسائيُ-رحمه الله-(٣٠٣ هـ)، في سننه فبوب له بـ"باب تفاضل أهل الإيمان"(١٨١٣).

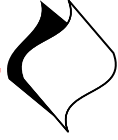
وابن منده-رحمه الله-(ت: ٣٩٦ هـ) في كتابه الإيمان فقال: "ذكر خبر يدل على أن الإيمان قول

(١٨١٠) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ١٢)، وفي الإيمان (ص ٦)، وعبد الله في السنة (١/ ٣٦٨) والخلال في السنة (ق ١٥٩/ ب) والآجري في الشريعة (ص ١١٨) والبيهقي في الشعب (١/ ١٩٧)، وابن بطة في الإبانة (برقم:١١٤١).

(١٨١١) رواه الخلال في السنة (برقم: ٧٨٩)، والآجري في الشريعة (ص ١١٨)، وابن بطة في الإبانة (برقم ١١٤٨).

(١٨١٢) رواه مسلم (٢/ ٢٢ نووي).

(١٨١٣) سنن النسائي (٨/ ١١).



باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد وينقص"(١٨١٤) ثم ذكر حديث أبي سعيد–رضي الله عنه–
.

وبوب له النووي في شرحه لمسلم بـ "باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص..."(١٨١٥).

ثانيًا: أقوال السلف الصالح في زيادة الإيمان ونقصانه(١٨١٦)

لقد جاء عن السلف الصالح آثار كثيرة قرروا فيها ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من حجج ودلالات على زيادة الإيمان ونقصانه، فبينوا رحمهم الله أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وكثرة العبادة والمداومة عليها، وينقص باللهو والغفلة والمعصية والتقصير في فعل الطاعة، بل لقد حكى إجماعهم واتفاقهم على ذلك غير واحد من أهل العلم.

عن عمير بن حبيب الخطمي–رضي الله عنه–قال: "الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا، فذلك نقصانه". (١٨١٧)

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وأقدم من روي عنه زيادة الإيمان ونقصانه من الصحابة عمير بن حبيب الخطمي" (١٨١٨)

وعن أبي الدرداء عويمر الأنصاري–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)، أنه قال: "الإيمان يزداد

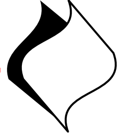
(١٨١٤) الإيمان لابن منده (٢/ ٣٤١).

(١٨١٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٢١) وانظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/ ٣٤٣).

(١٨١٦) المصدر: ت: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

(١٨١٧) رواه عبدا لله بن أحمد في ((السنة)) (١/ ٣٣٠) (٦٨٠)، والآجري في ((الشريعة)) (ص: ١٠٨)، والخطابي في ((الغنية)) (ص: ٤٥)، وأبو أحمد الحاكم في ((شعار أصحاب الحديث)) (٨).

(١٨١٨) ((تهذيب السنن)) (٧/ ٥٦).



وينقص". (١٨١٩).

وروي عنه رضي الله عنه أنه قال: "من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص، وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه" (١٨٢٠).

وعن علقمة بن قيس النخعي–رحمه الله–(ت: ٦٢ هـ)، أنه كان يقول لأصحابه: (امشوا بنا نزدد إيمانا) (١٨٢١).

١٢ - وكتب عمر بن عبد العزيز -رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ)، إلى عدي بن عدي–رحمه الله–(ت: ١٢٠ هـ)، -أحد عماله على الجزيرة-: "أما بعد: فإن للإيمان حدودا وشرائع وفرائض، من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان".

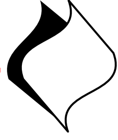
علقه البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ) في كتاب الإيمان من صحيحه (١٨٢٢)، وقال ابن حجر مبينا سبب ذكر البخاري له: "والغرض من هذا الأثر أن عمر بن عبد العزيز كان ممن يقول بأن الإيمان

(١٨١٩) رواه ابن ماجه بعد حديث رقم (٧٢)، والبيهقي في الشعب (١/ ٧٦) (٥٤). وقال الألباني في ((ضعيف سنن ابن ماجه)): ضعيف.

(١٨٢٠) رواه ابن بطة في ((الإبانة)) (٢/ ٨٤٩) (١١٤٠)، وذكره شيخ الإسلام في كتاب ((الإيمان)) (ص: ٢١١). وإسناده ضعيف لإبهام شيخ حريز.

(١٨٢١) رواه ابن أبي شيبة (١١/ ٢٥) وفي ((الإيمان)) (ص: ٣٤) وأبو نعيم في ((الحلية)) (٢/ ٩٩) والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١/ ٧٧) (٥٧). وحسن الألباني إسناده في ((الإيمان لابن أبي شيبة)).

(١٨٢٢) البخاري معلقا بصيغة الجزم قبل حديث (٨)، ووصله ابن أبي شيبة (١١/ ٤٨)، وفي ((الإيمان)) (ص: ٤٥) والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١/ ١٩٧) والبغوي في ((شرح السنة)) (١/ ٤٠). قال ابن الملقن في ((شرح البخاري)) (٢/ ٤٤٠): إسناده صحيح.



يزيد وينقص، حيث قال: استكمل ولم يستكمل" (١٨٢٣).

قال الإمام الأوزاعي–رحمه الله–(ت: ١٥٧ هـ): "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص". (١٨٢٤)

قال الإمام مالك–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ): "الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية". (١٨٢٥)

قال يحيى بن سعيد القطان–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ): "ما أدركت أحداً من أصحابنا، إلا على سنتنا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص(١٨٢٦).

قال الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ): "الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية". (١٨٢٧)

وقال الإمام عبد الرزاق الصنعاني–رحمه الله–(ت: ٢١١ هـ): "لقيت اثنين وستين شيخاً،... فذكر عدداً منهم ثم قال: كلهم يقولون: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص". (١٨٢٨)

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام–رحمه الله–(ت: ٢٢٤ هـ): "هذه تسمية من كان يقول الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص،... فسمى أكثر من مائة وثلاثين رجلاً من أهل العلم من الصحابة وغيرهم.. ثم قال: هؤلاء كلهم يقولون الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو قول أهل السنة، والمعمول به

(١٨٢٣) ((فتح الباري)) (١/ ٤٧)..

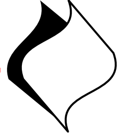
(١٨٢٤) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لللالكائي، ج٤، ص ٧٥١).

(١٨٢٥) (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ج٩، ص ٢٣٨).

(١٨٢٦) رواه ابن هاني في مسائل الإمام أحمد (٢/ ١٦٢) وذكر نحوه الذهبي في السير (٩/١٧٩) في ترجمة يحيى بن سعيد.

(١٨٢٧) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لللالكائي، ج٤، ص ٧٤٩).

(١٨٢٨) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/ ٩٥٨ ح ١٧٣٧).



عندنا". (١٨٢٩)

قال الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية". (١٨٣٠).

وقال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكر أموراً منها: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية". (١٨٣١)

وقال أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ): "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص". (١٨٣٢)

وقال الإمام البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ) في صحيحه: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص". (١٨٣٣)

(١٨٢٩) رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٨١٤ برقم:١١١٧) وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان (ص ٢٩٣-٢٩٥).

(١٨٣٠) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ج٤، ص ٧٥٠).

(١٨٣١) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ٢٢٨) وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ١٣٠) بلفظ أجمع تسعون...إلخ.

(١٨٣٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٥٦) وعزواه للالكائي في السنة، وصححا إسناده، قلت: وهو في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "المطبوع" (٥/ ٨٨٩ رقم:١٥٩٧) بنحوه، وليس فيه "ويزيد وينقص"، فلعل هذه اللفظة سقطت من المطبوع، أو أن الحافظ والزبيدي اطلعا على نسخة اشتملت على ما حكياه.

(١٨٣٣) (صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه).

وقال **عبد الله بن المبارك**–رحمه الله–(**ت: ١٨١ هـ**): "الإيمان قول وعمل، والإيمان يتفاضل". (١٨٣٤)

قال **ابن تيمية**–رحمه الله–(**ت: ٧٢٨ هـ**): "وبعضهم أي: السلف عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل. فقال أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت، ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته". (١٨٣٥)

وعن **محمد بن أبان**–رحمه الله–(**ت: ٢٤٤ آو ٢٤٥ هـ**)، قال قلت **لعبد الرحمن بن مهدي**–رحمه الله–(**ت: ١٩٨ هـ**): الإيمان قول وعمل؟ قال: نعم. قلت: يزيد وينقص؟ قال يتفاضل كلمة أحسن من كلمة". (١٨٣٦)

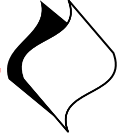
المسألة الرابعة: شرح قول المصنف في الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

قال المصنف–رحمه الله–: "وأخبرنا أبو عمرو الحيري، حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن إدريس سمعت الحميدي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد تقول: ينقص؟ فقال: اسكت يا صبي بل ينقص حتى لايبقى منه شيء.

(١٨٣٤) رواه عبد الله في ((السنة)) (١/ ٣١٦) (٦٣١)، واللالكائي في ((شرح الاعتقاد)) (٥/ ٩٦١) (١٧٤٦).

(١٨٣٥) ((الفتاوى)) (٧/ ٥٠٦).

(١٨٣٦) (١١ ((السنة)) (٣/ ٥٨٠) (١٠٠٥).



وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي ومالكا وسعيد ابن عبد العزيز ينكرون على من يقول: إقرار بلا عمل. ويقولون لا إيمان إلا بعمل، فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيمانا، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فإيمانه ناقص.

وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن باكويه الحلاب يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: قال لي عبد الله بن طاهر: يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلا، وأنا أبغضهم عن معرفة. أولًا: إنهم لا يرون للسلطان طاعة الثاني: إنه ليس للإيمان عندهم قدر، والله لا أستجيز أن أقول: إيماني كإيمان يحيى بن يحيى، ولا كإيمان أحمد بن حنبل، وهم يقولون: إيماننا كإيمان جبرائيل وميكائيل.

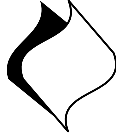
وسمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانيء يقول: سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قدم ابن المبارك الري فقام إليه رجل من العباد، الظن أنه يذهب مذهب الخوارج، فقال له: يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال لا أخرجه من الإيمان، فقال: يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئا؟ فقال: لا تقبلني المرجئة. المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة، ولو علمت أني قبلت مني حسنة لشهدت أني في الجنة، ثم ذكر عن أبي شوذب عن سلمة بن كهيل، عن هذيل بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح. سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني يقول: سمعت يحيى بن منصور القاضي

يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت الحسين بن حرب أخا أحمد بن حرب الزاهد يقول: أشهد أن دين أحمد بن حرب الذي يدين الله به أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص".

الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

القول الأول: قول من قال الإيمان يزيد وتوقف في النقصان.

جاء عن **الإمام مالك–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ)** في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه روايتان، قال في إحداهما: إن الإيمان يزيد أما النقصان فتوقف فيه وطلب من السائل أن يكف عن السؤال عنه، لأنه لم



يجد عليه دليلاً من كتاب الله.

أما الرواية الأخرى: فقد جاءت عنه من طرق متعددة صحيحة، قال فيها: إن الإيمان يزيد وينقص، كقول أهل السنة والجماعة سواء(١٨٣٧).

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه. لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القران، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك". (١٨٣٨)

القول الثاني: قول من قال الإيمان يزيد ولا ينقص.

وهذا قول طائفة من الأشاعرة، رواية **عن أبي حنيفة–رحمه الله–(ت: ١٥٠ هـ)**، والغسانية، النجارية، الإباضية.

أما قول الطائفة من الأشاعرة: فقد أشار إليه البغدادي في "أصول الدين" فقال: "وأما من قال: إنه التصديق(١٨٣٩) بالقلب فقد منعوا من النقصان فيه، واختلفوا في زيادته فمنهم من منعها ومنهم من أجازها"(١٨٤٠).

وأما الرواية عن أبي حنيفة–رحمه الله–(ت: ١٥٠ هـ): أن الإيمان يزيد ولا ينقص، فقد ذكرها غير واحد ممن كتب في المقالات، من طريق غسان وغيره عن أبي حنيفة رحمه الله.

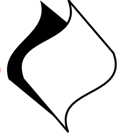
قال الأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ): "فأما غسان وأكثر أصحاب أبي حنيفة فإنهم يحكون عن أسلافهم أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله والتعظيم له والهيبة منه وترك الاستخفاف بحقه وأنه يزيد ولا

(١٨٣٧) انظر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه ص: ٢٧٧ ـ ٢٩٠ وقد ناقش هذا القول بالتفصيل.

(١٨٣٨) الفتاوى (٧/ ٥٠٦).

(١٨٣٩) القول بأن الإيمان هو التصديق هو قول الأشاعرة.

(١٨٤٠) أصول الدين (ص ٢٥٢).



ينقص"(١٨٤١).

وقال الزبيدي-رحمه الله-(ت: ١٢٠٥ هـ): "وحكى غسان وجماعة من أصحاب أبي حنيفة أنه يزيد ولا ينقص"(١٨٤٢)

وأما الغسانية: فقد ذكر **البغدادي-رحمه الله-(ت: ٤٢٩ هـ)** عن الغسانية، وهم أتباع غسان المرجئ أن من أقوالهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص، ثم قال: "وزعم غسان هذا في كتابه أن قوله في هذا الكتاب كقول أبي حنيفة"(١٨٤٣).

وأما النجارية: فلهم أصول باطلة جانبوا فيها الحق وفارقوه منها: قولهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص، وقد حكى ذلك عنهم غير واحد ممن كتب في مقالات الفرق كالأشعري والإسفراييني والبغدادي وغيرهم(١٨٤٤).

وأما الأباضيه: فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي (ت: ١٣٣٢ هـ) من الأباضية في كتابه مشارق أنوار العقول: "الإيمان بالمعنى الشرعي الذي هو أداء الواجبات مطلقاً ليس ينقص نظراً إلى إيمان كل مؤمن، فإنه في ذاته غير متفاوت بالنسبة إلى إيمان غيره". (١٨٤٥)

القول الثالث: قول من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

لقد قال بهذا القول طوائف كثيرة من أهل الكلام والإرجاء، والتجهم، وممن نسب له هذا القول:

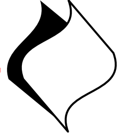
(١٨٤١) مقالات الإسلاميين (ص ١٣٩).

(١٨٤٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٥٦).

(١٨٤٣) الفرق بين الفرق (ص ٢٠٣). وانظر: انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (ص ١٣٩)، والتبصير في الدين للإسفراييني (ص ٩٨)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٠٣).

(١٨٤٤) انظر مقالات الإسلاميين (ص ١٣٦) والتبصير في الدين (ص ١٠١)، والفرق بين الفرق (ص ٢٠٨) والفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥٤٦).

(١٨٤٥) مشارق الأنوار (ص ٣٥-٣٦).



أبو حنيفة وأصحابه:

لقد اشتهر عن الإمام أبي حنيفة–رحمه الله تعالى وغفر له–أنه يقول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، واستفاض هذا عنه، بحيث لا يدع مجالاً للشك أو التردد في نسبته إليه، ويمكن أن أبرز أهم الأسباب المؤكدة لصحة نسبة هذا القول إليه في النقاط التالية:

١–إن عامة كتب الفرق والمقالات تنسب هذا القول إليه، كالمقالات لأبي الحسن الأشعري، والفَرْق بين الفِرَق للبغدادي، والمِلَلْ والنِحَلْ للشهرستاني، وغيرها. (١٨٤٦)

٢–إن الكتب المؤلفة في العقيدة والمنسوبة إلى أبي حنيفة رحمه الله تذكر هذا القول، كالفقه الأكبر، وكتاب العالم والمتعلم، والوسيطين الصغير والكبير والوصية ورسالته إلى البتي. (١٨٤٧)

وهذه الكتب إن لم يصح نسبتها جميعاً إليه، فلا بد أن يصح نسبة بعضها أو واحد منها على أقل تقدير إليه، وعلى كل إن لم يصح لا هذا ولا ذاك فإن هذه الكتب مطبوعة متداولة، وقد احتفى بها الأحناف شرحاً ونشراً ونقلاً، فهي عند عامتهم مسلم بما فيها، وقد شرح بعضها شروح مطولة عديدة، ونقل منها نقولٌ متكاثرة، واعتمد على ما فيها من عقائد. (١٨٤٨)

وممن قال بهذا القول: الجهمية.

ومن مقولاتهم الفاسدة وآرائهم المنحرفة زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل أهله فيه.

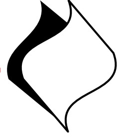
قال الأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ): "وزعمت الجهمية أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه". (١٨٤٩)

(١٨٤٦) المقالات (ص ١٣٩)، الفَرْق بين الفِرَق (ص ٢٠٣)، ونقله عنه الزبيدي في الإتحاف (٢/٢٦٥)، الملل والنحل (١/١٤١).

(١٨٤٧) انظر فيض الباري للكشميري (١/٥٩).

(١٨٤٨) انظر كتاب زيادة الإيمان ونقصانه ص ٣١٨ ..٣١٩.

(١٨٤٩) المقالات (ص ١٣٢).



وقال الشهرستاني–رحمه الله–(٥٤٨ هـ): "قال أبي الجهم: والإيمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل، قال: ولا يتفاضل أهله فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد، إذ المعارف لا تتفاضل". (١٨٥٠)

وجهم وأتباعه إنما قالوا بهذا القول لأن الإيمان عندهم مجرد التصديق، فمن صدق بقلبه فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن تكلم بالكفر، وسب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسخر بالدين، وأحل المحرمات، وفعل غير ذلك من الأمور التي هي كفر بواح.

والتصديق عندهم يتساوى فيه العباد، ولا يقبل الزيادة والنقصان فهو إما أن يعدم وإما أن يوجد، ولا يقبل التبعض، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، ولا يتفاضل الناس فيه، فإيمان الملائكة والأنبياء والصديقين وإيمان فساق الأمة وأهل الخنا والفجور سواء". (١٨٥١)

وممن قال بهذا القول: الخوارج والمعتزلة:

ذهبت الخوارج والمعتزلة مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان من حيث إنه شامل للأعمال والأقوال والاعتقادات، إلا أنهم فارقوا أهل السنة والجماعة بقولهم إن الإيمان كل واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله، وأنه لا يقبل التبعض.

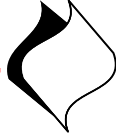
ومن هنا كان الإخلال بالأعمال وارتكاب الكبائر عندهم مخرجاً من الإيمان كلية، على خلاف بينهم في تسميته كافراً، فالخوارج قطعوا بكفره، ونازعهم المعتزلة في الاسم وقالوا نحن لا نسميه مؤمناً ولا كافراً، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين أي: بين منزلة الإيمان والكفر، وإن كانوا قد اتفقوا جميعاً أنه يوم القيامة خالد مخلد في نار جهنم. (١٨٥٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقيناً أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض ولا يكون في

(١٨٥٠) الملل والنحل (١/٨٨).

(١٨٥١) انظر مجموع الفتاوى (٧/ ٥٨٢).

(١٨٥٢) انظر الفتاوى (٧/ ٢٢٣، ٢٥٧) وشرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص ١٣٧).



العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء". (١٨٥٣)

وأصل غلط هؤلاء ومنشأ ضلالهم كما قال **قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)**: "أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقاً للثواب والعقاب والوعد والوعيد والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا: "الإيمان هو الطاعة فيزول بزوال بعض الطاعة، ثم تنازعوا هل يخلفه الكفر على القولين ووافقتهم المرجئة والجهمية على أن الإيمان يزول كله بزوال شيء منه، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل فلا يزيد ولا ينقص وقالوا إن إيمان الفساق كإيمان الأنبياء والمؤمنين". (١٨٥٤)

فهذه الشبهة هي التي أفسدت على هؤلاء قولهم، بل وعلى جميع المرجئة، كما قال شيخ الإسلام: "وإنما أوقع هؤلاء كلهم أي المرجئة بأقسامهم–ما أوقع الخوارج والمعتزلة في ظنهم أن الإيمان لا يتبعض، بل إذا ذهب بعضه ذهب كله، ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يتبعض وأنه ينقص ولا يزول جميعه". (١٨٥٥)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وجماع شبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة، وكذلك الأجسام كالسكنجبين(١٨٥٦) إذا زال أحد جزئيه خرج عن كونه سكنجبين، قالوا فإذا كان الإيمان مركباً من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها". (١٨٥٧)

ومن قال بهذا القول: الأشاعرة والماتريدية:

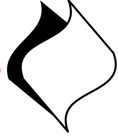
(١٨٥٣) الفتاوى (١٣/ ٤٨).

(١٨٥٤) شرح العقيدة الأصفهانية (ص ١٣٧، ١٣٨)، وانظر الفتاوى (٧/٤٠٤).

(١٨٥٥) شرح العقيدة الأصفهانية (ص ١٤٣، ١٤٤).

(١٨٥٦) السكنجبين: شراب مركب من حامض وحلوا–معرب–فارسيته: سركا انكبين انظر المعجم الوسيط (١/٤٤٠).

(١٨٥٧) مجموع الفتاوى (٧/٥١١).



لقد ذهب جمهور الأشاعرة وجميع الماتريدية إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لشبه عقلية وأدلة نظرية، وذهب بعض الأشاعرة إلى أن الإيمان يزيد وينقص". (١٨٥٨)

قال الزبيدي–رحمه الله–(ت: ١٢٠٥ هـ): "وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يزيد الإيمان ولا ينقص واختاره أبو منصور الماتريدي ومن الأشاعرة إمام الحرمين وجمع كثير". (١٨٥٩)

وقال ابن أبي شريف الحنفي–رحمه الله–(ت: ٩٠٦ هـ): "وهذا القول–أي أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص–اختاره من الأشاعرة أمام الحرمين وجمع كثير، وذهب عامتهم أي أكثر الأشاعرة إلى زيادته ونقصانه". (١٨٦٠)

وقال الفرهاري–رحمه الله–(ت: ١٢٣٩ هـ): "مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله والمتكلمين من أهل السنة أنه لا يزيد ولا ينقص"(١٨٦١).

فالماتريدية لهم قول واحد في المسألة وهو أن الإيمان غير قابل للزيادة والنقصان، وأما الأشاعرة فلهم في المسألة قولان: فجمهورهم على أنه لا يقبل الزيادة والنقصان، وذهب بعضهم إلى أنه يقبلهما، والأشاعرة يعرفون الإيمان بأنه التصديق وحده، فلا يدخل فيه القول والعمل، فبحثهم هنا هو في التصديق هل يقبل الزيادة والنقصان أو لا؟

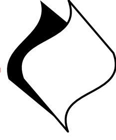
فالذين قالوا لا يزيد ولا ينقص فبناء على أن الإيمان هو التصديق اليقيني الغير قابل للتفاوت، فإن

(١٨٥٨) انظر شرح مسلم للنووي (١/١٤٨)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٤٦)، وعمدة القاري للعيني (١/ ١٣٦) وتحفة القاري "للكاندهلوي" (ص٤٤) مجموع "شروح البخاري" (١/ ١١٢)، النبراس شرح العقائد (ص ٤٠٢)، المسامرة شرح المسايرة (ص ٣٦٧)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٥٢)، وأصول الدين للبزدوي (ص ١٥٣)، والاقتصاد للغزالي (ص ٢٠٨)، والمواقف للإيجي (ص ٣٨٨)، والإنصاف للباقلاني (ص ٨٦)، والإرشاد للجويني (ص ٣٣٥) وغيرها.

(١٨٥٩) إتحاف السادة المتقين (٢/٢٥٦).

(١٨٦٠) المسامرة (ص ٣٦٧).

(١٨٦١) النبراس شرح العقائد (ص ٤٠٢).



نقص فنقصه شك وكفر، ولشبه أخرى.

ومن قال منهم يزيد وينقص فللقطع بأن تصديق آحاد الأمة ليس كتصديق النبي صلى الله عليه وسلم، واختاره النووي وعزاه التفتازاني في شرح العقائد لبعض المحققين وقال في المواقف إنه الحق(١٨٦٢)

المسألة الخامسة: ثمرة الخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

فمسائل الأسماء لها تناول معين لدى الفرق، ومسائل الأحكام لها تناول معين لدى الفرق، وهذه مسائل يطول شرحها لكن لعل ما أشرنا إليه يُبين ما مدى صفاء عقيدة أهل السنة وأن والإيمان عندهم قولٌ واعتقادٌ وعمل يزيد وينقص، زيادته بالطاعات ونقصانه بالمعاصي.

وزيادة الإيمان ونقصانه أمر يراه الإنسان من نفسه، فقد يكون حاله اليوم من الإيمان أحسن من حاله في الأمس، أو قد يكون حاله في الأمس أحسن من حاله في هذا اليوم، فالإيمان فيه زيادة ونقص، فيزيد إلى ما شاء الله، وينقص أحياناً حتى يزول هذا الإيمان ولا يبقى منه شيء، ويُصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافرا.

والقول إن الإيمان يزيد وينقص في اعتقاد أهل السنة والجماعة، يترتب عليه أمور كثيرة في مسائل الأحكام، فهذه المسألة مرتبطة بمسألتين:

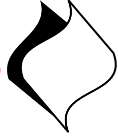
الأولى: حكم مرتكب الكبيرة.

فالقول بزيادة الإيمان ونقصانه له تعلق بمسألة حكم مرتكب الكبيرة، فأهل السنة لا يرون تكفير مرتكب الكبيرة دون الشرك الأكبر، ويقولون إن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته فلا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية.

والمسألة الثانية: مسألة مراتب الدين.

أي ما يتعلق بدخول الإنسان إلى هذا الدين متى ينتقل في مراتب الدين؛ لأن مراتب الدين ثلاثة: الإسلام، الإيمان، الإحسان، فهي عبارة عن ثلاث دوائر أول دائرة فيه هي الإسلام، ثم هناك دائرة أضيق

(١٨٦٢) انظر شرح مسلم للنووي (١/ ١٤٢) وشرح العقائد النسفية للتفتازاني (ص ١٢٦) والمواقف للأيجي (ص ٣٨٨) وانظر إرشاد الساري للقسطلاني (١١٢/١) ضمن مجموع شروح البخاري.



منها هي الإيمان، ويعني هذا الضيق أن من هو مؤمن هو مسلم، ولكن ليس بالضرورة من كان مسلماً أن يكون مؤمنا، ثم تأتي الدائرة الأضيق هي دائرة الإحسان؛ لأن الإحسان فحواه ومعناه أن تُتقن الظاهر والباطن.

فعندما أقول أحسنت بمعنى أتقنت فالإحسان إتقان الظاهر والباطن، فإذا أُتقن الظاهر والباطن فهذه مرتبة عليا، فكل مسلم مؤمن مسلم، ولكن ليس كل مؤمن محسن، قد يكون محسن وقد لا يكون محسنا، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

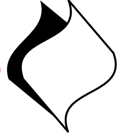
كما أنه مرتبط بتفاضل الناس في إيمانهم وتفاضل درجاتهم في الآخرة إلى غير ذلك من المسائل ذات الصلة.

[ولا يكفر أحد من المسلمين بكل ذنب]

[١٦]. قال المصنف–رحمه الله–:

"ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله–عز وجل–إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما، غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه واخرجه منها إلى نعيم دار القرار.

وكان شيخنا سهل بن محمد–رحمه الله–يقول: "المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فإنه لا يلقى فيها إلقاء الكفار، ولا يبقى فيها بقاء الكفار، ولا يشقى فيها شقاء الكفار". ومعنى ذلك أن الكافر يسحب على وجهه إلى النار، ويلقى فيها منكوسا في السلاسل والأغلال والأنكال



الثقال، والمؤمن المذنب إذا ابتلى في النار فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير إلقاء وتنكيس.

ومعنى قوله "لا يلقى في النار إلقاء الكفار" أن الكافر يحرق بدنه كله، كلما نضج جلده بدل جلدًا غيره، ليذوق العذاب كما بينه الله في كتابه في قوله-تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} [النساء: الآية: ٥٦]، وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار، ولا تحرق أعضاء السجود منهم، إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده.

ومعنى قوله: "لا يبقى في النار بقاء الكفار" أن الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبدا، ولا يخلد الله من مذنبي المؤمنين في النار أحدا.

ومعنى قوله: "لا يشقى بالنار شقاء الكفار" أن الكفار ييأسون فيها من رحمة الله، ولا يرجون راحة بحال، وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله في كل حال، وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة، لأنهم خلقوا لها وخلقت لهم فضلا من الله ومنة".

الشرح:

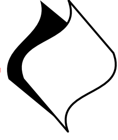
وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أقسام الذنوب. (١٨٦٣)

القول الأول أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وأدلته:

ذهب جمهور العلماء إلى تقسيم المعاصي إلى صغائر وكبائر، بل إن الصغائر والكبائر تتفاوت مراتبها في ذاتها، فهناك كبائر، وهناك أكبر الكبائر، وهناك صغيرة أدنى من صغيرة أخرى وهكذا بحسب تفاوت

(١٨٦٣) المصدر: إيقاظ الضمائر للتفريق بين الصغائر والكبائر، تأليف: علي ونيس.



مفاسدها، **قال ابن حجر –رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ)**: "ثُمَّ إِنَّ مَرَاتِبَ كُلٍّ مِنَ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ مُخْتَلِفٌ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ مَفَاسِدِهَا". (١٨٦٤)

وحكى الإمام **ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ)** الإجماع على ذلك حيث قال: "والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف وبالاعتبار". (١٨٦٥)

وقال الإمام النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "... وذهب الجماهير من السلف، والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها". (١٨٦٦)

أولًا: أدلة الكتاب.

١ ـ قال تعالى: **{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}** [النساء: الآية: ٣١]،

وجه الدلالة: تدل هذه الآية بمقتضى المقابلة أن من الذنوب صغائر وكبائر، وأن اجتناب الكبائر مكفر للصغائر التي سميت في الآية سيئات، ولا شك في أن تسميتها بذلك يعطيها وصف الذنب

وحقيقته، فتكفر السيئات المشروط باجتناب كبائر ما نُهُو عنه يقتضي أنها ليست من الكبائر، وقد سماها الله تعالى سيئات، فهي ذنوب وليست بكبائر قطعاً.

(١٨٦٤) "فتح الباري" (٥/ ٢٦٣)؛ لابن حجر.

(١٨٦٥) ((مدارج السالكين)) (١/ ٣٤٢)، وانظر: ((الجواب الكافي)) (ص ١٨٦).

(١٨٦٦) "شرح صحيح مسلم للنووي" (٢/ ٨٥).

قال صاحب تهذيب الفروق عقب هذه الآية: "فيها صراحة في انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر". (١٨٦٧)

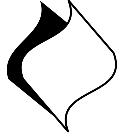
وقد ورد هذا التفسير عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما ذكره **السيوطي-رحمه الله-(ت: ٩١١ هـ)** إذ يقول: "**أخرج النسائي-رحمه الله-(ت: ٣٠٣ هـ)، وابن ماجه-رحمه الله-(ت: ٢٧٣ هـ)، وابن جرير-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ)، وابن خزيمة-رحمه الله-(ت: ٣١١ هـ)، وابن حبان-رحمه الله-(ت: ٣٥٤ هـ)، والحاكم-رحمه الله-(ت: ٤٠٥ هـ) وصححه، والبيهقي-رحمه الله-(ت: ٤٥٨ هـ) في سننه عن أبي هريرة (ت: ٥٧ هـ) وأبي سعيد (ت: ٧٤ هـ)-رضي الله عنهما**-أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جلس على المنبر ثم قال: ((**والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويؤدي الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يوم القيامة حتى أنها لتصطفق**)) (١٨٦٨)، ثم تلا:." (١٨٦٩)

فهذا تفسير منه -صلى الله عليه وسلم- للآية الكريمة وتبيين للمراد منها من أن من الذنوب صغائر يكفرها الله تعالى باجتناب الكبائر وليس بعد تفسير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تفسير، ولا بعد قوله قول لقائل".

(١٨٦٧) "تهذيب الفروق" (١/ ١٣٤)؛ لمحمد علي بن حسين المكي المالكي.

(١٨٦٨) . أي: تتحرك وتضطرب، كناية عن شدة التزاحم عليها. وصفق الْبَاب مصراعه وَهُوَ الْآن (الدرفة) يُقَال بَابه صفقٌ وَاحِد أَو صفقان مصراعان يضم أَحدهمَا إِلَى الآخر ليغلق. ينظر: المعجم الوسيط، مادة: صفق.

(١٨٦٩) "الدر المنثور" (٢/ ٤٩٨)؛ للسيوطي، وقال الأعظمي في تحقيقه لصحيح ابن خزيمة في الحديث رقم (٣١٥): "إسناده ضعيف صهيب تفرد نعيم المجمر بالرواية عنه مقبول من الرابعة"، وضعفه الألباني في "صحيح ابن خزيمة" برقم (١٧٤٨)، وصححه الحاكم في الحديث رقم (٧١٩)، (٢٩٤٣)، ووافقه الذهبي.



وقال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "لما نهى تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر، دل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء". (١٨٧٠)

وقال ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نُهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب، وأدخلناكم الجنة". (١٨٧١)

وقال الإمام الشوكاني–رحمه الله–(ت: ١٢٥٠ هـ) في الآية: "أي إن تجتبوا كبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها نكفر عنكم سيئاتكم أي ذنوبكم التي هي صغائر، وحمل السيئات على الصغائر هنا متعين لذكر الكبائر قبلها وجعل اجتنابها شرطاً لتكفير السيئات". (١٨٧٢)

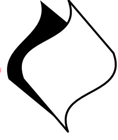
٢–قال تعالى: **{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)}** [النجم: ٣١ – ٣٢].

وجه الدلالة: تدل هذه الآية بمقتضى بيان قوله: **{وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}** في الآية قبلها على أن المحسنين بأعمالهم من المكلفين هم **{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ}** فاستثناء اللمم من كبائر الإثم والفواحش يدل بمقتضى قاعدة الاستثناء –وهي أنه يخرج من سابقه ما لولاه لدخل فيه– على

(١٨٧٠) ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (٥/ ١٥٨).

(١٨٧١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧١).

(١٨٧٢) ((فتح القدير)) (١/ ٤٥٧، ٤٥٨).



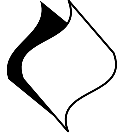
أن اللمم ليس من كبائر الإثم والفواحش، فهو من الصغائر، وقد جاء تفسيره بذلك عن ابن عباس فيما رواه البخاري.

وقد نبه الله تعالى في هذه الآية الكريمة بقوله: **{إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}** على أن إخراج اللمم واستثناءه من حكم المؤاخذة ليس لخلوه من الذنب فِي نفسه، بل لسعة المغفرة الربانية وفي عطف الفواحش هنا على كبائر الإثم ما في نظيره في آية الشورى.

على أن العلماء اختلفوا في المقصود باللمم على قولين مشهورين، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فأما اللمم فقد روي عن جماعة من السلف: أنه الإلمام بالذنب مرة، ثم لا يعود إليه، وإن كان كبيراً: قال البغوي–رحمه الله–(ت: ٣١٧ هـ) [١٨٧٣]: هذا قول **أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)، ومجاهد–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ)، والحسن–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)، ورواية عطاء–رحمه الله–(ت: ١١٤ هـ) عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**. والجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر، وهو أصح الروايتين **عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**، كما في (صحيح البخاري). [١٨٧٤]، من حديث **طاووس–رحمه الله–(ت: ١٠٦ هـ)** عنه قال: ما رأيت أشبه باللمم مما قاله **أبو هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)** عن النبي صلى الله عليه وسلم: **((إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه))** "إلى أن قال رحمه الله: "والصحيح: قول الجمهور: أن اللمم صغائر الذنوب، كالنظرة، والغمزة، والقبلة، ونحو ذلك. هذا قول جمهور الصحابة ومن بعدهم، وهو قول أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)، **وعبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)، وابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، ومسروق–رحمه الله–(ت: ٦٢ أو ٦٣ هـ)، والشعبي–رحمه الله–**

[١٨٧٣] "تفسير البغوي" (٤/ ٣١١) ط. إحياء التراث.

[١٨٧٤] رواه البخاري برقم (٦٢٤٣).



(**ت: ١٠٣ هـ**)، ولا ينافي هذا قول **أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)**، **وابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)** في الرواية الأخرى: ((**إنه يلم بالكبيرة ثم لا يعود إليها**)) فإن (اللمم) إما أنه يتناول هذا وهذا ويكون على وجهين، كما قال الكلبي، أو أن أبا هريرة وابن عباس ألحقا من ارتكب الكبيرة مرة واحدة–ولم يصر عليها، بل حصلت منه فلتة في عمره–باللمم، ورأيا أنها إنما تتغلظ وتكبر وتعظم في حق من تكررت منه مراراً عديدة، وهذا من فقه الصحابة – رضي الله عنهم – وغور [١٨٧٥] علومهم، ولا ريب أن الله يسامح عبده المرة والمرتين والثلاث، وإنما يخاف العنت على من اتخذ الذنوب عادته، وتكرر منه مراراً عديدة ". [١٨٧٦]

٣ ـ قوله عز وجل: {وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا} [الكهف: الآية: ٤٩]، وقوله تعالى: [وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ] [القمر: الآية: ٥٣]. [١٨٧٧]

٤ ـ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ} [الحجرات: الآية: ٧].

وجه الدلالة: "جَعَلَ الْفُسُوقَ وَهُوَ الْكَبَائِرُ تَلِي رُتْبَةَ الْكُفْرِ، وَجَعَلَ الصَّغَائِرَ (العصيان) تَلِي رُتْبَةَ الْكَبِيرَةِ". [١٨٧٨]

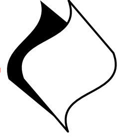
قال الرازي–رحمه الله–(ت: ٦٠٦ هـ): "وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمَنْهِيَّاتِ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ: أَوَّلُهَا: الْكُفْرُ، وَثَانِيهَا: الْفُسُوقُ. وَثَالِثُهَا: الْعِصْيَانُ، فَلَا بُدَّ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ الْفُسُوقِ وَبَيْنَ الْعِصْيَانِ لِيَصِحَّ العطف، وما ذلك

[١٨٧٥] أي: عمق علمهم، فغور كل شيء: قعره. يقال: فلانٌ بعيد الغَوْرِ. ينظر "الصحاح" للجوهري مادة: غور. وهو كناية عن الفهم الذي يبعد عن أكثر الناس، ولا يصل إليه إلا من اجتهد فصار بينه وبين غيره من الكسالى بون شاسع في العلم، فكأن ما علمه المجتهد في العلم في عمق لا يمكن الوصول إليه بسهولة كالماء في قعر البئر العميق.

[١٨٧٦] ((مدارج السالكين)) (١/ ٣٤٣ – ٣٤٥)، وانظر: ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٤/ ٢٥٥، ٢٥٦).

[١٨٧٧] ذكر ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (١١/ ٦٥٩) هذه الآية والتي قبلها مستدلا بهما على هذا التقسيم للذنوب.

[١٨٧٨] "البحر المحيط" (٦/ ١٥٢، ١٥٣)؛ للزركشي.



إِلَّا لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الصَّغَائِرِ وَبَيْنَ الْكَبَائِرِ، فَالْكَبَائِرُ هِيَ الْفُسُوقُ، وَالصَّغَائِرُ هِيَ الْعِصْيَانُ". (١٨٧٩)

ثانيا: الأدلة من السنة.

١ ـ ما جاء عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من أن بعض أعمال البر والصلاة تكفر الذنوب ما اجتنبت الكبائر، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**)). (١٨٨٠)

قال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "وتنقسم –أي المعاصي– باعتبار ذلك إلى ما تكفره الصلوات الخمس، أو صوم رمضان، أو الحج، أو العمرة، أو الوضوء، أو صوم عرفة، أو صوم عاشوراء، أو فعل الحسنة، أو غير ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وإلى ما لا يكفره ذلك كما ثبت في الصحيح ما لم يغش كبيرة فسمى الشرع ما تكفره الصلاة ونحوها صغائر ومالا تكفره كبائر". (١٨٨١)

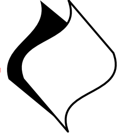
ومما جاء عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في معنى هذا الحديث قوله ـ صلى الله عليه وسلم: ((**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله**)). (١٨٨٢).

(١٨٧٩) "مفاتيح الغيب" (١٠/ ٦٠)؛ للفخر الرازي.

(١٨٨٠) رواه مسلم برقم (٢٣٣). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٨٨١) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي (٢/ ٨٥).

(١٨٨٢) رواه مسلم برقم (٢٢٨). من حديث عثمان رضي الله عنه.



وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر**)). (١٨٨٣).

٢ ـ الأحاديث التي خص فيها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكبائر وأكبر الكبائر بالذكر. (١٨٨٤)

ومنها: قوله ـ صلى الله عليه وسلم: ((**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ...**)).

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–(ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ)، قال: "ذكر رسول الله–صلى الله عليه وسلم–الكبائر –أو سئل عن الكبائر–فقال: ((**الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين**))، فقال: ((**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**))، قال: ((**قول الزور –أو قال: شهادة الزور**))، **قال شعبة–رحمه الله–(ت: ١٦٠ هـ)**: وأكثر ظني أنه قال: ((**شهادة الزور**)). (١٨٨٥)

وعن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–(ت: ٦٥ هـ)، قال قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه**)). (١٨٨٦)

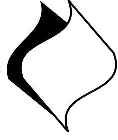
وغير ذلك من الأحاديث.

(١٨٨٣) صحيح مسلم: (٢٣٣).

(١٨٨٤) "إرشاد الفحول" (١/ ١٤٥)؛ للشوكاني.

(١٨٨٥) صحيح البخاري (٥٩٧٧).

(١٨٨٦) صحيح البخاري (٥٩٧٣).



قال ابن حجر الهيتمي–رحمه الله–(ت: ٩٧٤ هـ) بعد سرد مجموعة من هذه الأحاديث: "فخص الكبائر ببعض الذنوب، ولو كانت الذنوب كلها كبائر لم يسغ ذلك". (١٨٨٧)

٣ ـ أن بعض الأحاديث ذكر فيها عدد من الذنوب سماها النبي –صلى الله عليه وسلم– كبائر جواباً عن سؤال سائل من أصحابه الكرام ـ رضي الله عنهم.

ومنها ما رواه البخاري ومسلم –واللفظ للبخاري– عن **أنس بن مالك–رضي الله عنه–(ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ)**، قال: "سئل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الكبائر فقال: **((الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس وشهادة الزور))**.

ثالثًا: ما ورد في الآثار.

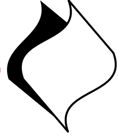
ورد عن الصحابة والتابعين آثار كثيرة تفوق الحصر، ومن أمثلة ما ورد عنهم في ذلك:

عن أنس بن مالك–رضي الله عنه–(ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ): "لم أر مثل الّذي بلغنا عن ربّنا لم نخرج له، عن كلّ أهلٍ ومالٍ أن تجاوز لنا عمّا دون الكبائر فما لنا ولها، قول الله: **{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}**". (١٨٨٨)

وعن علي–رضي الله عنه–(ت: ٤٠ هـ)، قال: "الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، والسحر، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة"

(١٨٨٧) ((الزواجر عن اقتراف الكبائر)) (ص ٥).

(١٨٨٨) مصنف ابن أبي شيبة: ١٩/ ٢٣٦. كشف الأستار عن زوائد البزار: ٣/ ٤٤.



وعن ابن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)، قال: "الكبائر الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله، والأمن من مكر الله". (١٨٨٩)

وعن ابن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)، قال: "أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله". (١٨٩٠)

عن عبد الله بن طاوس–رحمه الله–(ت: ١٣٢ هـ) عن أبيه–رحمه الله–(ت: ١٠٦ هـ)، قال: قيل لابن عباس الكبائر سبع قال: "هي إلى السبعين أقرب". (١٨٩١).

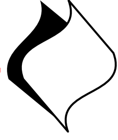
عَبْدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ المَصْرِيُّ–رحمه الله–(ت: ١٩٧ هـ): "**وقال عبد الله بن عياش–رحمه الله–(ت: ١٧٠ هـ)**: **وقال زيد بن أسلم–رحمه الله–(ت: ١٣٦ هـ)**، في قول الله: **{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}**، فمن الكبائر: الشرك، والكفر بآيات الله ورسله، والسحر، وقتل الأولاد، ومن دعا لله ولدا أو صاحبة، ومثل ذلك من الأعمال، والقول الذي لا يصلح معه عملٌ". (١٨٩٢)

(١٨٨٩) تفسير الطبري – تفسير سورة النساء – الآية ٣١.

(١٨٩٠) تفسير عبد الرزاق: ١/١٥٥]

(١٨٩١) تفسير عبد الرزاق: ١/١٥٥.

(١٨٩٢) الجامع في علوم القرآن: ١/٥٨.



عن الحسن–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ) في قوله تعالى **{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ}**: "الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وأكل الربا وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم واليمين الفاجرة والفرار من الزحف". (١٨٩٣)

والذنوب تتفاوت مفاسدها، وإذا تفاوتت مفاسدها تفاوتت مراتبها؛ فيكون منها صغائر وكبائر، قال الطوفي: "وَإِنَّمَا انْقَسَمَتِ الْأَفْعَالُ إِلَى صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ بِاعْتِبَارِ اشْتِمَالِهَا عَلَى مَفَاسِدَ صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ". (١٨٩٤)

القول الثاني: إنكار تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

أولًا: القائلين به:

ذهب بعض الأشاعرة إلى إنكار تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، وقالوا: إن سائر المعاصي كبائر، ومنهم **أبو إسحاق الإسفرائيني–رحمه الله–(ت: ٤١٨ هـ)، والباقلاني–رحمه الله–(ت: ٤٠٣ هـ)، وإمام الحرمين–رحمه الله–(ت: ٤١٩ هـ)، وأبي نصر عبد الرحيم القشيري–رحمه الله–(ت: ٥١٤ هـ)، والتقي السبكي–رحمه الله–(ت: ٧٥٦ هـ)**، بل حكاه **ابن فورك–رحمه الله–(ت: ٤٠٦ هـ)** عن الأشاعرة واختاره في (تفسيره) (١٨٩٥)، ونسبه **ابن بطال–رحمه الله–(ت: ٤٤٩ هـ)** إلى الأشعرية، وحكاه **القاضي عياض–رحمه الله–(ت: ٥٤٤ هـ)** عن المحققين (١٨٩٦) ونسب هذا القول إلى الخوارج **القاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥ هـ)** (١٨٩٧).

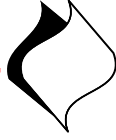
(١٨٩٣) تفسير عبد الرزاق: ١/ ١٥٤.

(١٨٩٤) "شرح مختصر الروضة" (٣/ ٤٧٦)؛ للطوفي.

(١٨٩٥) ينظر: ((الزواجر عن اقتراف الكبائر)) (ص: ٥).

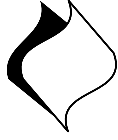
(١٨٩٦) انظر: ((فتح الباري)) (١٠/ ٤٠٩)، و ((شرح صحيح مسلم)) للنووي (٢/ ٨٥).

(١٨٩٧) انظر "شرح الأصول الخمسة ص ٦٣٢.



قال ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ): "ذهب الجمهور إلى أن من الذنوب كبائر ومنها صغائر، وشذت طائفة منهم الأستاذ **أبو إسحاق الإسفرائيني-رحمه الله-(ت: ٤١٨ هـ)** فقال ليس في الذنوب صغيرة، بل على ما نهى الله عنه كبيرة.

ونقل ذلك **عن ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**، وحكاه **القاضي عياض-رحمه الله-(ت: ٥٤٤ هـ)**، عن المحققين واحتجوا بأن كل مخالفة لله فهي بالنسبة إلى جلاله كبيرة. ونسبه **ابن بطال-رحمه الله-(ت: ٤٤٩ هـ)** إلى الأشعرية فقال: انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر هو قول عامة الفقهاء وخالفهم من الأشعرية **أبو بكر بن الطيب-رحمه الله-(ت: ٤٠٣ هـ)** وأصحابه فقالوا: المعاصي كلها كبائر وإنما يقال لبعضها صغيرة، بالإضافة إلى ما هو أكبر منها كما يقال القلة المحرمة صغيرة بإضافتها إلى الزنا وكلها كبائر. قالوا: ولا ذنب عندنا يغفر واجبا باجتناب ذنب آخر، بل كل ذلك كبيرة. ومرتكبه في المشيئة غير الكفر لقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء: الآية: ٤٨]، وأجابوا عن الأية التي احتج أهل القول الأول بها-وهي قوله تعالى **{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ}** [النساء: الآية: ٣١]، أن المراد الشرك، ثم قال: وقالوا وجواز العقاب على الصغيرة كجوازه على الكبيرة. قال النووي وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة إلى القول الأول، **وقال الغزالي-رحمه الله-(ت: ٥٠٥ هـ)** في البسيط" إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقيه. ثم قال **ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ)**: قد حقق **إمام الحرمين-رحمه الله-(ت: ٤١٩ هـ)** المنقول عن الأشاعرة واختاره وبين أنه لا يخالف ما قاله الجمهور فقال في "الإرشاد": المرتضى عندنا أن كل ذنب يعصى الله به كبيرة، فرب شيء يعد صغيرة بالإضافة إلى الأقران، ولو كان في حق الملك لكان كبيرة والرب أعظم من عصي، فكل ذنب بالإضافة إلى مخالفته عظيم، ولكن الذنوب وإن عظمت فهي متفاوتة في رتبها، وظن بعض



الناس أن الخلاف لفظي فقال: التحقيق أن للكبيرة اعتبارين: فبالنسبة إلى مقايسة بعضها لبعض فهي تختلف قطعًا، وبالنسبة إلى الأمر الناهي فكلها كبائر. والتحقيق أن الخلاف معنوي". (١٨٩٨)

أدلة هذا الرأي

ممن بين أدلة أصحاب هذا القول بأخصر ما يمكن وأوفاه **ابن بطال–رحمه الله–(ت: ٤٤٩ هـ)** حيث قال: "انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر هو قول عامة الفقهاء، وخالفهم من الأشعرية أبو بكر بن الطيب وأصحابه فقالوا: المعاصي كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، كما يقال القبلة المحرمة صغيرة بإضافتها إلى الزنا وكلها كبائر."

قالوا: ولا ذنب عندنا يغفر واجباً باجتناب ذنب آخر بل كل ذلك كبيرة، ومرتكبه في المشيئة، غير الكفر لقوله تعالى: **{إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء}** [النساء: الآية: ٤٨] وأجابوا عن الآية التي احتج أهل القول الأول بها وهي قوله تعالى: **{إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا}** [النساء: الآية: ٣١]، أن المراد الشرك وقد قال الفراء: من قرأ كبائر فالمراد بها كبير، وكبير الإثم هو الشرك، وقد يأتي لفظ الجمع والمراد به الواحد كقوله تعالى: **{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ}** [الشعراء: الآية: ١٠٥]، ولم يرسل إليهم غير نوح، قالوا: وجواز العقاب على الصغيرة لجوازه على الكبيرة. (١٨٩٩) واستدلوا أيضاً بقول ابن عباس: "كل ما نهى الله عنه كبيرة". (١٩٠٠)".

وقد نظر أصحاب هذا القول إلى جلال الله وعظمته سبحانه فمنعهم ذلك من تسمية أي معصية لله تعالى باسم "صغيرة" فهي كلها بالنسبة إلى عظم المخالف كبيرة من الكبائر، وإن اتفقوا على أن منها ما يوجب

(١٨٩٨) "فتح الباري" (١٠/ ٤٠٩، ٤١٠)؛ لابن حجر.

(١٨٩٩) نقلاً عن ((فتح الباري)) (١٠/ ٤٠٩)، وانظر: ((تفسير القرطبي)) (٥/ ١٥٩).

(١٩٠٠) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٨/ ٢١٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) ١/ ٢٧٣، قال ابن حجر في ((فتح الباري)) (١٠/ ٤١٠) أخرجه إسماعيل القاضي والطبري بسند صحيح على شرط الشيخين إلى ابن عباس.

العقوبة والذم أكثر من غيره، فالخلاف لفظي في جواز التسمية لا في المعنى، والجمهور على إطلاق الصغيرة والكبيرة اصطلاحياً كما سبق أن نقلنا عن العلماء.

يقول القرافي صاحب "تهذيب الفروق"–رحمه الله–(ت: ٦٨٤ هـ): "اختلفوا أولاً في أن إطلاق لفظ صغيرة على معصية الله تعالى هل يمنع إجلالا له وتعظيماً لحدوده إلا في محل تبيين تفاوت الذم والعقاب إن نفذ الوعيد، أو يجوز مطلقا". (١٩٠١)

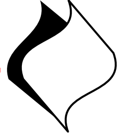
وقال الزركشي–رحمه الله–(ت: ٧٩٤ هـ): "وَلَعَلَّ أَصْحَابَ هَذَا الْوَجْهِ كَرِهُوا تَسْمِيَةَ مَعْصِيَةِ اللَّهِ صَغِيرَةً؛ إجْلَالًا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ، مَعَ أَنَّهُمْ وَافَقُوا فِي الْجَرْحِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بِمُطْلَقِ الْمَعْصِيَةِ". (١٩٠٢)

وحجتهم في هذا ما روي عن **ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**، من أن جميع المعاصي كبائر بالنسبة إلى أنها معصية لله لوجهين: أَحَدُهُمَا: كَثْرَةُ نِعَمِ مَنْ عَصَى. وَالثَّانِي: إِجْلَالُ مَنْ عَصَى، فَإِنِ اعْتَبَرْنَا الْأَوَّلَ فَنِعَمُ اللَّه غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ، كَمَا قَالَ: **{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها}** [النحل: الآية: ١٨] وَإِنِ اعْتَبَرْنَا الثَّانِي فَهُوَ أَجَلُّ الْمَوْجُودَاتِ وَأَعْظَمُهَا، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ عِصْيَانُهُ فِي غَايَةِ الْكِبَرِ، فَثَبَتَ أَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ فَهُوَ كَبِيرَةٌ. (١٩٠٣)

(١٩٠١) "تهذيب الفروق" هامش "الفروق" للقرافي جـ ١ ص ١٣٤.

(١٩٠٢) "البحر المحيط" (٦/ ١٥٢، ١٥٣)؛ للزركشي.

(١٩٠٣) "تفسير النيسابوري" (٢/ ٤٠٣، ٤٠٤)؛ للحسن بن محمد النيسابوري. وينظر: "مفاتيح الغيب" (١٠/ ٦٠)؛ للفخر الرازي.



جواب الجمهور على هذه الاستدلالات.

١ – من قال: إنها سميت كبائر بالنسبة لما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر. [١٩٠٤] وقد دلت النصوص الصريحة على التقسيم السابق.

وعورض ما روي عن **ابن عباس –رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**، في ذلك: بأنه ـ سبحانه وتعالى ـ أرحم الراحمين وأغنى الأغنياء عن طاعات المطيعين، وكل ذلك يوجب خفة الذنب وإن سلم أن الذنوب كلها كبائر من حيث إنها ذنوب، ولكن بعضها أكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت. [١٩٠٥]

٢ – أما قولهم: لا ذنب عندنا يغفر واجباً باجتناب ذنب آخر، بل كل ذلك كبير، غير الشرك، وتأويلهم قوله تعالى: **{إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا}** [النساء: الآية: ٣١] أن المراد الشرك لقراءة (كبير) فيقال لهم: وماذا عن قوله صلى الله عليه وسلم: **((ما اجتنبت الكبائر))**، [١٩٠٦] **((ما لم تغش الكبائر))**. [١٩٠٧]

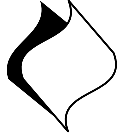
وماذا يجاب عن النصوص الصريحة في التفريق بين الصغائر والكبائر مثل قوله عز وجل: **{وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا}** [الكهف: الآية: ٤٩].

[١٩٠٤] ((شرح الطحاوية)) (ص ٤١٩)، وانظر: ((مجموع الفتاوى)) (١١/ ٦٥٧)، "مفاتيح الغيب"(١٠/ ٦٠)؛ للفخر الرازي.

[١٩٠٥] "تفسير النيسابوري" (٢/ ٤٠٣، ٤٠٤)؛ للحسن بن محمد النيسابوري. وينظر: "مفاتيح الغيب" (١٠/ ٦٠)؛ للفخر الرازي.

[١٩٠٦] رواه مسلم برقم (٢٣٣).

[١٩٠٧] رواه مسلم (٢٣٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



٣ - أما استدلالهم بقول **ابن عباس**-**رضي الله عنهما**-(**ت: ٦٨ هـ**): "كل ما نهى الله عنه كبيرة"، فيجاب عنه بأنه قد ورد أيضاً عن **ابن عباس**-**رضي الله عنهما**-(**ت: ٦٨ هـ**) أنه قال: "كل ما توعد الله عليه بالنار كبيرة" (١٩٠٨)، فالأولى أن يكون المراد بقوله: "نهى الله عنه" محمولاً على نهي خاص وهو الذي قرن به وعيد، فيحمل مطلق كلامه - رضي الله عنه - على مقيده جمعاً بين قوليه. (١٩٠٩)

وقال البيهقي-**رحمه الله**-(**ت: ٤٥٨ هـ**) في تعليقه على رواية **ابن عباس**-**رضي الله عنهما**-(**ت: ٦٨ هـ**): "كل ما نهى الله عنه كبيرة": "فيحتمل أن يكون هذا في تعظيم حرمات الله والترهيب عن ارتكابها، فأما الفرق بين الصغائر والكبائر فلابد منه في أحكام الدنيا والآخرة". (١٩١٠)

وطعن القرطبي في الرواية من جهة المتن. فقال: "ما أظنه يصح عن **ابن عباس**-**رضي الله عنهما**-(**ت: ٦٨ هـ**): "أن كل ما نهى الله عز وجل عنه كبيرة"؛ لأنه مخالف لظاهر القرآن في الفرق بين الصغائر والكبائر" ثم ذكر الآيات الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، إلى أن قال: "فكيف يخفى ذلك على حبر القرآن؟". (١٩١١)

الراجح:

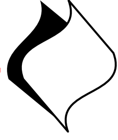
وبعد ذكر هذا الخلاف المشهور في تقسيم الذنوب والمعاصي، وذكر أدلة كل من الفريقين تبين لنا أن تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر هو الموافق لأدلة الكتاب والسنة، التي ذكرنا طرفا منها آنفا، كما أنه الأوفق لقواعد الشريعة وأصولها العقدية والفقهية العامة التي دلتنا على تفاوت أهل الجنة في الدرجات،

(١٩٠٨) ذكر هذا الأثر ابن حجر في ((فتح الباري)) (١٠/ ٤١٠) وقال: وأخرج - ابن أبي حاتم - من وجه آخر متصل لا بأس برجاله.

(١٩٠٩) انظر: ((فتح الباري)) (١٠/ ٤١٠).

(١٩١٠) ((شعب الإيمان)) (٢/ ٩٤).

(١٩١١) ينظر: ((فتح الباري)) (١٠/ ٤١٠).



وأهل النار في الدركات، كما أن المعاصي التي في حق الله وحق العباد عقوباتها الدنيوية متفاوته في شدتها وخفتها وانعدامها أحيانا، إذ ليس كل ذنب يترتب عليه حد أو تعزير، وليس كل ذنب يترتب عليه حد يساويه الذنب الآخر الذي يترتب عليه حد أيضا، فحد الزنى والسرقة وشرب الخمر والقذف وغيرها تختلف في قدرها ونوعها.

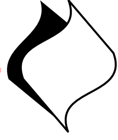
وهذا كله يدل على التفريق بين الذنوب من حيث كونها كبائر وصغائر، هذا فضلا عن النصوص المصرحة بسرد بعض الكبائر بأسمائها مما يدل على هذا التفريق، وقد مضى ذكر هذه النصوص.

فلا يمكننا العدول عن هذه النصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأقوال السلف في التفرقة بين الذنوب بجعل بعضها صغائر وبعضها كبائر و تأويلها بالتعسف إلى ما يفيد أنه لا صغيرة من الذنوب؛ إذ الأخذ بصريح الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة وآثار جمهور الصحابة والتابعين الدالة على انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر خير من تأويلها بما ينبو عنه ظاهرها وأسلم من ثنيها عن دلالتها. (١٩١٢)

بل اعتبر **ابن حجر**–**رحمه الله**–(**ت: ٨٥٢ هـ**) القول الذي لم يفرق بين الصغائر والكبائر شاذاً حيث قال: "وقد اختلف السلف، فذهب الجمهور إلى أن من الذنوب كبائر وصغائر، وشذت طائفة منهم الأستاذ **أبو إسحاق الإسفرائيني**–**رحمه الله**–(**ت: ٤١٨ هـ**) فقال: ليس في الذنوب صغيرة، بل كل ما نهى الله عنه كبيرة". (١٩١٣).

(١٩١٢) "آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد" (ص ٦٢)؛ تأليف: د. عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي . الناشر: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة حرسها الله تعالى . الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(١٩١٣) ((فتح الباري)) (١/ ٤٠٩).



قال البيهقي: "فأما الفرق بين الصغائر والكبائر فلابد منه في أحكام الدنيا والآخرة على ما جاء به الكتاب والسنة". (١٩١٤)

وقال الإمام الغزالي–رحمه الله–(ت: ٥٠٥ هـ): "إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقيه". (١٩١٥)

ـ خطر القول بأن جميع الذنوب كبائر:

مهما بلغ المرء منا من التقى والذل لله تعالى والخشوع له والانقطاع لعبادته تعالى، فلن يستطع التنزه من لمم الذنوب، وهناها فلو أجزنا القول بأن جميع معاصي الله تعالى كبائر لحكمنا على جميع المؤمنين باقتراف الكبائر، واستباحة حمى الله تعالى، وانتهاك محارمه فضلاً عن تركنا صريح النصوص سيراً مع تأويلات لا يعضدها دليل. (١٩١٦)

القول الثالث: أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وفواحش.

ذَهَبَ **الْحليمي–رحمه الله–(ت: ٤٠٣ هـ)** من الشافعية إلى أَنَّ الْمَعَاصِي تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

صَغِيرَةٌ، وَكَبِيرَةٌ، وَفَاحِشَةٌ؛ فَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَبِيرَةٌ، فَإِنْ قَتَلَ ذَا رَحِمٍ لَهُ فَفَاحِشَةٌ، فَأَمَّا الْخَدْشَةُ وَالضَّرْبَةُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فَصَغِيرَةٌ وَجَعَلَ سَائِرَ الذُّنُوبِ هَكَذَا. (١٩١٧)

(١٩١٤) شعب الإيمان للبيهقي ١/ ٤٦٤.

(١٩١٥) شرح مسلم للنووي ٢/ ٨٥؛ وفتح الباري ١٠/ ٤٠٩؛ عن كتاب البسيط للغزالي.

(١٩١٦) "آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد" (ص ٦٣) تأليف: د. عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي ـ الناشر: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة حرسها الله تعالى ـ الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(١٩١٧) "إرشاد الفحول" (١/ ١٤٥)؛ للشوكاني.

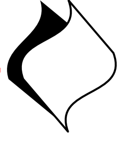
ويرى الحليمي أيضا أن الصغيرة قد تنقلب كبيرة أو فاحشة بحسب ما يقترن بها من حال، **قال ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ)**: "وَقَالَ **الْحَلِيمِيُّ-رحمه الله-(ت: ٤٠٣ هـ)** فِي الْمِنْهَاجِ: مَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَفِيهِ صَغِيرَةٌ وَكَبِيرَةٌ وَقَدْ تَنْقَلِبُ الصَّغِيرَةُ كَبِيرَةً بِقَرِينَةٍ تُضَمُّ إِلَيْهَا وَتَنْقَلِبُ الْكَبِيرَةُ فَاحِشَةً كَذَلِكَ إِلَّا الْكُفْرَ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ أَفْحَشُ الْكَبَائِرِ، وَلَيْسَ مِنْ نَوْعِهِ صَغِيرَةٌ، قُلْتُ: وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى فَاحِشٍ وَأَفْحَشَ". (١٩١٨)

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَلِيمِيُّ أَمْثِلَةً لِمَا قَالَ: فَالثَّانِي كَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَإِنَّهُ كَبِيرَةٌ فَإِنْ قَتَلَ أَصْلًا أَوْ فَرْعًا أَوْ ذَا رَحِمٍ أَوْ بِالْحَرَمِ أَوْ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَالزِّنَا كَبِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ بِحَلِيلَةِ الْجَارِ أَوْ بِذَاتِ رَحِمٍ أَوْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ فِي الْحَرَمِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ كَبِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ نَهَارًا أَوْ فِي الْحَرَمِ أَوْ جَاهَرَ بِهِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَالْأَوَّلُ كَالْمُفَاخَذَةِ مَعَ الْأَجْنَبِيَّةِ صَغِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ مَعَ امْرَأَةِ الْأَبِ أَوْ حَلِيلَةِ الِابْنِ أَوْ ذَاتِ رَحِمٍ فَكَبِيرَةٌ، وَسَرِقَةُ مَا دُونَ النِّصَابِ صَغِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ الْمَسْرُوقُ مِنْهُ لَا يَمْلِكُ غَيْرَهُ وَأَفْضَى بِهِ عَدَمُهُ إِلَى الضَّعْفِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ.

وَأَطَالَ فِي أَمْثِلَةِ ذَلِكَ وَفِي الْكَثِيرِ مِنْهُ مَا يُتَعَقَّبُ لَكِنَّ هَذَا عُنْوَانُهُ وَهُوَ مَنْهَجٌ حَسَنٌ لَا بَأْسَ بِاعْتِبَارِهِ وَمَدَارُهُ عَلَى شِدَّةِ الْمَفْسَدَةِ وَخِفَّتِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ".

وهذا الذي نقله ابن حجر عن الحليمي يوافق النصوص والقواعد والأصول؛ وذلك أن الذنوب الكبيرة تتفاوت في كبرها، كما أن الصغيرة تتفاوت فيما بينها، وقد ذكرنا النصوص التي تدل على وجود كبائر وأكبر الكبائر، وغير ذلك.

(١٩١٨) "فتح الباري" (٢/ ١٨٤)؛ لابن حجر.



المسألة الثانية: الفرق بين الصغائر والكبائر.

أولًا: تعريف الصغائر

الذّنوب هي ترك ما أمر الله -تعالى- به من أوامر، وفعل ما حذّر منه -سبحانه- ممّا جاء الأمر بفعله أو النّهي عن تركه في الأحكام الشرعيّة، سواءً كان قولاً أو فعلاً، ظاهراً كان أو باطناً. (1919)

وتُقسَم الذّنوب في الإسلام إلى قسمين؛ صغائر وكبائر، ولكلٍّ منهما مفهوم خاصّ كالآتي:

أ-التعريف اللغوي:

الصغيرة لغة: جمع صغيرة، من صغر الشيء فهو صغير وجمعه صغار، والصغيرة صفة وجمعها صغار أيضا، ولا تجمع على صغائر إلا في الذنوب والآثام. (1920).

ب-التعريف الشرعي:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الصغيرة وإن اتفق الأكثر على مضمونها، فقال بعضهم: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة. (1921). بمقابلة تعريف البعض للكبيرة.

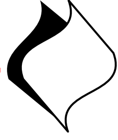
وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "أقل الأقوال (1922)، في هذه المسألة القول المأثور **عن ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**، وذكره **أبو عبيد-رحمه الله-(ت: ٢٢٤ هـ)**، **وأحمد بن**

(1919) مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع لمحمد زينو، جزء: ٢ صفحة: ٢٦٣، بتصرّف.

(1920) لسان العرب، المصباح المنير، المعجم الوسيط مادة (صغر).

(1921) ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص: ٥٢٦).

(1922) هذه المسألة تسمى عند العلماء بمسألة "أقل ما قيل" ويذكرها العلماء غالبا في كتاب الإجماع؛ لأن موضع استعمالها هو إثبات أن أقل ما قيل يعتبر إجماعا، وأحيانا تدرج في باب الأدلة المختلف فيها؛ لأنها من مسائل الإجماع المختلف فيها، وهذا صنيع كثير من المصنفين. ينظر: "البحر المحيط" (٨/ ٢٦، وما بعدها)؛ للزركشي، "المهذب في أصول الفقه" (٢/ ٩٤١، وما بعدها)؛ للدكتور/ عبد الكريم النملة.



حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، وغيرهما وهو: أن الصغيرة ما دون الحدين حد الدنيا وحد الآخرة، وهو معنى قول من قال: ما ليس فيها حد في الدنيا وهو معنى قول القائل: كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر، ومعنى قول القائل: وليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة". (١٩٢٣)

وقال ابن النجار–رحمه الله–(ت: ٦٤٣ هـ): "والصغائر هي: كل قول أو فعل محرم لا حد فيه في الدنيا ولا وعيد في الآخرة". (١٩٢٤)

صغائِر الذّنوب: كلّ ذنب عدا الكبائر؛ بمعنى أنّه لم يقترن بوعيد شديد، أو عذاب، أو دخول النار، وتُعرَّف صغائر الذنوب أيضاً بأنّها ما دون الحدّين: حدّ الدنيا، وحدّ الآخرة.

ثانيًا: تعريف الكبيرة

أ–التعريف اللغوي:

الكبائر: جمع كبيرة، والكبيرة في اللغة تعني: الشيء العظيم، وتقول: أَكْبَرْت الشيءَ أي استعظمته، والتكبير: التعظيم، ومنه قوله تعالى: **{فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ}** [يوسف: الآية: ٣١]، أي: أعظمنه، على قول أكثر المفسرين. (١٩٢٥).

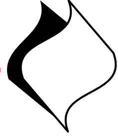
قال الفيروزآبادي–رحمه الله–(ت: ٨١٧ هـ): "الكبيرة في اللغة: مفرد كبيرات وكبائر، مؤنث الكبير، وهو: الإثم الكبير". (١٩٢٦).

(١٩٢٣) ((مجموع الفتاوى)) (١١/ ٦٥٠).

(١٩٢٤) ((شرح الكوكب المنير)) (٢/ ٣٨٨).

(١٩٢٥) انظر: لسان العرب (١٣/١٢)، وتفسير الطبري (٢٠٤/١٢)، وتفسير ابن كثير (٤٧٧/٢).

(١٩٢٦) انظر: القاموس المحيط جـ ٢ صـ ١٢٤، ولسان العرب جـ ٣ صـ ٢١٢.



قال ابن منظور–رحمه الله–(ت: ٧١١ هـ): "الكبيرة هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا لعظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف". (١٩٢٧).

فالمقصود بالكبائر إذًا: الذنوب العظام.

هل للكبائر عدد يحصرها أم لا.

وقد اتفق جمهور الناس على انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر، ثم اختلفوا في الكبائر بعد ذلك: هل لها عدد يحصرها أم لا، على قولين: (١٩٢٨)

الأول: قول الذين ذهبوا إلى القول بحصرها في عدد محدد، وهؤلاء اختلفوا في عددها:

فقيل: هي أربعة. (١٩٢٩)

وقيل: سبعة، وقيل: تسعة.

وقيل: هي إحدى عشرة.

وروي **عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**، أنه قال: "هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع. (١٩٣٠)

وقيل: هي سبعمائة. (١٩٣١)

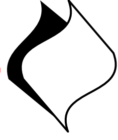
(١٩٢٧) انظر: لسان العرب جـ ٣ صـ ٢١٢، وانظر القاموس المحيط جـ ٢ صـ ١٢٤.

(١٩٢٨) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٠٣٣-١٠٤٣)، والجواب الكافي لابن القيم ص ٨٧.

(١٩٢٩) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩٢٢).

(١٩٣٠) أخرجه الطبري في التفسير (٥/٤١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩١٧، ١٩١٨).

(١٩٣١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩١٩).



وقيل غير ذلك، والصحيح أنه لا دليل من الكتاب والسنة يفيد الحصر.

الثاني: قول الذين لم يحصروها بعدد معين،

ب-التعريف الشرعي:

اختلفوا في حدِّها، وفي الضابط الذي يفرقون به بين الكبيرة والصغيرة على أقوال منها:

أولاً: أن الكبائر هي كل ما اتفقت جميعُ الشرائع على تحريمه، وما كان تحريمه في شريعة دون شريعة فهو صغيرة (١٩٣٢)، وهذا يَرِد عليه أن التزوج ببعض المحارم، أو المحرمات بالرضاعة ليس من الكبائر، إذ لم تتفق على تحريمه كل الشرائع، كما أن "الفرق بين ما اتفقت عليه الشرائع واختلفت لا يُعلم إن لم يمكن وجودُ عالم بتلك الشرائع على وجهها، وهذا غير معلوم لنا". (١٩٣٣)

ثانيًا: أن كل ما عصي الله به فهو من الكبائر، وهذا القول مروي **عن ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**. **(١٩٣٤)**

قال البيهقي-رحمه الله-(ت: ٤٥٨ هـ): "يحتمل أن يكون هذا في تعظيم حرمات الله، والترهيب عن ارتكابها، فأما الفرقُ بين الصغائر والكبائر فلا بد منه في أحكام الدنيا والآخرة على ما جاء به الكتاب والسنة". (١٩٣٥).

(١٩٣٢) انظر: الجواب الكافي ص ٨٨.

(١٩٣٣) مجموع الفتاوى (٦٥٥/١١).

(١٩٣٤) شعب الإيمان للبيهقي (٢٩٢)، وانظر: مدارج السالكين (٣٢١/١).

(١٩٣٥) شعب الإيمان (١/ ٢٧٣).

ثالثًا: أن الذنوب كلها بالنسبة إلى الجراءة على الله والتوثّب على حقه والاستهانة به تعدّ من الكبائر.[١٩٣٦]. وهذا يقتضي أن الذنوب لا تنقسم في نفسها إلى صغائر وكبائر، وهو فاسد؛ لأنه خلاف النصوص، كما أن هذا الحدّ لا يمكن من خلاله التفريقُ بين الكبائر والصغائر.

رابعًا: أن الكبائر ذنوب العَمْد، والصغائر هي: الخطأ، والنسيان، وما أكره عليه، وحديث النفس؛

قال ابن القيم–رحمه اله–(ت: ٧٥١ هـ): "هذا من أضعف الأقوال طردًا وعكسًا؛ فإن الخطأ والنسيان والإكراه لا يدخل تحت جنس المعاصي حتى يكون أحد قسميها، والعمد نوعان: نوع كبائر، ونوع صغائر [١٩٣٧]".

خامسًا: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس، والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم، وهذا القول ضعيف أيضًا؛ لأن المستحل ذنبُه دائر بين الكفر والتأويل، فإنه إن كان عالمًا بالتحريم فكافر، وإن لم يكن عالمًا به فمتأول أو مقلد، وأما المستغفر فإن استغفاره الكامل يمحو كبائره وصغائره، فلا كبيرة مع استغفار". [١٩٣٨]

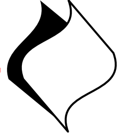
سادسًا: أن الكبائر الشرك وما يؤدي إليه، والصغائر ما عدا الشرك من ذنوب أهل التوحيد، واحتج أصحاب هذه المقالة بقوله تعالى: **{إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}** [النساء: ٤٨]، وبقوله – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه عن ربه – عز وجل –: ((**ومن لَقِيَني بقُراب الأرض خطيئةً لا يشرك بي شيئًا، لَقِيتُه بمثلها مغفرةً**)) [١٩٣٩]

[١٩٣٦] انظر: الجواب الكافي ص ٨٩.

[١٩٣٧] مدارج السالكين (١/٣٢٣).

[١٩٣٨] مدارج السالكين (١/٣٢٣).

[١٩٣٩] أخرجه مسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.



، ولا حجة لهم في الآية؛ لأن غايتها التفريق بين الشرك وغيره، إذ إن الشرك لا يغفر إلا بالتوبة منه، وأما ما دون الشرك فهو موكول إلى المشيئة، ولكنها لا تدل على أن كل ما دون الشرك فهو صغيرة في نفسه.

ومن أوعبها وأبعدها عن الاعتراض ما عرفها به **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)**؛ فقال: "الكبائر: هي ما فيها حد في الدنيا أو في الآخرة: كالزنا، والسرقة، والقذف، التي فيها حدود في الدنيا.

وكالذنوب التي فيها حدود في الآخرة وهو الوعيد الخاص: مثل الذنب الذي فيه غضب الله، ولعنته، أو جهنم، ومنع الجنة: كالسحر، واليمين الغموس، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشرب الخمر ونحو ذلك.

هكذا روي **عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، وسفيان بن عيينة–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ)، وأحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)**، وغيرهم من العلماء". [١٩٤٠]

ما روي **عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**، أنه قال: الكبيرة: هي كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب". [١٩٤١]

وقال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "الكبيرة: هي كل ذنب عظم الشارع التوعد عليه بالعقاب وشدده أو عظم ضرره في الوجود". [١٩٤٢].

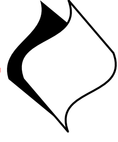
وقال ابن أبي العز–رحمه الله–(ت: ٧٩٢ هـ) –في شرحه للطحاوية–: "واختلف العلماء في الكبائر على أقوال:

فقيل: سبع.

[١٩٤٠] مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٨).

[١٩٤١] تفسير الطبري جـ ٥ صـ ٢٧، وتفسير القرطبي جـ ٥ صـ ١٥٩، شرح صحيح مسلم للنووي جـ ٢ صـ ٥٨.

[١٩٤٢] تفسير القرطبي جـ ٣ صـ ١٦٠ – ١٦١.



وقيل: سبع عشرة.

وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه.

وقيل: ما يسد باب المعرفة بالله.

وقيل: ذهاب الأموال والأبدان.

وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها.

وقيل: لا تعلم أصلا. أو: أنها أخفيت كليلة القدر.

وقيل: إنها إلى السبعين أقرب.

وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة.

وقيل: إنها ما يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا أمثل الأقوال.

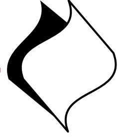
واختلفت عبارة قائليه:

منهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة.

ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار.

ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، أعني المقدرة، فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب.

وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة، كالشرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.



وترجيح هذا القول من وجوه:

أحدها: أنه هو المأثور عن السلف، **كابن عباس –رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، وابن عيينة (ت: ١٩٨ هـ)، وابن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)** –رضي الله عنهم–، وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: **{إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما}** [النساء: ٣١]. فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

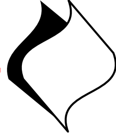
الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر،

بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبع، أو سبع عشرة، أو إلى السبعين أقرب –: مجرد دعوى.

ومن قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه –: يقتضي أن شرب الخمر، والفرار من الزحف، والتزوج ببعض المحارم، والمحرم بالرضاعة والصهرية، ونحو ذلك – ليس من الكبائر! وأن الحبة من مال اليتيم، والسرقة لها، والكذبة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك –: من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: ما سد باب المعرفة بالله، أو ذهاب الأموال والأبدان –: يقتضي أن شرب الخمر، وأكل الخنزير والميتة والدم، وقذف المحصنات – ليس من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة –: يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر! وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.



ومن قال: إنها لا تعلم أصلا، أو إنها مبهمة -: فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره. والله أعلم". (١٩٤٣)

المسألة الثالثة: الأقوال في حكم مرتكب الكبيرة.

أولًا: ملخص الأقوال في مسألة مرتكب الكبيرة.

وقد تعددت مذاهب الناس في مرتكب الكبيرة، وأشهرها ثلاثة-طرفان ووسط:

أحدها: قول الخوارج والمعتزلة.

ذهبت الخوارج والمعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، واختلفوا في تسميته في الدنيا؛ فالخوارج تسميه كافرًا، والمعتزلة تجعله في منزلة بين المنزلتين وتسميه فاسقًا، والخلاف بينهما لفظي فقط. (١٩٤٤)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وهذا قول باطل باتفاق الصحابة رضي الله عنه أجمعين وسائر أهل السنة". (١٩٤٥)

الثاني: قول المرجئة.

ذهبت المرجئة من الشيعة والأشعرية إلى عدم الجزم بتعذيب أحد من أهل التوحيد، وإن ارتكب كبيرة.

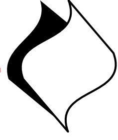
قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وهذا أيضًا باطل، بل تواترت السنن بدخول أهل الكبائر النار، وخروجهم منها بشفاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على ما جاءت به السنن". (١٩٤٦)

(١٩٤٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص: ٥٢٥-٥٢٨.

(١٩٤٤) شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية (ص: ٣٠٣).

(١٩٤٥) مختصر الفتاوى المصرية (ص: ٥٧٦).

(١٩٤٦) مختصر الفتاوى المصرية (ص: ٥٧٦).



الثالث: **قول أهل السنة والجماعة**.

وهو المذهب الحق الوسط، وبه قال أهل السنة والجماعة قاطبة، حتى صار شعارًا لهم، فقالوا: إن صاحب الكبيرة يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت بذلك النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وهو بذلك [يعني: صاحب الكبيرة] لا يخرج من الإسلام، ولا يحكم عليه بالخلود في النار، ويقولون: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وهو في مشيئة الله تعالى، إن شاء الله تعالى عذبهم بقدر معصيتهم، وإن شاء سبحانه عفا عنهم وغفر لهم، فكانوا بهذا أسعد الخلق؛ حيث أعملوا النصوص في مواضعها". (١٩٤٧)

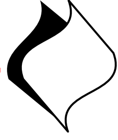
قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء به الرسول، وما تواتر عنه: أنهم من أهل الوعيد، وأنه يدخل الجنة منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها، ولا يخلد منهم فيها أحد، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء". (١٩٤٨)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وأما أهل السنة والجماعة، والصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وسائر طوائف المسلمين، من أهل الحديث، والفقهاء، وأهل الكلام، من مرجئة الفقهاء، والكرامية، والكلابية، والأشعرية، والشيعة مرجئهم وغير مرجئهم، فيقولون: إن الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة، كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة.

وهذا الشخص الذي له سيئات عذب بها، وله حسنات دخل بها الجنة، وله معصية وطاعة، باتفاق هؤلاء الطوائف، لم يتنازعوا في حكمه، لكن تنازعوا في اسمه: فقالت المرجئة–جهميتهم، وغير جهميتهم–هو: مؤمن كامل الإيمان.

(١٩٤٧) ينظر: شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية (ص: ٣٠٣)، ولوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية (٢/ ٢٧٥).

(١٩٤٨) ((الإيمان)) (ص٢٨١–٢٨٢) ((الفتاوى)) (٢٩٨/٧)؛ وانظر منه، (ص٢٤٤) ((الفتاوى)) (٢٥٨/٧).



وأهل السنة والجماعة على: أنه ناقص الإيمان؛ ولولا ذلك لما عذب، كما أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين". (١٩٤٩)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "والمرجئة تقول: هو–أي مرتكب الكبيرة–: مؤمن تام الإيمان، لا نقص في إيمانه، بل إيمانه كإيمان الأنبياء والأولياء، وهذا نزاع في الاسم.

ثم تقول فقهاؤهم ما تقوله الجماعة في أهل الكبائر: فيهم من يدخل النار، وفيهم من لا يدخل، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، واتفق عليه الصحابة، والتابعون لهم بإحسان.

فهؤلاء لا ينازعون أهل السنة والحديث في حكمه في الآخرة، وإنما ينازعونهم في الاسم". (١٩٥٠)

فمذهب أهل السنة والجماعة هو الوسط بين غلو الخوارج والمعتزلة، وجفاء المرجئة وتفريطهم، حيث قال أهل السنة: إن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته؛ لأن ارتكابه للكبيرة انتقص من كمال إيمانه الواجب، وإن لم يقدح في أصل إيمانه.

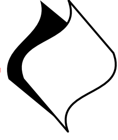
وقالوا: إن مرتكب الكبيرة إن مات غير تائب عن كبيرته فهو في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بغير عذاب، وإن شاء عذّبه إلى حين ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة، (١٩٥١) واتفقوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد. (١٩٥٢)

(١٩٤٩) ((الإيمان)) (ص٣٣٧–٣٣٨) ((الفتاوى)) (٣٥٣/٧–٣٥٤)؛ وانظر: ((شرح الأصبهانية)) (٥٨٧/٢ "١٣٨ ت مخلوف"؛ و((الفتاوى)) (٤٧٤/١٦–٤٧٥)؛ و((منهاج السنة)) (٥٧٠/٤–٥٧١).

(١٩٥٠) ((منهاج السنة)) (٢٨٤/٥).

(١٩٥١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٥/٦).

(١٩٥٢) انظر: الرد على البكري ص٤١٢.



قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقالُ ذرة من إيمان، واتفقوا أيضًا على أن نبينا يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته". (١٩٥٣)

فأما قولهم: إن مرتكب الكبيرة يسمى مؤمنًا لما عنده من أصل الإيمان، فيدل عليه قولُ الله تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...}، إلى قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات: ٩، ١٠]، فسمى الله هؤلاء مؤمنين مع ما وقع بينهم من القتال الذي يعد من أكبر الكبائر، وبين أنهم لم يخرجوا من الإيمان بالكلية (١٩٥٤)؛ ولذلك كان الإمام مالك يقول: "أهل الذنوب –أي الكبائر– مؤمنون مذنبون". (١٩٥٥)

وأما أنه ليس مؤمنًا بإطلاق، فيدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)). (١٩٥٦)

قال محمد بن علي: "قول رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: **((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ...**"**قال: يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام البتة، فإن تاب تاب الله عليه، ورجع إليه الإيمان))**". (١٩٥٧)

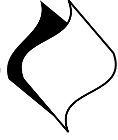
(١٩٥٣) مجموع الفتاوى (٧/٢٢٢).

(١٩٥٤) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٣٥٥).

(١٩٥٥) الجامع لأبي زيد القيرواني ص١٢٣.

(١٩٥٦) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(١٩٥٧) السنة للخلال (١٠٨٣)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٧٥٧).



وسئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: من أتى هذه الأربعة أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم ولا أسميه مؤمنًا، ومن أتى دون ذلك -يريد دون الكبائر-أسميه مؤمنًا ناقص الإيمان". (١٩٥٨)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فأحمد بن حنبل لم يرد قط أنه سلب جميع الإيمان، فلم يبق معه منه شيء كما تقوله الخوارج والمعتزلة، فإنه قد صرح في غير موضع بأن أهل الكبائر معهم إيمان يخرجون به من النار، واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان"(١٩٥٩) وليس هذا قوله، ولا قول أحد من أئمة أهل السنة؛ بل كلهم متفقون على أن الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الإيمان يخرجون به من النار، هو الفارق بينهم وبين الكفار والمنافقين، لكن إذا كان معه بعضُ الإيمان لم يلزم أن يدخل في الاسم المطلق الممدوح"(١٩٦٠)

ولكن ألا يجوز أن يقال مطلقًا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن؟

"الصحيح التفصيل: فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة، قيل: هو مؤمن، وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين، وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة، قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة؛ بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار، ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه؛ ولهذا قال من قال: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان". (١٩٦١).

وأما قولهم: إنه في الآخرة في مشيئة الله، فيدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه". (١٩٦٢).

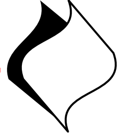
(١٩٥٨) مجموع الفتاوى (٧/٢٥٤).

(١٩٥٩) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١٩٦٠) مجموع الفتاوى (٧/٢٥٧).

(١٩٦١) مجموع الفتاوى (٧/٣٥٤،٣٥٥).

(١٩٦٢) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وقد تقدم تخريجه.



وأما قولهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع في أهل الكبائر، فيدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)). (١٩٦٣)، وغيره من الأحاديث، وهي كثيرة مستفيضة في هذا المعنى.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "قد ثبت بالسنة المستفيضة المتواترة باتفاق الأمة أن النبي–صلى الله عليه وسلم–الشافع المشفع، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به، ويطلبون منه أن يشفع لهم، ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد". (١٩٦٤)

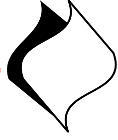
قال الشيخ حافظ الحكمي–رحمه الله–(ت: ١٣٧٧ هـ): عندما سئل عن الجمع بين قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: ((**فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**)) متفق عليه، وبين ما تقدم من أن من رجحت سيئاته بحسناته دخل النار؟

فأجاب: لا منافاة بينهما، فإن من يشأ الله أن يعفو عنه، يحاسبه الحساب اليسير الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالعرض، وقال في صفته: ((**يدنو أحدكم من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقول: عملت كذا وكذا، فيقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا، فيقول: نعم. فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**)). (١٩٦٥)

(١٩٦٣) أخرجه أحمد (١٢٨١٠)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال العجلوني في كشف الخفا (١٤/٢): صححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وقال البيهقي: إسناده صحيح. اه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧١٤).

(١٩٦٤) الرد على البكري ص ٤١٢.

(١٩٦٥) رواه البخاري (٧٥١٤)، ومسلم (٢٧٦٨).



وأما الذين يدخلون النار بذنوبهم فهم ممن يناقش الحساب، وقد قال-صلى الله عليه وسلم-: ((**من نوقش الحساب عذب**)). (١٩٦٦) (١٩٦٧)

ثانيًا: تفصيل الأقوال في المسألة.

القول الأول: قول أهل السنة في مسألة مرتكب الكبيرة:

يتمثل موقف السلف من مرتكب الكبيرة في تنزيل آيات الكتاب منازلها، وإعمال سنة النبي-صلى الله عليه وسلم-في مواضعها؛ وجماع ذلك في قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}** [النساء: الآية: ٤٨].

والمراد من الآية: في قوله: **{لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}**، أي أن الله تعالى لا يغفر لمشرك مات على شركه.

وفي قوله تعالى: **{لِمَنْ يَشاءُ}** نعمة عظيمة من وجهين:

أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميّت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب، وإن مات مُصرًّا.

والثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع". (١٩٦٨)

فمن لقي الله بالكبائر دون توبة: فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له؛ لقول الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء: الآية: ٤٨].

(١٩٦٦) "أعلام السنة المنشورة" (١٧١).

(١٩٦٧) المصدر: الكبائر وحكم مرتكبها، موقع الألوكة، وموقف السلف من مرتكب الكبيرة على موقع سلف للبحوث والدراسات على الشبكة العنكبوتية.

(١٩٦٨) زاد المسير (١/ ٤١٨).

قال ابن جرير الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): "وقد أبانت هذه الآية أنّ كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شركًا بالله". (١٩٦٩)

وظواهر الأدلة الشرعية تقرر أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هم السابقون بالخيرات، وليسوا المقتصدين، فضلا عن الظالمين لأنفسهم.

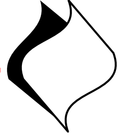
ومن ذلك: ما روى **أحمد–رحمه الله–(تك ٢٤١ هـ) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ–رضي الله عنه–(ت: مابين ٣١ إلى ٣٩ هـ)** قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَقُولُ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ}** [فاطر: الآية:٣٢]، **فَأَمَّا الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الَّذِينَ اقْتَصَدُوا فَأُولَئِكَ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحَاسَبُونَ فِي طُولِ الْمَحْشَرِ، ثُمَّ هُمُ الَّذِينَ تَلَافَاهُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} {فاطر: الآية:٣٤[، إِلَى قَوْلِهِ: {لُغُوبٌ}** [فاطر: الآية:٣٥].

وعن **علي بن أبي طلحة–رحمه الله–(ت: ١٤٣ هـ) عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)** قال في تفسير الآية: "هم أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ورثهم الله كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب". (١٩٧٠)

وعن أَبِي وائل–رحمه الله–(ت: ٨٢ هـ) عن **عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)** قال: "هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة؛ ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاءوا

(١٩٦٩) "تفسير الطبري" (٨ / ٤٥٠).

(١٩٧٠) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/٤٦٥).



بذنوب عظام، إلا أنهم لم يشركوا بك، فيقول الرب: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي، وتلا عبد الله هذه الآية: **{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}** [فاطر: الآية:٣٢]". [١٩٧١]

وفي الحديث عن **عبادة بن الصامت–رضي الله تعالى عنه–(ت: ٣٤ هـ)** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: ((**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه قال فبايعناه على ذلك**)). [١٩٧٢]

وفي الصحيحين من حديث **أبي ذر–رضي الله عنه–(ت: ٣١أو ٣٢ هـ)**، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال وإن رغم أنف أبي ذر**)).

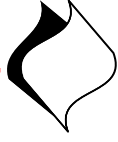
فدلت هذه الأحاديث على أن مرتكب الكبيرة تحت المشيئة إن شاء الله عز وجل عفا عنه، وإن شاء عذبه، لكن آخر أمره إلى الجنة، ولو كان يكفر بكبيرته لكان من أهل النار خالداً فيها مخلداً.

فصاحب الكبيرة إذا لقي الله بها من غير توبة، فهو ظالم لنفسه، وهذا يحاسب، ويوازن بين حسناته وسيئاته، فإن رجحت سيئاته، كان من أهل النار، إلا أن يعفو الله عنه.

وقد يحاسب حسابا يسيرا، فيقرره الله بذنوبه، ثم يعفو عنه.

[١٩٧١] رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/٤٦٥).

[١٩٧٢] رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.



أولًا: حكم مرتكب الكبيرة–عند أهل السنة–في الدنيا.

ثانيًا: حكم مرتكب الكبيرة–عند أهل السنة–في الآخرة.

أولا: حكم مرتكب الكبيرة–عند أهل السنة–في الدنيا:

لبيان رأيهم نشير إلى شيء من أقوالهم:

يقول الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها". (١٩٧٣)

ويقول ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد صرح أحمد في غير موضع أن أهل الكبائر معهم إيمان". (١٩٧٤)

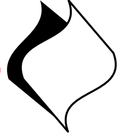
ويقول ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): ومن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل.. إلى أن قال: وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر.. ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية.. ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم". (١٩٧٥)

وسئل–**ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)**، عن العبد المؤمن هل يكفر بالمعصية أم لا؟ فأجاب بقوله: "لا يكفر بمجرد الذنب؛ فإنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الزاني غير المحصن يجلد ولا

(١٩٧٣) السنة للإمام أحمد صـ ٧٠ – ٧١.

(١٩٧٤) الفتاوى جـ ٧ صـ ٢٥٧.

(١٩٧٥) الفتاوى جـ ٣ صـ ١٥١.



يقتل، والشارب يجلد، والقاذف يجلد، والسارق يقطع، ولو كانوا كفارا: لكانوا مرتدين، ووجب قتلهم، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف". (١٩٧٦)

وقال الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ): "ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله". (١٩٧٧)

وقال **ابن أبي العز–رحمه الله–(ت: ٧٩٢ هـ)**–في شرحه هذه العبارة –: "أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج . . .". (١٩٧٨)

وقال أبو الحسن الأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ): وأجمعوا–يعني السلف–على أن المؤمن بالله وسائر ما دعاه النبي–صلى الله عليه وسلم–إلى الإيمان به لا يخرجه عنه شيء من المعاصي ولا يحبط إيمانه إلا الكفر، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم". (١٩٧٩)

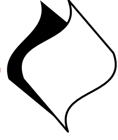
من هذه النصوص يتضح أن أهل السنة يرون أن مرتكب الكبيرة من أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان – مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته – وهو المذهب الوسط، فلم يعطوه الاسم المطلق كما قالت المرجئة، ولم يسلبوه مطلق الاسم كما قالت الخوارج.

(١٩٧٦) الفتاوى جـ ٤ صـ ٣٠٧.

(١٩٧٧) شرح الطحاوية صـ ٣٥٥ (المتن)..

(١٩٧٨) شرح الطحاوية صـ ٣٦٠–٣٦١.

(١٩٧٩) انظر: رسالة أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري صـ ٣٧٤.



أدلتهم: **وقد أيدوا قولهم بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة.**

فمن الكتاب

قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ}** [البقرة: الآية: ١٧٨].

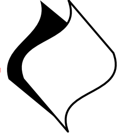
قال ابن سعدي–رحمه الله–(ت: ١٣٧٦ هـ): "في قوله {أَخِيهِ} دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا: أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه". (١٩٨٠)

ومن الكتاب–أيضا–قوله تعالى: **{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** [الحجرات: الآية: ٩].

يقول ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "يقول تعالى آمرا بالإصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: الآية: ٩]، فسماهم مؤمنين مع الاقتتال؛ وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم". (١٩٨١)

(١٩٨٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ص ٢١٦.

(١٩٨١) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٢١١.



ومن السنة ما يلي:

١ - **عن عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)** أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال–وحوله عصابة من أصحابه–: ((**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**))، فبايعناه على ذلك". (١٩٨٢)

وجه الدلالة: هو أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يحكم على مرتكبي هذه الكبائر بالكفر. وهذا يتناول جميع الكبائر – عدا الشرك – للأدلة التي جاء فيها أن الله لا يغفر أن يشرك به أبدا.

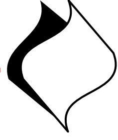
ويقول النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): وقوله–صلى الله عليه وسلم–: ((**ومن أصاب شيئا من ذلك**)) إلى آخره. (١٩٨٣)، المراد به ما سوى الشرك، وإلا فالمشرك لا يغفر له.. إلى أن قال: وفي هذا الحديث فوائد منها: تحريم هذه المذكورات. ومنها: الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها، بل هو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، خلافا للخوارج والمعتزلة؛ فإن الخوارج يكفرون بالمعاصي". (١٩٨٤)

٢ – كذلك من السنة ما روى البخاري عن **عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–(ت: ٢٣ هـ)**: أن رجلا كان على عهد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا، وكان يضحك

(١٩٨٢) صحيح البخاري الإيمان (١٨)، صحيح مسلم الحدود (١٧٠٩)، سنن الترمذي الحدود (١٤٣٩)، سنن النسائي البيعة (٤١٦٢)، سنن ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٦)، مسند أحمد بن حنبل (٥/٣١٣)، سنن الدارمي السير (٢٤٥٣).

(١٩٨٣) صحيح البخاري الإيمان (١٨)، صحيح مسلم الحدود (١٧٠٩)، سنن الترمذي الحدود (١٤٣٩)، سنن النسائي البيعة (٤١٦١)، سنن الدارمي السير (٢٤٥٣)..

(١٩٨٤) انظر: شرح صحيح مسلم للإمام النووي جـ ١١ صـ ٢٢٣ – ٢٢٤.



رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به. فقال-صلى الله عليه وسلم-: ((**لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله**))، يقول ابن حجر-في شرحه-: ". . . وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر، لثبوت النهي عن لعنه، والأمر بالدعاء له، وفيه أنه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب؛ لأنه-صلى الله عليه وسلم-أخبر بأن المذكور يحب الله ورسوله، ويؤخذ منه تأكيد ما تقدم: أن نفي الإيمان عن شارب الخمر لا يراد به زوآله بالكلية، بل نفي كماله - كما تقدم". [(١٩٨٥)]. وغيرها من الأدلة الكثيرة.

ثانيًا: حكم مرتكب الكبيرة-عند أهل السنة-في الآخرة:

بعد أن بينا رأى أهل السنة في مرتكب الكبيرة في الدنيا نشير إلى رأيهم فيه في الآخرة - والمراد بيان حكمهم في مرتكب الكبيرة الذي مات من غير توبة؛ إذ من المعلوم أن التوبة تجب ما قبلها، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ولمعرفة رأيهم نذكر شيئا من أقواله م في ذلك.

يقول الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار، ويخرج قوم من النار بشفاعة الشافعين، ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار، وقوم يخلدون فيها أبدا، وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل". [(١٩٨٦)]

ويقول ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): وهم - أي أهل السنة - في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي-صلى الله عليه وسلم-. وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل

[(١٩٨٥)] انظر: فتح الباري لابن حجر جـ ١٢ صـ ٧٨.

[(١٩٨٦)] السنة للإمام أحمد صـ ٧٢ -٧٣.

إيمان الأنبياء.. ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية، فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته". (١٩٨٧)

ويقول الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ): "وأهل الكبائر من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: سورة النساء الآية ٤٨ {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}. وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته، وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته". (١٩٨٨).

ومن هذه النصوص يتضح: أن أهل السنة وسط في حكم مرتكب الكبيرة الذي مات من غير توبة: فلم يقولوا: بعدم دخوله النار كما قالت المرجئة.

ولم يقولوا بتخليده فيها–كما قالت الخوارج–وإنما قالوا: هو تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة، فلا يخلد في النار.

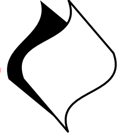
أدلتهم: وقد أيدوا قولهم بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، وإيثارا للإيجاز نذكر شيئا منها.

(أ) أدلتهم من الكتاب:

١ – قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء: الآية: ٤٨].

(١٩٨٧) الفتاوى جـ ٣ صـ ٣٧٤..

(١٩٨٨) الطحاوية (مع الشرح) صـ ٤١٦ – ٤١٧.



يقول ابن جرير–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): ". . . وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله". (١٩٨٩).

وقال ابن الجوزي–رحمه الله–(ت: ٥٩٧ هـ): والمراد من الآية أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، وفي قوله: سورة النساء الآية ٤٨ {لِمَنْ يَشَاءُ} نعمة عظيمة من وجهين، أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب وإن مات مصرا. الثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين وهو أن يكونوا على خوف وطمع". (١٩٩٠)

٢ – ومن الكتاب أيضا: قوله تعالى: **{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [التوبة: الآية: ١٠٢].

يقول ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ)–في تفسير هذه الآية–: "لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها.. شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق. فقال: **{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ}** [التوبة: الآية: ١٠٢]. أي أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخرى صالحة خلطوا هذه بتلك، فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه". (١٩٩١)

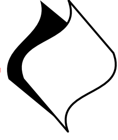
وقال ابن سعدي–رحمه الله–(ت: ١٣٧٦ هـ): ".. فهذه الآية دالة على أن المخلط المعترف النادم الذي لم يتب نصوحا أنه تحت الخوف والرجاء وهو إلى السلامة أقرب". (١٩٩٢).

(١٩٨٩) تفسير الطبري ج ٥ ص ٨٠.

(١٩٩٠) تفسير ابن الجوزي ج ٢ ص ١٠٣ – ١٠٤.

(١٩٩١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٤٤ – ١٤٥.

(١٩٩٢) تفسير ابن سعدي ج ٣ ص ١٣٨.



وقال أبو بكر الجزائري–رحمة الله–(ت: ١٤٣٩ هـ): "إن من هداية هذه الآية: الرجاء لأهل التوحيد الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا بأن يغفر الله لهم ويرحمهم". [١٩٩٣]

(ب): أدلتهم من السنة: وهي كثيرة منها:

١ – **حديث عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)** السابق ذكره آنفا. فإن فيه: **((ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه))**. [١٩٩٤]

يقول النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): وفي هذا الحديث فوائد منها: ". . . الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها، بل هو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه..". [١٩٩٥]

٢ – **حديث أبي ذر–رضي الله عنه–(ت: ٣١ أو ٣٢ هـ)**، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: **((أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال: بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. فقلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق))**. [١٩٩٦]. الحديث.

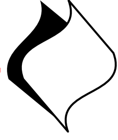
يقول النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "وأما حكمه–صلى الله عليه وسلم –على من مات مشركا بدخول النار، ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة: فقد أجمع عليه المسلمون، فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه.

[١٩٩٣] تفسير الجزائري جـ ٣ صـ ٢٣٤.

[١٩٩٤] صحيح البخاري الإيمان (١٨)، صحيح مسلم الحدود (١٧٠٩)، سنن الترمذي الحدود (١٤٣٩)، سنن النسائي البيعة (٤١٦٢)، سنن الدارمي السير (٢٤٥٣).

[١٩٩٥] انظر: شرح صحيح مسلم للنووي جـ ١١ صـ ٢٢٣–٢٢٤.

[١٩٩٦] صحيح البخاري الجنائز (١١٨٠)، صحيح مسلم الزكاة (٩٤)، سنن الترمذي الإيمان (٢٦٤٤)، مسند أحمد بن حنبل (٥/١٥٩).



وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أولا، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل أولا، وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة، والله أعلم.

وأما قوله–صلى الله عليه وسلم–: ((وإن زنى وإن سرق)) فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة". (١٩٩٧)

٣ – ما رواه **عبادة–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)**، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)).

قال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "قوله: **((أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))**، هذا محمول على إدخاله الجنة في الجملة، فإن كانت له معاص من الكبائر فهو في المشيئة، فإن عذب ختم له بالجنة". (١٩٩٨)

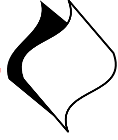
٤ – كذلك من أدلتهم تحقق الشفاعة الثابتة بالقرآن والسنة التي تدل على أن مرتكبي الكبائر لا يخلدون في النار إن دخلوها.

قال تعالى: **{مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ}** [يونس: الآية: ٣].

وقال تعالى: **{يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}** {طه: الآية: ١٠٩].

(١٩٩٧) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم جـ ٢ صـ ٩٧.

(١٩٩٨) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم جـ ١ صـ ٢١٧.



فهاتان الآيتان وأمثالهما: فيها إثبات للشفاعة بالشروط التي أشارت إليها الآيتان. وهي: الإذن من الله للشافع ورضا الله عن المشفوع له، والإذن من الله للشافع يعطيه الصلاحية للشفاعة، ورضاه سبحانه عن المشفوع له يقتضي أن يكون مسلما موحدا.

وصاحب الكبيرة مسلم موحد". (١٩٩٩)

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)، قال: قال–صلى الله عليه وسلم–: **((لكل نبي دعوة مستجابة، فتجعل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة–إن شاء الله–من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا))**. (٢٠٠٠)

يقول النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "وأما قوله–صلى الله عليه وسلم–: **((فهي نائلة – إن شاء الله تعالى – من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا))**. (٢٠٠١). ففيه دلالة لمذهب أهل الحق أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد في النار وإن كان مصرا على الكبائر". (٢٠٠٢)

وعن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–(ت: ٧٤ هـ)، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: **((يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان))**. (٢٠٠٣). الحديث.

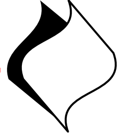
(١٩٩٩) انظر: براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة صـ ٢٦.

(٢٠٠٠) صحيح البخاري الدعوات (٥٩٤٥)، صحيح مسلم الإيمان (١٩٩)، سنن الترمذي الدعوات (٣٦٠٢)، سنن ابن ماجه الزهد (٤٣٠٧)، مسند أحمد بن حنبل (٢/٤٢٦)، موطأ مالك كتاب النداء للصلاة (٤٩٢)، سنن الدارمي الرقاق (٢٨٠٥).

(٢٠٠١) صحيح البخاري الجنائز (١١٨٠)، سنن الترمذي الإيمان (٢٦٤٤)، مسند أحمد بن حنبل (٥/١٥٩).

(٢٠٠٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم جـ ٣ صـ ٧٥.

(٢٠٠٣) صحيح البخاري الإيمان (٢٢).



وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–(ت: ٩١ أو ٩٢ أو ٩٣ هـ)، عن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: ((**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)).

فهذه الأحاديث وأمثالها تدل على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر، وأنه يخرج بها من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ومرتكب الكبيرة معه إيمان فهي نائلته – إن شاء الله – وإذا كان كذلك فإنه لا يخلد في النار.

وعليه فإن مرتكب الكبيرة يدخل النار إذا لم يشأ الله المغفرة له خلافا للمرجئة لكنه لا يخلد فيها خلافا للخوارج.

القول الثاني: رأي الخوارج والمعتزلة.

أولًا: رأي الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة مع المناقشة

(أ) رأي الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة.

اختلف في قول الخوارج والمعتزلة في هذه المسألة –

١–فقال بعض كتاب الفرق إن الخوارج يجمعون على تكفير مرتكب الكبيرة، وأنه مخلد في النار. [٢٠٠٤]

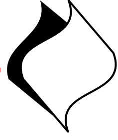
٢–وقال بعضهم: كالأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ)، [٢٠٠٥]، والبغدادي–رحمه الله–(ت: ٤٢٩ هـ)، [٢٠٠٦]: إن هذه المسألة لم يجمعوا عليها وهو الأظهر. [٢٠٠٧]

[٢٠٠٤] كالكعبي انظر: الفرق بين الفرق صـ ٧٢، والشهرستاني الملل والنحل جـ ١ صـ ٥٦، والرازي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي صـ ٤٦.

[٢٠٠٥] المقالات للأشعري صـ ١٥٦.

[٢٠٠٦] الفرق بين الفرق صـ ٧٢.

[٢٠٠٧] انظر: الفرق بين الفرق صـ ٧٢



– فقد قالت الإباضية: إن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون لذا مناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، لأنهم إنما كفروا كفر نعمة لا كفر ملة. (٢٠٠٨)

كذلك النجدات أتباع **نجدة بن عامر الحنفي (ت: ٧٢ هـ)**، فرقة من فرق الخوارج (٢٠٠٩) قالوا: الفاسق من موافقيهم كافر كفر نعمة. (٢٠١٠)

أما المحكمة أول فرقة من فرق الخوارج (٢٠١١) الأولى، والأزارقة أتباع نافع بن الأزرق (ت: ٦٥ هـ). (٢٠١٢)، والعجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد. (٢٠١٣)، ومن وافقهم، فقد قرروا: أن مرتكب الكبيرة من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – كافر مخلد في النار. (٢٠١٤)

وقد وافقهم المعتزلة في الحكم الأخروي حيث قالوا: إن مرتكب الكبيرة في الآخرة مخلد في النار. إلا أنهم قالوا بأن عذابه أخف من عذاب الكافر. (٢٠١٥)

(ب) شبهاتهم والجواب عليها:

لقد تمسك الخوارج ومن وافقهم في قولهم بهذه البدعة بشبهات منها ما يلي:

(٢٠٠٨) الفرق بين الفرق صـ ٩٥، ودراسات في الفرق صـ ١٠٠.

(٢٠٠٩) . انظر: الفرق بين الفرق صـ ٨١ – ٨٤.

(٢٠١٠) الفرق بين الفرق صـ ٧٢ – ٧٣.

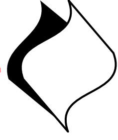
(٢٠١١) انظر: الفرق بين الفرق صـ ٧٣ – ٧٨.

(٢٠١٢) انظر: الملل والنحل جـ ١ صـ ١٦٣، والفرق بين الفرق صـ ٧٨ –٨١.

(٢٠١٣) انظر: الملل والنحل جـ ١ صـ ١٧٢، والفرق بين الفرق صـ ٨٧.

(٢٠١٤) انظر الفرق بين الفرق صـ ٧٧، ودراسات في الفرق صـ ١٠٠.

(٢٠١٥) انظر: التبصير في الدين للإسفراييني صـ ٤٢، والملل والنحل جـ ١ صـ ٤٨.



الشبهة الأولى:

قوله تعالى: **{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}** [المائدة: الآية: ٢٧].

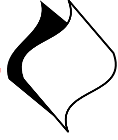
وجه الدلالة:

يقول ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بهذه الآية وقالوا: صاحب الكبيرة ليس من المتقين فلا يتقبل الله منه عملا، فلا يكون له حسنة، وأعظم الحسنات الإيمان، فلا يكون معه إيمان فيستحق الخلود في النار". (٢٠١٦).

الجواب: قال **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)**، بعد أن أورد بعض الأجوبة على هذه الشبهة قال: "والجواب الصحيح أن المراد من اتقى الله في ذلك العمل كما قال **الفضيل بن عياض–رحمه الله–(ت: ١٨٦ هـ)** في قوله تعالى: **{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}** [الملك: الآية: ٢] قال: أخلصه وأصوبه. قيل يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة فمن عمل لغير الله –كأهل الرياء– لم يقبل منه ذلك كما في الحديث الصحيح يقول الله عز وجل: **((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))**، وقال–صلى الله عليه وسلم–في الحديث الصحيح: **((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد))**. (٢٠١٧). أي فهو مردود غير مقبول. فمن اتقى الكفر وعمل عملا ليس عليه أمر النبي–صلى الله عليه وسلم–لم يقبل منه كمن صلى بغير وضوء لم يقبل منه؛ لأنه ليس متقيا في ذلك العمل وإن كان متقيا للشرك.. إلى أن قال: لا يجوز أن يراد بالآية إن الله لا يقبل العمل إلا ممن يتقي الذنوب كلها؛ لأن الكافر والفاسق حين يريد أن يتوب ليس متقيا، فلو كان قبول العمل مشروطا بكون الفاعل حين فعله لا ذنب له امتنع قبول التوبة.

(٢٠١٦) الفتاوى جـ ٧ صـ ٤٩٤ . ٤٩٥.

(٢٠١٧) صحيح مسلم الأقضية (١٧١٨)، مسند أحمد بن حنبل (٦/١٨٠).



بخلاف ما إذا اشترط التقوى في العمل، فإن التائب حين يتوب يأتي بالتوبة الواجبة، وهو حين شروعه في التوبة منتقل من الشر إلى الخير لم يخلص من الذنب، بل هو متق في حال تخلصه منه.

وأيضا فلو أتى الإنسان بأعمال البر–وهو مصر على كبيرة ثم تاب لوجب أن تسقط سيئاته بالتوبة وتقبل منه تلك الحسنات–وهو حين أتى بها كان فاسقا وأيضا: الكافر إذا أسلم وعليه للناس مظالم.. وكذلك الذمي إذا أسلم – قبل إسلامه مع بقاء مظالم العباد عليه؛ فلو كان العمل لا يقبل إلا ممن لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى يتوب من الفواحش.. بل يكون مع إسلامه مخلدا.

وقد كان الناس مسلمين في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولهم ذنوب وعليهم تبعات فيقبل إسلامهم.. ولا نعرف أحدا من المسلمين جاءه ذمي يسلم فقال له لا يصح إسلامك حتى لا يكون عليك ذنب وكذلك سائر أعمال البر من الصلاة والزكاة وغيرهما". (٢٠١٨)

فإذا كان المراد بالمتقين في ذلك العمل الذي وعد بقبوله لم يلزم عدم قبول العمل من صاحب الكبيرة وبذلك يبطل الاستدلال بالآية على تخليد صاحب الكبيرة في النار. والله أعلم.

الشبهة الثانية:

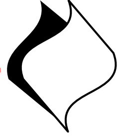
قوله تعالى: **{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}** [التوبة: الآية: ٤٩].

وجه الدلالة: قالوا: والفاسق تحيط به جهنم فوجب أن يكون كافرا. (٢٠١٩)

الجواب: نقول: إن الآية تؤكد بأن جهنم محيطة بالكافرين وهو من أنواع عذاب الله لهم لكنها لم تقصر الإحاطة بهم؛ إذ أنه سبحانه لم يقل: وإن جهنم لا تحيط إلا بالكافرين وليس يلزم من كونها محيطة بقوم إلا

(٢٠١٨) انظر: الفتاوى جـ ٧ صـ ٤٩٥ ـ ٤٩٨.

(٢٠١٩) شرح نهج البلاغة جـ ٨ صـ ١٥.



تحيط بقوم سواهم، أي لا يلزم من كونها محيطة بالكافرين إلا تحيط بالفاسقين وعليه فلا دلالة في الآية على ما يزعمونه. (٢٠٢٠)

الشبهة الثالثة:

قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}** [التغابن: الآية: ٢].

وجه الدلالة: قالوا: إن هذا يقتضي أن من لا يكون مؤمنًا فهو كافر، والفاسق ليس بمؤمن فوجب أن يكون كافرًا. (٢٠٢١)

الجواب: يقال لهم: أولا: أما قولكم الفاسق ليس بمؤمن، إن أردتم ليس بمؤمن كامل الإيمان فنحن نوافقكم على ذلك، وإن أردتم نفي الإيمان المطلق فهذا مردود، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، وكونه مؤمنا ناقص الإيمان لا ينافي نسبته إلى الفئة المؤمنة بدليل أن الله نسبه إلى المؤمنين في قوله تعالى: **{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}** الآية [الحجرات: الآية: ٩]، وإذا كان كذلك فلا دلالة في الآية على ما تزعمونه.

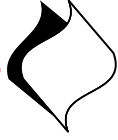
ثانيا: على التسليم بأن الفاسق لا ينسب إلى الفئة المؤمنة فإن (من) هاهنا للتبعيض، وليس في ذكر التبعيض نفي الثالث، وهو الفاسق: المؤمن بإيمانه الفاسق بكبيرته، أو المؤمن ناقص الإيمان.

كما أن قوله: **{وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ}** الآية [النور: الآية: ٤٥]، لا ينبغي وجود دابة تمشي على أكثر من أربع كبعض الحشرات. (٢٠٢٢). وبذلك يبطل استدلالكم بالآية على تكفير الفاسق. والله أعلم

(٢٠٢٠) انظر: نهج البلاغة جـ ٨ صـ ١٥.

(٢٠٢١) انظر: نهج البلاغة جـ ٨ صـ ١١٨.

(٢٠٢٢) انظر: نهج البلاغة جـ ٨ صـ ١١٨.



الشبهة الرابعة:

استدلوا بعموم النصوص التي فيها الوعيد بالتخليد لأصحاب الكبائر

كقوله تعالى: **{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا}** [النساء: الآية: ١٤]، وقال الله تعالى: **{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}** [النساء: الآية: ٩٣].

وقوله تعالى: **{وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا}** [الفرقان: الآية: ٦٨]. وغيرها كثير. (٢٠٢٣)

وجه الاستدلال: قالوا هذه النصوص فيها الوعيد بالتخليد لأصحاب الكبائر في النار ولا يخلد في النار إلا الكفار. (٢٠٢٤).

الجواب: في الإجابة عن هذه النصوص أقوال منها.

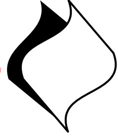
الأول: أن المراد بالخلود لمستحل هذه الكبائر، والمستحل كافر إجماعا، والكافر مخلد. (٢٠٢٥).. لما روي عن ابن عباس في معنى قوله **{مُتَعَمِّدًا}** أنه قال متعمدا: أي مستحلا لقتله فهذا يئول إلى الكفر إجماعا والكافر مخلد. (٢٠٢٦).

(٢٠٢٣) انظر: الفصل جـ ٤ صـ ٤٦، ولوامع الأنوار البهية جـ ١ صـ ٣٧٠.

(٢٠٢٤) انظر: لوامع الأنوار البهية جـ ١ صـ ٣٦٨، والفصل جـ ٤ صـ ٤٦.

(٢٠٢٥) لوامع الأنوار البهية جـ ١ صـ ٣٧٠.

(٢٠٢٦) انظر: تفسير القرطبي جـ ٥ صـ ٣٣٤..



وقال أبو السعود–رحمه الله–(ت: ٩٨٢ هـ): "ولا دليل في الآية على القول بخلود عصاة المؤمنين في النار لما قيل إنها في حق المستحل، كما هو رأي عكرمة وأحزابه، بدليل أنها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد". (٢٠٢٧)

وقال الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ) في قوله: **{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ}** [النساء: الآية: ١٤]، قال: فإن قال قائل: أو مخلد في النار من عصى الله ورسوله في قسمة الميراث؟ قيل: نعم. إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكا في أن الله فرض عليه ما فرض على عباده في هاتين الآيتين، أو علم ذلك فحاد الله ورسوله في أمرهما. (٢٠٢٨)

وقال الشوكاني–رحمه الله–(ت: ١٢٥٠ هـ) في قوله: **{وَلَا يَزْنُونَ}** [الفرقان: الآية: ٦٨]، "أي فيستحلون الزوجة المحرمة بغير نكاح". (٢٠٢٩)

وعلى هذا فالآيات لا تتناول صاحب الكبيرة؛ لأنها في الكافر.

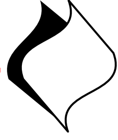
الثاني: أن الجزاء في الآيات ليس المقصود وقوعه وإنما الإخبار به. (٢٠٣٠)

(٢٠٢٧) تفسير أبي السعود جـ ٢ صـ ٢١٧.

(٢٠٢٨) تفسير الطبري جـ ٨ صـ ٧٢.

(٢٠٢٩) انظر: تفسير الشوكاني جـ ٤ صـ ٨٨.

(٢٠٣٠) انظر: لوامع الأنوار البهية جـ ١ صـ ٣٧٠.



يقول الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): وقوله تعالى: **{فَجَزَاؤُهُ}** [النساء: الآية: ٩٣]، أي يستحق ما ذكره الله من العقاب إن شاء أن يجازيه. (٢٠٣١).. **وقال أبو السعود–رحمه الله–(ت: ٩٨٢ هـ)** بمثل ذلك. (٢٠٣٢)، وإذا كان كذلك فلا دلالة في الآيات على تخليد أهل الكبائر في النار.

الثالث: وهو الأظهر: أن هذه النصوص مخصوصة بالنصوص الدالة على العفو بمشيئة الله، والتوبة، وأحاديث الشفاعة الدالة على إخراج الموحدين من النار.

يقول القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ) بعد ذكر قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا} [النساء: الآية: ٩٣]، "الآية مخصوصة بآيات وأحاديث، فمن الآيات قوله تعالى: **{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}** [هود: الآية: ١١٤]، وقوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}** [الشورى: الآية: ٢٥]، وقوله تعالى: **{وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء: الآية: ٤٨].

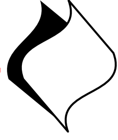
وتوضيح ذلك أنه ليس الأخذ بظاهر هذه النصوص أولى من الأخذ بظاهر تلك النصوص، والأخذ بالظاهرين متناقض فلا بد من التخصيص.

وأما الأخبار المخصصة لعموم الآية فكثيرة، منها: حديث عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ) أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: ((**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا . . . إلى أن قال: فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**)). (٢٠٣٣)

(٢٠٣١) مختصر تفسير الطبري صـ ٧٤.

(٢٠٣٢) تفسير أبي السعود جـ ٢ صـ ٢١٧.

(٢٠٣٣) صحيح البخاري المناقب (٣٦٧٩)، صحيح مسلم الحدود (١٧٠٩)، سنن الترمذي الحدود (١٤٣٩)، سنن النسائي البيعة (٤١٦١)، سنن الدارمي السير (٢٤٥٣).



وحديث **أبي هريرة**–**رضي الله عنه**–(**ت: ٥٧ هـ**) في الرجل الذي قتل مائة نفس. (٢٠٣٤).

ثم إنهم ــ الخوارج ومن وافقهم ــ قد أجمعوا معنا في الرجل يشهد عليه بالقتل أو الزنا ويقر بأنه قتل أو زنى ويأتي السلطان فيقيم عليه الحد، فهذا غير نافذ عليه الوعيد في الآخرة إجماعا على مقتضى حديث عبادة. فقد انكسر عليهم ما تعلقوا به من عموم هذه النصوص ودخلها التخصيص بما ذكر". (٢٠٣٥)

من كلام **القرطبي**–**رحمه الله**–(**ت: ٦٧١ هـ**): يظهر أن هذه النصوص مخصصة بالنصوص الدالة على العفو والتوبة. وعلية فيبطل الاستدلال بعمومها على تخليد أصحاب الكبائر في النار، والله أعلم.

الشبهة الخامسة:

استدلوا بما روى **أبو هريرة**–**رضي الله عنه**–(**ت: ٥٧ هـ**)، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**)). (٢٠٣٦). الحديث.

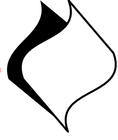
وجه الاستدلال: أن ظاهر الحديث يدل على نفي الإيمان عمن أتى شيئا من هذه الكبائر ومن نفى عنه الإيمان فهو كافر.

يقول السمائلي–**أحد علمائهم**–(**ت: ١٤١٤ هـ**): "الإيمان في قلوب أهله أثبت من الجبال الرواسي على قرارها، فلا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن: أي لا يبقى إيمان مع الزنا، فإنه إذا أقدم على الزنا خلع ربقة الإيمان من عنقه، فيزني وهو خارج من حيطة الإيمان الصحيح، إذ صار منتهكا لحرم ربه–عز وجل–

(٢٠٣٤) رواه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة وإن كثر قتله برقم ٤٦. انظر صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢١١٨.

(٢٠٣٥) انظر: تفسير القرطبي جـ ٥ صـ ٣٣٤ بتصرف.

(٢٠٣٦) صحيح البخاري الأشربة (٥٢٥٦)، صحيح مسلم الإيمان (٥٧)، سنن الترمذي الإيمان (٢٦٢٥)، سنن النسائي الأشربة (٥٦٥٩) ، سنن أبو داود السنة (٤٦٨٩)، سنن ابن ماجه الفتن (٣٩٣٦)، مسند أحمد بن حنبل (٢/٣٨٦)، سنن الدارمي الأشربة (٢١٠٦).



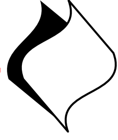
فهو لا يقف على حدود طاعة الله تعالى، ومن كان كذلك فلا فرق بينه وبين الحيوان كما لا فرق بينه وبين الكافر". (٢٠٣٧)

الجواب: **يقول ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)**: "الجمهور من السلف والخلف يقولون الإسلام أوسع من الإيمان، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، ويقولون في قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**)). (٢٠٣٨). الحديث، أنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ودوروا للإسلام دارة ودوروا للإيمان دارة أصغر منها في جوفها وقالوا: إذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام إلى الكفر، ودليل ذلك أن الله تبارك وتعالى قال: **{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا}** [الحجرات: الآية: ١٤]، فقد قال تعالى: {لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: الآية: ١٤]، وهذا الحرف-أي لما-ينفي به ما قرب وجوده وانتظر وجوده ولم يوجد بعد. . . فلما قالوا: **{آمَنَّا}** قيل **{لَمْ تُؤْمِنُوا}** بعد، بل الإيمان مرجو منتظر منكم. فالخطاب لهؤلاء المخاطبين قد أخبر عنهم أنهم لما يدخل الإيمان في قلوبهم ومع ذلك قيل لهم: **{وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا}** [الحجرات: الآية: ١٤].

فلو لم يكونوا في هذه الحال مثابين على طاعة الله ورسوله لكان خلاف مدلول الخطاب. والإثابة على الطاعة تدل على وجود إيمان تصح به الطاعة ثم بين سبحانه وصف المؤمنين الذين أخرج هؤلاء منهم فقال سبحانه: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}** [الحجرات: الآية: ١٥]، وهذا نعت محقق الإيمان لا نعت من معه مثقال ذرة من إيمان كما في قوله تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ**

(٢٠٣٧) أصدق المناهج للسمائلي ص ٣٤-٣٥.

(٢٠٣٨) صحيح البخاري الأشربة (٥٢٥٦)، صحيح مسلم الإيمان (٥٧)، سنن الترمذي الإيمان (٢٦٢٥)، سنن النسائي الأشربة (٥٦٥٩)، سنن أبو داود السنة (٤٦٨٩)، سنن ابن ماجه الفتن (٣٩٣٦)، مسند أحمد بن حنبل (٣٨٦/٢)، سنن الدارمي الأشربة (٢١٠٦).



وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [الأنفال: الآية: ٢] ، ومنه قوله–صلى الله عليه وسلم–: ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**))، وأمثال ذلك ، فدل البيان على أن الإيمان المنفي عن هؤلاء الأعراب: هو هذا الإيمان الذي نفي عن فساق أهل القبلة الذين لا يخلدون في النار، بل قد يكون مع أحدهم مثقال ذرة من إيمان، ونفي هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد صاحبه في النار". (٢٠٣٩)

وعلى ذلك فالإيمان المنفي عن الزاني إنما هو الإيمان الكامل. (٢٠٤٠). ونفي هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد في النار.

ومما يؤكد ذلك ما ورد في الصحيحين عن **أبي ذر–رضي الله عنه–(ت: ٣١ أو ٣٢ هـ)**أنه قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((أتاني جبريل – عليه السلام – فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق)). الحديث. (٢٠٤١)

فدل هذا على أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة بمشيئة الله، وإن ارتكب بعض الكبائر كالزنا والسرقة مما يدل على أن ارتكاب هذه الكبائر لا يخرج من الإيمان إلى الكفر وإنما ينقص الإيمان، وإذ كان كذلك فلا دلالة في الحديث على ما يزعمونه، والله أعلم.

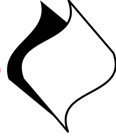
الشبهة السادسة:

قوله–صلى الله عليه وسلم–: ((**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**)).

(٢٠٣٩) الفتاوى جـ ٧ صـ ٤٧٦، ٤٧٨ بتصرف.

(٢٠٤٠) انظر: قواعد العقائد للغزالي صـ ٢٥٩. وشرح صحيح مسلم للنووي جـ ٢ صـ ٤١.

(٢٠٤١) صحيح البخاري الرقاق (٦٠٧٨)، صحيح مسلم الإيمان (٩٤)، سنن الترمذي الإيمان (٢٦٤٤)، مسند أحمد بن حنبل (٥/١٥٢).



يقول ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): "واحتج أيضا من كفر من ذكرنا بأحاديث منها قوله–صلى الله عليه وسلم–: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر".

ويقول ابن حجر–رحمه الله–(: ٨٥٢ هـ)، –بعد سياقه هذا الحديث–: إن ظاهره يقوي مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي". (٢٠٤٢)

الجواب: **يقول ابن حجر–رحمه الله–(: ٨٥٢ هـ)**، –بعد أن أورد هذا الحديث–: "ولا مستمسك للخوارج فيه لأن ظاهره غير مراد، لكن لما كان القتال أشد من السباب؛ لأنه مفض إلى إزهاق الروح، عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر، ولم يرد حقيقة الكفر المخرج من الملة، بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير معتمدا على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة، مثل حديث الشفاعة، ومثل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: الآية: ١١٦].

أو أطلق عليه الكفر لشبهه به؛ لأن قتال المؤمن من شأن الكافر". (٢٠٤٣)

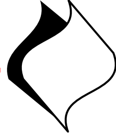
وقال ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): إن قوله – عليه الصلاة والسلام – ((**المسلم**)) هاهنا عموم للجنس ولا خلاف في أن من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لإسلامهم فهو كافر. برهان هذا هو ما ذكرنا قبل من نص القرآن في أن القاتل عمدا والمقاتل مؤمنان، وكلامه–صلى الله عليه وسلم–لا يتعارض ولا يختلف". (٢٠٤٤)

من كلام ابن حجر وابن حزم يتضح أنه لا يراد بالحديث الحكم بالكفر المخرج من الملة على مرتكب كبيرة القتل، وإذا كان كذلك لم يبق للخوارج مستمسك في الحديث، والله أعلم.

(٢٠٤٢) فتح الباري لابن حجر جـ ١ صـ ١١٢.

(٢٠٤٣) فتح الباري جـ ١ صـ ١١٢.

(٢٠٤٤) الفصل لابن حزم جـ ٣ صـ ٢٣٧.



الشبهة السابعة:

يقول ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)، -بعد أن ذكر رأيهم في مرتكب الكبيرة-: "وجماع شبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة، وكذلك الأجسام المركبة كالسكنجبين إذا زال أحد جزئيه خرج عن كونه سكنجبينا. قالوا: فإذا كان الإيمان مركبا من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة، لزم زوآله بزوال بعضها. وهذا قول الخوارج والمعتزلة". [٢٠٤٥]

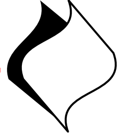
الجواب: يقال لهم لا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها، سواء سميت مركبة أو مؤلفة أو غير ذلك، لا يلزم من زوال بعض الأجزاء زوال سائرها. وما مثلوا به من العشرة والسكنجبين مطابق لذلك، فإن الواحد من العشرة إذا زال لم يلزم زوال التسعة، بل قد تبقى التسعة، فإذا زوال أحد جزئي المركب لا يلزم منه زوال الجزء الآخر، لكن أكثر ما يقولون زالت الهيئة الاجتماعية وزال ذلك الاسم الذي استحقته الهيئة بذلك الاجتماع والتركيب كما يزول اسم العشرة والسكنجبين.

فيقال: أما كون ذلك المجتمع المركب ما بقي على تركيبه فهذا لا ينازع فيه عاقل، ولا يدعي عاقل أن الإيمان، أو الصلاة، أو الحج، أو غير ذلك من العبادات المتناولة لأمور، إذا زال بعضها بقي ذلك المجتمع المركب كما كان قبل زوال بعضه، ولكن لا يلزم زوال بقية الأجزاء.

وأما زوال الاسم فيقال لهم هذا (أولا) بحث لفظي، إذا قدر أن الإيمان له أبعاض وشعب، كما قال -صلى الله عليه وسلم-في الحديث المتفق عليه: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)). [٢٠٤٦]، كما أن الصلاة والحج له أجزاء وشعب، ولا يلزم من زوال شعبة من شعبه زوال سائر الأجزاء والشعب، كما لا يلزم من زوال بعض أجزاء

[٢٠٤٥] "الفتاوى جـ ٧ صـ ٥١١. وانظر: الفصل جـ ٤ صـ ٤٧.

[٢٠٤٦] صحيح البخاري الإيمان (٩)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (٣٥)، سنن الترمذي الإيمان (٢٦١٤)، سنن النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥)، سنن أبو داود السنة (٤٦٧٦)، سنن ابن ماجه المقدمة (٥٧)، مسند أحمد بن حنبل (٢/٤١٤).

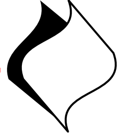


الحج والصلاة زوال سائر الأجزاء، فدعواهم أنه إذا زال بعض المركب زال البعض الآخر ليس بصواب، ونحن نسلم لهم أنه ما بقي إلا بعضه لا كله وأن الهيئة الاجتماعية ما بقيت كما كانت. بقي النزاع هل يلزم زوال الاسم بزوال بعض الأجزاء، فيقال لهم: المركبات في ذلك على وجهين، منها: ما يكون التركيب شرطا في إطلاق الاسم، ومنها: ما لا يكون كذلك، فالأول كاسم العشرة . . . ومنها ما يبقى الاسم بعد زوال بعض الأجزاء وجميع المركبات المتشابهة الأجزاء من هذا الباب وكذلك كثير من المختلفة الأجزاء، فإن المكيلات والموزونات كالحنطة تسمى حنطة وهي بعد النقص حنطة، وكذلك التراب والماء ونحو ذلك. وكذلك لفظ العبادة والطاعة ونحو ذلك مما يدخل فيه أمور كثيرة، يطلق الاسم عليها قليلها وكثيرها. وكذلك لفظ القرآن يقال على جميعه وعلى بعضه. وإذا كانت المركبات على نوعين، بل غالبها من هذا النوع لم يصح قولهم إنه إذا زال جزؤه لزم أن يزول الاسم إذا أمكن أن يبقى الاسم مع بقاء الجزء الباقي.

ومعلوم أن اسم (الإيمان) من هذا الباب فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**)) ثم من المعلوم أنه إذا زالت الإماطة ونحوها لم يزل اسم الإيمان. وقد ثبت عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان**)). [٢٠٤٧]. فأخبر أنه يتبعض ويبقى بعضه وأن ذلك من الإيمان، فعلم أن بعض الإيمان يزول ويبقى بعضه، وهذا ينقض مآخذهم الفاسدة ويبين أن اسم الإيمان مثل اسم القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه، وعليه فالإيمان يزول بعضه ولا يلزم زوال الباقي كما لا يلزم زوال اسمه وبذلك تبطل هذه الشبهة، والله أعلم. [٢٠٤٨].

[٢٠٤٧] سنن الترمذي صفة جهنم (٢٥٩٨).

[٢٠٤٨] الفتاوى جـ ٧ صـ ٥١٤ – ٥١٧ (بتصرف).



(ج): في ذكر بعض اللوازم والأدلة التي تؤكد بطلان هذه البدعة:

بعد عرض أمثلة من شبهاتهم والجواب عنها نشير إلى بعض اللوازم والأدلة التي تؤكد بطلان هذه البدعة. مما يؤكد بطلان هذه البدعة ما يلي:

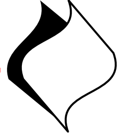
أولًا: أنه يلزم من القول بأن مرتكب الكبيرة كافر أن يكون حكمه حكم غيره ممن كفر بعد إيمانه، وهو أن يكون مرتدا يجب قتله؛ لقوله–صلى الله عليه وسلم–: من بدل دينه فاقتلوه ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة والخمر. وهذا معلوم بطلانه بالضرورة من دين الإسلام، إذ أن نصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني ــ البكر ــ والسارق والقاذف لا يقتلون، بل يقام عليهم الحد.

كما قال تعالى: **{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ}** [النور: الآية: ٢]، وقال تعالى في حكم السارق: **{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [المائدة: الآية: ٣٨]، وفي شراب الخمر روي **عن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–(ت: ٢٣ هـ)**، أن رجلا كان على عهد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك النبي–صلى الله عليه وسلم–وكان–صلى الله عليه وسلم–قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ، فقال–صلى الله عليه وسلم–: ((**لا تلعنوه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله**))، فقد أمر–صلى الله عليه وسلم–بجلد شارب الخمر ولم يقتله بل نهى عن لعنه بعينه، وشهد لهذا الرجل بحب الله ورسوله مع أنه تكرر منه شرب الخمر ، ولم يحكم عليه ولا على غيره من أصحاب الكبائر كالسارق والزاني بالكفر، بل كان يستغفر لهم". (٢٠٤٩)

كما أجمعت الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على ذلك. فدل ذلك على أنه ليس بمرتد.

كما يلزم أيضا من كونه كافرا التفريق بينه وبين أهله، وأن لا يرث ولا يورث إلى غير ذلك مما يشترط فيه الإسلام؛ لقوله عز وجل: **{وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ**

(٢٠٤٩) انظر: مجموع الفتاوى جـ ٧ صـ ٤٨٣، ٦٧١.



أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا} [البقرة: الآية: ٢٢١]. ولقوله–صلى الله عليه وسلم–: **((لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم))**.

لكن النبي–صلى الله عليه وسلم–لم يفرق بين من فعل الكبيرة مما دون الشرك وبين أهله ولم يحرمه من ميراث من له الإرث منه، وكذلك صحابته والتابعون لهم بإحسان مما يدل على أنه غير كافر.

ثانيًا: أن الله سمى أهل الكبائر مؤمنين مع ارتكابهم لها؛ كما في قوله تعالى: **{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}** [الحجرات: الآية: ٩]. (٢٠٥٠).

قال ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم". (٢٠٥١). ومثل هذه الآية أيضا قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ}** [البقرة: الآية: ١٧٨].

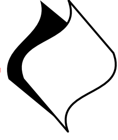
قال ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): فابتدأ الله عز وجل بخطاب أهل الإيمان من كان فيهم من قاتل أو مقتول، ونص تعالى على أن القاتل عمدا وولي المقتول أخوان. وقد قال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}** [الحجرات: الآية: ١٠]. فصح أن القاتل عمدا مؤمن بنص القران، وحكمه له بأخوة الإيمان، ولا تكون للكافر مع المؤمن تلك الأخوة". (٢٠٥٢)

وإذا صح أن مرتكب الكبيرة لم يخرج من الإيمان بطل ما تزعمه الخوارج من القول بكفره وأنه مخلد في النار.

(٢٠٥٠) انظر: الفتاوى جـ ٧ صـ ٤٨٣.

(٢٠٥١) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٢٢١.

(٢٠٥٢) الفصل جـ ٣ صـ ٢٣٥، ٢٣٦.



ثالثًا: ما ورد من الأدلة على الموازنة بين الحسنات والسيئات وأن الله لا يضيع عمل عامل، قال تعالى: **{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ}** [الأنبياء: الآية: ٤٧]، وقال تعالى: **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}** [الزلزلة: الآية: ٧]، **{وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}** [الزلزلة: الآية: ٨]، وقال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا}** [النساء: الآية: ٤٠].

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ) أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: ((**أتدرون من المفلس؟**))، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: ((**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**)). [(٢٠٥٣)]

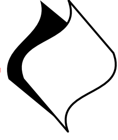
فصح بما ذكر أن للعصاة حسنات مقبولة وإذا كانوا كذلك لم يكونوا كافرين". [(٢٠٥٤)]

رابعًا: ما ورد من الأدلة التي تدل على عفو الله عن عباده وسعة مغفرته لهم وأنه لا يضيع إيمانهم، كقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء: الآية: ٤٨].

فقد دلت هذه الآية على أن مغفرته سبحانه قد تنال كل صاحب معصية بمشيئتة غير الشرك، ومرتكب الكبيرة ليس بمشرك، وعليه فهو داخل تحت مشيئة الله.

[(٢٠٥٣)] صحيح مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨١)، سنن الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤١٨)، مسند أحمد بن حنبل (٣٠٣/٢).

[(٢٠٥٤)] انظر: الفصل جـ ٣ صـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣، جـ ٤ صـ ٤٨ ـ ٤٩.



وقال تعالى: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}** [البقرة: الآية: ١٤٣]، ومرتكب الكبيرة معه إيمان فالله لا يضيع إيمانه، وعليه فهو ليس بكافر.

وعن عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)، قال: قال–صلى الله عليه وسلم-: **((من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))**. [٢٠٥٥] ومرتكب الكبيرة قد شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله – فهو موعود بدخول الجنة ومن وعد بدخولها فليس بكافر.

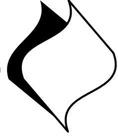
وإذا ثبت أن مرتكب الكبيرة مما دون الشرك تحت مشيئة الله. [٢٠٥٦]، وأن الله لا يضيع إيمانه، بل إن الله وعده بالجنة، إذا ثبت ذلك بطل القول بكفره وأنه مخلد في النار.

خامسًا: ما ورد من الأدلة الدالة على الشفاعة بأنواعها المختلفة التي أعظمها شفاعة نبينا–صلى الله عليه وسلم–لأهل الموقف وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه : **{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا}** [الإسراء: الآية: ٧٩]، فهذا نوع من أنواع شفاعته–صلى الله عليه وسلم–ومن أنواعها ما روى البخاري **عن أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)**، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: **((لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا))**. ومرتكب الكبيرة ليس بمشرك فهي نائلته إن شاء الله.

وورد من أنواع الشفاعة شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض؛ لما روى **أبو سعيد الخدري–رضي الله عنه–(ت: ٧٤ هـ)**، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: **((يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا : يا رسول الله وما الجسر؟، قال : مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة**

[٢٠٥٥] صحيح البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٢)، سنن الترمذي الإيمان (٢٦٣٨).

[٢٠٥٦] انظر: الفتاوى جـ ٧ صـ ٤٨٤. ٤٨٧. وتأملات في التراث العقدي صـ ٢٤٢ . ٢٤٣.



عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق ، وكالريح، وكأجاود الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار ، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ، ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى إنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوهم ، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا)). الحديث. (٢٠٥٧)

"وبعض أنواع الشفاعة إنما تكون للعصاة الذين استحقوا العذاب بسبب ارتكاب المعاصي أو التقصير في الطاعات، وإذا ثبتت الشفاعة للعصاة انتفى القول بخلودهم في النار". (٢٠٥٨).

وقد أنكرت الخوارج هذا النوع من الشفاعة محتجين بأن الشفاعة للعاصي رضا بعصيانه". (٢٠٥٩)

ويرد عليهم: بأن الشفاعة للعاصي ليست رضا بعصيانه؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لما احتاج إلى الشفاعة، ولكن عفو الله ومغفرته، وقبول الأعمال الصالحة جعلت لبعض العصاة حقا في الشفاعة". (٢٠٦٠). (٢٠٦١).

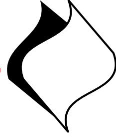
(٢٠٥٧) صحيح البخاري كتاب التوحيد (٧٠٠٢)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (١٨٢)، مسند أحمد بن حنبل (٢/٢٧٦)، سنن الدارمي الرقاق (٢٨٠٣).

(٢٠٥٨) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ١٩١، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٣.

(٢٠٥٩) انظر: أصدق المناهج للسمائلي ص ٢٧.

(٢٠٦٠) انظر: تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية (فرق الخوارج) ص ٢٤٥.

(٢٠٦١) المصدر: وسطية أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة بين الخوارج والمرجئة.



ثانيًا: رأي المعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا مع المناقشة. (٢٠٦٢).

ذكرنا–آنفا–عند بيان رأي الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة – أن المعتزلة يوافقونهم في حكمه في الآخرة، إلا أنهم يخالفونهم في حكمه في الدنيا.

فيرى المعتزلة: أن مرتكب الكبيرة – في الدنيا – ليس مؤمنًا ولا كافرًا لا في الاسم ولا في الحكم؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين، فلا يسمى مؤمنا ولا كافرا وإنما يسمى فاسقا.

وحكمه كذلك بين الحكمين، فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن وإنما له حكم بينهما.

والمعتزلة اختلفوا في حكم كل من الصغائر والكبائر عندهم.
أما الصغائر فقد ذكر أبو الحسن الأشعري أنهم لم يتفقوا على قول واحد بشأنها، بل دار بينهم الخلاف في ذلك على أقوال ثلاثة:

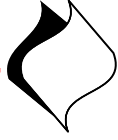
١–أن الله سبحانه يغفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر تفضلا.

٢–أن الله يغفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر باستحقاق.

٣–أن الله لا يغفر الصغائر إلا بالتوبة .

فهذه أقوال ثلاثة عند المعتزلة، اثنان منها قالت بالغفران، والخلاف بينهما في الاستحقاق والتفضل، والاستحقاق كما هو واضح فيه تحكم على الله سبحانه، وذلك غير لائق بحال.
ولكن من مبادئ المعتزلة المشهورة عنهم قولهم بوجوب الصلاح والأصلح، ولا يخفى ما في هذا المبدأ من جسارة وعدم تأدب مع الله سبحانه وتعالى، أما القول الثالث فإنه يجعل الصغيرة بمنزلة الكبيرة في عدم الغفران إلا بالتوبة، وهذا لم يقل به أحد، ومخالف أيضا لما عليه المعتزلة أنفسهم من الفرق بين الصغيرة والكبيرة من حيث المعنى والاعتبار.

(٢٠٦٢) المصدر: الموسوعة العقدية بموقع الدرر السنية.



قال القاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥ هـ): "الأصل في ذلك أن هذه العبارة إنما تستعمل في شيء بين شيئين ينجذب إلى كل واحد منهما بشبه، هذا في أصل اللغة، وأما في اصطلاح المتكلمين فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسما بين الاسمين، وحكما بين الحكمين". (٢٠٦٣).

وشرح القاضي هذا التعريف، فقال: "إن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، فلا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقا، وكذلك صاحب الكبيرة له حكم بين الحكمين، فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين؛ فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن، بل له منزلة بينهما". (٢٠٦٤)

وقال ابن المرتضى (ت: ٤٨٠ هـ): "أما ما أجمعت عليه المعتزلة فقد أجمعت على المنزلة بين المنزلتين، وهو أن الفاسق لا يسمى مؤمنا ولا كافرا". (٢٠٦٥)

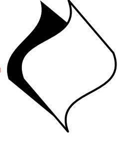
وقال الإسفراييني (ت: ٤١٨ هـ): "مما اتفقت عليه المعتزلة من فضائحهم قولهم: إن حال الفاسق الملي يكون في منزلة بين المنزلتين؛ لا هو مؤمن، ولا كافر، وإن هو خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون مخلدًا في النار، ولا يجوز لله تعالى أن يغفر له أو يرحمه، أي: إن مرتكب الكبيرة بكونه يشبه المؤمن في عقده، ولا يشبهه في عمله، ويشبه الكافر في عمله، ولا يشبهه في عقده؛ أصبح وسطا بين الاثنين، وتبعا لهذا يكون عذابه أقل من عذاب الكافر". (٢٠٦٦)

(٢٠٦٣) ((شرح الأصول الخمسة)) (ص: ١٣٧).

(٢٠٦٤) ((شرح الأصول الخمسة)) (ص: ٦٩٧).

(٢٠٦٥) ((المنية والأمل)) (ص: ٦).

(٢٠٦٦) ((التبصير في الدين)) (ص: ٤٢).



شبههم:

١-الشبه السمعية التي استدل بها المعتزلة على خلود مرتكب الكبيرة في النار

الشبهة الأولى:

استدلوا بعموم الآيات الواردة في الوعيد، ومن هذه الآيات التي هي مناط استدلالهم:

١- قول الله تعالى: **{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا}** [النساء: الآية: ١٤].

وجه الدلالة: أن الله تبارك وتعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها، والعاصي اسم يتناول الفاسق والكافر جميعا، فيجب حمله عليهما؛ لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه، فلما لم يبينه دل على ما ذكرناه". (٢٠٦٧)

٢- قول الله سبحانه: **{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}** [النساء: الآية: ٩٣].

وجه الدلالة: أن الله تعالى بين أن من يقتل مؤمنا عمدا جازاه وعاقبه، وغضب عليه ولعنه، وفي ذلك ما يؤكد كونه على سبيل الدوام، كما هو مصرح بذكر الخلود في الآية". (٢٠٦٨)

٣- قول الله عز وجل: **{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}** [الزخرف: الآية: ٧٤].

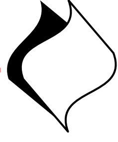
وجه الدلالة: أن المجرم اسم يتناول الكافر والفاسق جميعا، فيجب أن يكونا مرادين بالآية، معنيين بالنار؛ لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه، فلما لم يبينه دل على أنه أرادهما جميعا. (٢٠٦٩)

هذه بعض أدلة المعتزلة من القرآن الكريم على قولهم بتخليد مرتكب الكبيرة في النار. وذكر القاضي عبد الجبار طريقة أخرى للاستدلال على هذا المعتقد، فقال: "هنا طريقة أخرى مركبة من السمع، وتحريرها: هو أن العاصي لا يخلو حاله من أحد أمرين: إما أن يعفى عنه، أو لا يعفى عنه؛ فإن لم يعف عنه فقد بقي في النار خالدا، وهو الذي نقوله، وإن عفي عنه فلا يخلو إما أن يدخل الجنة أو لا؛

(٢٠٦٧) يُنظر: ((شرح الأصول الخمسة)) لعبد الجبار (ص: ٦٥٧).

(٢٠٦٨) يُنظر: ((شرح الأصول الخمسة)) لعبد الجبار (ص: ٦٦٠).

(٢٠٦٩) يُنظر: ((شرح الأصول الخمسة)) لعبد الجبار (ص: ٦٦٠).



فإن لم يدخل الجنة لم يصح؛ لأنه لا دار بين الجنة والنار، فإذا لم يكن في النار وجب أن يكون في الجنة لا محالة، وإذا دخل الجنة فلا يخلو إما أن يدخلها مثابا أو متفضلا عليه، ولا يجوز أن يدخل الجنة متفضلا عليه؛ لأن الأمة اتفقت على أن المكلف إذا دخل الجنة فلا بد أن يكون حاله متميزا عن حال الولدان المخلدين، وعن حال الأطفال والمجانين، ولا يجوز أن يدخل الجنة مثابا؛ لأنه غير مستحق، وإثابة من لا يستحق الثواب قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح". (٢٠٧٠)

وغرضه من هذا الكلام هو القول بأن الفاسق لا يجوز على الله تعالى أن يعفو عنه ويدخله الجنة؛ لأن دخوله الجنة لا يكون إلا عن ثواب لا عن تفضل من الله سبحانه؛ فالجنة عوض لازم للإنسان عن أعمال الخير إذا لم يشبها كبائر، والفاسق لا ثواب له، وإثابة من لا يستحق الثواب قبيح على الله تعالى، والحسن والقبح -كما هو معروف- أحد أصول **المعتزلة** التي يسيرون عليها في معتقداتهم، وإذا ثبت هذا فلا بد من دخول الفاسق النار خالدا، ولا يجوز على الله تعالى أن يعفو عنه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. (٢٠٧١)

الشبهة الثانية:

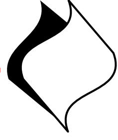
ذكر واصِلُ بنُ عطاءٍ (ت: ١٣١ هـ) أنه وجد أحكام الكفار المجمع عليها المنصوصة في القرآن كلها زائلة عن صاحب الكبيرة؛ فوجب زوال اسم الكفر عنه بزوال حكمه؛ لأن الحكم يتبع الاسم، كما أن الاسم يتبع الفعل.

وأحكام الكفر المجمع عليها على ضربين:

الأول: حكم أهل الكتاب: قال تعالى: **{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}** [التوبة: الآية: ٢٩]؛ فهذا حكم الله في أهل الكتاب، وهو زائل عن صاحب الكبيرة.

(٢٠٧٠) ((شرح الأصول الخمسة)) (ص: ٦٦٦).

(٢٠٧١) الروضة الندية شرح الواسطية صـ ٣٩٢ (بتصرف).

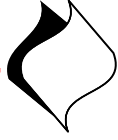


الثاني: حكم الله في مشركي العرب؛ قال تعالى: **{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}** [محمد: الآية: ٤]؛ فهذا حكم الله في مشركي العرب، وفي كل كافر سوى أهل الكتاب، وهو زائل عن صاحب الكبيرة، ثم قد جاء في السنة المجمع عليها أن أهل الكفر لا يتوارثون، ولا يدفنون في مقابر أهل القبلة، وليس يفعل ذلك بصاحب الكبيرة.

وحكم الله في المنافق: أنه إن ستر نفاقه وكان ظاهره الإسلام، فهو مسلم، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن ظهر كفره استتيب؛ فإن تاب وإلا قتل، وهذا الحكم زائل عن صاحب الكبيرة، وحكم الله في المؤمن الولاية والمحبة والوعد بالجنة؛ قال تعالى: **{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا}** [البقرة: الآية: ٢٥٧] ، وقال تعالى: **{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا}** [الأحزاب: الآية: ٤٧] ، وقال تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}** [التوبة: الآية: ٧٢] ، وحكم الله في صاحب الكبيرة أن لعنه وأعد له عذابا أليما؛ قال تعالى: **{ألا لعنة الله على الظالمين}** [هود: الآية: ١٨] ، وقال تعالى: **{وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}** [الانفطار: الآية: ١٤]، وما أشبه ذلك من القرآن؛ فوجب أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن؛ لزوال أحكام المؤمن عنه في كتاب الله، ووجب أنه ليس بكافر؛ لزوال أحكام الكفار عنه، ووجب أنه ليس بمنافق؛ لزوال أحكام المنافقين عنه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجب أنه فاسق فاجر؛ لتسمية الله له بذلك؛ لذا فهو فاسق مخلد في النار؛ لتوعد الله له بذلك، ولكنه في عذاب أخف من عذاب الكافر. [(٢٠٧٢)]

وقال واصِلُ بنُ عطاءٍ (ت: ١٣١ هـ) أيضًا: "إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنًا وهو اسم مدح، والفاسق لم يستكمل خصال الخير، ولا استحق اسم المدح؛ فلا يسمى مؤمنًا، وليس هو بكافر أيضًا؛ لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا

[(٢٠٧٢)] ينظر: ((الانتصار)) للخياط (ص: ١١٨)، ((شرح الأصول الخمسة)) لعبد الجبار (ص: ٧١٣- ٧١٤)، ((طبقات المعتزلة)) لابن المرتضى (ص: ٨).



على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالدًا فيها؛ إذ ليس في الآخرة إلا فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، ولكنه تخفف عنه النار". (٢٠٧٣)

المناقشة:

يقال لهم: أما قولكم: إنه ليس بكافر، فهذا نوافقكم عليه، وأما قولكم: إنه ليس بمنافق، فكذلك هو ليس بمنافق؛ لأن كبيرته لا توجب استتابته، فإن تاب وإلا قتل، كما يفعل مع المنافق إذا ظهر نفاقه، أما إذا لم يظهر فلم يعلم: هل هو منافق أم لا، فإنه يعامل معاملة المسلمين.

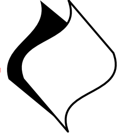
وأما قولكم: إنه ليس بمؤمن، فهذا على إطلاقه لا نوافقكم عليه، بل نقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية؛ فهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته؛ فلا يكون له الاسم مطلقًا، ولا يسلب منه مطلق الإيمان.

ومما يدل على أن الفاسق لم تخرجه كبيرته من الإيمان ما يلي:

الآيات والأحاديث الناطقة بإطلاق لفظ الإيمان على العاصي، كقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ}** [البقرة: الآية: ١٧٨] ؛ فقد سمى الله القاتل أخا للمقتول، وهي الأخوة الإيمانية؛ مما يدل على أن كبيرة القتل لم تخرجه من الإيمان، وقبل ذلك فقد خاطبهم جميعا بلفظ الإيمان مع أن فيهم قتلة؛ مما يدل على أن الكبيرة لا تخرج من الإيمان.

وكقوله تعالى: **{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ**

(٢٠٧٣) ((الملل والنحل)) للشهرستاني (١/٤٨).



إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: الآية: ٩]؛ فقد أطلق اسم الإيمان على الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين؛ مما يدل على أن كبيرة القتل لم تخرجهما من الإيمان، وكذلك كبيرة البغي. (٢٠٧٤)

ومن الأحاديث الدالة على أن الفاسق معه إيمان: ما رواه أبو ذر–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–؛ حيث قال: ((**ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**)). (٢٠٧٥)

ففي هذا الحديث دلالة على أن من قال لا إله إلا الله، وإن ارتكب شيئا من الكبائر؛ فإنه يدخل الجنة؛ مما يدل على أن كبيرته لم تخرجه من الإيمان.

٢– إجماع الأمة من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا على الصلاة على من مات من أهل القبلة من غير توبة، والدعاء والاستغفار لهم، مع العلم بارتكابهم للكبائر، بعد الاتفاق على أن ذلك لا يجوز لغير المؤمن؛ (٢٠٧٦) مما يدل على أنهم لم يخرجوا من الإيمان.

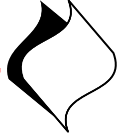
٣– قولكم: إن الفاسق قد أخرجه فسقه من الإيمان، ينبني على أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله؛ لأنهم يقولون: إن من عمل كبيرة لم يبق معه من الإيمان شيء، وهو باطل.

قال ابن تيمية في معرض الرد على من قال بهذا القول: "وأما قول القائل: إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله؛ فهذا ممنوع، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان؛ فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله، ولم يبق منه شيء، ثم قالت الخوارج والمعتزلة: هو مجموع ما أمر الله به ورسوله، وهو الإيمان المطلق، كما قاله أهل الحديث، قالوا: فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء،

(٢٠٧٤) ينظر: ((الروضة الندية شرح الواسطية)) للفياض (ص: ٣٩٢) بتصرف.

(٢٠٧٥) أخرجه البخاري (٥٨٢٧) واللفظ له، ومسلم (٩٤).

(٢٠٧٦) ((شرح العقائد)) (ص: ١١٩) بتصرف.



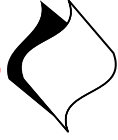
فيخلد في النار. وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم: لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئا من الإيمان؛ إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء، فيكون شيئا واحدا يستوي فيه البر والفاجر، ونصوص الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه، كقوله صلى الله عليه وسلم: ((**أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**)) [٢٠٧٧]؛ ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل، وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة، ولم يعرف فيهم مخالف؛ فمن ذلك ما روي من وجوه كثيرة عن حماد بن سلمة، عن أبي جعفر، عن جده عمير بن حبيب الخطمي، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه" [٢٠٧٨]...، وأيضا: فإن الزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات، كقوله تعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**} [الأنفال: الآية: ٢].

وهذه الزيادة وقت تلاوة الآية، وليس هو تصديقهم بها عند النزول، وكقوله تعالى: {**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**} [آل عمران: الآية: ١٧٣]؛ فهذه الزيادة عند تخويفهم العدو لم تكن عند آية نزلت، فازدادوا يقينا وتوكلا على الله، وثباتا على الجهاد". [٢٠٧٩]

[٢٠٧٧] أخرجه البخاري (٢٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[٢٠٧٨] أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٩٦٣)، وعبد الله بن أحمد في ((السنة)) (٦٢٤)، والخلال في ((السنة)) (١٥٨٢) باختلاف يسير. قال ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٧/٢٢٤): روي من وجوه كثيرة، مشهور. وقال السفاريني الحنبلي في ((لوائح الأنوار السنية)) (٢/٣٠٧): روي من وجوه كثيرة شهيرة.

[٢٠٧٩] ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: ١٩٠- ١٩٢) بتصرف، وينظر: ((شرح الطحاوية)) لابن أبي العز (ص: ٢٧٦- ٢٧٨).



ومثل هذه الآيات كثير؛ فإذا ثبت أن الإيمان يذهب بعضه، ويبقى بعضه، وأنه يزيد وينقص، بطل قولهم: إن الفسق يخرج من الإيمان، وعلى ذلك فالفاسق مؤمن ناقص الإيمان، وليس في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان كما تدعون.

ونقول أيضا: ما دام مرتكب الكبيرة معه من الإيمان شيء ولو إيمانا ناقصا، فإنه لا يخلد في النار، بل يعذب على قدر ذنبه، ثم يخرج من النار ويدخل الجنة؛ لقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ}** [النساء: الآية: ٤٨]، ولقوله تعالى: **{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}** [الزلزلة: الآية: ٧]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: ((**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**)). (٢٠٨٠)

الشبهة الثالثة:

قال الخياط: "إن **واصِلُ بنُ عطاءٍ (ت: ١٣١ هـ)** لم يحدث قولا لم تكن الأمة تقول به؛ إذ إنه وجد الأمة مجمعة على تسمية أهل الكبائر بالفسق والفجور، مختلفة فيما سوى ذلك من أسمائهم؛ فأخذ بما أجمعوا عليه، وتفسير ذلك: أن الخوارج وأصحاب الحسن كلهم مجمعون والمرجئة على أن صاحب الكبيرة فاسق فاجر، ثم تفردت الخوارج، فقالت: هو مع فسقه وفجوره كافر، وقالت المرجئة هو مع فسقه وفجوره مؤمن، وقال الحسن ومن تابعه: هو مع فسقه وفجوره منافق.

فقال لهم **واصِلُ بنُ عطاءٍ (ت: ١٣١ هـ)**: "قد أجمعتم على أن سميتم صاحب الكبيرة بالفسق والفجور؛ فهو اسم له صحيح بإجماعكم، وقد نطق القرآن به في آية القاذف وغيرها من القرآن؛ فوجب تسميته بذلك، وما تفرد به كل فريق منكم من الأسماء فدعوى لا تقبل منه إلا ببينة من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم". (٢٠٨١)

(٢٠٨٠) أخرجه البخاري (٢٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢٠٨١) ((الانتصار)) للخياط (ص: ١١٨).

المناقشة:

١- إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان؛ فهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، كما تبين عند الرد على الشبهة الأولى، ثم إن إيمانه متفق عليه بين السلف؛ فإذا قولهم: إن إيمانه مختلف فيه، باطل. (٢٠٨٢).

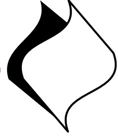
٢- إن في قولهم بالمنزلة بين المنزلتين تركا للمتفق عليه بين السلف، ومنهم الحسن؛ لأن النفاق كفر إن أظهره صاحبه، وإن لم يظهره فيعامل معاملة المسلمين، إضافة إلى ذلك فقد نقل عنه الرجوع عن هذا القول إلى المذهب الحق والمتفق عليه، وهو أن المكلف إما مؤمن أو كافر، ولا واسطة بينهما، وأخذ بما لم يقل به أحد فضلا عن الاتفاق؛ فإذا قولهم بالمنزلة بين المنزلتين إحداث للقول المخالف لما أجمع عليه السلف [٢٠٨٣]؛ فيكون باطلًا، وبذلك تبطل هذه الشبهة. والله أعلم.

٢-الشبه العقلية التي استدل بها المعتزلة على خلود مرتكب الكبيرة في النار.

من الأدلة العقلية التي استدل بها المعتزلة على خلود مرتكب الكبيرة في النار: ما ذكره القاسم الرسي أن أحدًا لا يقدر أن يؤدي كل ما استحق الله تبارك وتعالى من عباده؛ من شكر نعمته وإحسانه بالكمال والتمام، حتى لا يبقى مما يحق لله جل ثناؤه شيئا إلا أداه، هيهات! فكيف وهو يقول تبارك وتعالى: **{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [النحل: الآية: ١٨]؟ فكيف يؤدي شكر ما لا يحصى؟! ولم يفترض على خلقه ذلك، ولا سأل كل ما له عليهم مما يستحق لديهم؛ لعلمه بضعفهم، وأن في بعض ذلك استفراغ جهدهم، وما تعجز عنه أنفسهم، وأنهم لا يقدرون على ذلك، ويقصرون عن بلوغ

[٢٠٨٢] ينظر: ((المواقف في علم الكلام)) للإيجي (٣٣٩/٨) بتصرف.

[٢٠٨٣] ينظر: ((شرح المواقف)) للجرجاني (٣٣٤/٨).

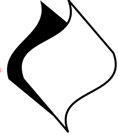


ذلك، وغفر لهم صغير ذنوبهم كله إذا اجتنبوا كبيرة؛ رحمة بهم ونظرا لهم، فأما من رجا الرحمة وهو مقيم على الكبيرة فقد وضع الرجاء في غير موضعه، واغتر بربه، واستهزأ بنفسه، وخدعه وغره من لا دين له، إلا أن يتوب فيغفر له بالتوبة، فأما الإقامة على الكبائر فلا.

وذلك أن للجنة والنار طريقين؛ فطريق الجنة طاعته المجردة عن الكبائر من معاصي الله، وطريق النار معصية الله، وإن لم تكن مجردة من بعض طاعات الله؛ لأننا قد نجد العبد يؤمن بكتاب الله كله، ويكفر ببعضه؛ فلا يكون مؤمنا، ولا بما آمن به من النار ناجيا، يصدق ذلك قول الله عز وجل: **{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** [البقرة: الآية: ٨٥] ، فلم يسموا بما آمنوا به مؤمنين، بل سموا بما كفروا به منه -لا كله- كافرين، وعلى هذه الطريق فيمن لم يكفر من الفاسقين أهل الكبائر العاصين؛ فمن كان على المعصية الكبيرة مقيما فهو على طريق النار، فكيف يرجو البلوغ إلى الجنة وهو يسلك ذلك الطريق؛ كرجل توجه إلى طريق خراسان، فسلكه وهو يقول: أنا أرجو أن أبلغ الشام! فهذا من وضع الرجاء في غير موضعه. (٢٠٨٤).

وملخص الدليل العقلي السابق أن الله تبارك وتعالى له نعم على عباده لا تحصى، ومهما عمل الإنسان لا يستطيع الوفاء بشكرها؛ إذ إن ذلك يتطلب منه استيفاء كل حق لله عليه، وقد علم الله من عباده عجزهم وضعفهم عن الوفاء بجميع ذلك؛ لذلك اكتفى منهم بالقليل بعد أن أعطاهم الكثير، بل وعفا عن صغائر ذنوبهم، وهذه منة عظيمة أخرى منه تبارك وتعالى؛ فعلى الإنسان إذا الإتيان بهذا القليل الذي كلف به دون تفريط، وإذا قصر فيه بارتكاب الكبائر فعلا لمحرم، أو تركا لواجب؛ فهو من أهل النار لا محالة؛ لأن الله تجاوز له عن الكثير لم يكلفه به، فإذا قصر في ذلك القليل المطلوب منه فهو ممن سلك طريق النار، والطريق إلى الشيء المعين توصل إليه لا إلى ما يوجد في جهة معاكسة، وطريق النار المعصية، وهذه لا

(٢٠٨٤) ينظر: ((رسائل العدل والتوحيد)) لمجموعة مؤلفين (١٢٣/١).



يمكن أن يصل عن طريقها إلى الجنة، كما أن طريق الجنة الطاعة، وهذه أيضا لا يمكن أن توصل بصاحبها إلى النار، وضرب مثلا بسالك طريق خراسان، وهو يقصد الوصول إلى الشام.

فهذا دليل عقلي على أن الفاسق مصيره إلى النار، وأنه يفعل به ما يستحقه، وهناك دليل عقلي آخر ذكره القاضي عبد الجبار، وهذا الدليل هو أن الله أمر ونهى، أي: كلف الإنسان، ووعده وتوعده، وكل خلف بالوعد أو الوعيد نوع من الكذب لا يجوز على الله، ولو ثبت أنه يخلف وعيده ولا يعاقب الفاسقين لكان في ذلك إغراء له على فعل القبيح؛ إذ إن للمكلف أن يعصي ويتجاوز حدود الله وهو مطمئن إلى أنه سيغفر له. (٢٠٨٥). (٢٠٨٦)

المناقشة:

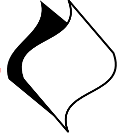
نقول لهم:

أولا: إن قولكم – مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين يتضمن نفي الإيمان بالكلية عن مرتكب الكبيرة. وهذا باطل. بل هو مؤمن ناقص الإيمان قد نقص إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته. فلا يكون له الاسم مطلقا، ولا يسلب منه مطلق الإيمان. ومما يدل على أن الفاسق لم تخرجه كبيرته من الإيمان ما يلي:

١-الآيات والأحاديث الناطقة بإطلاق لفظ الإيمان على العاصي كقوله تعالى: **{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** [الحجرات: الآية: ٩].

(٢٠٨٥) ينظر: ((شرح الأصول الخمسة)) (ص: ٦٥٠).

(٢٠٨٦) المصدر: الموسوعة العقدية.



فقد أطلق اسم الإيمان على الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين؛ مما يدل على أن كبيرة القتل لم تخرجهما من الإيمان، وكذلك كبيرة البغي". (٢٠٨٧)

ومن الأحاديث قوله–صلى الله عليه وسلم–في الحديث الذي أخرجه مسلم من رواية **أبي ذر–رضي الله عنه–(ت: ٣١ أو ٣٢ هـ)** أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: ((**ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**))، قلت: وإن زنى وإن سرق؟، فقال–صلى الله عليه وسلم–: ((**وإن زنى وإن سرق**)). (٢٠٨٨).

ففي هذا الحديث دلالة على أن من قال لا إله إلا الله وإن ارتكب شيئًا من الكبائر فإنه يدخل الجنة، مما يدل على أن كبيرته لم تخرجه من الإيمان.

٢–إجماع الأمة من عصر الرسول–صلى الله عليه وسلم–إلى يومنا هذا على الصلاة على من مات من أهل القبلة من غير توبة، والدعاء والاستغفار لهم مع العلم بارتكابهم للكبائر بعد الاتفاق على أن ذلك لا يجوز لغير المؤمن". (٢٠٨٩)؛ مما يدل على أنهم لم يخرجوا من الإيمان.

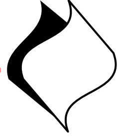
ثانيا: أن في قولكم–بالمنزلة بين المنزلتين–إحداث للقول المخالف لما أجمع عليه السلف من عدم المنزلة بين المنزلتين، فيكون باطلا". (٢٠٩٠). والله أعلم.

(٢٠٨٧) الروضة الندية شرح الواسطية صـ ٣٩٢ (بتصرف).

(٢٠٨٨) صحيح البخاري الرقاق (٦٠٧٨)، صحيح مسلم الإيمان (٩٤)، سنن الترمذي الإيمان (٢٦٤٤)، مسند أحمد بن حنبل (٥/١٥٢).

(٢٠٨٩) شرح العقائد المنفية صـ ١١٨.

(٢٠٩٠) شرح العقائد المنفية صـ ١١٨.



القول الثالث: رأي المرجئة في حكم مرتكب الكبيرة.

أولًا: تعريف الإرجاء وأنواعه.

أ-تعريف الإرجاء.

١ -المرجئة لغة:

اسم فاعل من "أرجأته" بالهمزة بمعنى أخرته، والرجاء من الأمل نقيض اليأس. ممدود، تقول رجاه يرجو رجوا ورجاء: أي أمل فيه.

والإرجاء: بمعنى التأخير. ومنه سميت المرجئة.

فأرجأ الشيء: أي أخره، ومنه قوله تعالى: **{أَرْجِهْ وَأَخَاهُ}** [الأعراف: الآية: ١١١]، وفي حديث توبة كعب بن مالك: وأرجأ رسول الله أمرنا أي أخره.

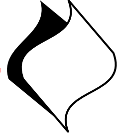
والطائفة المعروفة: المرجئة. بهمز ولا بهمز وكلاهما بمعنى التأخير، والهمز أجود.

٢-المرجئة في الاصطلاح:

نظرا لتعدد أنواع الإرجاء فقد اختلف في تعريفهم. وإليك بعض التعاريف مع الإشارة للأشمل منها: قال بعضهم: المرجئة: هم الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل.

وقال آخرون: المرجئة: هم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أن الإيمان لا يضر معه ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وقال الشهرستاني: الإرجاء على معنيين. أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: **{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ}** [الأعراف: الآية: ١١١] أي أمهله وأخره.



والثاني: إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول..، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني.. فلأنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهذا أمثل الأقوال لأنه أشملها لأنواع الإرجاء.

ب–أنواع الإرجاء.

الإرجاء ليس شيئا واحدا نشأ في لحظة، كما هو الحال في نشأة الخوارج، وإنما هو أنواع. وقد بدأ ضعيفًا في جانب واحد ثم ما لبث أن انتقل في جانب آخر بينهما فترة من الزمن. وإليك الإشارة إليها مع بيان نشأة كل منها.

أولًا: إرجاء أمر الصحابة.

والأظهر أن أول من تكلم فيه الحسن بن محمد بن الحنفية الذي اشتهر عنه بسبب كتاب كتبه ليقرأ على الناس. قال ابن سعد في ترجمة الحسن: "إنه أول من تكلم بالإرجاء". (٢٠٩١).

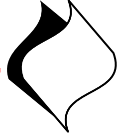
وهذا الإرجاء لا يعد مذموما؛ لأنه إرجاء أمر الصحابة إلى الله لما حصل بينهم من الاختلاف، ولم يتبرأ منهم.

ثانيًا: أقسام الإرجاء.

النوع الأول: إرجاء أمر مرتكب الكبيرة.

وقد نشأ هذا النوع بظهور الخوارج وحكمهم بالكفر على مرتكب الكبيرة واختلافهم فيه. وبيان ذلك: أنهم قالوا: بالكفر على مرتكب الكبيرة ثم افترقوا فرقا وأخذ حكمهم يتنازل في حكم مرتكب الكبيرة حتى تولدت المرجئة.

(٢٠٩١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ صـ ٣٢٨. الملل والنحل جـ ١ صـ ١٤٤.



فقد ذكر الشهرستاني عن الحازمية – وهي من فرق الخوارج – أنهم يتوقفون في أمر علي بن أبي طالب ولا يصرحون بالبراءة منه". (٢٠٩٢).. .

ويروي ابن سعد عن بعض المحدثين كمحارب بن دثار السدوسي (قاضي الكوفة) أنهم يتوقفون في أمر علي بن أبي طالب وعثمان، ولا يشهدون لهما بإيمان ولا كفر. إذا ما هو موقفهم؟، إنه الإرجاء". (٢٠٩٣)

ومما ذكرته يتضح أن التوقف من قبل بعض الخوارج هو البذرة الأولى في ظهور المرجئة الأولى الذين لا يشهدون بإيمان ولا كفر على مرتكب الكبيرة. والأصل عندهم في قولهم: مرتكب الكبيرة هم الصحابة. قال **ابن أبي العز–رحمه الله–(ت: ٧٩٢ هـ)** في شرحه للطحاوية: "وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعليا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر". (٢٠٩٤).

ومن هؤلاء: محارب بن دثار السدوسي، كما قال ابن سعد. (٢٠٩٥)، ومنهم أيضا خالد بن سلمة الكوفي الفأفاء. كما قال الذهبي". (٢٠٩٦).

وهذا النوع من الإرجاء يختلف عما سبقه. فالأول الذي تكلم فيه ابن الحنفية إرجاء تفويض أمر المختلفين من الصحابة إلى الله، مع اعتقاد أفضليتهم والشهادة لهم بالإيمان، وليس له أي صلة بالمرجئة فيما بعد.

أما النوع الثاني:

وهو الإرجاء الذي تولد من الخوارج فالقائلون به لا يشهدون للصحابة بإيمان ولا كفر وإنما يتوقفون، وهذا بدعة، وهو أصل قول المرجئة في الإيمان كما سيأتي بيانه، ثم إن هذا النوع من الإرجاء قد انقرض؛ إذ أن

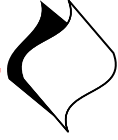
(٢٠٩٢) الملل والنحل جـ١ صـ ١٣١.

(٢٠٩٣) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٦ صـ ٣٠٧.

(٢٠٩٤) شرح الطحاوية صـ ٤٧٧.

(٢٠٩٥) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٦ صـ ٣٠٧.

(٢٠٩٦) انظر: سير أعلام النبلاء جـ ٥ صـ ٣٧٣ – ٣٧.



الإرجاء تحول إلى موضوع الإيمان. فقد سئل سفيان بن عيينة عن الإرجاء فقال: الإرجاء على وجهين: قوم أرجئوا أمر علي وعثمان فقد مضى أولئك، فأما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل". (٢٠٩٧).

النوع الثالث: الإرجاء في الإيمان.

وهذا النوع بدأ بإخراج العمل من مسمى الإيمان، وكان هذا زمن التابعين وهو على ثلاثة أنواع.

الأول: إرجاء العباد والفقهاء من أهل الكوفة.

ابتدأ بهم. وموضوعه: إخراج العمل من الإيمان. وهو امتداد للمرجئة الذين انفصلوا عن الخوارج؛ حيث إن مسالة تكفير المسلم هي السبب في ذلك وهي القضية التي كانت موضوع نقاش الناس وخاصة بين الخوارج ومن انفصل منهم من المرجئة أدى هذا النقاش فيما بعد إلى البحث في الإيمان عند هاتين الفرقتين. فرأت كل فرقة أن تجعل قولها في الإيمان مبنيًا على قولها في الكبيرة، فقالت الخوارج: إنه جميع الطاعات فمن ترك طاعة واحدة فقد كفر. فقولهم هذا بناء على تكفيرهم مرتكب الكبيرة.

فقابلتهم المرجئة بما يناقضهم؛ فقالوا: مرتكب الذنب مؤمن كامل الإيمان، لكن لا يسلم لهم هذا القول حتى يخرجوا العمل من الإيمان، لذا قالوا: الإيمان هو التصديق والإقرار فقط. وأول من عرف عنه هذا النوع ذر بن عبد الله الهمذاني، وحماد بن أبي سليمان من فقهاء الكوفة". (٢٠٩٨)

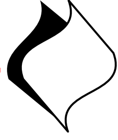
وكان ظهور هذا النوع من الإرجاء بعد الثمانين من الهجرة لما ورد في صحيح البخاري عن زبيد قال: "سألت أبا وائل عن المرجئة . . .". (٢٠٩٩). وكانت وفاة أبي وائل سنة ٨٢ هـ". (٢١٠٠)

(٢٠٩٧) تهذيب الآثار للطبري جـ ٢ صـ ٦٥٩.

(٢٠٩٨) انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي جـ ١ صـ ٣٠٤.

(٢٠٩٩) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله جـ ١ صـ ١٧.

(٢١٠٠) انظر: تذكرة الحافظ جـ ١ صـ ٦٠.



وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "حدثت بدعة الإرجاء في أواخر عصر الصحابة في خلافة عبد الملك بن مروان". (٢١٠١)، وخلافته انتهت بوفاته سنة ٨٦ هـ.

وهؤلاء المرجئة الذين يخرجون العمل عن الإيمان لم يكونوا يقصرون في العمل، وإنما قالوا هذا القول كرد فعل لتكفير الخوارج لصاحب الكبيرة". (٢١٠٢).

الثاني: إرجاء الغلاة من المتكلمين.

الذين جعلوا الإيمان في القلب فقط، كالجهمية والغيلانية وبعض المتكلمين.

وهؤلاء: جعلوا الإيمان شيئا واحدا في القلب فقط فزادوا على من سبقهم بأن أخرجوا القول من الإيمان. فصار الإيمان يتم – عندهم – بمجرد معرفة القلب. ومن أوائل من عرف عنهم هذا الغلو في الإرجاء غيلان بن مسلم الدمشقي أبو مروان، والجهم بن صفوان، ومقاتل بن سليمان المشبه.

وهؤلاء من مذهبهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم الطائفة الأولى من المرجئة الغلاة.

وهذا النوع من الإرجاء أثر من آثار الإرجاء السابق، وهو إرجاء الفقهاء حيث إن ذلك الخطأ اللفظي فتح الباب لهذا الخطأ العظيم.

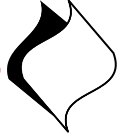
الثالث: إرجاء الكرامية:

وهو نوع ثالث من أنواع الإرجاء في الإيمان حيث جعلوا الإيمان: قولا باللسان فقط، وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله ولي له، من أهل الجنة". (٢١٠٣)، وأول من ابتدع هذا النوع **محمد بن كرام**

(٢١٠١) انظر: منهاج السنة النبوية جـ٣ صـ ١٨٤، ودرء تعارض العقل بالنقل جـ ٥ صـ ٢٤٤.

(٢١٠٢) انظر: الفتاوى جـ ٧ صـ ٢٩٧، ٥١٠.

(٢١٠٣) المقالات جـ ١ صـ ٢٠٥. والفصل جـ ٣ صـ ١٨٨، جـ ٤ صـ ٢٠٤.



السجستاني المجسم (ت: ٢٥٥ هـ)، عاش في أوائل القرن الثالث. حيث قال: إن الإيمان هو القول باللسان فقط دون تصديق القلب وعمل الجوارح. ولم يكن هذا النوع معروفا قبله، وهذا القول هو أفسد الأقوال وآخرها حدوثا.

يقول ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): لم يكن حدث في زمن السلف من المرجئة من يقول: الإيمان بمجرد القول بلا تصديق ولا معرفة، فإن هذا: إنما أحدثه ابن كرام، وهذا هو الذي انفرد به ابن كرام". (٢١٠٤).. وهذه هي الطائفة الثانية من المرجئة الغلاة". (٢١٠٥).

(أ): رأي المرجئة في حكم مرتكب الكبيرة.

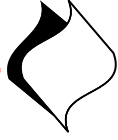
اختلف المرجئة في حكم مرتكب الكبيرة، فمنهم من وافق أهل السنة كمرجئة الفقهاء حيث كان إرجاؤهم في تأخير العمل عن الإيمان فقط. يقول ابن تيمية – وهو يتكلم عن العمل هل هو داخل في الإيمان أم لا؟ –: ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك، ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم، متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وإن قالوا إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل، فهم يقولون: إن الإيمان بدون العمل المفروض، ومع فعل المحرمات، يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب كما تقول الجماعة، ويقولون أيضا بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة". (٢١٠٦).

ومنهم من خالف أهل السنة، كالمرجئة الغلاة حيث قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحرم ما حرم الله، وأحل ما أحل الله دخل الجنة ابتداء ولو

(٢١٠٤) الفتاوى جـ ٧ صـ ٣٨٦ – ٣٨٧.

(٢١٠٥) الفصل جـ ٤ صـ ٢٠٤.

(٢١٠٦) الفتاوى جـ ١ صـ ٢٩٧.



مات من غير توبة، وإن زنى وسرق وقتل وشرب الخمر وقذف المحصنات وترك الصلاة. إذا كان مقرا بها لا يضر وقوعه في الكبائر وركوبه الفواحش وتركه الفرائض، وإن فعل ذلك مستحلا كان كافرا بالله وخرج من إيمانه فصار من أهل النار". (٢١٠٧).

قال الإمام أبو حنيفة–رحمه الله–(ت: ١٥٠ هـ): "ولا نقول إن المؤمن لا تضره الذنوب ولا نقول إنه لا يدخل النار. كما قالت المرجئة". (٢١٠٨).

وقال الماتريدي–رحمه الله–(ت: ٣٣٣ هـ): "قالت المرجئة لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة". (٢١٠٩).

ويقول ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)–وهو يتكلم عن أصحاب الذنوب–: ". . . ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار..، وقول غلاة المرجئة الذين يقولون: ما نعلم أحدا منهم يدخل النار، بل نقف في هذا كله. وحكي عن بعض غلاة المرجئة الجزم بالنفي . . .". (٢١١٠).

وهذا مبني على أصلهم الفاسد، وهو أنه لا يتصور أن الشخص يدخل الجنة والنار معا، بل إذا دخل أحدهما فلا يدخل الأخرى، وبناء على هذا قالوا: "إن أهل الذنوب يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أبدا". (٢١١١).

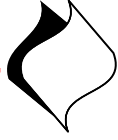
(٢١٠٧) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي صـ ٤٣.

(٢١٠٨) شرح الفقه الأكبر للماتريدي صـ ١٤١ (المتن).

(٢١٠٩) شرح الفقه الأكبر للماتريدي صـ ٦.

(٢١١٠) الفتاوى جـ ٧ صـ ٢٩٧. وانظر صـ ٥٠١ من نفس الجزء.

(٢١١١) الإيمان لابن تيمية صـ ٣٣٧ – ٣٣٨. الفصل جـ ٣ صـ ٢٢٩ – ٢٣٠.



(ب)–شبهاتهم والجواب عليها.

لقد تمسك المرجئة في قولهم بهذه البدعة بشبهات منها: ما ورد في الكتاب والسنة من نصوص فيها الوعد لعباده المؤمنين، وإليك البعض منها مع الجواب.

الشبهة الأولى:

قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء: الآية: ٤٨].

وجه الاستدلال: قالوا: إن الآية تدل على أن الشرك وحده لا يغفر وما دون ذلك فهو مغفور، ومرتكب الكبيرة ليس بمشرك فهو مغفور له". (٢١١٢).

الجواب: يقال لهم: استدلالكم باطل لما يلي:

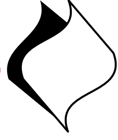
(أ) أن المغفرة معلقة بالمشيئة ففيها دليل على التقسيم". (٢١١٣)، وهو أن من العصاة من يعذب، ومنهم من لا يعذب، وعليه فالآية حجة عليكم لا لكم.

(ب) لو كانت المغفرة لكل أحد –كما تزعمون – لبطل قوله تعالى: **{لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء: الآية: ٤٨]، فلما أثبت أنه يغفر ما دون ذلك، وأن المغفرة هي لمن يشاء دل ذلك على وقوع المغفرة العامة لما دون الشرك لكنها لبعض الناس. (٢١١٤)، وبذلك يتضح بطلان استدلالكم بالآية على ما تزعمونه، والله أعلم.

(٢١١٢) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع صـ ٤٣.

(٢١١٣) انظر: قواعد العقائد للغزالي صـ ٢٥٥.

(٢١١٤) الفتاوى جـ ١٦ صـ ١٩.



الشبهة الثانية:

قوله تعالى: **{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}** [الزمر: الآية: ٥٣].

وجه الاستدلال: أن الله تعالى حكم بغفران الذنوب جميعا، ولم يشترط التوبة، وذلك يدل على أنه تعالى يغفر الذنوب قبل التوبة وبعدها. [(٢١١٥)]، وإذا غفرت ذنوب مرتكب الكبيرة لم يدخل النار.

الجواب: نقول لهم المراد بأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعا مع التوبة.

وحمل الآية على هذا المعنى أولى لوجهين. الأول: أنا إذا حملناها على هذا الوجه فقد حملناها على جميع الذنوب–على ما هو ظاهر الآية–وإن حملناها على ما ذكرتم، لم يمكن حمله على ظاهر الآية؛ لأنه تعالى لا يغفر جميع الذنوب من غير توبة؛ إذ الكفر ذنب والله لا يغفره إلا مع التوبة.

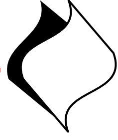
الثاني: أنه تعالى ذكر عقيب هذه الآية قوله تعالى: **{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ}** [الزمر: الآية: ٥٤]، والإنابة هي التوبة. [(٢١١٦)].

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد ذكرنا في غير موضع أن هذه الآية في حق التائبين". . . ثم قال: "الآية فيها نهي عن القنوط من رحمة الله، وإن عظمت الذنوب فلا يحل لأحد أن يقنط من رحمة الله".. "ولا أن يقنط الناس من رحمة الله، والقنوط: يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له؛ إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته ويغفر ذنبه، وإما أن يقول نفسه لا تطاوعه على التوبة".. "فهو ييأس من توبة نفسه". [(٢١١٧)].. وإذا كانت الآية في حق التائب لم يبق فيها دلالة على ما تزعمه المرجئة، والله أعلم.

[(٢١١٥)] الأربعين للرازي صـ ٢٠٩.

[(٢١١٦)] انظر: الأربعين للرازي صـ ٢٣٦.

[(٢١١٧)] الفتاوى جـ ١٦ صـ ١٨ – ٢٠.



الشبهة الثالثة:

قوله تعالى: **{لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى}** [الليل: الآية: ١٥]، **{الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}** [الليل: الآية: ١٦].

وجه الاستدلال: قالوا: قد أخبرنا الله عز وجل –في هذه الآية– أن النار لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى، فصح أن من لم يكذب ولا تولى لا يصلاها، قالوا: ووجدنا أن مرتكبي الكبائر –مما دون الشرك– كلهم لم يكذبوا ولا تولوا، بل هم مصدقون معترفون بالإيمان، فصح أنهم لا يصلونها، وأن المراد بالوعيد المذكور في هذه الآية وأمثالها إنما هو فعل تلك الأفاعيل من الكفار خاصة". (٢١١٨).

الجواب: من وجوه منها.

الأول: قيل إن المراد بهذه النار: نار مخصوصة –كما قاله الزجاج– وعدم دخوله هذه النار لا يمنع من دخوله غيرها.

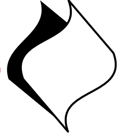
وقيل: لا يصلاها صلي خلود، وهذا أقرب، وعليه فمن دخل النار وخرج منها فإنه نوع من الصلي، لكنه ليس الصلي المطلق وهو صلي الخلود، لا سيما إذا كان قد لبث فيها والنار لم تأكله؛ فإنه قد ثبت أنها لا تأكل مواضع السجود". (٢١١٩).

الثاني: على التسليم بأن الآية تدل على أن الكفار هم المخصوصون بالعذاب، فإن هذا لا يمنع ما يحصل لبعض المؤمنين من تمحيص في النار بسبب ذنوبهم –كما دلت عليه بعض النصوص، من مثل قوله تعالى: **{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ}** [آل عمران: الآية: ١٤١].

وكما ورد في الحديث الصحيح: أن فيه من يدخل النار بذنوبه ثم يخرج منها وعليه فإنه لا دلالة في الآية على ما تزعمه المرجئة، والله أعلم.

(٢١١٨) الفصل لابن حزم جـ ٣ صـ ٢٣٠.

(٢١١٩) الفتاوى جـ ١٦ صـ ١٩٧. وانظر: الفصل جـ ٤ صـ ٥٠.



الشبهة الرابعة:

قوله تعالى: **{إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}** [الأعراف: الآية: ٥٦].

وجه الاستدلال: قالوا الآية تدل على أن كل محسن رحمة الله قريبة منه، ومرتكب الكبيرة قد قال لا إله إلا الله فهو محسن، وإذا كان محسنا فرحمة الله قريبة منه، ومن رحمه الله فلا يعذب". (٢١٢٠)

الجواب: نقول استدلالكم باطل لما يلي:

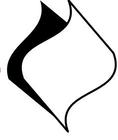
(أ) أن الآية تدل على أن رحمة الله قريب من عباده المحسنين، لكنها لا تفسر بمنع العذاب في النار لمن أخطأ منهم؛ لأن عذاب الله للمخطئ عدل، والعدل لا يضاد الرحمة.

(ب) أنه لولا رحمة الله لهؤلاء المخطئين لطال عذابهم، ولكن رحمته كانت السبب في التجاوز عن كثير من خطاياهم وإدخالهم الجنة؛ لما روى أنس عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((**ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم الجهنميون**)). (٢١٢١).
وبذلك اتضح أن الله عذب الفساق بعدله، وتجاوز عن كثير من خطاياهم برحمته. ولم يستلزم العدل انتفاء الرحمة، ولا الرحمة انتفاء العذاب بعدله سبحانه.

(ج) على التسليم بما تزعمونه فإن رحمة الله مقيدة بالمشيئة؛ لما روى أبو هريرة–رضي الله عنه–أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((**تحاجت الجنة والنار** . . . **إلى أن قال: فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي**

(٢١٢٠) انظر: الفصل جـ ٤ صـ ٤٧.

(٢١٢١) صحيح البخاري التوحيد (٧٠١٢)، مسند أحمد بن حنبل (١٤٧/٣).



أرحم بك من أشاء)). الحديث. (٢١٢٢). (٢١٢٣)، وإذا كانت الرحمة مقيدة بالمشيئة لم يبق في الآية دلالة على ما تزعمونه، والله أعلم.

الشبهة الخامسة:

قوله تعالى: **{إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}** [طه: الآية: ٤٨].

وجه الاستدلال: قالوا: هذه الآية صريحة في أن ماهية العذاب مختصة بمن كذب بالله تعالى وكان موليا عن دينه. ومن لم يكن مكذبا بالله تعالى ولا متوليا عن دينه لم يكن للعذاب به تعلق". (٢١٢٤). ومرتكب الكبيرة ليس مكذبا ولا متوليا عن دين الله؛ إذا ليس للعذاب به تعلق.

الجواب: نقول: الآية تؤكد بأن الكافر المكذب المتولي هو المخصص بالعذاب الأبدي، وهذا لا يمنع من حصول بعض العذاب لمن ارتكب كبيرة أو ذنبا". (٢١٢٥)، ثم إن عذاب الله لمرتكب الكبيرة إنما هو تطهير ولبعض مرتكبي الكبائر حسب إرادة الله ومشيئته.

وعليه فكلمة العذاب بمعناها الحقيقي لا تشمل ما يحصل لبعض مرتكبي الكبائر من تطهير، وإذا لم تشمله لم يبق في هذه الآية دلالة على عدم دخول مرتكبي الكبائر في النار، والله أعلم.

الشبهة السادسة:

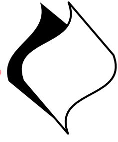
استدلوا بعموم النصوص التي فيها الوعد لمن ارتكب الكبيرة بأن لا يخلد في النار، كقوله تعالى: **{وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ}** [سبأ: الآية: ١٧].

(٢١٢٢) صحيح البخاري تفسير القرآن (٤٥٦٩)، صحيح مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٧)، سنن الترمذي كتاب صفة الجنة (٢٥٥٧)، مسند أحمد بن حنبل (٣١٤/٢).

(٢١٢٣) انظر: جامع الأصول جـ ١٠ حديث ٨١٠٩.

(٢١٢٤) الأربعين للرازي صـ ٢٠٨.

(٢١٢٥) انظر: فتح القدير جـ ٣ صـ ٣٦٨ – والتفسير الكبير جـ ٢٢ صـ ٦٢. وتفسير القرطبي جـ ١١ صـ ٢٠٤.



وجه الاستدلال: أن لفظ الكفور للمبالغة، فوجب أن يختص هذا الحكم بالكافر الأصلي". (٢١٢٦)، وكقوله تعالى: **{إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ}** [النحل: الآية: ٢٧].

وجه الاستدلال: قالوا: إن هذه الآية دلت على اختصاص الخزي بالكافرين، ثم إن كل من دخل النار فقد حصل له الخزي لقوله تعالى: **{رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}** [آل عمران: الآية: ١٩٢]، فلما لم يحصل الخزي إلا للكفار وجب ألا يحصل دخول النار إلا لهم". (٢١٢٧). وغيرهما من نصوص الوعيد.

الجواب: يقال لهم: أولًا: هذه الآيات إنما تدل على أن الكافر هو المخصص بالعذاب الأبدي.

يقول القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "إن الكافر يجازى بكل سوء عمله، أما المؤمن فإنه يجزى ولا يجازى؛ لأنه يثاب. فقوله: {وَهَلْ نُجَازِي} [سبأ: الآية: ١٧]، أي نكافئ السيئة بمثلها. وقال طاوس: هو المناقشة في الحساب أما الموحد فلا يناقش الحساب". (٢١٢٨).

وعن قتادة–رحمه الله–(ت: ١١٨ هـ) عن أنس–رضي الله عنه–(ت: ٩٣ هـ): في قوله: **{رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}** [آل عمران: الآية: ١٩٢].

قال: من تخلد.

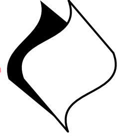
وعن ابن جريح قال: "هو من يخلد فيها". (٢١٢٩).

(٢١٢٦) الأربعين للرازي صـ ٢٠٩.

(٢١٢٧) الأربعين للرازي صـ ٢٠٩.

(٢١٢٨) تفسير القرطبي جـ ١٤ صـ ٢٨٩.

(٢١٢٩) تفسير الطبري جـ ٧ صـ ٤٧٧ – ٤٧٨.



وإذا كانت هذه الآيات إنما تدل على اختصاص الكافر بالعذاب الأبدي فإنها لا تعتبر حجة في انتفاء العذاب عمن ارتكب كبيرة من الكبائر مما دون الشرك.

ثانيا: لو سلمنا بقولكم واستدلالكم بهذه الآيات وأمثالها، فما ترون أن نصنع بالآيات التي استدل بها الوعيدية على عذاب الله للعصاة (نصوص الوعيد)!

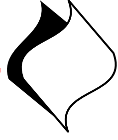
مثل قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ}** [الأنفال: الآية: ١٥]، **{وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}** [الأنفال: الآية: ١٦]. وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}** [النساء: الآية: ٢٩]. إلى قوله: **{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}** [النساء: الآية: ٣٠].

ماذا نصنع بهذه الآيات؟ هل نضرب عنها صفحا؟، هذا لا يمكن؛ لأنه إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعضه، هل نخصصها بأدلتكم؟، فإن قالوا: نعم، قلنا: ولماذا لا تخصصون أنتم؟ وذلك بالموازنة؛ ليتم الإيمان بالجميع". (٢١٣٠).

الشبهة السابعة:

حديث معاذ–**رضي الله عنه**–**(ت: ١٧ أو ١٨ هـ)** قال: كنت رديف رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فقال: ((**هل تدري ما حق الله على العباد؟**))، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((**حق الله على عباده أن**

(٢١٣٠) انظر: قواعد العقائد صـ ٢٥٥.



يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.. ثم قال: ((**هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟**))، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((**حق العباد على الله أن لا يعذبهم**)). (٢١٣١). (٢١٣٢).

وجه الاستدلال: الحديث يدل على أن الله وعد من عبده ولم يشرك به شيئا بعدم العذاب، ومرتكب الكبيرة قد عبد الله ولم يشرك به شيئا إذا سيشمله الوعد بعدم العذاب.

الجواب: من وجوه منها:

(أ) أن المراد بالعبادة فعل الطاعات واجتناب المعاصي. (٢١٣٣). والموحد الفاعل للطاعات المجتنب للمعاصي لا يعتبر من أهل الكبائر، وعليه فلا دلالة في الحديث.

(ب) المراد بقوله: أن لا يعذبهم قيل: المراد ترك دخول نار الشرك، وقيل: ترك تعذيب جميع بدن الموحدين، لأن النار لا تحرق مواضع السجود. وقيل: ليس ذلك لكل من وحد وعبد، بل يختص بمن أخلص، والإخلاص يقتضي تحقيق القلب بمعناه، ولا يتصور حصول التحقيق مع الإصرار على المعصية؛ لامتلاء القلب بمحبة الله تعالى وخشيته فتنبعث الجوارح إلى الطاعة وتنكف عن المعصية". (٢١٣٤). وعلى ذلك فإنه لا دلالة في الحديث.

(ج) على التسليم بما تزعمونه، فإن تطهير أهل الكبائر من خطاياهم لا يعتبر عذابا على حقيقته، ولذا فإنه لا منافاة بين تطهيرهم من الخطايا وبين قوله: أن لا يعذبهم، وبذلك يتضح خطأ استدلالكم بالحديث على عدم دخول أهل الكبائر النار، والله أعلم.

(٢١٣١) صحيح البخاري اللباس (٥٦٢٢)، صحيح مسلم الإيمان (٣٠)، سنن الترمذي الإيمان (٢٦٤٣)، سنن ابن ماجه الزهد (٤٢٩٦)، مسند أحمد بن حنبل (٥/٢٣٨).

(٢١٣٢) انظر: حجج القرآن صـ ٤٢ - ٤٣.

(٢١٣٣) انظر: فتح الباري جـ ١١ صـ ٣٣٩.

(٢١٣٤) انظر فتح الباري جـ ١١ صـ ٣٤٠.

الشبهة الثامنة:

ما روي عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – أنه قال: مسند أحمد بن حنبل (٣٩٢/٣). أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟، قال: ((**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار**)). [٢١٣٥].

وجه الاستدلال: في الحديث وعد لمن مات لا يشرك بالله شيئا بدخول الجنة، ومرتكب الكبيرة لا يشرك بالله شيئًا، فلو مات على ذلك فإن الوعد سيشمله بدخول الجنة.

الجواب: يقال لهم: المراد بقوله: دخل الجنة أن مصيره الجنة، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أولا، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل الجنة أولا، وإلا عذب ثم أخرج من النار وأدخل الجنة". [٢١٣٦]. والله أعلم.

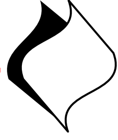
ما روي عن **أبي ذر–رضي الله عنه–(ت: ٣١ أو ٣٢ هـ)**، قال: أتيت النبي–صلى الله عليه وسلم– وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: ((**ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**))، قلت: وإن زنى وإن سرق؟، قال: ((**وإن زنى وإن سرق**))، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: ((**وإن زنى وإن سرق**))، قلت: وإن زنى وإن سرق؟، قال: ((**وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**)). [٢١٣٧]. [٢١٣٨].

[٢١٣٥] انظر: حجج القرآن صـ ٤٣.

[٢١٣٦] انظر: شرح صحيح مسلم للنووي جـ ١ صـ ٢١٩، جـ ٢ صـ ٩٧.

[٢١٣٧] صحيح البخاري اللباس (٥٤٨٩)، صحيح مسلم الإيمان (٩٤)، سنن الترمذي الإيمان (٢٦٤٤)، مسند أحمد بن حنبل (١٥٢/٥).

[٢١٣٨] انظر: حجج القرآن صـ ٤٣، والفصل جـ ٤ صـ ٤٧.



وجه الاستدلال: في الحديث وعد لمن قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك بدخول الجنة. وإن ارتكب بعض الكبائر كالزنا والسرقة. إذا مرتكب الكبيرة الذي قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك يشمله هذا الوعد بدخول الجنة.

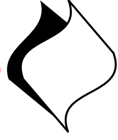
الجواب – قال الإمام البخاري – بعد روايته هذا الحديث: هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال لا إله إلا الله غفر له". (٢١٣٩)

وقيل: إن الحديث محمول على من وحد ربه ومات على ذلك تائبا من الذنوب التي أشير إليها في الحديث، فإنه موعود بهذا الحديث بدخول الجنة ابتداء. وأما من تلبس بالذنوب المذكورة أو غيرها مما دون الشرك ومات من غير توبة فهو تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة. ويدل على ذلك حديث عبادة بن الصامت في كتاب الإيمان، فإن فيه: ((**ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله تعالى، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه**)). (٢١٤٠). إذا المراد بالحديث: من قال لا إله إلا الله تائبا نادما على ما حصل منه من الذنوب ثم مات على ذلك فإنه يدخل الجنة؛ لأن التوبة تجب ما قبلها. أو المراد: أن مصيره الجنة ابتداء إن قالها تائبا ومات على ذلك أو النار ثم الجنة؛ إذ أنه لا يخلد في النار". (٢١٤١). وبذلك يتضح خطأ استدلالهم بالحديث، والله أعلم.

(٢١٣٩) انظر: البخاري (بشرح ابن حجر) جـ ١٠ صـ ٢٨٣.

(٢١٤٠) صحيح البخاري الإيمان (١٨)، صحيح مسلم الحدود (١٧٠٩)، سنن الترمذي الحدود (١٤٣٩)، سنن النسائي البيعة (٤١٦٢)، سنن ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٦)، مسند أحمد بن حنبل (٥/٣٢٥)، موطأ مالك الجهاد (٩٧٧)، سنن الدارمي السير (٢٤٥٣).

(٢١٤١) انظر: فتح الباري جـ ١٠ صـ ٢٨٣. وشرح مسلم (للنووي) جـ ١ صـ ٢١٩، حـ ٢ صـ ٩٧.



(ج): في ذكر بعض اللوازم التي تؤكد بطلان هذه البدعة (بدعة المرجئة في مرتكب الكبيرة).

بعد عرض أمثلة من شبهاتهم والجواب عنها، نشير إلى بعض اللوازم التي تؤكد بطلان هذه البدعة، فنقول وبالله التوفيق.

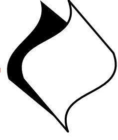
إن قول المرجئة: مرتكب الكبيرة لا يدخل النار–قول باطل لما تظافر من الأدلة التي تؤكد بطلانه ولما يستلزمه من اللوازم الباطلة والتي منها:

أولًا: إنكار عدل الله؛ لأنهم جعلوا الظالمين والمجرمين المنتهكين للحرمات سواء مع البررة الأتقياء الذين التزموا شرع الله وأقروا عدله في الأرض. فخالفوا بذلك النصوص الصريحة من كتاب الله، والتي تؤكد بأن الله تعالى لم يجعل الفساق كالمؤمنين. حيث يقول سبحانه:

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية: الآية: ٢١]، ويقول سبحانه: **{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}** [ص: الآية: ٢٨].

بل إن الله لم يسو بين الطائفتين من المؤمنين حيث فضل بعضهم على بعض بحسب الإيمان والعمل الذي قدموه، حيث يقول سبحانه: **{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}** [الحديد: الآية: ١٠].

ويقول–سبحانه–: **{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}** [النساء: الآية: ٩٥].



فإذا كان سبحانه لم يسو بين المؤمنين، بل فضل بعضهم على بعض بحسب العمل الذي قدموه فكيف يسوي بين المؤمنين والفساق". (٢١٤٢).

وقد ناقشهم **الملطي**–**رحمه الله**–(**ت: ٣٧٧ هـ**)، وألزمهم الحجة حيث قال:

أخبرونا عن قوله تعالى: **{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}** [الجاثية: الآية: ٢١]، وقوله تعالى: **{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}** [العنكبوت: الآية: ٤]. أهذا شيء قاله على حقيقة القول أم على المجاز؟ فإن قالوا: على المجاز، جعلوا إخبار الله عن وعده على المجاز وهذا كفر ممن قاله؛ لأن أحدا لا يتيقن حينئذ بخبره إذا لم يكن له حقيقة وصحة، وإن قالوا على الحقيقة، قيل لهم: أخبر الله عز وجل أنه لا يستوي عنده الولي والعدو. ويقال لهم: أخبرونا عمن زنى وأتى شيئا من الكبائر، أترون عليه توبة أم لا؟ فإن قالوا: لا، بان جهلهم، وإن قالوا: نعم، قيل لهم: لأي شيء يتوب؟ فإن قالوا: يقبل الله توبته ويغفر ذنبه، تركوا قولهم وجعلوا لأهل المعاصي توبة وغفرانا مما اجترموا، وإن قالوا: لا يحتاجون إلى غفران ولا توبة عليهم: خرجوا من دين الإسلام وخالفوا الجماعة". (٢١٤٣).

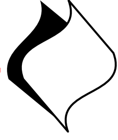
ثانيا: كما يلزم من قولهم فتح الباب للمجرمين والفساق للتمادي في فسقهم وضلالهم؛ لأن المجرم أو الفاسق إذا علم بأن جريمته أو فسقه لن يضره فلن يتركه.

ثالثا: كما يلزم أيضا بطلان التكليف بالفروع جملة، وضياع آيات الوعيد هباء، وصيرورتها كذبا وخداعا، تعالى الله عن ذلك". (٢١٤٤)

(٢١٤٢) انظر: الشريعة للآجري صـ ١٤٧.

(٢١٤٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي صـ ٤٥.

(٢١٤٤) انظر: المختار من كنوز السنة لعبد الله دراز صـ ٦٢ – ٦٣.



ولا شك أن هذا كله باطل. وإذا كان كذلك فما يستلزمه مثله. وعليه فالقول بأن مرتكب الكبيرة لا يدخل النار مطلقا باطل. والله أعلم. (٢١٤٥)

[حكم تارك الصلاة عمدًا]

[١٧]. قال المصنف–رحمه الله–:

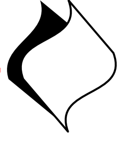
"واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمدا، فكفره بذلك أحمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف، وأخرجوه به من الإسلام، للخبر الصحيح: ((بين العبد والشرك ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر)) وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين إلى أنه لا يكفر ما دام معتقدا لوجوبها، وإنما يستوجب القتل كما يستوجبه المرتد عن الإسلام، وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحدا كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام أنه قال: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [يوسف: الآية: ٣٧]، ولم يك يتلبس بكفر فارقه، ولكن تركه جاحدا له".

الشرح

يتكلم المصنف هنا عن الجوانب التركية المتعلقة بأحد أركان الإسلام الأربعة فيما عدا الشهادتين وهي الصلاة التي لو تركها الإنسان هل يختل إيمانه أم لا.

وفيه مسائل:

(٢١٤٥) المصدر: وسطية أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة بين الخوارج والمرجئة.



المسألة الأولى: ذكر الأقوال في المسألة إجمالًا:

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "قد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر.

وأما الأعمال الأربعة فاختلفوا في تكفير تاركها، ونحن إذا قلنا: أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب، فإنما نريد به المعاصي، كالزنا والشرب.

وأما هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور، وعن أحمد في ذلك نزاع،

١–وإحدى الروايات عنه: أنه يكفر من ترك واحدة منها، وهو اختيار أبي بكر وطائفة من أصحاب مالك كابن حبيب،

٢–وعنه رواية ثانية: لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة فقط،

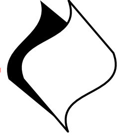
٣–ورواية ثالثة: لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة إذا قاتل الإمام عليها،

٤–ورابعة: لا يكفر إلا بترك الصلاة،

٥–وخامسة: لا يكفر بترك شيء منهن، وهذه أقوال معروفة للسلف". [٢١٤٦].

وقال ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ): "وأما إقام الصلاة فقد وردت أحاديث متعددة تدل على أن من تركها فقد خرج من الإسلام ... وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف، وهو قول **ابن المبارك–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ)**، **وأحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ) وإسحاق–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ)**، وحكى إسحاق عليه إجماع أهل العلم، **وقال محمد بن نصر المروزي–رحمه الله–(ت: ٢٩٤ هـ)**: هو قول جمهور أهل الحديث،

[٢١٤٦] ((مجموع الفتاوى)) (٣٠٢/٧).



وذهب طائفة منهم إلى أن من ترك شيئًا من أركان الإسلام الخمسة عمدا أنه كافر بذلك، وروي ذلك عن **سعيد بن جبير–رحمه الله–(ت: ٩٥ هـ)، ونافع–رحمه الله–(ت: ١١٧ هـ)** والحكم–**رحمه الله**–، وهو رواية عن **أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)** اختارها طائفة من أصحابه، وهو قول **ابن حبيب من المالكية–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ)**.

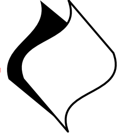
وعن أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ) رواية: أن ترك الصلاة والزكاة خاصة كفر دون الصيام والحج". (٢١٤٧)

وقال أيضا: "وأما هذه الخمس فإذا زالت كلها سقط البنيان ولم يثبت بعد زوالها، وكذلك إن زال منها الركن الأعظم، وهو الشهادتان، وزوالهما يكون بالإتيان بما يضادهما ولا يجتمع معهما.

وأما زوال الأربع البواقي فاختلف العلماء: هل يزول الاسم بزوالها أو بزوال واحد منها أم لا يزول بذلك، أم يفرق بين الصلاة وغيرها، فيزول بترك الصلاة دون غيرها، أم يختص زوال الإسلام بترك الصلاة والزكاة خاصة؟ وفي ذلك اختلاف مشهور، وهذه الأقوال كلها محكية عن **الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)**، ... وأكثر أهل الحديث على أن ترك الصلاة كفر دون غيرها من الأركان، كذلك حكاه **محمد بن نصر المروزي–رحمه الله–(ت: ٢٩٤ هـ)** وغيره عنهم. وممن قال بذلك: **ابن المبارك–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ)**، وأحمد–**رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)**–في المشهور عنه–، **وإسحاق–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ)**، وحكى عليه إجماع أهل العلم –كما سبق–، **وقال أيوب–رحمه الله–(ت: ١٣١ هـ)**: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه. وقال **عبد الله بن شقيق–رحمه الله–(ت: ١٠٨ هـ)**: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة". (٢١٤٨)

(٢١٤٧) ينظر: ((جامع العلوم والحكم)) (١/١٤٥-١٤٨).

(٢١٤٨) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، وابن أبي شيبة في ((الإيمان)) (١٣٧)، ومحمد بن نصر المروزي في ((تعظيم قدر الصلاة)) (٩٤٨). صححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٦٢٢)، وصحح إسناده النووي في ((خلاصة



المسألة الثانية: الشهادتان

اتفق أهل السنة على أن النطق بالشهادتين شرط لصحة الإيمان.

قال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ) تعليقا على حديث: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**)). (٢١٤٩): "فيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما، واعتقاد جميع ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم". (٢١٥٠).

قال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة، ولا يخلد في النار، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادا جازما خاليا من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلا". (٢١٥١)

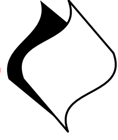
قال العيني–رحمه الله–(ت: ٨٥٥ هـ): "اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ما قاله النووي: إن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادا جازما خاليا من الشكوك، ونطق بالشهادتين.

الأحكام)) (١/٢٤٥)، والعراقي في ((طرح التثريب)) (٢/١٤٦)، والسخاوي في ((الأجوبة المرضية)) (٢/٨١٩)، وابن باز في ((مجموع الفتاوى)) (٨/١٦)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((العواصم والقواصم)) (٩/٧٩).

(٢١٤٩) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠) مطولا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢١٥٠) ينظر: ((شرح مسلم)) (١/٢١٢).

(٢١٥١) ينظر: ((شرح مسلم)) (١/١٤٩) ينظر: ((عمدة القاري)) (١/١١٠).



قال: فإن اقتصر على أحدهما لم يكن من أهل القبلة أصلا، بل يخلد في النار إلا أن يعجز عن النطق لخلل في لسانه، أو لعدم التمكن منه لمعاجلة المنية، أو لغير ذلك؛ فإنه حينئذ يكون مؤمنا بالاعتقاد من غير لفظ". (٢١٥٢)

فلا بد من تحقق أصل الإيمان في القلب، ثم التعبير عن تحقق هذا الأصل باللسان؛ فالشهادة ليست حجابا من الكلمات التي يتمتم بها قائلها، فترفع عنه السيف في الدنيا، ثم تستره من العذاب في الآخرة، دون أن يكون لها أية حقيقة في قلبه، وفي ظاهر أمره؛ من العلم والمعرفة والتصديق بالحق على ما هو عليه فعلا، ثم الخضوع والانقياد والاستسلام له، ومحبته والالتزام به، وتعظيمه، ولوازم ذلك كله؛ من كراهية الباطل والانخلاع عنه والتبرؤ منه، والالتزام بشريعة الرسول، والدخول في طاعته ومحبته وتوقيره صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين، فهو كافر". (٢١٥٣).

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها". (٢١٥٤)

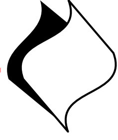
وقال **ابن أبي العز–رحمه الله–(ت: ٧٩٢ هـ)** عند كلامه على حديث شعب الإيمان: "وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعا كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها، كترك إماطة الأذى عن الطريق". (٢١٥٥).

(٢١٥٢) ينظر: ((حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة)) لمحمد عبد الهادي المصري (ص: ٣٣). وينظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/٦٣٨–٦٤٠)، ((فتاوى نور على الدرب)) لابن باز (١/٩٤).

(٢١٥٣) ((مجموع الفتاوى)) (٧/٣٠٢).

(٢١٥٤) ينظر: ((مجموع الفتاوى)) (٧/٦٠٩).

(٢١٥٥) ينظر: ((شرح الطحاوية)) (٢/٤٧٦).



قال ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ): "من ترك الشهادتين خرج من الإسلام". (٢١٥٦).

وقال ابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ) في شرح حديث: ((**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير**)) (٢١٥٧): "فيه دليل على اشتراط النطق بالتوحيد". (٢١٥٨).

وقال ابن عثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ): "الصحيح أنه لا يكفر إلا بترك الشهادتين والصلاة". (٢١٥٩).

والمقصود بالشهادتين ليس مجرد النطق بهما، بل التصديق بمعانيهما، وإخلاص العبادة لله، والتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والإقرار ظاهرا وباطنا بما جاء به؛ فهذه الشهادة هي التي تنفع صاحبها عند الله عز وجل. (٢١٦٠).

وقال أبو العباس القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ) ردا على من زعم أن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان: "هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطل قطعا". (٢١٦١)

(٢١٥٦) ينظر: ((جامع العلوم والحكم)) (١/٩٨).

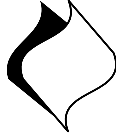
(٢١٥٧) أخرجه مطولا البخاري (٤٤) واللفظ له، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢١٥٨) ينظر: ((فتح الباري)) (١/١٠٤).

(٢١٥٩) ((مجموع فتاوى ابن عثيمين)) (٩/٧٨).

(٢١٦٠) المصدر: الموسوعة العقدية التابع لموقع الدرر السنية.

(٢١٦١) ينظر: ((المفهم على صحيح مسلم)) (١/٢٠٤).



وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "تواترت الأحاديث بأنه ((يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله)) (٢١٦٢)، ولكن جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين، وبموت عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقال!". (٢١٦٣)

المسألة الثالثة: تارك الصلاة. (٢١٦٤).

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "هنا ثلاثة أحوال:

(٢١٦٢) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ولفظ البخاري: ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار)).

(٢١٦٣) ينظر: ((تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء)) (١/٣٥٨).

(٢١٦٤) هناك عدة مؤلفات تناولت مسألة تارك الصلاة بانفراد ومنها:

١–حكم تارك الصلاة، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية.

٢–كتاب الصلاة وحكم تاركها، تأليف: ابن القيم الجوزية.

٣–حكم تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها أو القول الفصل في حكم تارك الصلاة عمدًا حتى يخرج وقتها، تأليف: الدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

٤–رسالة في حكم تارك الصلاة، تأليف: محمد بن صالح بن عثيمين.

٥–حكم تارك الصلاة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني.

٦–التعقبات الجلية في الترددات الألبانية في حكم تارك الصلاة، تأليف: د. محمد أبو رحيم

٧–حول مسألة حكم تارك الصلاة، تأليف: ممدوح جابر عبد السلام.

٨–الرد الوافر على من قال إن تارك الصلاة ليس بكافر، تأليف: محمود بن إمام منصور آل موافي.

٩–إعلام الأمة بحكم تارك الصلاة في الكتاب والسنة، تأليف: عطاء بن عبد اللطيف بن أحمد.

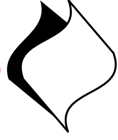
١٠–سبيل النجاة في بيان حكم تارك الصلاة، تأليف: مصطفى بن إسماعيل السليماني.

١١–الإحتساب على تارك الصلاة، تأليف: عبد الله سعد العريفي.

١٢–الخلاف في حكم تارك الصلاة، تأليف: عبد الله بن إبراهيم الزاحم.

١٣–كفر تارك الصلاة في القرآن والسنة عند الصحابة–رضي الله عنهم–، تأليف: عبد الله بن محمد الغليفي.

١٤–المباني الأربعة وحكم تاركها، تأليف: عبد الله بن محمد الغليفي.



أحدها: إن جحد وجوبها أي: الصلاة فهو كافر بالاتفاق.

والثاني: ألا يجحد وجوبها، لكنه ممتنع من التزام فعلها؛ كبرًا أو حسدًا، أو بغضًا لله ورسوله، فيقول: أعلم أن الله أوجبها على المسلمين، والرسول صادق في تبليغ القرآن، ولكنه ممتنع عن التزام الفعل؛ استكبارًا، أو حسدًا للرسول، أو عصبية لدينه، أو بغضًا لما جاء به الرسول؛ فهذا أيضا كافر بالاتفاق؛ فإن **إبليس** لما ترك السجود المأمور به لم يكن جاحدا للإيجاب؛ فإن الله تعالى باشره بالخطاب، وإنما أبى واستكبر، وكان من الكافرين". (٢١٦٥).

[الثالث]: وأما من تعمد ترك الصلاة تهاونا وكسلا، هل هو كافر أو مسلم؟ ففيه قولان لأهل العلم، ولكل فريق أدلته وحججه، والقول الوسط بين الطرفين، وبه تجتمع أدلة الفريقين؛ أن يقال: إن ضابط ترك الصلاة الذي يعد كفرا هو الترك المطلق الذي يتحقق بترك الصلاة بالكلية، أو بالإصرار على عدم إقامتها، أو بتركها في الأعم الأغلب بما يشبه الترك المطلق بحيث لا يعد صاحبه مقيمًا ومؤديًا للصلاة، وليس مناط التكفير مطلق الترك للصلاة بحيث يلزم أن نكفر كل من ترك صلاة واحدة. (٢١٦٦).

قال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "أجمع المسلمون على أن جاحد فرض الصلاة كافر يقتل إن لم يتب من كفره ذلك، واختلفوا في المقر بها وبفرضها التارك عمدا لعملها، وهو على القيام بها

١٥–رسالة نارية لتارك الصلاة، تأليف: عبد الله رفيق السيوطي.

١٦الرد البياني على حكم تارك الصلاة للألباني، تأليف: صلاح عامر.

١٧–تحقيق مذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد في حكم تارك الصلاة، تأليف: علي بن شعبان.

١٨–حد لُحوق الوعيد بتارك الصلاة، تأليف: علي بن شعبان.

١٩–حكم تارك الصلاة، تأليف: مرجان سالم أبو عمرو عبد الحكيم حسان.

٢٠–حقيقة الإيمان وبيان حكم تارك الأركان والحاكم بغير ما أنزل الرحمن وغيرهما من أهل العصيان، تأليف: نايف بن حمزة المنسي.

(٢١٦٥) ينظر: ((مجموع الفتاوى)) (٢٠/٩٧).

(٢١٦٦) ينظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٢/٤٩)، ((مجموع فتاوى ابن عثيمين)) (١٢/٥٤)، ((ضوابط التكفير)) لعبد الله القرني (ص: ١٥٩).

قادر". (٢١٦٧).

وقال ابن قدامة–رحمه الله–(ت: ٦٢٠ هـ): "تَارِكَ الصَّلَاةِ لَا يَخْلُو؛ إمَّا أَنْ يَكُونَ جَاحِدًا لِوُجُوبِهَا، أَوْ غَيْرَ جَاحِدٍ، فَإِنْ كَانَ جَاحِدًا لِوُجُوبِهَا نُظِرَ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ جَاهِلًا بِهِ، وَهُوَ مِمَّنْ يَجْهَلُ ذَلِكَ، كَالْحَدِيثِ الْإِسْلَامِ، وَالنَّاشِئِ بِبَادِيَةٍ , عُرِّفَ وُجُوبَهَا، وَعُلِّمَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُحْكَمْ بِكُفْرِهِ؛ لِأَنَّهُ مَعْذُورٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَجْهَلُ ذَلِكَ، كَالنَّاشِئِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى، لَمْ يُعْذَرْ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ادِّعَاءُ الْجَهْلِ، وَحُكِمَ بِكُفْرِهِ؛ لِأَنَّ أَدِلَّةَ الْوُجُوبِ ظَاهِرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَفْعَلُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، فَلَا يَخْفَى وُجُوبُهَا عَلَى مَنْ هَذَا حَالُهُ، فَلَا يَجْحَدُهَا إلَّا تَكْذِيبًا لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا يَصِيرُ مُرْتَدًّا عَنْ الْإِسْلَامِ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ سَائِرِ الْمُرْتَدِّينَ، فِي الِاسْتِتَابَةِ وَالْقَتْلِ، وَلَا أَعْلَمُ فِي هَذَا خِلَافًا". (٢١٦٨).

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "أما إذا جحد وجوبها–أي الصلاة – فهو كافر بإجماع المسلمين، .وكذلك من جحد سائر الواجبات المذكورات، والمحرمات التي يجب القتال عليها". (٢١٦٩).

قال الزركشي–رحمه الله–(ت: ٧٩٤ هـ): "التارك للصلاة قسمان: (٢١٧٠)

١–جاحد لها، كمن قال: الصلاة غير واجبة، أو غير واجبة علي.

٢–وغير جاحد.

فالجاحد: لا إشكال في كفره، ووجوب قتله، لأنه مكذب لله ولرسوله، وحكمه حكم غيره من المرتدين". (٢١٧١).

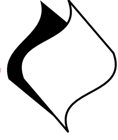
(٢١٦٧) "الاستذكار" (٢ /١٤٩).

(٢١٦٨) "المغني" (٢/١٥٦).

(٢١٦٩) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٠٨.

(٢١٧٠) انظر: الاستذكار: ٢/ ٢٨٣، ٥/ ٣٤١، جامع البيان: ٨/ ٧٤، الحاوي: ٢/٥٢٥، المغني: ٣/ ٣٥١، الفروع: ١/ ٢٩٤، المجموع: ٣/ ١٤، الدر المختار: ١/ ٥٢، حاشية الطحطاوي: ١/ ١٧٠، شرح العناية: ١/ ٢١٧، الفتاوى الهندية: ١/ ٥٠، المبدع: ١/ ٣٠٥، معالم السنن: ٧/ ٤٥، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٥.

(٢١٧١) شرح الزركشي على مختصر الخرقي ٢/ ٢٦٩.



الثاني: أن يتركها غير جاحد لوجوبها: وهذا لايخلو حاله من أحد ثلاثة أمور:

الحال الأول: أن يتركها لعذر. كنوم، ونسيان ونحوهما. فعليه القضاء إذا زال عذره، ولا إثم عليه. (٢١٧٢).

الحال الثانى: أن يعتقد أنه معذور بهذا الترك: كمن يتركها لمرض، أو لعجز عن بعض أركانها، أو شروطها ونحو ذلك. فمثل هذا، ينبغي أن يعلم بأن ذلك لا يُسقط الصلاة، وأنه يجب عليه أن يُصلي على حسب طاقته (٢١٧٣).

قال الشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ): "من ترك الصلاة المكتوبة ممن دخل في الإسلام. قيل له: لم لاتصلي؟ فإن ذكر نسياناً، قلنا: فصل إذا ذكرت.

وإن ذكر مرضاً. قلنا: فصل كيف أطقت، قائماً أو قاعداً، أو مضطجعاً، أو موميًا". (٢١٧٤).

الحال الثالث: أن يتركها لغير عذر، وإنما كسلاً وتهاوناً: كمن يتهاون في أدائها لانغماسه في لهوه، أو لانشغاله في أعماله وكسبه، أو يعد نفسه بفعلها إذا تقدمت به السن، بعد أن يقضي نهمته من شهوات النفس، ومتعتها، وملذاتها.

وقد اختلف العلماء–رحمهم الله تعالى–في هذه المسألة المهمة. وهي مسألة: حكم تارك الصلاة متعمداً من غير عذر، وإنما تركها كسلاً، وتهاوناً،

من غير جحد لوجوبها، أو استحلال لتركها، أو استكبار عن أدائها ويمكن إجمال هذا الخلاف في قولين، لكنه يختلف باختلاف جهة النظر

إليه:

أولاً: النظر إليه من جهة قتله، أو عدم قتله وقد اختلفوا في ذلك على قولين:

القول الأول: فذهب قوم إلى أنه لا يقتل بترك الصلاة، ولو كان تركه لها بغير عذر.

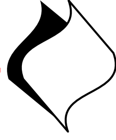
القول الثاني: وذهب آخرون إلى أنه يقتل بذلك

.

(٢١٧٢) المجموع ٣/ ١٤.

(٢١٧٣) المغني ٣/ ٣٥١.

(٢١٧٤) الأم ١/ ٢٥٥.



ثانياً: النظر إليه من جهة كفره، أو عدم كفره. وقد اختلفوا في ذلك أيضاً على قولين:

القول الأول: فذهب قوم إلى أنه لا يكفر بترك الصلاة، إذا لم يجحد وجوبها.

القول الثاني: وذهب آخرون إلى أنه يكفر بتركها بغير عذر، وإن لم يجحد وجوبها. (٢١٧٥).

مسألة حكم تارك الصلاة بالكلية تهاونًا أو كسلًا.

وقفات مع الأقوال المختلفة في حكم تارك الصلاة بالكلية تهاونًا وكسلًا.

الوقفة الأولى: أن الخلاف في المسألة وقع بين أهل السنة أنفسهم دون أن يبدع بعضهم بعضًا.

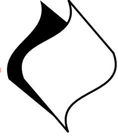
ويجب أن يُعلم أن الخلاف في هذه المسألة بين من كفَّر تارك الصلاة، ومن لم يكفِّره، لا يجوز أن يكون سببًا لذاته في الفُرقة والاختلاف، فضلاً عن التبديع والتضليل، فيُرْمَى من كَفَّر تارك الصلاة؛ بأنه حروري، أو خارجي، أو قال بقول صار فيه مضاهيًا لقول من كفَّر بالذنوب، أو يُرْمَى من لم يكفِّر تارك الصلاة؛ بأنه مرجئ، أو قال بقول المرجئة، أو تأثَّر بالإرجاء، أو أن قوله خارج عن قول أهل الاجتهاد، فإن هذا القول أو ذاك؛ مخالف لما عليه سلف الأمة، الذين جعلوا الخلاف في هذه المسألة، من الخلاف في مسائل الاجتهاد، والتي يسع المجتهدين فيها الاختلاف، وكلهم مجتهد معذور، ومأجور أجرًا أو أجرين، بل كان بعضهم يثني على البعض الآخر، مع وجود هذا الاختلاف". (٢١٧٦)

قال محمد بن نصر المروزي-رحمه الله-(ت: ٢٩٤ هـ): "وكان من ذهب هذا المذهب-يعني عدم التكفير-من علماء أصحاب الحديث: الشافعي رضي الله عنه وأصحابه، وأبوثور وغيره، وأبوعبيد في موافقيهم". (٢١٧٧)

(٢١٧٥) الخلاف في حكم تارك الصلاة ص: ١٩.

(٢١٧٦) سبيل النجاة في بيان حكم تارك الصلاة ص: ٥.

(٢١٧٧) انظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٩٥٦).



وقال الصابوني–رحمه الله–(ت: ٤٤٩ هـ): "واختلف أهل الحديث في ترك المسلم الصلاة متعمدًا: فكفَّره أحمد بن حنبل، وجماعة من علماء السلف رحمهم الله وأخرجوه به من الإسلام.... وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين إلى أنه لا يكفر، ما دام معتقدًا لوجوبِها". (٢١٧٨)

وذكر الإسماعيلي الاختلاف بين أهل السنة في ذلك، فقال: "واختلفوا أي أهل السنة الذين يتكلم الإسماعيلي عن عقيدتهم في متعمدي ترك الصلاة المفروضة.... فكفَّره جماعة .... وتأول جماعة منهم أنه يريد بذلك من تركها جاحدًا لها.. ". (٢١٧٩)

قال ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ): "ومن ترك الشهادتين؛ خرج من الإسلام؛ وفي خروجه من الإسلام بترك الصلاة؛ خلاف مشهور بين العلماء، وكذلك في ترك بقية مباني الإسلام الخمس". (٢١٨٠)

الوقفة الثانية: أن أصحاب القول بأن تارك الصلاة لا يكفر يرون أنه فاسق مستحق للعقوبة

قال ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): "لأنهم مقرّون معنا بلا خلاف من أحدهم، ولا من أحد من الأمة، في أن من تعمد ترك صلاة فرض ذاكرًا لها، حتى يخرج وقتها؛ فإنه فاسق، مجرح الشهادة، مستحق للضرب والنكال". (٢١٨١)

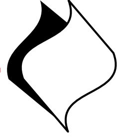
قال الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي الأندلسي، المعروف بابن الخراط، المتوفَّى سنة (٥٨١ هـ)،–وهو ممن يرجِّح عدم كفر تارك الصلاة–: "واعلم رحمك الله أن ترك الصلاة، وإن لم يكن كفرًا، كما قال أولئك–رضوان الله عليهم–فإنه أعظم الأسباب الموصلة إلى الكفر، الداعية إلى

(٢١٧٨) انظر: "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" ص (٢٧٨-٢٧٩).

(٢١٧٩) انظر: كتاب "اعتقاد أهل السنة" ص (٤٠ - ٤١).

(٢١٨٠) "جامع العلوم والحكم" (١/ ٦٨) الحديث الثاني.

(٢١٨١) انظر: "المحلى" (٢/ ٢٤٣).



شؤم العاقبة، وسوء الخاتمة، وأن المتمادي على تركها، منكوس القلب، ضعيف الإيمان، واهي الأركان، وربما هجمت عليه منيَّته، وهو كذلك، فاستفزّ الشيطان ما بيده من إيمانه، وأدخله في جملة أوليائه وإخوانه، ونعوذ بالله، ثم نعوذ به من ذلك، بكرمه ورحمته".(٢١٨٢)

الوقفة الثالثة:

قبل التشعب في عرض الأقوال في المسألة وبيان أدلة كل قول يحسن العرض الإجمالي للأقوال لمعرفتها على وجه الإجمال قبل الخوض في تفاصيلها.

فهناك فريقان رئيسان في المسألة، ولكن يتفرع من كل واحد منهما أقوال فرعية أخرى تجعل لكل قول فرعي نوعًا من الاستقلالية في الحكم تميزه عن الفريق الرئيس.

فالفريقان الرئيسان هما:

الفريق الأول: القائلين بأن تارك الصلاة بالكلية تهاونًا وكسلًا يحكم بكفره.

وهناك أقول أخرى تتفق في النتيجة مع هذا القول، ولكن بقيود معينة ومنها:

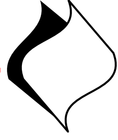
القول الأول: إنه لا يكون كافراً حتى يموت على تركها.

هذا القول نسبه **إسحاق–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ)** لطائفة من أهل العلم. دون تعيينهم

قال ابن نصر–رحمه الله–(ت: ٢٩٤ هـ): "قال إسحاق: ولقد قال قوم من أهل العلم: إذا ترك الرجل الصلاة متعمداً حتى يذهب وقتها، لم يكن كافراً حتى يموت على تركها، فحينئذ تبين كفره". (٢١٨٣)

(٢١٨٢) "الصلاة والتهجد" ص (٩٦).

(٢١٨٣) تعظيم قدر الصلاة ص: ٩٣٥.



القول الثاني: القول بأنه يكون كافراً، ويقتل كالمرتد، إلا أنه لا يخلد في النار.

وهذا القول ذهب إليه **الشوكاني**–**رحمه الله**–(**ت: ١٢٥٠ هـ**) في نيل الأوطار، ولعله أراد أن يجمع بين القولين في المسألة فوافق القائلين: بأن تارك الصلاة كافر، يُقتل كما يقتل المرتد، فلا يُغسل، ولا يصلى عليه، ولا يرثه ورثته..، وهذا في الدنيا. فقال: "الحق: أنه كافر، يُقتل". (٢١٨٤). وقال: "حكى جماعة: الإجماع على كفره، كالمرتد. وهو الظاهر". (٢١٨٥). ووافق القائلين: بأن تارك الصلاة تحت المشيئة، فلا يخلد في النار وهذا في الآخرة. فقال: "لا يمنع أن يكون بعض أنواع الكفر غير مانع من المغفرة، واستحقاق الشفاعة، ككفر أهل القبلة ببعض الذنوب التي سماها الشارع كفراً". (٢١٨٦)

والفريق الثاني: القول بأن تارك الصلاة بالكلية تهاونًا وكسلًا لا يحكم بكفره.

وانقسم أصحاب هذا الفريق إلى قولين:

القول الأول: فذهب بعضهم إلى: أنه يُقتل حداً، لا كفرًا.

القول الثاني: وذهب آخرون إلى: أنه يُعزر، ولا يقتل.

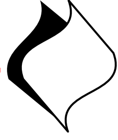
وهذان هما القولان المشهوران في المسألة. وهناك قول ثالث يمكن إضافته وهو:

القول الثالث: أنه لا يحكم بكفره ويستثني من ذلك حالة واحدة.

(٢١٨٤) نيل الأوطار: ١/ ٢٩٢.

(٢١٨٥) نيل الأوطار: ١/ ٢٩٣.

(٢١٨٦) نيل الأوطار: ١/ ٢٩٢.



وهو القول بأنه لا يكون كافراً، ولو مات مصراً على الترك، إلا إذا دعي إلى فعلها، وهدد بالقتل، فاختار القتل على الفعل فعند ذلك يحكم بكفره.

وهذا القول حصر كفر تارك الصلاة في هذه الحالة فقط، ما ذهب إليه **محمد ناصر الدين الألباني–رحمه الله–(ت: ١٤٢٠ هـ)**. وقد أشار إلى هذا القول في موضعين:

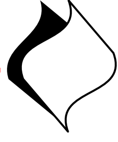
أحدهما: في سلسلة الأحاديث الصحيحة. فبعد أن رجح رأي الجمهور في عدم كفر تارك الصلاة، أراد يستثني من هذه الموافقة هذه الحالة فقط فقال: "إن التارك للصلاة كسلًا إنما يصح الحكم بإسلامه، مادام لا يوجد هنا ما يكشف عن مكنون قلبه، أو يدل عليه، ومات على ذلك قبل أن يستتاب، كما هو الواقع في هذا الزمان.

أما لو خير بين القتل والتوبة بالرجوع إلى المحافظة على الصلاة، فاختار القتل عليها، فقتل، فهو في هذه الحالة يموت كافراً، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا تجري عليه أحكامهم، لأنه لا يعقل–لو كان غير جاحد لها في قلبه–أن يختار القتل عليها. هذا أمر مستحيل، معروف بالضرورة من طبيعة الإنسان، لا يحتاج إثباته إلى برهان". (٢١٨٧).

الثاني: في رسالته: حكم تارك الصلاة فقال في بيان وجه الدلالة من حديث أبي سعيد الخدري، فالحديث دليل قاطع على: أن تارك الصلاة إذا مات مسلماً يشهد أن لا إله إلا الله، أنه لا يخلد في النار مع المشركين".

ثم أراد أن يستثني من ذلك هذه الصورة فقط، فنقل عن ابن القيم قوله: "ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها، ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ، وهو يرى بارقة السيف على رأسه،

(٢١٨٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١/ ١٣٢.



ويُشد للقتل وعصبت عيناه، وقيل له: تصلي وإلا قتلناك.!! فيقول: اقتلوني، ولا أصلي أبداً". (٢١٨٨)

فقال الألباني معلقاً على ذلك: "وعلى مثل هذا المصر على الترك والامتناع عن الصلاة، مع تهديد الحاكم له بالقتل يجب أن تحمل كل أدلة الفريق المكفر للتارك للصلاة". (٢١٨٩)

ثم قرر هذا الرأي والاستثناء في ختام رسالته، إذ قال: "والخلاصة: أن مجرد الترك لا يمكن أن يكون حجة لتكفير المسلم، وإنما هو فاسق، أمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، وأن من دعي إلى الصلاة، وأنذر بالقتل إن لم يستجب، فقتل، فهو كافر -يقينًا- حلال الدم، لا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

فمن أطلق التكفير، فهو مخطئ، ومن أطلق عدم التكفير، فهو مخطئ، والصواب التفصيل". (٢١٩٠)

القول الأول: القول بكفره.

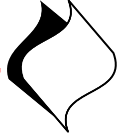
القائلون بكفر تارك الصلاة

ذهب أصحاب هذا القول: إلى أن تارك الصلاة - متعمداً من غير عذر، ولا استحلال، ولا جحود،

(٢١٨٨) حكم تارك الصلاة ص: ٣٥.

(٢١٨٩) كتاب الصلاة وحكم تاركها ص: ٦٠.

(٢١٩٠) حكم تارك الصلاة ص: ٥٢-٥٣.



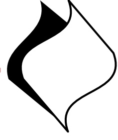
وإنما تهاوناً وكسلاً-يُقتل كفراً، لا حداً، فتجري عليه أحكام المرتدين حيث لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه. ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يرثه ورثته .... الخ.

وبهذا قال أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) في رواية، وهي المشهورة من المذهب (٢١٩١)، والشافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ) في قوله (٢١٩٢)، ومحمد بن الحسن من الحنفية-رحمه الله-(ت:

(٢١٩١) انظر: مسائل أبي داود ص ٢٧٢، مسائل عبد الله: ١/ ١٩٠ - ١٩٢، مسائل ابن هانيء: ٢/ ١٥٦، المسائل والرسائل: ٢/ ٣٦، الروايتين والوجهين: ١/ ١٩٤، الانتصار: ٢/ ٦٠٣، المغني: ٣/ ٣٥٤، شرح الزركشي على مختصر الخرقي: ٢/ ٢٧٢، الفروع: ١/ ٢٩٤، المبدع: ١/ ٣٠٧/، الإنصاف: ١/ ٤٠٤، الإفصاح: ١/ ١٠١، قال المرداوي في الإنصاف: (وهل يقتل حداً أو لكفره؟ على روايتين . . . إحداهما: يقتل لكفره، وهو المذهب، وعليه جمهور الأصحاب".

ومذهب الحنابلة: أنه يكفر إذا لم يصل بعد دعوة الإمام له، بشرط: أن يضيق وقت الصلاة الثانية عن فعلها، فمن باب أولى كفر من تركها بالكلية؛ قال المرداوي: (فائدتان: إحداهما: الداعي له هو الإمام أو نائبه. فلو ترك صلوات كثيرة قبل الدعاء لم يجب قتله، ولا يكفر على الصحيح من المذهب، وعليه جماهير الأصحاب، وقطع به كثير منهم، وكذا لو ترك كفارة أو نذرا. وذكر الآجري: أنه يكفر بترك الصلاة، ولو لم يدع إليها، قال في الفروع: وهو ظاهر كلام جماعة). ((الإنصاف)) (١/٢٨٥) هذا النقل يبين اشتراط دعوة الإمام. وقال المرداوي أيضا: (وظاهر قوله: "أنه لا يكفر بترك شيء من العبادات تهاونا غيرها - أي الصلاة - وهو صحيح، وهو المذهب، وعليه جمهور الأصحاب، قال في الفروع: اختاره الأكثر، قال ابن شهاب وغيره: وهو ظاهر المذهب). ((الإنصاف)) (١/٢٨٦). وقال الحجاوي: (ولا يكفر بترك شيء من العبادات تهاونا غير الصلاة، فلا يكفر بترك زكاة ولا بترك صوم وحج، ويحرم تأخيره تهاونا، ويقتل فيهم حدا، ولا يقتل بصلاة فائتة ولا بترك كفارة ونذر). ((الإقناع)) (١/٧٥). وقال البهوتي: ("ولا يكفر بترك شيء من العبادات تهاونا غير الصلاة، فلا يكفر بترك زكاة بخلا، ولا بترك صوم وحج، ويحرم تأخيره تهاونا"؛ لقول عبد الله بن شقيق: لم يكن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة). ((كشاف القناع)) (١/٢٢٩). وينظر: ((المغني)) لابن قدامة (٢/٣٢٩).

(٢١٩٢) حكاه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٨/ ٢٠٥، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٧، وانظر ابن القيم في كتابه الصلاة ص ٣٠. وانظر: ((المجموع)) للنووي (٣/١٤).



١٨٩ هـ)، [(٢١٩٣)]، وابن حبيب من المالكية–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ)، [(٢١٩٤)]، وهو وجه للشافعية [(٢١٩٥)]، وبه قالت طائفة من السلف [(٢١٩٦)]،

وبه قال: إسحاق–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ)، والثوري–رحمه الله–(ت: ١٦١ هـ)، والأوزاعي–رحمه الله–(ت: ١٥٧ هـ)، وابن المبارك–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)١٨١، وحماد بن زيد–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ)، وأبو داود الطيالسي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ)، وابن أبي شيبة–رحمه الله–(ت: ٢٣٥ هـ)، وأبو خيثمة–زهير بن حرب–رحمه الله–(ت: ٢٣٤ هـ)، [(٢١٩٧)]، [(٢١٩٨)]، وذهب إلى هذا ابن تيمية–رحمه الله–

[(٢١٩٣)] حكاه عنه أبو الخطاب في الانتصار: ٢/ ٦٠٤، والموفق في المغني: ٣/ ٣٥٤.

[(٢١٩٤)] انظر: التمهيد: ٤/٢٢٥، المقدمات: ١/ ٦٤، ٦٥، الإفصاح: ١/ ١٠١، حلية العلماء: ٢/ ١٠، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي: ١/ ١٩٠، الشرح الصغير على أقرب المسالك: ١/٣٣٨، التاج والاكليل: ١/٤٢٠. وقال العدوي: "إن ابن حبيب وابن عبد الحكم وغيرهما يقولون بتكفير تارك الصلاة عمدا أو تفريطا". ((حاشية العدوي)) (١٠٢/١).

[(٢١٩٥)] انظر: المجموع للنووي: ٣/ ١٤، حلية العلماء للشاشي: ٢/ ١٢، روضة الطالبين: ٢/ ١٤٦، ووصفه بالشذوذ. قال ابن القيم في كتابه الصلاة ص: (٣٠) (وحكاه الطحاوي عن الشافعي نفسه)، وكذا ابن كثير. انظر: تفسير القرآن العظيم، ٣/ ١٢٧، وحكاه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٨/ ٢٠٥، وقال النووي في المجموع: "قال العبدري: وهو قول منصور الفقيه من أصحابنا، وحكاه المصنف في كتابه الخلاف عن أبي الطيب بن سلمة من أصحابنا"..

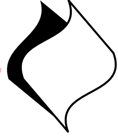
[(٢١٩٦)] قال ابن عبد البر: "واختلفوا في المقر بها وبفرضها، التارك عمدا لعملها، وهو على القيام بها قادر؛ فروي عن علي وابن عباس وجابر وأبي الدرداء تكفير تارك الصلاة، قالوا: من لم يصل فهو كافر، وعن عمر بن الخطاب: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وعن ابن مسعود: من لم يصل فلا دين له". ((الاستذكار)) (٢/١٥٠).

وقال النووي: "في مذاهب العلماء فيمن ترك الصلاة تكاسلا مع اعتقاده وجوبها... قالت طائفة: يكفر ويجرى عليه أحكام المرتدين في كل شيء، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، وبه قال ابن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وهو أصح الروايتين عن أحمد، وبه قال منصور الفقيه من أصحابنا". ((المجموع)) (١٦/٣).

وقال ابن تيمية: "وتكفير تارك الصلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين". ((مجموع الفتاوى)) (٩٧/٢٠).

[(٢١٩٧)] ((تعظيم قدر الصلاة)) للمروزي (٩٣٦/٢).

[(٢١٩٨)] انظر: المحلى: ٢/ ٢٤٢، التمهيد: ٤/ ٢٢٥، الاستذكار: ٥/ ٣٤٢، الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٧٥، الانتصار:



(ت: ٧٢٨ هـ) [٢١٩٩]، وابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ) [٢٢٠٠]، واختاره ابن عثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ) [٢٢٠١].

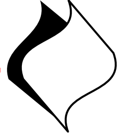
قال ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): "فروينا عن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–(ت: ٢٣ هـ)، ومعاذ بن جبل–رضي الله عنه–(ت: ١٧ أو ١٨ هـ)، وابن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)، وجماعة من الصحابة–رضي الله عنهم–، وعن ابن المبارك–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ)، وأحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، وإسحاق ابن راهوية(ت: ٢٣٨ هـ)–رحمة الله عليهم– وعن تمام سبعة عشر رجلا من الصحابة والتابعين–رضي الله عنهم–أن من ترك صلاة فرض عامدا ذاكرًا

٢/ ٦٠٤، المغني: ٣/ ٣٥٤، كتاب الصلاة ص ٣٠، المقدمات: ١/ ٦٤..

[٢١٩٩] قال ابن تيمية: "فأما من كان مصرا على تركها لا يصلي قط، ويموت على هذا الإصرار والترك فهذا لا يكون مسلما؛ لكن أكثر الناس يصلون تارة، ويتركونها تارة، فهؤلاء ليسوا يحافظون عليها، وهؤلاء تحت الوعيد، وهم الذين جاء فيهم الحديث الذي في السنن؛ حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة؛ من حافظ عليهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة، ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عهد عند الله؛ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له))، فالمحافظ عليها الذي يصليها في مواقيتها كما أمر الله تعالى؛ والذي يؤخرها أحيانا عن وقتها، أو يترك واجباتها؛ فهذا تحت مشيئة الله تعالى، وقد يكون لهذا نوافل يكمل بها فرائضه، كما جاء في الحديث". ((الفتاوى الكبرى)) (٢/ ٢٤).

[٢٢٠٠] قال ابن القيم: "أما تركها بالكلية فإنه لا يقبل معه عمل، كما لا يقبل مع الشرك عمل؛ فإن الصلاة عمود الإسلام كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وسائر الشرائع كالأطناب والأوتاد ونحوها، وإذا لم يكن للفسطاط عمود لم ينتفع بشيء من أجزائه، فقبول سائر الأعمال موقوف على قبول الصلاة، فإذا ردت ردت عليه سائر الأعمال، وقد تقدم الدليل على ذلك". ((الصلاة وأحكام تاركها)) (ص: ٦٤).

[٢٢٠١] قال ابن عثيمين: "إذا كان مقرا بالفريضة، ولكن نفسه تغلبه كسلا وتهاونا، فإن أهل العلم مختلفون في كفره، فمنهم من يرى أن من ترك صلاة مفروضة، حتى يخرج وقتها فإنه يكفر، ومن العلماء من يراه لا يكفر إلا إذا تركها نهائيا، وهذا هو الصحيح؛ إذا تركها تركا مطلقا، بحيث أنه لا يهتم بالصلاة؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم: ((بين الرجل والشرك ترك الصلاة))، فظاهر الحديث هو الترك المطلق، وكذلك حديث بريدة: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر))، ولم يقل: من ترك صلاة، وعلى كل حال؛ فالراجح عندي أنه لا يكفر إلا إذا تركها بالكلية". ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)) (١٢/ ٥١).



حتى يخرج وقتها فإنه كافر مرتد وبهذا يقول عبد الله بن الماجشون صاحب مالك وبه يقول عبد الملك بن حبيب الأندلسي وغيره". (٢٢٠٢)

الأدلة:

أولا: من الكتاب

١-قال تعالى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم: الآية: ٥٩].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "فوجه الدلالة من الآية: أن الله سبحانه جعل هذا المكان من النار لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات، ولو كان مع عصاة المسلمين لكانوا في الطبقة العليا من طبقات النار، ولم يكونوا في هذا المكان الذي هو في أسفلها؛ فإن هذا ليس من أمكنة أهل الإسلام، بل من أمكنة الكفار.

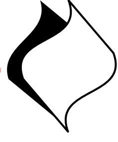
ومن الآية دليل آخر: وهو قوله تعالى: **{فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}** [مريم: الآيات: ٥٩-٦٠]. فلو كان مضيع الصلاة مؤمنا لم يشترط في توبته الإيمان؛ فإنه يكون تحصيلا للحاصل". (٢٢٠٣)

قال ابن عثيمين-رحمه الله-(ت: ١٤٢١ هـ): "إن الله تعالى قال في المضيعين للصلاة المتبعين للشهوات: إلا من تاب وآمن؛ فدل على أنهم حين إضاعتهم للصلاة واتباع الشهوات غير مؤمنين. (٢٢٠٤)

(٢٢٠٢) الفصل لابن حزم ٣/ ١٢٨.

(٢٢٠٣) كتاب الصلاة ص: ٥٩.

(٢٢٠٤) ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)) (١٢/١٢٧).



٢-قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الروم: الآية: ٣١].

وجه الدلالة:

بين الله عز وجل أن علامة كونهم من المشركين تركهم إقامة الصلاة". (٢٢٠٥).

٣-قال تعالى {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة: الآية: ١١].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم: "فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعلوا، لم يكونوا إخوة للمؤمنين، فلا يكونون مؤمنين لقول الله تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: الآية: ١٠] ". (٢٢٠٦)

أي أن الأخوة الدينية لا تنتفي بالمعاصي وإن عظمت، ولكن تنتفي بالخروج عن الإسلام.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي "يفهم من مفهوم هذه الآية أنهم إن لم يقيموا الصلاة لم يكونوا من إخوان المؤمنين، ومن انتفت عنهم إخوة المؤمنين، فهم من الكافرين لأن الله يقول **{إنما المؤمنون إخوة}** [الحجرات: الآية: ١٠]". (٢٢٠٧).

٤-قال تعالى {فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ} [القيامة: الأية: ٣١-٣٢]

وجه الدلالة:

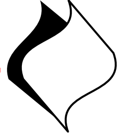
قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "إنما كان الإسلام والتصديق الخبر، والانقياد للأمر، جعل سبحانه له ضدين عدم التصديق وعدم الصلاة وقابل التصديق بالتكذيب. والصلاة بالتولي، فقال **{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ}**، لا صدق بكتاب الله ولا صلى لله، ولكن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته، **{أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ}** [القيامة: الآية: ٣٤-٣٥]. وعيد على إثر وعيد". (٢٢٠٨).

(٢٢٠٥) ((تعظيم قدر الصلاة)) للمروزي (٢/١٠٠٤).

(٢٢٠٦) كتاب الصلاة ص: ٣٨، ((تعظيم قدر الصلاة)) للمروزي: ٨٦.

(٢٢٠٧) أضواء البيان ٤/ ٣١١.

(٢٢٠٨) كتاب الصلاة ص ٣٨ وانظر تعظيم قدر الصلاة ص ٩٨٨ قال الهلالي ص ١١ قال ابن القيم رحمه الله الإسلام أمران تصديق النبي فيما جاء به والانقياد لأمره فمن لم يصدقه فهو كافر، وكذلك ما امتنع من الانتقاد لأمره بترك الصلاة فهو كافر، وقد فرقهم الله تعالى، فلا سبيل الله التفرقة بينهما".



٥-قال تعالى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ} [القلم: الآيات: ٣٥ – ٤٣].

وجه الدلالة:

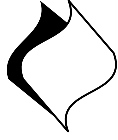
قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "أنه سبحانه أخبر أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته ولا بحكمه، ثم ذكر أحوال المجرمين، الذين هم ضد المسلمين، فقال: **{يوم يكشف عن ساق}** [القلم: الآية: ٤٢]، وأنهم يدعون إلى السجود لربهم-تبارك وتعالى-؛ فيحال بينهم وبينه، فلا يستطيعون السجود مع المسلمين في دار الآخرة؛ عقوبة لهم على ترك السجود له مع المصلين في دار الدنيا. وهذا يدل على أنهم مع الكفار والمنافقين، الذين تبقى ظهورهم إذا سجد المسلمون كصياصي البقر، ولو كانوا من المسلمين لأذن لهم بالسجود كما أذن للمسلمين". (٢٢٠٩)

٦-قوله تعالى: {كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين} [المدثر: الآيات: ٣٨ – ٤٧].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "فلا يخلو؛ إما أن يكون كل واحد من هذه الخصال هو الذي سلكهم في سقر، وجعلهم من المجرمين، أو مجموعها.

(٢٢٠٩) كتاب الصلاة ص ٥٠. قال الهلالي في إيضاح وجه استدلال ابن القيم من هذه الآية ص: ٩ "حاصل معنى ما ذكره: أن الله قسم الناس إلى مسلمين ومجرمين، وأخبر أن عدلة وحكمته يقتضيان إكرام المسلمين في الدنيا والآخرة، وأخبر أن تارك الصلاة-ولو صلاة واحدة-حتى يخرج وقتها من المجرمين، وأنه يدعى يوم القيامة إلى السجود، فإذا أراد أن يسجد صار ظهره طبقة واحدة فعجز عن السجود، وسقط على ظهره، لأنه كان يدعى إلى السجود في الدنيا فيمتنع منه، ومن كان من المجرمين لا يكون من المسلمين، وليس هناك قسم ثالث".



فإن كان كل واحد منها مستقلا بذلك فالدلالة ظاهرة، وإن كان مجموع الأمور الأربعة، فهذا إنما هو لتغليظ كفرهم وعقوبتهم، وإلا فكل واحد منها مقتض للعقوبة؛ إذ لا يجوز أن يضم ما لا تأثير له في العقوبة إلى ما هو مستقل بها.

ومن المعلوم أن ترك الصلاة وما ذكر معه ليس شرطا في العقوبة على التكذيب بيوم الدين، بل هو وحده كاف في العقوبة؛ فدل على أن كل وصف ذكر معه كذلك؛ إذ لا يمكن لقائل أن يقول: لا يعذب إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة!

فإذا كان كل واحد منها موجبا للإجرام، وقد جعل الله سبحانه المجرمين ضد المسلمين، كان تارك الصلاة من المجرمين السالكين في سقر، وقد قال تعالى: {إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر} [القمر: الآيات: ٤٧-٤٨]، وقال تعالى: {إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون} [المطففين: الآية: ٢٩]؛ فجعل المجرمين ضد المؤمنين المسلمين". (٢٢١٠)

٧-قال تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ [النور: الآية: ٥٦].

وجه الدلالة:

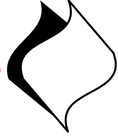
قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "فوجه الدلالة أنه سبحانه علق حصول الرحمة لهم بفعل هذه الأمور؛ فلو كان ترك الصلاة لا يوجب تكفيرهم وخلودهم في النار لكانوا مرحومين بدون فعل الصلاة، والرب تعالى إنما جعلهم على رجاء الرحمة إذا فعلوها". (٢٢١١)

٨-قال تعالى: {فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون} [الماعون: الآيات: ٤-٥].

وجه الدلالة:

(٢٢١٠) كتاب الصلاة ص: ٥٠-٥٢.

(٢٢١١) كتاب الصلاة ص: ٥٢.



قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وقد اختلف السلف في معنى السهو عنها؛ فقال سعد بن أبي وقاص، ومسروق بن الأجدع، وغيرهما: "هو تركها حتى يخرج وقتها". (٢٢١٢)

وروي في ذلك حديث مرفوع. **قال محمد بن نصر المروزي-رحمه الله-(ت: ٢٩٤ هـ)**: **حدثنا شيبان بن أبي شيبة-رحمه الله-(ت: ٢٣٦ هـ)، حدثنا عكرمة بن إبراهيم-رحمه الله-(ت: ٢١٩ هـ)، حدثنا عبد الملك بن عمير-رحمه الله-(ت: ١٣٦ هـ)، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص-رحمه الله-(ت: ١٠٣ هـ)، عن أبيه-رضي الله عنه-(ت: ٥٥ هـ)**: أنه سأل النبي ﷺ عن: **{الذين هم عن صلاتهم ساهون}** [الماعون: الآية: ٥] قال: "هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها". (٢٢١٣)

وقال حماد بن زيد-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ): **حدثنا عاصم-رحمه الله-(ت: ١٤١ هـ) عن مصعب بن سعد-رحمه الله-(ت: ١٠٣ هـ) قال: قلت لأبي-رضي الله عنه-(ت: ٥٥ هـ)**: يا أبتاه، أرأيت قول الله تعالى: **{الذين هم عن صلاتهم ساهون}** [الماعون: الآية: ٥] أينا لا يسهو؟ أينا لا يحدث نفسه؟ قال: "إنه ليس ذاك، ولكنه إضاعة الوقت". (٢٢١٤)

وقال حيوة بن شريح-رحمه الله-(ت: ٢٢٤ هـ): **أخبرني أبو صخر-رحمه الله-(ت: ١٨٩ هـ) أنه سأل محمد بن كعب القرظي-رحمه الله-(ت: ١٠٨ هـ)** عن قوله تعالى: **{الذين هم عن صلاتهم**

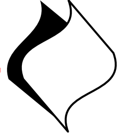
(٢٢١٢) أسنده ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٦٥٩ - ٦٦١) عنهما، وعن ابن عباس، وأبي الضحى مسلم بن صبيح، وعبد الرحمن بن أبزى، وينظر أيضا في نسبة هذه الأقوال: الدر المنثور للسيوطي (١٥/ ٦٨٧ - ٦٨٨).

(٢٢١٣) تعظيم قدر الصلاة (٤٢ - ٤٥). وأخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٦٣)، والبيهقي (٢/ ٢١٤)، والبزار (٣/ ٣٤٦)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٧٧)، وغيرهم، من طريق عكرمة به.

قال أبوزرعة كما في علل ابن أبي حاتم (٥٣٦): "هذا خطأ، والصحيح موقوف". وقال البزار: "لا نعلم أسنده إلا عكرمة بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير، وعكرمة لين الحديث". وبنحوه قال البيهقي (٢/ ٢١٤)، والهيثمي في المجمع (١/ ٣٢٥)، (٧/ ١٤٣).

(٢٢١٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٦٦٠)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٤)، وأبويعلى (٧٠٤)، وغيرهم، من طريق عاصم بن أبي النجود به. وقد حسن إسناده المنذري في الترغيب (١/ ٢١٨)، والهيثمي في المجمع (١/ ٣٢٥).

.



ساهون} [الماعون: الآية: ٥] قال: "هو تاركها"، ثم سأله عن الماعون، قال: "منع المال من حقه". (٢٢١٥)

إذا عرف هذا فالوعيد بالويل اطرد في القرآن للكفار؛ كقوله تعالى: **{وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون}** [فصلت: الآيات: ٦-٧]، وقوله: **{ويل لكل أفاك أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها}** إلى قوله: **{لهم عذاب مهين}** [الجاثية: الآيات: ٧-٩]، وقوله: **{وويل للكافرين من عذاب شديد}** [إبراهيم: الآية: ٢].

إلا في موضعين، وهما: **{ويل للمطففين}** [المطففين: الآية: ١]، و **{وويل لكل همزة لمزة}** [الهمزة: الآية: ١]؛ فعلق الويل بالتطفيف، وبالهمز واللمز، وهذا لا يكفر به بمجرده.

فويل تارك الصلاة إما أن يكون ملحقا بويل الكفار، أو بويل الفساق، فإلحاقه بويل الكفار أولى؛ لوجهين:

أحدهما: أنه قد صح عن سعد بن أبي وقاص في هذه الآية أنه قال: "لو تركوها لكانوا كفارا، ولكن ضيعوا وقتها". (٢٢١٦).

الثاني: ما سنذكره من الأدلة على كفره". (٢٢١٧).

٩-قال تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ [السجدة: الآية: ١٥].

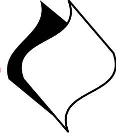
وجه الدلالة:

(٢٢١٥) أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٤٥) من طريق إسحاق عن عبد الله بن يزيد المقرئ عن حيوة به. وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٥٦٩) من طريق ابن وهب عن أبي صخر حميد بن زياد الخراط عن القرظي بنحوه. والإسناد حسن، رجالهما ثقات، غير أبي صخر فإنه لا بأس به. تنظر ترجمته في: تهذيب الكمال للمزي (٧/ ٣٦٦).

.

(٢٢١٦) أخرج ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٥٦٧) وأبونعيم في الحلية (٦/ ٨٠) وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٠/ ٩٧) من طريق الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة قال: "أضاعوا المواقيت، ولو تركوها لصاروا كفارا، ولكن أضاعوا المواقيت، وصلوا الصلوات لغير وقتها".

(٢٢١٧) كتاب الصلاة ص: ٥٣-٥٥.



قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "ووجه الاستدلال بالآية: أنه سبحانه نفى الإيمان عمن إذا ذكر بآيات الله لم يخر ساجدا مسبحا بحمد ربه، ومن أعظم التذكير بآياته التذكير بآيات الصلاة؛ فمن ذكر بها فلم يتذكر ولم يصل فلم يؤمن بها؛ لأنه سبحانه خص المؤمنين بها بأنهم أهل السجود، وهذا من أحسن الاستدلال وأقربه. فلم يؤمن بقوله تعالى: **{وأقيموا الصلاة}** [البقرة: الآية: ٤٣]، إلا من التزم إقامتها". (٢٢١٨).

١٠-قال تعالى: {وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون (٤٨) ويل يومئذ للمكذبين} [المرسلات: الآيات: ٤٨-٤٩].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "ذكر هذا بعد قوله: **{كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون}** [المرسلات: الآية: ٤٦]، ثم توعدهم على ترك الركوع-وهو الصلاة-إذا دعوا إليها. ولا يقال: إنما توعدهم على التكذيب؛ فإنه سبحانه إنما أخبر عن تركهم لها، وعليه وقع الوعيد.

على أنا نقول: لا يصر على ترك الصلاة إصرارا مستمرا من يصدق بأن الله أمر بها أصلا؛ فإنه يستحيل في العادة والطبيعة أن يكون الرجل مصدقا تصديقا جازما أن الله سبحانه فرض عليه كل يوم وليلة خمس صلوات، وأنه يعاقبه على تركها أشد العقاب= وهو مع ذلك مصر على تركها؛ هذا من المستحيل قطعا.

فلا يحافظ على تركها مصدق بفرضها أبدا؛ فإن الإيمان يأمر صاحبه بها، فحيث لم يكن في قلبه ما يأمره بها فليس في قلبه شيء من الإيمان.

ولا يصغى إلى كلام من ليس له خبرة ولا علم بأحكام القلوب وأعمالها. وتأمل هل في الطبيعة أن يقوم بقلب العبد إيمان بالوعد والوعيد، والجنة والنار، وأن الله فرض عليه الصلاة، وأنه معاقبه على تركها= وهو محافظ على الترك في صحته وعافيته، وعدم الموانع المانعة له من الفعل.

وهذا القدر هو الذي خفي على من جعل الإيمان مجرد التصديق وإن لم يقارنه فعل واجب ولا ترك محرم، وهذا من أمحل المحال؛ أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاه فعل طاعة ولا ترك معصية.

ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر، دون الانقياد له. ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانا لكان إبليس، وفرعون وقومه، وقوم صالح، واليهود الذين عرفوا أن محمدا

(٢٢١٨) كتاب الصلاة ص: ٦٢.

رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين! وقد قال تعالى: **{فإنهم لا يكذبونك}**، أي: يعتقدون أنك صادق **{ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون}** [الأنعام: الآية: ٣٣]، والجحود لا يكون إلا بعد معرفة الحق.

وقال تعالى: **{وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا}** [النمل: الآية: ١٤].

وقال موسى لفرعون: **{لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر}** [الإسراء: الآية: ١٠٢]. وقال تعالى عن اليهود: **{يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون}** [البقرة: الآية: ١٤٦].

وأبلغ من هذا قول النفر من اليهود لما جاؤوا إلى النبي ﷺ، وسألوه عما دلهم على نبوته، فقالا: نشهد أنك نبي، فقال: ((**ما يمنعكما من اتباعي؟ " قالا: إن داود دعا أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود**)). [(٢٢١٩)]

فهؤلاء قد أقروا بألسنتهم إقرارا مطابقا لمعتقدهم أنه نبي، ولم يدخلوا بهذا التصديق والإقرار في الإيمان؛ لأنهم لم يلتزموا طاعته

والانقياد لأمره.

ومن هذا كفر أبي طالب؛ فإنه عرف حقيقة المعرفة أنه صادق، وأقر بذلك بلسانه، وصرح به في شعره، ولم يدخل بذلك في الإسلام.

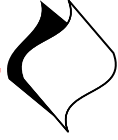
فالتصديق إنما يتم بأمرين:

أحدهما: اعتقاد الصدق.

والثاني: محبة القلب وانقياده.

ولهذا قال تعالى لإبراهيم: **{قد صدقت الرؤيا}** [الصافات: الآية: ١٠٥]. وإبراهيم كان معتقدا لصدق رؤياه من حين رآها؛ فإن رؤيا الأنبياء وحي، وإنما جعله مصدقا لها بعد أن فعل ما أمر به.

[(٢٢١٩)] أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٩)، والنسائي (٤٠٧٨)، والترمذي (٢٧٣٤)، وابن ماجه مختصرا (٣٧٠٥)، والضياء في المختارة (٨/ ٢٨)، والحاكم (١/ ٥٢)، وغيرهم، من حديث صفوان بن عسال-رضي الله عنه-. قال الترمذي: "حسن صحيح"، وقال ابن الملقن في البدر (٩/ ٤٨): "بأسانيد صحيحة"، وقال الحافظ في التلخيص (٤/ ٩٣): "بإسناد قوي".



وكذلك قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**)). [٢٢٢٠]. فجعل التصديق عمل الفرج ما تمنى القلب، والتكذيب تركه لذلك. وهذا صريح في أن التصديق لا يصح إلا بالعمل.

وقال الحسن-رحمه الله-(ت: ١١٠ هـ): "ليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل". [٢٢٢١]. وقد روي هذا مرفوعا". [٢٢٢٢]

والمقصود: أنه يمتنع مع التصديق الجازم بوجوب الصلاة، والوعد على فعلها، والوعيد على تركها= المحافظة على تركها (٣). وبالله التوفيق. [٢٢٢٣]

ثانيا: من السنة

١- **عن جابر-رضي الله عنه-(ت: ٧٣ أو ٧٤ هـ)**، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**)). [٢٢٢٤]

٢- **عن عبد الله بن بريدة-رحمه الله-(ت: ١١٥ هـ)، عن أبيه-رضي الله عنه-(ت: ٦٢ هـ)**، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد**

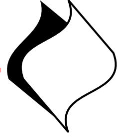
(٢٢٢٠) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

(٢٢٢١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٩٨٨) والإيمان (٩٣) من طريق جعفر بن سليمان عن زكريا بن حكيم الحبطي عن الحسن به. وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠٩٨)؛ لضعف زكريا. ولكنه توبع، فأخرجه ابن أبي شيبة أيضا (٣٦٣٥٩) من طريق جعفر بن سليمان قال: سمعت عبد ربه أبا كعب يقول: سمعت الحسن يقول، فذكره. وعبدربه ثقة.

(٢٢٢٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٩٠)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٤/ ٨٣٩) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن مجبر حدثني أبي عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، وذكره. قال ابن عدي: "إسناد باطل". وقد أورده في ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن مجبر، وقال عنه: "روى عن الثقات بالمناكير، وعن أبيه عن مالك بالبواطيل". وأخرجه ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد (١٧/ ٤٨) من طريق عبد السلام بن صالح عن يوسف بن عطية عن قتادة عن الحسن عن أنس-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره. وإسناده ضعيف جدا؛ عبد السلام بن صالح كذبوه، ويوسف بن عطية مثله. ينظر: الضعيفة للألباني (١٠٩٨).

(٢٢٢٣) كتاب الصلاة ص: ٦٢-٦٧.

(٢٢٢٤) رواه مسلم (٨٢).



كفر)). (٢٢٢٥)

وجه الدلالة من الحديثين:

أن المعنى الكلي كالجنس، لا ينتفي بانتفاء فرد من أفراده؛ فمن أفطر في يوم من أيام رمضان؛ لا يعد تاركا لفريضة الصيام مطلقا؛ ومن ترك بعض الدروس؛ لا يعد تاركا لطلب العلم؛ لذا يحمل النص على الترك بالكلية. (٢٢٢٦)

ولأنه قال: ((ترك الصلاة))، وهذا يصدق على من تركها بالكلية، فمن ترك صلاة أو صلاتين لا يقال له: ترك الصلاة". (٢٢٢٧)

٣-عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ-رضي الله عنه-(ت: ٥٤ هـ)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة؛ فإذا تركها فقد أشرك**)). (٢٢٢٨)

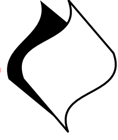
٤- عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-(ت: ٩٣ هـ): ((أن النبي صلى الله عليه وسلم كان

(٢٢٢٥) رواه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٢٣١/١)، وابن ماجه (٨٩١) (١٠٧٩)، وأحمد (٣٤٦/٥) (٢٢٩٨٧). قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه ابن العربي في ((العواصم من القواصم)) (٢٦٢)، وقال ابن تيمية في ((شرح العمدة - كتاب الصلاة)) (٧٤): على شرط مسلم. وقال ابن القيم في ((الصلاة وحكم تاركها)) (٣٣): إسناده على شرط مسلم. وقال السخاوي في ((الأجوبة المرضية)) (٨١٨/٢): مرفوع، صححه غير واحد من الأئمة. وقال الشوكاني في ((السيل الجرار)) (٢٩٢/١): ثابت. وصححه ابن باز في ((مجموع الفتاوى)) (٦٥/٢١)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٦٢١)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (١٦٨)، وقال: على شرط مسلم.

(٢٢٢٦) ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٥٧/١٠).

(٢٢٢٧) ((الشرح الممتع)) لابن عثيمين (٢٧/٢).

(٢٢٢٨) رواه اللالكائي، في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٥٢١) وفي المطبوعة منه: "إسناد صحيح" دون: "على شرط مسلم". وفي الانتصار لأبي الخطاب (٢/ ٦٠٦): "إسناد صحيح على شرط مسلم، يلزمه إخراجه". وصححه المنذري في الترغيب (٨١١)..



إذا غزا بنا قوما، لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانا كف عنهم، وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم)). (٢٢٢٩)

وجه الدلالة:

دل الحديث على أن إقامة الصلاة توجب الحكم بالإسلام؛ فإن الأذان إنما هو دعاء إلى الصلاة، فإذا كان موجبا للحكم بالإسلام، فالصلاة التي هي المقصود الأعظم أولى". (٢٢٣٠)

٥- **حديث عوف بن مالك-رضي الله عنه-(ت: ٧٣ هـ)**، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: **((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة)).** (٢٢٣١)

٦- **حديث عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-(ت: ٣٤ هـ)**، قال: **((دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان)).** (٢٢٣٢)

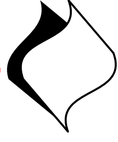
وجه الدلالة من الحديثين:

(٢٢٢٩) رواه البخاري (٦١٠)، ومسلم (١٣٦٥).

(٢٢٣٠) ((فتح الباري)) لابن رجب (٣/٤٤٠).

(٢٢٣١) رواه مسلم (١٨٥٥).

(٢٢٣٢) رواه البخاري (٧٠٥٥) ومسلم (١٨٤٠).



"دل مجموع الحديثين على أن ترك الصلاة وعدم إقامتها كفر بواح عليه من الله برهان". (٢٢٣٣)

٧-**عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنه-(ت: ٦٣ هـ)**، عن النبي ﷺ، أنه ذكر الصلاة يوما، فقال: ((**من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي ابن خلف**)). (٢٢٣٤)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم من رؤوس الكفرة.

وفيه نكتة بديعة، وهي: أن تارك المحافظة على الصلاة إما أن يشغله ماله، أو ملكه، أو رياسته، أوتجارته؛ فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون، ومن شغله عنها رياسته من وزارة أو غيرها فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف". (٢٢٣٥)

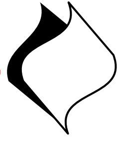
٨-عن **عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-(ت: ٣٤ هـ)** قال: أوصانا رسول الله ﷺ فقال: ((**لا تشركوا بالله شيئا، ولا تتركوا الصلاة عمدا؛ فمن تركها عمدا متعمدا فقد خرج من الملة**)). (٢٢٣٦).

(٢٢٣٣) ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤/٣٣٦).

(٢٢٣٤) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٢/ ١٦٩)، وأبوحاتم ابن حبان في "صحيحه" حديث (١٤٦٧)، من طريق كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-به. قال المنذري في الترغيب (٨٣٢)، وابن عبد الهادي في التنقيح (٢/ ١١٧): "إسناده جيد"..

(٢٢٣٥) كتاب الصلاة ص: ٧٠.

(٢٢٣٦) أخرجه من طريق ابن أبي حاتم اللالكائي في شرح الاعتقاد (١٥٢٢)، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٧٥) معلقا، والشاشي في مسنده (٣/ ٢١١)، والضياء في المختارة (٨/ ٢٨٧)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة



٩-**عن معاذ بن جبل-رضي الله عنه-(ت: ١٧ أو ١٨ هـ)**، قال: قال رسول الله ﷺ: **((من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله))**. (٢٢٣٧).

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "ولو كان باقيا على إسلامه لكانت له ذمة الإسلام". (٢٢٣٨)

١٠-**عن أبي الدرداء-رضي الله عنه-(ت: ما بين ٣٢ إلى ٣٩ هـ)** قال: **((أوصاني أبوالقاسم ﷺ أن لا أترك الصلاة متعمدا، فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة))**. رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في "سننه" (١). (٢٢٣٩)

١١-**عن معاذ بن جبل-رضي الله عنه-(ت: ١٧ أو ١٨ هـ)**، عن النبي ﷺ أنه قال: **((رأس**

---

(٩٢٠) وغيرهم، كلهم من طريق يزيد بن قوذر عن سلمة بن شريح عن عبادة-رضي الله عنه-به..

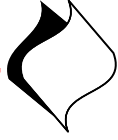
(٢٢٣٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٣٨) من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن معاذ. قال المنذري في الترغيب (١/ ٢١٦): "صحيح لو سلم من الانقطاع؛ فإن عبد الرحمن بن جبير ابن نفير لم يسمع من معاذ". وقال أبو الفضل العراقي -كما في تحفة التحصيل (ص/١٩٦) -: "روايته عنه مرسلة".

وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٢)، وأبونعيم في الحلية (٩/ ٣٠٦) من طريق عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن معاذ-رضي الله عنه-به. وفي إسناده: عمرو بن واقد القرشي، ضعفه غير واحد، كالبخاري وأبي مسهر وأبي حاتم ودحيم، وقال النسائي والدارقطني والبرقاني: "متروك الحديث"، وكذبه مروان بن محمد. ينظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٢٨٦)، والميزان للذهبي (٣/ ٢٩١).

وقد حسنه الألباني في الإرواء (٢٠٢٦) بشواهده..

(٢٢٣٨) كتاب الصلاة ص: ٧٢.

(٢٢٣٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٨)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، والبيهقي في الشعب (٥/ ١١)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (١٥٢٤)، وابن نصر في الصلاة (٩١١)، من طريق راشد الحماني عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء به. وفي إسناده شهر بن حوشب، وقد اختلفوا فيه، وحديثه لا ينزل عن الحسن، تنظر ترجمته في: تهذيب الكمال (١٢/ ٥٧٢)، والميزان للذهبي (٢/ ٢٨٣). وقد حسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٣٧)، والهيثمي في المجمع (٤/ ٢١٧)، وقال ابن حجر في التلخيص (٢/ ١٤٨): "في إسناده ضعف"..



الأمر الإسلام، وعموده الصلاة)). (٢٢٤٠)

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وهو حديث صحيح، مختصر. ووجه الاستدلال به: أنه أخبر أن الصلاة من الإسلام بمنزلة العمود الذي تقوم عليه الخيمة؛ فكما تسقط الخيمة بسقوط عمودها، فهكذا يذهب الإسلام بذهاب الصلاة، وقد احتج أحمد بهذا بعينه". (٢٢٤١)

١٢–**عن عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما–(ت: ٦٣ أو ٦٤ هـ)** قال: قال رسول الله ﷺ: ((**بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**)). (٢٢٤٢)، وفي بعض ألفاظه: ((**الإسلام خمس**)) (٦)، فذكره.

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "ووجه الاستدلال به من وجوه:

أحدها: أنه جعل الإسلام كالقبة المبنية على خمسة أركان، فإذا وقع ركنها الأعظم وقعت قبة الإسلام.

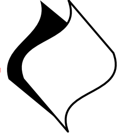
الثاني: أنه جعل هذه الأركان في كونها أركانا لقبة الإسلام قرينة الشهادتين؛ فهما ركن، والصلاة ركن، والزكاة ركن؛ فما بال قبة الإسلام تبقى بعد سقوط أحد أركانها دون بقية أركانها!

الثالث: أنه جعل هذه الأركان نفس الإسلام، وداخلة في مسمى اسمه، وما كان اسما لمجموع أمور إذا ذهب بعضها ذهب ذلك المسمى، ولا سيما إذا كان من أركانه، لا من أجزائه التي ليست بركن له، كالحائط للبيت؛ فإنه إذا سقط سقط البيت، بخلاف العود والخشبة واللبنة ونحوها".

(٢٢٤٠) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٧)، والترمذي (٢٦١٦) وقال: "حسن صحيح"، وابن ماجه (٣٩٧٢)، والحاكم (٢/ ٨٦) وقال: "صحيح على شرط الشيخين". وصححه شيخ الإسلام كما في الفتاوى (١٧/ ٢٦)، والمصنف..

(٢٢٤١) كتاب الصلاة ص: ٧٢–٧٣.

(٢٢٤٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب قوله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام انظر: البخاري مع الفتح ١/٤٧ ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ١/٤٥ رقم ١٦ .



(٢٢٤٣)

١٣-**عن أنس-رضي الله عنه-(ت: مابين ٩٠ إلى ٩٣ هـ)** قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما لنا، وعليه ما علينا**)). (٢٢٤٤)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "ووجه الدلالة فيه من وجهين:

أحدهما: أنه إنما جعله مسلما بهذه الثلاثة، فلا يكون مسلما بدونها.

الثاني: أنه إذا صلى إلى الشرق لم يكن مسلما حتى يصلي إلى قبلة المسلمين، فكيف إذا ترك الصلاة بالكلية!". (٢٢٤٥)

١٤-**عن محجن بن الأدرع الأسلمي-رضي الله عنه-(ت: أخر أيام معاوية بن أبي سفيان): أنه كان في مجلس مع النبي-صلى الله عليه وسلم-، فأذن بالصلاة، فقام النبي-صلى الله عليه وسلم-فصلى، ثم رجع ومحجن في مجلسه، فقال له**: ((**ما منعك أن تصلي؟ ألست برجل مسلم؟**)). **قال**: **بلى؛ ولكني صليت في أهلي، فقال له**: ((**إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت**)). (٢٢٤٦)

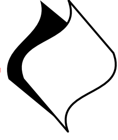
قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة. وأنت تجد

(٢٢٤٣) كتاب الصلاة ص: ٧٣-٧٤.

(٢٢٤٤) أخرجه البخاري (٣٩١، ٣٩٣) بنحوه.

(٢٢٤٥) كتاب الصلاة ص: ٧٥.

(٢٢٤٦) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٤)، والنسائي (٨٥٧)، وقد أخرجاه من طريق مالك (١/ ١٣٢) عن زيد ابن أسلم عن رجل من بني الديل يقال له بسر بن محجن عن محجن-رضي الله عنه-به. وأصله عند البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢)، من حديث عمران بن حصين-رضي الله عنه-: أن رسول الله ﷺ رأى رجلا معتزلا لم يصل مع القوم، فقال ﷺ: "يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم؟ ألست برجل مسلم! " الحديث بطوله



تحت ألفاظ الحديث: "إنك لو كنت مسلما لصليت". وهذا كما تقول: مالك لا تتكلم؟ ألست بناطق! ومالك لا تتحرك؟ ألست بحي!

ولو كان الإسلام يثبت مع عدم الصلاة لما قال لمن رآه لا يصلي: "ألست برجل مسلم". (٢٢٤٧)

١٥-**حديث أبي سعيد-رضي الله عنه-(ت: ٧٤ هـ)** في حديث الخوارج، فقال **ذو الخويصرة التميمي (ت: ٣٦ هـ)** للنبي-صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله، اتق الله، فقال: "**ويلك، ألستُ أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟**" قال: ثم ولَّى الرجل، فقال **خالد بن الوليد-رضي الله عنه-(ت: ٢١ هـ)**: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال: "**لا، لعله أن يكون يصلي**" قال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه، ما ليس في قلبه، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "**لم أومر أن أُنقِّب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم**". (٢٢٤٨)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فلما نهي عن قتله، وعلل ذلك باحتمال صلاته؛ عُلم أن ذلك هو الذي حقن دمه، لا مجرد الإقرار بالشهادتين، فإنه قد قال: "يا رسول الله" ومع هذا لم يجعل النبي ε ذلك وحده موجبًا لحقن الدم". (٢٢٤٩)

ثالثا: إجماع الصحابة

ومما يدل على الإجماع ما يلي:

١- عن المسور بن مخرمة-رحمه الله-(ت: ٦٤ هـ)، أنه دخل مع ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ) على عمر-رضي الله عنه-(ت: ٢٣ هـ) حين طعن، فقال ابن عباس رضي الله

(٢٢٤٧) كتاب الصلاة ص: ٧٨.

(٢٢٤٨) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ك/المغازي، ب/ ٦١ (٦٧/٨) من "الفتح"، ومسلم (١٠٦٤)..

(٢٢٤٩) "شرح العمدة" (٦٤/٢)..

عنهما: "يا أمير المؤمنين، الصلاة! فقال: أجل! إنه لا حظ في الإسلام لمن أضاع الصلاة". (٢٢٥٠)

وجه الدلالة:

أن عمر رضي الله عنه قد قال هذا بمحضر من الصحابة، ولم ينكروه عليه؛ فصار إجماعا منهم. (٢٢٥١).

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ولأن هذا إجماع الصحابة – رضي الله عنهم –، قال عمر– رضي الله عنه–لما قيل له وقد خرج إلى الصلاة: "نعم، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة". وقصَّته في الصحيح، وفي رواية عنه قال: "لا إسلام لمن لم يصل". رواه النجاد. وهذا قاله بمحضر من الصحابة – رضي الله عنهم –. (٢٢٥٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "أنَّ قول عمر: «لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة» أصرحُ شيء في خروجه عن الملَّة". (٢٢٥٣)

وقال مجاهد–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ): "إذا اختلف الناس في شيءٍ فانظروا ما صنع عمر – رضي الله عنه – فخذوا به". (٢٢٥٤)

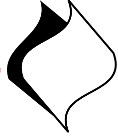
(٢٢٥٠) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (رقم (١٠٣)، وأخرجه مالك في ((الموطأ)) (١/ ٣٩)، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٤٠٩٢)، والخلال في ((السنة)) (١٣٨٨)، وابن نصر في (تعظيم قدر الصلاة» (رقم ٩٢٣–٩٣١)، والآجري في الشريعة (ص ١٣٤)، والدارقطني في سننه سننه (٢/ ٥٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (رقم ١٥٢٨، ١٥٢٩)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٨١٨١). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١/ ٣٠٠): رجاله رجال الصحيح. وصحح إسناده على شرط الشيخين الألباني في ((إرواء الغليل)) (١/ ٢٢٥).

(٢٢٥١) ((الصلاة وحكم تاركها)) لابن القيم (ص: ٣٣).

(٢٢٥٢) شرح العمدة ٢/ ٦٧.

(٢٢٥٣) شرح العمدة ٢/ ٧٨.

(٢٢٥٤) «الأوسط» لابن المنذر (٨٧٨١).



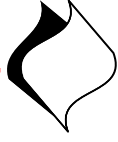
٢- **قال عبد الله بن شقيق العقيلي-رحمه الله-(ت: ١٠٨ هـ)**: "كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة". (٢٢٥٥)

وجه الدلالة:

هذه الصيغة تدل على أن الصحابة اجتمعوا على هذه المقالة؛ لأن قوله: "كان أصحاب رسول الله" جمع مضاف، وهو من المشعرات بذلك (٢٢٥٦)، نقل إجماع الصحابة على ذلك: إسحاق ابن

(٢٢٥٥) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، والمروزي في ((تعظيم قدر الصلاة)) (٩٤٨)، والخلال في ((السنة)) (١٣٧٨)، والحاكم (١٢) باختلاف يسير. صحح إسناده النووي في ((الخلاصة)) (٢٤٥/١)، والعراقي في ((طرح التثريب)) (١٤٦/٢)، والسخاوي في ((الأجوبة المرضية)) (٨١٩/٢)، وابن باز في ((مجموع فتاواه)) (١٦/٨)، وصحح الحديث الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٦٢٢).

(٢٢٥٦) ((نيل الأوطار)) للشوكاني (٣٤٣/١).



راهويه (٢٢٥٧)، وابن القيم (٢٢٥٨)، والشوكاني (٢٢٥٩)". (٢٢٦٠).

٣-**قال أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-(ت: ١٣ هـ)**، في قتاله لمانعي الزكاة: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله

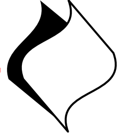
(٢٢٥٧) قال إسحاق بن راهوية: "صح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أن تارك الصلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر". انظر: تعظيم قدر الصلاة (رقم: ٩٩٠)، والترغيب والترهيب (١/ ٣٨٦)، وصحيحه (رقم: ٥٧٢)، والتمهيد (٤/ ٢٢٦).

قال محمد بن نصر المروزي: "قال أبو عبد الله: سمعت إسحاق، يقول: قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر". ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/٩٢٩).

(٢٢٥٨) قال ابن القيم: "وأما إجماع الصحابة؛ فقال ابن زنجويه: حدثنا عمر بن الربيع، حدثنا يحي بن أيوب، عن يونس، عن ابن شهاب، قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة-رحمه الله-(ت: ٩٨ هـ)، أن عبد الله بن عباس أخبره أنه جاء عمر بن الخطاب حين طعن في المسجد، قال: فاحتملته أنا ورهط كانوا معي في المسجد حتى أدخلناه بيته. قال: فأمر عبد الرحمن بن عوف أن يصلي بالناس. قال: فلما دخلنا على عمر بيته غشي عليه من الموت فلم يزل في غشيته حتى أسفر، ثم أفاق، فقال: هل صلى الناس؟ قال: فقلنا: نعم، فقال: لا إسلام لمن ترك الصلاة، وفي سياق آخر: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة, ثم دعا بوضوء فتوضأ وصلى... "وذكر القصة". فقال هذا بمحضر من الصحابة ولم ينكروه عليه". ((الصلاة وأحكام تاركها)) (ص: ٥٣).

(٢٢٥٩) قال الشوكاني: "وعن عبد الله بن شقيق العقيلي، قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة؛ رواه الترمذي"، الحديث رواه الحاكم وصححه على شرطهما، وذكره الحافظ في التلخيص، ولم يتكلم عنه، والظاهر من الصيغة أن هذه المقالة اجتمع عليها الصحابة؛ لأن قوله: "كان أصحاب رسول الله" جمع مضاف، وهو من المشعرات بذلك". ((نيل الأوطار)) (١/٣٦٣).

(٢٢٦٠) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، وابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٦/ ١٧٢)، والمروزي في ((تعظيم قدر الصلاة)) (٩٤٨)، والخلال في ((السنة)) (١٣٧٨)، والحاكم (١٢) باختلاف يسير. صحح إسناده النووي في ((الخلاصة)) (١/٢٤٥)، والعراقي في ((طرح التثريب)) (٢/١٤٦)، والسخاوي في ((الأجوبة المرضية)) (٢/٨١٩)، وابن باز في ((مجموع فتاواه)) (١٦/٨)، وصحح الحديث الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٦٢٢).



- صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعها.

فأبو بكر-رضي الله عنه-قاس قتاله لمانعي الزكاة بما هو مقرر عندهم من كفر وقتال من ترك الصلاة.

قال ابن رجب-رحمه الله-(ت: ٧٩٥ هـ): يدلُّ على أن من ترك الصلاة فإنه يقاتل؛ لأنها حقِّ البدن، فكذلك من ترك الزكاة التي هي حقُّ المال، وفي هذا إشارة إلى أن قتال تارك الصلاة أمر مُجمع عليه؛ لأنه جعله أصلًا مقيسًا عليه. اهـ (٢٢٦١)

ثم إن **عمر-رضي الله عنه-(ت: ٢٣ هـ)** أقره على ذلك فقال: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر - رضي الله عنه - فعرفت أنه الحق.

٤-**عن أبي العالية-رحمه الله-(ت: ٩٠ أو ٩٣ هـ)**: "قال: كان **أبو بكر-رضي الله عنه-(ت: ١٣ هـ)** إذا بعث جيشًا إلى أهل الردة، قال: اجلسوا قريبًا منهم، فإن سمعتم أذانًا إلى طلوع الشمس وإلَّا فأغيروا عليهم. (٢٢٦٢)

٥-**عن شريك-رحمه الله-(ت: ١٤٤ هـ)**، عن أبي المليح-**رحمه الله-(ت: ١١٢ هـ)** قال: سمعت عمر-رضي الله عنه- يقول: لا إسلام لمن لم يصل.

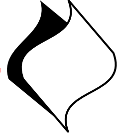
قيل لشريك: على المنبر؟ قال: نعم". (٢٢٦٣)

٦-**وقال علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-(ت: ٤٠ هـ)**: "من لم يصل فهو كافر".

(٢٢٦١) («جامع العلوم والحكم» (ص٢٣٤).

(٢٢٦٢) [«تعظيم قدر الصلاة» (٩٧٣)].

(٢٢٦٣) [«تعظيم قدر الصلاة» (٩٣٠و٤٣١)، وإسناده صحيح].



(٢٢٦٤).

٧-**وقال عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**: "تركها الكفر".

وقال: الكفر ترك الصلاة". (٢٢٦٥)

٨-**وقال عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، قال: "من لم يصل فلا دين له". (٢٢٦٦)

٩-**وعن أبي الدرداء-رضي الله عنه-(ت: مابين ٣٢ إلى ٣٩ هـ)**، قال: "لا إيمان لمن لا صلاة له". (٢٢٦٧)

١٠-وعن **جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-(ت: ٧٨ هـ)**: وقد سأله مجاهد بن جبر: ما كان يفرق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: الصلاة". (٢٢٦٨)

١١-وسُئل **جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-(ت: ٧٨ هـ)**: "ما بين العبد وبين الكفر؟ قال: ترك الصلاة". (٢٢٦٩)

(٢٢٦٤) [«الإيمان» لابن أبي شيبة (١٢٦)].

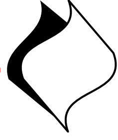
(٢٢٦٥) [«الإيمان» لأحمد (٢٢٤)، والعدني (٢٦)، و «تعظيم قدرة الصلاة» (٩٣٥)].

(٢٢٦٦) حسن. أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (رقم (٤٧) وفي المصنف، وابن نصر (رقم ٩٣٥ - ٩٣٧)، والطبراني في الكبير (رقم ٨٩٤١، ٨٩٤٢)، وغيرهم.

(٢٢٦٧) أخرجه ابن عبد البر، وابن نصر (رقم ٩٤٥)، واللالكائي رقم (١٥٣٦)، وانظر صحيح الترغيب (رقم ٥٧٢).

(٢٢٦٨) رواه ابن بطة في ((الإبانة)) (٢/ ٦٧٢)، ومحمد بن نصر في ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/ ٨٧٧)، واللالكائي (٤/ ٩١٠)، وحسن الشيخ الألباني إسناده في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (١/ ٢٢٧).

(٢٢٦٩) [«الإيمان» لأحمد (٢١٧)].



١٢-**عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، قال: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفرا غير الصلاة". (٢٢٧٠)

١٣-**وقال حذيفة-رضي الله عنه-(ت: ٣٦ هـ)**، لرجل يصلي لا يتم ركوعه ولا سجوه: "ما صليت، ولو مُتَّ؛ مُتَّ على غير الفطرة التي فطر الله محمدًا - صلى الله عليه وسلم – عليها". (٢٢٧١)

١٤-**وعن عكرمة-رحمه الله-(ت: ١٠٥ هـ)**، **عن ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)** قال: قال له طبيب حين وقع في عينه الماء: استلق سبعة أيام لا تُصلِّ.

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ): "من ترك الصلاة كفر". (٢٢٧٢)

١٥-**وقال عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-(ت: ٦٥ هـ)**: ".. ومن ترك الصلاة فلا دين له". (٢٢٧٣)

١٦-وعن سعيد بن عُمارَةَ-رضي الله عنه-أحدِ بني سعد بن بكر وكانت له صحبَةٌ قال: "لا صلاةَ لمن لا وضوءَ له، ولا إيمان لمن لا صلاة له". (٢٢٧٤)

قال الإمام البغوي-رحمه الله-(ت: ٥١٠ هـ): "اتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢٢٧٠) رواه الحاكم (١/ ٤٨) وقال: إنه على شرط الشيخين، فإنه ذكر حديث بريدة: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)) ثم قال: ولهذا الحديث شاهد صحيح على شرطهما جميعا ثم ساقه. وكأن الذهبي لم ينتبه لكلام الحاكم المتقدم فقال: (لم يتكلم عليه، وإسناده صالح).

(٢٢٧١) [ورواه البخاري (٧٩١)، وأحمد في «الإيمان» (٢٢٧)].

(٢٢٧٢) رواه النجاد. [«شرح العمدة» (٢/ ٦٩)].

(٢٢٧٣) [«الإيمان» لأحمد (٢٣٣)].

(٢٢٧٤) [«الإيمان» لأحمد (٢٣٥)].

على أن من ترك صلاةً واحدةً متعمدًا حتى يخرج وقتها فهو كافر" . (٢٢٧٥)

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "قد دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة". (٢٢٧٦)

رابعًا: أقوال التابعين ومن بعدهم.

١- **قال الحسن البصري–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)**: بلغني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: بين العبد وبين أن يشرك فيكفر أن يدع الصلاة من غير عذر". (٢٢٧٧)

٢-**وعن عبد الله بن عبيد–رحمه الله–(ت: ١١٢ هـ)، قال: أخذ بيدي مكحول–رحمه الله–(ت: ١١٣ أو ١١٤ هـ)**، فقال: يا أبا وهب كيف تقول في رجل ترك صلاة مكتوبة متعمدا؟ فقلت مؤمن، عاص، فشد بقبضته على يدي، ثم قال: "يا أبا وهب ليعظم شأن الإيمان في نفسك، من ترك صلاة مكتوبة متعمداً، فقد برئت منه ذمة الله ومن برئت منه ذمة الله فقد كفر". (٢٢٧٨)

٣-**قال أيوب السختياني–رحمه الله–(ت: ١٣١ هـ)**: "ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه". (٢٢٧٩)

٣-**عن ابن المبارك–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ)** قال: "من أخر صلاة حتى يفوت وقتها متعمدا

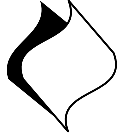
(٢٢٧٥) شرح السنة، ٢/١٢٢.

(٢٢٧٦) الصلاة وحكم تاركها، ص ١٤.

(٢٢٧٧) الإيمان لأحمد (٢١٠)، ورواه ابن بطة (٢/ ٦٧٣)، واللالكائي (٤/ ٩١٠).

(٢٢٧٨) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان) رقم (١٢٩) والمصنف (١١/٤٧)، بسند حسن.

(٢٢٧٩) رواه محمد بن نصر في ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/ ٩٢٥). وصححه الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (١/ ٢٣٠).



من غير عذر فقد كفر". (٢٢٨٠)

٤-**وقال علي بن الحسن بن شقيق-رحمه الله-(ت: ٢٢٥ هـ)**: سمعت **عبد الله بن المبارك-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ)**، يقول: "من قال إني لا أصلي المكتوبة اليوم فهو أكفر من حمار". (٢٢٨١)

٥-**وقال يحيى بن معين-رحمه الله-(ت: ٢٣٣ هـ)**: قيل **لعبد الله بن المبارك-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ)**: إن هؤلاء يقولون: من لم يصم ولم يصل بعد أن يقر به فهو مؤمن مستكمل الإيمان؟ فقال عبد الله: "لا نقول نحن ما يقول هؤلاء من ترك الصلاة متعمدا من غير علة حتى أدخل وقتا في وقت فهو كافر". (٢٢٨٢)

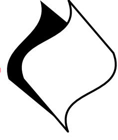
٦-**وقال معقل بن عبيد الله الجزري-رحمه الله-(ت: ١٦٦ هـ)**: قلت **لنافع-رحمه الله-(ت: ١١٧ هـ)**: رجل أقرَّ بما أنزل الله تعالى وبما بين نبي الله – صلى الله عليه وسلم –، ثم قال: أترك الصلاة وأنا أعرف أنها حقٌّ من الله تعالى، قال: ذاك كافر. ثم انتزع يده من يدي غضبان مولِّيًا.

(٢٢٨٠) أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٩٧٩) حدثنا محمد بن عبدة، قال: سمعت يعمر بن بشر أبا عمرو، قال: سمعت عبد الله بن المبارك رضي الله عنه قال: فذكره. ورجاله ثقات.

(٢٢٨١) أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٩٨٠) حدثنا أحمد بن سيار، قال: سمعت علي بن الحسن بن شقيق، يقول: سمعت عبد الله، يقول: فذكره. وإسناده صحيح.

(٢٢٨٢) أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٩٨١) حدثنا أحمد، قال: حدثنا أحمد بن حكيم، قال: أخبرنا يحيى بن معين به.

وقال محقق "الصلاة للمروزي" تصحف (يحيى بن معين) إلى (يحيى بن موسى)، وقام بتصحيحه من كتاب "الصلاة" لابن القيم!!، وليته لم يفعل وأثبت ما وجد في أصل الكتاب، فهو الصواب، قال الحافظ مغلطاي في "تهذيب الكمال" ١٢/ ٣٧١: "يحيى بن موسى: ذكره البستي في "تاريخ المراوزة"، وزعم أنه يروي عن عبد الله بن المبارك قال: وكان من العباد، يكنى أبا محمد، روى عنه أحمد بن حكيم، ونضر بن صاحب، وعمير ابن أفلح". وأحمد بن حكيم: لم أجده، وليس هو الذي يروي عن ابن عيينة، فهذا أعلى طبقة منه.



..." . (٢٢٨٣).

٧-**قال الإمام محمد بن نصر-رحمه الله-(ت: ٣٣٤ هـ)**: سمعت **إسحاق بن راهوية-رحمه الله-(: ٢٣٨ هـ)** يقول: قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر". (٢٢٨٤)

٨- **قال محمد بن نصر المروزي-رحمه الله-(ت: ٣٣٤ هـ)**: "قد ذكرنا في كتابنا هذا ما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-من تعظيم قدر الصلاة وإيجاب الوعد بالثواب لمن قام بها، والتغليظ بالوعيد على من ضيعها، والفرق بينها وبين سائر الأعمال في الفضل، وعظم القدر. ثم ذكرنا الأخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في إكفار تاركها، وإخراجه إياه من الملة، وإباحة قتال من امتنع من إقامتها، ثم جاءنا عن الصحابة مثل ذلك، ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك". (٢٢٨٥)

٩-**قال ابن بطة-رحمه الله- (ت: ٣٨٧ هـ)**: "فهذه الأخبار والآثار والسُّنن عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، والصحابة-رضي الله عنهم-، والتابعين كلها تدلُّ العقلاء ومن كان بقلبه أدنى حياةٍ على تكفير تارك الصَّلاة، وجاحد الفرائض، وإخراجه من المِلَّة". (٢٢٨٦)

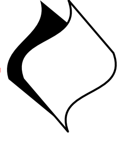
١٠-**قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)**: في بيان أدلة تكفير تارك الصلاة، بعد ذكر أدلة من الكتاب والسنة، وبيان أنه القول المنقول عن جمهور السلف: "ولأنّ هذا إجماع الصحابة. قال

(٢٢٨٣) «تعظيم قدرالصلاة» (٩٧٧).

(٢٢٨٤) ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/ ٩٢٩).

(٢٢٨٥) ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/ ٩٢٥).

(٢٢٨٦) «الإبانة الكبرى» (٩٥٥).



عمر لما قيل له وقد خرج إلى الصلاة: نعم ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة وقصته في الصحيح، وفي رواية عنه قال: لا إسلام لمن لم يصل رواه النجاد، وهذا قاله بمحضر من الصحابة". (٢٢٨٧).

١١-**قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ)** في خاتمة الفصل الذي جعله في الحكم بين الفريقين: "ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ وهو يرى بارقة السيف على رأسه، ويُشد للقتل، وعصبت عيناه، وقيل له: تصلي وإلا قتلناك، فيقول: اقتلوني ولا أصلي أبدا. ومن لا يكفر تارك الصلاة يقول: هذا مؤمن مسلم، يغسّل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وبعضهم يقول: إنه مؤمن كامل الإيمان إيمانه كإيمانه جبريل وميكائيل! فلا يستحي من هذا قوله، من إنكاره تكفير من شهد بكفره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة. والله الموفق". (٢٢٨٨)

١٢- **قال ابن رجب-رحمه الله-(ت: ٧٩٥ هـ)**: "وكثير من علماء أهل الحديث يرى تكفير تارك الصلاة، وحكاه **إسحاق بن راهويه-رحمه الله-(ت: ٢٣٨ هـ)** إجماعا منهم حتى إنه جعل قول من قال: لا يكفر بترك هذه الأركان مع الإقرار بها من أقوال المرجئة، وكذلك قال سفيان بن عيينة ...". (٢٢٨٩)

القول الثاني: القول بعدم كفره

فقد ذهب الأكثرون من الأئمة الأربعة، من المالكية، والحنفية، والشافعية إلى عدم كفره، وأنه كفر

(٢٢٨٧) ((شرح العمدة)) لابن تيمية (٢/ ٧٥).

(٢٢٨٨) ((الصلاة وحكم تاركها)) (ص٥٣).

(٢٢٨٩) ((فتح الباري)) لابن رجب (١/ ٢٢).

أصغر، وشرك أصغر، (٢٢٩٠) وهو قول جماعة من الحنابلة أيضًا. (٢٢٩١)

(٢٢٩٠) ما ذهب إليه بعض أهل العلم من حمل أحاديث كفر تارك الصلاة على الكفر الأصغر، قد ردّه شيخ الإسلام من تسعة أوجه، قال في (شرح العمدة): "وأما حمله على كفر دون كفر، فهذا حمل صحيح ومحمل مستقيم في الجملة في مثل هذا الكلام، ولهذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين في كثير من المواضع مفسراً، لكن الكفر الوارد في الصلاة هو الكفر الأعظم لوجوه:

أحدها: أن الكفر المطلق هو الكفر الأعظم المخرج عن الملة فينصرف الإطلاق إليه، وإنما صرف في تلك المواضع إلى غير ذلك لقرائن انضمت إلى الكلام، ومن تأمل سياق كل حديث وجده معه، وليس هنا شيء يوجب صرفه عن ظاهره، بل هنا ما تقرره على الظاهر.

الثاني: أن ذلك الكفر منكر مبهم مثل قوله: ((وقتاله كفر))، ((هما بهم كفر)) وقوله: ((كفر بالله)) وشبه ذلك، وهنا عرف باللام بقوله: ((ليس بين العبد وبين الكفر أو قال الشرك)) والكفر المعرف ينصرف إلى الكفر المعروف وهو المخرج عن الملة.

الثالث: أن في بعض الأحاديث: ((فقد خرج من الملة)) وفي بعضها: ((بينه وبين الإيمان)) وفي بعضها: ((بينه وبين الكفر)) وهذا كله يقتضي أن الصلاة حدٌّ تُدخله إلى الإيمان إن فعله، وتخرجه عنه إن تركه.

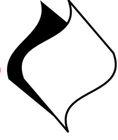
الرابع: أن قوله: ((ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة))، وقوله: "كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة". لا يجوز أن يراد به إلا الكفر الأعظم؛ لأن بينه وبين غير ذلك مما يسمى كفرا أشياء كثيرة، ولا يقال: فقد يخرج من الملة بأشياء غير الصلاة، لأنا نقول: هذا ذكر في سياق ما كان من الأعمال المفروضة، وعلى العموم يوجب تركه الكفر، وما سوى ذلك من الاعتقادات فإنه ليس من الأعمال الظاهرة.

الخامس: أنه خرج هذا الكلام مخرج تخصيص الصلاة وبيان مرتبتها على غيرها في الجملة، ولو كان ذلك الكفر فسقاً لشاركها في ذلك عامة الفرائض.

السادس: أنه بين أنها آخر الدين، فإذا ذهب آخره ذهب كله.

السابع: أنه بين أن الصلاة هي العهد الذي بيننا وبين الكفار، وهم خارجون عن الملة ليسوا داخلين فيها، واقتضى ذلك أن من ترك هذا العهد فقد كفر، كما أن من أتى به فقد دخل في الدين، ولا يكون هذا إلا في الكفر المخرج من الملة.

الثامن: أن قول عمر: (لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة) أصرح شيء في خروجه عن الملة، وكذلك قول ابن مسعود وغيره، مع أنه بيّن أن إخراجها عن الوقت ليس هو الكفر وإنما هو الترك بالكلية، وهذا لا يكون إلا فيما يخرج من الملة.



قال ابن رشد–رحمه الله–(ت: ٥٢٠ هـ): "والقول الثاني هو ما ذهب إليه مالك، والشافعي، وأكثر أهل العلم . . .". (٢٢٩٢)

وقال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "فمذهبنا المشهور أنه يقتل حدًا ولا يكفر، وبه قال مالك، والأكثر من السلف، والخلف". (٢٢٩٣)

وقال ابن قدامة–رحمه الله–(ت: ٦٢٠ هـ): "والرواية الثانية: يُقتل حداً، مع الحكم بإسلامه، كالزاني المحصن ...وهذا قول أكثر الفقهاءوقول **أبي حنيفة–رحمه الله–(ت: ١٥٠ هـ)، ومالك–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ) والشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ)**". (٢٢٩٤)

التاسع: ما تقدم من حديث معاذ (وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ((رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد)). رواه الترمذي (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٣٩٦٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١) (٢٢٠٦٩). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)): صحيح)؛ فإن فسطاطا على غير عمود لا يقوم، كذلك الدين لا يقوم إلا بالصلاة.

وفي هذه الوجوه يبطل قول من حملها على من تركها جاحدا.

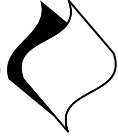
وأيضا قوله: "كانوا لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر" وقوله: "ليس بين العبد وبين الكفر"، وغير ذلك مما يوجب اختصاص الصلاة بذلك، وترك الجحود لا فرق فيه بين الصلاة وغيرها؛ ولأن الجحود نفسه هو الكفر من غير ترك حتى لو فعلها مع ذلك لم ينفعه، فكيف يعلق الحكم على ما لم يذكر؟! ولأن المذكور هو الترك، وهو عام في من تركها جحودا أو تكاسلا، ولأن هذا عدول عن حقيقة الكلام من غير موجب فلا يلتفت إليه". ((شرح العمدة)) (٢/ ٨١).

(٢٢٩١) فتاوي الشيخ ابن باز في برنامج نور على الدرب.

(٢٢٩٢) المقدمات لابن رشد: ١ / ٦٥.

(٢٢٩٣) المجموع: ٣/ ١٦.

(٢٢٩٤) المغني: ٣/ ٣٥٥.



وهذه الدعوى منازعة، وخاصة القول: بأن هذا هو قول الأكثر سلفاً كما ذكر النووي. وقد يسلم لهذه الدعوى ما أشار إليه ابن قدامة من أن القول بعدم كفر تارك الصلاة، والحكم بإسلامه هو قول أكثر الفقهاء، إذ إن أصحاب المذاهب الثلاثة متفقون على عدم كفره، وإن اختلفوا في قتله ولعل ما جعل النووي، وابن قدامة يحكون أنه قول أكثر العلماء، ما أشاروا إليه من إجماع سيأتي بيانه في الأدلة، أو أنه قول أكثر العلماء المتأخرين، والله تعالى أعلم.

أدلة القائلين بعدم كفره. (٢٢٩٥)

استدل القائلون بعدم كفر تارك الصلاة عمداً بغير عذر، ولا جحود، بأدلة من الكتاب، والسنة، والإجماع، والمعقول، وآثار عن الصحابة–رضي الله عنهم–.

أولاً: الكتاب:

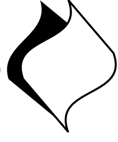
استدلوا من الكتاب: بقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}** [النساء: الآية: ٤٨].

وجه الاستدلال منها:

إن الله–جل وعلا–أخبر في هذه الآية الكريمة المحكمة أن جميع الذنوب يغفرها لمن يشاء من عباده، خلا الشرك به عز وجل، وتارك الصلاة ليس مشركاً، فدل ذلك على أنه داخل تحت المشيئة، وأنه ليس بكافر. إذ الكافر كالمشرك لا يغفر الله له. (٢٢٩٦)

(٢٢٩٥) المصدر: كتاب الخلاف في حكم تارك الصلاة ص: ١٠٢–١٢٢ "بتصرف".

(٢٢٩٦) وقد أورد الاستدلال بها النووي في شرحه لصحيح مسلم: ٢/ ٧١، والعراقي في طرح التشريب ٢/ ١٤٧، وغيرهم.



ثانياً: السنة:

استدل القائلون بعدم كفر تارك الصلاة من السنة بأحاديث كثيرة، وقد جعل ابن القيم لذلك عنواناً خاصاً فقال: أدلة الذين لا يكفرون تارك الصلاة. [٢٢٩٧]

فمن هذه الأدلة:

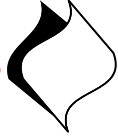
١)حديث **عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)**، قال: سمعت رسول الله يقول: ((**خمس صلوات كتبهن الله– عز وجل–على العباد، فمن جاء بهن لم يُضيع منهن شيئا استخفافاً بحقهن، كان له عند الله عهد، أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن، فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة**)). [٢٢٩٨]

[٢٢٩٧] كتاب الصلاة ص ٣٠–٣٣.

[٢٢٩٨] أورده ابن القيم ص ٣٢. وهو أجود دليل اعتمد عليه أصحاب هذا القول، كما قاله ابن تيمية في مجموع الفتاوى: ٧ / ٦١٤ وقد أخرجه مالك في الموطأ، في صلاة الليل، باب الأمر بالوتر: ١/ ١٢٣. من طريق يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز عن المخْدِجي.

وأخرجه من طريق مالك: أبو داود في الصلاة، باب فيمن لم يوتر: ٢/ ٦٢ (١٤٢٠)، والنسائي في الصلاة، باب المحافظة على الصلوات الخمس: ١/ ٢٣٠ (٤٦١)، وابن نصر (١٠٣٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: ٨/ ١٩٣ (٣١٦٧)، وابن عدي: ١/ ٦٢. قال ابن عبد البر في التمهيد: "لم يختلف عن مالك في إسناد هذا الحديث. فهو حديث صحيح ثابت. رواه عن محمد بن يحيى بن حبان، جماعة منهم: يحيى بن سعيد، وعبد ربه ابن سعيد، ومحمد بن إسحاق، وعقيل بن خالد، ومحمد بن عجلان، وغيرهم، بهذا الإسناد، ومعناه سواء. إلا أن ابن عجلان، وعقيلا، لم يذكروا المخدجي في إسناده، فيما رواه الليث عنهما. ورواه الليث أيضاً عند يحيى بن سعيد كما رواه مالك سواء. وإنما قلنا: إنه حديث ثابت، لأنه روي عن عبادة من طرق ثابتة صحاح من غير طريق المخدجي بمثل رواية المخدجي (انظر: هداية المستفيد: ٣/ ٢٨٩ ومن هذه الطرق غير طريق المخدجي:

١) ما رواه زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن الصنابحي.

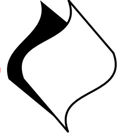


أورده ابن عبد البر في التمهيد كما في هداية المستفيد: ٣/ ٢٩١، وأخرجه أحمد: ٥/ ٣١٧، وأبو داود في الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات: ١/ ١١٥ (٤٢٥)، والبيهقي: ٣/ ٣٦٦، وابن نصر (١٠٣٤)، والبغوي: ٤ / ١٠٥ (٩٧٨) بنحوه.

٢) وما رواه الطيالسي قال: حدثنا زمعة بن صالح، عن الزهري، عن أبي إدريس الخولاني أورده ابن عبد البر في الاستذكار: ٥٠ / ٢٦١، وأخرجه الطيالسي في مسنده ص ٧٨ (٥٧٣) بنحوه ورواية الليث عن ابن عجلان وعقيل من غير ذكر المخدجي التي أشار إليها ابن عبد البر. أخرجها الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣١٧١، ٣١٧٢). وقد أخرج حديث المخدجي عن عبادة بن الصامت من غير طريق مالك: عبد الرزاق في مصنفه: ٣ / ٥ (٤٥٧٥)، وأحمد: ٥ / ٣١٥، ٣١٩، ٣٢٢، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلوات الخمس (١٩٤) ١ / ٤٤٩ (١٤٠١)، والدارمي في الصلاة، باب في الوتر ص ٣٧٠، والبيهقي: ١ / ٣٦١، وابن نصر (١٠٢٩، ١٠٣١ - ١٠٣٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣١٦٨ - ٣١٧٠). والحديث صححه ابن عبد البر، والنووي في المجموع: ٣ / ١٧، والعراقي في طرح التشريب: ٢/ ١٤٨، والسيوطي في الجامع الصغير (٣٩٤٧)، والألباني في صحيح الجامع (٣٢٤٢، ٣٢٤٣)، والأرنؤوط في تعليقه على شرح مشكل الآثار: ٨/١٩٣ والشنقيطي في أضواء البيان: ٤ / ٣١٧، وللحديث شاهد من حديث كعب بن عجرة، وابن مسعود، وأبي قتادة، وهي المذكورة بعده، وقد استدل بهذا الحديث ابن عبد البر في التمهيد: ٤/ ٢٤٢، والموفق في المغني: ٣/ ٣٥٧، والنووي في المجموع: ٣/١٧ وغيرهم.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: بعد أن ذكر أدلة من لم يكفر تارك الصلاة، وأجاب عليها جوابًا مجملاً، ثم قال: وأجود ما اعتمدوا عليه، ..... فذكر حديث عبادة، ثم قال: قالوا: فقد جعل غير المحافظ تحت المشيئة، والكافر لا يكون تحت المشيئة، ولا دلالة في هذا، فإن الوعد بالمحافظة عليها، والمحافظة فعلها في أوقاتها كما أُمر، كما قال تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى} [البقرة: الآية: ٢٣٨.]، وعدم المحافظة يكون مع فعلها بعد الوقت، كما أخر النبي - صلاة العصر يوم الخندق، فأنزل الله آية الأمر بالمحافظة عليها، وعلى غيرها من الصلوات ..... وإذا عُرف الفرق بين الأمرين؛ فالنبي - إنما أدخل تحت المشيئة من لم يحافظ عليها، لا من ترك، ونفس المحافظة تقتضي أنهم صَلَّوْا، ولم يحافظوا عليها، ولا يتناول من لم يحافظ، فإنه لو تناول ذلك؛ قُتِلَوا كفارًا مرتدين بلا ريب ....." "مجموع الفتاوى" (٧/ ٦١٤ - ٦١٥)..

فمن لم يكفر تارك الصلاة، إنما يستدل برواية: ((ومن لم يأت بهن، فليس له عند الله عهدٌ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له))، ويفسر قوله -: "ومن لم يأت بهن " أي تركهن أصلاً. وليس هذا التأويل بصحيح، فإن بقية الروايات توضح أن المراد عدم الإتيان بهن كاملات، ففي رواية قال: "من انتقصهن استخفافًا بحقهن" وفي رواية: "من انتقص من حقهن أو حقوقهن شيئًا" وفي رواية: "من أتى بهن، وقد انتقص من حقهن" وفي رواية: "من جاء بهن، وقد انتقص من حقهن" فهذه الروايات تدل دلالة ظاهرة، على أن المراد أن الرجل قد صلى، إلا أنه ضيع بعض الحقوق الواجبة، فإن من ضيع المستحب؛ لا يتعرض لهذا الوعيد". سبيل النجاة في بيان حكم تارك الصلاة ص: ١٤٣.



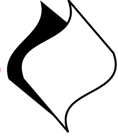
٢) وحديث **كعب بن عجرة –رضي الله عنه–(ت: ٥١ هـ)**، قال: بينما أنا جالس في مسجد رسول الله ﷺ مسندي ظهورنا إلى قبلة مسجد رسول الله ﷺ سبعة رهط: أربعة موالينا، وثلاثة من عربنا، إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ صلاة الظهر حتى انتهى إلينا فقال: ((**ما يجلسكم ههنا؟**)). قلنا: يارسول الله، ننتظر الصلاة. قال: فأرم قليلاً، ثم رفع رأسه فقال: ((**أتدرون ما يقول ربكم–عز وجل–**)). قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: ((فإن ربكم–عز وجل–يقول: من صلى الصلاة لوقتها، وحافظ عليها، ولم يضيعها استخفافاً بحقها فله علي عهد أن أدخله الجنة، ومن لم يصل لوقتها، ولم يحافظ عليها، وضيعها، استخفافاً بحقها، فلا عهد له، إن شئت عذبته وإن شئت غفرت له)). (٢٢٩٩)

٣) وحديث **عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)**، أن النبي ﷺ مر على أصحابه يوماً فقال لهم: ((**هل تدرون ما يقول ربكم تبارك وتعالى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قالها ثلاثاً. قال: وعزتي وجلالي لا يصليها لوقتها إلا أدخلته الجنة، ومن صلاها لغير وقتها إن شئت رحمته، وإن شئت عذبته**)). (٢٣٠٠)

(٢٢٩٩) أخرجه أحمد: ٤/ ٢٤٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/ ٣٠٢: "رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عيسى بن المسيب البجلي، وهو ضعيف"

وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار: ٨/ ١٩٩ (٣١٧٣، ٣١٧٤) وقال الأرنؤوط في تعليقه عليه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأشار إلى طرقه عند الطبراني في الكبير.

(٢٣٠٠) رواه الطبراني في الكبير، وفيه يزيد بن قتيبة، ذكره ابن أبي حاتم، وذكر له راو واحد، ولم يوثقه، ولم يجرحه. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/ ٣٠٢. وقال الساعاتي في بلوغ الأماني: (حسنه المنذري) ٢/ ٢٢٩.



٤) وحديث أبي قتادة بن ربعي –رضي الله عنه– (ت: ٥٤ هـ)، أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: افترضت على أمتك خمس صلوات، وعهدت عندي عهداً: أنه من حافظ عليهن لو قتهن أدخلته الجنة، ومن لم يحافظ عليهن، فلا عهد له عندي)). (٢٣٠١)

وجه الاستدلال منها:

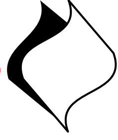
أن النبي ﷺ أدخل تحت المشيئة: من لم يأت بالصلاة، ومن لم يصل الصلاة لوقتها، ومن لم يحافظ عليها، وضيعها، فإن شاء الله رحمه وغفر له، وإن شاء عذبه وعاقبه ثم أدخله الجنة، فدل ذلك على أن تارك الصلاة، ليس بكافر، إذ لو كان كافراً لم يدخله في المشيئة، لأن الجنة على الكافر حرام. كما تقدم بيانه.

قال الطحاوي –رحمه الله– (ت: ٣٢١ هـ) بعد أن أشار إلى موضع الشاهد من حديثي عبادة وكعب: "فكان في ذلك ما قد دل أنه لم يخرجه بذلك من الإسلام، فيجعله مرتداً مشركاً، لأن الله عز وجل لا يدخل الجنة من أشرك به، لقوله: **{إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ}** [المائدة: الآية: ٧٢]. ولا يغفر له، لقوله عز وجل: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}** [النساء: الآية: ٤٨، ١١٦]". (٢٣٠٢)

وقال ابن عبد البر –رحمه الله– (ت: ٤٦٣ هـ)، –بعد أن ذكر حديث عبادة–: "ذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن معنى حديث عبادة المذكور في هذا الباب، ومعنى حديث كعب بن عجرة هذا؛ أن التضييع للصلاة الذي لا يكون معه لفاعله المسلم عند الله عهد؛ هو أن لا يقيم حدودها: من مراعاة وقت، وطهارة، وتمام ركوع وسجود، ونحو ذلك، وهو مع ذلك يصليها، ولا يمتنع من القيام بها في وقتها، وغير

(٢٣٠١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلاة: ١ / ١١٧ (٤٣٠)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس (١٩٤) ١ / ٤٥٠ (١٤٠٣). قال في الزوائد: في إسناده نظر من أجل ضبارة ودويد قال الحافظ في التقريب: ضبارة بن عبد الله بن أبي السليل: مجهول ص ١٥٤. وقال: دويد بن نافع: مقبول وكان يرسل ص ٩٨.

(٢٣٠٢) شرح مشكل الآثار: ٨/ ٢٠١، وانظر ابن نصر ص ٩٥٦، وهداية المستفيد : ٣/٢٩٠ ، وقال الشنقيطي في أضواء البيان: ٤/ ٣١٨: "حديث عبادة المذكور، فيه الدلالة الواضحة على أن ترك الصلاة ليس بكفر، لأن كونه تحت المشيئة المذكور فيه دليل على عدم الكفر، لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء: الآية: ٤٨]".



وقتها، إلا أنه لا يحافظ على أوقاتها، قالوا: فأما من تركها أصلاً، ولم يصلها؛ فهو كافر، قالوا: وترك الصلاة كفر، واحتجوا بآثار". (٢٣٠٣)

٥) وبقوله ﷺ: ((إنه سيكون ولاة، أو أمراء يصلون الصلاة لغير ميقاتها، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة)). (٢٣٠٤)

(٢٣٠٣) "التمهيد" (٢٣/ ٢٩٣).

(٢٣٠٤) من حديث عبد الله بن مسعود، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت، وعامر بن ربيعة، وجابر بن عبد الله، وشداد بن أوس، وأنس بن مالك، وقبيصة بن وقاص، وعبد الله بن عمرو–رضي الله عنهم–. فحديث عبد الله بن مسعود: أخرجه ابن نصر (١٠١٧)، واللفظ له، وأبو داود في الصلاة باب إذا أخر الإمام الصلاة عن وقتها: ١/١١٧ (٤٣٢) ، والبيهقي: ٣/ ١٢٤، من طريق عمرو بن ميمون الأودي، ومن طريق زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود بنحوه، أخرجه ابن نصر (١٠١٤)، والنسائي في الإمامة، باب الصلاة مع أئمة الجور (٢) ٢ / ٧٥ (٧٧٩)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء فيما إذا أخروا الصلاة عن وقتها (١٥٠) ١/٣٩٨ (١٢٥٥)، والبيهقي: ٣/ ١٢٧. ومن طريق الأسود قال: دخلت أنا وعلقمة على عبد الله. فقال: أصلى هؤلاء؟ قلنا: لا. قال: قوموا فصلوا، فصلى بنا بغير أذان ولا إقامة، فلما صلى قال: هكذا رأيت رسول الله فعل، ثم قال: ((إنها ستكون عليكم أمراء يميتون الصلاة، يخنقونها إلى شرق الموتى، فمن أدرك ذلك منكم فليصل الصلاة لوقتها، ويجعل صلاته معهم سبحة)).

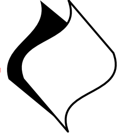
أخرجه ابن نصر (١٠١٥)، وبنحوه أخرجه مسلم في المساجد، باب وضع الأيدي على الركب في الركوع: ٥/ ١٥، وابن حبان، كما في الإحسان : ٣/ ٤٨ (١٥٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢/ ٣٨١.

ومن طريق القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: ((ستكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ويحدثون البدعة)) فقال ابن مسعود وكيف أصنع إن أدركتهم؟ قال: ((تسألني ابن أم عبد كيف تصنع؟! لا طاعة لمن عصى الله)).

أخرجه البيهقي: ٣ / ١٢٤، ١٢٧، وعبد الرزاق في مصنفه بنحوه: ٢/ ٣٨٣ (٣٧٨٨).

وأما حديث أبي ذر–رضي الله عنه–من عدة طرق عن عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–منها: قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يميتون الصلاة عن وقتها؟)). قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: ((صل الصلاة لوقتها فإنن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة)). أخرج حديث أبي ذر ابن نصر (١٠٠٧ – ١٠١٣)، ومسلم في المساجد، باب كراهة تأخير الصلاة عن وقتها: ٥ / ١٤٧ – ١٥٠ (ح ٢٣٨ – ٢٤٤)، وغيرهما.

وأما حديث عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–: أخرجه ابن نصر من عدة طرق (١٠١٨ – ١٠٢١) منها عنه: عن رسول الله ﷺ قال: ((ستكون عليكم أمراء، تشغلهم أشياء عن الصلاة، حتى يذهب وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها. فقال رجل: يارسول الله، أنصلي معهم؟ قال: نعم)).



وأخرجه أحمد: ٥/ ٣١٤، ٣١٥، وأبو داود في الصلاة، باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت ١/ ١١٨ (٤٣٣)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء فيما إذا أخروا الصلاة عن وقتها (١٥٠) ١ / ٣٩٨ (١٢٥٧)، وعبد الرزاق في مصنفه: ٢/ ٣٨١ (٣٧٨٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢/ ٣٨١، وأخرجه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٢٩) وأشار لصحته.

وأما حديث عامر بن ربيعة-رضي الله عنه-: أخرجه ابن نصر (١٠٢٢، ١٠٢٣) من طريق عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((سيكون أمراء بعدي يصلون الصلاة لوقتها، ويؤخرونها عن وقتها، فصلوها معهم، فإن صلوا لوقتها فصليتموها معهم، فلكم، ولهم، وإن أخروها عن وقتها، فصليتموها معهم، فلكم، وعليهم، ومن فارق الجماعة، - ميتة جاهلية، ومن نكث العهد، فمات ناكثاً للعهد، جاء يوم القيامة لا حجة له)).

وأخرجه أحمد: ٣/ ٤٤٥، ٤٤٦. قال الساعاتي في بلوغ الأماني: ٢/ ٢٢٨: (سنده جيد).

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه: ٢/ ٣٧٩ (٣٧٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٣٢٤: "رواه أحمد، والطبراني في الكبير بنحوه، وفيه عاصم بن عبيد الله، وهو ضعيف إلا أن مالكاً روى عنه".

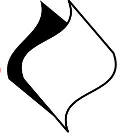
وأما حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-: أنه قال: اشتد غضب الله تعالى على أول من أخر وقت الصلاة، وهل تدريان من هو؟ قالا: لا. قال: الحجاج. إني محدثكما حديثاً، فاكتماه عني، فإذا مت، فلينبشوا قبري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنه سيكون بعدي أئمة يؤخرون وقت الصلاة، فصلو الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة)). فأخرجه ابن نصر (١٠٢٤).

وأما حديث شداد بن أوس-رضي الله عنه-قال: ((سيكون من بعدي أئمة يميتون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة)). فلما كان الحجاج أخر الصلاة عن مواقيتها، فكنت أصلي الصلاة لوقتها، وأجعل صلاتي معه سبحة)). أخرجه ابن نصر بهذا اللفظ موقوفاً (١٠٢٥) إلا أن يكون في المطبوع سقطاً. وأخرجه أحمد مرفوعاً: ٤/ ١٢٤، والبزار، كما في كشف الأستار: ١/ ١٩٨ (٣٩٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١ / ٣٢٥: "رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الأوسط، وفيه راشد بن داود ضعفه الدارقطني، ووثقه ابن معين، ودحيم، وابن حبان".

وأما حديث أنس بن مالك-رضي الله عنه-فبنحوه: أخرجه ابن نصر (١٠٢٦، ١٠٢٧)، قال المحقق معلقاً عليه: الحديث صحيح لشواهده، وإسناده حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١ / ٣٢٥: (رواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلي، وفي إسناده من لا يعرف".

وأما حديث قبيصة بن وقاص-رضي الله عنه-: قال: قال رسول الله ﷺ: ((يكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة، فهي لكم، وهي عليهم، فصلوا معهم ما صلوا بكم القبلة)).

أخرجه ابن نصر (١٠٢٨)، وأبو داود في الصلاة، باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت ١ / ١١٨ (٤٣٤) ، والطبراني في الأوسط: ٣/٢٩٦(٢٦٤٤) وقال: (لا يروى هذا الحديث عن قبيصة بن وقاص الليثي إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو هاشم" وقال عنه الحافظ في التقريب ص ٢٥٠: (لا بأس به).



وجه الاستدلال منه:

أمره عليه الصلاة والسلام بالصلاة خلف أولئك الأمراء الذين يصلون الصلاة لغير ميقاتها، دليل على عدم كفرهم، إذ لو كانوا كافرين بهذا التأخير، لم تجز الصلاة خلفهم قال ابن عبد البر: "قالوا: وهذا يدل على أنهم غير كفار بتأخيرهـــا حتى يخرج وقتها، ولو كفروا بذلك ما أمرهم بالصلاة خلفهم بسبحة ولا غيرها". [(٢٣٠٥)]

٦) وبحديث **عتبان بن مالك–رضي الله عنه–(ت: مابين ٤٠ و٦٠ هـ)**، وفيه قال رسول الله ﷺ: **((فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))**. [(٢٣٠٦)]

٧) وبحديث **أبي ذر–رضي الله عنه–(ت: ٣١ أو ٣٢ هـ)**، أن رسول الله ﷺ قال: **((ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة))**. قلت: وإن زنى، وإن سرق قال: **((وإن زنى، وإن سرق))** . . . كررها ثلاثاً ثم قال: ((على رغم أنف أبي ذر)). (٢٣٠٧)

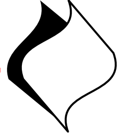
وأما حديث عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–: فبنحوه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠ / ٣٢٥: "رواه الطبراني في الأوسط، والكبير، وفيه سالم بن عبد الله الخياط، ضعفه ابن معين، والنسائي، ووثقه أحمد، وابن حبان، وأبو أحمد بن عدي".

(٢٣٠٥) التمهيد: ٤/ ٢٤٢، وانظر: تعظيم قدر الصلاة ص ٩٣٣.

(٢٣٠٦) متفق عليه. أخرجه البخاري في الصلاة، باب المساجد في البيوت (٤٦) ١/ ١٠٩، ١١٠، وفي التهجد، باب صلاة النوافل جماعة (٣٦) ٢/ ٥٥، وفي الأطعمة، باب الخزيرة (١٥) ٦/ ٢٠٢، وفي الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله. (٦) ٧/ ١٧٢. ومسلم في المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر: ٥/ ١٥٩. أورده ابن القيم في كتاب الصلاة ص ٣٢.

(٢٣٠٧) متفق عليه. أخرجه البخاري في اللباس، باب الثياب البيض (٢٤) ٧ / ٤٣، ومسلم في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة: ١/ ٩٤، ونحوه حديث معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: ((من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة))، أورده ابن القيم في كتاب الصلاة ص ٣٢.

وأخرجه أبو داود في الجنائز، باب في التلقين: ٣ / ١٩٠ (٣١١٦)، وأحمد: ٥/٢٣٣ بلفظ: ((وجبت له الجنة)).



٨) وبحديث **عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)**، عن النبي ﷺ أنه قال: ((**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنـة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**)). (٢٣٠٨)

وجه الاستدلال منه:

إخباره عليه الصلاة والسلام بما سيكون يوم القيامة من كرم المولى جل جلاله على عباده المؤمنين الموحدين، إذ أقسم سبحانه بعزته وجلاله على إخراج كل من قال: لا إله إلا الله، من النار. ولم يشترط لذلك عملا، بل نص في الرواية الثانية، أنه يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط. وفي ذلك دلالة واضحة على أن تارك الصلاة ليس بكافر، إذ لو كان كافراً، لما كان موعوداً بالخروج من النار، لأن الجنة على الكافر حرام.

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "ويكفينا في هذا قوله: ((**فيخرج من النار من لم يعمل خيراً قط**)). ولو كان كافراً لكان مخلداً في النار، غير خارج منها". (٢٣٠٩)

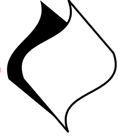
٩) وبحديث **أنس–رضي الله عنه–(ت: مابين ٩٠ و٩٣ هـ)**، أن النبي ﷺ قال، **ومعاذ–رضي الله عنه–(ت: ١٧ أو ١٨ هـ)** رديفه على الرحل: ((**يا معاذ**)). قال: لبيك يارسول الله وسعديك، ثلاثاً، قال: ((**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار**)). قال: يا رسول الله، أفلا أخبر بها الناس، فيستبشروا؟ قال: ((**إذاً يتكلوا**)). فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً". (٢٣١٠)

(٢٣٠٨) متفق عليه. أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قوله تعالى: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم} (٤٧) ٤/ ١٣٩، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً: ١/ ٢٢٦. أورده ابن القيم في كتاب الصلاة ص ٣٠.

(٢٣٠٩) كتاب الصلاة ص ٣٣..

(٢٣١٠) متفق عليه، أخرجه البخاري في العلم، باب من خص بالعلم قوماً (٤٩) ١/ ٤١.

ومسلم في الإيمان، باب من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة: ١/ ٢٤٠، واللفظ له.



(١٠) وبحديث **أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)** قال: ((أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)). (٢٣١١)

وجه الاستدلال منها (٢٣١٢) من وجهين:

أحدهما : أن رسول الله ﷺ علق دخول الجنة ، والتحريم على النار وشفاعته عليه الصلاة والسلام على مجرد قول : لا إله إلا الله ، أو الشهادة بذلك ، ولم يشترط لذلك عملا مهما قل أو كثر ، فدل ذلك على عدم كفر تارك الصلاة ، إذ لو كان تركها كفراً ، لتوقف دخول الجنة على إقامتها ، ولوجبت النار ، وحرم من شفاعته ، كل متهاون بها الثاني : في حديث عبادة التصريح بأن دخول الجنة متوقف على تلك الشهادات الإيمانية ، وليس متوقفاً على شيء من العمل ، ولذلك قال : ((**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**))، فدل ذلك على أن ترك الصلاة ليس كفراً ، إذ لو كان كفراً لتوقف دخول الجنة عليه من الأعمال.

١١) وبحديث **عثمان بن عفان–رضي الله عنه–(ت: ٣٥ هـ)**، قال: قال رسول الله: ((**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة**)). (٢٣١٣)

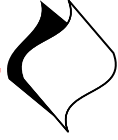
وجه الاستدلال منه:

ولفظ البخاري: ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار)). وأورده ابن القيم في كتاب الصلاة ص ٣٠.

(٢٣١١) أخرجه البخاري في العلم، باب الحرص على الحديث (٣٣) ١/ ٣٣. وأورده ابن القيم في كتاب الصلاة ص ٣١.

(٢٣١٢) الأحاديث الأولى منها (٦–٨) أوردها ابن قدامة في المغني: ٣/ ٣٥٦، مكتفياً بها عما ماثلها، لأن الأحاديث في هذا الباب–وهي ما تُعرف بأحاديث الرجاء–كثيرة جداً، ولهذا قال بعد أن بين أن هذه متفق عليها: (ومثلها كثير)..

(٢٣١٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة ١/ ٢١٨. وأورده ابن القيم في كتاب الصلاة ص ٣٢، وقد اكتفى النووي بهذا الحديث عن غيره من الأدلة المماثلة له. فقال بعد أن أورده: "وأشباهه كثيرة" المجموع: ٣/ ١٧.



أن النبي ﷺ علق دخول الجنة على العلم بوحدانيته، وأنه سبحانه وتعالى ستحق للعبادة دون سواه، ولم يشترط مع ذلك شيئاً آخر، لا قولا، لا عملاً، فدل ذلك على أن ترك الصلاة ليس بكفر، إذ لو كان تركها كفراً شترط فعلها لدخول الجنة. (٢٣١٤)

١٢) وبحديث الشفاعة: ((**يقول الله –عز وجل–: وعزتي وجلالي، لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله**)). وفيه ((**فيخرج من النار من لم يعمل خيراً قط**)). (٢٣١٥)

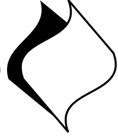
(٢٣١٤) (تنبيه) الاستدلال بهذا الحديث يشترك فيه غلاة المرجئة–الذين يكتفون بمجرد العلم–وغيرهم، ممن يقيد ذلك بالقول، أو غير ذلك من القيود الأخرى. وقد نقل النووي كلام القاضي عياض، وكلام ابن الصلاح على هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم: ١/ ٢١٩ وحسبنا في هذا المقام أن نشير إلى الاستدلال به على عدم كفر تارك الصلاة. وهو القدر المشترك الذي تجتمع عليه تلك الأقوال.

(٢٣١٥) كذا أورده ابن القيم ص ٣٢، مختصراً، وحديث الشفاعة جاء من طرق متعددة وبألفاظ متقاربة منها:

حديث أنس بن مالك الطويل في الصحيحين، وفيه الجملة الأولى وهي من طريق الحسن البصري. وذلك بعد أن يشفع عليه الصلاة والسلام لامته عدة مرات، فيقال له في الثالثة: ((انطلق فمن كان في قلبه أدنى–كذا عند مسلم بتكرارها ثلاثاً، وعند البخاري بتكرارها مرتين–من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار)) زاد الحسن أنه سمع من أنس هذا الحديث منذ عشرين سنة وفيه زيادة شفاعته عليه الصلاة والسلام لامته للمرة الرابعة وفيه: ((فأقول: يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله. فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله)). هذا لفظ البخاري.

أخرجه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة (٣٦) ٨ / ٢٠٠–٢٠٢، ومسلم في الإيمان، باب الشفاعة: ٣/ ٥٩–٦٤، وابن نصر (٢٧٤).

وفي حديث قتادة عن أنس بعد أن ذكر شفاعته عليه الصلاة والسلام لأمته عدة مرات. وعند ذلك يقول: ((. . .. ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن. ووجب عليه الخلود))، أخرجه البخاري في التفسير، سورة (٢) باب (١) ٥/ ١٤٧، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٥١) ٧/ ٢٠٣، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: {لما خلقت بيدي}، (١٩) ٨/ ١٧٢–١٧٣، وباب قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة} (٢٤) ٨/ ١٨٣ تعليقاً.



وأخرجه مسلم في الإيمان: ٣/ ٥٣-٥٨.

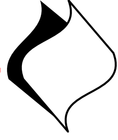
ومنها حديث أبي سعيد الخدري الطويل في الصحيحين وغيرهما. وفيه أن المؤمنين الذين تجاوزوا الصراط يشفعون في إخوانهم الذين في النار ثلاث مرات: من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. ثم بعد ذلك تكون شفاعته جل وعلا لقوم قد امتحشوا – أي احترقوا وفيه: ((.. فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه..)).

أخرجه البخاري في التوحيد، باب (٢٤) ٨/ ١٨١-١٨٣، وقد أخرجه مختصراً في التفسير سورة (٤) باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة (٨) ٥/ ١٧٩، ليس فيه موضع الشاهد. وأخرجه مسلم في الإيمان، باب رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة: ٣/ ٢٥-٣٨.

وقد أخرج ابن نصر، الحديث مطولاً، ومختصراً (٢٧٦، ٢٧٧).

ومنها حديث أبي هريرة الطويل في الصحيحين أيضاً: وفيه: ((... حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل .....)). أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة} (٢٤) ٨/ ١٧٩-١٨١، وأخرجه بنحوه في الأذان، باب فضل السجود (١٢٩) ١/ ١٩٥، وفي الرقاق، باب الصراط جسر جهنم (٥٢) ٧/ ٢٠٥، ومسلم في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه: ٣/١٧ – ٢٥، وابن نصر (٢٧٥). أما الجملة الثانية: وهي قوله: ((فيخرج من النار من لم يعمل خيراً قط)).

فقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري-المشار إليه-. ولفظه: ((... فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط..)). الحديث.



١٣) وبحديث **ابن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)**، عن النبي ﷺ أنه قال: **((أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه: علام جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم، فلم تنصره))**. (٢٣١٦).

وجه الاستدلال منه:

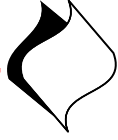
إخبار النبي ﷺ عن هذا الرجل الذي أمر بضربه مائة جلدة، ثم أصبحت جلدة واحدة، باستجابة الله له دعاءه وتخفيفه عنه، وأن استحقاق هذا الضرب لصلاته بغير طهور، وعدم نصرته للمظلوم. دليل على أن تارك الصلاة ليس بكافر، إذ لو كان كافراً لما استجاب الله دعاءه، ولما اقتصر عقابه على جلده جلدة واحدة، لأن من صلى بغير طهور فكأنه لم يصل.

قال الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ): "في هذا الحديث ما يدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر، لأن من صلى صلاة بغير طهور، فلم يصل. وقد أجيبت دعوته، ولو كان كافراً ما أجيبت له دعوة، لأن الله تبارك وتعالى يقول: {وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ} [الرعد: الآية: ١٤، غافر: الآية: ٥٠]". (٢٣١٧)

١٤) وبحديث **أبي شميلة–رضي الله عنه–(ت: غير معروف)**. أن النبي ﷺ خرج إلى قباء، فاستقبله رهط من الأنصار يحملون جنازة على باب، فقال النبي ﷺ: ((**ما هذا؟**))، قالوا: مملوك لآل فلان، كان من أمره. قال: ((أكان يشهد أن لا إله إلا الله؟)). قالوا: نعم، ولكنه كان وكان. فقال لهم: ((**أما كان**

(٢٣١٦) أخرجه الطحاوي في شرح مشكاة الآثار: ٨/ ٢١٢، قال محققه: "إسناده حسن . . . وله شاهد من حديث ابن عمر عند الطبراني في الكبير"، وعزاه المنذري إلى أبي الشيخ بن حبان في كتاب التوبيخ. الترغيب والترهيب: ٣/ ١٩٠. وقد أشار إلى الاستدلال بهذا الحديث ابن عبد البر في التمهيد: ٤/ ٢٣٩.

(٢٣١٧) التمهيد: ٤/ ٢٣٩، وانظر شرح مشكل الآثار: ٨/ ٢١٢.



يصلي؟)). فقالوا: قد كان يصلي ويدع. فقال لهم: ((**ارجعوا به، فغسلوه، وكفنوه، وصلوا عليه، وادفنوه، والذي نفسي بيده، لقد كادت الملائكة تحول بيني وبينه**)). (٢٣١٨).

وجه الاستدلال منه:

أمره عليه الصلاة والسلام بإرجاع ذلك الرجل الذي كان يصلي ويدع، وتغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، دليل على أن ترك الصلاة ليس بكفر، إذ لو كان بتركها كافراً لما أمر بإرجاعه والصلاة عليه

١٥) وبحديث **ابن عمر–رضي الله عنهما–(ت: ٧٣ هـ)**، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**صلوا على من قال: لا إله إلا الله**)). (١)

وجه الاستدلال منه:

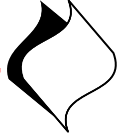
أمره عليه الصلاة والسلام بالصلاة على من قال: لا إله إلا الله، دون أن يستثني من ذلك أحداً، دليل على أن تارك الصلاة، يُصلى عليه، وأنه ليس بكافر، إذ لو كان كافراً، لما صلي عليه.

١٦) وبحديث **أبي ذر–رضي الله عنه–(ت: ٣١ أو ٣٢ هـ)** . أن النبي ﷺ قام بآية من القرآن يرددها حتى صلاة الغداة، وقال: ((**دعوت لأمتي، وأجبت بالذي لو اطلع عليه كثير منهم تركوا الصلاة**)). فقال أبو ذر: أفلا أبشر الناس؟ قال: ((بلى)). فانطلق. فقال عمر: إنك إن تبعث إلى الناس بهذا ينكلوا عن العبادة. فناداه: ((**أن ارجع**)). فرجع. والآية: **{إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادِكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [المائدة: الآية: ١١٨]. رواه أحمد في مسنده. (٢٣١٩)

(٢٣١٨) عزاه في المغني: ٣/ ٣٥٧ إلى الخلال في جامعه، ورواه الدارقطني في سننه: ٢/ ٥٦ من طريقين، فيهما متهمان بالكذب، قاله في التعليق المغني. وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية من خمسة طرق كلها واهية، وبين عللها، وأشار إلى ما روي في الباب وقال: "كلها لا تصح" ١/ ٤٢١ – ٤٢٧ وقد ضعف الحديث جمع من العلماء انظر: نصب الراية: ٢/ ٢٨، مجمع الزوائد: ٢/ ٦٧، المقاصد الحسنة ص ٤٢٩، كشف الخفاء: ٢/ ٣٢، ٣٣، الجامع الصغير: ٤/ ٢٠٣ (٥٠٣٠) ، ضعيف الجامع الصغير (٣٤٨٢)، الإرواء: ٢/ ٣٠٥ – ٣٠٧.

(٢٣١٩) كذا أورده ابن القيم في كتاب الصلاة ص ٣١، مختصرًا، وأخرجه أحمد: ٥/ ١٧٠ مطولاً.

وأخرج الحديث دون موضع الشاهد منه: النسائي في الافتتاح، باب ترديد الآية (٧٩) ٢/ ١٧٧ (١٠١٠)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل (١٧٩) ١/ ٤٢٩ (١٣٥٠)، والحاكم: ١ / ٢٤١، وقال:



وجه الاستدلال منه:

إخبار النبي ﷺ بأنه دعا لأمته بما لو اطلع عليه كثير منهم تركوا الصلاة، دليل على أنهم آمنون من عذابه، وفائزون بنعيمه، ولو تركوا الصلاة، وأنهم بهذا الترك لا يكونون كفاراً، لأن الكافر لا طمع له في رحمة الله، ولا نجاة له من عقابه.

١٧) وبحديث **عائشة–رضي الله عنها–(ت: ٥٨ أو ٥٧ هـ)**، قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله: فالشرك بالله قال الله عز وجل: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ} [المائدة: الآية: ٧٢]، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلم العبد نفسه، فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله عز وجل يغفر ذلك، ويتجاوز عنه–إن شاء– . وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا؛ فظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص لامحالة**)). (٢٣٢٠)

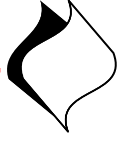
وجه الاستدلال منه:

إخباره عليه الصلاة والسلام بأن من الدواوين، ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، أي: أن الله جل وعلا قد يغفره لصاحبه، ويتجاوز عنه، ولا يعاقبه عليه، وقد ضرب عليه الصلاة والسلام أمثلة لهذا النوع من الظلم: صوم يوم تركه، أو صلاة تركها. فدل ذلك على أن ترك الصلاة ليس كفراً، إذ لو كان كفراً. لما جعله من الديوان الذي لا يعبأ به، بل لعده من الديوان الذي لا يغفره الله.

حديث صحيح، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي: ٢/ ٢٧٣: "رواه أحمد، والبزار، ورجاله ثقات". وأخرجه ابن خزيمة معلقاً، وقال في ترجمته: باب إباحة ترديد الآية، إن صح الخبر: ١/ ٢٧١.

(٢٣٢٠) أخرجه أحمد: ٦ / ٢٤٠ واللفظ له، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠ / ٣٤٨: "رواه أحمد، وفيه صدقة بن موسى، وقد ضعفه الجمهور".

وأخرجه الحاكم: ٤ / ٥٧٥، ٥٧٦ بنحوه، وقال: "صحيح الاسناد، ولم يخرجاه". ورد ذلك للذهبي فقال: "صدقة ضعفوه، وابن بابونس، فيه جهالة". وضعف الألباني الحديث في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٧. وأورده ابن القيم في كتاب الصلاة ص: ٣١.



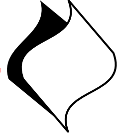
١٨) وبحديث **أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)**، قال: قال رسول الله ﷺ: **((إن أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة: الصلاة المكتوبة، فإن أتمها، وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع؟ فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك))**. (٢٣٢١)

وجه الاستدلال منه:

إخبار النبي ﷺ بأن من لم يتم صلاته المكتوبة، أكملت من تطوعه، دليل على أن ترك الصلاة ليس كفراً، لأن إتمام الصلاة المكتوبة بالتطوع يتناول إكمال أعدادها وما ترك منها، كما يتناول إكمال ما حصل فيها من نقص، أو خلل. (٢٣٢٢)

(٢٣٢١) أخرجه أحمد: ٢/ ٢٩٠، ٤٢٥، ٤ / ١٠٣، وأبو داود في الصلاة، باب قول النبي ﷺ: ((كل صلاة لا يتمها صاحبها..)) ١/ ٢٢٩ (٨٦٤، ٨٦٥)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة: ١/ ٢٥٨ (٤١١) وقال: حديث حسن. وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة (٢٠٢) ١/ ٤٥٨ (١٤٢٥) واللفظ له، والنسائي في الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة (٩) ١/٢٣٢ (٤٦٥ – ٤٦٧)، والطبراني في الأوسط (٢٢٢٠)، وابن عدي: ٢/ ٥٦١، والحاكم: ١/٢٦٢ وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي والبغوي في شرح السنة: ٤/ ١٥٩ (١٠١٩). وقال: حديث حسن، وقال الارناؤوط في تعليقه عليه: حديث صحيح. ثم قال: وله شاهد عند أحمد والحاكم عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وإسناده صحيح. وآخر عند أبي داود من حديث تميم الداري، وإسناده قوي. والطحاوي في شرح مشكل الآثار: ٦ / ٣٨٧ (٢٥٥٣) وقال الأرناؤوط في تعليقه على: إسناده صحيح. وقال عن حديث تميم الداري: ٦ / ٣٨٥ (٢٥٥٢): إسناده صحيح: والبيهقي: ٢/ ٣٨٦، وقال الشوكاني: "الحديث أخرجه أبو داود من ثلاث طرق، طريقين متصلتين بأبي هريرة، والطريق الثالثة بتميم الداري. وكلها لا مطعن فيها، ولم يتكلم عليه هو ولا المنذري بما يوجب ضعفه..". وأشار فيه إلى تصحيح ابن القطان والعراقي لحديث أبي هريرة وتصحيح العراقي الحديث تميم. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٣/ ٣٤٥ (١٣٥٨)، وأورده ابن القيم في كتاب الصلاة ص: ٣٢.

(٢٣٢٢) قال ابن العربي المالكي في عارضة الأحوذي ٢ / ٢٠٧: "يحتمل أن يكون: يكمل له ما نقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل التطوع. ويحتمل ما نقصه من الخشوع. والأول عندي أظهر، لقوله: ((ثم الزكاة كذلك، وسائر الأعمال)). وليس في الزكاة إلا فرض أو فضل، فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها، كذلك الصلاة، وفضل الله أوسع، ووعده أنفذ، وعزمه أعم وأتم".



قال **محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-(ت: ١٣٩٣ هـ)**: "وجه الاستدلال بالحديث المذكور على عدم كفر تارك الصلاة: أن نقصان الصلوات المكتوبة، وإتمامها من النوافل يتناول بعمومه ترك بعضها عمداً، كما يقتضيه ظاهر عموم اللفظ". (٢٣٢٣)

١٩) وبحديث **عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-(ت: ٦٥ هـ)** في قصة صاحب البطاقة، الذي ينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، ثم تخرج له بطاقة فيها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فترجح سيئاته. (٢٣٢٤)

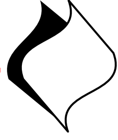
وجه الاستدلال منه:

إخباره عليه الصلاة والسلام بما سيكون يوم القيامة عند الحساب، وأن من الناس من لم يعمل خيراً قط، وليس له في سجلات حسناته، وصحائف أعماله، إلا الشهادة، دليل على أن مجرد الإتيان بالشهادة كاف في نجاة العبد يوم القيامة من النار، وأن ترك الصلاة ليس كفراً، لأن الكافر ليس له مطمع في رحمة الله، أو نجاة من عقابه.

ونقل المباركفوري عن العراقي قوله: "يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن، والهيئات المشروعة فيها: من الخشوع، والأذكار، والأدعية. وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة، وإن لم يفعله فيها، وإنما فعله في التطوع. ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضاً من فروضها وشروطها. ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأساً، فلم يصله، فيعوض عنه من التطوع. والله سبحانه وتعالى يقبل من التطوعات الصحيحة عوضاً عن الصلوات المفروضة". تحفة الأحوذي: ٢ / ٤٦٣، وانظر: نيل الأوطار: ٢/ ٢٩٥.

(٢٣٢٣) أضواء البيان: ٤/ ٤١٩.

(٢٣٢٤) الحديث بالمعنى، وكذا أورده ابن القيم في كتابه الصلاة ص ٣٣، وأخرجه أحمد: ٢/ ٢١٣، والترمذي في الإيمان باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله: ٤/ ١٣٤ (٢٧٧٦) وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٣٥) ٢ / ١٤٣٧ (٤٣٠٠)، والحاكم: ١/ ٥٢٩، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وابن حبان كما في الإحسان: ١ / ٢٢٤ (٢٢٥).



قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "ولم يذكر في البطاقة غير الشهادة، ولو كان فيها غيرها لقال: ثم تخرج له صحائف حسناته، فترجح سيئاته". (٢٣٢٥)

٢٠) وبحديث **أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)** قال: قال رسول الله ﷺ: **((إن للإسلام صوى (٢٣٢٦)، ومناراً كمنار الطريق، منها: أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئاً، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تسلم على أهلك إذا دخلت عليهم، وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم، فمن ترك من ذلك شيئاً، فقد ترك سهماً من الإسلام، ومن تركهن كلهن فقد ولى الإسلام ظهره))**. (٢٣٢٧)

وجه الاستدلال منه: ذكره عليه الصلاة والسلام لبعض شعائر الإسلام، والتي بها يستدل على إسلام صاحبها، وتنبيهه على أن من ترك منهن شيئاً، إنما ترك شيئاً من الإسلام، وأخل بجزء منه، وليس ذلك تركاً للإسلام كله، ولا خروجاً منه، دليل على أن ترك الصلاة، ليس كفراً، موجباً للخروج من الإسلام، وإنما هو ترك لسهم منه، وشعيرة من شعائره.

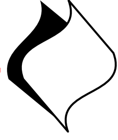
ثالثًا: آثار الصحابة:

استدل أصحاب هذا القول بآثار عن الصحابة تدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر، فمن ذلك:

(٢٣٢٥) كتاب الصلاة ص ٣٣.

(٢٣٢٦) الصوى: جمع صوة، وهي اعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة، فيستدل بتلك الأعلام على طرقها. وأراد: أن للإسلام طرائق، وأعلاماً يهتدى بها. انظر: غريب الحديث: ٤ / ١٨٣، الفائق: ٢/ ٣٢٠، النهاية: ٣/ ٦٢، القاموس ص ٦٨١، لسان العرب: ١٤ / ٤٧١ مادة (صوي)..

(٢٣٢٧) أخرجه أبو عبيد في كتاب الإيمان (٣)، والحاكم: ١/ ٢١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٣).



١) **عن حذيفة–رضي الله عنه–(ت: ٣٦ هـ)**، أنه قال: "يأتي على الناس زمان لا يبقى معهم من الإسلام إلا قول: لا إله إلا الله. فقيل له: وما ينفعهم؟ قال: تنجيهم من النار، لا أبالك". (٢٣٢٨)

٢) وبقول **ابن عمر–رضي الله عنهما–(ت: ٧٣ هـ)**: "لا يبلغ المرء حقيقة الكفر، حتى يدعو مثنى، مثنى". (٢٣٢٩)

٣) وعن والان قال: "انتهيت إلى داري، فوجدت شاة مذبوحة، فقلت: من ذبحها؟ قالوا: غلامك. قلت: والله إن غلامي لا يصلي. فقال النسوة: نحن علمناه، يسمي. فرجعت إلى ابن مسعود، فسألته عن ذلك، فأمرني بأكلها". (٢٣٣٠).

رابعًا: الإجماع:

استدل القائلون بعدم كفر تارك الصلاة عمداً بالإجماع.

فقالوا: لم يزل المسلمون يورثون تارك الصلاة، ويورثون عنه، ولو كان كافراً، لم يغفر له، ولم يرث، ولم يورث. (٢٣٣١)

وقالوا: لا نعلم في عصر من الأعصار أحداً من تاركي الصلاة، ترك تغسيله، والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين، ولا منع ورثته ميراثه، ولا منع هو ميراث مورثه، ولا فرق بين زوجين، لتركك الصلاة من أحدهما. مع كثرة تاركي الصلاة – ولو كان كافراً، لثبتت هذه الأحكام كلها. (٢٣٣٢)

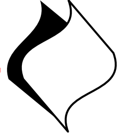
(٢٣٢٨) أخرجه ابن ماجة في الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم (١٤) ٢/ ١٣٤٤ (٤٠٤٩)، والحاكم ٤/ ٤٧٣، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: هو كما قالا. وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات وقوى الحافظ إسناده في الفتح ١٣/ ١٦، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١/ ١٢٧ (٨٧).

(٢٣٢٩) أورده ابن عبد البر في التمهيد: ٤/ ٢٣٧، معلقاً.

(٢٣٣٠) أورده في المغني: ٣/ ٣٥٥.

(٢٣٣١) المجموع للنووي: ٣/ ١٧.

(٢٣٣٢) المغني لابن قدامة: ٣/ ٣٥٧.



وقالوا: لا نعلم بين المسلمين خلافاً في أن تارك الصلاة، يجب عليه قضاؤها، ولو كان مرتداً لم يجب عليه قضاء صلاة ولا صيام. (٢٣٣٣)

خامسًا: المعقول:

استدل القائلون بعدم كفر تارك الصلاة عمداً، بغير عذر، بأدلة من عقول منها:

١) قالوا: قد ثبت له حكم الإسلام بالدخول فيه، فلا نخرجه عنه إلا اليقين. (٢٣٣٤)

٢) وقالوا: إن تارك الصلاة، كتارك سائر الفرائض من الزكاة، والصيام، والحج، فلا يكفر بمجرد الترك. (٢٣٣٥)

٣) وقالوا: إن الكفر الجحود، وتارك الصلاة المقر بالإسلام، غير جاحد، فلا يكفر بمجرد لترك. (٢٣٣٦)

٤) وقالوا: إن الإيمان هو التصديق، وضده التكذيب، لا ترك العمل، فكيف يحكم المصدق بحكم المكذب الجاحد. (٢٣٣٧)

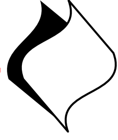
(٢٣٣٣) المغني لابن قدامة: ٣/ ٣٥٧، وقد حكاه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة ص ٩٥٦. واستثنى منه مرة أخرى الحسن فقال ص ٩٩٦: "إذا ترك الرجل صلاة متعمداً، حتى يذهب وقتها، فعليه قضاؤها، لا نعلم في ذلك اختلافاً، إلا ما يروى عن الحسن..).

(٢٣٣٤) انظر: ابن القيم ص ٣٠، التمهيد: ٤/ ٢٤١.

(٢٣٣٥) انظر: تعظيم قدر الصلاة ص ٩٣٦. وقال ابن قدامة في الكافي: ١/ ٩٥: "إنها فعل واجب في الإسلام فلم يكفر تاركها المعتقد لوجبها، كالحج"..

(٢٣٣٦) انظر: التمهيد: ٤/٢٤١. وقال ابن القيم في هذا المعنى ص ٣٣ من كتابه الصلاة: "ولان الكفر جحود التوحيد، وإنكار الرسالة والمعاد، وجحد ما جاء به الرسول، وهذا يقر بالوحدانية شاهداً أن محمداً رسول الله، مؤمناً بأن الله يبعث من في القبور، فكيف يحكم بكفره".

(٢٣٣٧) انظر: كتاب الصلاة ص ٣٣، بداية المجتهد: ١/ ٩١.



٥) وقالوا: إن تارك الصلاة متعمداً حتى يخرج وقتها، مأمور بقضائها فدل ذلك على أنه لا يكون بهذا الترك كافراً، لأن الكافر لا يؤمر بقضاء ما ترك من الصلاة حال كفره. (٢٣٣٨)

وأصحاب هذا القول اختلفوا هل يقتل أم يعزر على قولين:

القول الأول: أنه يقتل.

ذهب أصحاب هذا القول: إلى أن تارك الصلاة، بغير عذر، بل كسلاً وتهاوناً. يقتل حداً، لا كفراً، فيرث، ويورث، ويُغسل، ويكفن، ويُصلي عليه، ويدفن في مقابر المسلمين، وبهذا قال: **مالك–رحمه الله– (ت: ١٧٩ هـ)** [٢٣٣٩]، **والشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ)** [٢٣٤٠]، **وأحمد–رحمه الله– (ت: ٢٤١ هـ) في رواية** [٢٣٤١]، **وأبو ثور–رحمه الله–(ت: ٢٤٦ هـ)، وحماد بن زيد–رحمه الله– (ت: ١٧٩ هـ)، ومكحول–رحمه الله–(ت: ١١٣ أو ١١٤ هـ)، ووكيع–رحمه الله–(ت: ١٩٧ هـ)**،

(٢٣٣٨) انظر: تعظيم قدر الصلاة ص ٩٥٦.

(٢٣٣٩) انظر: التمهيد: ٤/ ٢٣١، الاستذكار: ٥/ ٣٤٦، المقدمات: ١/ ٦٥، الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٧٤، قوانين الأحكام الشرعية ص ٤٩، حاشية الدسوقي مع الشرح الكبير: ١/ ١٩٠، مواهب الجليل، والتاج والإكليل على مختصر خليل: ١/ ٤٢٠، الشرح الصغير على أقرب المسالك: ١/ ٣٣٨، بداية المجتهد: ١/ ٩٠، الإفصاح: ١/ ١٠١، ١/ ٩٠.

(٢٣٤٠) انظر: الأم: ١ / ٢٥٥، حلية العلماء: ٢/ ١٠، الحاوي: ٢ / ٥٢٥، المجموع: ٣ / ١٤، مغني المحتاج: ١/ ٣٢٧، نهاية المحتاج: ٢/ ٤٢٨، ابن نصر ص ٩٥٦، التمهيد: ٤/٢٣١، الإفصاح: ١/ ١٠١، بداية المجتهد.

(٢٣٤١) انظر: الروايتين والوجهين: ١ / ١٩٥، الانتصار: ٢/٦٠٤، المغني: ٣ / ٣٥٥، شرح الزركشي: ٢/ ٢٧٢، الفروع: ١ / ٢٩٤، المبدع: ١/ ٣٠٧، الإنصاف: ١٤/ ١٤/٤٠٤.

وأبو عبيد–رحمه الله–(ت: ٢٢٤ هـ)" (٢٣٤٢)

قال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "روى يونس بن عبد الأعلى–رحمه الله–(ت: ٢٦٤ هـ)، قال: سمعت ابن وهب–رحمه الله–(ت: ١٩٧ هـ)، يقول: قال مالك–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ): "من آمن بالله، وصدق المرسلين، وأبى أن يصلي، القتل". (٢٣٤٣)

وقال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ) في التمهيد: "وهذا قول أصحاب مالك، ومذهبهم، وبعضهم يرويه عن مالك". (٢٣٤٤)

وقال في الاستذكار: "وهو قول مالك–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ) وأصحابه". (٢٣٤٥)

وقال الشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ): ".. فإن صليت وإلا استتبناك فإن تبت وإلا قتلناك..". (٢٣٤٦)

النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "ويجب قتله إذا أصر. وهل يكفر؟ فيه وجهان: وقال والثاني: لا يكفر، وهو الصحيح المنصوص، الذي قطع به الجمهور". (٢٣٤٧)

وقال صاحب المبدع–رحمه الله–(ت: ٨٨٤ هـ): "قدمها في المحرر، وابن تميم، وذكر أنها المذهب،

(٢٣٤٢) انظر: ابن نصر ص ٩٥٦، التمهيد: ٤/ ٢٣١، الاستذكار: ٥/ ٣٤٦، الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٧٤.

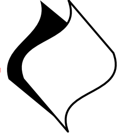
(٢٣٤٣) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٧٤.

(٢٣٤٤) التمهيد: ٤/ ٢٣١.

(٢٣٤٥) الاستذكار: ٥/ ٣٤٦.

(٢٣٤٦) الأم: ١/ ٢٥٥.

(٢٣٤٧) المجموع: ٣ / ١٤.



قال في المغني: وهي أصوب القولين، وجزم بها في الوجيز". (٢٣٤٨)

وقد استدل القائلون بقتل تارك الصلاة، بغير عذر، بأدلة من: الكتاب، والسنة، وآثار الصحابة، والإجماع، والمعقول

أولاً: الكتاب:

استدلوا من الكتاب:

* بقوله تعالى: **{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حيث وجدتموهم وخذوهم وا وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ}** [التوبة: الآية: ٥].

وجه الاستدلال منها:

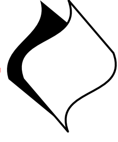
إن الله تعالى أمر بقتال المشركين، وشرط لتخلية سبيلهم ثلاثة شروط التوبة، أي من الكفر، بالإسلام، والنطق بالشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

فدل ذلك على أن من ترك الصلاة – متعمداً من غير عذر ـ أخل بشرط التخلية، فيبقى الأمر بقتله باقياً. (٢٣٤٩)

قال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "إن الله تعالى علق القتل على الشرك، ثم قال: {**فَإِن تَابُوا**} والأصل: أن القتل متى كان للشرك يزول بزواله، وذلك يقتضي زوال القتل بمجرد التوبة من غير اعتبار إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولذلك سقط القتل بمجرد التوبة، قبل وقت الصلاة والزكاة–وهذا بين في هذا المعنى–

(٢٣٤٨) المبدع: ١/ ٣٠٧.

(٢٣٤٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٧٤، الحاوي: ٢/ ٥٢٦، المجموع: ٣/ ١٧، المغني: ٣ / ٣٥٢، شرح الزركشي: ٢/ ٢٦٩. قال الشنقيطي في أضواء البيان: ٤ / ٣١٤: "يفهم من مفهوم الشرط أنهم إن لم يقيموها، – أي الصلاة – لم يخل سبيلهم، وهو كذلك".



غير أن الله تعالى ذكر التوبة، وذكر معها شرطين آخرين، فلا سبيل إلى إلغائهما". (٢٣٥٠)

وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): ".. ومن قال: لا يقتل تارك الصلاة، يقول: متى تاب من شركه، سقط عنه القتل وإن لم يقم الصلاة، لا آتى الزكاة وهذا خلاف ظاهر القرآن". (٢٣٥١)

ثانيًا: السنة.

استدل القائلون: بقتل تارك الصلاة متعمداً، من غير عذر، ولا جحود، من السنة بأحاديث منها:

(١) حديث **ابن عمر–رضي الله عنهما–(ت: ٧٤ أو ٧٣ هـ)**، أن رسول الله ﷺ قال: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رســـول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**)). (٢٣٥٢)

(٢) وحديث **أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٩ هـ)**، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ثم قد حرمت علي دماؤهم، وأموالهم، وحسابهم على الله**)). (٢٣٥٣)

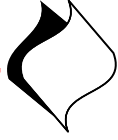
(٣) وحديث **أنس–رضي الله عنه–(ت: بين ٩٠ إلى ٩٣ هـ)**، قال: لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب، فقال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل العرب؟ فقال أبو بكر: إنما قال رسول الله ﷺ:

(٢٣٥٠) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٧٤.

(٢٣٥١) كتاب الصلاة ص ١٤.

(٢٣٥٢) متفق عليه .. أخرجه البخاري في اليان. واللفظ له، ومسلم في الإيمان، باب فضل أبي بكر ١/٢١٢. وقد أورد الاستدلال به: النووي في المجموع ٣/١٧، والزركشي: ٢/ ٢٧٠، وابن القيم ص ١٦.

(٢٣٥٣) أخرجه أحمد: ٢/٣٤٥، والدارقطني: ١/ ٢٣١ ، ٢٣٢، ٢/ ٨٩، والبيهقي: ٨/ ١٧٧، والحاكم: ١/ ٣٨٧، وابن خزيمة: ٤ / ٨ (٢٢٤٨) قال الأعظمي في تعليقه على كتاب ابن خزيمة: (إسناده صحيح). وقد أورد الاستدلال به: ابن القيم ص ١٦.



((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ....)) الحديث. (٢٣٥٤)

وجه الاستدلال منها:

من ثلاثة أوجه:

(**أحدهما**): إخبار النبي ﷺ بأنه مأمور بقتال الناس حتى يفعلوا تلك الأمور المذكورة، - والتي منها إقامة الصلاة – دليل على أن من ترك الصلاة، مستحق للقتل، لعدم إقامته لها.

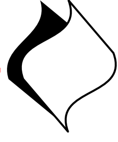
(**الثاني**): تعليقه – عليه الصلاة والسلام – عصمة الدم، بفعل تلك الأشياء والتي منها إقامة الصلاة – دليل على أن من ترك الصلاة، قد أخل بشرط العصمة، وأنه مباح الدم، فيقتل.

(**الثالث**): استثناؤه له من هذه العصمة للدماء والأموال، من أخل بحق الإسلام دليل على أن من ترك الصلاة، لاعصمة لدمه، ولا حرمة لماله، ولإخلاله بحق الإسلام، إذ أن الصلاة أكبر حقوق الإسلام، وأعظمها قال الشيخ الشنقيطي: "فهذا الحديث الصحيح يدل على أنهم لا تعصم دماؤهم ولا أموالهم إلا بإقامة الصلاة". (٢٣٥٥)

(٤) وحديث **أنس–رضي الله عنه–(ت: بين ٩٠ إلى ٩٣ هـ)**، قال: قال رسول الله ﷺ: **((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا**

(٢٣٥٤) أخرجه النسائي في تحريم الدم، باب (١) ٧ / ٧٦ (٣٩٦٩)، والحاكم: ١/ ٣٨٦، ٣٨٧، وابن خزيمة: ٤ / ٧ (٢٢٤٧)، والبيهقي: ٨/ ١٧٧، وقال الأعظمي في تعليقه على صحيح ابن خزيمة: "إسناده منكر..، لكن للحديث شواهد كثيرة. والمتن صحيح برواية أبي هريرة" وقد أورد الاستدلال به: ابن القيم ص ١٦ وقال: (رواه النسائي، وهو حديث صحيح).

(٢٣٥٥) أضواء البيان: ٤/ ٣١٤.



ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)). (٢٣٥٦)

وجه الاستدلال منه:

أن النبي ﷺ اشترط الحرمة الدماء والأموال–مع قول: لا إله إلا الله–فعل الصلاة، فدل ذلك على أن تارك الصلاة، مباح الدم، فيقتل لتركه للصلاة.

(٥) وحديث **أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–(ت: ٧٤ هـ)**، قال: بعث علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–وهو باليمن إلى النبي له بذهيبة، فقسمها بين أربعة، فقال رجل: يارسول الله، اتق الله. فقال: ((**ويلك! ألست أحق أهل الأرض أن يتقي الله ؟!**)). ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يارسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: ((**لا، لعله أن يكون يصلي**)). فقال خالد: فكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ: ((**إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم**)). (٢٣٥٧)

وجه الاستدلال منه:

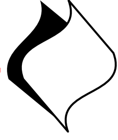
إن النبي ﷺ جعل المانع من قتل هذا الرجل–مع سوء مقالته –كونه يصلي. فدل ذلك على أن من لم يصل، يقتل". (٢٣٥٨).

قال محمد الأمين الشنقيطي–رحمه الله–(ت: ١٣٩٣ هـ): "فقوله ﷺ في هذا الحديث الصحيح: ((**لا**)) يعني: لا تقتله. وتعليله ذلك بقوله: ((**لعله أن يكون يصلي**)) فيه الدلالة الواضحة على النهي عن

(٢٣٥٦) أخرجه البخاري في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة (٢٨) ١ / ١٠٢.

(٢٣٥٧) كذا أورده ابن القيم مختصراً في كتاب الصلاة ص ١٥، وهو في الصحيحين: أخرجه البخاري في المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب.. (٦١) ٥ / ١١٠، ومسلم في الزكاة، ٧/١٦٢، باب إعطاء المؤلفة.

(٢٣٥٨) انظر: كتاب الصلاة ص ١٥.



قتل المصلين، ويفهم منه أنه إن لم يصل يقتل، وهو كذلك". (٢٣٥٩)

(٦) وحديث **أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٩ هـ)**، قال: أتي رسول الله ﷺ - بمخنث، قد خضب يديه، ورجليه بالحناء، فقال رسول الله-ﷺ-**((ما باله؟))** قالوا: يتشبه بالنساء، فأمر به رسول الله ﷺ فنفي إلى النقيع. قالوا: يارسول الله، أو أمرت بقتله؟ فقال: **((إني نهيت عن قتل المصلين))**. (٢٣٦٠)

(٧) وحديث **أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-(ت: ٧٤ هـ)**: أن مخنثاً أتي به النبي مخضوب اليدين والرجلين فقال: **((احذروا هذا على نسائكم))**. قالوا: أفلا نقتله يارسول الله؟ قال: **((إني نهيت عن قتل المصلين))**. (٢٣٦١).

(٨) وحديث **أنس بن مالك-رضي الله عنه-(ت: بين ٩٠ إلى ٩٣ هـ)، عن أبي بكر الصديق-رضي الله عنهما-(ت: ١٣ هـ)**، قال: **((نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلين))**. (٢٣٦٢)

وجه الاستدلال منها:

(٢٣٥٩) أضواء البيان: ٤/ ٣١٤.

(٢٣٦٠) أخرجه ابن نصر (٩٦٣)، وأبو داود، في الأدب، باب في الحكم في المخنثين: ٤ / ٢٨٢ (٤٩٢٨)، والدارقطني: ٢ / ٥٤. وضعفه السيوطي في الجامع الصغير: ٣/ ١٦.

(٢٦٣٣) وللحديث شواهد من حديث أبي سعيد، وأبي أمامة، وعبد الله بن عدي. ولذا صححه الألباني في صحيح الجامع: ١/ ٤٩١ (٢٥٠٦).

(٢٣٦١) أخرجه ابن نصر: (٩٦٤)، وأشار الألباني في صحيح الجامع إلى أنه عند أبي نعيم، وأشار محقق كتاب ابن نصر إلى إخراج العقيلي له في ترجمة خصيب بن الجحدر.

وقد أشار إلى الاستدلال بهذا الحديث ابن عبد البر في التمهيد: ٤ / ٢٣٥، والاستذكار: ٥/ ٥٣٥، وابن رشد في المقدمات: ١/ ٦٦، وابن قدامة في المغني: ٣/ ٣٥٣، والنووي في المجموع: ٣/ ١٧، والزركشي في شرح الخرقي: ٢/ ٢٦٩، وغيرهم.

(٢٣٦٢) أخرجه ابن نصر (٩٦٩)، قال المحقق: إسناده ضعيف. وفي رواية أخرى عن أنس، وعن أبي أمامة. أخرجه ابن نصر أيضاً (٩٧٠-٩٧٢) بلفظ ((نهى رسول الله ﷺ عن ضرب المصلين)). وأخرجهما البزار كما في كشف الأستار: ٤ / ١٢٠ (٣٣٤١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١١/ ٢٩٦: "رواه البزار، وأبو يعلى، إلا أنه قال: ((عن ضرب))، وفيه موسى بن عبيدة، وهو متروك"..

إخبار النبي – عليه الصلاة والسلام . بأنه نهي عن قتل المصلين، دليل على أن من لم يصل، لم ينه عن قتله.

قال **ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ)**: "فدل ذلك على أنه قد أمر بقتل من لم يصل، كما نهي عن قتل من صلى، وأنه لا يمنع من القتل إلا فعل الصلاة". (٢٣٦٣).

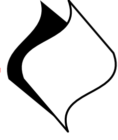
(٩) وحديث **أنس بن مالك–رضي الله عنه–(ت: بين ٩٠ إلى ٩٣ هـ)**، قال: لما أصيب عتبان بن مالك في بصره، وكان رجلاً من الأنصار، بعث إلى رسول الله ﷺ قال: إني أحب أن تأتيني، فتصلي في بيتي، أو في بقعة من داري، وتدعو لنا بالبركة، فقام رسول الله في نفر من أصحابه، فدخلوا عليه، فتحدثوا بينهم، فذكروا مالك بن الدخشم، فقال بعضهم: يارسول الله، ذاك كهف المنافقين، ومأواهم، وأكثروا فيه، حتى أرخص لهم في قتله، ثم قال رسول الله ﷺ: ((**هل يصلي؟**)). قالوا: نعم يارسول الله، صلاة لاخير فيها. فقال رسول الله ﷺ: ((**نهيت عن المصلين، نهيت عن المصلين، نهيت عن المصلين**)). (٢٣٦٤)

(١٠) وحديث **عبيد الله بن عدي الأنصاري–رضي الله عنه–(ت: غير معروف)**: أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس بين ظهراني أصحابه، إذ جاءه رجل يستأذنه أن يساره، فأذن له فساره في قتل رجل من المنافقين، فقال: ((**أليس يقول: لا إله إلا الله؟**)). قال: بلى، ولكن لا شهادة له، قال: ((**أليس يشهد أني رسول الله؟**)). قال: بلى، ولكن لا شهادة له. قال: ((**أليس يصلي؟**)). قال: بلى، لكن

(٢٣٦٣) الاستذكار: ٥/ ٣٥١، وقال في التمهيد: ٤/ ٢٣٥: "في ذلك دليل على أن من لم يصل لم ينه عن قتله".

(٢٣٦٤) أخرجه ابن نصر (٩٦١)، وابن عدي : ٥ / ١٧٣٩ من طريق عامر بن يساف. وقال عنه: "منكر الحديث عن الثقات"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/ ٢٩٦: "رواه الطبراني في الكبير، وفيه عامر بن يساف، وهو منكر الحديث".

وقد أورد الاستدلال به ابن رشد في المقدمات: ١/ ٦٦، إذ قال: "فدل على أنه لو لم يصل، لم يكن من الذين نهاه الله عن قتلهم، بل يكون ممن أمر الله بقتلهم".



لاصلاة له. فقال رسول الله ﷺ: ((**أولئك الذين نهيت عنهم**)). **(٢٣٦٥)**

وجه الاستدلال منها:

إن النبي ﷺ لم يأذن في قتل الرجل المتهم بالنفاق، بعد أن تبين له نطقه بالشهادتين، وأداؤه للصلاة. وأخبر بأنه نهي عن قتل من فعل ذلك. فدل ذلك على أن من أخل بهذين الأمرين ومنها فعل الصلاة أنه لم ينه عن قتله قال ابن عبد البر: "ولم يحتج عليهم في المنع من قتله، إلا بالشهادة والصلاة . . .". **(٢٣٦٦)**

(١١) وحديث **أم سلمة–رضي الله عنها–(ت: مابين ٥٧ و٦٤ هـ)**، أن رسول الله ﷺ قال: ((**إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**)). قالوا: يارسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: ((**لا، ما صلوا**)). **(٢٣٦٧)**

١٢) وحديث **عوف بن مالك الأشجعي–رضي الله عنه–(ت: ٧٣ هـ)**، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم**

(٢٣٦٥) أخرجه ابن نصر من عدة طرق مرسلاً، وموصولاً (٩٥٥– ٩٦٠)، وكذا البيهقي: ٣/ ٣٦٧، ٨/ ١٩٦.

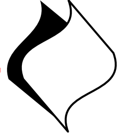
وأخرجه مالك في الموطأ في قصر الصلاة، باب جامع الصلاة: ١/ ١٧١ (٨٤)، والشافعي عن مالك في المسند: ١/ ١٣، عن عبيد الله بن عدي بن الخيار. قال ابن عبد البر: هكذا رواه سائر رواة الموطأ مرسلاً، وعبيد الله، لم يدرك النبي ﷺ.

وأخرجه أحمد: ٥ / ٤٣٣ عن عبيد الله أن رجلاً من الأنصار حدثه، وابن حبان من طريق عبيد الله بن عدي عن عبد الله بن عدي كما في الموارد (١٢) ص ٣٣.

وقد أشار إلى الاستدلال به ابن عبد البر في التمهيد: ٤ / ٢٣٥، والاستذكار: ٥/ ٣٥١، وابن القيم في الصلاة ص ١٥.

(٢٣٦٦) التمهيد: ٤/ ٢٣٥.

(٢٣٦٧) أخرجه مسلم في الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء: ١٢/ ٢٤٢–٢٤٤، واللفظ له، وابن نصر (٩٤٩). وأشار إليه ابن عبد البر في التمهيد: ٤/ ٢٣٤، والاستذكار: ٥/ ٣٥٠، وابن القيم في الصلاة ص ١٥، وقال الشنقيطي أضواء البيان: ٤ / ٣١٥ "(وما) في قوله . . . ((ما صلوا))، مصدرية ظرفية، أي: لا تقاتلوهم مدة كونهم يصلون، ويفهم منه: أنهم إن لم يصلوا، قوتلوا".



الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم)). قالوا: قلنا يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: **((لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة))**. (٢٣٦٨)

(١٣) وحديث **أبي سعيد الخدري**–رضي الله عنه–(ت: ٧٤ هـ)، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قال: **((يكون عليكم أمراء، تطمئن إليهم القلوب، وتلين لهم الجلود، ويكون عليكم أمراء، تقشعر منهم الجلود، وتشمئز منهم القلوب. قالوا: يا رسول! نقاتلهم بالسيف؟ قال: لا، ما صلوا))**. (٢٣٦٩)

(١٤) وحديث **عقبة بن عامر**–رضي الله عنه–(ت: ٥٨ هـ)، قال: قال رسول الله ﷺ **((ألا أخبركم بخيار عمالكم وشرارهم؟))**. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **((خيارهم، خيارهم لكم، من تحبونه ويحبوكم، وتدعون الله لهم، ويدعون الله لكم، وشرارهم، شرارهم لكم، من تبغضونهم ويبغضونكم، وتدعون الله عليهم، ويدعون الله عليكم)). فقالوا: ألا نقاتلهم يارسول الله؟ قال: ((لا، دعوهم ما صاموا، وصلوا))**. (٢٣٧٠).

وجه الاستدلال منها:

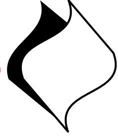
إن النبي ﷺ نهى عن قتال الأمراء وإن صدرت منهم مخالفات، وأمور منكرة إذا حافظوا على أداء

(٢٣٦٨) أخرجه مسلم الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء من عدة طرق بألفاظ متقاربة: في ١٢ / ٢٤٤، ٢٤٥، وابن نصر (٩٥١ – ٩٥٣).

قال الشنقيطي في أضواء البيان: ٤ / ٣١٥ "فيه الدلالة الواضحة على قتالهم إذا لم يقيموا الصلاة".

(٢٣٦٩) أخرجه ابن نصر (٩٥٤)، وأحمد: ٣/ ٢٨، ٢٩، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ١٨: (رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه: الوليد، صاحب البهي، ولم أعرفه".

(٢٣٧٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ٢٢٤: "رواه الطبراني في الكبير، والأوسط بنحوه، وفيه بكر بن يونس، وثقه أحمد العجلي، وضعفه البخاري وأبو زرعة، وبقية رجاله، رجال الصحيح".



الصلوات، فدل ذلك على أنهم إن أخلوا بذلك، أبيح قتالهم، وأن من ترك الصلاة، فلا عصمة لدمه. وإنما جزاؤه القتل. (٢٣٧١)

قال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "فدل أنهم لا يقاتلون، ولا يقتلون إذا صلوا الخمس، ودل على أن من لم يصل الخمس قوتل، وقتل". (٢٣٧٢)

(١٥) وقوله عليه الصلاة والسلام: ((**من ترك الصلاة متعمدا، فقد برئت منه ذمة الله تعالى**)). (٢٣٧٣)

وجه الاستدلال منه:

إخباره عليه الصلاة والسلام ـ أن من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله تعالى ـ دليل على إباحة قتله، لأن من برئت منه ذمة الله، فلا حرمة لدمه، ولا عصمة لنفسه، وأبيح قتله.

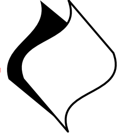
(١٦) وحديث **أنس ـ رضي الله عنه–(ت: بين ٩٠ إلى ٩٣ هـ)** ـ قال: ((**كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغر حتى يصبح، فإن سمع أذاناً، أمسك. وإن لم يسمع أذاناً، أغار بعد ما يصبح**)). الحديث. (٢٣٧٤)

(٢٣٧١) أشار إلى الاستدلال به ابن عبد البر في التمهيد: ٤/ ٢٣٤، والاستذكار: ٥/ ٣٥٠، وابن رشد في المقدمات: ١/ ٦٦، وابن القيم في الصلاة ص ١٥.

(٢٣٧٢) الاستذكار: ٥/ ٣٥١.

(٢٣٧٣) أخرجه ابن نصر. (٩١٣–٩١٤) وقد أشار إلى الاستدلال به، الموفق في المغني: ٣/ ٣٥٢.

(٢٣٧٤) أخرجه البخاري في الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء (٦) ١ / ١٥١، وفي الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام ... (١٠٢) ٤ / ٥. واللفظ له. ومسلم في الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر . . .، ٤ / ٨٤، وابن نصر (٩٦٥، ٩٦٦). والحديث أشار إليه ابن عبد البر في التمهيد: ٤ / ٢٢٧، وأنه مما احتج به إسحاق.



(١٧) وحديث ابن عصام عن أبيه–رضي الله عنه–قال: "بعثنا رسول الله في بعض الأودية، فقال: ((**إن رأيتم مسجداً، أو سمعتم مؤذناً، فلا تقتلن أحداً**)). [(٢٣٧٥)]

(١٨) وحديث **عبد الرحمن بن عوف–رضي الله عنه–(ت: ٩٦ هـ)**، قال: لما افتتح بيده ليقيمن رسول الله ﷺ مكة، انصرف إلى الطائف، فحاصرها ثمان عشرة، أو تسع عشرة، ثم أوغل غدة أو روحة، ثم هجر، ثم قال: ((**والذي نفسي بيده ليقيمن الصلاة، وليؤدن الزكاة، أو لأبعثن إليهم رجلا، فليقتلن مقاللهم، ويسبين ذراريهم**)). [(٢٣٧٦)]

وجه الاستدلال منه:

أن النبي عليه الصلاة والسلام أقسم بالله جل وعلا بأنه سيبعث إلى أولئك القوم من يقتل مقاتلتهم، ويسبي ذراريهم، إن لم يقيموا الصلاة ويؤدوا الزكاة. فدل ذلك على أن عصمة الأنفس، وحرمة الدماء والأموال مرتهنة على هذين الأمرين. وأن ترك الصلاة مبيح للقتل.

(١٩) وبقوله ﷺ: ((**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**)). [(٢٣٧٧)]

وجه الاستدلال منه:

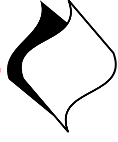
أن النبي عليه الصلاة والسلام جوز الحرق على من لا يحضر الجماعة في الصلاة، فدل ذلك على أن تارك

[(٢٣٧٥)] أخرجه أحمد: ٣ / ٤٤٨، ٤٤٩، وأبو داود في الجهاد، باب في دعاء المشركين: ٣/٤٣ (٢٦٣٥)، والترمذي في السير: ٣ / ٥٣ (١٥٨٩) وقال: حسن غريب، وابن نصر. (٩٦٧).

(٢٣٧٦) أخرجه ابن نصر (٩٦٨).

(٢٣٧٧) متفق عليه. أخرجه البخاري في الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة (٢٩) ١ / ١٥٨، ومسلم في المساجد، باب فضل صلاة الجماعة والتشديد في التخلف عنها: ٥ / ١٥٤.

واللفظ له.



الصلاة أولى منه بتلك العقوبة، وأنه مستحق للقتل. (٢٣٧٨)

ثالثاً: الإجماع:

استدل القائلون بقتل تارك الصلاة عمداً، بغير عذر، بإجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك، ومما يدل عليه: قتال **أبي بكر الصديق–رضي الله عنه–(ت: ١٣ هـ)**، لمانعي الزكاة، وقوله: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال". (٢٣٧٩)

وجه الاستدلال منه، من عدة أوجه:

(أحدها): موافقة الصحابة–رضي الله عنهم–لأبي بكر–رضي الله عنه–، في قتال مانعي الزكاة، مع إقرارهم بالإسلام، دليل على إجماع الصحابة، على أن مجرد الإقرار بالإسلام لا يكفي في حقن الدماء، وعصمتها من القتل. (٢٣٨٠)

(الثاني): قتال أبي بكر–رضي الله عنه–لمانعي الزكاة، وقوله: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة" دليل على أن من امتنع عن الصلاة، أولى وأحرى بالقتل، والقتال ممن امتنع عن الزكاة". (٢٣٨١)

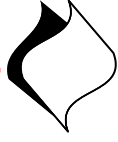
(٢٣٧٨) انظر: الانتصار: ٢ / ٦١٥.

(٢٣٧٩) في الصحيحين وغيرهما. أخرجه البخاري في الزكاة، باب وجوب الزكاة (١) ٢/ ١٠٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب. فقال عمر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قالها، فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله)). فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر رضي الله عنه فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر . رضي الله عنه . فعرفت أنه الحق". وفي استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض (٣) ٨ / ٥٠. وفي الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٢) ٨ / ١٤٠. ومسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا.. ١/ ٢٠٠، ٢١٠.

(٢٣٨٠) انظر: الاستذكار: ٥/ ٣٤٦.

(٢٣٨١) انظر: الاستذكار: ٥/ ٣٤٧.

وقال ابن رشد في المقدمات: ١ / ٦٥ ".. فقاتلهم ولم يستتبهم، لأنهم لم يكفروا بعد الإيمان ولا أشركوا بالله، وقالوا لأبي بكر: ما كفرنا بعد إيماننا، ولكنا شححنا على أموالنا".



(الثالث): إلحاق أبي بكر–رضي الله عنه–الممتنع عن الزكاة بالممتنع عن الصلاة، دليل على أن قتل، وقتال الممتنع عن الصلاة، أمر مقرر ومعلوم لدى الصحابة–رضي الله عنهم–.

(الرابع): قول أبي بكر–رضي الله عنه–: "فإن الزكاة، حق المال". جواباً لعمر ـ رضي الله عنه ـ لما احتج عليه بالحديث. دليل على أن حقن الدماء، وحرمة الأموال، لا تتحقق بمجرد قول: لا إله إلا الله. إن لم يوف بحقها". (٢٣٨٢)

ولا شك أن أعظم حقوقها، أداء الصلاة.

قال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "فقاتل أبو بكر والصحابة معه مانعي الزكاة لما أبوا من أدائها إذ فرقوا بين الصلاة والزكاة، فأقاموا الصلاة وامتنعوا عن الزكاة، فمن أبى من إقامة الصلاة، وامتنع منها، كان أحرى بالقتل". (٢٣٨٣)

رابعاً: المعقول.

استدل القائلون بقتل تارك الصلاة عمداً، بغير عذر، من المعقول، بما يلي:

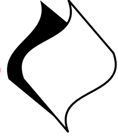
١) قالوا: إنها أحد أركان الإسلام الذي لا يدخله النيابة ببدل ولا مال، فوجب أن يقتل بتركها كالإيمان. (٢٣٨٤)

(٢٣٨٢) هذا من الأمثلة الدالة على فقه أبي بكر – رضي الله عنه ـ إذ فهم أن العصمة المتحققة لمن قال: لا إله إلا الله. ليست مطلقة. إذ اشترط فيها، واستثنى منها، القيام بحقها. فمن أخل بهذا الحق، لم يستحق العصمة لدمه، وماله.

(٢٣٨٣) الاستذكار: ٥ / ٣٤٧ وقد صدر هذا الدليل على غيره.

(٢٣٨٤) انظر الحاوي: ٢/ ٥٢٦، وقد وجه الماوردي إلحاق الصلاة بالإيمان من جهة الاسم، ومن جهة المعنى فقال: "فأما اشتراكهما في الاسم، فهو: أن الصلاة تسمى إيماناً، قال الله تعالى: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} [البقرة: الآية: ١٤٣] –يعني صلاتكم–.

وأما اشتراكهما في المعنى فمن وجهين:



٢) قالوا: إنها ركن من أركان الإسلام، لا تدخله النيابة بنفس ولا مال، فوجب أن يقتل تاركه، كالشهادة. (٢٣٨٥)

٣) وقالوا: إن الشرع يشتمل على أوامر ونواهي، فلما قتل بفعل ما نهى وإن كان معتقداً لتحريمه، اقتضى أن يقتل بترك ما أمر به، وإن كان معتقداً لوجوبه. (٢٣٨٦)

٤) وقالوا: إنه لما جاز أن يشرع القتل إلجاء إلى العفة عن الزنى، فالصلاة إن لم تكن أشرف من العفة فليست بدون ذلك. (٢٣٨٧)

٥) وقالوا: وجب قتال البغاة، لتركهم طاعة السلطان –والقتال يجر إلى القتل –فترك طاعة الرحمن أفحش، فهي بالقتل أولى وأجدر. (٢٣٨٨)

القول الثاني: أنه يعزر ولا يقتل.

ذهب أصحاب هذا القول إلى أن تارك الصلاة بغير عذر، إن لم يجحد وجوبها وإنما تركها تهاوناً

أحدهما: أن من لزمه الإيمان، لزمه فعل الصلاة، وقد لا يلزمه الصيام، إذا كان شيخاً هرماً، ومن لم يلزمه فعل الصلاة، لم يلزمه الإيمان كالصبي والمجنون.

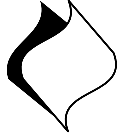
والثاني: أن من هيئات الصلاة ما لا يقع إلا طاعة لله سبحانه، كالإيمان الذي لا يقع إلا لله عز وجل. فلما وجب اشتراكهما في الاسم والمعنى، وجب اشتراكهما في الحكم".

(٢٣٨٥) انظر: الانتصار: ٢/ ٦١٦، المغني: ٣/ ٣٥٣.

(٢٣٨٦) انظر: الحاوي: ٢/ ٥٢٦، الانتصار: ٢ / ٦١٥. وقال أبو طالب في بيان هذا المعنى: "إنا قد أمرنا بأفعال، ونهينا عن أفعال، ثم فيما نهينا عن فعله ما إذا فعلناه وجب القتل، وهو الزني. فيجب أن يكون في الأفعال ما إذا تركه وجب القتل، وليس إلا الصلاة".

(٢٣٨٧) انظر: الانتصار: ٢ / ٦١٥.

(٢٣٨٨) انظر: الانتصار: ٢ / ٦١٥.



وكسلاً، فإنه يُعزر، ولا يقتل. فقيل: يسجن وقيل: يضرب حتى يصلي.

وبهذا قال: **أبو حنيفة**–**رحمه الله**–**(ت: ١٥٠ هـ) وأصحابه** **(٢٣٨٩)**، **والثوري**–**رحمه الله**–**(ت: ١٦١ هـ)**، **والمزني**–**رحمه الله**–**(ت: ٢٦٤ هـ)** من الشافعية (٢٣٩٠)، وبه قال **داود الظاهري**–**رحمه الله**–**(ت: ٢٧٠ هـ)**، وهو مروي عن بعض التابعين: **كسعيد بن المسيب**–**رحمه الله**–**(ت: ٩٤ هـ)**، **وعمر بن عبد العزيز**–**رحمه الله**–**(ت: ١٠١ هـ)**، **والزهري**–**رحمه الله**–**(ت: ١٢٣ أو ١٢٤ هـ)** (٢٣٩١).

قال الحصكفي–**رحمه الله**–**(ت: ١٠٨٨ هـ)** في شرحه لتنوير الأبصار: "وتاركها عمداً مجانة–أي فاسق–يحبس حتى يصلي–لأنه يحبس لحق العبد، فحق الحق أحق، وقيل: يضرب، حتى يسيل منه الدم". **(٢٣٩٢)**

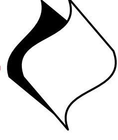
قال: وقد أشار الطحطاوي في حاشيته إلى ما نظمه بعضهم حول هذه المسألة إذ قال:

(٢٣٨٩) انظر: شرح مشكل الآثار: ٨/ ٢٠٥، الأسرار للدبوسي (ق ٧٥)، عمدة القاري: ١١/ ٢٠٧، الدر المختار شرح تنوير الأبصار: ١/ ٣٥٢، مع حاشية ابن عابدين عليه، وحاشية الطحطاوي عليه أيضاً: ١/ ١٧٠، الفتاوى الهندية: ١ / ٥٠، الإفصاح: ١/ ١٠١، طرح التثريب: ٢/ ١٤٩، حلية الأولياء: ٢ / ١١، بداية المجتهد: ١ / ٩٠.

(٢٣٩٠) انظر: الحاوي: ٢ / ٥٢٥، روضة الطالبين: ٢ / ١٤٦، المجموع: ٣ / ١٤، ١٦.

(٢٣٩١) انظر: التمهيد: ٤ / ٢٤٠، الاستذكار: ٢/ ٢٨٦، ٥ / ٣٥٣، المقدمات: ١/ ٦٦، الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٧٤، الانتصار: ٢٥ / ٦٠٥، المغني: ٣ / ٣٥١، كتاب الصلاة ص ١٤، وقول الزهري: رواه ابن نصر ص ٩٥٧ (١٠٣٥): "أنه سئل عن الرجل يترك الصلاة؟ قال: إن كان إنما تركها أنه ابتدع دينا غير الإسلام، قُتِلَ. وإن كان إنما هو فاسق، ضرب ضرباً مبرحاً، وسجن". وابن عبد البر في التمهيد.

(٢٣٩٢) الدر المختار مع حاشية ابن عابدين: ١/ ٣٥٢.



في حكم من ترك الصلاة وحكمه & إن لم يقر بها كحكم الكافر.

فإذا أقر بها وجانب فعلها & فالحكم فيه للحسام الباتر.

وبه يقول الشافعي ومالـــك & والحنبلي تمسكاً بالظاهــر.

وأبو حنيفة لا يقول بقتلـــه & ويقول بالحبس الشديد الزاجر". (٢٣٩٣)

وقال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "وقال الثوري–رحمه الله–(ت: ١٦١ هـ)، وأبو حنيفة–رحمه الله–(ت: ١٥٠ هـ) وأصحابه، وجماعة من أهل الكوفة، والمزني–رحمه الله–(ت: ٢٦٤ هـ): لا يكفر، ولا يقتل، بل يعزر، ويحبس حتى يصلي". (٢٣٩٤)

أدلة القائلين بالتعزير

استدل القائلون بتعزير تارك الصلاة، وعدم قتله بأدلة من السنة، والمعقول

أولاً: أدلتهم من السنة:

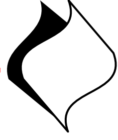
١)قوله ﷺ: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله، عصم مني ماله، ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**)). (٢٣٩٥)

(٢٣٩٣) حاشية الطحطاوي: ١ / ١٧٠.

(٢٣٩٤) المجموع: ٣/ ١٦.

(٢٣٩٥) من حديث: أبي هريرة، وابن عمر، وأنس، وجابر، وأبي مالك عن أبيه أما حديث أبي هريرة، فأورده ابن القيم ص ١٤، وأخرجه البخاري في قصة قتال أبي بكر لأهل الردة من قول عمر عن رسول الله ﷺ في أربعة مواضع: في الزكاة، باب وجوب الزكاة (١) ٢/ ١٠٩، وفي استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض (٣) ٨ / ٥٠، وفي الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٢) ٨ / ١٤٠. وأخرجه معلقاً في باب قول الله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) (٢٨) ٨/ ١٦٢.

وأخرجه مسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا ...، ١ / ٢٠٠ – ٢٠٩ في قصة أبي بكر.



وجه الاستدلال منه، من وجهين:

(أحدهما): إخبار النبي ﷺ بأنه أمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. دليل على عدم جواز قتل تارك الصلاة، وعدم دخوله في المأمور بقتالهم، لكونه ممن قال: لا إله إلا الله.

(الثاني): إخباره عليه الصلاة والسلام بأن قائل: لا إله إلا الله، معصوم الدم والمال إلا بحقها، دليل على أنه لا يحل سفك دم تارك الصلاة، أو استباحة ماله بعد قوله: لا إله إلا الله. إلا بحق موجب لذلك، والحق الموجب لسفك دمه، جاء بيانه في حديث ابن مسعود–التالي–وليس منها ترك

ومختصراً: ١/ ٢١٠. واللفظ له، وبلفظ ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله))، وفي قصة فتح خيبر من قوله لعلي: ((قاتلهم حتى يشهدوا: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)). أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل علي: ١٥/ ١٧٦.

وأما حديث ابن عمر فلفظه ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)).

أخرجه البخاري في الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة... (١٧) ١/ ١١. واللفظ له.

ومسلم في الإيمان، باب فضل أبي بكر: ١/ ٢١٢.

وأما حديث أنس: فلفظه: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)).

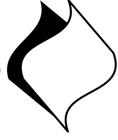
أخرجه البخاري في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة (٢٨) ١ / ١٠٢.

وأما حديث جابر فلفظه: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله .....)).

أخرجه مسلم في الإيمان، باب فضل أبي بكر: ١/ ٢١١.

وأما حديث أبي مالك عن أبيه، فلفظه: ((من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله)).

أخرجه مسلم في الإيمان، باب فضل أبي بكر: ١/ ٢١٢.



الصلاة". (٢٣٩٦)

٢) **وحديث ابن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، أن النبي ﷺ قال: ((**لا يحل دم مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة**)). (٢٣٩٧).

وجه الاستدلال منه:

إن النبي ﷺ حصر في هذا الحديث الأسباب التي تبيح قتل المسلم، وهي الأمور الثلاثة، وليس منها ترك الصلاة، فدل ذلك على حرمة دمه ولو ترك الصلاة، وأنه لا يجوز قتله لمجرد هذا الترك. (٢٣٩٨)

ثانياً: أدلتهم من المعقول:

١) قالوا: إن الصلاة فرع من فروع الدين، فلا يقتل بتركها، كالصوم، والحج. (٢٣٩٩)

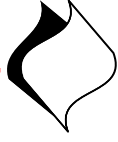
٢) وقالوا: إن الأصل تحريم الدم، لأنه قبل ترك الصلاة كان عند الجميع مسلماً بيقين، فلا يجوز

(٢٣٩٦) أورد هذا الاستدلال: ابن عبد البر في التمهيد: ٤/ ٢٤١، وفي الاستذكار: ٥/ ٣٥٤، والقرطبي في جامعه: ١/ ٧٤، والماوردي في الحاوي: ٢/ ٥٢٦، وابن قدامه في المغني: ٣/ ٣٥٢، وابن القيم وغيرهم.

(٢٣٩٧) متفق عليه . أخرجه البخاري في الديات، باب قول الله تعالى: {أن النفس بالنفس . . .} (٦) ٨/ ٣٨، ومسلم في القسامة، باب ما يباح به دم المسلم: ١١ / ١٦٤-١٦٥، واللفظ له.

(٢٣٩٨) أورد الاستدلال بهذا الحديث: الدبوسي في كتابه الأسرار (ق ٧٥)، وابن عبد البر في التمهيد: ٤/ ٢٤١، والماوردي في الحاوي: ٢/ ٥٢٦، وابن قدامة في المغني: ٣/ ٣٥٢، والنووي في المجموع: ٣/ ١٧، وغيرهم.

(٢٣٩٩) انظر: الصلاة ص ١٤، الأسرار (ق (٧٥)، المغني: ٣ / ٣٥٢، المجموع: ٣/ ١٧. وقد أورد الماوردي هذا المعنى بعبارة أخرى فقال: "ولأنها عبادة شرعية، فوجب أن لا يستحق القتل بتركها كسائر العبادات". الحاوي: ٢/ ٥٢٦.



قتله إلا بيقين، ولا يقين مع الاختلاف. (٢٤٠٠)

٣) وقالوا: إن الله تعالى حكيم في شرعه وأمره، لو شرع زاجراً عن ترك الصلاة، لم يشرع القتل، لأنه لا يؤدي إلى فعل الصلاة، وإنما يمنع فعلها. (٢٤٠١)

٤) وقالوا: إنها عبادة تُؤدى، وتُقضى، فوجب الا يقتل بتركها، كالصوم. (٢٤٠٢)

٥) وقالوا: الكفر معصية في نفسه كالزنى، بخلاف ترك الصلاة، فإنه ليس بمعصية في نفسه، لأن الترك لا يكون معصية، لأنه عدم، وإنما يكون معصية للاستهانة بالأمر، وتضييع الطاعة، والعقوبة لا تجب إلا بما كان معصية في نفسه كالزنى والكفر. (٢٤٠٣)

٦) وقالوا: إنه عاص بترك طاعة، فلا يقتل، كالعاصي بترك الصوم، أو الحج. ولا يلزم المرتد، فإنا لا نقتله بترك الإسلام، ولكن لكونه حرباً لنا، ولهذا لا نقتل المرأة، لأنها ليست من أهل الحراب. (٢٤٠٤)

٧) وقالوا: إنه لا يخلو: إما أن يقتل ويكفر بعد فوات وقت الصلاة، فهو قتل بما ثبت في ذمته

(٢٤٠٠) انظر: المغني: ٣/ ٣٥٢. وأورد هذا المعنى ابن عبد البر في التمهيد: ٤ / ٢٤١ إذ قال: "قالوا: وقد كان مؤمنا عند الجميع بيقين قبل تركه للصلاة، ثم اختلفوا فيه إذا ترك الصلاة، فلا يجب قتله إلا بيقين، ولا يقين مع الاختلاف، فالواجب القول بأقل ما قيل في ذلك، وهو: الضرب، والسجن. وأما القتل ففيه اختلاف، والحدود تدرأ بالشبهات".

(٢٤٠١) انظر: المغني: ٣/ ٣٥٢ إذ قال في بيان هذا المراد: "إن القتل لو شرع، لشرع زاجراً عن ترك الصلاة، ولا يجوز شرع زاجر تحقق المزجور عنه، والقتل يمنع فعل الصلاة دائماً، فلا يشرع".

(٢٤٠٢) انظر: الحاوي: ٢ / ٥٢٦. وقد أوضح هذا المعنى الطحاوي إذ قال: "لله عز وجل فرائض على عباده في أوقات خواص، منها الصلوات الخمس، ومنها صيام شهر رمضان، وكان من ترك صوم شهر رمضان متعمداً بغير جحد لفرضه عليه، لا يكون بذلك كافراً". شرح مشكل الآثار: ٨/ ٢٠٥.

(٢٤٠٣) انظر: الأسرار (ق ٧٥)، الانتصار: ٢/ ٦١٦.

(٢٤٠٤) انظر: الأسرار (ق ٧٥)، الانتصار: ٢/ ٦١٦.

ووقته متسع.

وإما أن يقتل مع بقاء الوقت، فلا يجوز، لأنه لم يفت. وإما أن يقتل قبل مجيء الوقت، فما وجب عليه شيء يقتل به، فسقط وجوب القتل. (٢٤٠٥)

مسألة من يصلي أحيانًا ويترك أحيانًا.

القول الأول: أنه لا يكفر وإنما يكون تحت الوعيد.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فأما من كان مصرا على تركها لا يصلي قط، ويموت على هذا الإصرار والترك، فهذا لا يكون مسلما، لكن أكثر الناس يصلون تارة، ويتركونها تارة، فهؤلاء ليسوا يحافظون عليها، وهؤلاء تحت الوعيد، وهم الذين جاء فيهم الحديث الذي في السنن؛ حديث عبادة". (٢٤٠٦)

أدلتهم:

ويشهد لذلك جملة من الأدلة؛ منها:

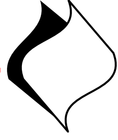
٢- **حديث عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**خمس صلوات كتبهن الله على العباد، من جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد؛ إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة**)). (٢٤٠٧)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فالنبي–صلى الله عليه وسلم–إنما أدخل تحت المشيئة من لم يحافظ عليها، لا من ترك، ونفس المحافظة يقتضي أنهم صلوا ولم يحافظوا عليها... فإن كثيرًا من الناس، بل

(٢٤٠٥) انظر: الانتصار: ٢/ ٦١٧.

(٢٤٠٦) ينظر: ((مجموع الفتاوى)) (٤٩/٢٢).

(٢٤٠٧) أخرجه أبو داود (١٤٢٠)، والنسائي (٤٦١) واللفظ لهما، وابن ماجه (١٤٠١). صححه ابن حبان في ((صحيحه)) (٢٤١٧)، وابن عبد البر في ((التمهيد)) (٢٨٨/٢٣)، وابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (٤٤٧/١).



أكثرهم، في كثير من الأمصار، لا يكونون محافظين على الصلوات الخمس، ولا هم تاركيها بالجملة، بل يصلون أحيانا، ويدعون أحيانا، فهؤلاء فيهم إيمان ونفاق، وتجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة". (٢٤٠٨)

القول الثاني: أن من ترك صلاة فرض واحدةً متعمداً حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد

قال أبو محمد بن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): "وقد جاء عن عمر، ومعاذ، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة–رضي الله عنهم–أن من ترك صلاة فرض واحدةً متعمداً حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد". (٢٤٠٩)

وجاء التنصيص على التكفير بترك صلاة واحدة عند عبد بن حميد، (٢٤١٠)، ولكن سندها ضعيف من أجل الصنعاني عمر بن زيد. أ. هـ

وقال ابن عبدالبر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "وقال إبراهيم النخعي والحكم بن عتيبة وأيوب السختياني وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية: من ترك صلاة واحدة متعمدًا، حتى يخرج وقتها لغير عذر، وأبى من قضائها وأدائها، وقال: لا أصلي؛ فهو كافر، دمه وماله حلال، ولا يرثه ورثته من المسلمين، ويستتاب، فإن تاب؛ وإلا قتل، وحُكم ماله ما وصفنا، كحكم مال المرتد، وبهذا قال أبوداود الطيالسي، وأبو خيثمة، وأبوبكر ابن أبي شيبة". (٢٤١١)

وقال الحافظ المنذري–رحمه الله–(ت: ٦٥٦ هـ): "وقد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير من ترك الصلاة متعمداً لتركها حتى يخرج جميع وقتها، منهم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، ومعاذ بن جبل، وجابر بن عبد الله، وأبو الدرداء–رضي الله عنهم–، ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله ابن المبارك، والنخعي، والحكم بن عتيبة، وأيوب السختياني، وأبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وغيرهم –رحمه الله–" أ. هـ. (٢٤١٢)

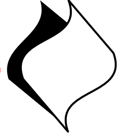
(٢٤٠٨) ينظر: ((مجموع الفتاوي)) (٦١٥/٧–٦١٧).

(٢٤٠٩) " المحلى (٢٤٢/٢).

(٢٤١٠) (٢٤/٣) برقم (١٠٤١).

(٢٤١١) "فتح البر" (٤١٣/٤).

(٢٤١٢) الترغيب والترهيب (٣٩٤/١).



قال ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ):"ظاهر كلام أحمد وغيره من الأئمة الذين يرون كفر تارك الصلاة: أن من تركها كفر بخروج الوقت عليه، ولم يعتبروا أن يستتاب، ولا أن يُدعى إليها وعليه يدل كلام المتقدمين من أصحابنا، لقوله –صلى الله عليه وسلم–: ((**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**)). (٢٤١٣)

أدلتهم:

يستدل أصحاب هذا القول بجملة مما ورد في السنة والآثار، ومن ذلك:

عن عبد الله بن بريدة–رحمه الله–(ت: ١١٥ هـ)، عن أبيه–رضي الله عنه–(ت: ٦٢ هـ)، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((**إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**)). (٢٤١٤)

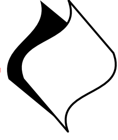
عن أبي الدرداء–رضي الله عنه–(ت: مابين ٣٢ إلى ٣٩ هـ)، قال: ((**أوصاني خليلي–صلى الله عليه وسلم–أن لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وإن حرقت، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر فإنه مفتاح كل شر**)). (٢٤١٥)

وعن عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ)، قال: "أوصاني خليلي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بسبع خصال، فقال: ((**لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أو حرقتم أو صلبتم، ولا تتركوا الصلاة متعمدين فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة، ولا تركبوا المعصية فإنها سخط الله، ولا**

(٢٤١٣) حاشية العنقري على الروض المربع (١/١٢٢) وحاشية ابن قاسم على الروض أيضاً (١/٤٢٥).

(٢٤١٤) رواه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (١/٢٣١)، وابن ماجه (٨٩١) (١٠٧٩)، وأحمد (٥/٣٤٦) (٢٢٩٨٧). قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه ابن العربي في ((العواصم من القواصم)) (٢٦٢)، وقال ابن تيمية في ((شرح العمدة – كتاب الصلاة)) (٧٤): على شرط مسلم. وقال ابن القيم في ((الصلاة وحكم تاركها)) (٣٣): إسناده على شرط مسلم. وقال السخاوي في ((الأجوبة المرضية)) (٢/٨١٨): مرفوع، صححه غير واحد من الأئمة. وقال الشوكاني في ((السيل الجرار)) (١/٢٩٢): ثابت. وصححه ابن باز في ((مجموع الفتاوى)) (٢١/٦٥)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٦٢١)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (١٦٨)، وقال: على شرط مسلم.

(٢٤١٥) رواه ابن ماجة (٤٠٣٤) من طريق شهر بن حوشب قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وفي إسناده ضعف" انتهى من "تلخيص الحبير" (٢/١٤٨)، وحسنه الألباني في "صحيح ابن ماجة".



تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها ...)) الحديث". [(٢٤١٦)]

عن جابر–رضي الله عنه–(ت: ٧٤ هـ)، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **((إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة))**. [(٢٤١٧)]

معاذ بن جبل–رضي الله عنه–(ت: ١٧ أو ١٨ هـ)، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: **((من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله))**. [(٢٤١٨)]

وقال عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–(: ٢٣ هـ)، يقول: "لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة". [(٢٤١٩)]

وحظ: نكرة في سياق النفي، فلا حظ قليل ولا كثير في الإسلام لمن ترك الصلاة.

قال عبد الله بن شقيق العقيلي–رحمه الله–(ت: ١٠٨ هـ) يقول: "كان أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة". [(٢٤٢٠)].

وقال ابن المبارك–رحمه–(ت: ١٨١ هـ): "من أَخرَّ صلاة، حتى يفوت وقتها متعمدًا من غير عذر؛ كفر". [(٢٤٢١)]

[(٢٤١٦)] رواه الشاشي في "مسنده" (١٣٠٩)، وابن نصر في "تعظيم قدر الصلاة" (٢/ ٨٨٩)، وابن عبد الحكم في "الفتوح" (ص٣٠٠)، والضياء في "المختارة" (٣٥١).

وهذا إسناد ضعيف ، يزيد بن قوذر : مجهول الحال ، ذكره البخاري في "التاريخ" (٣٥٣/٨) ، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٩/ ٢٨٤) ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا. وسلمة بن شريح قال الذهبي في "الميزان" (١٩٠/٢): " لا يعرف "، وأقره الحافظ في "اللسان" (٦٩/٣). والحديث ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في "ضعيف الترغيب والترهيب " (٣٠٠).

فمثل حديث عبادة، أو حديث أبي الدرداء، يذكره العلماء عادة، في مثل هذه المقام، لأن ضعفه يسير، يحتمل أن ينجبر بغيره من الشواهد. وينظر: "مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم"، لابن الملقن (٥/٢٤٠٥-٢٤٠٩)، حاشية المحقق ، حيث تتبع طرقه، وصححه بها.

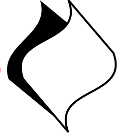
[(٢٤١٧)] رواه مسلم (٨٢).

[(٢٤١٨)] أخرجه أحمد ٥/ ٢٣٨، وأخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٩٢١)، والطبراني ٢٠/ (١٥٦)، وفي "الأوسط" (٧٩٥٦)، وفي "مسند الشاميين" (٢٢٠٤)، وعنه أبو نعيم في "الحلية" ٩/ ٣٠٦.

[(٢٤١٩)] رواه مالك في الموطأ (٣٩/١) وعبد الرزاق (١٢٥/٣) وغيرهم.

[(٢٤٢٠)] رواه الترمذي (٣٧٠/٧) وغيره.

[(٢٤٢١)] "الصلاة" للمروزي (٩٢٥/٢-٩٧٩/٩٢٦).



وظاهر كلام **ابن القيم**–**رحمه الله**–(**ت: ٧٥١ هـ**) تقوية قول من قال: يُقتل بترك صلاتين، مستدلاً بأن الوقت للصلاتين في الجملة، وبتأخير الأمراء الصلاة، حتى يخرج وقتها. (٢٤٢٢)

وذهب **إسحاق بن منصور الكوسج**–**رحمه الله**–(**ت: ٢٥١ هـ**)، إلى أن الصلاة إذا كانت لا تجمع إلى ما بعدها، كالفجر والعصر وعشاء الآخرة؛ قُتل بتركها وحدها، إذ لا شبهة ها هنا في التأخير. (٢٤٢٣)

إلا أن ما نقل عن الإمام أحمد، يدل على خلافه. (٢٤٢٤)، وأن الحكم عام للصلاة المجموعة، وغير المجموعة. (٢٤٢٥)

مسألة: من ترك الصلاة متعمدًا حتى خرج وقتها ثم قضاها بعد خروج وقتها لم تصح منه.

أفتى العلماء بأنَّ من أخر الصلاة وفوَّتَها عن وقتها الذي أمر الله بإيقاعها فيه عمدًا لم يقبلها الله منه بعد خروج وقتها، ولا تصح منه، ولا تبرأ ذمته منها.

وقال ابن حزم: "من تعمَّد ترك الصَّلاة حتى خرج وقتها، فهذا لا يقدر على قضائها أبدًا، فليكثر من فعل الخير وصلاة التطوُّع؛ ليثقل ميزانه يوم القيامة، ولْيَتُب وليستغفر الله –عز وجل–". (٢٤٢٦)

وقال ابن تيميَّة–**رحمه الله**–(**ت: ٧٢٨ هـ**): "تارك الصلاة عمدًا لا يشرع له قضاؤها، ولا تصحُّ منه، بل يكثر من التطوُّع، وكذا الصوم، وهو قول طائفة من السَّلف؛ كأبي عبد الرحمن صاحب الشافعي،

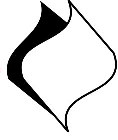
(٢٤٢٢) "الصلاة" ص (٤٠).

(٢٤٢٣) "الصلاة" لابن القيم ص (٣٩).

(٢٤٢٤) كما في"الجامع" للخلال (٢/٥٤٤/١٣٩٥).

(٢٤٢٥) وانظر بقية أقوال العلماء في الاختلاف في الصلاتين أو الثلاث في "الصلاة" لابن القيم ص (٣٨) وما بعدها و "طرح التثريب" لابن العراقي (١/١٤٨)، وانظر أقوال أحمد في "الجامع" للخلال (٢/٥٤١) وما بعدها برقم (١٣٨٨) وما بعده.

(٢٤٢٦) "المحلى" (٢/٢٣٥).



وداود وأتباعه، وليس في الأدلة ما يُخالف هذا، بل يوافقه". (٢٤٢٧)

قال ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ): "المعذور إنَّما أمره بالقضاء؛ لأنَّه جعل قضاءه كفَّارة له، والعامد ليس القضاء كفَّارة له؛ فإنه عاصٍ تلزمه التوبة من ذنبه بالاتِّفاق... والعامد لم يأتِ نصٌّ بأن القضاء كفَّارة له، بل ولا يدل عليه النظر؛ لأنَّه عاصٍ آثم يَحتاج إلى توبة، كقاتل العمد، وحالف اليمين الغموس... وقد نص الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: على أن المصلي لغير الوقت كالتارك للصلاة في استتابته وقتله، فكيف يؤمر بفعل صلاة حكمها حكم ترك الصلاة؟ ... ولا يُعرف عن أحد من الصَّحابة في وجوب القضاء على العامد شيء، بل ولم أجد صريحًا عن التابعين–أيضًا–فيه شيئًا، إلا عن النخعي، وقد وردت آثارٌ كثيرة عن السَّلف في تارك الصلاة عمدًا أنَّه لا تقبل منه صلاة، كما رُوي عن الصديق –رضي الله عنه–". (٢٤٢٨).

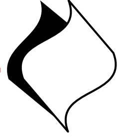
قال ابن القيّم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ) في مقرّرًا لهذه المسألة: "ما وقته أوسع من فعله كالصلاة فِعْلُه في وَقْته شرطٌ في كَوْنه عبادة مأمورًا بها، فإنَّه إنَّما أمر به على هذه الصِّفة، فلا تكون عبادة على غيرها... فما أَمَر الله به في الوقت، فتَرْكُه المأمورَ حتَّى فات وقته لم يُمكن فعله بعدَ الوقت شرعًا؛ ولهذا لا يُمكن فعل الجُمُعة بعد خروج وَقْتها، ولا الوقوف بعرفة بعد وقته... ولا مشروع إلاَّ ما شرعه الله ورسوله، وهو سبحانه ما شرع فِعْلَ الصلاة والصِّيام والحج إلاَّ في أوقات مُختصة به، فإذا فاتت تلك الأوقات لم تكن مشروعة، ولم يشرع الله سبحانه فعل الجمعة يوم السبت، ولا الوقوف بعرفة في اليوم العاشر، ولا الحج في غير أشهره.

ومن أخَّر صلاة النهار، فصلاَّها بالليل أو صلاة الليل، فصلاَّها بالنَّهار، فهذا الذي فعله غير الذي أمر به وغير ما شرعه الله ورسوله، فلا يكون صحيحًا ولا مقبولاً...

والله سبحانه قد جعل لكلِّ صلاة وقتًا محدودَ الأول والآخر، ولم يأذن في فعلها قبل دخول وقتها، ولا بعد خُرُوج وقتها، والمفعول قبل الوقت وبعده أمرٌ غير المشروع، فلو كان الوقت ليس شرطًا في صِحَّتها، لكان لا فرق في الصِّحة بين فعلها قبل الوقت وبعده؛ لأنَّ كلتا الصَّلاتين صلاَّها في غير وقتها، فكيف

(٢٤٢٧) "الاختيارات" (ص: ٣٤).

(٢٤٢٨) "فتح الباري" (٥/١٣٣-١٣٩).



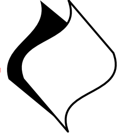
قبلت من هذا المفرِّط بالتفويت، ولم تقبل من المفرط بالتعجيل؟!

وقد أمر الله سبحانه المسلمين حال مواجهة عدوِّهم أن يصلوا صلاةَ الخوف، فيقصروا من أركانها، ويفعلوا فيها الأفعالَ الكثيرة، ويستدبروا فيها القبلة، ويسلمون قبل الإمام، بل يصلُّون رجالاً وركبانًا، حتَّى لو لم يُمكنهم إلا الإيماء، أَتَوا بها على دوابِّهم إلى غير القبلة في وقتها، ولو قبلت منهم في غير وقتها وصحَّت، لجاز لهم تأخيرها إلى وقت الأمن وإمكان الإتيان بها، وهذا يدل على أنَّها بعد خروج وقتها لا تكون جائزة ولا مقبولة منهم مع العُذر الذي أصابهم في سبيله وجهاد أعدائه، فكيف تقبل من صحيحٍ مقيمٍ لا عذر له الْبَتَّةَ وهو يسمع داعيَ الله جهرة، فيدعها حتى يخرج وقتها، ثم يصليها في غير الوقت؟! وكذلك لم يفسح في تأخيرها عن وقتها للمريض، بل أمره أنْ يصلي على جنبه بغير قيام ولا ركوع ولا سجود إذا عَجَز عن ذلك، ولو كانت تقبل منه وتصح في غير وقتها، لجاز تأخيرها إلى زمن الصِّحَّة.

فأخبرونا: أيُّ كتابٍ أو سنة أو أَثَرٍ عن صاحب نطق بأنَّ من أخر الصلاة وفوَّتَها عن وقتها الذي أمر الله بإيقاعها فيه عمدًا يقبلها الله منه بعد خروج وقتها، وتصح منه، وتبرأ ذمته منها، ويثاب عليها ثواب من أدَّى فريضته؟! هذا والله ما لا سبيلَ لكم إليه البتة، حتَّى تقوم الساعة ونحن نُوجِد لكم عن أصحاب رسول الله مثل ما قلناه وخلاف قولكم.

وقول **أبي بكر الصديق–رضي الله عنه–(ت: ١٣ هـ)** الذي لم يُعلَم أن أحدًا من الصحابة أنكره عليه؛ قال عبدالله بن المبارك: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن زيد: أن أبا بكر قال لعمر بن الخطاب: إنِّي موصيك بوصية إنْ حفظتها: إنَّ لله حقًّا بالنهار لا يقبله باللَّيل، وحقًّا بالليل لا يقبله بالنَّهار... فهذا أبو بكر قال: إنَّ الله لا يقبل عَمَل النهار بالليل، ولا عمل الليل بالنَّهار، ومن يُخالفنا بهذه المسألة يقولون بخلاف هذا صريحًا، وأنَّه يقبل صلاةَ العشاءِ الآخرة وقت الهاجرة، ويقبل صلاةَ العصر نصف النَّهار... فهذا قول أبي بكر، وعمر، وابنه عبدالله، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن مسعود، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وبديل العقيلي، ومحمد بن سيرين، ومطرف بن عبدالله، وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم وغيره". (٢٤٢٩)

(٢٤٢٩) كتاب الصَّلاة وحكم تاركها (ص: ٧٣ – ٨٠).



وذهب إلى هذا أيضًا الشيخ ابن عثيمين -رحمة الله عليه-. (٢٤٣٠).

وكثير من أهل العلم على القضاء، وانظر ما قاله ابن العراقي في تقرير مذهب الأئمة بالقضاء. (٢٤٣١)

مسألة التوبة من ترك الصلاة هل يلزم معها الإقرار بالشهادتين.

ذكر **الإمام أحمد**-رحمه الله-(ت: **٢٤١ هـ**) أن التوبة من ترك الصلاة، تكون بالصلاة، ولا يلزم الإقرار بالشهادتين خارج الصلاة، فقد قال صالح: قلت لأبي: فإن تركها، فلم يصلها؟ قال: إذ كان عامدًا؛ استتبه ثلاثًا، فإن تاب؛ وإلا قتل قلت: فتوبته أن يصلي؟ قال: نعم". (٢٤٣٢)

[خلق أفعال العباد]

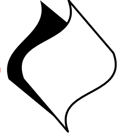
قال المصنف-رحمه الله-:

"ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى، لا يمترون فيه، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه، ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله عليه، ولا عذر له لديه، قال الله عز وجل {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام: الآية: ١٤٩]، وقال: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ

(٢٤٣٠) كما في "فتاوى منار الإسلام" (١٣١/١) سؤال (٩٩).

(٢٤٣١) "طرح التثريب" (١٤٩/١-١٥٠).

(٢٤٣٢) من "المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة" (٥١٤/٣٩/٢) "وذهب إسحاق إلى أن تارك الصلاة يدعي للصلاة، لا للإقرار". انظر "الصلاة" للمروزي (٩٩٣/٩٣٢/٢)، و "شرح العمدة" لشيخ الإسلام (١٧٦/٢) وقد قرر ذلك ابن القيم، كما في "البدائع" (٩٢/٣)، وانظر "الضوء المنير" (٣١٥/٣).



نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} [السجدة: الآية: ١٣]، وقال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ} [الأعراف: الآية: ١٧٩]. –سبحانه وتعالى–خلق الخلق بلا حاجة إليهم، فجعلهم فرقتين، فريقا للنعيم فضلًا، وفريقًا للجحيم عدلا، وجعل منهم غويا ورشيدًا، وشقيًا وسعيدًا، وقريبا من رحمته، وبعيدا، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

أخبرنا أبو محمد المجلدي أخبرنا أبو محمد العباس السراج حدثنا يوسف عن موسى أخبرنا جرير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وهو الصادق المصدوق: ((إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات، رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يدركه ما سبق له في الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)).

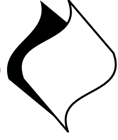
الشرح:

الإيمان بالقدر خيره وشره، وهو أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وركن من أركان الإيمان.

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلا عن الفاضل الجليل ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، فهو من أسنى المقاصد، والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان وقاعدة أساس الإحسان التي يرجع إليها ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالعدل قوام الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة وكمال النعمة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ فبالقدرة والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين؛ **{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: الآية: ٥٤]**"[٢٤٣٣].

وفي هذا النص مسائل:

[٢٤٣٣]() مقدمة كتابه «شفاء العليل» (ص ٣).



المسألة الأولى: التعريف بالقدر:

القدر في اللغة:

القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، ومنه ذكر (ليلة القدر) وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى. وأصل (قدر): يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. [٢٤٣٤]

قال اللحياني–رحمه الله–(ت: ٢٢٠ هـ): "إن القدر بفتح الدال هو: الاسم، والقدر بسكون الدال هو: المصدر". [٢٤٣٥]

ويطلق القدر على معان؛ منها:

١–معنى الحكم والقضاء.

ومن ذلك حديث الاستخارة، وفيه: ((**فاقدره لي ويسره لي**)). [٢٤٣٦].[٢٤٣٧]

٢–معنى الطاقة. ومن ذلك قوله تعالى: **{وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ} [البقرة: الآية: ٢٣٦]**، بفتح الدال، وقرئ بإسكانها. [٢٤٣٨].

٣– معنى التضييق.

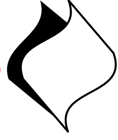
[٢٤٣٤]() ينظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٦٢)، ((النهاية)) لابن الأثير (٤/ ٢٢)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص٢٤٨)، ((تاج العروس)) للزبيدي (١٣/ ٣٧٠)..

[٢٤٣٥]() ينظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/ ٣٥٤٥).

[٢٤٣٦]() أخرجه البخاري (١١٦٢) مطولا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

[٢٤٣٧]() ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٤/ ٢٢)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٣/ ٩٨٦).

[٢٤٣٨]() ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤/ ٢٩٤)، ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (٢/ ٢٢٨).



ومنه قوله تعالى: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} **[الفجر: الآية:١٦]** [٢٤٣٩].

٤- معنى التقدير.

ومنه الحديث: ((**فإن غم عليكم فاقدروا له**)). [٢٤٤٠]

أي: قدروا له عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يوما، وقيل: قدروا له منازل القمر، فإنه يدلكم على أن الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون. [٢٤٤١].

ويقال: قدره: إذا قاسه، وقدرت الشيء، أي: هيأت. والقدرة تأتي بمعنى اليسار، والغنى، والقوة. [٢٤٤٢]

تلك من أهم معاني (القدر) لغة. وهناك معان أخرى تعرضت لها كتب اللغة. [٢٤٤٣].

والقدر في الاصطلاح:

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): القدر: "وهو عند أهل السنة والجماعة: قدرة الله وعلمه ومشيئته وخلقه وكتابته، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته"[٢٤٤٤]

٢٤٣٩() ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٤/ ٣٧٦).

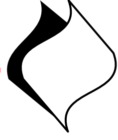
٢٤٤٠() رواه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠) مطولا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

٢٤٤١() ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٤/ ٢٣).

٢٤٤٢() ينظر: ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٧٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٦٣)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/ ٣٥٤٥) ((تاج العروس)) للزبيدي (١٣/ ٣٧٠).

٢٤٤٣() يُنظر: ((الصحاح)) للجوهري (٢/٧٨٦)، ((أساس البلاغة)) للزمخشري (٢/ ٥٦)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/ ٣٥٤٥) ((تاج العروس)) للزبيدي (١٣/ ٣٧٠).

٢٤٤٤() انظر: «شفاء العليل» لابن القيم (ص ١١٤).



والقَدَرُ في الاصطلاحِ: هو تقديرُ اللهِ تعالى الأشياءَ منذُ القِدَمِ، وعِلْمُه سُبحانَه أنها ستقعُ في أوقاتٍ معلومةٍ عنده، وعلى صفاتٍ مخصوصةٍ، وكتابتُه سُبحانَه لذلك، ومشيئتُه له، ووقوعُها على حَسَبِ ما قدَّرها، وخَلْقُه لها". (٢٤٤٥)

قال السفاريني–رحمه الله–(ت: ١١٨٨ هـ): "هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه– عز وجل– قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها". (٢٤٤٦)

وقال ابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): في تعريفه: "المراد أنّ الله– تعالى– علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثمّ أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته". (٢٤٤٧)

المسألة الثانية: أدلة الإيمان بالقدر:

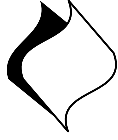
نصوص القرآن والسنة متواترة في وجوب الإيمان بالقدر، وصريحة في أن كل شيء خلقه الله بقدر.

فأما أدلة القرآن، فمنها ما يلي:

[٢٤٤٥]() يُنظر: ((العقيدة الواسطية)) لابن تيمية (ص: ١٠٥)، ((شفاء العليل)) لابن القيم (ص: ٨٣)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١/ ١١٨)، ((لوامع الأنوار البهية)) للسفاريني (١/ ٣٤٨)..

[٢٤٤٦]() عقيدة السفاريني (٣٤٨/١).

[٢٤٤٧]() فتح الباري (١١٨/١).



لم يرد في القران التنصيص على وجوب الإيمان بالقدر، وإنما وردت أدلة مجملة تدل على تقدير الله للأشياء. (٢٤٤٨)

- **قال تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: الآية: ٦٢].**

- **قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: الآية: ٤٩].**

- **وقال تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [الأحزاب: الآية: ٣٨].**

- **وقال تعالى: {وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [الأنفال: الآية: ٤٢].**

- **وقال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: الآية: ٢].**

- **وقال تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} [الأعلى: الآيات: ١-٣].**

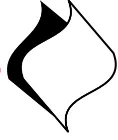
- **وقال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق: الآيات: ١ - ٢].**

وسيأتي ذكر مزيد من الأدلة من القرآن عند بيان مراتب القدر.

وأما أدلة السنة، فمنها ما يلي:

وقد ورد التنصيص على الإيمان بالقدر في السنة ومن ذلك

٢٤٤٨() القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، ص ٨٦.



- **عن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–(ت: ٢٣ هـ)** في سؤال جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عن الإيمان قال: ((**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)). قال (أي: جبريل عليه السلام): صدقت". [٢٤٤٩].

- **عن جابر–رضي الله عنهما–(ت: مابين ٧٣ إلى ٧٧ هـ)** قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»**)). [٢٤٥٠]

- **وعن طاووس بن كيسان–رحمه الله–(ت: ١٠٦ هـ)** أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ، يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: ((**كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس**)). [٢٤٥١].

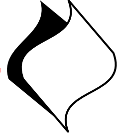
- **وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)** قال: "جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: الآيات: ٤٨: ٤٩]. [٢٤٥٢].

[٢٤٤٩]() أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة (١/ ٣٦ رقم ٨).

[٢٤٥٠]() رواه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، ص (٦/ ٣٥٦ – شرح تحفة الأحوذي)، رقم ٢٢٣١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ١٧٤٣، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٢٤٣٩.

[٢٤٥١]() أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر (٢٠٤٥/٤ رقم ٢٦٥٥).

[٢٤٥٢]() أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر (٢٠٤٦/٤ رقم ٢٦٥٦).



وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بالقدر)) (٢٤٥٣).

أقوال السلف

إجمع سلف الأمة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه من أصول الإيمان الستة، التي لا يتم إسلام العبد ولا إيمانه إلا بها

ومن الآثار في هذا الباب ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه أن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – سئل عن الإيمان بالقدر فقال: "إذا علم الرجل من قبل نفسه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن يصيبه، فذلك الإيمان بالقدر". (٢٤٥٤)

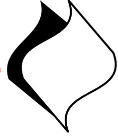
عن علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–(ت: ٤٠ هـ)، قال: "إذا قضي الأمر من السماء عمله أهل الأرض، وإن العبد لا يجد طعم الإيمان حتى يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه". (٢٤٥٥).

عن يحيى بن يعمر–رحمه الله–(ت: ٨٩ هـ)؛ قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا **وحميد بن عبد الرحمن الحميري (ت: ١٠٠ هـ)**. حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب–رضي الله عنهما–(ت: ٧٤ هـ) داخلا المسجد. فاكتنفته أنا وصاحبي. أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي. فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر

٢٤٥٣() رواه الإمام أحمد، انظر الجامع الصحيح في القدر، تأليف مقبل الو ادعي، ص ١٤، وهو في السلسلة الصحيحة رقم (٦٧٥)،

٢٤٥٤() مصنف عبد الرزاق (١١/ ١١٨)، وانظر: القضاء والقدر للبيهقي ص ٣٠٥.

٢٤٥٥() أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٦٦)، وانظر: القضاء والقدر للبيهقي ص (٢٩٩).



قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم. وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني.[٢٤٥٦]. والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر". [٢٤٥٧]

عن الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ): "والله لولا الإيمان بالقدر لخربت الدنيا وما عمرتها، إن الله تعالى قدّر كل شيء بقدر معلوم"[٢٤٥٨].

عن الحسن البصري–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ): قال: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده". [٢٤٥٩]

عن مجاهد بن جبر–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ): قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد". [٢٤٦٠]

قال الأوزاعي (ت: ١٥٧ هـ): "علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وقد علم الله تعالى ما يكون وما سيكون". [٢٤٦١].

[٢٤٥٦]() قال الخطابى: فى تبرى ابن عمر منهم دليل على أن الخلاف إذا وقع فى أصول الدين وتعلق بالمعتقدات يوجب البراءة، بخلاف ما تعلق بأصول الأحكام وفروعها". معالم السنن ٧/ ٦٥.

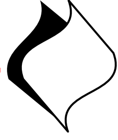
[٢٤٥٧]() (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في الأمر بالإيمان بالقدر ١/ ٨).

[٢٤٥٨]() "كتاب التوكل" لابن أبي الدنيا (ص ٢٩).

[٢٤٥٩]() (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم ١٠٨٠).

[٢٤٦٠]() (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم ١٠٩٦).

[٢٤٦١]() "البداية والنهاية" لابن كثير (٢٠٥/١٠).



قال الإمام سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ): "من كفر بالقدر فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى قدّر كل شيء في الأزل". [٢٤٦٢]

قال الإمام ابن المبارك (ت: ١٨١ هـ): "الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من أصول الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا به". [٢٤٦٣]

وقال الإمام ابن المبارك (ت: ١٨١ هـ): "الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يكون العبد مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ". [٢٤٦٤]

قال الإمام أبو حنيفة في "الفقه الأكبر" (ت: ١٥٠ هـ): "والقدر خيره وشره من الله تعالى، نؤمن به ونعلم أن الله لم يكلفنا إلا ما نطيق، وأنه تعالى لم يجبر العباد على المعاصي، وأنه تعالى هو الخالق للأفعال".

قال الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ): "الإيمان بالقدر واجب، من أنكر القدر فقد كفر، والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأن كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر فهو من الله تعالى". [٢٤٦٥]

قال الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ): "لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بالقدر، ومن أنكر القدر فقد أبطل علم الله السابق، ونسب الله إلى الجهل". [٢٤٦٦]

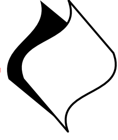
[٢٤٦٢]() "الجامع" لمصنف عبد الرزاق (١١/ ٤٤).

[٢٤٦٣]() "الزهد" لابن المبارك (ص ١٩٤).

[٢٤٦٤]() "سير أعلام النبلاء" (٨/٤٠٢).

[٢٤٦٥]() "التمهيد" لابن عبد البر (٧/١٤٣).

[٢٤٦٦]() "الرسالة" (ص ٣٥١).



قال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ): "والإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها". [٢٤٦٧]

قال الإمام البخاري (ت: ٢٥٦ هـ): "الإيمان بالقدر خيره وشره من أصول الإيمان". [٢٤٦٨]

قال الإمام مسلم (ت: ٢٦١ هـ): "الإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإيمان". [٢٤٦٩]

قال الإمام ابن ماجه (ت: ٢٧٣ هـ): "والإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم". [٢٤٧٠]

قال الإمام ابن جرير الطبري (توفي ٣١٠ هـ): "الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد علم كل شيء وكتبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو من أركان الإيمان التي لا يتم إلا بها". [٢٤٧١]

المسألة الثالثة: أهمية الإيمان بالقدر وثمراته:

مما يدل على أهمية الإيمان:

أولًا: الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان لا يتم الإيمان إلا به.

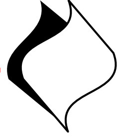
[٢٤٦٧] () "أصول السنة" (ص ٢٨).

[٢٤٦٨] () "صحيح البخاري" (كتاب القدر، حديث ٦٦١٤).

[٢٤٦٩] () "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان، حديث ٩٣).

[٢٤٧٠] () "سنن ابن ماجه" (كتاب المقدمة، حديث ٧٧).

[٢٤٧١] () تفسير الطبري (١/ ١٤٧).



قال الإمام الأوزاعي (ت: ١٥٧ هـ): "علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وقد علم الله تعالى ما يكون وما سيكون". [٢٤٧٢]

قال الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ): "الإيمان بالقدر من **أصول الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن كل شيء بقدر الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن". [٢٤٧٣]

قال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ): "الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها". [٢٤٧٤]

قال الإمام ابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧ هـ): "الإيمان بالقدر هو من **أصول الإيمان**، ولا يصح الإيمان إلا به، وقد أمرنا الله بالإيمان به في قوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (سورة القمر: ٤٩)". [٢٤٧٥]

قال الإمام الدارمي (توفي ٢٥٥ هـ): "والإيمان بالقدر خيره وشره هو من **أصول الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ". [٢٤٧٦]

ثانيًا: الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان

وهو الركن السادس من أركان الإيمان

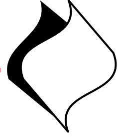
[٢٤٧٢]() "البداية والنهاية" (١٠/٢٠٥).

[٢٤٧٣]() "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر (٢/ ١٢٩٠).

[٢٤٧٤]() "مسند أحمد" (٦/ ٢٣٣).

[٢٤٧٥]() "السنة" لابن أبي عاصم (١/ ١٥٩).

[٢٤٧٦]() "الرد على الجهمية" للدارمي (ص ١٥٤).



قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨ هـ): "الإيمان بالقدر من **أركان الإيمان**، ولا يتم الإيمان إلا به، ومن أنكره فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم". **(٢٤٧٧)**

قال الإمام علي بن المديني (ت: ٢٣٤ هـ): "الإيمان بالقدر خيره وشره من **أركان الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ". **(٢٤٧٨)**

قال الإمام ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ): "الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد علم كل شيء وكتبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو من **أركان الإيمان** التي لا يتم إلا بها". **(٢٤٧٩)**

قال ابن أبي حاتم–رحمه الله–(ت: ٣٢٧ هـ): "وقد أجمع العلماء على أن الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من **أركان الإيمان**، وأن الله تعالى قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ". **(٢٤٨٠)**

ثالثًا: الإيمان القدر نظام التوحيد.

جاء في السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم الربط بين القدر والتوحيد عن عائشة–رضي الله عنها–(ت: مابين ٥٧ و٥٩ هـ)، قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدمه وهما منصوبتان وهو يقول: ((**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**)). **(٢٤٨١)**

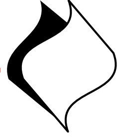
[٢٤٧٧]() "الإبانة الكبرى" لابن بطة (٢/ ١٧٢).

[٢٤٧٨]() "سير أعلام النبلاء" (١١/ ١٦٨).

[٢٤٧٩]() تفسير الطبري (١/ ١٤٧).

[٢٤٨٠]() "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي (٤/ ٧١١).

[٢٤٨١]() رواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة ٤٨٦ ونظر صحيح مسلم بشرح نووي ٢/ ٢١٢.



قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وهذا يتضمن كمال الإثبات للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره فإن الذي يستعاذ منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء الرب تعالى وقدره وهو المنفرد بخلقه وتقديره وتكوينه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن". [٢٤٨٢]

عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ) أنه قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضاً لتوحيده". (٢٤٨٣)

عن الحسن البصري–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ): قال: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده" [٢٤٨٤].

عن مجاهد بن جبر–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ): قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد"[٢٤٨٥].

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "اعلم أن أهل البدع من القدرية الجهمية والمجبرة والقدرية النافية لا يحمدون الله ولا يشكرونه، كما أنهم لا يعبدونه، وأما أهل الإلحاد من المتفلسفة والباطنية فهم

[٢٤٨٢]() شفاء العليل ص ٤٥٠ وانظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/ ٣٥٤.

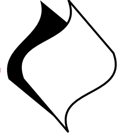
٢٤٨٣ أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٤٢٢)، والفريابي في القدر تحت رقم (٢٠٥)، واللالكائي في السنة ٤/ ٦٢٣ - ٦٧٠، والآجري في الشريعة ص ٢١٥، وابن بطة في: الإبانة تحت رقم (١٦١٨, ١٦١٩)، ونسبه في مجمع الزوائد إلى الطبراني في الأوسط. المجمع الزوائد ٧/ ١٩٧. ويتقوى بتعدد الطرق إلى الحسن لغيره.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا، وفيه ضعف. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة تحت رقم (٤٠٧٢).

وذكره ابن الجوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ١٤٩)، تحت رقم (٢٣٤)، وقال: "لا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"اهـ

[٢٤٨٤]() (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم ١٠٨٠).

[٢٤٨٥]() (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم ١٠٩٦).



أبعد عن حمده وشكره، وذلك أن المجبرة حقيقة قولهم أنه ليس برحيم ولا منعم، بل ولا إله يستحق أن يعبد ويحب، بل صدور الإحسان عنه كصدور الإساءة، وإنما هو يفعل بمحض مشيئة ترجح الشيء على مثله لا لمرجح، وكل الممكنات عندهم متماثلة، فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحسان إليهم، أو يريد فسادهم وهلاكهم وإضرارهم، يقولون: هذا كله عندهم سواء"[٢٤٨٦].

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ) عند تفسير قوله تعالى: **{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} [الأعراف: الآيات: ٢٩–٣٠]**.

"هذه الآية تضمنت قواعد الدين علمًا وعملًا واعتقادًا.

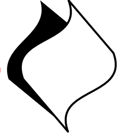
فقوله: **{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ}** أمر سبحانه فيها بالقسط هو الذي هو حقيقة شرعه ودينه، وهو يتضمن التوحيد فإنه أعدل العدل، والعدل في معاملة الخلق، والعدل في العبادة، وهو الاقتصاد في السنة.

وقوله **{وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}**، يتضمن الأمر بالإقبال على الله وإقامة عبوديته في ثبوته، ويتضمن الإخلاص له وهو عبوديته وحده لا شريك له فهذا ما فيها من العمل.

ثم أخبر بمبدأهم ومعادهم فتضمن ذلك حدوث الخلق وإعادته فذلك الإيمان بالمبدأ والمعاد فقال: **{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}**.

ثم أخبر عن القدر الذي هو نظام التوحيد فقال فريقا هدى وفريقًا حق عليهم الضلالة. **{فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ}**، فتضمنت الآية الإيمان بالقدر والشرع والمبدأ، والمعاد، والأمر بالعدل، والإخلاص.

[٢٤٨٦]() جامع الرسائل (المجموعة الأولى) (١/ ١٠٣).



ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ولم يطع هذا الأمر بأنه قد أطاع الشيطان دون ربه وأنه على ضلال وهو يحسب أنه على هدى فقال: **{إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}**. والله أعلم". [٢٤٨٧]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة

١–الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد.

٢–والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع.

فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر

فأبى المنحرفون إلا

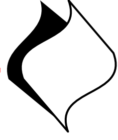
- القدح بإنكاره في أصل التوحيد
- أو القدح بإثباته في أصل الشرع

ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والأمر

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والنبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة وقد تقدم قوله: ((**أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**)). وإن العاجز من لم يتسع للأمرين"[٢٤٨٨].

[٢٤٨٧]() شفاء العليل ١/ ٢٩٢ بتصرف يسير.

[٢٤٨٨]() شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١/ ٢٦.



قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ): "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه التوحيد". [٢٤٨٩]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن الإيمان بالقدر أصل الإيمان بالأمر وهو نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه إيمانه" [٢٤٩٠].

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "والذي دل عليه قول ابن مسعود وهو قول الصحابة كلهم وأئمة السنة من التابعين ومن بعدهم هو إثبات القدر الذي هو نظام التوحيد؛ إثبات فعل العبد الأختياري، الذي هو نظام الأمر والنهي، وهو متعلق المدح والذم والثواب والعقاب والله أعلم". [٢٤٩١]

رابعًا: الإيمان بالقدر فيه تحقيق للشهادتين.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "إذا ثبت هذا – يعني تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله– فمعلوم أنه يجب الإيمان بخلق الله وأمره، وبقضائه وشرعه"[٢٤٩٢].

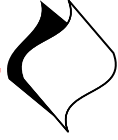
قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "قال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): القدر قدرة الله، واستحسن ابن عقيل–رحمه الله–(ت: ٥١٣ هـ) هذا الكلام جدا، وقال: هذا يدل على دقة علم

[٢٤٨٩]() شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٦٥).

[٢٤٩٠]() روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٦١).

[٢٤٩١]() حاشيته على تهذيب السنن (٦/ ١٠٥).

[٢٤٩٢]() التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١٣٠.



أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء؛ فإن إنكار القدر: إنكار لقدرة الرب على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها". (٢٤٩٣)

فالإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد وخلاص من الشرك؛ لأن ارتباطه مباشرة بالإيمان بالله تعالى، فقد جاء في صفاته سبحانه صفة العلم، والإرادة، والقدرة، والخلق، وعلى هذه الأسس قامت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

كما عد العلماء الإيمان بالقضاء والقدر ثمرة من ثمرات الإيمان بالله، فالراضي بالقضاء والقدر راض بالله، والساخط من القدر ساخط على الله، وهذه النكتة في عطف الفعل "تؤمن" لما عد النبي – صلى الله عليه وسلم –أركان الإيمان فقال: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)). في حديث جبريل المشهور". (٢٤٩٤)

خامسًا: الإيمان بالقدر يعصم العبد من أمور كثيرة.

"فاعتصام المؤمن بعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر يعصمه من أمور كثيرة، على رأسها أمران:

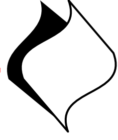
أحدهما: عصمته في باب توحيد الربوبية الذي هو أساس وعمدة توحيد الألوهية.

والثاني: عصمته في مسيرته في الحياة، بألا يقع عنده تعارض بين القضاء والقدر والأمر والشرع". (٢٤٩٥)

٢٤٩٣() شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ٢٨.

٢٤٩٤() منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة (ص ٦٤٨).

٢٤٩٥() تيسير لمعة الاعتقاد لعبد الرحمن بن صالح المحمود. ص١٩٩.



الإيمان بالقدر أساس لعمارة الدنيا.

قال الإمام الحسن البصري (توفي ١١٠ هـ): "والله لولا الإيمان بالقدر لخربت الدنيا وما عمرتها، إن الله تعالى قدّر كل شيء بقدر معلوم" [٢٤٩٦].

من ثمرات الإيمان بالقدر:

أولًا: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كليهما بقضاء الله وقدره.

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، واحرص على ما ينفعك واستعن بالله عز وجل ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل)).** [٢٤٩٧]

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ): "الإيمان بالقدر يوجب صدق الاعتماد على الله عز وجل لأنك إذا علمت أن كل شيء بقضاء الله وقدره صدق اعتمادك على الله". [٢٤٩٨]

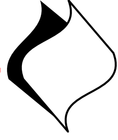
ثانيًا: راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشا، وأروح نفسا، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

قَالَ ابنُ عَونٍ–رحمه الله–(ت: ١٥١ هـ): "ارْضَ بِقَضَاءِ اللهِ مِن عُسْرٍ وَيُسْرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقَلُّ لِهَمِّكَ، وَأَبلَغُ فِيمَا تَطلُبُ مِن أَمرِ آخِرَتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ العَبدَ لَن يُصِيبَ حَقِيقَةَ الرِّضَا، حَتَّى يَكُونَ رِضَاهُ عِندَ الفَقرِ

[٢٤٩٦]() "كتاب التوكل" لابن أبي الدنيا (ص ٢٩).

[٢٤٩٧]() صحيح مسلم (٢٦٦٤).

[٢٤٩٨]() القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ص: ٦٣٠.



وَالبَلَاءِ، كَرِضَاهُ عِندَ الغِنَى وَالرَّخَاءِ؛ كَيفَ تَستَقضِي اللهَ فِي أَمرِكَ، ثُمَّ تَسخَطُ إِنْ رَأَيتَ قَضَاءً مُخَالِفًا لِهَوَاكَ؟! وَلَعَلَّ مَا هَوَيْتَ مِن ذَلِكَ، لَو وُفِّقَ لَكَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُكَ، وَتَرضَى قَضَاءَهُ إِذَا وَافَقَ هَوَاكَ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ عِلْمِكَ بِالغَيبِ؟! إِذَا كُنتَ كَذَلِكَ، مَا أَنْصَفْتَ مِن نَفسِكَ، وَلَا أَصَبْتَ بَابَ الرِّضَا. **قال ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ)**: وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ". [٢٤٩٩]

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ): "والإيمان بالقدر يوجب الطمأنينة يوجب للقلب الطمأنينة إذا علمت أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك اطمئن أنت بما يصيبك بعد فعل الأسباب النافعة". [٢٥٠٠]

ثالثًا: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح؛ فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب". [٢٥٠١]

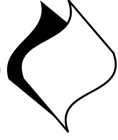
رابعًا: انشراح الصدر، وسعادة القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، قال عمر بن عبد العزيز: أصبحت وَمَا لِيَ سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر، قَالَ تَعَالَى: **{قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون} [التوبة: الآية: ٥١]**.

خامسًا: ذهاب الهم والحزن، فمن الإيمان بالقدر الإيمان بكتابة المقادير قبل إيجادها، فإذا وُجِدت تبين مدى الإيمان بذلك، فَقَوِيُّ الإيمان لا يفرح بما أُوتي، ولا يحزن على ما فات، وعكسه بعكسه بهذا المعنى، وردت الآية الكريمة: **{لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد: الآية: ٢٣]**.

[٢٤٩٩]() "تيسير العزيز الحميد" (ص٥٢٢ – ٥٢٣).

[٢٥٠٠]() القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ص: ٦٣٠.

[٢٥٠١]() «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» (٣/ ٢٥٦ – ٢٦٠) بتصرف.



قال ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ): "الإيمان بالقدر يُذهب الهم والحزن". (٢٥٠٢)

سادسًا: غنى النفس، روى الترمذي في سننه مِن حَدِيثِ **أَبِي هُرَيرَةَ–رضي اللهُ عنه–(ت: ٥٧ هـ)**: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: **((وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ))**. (٢٥٠٣)

سابعًا: النجاة من النار، روى أبو داود في سننه مِن حَدِيثِ **أُبَيّ بنِ كَعْبٍ–رضي اللهُ عنه–(ت: ١٩ أو ٢٠ هـ)**: رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: **"لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ"**. (٢٥٠٤)

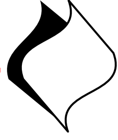
المسألة الرابعة: الخوض في القدر.

عن عمرو بن شعيب–رحمه الله–(ت: ١١٨ هـ) عن أبيه–رحمه الله–(ت: ٨١ أو ٨٠ هـ) عن جده–رضي الله عنه–(ت: ٦٥ هـ) قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: "وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: **((ما لكم تضربون كتاب**

(٢٥٠٢) مجموع الرسائل (٣/١٤٤).

(٢٥٠٣) "سنن الترمذي" (برقم ٢٣٠٥)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (برقم ٩٣٠).

(٢٥٠٤) "سنن أبي داود" (برقم ٤٦٩٩)، وصححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣ /٨٩٠) (برقم ٣٩٣٢).



الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكما))، وقال: "فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس، أني لم أشهده". [٢٠٠٥]

وقد كان السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يكرهون الجدال في القدر ويذمون من خاض فيه، بل حذروا من ذلك، فهذا الصحابي الجليل **عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)** يقول: "باب شرك فتح على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم". [٢٠٠٦] ويقول أيضًا رضي الله عنه: "ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإسلام"[٢٠٠٧]

فالسلف رحمهم الله تعالى كرهوا الكلام في القدر والخوض فيه، لكن لما خاضت المبتدعة في هذا الأمر وحادوا عن الصواب رأي السلف الصالح أنه يجب عليهم أن يبينوا للناس الحق والصواب فيما ضل فيه هؤلاء، ذلك لأنه لم يظهر القول في القدر إلا بعد مضي نصف القرن الأول تقريبا، حيث إن معبدًا الجهني[٢٠٠٨] هو أول من أثار القول في هذا الأمر.

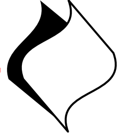
روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى يحي بن يعمر، أنه قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن خطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام

٢٠٠٥ أخرجه أحمد (٢/ ١٧٨)، وقال أحمد شاكر، أسناده صحيح. المسند تحقيق أحمد شاكر (١٠/ ١٥٣)، حديث رقم (٦٦٦٨)، وأخرجه أيضا ابن ماجه: المقدمة، باب في القدر (٣٣/١)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٤): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

٢٠٠٦ أخرجه الآجري في الشريعة (ص٢١٥)، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة: (٤/ ٦٣٠).

٢٠٠٧ أخرجه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة (٤/ ٦٣٢).

٢٠٠٨ معبد بن عبد الله الجهني نزيل البصرة، كان داعية إلى الضلال وهو أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة، قال ابن أبي حاتم: كان صدوقًا في الحديث وكان رأسًا في القدر، قدم المدينة فأفسد بها ناسا، وقد قتله عبد الملك سنة ٨٠هـ. الجرح والتعديل (٢٨٠/٨)، وميزان الاعتدال (١٤١/٤)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥).



إلي فقلت: أبا عند الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم[٢٥٠٩] وذكر من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر" [٢٥١٠]

وقد سلك هذا المسلك العلماء من بعدهم الذين ساروا على نهج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كما ذكر الإمام البربهاري هنا.

ولا شك أن الخوض في أمور العقيدة بالعقل استقلالاً دون الرجوع إلى النصوص والتحاكم إليها والاستضاءة بالنصوص هذه مهلكة للإنسان، وكل من خاض من هؤلاء في هذا الأمر دون معرفة بالنص فإنه هالك، ولذلك وقع ما وقع من الفرق، ووقع ما وقع من قول القدرية وقول الجبرية ونحوهم لا لشيء إلا لأن هؤلاء تركوا النصوص تمامًا وخاضوا في الأمر من جهة عقولهم.

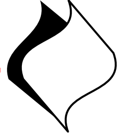
فوقع التحسين والتقبيح العقلي، ووقع الطعن في أفعال الله عز وجل وفي علم الله عز وجل كل ذلك من طريق هؤلاء.

وأما أصل القدر؟ فكما **قاله الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ)**: "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: الآية: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين" [٢٥١١]

٢٥٠٩ ويتقفرون العلم: أي يطلبونه ويتتبعونه. النهاية لابن الأثير (٤/ ٩٠).

٢٥١٠ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان: ١/ ٣٦.

٢٥١١ ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص: ٢٧٦).



وعلم القدر **قال عنه علي رضي الله عنه**–(**ت: ٤٠ هـ**): "القدر سر الله فلا تكشفه". [٢٥١٢]

قال جعفر بن محمد–**رحمه الله**–(**ت: ١٤٨ هـ**): "الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد نظرا ازداد حيرة". [٢٥١٣]

وسماه الطحاوي–**رحمه الله**–(**ت: ٣٢١ هـ**) بالعلم المفقود، لأن الله طواه عن الخلق، [٢٥١٤] ونحن نؤمن بأن له تعالى في خلقه حكماً عظيمة، وإذا كان هناك من الحكم ما هون خاف فلا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتفاء حكمته تبارك وتعالى. [٢٥١٥]

قال الإمام مالك–**رحمه الله**–(**ت: ١٧٩ هـ**): "القدر سر الله في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة إلى الخذلان، وسُلَّمٌ إلى الحرمان، والحذر كل الحذر من النظر في القدر والتفكر فيه والوسوسة به". [٢٥١٦]

قال البربهاري–**رحمه الله**–(**ت: ٣٢٩ هـ**): "الكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة، منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر سر الله، ونهى الرب تبارك وتعالى الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخصومة في القدر، وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في جملة الأشياء، وتسكت عما سوى ذلك"[٢٥١٧].

٢٥١٢ ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص: ٢٧٧).

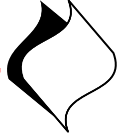
٢٥١٣ انظر: ((جامع بيان العلم وفضله)) لابن عبد البر (١٩٦/٢).

٢٥١٤ ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص: ٢٩٢).

٢٥١٥ ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص: ٢٩٢).

٢٥١٦ (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ٧٠٩/٤).

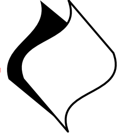
٢٥١٧ ((شرح السنة)) (ص: ٨٠).



قال الآجري–رحمه الله–(ت: ٣٦٠ هـ): "لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق" [٢٥١٨].

قال ابن بطة–رحمه الله–(ت: ٣٨٧ هـ): "وأما الوجه الآخر من علم القدر الذي لا يحل النظر فيه ولا الفكر به، وحرام على الخلق القول فيه: كيف؟ ولم؟ وما السبب؟ مما هو سر الله المخزون وعلمه المكتوم الذي لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، وحجب العقول عن تخيل كنه علمه، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد فيه نظرا ازداد فيه تحيرا، ومن العلم بكيفيتها بعدا- فهو التفكر في الرب عز وجل كيف فعل كذا وكذا، ثم يقيس فعل الله عز وجل بفعل عباده، فما رآه من فعل العباد جورا يظن أن ما كان من فعل مثله جور، فينفي ذلك الفعل عن الله، فيصير بين أمرين؛ إما أن يعترف لله عز وجل بقضائه وقدره، ويرى أنه جور من فعله، وإما أن يرى أنه ممن ينزه الله عن الجور، فينفي عنه قضاءه وقدره، فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته، فبالفكر في هذا وشبهه والتفكر فيه والبحث والتنقير عنه هلكت القدرية حتى صاروا زنادقة وملحدة ومجوسا؛ حيث قاسوا فعل الرب بأفعال العباد وشبهوا الله بخلقه ولم يعوا عنه ما خاطبهم به؛ حيث يقول: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: الآية: ٢٣] .فمما لا يحل لأحد أن يتفكر فيه ولا يسأل عنه، ولا يقول فيه: لم لا ينبغي لأحد أن يتفكر لم خلق الله إبليس وهو قد علم قبل أن يخلقه أنه سيعصيه، وأن سيكون عدوا له ولأوليائه؟ ولو كان هذا من فعل المخلوقين إذا علم أحدهم أنه إذا اشترى عبدا يكون عدوا له ولأوليائه، ومضادا له في محابه، وعاصيا له في أمره، ولو فعل ذلك لقال أولياؤه وأحباؤه: إن هذا خطأ وضعف رأي وفساد نظام الحكمة، فمن تفكر في نفسه وظن أن الله لم يصب في فعله حيث خلق إبليس؛ فقد كفر، ومن قال: إن الله لم يعلم قبل أن يخلق إبليس أنه يخلق إبليس عدوا له ولأوليائه، فقد كفر، ومن قال: إن الله لم يخلق إبليس أصلا، فقد كفر.

٢٥١٨ ((الشريعة)) (٢/ ٧٠٢).



وهذا قول الزنادقة الملحدة، فالذي يلزم المسلمين من هذا أن يعلموا أن الله خلق إبليس وقد علم منه جميع أفعاله؛ ولذلك خلقه، ويعلموا أن فعل الله ذلك عدل صواب، وفي جميع أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون". [٢٠١٩]

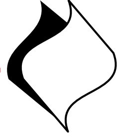
قال أبو المظفر السمعاني–رحمه الله–(ت: ٤٨٩ هـ): "قد ذكرنا أن سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسنة، دون محض القياس، ومجرد المعقول، فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب، ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب؛ وذلك لأن القدر سر من سر الله وعلم من علمه ضربت دونه الأستار، وكفت عليه الأزرار، واختص الله به علام الغيوب. حجبه عن عقول البشر ومعارفهم؛ لما علم من الحكمة، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وألا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلف، والاقتحام فيه تعمق وتهور.

وجماع هذا الباب أن يعلم أن الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضاه وقدره على عباده، فلم يطلع عليه نبيا مرسلا، ولا ملكا مقربا؛ لأنه خلقهم ليتعبدهم ويمتحنهم. قال الله تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: الآية: ٥٦]** ... فلو كشف لهم عن سر ما قضى وقدر لهم وعليهم في عواقب أمورهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على مصير الأمر في العاقبة، فيكون قصاراهم عند ذلك أمن أو قنوط. وفي ذلك بطلان العبادة وسقوط الخوف والرجاء؛ فلطف الله سبحانه بعباده وحجب عنهم علم القضاء والقدر، وعلقهم بين الخوف والرجاء، والطمع والوجل؛ ليبلو سعيهم واجتهادهم، وليميز الله الخبيث من الطيب، ولله الحجة البالغة" [٢٠٢٠] ..

قال البغوي–رحمه الله–(ت: ٥١٠ هـ): "القدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكا مقربا، ولا نبيا

٢٠١٩ ((الإبانة الكبرى)) (٣/ ٢٤٨).

٢٠٢٠ ((الحجة في بيان المحجة)) للأصبهاني (٢/ ٣٠).



مرسلا، لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق، فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلا[٢٠٢١].

قال ابن أبي العز–رحمه الله–(ت: ٧٩٢ هـ): "أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى. قال علي–رضي الله عنه–(ت: ٤٠ هـ): القدر سر الله فلا تكشفه". [٢٠٢٢]

قال ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ): "قد ورد النهي عن الخوض في القدر، ...، والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه:

منها: ضرب كتاب الله بعضه ببعض، فينزع المثبت للقدر بآية والنافي له بأخرى. ويقع التجادل في ذلك... وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه، وقد نهي عن ذلك. [٢٠٢٣]

ومنها: الخوض في القدر إثباتا ونفيا بالأقيسة العقلية: كقول القدرية: لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالما. وقول من خالفهم: إن الله جبر العباد على أفعالهم، ونحو ذلك.

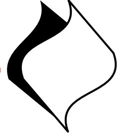
ومنها: الخوض في سر القدر، وقد ورد النهي عنه عن علي وغيره من السلف؛ فإن العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك". [٢٠٢٤]

٢٠٢١ ((شرح السنة)) (١/ ١٤٤).

٢٠٢٢ ((شرح الطحاوية)) (١/ ٣٢٠).

٢٠٢٣ أخرجه من طرق: أبو داود (٤٦٠٣)، وأحمد (٩٤٧٩) بلفظ: "المراء في القرآن كفر" صححه ابن حبان في ((صحيحه)) (١٤٦٤)، والحاكم على شرط مسلم في ((المستدرك)) (٢/٢٤٣)، والنووي في ((التبيان)) (٢٠٦).

٢٠٢٤ ((بيان فضل علم السلف على علم الخلف)) (ص: ٤١-٤٦).



المسألة الخامسة: أركان الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر له أربعة أركان، ويسميها بعض العلماء أيضًا: (مراتب القدر)، وهذه الأركان الأربعة هي:

الركن الأول: العلم:

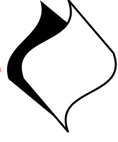
الركن الأول– أو المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر– هو العلم، فيجب الإيمان بأن الله يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف سيكون، فالله يعلم القدر قبل وقوعه،

والأدلة على علم الله تعالى بالمقادير كثيرة، منها:

قال تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}. [الطلاق: الآية:١٢]**

فالله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيءٍ علما، ولذلك لما ذكر الله تعالى الخلق استدل به على العلم والقدرة **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ} [الطلاق: الآية:١٢]**، ثم قال بعدها: **{لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}**.

فتأمل السياق في الحديث عن الخلق، الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن هذا حديث عن الخلق، لكنه دلالة على أمرين هم؟ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، فالخلق دليل على القدر، فكيف يخلق من لا يقدر، فهل الذي لا يقدر يستطيع أن يخلق؟ فبما أنه هو الخالق فهو قادر، وكيف يخلق ما لا يعلم؟ فبالتالي استشهد بخلقه على قدرته وعلى علمه، لذلك قال: **{لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}**.



فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل خلقها، وهو سبحانه وتعالى يعلم ما سيكون، بل ما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله سبحانه وتعالى عندما ذكر أصحاب النار قال عنهم: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} [الأنعام: الآية: ٢٨]، فلو أُخرج أهل النار من النار وعادوا إلى الدنيا لعادوا إلى كفرهم.

فإذاً يعلم مالم يكن لو كان كيف يكون، فعلمه سبحانه وتعالى محيطٌ بكل شيء،

– قال تعالى: **{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الحشر: الآية: ٢٢]**.

– وقال تعالى: **{لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: الآية: ١٢]**.

– وقال تعالى: **{عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ}** [سبأ: الآية: **٣]**.

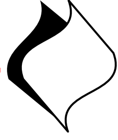
– وقال تعالى: **{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: الآية: ١٢٥]**.

– وقال تعالى: **{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} [النجم: الآية: ٣٢]**.

وقال الله تعالى–مقررًا علمه بما لم يكن لو كان كيف سيكون–: **{وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} [الأنعام: الآية: ٢٨]**، فالله يعلم أن هؤلاء المكذبين الذين يتمنون في يوم القيامة الرجعة إلى الدنيا أنهم لو عادوا إليها لرجعوا إلى تكذيبهم وضلالهم.

وقال في الكفار الذين لا يطيقون سماع الهدى: **{وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنفال: الآية: ٢٣]**.

ومن علمه تبارك وتعالى بما هو كائن: علمه بما كان الأطفال الذين توفوا صغارًا عاملين لو أنهم كبروا قبل مماتهم، وبيانه فيما يلي:



- **عن ابن عباس –رضي الله عنهما –(ت: ٦٨ هـ)**، قال: " سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين " [٢٥٢٥].

- **وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها –(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)**، قالت: توفي صبيٌّ، فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة. فقال رسول الله ﷺ: " **أَوَلَا تدرين أن الله خلق الجنة والنار، فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا؟**"[٢٥٢٦].

وفي رواية عند مسلم – أيضًا – **عن عائشة –رضي الله عنها –(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)** قالت: "دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «**أَوَغَير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**". [٢٥٢٧]

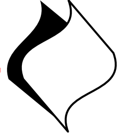
وكان أول من أنكره القدرية فأنكروا علم الله السابق، فزعم القدرية الأوائل أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، فهذا أول حال القدرية، ثم إن القدرية بعد ذلك تراجعوا عن إنكار العلم السابق وأثبتوا العلم السابق، ولكن أنكروا قدرة الله في فعل العبد، فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل كونها.

الركن الثاني: الكتابة

[٢٥٢٥]() أخرجه البخاري في صحيحه كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين (١٢٢/٨ رقم ٦٥٩٧).

[٢٥٢٦]() أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٠٥٠/٤ رقم ٢٦٦٢).

[٢٥٢٧]() أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٠٥٠/٤ رقم ٢٦٦٢).



الركن الثاني– أو المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر– هو الكتابة، فيجب الإيمان بأن الله تعالى كتب كل المقادير في اللوح المحفوظ وسطر فيها كل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

واللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق سماه القرآن بالكتاب، وبالكتاب المبين، وبالإمام المبين وبأم الكتاب، والكتاب المسطور.

– قال تعالى: **{بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} [البروج: الآيات: ٢١، ٢٢]**،

وقال تعالى: **{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج: الآية: ٧٠]**،

وقال تعالى: **{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} [يس: الآية: ١٢]**،

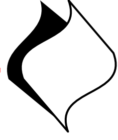
وقال تعالى: **{وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ} [الطور: الآيات: ١– ٣]**،

وقال تعالى: **{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الزخرف: الآية: ٤]**،

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–(ت: ٦٥ هـ)، عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**)).[٢٥٢٨]

قال عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ) لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، يقول: ((**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: رب وماذا**

[٢٥٢٨]() أخرجه مسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى برقم (٢٦٥٣).



أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة))، يا بني إني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: ((**من مات على غير هذا فليس مني**)). (٢٥٢٩)

وعن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، قال: "كنت خلف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يوما، فقال: ((**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**)). (٢٥٣٠)

أنواع التقدير:

ذكر ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ) أقسام التقدير الخمسة، وأوضحها بأدلتها، وهي باختصار:

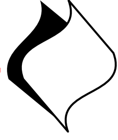
التقدير الأول: تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض، وهو التقدير العام الشامل لكل شيء في اللوح المحفوظ، وقد سبق ذكر بعض الأدلة عليه.

التقدير الثاني: تقدير الرب– تبارك وتعالى– شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول، فعن عمران بن حصين قال: "قيل: يا رسول الله، علم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال ((نعم)). قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: ((كل ميسر لما خلق له)). (٢٥٣١).

٢٥٢٩() أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٦٤٥).

٢٥٣٠() أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٩٣) (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٣٠٢)..

٢٥٣١() أخرجه البخاري (٧٥٥١) ومسلم (٢٦٤٩) واللفظ له.



التقدير الثالث: المتعلق بالجنين وهو في بطن أمه، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله؛ فعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق: ((**إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك؛ فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات؛ بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**)). [٢٥٣٢]

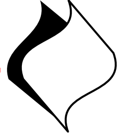
التقدير الرابع: التقدير في ليلة القدر؛ قال الله تعالى: {حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} [الدخان: الآيات: ١ - ٥].

قال أبو عبد الرحمن السلمي-رحمه الله-(ت: ٧٤ هـ): "يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر"، وهذا هو الصحيح: أن القدر مصدر قدر الشيء يقدره قدرا، فهي ليلة الحكم والتقدير.

التقدير الخامس: التقدير اليومي؛ قال تعالى: **{يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: الآية: ٢٩]**.

قال مجاهد-رحمه الله-(ت: ١٠٤ هـ)، والكلبي-رحمه الله-(ت: ١٠٤ هـ)، وعبيد بن عمير-رحمه الله-(ت: ٧٣ هـ)، وأبو ميسرة-رحمه الله-(ت: ٦٣ هـ)، وعطاء-رحمه الله-(ت: ١١٤ هـ)، ومقاتل-رحمه الله-(١٥٠ هـ): "من شأنه: أن يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وينصر، ويعز ويذل، ويفك عانيا، ويشفي

[٢٥٣٢]() أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).



مريضا، ويجيب داعيا، ويعطي سائلا، ويتوب على قوم، ويكشف كربا، ويغفر ذنبا، ويضع أقواما، ويرفع آخرين. دخل كلام بعضهم في بعض ... ".

إلى أن **قال ابن القيم –رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ)**: "فهذا تقدير يومي، والذي قبله تقدير حولي، والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس به، والذي قبله كذلك عند أول تخليقه، وكونه مضغة، والذي قبله تقدير سابق على وجوده، لكن بعد خلق السماوات والأرض، والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق، وفي ذلك الدليل على علم الرب وقدرته وحكمته، وزيادة التعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه". [٢٠٣٣]

الركن الثالث: المشيئة:

الركن الثالث– أو المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر– المشيئة، أي: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئته، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد.

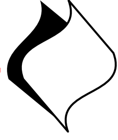
والنصوص المصرحة بهذا الركن المقررة له كثيرة، منها:

– قال تعالى: **{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ} [التكوير: الآية: ٢٩]**.

– وقال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْموْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ} [الأنعام: الآية: ١١١]**.

– وقال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) [الأنعام: الآية: ١١٢]**.

[٢٠٣٣]() «شفاء العليل» (ص ٣١ – ٤٩).



- وقال تعالى: **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: الآية: ٣٦]**.

- وقال تعالى: **{مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: الآية: ٣٩]**.

ومشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى إياه لا يكن لعدم مشيئة الله تعالى ليس لعدم قدرته عليه.

- قال تعالى: **{ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) [البقرة: الآية: ٢٥٣]**.

- وقال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [المائدة: الآية: ٤٨]**.

- وقال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى} [الأنعام: الآية: ٣٥]**.

- وقال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا) [الأنعام: الآية: ١٠٧]**.

- وقال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ} [يونس: الآية: ٩٩]**.

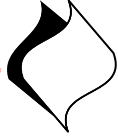
وجاء في حديث **حذيفة بن أسيد-رضي الله عنه-(ت: ٤٢ هـ)** في شأن الجنين: ((**فيقضي ربك ما يشاء، ويكتب الملك**)). [٢٠٣٤].

وعن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-(ت: ٤٤ هـ)، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء**)). [٢٠٣٥].

قال ابن القيم -رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر، وهي مرتبة المشيئة:

[٢٠٣٤]() أخرجه مسلم (٢٦٤٥).

[٢٠٣٥]() أخرجه البخاري (١٤٣٢).



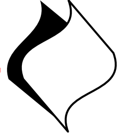
وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والبيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به.

والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد حتى وإن كان مخالفا لأمره الشرعي، فهو سبحانه وتعالى أراد أن يمتحن عباده، فجعل لهم إرادة وقدرة؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملا؛ فمن آمن واستقام فاز، ومن كفر وعاند فقد خسر خسرانا مبينا؛ فتجزى كل نفس بما عملت، فالعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: **{لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: الآيات: ٢٨، ٢٩]**، وقد يريد العبد الشر، ولكن الله لا يمكنه منه؛ فكل شيء داخل تحت إرادته ومشيئته، ولا يخرج العباد أبدا في كل أمورهم عن تلك الإرادة والمشيئة؛ قال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: الآية: ٢٥٣]**، وقال سبحانه: **{كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [آل عمران: الآية: ٤٠]**، وقال جل وعلا: **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}[الأنعام: ١١٢]**". [٢٥٣٦]

أنواع الإرادة: لله- جل وعلا- إرادتان: كونية قدرية، ودينية شرعية.

قال ابن القيم -رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وها هنا أمر يجب التنبيه عليه، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علما، وهو أن الله- سبحانه- له الخلق والأمر، وأمره- سبحانه- نوعان: أمر كوني قدري، وأمر ديني شرعي.

[٢٥٣٦]() انظر: «شفاء العليل» (ص ٩٣) بتصرف واختصار.



فمشيئته– سبحانه– متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكره، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته– سبحانه– شاملة لذلك كله.

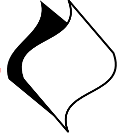
وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعا فهو محبوب للرب، واقع بمشيئته؛ كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته، ولم تتعلق به محبته، ولا رضاه ولا أمره الديني، و ما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته، فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية؛ فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية؛ فتكون هي المحبة.

وإذا عرفت هذا فقوله تعالى: **{وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر: الآية: ٧]**، وقوله: **{وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: الآية: ٢٠٥]**، وقوله: **{وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: الآية: ١٨٥]**، لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره؛ فإن المحبة غير المشيئة، والأمر غير الخلق، ونظير هذا: الأمر؛ فإنه نوعان: أمر تكوين، وأمر تشريع، والثاني قد يعصى ويخالف بخلاف الأول".

إلى أن قال رحمه الله: "فسبحانه أن يكون في مملكته ما لا يشاء أو أن يشاء شيئا فلا يكون، وإن كان فيها ما لا يحبه ولا يرضاه، وإن كان يحب الشيء فلا يكون لعدم مشيئته له، ولو شاءه لوجد". [٢٥٣٧].

الركن الرابع: الخلق

[٢٥٣٧]() «شفاء العليل» (ص ١٠٥، ١٠٦).



الركن الرابع- أو المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر- الخلق، أي: خلق الله تبارك وتعالى لكل موجود، لا شريك لله في خلقه.

وقد قررت النصوص أن الله خالق كل شيء، فهو الذي خلق الخلق وكوَّنهم وأوجدهم، فهو الخالق وما سواه مربوب مخلوق.

ومن أدلة القرآن الكريم:

الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه...

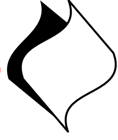
١-قال تعالى في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام حيث كسر أصنامهم ثم جاء إليه قومه يناقشونه مسرعين فقال لهم كما حكى الله عنه: **{أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: الآيات: ٩٥-٩٦]**، أي خلقكم وعملكم فتكون (ما) مصدرية، وقيل: إنها بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم وهو الأصنام[٢٠٣٨] وقد ذكر ابن كثير القولين ثم قال: "وكلا القولين متلازم، والأول أظهر" [٢٠٣٩] وقد علل ذلك بما يؤيده من رواية البخاري في أفعال العباد **عن حذيفة-رضي الله عنه-(ت: ٣٦ هـ)** قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((إن الله يصنع كل صانع وصنعته))**[٢٠٤٠]، وتلا بعضهم عند ذلك **{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: الآية: ٩٦]**، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة فالله تعالى خالق الخلق وأفعالهم كما دلت على ذلك الآية والحديث.

٢-وقد وردت آيات كثيرة تدل دلالة واضحة على أن كل شيء مما في هذا الكون مخلوق لله سبحانه وتعالى, وقد وردت هذه الآيات بلفظ العموم فقال تعالى: **{اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: الآية: ١٦]**،

٢٠٣٨ انظر: ((زاد المسير في علم التفسير)) لابن الجوزي (٧/٧٠).

٢٠٣٩ ((تفسير ابن كثير)) (٧/٢٢).

٢٠٤٠ رواه البخاري في ((خلق أفعال العباد)) (١٠٢). وصححه ابن حجر في ((فتح الباري)) (١٣/٥٠٧)، والألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (١٦٣٦) وقال: على شرط مسلم.

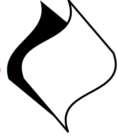


وفي آية أخرى: **{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [غافر: الآية: ٦٢]**، وهذه نصوص واضحة في الدلالة على مرتبة الخلق، وقد جاءت الآية الأولى في معرض إنكار أن يكون للشركاء خلق كخلقه، سبحانه وتعالى فنفى ذلك سبحانه آمراً رسوله أن يقرر هذه الحقيقة التي تفصل في الأمر وتدل على وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق والرزق: **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: الآية: ١٦]**، وفي موضع آخر جاءت هذه الآية لبيان قدرة الله تعالى وكماله ودلائل وحدانيته: **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر: الآية:٦٢]**، أما الآية الثانية فقد جاءت أيضاً لبيان قدرة الله التامة حيث جعل لعبادة الليل والنهار ثم بين سبحانه أنه خالق كل شيء.

٣-وقال تعالى ممتناً على الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن أمرهم بالتثبت في خبر الفاسق. **{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}. [الحجرات: الآية: ٧]**، والشاهد قوله: **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ}.. {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ}**...، فهو سبحانه هو الذي جعل الإيمان محبوباً أو أحب الأشياء إليكم، وهو الذي حسنه بتوفيقه وقربه منكم، وهو الذي جعل ما يضاد الإيمان من الكفر والفسوق والعصيان مكروها عندكم، وذلك بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر وعدم إرادة فعله، فالفاعل في كل ذلك هو الله تعالى. [٢٠٤١]

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على أن الله تعالى هو المضل، والهادي, والمؤيد لعباده المؤمنين، والهازم لأعدائهم، وأنه المضحك, والمبكي, والمميت, والمحيي, وكل ذلك دليل على مرتبة الخلق، وقد أورد ابن كثير عند تفسيره لآية الحجرات السابقة، حديثاً يدل على هذه المرتبة عن ابن رفاعة الزرقي قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**استووا حتى أثني على ربي، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما**

٢٠٤١ انظر: ((فتح البيان في مقاصد القرآن)) لصديق خان (٧٤/٩)، وانظر: ((تفسير ابن السعدي)) (١٣١/٧)، وانظر: ((شفاء العليل)) لابن القيم (ص: ٥٧).



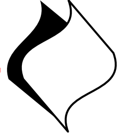
أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما بعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك، ورحمتك، وفضلك، ورزقك، اللهم إني أسالك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسالك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق)). [٢٠٤٢] فترى في هذا الحديث بأن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأمور، وهذا دليل على مرتبة الخلق.

الأدلة من السنة:

١-**عن زيد بن أرقم-رضي الله عنه-(ت: ٦٨ هـ)** قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كان يقول: ((**اللهم أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب، القبر اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**...)). الحديث[٢٠٤٣] والشاهد قوله: ((**اللهم آت نفسي تقواها وزكها**...))، فالفاعل هو الله تعالى، فهو الذي يطلب منه ذلك ولفظ ((**خير**)) ليس للتفضيل، بل لا مزكي للنفس إلا الله، ولهذا قال

٢٠٤٢ رواه أحمد (٣/٤٢٤) (١٥٥٣١)، والبزار (٩/١٧٥)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٥٣٨). وقال: [فيه] عبد الواحد بن أيمن مشـــهور ليس به بأس في الحديث، روى عنه أهل العلم، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٦/١٢٤): رجاله رجال الصحيح، وصححه ابن حجر في ((نتائج الأفكار)) (٢/١٦٣) والألباني في ((صحيح الأدب المفرد)) (٥٣٨).

٢٠٤٣ رواه مسلم (٢٧٢٢).



بعد ذلك: ((**أنت وليها ومولاها**)). [٢٠٤٤] فهو سبحانه الملهم للنفس الخير والشر، قال تعالى: **{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس: الآية: ٨]**.

قال سعيد بن جبير–رحمه الله–(ت: ٩٥ هـ) في تفسير هذه الآية: **{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس: الآية: ٨]**، أي: فالخلق والإنسان قادر على سلوك أيهما شاء ومخير فيه.

وقال ابن زيد–(ت: ١٨٢ هـ)، في معنى الآية: "جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى". [٢٠٤٥]

٢- وعن **وراد مولى المغيرة بن شعبة (ت: غير معروف سنة وفاتة)** قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول خلف الصلاة، فأملى عليّ المغيرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: خلف الصلاة: ((**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**)). [٢٠٤٦] والشاهد قوله: ((**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت**))، فالمعطي والمانع هو الله تعالى فهو الفاعل لهما، وهذا يدل على أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى وقوله: ((**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**))، أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه، أو لا ينجيه حظه منك، بل ينفعه عمله الصالح.

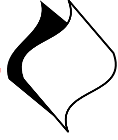
٣–وقد قال صلى الله عليه وسلم **لأبي موسى الأشعري–رضي الله عنه–(ت: ٤٤ هـ)**: ((**يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**)). فقلت بلى يا رسول الله، قال: ((**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله**)). [٢٠٤٧]، والشاهد قوله: ((**لا حول ولا قوة إلا بالله**))، ففيها الاعتراف بأنه لا صانع غير الله، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً، فمعناها: لا حركة, ولا استطاعة, ولا حيلة إلا بمشيئة الله

٢٠٤٤ انظر: ((شرح صحيح مسلم)) للنووي (١٧/٤١).

٢٠٤٥ ((الكشف والبيان)) للثعلبي (١٠/٢١٣)، و ((زاد المسير)) (٩/١٤٠)، و ((تفسير البغوي)) (٨/٤٣٨).

٢٠٤٦ رواه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

٢٠٤٧ رواه البخاري (٤٠٢٥) بلفظ: ((ألا أدلك على كلمة)) بدلاً من ((ألا أدلك على كنز))، ومسلم (٢٧٠٤).



تعالى[٢٠٤٨] وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل: ((**لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونته**))[٢٠٤٩]، وحكي هذا **عن ابن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، وكله متقارب، والكنز هنا: معناه ثواب مدخر في الجنة عند الله وهو ثواب نفيس [٢٠٥٠].

فهذه مراتب القدر وأركانه الأربعة التي يجب على العبد أن يؤمن بها حتى يكون مؤمنًا بالقدر.

وقد يقسم بعض العلماء مراتب القدر إلى درجتين:

فقد قسم **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)**: "الإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين" - بين فيه مراتب القدر الأربع التي هي:(العلم والكتابة والمشيئة والخلق).

فذكر هنا مراتب القدر، وجمع هنا بين مرتبتين؛ مرتبة العلم ومرتبة الكتابة؛ باعتبار أنهما متلازمتان، كما أنه بالدرجة الثانية جمع بين الخلق والمشيئة، فالقسمة إما ثنائية وإما رباعية، فإذا قلت: رباعية، فتقول: (العلم، الكتابة، الخلق، المشيئة).

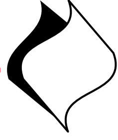
وإذا قلت ثنائية، فتقول: (العلم، الكتابة)، أي: علم سبحانه وتعالى ذلك وكتبه، ثم خلقه وشاءه.

فقال: «الإيمان بالقدر على درجتين؛ كل درجة تتضمن شيئين:

٢٠٤٨ انظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٥/٢٤٣)، ((لسان العرب)) (١١/١٨٤) مادة: (حول).

٢٠٤٩ رواه البزار (٥/٣٧٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١/٤٤٦) (٦٦٤)، والديلمي (٥/٣٧٥) (٨٤٧٨). بلفظ: ((إلا بعون الله)) بدلاً من ((إلا بمعونته)). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/١٠٢): رواه البزار بإسنادين أحدهما: منقطع وفيه عبد الله بن خراش، والغالب عليه الضعف، والآخر: متصل حسن، وقال الحسيني في ((البيان والتعريف)) (٢/٢٨٩): سنده لا بأس به.

٢٠٥٠ ((شرح صحيح مسلم)) للنووي (١٧/٢٦-٢٧)، وانظر: ((عمدة القاري)) للعيني (٢٣/١٥٤).



فالدرجة الأولى: الإيمان بالعلم والكتابة»؛ فالله– تعالى علم الأشياء قبل كونها، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما أخبر– مثلا– عن شأن أهل النار فقال: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} [الأنعام: الآية: ٢٨]؛ فلو ردوا إلى الدنيا فسيكون منهم عودة إلى ما نهاهم الله عنه، وهذا لا يكون، ولكنه لو كان فسيكون بهذه الحال، فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل كونها، وهو عليم بها أثناء كونها، وعليم بما سيكون، وعليم بما لم يكن لو كان كيف يكون، فسبحان من وسع علمه كل شيء!

فهو عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا؛ ونحن نؤمن أن الله متصف بجميع الصفات أزلا وأبدا.

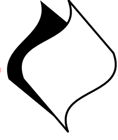
المسألة السادسة: مواقف المخالفين من مراتب القدر

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الناس قد تنازعوا في القدر، وخاضوا فيه بغير علم، وهذا باب عظمت فيه الفتنة، وكثر فيه النزاع، وما يصيب الإنسان من الحيرة والضلال، إلا من جهة الجهل بالقدر". [٢٥٥١].

قال ابن أبي العز–رحمه الله–(ت: ٧٩٢ هـ): "وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة مسألة القدر، وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع". [٢٥٥٢]

[٢٥٥١]() (مجموع الفتاوى، ٨/٢٦٢).

[٢٥٥٢]() شرح العقيدة الطحاوية ص: ١/ ٣٤٠.



وقد حدثت بدعة "القدرية" في آخر عصر الصحابة. [(٢٥٥٣)]. وكان القدر قد حدث أهله قبل أهل النفي للصفات، فمقالة القدر ظهرت في خلافة عبد الله الزبير–رضي الله عنه–(٦٤–٧٣هـ) بعد موت معاوية. [(٢٥٥٤)]

ولهذا تكلم فيهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع. [(٢٥٥٥)] –رضي الله عنهم–.

وابن عباس–رضي الله عنهما–مات (٦٨هـ) قبل ابن الزبير وابن عمر مات عقب موته (٧٤هـ). وعقب ذلك تولى الحجاج العراق سنة بضع وسبعين، فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز، والشام، والعراق، وأكثره كان بالشام والعراق بالبصرة، وأقله كان بالحجاز. [(٢٥٥٦)]

وأول من عرف بنفي القدر، رجل مجوسي يقال سيسويه من الأساورة، وإن كان قد اشتهر أن أول من قال به معبد الجهني. [(٢٥٥٧)]

قال الهروي–رحمه الله–(ت: ٤٨١ هـ): "فأما القدر فأول من تكلم به معبد الجهني رجل من أهل البصرة، كان عنده حظ من العلم يقال له معبد بن خالد، ويقال معبد ابن عبد الله بن عويم، مات بعد الهزيمة وكان يومئذ مع ابن الأشعث، وأصابته جراحة، وهو أول من تكلم بالقدر، وهو الذي تبرأ منه عبد

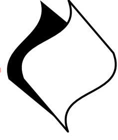
[٢٥٥٣]() منهاج السنة ١/٣٠٨.

[٢٥٥٤]() الحسنة والسيئة ص١٠٣.

[٢٥٥٥]() منهاج السنة ص١٠٣.

[٢٥٥٦]() الحسنة السيئة ص١٠٣.

[٢٥٥٧]() تهذيب التهذيب ١٠/٢٢٥.



الله بن عمر بن الخطاب. [٢٠٥٨] مات قبل التسعين [٢٠٥٩] قتله الحجاج بن يوسف وقيل صلبه عبد الملك بن مروان سنة ثمانين". [٢٠٦٠]

وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد الجهني [٢٠٦١]

قال الهروي–رحمه الله–(ت: ٤٨١ هـ): "فتكلم عليه عمرو بن عبيد، وجادل به غيلان بن مسلم الدمشقي (ت: ١٠٦ هـ) وغيلان هو ابن أبي غيلان أبو مروان من موالي عثمان، وكان عنده حظ من العلم، تكلم به أيام عبد الملك بن مروان–رحمه الله–(ت: ٨٦ هـ)، واستتابه عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ)، ثم ظهر منه تكذيب التوبة [٢٠٦٢] زمن يزيد بن عبد الملك–رحمه الله–(ت: ١٠٥ هـ)، ثم لما ولى هشام بن عبد الملك سنة (١٠٦هـ)، أرسل إلى غيلان وأحضر له الأوزاعي لمناظرته، ثم قتله [٢٠٦٣] فصلب على باب الشام بأخزى حالة لقيها بشر". [٢٠٦٤]

"وأما عمرو بن عبيد فهو عمرو بن كيسان أبو عثمان مولى بني تميم البصري، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة في طريق مكة فإنه أول من بسط أساسه فأصبح رأسه، ونظم له كلامًا ونصبه إمامًا، ودعا إليه ودل عليه، فصار مذهبًا يسلك، وهو إمام الكلام وداعية الزندقة الأولى رأس المعتزلة، سموا به لاعتزاله حلقة الحسن البصري–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي–رحمه

[٢٠٥٨]() ذم الكلام ص٣٠٣.

[٢٠٥٩]() سير أعلام النبلاء ٤/١٨٧.

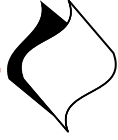
[٢٠٦٠]() تهذيب التهذيب ١٠/٢٢٥، سير أعلام النبلاء ٤/١٨٧.

[٢٠٦١]() سير أعلام النبلاء ٤/١٨٧.

[٢٠٦٢]() ذم الكلام ص٣٠٣.

[٢٠٦٣]() الشريعة للآجري ص٢٢٨، التنبيه والرد للملطي ص١٦٨.

[٢٠٦٤]() ذم الكلام ص٣٠٣.



الله–(ت: ١٧٩ هـ)، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة–رحمه الله–(ت: ١٥٠ هـ)، وحذر منه إمام أهل الشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ)، فسلط الله عليه وعلى من استتبع واخترع، سيفاً من سيوف الإسلام وهو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني–رحمه الله–(ت: ١٣١ هـ)، فهتك استاره، وأظهر عواره، ورسمه باللعنة وألحق به بلاء تلك الفتنة". [٢٥٦٥]

فقد تلقَّف المعتزلة مقالة القدرية حتى بعد ذلك أصبح إذا قيل: القدرية، فإن الذي يعنى بذلك هم المعتزلة في ذلك الحين.

ونفاة القدر أرادوا منازعة الله في الربوبية فضاهوا بذلك المجوسية الأولى وهم الزنادقة. [٢٥٦٦]

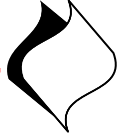
وأصل بدعة القدرية كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع؛ وكانوا قد آمنوا بدين الله وآمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه، وظنوا أيضاً أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يفسد.

فلما بلغ قولهم بإنكار القدر الصحابة أنكروه إنكاراً عظيماً وتبرؤا منهم. ثم كثر الخوض في القدر فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين.

١– "النفاة": يقولون لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد.

[٢٥٦٥] () ذم الكلام ص٣٠٣.

[٢٥٦٦] () ذم الكلام ص٣٠٥.



٢- "المجبرة" كالجهم بن صفوان (ت: ١٢٨ هـ) وأمثاله، قابلوا الفريق الأول فقالوا ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة، وقالوا العبد لا فعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط. [٢٥٦٧]

أولًا: الموقف من مرتبة العلم والكتابة.

والقدرية [٢٥٦٨] ينقسمون إلى قسمين:

القدرية الأولى

وهؤلاء هم الغلاة الذين أنكروا القدر وأنكروا علم الله السابق بالأمور، "فيقولون إن الله لا يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها، ولا تعلقت بها مشيئة الله، فلما شنع عليهم المسلمون، وكفروهم بذلك: تحولوا عن قولهم الأول فأثبتوا العلم، وأنكروا القدر.

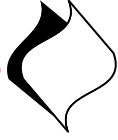
قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فهذا التقدير- أي: تقدير العلم والكتابة- قد كان ينكره غلاة القدرية قديما، ويقولون: إن الأمر أنف؛ أي: أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها". [٢٥٦٩].

فغلاة القدرية يقولون والعياذ بالله-: إن الله لا يعلم أن العبد سيعمل هذا العمل إلا عند وقوعه. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. والله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء أزلا

[٢٥٦٧] () مجموع الفتاوى ١٣/٣٧،٣٦.

[٢٥٦٨] () سموا بالقدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضاً، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص (١/ ٧٩)، و (٢/ ٧٩٧)، معجم ألفاظ العقيدة ص ٣١٦..

[٢٥٦٩] () شرح العقيدة الواسطية ص: ٢١٩.



ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، وغيره، يقولون: "ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروا العلم كفروا، وإن اعترفوا به خصموا". [٢٥٧٠]

قال حافظ حكمي-رحمه الله-(ت: ١٣٧٧ هـ): "ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات". [٢٥٧١]

قال النووي -رحمه الله-(ت: ٦٧٦ هـ): "واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله-تبارك وتعالى- قدر الأشياء في القدم، وعلم- سبحانه- أنها ستقع في أوقات معلومة عنده -سبحانه وتعالى-، وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها -سبحانه وتعالى-، وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه -سبحانه وتعالى- لم يقدرها، ولم يتقدم علمه -سبحانه وتعالى- بها، وأنها مستأنفة العلم، أي: إنما يعلمها- سبحانه- بعد وقوعها، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا.

وسميت هذه الفرقة قدرية؛ لإنكارهم القدر؛ قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، لكن يقولون: الخير من الله، والشر من غيره". [٢٥٧٢]

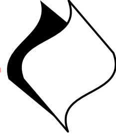
والنصوص في العلم والكتابة- بحمد الله تعالى- كثيرة وواضحة في الدلالة على هاتين المرتبتين: العلم والكتابة، كما تقدم ذكرهما.

ثانيًا: الموقف من مرتبة الخلق والمشيئة.

[٢٥٧٠]() الدرة البهية شرح القصيدة التائية ص ٢٠، مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٠).

[٢٥٧١]() معارج القبول (٣/ ٩٤٥).

[٢٥٧٢]() «شرح النووي على مسلم» (١/ ١٥٤).



قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وأما الدرجة الثانية فهي مشيئته النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه– سبحانه– على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات؛ فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي –صلى الله عليه وسلم– مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها". (٢٥٧٣)

فالقدرية الثانية:

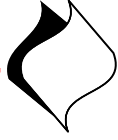
زعموا "أن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم، لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات، وأوصافها، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردها ولم يشأها منهم، بل: هم الذين أرادوها وشاءوها، وفعلوها، استقلالاً بدون مشيئة الله" (٢٥٧٤).

"فهؤلاء يقولون أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها، وهذا هو مذهب المعتزلة ومن وافقهم، فهم ينكرون مرتبتي المشيئة والخلق، فينفونها عن الله تعالى، ويثبتونها للإنسان" (٢٥٧٥).

٢٥٧٣() شرح العقيدة الواسطية ٢٢٠–٢٢١.

٢٥٧٤() الدرة البهية شرح القصيدة التائية ص ١٧.

٢٥٧٥() القضاء والقدر لعبد الرحمن المحمود (ص: ٣٠٥).



وافترقت القدريَّة إلى عشرين فرقة، وهذه أسماؤها: الواصلية، والعمرية، والهذلية، والنظامية، والمردارية، والمعمرية، والثمامية، والجاحظية، والخياطية، والشحامية، وأصحاب صالح قبة، والمريسية، والكعبية، والجبائية، والبهشيمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبائي". (٢٥٧٦).

وابن تيمية–رحمه الله–يشير هنا إلى كل من القدرية والجبرية

وقد ضَـلَّ في هذا الباب (باب أفعال الله) الجبريةُ والقدريةُ، وما زال إلى يوم الناس هذا مَن يَخبط فيه بين قائل بأن العبد مجبر على أفعاله، وبين قائل بأن العبد لا فِعل له ولا اختيار، وإنما هو كالريشـة في مَهَبِّ الرِّيح، وأهل السنة والجماعة وسطٌ بين هذا وذاك.

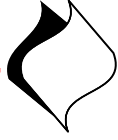
وقد أوضَـح **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)**: هذا في «مَجموع الفَتاوى» قول أهل السـنة فقال: "وهم في باب خَلقِ الله وأمرِهِ وسـطٌ بين المكذِّبين بقُدرة الله الذين لا يُؤمنون بقُدرتِه الكاملة ومَشِـيئته الشـاملة وخَلقِهِ لكل شـيء، وبين المفسـدين لدِين الله الذين يَجعلون العبدَ ليس له مَشِـيئةٌ ولا قُدرة ولا عمل، فيُعطِّلون الأمر والنهي والثوابَ والعقاب، فيَصِـيرون بمَنزِلة المشـركين الذين قالوا: {لَوْ شَـاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ} [الأنعام: الآية: ١٤٨].

فيُؤمن أهل السُّـنَّة بأنَّ الله على كل شـيء قدير، فيَقدر أن يهدي العبادَ ويُقلِّب قلوبَهم، وأنه ما شـاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في مُلكِهِ ما لا يُريد، ولا يَعجَز عن إنفاذ مُرادِه، وأنه خالِق كلِّ شـيء من الأعيان والصِّفات والحَرَكات. ويُؤمنون أن العبدَ له قُدرة ومشيئة وعملٌ، وأنه مُختار ولا يُسمُّونه مَجْبورًا؛ إذ المجْبور مَن أُكْرِه على خلاف اختِياره، والله عز وجل جعَل العبدَ مُختارًا لِمَا يفعله، فهو مختارٌ مُريد، والله خالِقُه وخالِقُ اختياره، وهذا ليس له نَظِيرٌ؛ فإن الله ليس كمثله شـيءٌ، لا في ذاتِه ولا في صـفاته ولا في أفعاله". (٢٥٧٧)

وقال عبد الرحمن بن ناصر بن سِّعْدي–رحمه الله–(ت: ١٣٧٦ هـ): "وهدَى الله أهلَ السُّنَّة والجَمَاعَة للتوسُّط بين طائفتين منحرفتينِ هم القدرية والجبرية، فآمَنوا بقضاء الله وقدَره وشُمولهما للأعيان والأوصاف والأفعال التي مِن جُملتِها أفعالُ المكلَّفين وغيرهم، وآمَنوا بأنه ما شاء اللهُ كان وما لم يشأ لم يكُن، وآمنوا مع

٢٥٧٦() الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي (ص: ٤٤).

(٢٥٧٧) «مَجموع الفَتاوى» (٣/٣٧٣، ٣٧٤).



ذلك بأن الله تعالى جعَل للعِباد قُدرة وإرادة تقَعُ بها أقوالُهم وأفعالهم على حسب اختِيارهم وإرادتهم، فآمَنوا بكلِّ نصٍّ فيه تعميمُ قدرة ومشيئة، وبكلِّ نصٍّ فيه إثباتُ أنَّ العباد يعملون ويفعلون كلَّ الأفعال الكبيرة والصغيرة بإرادتهم وقُدْرَتِهم، وعَلِموا أن الأمرينِ لا يَتنافيانِ". (٢٠٧٨).

وبهذا يتبين أن الملازمة الفاسدة إنما هي في أذهان وعقيدة القدرية إذ لا تنافي بين مشيئة الله ومشيئة العبد في معتقد أهل السنة والجماعة.

[الخير والشر]

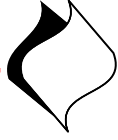
قال المصنف–رحمه الله–:

"ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره، لا مرد لهما، ولا محيص ولا محيد عنهما، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له. لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا. على ما ورد به الخبر عن عبد الله بن عباس عن النبي–صلى الله عليه وسلم–، وقال الله–عز وجل–: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ} [يونس: الآية: ١٠٧].

[الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره]

الشرح:

(٢٠٧٨) «التنبيهات اللطيفة» (ص٦١، ٦٢).



قول المصنف: **"ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره، لا مرد لهما، ولا محيص ولا محيد عنهما"**

في هذا النص مسائل:

المسألة الأولى: ورود هذا النص في ألفاظ الشرع.

هذا اللفظ ورد في قوله صلى الله عليه وسلم عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان: ((**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)). [٢٥٧٩]

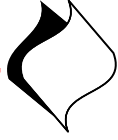
والحديثُ دَلَّ دلالةً ظاهرةً على مذهبِ أهلِ السنَّةِ في إثباتِ القَدَرِ ووجوبِ الإيمانِ بجميعِ المقادير: خيرِها وشرِّها، حُلْوِها ومُرِّها، نَفْعِها وضرِّها، قليلِها وكثيرِها، وأنه واقعٌ مِن الله ــ تعالى ــ على العباد في الوقت الذي أراد أَنْ يَقَعَ، لا يَتقدَّمُ الوقتَ ولا يَتأخَّرُ على ما سَبَقَ بذلك في علمِ الله، تجري الواقعاتُ بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه، وتحت تصرُّفه وإرادته؛ فما شاءَ كان وما لم يَشَأْ لم يكن، وما أصابَ العبدَ لم يكن لِيُخْطِئَه وما أَخطأَهُ لم يكن لِيُصيبَه، وما تَقَدَّمَ لم يكن لِيتأخَّرَ وما تأخَّرَ لم يكن لِيَتَقدَّمَ؛ فلا مانِعَ لِمَا أعطى ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، ولا يكون في مُلْكِهِ إلَّا ما يُرِيدُ، وهو ـ سبحانه ـ غيرُ ظلَّامٍ للعبيد.

وجاء في لفظ: ((**أن تؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره**)). بزيادة حلوه ومره، قد جاءت في عدة أحاديث:

فمنها حديث عمر الطويل في قصة جبريل، وأصل الحديث في الصحيح، ولكن هذه الزيادة عند ابن حبان. [٢٥٨٠]

٢٥٧٩ رواه مسلم (٨).

٢٥٨٠ رواه ابن حبان في صحيحه، (١ / ٣٩٠)، مِن حديثِ عبد الله بنِ عمر عن أبيه رضي الله عنهما. وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان: ١٦٨ –صحيح.



وحديث ابن عمر عند ابن أبي شـيبة [٢٥٨١] والبيهقي والطبراني، والسـنة لابن أبي عاصـم.[٢٥٨٢] وكذلك في حديث جبريل الطويل، وحديث عبد الله بن عمرو عند الطبراني في الأوســـط[٢٥٨٣]، وحديث عدي بن حاتم عند ابن ماجه[٢٥٨٤]، وحديث أنس عند ابن النجار[٢٥٨٥].

المسألة الثانية: معنى عبارة "خيره وشره وحلوه ومره".

وقال ابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "إنها من باب التقرير بالإبدال، يعني أنها وردت لتأكيد المعنى". [٢٥٨٦]

ويمكن أن يقال: إن لفظ خيره وشـــره أعم من حلوه ومره، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام، وذلك لأن الخير قد يكون مراً، والشـــر قد يكون حلواً، قال تعالى : {وَعَسَـــى أَنْ تَكْرَهُوا شَـيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} [البقرة: الآية: ٢١٦].

وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "الفرق بين كون القدر خيرا شرا وكونه حلوا ومرا قيل الحلاوة والمرارة تعود إلى مباشرة الأسباب في العاجل، والخير والشر يرجع إلى حسن العاقبة وسوئها فهو حلو ومر في مبدأه وأوله، وخير وشر في منتهاه وعاقبته، وقد أجرى الله سبحانه سنته وعادته أن حلاوة الأسباب في العاجل تعقب المرارة في الآجل، ومرارتها تعقب الحلاوة فحلو الدنيا مر الآخرة ومر الدنيا حلو الآخرة، وقد

٢٥٨١ الإيمان لابن أبي شيبة:١١٩، وقال الألباني صحيح ورجاله ثقات لكنه في صحيح مسلم من طرق أخرى.

٢٥٨٢ تخريج كتاب السنة ١٧٢ وقال الألباني: إسناده ضعيف.

٢٥٨٣ المعجم الأوسط للطبراني ٣/ ١١٢، وقال لم يرو هذا الحديث عن مقاتل إلا عمر تفرد به محمد بن يعلى، وأورده ابن الوزير اليماني في العواصم والقواصم: ٦/٢٩٠، وقال: رجاله موثقون.

٢٥٨٤ أخرجه ابن ماجة (٨٧) والطبراني (١٧/ ٨١) (١٨٢)، انظر: مجمع الزوائد: ٩/ ٤٠٦، والحديث فيه عبد الأعلى بن أبي المســاور وهو متروك، وقال الألباني ضـعيف جدًا (ضـعيف ابن ماجة: ١٧) وقال أيضًـا في تخريج كتاب السنة لابن أبي عاصم: ١٣٥ إسناده ضعيف جدًا.

٢٥٨٥ أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٨/ ٢٨٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٠٨)، وأبو طاهر السلفي في الطيوريات (٢٩٧).

٢٥٨٦ فتح الباري: (١/١١٨).

اقتضت حكمته سبحانه أن جعل اللذات تثمر الآلام والآلام تثمر اللذات، والقضاء والقدر منتظم لذلك انتظاما لا يخرج عنه شيء البتة.

والشر مرجعه إلى الآلام وأسبابها، والخير مرجعه إلى اللذات وأسبابها، والخير المطلوب هو اللذات الدائمة، والشر المرهوب هو الآلام الدائمة، فأسباب هذه الشرور وإن اشتملت على لذة ما وأسباب تلك الخيرات وإن اشتملت على ألم ما، فألم تعقبه اللذة الدائمة أولى بالإيثار والتحمل من لذة يعقبها الألم الدائم، فلذة ساعة في جنب ألم طويل كلا لذة وألم ساعة في جنب لذة طويلة كلا ألم[٢٥٨٧]".**المسألة الثالثة**: **مسألة نسبة الشر إلى الله–عز وجل–**.

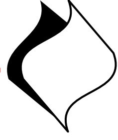
ويجدرُ التنبيهُ والإشارةُ إلى أنَّ وَصْفَ القَدَرِ بالشرِّ واقعٌ في مفعولات الله –تعالى–ومقدوراتِهِ المُنْفَصِلةِ عنه التي لا يَتَّصِفُ بها، دون أفعاله القائمةِ به؛ فأفعالُ الله –تعالى–كُلُّها خيرٌ وحكمةٌ؛ ولهذا قال صلَّى الله عليه وسلَّم :((وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ))[٢٥٨٨]

وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "معنى قول السلف من أصول الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره...أن القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته وذلك خير محض وكمال من كل وجه فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر ويكون شرا بالنسبة إلى محل وخيرا بالنسبة إلى محل آخر وقد يكون خيرا بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه، بل هذا هو الغالب.

وهذا كالقصاص وإقامة الحدود وقتل الكفار فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه، بل من وجه دون وجه وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض وكذلك الآلام والأمراض وإن كانت شرورا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة...

٢٥٨٧ شفاء العليل لابن القيم – ٢/٧٣٣.

٢٥٨٨ جزءٌ مِن حديثٍ رواهُ مسلمٌ في "صلاة المسافرين وقَصْرِها"٦ /٥٧ ــ ٦٠ (بابُ صلاةِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ودعائِه في الليل، مِن حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه.



فالخير والشر من جنس اللذة والألم والنفع والضرر وذلك في المقضي المقدر لا في نفس صفة الرب وفعله القائم به فإن قطع يد السارق شر مؤلم ضار له وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدل خير وحكمة ومصلحة...

في امتناع إطلاق القول نفيا وإثباتا أن الرب تعالى مريد للشر وفاعل له هذا موضع خلاف اختلف فيه مثبتو القدر ونفاته:

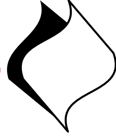
فقال النفاة: لا يجوز أن يقال إن الله سبحانه مريد للشر أو فاعل له قالوا لا يريد الشر وفاعله شرير هذا هو المعروف لغة وعقلا وشرعا كما أن الظالم فاعل الظلم والفاجر فاعل الفجور ومريده والرب يتعالى ويتنزه عن ثبوت معاني أسماء السوء له فإن أسمائه كلها حسنى وأفعاله كلها خير فيستحيل أن يريد الشر فالشر ليس بإرادته ولا بفعله قالوا وقد قام الدليل على أن فعله سبحانه غير مفعوله والشر ليس بفعل له فلا يكون مفعولا له.

وقابلهم الجبرية فقالوا: بل الرب سبحانه يريد الشر ويفعله قالوا لأن الشر موجود فلا بد له من خالق ولا خالق إلا الله وهو سبحانه إنما يخلق بإرادته فكل مخلوق فهو مراد له وهو فعله ووافقوا إخوانهم على أن الفعل عين المفعول والخلق نفس المخلوق ثم قالوا والشر مخلوق له ومفعول فهو فعله وخلقه وواقع بإرادته قالوا وإنما لم يطلق القول إنه يريد الشر ويفعل الشر أدبا لفظيا فقط كما لا يطلق القول بأنه رب الكلاب والخنازير ويطلق القول بأنه رب كل شيء وخالقه قالوا وأما قولكم إن الشرير مريد الشر وفاعله فجوابه من وجهين:

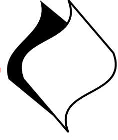
أحدهما: إنما يمنع ذلك بأن الشرير من قام به الشر وفعل الشر لم يقم بذات الرب فإن أفعاله لا تقوم به إذ هي نفس مفعولاته وإنما هي قائمة بالخلق وكذلك اشتقت لهم منها الأسماء كالفاجر والفاسق والمصلي والحاج والصائم ونحوها.

الجواب الثاني: أن أسماء الله تعالى توقيفية ولم يسم نفسه إلا بأحسن الأسماء قالوا والرب تعالى أعظم من أن يكون في ملكه مالا يريده ولا يخلقه فإنه الغالب غير المغلوب.

وتحقيق القول في ذلك: أنه يمتنع اطلاق إرادة الشر عليه وفعله نفيا وإثباتا في إطلاق لفظ الإرادة والفعل من إيهام المعنى الباطل ونفي المعنى الصحيح فإن الإرادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى المحبة والرضا فالأول كقوله إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ وقوله :وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ وقوله : {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً} [الإسراءك



الآية: ١٦]، والثاني: كقوله: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} [النساء: الآية: ٢٧]، وقوله: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: الآية: ١٨٥]، فالإرادة بالمعنى الأول تستلزم وقوع المراد ولا تستلزم محبته والرضا به وبالمعنى الثاني لا تستلزم وقوع المراد وتستلزم محبته فإنها لا تنقسم بل كل ما أراده من أفعاله فهو محبوب مرضي له ففرق بين إرادة أفعاله وإرادة مفعولاته فإن أفعاله خير كلها وعدل ومصلحة وحكمة لا شر فيها بوجه من الوجوه وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام وهذا إنما يتحقق على قول أهل السنة أن الفعل غير المفعول والخلق غير المخلوق كما هو الموافق للعقول والفطر واللغة ودلالة القرآن والحديث وإجماع أهل السنة كما حكاه البغوي في شرح السنة عنهم وعلى هذا فهاهنا إرادتان ومرادان إرادة أن يفعل ومرادها فعله القائم به وإرادة أن يفعل عبده ومرادها مفعوله المنفصل عنه وليسا بمتلازمين فقد يريد من عبده أن يفعل ولا يريد من نفسه إعانته على الفعل وتوفيقه له وصرف موانعه عنه كما أراد من إبليس أن يسجد لآدم ولم يرد من نفسه أن يعينه على السجود ويوفقه له ويثبت قلبه عليه ويصرفه إليه ولو أراد ذلك منه لسجد له لا محالة وقوله فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ إخباره عن إرادته لفعله لا لأفعال عبيده وهذا الفعل والإرادة لا ينقسم إلى خير وشر كما تقدم وعلى هذا فإذا قيل هو مريد للشر أوهم أنه محب له راض به وإذا قيل أنه لم يرده أوهم أنه لم يخلقه ولا كونه وكلاهما باطل ولذلك إذا قيل أن الشر فعله أو أنه يفعل الشر أوهم أن الشر فعله القائم به وهذا محال وإذا قيل لم يفعله أو ليس بفعل له أوهم أنه لم يخلقه ولم يكونه وهذا محال فأنظر ما في إطلاق هذه الألفاظ في النفي والإثبات من الحق والباطل الذي يتبين بالاستفصال والتفصيل وأن الصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الرب تعالى لا وصفا ولا فعلا ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم كقوله تعالى {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق: الآيات: ١-٢] فما هاهنا موصولة أو مصدرية والمصدر بمعنى المفعول أي من شر الذي خلقه أو من شر مخلوقه وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمني الجن {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن: الآية: ١٠]، وقد يسند إلى محله القائم به كقول إبراهيم الخليل {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء: الآيات: ٧٨-٨٠]، وقول الخضر {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف: الآية: ٧٩}، وقال في بلوغ الغلامين {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} [الكهف: الآية: ٨٢] وقد جمع الأنواع الثلاثة في الفاتحة في قوله {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: الآيات: ٦-٧]، والله



تعالى إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر فقال تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: الآية: ٢٦]، وأخطأ من قال المعنى بيدك الخير والشر لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف، بل ترك ذكره قصدا أو بيانا أنه ليس بمراد.

الثاني: أن الذي بيد الله تعالى نوعان فضل وعدل كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((**يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع**)). [٢٥٨٩] فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى وكلاهما خير لا شر فيه بوجه.

الثالث: أن قول النبي صلى الله عليه وسلم :((**لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك**)). [٢٥٩٠] كالتفسير للآية ففرق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه وقطع إضافة الآخر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شيء.[٢٥٩١]

المسألة الثالثة: معنى قول المصنف: "بقضاء الله وقدره، لا مرد لهما، ولا محيص ولا محيد عنهما".

الشرح: وفيه أمور:

الأمر الأولى: الفرق بين القضاء والقدر.

تعددت الأقوال في الفرق بين القضاء والقدر:

القول الأول: ذهب بعض العلماء إلى أن القضاء والقدر مترادفان.

وهذا موافق لقول بعض أئمة اللغة الذين فسروا القدر بالقضاء.

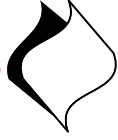
قال الفيروزآبادي –رحمه الله–(ت: ٨١٧ هـ): "القدر: "القضاء والحكم". [٢٥٩٢]

٢٥٨٩ رواه البخاري (٧٤١١)، ومسلم (١٩٣).

٢٥٩٠ رواه مسلم (٧٧١).

٢٥٩١ المصدر: شفاء العليل لابن القيم – ٢/٧٣٣.

٢٥٩٢ "القاموس" المحيط (ص ٥٩١).



القول الثاني: وذهب آخرون من العلماء إلى التفريق بينهما.

ولكن اختلفوا في أيهما أعم وأسبق

فمنهم من ذهب إلى أن القضاء سابق على القدر.

فقال:

القضاء: هو ما علمه الله وحكم به في الأزل.

والقدر: هو وجود المخلوقات موافقة لهذا العلم والحكم.

قال ابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "قال العلماء:

القضاء: هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل.

والقدر: جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله". [٢٥٩٣]

وقال في موضع آخر: "

القضاء: الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل.

والقدر: الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل". [٢٥٩٤]

وقال الجرجاني–رحمه الله–(ت: ٨١٦ هـ): "

القدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحدا بعد واحد، مطابقا للقضاء.

والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال.

والفرق بين القدر والقضاء: هو أن

القضاء: وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة.

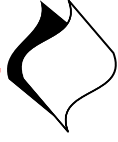
والقدر: وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها". [٢٥٩٥]

ومن العلماء فريق آخر عكس هذا القول، فجعلوا القدر سابقا على القضاء:

٢٥٩٣ "فتح الباري" (٤٧٧/١١)

٢٥٩٤ (١٤٩/١١).

٢٥٩٥ "التعريفات" (ص١٧٤).



فالقدر: هو الحكم السابق الأزلي.

والقضاء: هو الخلق.

قال الراغب الأصفهاني–رحمه الله–(ت: ٥٠٢ هـ): "والقضاء من الله تعالى أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، **فالقدر** هو التقدير، **والقضاء** هو الفصل والقطع.

وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعَدِّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل، ويشهد لذلك قوله تعالى: **{وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا}** [مريم: الآية: ٢١]، وقوله: **{كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}** [مريم: الآية: ٧١]، وقوله: **{وَقُضِيَ الأَمْرُ}** [هود: الآية: ٤٤]. أي فصل، تنبيهًا أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه ". [٢٥٩٦]

القول الثالث: ومن العلماء من اختار أنهما بمعنى واحد إذا افترقا، فإذا اجتمعا في عبارة واحدة: صار لكل واحد منهما معنى.

قال ابن عثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ): "

القدر في اللغة؛ بمعنى: التقدير؛ قال تعالى: **{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}** [القمر: الآية: ٤٩]، وقال تعالى: **{فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}** [المرسلات: الآية: ٢٣].

وأما القضاء؛ فهو في اللغة: الحكم.

ولهذا نقول: إن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا؛ على حد قول العلماء: هما كلمتان: إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا.

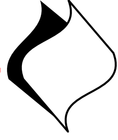
فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعًا؛ فلكل واحد منهما معنى.

فالتقدير: هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه.

وأما القضاء؛ فهو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقًا.

فإن قال قائل: متى قلنا: إن القضاء هو ما يقضيه الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وإن القدر سابق عليه إذا اجتمعا؛ فإن هذا يعارض قوله تعالى: **{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}** [الفرقان: الآية: ٢]؛ فإن هذه الآية ظاهرها أن التقدير بعد الخلق؟

٢٥٩٦ "المفردات" (ص٦٧٥).



فالجواب على ذلك من أحد وجهين:

إما أن نقول: إن هذا من باب الترتيب الذكري لا المعنوي، وإنما قدم الخلق على التقدير لتتناسب رؤوس الآيات.

ألم تر إلى أن موسى أفضل من هارون، لكن قدم هارون عليه في سورة طه في قوله تعالى عن السحرة: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} [طه: الآية: ٧٠]؛ لتتناسب رؤوس الآيات.

وهذا لا يدل على أن المتأخر في اللفظ متأخر في الرتبة.

أو نقول: إن التقدير هنا بمعنى التسوية؛ أي: خلقه على قدر معين؛ كقوله تعالى: **{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى}** [الأعلى: الآية: ٢]؛ فيكون التقدير بمعنى التسوية.

وهذا المعنى أقرب من الأول؛ لأنه يطابق تمامًا لقوله تعالى: **{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى}**؛ فلا إشكال". [٢٥٩٧]

والخلاصة: أن الخطب في هذه المسألة يسير جدا، وليس وراءها كبير فائدة، ولا تتعلق بعمل ولا اعتقاد، وغاية ما فيها اختلاف في التعريف، ولا دليل من الكتاب والسنة يفصل فيها، والمهم هو الإيمان بهذا الركن العظيم من أركان الإيمان، والتصديق به.

قال الخطابي رحمه الله بعد أن ذكر أن القدر هو التقدير السابق وأن القضاء هو الخلق، قال: "جماع القول في هذا الباب –أي القضاء والقدر–أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه". [٢٥٩٨] انتهى.

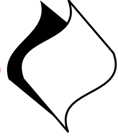
وقال الشيخ عبد الرحمن المحمود: "لا فائدة من هذا الخلاف؛ لأنه قد وقع الاتفاق على أن أحدهما يطلق على الآخر... فلا مشاحة من تعريف أحدهما بما يدل عليه الآخر". [٢٥٩٩].

وعلى المسلم أن يتيقن أن كل شيء بقضاء الله وقدره، فالآجال والأعمار والذوات والأشخاص والصفات والحركة والسكون والأفعال وكل شيء قد قضاه الله وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ، قال تعالى: **{وَعِنْدَهُ**

٢٥٩٧ "شرح العقيدة الواسطية" (١٨٩/٢).

٢٥٩٨ "معالم السنن" (٣٢٣/٢)

٢٥٩٩ "القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة" (ص ٤٤).



مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: الآية:٥٩].

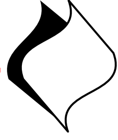
فلا بد للمسلم أن يؤمن بقضاء الله وقدره في كل شيء، وأن الله قد علم الأشياء قبل كونها، وكتبها في اللوح المحفوظ، وأراد كل شيء في هذا الوجود قضاءً وقدراً، وخلق كل شيء في هذا الوجود.

الأمر الثاني: أن القدر حجة في المصائب لا في المعائب.

والناس في الشرع والقدر على " أربعة أنواع "

الصنف الأول: فشر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره يستند إليه في الذنوب والمعائب ولا يطمئن إليه في المصائب كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري أي مذهب وافق هواك تمذهبت به.

الصنف الثاني: وبإزاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى: **{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ}** [غافر: الآية: ٥٥]، وقال تعالى: **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}** [الحديد: الآيات: ٢٢ – ٢٣]، وقال تعالى **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [التغابن: الآية: ١١]، قال بعض السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: الآية: ١٣٥]. وقد ذكر الله تعالى عن آدم عليه السلام أنه لما فعل ما فعل قال **{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** [الأعراف: الآية: ٢٣]، وعن إبليس أنه قال {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: الآية: ٣٩]، فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه إبليس.

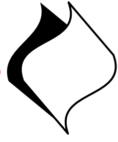


والحديث الذي في الصحيحين في احتجاج آدم وموسى عليهما السلام لما قال له موسى. ((**أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك أسماء كل شيء لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وخط لك التوراة بيده فبكم وجدت مكتوبا علي قبل أن أخلق {وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ} [طه: الآية: ١٢١]، قال: بكذا وكذا سنة قال فحج آدم موسى**)).

وهذا الحديث في الصحيحين من حديث **أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)** وقد روي بإسناد جيد من حديث **عمر–رضي الله عنه–(ت: ٢٣ هـ)**. فآدم عليه السلام إنما حج موسى لأن موسى لامه على ما فعل لأجل ما حصل لهم من المصيبة بسبب أكله من الشجرة لم يكن لومه له لأجل حق الله في الذنب. فإن آدم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى **{فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}** [البقرة: الآية: ٣٧]، وقال تعالى **{ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ}** [طه: الآية: ١٢٢]، وموسى–ومن هو دون موسى–عليه السلام يعلم أنه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب وآدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب وموسى عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذه الحجة فإن هذه لو كانت حجة على الذنب لكانت حجة لإبليس عدو آدم وحجة لفرعون عدو موسى وحجة لكل كافر وفاجر وبطل أمر الله ونهيه؛ بل إنما كان القدر حجة لآدم على موسى لأنه لام غيره لأجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه. وقد قال تعالى: **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}** [التغابن: الآية: ١١].

وقال **أنس–رضي الله عنه–(ت: ٩٣ هـ)**: ((**خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: أف قط ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: لم لا فعلته؟ وكان بعض أهله إذا عاتبني على شيء يقول دعوه فلو قضي شيء لكان**)). [٢٦٠٠]

٢٦٠٠ أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).



وفي الصحيحين **عن عائشة–رضي الله عنها–(ت: ٥٧ هـ)**، قالت **((ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما ولا امرأة ولا دابة ولا شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله))**. [٢٦٠١]

وقد قال صلى الله عليه وسلم **((لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))**. [٢٦٠٢]

ففي أمر الله ونهيه يسارع إلى الطاعة ويقيم الحدود على من تعدى حدود الله ولا تأخذه في الله لومة لائم وإذا آذاه مؤذ أو قصر مقصر في حقه عفا عنه ولم يؤاخذه نظرا إلى القدر.

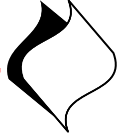
فهذا سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وهذا واجب فيما قدر من المصائب بغير فعل آدمي كالمصائب السماوية أو بفعل لا سبيل فيه إلى العقوبة كفعل آدم عليه السلام فإنه لا سبيل إلى لومه شرعا–لأجل التوبة–ولا قدرا؛ لأجل القضاء والقدر. وأما إذا ظلم رجل رجلا فله أن يستوفي مظلمته على وجه العدل وإن عفا عنه كان أفضل له كما قال تعالى **{وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ}** [المائدة: الآية: ٤٥].

وأما "الصنف الثالث": فهم الذين لا ينظرون إلى القدر لا في المعائب ولا في المصائب التي هي من أفعال العباد بل يضيفون ذلك كله إلى العبد وإذا أساءوا استغفروا وهذا حسن؛ لكن إذا أصابتهم مصيبة بفعل العبد لم ينظروا إلى القدر الذي مضى به عليهم ولا يقولون لمن قصر في حقهم دعوه فلو قضي شيء لكان لا سيما وقد تكون تلك المصيبة بسبب ذنوبهم فلا ينظرون إليها وقد قال تعالى **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [آل عمران: الآية: ١٦٥]، وقال تعالى **{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}** [الشورى: الآية: ٣٠]، وقال

٢٦٠١ أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

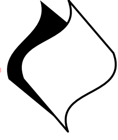
٢٦٠٢ أخرجه البخاري (٣٤٧٥).



تعالى {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ} [الشورى: الآية: ٤٨]. ومن هذا قوله تعالى {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} [النساء: الآية: ٧٨]، {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ} [النساء: الآية: ٧٩]. فإن هذه الآية تنازع فيها كثير من مثبتي القدر ونفاته: هؤلاء يقولون الأفعال كلها من الله لقوله تعالى: {قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ} [النساء: الآية: ٧٨]. وهؤلاء يقولون: الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ} [النساء: الآية: ٧٩]. وقد يجيبهم الأولون بقراءة مكذوبة {فَمِن نَّفْسِكَ} بالفتح على معنى الاستفهام وربما قدر بعضهم تقديرا: أي أفمن نفسك؟ وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى {مَّا أَصَابَكَ} فيقولون: تقدير الآية {فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} [النساء: الآية: ٧٨]، يقولون فيحرفون لفظ القرآن ومعناه ويجعلون ما هو من قول الله–قول الصدق–من قول المنافقين الذين أنكر الله قولهم ويضمرون في القرآن ما لا دليل على ثبوته، بل سياق الكلام ينفيه؛ فكل من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي تنصره.

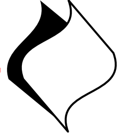
وأما القرآن فالمراد منه هنا بالحسنات والسيئات النعم والمصائب؛ ليس المراد الطاعات والمعاصي وهذا كقوله تعالى: {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [آل عمران: الآية: ١٢٠]، وكقوله: {إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ} [التوبة: الآية: ٥٠]، {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا} [التوبة: الآية: ٥١]، الآية.

ومنه قوله تعالى {وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف: الآية: ١٦٨]، كما قال تعالى: {وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: الآية: ٣٥]، أي بالنعم والمصائب. وهذا



بخلاف قوله **{مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** [الأنعام: الآية: ١٦٠]، وأمثال ذلك فإن المراد بها الطاعة والمعصية وفي كل موضع ما يبين المراد باللفظ فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى إشكال؛ بل هو مبين. وذلك أنه إذا قال: **{مَّا أَصَابَكَ}** [النساء: الآية: ٧٩]، وما {مسك} ونحو ذلك كان من فعل غيرك بك كما قال: **{مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ}** [النساء: الآية: ٧٩]. وكما قال تعالى **{إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ}** [التوبة: الآية: ٥٠]، وقال تعالى **{وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ}** [النساء: الآية: ٧٨].

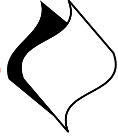
وإذا قال **{مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ}** [الأنعام: الآية: ١٦٠]، كانت من فعله لأنه هو الجائي بها فهذا يكون فيما فعله العبد لا فيما فعل به. وسياق الآية يبين ذلك فإنه ذكر هذا في سياق الحض على الجهاد وذم المتخلفين عنه فقال تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا}** [النساء: الآية: ٧١] وقال تعالى: **{وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا}** [النساء: الآية: ٧٢]، وقال تعالى: **{وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا}** [النساء: الآية: ٧٣]. فأمر سبحانه بالجهاد وذم المثبطين وذكر ما يصيب المؤمنين تارة من المصيبة فيه وتارة من فضل الله فيه كما أصابهم يوم أحد مصيبة فقال: **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [آل عمران: الآية: ١٦٥]. وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره لهم وتأييده كما قال تعالى: **{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ}** [آل عمران: الآية: ١٢٣].ثم إنه سبحانه قال: **{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}** [النساء: الآية: ٧٤] ،**{وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ**



وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ} [النساء: الآية: ٧٥]، -إلى قوله- **{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ}** [النساء: الآية: ٧٩]، فهذا من كلام الكفار والمنافقين إذا أصابهم نصر وغيره من النعم قالوا هذا من عند الله وإن أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من المصائب قالوا: هذا من عند محمد بسبب الدين الذي جاء به، فإن الكفار يضيفون ما أصابهم من المصائب إلى فعل أهل الإيمان.

وقد ذكر نظير ذلك في قصة موسى وفرعون قال تعالى: **{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}** [الأعراف الآية: ١٣٠]، **{فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ}** [الأعراف الآية: ١٣٠]. ونظيره قوله تعالى في سورة يس **{قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ}** [يس الآية: ١٦]، **{وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}** [يس الآية: ١٧] **{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [يس الآية: ١٨]، فأخبر الله تعالى أن الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين فإذا أصابهم بلاء جعلوه بسبب أهل الإيمان وما أصابهم من الخير جعلوه لهم من الله عز وجل فقال تعالى **{فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا}** [النساء الآية: ٧٨]، والله تعالى نزل أحسن الحديث فلو فهموا القرآن لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر أمر بالخير ونهى عن الشر فليس فيما بعث الله به رسله ما يكون سببا للشر بل الشر حصل بذنوب العباد فقال تعالى **{مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}** [النساء الآية: ٧٩]، أي ما أصابك من نصر ورزق وعافية فمن الله نعمة أنعم بها عليك وإن كانت بسبب أعمالك الصالحة فهو الذي هداك وأعانك ويسرك لليسرى ومن عليك بالإيمان وزينه في قلبك وكره إليك الكفر والفسوق والعصيان. وفي آخر الحديث الصحيح الإلهي حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى ((**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**)). [٢٦٠٣] وفي الحديث الصحيح ((**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من**

٢٦٠٣ أخرجه مسلم (٢٥٧٧).



شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من يومه ذلك دخل الجنة ومن قالها إذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة)). [٢٦٠٤] ثم قال تعالى **{وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ}** [النساء الآية: ٧٩]، من ذل وخوف وهزيمة كما أصابهم يوم أحد **{فَمِن نَّفْسِكَ}** أي بذنوبك وخطاياك وإن كان ذلك مكتوبا مقدرا عليك فإن القدر ليس حجة لأحد لا على الله ولا على خلقه، ولو جاز لأحد أن يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات لم يعاقب ظالم ولم يقاتل مشرك ولم يقم حد ولم يكف أحد عن ظلم أحد؛ وهذا من الفساد في الدين والدنيا المعلوم ضرورة فساده للعالم بصريح المعقول المطابق لما جاء به الرسول.

فالقدر يؤمن به ولا يحتج به،

فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس.

ومن احتج به ضارع المشركين.

ومن أقر بالأمر والقدر وطعن في عدل الله وحكمته كان شبيها بإبليس.

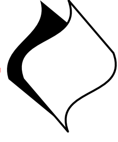
فإن الله ذكر عنه أنه طعن في حكمته وعارضه برأيه وهواه وأنه قال **{بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}** [الحجر: الآية: ٣٩]". [٢٦٠٥]

[لا يصيب المرء إلا ما كتب له].

وقول المصنف: "ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له. لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا. على ما ورد به الخبر عن عبد الله بن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال الله -عز وجل-: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ} [يونس: الآية: ١٠٧]".

٢٦٠٤ أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

٢٦٠٥ مجموع الفتاوى ٨/ ١٠٨ - ١١٥.



الشرح:

وفي هذا النص مسائل

المسألة الأولى: الأدلة في ذلك.

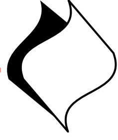
قال تعالى: **{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ۚ هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: الآية: ٥١]**.

قال تعالى: **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: الآية: ٢٢]**.

وعن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، قال: كنتُ خلفَ رسول الله ﷺ يومًا، فقال: ((**يا غلام، إني أُعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يَضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَت الأقلام وجَفَّت الصحف**)) **(٢٦٠٦)**.

قال **عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(٣٤ هـ)** لابنه: يا بُني، إنَّك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((**إنَّ أول ما خَلق اللهُ القلم، فقال له: اكتب. قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كلِّ شيء حتى**

(٢٦٠٦) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٩٣) (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٣٠٢).



تقوم الســـاعة))، يا بُني إني سمعت رســـول الله ﷺ يقول: ((**مَن مات على غير هذا فليس مِنّي**)). (٢٦٠٧)

عن جابر بن عبد الله-**رضـي الله عنه**-(**ت: ٧٤ هـ**)، قال: قال-رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم-: ((**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما اخطأه لم يكن ليصيبه**)). (٢٦٠٨)

عن أنس بن مالك-**رضي الله عنه**-(**ت: ٩٣ هـ**)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه**)). (٢٦٠٩)

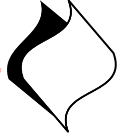
عن عبد الله بن مســعود-**رضــي الله عنه**-(**ت: ٣٢ هـ**)، قال: ثلاث مَن كن فيه يجد حلاوة الإيمان: ترك المراءِ في الحق، والكذب في المزاحة، ويعلم أنَّ ما أصـــابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه". (٢٦١٠)

(٢٦٠٧) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥)، وصـــححه الألباني في «صـــحيح الترمذي» (٢٦٤٥).

(**٢٦٠٨**) أخرجه الترمذي (٢١٤٤) واللفظ له، والطوسي في ((مختصر الأحكام)) (١٦٥٩)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (١٨٨/٤) باختلاف يسير، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٣٩).

(٢٦٠٩) أخرجه ابن أبي عاصم وحسن إسناده الشيخ الألباني في السلسة الصحيحة (٥/ ٥٦٦)، وفي ظلال الجنة برقم (٢٤٧).

(٢٦١٠) مصنف عبد الرزاق ١١/ ٢٠٠ (٢٠٠٨٢).



عن **عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)**، قال: "لا يؤمن العبد حتى يؤمن بالقدر، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولئن أعض على جمرة حتى تطفأ أحب إلي من أن أقول لأمر قضاه الله ليته لم يكن". (٢٦١١)

وعن على بن أبي طالب–رضي الله عنه–(ت: ٤٠ هـ)، قال: "لا يذوق عبد أو لا يجد عبد حلاوة الإيمان أو طعم الإيمان حتى يستيقن يقينا غير ظن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه". (٢٦١٢)

عن أبي حجاج الأزدي، قال: **سألنا سلمان–رضي الله عنه–(ت: ٣٣ هـ)**، عن الإيمان بالقدر قال: "أن يعلم، أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه". (٢٦١٣)

المسألة الثانية: المقصود بهذه العبارة.

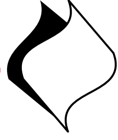
فالله سبحانه وتعالى عالمٌ بكل شيء أزلًا، فمقادير كلِّ شيء حتى قيام السَّاعة قد كُتبت في اللوح المحفوظ.

فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ فهذا سابق في القدر، سابق في علم الله، والنصوص في العلم والكتابة–بحمد الله تعالى–كثيرة وواضحة في الدلالة على هاتين المرتبتين: العلم والكتابة.
والإنسان كما هو مُبتلى بالمصائب مُبتلى كذلك بالنِّعم امتحانًا من الله؛ قال تعالى: **{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء: الآية: ٣٥]**، وقد بَيَّن سليمان عليه السلام ذلك بعد ما استقر عنده عرش ملكة سبأ، كما في قوله تعالى: **{قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: الآية: ٤٠]**.

(٢٦١١) القضاء والقدر للبيهقي ص: ١٩٨ (٢٠٤) وقال: "هذا إسناد صحيح وروي عن عبد الله مرفوعًا".

(٢٦١٢) القضاء والقدر للبيهقي ص: ١٩٩ (٢٠٦).

(٢٦١٣) القضاء والقدر للبيهقي ص: ١٩٩ (٢٠٨).



وعلى العبد أن يرضى ويُسَلِّم بما قَدَّر الله وقَسم من نعم بين خلقه، ويعلم أنَّ الخلق مقهورون مربوبون لله سبحانه؛ قال تعالى: **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: الآية: ٢٦]**.

وقال جل جلاله: **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن: الآية: ١١]**؛ **قال علقمةُ بن قيس–رحمه الله–(ت: ٦٢ هـ)** في تفسيرها: "هو الرجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنها من عند الله فيَرضى ويُسَلِّم". (٢٦١٤)

وقال تعالى: **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: الآية: ٢٢]**؛ فهذا أمر كوني قدري، وعلى الإنسان فيه أن يَرضى ويُسَلِّم.

فإذا أردت أن ينتظم لك التوحيد فعليك بالإيمان بقضاء الله وقدره، يجب أن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وبحمد الله لدى أهل الإيمان هذه النعمة العظمى، الإيمان والرضا بقضاء الله وقدره،

فلدى المسلم كنز من الكنوز التي أعطاها الله عز وجل لأهل الإيمان، بأن الإنسان إذا أصابته مصيبة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، واسترجع وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون وصبر على قضاء الله وقدره، ورضي بقضاء الله عز وجل وقدره، فهذا يعطيه السكينة والطمأنينة في النفس فلا يجزع ولا يسخط ولا يقول قولاً كفرياً ولا يصيبه ما يصيب أولئك الذين ما آمنوا بقضاء الله وقدره.

ولذلك **قال ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**: "القدر نظام التوحيد"(٢٦١٥)

المسألة الثالثة: الفرق بين الصبر والرضا.

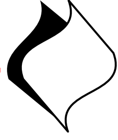
هناك فرق بين الصبر والرضا، فرق في التعريف، وفرق في الحكم. [٢٦١٦]

أما الحكم، فالصبر واجب، بحيث يأثم الإنسان إذا لم يصبر على ما أصابه من مكروه، ويعرض نفسه بهذا لعقوبة الله تعالى.

(٢٦١٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢١).

٢٦١٥ انظر القدر للفريابي صفحة (١٤٣)، وضعفه الشيخ الالباني انظر ضعيف الجامع الصغير صفحة (٦٠٢).

٢٦١٦ المصدر: موقع الإسلام سؤال وجواب.



وأما الرضا، فهو درجة أعلى من الصبر، وهي درجة السابقين بالخيرات، ولذلك كانت مستحبة وليست واجبة، فلا يأثم المسلم إذا لم يصل إليها، غير أنه مطالب بمجاهدة نفسه والشيطان حتى يصل إلى تلك الدرجة العالية.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل: مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب، وقد قيل: إنه واجب، والصحيح أن الواجب هو الصبر". [٢٦١٧]

وقال ابن عثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ): "فما يقع من المصائب يستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب، لكن يجب الصبر عليه". [٢٦١٨]

وأما الفرق بين الصبر والرضا في التعريف، فالصبر هو أن يمنع الإنسان نفسه من فعل شيء، أو قول شيء يدل على كراهته لما قدره الله، ولما نزل به من البلاء، فالصابر يمسك لسانه عن الاعتراض على قدر الله، وعن الشكوى لغير الله، ويمسك جوارحه عن كل ما يدل على الجزع وعدم الصبر، كاللطم وشق الثياب وكسر الأشياء وضرب رأسه في الحائط وما أشبه ذلك.

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "الصبر: حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله، والقلب عن التسخط، والجوارح عن اللطم وشق الثياب ونحوها". [٢٦١٩]

وأما الرضا فهو صبر وزيادة، فالراضي صابر، ومع هذا الصبر فهو راضٍ بقضاء الله، لا يتألم به.

قال ابن عثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ): "الصبر: يتألم الإنسان من المصيبة جدا ويحزن، ولكنه يصبر، لا ينطق بلسانه، ولا يفعل بجوارحه، قابض على قلبه، موقفه أنه قال: "اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها"، "إنا لله وإنا إليه راجعون"... الرضا: تصيبه المصيبة، فيرضى بقضاء الله.

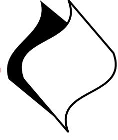
والفرق بين الرضا والصبر: أن الراضي لم يتألم قلبه بذلك أبدًا، فهو يسير مع القضاء ((**إن إصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له**))، ولا يرى الفرق بين هذا وهذا بالنسبة لتقبله لما قدره الله عز وجل، أي إن الراضي تكون المصيبة وعدمها عنده سواء". [٢٦٢٠]

٢٦١٧ مجموع الفتاوى (٦٨٢/١٠).

٢٦١٨ "مجموع فتاوى ابن عثيمين "(٩٢/٢).

٢٦١٩ "عدة الصابرين" (ص/٢٣١).

٢٦٢٠ "مجموع فتاوى ابن عثيمين "(٢٠٦/٣).



ومجرد شعور الإنسان بالضيق وعدم التحمل، وتمنيه أن ما وقع به من الشدة لم يكن وقع. كل هذا لا ينافي الصبر، مادام قد أمسك قلبه ولسانه وجوارحه عن كل ما يدل على الجزع، وما دام لم يعترض على قضاء الله تعالى، بل الصبر في الغالب لا يكون إلا مع هذا الضيق والمشقة والتعب.

وأما الراضي: فلا يجد ذلك الضيق والألم؛ لأنه يعلم أن الله تعالى لن يختار له إلا ما هو خير، فهو يتقلب فيما يختاره الله بنفس راضية مطمئنة.

قال ابن عثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ): "الصبر مثل اسمه مر مذاقه... لكن عواقبه أحلى من العسل فيرى الإنسان أن هذا الشيء ثقيل عليه ويكرهه، لكنه يتحمله ويتصبر، وليس وقوعه وعدمه سواء عنده، بل يكره هذا، ولكن إيمانه يحميه من السخط.

والرضا، وهو أعلى من ذلك، وهو أن يكون الأمران عنده سواء بالنسبة لقضاء الله وقدره، وإن كان قد يحزن من المصيبة؛ لأنه رجل يسبح في القضاء والقدر، أينما ينزل به القضاء والقدر فهو نازل به على سهل أو جبل، إن أصيب بنعمة، أو أُصيب بضدها، فالكل عنده سواء، لا لأن قلبه ميت، بل لتمام رضاه بربه سبحانه وتعالى يتقلب في تصرفات الرب عز وجل، ولكنها عنده سواء، إذ ينظر إليها باعتبارها قضاء لربه". [٢٦٢١]

وهناك درجة أعلى من الرضا وهي درجة الشكر، بأن يشكر الإنسان الله تعالى على ما أصابه من بلاء وشدة، فيرى أن ما أصابه كان نعمة من الله ولذلك يقوم بشكرها.

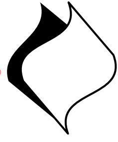
ويصل الإنسان إلى درجة الصبر، ثم الرضا، ثم الشكر بما يأتي:

١–أن ينظر إلى اختيار الله تعالى له، وأن الله لن يختار له إلا الخير.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**)). [٢٦٢٢]

٢٦٢١ "مجموع فتاوى ابن عثيمين" (٦٩٢/١٠).

٢٦٢٢ رواه مسلم (٢٩٩٩).



٢–أن يتأمل فيما أصابه: فإنه سبب لتكفير ذنوبه، حتى يلقى الله تعالى طاهرا من الخطايا، قال صلى الله عليه وسلم: ((**مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**)). ٢٦٢٣

٣–أن ينظر إلى ما أصابه وأن الله تعالى رفق به فيه، فكم من الناس أصيب بما هو أشد من ذلك وأعظم؟ **قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ)**: بعد أن ذكر الصبر والرضا: "عبودية العبد لربه في قضاء المصائب الصبر عليها، ثم الرضا بها وهو أعلى منه، ثم الشكر عليها وهو أعلى من الرضا، وهذا إنما يتأتى منه، إذا تمكن حبه من قلبه، وعلم حسن اختياره له وبره به ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة، وإن كره المصيبة". ٢٦٢٤

١–أن ينظر إلى عواقب الابتلاء والشدة، وأن الله يسوقه إليه بهذه الشدة التي تجعله يكثر من ذكر الله تعالى ودعائه والتضرع إليه.

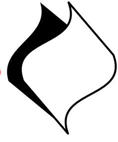
٢–أن ينظر إلى ثواب الصبر والرضا **{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: الآية: ١٠]**، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**)). ٢٦٢٥ ورضا الله تعالى عن العبد أعظم من دخول الجنة، قال الله تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: الآية:٧٢]**. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**: ((يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ))، **فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ**: ((هَلْ رَضِيتُمْ؟)) **فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ**: ((أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ!)) **فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ**: ((**أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**)). ٢٦٢٦

٢٦٢٣ رواه الترمذي، وصححه الألباني في "سنن صحيح الترمذي".

٢٦٢٤ الفوائد (١/١١٢–١١٣).

٢٦٢٥ رواه الترمذي وصححه الألباني في "سنن صحيح الترمذي".

٢٦٢٦ رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).



قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): بعد أن ذكر نحوا من هذه الأسباب التي تعين العبد على الرضا بقضاء الله تعالى: "فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر". [٢٦٢٧]

والصبر من أعظم خصال الخير التي حث الله عليها في كتابه العظيم، وأمر بها رسوله الكريم-صلى الله عليه وسلم-في سنته المطهرة، وقد وردت مادة **(صبر)** في القرآن الكريم في مائة وأربعة مواضع، على تنوع في مواردها وأسباب ذكرها.

فقد أمر الله نبيه بخلق الصبر فقال سبحانه وتعالى: **{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ}** [النحل: ١٢٧]، وقال تعالى :**{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}** [الأحقاف: الآية: ٣٥].

وأمر الله به المؤمنين، فقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا}** [آل عمران: الآية: ٢٠٠].

وأثنى على أهله، فقال تعالى: **{وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** [البقرة: الآية: ١٧٧].

وأخبر بمحبته للصابرين، فقال تعالى: **{وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}** [آل عمران: الآية: ١٤٦].

ومعيَّته لهم، فقال تعالى: **{وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [الأنفال: الآية: ٤٦].

وأخبر أن الصبرَ خير لأصحابه، فقال تعالى: **{وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}** [النحل: الآية: ١٢٦].

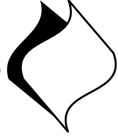
ووعدهم أن يجزيهم أعلى وأوفى وأحسن مما عملوه، فقال تعالى: **{وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [النحل: الآية: ٩٦]، وقال تعالى :**{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [الزمر: الآية: ١٠].

وبشرهم؛ فقال تعالى: **{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}** [البقرة: الآية: ١٥٥].

وأخبر أن جزاءهم الجنة فقال تعالى: **{وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً}** [الإنسان: الآية: ١٢].

وقد قرن الله الصبر بالقيم العليا في الإسلام.

٢٦٢٧ "طريق الهجرتين "(١/٤١٧).



فقرنه باليقين، قال تعالى: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}** [السجدة: الآية: ٢٤].

وقرنه بالتوكل، قال تعالى: **{نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}** [العنكبوت: الآيات: ٥٨- ٥٩] .

وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: **{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ}** [البقرة: الآية: ١٥٣].

وقرنه بالتقوى في عدة آيات منها: قوله تعالى: **{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}** [آل عمران: الآية: ١٨٦]، وفي قوله تعالى :**{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً}** [آل عمران: الآية: ١٢٠]، وقوله تعالى: **{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}** [يوسف: الآية: ٩٠].

وقرن الله–تبارك وتعالى–الصبر بالعمل، فقال: **{إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}** [هود: الآية: ١١].

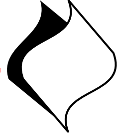
وقرنه بالجهاد، في قوله تعالى: **{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}** [النحل: الآية: ١١٠]، وفي قوله تعالى : **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ}** [محمد: الآية: ٣١].

وقرنه بالاستغفار: **{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}** [غافر: الآية: ٥٥].

وقرنه بالتسبيح، في قوله تعالى: **{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}** [الطور: الآية: ٤٨]، وفي قوله تعالى: **{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى}** [طه: الآية: ١٣٠].

وقرن الصبر في القرآن الكريم بالحق، في قوله تعالى: **{وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}** [العصر: الآيات: ١ – ٣].

وقرنه بالرحمة، قال تعالى: **{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}** [البلد: الآية: ١٧].



وقرنه بالشـــكر في عدة آيات، قال تعالى: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَـبَّارٍ شَـكُورٍ}** [إبراهيم: الآية: ٥].

وحديث القرآن عن الصـــبر متنوع وممتع، مما يدل على أهميته ومكانته العظيمة، وكذا الشـــأن في الســـنة النبوية، فقد حث النبي–صلى الله عليه وسلم–أمته على هذا الخلق الكريم، وكانت سيرته–صلى الله عليه وســلم–أنموذجاً يحتذى في التخلق بخلق الصــبر بشــتى أنواعه وأعلى درجاته، ومن قرأ في ســيرته العملية وسنته القولية سيجد أن للصبر شأناً عظيماً.

قال صلى الله عليه وسلم: ((**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**)). ٢٦٢٨

وقــال بعض الســـــلف: "**الإيمــان نصـــفــان نصـــف صـــبر ونصـــف شـــكر**". ٢٦٢٩

والصبر ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صبر على الطاعة حتى يفعلها، فإن العبد لا يكاد يفعل المأمور به إلا بعد صبرٍ ومصابرة ومجاهدة لعدوه الباطن والظاهر، فبحسب هذا الصبر يكون أداؤه للمأمورات وفعله للمستحبات.

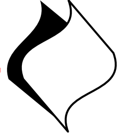
القسم الثاني: صبر عن المنهي عنه حتى لا يفعله، فإن النفس ودواعيها، وتزيين الشيطان، وقرناء السوء، تأمره بالمعصية وتجرئه عليها، فبحسب قوة صبره يكون تركه لها.

قال بعض السلف: "أعمال البر يفعلها البر والفاجر، ولا يقدر على ترك المعاصي إلا صديق". ٢٦٣٠

٢٦٢٨ صحيح مسلم (٢٩٩٩)

٢٦٢٩ أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد (٢/٤٥٦) برقم (٢٠٣)، والطبراني في الكبير (٩/١٠٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٧١ ح٤٩٧٦)، موقوفاً على ابن مسعود بلفظ" :**الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله"**

٢٦٣٠ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠ /١٩٧) بإسناده عن سهل بن عبد الله التستري ضمن كلام له طويل بلفظ: "ليس من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله، ولا يجتنب الآثام إلا صِدِّيق مقرب، وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر".



وعن سهل بن عبد الله التستري–رحمه الله–(ت: ٢٨٣ هـ): "ليس من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله، ولا يجتنب الآثام إلا صِدِّيق مقرب، وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر". [٢٦٣١]

القسم الثالث: الصبر على ما يصيبه بغير اختياره من المصائب،

والمصائب نوعان:

النوع الأول: نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذه يسهل الصبر فيها؛ لأن العبد يشهد فيها قضاء الله وقدره، وإنه لا مدخل للناس فيها، فيصبر إما اضطرارا، وإما اختيارا، فإن فتح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها، وما في حشوها[٢٦٣٢] من النعم، والألطاف[٢٦٣٣] انتقل من الصبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها، فانقلبت حينئذ في حقه نعمة، فلا يزال يجري قلبه ولسانه–أي دأبه وشأنه–فيها: **"رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"**[٢٦٣٤]، وهذا يقوى ويضعِف بحسب قوة محبة العبد لله وضعفها، بل هذا يجده أحدنا في الشاهد كما قال الشاعر يخاطب محبوبا له ناله ببعض ما يكره:

لئن ساءني أن نِلتِني بمساءة = لقد سرني أني خطرت ببالِكِ.

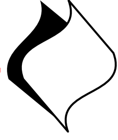
النوع الثاني: أن يحصل له بفعل الناس في ماله أو عرضه أو نفسه.

٢٦٣١ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠ /١٩٧).

٢٦٣٢ معنى الحشى: الناحية، والمقصود نواحيها أو داخلها. انظر: لسان العرب مادة (حشا) (١٤/١٨٠–١٨١).

٢٦٣٣ اللطيف من الكلام: ما غمض معناه وخفي، واللطف في العمل: الرفق فيه. انظر: لسان العرب مادة(لطف) (٩/٣١٦).

٢٦٣٤ يشير إلى حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–أخذ بيده وقال: "يا معاذ والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، أخرجه أبو داود في سننه (٢/١٨١) كتاب الوتر باب في الاستغفار برقم (١٥٢٢) والإمام أحمد في المسند (٥/٢٤٧،٢٤٥). والنسائي في سننه (٣/٥٣) كتاب السهو باب نوع آخر من الدعاء. والإمام أحمد في المسند (٥/٢٤٧،٢٤٥).



فهذا النوع يصعب الصبر عليه جداً، لأن النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا النوع إلا الأنبياء والصديقون، وكان نبينا-صلى الله عليه وسلم-إذا أوذي يقول: **"يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر"**. [٢٦٣٥]

وأخبر عن نبي من الأنبياء أنه ضربه قومه فجعل يقول: **"اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"** [٢٦٣٦].

وقد روي عنه-صلى الله عليه وسلم-أنه جرى له هذا مع قومه فجعل يقول مثل ذلك، **فجمع في هذا ثلاثة أمور**: العفو عنهم، والاستغفار لهم، والاعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النوع من الصبر عاقبته النصر والعز والسرور، والأمن والقوة في ذات الله، وزيادة محبة الله ومحبة الناس له وزيادة العلم، ولهذا قال الله تعالى: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}** [السجدة: الآية: ٢٤]". [٢٦٣٧]

ويعين العبد على هذا الصبر عدةُ أشياء:

أحدها: أن يشهد أن الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد حركاتهم وسكناتهم وإراداتهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يتحرك في العالم العلوي والسفلي ذرة إلا بإذنه، ومشيئته والعباد آلة، فانظر إلى الذي سلطهم عليك، ولا تنظر إلى فعلهم بك، تستريح من الهم والغم والحزن.

الثاني: أن يشهد ذنوبه، وأن الله إنما سلطهم عليه بذنبه، كما قال تعالى: **{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}** [الشورى: الآية:٣٠]. فإذا شهد العبد أن جميع ما يناله من المكروه فسببه ذنوبه، اشتغل بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي سلطها عليه، عن ذمهم ولومهم والوقيعة فيهم.

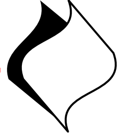
وإذا رأيت العبد يقع في الناس إذا آذوه ولا يرجع إلى نفسه باللوم والاستغفار فاعلم أن مصيبته مصيبة حقيقية.

وإذا تاب واستغفر، وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمة.

٢٦٣٥ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢٨)، رقم (٣٤٠٥). ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (٣/١٠٩).

٢٦٣٦ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤) رقم (٣٤٧٧). ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد (٥/١٧٩).

٢٦٣٧ المصدر: قاعدة في الصبر لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: ٩ ، ١٠.



قال علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–(ت: ٤٠ هـ)، –كلمة من جواهر الكلام:– **"لا يرجونَّ عبدٌ إلا ربَّه، ولا يخافنّ عبدٌ إلا ذنبه"**. ٢٦٣٨

وروي عنه وعن غيره: **"ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة"**.

الثالث: أن يشهد العبد حسن الثواب الذي وعده الله لمن عفى وصبر، كما قال تعالى: **{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}** [الشورى: الآية: ٤٠].

ولما كان الناس عند مقابلة الأذى **ثلاثة أقسام**: **ظالم** يأخذ فوق حقه، **ومقتصد** يأخذ بقدر حقه، **ومحسن** يعفو ويترك حقه.

ذكر الأقسام الثلاثة في هذه الآية فأولها للمقتصدين، ووسطها للسابقين، وآخرها للظالمين.

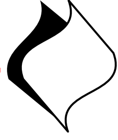
ويشهد نداء المنادي يوم القيامة: "ألا ليقم من وجب أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفى وأصلح". ٢٦٣٩

وإذا شهد مع ذلك؛ فوت الأجر بالانتقام والاستيفاء سهل عليه الصبر والعفو.

الرابع: أن يشهد أنه إذا عفى وأحسن أورثه ذلك من سلامة القلب لإخوانه، ونقائه من الغش، والغل، وطلب الانتقام، وإرادة الشر، وحصل له من حلاوة العفو ما يزيد لذته ومنفعته عاجلا وآجلا على المنفعة

٢٦٣٨ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٢٢/٧) رقم (٩٧١٨)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٦٦٢/٢) رقم (١٥٨٦)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٣٨٣/١) رقم (٥٤٧، ٥٤٨).

٢٦٣٩ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم ((إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي ألا ليقم من كان له على الله أجره فلا يقوم إلا من عفي في الدنيا وذلك قوله :{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}}). أورده السيوطي في الدر المنثور (١١/٦). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٩٨/١١). وأخرجه ابن حبان في روضة العقلاء (ص: ٢٧٦، ٢٧٧) عن الحسن البصري مرسلاً، ووصله البيهقي في شعب الإيمان (١٣٦/١٣) برقم (٧٠٥٠). ورواه هناد ابن السري في الزهد (٩٠٤/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٤/٩) عن الحسن البصري موقوفاً.



الحاصلة له بالانتقام أضعافا مضاعفة، ويدخل في قوله تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: الآية:١٣٤، ١٤٨].

فيصير محبوبا لله، ويصير حاله حال من أُخِذَ منه دراهم فَعُوِّضَ عنها ألوفاً من الدنانير، فحينئذ يفرح بما مَنَّ الله عليه أعظم فرحٍ ما يكون.

الخامس: أن يعلم أنه ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً يجده في نفسه، فإذا عفي أعزه الله.

وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: ((**ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً**)). [٢٦٤٠]

فالعز الحاصل له بالعفو أحب إليه وأنفع له من العز الحاصل له بالانتقام، فإن هذا عِزٌّ في الظاهر وهو يورث في الباطن ذُلاً، والعفو ذل في الباطن وهو يورث العز باطناً وظاهراً.

السادس–وهي من أعظم الفوائد–: أن يشهد أن الجزاء من جنس العمل، وأنه نفسه ظالم مذنب، وأن من عفى عن الناس عفى الله عنه، ومن غفر غفر الله له، فإذا شهد أن عفوه عنهم وصفحه وإحسانه مع إساءتهم إليه، سبب لأن يجزيه الله كذلك من جنس عمله فيعفو عنه ويصفح ويحسن إليه على ذنوبه، ويسهل عليه عفوه وصبره ويكفي العاقل هذه الفائدة.

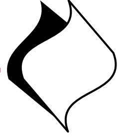
السابع: أن يعلم أنه إذا اشتغلت نفسه بالانتقام وطلب المقابلة ضاع عليه زمانه، وتفرق عليه قلبه، وفاته من مصالحه، ما لا يمكن استدراكه، ولعل هذا يكون أعظم عليه من المصيبة التي نالته من جهتهم، فإذا عفى وصفح فرغ قلبه وجسمه لمصالحه التي هي أهم عنده من الانتقام.

الثامن: أن انتقامه واستيفاءه وانتصاره لنفسه وانتقامه، لها، فإن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ما انتقم لنفسه قط.[٢٦٤١]

فإذا كان هذا خير خلق الله وأكرمهم على الله لم يكن ينتقم لنفسه مع أن أذاه أذًى لله ويتعلق به حقوق الدين، ونفسه أشرف الأنفس، وأزكاها، وأبرها وأبعدها من كل خُلقٍ مذموم، وأحقها بكل خُلقٍ جميل، ومع هذا فلم يكن ينتقم لها.

٢٦٤٠ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأدب والبر والصلة باب استحباب العفو (٨/٢٠).

٢٦٤١ انظر: صحيح البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي–صلى الله عليه وسلم–. (٦/٥٦٦ مع الفتح) رقم: (٣٥٦٠). وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب مباعدته–صلى الله عليه وسلم–للآثام، رقم (٢٣٢٧–٢٣٢٨).



فكيف ينتقم أحدنا لنفسه التي هو أعلم بها وبما فيها من العيوب والشرور، بل الرجل العارف لا تساوي نفسه عنده أن ينتقم لها، ولا قدر لها عنده يوجب عليه انتصاره لها.

التاسع: إن أوذي على ما فعله لله أو على ما أمره به من طاعته ونهى عنه من معصيته وجب عليه الصبر ولم يكن له الانتقام، فإنه قد أوذي في الله، فأجره على الله، ولهذا لما كان المجاهدون في سبيل الله ذهبت دماؤهم وأموالهم في الله لم تكن مضمونة، فإن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، فالثمن على الله لا على الخلق، فمن طلب الثمن منهم لم يكن له على الله ثمن، فإنه من كان في الله تلفه كان على الله خلفه.[٢٦٤٢]

وإن كان قد أوذي على معصية، فليرجع باللوم على نفسه، ويكون في لومه لها شغل عن لومه لمن آذاه.

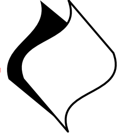
وإن كان قد أوذي على حضٍ، فليوطن نفسه على الصبر، فإن نيل الحظوظ دونه أَمْرٌ أَمَرُّ من الصبر، فمن لم يصبر على حرِّ الهواجر[٢٦٤٣]، والأمطار، والثلوج، ومشقة الأسفار، ولصوص الطريق، وإلا فلا حاجة له في المتاجر، وهذا أمر معلوم عند الناس أن من صدق في طلب شيء من الأشياء بذل من الصبر في تحصيله بقدر صدقه في طلبه.

العاشر: أن يشهد معية الله معه إذا صبر، ومحبة الله له ورضاه، ومن كان الله معه دفع عنه من أنواع الأذى والمضرات ما لا يدفع عنه أحد من خلقه، قال الله تعالى: **{وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [الأنفال: الآية: ٤٦]. وقال: **{وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}** [آل عمران: الآية: ١٤٦].

[٢٦٤٢] روى أبو يعلى في مسنده (٣٦/٤ ح ٢٠٤٠ تحقيق حسين سليم أسد)، عن بشر بن الوليد الكندي عن المسور بن الصلت عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: "كل معروف صدقة، وما أنفق الرجل على أهله وماله كتب له صدقة، وما وقى به عرضه فهو صدقة. قال: وكل نفقة مؤمن في غير معصية فعلى الله خلفه ضامناً إلا نفقة في بنيان". قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٦/٣): "وفي إسناد أبي يعلى مسور بن الصلت وهو ضعيف" ورواه أيضا الدار قطني في سننه (٢٨/٣ برقم ١٠١)، والحاكم في مستدركه (٥٠/٢) كلاهما من طريق عبد الحميد بن الحسن الهلالي عن محمد بن المنكدر بنحوه.

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، وشاهده ليس من شرط هذا الكتاب "وتعقبه الذهبي بقوله :"بل ضعفوه".

٢٦٤٣ جمع هاجرة: وهي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر، أو نصف النهار عند اشتدادا الحر. انظر: لسان العرب مادة (هجر) (٢٥٤/٥).



الحادي عشر: أن يشهد أن الصبر نصف الإيمان، فلا يبذل من إيمانه جزءاً في نصرة نفسه، فإن صبر فقد أحرز إيمانه وصانه من النقص والله تعالى يدفع عن الذين آمنوا.

الثاني عشر: أن يشهد أن صبره حكم منه على نفسه، وقهر لها، وغلبة لها، فمتى كانت النفس مقهورة معه مغلوبة، لم تطمع في استرقاقه، وأسره، وإلقائه في المهالك، ومتى كان مطيعاً لها سامعاً منها مقهوراً معها لم تزل به حتى تهلكه، أو تتداركه رحمة من ربه.

فلو لم يكن في الصبر إلا قهره لنفسه ولشيطانه، فحينئذ يظهر سلطان القلب وتثبت جنوده، فيفرح ويقوى ويطرد العدو عنه.

الثالث عشر: أن يعلم أنه إن صبر فالله ناصره ولابد، فإن الله وكيل من صبر وأحال ظالمه عليه، ومن انتصر بنفسه لنفسه وكله الله إلى نفسه، فكان هو الناصر لها، فأين من ناصره الله خير الناصرين، إلى من ناصره نفسه أعجز الناصرين وأضعفه.

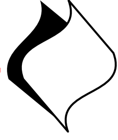
الرابع عشر: أن صبره على من آذاه واحتماله له يوجب رجوع خصمه عن ظلمه وندامته واعتذاره، ولوم الناس له فيعود بعد إيذائه له مستحييا منه، نادماً على ما فعله، بل يصير موالياً له وهذا معنى قوله: **{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ *وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}** [فصلت: الآيتان: ٣٤-٣٥].

الخامس عشر: ربما كان انتقامه ومقابلته سبباً لزيادة شر خصمه وقوة نفسه وفكرته في أنواع الأذى التي يوصلها إليه كما هو المشاهد، فإذا صبر وعفى أمن من هذا الضرر.

والعاقل لا يختار أعظم الضررين بدفع أدناهما، وكم قد جلب الانتقام والمقابلة من شر عجز صاحبه عن دفعه، وكم قد ذهبت به نفوس ورئاسات وأموال وممالك لو عفى المظلوم لبقيت عليه.

السادس عشر: أن من اعتاد الانتقام ولم يصبر، لابد أن يقع في الظلم، فإن النفس لا تقتصر على قدر العدل الواجب لها، لا علما، ولا إرادة، وربما عجزت عن الاقتصار على قدر الحق، فإن الغضب يخرج بصاحبه إلى حد لا يعقل ما يقول وما يفعل، فبين هو مظلوم ينتظر النصر والعز، إذ انقلب ظالماً ينتظر المقت والعقوبة.

السابع عشر: أن هذه المظلمة التي قد ظُلمها هي سبب، إما لتكفير سيئة، أو رفع درجة، فإذا انتقم ولم يصبر لم تكن مكفرة لسيئته ولا رافعة لدرجته.



الثامن عشـر: أن عفوه وصـبره من أكبر الجند له على خصـمه، فإن من صـبر وعفا كان صـبره وعفوه موجباً لذل عدوه، وخوفه وخشيته منه، ومن الناس، فإن الناس لا يسكتون عن خصمه وإن سكت هو، فإذا انتقم زال ذلك كله، ولهذا تجد كثيراً من الناس إذا شـتم غيره أو آذاه يحب أن يسـتوفي منه، فإذا قابله استراح وألقى عنه ثقلاً كان يجده.

التاسـع عشر :أنه إذا عفى عن خصـمه، استشعرت نفس خصـمه أنه فوقه، وأنه قد ربح عليه، فلا يزال يرى نفسه دونه وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعفو.

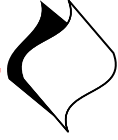
العشـرون: أنه إذا عفا وصـفح كانت هذه حسـنة، فتولد له حسـنة أخرى، وتلك الأخرى تولد أخرى، وهلم جرًّا، فلا تزال حسـناته في مزيد، فإن من ثواب الحسـنة الحسـنة، كما أن من عقاب السـيئة السـيئة بعدها، وربما كان هذا سبباً لنجاته وسعادته الأبدية، فإذا انتقم وانتصر زال ذلك.[٢٦٤٤]

[إضافة الشر إلى الله]

قال المصنف–رحمه الله–:

"ومن مذهب أهل السنة وطريقهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله، وبقضائه، لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الإنفراد، فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان، وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه، وفي ذلك ورد قول رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في دعاء الاستفتاح ((تباركت وتعاليت، والخير في يديك، والشر ليس إليك))، ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف إليك إفرادًا وقصدًا، حتى يقال لك في المناداه: يا خالق الشر أو يا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق والمقدر لها جميعا، لذلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه، فقال: فيما أخبر الله عنه في قوله: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا} [الكهف: الآية: ٧٩]، ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله عز وجل فقال: {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} [الكهف:

٢٦٤٤ المصدر: قاعدة في الصبر لشيخ الإسلام ابن تيمية



الآية: ٨٢]، ولذلك قال مخبرًا عن إبراهيم–عليه السلام–أنه قال: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء: الآية: ٨٠]، فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه. ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله–عز وجل–مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولم يكفر أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يعصى ما خلق إبليس، فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه–سبحانه وتعالى– وقدره، وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة،ويسخط الكفر والمعصية، قال الله–عز وجل–: {إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: الآية:٧].

الشرح:

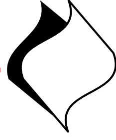
أولًا: قول أهل السنة.

ويجدرُ التنبيهُ والإشارةُ إلى أنَّ وَصْفَ القَدَرِ بالشرِّ واقعٌ في مفعولات الله –تعالى–ومقدوراتِهِ المنْفَصِلةِ عنه التي لا يَتَّصِفُ بها، دون أفعاله القائمةِ به؛ فأفعالُ الله –تعالى–كُلُّها خيرٌ وحكمةٌ؛ ولهذا قال صلَّى الله عليه وسلَّم :((وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ))[٢٦٤٥]

وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "معنى قول السلف من أصول الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره...أن القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته وذلك خير محض وكمال من كل وجه فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر ويكون شرا بالنسبة إلى محل وخيرا بالنسبة إلى محل آخر وقد يكون خيرا بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه، بل هذا هو الغالب.

وهذا كالقصاص وإقامة الحدود وقتل الكفار فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه، بل من وجه دون وجه وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض وكذلك الآلام والأمراض وإن كانت شرورا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة...

٢٦٤٥ جزءٌ مِن حديثٍ رواهُ مسلمٌ في "صلاة المسافرين وقَصْرِها"٦ /٥٧ ــ ٦٠ (بابُ صلاةِ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ودعائِه في الليل، مِن حديثِ عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه.



فالخير والشر من جنس اللذة والألم والنفع والضرر وذلك في المقضي المقدر لا في نفس صفة الرب وفعله القائم به فإن قطع يد السارق شر مؤلم ضار له وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدل خير وحكمة ومصلحة...

ثانيًا: أقوال المخالفين.

في امتناع إطلاق القول نفيا وإثباتا أن الرب تعالى مريد للشر وفاعل له هذا موضع خلاف اختلف فيه مثبتو القدر ونفاته:

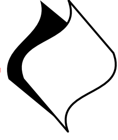
فقال النفاة: لا يجوز أن يقال إن الله سبحانه مريد للشر أو فاعل له قالوا لا يريد الشر وفاعله شرير هذا هو المعروف لغة وعقلا وشرعا كما أن الظالم فاعل الظلم والفاجر فاعل الفجور ومريده والرب يتعالى ويتنزه عن ثبوت معاني أسماء السوء له فإن أسمائه كلها حسنى وأفعاله كلها خير فيستحيل أن يريد الشر فالشر ليس بإرادته ولا بفعله قالوا وقد قام الدليل على أن فعله سبحانه غير مفعوله والشر ليس بفعل له فلا يكون مفعولا له.

وقابلهم الجبرية فقالوا: بل الرب سبحانه يريد الشر ويفعله قالوا لأن الشر موجود فلا بد له من خالق ولا خالق إلا الله وهو سبحانه إنما يخلق بإرادته فكل مخلوق فهو مراد له وهو فعله ووافقوا إخوانهم على أن الفعل عين المفعول والخلق نفس المخلوق ثم قالوا والشر مخلوق له ومفعول فهو فعله وخلقه وواقع بإرادته قالوا وإنما لم يطلق القول إنه يريد الشر ويفعل الشر أدبا لفظيا فقط كما لا يطلق القول بأنه رب الكلاب والخنازير ويطلق القول بأنه رب كل شيء وخالقه قالوا وأما قولكم إن الشرير مريد الشر وفاعله فجوابه من وجهين:

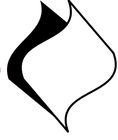
أحدهما: إنما يمنع ذلك بأن الشرير من قام به الشر وفعل الشر لم يقم بذات الرب فإن أفعاله لا تقوم به إذ هي نفس مفعولاته وإنما هي قائمة بالخلق وكذلك اشتقت لهم منها الأسماء كالفاجر والفاسق والمصلي والحاج والصائم ونحوها.

الجواب الثاني: أن أسماء الله تعالى توقيفية ولم يسم نفسه إلا بأحسن الأسماء قالوا والرب تعالى أعظم من أن يكون في ملكه مالا يريده ولا يخلقه فإنه الغالب غير المغلوب.

وتحقيق القول في ذلك: أنه يمتنع اطلاق إرادة الشر عليه وفعله نفيا وإثباتا في إطلاق لفظ الإرادة والفعل من إيهام المعنى الباطل ونفي المعنى الصحيح فإن الإرادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى المحبة والرضا فالأول



كقوله إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ وقوله :وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ وقوله : {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً} [الإسراءك الآية: ١٦]، والثاني: كقوله: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} [النساء: الآية: ٢٧]، وقوله:{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: الآية: ١٨٥]، فالإرادة بالمعنى الأول تستلزم وقوع المراد ولا تستلزم محبته والرضا به وبالمعنى الثاني لا تستلزم وقوع المراد وتستلزم محبته فإنها لا تنقسم بل كل ما أراده من أفعاله فهو محبوب مرضي له ففرق بين إرادة أفعاله وإرادة مفعولاته فإن أفعاله خير كلها وعدل ومصلحة وحكمة لا شر فيها بوجه من الوجوه وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام وهذا إنما يتحقق على قول أهل السنة أن الفعل غير المفعول والخلق غير المخلوق كما هو الموافق للعقول والفطر واللغة ودلالة القرآن والحديث وإجماع أهل السنة كما حكاه البغوي في شرح السنة عنهم وعلى هذا فهاهنا إرادتان ومرادان إرادة أن يفعل ومرادها فعله القائم به وإرادة أن يفعل عبده ومرادها مفعوله المنفصل عنه وليسا بمتلازمين فقد يريد من عبده أن يفعل ولا يريد من نفسه إعانته على الفعل وتوفيقه له وصرف موانعه عنه كما أراد من إبليس أن يسجد لآدم ولم يرد من نفسه أن يعينه على السجود ويوفقه له ويثبت قلبه عليه ويصرفه إليه ولو أراد ذلك منه لسجد له لا محالة وقوله فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ إخباره عن إرادته لفعله لا لأفعال عبيده وهذا الفعل والإرادة لا ينقسم إلى خير وشر كما تقدم وعلى هذا فإذا قيل هو مريد للشر أوهم أنه محب له راض به وإذا قيل أنه لم يرده أوهم أنه لم يخلقه ولا كونه وكلاهما باطل ولذلك إذا قيل أن الشر فعله أو أنه يفعل الشر أوهم أن الشر فعله القائم به وهذا محال وإذا قيل لم يفعله أو ليس بفعل له أوهم أنه لم يخلقه ولم يكونه وهذا محال فأنظر ما في إطلاق هذه الألفاظ في النفي والإثبات من الحق والباطل الذي يتبين بالاستفصال والتفصيل وأن الصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الرب تعالى لا وصفا ولا فعلا ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم كقوله تعالى {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق: الآيات: ١-٢] فما هاهنا موصولة أو مصدرية والمصدر بمعنى المفعول أي من شر الذي خلقه أو من شر مخلوقه وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمني الجن {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن: الآية: ١٠]، وقد يسند إلى محله القائم به كقول إبراهيم الخليل {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء: الآيات: ٧٨-٨٠]، وقول الخضر {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف: الآية: ٧٩}، وقال في بلوغ الغلامين {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} [الكهف: الآية: ٨٢] وقد جمع الأنواع الثلاثة في الفاتحة في قوله {اهْدِنَا الصِّرَاطَ



الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: الآيات: ٦-٧]، والله تعالى إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر فقال تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: الآية: ٢٦]، وأخطأ من قال المعنى بيدك الخير والشر لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف، بل ترك ذكره قصدا أو بيانا أنه ليس بمراد.

الثاني: أن الذي بيد الله تعالى نوعان فضل وعدل كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((**يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع**)). [٢٦٤٦] فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى وكلاهما خير لا شر فيه بوجه.

الثالث: أن قول النبي صلى الله عليه وسلم :((**لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك**)). [٢٦٤٧] كالتفسير للآية ففرق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه وقطع إضافة الآخر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شيء.[٢٦٤٨]

[عواقب العباد مبهمة].

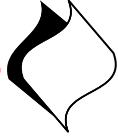
قال المصنف-رحمه الله-:

"ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بما يختم له، ولا يحكون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكون على أحد بعينه أنه من أهل النار، لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان بم ولذلك يقولون: إنا مؤمنون إن شاء الله.

٢٦٤٦ رواه البخاري (٧٤١١)، ومسلم (١٩٣).

٢٦٤٧ رواه مسلم (٧٧١).

٢٦٤٨ المصدر: شفاء العليل لابن القيم – ٧٣٣/٢.



ويشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة فإن الذين سبق القضاء عليهم من الله أنهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم التي اكتسبوها، ولم يتوبوا منها، فإنهم يردون أخيرا إلى الجنة ولا يبقى أحد في النار من المسلمين، فضلا من الله ومنه".

الشرح:

أولاً: أقسام الشهادة.

يقسم أهل السنة الشهادة إلى قسمين عامة وخاصة:

فالعامة: أَنَّهُمْ يَجْزِمُونَ بِالنَّجَاةِ لِكُلِّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ.

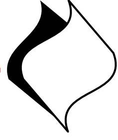
والخاصة: هي المعلقة بشخص، مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة أو لشخص معين بأنه في النار، فلا نعيّن إلا ما عيّنه الله أو رسوله-صلى الله عليه وسلم-.

قال شيخ الإسلام ابنن تيمية: "اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ يَجْزِمُونَ بِالنَّجَاةِ لِكُلِّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ. وَإِنَّمَا يَتَوَقَّفُونَ فِي الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ لِعَدَمِ الْعِلْمِ بِدُخُولِهِ فِي الْمُتَّقِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا عُلِمَ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى التَّقْوَى عُلِمَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَلِهَذَا يَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ الرَّسُولُ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] وَلَهُمْ فِيمَنِ اسْتَفَاضَ فِي النَّاسِ حُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ قَوْلَانِ"[٢٦٤٩].

قال الشيخ ابن عثيمين: "الشهادة بالجنة أو بالنار ليس للعقل فيها مدخل فهي موقوفة على الشرع فمن شهد له الشارع بذلك؛ شهدنا له، ومن لا؛ فلا، لكننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء، وتنقسم الشهادة إلى قسمين عامة وخاصة:

فالعامة: هي المعلقة بالوصف، مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة، أو لكل كافر بأنه في النار، أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سببًا لدخول الجنة.

[٢٦٤٩] منهاج السنة ٣ / ٤٩٦ . ٤٩٧



والخاصة: هي المعلقة بشخص، مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة أو لشخص معين بأنه في النار، فلا نعيّن إلا ما عيّنه الله أو رسوله. "اهـ[٢٦٥٠]

ثانياً: مسألة الشهادة لمعين بجنة أو نار.

فمن معتقد أهل السنة والجماعة أن من كان من أهل القبلة لا يشهد له بالجنة ولا يشهد له بالنار، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، إلا من شهد له الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إِنَّمَا قَدْ نَقِفُ فِي الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ؛ فَلَا نَشْهَدُ لَهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إِلَّا عَنْ عِلْمٍ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ بَاطِنِهِ وَمَا مَاتَ عَلَيْهِ لَا نُحِيطُ بِهِ، لَكِنْ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ.

وأهل السنة لَهُمْ فِي الشَّهَادَةِ بِالْجَنَّةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

القول الأول: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ. وَهَذَا قَوْلُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَالْأَوْزَاعِيِّ.

وَالقول الثَّانِي: أَنَّهُ يَشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ جَاءَ فِيهِ نَصٌّ. وَهَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ."[٢٦٥١].

وقد استدل لهذا القول:

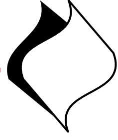
-حديث الصحيحين أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: ((إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة))، [٢٦٥٢].

وهذا في حديث الذي قتل نفسه بعد أن أثنى عليه الناس.

[٢٦٥٠] شرح اللمعة (ص١٤٤).

[٢٦٥١] انظر المسألة في منهاج السنة: ٣ /٤٩٧ . ٥٠٠.

[٢٦٥٢] أخرجه البخاري (٤٢٠٧)، ومسلم (١١٢).



-الحديث الآخر: "إن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة"[2653]. والشاهد من هذه الأحاديث أن خاتمة السوء لا تؤمن فكيف يقطع للرجل بالجنة؟

-حديث أبي هريرة في الصحيح قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فلم نغنم ذهبا ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما يقال له مدعم فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى حتى إذا كان بوادي القرى بينما مدعم يحط رحلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سهم عائر فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا"[2654].

فهذا مع شهادة الناس له بالجنة بين النبي صلى الله عليه وسلم أن حقيقة حاله على خلاف ما شهد له به.

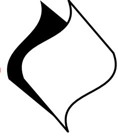
-حديث أم العلاء في البخاري قالت: "سكن عندنا عثمان بن مظعون فاشتكى فمرضناه حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ((وما يدريك أن الله أكرمه)). فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-((أما عثمان فقد جاءه والله اليقين وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به)). قالت فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا وأحزنني ذلك قالت فنمت فأريت لعثمان عينا تجري فجئت إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فأخبرته فقال: ((ذاك عمله)). [2655]"

والشاهد من الحديث نص وإقرار، أما النص فالقصة وما وجه به النبي-صلى الله عليه وسلم-فيها، وأما الإقرار فلقولها لا أزكي أحداً بعده.

[2653] أخرجه البخاري: (٣٢٠٨)، ومسلم:(٢٦٤٣).

[2654] أخرجه البخاري: (٦٣٢٩).

[2655] أخرجه البخاري: (٢٥٤١).



وهذا كالصريح في النهي، قال ابن كثير: "وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة، وابن سلام، والعميصاء، وبلال، وسراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء–رضي الله عنهم–"[٢٦٥٦]. ومثله قال العيني في العمدة.

وقد بوب عليه البيهقي: "باب لا يشهد لأحد بجنة ولا نار إلاّ لمن شهد له رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بها"[٢٦٥٧].ه

هذا مع أن عثمان بن مظعون (أبو السائب)–رضي الله عنه–، بدري قال الله له اصنع ما شئت فقد غفرت لك، وهو أول من دفن بالبقيع ومع ذلك يقول: "وما يدريك؟! وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به".

وممن نقل عنه القول في هذه المسألة من العلماء:

ما روي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم.[٢٦٥٨]

ونقل عن الإمام أحمد فيمن خرج عليه اللصوص والخوارج قال: "وإن قتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوت له الشهادة كما جاء في الأحاديث[٢٦٥٩].

وقال الإمام أحمد: "ولا نشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة الله". اهـ[٢٦٦٠]

[٢٦٥٦] تفسير ابن كثير:(٤/ ١٥٦).

[٢٦٥٧] (الكبرى ٤/ ٧٦).

[٢٦٥٨] رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٦)

[٢٦٥٩] اعتقاد الإمام أحمد (١/ ١٦١)

[٢٦٦٠] أصول السنة (ص ٥٠)

وهي عين كلمة علي بن المديني كما وروى عن سفيان الثوري قوله: "يا شعيب بن حرب لا ينفعك ما كتبت لك حتى لا تشهد لأحد بجنة ولا نار إلا للعشرة الذين شهد لهم رسول الله وكلهم من قريش". اهـ[٢٦٦١]

وقال الإمام أبو عمرو الداني: "ومن قولهم: أن لا ينزل أحد من أهل القبلة جنة ولا نارا إلا من ورد التوقيف بتنزيله، وجاء الخبر من الله تبارك وتعالى، ورسوله عن عاقبة أمره".[٢٦٦٢]

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: "لا أحد يشهد لأحد بالجنة أو النار إلا من ثبت له ذلك. وأهل السنة والجماعة لا يشهدون لِمُعَيَّنٍ بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه من أهل الجنة، كالعشرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، الذين ثبتت الأحاديث في تعيينهم أنهم من أهل الجنة. وأما مَنْ سواهم فلا يشهدون له بذلك، ولكنهم يرجون لجميع المؤمنين دخول الجنة، ويخافون على مَنْ أذنب من النار، ولا يقطعون لمعين بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من ثبت له ذلك". اهـ[٢٦٦٣].

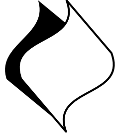
فهذا مذهب جمهور أهل السنة كما ترى.

وَالقول الثَّالِثُ: يَشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِهَؤُلَاءِ وَلِمَنْ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ)). وَقَالَ: " ((يُوشِكُ أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)). قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ

[٢٦٦١] اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٦٢).

[٢٦٦٢] الرسالة الوافية (ص ٩٦)

[٢٦٦٣] جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (٢٠٦).



اللَّهِ؟ قَالَ: ((بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ)) "[٢٦٦٤] فَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُعْلَمُ بِهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ. وَكَانَ أَبُو ثَوْرٍ يَقُولُ: "أَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْجَنَّةِ " وَيَحْتَجُّ بِهَذَا"[٢٦٦٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَالْقَوْلُ بِكَوْنِ الرَّجُلِ الْمُعَيَّنِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَدْ يَكُونُ سَبَبُهُ:

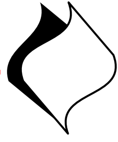
[٢٦٦٤] الْحَدِيثُ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-

- فِي الْبُخَارِيِّ ٣/ ١٦٩ (كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ تَعْدِيلِ كَمْ يَجُوزُ)، ٢/ ٩٧ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى الْمَيِّتِ).
- مُسْلِمٍ ٢/ ٦٥٥ -٦٥٦ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ فِيمَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتَى).
- سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ ٢/ ٢٦١ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ الْحَسَنِ عَلَى الْمَيِّتِ)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ وَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ.
- سُنَنِ النَّسَائِيِّ ٤/ ٤١، (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الثَّنَاءِ).
- سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ ١/ ٤٧٨ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ).

وَجَاءَ حَدِيثٌ آخَرُ بِمَعْنَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-

- فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ
- وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ،
- وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ٣/ ٢٩٦ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ)،
- الْمُسْنَدِ (ط. الْمَعَارِفِ) ١٣/ ٢٧٧-٢٧٨ وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى

[٢٦٦٥] منهاج السنة ٥/ ٢٩٥.

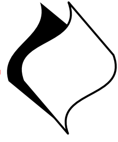


إِخْبَارَ الْمَعْصُومِ، فَأَهْلَ السُّنَّةِ يَشْهَدُونَ أَنَّ الْعَشَرَةَ فِي الْجَنَّةِ[٢٦٦٦]، وَيَشْهَدُونَ «أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ: " «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[٢٦٦٧]، بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ " «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» "، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-[٢٦٦٨]. فَهَؤُلَاءِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ إِمَامٍ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَهِيَ شَهَادَةٌ بِعِلْمٍ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

[٢٦٦٦] وَرَدَ حَدِيثَانِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ الْعَشَرَةَ فِي الْجَنَّةِ: الْأَوَّلُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: اثْبُتْ حِرَاءُ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ. الْحَدِيثُ، وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ٤/ ٢٩٤ – ٢٩٥ (كِتَابُ السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ ٩، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ ٥/ ٣١٥ -٣١٦ (كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ مَنَاقِبِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ؛ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ ١/ ٤٨ (الْمُقَدِّمَةُ، فَضَائِلُ الْعَشَرَةِ)، الْمُسْنَدِ (ط. الْمَعَارِفِ)، ج [٠-٩] الْأَرْقَامُ ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣٨، ١٦٤٤، ١٦٤٥، وَالْحَدِيثُ الثَّانِي أَوَّلُهُ: عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ. وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ، وَفِي الْمُسْنَدِ (ط. الْمَعَارِفِ) ج [٥-٩] الْأَرْقَامُ ١٦٣١، ١٦٣٧، وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ الْحَدِيثَ فِي: صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ٤-٣٥.

[٢٦٦٧] هَذَا جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنْ عَلِيٍّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-فِي: الْبُخَارِيِّ ٥/ ٧٧-٧٨ (كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ فَضْلِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا)، ٦/ ١٤٩ (كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ)، مُسْلِمٍ ٤/ ١٩٤١-١٩٤٢ (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابٌ: مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ) ; سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ٣/٦٤-٦٥ (كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابٌ فِي حُكْمِ الْجَاسُوسِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا)، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ ٥/ ٨٢-٨٤ (كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ)، الْمُسْنَدِ (ط. الْمَعَارِفِ) ٢/ ٣٦-٣٧. وَجَاءَ الْحَدِيثُ مُخْتَصَرًا بِمَعْنَاهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ٤/ ٢٩٦ (كِتَابُ السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ)، الْمُسْنَدِ (ط. الْمَعَارِفِ) ١٥ ٨٣-٨٤.

[٢٦٦٨] الْحَدِيثُ عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-فِي مُسْلِمٍ ٤/ ١٩٤٢ (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابٌ: مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ)، وَنَصُّهُ فِيهِ: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ-إِنْ شَاءَ اللَّهُ-مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدُ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا " قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْتَهَرَهَا. فَقَالَتْ حَفْصَةُ: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٧١]، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٧٢]، وَالْحَدِيثُ عَنْهَا أَيْضًا فِي الْمُسْنَدِ (ط. الْحَلَبِيِّ) ٦/ ٣٦٢، ٤٢٠ وَعَنْ حَفْصَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ ٢/ ١٤٣١ (كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الْبَعْثِ).



وَقَدْ يَكُونُ سَبَبُهُ تَوَاطُؤَ شَهَادَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ. كَمَا فِي الصَّحِيحِ «عَنِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنَّهُ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ: ((وَجَبَتْ وَجَبَتْ)). وَمُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا: شَرًّا فَقَالَ: ((وَجَبَتْ وَجَبَتْ)). فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا قَوْلُكَ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ؟ قَالَ: ((هَذِهِ الْجِنَازَةُ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقُلْتُ: وَجَبَتْ لَهَا الْجَنَّةُ. وَهَذِهِ الْجِنَازَةُ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقُلْتُ: وَجَبَتْ لَهَا النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ)).[٢٦٦٩]

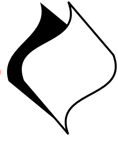
وَفِي الْمُسْنَدِ «عَنِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنَّهُ قَالَ: ((يُوشِكُ أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)). قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ)).[٢٦٧٠]

وَقَدْ يَكُونُ سَبَبُ ذَلِكَ تَوَاطُؤُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ: " ((لَمْ يَبْقَ بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ)).[٢٦٧١]

٢٦٦٩ الْحَدِيثُ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–فِي الْبُخَارِيِّ ٣/١٦٩ (كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ تَعْدِيلٍ كَمْ يَجُوزُ)، ٢/٩٧ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى الْمَيِّتِ)، مُسْلِمٍ ٢/٦٥٥–٦٥٦ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ فِيمَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتَى)، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ ٢/٢٦١ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ الْحَسَنِ عَلَى الْمَيِّتِ)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ وَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، سُنَنِ النَّسَائِيِّ ٤/٤١، (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الثَّنَاءِ)، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ ١/٤٧٨ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ)، وَجَاءَ حَدِيثٌ آخَرُ بِمَعْنَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ، وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ٣/٢٩٦ (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ)، الْمُسْنَدِ (ط. الْمَعَارِفِ) ١٣/٢٧٧–٢٧٨ وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى.

٢٦٧٠ الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ عَنْ أَبِيهِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ ٢/ ١٤١١ (كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ)، وَقَالَ الْمُعَلِّقُ فِي الزَّوَائِدِ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَلَيْسَ لِأَبِي زُهَيْرٍ هَذَا عَنِ ابْنِ مَاجَهْ سِوَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ فِي بَقِيَّةِ الْكُتُبِ السِّتَّةِ، وَالْحَدِيثُ فِي الْمُسْنَدِ (ط. الْحَلَبِيِّ) ٣/ ٤١٦، ٦/ ٤٦٧.

٢٦٧١ الْحَدِيثُ–مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ–عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–فِي: الْبُخَارِيِّ ٩/٣١ (كِتَابُ التَّعْبِيرِ، بَابُ الْمُبَشِّرَاتِ)، وَجَاءَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ آخَرَ بِنَفْسِ الْمَعْنَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–فِي مُسْلِمٍ ١/٣٤٨ (كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابٌ فِي الدُّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ)، سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ١/٣٢١ (كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابٌ فِي الدُّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ



«وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [سُورَةُ يُونُسَ: ٦٤] قَالَ: ((هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ)). [٢٦٧٢]

وَقَدْ فَسَّرَهَا أَيْضًا بِثَنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، «فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِعَمَلٍ لِنَفْسِهِ فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: ((تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ)). [٢٦٧٣]

وَالرُّؤْيَا قَدْ تَكُونُ مِنَ اللَّهِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَوَاطَأَتْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمْرٍ كَانَ حَقًّا، كَمَا إِذَا تَوَاطَأَتْ رِوَايَاتُهُمْ أَوْ رَأْيُهُمْ فَإِنَّ الْوَاحِدَ قَدْ يَغْلَطُ أَوْ يَكْذِبُ، وَقَدْ يُخْطِئُ فِي الرَّأْيِ، أَوْ يَتَعَمَّدُ الْبَاطِلَ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ، وَإِذَا تَوَاتَرَتِ الرِّوَايَاتُ أَوْرَثَتِ الْعِلْمَ، وَكَذَلِكَ الرُّؤْيَ قَالَ: النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " ((أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ عَلَى أَنَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَحَرِّيهَا، فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ)). [٢٦٧٤] [٢٦٧٥]"

وَالسُّجُودِ)، سُنَنِ النَّسَائِيِّ ١٤٨/٨ (كِتَابُ التَّطْبِيقِ، بَابُ تَعْظِيمِ الرَّبِّ فِي الرُّكُوعِ)، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ ١٢٨٣/٢ (كِتَابُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بَابُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ)، الْمُسْنَدِ (ط. الْمَعَارِفِ) ٢٧٥/٣.

[٢٦٧٢] الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ ٣٦٤/٣-٣٦٥ (كِتَابُ الرُّؤْيَا، بَابُ ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَتَكَرَّرَ هَذَا الْحَدِيثُ: ٣٥٠/٤ (كِتَابُ التَّفْسِيرِ، وَمِنْ سُورَةِ يُونُسَ)، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ ١٢٨٣/٢ (كِتَابُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بَابُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ)

[٢٦٧٣] الْحَدِيثُ-مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ-عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-فِي مُسْلِمٍ ٤/ ٢٠٣٤-٢٠٣٥ (كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ إِذَا أُثْنِيَ عَلَى الصَّالِحِ فَهِيَ بُشْرَى وَلَا تَضُرُّ)، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ ٢/ ١٤١٢ (كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ)، الْمُسْنَدِ (ط. الْحَلَبِيِّ) ٥/ ١٥٦، ١٥٧، ١٦٨.

[٢٦٧٤] الْحَدِيثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، فِي الْبُخَارِيِّ ٣/ ٤٦ (كِتَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، بَابُ الْتِمَاسِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ)، مُسْلِمٍ ٢/ ٨٢٢ (كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، الْمُوَطَّأِ ١/ ٣٢١ (كِتَابُ الِاعْتِكَافِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، الْمُسْنَدِ (ط. الْمَعَارِفِ) ٦/ ٢٣١.

[٢٦٧٥] منهاج السنة: ٣ /٤٩٧ . ٥٠٠.

كما قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى[٢٦٧٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك من أجمعت الأمة على الثناء عليه فإننا نشهد له بالجنة فمثلا الإمام أحمد رحمه الله الشافعي أبو حنيفة مالك سفيان الثوري سفيان بن عيينة وغيرهم من الأئمة أجمعت الأمة على الثناء عليهم فنشهد لهم بأنهم من أهل الجنة. شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أجمع الناس بالثناء عليه إلا من شذ ومن شذ، شذ في النار يشهد له بالجنة على هذا الرأي." اهـ [٢٦٧٧]والله أعلم.

وقد أجيب على أدلة هذا القول بأن الحديث الأول يفيد أن شهادة المؤمنون لبعضهم بالخير والصلاح توجب نفعه وصلاحه في الآخرة، ولا يجزم بها على العموم، فإحسان الظن بالمسلمين هو الأصل ولكن هذا لا يبنى عليه يقين بمآله.

وهنا فائدة مهمة على قوله وجبت وجبت: وهي على الصحيح من التحقيق والجزم، فقيل أنها من خصائصه صلى الله عليه وسلم، ولا يجزم بها لغيره لأنها غيب، ولعل نبينا اطلع على ذلك بطريق الوحي. واختار هذا القول ابن التين.

ويرده قول عمر لها أيضا لجنازة مرت عليه، كما في الصحيح.

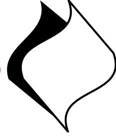
وفي معناها أيضا قال الإمام الطحاوي: "وجه ذلك عندنا والله أعلم أن الشهادة بالخير لمن شهد له به ستر من الله عز وجل عليه في الدنيا ومن ستره الله عز وجل في الدنيا لم يرفع عنه ستره في الآخرة". اهـ [٢٦٧٨]

ومما قيل في معناها أيضا: أن انطلاق الألسنة بالثناء الحسن علامة على وجوب الجنة للمثنى عليه به، وليست جزما على الغيب. والله أعلم.

[٢٦٧٦] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣/١١٧).

[٢٦٧٧] لعل شـــيخنا العثيمين رحمه الله تعالى ذكره بالمعنى وهذا نصـــه قال ابن تيمية:(وَمَعَ هَذَا يُمكن الْعلم بذلك للْوَلِيّ نَفســـه وَلغيره وَلكنه قَلِيل وَلَا يجوز لَهُم الْقطع على ذَلِك فَمن ثبتَتْ ولَايَته بِالنَّصِّ وَأَنه من أهل الْجنَّة كالعشـــرة وَغَيرهم فعامة أهل السّـنة يشْـهدُونَ لَهُ بِمَا شـهد لَهُ بِهِ النَّص، وَأما من شـاع لَهُ لِسَـان صـدق فِي الْأمة بِحَيْثُ اتّفقت الْأمة على الثَّنَاء عَلَيْهِ فَهَل يشْـهد لَهُ بذلك هَذَا فِيهِ نزاع بَين أهل السّـنة وَالْأَشْـبَه أَن يشْـهد لَهُ بذلك هَذَا فِي الْأَمر الْعَام) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/٢٢١).

٢٦٧٨ بيان مشكل الآثار (٨/ ١٠٨)



أما الحديث الثاني: فهو أصرح في بيان المقصود لقوله: (يوشك) وقوله: (بالثناء الحسن والثناء السيئ) يعني ما هو إلا ثناء على الظاهر لا يجزم له على الحقيقة بالجنة أو النار، فيخلص من هذا أن الكلمة على الرجاء والتمني وليست على التحقيق والتألي.

ومن الخلاف: هل هذا خاص بزمن الصحابة أم أنه عام للمؤمنين في كل زمان؟

الصحيح المختار: أنه عام ولكن في غير زمن الصحابة يحتاج إلى الإجماع.

وعليه فرأي الجمهور هو الصواب، وهو أنه لا يشهد لأحد بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا إذا ورد نص أو إجماع.

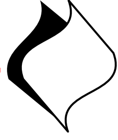
وأعني بالإجماع هنا ما يراد به حكم الجماعة المسلمة في وقت ما على المعين بأنه من أهل الجنة، فهو من أهل الجنة إن شاء الله تعالى حسب الظاهر للمسلمين وقتئذ ولا يقطع به جزما لأنه ضرب من الغيب، لذلك نصوب من يقول: هو من أهل الجنة إن شاء الله تعالى.

وعلى هذا: لا يصح الاستثناء للمعين بالشهادة فنقول هو شهيد إن شاء الله، للنهي الوارد فيما ذكرنا أعلاه، وإنما نقول نرجو له الشهادة أو نقول كما علمنا عمر: من فعل كذا فهو شهيد عن عُمَرَ أَنَّهُ خَطَبَ فَقَالَ تَقُولُونَ فِي مَغَازِيكُمْ فُلَانٌ شَهِيدٌ وَمَاتَ فَلَانٌ شَهِيدًا وَلَعَلَّهُ قَدْ يَكُونُ قَدْ أَوْقَرَ رَاحِلَتَهُ أَلَا لَا تَقُولُوا ذَلِكُمْ وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ". [٢٦٧٩].

وخلاصة القول: هذه المسألة من مسائل الأسماء والأحكام، فليس لك أن تشهد لمعين أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، لأنك لا تدري ماذا يُختم له، فقد يُصبح المرء مسلماً ويُمسي كافراً يمسي كافراً ويصبح مؤمناً، فلا يُدرى ما هي خاتمة كل أحدٍ منا، ولذلك كان من الدعاء: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

فقد ترى الرجل على معصية وعلى شر، وعلى حالٍ لا يرضي الله عز وجل لكن قد يُختم له بخاتمة حسنة، فقد يتوب فيتوب الله عليه، فلذلك لا نشهد لأحدٍ بعينه بجنة أو نار، لكن نرجو للمحسن الخير ونخاف

٢٦٧٩ انظر فتح الباري لابن حجر (٦/٩٠).



على المسيء، فإنك لا تدري بما يُختم له عند الموت ترجو له رحمة الله وتخاف عليه ذنوبه، فترجو إذا كان على خير أن يُختم له بخير، وإن كان على شر أن يُختم له إن شاء الله تعالى بتوبة.

[مصير من مات على الكفر]

قال المصنف–رحمه الله–:

"ومن مات والعياذ بالله على الكفر فمرده إلى النار لا ينجو منها، ولا يكون لمقامه فيها منتهى".

الشرح:

أولًا: أقسام الكفار.

الكافر إما أن يكون:

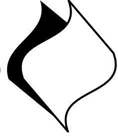
القسم الأول: الكافر الأصلي.

القسم الثاني: المرتد عن دين الإسلام.

القسم الأول: الكافر الأصلي: هو من ثبتَ كُفرُه في أصلِ الدِّينِ مثل اليَهودِ والنَّصارى والوَثنيّين والملِحدين، لذلك سُمُّوا بالكُفَّارِ الأَصليّين. وقد دلت النصوص على الحُكْمَ بكُفرِ أمثالِ هؤلاء.

فقد حصر الله الحق والنجاة في الآخرة في (الإسلام) فقط.

- يقول تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:٨٥].
- ويقول تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ} [آل عمران: ١٩].
- قال تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة: ١].
- وقال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ} [المائدة: ٧٣].



ومن أصول العقائد الإيمانيّة الضرورية في دين الإسلام اعتقاد كفر من لم يدخل في هذا الإسلام[٢٦٨٠]، من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافرا وأنه عدو لنا، وأنه من أهل النار[٢٦٨١]

ومن نواقض الإيمان القطعية تكفير من لم يكفر الكافر الأصـلي، كاليهود والنصـارى وأهل الأديان؛ لأن عدم تكفيرهم تكذيب لخبر الله وخبر رسـوله في كفرهم، ومعاندة لحكمه فيهم، ولا مجال للحديث التفصيلي عن أوجه كفر أهل الكتاب وغيرهم.

القسم: الثاني: المرتد.

والمرتد أي: الراجع، وهو الذي رجع عن دينه، وكفر بعد إسلامه.[٢٦٨٢]

الردة في الاصطلاح: هي الكفر بعد الإسلام طوعا؛ إما باعتقاد، أو بفعل، أو بقول، أو شك. و(هي قطع الإسلام بنية كفر، أو قول كفر، أو فعل مكفر؛ سواء قاله: استهزاء، أو عناداً، أو اعتقادًا)[٢٦٨٣].

قال الله تعالى: {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢١٧]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:((من بدل دينه فاقتلوه))[٢٦٨٤] .

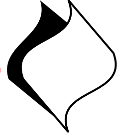
٢٦٨٠ أي الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم في العقائد والشرائع وهو عبادة الله وحده لا شريك له بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

٢٦٨١ الإبطال لنظرية الخلط ص/ ٩٣، وفتوى اللجنة الدائمة في (وحدة الأديان) برقم (١٩٤٢) وتاريخ ٢٥ / ١/ ١٤١٨هـ.

٢٦٨٢ انظر معاجم اللغة: ((لسـان العرب)): (ج ٣، ص ١٧٢) و ((المفردات في غريب القرآن)) (ص ١٩١). و((النهاية في غريب الحديث)) (ج٢، ص ٢١٤)

٢٦٨٣ انظر ((قليوبي وعميرة)) ((كتاب الردة)) (ج ٤، ص ١٧٤) وهو حاشيتا الشيخين قليوبي وعميرة على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين للنووي في فقه الشافعي.

٢٦٨٤ رواه البخاري (٣٠١٧). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.



واتفق أهل السـنة والجماعة؛ بأن الردة لا تصـح إلا من عاقل؛ فأما من لا عقل له؛ كالطفل، والمجنون، ومن زال عقله؛ بإغماء، أو نوم، أو مرض، أو شـرب دواء يباح شـربه؛ فلا تصـح ردته، ولا حكم لكلامه بغير خلاف [٢٦٨٥].

الردَّة لها صور متعددة إذا وقعُ الإنسـان المسـلم في شـيء منها فإنه يكون مرتدًا هذا إذا اجتمعت فيه شـروط المرتد وانتفت موانعه؛ من تلك الصور:

أولًا: إنكاره لشـيءٍ من أمورِ الدين، فمتى ما أنكرَ أو جحدَ شـيئاً من أمورِ الدين، فمن جحدَ شـيئاً مما أنزله الله عز وجل، أو أنكرَ آيةً واحدة أو كلمةً واحدة من كلامِ الله عز وجل أو جحدَ سنَّةً من السنن.

ثانيًا: الاستهزاء بأمرٍ من أمورِ الدين كما لو أن إنساناً استهزأ بسنَّةٍ من السنن.

ثالثًا: أو زادَ في كلامِ الله أو نقصَ منه.

رابعًا: أو سب الله، أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو سب الدين.

خامساً: أو أهان الدين أو رمى بالمصحف أو ألقاه في القاذورات.

وغير ذلك من الصور.

فالردَّة قد تكون في اعتقاد وقد تكون في قول ينطقه الإنسان، أو قد تكون في فعل فيكونُ مرتدا.

فعن أبي هريرة أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قال: ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصـبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا)).[٢٦٨٦]

٢٦٨٥ المصدر: الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة عبد الله بن عبد الحميد الأثري – ص٢٣٣

٢٦٨٦ رواه مسلم (١١٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضـــي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((إنَّ الْعَبْد لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمةِ مَا يَتَبيَّنُ فيهَا يَزِلُّ بهَا إِلَى النَّارِ أبْعَدَ مِمَّا بيْنَ المشْرِقِ والمغْرِبِ))٢٦٨٧.

يقول ابن حجر في شـــرح الحديث: (لا يلقي لها بالًا: أي: لا يتأمل بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها، ولا يظنُّ أنَّها تؤثر شيئًا).٢٦٨٨

ثانيًا: أوصاف أحوال الكفار يوم القيامة.

وقد أخبر الله عن الكفار وأوصاف أحوالهم يوم القيامة ويمكن تلخيص ذلك في النقاط الآتية:

أولًا: يُخرجون وهم يدعون على أنفسهم بالويل، والثبور.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١].

ثانيًا: هوانهم، وذلهم، وحسرتهم، وخزيهم في ذلك اليوم.

والنصوص في بيان هذا كثيرة.

قال الله تعالى في ذلِّهم: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس:٢٧].

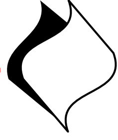
وفي حســـرتهم: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَـــنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّـاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾]الزمر: ٥٥-٥٩].

وفي خزيهم: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُـرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل:٢٧].

وكل ذلك من هوانهم على الله تعالى في ذلك اليوم، ومن شـــدة حســـرتهم يتمنون أن يكونوا ترابا: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ [النبأ:٤٠].

٢٦٨٧ صحيح البخاري: (٦٤٧٨)

٢٦٨٨ ((فتح الباري)) (٣١١/١١).



بل من حسرتهم يتمنوا أن يروا الذين أضلوهم؛ ليطؤوهم بأقدامهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت:٢٩].

ومن شِدَّة هولهم لذلك اليوم، وما فيه من العذاب، يتمنون لو قدَّموا أبنائهم، وأزواجهم، وإخوانهم، وعشيرتهم فداء لهذا اليوم؛ من أجل أن ينجوا، بل يتمنون أن يقدموا كل ما في الأرض جميعا من أجل أن ينجوا من العذاب، ولكنَّ هذا محال: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ *وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ [المعارج:١١-١٤].

ثالثًا: اسوداد الوجوه، وتغيرها.

قال الله تعالى في **وصف وجوههم**: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس:٢٧].

وقال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٦٠].

وقال في تغيرها: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٤]، أي: كالحة، كاسفة، عابسة، وقيل: أي: تغير لونها، والمعنى متقارب.

وقال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس: ٤٠-٤٢]، والغبرة: الغبار، والدخان، والقترة :السواد.

وحينما تدنو الشمس من الخلائق مقدار ميل، يختلف الناس في جريان العرق منهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يبلغ العرق إلى كعبيه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى حقويه-أي: إلى جنبه-، ومنهم من يلجمهم العرق إلجاما، كما جاء في حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه عند مسلم، ولا شك أن الكافر له من هذا أوفر الحظ، والنصيب.

رابعًا: حبوط أعمالهم.

فما يقدِّمه الكافر من أعمال صالحة، كالصدقة، والعتق، وصلة الأرحام، والإنفاق، ونحوها من سبل الخير لا تُغني عنه شيئا، فالله تعالى:

شبهها بالسراب، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

وشــبهها بالرماد، فقال: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

وسيجعلها هباءً منثوراً، فقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وبيَّن أنهم بأعمالهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وهم في خسارة لا يقام لهم وزن يوم القيامة، فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا *أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٥].

خامسًا: فضيحتهم؛ وذلك بلعنهم على رؤوس الأشهاد، فلا يُستر عليهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

سادسًا: تخاصم الكفار فيما بينهم في الموقف.

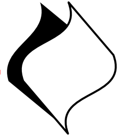
وهذا التخاصم جاء على عِدَّة أنواع، منها:

أ- تخاصم الأتباع مع قادتهم، وسادتهم الضُّلَال.

قال الله تعالى في بيان ذلك: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ [الصافات: ٢٧: ٣٢].

ثم يتبرأ المتَّبَعُون من أتباعهم: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، فإذا رأى الأتباع هذا ندموا، وتحسَّروا، وتمنَّوا أنهم لم يتبعوهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

وقال في بيان ذلك أيضًا: ﴿وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم:٢١].



وقال أيضـا: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧-٤٨].

ب- تخاصم الكافر مع قرينه الشيطان الموكَّل به.

قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٧-٢٨].

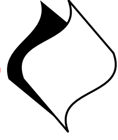
قال ابن عباس رضـي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة وغيرهم رحمهم الله ﴿ قَالَ قَرِينُهُ ﴾ هو: الشيطان الذي وُكِّل به[٢٦٨٩].

ج- بل يتخاصم الكافر حتى مع أعضائه أشد المخاصمة، وذروتها.

وتأمَّل هذه الخصـومة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ *حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصّلت: ١٩: ٢١].

وهذه المعنى فسَّره النَّبيُّ-صـلَّى الله عليه وسلَّم-ففي صـحيح مسلم عن أبي هريرة رضـي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. "قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. "فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي". ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي، "فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ، وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. أَيْ رَبِّ "فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. "فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي". ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذلِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ. فَيَقُولُ: هَهُنَا إِذًا "، قَالَ: " ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ

٢٦٨٩ انظر: تفسير ابن كثير على هذه الآية.



عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ. وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ. وَذلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ[٢٦٩٠]".

وهذا الحوار بين هذا العبد وجوارحه عجيب، أضحك النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ففي صحيح مسلم أيضا، من حديث أنس بن مالك-رضي الله عنه-قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ فَضَحِكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟" قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ. يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟" قَالَ: "يَقُولُ: بَلَى" قَالَ: "فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي" قَالَ: "فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا. وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا". قَالَ: "فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي". قَالَ: " فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ ". قَالَ: "ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ " قَالَ: "فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ"[٢٦٩١].

سابعًا: يمقتون أنفسهم.

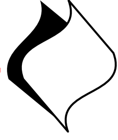
والمقت هو: أشد البغض، فتبلغ كراهيتهم لأنفسهم في ذلك اليوم مبلغًا عظيما، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر:١٠].

بل ويمقتون أنصارهم في الدنيا، ويدعون عليهم بمضاعفة العذاب: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٦: ٦٨]، بل لشدة مقتهم لهم، يتمنون أن يتولوا ذلك، فيطؤوهم تحت أقدامهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت:٢٩].

فلا يزال حنقهم، ومقتهم حتى يدخلوا النار، وترتفع أصواتهم، فيلعن بعضهم بعضا، ويتمنَّى بعضهم لبعض مزيدًا من العذاب: ﴿قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ

٢٦٩٠ رواه مسلم برقم (٢٩٦٨). "أي فل": أي فلان.

٢٦٩١ رواه مسلم برقم (٢٩٦٩).



لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]"[٢٦٩٢].

ثالثًا: حساب الكفار يوم القيامة

وسُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "عَنْ الْكُفّار: هل يحاسبون يوم القيامة أم لا؟

فَأَجَابَ: هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم.

فممن قال: **إنهم لا يحاسبون**: أبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم.

وممن قال: **إنهم يحاسبون**: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب المكي.

وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به:

- ✓ عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها.
- ✓ ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنى الأول، فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار.

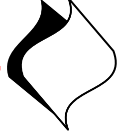
وإن أريد المعنى الثاني، فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة، فهذا خطأ ظاهر.

وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قَلَّتْ سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذابًا من أبي لَهَب.

وقال تعالى :﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، والنار دَرَكَات، فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذابًا من بعض؛ لكثرة سيئاته، وقلة حسناته كان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنة. "[٢٦٩٣]

٢٦٩٢ المصدر: "فقه الانتقال من دار الفرار إلى دار القرار" ص ٥٩-٦٠.

٢٦٩٣ انظر: مجموع الفتاوى (٤ /٣٠٥).



[المبشرون بالجنة].

قال المصنف–رحمه الله–:

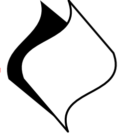
"فأما الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة، فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك، تصديقا للرسول–صلى الله عليه وسلم–فما ذكره ووعده لهم، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك، والله تعالى أطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على ما شاء من غيبه، وبيان ذلك في قوله–عز وجل–: { عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ} [الجن: الآيات: ٢٦–٢٧]، وقد بشر صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح، وكذلك قال لثابت بن قيس بن شماس: ((أنت من أهل الجنة)). قال أنس بن مالك: فلقد كان يمشي بين أظهرنا ونحن نقول: إنه من أهل الجنة".

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الصحابة:

أ–الصحابة لغة:



قال ابن فارس–رحمه الله–(ت: ٣٩٥ هـ): "الصاد والحاء والباء أصل واحد؛ يدل على مقارنة شيء ومقاربته من ذلك الصاحب، والجمع: الصحب، كما يقال: راكب وركب، ومن الباب: أصحب فلان؛ إذا انقاد، وأصحب الرجل؛ إذا بلغ ابنه، وكل شيء لاءم شيئًا فقد استصحبه". (٢٦٩٤).

فمدلول كلمة صحب يبين أن لفظ الصحبة يدل على ملازمة شيء لشيء، وهذه الملازمة تحصل بأحد أمرين:

الأول: ملازمة بالبدن، وهو المعاشرة، فإذا عاشر شخص آخر قيل: صاحبه، وهذا هو الأشهر والأكثر.
الثاني: بغير البدن، وهو المتابعة والانقياد، فإذا تابع شخص آخر قيل: صاحبه، كما يقال: أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب الشافعي، وأصحاب أحمد، وأصحاب مالك؛ لملازمتهم مذهبهم، فالصحبة هنا تحققت بالمتابعة لا بالمعاشرة.

ودلالة لفظ الصحبة على هذا المعنى حقيقة، وليست مجازًا لا كما **قال الفيومي–رحمه الله–(ت: ٧٦٠ هـ)**: ويطلق مجازًا على من تمذهب بمذهب من مذاهب الأئمة فيقال: أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة". (٢٦٩٥).

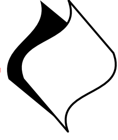
ب–شرعًا:

الصحابي: "هو كل من رأى النبي صلّى الله عليه وسلّم مؤمنًا به، ومات على الإسلام ولو تخللت ردة على الأصح". (٢٦٩٦)

(٢٦٩٤) مقاييس اللغة (٣/٣٣٥).

(٢٦٩٥) المصباح المنير (١٢٧).

(٢٦٩٦) انظر: نزهة النظر (١١١)، والتقييد والإيضاح (٢٥١)، ومنهاج السُّنَّة (٨/٣٨٨ ـ ٣٨٩).



قَالَ ابْنُ حَجَر (ت: ٨٥٢هـ): "وَأَصَحّ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِك أَنَّ الصَّحَابِيّ: مَنْ لَقيَ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ–مُؤْمِناً بِهِ، وَمَاتَ عَلَى الإِسْلامِ. فَيَدْخُل فِيمَنْ لَقِيَهُ: مَنْ طَالَتْ مُجَالَسَتُهُ لَهُ أَوْ قَصُرَتْ، وَمَنْ رَوَى عَنْهُ وَمَنْ لَمْ يَرْو، وَمَنْ غَزَا مَعَهُ أَوْ لَمْ يَغْز، ومَنْ رَآهُ رُؤْيَةً وَلَوْ لَمْ يُجَالِسهُ، وَمَنْ لَمْ يَرَهُ لِعَارِضٍ كَالْعَمَى". (٢٦٩٧)

وصنف العلماء الصحابة في طبقات اختلفوا في عددها، **قال السيوطي–رحمه الله–(ت: ٩١١ هـ)** في شرح التقريب: "واختلف في عدد طبقاتهم–يعني الصحابة–باعتبار السبق إلى الإسلام أو الهجرة أو شهود المشاهد الفاضلة، فجعلهم ابن سعد خمس طبقات وجعلهم الحاكم اثنتي عشرة طبقة". [٢٦٩٨]

قال أحمد شاكر–رحمه الله–(ت: ١٣٧٧ هـ): "وزاد بعضهم أكثر من ذلك، والمشهور ما ذهب إليه الحاكم[٢٦٩٩] والمراتب التي جعلها الحاكم للصحابة هي:

١–قوم أسلموا بمكة.

٢–أصحاب دار الندوة.

٣–المهاجرة إلى الحبشة.

٤–أصحاب بيعة العقبة الأولى.

٥–أصحاب بيعة العقبة.

٦–أول المهاجرين الذين وصلوا والنبي في قباء قبل أن يدخلوا المدينة ويبني المسجد.

(٢٦٩٧) الإصابة في تمييز الصحابة (١/٤–دار الكتب العلمية).

٢٦٩٨ تدريب الراوي ٢/ ٢٧٢.

٢٦٩٩ الباعث الحثيث ص ١٥٦.

٧-أهل بدر.

٨-المهاجرة الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

٩-أهل بيعة الرضوان.

١٠-المهاجرة بين الحديبية والفتح.

١١-الذين أسلموا يوم الفتح.

١٢-صبيان وأطفال رأوا النبي يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها وعدادهم في الصحابة. [٢٧٠٠]

ولعل المراتب السبع الأولى هي مراتب السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والله أعلم.

أما الطبقات الخمس التي جعلها ابن سعد في كتابه للصحابة فالأمر فيها ما قاله **أحمد شاكر-رحمه الله-(ت: ١٣٧٧ هـ)**: "لو كان المطبوع كاملًا لاستخرجناها منه وذكرناها" [٢٧٠١]، وأظن أن الطبقات التي جعلها ابن سعد هي الطبقات التي صنف عليها **ابن الجوزي-رحمه الله-(ت: ٥٩٧ هـ)** في كتابه "صفة الصفوة" من ترجم له من الصحابة، فإنه قال: "بدأت بذكر العشرة ثم ذكرت من بعدهم على ترتيب طبقاتهم". [٢٧٠٢] والطبقات التي ذكرها خمس هي:

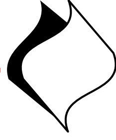
الطبقة الأولى: على السابقة في الإسلام ممن شهد بدراً من المهاجرين والأنصار، وحلفائهم ومواليهم. [٢٧٠٣]

٢٧٠٠ الباعث الحثيث ١٥٦ .

٢٧٠١ الباعث الحثيث ١٥٦.

٢٧٠٢ صفة الصفوة ١/ ٢٣٤.

٢٧٠٣ صفة الصفوة ١/ ٣٧٠.



الطبقة الثانية: من لم يشهد بدرا من المهاجرين والأنصار وله إسلام قديم. [٢٧٠٤]

الطبقة الثالثة: من شهد الخندق وما بعدها. [٢٧٠٥]

الطبقة الرابعة: من أسلم عند الفتح وفيما بعد ذلك. [٢٧٠٦]

الطبقة الخامسة: الذين توفي رسول الله له وهم أحداث الأسنان. [٢٧٠٧]

وفي المطبوع من طبقات **ابن سعد–رحمه الله–(ت: ٢٣٠ هـ)** ذكر الطبقتين الأوليين على نفس الوصف الذي ذكره ابن الجوزي تماما. [٢٧٠٨]

والعلماء وإن أرادوا بهذا التقسيم معرفة الصحابة لا ذكر التفاضل إلا أنهم قد اعتبروا وجوه الفضل والتفاضل في التقسيم، والله أعلم. [٢٧٠٩]

المسألة الثانية: الشهادة لبعض الصحابة بالجنة.

من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: "نشهد بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ منهم؛ فقد شهد ﷺ للعشرة؛ فقال: "**أبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة،**

٢٧٠٤ صفة الصفوة ١/ ٥٠٦.

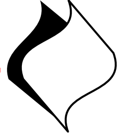
٢٧٠٥ صفة الصفوة ١/ ٦٥٠.

٢٧٠٦ صفة الصفوة ١/ ٧٢٥

٢٧٠٧ صفة الصفوة ١/ ٧٤٦.

٢٧٠٨ انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٦، ٤، ٥.

٢٧٠٩ المصدر: مباحث المفاضلة في العقيدة ص ٢٧١ ـ ٢٧٣.



والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة". [٢٧١٠]

وشهد ﷺ لثابت بن قيس بالحنة؛ **فعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–(ت: ٩٣ هـ)**، أنه قال: "لما نزلت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: الآية: ٢] إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا مِن أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ، فقال: ((**يا أبا عمرو، ما شأنُ ثابت؟ اشتكى؟**)). قال سعد: إنه لجاري، وما علمتُ له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أُنْزِلَت هذه الآية، ولقد علمتم أني مِن أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ، فأنا مِن أهل النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ((**بل هو مِن أهلِ الجنَّة**))[٢٧١١].

وشهد ﷺ لعُكَّاشة بن محصن رضي الله عنه أنه من السَّبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ. [٢٧١٢]

وشهد ﷺ لبلالٍ بالجنة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: ((**يا بلال، حَدِّثني بأرجى عمل عملتَه في الإسلام؛ فإني سمعتُ دَفَّ نَعليك**[٢٧١٣] **بين يدي في الجنَّة!**)). قال: ما عملت عملًا أرجى عندي: أني لم أتطهر طهورًا–في ساعة ليل أو نهار–إلَّا صَلَّيت بذلك الطهور ما كُتِب لي أن أُصَلِّي". [٢٧١٤]

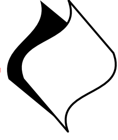
[٢٧١٠] (الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج ٢، ص ٨٣).

٢٧١١ أخرجه مسلم (١١٩).

٢٧١٢ أخرجه البخاري (٥٧٥٢) ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

٢٧١٣ أي: حركة نعليه وصوتهما في الأرض.

٢٧١٤ أخرجه البخاري (١١٤٩).



وبشَّر ﷺ خديجة بنت خويلد ببيت في الجنة مِن قَصب؛ لا صخب، فيه ولا نصب[2715].

وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: ((**أَنتِ زوجتي في الدنيا والآخرة**)). [2716]

وشهد ﷺ لغيرهم من الصحابة.

فكلُّ مَن ثبت أنَّ النبي ﷺ قد شهد لهم بالجنة-فإننا نشهد لهم كذلك.

قال ابن كثير-رحمه الله-(ت: ٧٧٤ هـ): "وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة، وابن سلام، والعميصاء، وبلال، وسراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء رضي الله عنهم". [2717] ومثله قال العيني في العمدة.

وقد بوب عليه **البيهقي-رحمه الله-(ت: ٤٥٨ هـ)**: "باب لا يشهد لأحد بجنة ولا نار إلاّ لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بها". [2718]

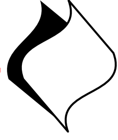
وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-(ت: ١٢٠٦ هـ): "لا أحد يشهد لأحد بالجنة أو النار إلا من ثبت له ذلك. وأهل السنة والجماعة لا يشهدون لِمُعَيَّنٍ بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله-صلى الله

٢٧١٥ أخرجه البخاري (٣٨١٩) ومسلم (٢٤٣٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه. أخرجه البخاري (٣٨١٩) ومسلم (٢٤٣٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

٢٧١٦ أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧٠٩٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٧٠٥٣).

٢٧١٧ تفسير ابن كثير:(٤/ ١٥٦).

٢٧١٨ (الكبرى ٤/ ٧٦).



عليه وسلم-بأنه من أهل الجنة، كالعشرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، الذين ثبتت الأحاديث في تعيينهم أنهم من أهل الجنة". ٢٧١٩

جاء في تكملة المجموع شرح المهذب: "من ثبت عليه منهم أن يكفر من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة من العشرة وغيرهم فهو كافر". [٢٧٢٠]

ونص الرسول-صلى الله عليه وسلم-نصاً صريحاً على أن عشرة من أصحابه من أهل الجنة، ففي (مسند أحمد)، و(سنن الترمذي) عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي -صلى الله عليه وسلم-قال: ((**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**)).[٢٧٢١] وإسناده صحيح.

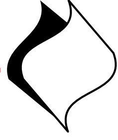
وروى الحديث الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والضياء في المختارة عن سعيد بن زيد بلفظ فيه شيء من الاختلاف عن سابقه، ولفظه: ((**عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة**)).[٢٧٢٢] وإسناده صحيح .

٢٧١٩ جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (٢٠٦).

٢٧٢٠ تكملة المجموع شرح المهذب: (٢/ ٢٦). وانظر: حاشية ابن عابدين (١/ ٢١٨).

٢٧٢١ رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وأحمد (١/١٩٣) (١٦٧٥). وحسنه ابن حجر في ((هداية الرواة)) (٥/٤٣٦) -كما ذكر في مقدمته-. وقال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (٣/١٣٦): إسناده صحيح. وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)): صحيح.

٢٧٢٢ رواه أبو داود (٤٦٤٩)، وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد (١/١٨٨) (١٦٣١). والحديث سكت عنه أبو داود. وقال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (١/١١٠): إسناده صحيح. وقال الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)): صحيح.



فأَهْلَ السُّنَّةِ يَشْهَدُونَ أَنَّ الْعَشَرَةَ فِي الْجَنَّةِ، **قال ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ)**: "لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة، وابن سلام، والعميصاء، وبلال، وسراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء رضي الله عنهم". [٢٧٢٣]

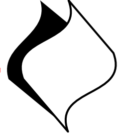
[المفاضلة بين الصحابة]

قال المصنف–رحمه الله–:

"ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وأنهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر–صلى الله عليه وسلم–خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن نبهان عن سفينة ((الخلافة بعدي ثلاثون سنة))، وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول–صلى الله عليه وسلم–.

ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر–رضي الله عنه–بعد وفاة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، وقولهم قاطبة: رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، فرضيناه لدنيانا، وقولهم: قد مات رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فمن يؤخرك! وأرادوا أنه–صلى الله عليه وسلم–قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه، فصلينا وراءك بأمره، فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده، فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه والله، وارتفعوا حتى قال أبو هريرة–رضي الله عنه–: والله الذي لا إله

٢٧٢٣ تفسير ابن كثير: (٤/ ١٥٦).



إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف لما عبد الله. ولما قيل له: مه يا أبا هريرة! قام بحجة صحة قوله، فصدقوه فيه وأقروا به.

ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه، واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله سبحانه بمكانه في إعلاء الإسلام، وإعظام شأنه وعده.

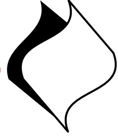
ثم خلافة عثمان–رضي الله عنه–بإجماع أهل الشورى، وإجماع الأصحاب كافة، ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه.

ثم خلافة علي–رضي الله عنه–ببيعة الصحابة إياه، عرفه ورآه كل منهم–رضي الله عنه–أحق الخلق، وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه، فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين، وقهر وقسر بمكانهم الملحدين، وقوى بمكانهم الإسلام، ورفع في أيامهم للحق الأعلام، ونور بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام، وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} [النور: الآية: ٥٥]، وفي قوله: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ} [الفتح: الآية: ٢٩]، فمن أحبهم وتولاهم، ودعا لهم، ورعى حقهم، وعرف فضلهم فاز في الفائزين، ومن أبغضهم وسبهم، ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض والخوارج . لعنهم الله . فقد هلك في الهالكين. قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((لا تسبوا أصحابي، فمن سبهم فعليه لعنة الله)) وقال: ((من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن سبهم فعليه لعنة الله))".

الشرح:

أولًا: المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله عز وجل.

المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله عز وجل وما كان بيد الله عز وجل فهو ملكه، والله سبحانه وتعالى قال: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ}، فالله اختار أن يفضل فلان على فلان من الناس وهذه المفاضلة قد تكون في المال، وقد تكون في العلم، وقد تكون في النسب، وقد تكون في أمورٍ متعددة فهذا فضل الله سبحانه وتعالى، وفضل الله يؤتيه من يشاء سبحانه وتعالى.



والله سبحانه وتعالى قال: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) النساء: ٣٢.

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ النحل: ٧١.

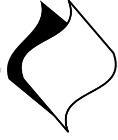
وكتب عمر رضي الله عنه رسالة إلى أبي موسى الأشعري، يقول له فيها: واقنع برزقك من الدنيا، فإن الرحمن فضَّل بعض عباده على بعض في الرزق، بلاء يبتلي به كلاً، فيبتلي من بسط له، كيف شكره لله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله، رواه ابن أبي حاتم[٢٧٢٤].

فقد يُفاضل الله سبحانه وتعالى بين الذكر والأنثى، قد يفاضل الله سبحانه وتعالى بين الإخوة، وقد يفاضل الله سبحانه وتعالى بين بني الجنس الواحد، كل ذلك تحت قدرته، وتحت إرادته سبحانه وتعالى حتى في الأولاد، (لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(٥٠) الشورى: ٤٩-٥٠، فقد يكون الإنسان عقيمًا، وقد يكون ذا أولاد من الذكور أو الإناث أو من الذكور والإناث.

فالإنسان في هذا الكون يسير على قدر الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى هو المتصرف والمدبر لأمر هذا الكون كله، وكله ابتلاء، فالنعمة ابتلاء وضدها ابتلاء، {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك:٢]، كل أمرٍ نحن فيه هو ابتلاء.

ليرى الله عز وجل منك ما أنت صانع وما أنت فاعل، فإذاً هذه المفاضلة موجودة، ولا شك أن أهل الإيمان أفضل من الكفار، وأكبر نعمة منها الله عز وجل على الإنسان أن هداه لهذا الدين، والله سبحانه وتعالى سماه نعمة، {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة:٣]، فسماها نعمة ولا شك أنها أعظم النعم على العبد أن هداه الله عز وجل لنعمة الإسلام.

٢٧٢٤ الدر المنثور: ٥/ ١٠٦ وعزاه لابن أبي حاتم.



ثانيًا: المفاضلة بين الصحابة.

والصحابة هم في الفضل متفاوتون؛ فمن أنفق قبل الفتح (صُلح الحديبية) لا يستوي مع مَن أنفق بعده، وكذلك المهاجرون مُقَدَّمون على الأنصار، ويأتون في الفضل على مراتب؛ فأهل بدر، ثم أهل بيعة الرِّضوان، ثم من جاء بعدُ.

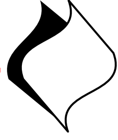
وقد جاء في فضل أهل بدر؛ قوله ﷺ: ((**لعلَّ اللهَ اطَّلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شِئتم، فقد وَجَبت لكم الجنة–أو–فقد غفرتُ لكم**)). (٢٧٢٥)، وقال الله–جل وعلا–عن أهل بيعة الرضوان: **{لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}** [الفتح: الآية: ١٨]، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

أولاً: هذه المسائل المتعلقة بالمفاضلة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يذكرها العلماء دائماً توطئة لمسائل الخلافة والإمامة.

فمسألة تفضيل أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على باقي الصحابة، ويدخل فيها مسألة تفضيل عثمان على علي.

وأهل السنة يعتقدون بأن خير هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان، ثم علي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، ثم بعد ذلك يأتي بقية العشرة، ثم يأتي بعد هذا أهل بدر، ثم يأتي بعد ذلك أهل بيعة شجرة الرضوان، ثم بعد ذلك يأتي أهل الفتح فتح مكة ثم بعد ذلك يتوالى الفضل بحسب أقدمية ذلك الذي أسلم من الصحابة.

(٢٧٢٥) أخرجه البخاري (٣٩٨٣) ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.



قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ويقرُّون بما تَوَاتَرَ به النَّقْلُ عن أميرِ المؤمنينَ عليّ بْنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه وغيرِه، مِن أَنَّ خَيْرَ هذه الأُمَّةِ بعد نَبِيِّهَا: أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ويثُلِّثُونَ بِعُثْمَان، ويُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم أجمعين، كما دلَّت عليه الآثارُ". [٢٧٢٦]

وقد أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، وإن كان بعض السلف قد اختلفوا في التفضيل بين عثمان وعلي–فإنهم لم يختلفوا في الترتيب في البيعة للخلافة، وكل مَن خالف الترتيب في الخلافة فإنه من أهل البدع.

وترتيب أهل السنة: "أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ويثُلِّثُونَ بِعُثْمَان، ويُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم أجمعين".

وإن كان ثَمَّ خلاف في التفضيل بين عثمان وعليٍّ، ولكنه لا يترتب عليه أي أثر في الانتساب لأهل السنة؛ "فقدَّم قومٌ عثمانَ، وسكتوا، وربَّعوا بعليٍّ، وقدَّم قومٌ عليًّا، وقومٌ توقَّفوا، لكن استقرَّ أمرُ أهلُ السُّنَّة على تقديم عُثْمَان ثم عليّ".

كانتْ هذه المسْأَلَةُ (مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وعليٍّ) ليستْ من الأصولِ التي يُضَلَّلُ المخالفُ فيها عند جمهورِ أَهْلِ السُّنَّة، لكن التي يُضَلَّلُ فيها مسألةُ الخلافةِ؛ وذلك لأنهم يؤمنون أنَّ الخليفةَ بَعْدَ رسولِ الله ﷺ أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ، ومَن طَعَنَ في خلافة أحدٍ مِن هؤلاء فهو أضلُّ مِن حِمَارِ أَهْلِهِ».

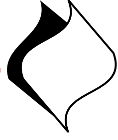
فلهم مِن الفضل ومِن المكانة ما هو مُجمع عليه بين أهل السُّنَّة.

ثانيًا: ذكر تفاضل الأربعة رضوان الله عليهم. [٢٧٢٧]

أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على تفضيل أبي بكر وتقديمه على سائر الصحابة ثم تفضيل عمر بعده على عثمان ثم عثمان بعد عمر على من بعده رضوان الله عليهم، وكانوا يتحدثون بذلك في زمن

٢٧٢٦ مجموع الفتاوى ٢/ ٩١.

٢٧٢٧ المصدر: مباحث المفاضلة في العقيدة: ص ٢٥٢ . ٢٦٤



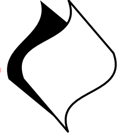
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسمعهم فلا ينكره، ثم أجمعوا على تقديم علي بعد عثمان فقدموه وبايعوه بالخلافة.

فالصحابة مجمعون على تفضيل أبي بكر على عمر ثم عمر على عثمان ثم عثمان على علي رضي الله عنهم أجمعين، وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

ولقد اتفق-الناس-الصحابة وغيرهم-بعد مقتل عمر رضي الله عنه على تفضيل عثمان، حكى هذا الاتفاق صاحب رسول الله صلى عليه وسلم، عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، أما عبد الرحمن فقد قال في قصة بيعة عثمان رضي الله عنه لما اختاره للخلافة بعد عمر: «أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان[٢٧٢٨] وكان قد قال رضي الله عنه قبل ذلك للشيخين عثمان وعلي رضي الله عنهما حين التشاور: «أفتجعلونه-(يعني أمر الاختيار)-إلي والله على أن لا آلو عن أفضلكم»[٢٧٢٩] وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما استخلف عثمان: « أمرنا

[٢٧٢٨] أخرجه البخاري انظره مع الفتح ١٣/ ١٩٤، وقد كان عبد الرحمن رضي الله عنه قد اجتهد غاية الاجتهاد قال ابن كثير في الباعث الحثيث ص ١٥٥: «حتى سأل النساء في خدورهن والصبيان في المكاتب فلم يرهم يعدلون بعثمان أحداً.

[٢٧٢٩] أخرجه البخاري انظره مع الفتح ٧/ ٦١.



خير من بقي ولم نأل [٢٧٣٠] وقال رضـــي الله عنه: « إنا اجتمعنا أصـــحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذي فوق فبايعنا أمير المؤمنين عثمان »).[٢٧٣١]

وقال الإمام أحمد: «لم يكن بين أصحاب رسول الله اختلاف إن عثمان أفضل من علي". [٢٧٣٢].

ومضى اعتقاد أهل السنة والجماعة على ذلك إلا ما كان من خلاف يسير في المفاضلة بين عثمان وعلي أيهما أفضل؟ بعد أن أجمعوا على تقديم أبي بكر وعمر عليهما في الفضل بلا خلاف.

وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

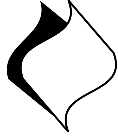
قال الشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ): "ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان ". قال البيهقي–رحمه الله–(ت: ٤٥٨ هـ)، –بعد ذكره قول الشافعي هذا بسنده–: "وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا" [٢٧٣٣]

[٢٧٣٠] أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٤٦١، قال المحقق: «إسناده صحيح، وابن سعد في الطبقات ٣/ ٦٣، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٦٠، والخلال في السنة ص ٣٨، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٨٨: «رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح، وأخرجه اللالكائي في الشرح ٧/ ١٣٤٢.

[٢٧٣١] أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٢٩٦، ٤٦٣، قال المحقق في ص ٢٩٦: «رجال الإسناد ثقات، وقال في ص ٤٦٧: «إسناده حسن، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٦٣، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٦١، وأخرجه اللالكائي في الشرح.٧/ ١٣٤٢.

[٢٧٣٢] السنة للخلال ٣٩٢.

٢٧٣٣ الاعتقاد ٣٦٩.



وقال يحيى بن سعيد القطان-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ): "من أدركت من أصحاب النبي والتابعين لم يختلفوا في أبي بكر وعمر وفضلهما إنما كان الاختلاف في علي وعثمان[٢٧٣٤] والخلاف الذي وقع في ذلك خلاف يسير، وما وقع إلا في المفاضلة بينهما، وتقديم أحدهما على الآخر في الفضل دون الخلافة، فإنهم مجمعون بلا خلاف على تقديم عثمان على علي في الخلافة، وعلى صحة الخلافتين، ثم إن ذاك الخلاف قد انقضى واستقر أمر أهل السنة على تفضيل عثمان على علي ورجع بعض من قال بتقديم علي إلى تقديم عثمان.

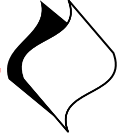
قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي-رضي الله عنهما-بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر، أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي، وقدم قوم عليا، وقوم توقفوا، قال: "لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان على علي، وإن كانت هذه المسألة-مسألة عثمان وعلي-ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله". [٢٧٣٥]

قال ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ): "الإجماع انعقد بأخره بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة". [٢٧٣٦]

٢٧٣٤ شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٣٦٧.

٢٧٣٥ العقيدة الواسطية-ضمن المجموعة العلمية السعودية-ص ٨٦.

٢٧٣٦ فتح الباري ٧/ ٣٤.



وروى ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ) بسنده أن مالكا سئل: من تقدم بعد رسول الله؟ قال أقدم أبا بكر وعمر ولم يزد على هذا. وروى أيضا قول مالك: "ليس من أمر الناس الذين مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس". [٢٧٣٧]

ولقد روى الخلال–رحمه الله–(ت: ٣١١ هـ) بسنده عن أيوب السختياني–رحمه الله–(ت: ١٣١ هـ) أنه قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون القاسم بن محمد وسليمان وغيرهما فما رأيت أحدا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان". [٢٧٣٨]

هذا، وقد ذكر **ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ)** [٢٧٣٩] عن بعض السلف من الصحابة وغيرهم سمى بعضهم، أن منهم من قال: أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب ومنهم من قال وبعد جعفر حمزة، وأن منهم من قال إن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود، وغير ذلك مما ذكره ابن حزم عن بعض السلف من غير أن يذكر إسناداً؛ لما رواه عنهم.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وأما ما يحكي عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر وتقديم طلحة أو نحو ذلك فذلك في أمور مخصوصة لا تقديماً عاماً وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي". [٢٧٤٠]

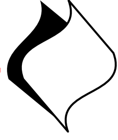
ويشهد لما قاله ابن تيمية من كلام **ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ)** نفسه فقد حمل ما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها في ذكرها زوجها قبل النبي صلى الله عليه وسلم على أنه مذهبها في التفضيل، قال: "وروينا عن أم سلمة أم المؤمنين–رضي الله عنها–(ت: مابين ٥٧ إلى ٦٤ هـ)، أنها تذكرت الفضل

٢٧٣٧ الانتقاء ٣٠، ٣٩.

٢٧٣٨ السنة ص ٤٠٣.

٢٧٣٩ انظر الفصل ٤/ ١١١

٢٧٤٠ منهاج السنة ٢٢/ ٧٤.



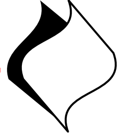
ومن هو خير فقالت: ومن هو خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢٧٤١]، والمروي عن أم سلمة في ذلك ما جاء في سياق قصة زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم من قولها: "فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منه"، قال: "ثم رجعت إلى نفسي قلت: من أين لي خير من أبي سلمة، فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت قصة خطبة النبي لها ثم زواجها منه صلى الله عليه وسلم" حتى قولها: "فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرًا منه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–[٢٧٤٢] وحمل ما ورد في هذه الرواية عن أم سلمة أنه مذهبها وقولها في أفضل الناس بعد رسول الله–كما حمله ابن حزم–عجيب غاية العجب، ولقد وردت أحاديث في تفضيل أعيان من الصحابة كل واحد في أمر مخصوص كما في حديث: ((أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)). [٢٧٤٣] ونحو ذلك من الأحاديث ومن قال من السلف مثلا أفرض الصحابة زيد فليس هذا قول منه بأنه أفضل الصحابة بعد النبي وإن توهم الواهم ذلك.

وقد روى الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ) بسنده **عن أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)**، أنه قال: "وما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا ركب الكور رجل أفضل من جعفر". ثم **قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ)**: "هذا ثابت عن أبي هريرة، ولا ينبغي أن يزعم زاعم أن مذهبه: أن

٢٧٤١ الفصل ٤/ ١١١.

٢٧٤٢ أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٧، ٢٨، ٦/ ٣١٣، ٣١٧، ٣٢١، والحاكم ٤/ ١٦، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر الفتح الرباني ٢١/ ٦٧، ٦٨، وأصله في صحيح مسلم ٢/ ٦٣٣.

٢٧٤٣ أخرجه الترمذي ٥/ ٦٢٣، وابن ماجه ١/ ٢٥٥، وأحمد في المسند ٣/ ١٨٤، ٢٨١.



جعفراً أفضل من أبي بكر وعمر، فإن هذا الإطلاق ليس هو على عمومه، بل يخرج منه الأنبياء والمرسلون، فالظاهر أن أبا هريرة لم يقصد أن يدخل أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهم". [٢٧٤٤]

ومن قبيل ما ذكره **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ) ما حكاه الخطابي–رحمه الله–(ت: ٣٨٨ هـ)** عن بعض المتأخرين إذ قال: "وللمتأخرين في هذا مذاهب، منهم من قال بتقديم أبي بكر من جهة الصحابة وبتقديم علي من جهة القرابة".

قال: وكان بعض مشايخنا يقول: أبو بكر خير وعلي أفضل قال: وباب الخيرية غير باب الفضيلة، قال: وهذا كما تقول: إن الحر الهاشمي أفضل من العبد الرومي والحبشي، وقد يكون العبد الحبشي خيراً من هاشمي في معنى الطاعة لله والمنفعة للناس، فباب الخيرية متعد وباب الفضيلة لازم[٢٧٤٥] وهذا الذي حكاه الخطابي هو في معنى ما تقرر من أنه قد تكون في المفضول فضيلة لا توجد في الفاضل من غير أن ينال ذلك من تفضيل الفاضل على المفضول، والله أعلم.

وكان **ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ)** قال: "اختلف السلف أيضا في تفضيل علي وأبي بكر". [٢٧٤٦]

قال الزركشي–رحمه الله–(ت: ٧٩٤ هـ): "قد غلط في ذلك ووهم"[٢٧٤٧] كيف وهو نفسه ممن نقل اجتماع السلف والخلف على أن عليا أفضل الناس بعد عثمان". [٢٧٤٨]

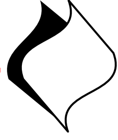
٢٧٤٤ السير ١٤/ ٥٠٦.

٢٧٤٥ معالم السنن –بهامش المختصر– ٧/ ١٨، ١٩.

٢٧٤٦ الاستيعاب –بهامش الإصابة ٣/ ٥٢.

٢٧٤٧ الإجابة ص ٥٤.

٢٧٤٨ انظر الاستيعاب ٣/ ٥٢.



فالصحابة مجمعون على تفضيل أبي بكر على عمر ثم عمر على عثمان ثم عثمان على علي رضي الله عنهم أجمعين، ولقد اتفق–الناس–الصحابة وغيرهم–بعد مقتل عمر رضي الله عنه على تفضيل عثمان، حكى هذا الاتفاق صاحب رسول الله صلى عليه وسلم، عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، أما عبد الرحمن فقد قال في قصة بيعة عثمان رضي الله عنه لما اختاره للخلافة بعد عمر: «أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان[٢٧٤٩] وكان قد قال رضي الله عنه قبل ذلك للشيخين عثمان وعلي رضي الله عنهما حين التشاور: "أفتجعلونه–(يعني أمر الاختيار)–إلي والله على أن لا آلو عن أفضلكم". [٢٧٥٠]

وقال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ) لما استخلف عثمان: "أمرنا خير من بقي ولم نأل" [٢٧٥١]

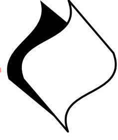
وقال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ): "إنا اجتمعنا أصحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذي فوق فبايعنا أمير المؤمنين عثمان". [٢٧٥٢]

٢٧٤٩ أخرجه البخاري انظره مع الفتح ١٣/ ١٩٤، وقد كان عبد الرحمن رضي الله عنه قد اجتهد غاية الاجتهاد قال ابن كثير في الباعث الحثيث ص ١٥٥: «حتى سأل النساء في خدورهن والصبيان في المكاتب فلم يرهم يعدلون بعثمان أحداً.

٢٧٥٠ أخرجه البخاري انظره مع الفتح ٧/ ٦١.

٢٧٥١ أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٤٦١، قال المحقق: «إسناده صحيح، وابن سعد في الطبقات ٣/ ٦٣، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٦٠، والخلال في السنة ص ٣٨، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٨٨: «رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح، وأخرجه اللالكائي في الشرح ٧/ ١٣٤٢.

٢٧٥٢ أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٢٩٦، ٤٦٣، قال المحقق في ص ٢٩٦: «رجال الإسناد ثقات، وقال في ص ٤٦٧: «إسناده حسن، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٦٣، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٦١، وأخرجه اللالكائي في الشرح.٧/ ١٣٤٢.



وقال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "لم يكن بين أصحاب رسول الله اختلاف أن عثمان أفضل من علي". [٢٧٥٣]

ومضى اعتقاد أهل السنة والجماعة على ذلك إلا ما كان من خلاف يسير في المفاضلة بين عثمان وعلي أيهما أفضل؟ بعد أن أجمعوا على تقديم أبي بكر وعمر عليهما في الفضل بلا خلاف.

وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

قال الشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ): "ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان".

قال البيهقي–رحمه الله–(ت: ٤٥٨ هـ)، –بعد ذكره قول الشافعي هذا بسنده–: "وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا [٢٧٥٤] **وقال يحيى بن سعيد القطان–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ)**: "من أدركت من أصحاب النبي والتابعين لم يختلفوا في أبي بكر وعمر وفضلهما إنما كان الاختلاف في علي وعثمان". [٢٧٥٥]

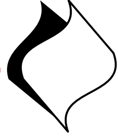
والخلاف الذي وقع في ذلك خلاف يسير، وما وقع إلا في المفاضلة بينهما، وتقديم أحدهما على الآخر في الفضل دون الخلافة، فإنهم مجمعون بلا خلاف على تقديم عثمان على علي في الخلافة، وعلى صحة الخلافتين، ثم إن ذاك الخلاف قد انقضى واستقر أمر أهل السنة على تفضيل عثمان على علي ورجع بعض من قال بتقديم علي إلى تقديم عثمان.

يقول ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر، أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا

٢٧٥٣ السنة للخلال ٣٩٢.

٢٧٥٤ الاعتقاد ٣٦٩.

٢٧٥٥ شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٣٦٧.



وربعوا بعلي، وقدم قوم عليا، وقوم توقفوا"، قال: "لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان على علي، وإن كانت هذه المسألة–مسألة عثمان وعلي–ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله". [٢٧٥٦]

وقال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ)، –بعد ذكره للخلاف الواقع بين أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي–: "وأهل السنة اليوم على ما ذكرت لك من تقديم أبي بكر في الفضل على عمر وتقديم عمر على عثمان وتقديم عثمان على علي رضي الله عنهم". [٢٧٥٧]

وقال ابن الصلاح–رحمه الله–(ت: ٦٤٣ هـ): "وتقديم عثمان هو الذي استقرت عليه مذاهب أصحاب الحديث والسنة". [٢٧٥٨]

قال ابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "الإجماع انعقد بأخره بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة". [٢٧٥٩]

وحاصل ما كان عليه أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي قبل انعقاد إجماعهم على تفضيل عثمان ثلاثة مذاهب:

الأول: تفضيل عثمان ثم علي–وكان مذهب الجمهور.

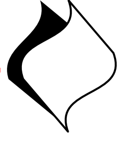
الثاني: تفضيل علي ثم عثمان–وكان قد ظهر في أهل الكوفة.

٢٧٥٦ العقيدة الواسطية–ضمن المجموعة العلمية السعودية–ص ٨٦.

٢٧٥٧ الاستيعاب –بهامش الإصابة–٣/ ٥٤.

٢٧٥٨ المقدمة ص ١٩٩.

٢٧٥٩ فتح الباري ٧/ ٣٤.



الثالث: التوقف عن المفاضلة بينهما، وكان قد ظهر في أهل المدينة.

فالمذهب الأول: هو الذي كان عليه عامة أهل السنة كما قال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ) [٢٧٦٠] والخطابي–رحمه الله–(ت: ٣٨٨ هـ) [٢٧٦١]، وابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ)[٢٧٦٢] وغيرهم، وفي هؤلاء من توقف في التفضيل عند عثمان فقال بتفضيل عثمان بعد عمر وسكت على ذلك، مع اعتقاده بالتربيع بعلي، وإنما قصد بالتوقف عند عثمان الاقتداء بحديث ابن عمر المتقدم، وهم لا يقدمون على علي أحدًا بعد الثلاثة، ومن هؤلاء أحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، وصرح رحمه الله بأن التوقف عند عثمان إنما هو عمل بحديث ابن عمر فقال: نقول أبو بكر وعمر وعثمان ونسكت، على حديث ابن عمر". [٢٧٦٣]

وقال رحمه الله: "فإن قال قائل من بعد عثمان؟ قلت: علي". [٢٧٦٤]

وقال رحمه الله لمن سأله عمن قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، قال: "أذهب إليه، ويعجبني أن أقول أبو بكر وعمر وعثمان وأسكت، وإن قال رجل: وعلي، لم أعنفه، ولا يعجبني هذا القول".

قال ابن عمر–رضي الله عنه–(ت: ٧٣ هـ): "أبو بكر وعمر وعثمان، ونترك أصحاب رسول الله له لا نفضل بينهم". [٢٧٦٥]

٢٧٦٠ الاستيعاب ٣/ ٥٤.

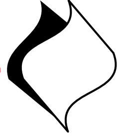
٢٧٦١ معالم السنن –بهامش المختصر –٧/ ١٨.

٢٧٦٢ فتح الباري ٧/ ١١.

٢٧٦٣ السنة للخلال ص ٣٩٧.

٢٧٦٤ السنة للخلال ص ٤٠٥.

٢٧٦٥ السنة للخلال ص ٤٠٥.



وقال رحمه الله: "من وقف على عثمان ولم يربع بعلي فهو على غير السنة". [٢٧٦٦]

وهذا المسلك مروي عن جماعة من أئمة أهل السنة كيحيى بن معين-رحمه الله-(ت: ٢٣٣ هـ)، وبشر بن الحارث-رحمه الله-(ت: ٢٢٧ هـ)، ويزيد بن زريع-رحمه الله-(ت: ١٨٢ هـ)، ومحمد بن عبيد-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ)، وعبد الله بن المبارك-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ)، وغيرهم[٢٧٦٧]، وسبق بيان أن ما ورد في حديث ابن عمر من السكوت عن علي متأول بأمور منها أن الإجماع المنعقد على تقديم علي بعد عثمان إنما حدث بعد الزمن الذي قيده ابن عمر.

وأما المذهب الثاني: وهو تفضيل علي ثم عثمان بعد أبي بكر وعمر فهو كان مذهب عامة أهل الكوفة.

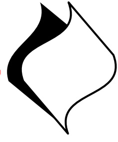
قال الخطابي-رحمه الله-(ت: ٣٨٨ هـ): "ذهب أكثر أهل الكوفة إلى تقديمه-يعني عليا-على عثمان رضي الله عنهما قال: "وحدثني محمد بن هاشم حدثنا أبو يحي بن أبي ميسرة عن عبد الصمد قال: قلت **لسفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)**: "ما قولك في التفضيل؟ فقال: أهل السنة من أهل الكوفة يقولون: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان، وأهل السنة من أهل البصرة يقولون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، قلت: فما تقول أنت؟ قال: أنا رجل كوفي.

قال الخطابي-رحمه الله-(ت: ٣٨٨ هـ): "قلت: وقد ثبت عن سفيان أنه قال في آخر قوليه: "أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم". [٢٧٦٨]، وكما رجع سفيان الثوري رجع غيره من أهل الكوفة.

٢٧٦٦ طبقات الحنابلة ١/ ٣١٣.

٢٧٦٧ انظر السنة للخلال ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٠، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٣٨٩، ١٣٩٢، ١٣٦٩.

٢٧٦٨ معالم السنن-بهامش المختصر-٧/ ١٨.



كما قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "إن سفيان الثوري وطائفة من الكوفة رجحوا علياً ثم عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره". [٢٧٦٩]

وقال ابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "ذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمان، وممن قال به سفيان الثوري–رحمه الله–(ت: ١٦١ هـ)، ويقال إنه رجع عنه، وقال به ابن خزيمة–رحمه الله–(ت: ٣١١ هـ)، وطائفة قبله وبعده.[٢٧٧٠]

هذا وقد **روى الخلال–رحمه الله–(ت: ٣١١ هـ) بسنده عن يحيى بن سعيد القطان–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ)** أنه قال: "كان رأي سفيان الثوري: أبو بكر وعمر ثم يقف". [٢٧٧١]

وكان التوقف مذهب يحي بن سعيد–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ)، وقال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "بلغني أن يحي كان يقف عند ذكر عمر" قال: "وكان يأخذه من سفيان"[٢٧٧٢] يعني الثوري، فلا أدري متى كان التوقف من سفيان؟ والله أعلم.

وأما المذهب الثالث: وهو التوقف عن المفاضلة بينهم، فهو رواية عن مالك، ففي المدونة **قال ابن القاسم–رحمه الله–(ت: ١٩١ هـ)**: "وسألت مالكا عن خير الناس بعد نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، فقال: أبو بكر ثم قال: أو في ذلك شك؟ قال ابن القاسم: فقلت لمالك: فعلي وعثمان أيهما أفضل فقال: ما أدركت أحدا ممن أقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه–يعني عليا وعثمان–ويرى الكف عنهما". [٢٧٧٣]

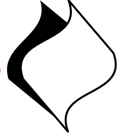
٢٧٦٩ الفتاوى ٤/ ٤٢٦؛ وانظر منهاج السنة ٢/ ٧٣، ٧٤.

٢٧٧٠ فتح الباري ٧/ ١٦ وانظر الباعث الحثيث ص ١٥٦.

٢٧٧١ السنة ٣/٣٧ وقال المحقق: إسناده صحيح».

٢٧٧٢ رواه الخلال بسنده في السنة ص ٣٧٢، وقال المحقق وإسناده صحيح).

٢٧٧٣ المدونة ٦/ ٤٥١.



وروى ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ) بسنده أن مالكا سئل: من تقدم بعد رسول الله؟ قال أقدم أبا بكر وعمر ولم يزد على هذا. وروى أيضا قول مالك: "ليس من أمر الناس الذين مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس". [٢٧٧٤]

وروى اللالكائي–رحمه الله–(ت: ٤١٨ هـ) بسنده أن مالكا سئل عن علي وعثمان فقال: "ما أدركت أحداً ممن يقتدى به إلا وهو يرى الكف عنهما، يريد التفضيل بينهما، فقيل له: فأبو بكر وعمر فقال: ليس في أبي بكر وعمر شك، يريد أنهما أفضل من غيرهما". [٢٧٧٥]

وقد ذكر ابن تيمية أن مالكاً رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان ثم علي فقال: "أما عثمان وعلي فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما وهي إحدى الروايتين عن مالك". [٢٧٧٦]

وقال في موضع آخر: "وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي، وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة". [٢٧٧٧]

وقد اعتمد **ابن رشد–رحمه الله–(ت: ٥٩٥ هـ)** في كلام له تقديم عثمان ثم علي في مذهب مالك وقال: "وقيل: إنه الذي رجع إليه مالك بعد أن وقف في عثمان وعلي، فلم يفضل أحدهما على صاحبه على ظاهر ما وقع في كتاب الديات من المدونة" قال ابن رشد–رحمه الله–(ت: ٥٩٥ هـ): "على أنه كلام محتمل للتأويل". [٢٧٧٨]

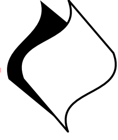
٢٧٧٤ الانتقاء ٣٠، ٣٩.

٢٧٧٥ شرح أصول الاعتقاد ٧/ ٣٦٨.

٢٧٧٦ منهاج السنة ٢/ ٧٣.

٢٧٧٧ الفتاوى ٤/ ٤٢٦.

٢٧٧٨ الجامع من المقدمات ١٧٤ وانظر حاشية المحقق رقم (٣).



وذكر السيوطي-رحمه الله-(ت: ٩١١ هـ) أنه قد حكى القاضي عياض-رحمه الله-(ت: ٥٤٤ هـ)، عن الإمام مالك-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)، أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان، قال القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ): "وهو الأصح إن شاء الله". [٢٧٧٩]

ولعل من وافق مالكا على التوقف قبل الرجوع يكون قد رجع إلى تفضيل عثمان على علي كما رجع مالك موافقة له في الرجوع بعد موافقته في التوقف، ولقد روى الخلال بسنده **عن أيوب السختياني-رحمه الله-(ت: ١٣١ هـ)** أنه قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون القاسم بن محمد-رحمه الله-(ت: ١٠٧ هـ) وسليمان-رحمه الله-(ت: ١٠٧ هـ) وغيرهما فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان". [٢٧٨٠]

وتوقف في المفاضلة بين عثمان وعلي من غير أهل المدينة يحيى بن سعيد القطان-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ)، من أهل البصرة وقد استغرب عبد الرحمن بن مهدي-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ)، ذلك فقال ليحيى: "بمن تقتدي في هذا وأهل البصرة ليس هذا قولهم؟!". [٢٧٨١]

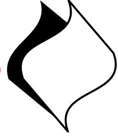
وذكر ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ) أن يحيى القطان-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ)، تبع مالكا في التوقف[٢٧٨٢]، ولكن قد سبق قبل قليل قول الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) أن يحيى أخذ التوقف عن سفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)، ويحيى قد حكى هذا القول عن سفيان فقد أخرج الخلال أن يحيى بن معين قال: "قال يحيى بن سعيد: كان رأي سفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ): أبو بكر

٢٧٧٩ تدريب الراوي ٢/ ٢٢٣، وانظر لوامع الأنوار ٢/ ٣٥٦.

٢٧٨٠ السنة ص ٤٠٣.

٢٧٨١ السنة للخلال ص ٣٧٢، ٣٧٣.

٢٧٨٢ فتح الباري ٧/ ١٦.



وعمر ثم يقف، قال يحيى بن معين-رحمه الله-(ت: ٢٣٣ هـ): "وهو رأي يحيى بن سعيد" [٢٧٨٣] كأنه يشير إلى أن ذلك منه موافقة سفيان فيما رواه عنه. والله أعلم.

والحاصل أن ما روي عن أئمة السلف من تقديم علي على عثمان أو التوقف فيهما قد رجعوا عنه واستقر مذهب أهل السنة على تفضيل عثمان ثم علي.

وهذا هو المذهب الحق الذي لا يجوز العدول عنه لثبوته بالأدلة الشرعية من السنة والإجماع وسبق بيانهما من حديث ابن عمر وإجماع الصحابة على تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر وجميع ذلك ثابت صحيح كما تقدم، ولذلك قال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "كل من قدم عليًا ثم عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار". [٢٧٨٤] وكذلك قال حماد بن زيد-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ) [٢٧٨٥] وروي نحو ذلك عن جماعة من الأئمة كسفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)، والدارقطني-رحمه الله-(ت: ٣٨٥ هـ) وغيرهم. [٢٧٨٦]

حتى إن الأئمة قد تكلموا في تبديع من يقدم علياً على عثمان على قولين. [٢٧٨٧]

وروي عن بعضهم أنه قال: من قدم عليًا على عثمان فعليه لعنة الله، وبعضهم قال: فهو أحمق. [٢٧٨٨]

٢٧٨٣ السنة ص.٣٧٣.

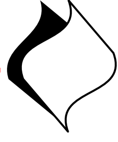
٢٧٨٤ السنة للخلال ص ٣٩٢.

٢٧٨٥ شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٣٧٠.

٢٧٨٦ انظر السنة للخلال ٣٧٠، و٣٩٢ والفتاوى ٤/ ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٢٨.

٢٧٨٧ انظر السنة للخلال هي ٣٨٠-٨٣٢، والفتاوى ٤/ ٤٢٦.

٢٧٨٨ انظر شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٣٧٠.



[الصلاة خلف البر والفاجر].

قال المصنف–رحمه الله–:

"ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا.

الشرح:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: حكم الصلاة خلف الفساق.

عند أهل السنة أنه يصلى خلف كل بر وفاجر، هذا هو الصواب، فأنت تصلي خلف الأمراء وتجاهد معهم وإن كانوا أهل معاصي، وتصلي خلف أئمة المساجد وإن كان فيهم معصية.

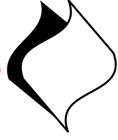
وفي صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقاً ظالماً.

قال النووي: «وأما صلاة ابن عمر خلف الحجاج بن يوسف فثابتة في «صحيح البخاري»»[٢٧٨٩].

روى البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمٍ قَالَ: كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ «أَنْ لَا يُخَالِفَ ابْنَ عُمَرَ فِي الْحَجِّ»، فَجَاءَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ فَصَاحَ عِنْدَ سُرَادِقِ الْحَجَّاجِ فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُعَصْفَرَةٌ، فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟»، فَقَالَ: «الرَّوَاحَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ»، قَالَ: «هَذِهِ السَّاعَةَ؟!»، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: «فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أُفِيضَ عَلَى رَأْسِي ثُمَّ أَخْرُجُ»، فَنَزَلَ حَتَّى خَرَجَ الْحَجَّاجُ فَسَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي، فَقُلْتُ: «إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ فَاقْصُرْ الْخُطْبَةَ وَعَجِّلْ الْوُقُوفَ»، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: «صَدَقَ»[٢٧٩٠].

[٢٧٨٩] «المجموع» (٤/ ٢٢٢)، وكذا ابن الملقن في «البدر المنير» (٤/ ٥٢٠)، والحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٤٣).

[٢٧٩٠] «صحيح البخاري» رقم (١٦٦٠)



قال ابن حجر: «وَفِيهِ: صِحَّةُ الصَّلَاةِ خَلْفَ الْفَاسِقِ»[٢٧٩١] .

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» عن عُمَيْرِ بن هَانِئٍ قال: شَهدت ابن عمر والحجاج مُحَاصِرٌ ابن الزبير، فكان منزل ابن عمر بينهما، فكان ربما حضر الصلاة مع هؤلاء، وربما حضر الصلاة مع هؤلاء»[٢٧٩٢] .

وفي صحيح البخاري أيضاً، أن صلى الله عليه وسلم قال: "يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وأن أخطأوا فلكم وعليهم"[٢٧٩٣].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٢٧٩٤]، وكان قد يشرب الخمر وصلى مرة الصبح أربعاً وجلده عثمان بن عفان على ذلك[٢٧٩٥]، فمثل هذه الأمور أهل السنة وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لنا فيهم الأسوة والقدوة، فهم أسوتنا وقدوتنا.

المسألة الثانية: الصلاة خلف المبتدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد وكان متهماً بالإلحاد وداعياً إلى الضلال)[٢٧٩٦].

[٢٧٩١] «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٥١٢).

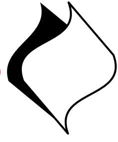
[٢٧٩٢] «المصنف» (٢/ ١٥٢) قال ابن حجر: «إسناده صحيح». «المطالب العالية» (٣/ ٧٠٢).

[٢٧٩٣] صحيح البخاري مع فتح الباري ٢/ ٣٢٩.

[٢٧٩٤] الحديث رواه أحمد (١/ ٤٥٠) (٤٢٩٨، والطبراني (٩/ ٢٩٩) (٩٥٢٠). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١/ ٣٢٩): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٦/ ١٤٦).

[٢٧٩٥] رواه أحمد (١/ ١٤٤) (١٢٢٩)، والبيهقي (٨/ ٣١٨) (١٧٩٨٥). قال شعيب الأرناؤوط محقق ((المسند)): إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٢٧٩٦] مجموع الفتاوى ٣/ ٢٨١



وسار التابعون ومن تبعهم بإحسان من أئمة السلف على هذا، فقرروه قولاً وفعلاً، فمن ذلك:

ما جاء عن الأعمش رحمه الله أنه قال: (كان كبار أصحاب عبد الله —يعني ابن مسعود–يصلون الجمعة مع المختار ويحتسبون بها)[٢٧٩٧].

وقد كان أبو وائل رحمه الله يصلي الجمعة مع المختار بن أبي عبيد[٢٧٩٨].

وعن الحسن رحمه الله أنه سئل عن الصلاة خلف صاحب البدعة، فقال الحسن: (صل خلفه، وعليه بدعته)[٢٧٩٩].

وعن الحكم بن عطية رحمه الله أنه قال: سألت الحسن وقلت: رجل من الخوارج يؤمنا، أنصلي خلفه؟ قال: (نعم، قد أم الناس من هو شر منه)[٢٨٠٠].

وعن ابن وضاح رحمه الله: قال: سألت الحارث بن مسكين: هل ندع الصلاة خلف أهل البدع؟ فقال: (أما الجمعة خاصة فلا، وأما غيرها من الصلاة فنعم)[٢٨٠١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما الصلاة خلف أهل الأهواء والبدع، وخلف أهل الفجور، ففيه نزاع مشهور وتفصيل ليس هذا موضع بسطه.

ولكن أوسط الأقوال في هؤلاء أن تقديم الواحد من هؤلاء في الإمامة، لا يجوز مع القدرة على غيره، فإن من كان مظهراً للفجور أو البدع يجب الإنكار عليه ونهيه عن ذلك، وأقل مراتب الإنكار هجره لينتهي عن فجوره وبدعته، ولهذا فرق جمهور الأئمة بين الداعية وغير الداعية، فإن الداعية أظهر المنكر فاستحق

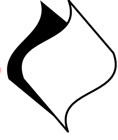
[٢٧٩٧] رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١/ ٤٧٥) برقم (٥٤٩٧)، وابن أبي زمنين في ((أصول السنة)) ص ٢٨٤ برقم (٢١٠).

[٢٧٩٨] رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١/ ٤٧٥) برقم (٥٤٩٧)، وَعَبَد الرزاق في ((المصنف)) (٢/ ٣٨٦) برقم (٣٧٩٨).

[٢٧٩٩] (صحيح البخاري كتاب الأذان ٥٦) وقال: باب إمامة المفتون والمبتدع. وَعَلَّقَ قَوْل الحسن: (صلِّ وعليه بدْعَتُهُ).

[٢٨٠٠] رواه ابن أبي زمنين في ((أصول السنة)) ص ٢٨٤ برقم (٢١١).

[٢٨٠١] رواه ابن أبي زمنين في ((أصول السنة)) ص ٢٨٤ برقم (٢١٢).



الإنكار عليه، بخلاف الساكت فإنه بمنزلة من أسر بالذنب، فهذا لا ينكر عليه في الظاهر، فإن الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، ولكن إذا أعلن فلم تنكر ضرت العامة، ولهذا كان المنافقون تقبل منهم علانيتهم، وتوكل سرائرهم إلى الله تعالى بخلاف من أظهر الكفر)[٢٨٠٢]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَلَوْ عَلِمَ الْمَأْمُومُ أَنَّ الإِمَامَ مُبْتَدِعٌ يَدْعُو إلَى بِدْعَتِهِ، أَوْ فَاسِقٌ ظَاهِرُ الْفِسْقِ، وَهُوَ الإِمَامُ الرَّاتِبُ الَّذِي لا تُمْكِنُ الصَّلاةُ إلا خَلْفَهُ، كَإِمَامِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ، وَالإِمَامِ فِي صَلاةِ الْحَجِّ بِعَرَفَةَ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَأْمُومَ يُصَلِّي خَلْفَهُ عِنْدَ عَامَّةِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَحْمَد وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ.

وَلِهَذَا قَالُوا فِي الْعَقَائِدِ: إنَّهُ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَ خَلْفَ كُلِّ إمَامٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا.

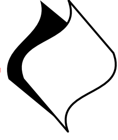
وَكَذَلِكَ إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْقَرْيَةِ إلا إمَامٌ وَاحِدٌ، فَإِنَّهَا تُصَلَّى خَلْفَهُ الْجَمَاعَاتُ؛ فَإِنَّ الصَّلاةَ فِي جَمَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ، وَإِنْ كَانَ الإِمَامُ فَاسِقًا. هَذَا مَذْهَبُ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ: أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمَا، بَلْ الْجَمَاعَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الأَعْيَانِ فِي ظَاهِرِ مَذْهَبِ أَحْمَد.

وَمَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الإِمَامِ الْفَاجِرِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ..

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُصَلِّيهَا وَلا يُعِيدُهَا؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الأَئِمَّةِ الْفُجَّارِ وَلا يُعِيدُونَ، كَمَا كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي خَلْفَ الْحَجَّاجِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ يُصَلُّونَ خَلْفَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَكَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ؛ حَتَّى إنَّهُ صَلَّى بِهِمْ مَرَّةً الصُّبْحَ أَرْبَعًا، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا زِلْنَا مَعَك مُنْذُ الْيَوْمَ فِي زِيَادَةٍ !! وَلِهَذَا رَفَعُوهُ إلَى عُثْمَان...

وَالْفَاسِقُ وَالْمُبْتَدِعُ صَلاتُهُ فِي نَفْسِهِ صَحِيحَةٌ؛ فَإِذَا صَلَّى الْمَأْمُومُ خَلْفَهُ لَمْ تَبْطُلْ صَلاتُهُ، لَكِنْ إنَّمَا كَرِهَ مَنْ كَرِهَ الصَّلاةَ خَلْفَهُ لأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ، وَمِنْ ذَلِكَ [يعني: ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ بِدْعَةً أَوْ فُجُورًا لا يُرَتَّبُ إمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ التَّعْزِيرَ حَتَّى يَتُوبَ فَإِذَا أَمْكَنَ هَجْرُهُ حَتَّى يَتُوبَ كَانَ حَسَنًا وَإِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ إذَا تَرَكَ الصَّلاةَ خَلْفَهُ وَصَلَّى خَلْفَ غَيْرِهِ أَثَّرَ ذَلِكَ حَتَّى يَتُوبَ أَوْ يُعْزَلَ أَوْ يَنْتَهِيَ النَّاسُ عَنْ مِثْلِ ذَنْبِهِ. فَمِثْلُ هَذَا إذَا تَرَكَ الصَّلاةَ خَلْفَهُ كَانَ فِيهِ

[٢٨٠٢] مجموع الفتاوى ٣٤٢./٢٣



مَصْلَحَةٌ وَلَمْ يَفُتْ الْمَأْمُومَ جُمُعَةٌ وَلا جَمَاعَةٌ. وَأَمَّا إذَا كَانَ تَرَكَ الصَّلاةَ يَفُوتُ الْمَأْمُومَ الْجُمُعَةُ وَالْجَمَاعَةُ فَهُنَا لا يَتْرُكُ الصَّلاةَ خَلْفَهُمْ إلا مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

وَكَذَلِكَ إذَا كَانَ الإِمَامُ قَدْ رَتَّبَهُ وُلاةُ الأُمُورِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي تَرْكِ الصَّلاةِ خَلْفَهُ مَصْلَحَةٌ، فَهُنَا لَيْسَ عَلَيْهِ تَرْكُ الصَّلاةِ خَلْفَهُ، بَلْ الصَّلَاةُ خَلْفَ الإِمَامِ الأَفْضَلِ أَفْضَلُ"[٢٨٠٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة ويوالي المؤمنين، ولا يعاديهم، وإن رأى بعضهم ضالاً أو غاوياً وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك، وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وإذا كان قادراً على أن يولي في إمامة المسلمين الأفضل ولاه، وإن قدر أن يمنع من أظهر البدع والفجور منعه.

وإن لم يقدر على ذلك فالصلاة خلف الأعلم بكتاب الله وسنة نبيه والأسبق إلى طاعة الله ورسوله أفضل، كما قال النبي–صلى الله عليه وسلم–في الحديث الصحيح: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا سواء فأقدمهم هجره، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً[٢٨٠٤]).

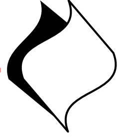
وإن كان في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة هجره، كما هجر النبي–صلى الله عليه وسلم–الثلاثة الذين خُلِّفُوا حتى تاب الله عليهم، وأما إذا وُلِّي غيره بغير إذنه، وليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية كان تفويت هذه الجمعة والجماعة جهلاً وضلالاً، وكان قد رَدَّ بدعة ببدعة)[٢٨٠٥].

وخلاصة القول: أن أكثر العلماء يرون جواز الصلاة خلف المبتدع على التفصيل الذي قدمناه، ومنهم من منعها وأبطلها وقال بوجوب إعادتها، وممن رجح صحة الصلاة: الإمام البخاري وابن حجر وابن تيمية، ومن المعاصرين الشيخ ابن باز–رحمه الله–وهو يفصل بين من كانت بدعته شركية كفرية وبين من ليس كذلك فيقول: (تصح الصلاة خلف المبتدع وخلف المسبل إزاره وغيرهما من العصاة في أصح قولي العلماء،

[٢٨٠٣] انظر: مجموع الفتاوى: ٢٣/ ٣٥٢. ٣٥٤.

[٢٨٠٤] أخرجه مسلم في صحيحه ١٠٧٩.

[٢٨٠٥] مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٦).



ما لم تكن البدعة مكفرة لصاحبها، فإن كانت مكفرة له كالجهمي ونحوه ممن بدعتهم تخرجهم عن دائرة الإسلام، فلا تصح الصلاة خلفهم، ولكن يجب على المسئولين أن يختاروا للإمامة من هو سليم من البدعة والفسق، مرضي السيرة؛ لأن الإمامة أمانة عظيمة، القائم بها قدوة للمسلمين، فلا يجوز أن يتولاها أهل البدع والفسق مع القدرة على تولية غيرهم).

والعلماء ذكروا تفاصيل كثيرة تتعلق بالتفريق بين الصلوات العادية وبين صلاة الجمعة والعيدين ويوم عرفة، والتفريق بين من كان مستور الحال ومن هو مجاهر بفسقه أو بدعته، وبين من بدعته مكفرة وبين من هو دون ذلك، وبين من كان هذا المسجد هو الوحيد في ذلك المكان وبين من بإمكانه أن يصلي في مسجد غيره إلى غير ذلك من التفاصيل التي يصعب إيرادها في مثل هذا الشرح.

[التعامل مع ولاة الأمر].

قال المصنف–رحمه الله–:

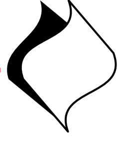
"ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف.
ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل".

الشرح:

أولًا: شرح قول المصنف: "ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة".

قال محمد بن أبي زمنين[٢٨٠٦] –رحمه الله–: "ومن قول أهل السنة أن الحج والجهاد مع كل بر أو فاجر من السنة والحق، وقد فرض الله الحج فقال: (والله على الناس حج البيت من

٢٨٠٦ أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين الأندلسي، شيخ قرطبة، صاحب جد وإخلاص، ومجانبة للأمراء، وله مصنفات، توفي سنة ٣٩٩هـ. انظر الديباج المذهب ٢/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٨٩.



استطاع إليه سبيلا) [آل عمران: ٩٧]، وأعلمنا بفضل الجهاد في غير موضع من كتابه، وقد علم أحوال الولاة الذين لا يقوم الحج والجهاد إلا بهم، فلم يشترط ولم يبين وما كان ربك نسيا"[٢٨٠٧].

وقال قوام السنة الأصفهاني: «والجهاد ماض منذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابة تقاتل الدجال»[٢٨٠٨].

كما قرر ذلك علي بن المديني[٢٨٠٩]، والطحاوية[٢٨١٠]، وابن بطة[٢٨١١]، والصابوني[٢٨١٢]، وابن قدامة[٢٨١٣]، وابن تيمية [٢٨١٤]، وغيرهم.

وقد حكى محمد بن حبيب مفاسد ترك الغزو مع أئمة الجور فقال: «سمعت أهل العلم يقولون: لا بأس بالجهاد مع الولاة، وإن لم يضعوا الخمس موضعه، وإن لم يوفوا بعهد إن عاهدوا، ولو عملوا ما عملوا، ولو جاز للناس ترك الغزو معهم بسوء حالهم لاستذل الإسلام، وتخيفت أطرافه، واستبيح حريمه، ولعلى الشرك وأهله»[٢٨١٥].

٢٨٠٧ أصول الدين لابن أبي زمنين ص ٢٨٨.

٢٨٠٨ الحجة ٢/ ٢٩١.

٢٨٠٩ انظر: أصول السنة للالكائي ١/ ١٩٧.

٢٨١٠ انظر شرح الطحاوية ٢/ ٥٥٥.

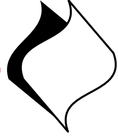
٢٨١١ انظر الإبانة الصغرى ص ٢٧٨.

٢٨١٢ انظر: عقيدة السلف الصابوني ص ٢٩٤.

٢٨١٣ انظر لمعة الاعتقاد ص ٣٧.

٢٨١٤ انظر: مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٩٠، ٣٠/ ٣٨.

٢٨١٥ أخرجه ابن أبي زمنين في أصول السنة ص ٢٨٩.



ويريد المصنف هنا أن يميز بين مذهب أهل السنة وبين قول الرافضة الذين عطلوا الجهاد، وعطلوا صلاة الجمعة بدعوى أنها لا تصح إلا بعد خروج المهدي المنتظر على حد زعمهم.

فشيوخ الشيعة يقولون: "إن صلاة الجمعة لا تجب عليهم حتى يخرج مهديهم المزعوم من سردابه لكي يصلي بهم"[٢٨١٦] .

وشيوخ الشيعة يقولون: "إن الجهاد قبل خروج المهدي المنتظر حرام كحرمة الميتة والدم ولحم الخنزير"[٢٨١٧].

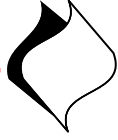
قال ابن تيمية رحمه الله: "ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات-لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم-فإن كان الإمام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صُلّي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين".

قال ابن تيمية: "وَمَنْ أَنْكَرَ مَذْهَبَ الرَّوَافِضِ وَهُوَ لَا يُصَلِّي الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ بَلْ يُكَفِّرُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ وَقَعَ فِي مِثْلِ مَذْهَبِ الرَّوَافِضِ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَنْكَرَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَيْهِمْ تَرْكُهُمْ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ وَتَكْفِيرَ الْجُمْهُورِ"[٢٨١٨]

٢٨١٦ انظر مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة لمحمد جواد العاملي ج٢/ ٦٩ كتاب الصلاة.

٢٨١٧ انظر كتاب فروع الكافي ج٥ / ٧٨٧.

٢٨١٨ مجموع الفتاوى: ٢٣/ ٣٥٤.



والرافضة كانوا يقولون لا جهاد حتى يخرج الرضا من آل محمد، فقد جاء في فروع الكافي عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: "القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير"[٢٨١٩]

وقد أحدث الخميني تغييرًا في المذهب الرافضي، فقرر أن للولي الفقيه جميع ما للإمام من الوظائف والأعمال إلا البداءة بالجهاد فهو من وظائف المهدي، ثم تناقض الخميني فجعل الجهاد منوطًا بجيش جمهوريته.[٢٨٢٠]

أما الخوارج فيجمعون على وجوب الخروج على الإمام الجائر[٢٨٢١] فكيف يجاهدون معه؟ بل كانوا يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.[٢٨٢٢]

قال ابن حزم: "جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيرًا، ولا فتح الله بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفعوا للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين، أما الخوارج والشيعة فأمرهم في هذا أشهر من أن يتكلف ذكره"[٢٨٢٣]

ثانيًا: شرح قول المصنف: " ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح".

من سمات أهل السنة أنهم يدعون للسلطان بالصلاح:

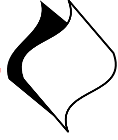
٢٨١٩ الكافي ١/ ٣٣٤، وانظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٢٢١.

٢٨٢٠ انظر: أصول الشيعة للقفاري: ٣/ ١١٧٢؛ المصدر: مسائل الفروع الواردة في مصنفات العقيدة: ص: ٣٤.

٢٨٢١ الفرق بين الفرق، ص ٧٣.

٢٨٢٢ مسائل الفروع الواردة في مصنفات العقيدة: ص: ٣٤.

٢٨٢٣ الفصل: ٥/ ٩٨.



قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: "مَن قال: الصلاة خلفَ كُلِّ برٍّ وفاجرٍ، والجهاد مَعَ كُلِّ خليفةٍ، ولم يرَ الخروجَ على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خَرَجَ من قول الخوارج أوله وآخره".[٢٨٢٤]

وقال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: "ولا نرى الخروجَ على أئمتنا وولاةِ أُمورنا وإن جارُوا، ولا ندعُو عليهم، ولا ننزعُ يداً من طاعتهم، ونرى طاعَتهم من طاعة الله عزَّ وجل فريضـــةً ما لم يأمروا بمعصـــيةٍ، وندعُو لهم بالصلاح والمعافاة". [٢٨٢٥]

وقال الخلال رحمه الله: "أخبرنا أبو بكر المروذي قال: سمعتُ أبا عبد الله وذكَرَ الخليفة المتوكل رحمه الله فقال: إني لأدعو له بالصلاح والعافية، وقال: لإن حَدَثَ به حَدَثٌ لتنظرنَّ ما يحلُّ بالإسلام"[٢٨٢٦].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "وإني لأرى طاعةَ أميرِ المؤمنين في السرِّ والعلانيةِ، وفي عُسري ويُسري، ومَنشطي ومكرهي، وأثرةٍ عليَّ، وإني لأدعو اللهَ له بالتسديدِ والتوفيقِ في الليلِ والنهارِ".[٢٨٢٧]

وقال البيهقي رحمه الله: "قال أبو عثمان رحمه الله: فانصح للسلطان، وأكثر له من الدُّعاء بالصلاح والرَّشاد، بالقول والعمل والحكم، فإنهم إذا صـلحوا صـلح العباد بصـلاحهم، وإياك أن تدعو عليهم باللعنة، فيزدادوا شرًّاً، ويزداد البلاء على المسلمين، ولكن ادع لهم بالتوبة، فيتركوا الشرّ، فيرتفع البلاء عن المؤمنين"[٢٨٢٨].

وقال أبو عمر بن الصلاح رحمه الله: "والنصيحة لأئمة المسلمين: أي لخلفائهم وقادتهم: معاونتهم على الحقِّ وطاعتهم فيه، وتنبيههم وتذكيرهم في رفقٍ ولُطفٍ، ومجانبة الخروج عليهم، والدُّعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك"[٢٨٢٩].

وقال النووي عن حكم الدُّعاء لولاة أمور المسلمين في خطبة الجمعة: "الدُّعاءُ لأئمة المسلمين وولاة أُمورهم بالصلاح والإعانة على الحقِّ والقيام بالعدل ونحو ذلك، ولجيوش الإسلام، فمستحبٌ بالاتفاق". [٢٨٣٠]

٢٨٢٤ شرح السنة للبربهاري ص١٣٢ رقم ١٥٩.

٢٨٢٥ شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٥٤٠.

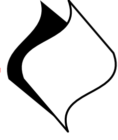
٢٨٢٦ السنة ١/ ٨٤ ح١٦ (أول كتاب المسند: ما يُبتدأ به من طاعة الإمام، وترك الخروج عليه، وغير ذلك) . وقال المحقق الزهراني: (إسناد هذا الأثر صحيح).

٢٨٢٧ البداية والنهاية ١٤/ ٤١٣.

٢٨٢٨ شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٢٦ رقم ٧٤٠١ (فصل في نصيحة الولاة ووعظهم).

٢٨٢٩ صيانة صحيح مسلم ص٢٢٤.

٢٨٣٠ المجموع شرح المهذب ٤/ ٣٩١.



وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وسهل بن عبد الله التستري، وغيرهم، يُعظِّمون قدرَ نعمة الله به –أي بالسلطان–ويرون الدُّعاءَ له ومناصحته من أعظم ما يتقرَّبون به إلى الله تعالى، مع عدم الطمَع في ماله ورئاسته، ولا لخشية منه، ولا لمعاونته على الإثم والعدوان" [٢٨٣١].

فإذا كنت صاحبَ سنَّة فاحفظ لسانك عن مثلِ هذا الحال، وإذا كان هناك أمر فادعو الله عز وجل أن يصلحَ من شأنه وأن يصلحَ من حاله، فنعمةُ السلطان استتابُ للأمن الذي هو من أعظم النعم التي يمنُّ الله عز وجل بها عليك، ومن أعظمها أن الله عز وجل منَّ عليك أن تأتي وتصلي مع الجماعة فبالتالي حفظُ جانبِ السلطان ليس نفاقاً، وليس كما يدعي أهل الأهواء في كلامهم وإنما هو أمرٌ واجبٌ ديناً؛ أنت تدينُ الله به.

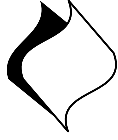
واعلم أن من سمات أهل البدع أنهم يدعون على السلطان، فإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان أو يتتبع السلطان فاعلم أنه صاحب هوى وهذا الوصف ليسَ من حالِ أهلِ السنَّة ولو انتسبَ هذا الشخص لأهلِ السنَّة فحاله هذه خلافُ السنَّة، وهذا حالُ الخوارج والمعتزلة الذين من سماتهم التتبعِ والدعاءِ على السلاطين ونحو ذلك.

وقال الإمام الآجري رحمه الله: "قد ذكرت من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله تعالى، عن مذهب الخوارج، ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة، وحيف الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله تعالى كشف الظلم عنه، وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحج معهم، وجاهد معهم كل عدو للمسلمين وصلى معهم الجمعة والعيدين، فإن أمروه بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتن بينهم لزم بيته وكف لسانه ويده، ولم يهو ما هم فيه، ولم يعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه كان على الصراط المستقيم إن شاء الله"[٢٨٣٢]..

فالواجبُ عليك إذا رأيت من سلطانك ما يخالف الشرع أن تناصحه نصيحةَ سر، لا تبدأ في تقليب الناس عليه، ولا تذكر في ذلك مساوئه، وإنما يجب ويتعيَّن عليك الدعاء له بالصلاح.

٢٨٣١ السياسة الشرعية ص٢٣٣-٢٣٤.

٢٨٣٢ ((الشريعة)) ص ٣٥.

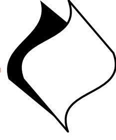


قال الشيخ صالح الفوزان: "**لا يجوز الدُّعاء عليهم** :لأن هذا خروجٌ معنوي، مثل الخروج عليهم بالسلاح، وكونه دعا عليهم لأنه لا يرى ولايتهم، فالواجب الدعاء لهم بالهدى والصلاح، لا الدعاء عليهم، فهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، فإذا رأيتَ أحداً يدعو على ولاة الأمور فاعلم أنه ضالٌ في عقيدته، وليس على منهج السلف، وبعض الناس قد يتخذ هذا من باب الغيرة والغضب لله عز وجل، لكنها غيرة وغضب في غير محلهما، لأنهم إذا زالوا حصلت المفاسد. والإمام أحمد صَبَرَ في المحنة، ولم يثبت عنه أنه دعا عليهم أو تكلَّم فيهم، بل صبر، وكانت العاقبة له، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، فالذين يدعون على ولاة أمور المسلمين ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك الذين لا يدعون لهم، وهذا علامة أن عندهم انحرافاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وبعضهم يُنكر على الذين يدعون في خطبة الجمعة لولاة الأمور، ويقولون: هذه مداهنة، هذا نفاق، هذا تزلف، سبحان الله! هذا مذهب أهل السنة والجماعة، بل من السنة الدعاء لولاة الأمور؛ لأنهم إذا صلحوا صلح الناس، فأنت تدعو لهم بالصلاح والهداية والخير، وإن كان عندهم شرّ، فهم ما داموا على الإسلام فعندهم خير، فما داموا يُحكِّمون الشرع، ويُقيمون الحدود، ويصونون الأمن، ويمنعون العدوان عن المسلمين، ويكفون الكفار عنهم، فهذا خير عظيم، فيُدعى لهم من أجل ذلك، وما عندهم من المعاصي والفسق، فهذا إثمه عليهم، ولكن عندهم خير أعظم، ويُدعى لهم بالاستقامة والصلاح، فهذا مذهب أهل السنة والجماعة، أما مذهب أهل الضلال وأهل الجهل، فيرون هذا من المداهنة والتزلُّف، ولا يدعون لهم، بل يدعون عليهم .**والغيرة ليست في الدعاء عليهم**، فإن كنت تريد الخير فادعُ لهم بالصلاح والخير، فالله قادرٌ على هدايتهم وردهم إلى الحق، فأنت هل يئست من هدايتهم؟ هذا قنوط من رحمة الله، وأيضاً الدعاء لهم من النصيحة. فهذا أصل عظيم يجب التنبه له، وبخاصة في هذه الأزمنة".[٢٨٣٣]

ثالثًا: شرح قول المصنف: "ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف.

ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل".

٢٨٣٣ التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ص١٧١-١٧٣.



مسألة الإمامة الكبرى يذكرها علماء أهل السنة والجماعة في ضمن مسائل الاعتقاد وذلك تحت عنوان الخلافة والإمامة، ومعلوم أن الإمامة على نوعين: صغرى وكبرى، فالصغرى إمامة الصلاة، والعظمى أو الكبرى إمامة المسلمين.

فدونوا هذه القواعد في هذه المسائل في كتب عقائدهم لكي يعرف الإنسان ماذا يجب عليه تجاه ولي أمره، لما في ذلك من المصالح الكبرى والصغرى المتحققة من جراء ذلك

ومن المسائل تحت هذا الباب

أما المسألة الأولى: السمع والطاعة في المعروف.

فهذه من الأصول والقواعد المهمة، فالسمع والطاعة للأئمة تكون بالمعروف، ويمكن تناول هذه المسألة من جانبين:

الجانب الأول: وجوب السمع والطاعة لولي الأمر.

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة السمع والطاعة للأئمة فيما يُحب الله ويرضى، فالسمع والطاعة إنما يكون في المعروف إذ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

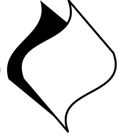
فلابد من السمع والطاعة في المنشط وفي المكره، وفيما تُحب وفيما لا تُحب، بشرط أن يكون ذلك المأمور به ليس فيه معصيةٌ لله عز وجل، فلابد من السمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين

ومن الأدلة على ذلك:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء:٥٩].

وقال عليه الصلاة والسلام: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)[٢٨٣٤].

٢٨٣٤ أخرجه البخاري (٢٩٥٧) واللفظ له، ومسلم (١٨٣٥).



فمأمورٌ أن تسمع وتطيع حتى وإن كان ذلك الشخص على فجور، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أدوا الذي عليكم واسألوا الله الذي لكم» ([2835])، ومعلومٌ أن ولاية أمر المسلمين واستتبابها فيه من المصالح العظمى للدين والدنيا ما يعلمه كل عاقل، فمن أول المصالح استتباب الأمن، واستتباب الأمن معنى ذلك أن الشعائر ستُقام، ومعنى ذلك أن الأعراض والأموال والأنفس ستُحفظ، وإذا ضاع أمن الناس فإن الواحد منهم لن يستطيع حتى أن يقيم صلاة الجماعة، ولن يستطيع أن يأمن على نفسه ولا على ماله، ولا على عرضه.

فنعمة الأمن من أعظم النعم، ومن أسباب تحقيقها استقرار الحكم لولي الأمر، ونحن نرى بعض البلدان التي انعدم أمنها بسبب عدم استقرار الحكم فيها، أما البلد الذي استقر فيه الحكم لولي الأمر في ذلك البلد الغالب عليه الأمن والاستقرار.

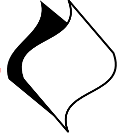
فكل بلدٍ متى ما كان لها ولي أمر استقر حالها، واستتب أمنها.

وهذا بخلاف أهل البدع، فإنهم لا يسمعون ولا يطيعون لولاة الأمور، كالخوارج، فهم يرون أن ولي الأمر إذا عصى كفر ووجب قتله وخلعه وإزالته من الإمامة، وكذلك المعتزلة فإنهم يرون أنه إذا عصى ولي الأمر وفعل الكبيرة خرج من الإمامة فلا يطيعونه، بل إن من أصول الدين عندهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه الخروج على ولاة الأمور إذا جاروا وظلموا، والروافض كذلك يرون أنه ليس هناك طاعة إلا للإمام المعصوم، وأما ولاة الأمور الموجودين في كل وقت فهم كفرة فسقة يجب قتلهم وخلعهم وإزالتهم من الإمامة، ولا طاعة إلا للإمام المعصوم، وهم الأئمة الاثنا عشر الذي نص عليهم بزعمهم.

الجانب الثاني: أن السمع والطاعة تكون بالمعروف.

ومن الأدلة على ذلك:

٢٨٣٥ انظر صحيح البخاري كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» برقم (٧٠٥٢)، ومسلم كتاب الإمارة، بَابُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ، الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، برقم (١٨٤٣)، والترمذي (٢١٩٠)، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة (٣٦٤١).



عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»[٢٨٣٦] .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»[٢٨٣٧] .

وحديث عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[٢٨٣٨] ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور للمعاصي بل يجب الصبر وعدم الخروج.

وحديث: ((لا طاعة لمخلوق في معصية اللهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٢٨٣٩] .

قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المعْرُوفِ)). [٢٨٤٠]

أقوال العلماء[٢٨٤١]:

[٢٨٣٦] رواه مسلم (١٤٦٩/٣) (١٨٣٩)

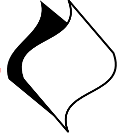
[٢٨٣٧] رواه مسلم (٤٤٨/١) (٦٤٨)

[٢٨٣٨] رواه مسلم (١٤٨٢/٣) (١٨٥٥)

[٢٨٣٩] أخرجه أحمد في «مسنده» (١٠٩٥) مِنْ حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه. وصحَّحه أحمد شاكر في تحقيقه لـ: «مسند أحمد» (٢/ ٢٤٨)، والألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٧٥٢٠).

[٢٨٤٠] أخرجه البخاريُّ في «الأحكام» بابُ السمعِ والطاعة للإمام ما لم تكن معصيةً (٧١٤٥)، ومسلمٌ في «الإمارة» (١٨٤٠)، مِنْ حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه.

[٢٨٤١] وللمَزيدِ يمكن مُراجَعةُ المصادرِ التالية: «مقالات الإسلاميّين» (١/ ٣٤٨) و«الإبانة» (٦١) كلاهما للأشعري، «الشريعة» للآجُرّي (٣٨ ـ ٤١)، «اعتقاد أئمَّة الحديث» للإسماعيلي (٧٥ ـ ٧٦)، «الشرح والإبانة» لابن بطَّة (٢٧٦



قال أبو الحسنِ الأشعريُّ–رحمه الله–وهو يُعدِّدُ ما أَجْمَعَ عليه السلفُ مِنَ الأصول .: «وأجمعوا على السَّمْعِ والطَّاعةِ لأئمَّةِ المسلمين، وعلى أنَّ كُلَّ مَنْ وَلِيَ شيئًا مِنْ أمورهم عن رِضًى أو غَلَبةٍ وامتدَّتْ طاعتُه مِنْ بَرٍّ وفاجرٍ لا يَلْزَمُ الخروجُ عليهم بالسيف، جارَ أو عَدَلَ»[2842].

وقال ابنُ تيميَّة –رحمه الله–: «فأهلُ السنَّةِ لا يُطيعون وُلَاةَ الأمورِ مطلقًا، إنما يُطيعونهم في ضِمْنِ طاعة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأَمرِ مِنكُم﴾[النساء: ٥٩]»[2843]، وقال ـ رحمه الله ـ ـ أيضًا ـ: «ولهذا كان مذهبُ أهلِ الحديث: تَرْكَ الخروجِ بالقتال على الملوك البُغَاة، والصبرَ على ظُلْمِهم إلى أَنْ يَسْتريحَ بَرٌّ أو يُسْتراحَ مِنْ فاجرٍ»[2844].

وقال النوويُّ –رحمه الله–: «لا تُنازِعوا وُلَاةَ الأمورِ في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلَّا أَنْ تَرَوْا منهم مُنْكَرًا مُحقَّقًا تعلمونه مِنْ قواعدِ الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأَنْكِروه عليهم وقولوا بالحقِّ حيث ما كنتم، وأمَّا الخروجُ عليهم وقتالُهم فحرامٌ بإجماعِ المسلمين وإنْ كانوا فَسَقَةً ظالمين، وقد تَظاهَرَتِ الأحاديثُ بمَعْنَى ما ذَكَرْتُه، وأَجْمَعَ أهلُ السنَّة أنه لا يَنْعَزِلُ السلطانُ بالفسق»[2845].

فالسمع والطاعة تكون لولاة الأمور في طاعة الله، أما المعاصي فلا يطاع فيها، فإذا أمر الأمير شخصاً بشرب الخمر فلا يطيعه، أو أمره أن يقتل أحداً بغير حق لا يطيعه، وإذا أمر الوالد ولده بالمعصية فلا يطيعه، وإذا أمر الزوج زوجته بالمعصية فلا تطيعه، وإذا أمر السيد عبده بالمعصية فلا يطيعه، لكن لا يتمرد عليه، فليس للرعية أن يتمردوا على الأمير أو ولي الأمر، بل لا يطيعونه في المعصية وما عدا ذلك فيطيعونه، في الأمور المباحة ويطيعونه في طاعة الله ورسوله.

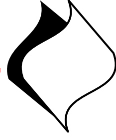
ـ ٢٧٨)، «الاعتقاد» للبيهقي (٢٤٢ ـ ٢٤٦)، «العقيدة الواسطية» مع شرحها للهرَّاس (٢٥٧ ـ ٢٥٩)، «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العزِّ (٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤٤).

[2842] «رسالةٌ إلى أهل الثغر» للأشعري (٢٩٦).

[2843] «منهاج السنَّة» لابن تيمية (٢/ ٧٦).

[2844] «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ٤٤٤).

[2845] «شرح النووي على مسلم» (١٢/ ٢٢٩).



شرح قول المصنف: "ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف.

ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل".

فتنة الخوارج من أعظم الفتن التي أصابت المسلمين، وأشغلتهم بل وتسببت في قتل اثنين من الخلفاء الراشدين، هما عثمان وعلي رضي الله عنهما.

فسفكت الدماء، واستحلت الأموال والأعراض وذلك بسبب فتنة هؤلاء، وهؤلاء ما قامت فتنتهم إلا على أمرين:

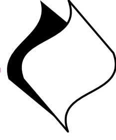
الأمر الأول: الخروج على ولي الأمر.

الأمر الثاني: الطعن في العلماء.

فخرجوا على ولي الأمر، وطعنوا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء الأمة، ولذلك هؤلاء الخوارج في صفاتهم المتقدمة هي عين صفاتهم هذا اليوم، وفي كل زمان، هذا ديدنهم ومعلوم أن استقامة أحوال الناس لا تكون إلا بطاعة لولي الأمر ولزوم العلماء، ولذلك لما ذكر العلماء قول الله عز وجل: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء:٥٩]، فسروا ولاة الأمر بأنهم الولاة والعلماء.

ففتنة الخوارج دائماً في كل زمان تقوم على الخروج على ولي الأمر، وعلى انتقاص العلماء، وحفظ أحوال الناس لا يكون إلا بحفظ حقوق هذين الأمرين.

ولذلك لما سئل أبو حنيفة –رحمه الله تعالى–عن قومٍ خرجوا على ولي الأمر وخرجوا على خليفة المسلمين، وخرجوا بدعوى أنهم يريدون إصلاح الأمر وما حصل من الظلم والفساد من جهة ذلك الخليفة قال مجيباً عن حال هؤلاء أنهم يفسدون أكثر مما يصلحون، فعلينا أن نعرف نعمة الله علينا باستقرار أمرنا من خلال وجود ولياً لأمرنا، فعند أهل السنة قواعد وضوابط في التعامل مع الحكام تحكمها النصوص لا تحكمها الأهواء ولا تحكمها نزعات الناس ورغباتهم، إنما يحكمها شرعٌ بحمد الله تعالى أوجب عليك السمع والطاعة في السراء والضراء، وعلى المنشط والمكره، فيما تُحب وفيما لا تُحب، وليس لك أن تشق عصا الطاعة، وليس لك أن تبيت ليلة واحدة وليس في عنقك بيعة لولي الأمر.



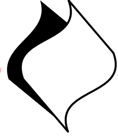
ومن هنا يجب على العقلاء من الناس أن لا يتتبعوا زلات الولاة، أو زلات العلماء، وعليهم أن يعرفوا أن حفظ حقوق هؤلاء فيه استقامة لأحوال الناس، واستقامة لمعايشهم ومصالحهم، وأن من يؤلب الناس على ولي الأمر ويتتبع تلك المسالك ونحو ذلك فإنما قصده القضاء على هذه المصالح، وهو بهذا الفعل مصادم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا به حيث قال: «عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد»([٢٨٤٦])، وفي رواية: «عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»([٢٨٤٧])، فأمرنا بالسمع والطاعة، وأمرنا بأن نصبر على ولاة أمورنا مهما لقينا، وها هو يوصي الأنصار بأنهم عليهم أن يصبروا حتى يلقوه على الحوض، «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»([٢٨٤٨]).

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر والطاعة ولزوم الأمر ولزوم الجماعة، ولزوم ولي الأمر، وهذا معروفٌ ومقررٌ عند أهل السنة، فبتالي نجد أي مجتمعٍ بحمد الله تعالى السنة فيه قائمة هذه الأمور مستقرة في بلدانهم وأوطانهم، ونرى بحمد الله تعالى الدروس والعبر من حولنا، فكم من بلادٍ لم تستقر بسبب الخروج على ولي أمرها، وحالها أسوأ من الحال الذي كانت عليه عندما كان فيها دولة وحكومة وفي هذا عبرة لمن يعتبر.

٢٨٤٦ انظر صحيح مسلم كتاب الإمارة، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، برقم (١٨٣٨)، وأبو داود (١٨٣٤)، والترمذي (١٧٠٦)، وابن ماجه (٢٨٦١)، والنسائي (٤١٩٢)، والإمام أحمد في المسند مسند المدنيين (١٦٦٤٦).

٢٨٤٧ انظر صحيح البخاري كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ إِمَامَةِ المَفْتُونِ وَالمُبْتَدِعِ، برقم (٦٩٦)، وابن ماجه (٢٨٦٠)، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة (١٢٧٥٢).

٢٨٤٨ انظر صحيح البخاري كتاب الجزية، باب مَا أَقْطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ البَحْرَيْنِ، وَمَا وَعَدَ مِنْ مَالِ البَحْرَيْنِ وَالجِزْيَةِ، وَلِمَنْ يُقْسَمُ الفَيْءُ وَالجِزْيَةُ، برقم (٣١٦٣)، ومسلم كتاب الزكاة، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ برقم (١٠٥٩)، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة (١٣٣٤٧).



وتذكر قول الإمام أبي حنيفة: أن هؤلاء الذين يؤلبون ويخرجون: "إنما يفسدون أكثر مما يصلحون"(٢٨٤٩) فقد تكون المصلحة محتملة، لكن الفساد واقعٌ لا محالة، فما قرره العلماء في هذا الجانب إنما هو من منطلق ما جاءت به النصوص الشرعية.

وما نسمعه في كثيرٍ من الأزمان وفي كثيرٍ من البلدان من خروجٍ على ولي الأمر فإنما هو مفسدة متحققة ومتعينة، وما يدعون إليه في كثيرٍ منه ليس بمتحقق ولا يتحقق ولا يمكن تحقيقه، فمن خرج على إمامٍ من أئمة المسلمين فهو خارجي يستحق ما جاء في الوعيد في شأن الخوارج، فأي إنسان خرج على ولي الأمر الذي ارتضاه الناس وبايعوه بأن يكون ولياً عليهم فهذا الذي خرج عليه يُلقب ويقال إنه من الخوارج.

والخوارج لهم أحكام عند أهل السنة، ومعلومٌ أن أوائلهم خرجوا على علي رضي الله عنه وانحازوا إلى حروراء، وقاتلوا جيش علي رضي الله عنه، ولما سئل عنهم علي رضي الله عنه أكفارٌ هم؟ قال: "من الكفر فروا" قال: ماذا تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: "إخواننا بغوا علينا"(٢٨٥٠) فعدوا من البغاة، وهم على بدعة، وعلى ضلالة، ولكن لم يُحكم بكفرهم.

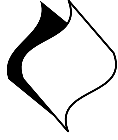
وإذا كان لهم منعة وقوة وشوكة وانحياز في مكانٍ معين فهؤلاء لا يُقاتلون حتى يُقاتلوا فإذا قاتلوا فيُقاتلون، أما إذا كان منهم أُناس خرجوا على هيئة جماعات ونحو ذلك وكان شأنهم كقطاع الطرق فإنهم يُتتبعون ويُقضى عليهم وتستأصل شوكتهم ويُكف عن الناس شرهم.

ومعلوم أن هؤلاء تتطور عقائدهم حتى إنهم كفروا عامة المسلمين، واستباحوا دماء المسلمين، واستباحوا أعراضهم، ولا يتورعون عن دم مسلم، فإن أوائلهم بقروا بطن الجارية وأخرجوا منها جنينها وذبحوه، هذا الذي فعلوه في زمن علي رضي الله عنها، وهكذا من هم على طريقهم وعلى دربهم وعلى منهجهم، القتل عندهم مبرر بأي وسيلة ومع كائنٍ من كان، فهو مبرر ويعدونه من عقائدهم.

فلا يتورعون عن دم مسلم، مع أن دم المسلم عند الله سبحانه وتعالى أعظم من حرمة الكعبة، لكن هؤلاء بفكرهم المنحرف حكموا بكفر عامة المسلمين وكذلك انطلقوا يعيثون في الأرض فسادا، فمن خرج على

٢٨٤٩ انظر الفقه الأكبر صفحة (١٠٨).

٢٨٥٠ انظر مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٩٤٢).



إمامٍ من أئمة المسلمين فهو عندنا خارجي قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، والخروج عليه وإن جار.

حتى وإن جار السلطان ليس لك الخروج إلا أن يُرى كفراً بواحا عندك من الله فيه سلطان، وحجة بينة واضحة لا تخفى، ويُجمع أئمة علماء المسلمين على ذلك، إما لشبهة أو لجور أو لظلم أو لوقوعٌ في ذنب فهذا يُعد من الخروج الذي لا يحل لإنسان أن يسلك سبيله، وليست السنة قتال السلطان، فهذا شأن أهل السنة، إنما هم عونٌ للسلطان على ما فيه طاعة لله عز وجل.

ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا المسلمين في أنفسهم وأموالهم وأهليهم فإذا هم أعرضوا وابتعدوا ولم يواجهوا ويحملوا السلاح فعند ذلك لا يُقاتلون، لكن إذا بدأوا في القتال يحل قتلهم.

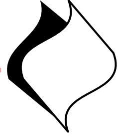
فليس له إذا فارقوه أن يطلبهم، ليس للإمام أن يطلبهم ولا يُجهز على جريحهم، ولا يأخذ فيأهم ولا يقتل أسيرهم ولا يتبع مدبرهم لأنهم بغاة حكمهم حكم البغاة، ليس حكمهم حكم الكفار، فهذا منهج أهل السنة فيهم، وبحمد الله تعالى من سار على السنة بحمد الله تعالى استقرت بلدانه واستقرت أوطانه، ومن خرج عن السنة نرى ما يكون من حالهم في بلدانهم، وما يكون من فتنهم وشرهم نسأل الله عز وجل العافية والسلامة.

[الكف عما شجر بين الصحابة].

قال المصنف-رحمه الله-:

"ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم. ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم".

الشرح:



وفيه مسائل:

المسألة الأولى: عدالة الصحابة.

أولًا: معنى العدالة في اللغة:

قال الجوهري-رحمه الله-(ت: ٣٩٣ هـ): "العدل خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدلته، وفلان من أهل المعدلة، أي: من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة، وهو في الأصل مصدر، وقوم عدل وعدول أيضًا: وهو جمع عدل وقد عدل الرجل بالضم عدالة.. إلى أن قال: وتعديل الشيء: تقويمه، يقال: عدلته فاعتدل، أي: قومته فاستقام".[٢٨٥١]

وجاء في القاموس: "العدل ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة والمعدلة".[٢٨٥٢]

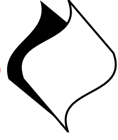
"فمن هذه التعاريف اللغوية تبين أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة، وأن العدل هو الذي لم تظهر منه ريبة وهو الذي يرضى الناس عنه، ويقبلون شهادته ويقنعون بها".[٢٨٥٣]

ثانيًا: العدالة شرعًا:

٢٨٥١ الصحاح للجوهري ١٧٦٠-١٧٦١، مختار الصحاح ص/٤١٥-٤١٦.

٢٨٥٢ القاموس ٤/ ١٣.

٢٨٥٣ عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم لناصر بن علي ٢/ ٧٩٦.



عرفها **ابن حجر**–**رحمه الله**–(**ت: ٨٥٢ هـ**)، بقوله: "المراد بالعدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة" [٢٨٥٤].

المسألة الثانية: الأدلة على عدالة الصحابة وفضلهم ومكانتهم.

لقد تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مما لا يبقى معها شك لمرتاب في تحقيق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ذلك:

أ–الأدلة من القرآن

١– قال تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}** [البقرة: الآية: ١٤٣].

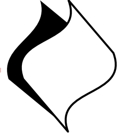
ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أن وسطا بمعنى "عدولا خيارا". [٢٨٥٥]، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عاما إلا أن المراد به الخصوص، وقيل: "إنه وارد في الصحابة دون غيرهم". [٢٨٥٦]

٢٨٥٤ نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص/٢٩.

٢٨٥٥ انظر جامع البيان ٢/٧، الجامع لأحكام القرآن ٢/١٥٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٣٥.

٢٨٥٦ انظر الكفاية للخطيب البغدادي ص/٦٤..



٢-قال تعالى: **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [آل عمران: الآية: ١١٠].

قال الشاطبي-رحمه الله-(ت: ٧٩٠ هـ): "سنة الصحابة-رضي الله عنهم-سنة يعمل عليها ويرجع إليها، ومن الدليل على ذلك أمور:

أحدها: ثناء الله عليهم من غير مثنوية ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: الآية: ١١٠]، وقوله {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} [البقرة: الآية: ١٤٣]، ففي الآية الأولى: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة.

وفي الثانية: إثبات العدالة مطلقا، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى. ولا يقال إن هذا عام في الأمة، فلا يختص بالصحابة دون من بعدهم لأنا نقول:

أولا: ليس كذلك بناء على أنهم المخاطبون على الخصوص ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر.

ثانيا: على تسليم التعميم أنهم أول داخل في شمول الخطاب، فإنهم أول من تلقى ذلك من الرسول عليه الصلاة والسلام وهم المباشرون للوحي.

ثالثا: أنهم أولى بالدخول من غيرهم، إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح، وأيضا: فإن من بعد الصحابة من أهل السنة عدلوا الصحابة على الإطلاق والعموم فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة، بخلاف غيرهم فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته وذلك مصدق لكونهم أحق بذلك

المدح من غيرهم، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط، أي: عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر وعملهم مقتدى به". [٢٨٥٧]

٣-قال تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}** [الأنفال: الآية: ٧٤].

ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان الحق ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مرتبة العدالة.

٤-

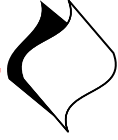
قال تعالى:

{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: الآية: ١٠٠].

ولا خلاف بين أهل العلم في أن الآية تتحدث عن الصحابة، إلا أن الخلاف في من هم هؤلاء الصحابة، فقد **قال ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**: "إنهم هم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدرا، **وعن الشعبي-رحمه الله-(ت: ١٠٤ هـ)**: "هم الذين بايعوا بيعة الرضوان". (٢٨٥٨)

٢٨٥٧ الموافقات ٤/٤٠-٤١.

(٢٨٥٨) التفسير الكبير، الرازي، المجلد الثامن، الجزء السادس عشر، ص ١٣٤.



وقال أبو موسى الأشعري–رضي الله عنه–(ت: ٤٢ هـ)، وسعيد بن المسيب–رحمه الله–(ت: ٩٤ هـ)، ومحمد بن سيرين–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ) والحسن–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)، وقتادة–رحمه الله–(ت: ١١٨ هـ)، "هم الذين صلوا إلى القبلتين مع الرسول–صلى الله عليه وسلم–". [(٢٨٥٩)]

وذكر الله تعالى رضاه عنهم في قوله: **{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ}** "ولما وصفهم بهذا الوصف أثبت لهم ما يوجب التعظيم" [(٢٨٦٠)]، "ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم". [(٢٨٦١)].

وقال ابن خويز منداد–رحمه الله–(ت: ٣٩٠ هـ): "تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم، أو دين، أو شجاعة، أو غير ذلك". [(٢٨٦٢)]، فرضي الله –سبحانه وتعالى– عن هؤلاء فيه بيان لفضلهم وتميزهم عن غيرهم.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فرَضِيَ عن السابقين عن غير اشتراط إحسان، ولم يرضَ عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان". [(٢٨٦٣)]

قال ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلا للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلا في دينه.

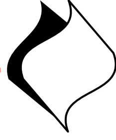
[(٢٨٥٩)] تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٧٠.

[(٢٨٦٠)] التفسير الكبير، الرازي، المجلد الثامن، الجزء السادس عشر، ص ١٣٥.

[(٢٨٦١)] تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٧٠.

[(٢٨٦٢)] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد الرابع، ص ٤١٣.

[(٢٨٦٣)] "الصارم المسلول" (ص٥٧٢).



ومن أثنى الله تعالى عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلا وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا تثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين.

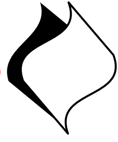
فقد أخبر الله–تعالى–في هذه الآية أنه رضي عن هؤلاء رضًا مطلقًا، ورَضي عمن بعدهم رضًا مقيدًا، وهو شرط اتباعهم بإحسان؛ قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل مَن أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض–أو سَبَّ–بَعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخَيرهم وأفضلهم–أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم–أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يُعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويسبونهم؛ عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون مَن قدم الله ذكرهم ورفع شأنهم.

وأمَّا أهل السنة فإنهم يَترضون عنهم، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله، ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله المفلحون وعباده المؤمنون". (٢٨٦٤).

قال محمد الأمين الشنقيطي–رحمه الله–(ت: ١٣٩٣ هـ): "ولا يخفى أنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم، أنه ضال مخالف لله جل وعلا، حيث أبغض من رضي الله عنه؛ ولا شك أن بغض من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان". (٢٨٦٥)

(٢٨٦٤) تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٠٣).

(٢٨٦٥) أضواء البيان ٢/ ٥٥٨.



٥- قال تعالى: {لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: الآية: ١٨].

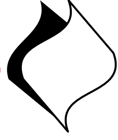
وهذه الآية فيها دلالة واضحة على تعديل الصحابة الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفا وأربعمائة ووجه دلالة الآية على تعديلهم رضي الله عنهم أن ـ الباري جل وعلا ـ أخبر برضاه عنهم، وشهد لهم بالإيمان وزكاهم بما استقر في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة ولا تصدر تلك التزكية العظيمة من ـ الرب جل وعلا ـ إلا لمن بلغ الذروة في تحقيق الاستقامة على وفق ما أمر الله به والصحابة رضي الله عنهم كانوا في مقدمة من استقاموا في جميع الأحوال.

فالآية فيها بيان أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان أما طاعة الله فالإشارة إليها بقوله: {لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} وأما طاعة الرسول–صلى الله عليه وسلم–فبقوله: {إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ} بقي الموعود به وهو إدخال الجنة أشار إليه بقوله تعالى: {لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} لأن الرضا يكون معه إدخال الجنة، كما قال عز وجل ـ {وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} [المجادلة: الآية: ٢٢].

٦- قال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا} [الفتح: الآية: ٢٩].

قال ابن الجوزي–رحمه الله–(ت: ٥٩٧ هـ): "وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور". [٢٨٦٦]

٢٨٦٦ (زاد المسير: ١/ ٢٠٤).



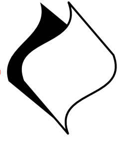
قال القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ)، عند تفسيره لهذه الآية: "فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث وهذا مردود فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى: {مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} ، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد" [٢٨٦٧].

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): " ذكر سبحانه رسوله وحزبه الذين اختارهم له، ومدحهم بأحسن المدح، وذكر صفاتهم في التوراة والإنجيل، فكان في هذا أعظم البراهين على صدق من جاء بالتوراة والإنجيل والقرآن، وأن هؤلاء هم المذكورون في الكتب المتقدمة بهذه الصفات المشهورة فيهم، لا كما يقول الكفار عنهم: إنهم متغلبون طالبو ملك ودنيا.

ولهذا لما رآهم نصارى الشام وشاهدوا هديهم وسيرتهم وعدلهم وعلمهم ورحمتهم وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة قالوا: ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء، وكان هؤلاء النصارى أعرف بالصحابة وفضلهم من الرافضة أعدائهم، والرافضة تصفهم بضد ما وصفهم الله به في هذه الآية وغيرها و {من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا} [الكهف: ١٧]". [٢٨٦٨]

٢٨٦٧ الجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٩٩.

٢٨٦٨ زاد المعاد ٣/ ٣٧٤-٣٧٥.



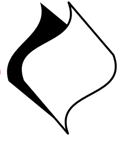
٧-قال تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّات النَّعِيم}** [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢].

فالصحابة رضي الله عنهم هم السابقون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل خير، وإلى تحصيل كل قربة فيها رضى الرب جل وعلا، ولا يصدر ذلك إلا ممن تحقق بوصف العدالة.

قال أبو محمد بن حزم-رحمه الله-(ت: ٤٥٦ هـ) بعد أن ذكر أفضلية جماعات الصحابة حسب سبقهم إلى الإسلام وحسب المشاهد، قال: "فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فإنا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون، ماتوا على الإيمان والهدى والبر كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة لقول الله تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّات النَّعِيم}** [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢] وقوله تعالى: **{لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ}** [الفتح: الآية: ١٨]، إلى أن قال: . فمن أخبر الله عنهم بذلك فلا يحل لأحد أن يتوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة". [٢٨٦٩]

٨- قال تعالى: **{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}** [الحشر: الآيات: ٨-١٠].

٢٨٦٩ ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ص/٢٦٥-٢٦٦.



فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر **أبو بكر الصديق (ت: ١٣ هـ)** هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطبا الأنصار: "إن الله سمانا "الصادقين" وسماكم "المفلحين"، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}** [التوبة: الآية: ١١٩]".[٢٨٧٠]

ولذلك أهل السنة–والحمد لله–قلوبهم سليمة دائمًا من الغل أو الحقد والحسد تِجاه الصَّحب والآل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد زَكَّى المهاجرين والأنصار ومَن جاءوا بعدهم مُستغفرين لهم.

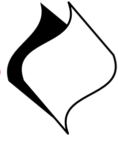
٩–وقال تعالى: **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}** [النساء: ١١٥].

والمراد بـ{المؤمنين} في الآية: أصحاب النبي ﷺ؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله جل وعلا: **{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ}**.

١٠–وقال تعالى: **{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}** [الحديد: الآية: ١٠].

وقال أبو محمد بن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): "وكلهم عدول فاضل من أهل الجنة قال الله تعالى **{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا}** [الفتح: الآية: ٢٩]. وقال

٢٨٧٠ العواصم من القواصم ص/٤٤–٤٥.



تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} وقال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ * لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ * لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ} [الأنبياء: الآيات: ١٠١-١٠٣]، قال أبو محمد: هذه مواعيد الله تعالى ووعد الله مضمون تمامه وكلهم ممن مات مؤمنا قد آمن وعمل الصالحات". [٢٨٧١].

١١- قال تعالى: **{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ} [النمل: الآية: ٥٩]**.

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)، وسفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ): "هم أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-اصطفاهم الله لنبيه-رضي الله عنهم-" [٢٨٧٢].

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ) في الذين اصطفاهم: "هم الذين اجتباهم لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - فجعلهم أصحابه ووزراءه" [٢٨٧٣]

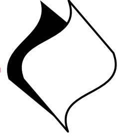
قال ابن كثير-رحمه الله-(ت: ٧٧٤ هـ): "يقول سفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)، والسدي-رحمه الله-(ت: ١٢٧ هـ) في هذه الآية: "هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم". [٢٨٧٤]

٢٨٧١ الإحكام في أصول الأحكام ٥/ ٩٠-٩١.

٢٨٧٢ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثالث، المجلد السابع، ص ١٤٧.

٢٨٧٣ جامع البيان، الطبري، ٨/ ٧٠٢.

٢٨٧٤ (تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٠٣).



قال ابن عاشور–رحمه الله–(ت: ١٣٩٣ هـ): "فلما أمر الله تعالى في هذه الآية رسوله أن يقول: **{وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ}** فقد عين له هذه الجملة ليقولها يسأل من الله أن يكرم عباده الذين اصطفى بالثناء عليهم في الملأ الأعلى وحسن الذكر؛ إذ قصارى ما يستطيعه الحاضر من جزاء الغائب على حسن صنيعه أن يبتهل إلى الله أن ينفعه بالكرامة". [٢٨٧٥]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وحقيقة الاصطفاء: "افتعال من التصفية، فيكون قد صفاهم من الأكدار، ولا ينقض هذا بما إذا اختلفوا؛ لأن الحق لم يعدهم بألا يختلفوا، وهذا لا يخرجهم من حقيقة الاصطفاء". [٢٨٧٦]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "إنه لا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة". [٢٨٧٧]

وهذا أمر لا غرابة فيه بأن يصطفي الله–عز وجل–أفضل الأصحاب لأفضل الأنبياء وخاتمهم.

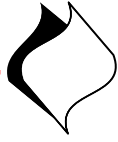
١٢–قال تعالى: **{مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}** [الأحزاب: الآية: ٢٣].

تعددت الروايات في سبب نزول هذه الآية وفيمن نزلت، إلا أنها اتفقت على أن المقصود بها هو أحد الصحابة أو جميعهم، فلم تخرج من دائرة الصحابة وفضلهم، ففي البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ)، **عن**

٢٨٧٥ التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الثامن، الجزء العشرون، ص ٨.

٢٨٧٦ إعلام الموقعين، ابن القيم، ٥/ ٥٦٨.

٢٨٧٧ منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ١/ ٣٦٦..



أنس بن مالك–رضي الله عنه–(ت: ٩٣ هـ) قال: "نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر (ت: ٣ هـ)". [٢٨٧٨] وفي رواية: "وفي أشباهه". [٢٨٧٩]

وعند مسلم: "وفي أصحابه". [٢٨٨٠]

وفي حديث عائشة–رضي الله عنها–(ت: ٥٧ هـ)، قالت في قوله تعالى: **{مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}** الآية: منهم طلحة بن عبيد الله–رضي الله عنه–(ت: ٣٦ هـ)، ثبت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم–حتى أصيبت يده، فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((**أوجب طلحة الجنة**)). [٢٨٨١]

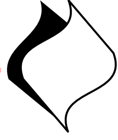
قال الشوكاني–رحمه الله–(ت: ١٢٥٠ هـ): "إن معنى الآية: أن من المؤمنين رجالا أدركوا أمنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم، فقاتلوا حتى قتلوا، وذلك يوم، أحد كحمزة (ت: ٣ هـ)، ومصعب بن عمير (ت: ٣ هـ)، وأنس بن النضر (ت: ٣ هـ)، **{وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ}** قضاء نحبه حتى يحضر أجله، كعثمان بن عفان(ت: ٣٥ هـ)، وطلحة (ت: ٣٦ هـ)، والزبير (ت: ٣٦ هـ)، وأمثالهم، فإنهم مستمرون على ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–والقتال لعدوه، ومنتظرون لقضاء حاجتهم

٢٨٧٨ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}، رقم ٤٧٨٣، ص ٨٤٠.

٢٨٧٩ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله – عز وجل –: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}، رقم ٢٨٠٥، ص ٤٦٤.

٢٨٨٠ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم ٤٩١٨، ص ٨٥١.

٢٨٨١ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/ ٣٤٤.



وحصول أمنيتهم بالقتل وإدراك فضل الشهادة، وجملة {وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} معطوفة على صدقوا، أي: ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه". [٢٨٨٢]

ب–الأدلة من السنة.

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي–صلى الله عليه وسلم–فيما يدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وكونهم خير قرون هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم. ولقد عقد البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)، ومسلم (ت: ٢٦١ هـ). في صحيحيهما وكذا أهل السنن وغيرهم، كل منهم كتابا لفضائل الصحابة أوردوا فيه الكثير من الأحاديث الواردة في فضل الصحابة رضوان الله عليهم.

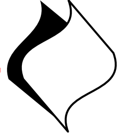
وأما دلالة السنة على تعديلهم وفضلهم–رضي الله عنهم–:

فقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث يطول تعدادها وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم، ومن تلك الأحاديث:

١ـ **عن عمران بن حصين–رضي الله عنهما–(ت: ٥٢ هـ)**، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **((خير أُمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ـ قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا ـ ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن)).** (٢٨٨٣)

٢٨٨٢ فتح القدير، الشوكاني، ٣/ ٤٢١ – ٤٢٢.

(٢٨٨٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، رقم ٣٦٥٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٥).



٢- **وعن عبد الله بن مسعود**-**رضي الله عنه**-(**ت: ٣٢ هـ**)، أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: ((**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**)). [٢٨٨٤]

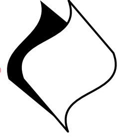
٣- **عن أبي موسى الأشعري**-**رضي الله عنه**-(**ت: ٤٢ هـ**)، قال: صلينا المغرب مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: ((**ما زلتم ههنا**))، قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: ((**أحسنتم أو أصبتم**))، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه، فقال: ((**النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**)). [٢٨٨٥]

٤-**وعن البراء**-**رضي الله عنه**-(**ت: ٧٢ هـ**)، قال: سمعت النبي-صلّى الله عليه وسلّم-أو قال: قال صلّى الله عليه وسلّم: ((**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**)). (٢٨٨٦)

٢٨٨٤ صحيح البخاري ٢/٢٨٨، وانظر صحيح مسلم ٤/١٩٦٣.

٢٨٨٥ صحيح مسلم ٤/١٩٦١، ومسند أحمد (١٩٥٦٦).

(٢٨٨٦) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٧٨٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٧٥).



٥-وفي الصحيحين "أنه كان بين عبد الرحمن بن عوف (ت: ٣٢ هـ)، وبين خالد بن الوليد (ت: ٢١ هـ)، كلام، فقال رسول الله: **((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ))**. (٢٨٨٧)

قال ذلك لخالد بالنسبة إلى السابقين الأولين، فالصحابة هم خير هذه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم.

٦-**عن عبد الله بن مسعود-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٣٢ هـ)**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **((إِذا ذُكِرَ أَصْحابي فأَمْسِكُوا))**. (٢٨٨٨)

٧-وقد ثبت في "صحيح مسلم" عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: **((لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ))**. (٢٨٨٩)

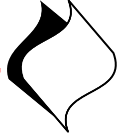
٨- **عن أبي بكرة-رضي الله عنه-(ت: ٥١ هـ)**، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((..ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب))**. الحديث. [٢٨٩٠]

(٢٨٨٧) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، رقم ٣٦٧٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤٠).

(٢٨٨٨) "المعجم الكبير " للطبراني (١٤٢٧)، أخرجه قوام السنة في ((الترغيب والترهيب)) (٦٢٩) باختلاف يسير، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٤٥ في صحيح الجامع.

(٢٨٨٩) أخرجه مسلم برقم (٢٤٩٦) من حديث أم مبشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢٨٩٠ صحيح البخاري ٣١/١، صحيح مسلم ١٣٠٦/٣.



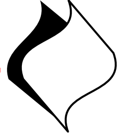
وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم أن هذا القول صدر من النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحدا.

قال ابن حبان–رحمه الله–(ت: ٣٥٤ هـ): "وفي قوله–صلى الله عليه وسلم–: **((ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب))**، أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله صلى الله عليه وسلم وقال: ألا ليبلغ فلان منكم الغائب فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول وكفى بمن عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفا". [٢٨٩١]

٩–**عن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–(ت: ٧٤ هـ)**، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: **((يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيَقولونَ: فِيكُمْ مَن صاحَبَ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ))**. (٢٨٩٢).

٢٨٩١ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١/٩١.

(٢٨٩٢) أخرجه البخاري ٣٦٤٩.



هذه الأحاديث فيها دلالة واضحة على أن الصحابة عدول على الإطلاق حيث شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية المطلقة كما أخبر بأنهم أمان للأمة من ظهور البدع والحوادث في الدين ولا يخبر صلى الله عليه وسلم بهذا إلا لمن كانوا عدولا مستقيمين على الصراط المستقيم.[٢٨٩٣]

ج–أقوال السلف ومن تبعهم في عدالة الصحابة وفضلهم.

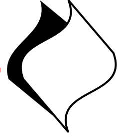
فمن أصول أهل السُّنَّة والجماعة: سلامةَ قلوبهم تجاه أصحاب النبي ﷺ،

قال حبر الأمة وترجمان القرآن **عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**: "إن الله–جل ثناؤه وتقدست أسماؤه–خص نبيه محمدا–صلى الله عليه وسلم–بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال: **{رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}** [الفتح: الآية: ٢٩]. قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله، واستقر دينه ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية، والأرواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها". (٢٨٩٤)

قال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ): "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب

٢٨٩٣ المصدر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم لناصر بن علي (٨٠٠–٨٠٨).

(٢٨٩٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣/٧٥.



محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ". (٢٨٩٥)

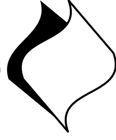
وذلك لأنهم حَمَلة ميراث النبوة، فهم علماء هذه الأمة وخيرها وأبرُّها، كما قال عنهم **ابن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)**: "مَن كان منكم مستنًّا، فليستنَّ بمَن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا يُؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد، أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلُّها تكلفًا؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه، وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم حقَّهم، وتمسَّكوا بهديهم؛ فإنَّهم كانوا على الهُدى المستقيم". (٢٨٩٦)

وقد عَلَّق **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)** على هذا الأثر؛ فقال: "وقول عبد الله بن مسعود: " "كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا": كلامٌ جامع، بيَّن فيه حُسن قَصدهم، ونيَّاتهم ببر القلوب، وبيَّن فيه كمال المعرفة، ودقتها بعمق العلم، وبيَّن فيه تيسير ذلك عليهم، وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف... وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس، الذين هداهم الله لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ فليسوا مِن المغضوب عليهم الذين يتبعون أهواءهم، ولا من الضالين الجاهلين... بل لهم كمال العلم، وكمال القصد؛ إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمةُ خيرَ الأمم، وأن لا يكونوا خيرَ الأمة، وكلاهما خلاف الكتاب والسُّنَّة.

وأيضًا فالاعتبار العقليُّ يدلُّ على ذلك؛ فإنَّ مَن تأمَّل أمة محمد ﷺ، وتأمل أحوال اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين–تبيَّن له مِن فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم في العلم النافع والعمل الصالح ما يضيق هذا الموضع عن بسطه.

(٢٨٩٥) رواه أحمد في "المسند" (١/٣٧٩)، والطبراني في الكبير (٨٥٨٢)، وقال المحققون: إسناده حسن.

(٢٨٩٦) أخرجه ابن عبد البرَّ في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤)، مع اختلاف يسير في الألفاظ.



عن الحسن البصري–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)، قال: "إن أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كانوا أكياسا، عملوا صالحا، وأكلوا طيبا، وقدموا فضلا، ولم ينافسوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم ينافسوهم في عزها، ولم يجزعوا لذلها، أخذوا صفوها، وتركوا كدرها، والله ما تعاظم في أنفسهم حسنة عملوا، ولا تصغر في أنفسهم سيئة". (٢٨٩٧)

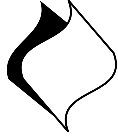
قال قتادة بن دعامة السدوسي–رحمه الله–(ت: ١١٨ هـ): "ولكن أحق من صدقتم أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه". (٢٨٩٨).

عن أبي صخر حميد بن زياد–رحمه الله–(ت: ١٨٩ هـ)، قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي–رحمه الله–(ت: ١٠٨ هـ): أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أريد الفتن؟ فقال إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت: له وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟ قال ألا تقرأ **{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}** [التوبة: الآية:١٠٠] أوجب لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترطه فيهم قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان يقول: يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة، ولا يقتدون بهم في غير ذلك قال أبو صخر: لكأني لم أقرأها قبل ذلك وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب". (٢٨٩٩)

(٢٨٩٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في "ذم الدنيا" (٧١) رقم (١٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٧٤) رقم (١٠٦٣٣).

(٢٨٩٨) أحمد "المسند" (ج ١٠/ص ٤٣٦/رقم ١٢٣١٦) وإسناده صحيح.

(٢٨٩٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٧٢/٤، وعزاه لأبي الشيخ وابن عساكر.



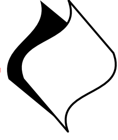
نقل الإمام **أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ)**: مذهب **الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي–رحمه الله–(ت: ١٥٠ هـ)، وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري–رحمه الله–(ت: ١٨٢ هـ)، ومحمد بن الحسن الشيباني–رحمه الله–(ت: ١٨٩ هـ)** ما كانوا يعتقدونه من أصول الدين، ويدينون به لرب العالمين ومن ضمن ذلك ما كانوا يعتقدونه في الصحابة عموما فقال: في عقيدته المشهورة: "ونحب أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان". (٢٩٠٠)

وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ): "وقد أثنى الله . تبارك وتعالى . على أصحاب–رسول الله صلى الله عليه وسلم–في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله–صلى الله عليه وسلم–من الفضل ما ليس لأحد بعدهم فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين أدوا إلينا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاما وخاصا وعزما وإرشادا، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكى لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول ولم نخرج من أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله" [٢٩٠١].

قال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها، والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم–صلى الله عليه وآله وسلم–إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت

(٢٩٠٠) العقيدة الطحاوية مع شرحها ص/٥٢٨.

٢٩٠١ مناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٤٢– ٤٤٣، أعلام الموقعين ١/٨٠.



بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه. قال الله تعالى ذكره : **{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ}** [الفتح: الآية: ٢٩]. فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به، وآزره ونصره، ولصق به وصحبه". (٢٩٠٢)

يقول الخطيب البغدادي–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "على أنه لو لم يرد من الله–عز وجل–ورسوله فيهم شيء، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطعَ على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء". (٢٩٠٣)

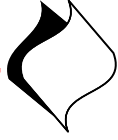
وقال الإمام ابن قدامة–رحمه الله–(ت: ٦٢٠ هـ): "أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء". (٢٩٠٤)

قال ابنُ الصَّلاحِ–رحمه الله–(ت: ٦٤٣ هـ): "للصَّحابةِ بأسْرِهم خَصيصةٌ، وهي أنَّه لا يُسألُ عن عدالةِ أحَدٍ منهم، بل ذلك أمرٌ مَفروغٌ منه؛ لكونِهم على الإطلاقِ مُعَدَّلين بنُصوصِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وإجماعِ من يُعتَدُّ به في الإجماعِ من الأُمَّةِ... ثم إنَّ الأُمَّةَ مجمِعةٌ على تعديلِ جميعِ الصَّحابةِ، ومن لابَسَ الفِتَنَ منهم

(٢٩٠٢) الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ١–٢.

(٢٩٠٣) "الكفاية" (٤٩).

(٢٩٠٤) لمعة الاعتقاد: " مع شرحها الإرشاد " ٣٠٦.



فكذلك بإجماعِ العُلَماءِ الذين يُعتَدُّ بهم في الإجماعِ؛ إحسانًا للظَّنِّ بهم، نظرًا إلى ما تمهَّد لهم من المآثِرِ، وكأنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى أتاح الإجماعَ على ذلك؛ لكونِهم نَقَلةَ الشَّريعةِ، واللهُ أعلَمُ". (٢٩٠٥)

وقال الإمام النَّووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "وكُلُّهم عُدولٌ رَضِيَ اللهُ عنهم، ومتأوِّلون في حُروبِهم وغَيرِها، ولم يُخرِجْ شَيءٌ من ذلك أحدًا منهم عن العدالةِ ... ولهذا اتَّفَق أهلُ الحَقِّ ومن يُعتَدُّ به في الإجماعِ على قَبولِ شَهاداتِهم ورواياتِهم، وكَمالِ عَدالتِهم رَضِيَ اللهُ عنهم أجمعين". (٢٩٠٦)

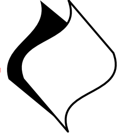
وقال الإمام النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "قال القاضي، ويؤيد هذا ما قدمناه في أول باب فضائل الصحابة عن الجمهور من تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم. وسبب تفضيل نفقتهم: أنها كانت وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته عليه الصلاة والسلام وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم، وسائر طاعتهم، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء". (٢٩٠٧).

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "والصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحدًا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله، وتجد مَن ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس. ولهذا لا يُوجد في أئمة الفقه الذين يُرجع إليهم رافضي، ولا في أئمة الحديث، ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في الجيوش المؤيدة المنصورة جيش رافضي، ولا في

(٢٩٠٥) يُنظر: ((مقدمة ابن الصلاح)) (ص: ٣٩٧)..

(٢٩٠٦) يُنظر: ((شرح مسلم)) (١٥/ ١٤٩).

(٢٩٠٧) شرح مسلم للنووي: ١٦/ ٣٢٧، فتح الباري لابن حجر: ٧/ ٤٢.



الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوّه مَن هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سِيرة محمودة مَن هو رافضي...". (٢٩٠٨)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى". (٢٩٠٩)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "قال غير واحد من الأئمة: إن كل من صحب النبي–صلى الله عليه وسلم–أفضل ممن لم يصحبه مطلقا، وعينوا ذلك في مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز مع أنهم معترفون بأن سيرة عمر بن عبد العزيز أعدل من سيرة معاوية، قالوا: لكن ما حصل لهم بالصحبة من الدرجة أمر لا يساويه ما يحصل لغيرهم بعلمه، واحتجوا بما في الصحيحين من أنه قال: ((**لا تسبوا أصحابي**..)). (٢٩١٠) قالوا: فإذا كان جبل أحد ذهبا لا يبلغ نصف مد أحدهم، كان في هذا من التفاضل ما يبين أنه لم يبلغ أحد مثل منازلهم التي أدركوها بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم". (٢٩١١)

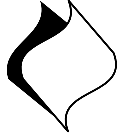
قال الإمام ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، كما وصفهم الله بذلك في قوله: **{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا**

(٢٩٠٨) منهاج السنة النبوية (٢/ ٧٩-٨١).

(٢٩٠٩) مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٦.

(٢٩١٠) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، رقم ٣٦٧٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤٠).

(٢٩١١) مجموع الفتاوى: ٤/ ٥٢٧.



وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} [الحشر: الآية: ١٠]، وأمر النبي–صلى الله عليه وسلم–بحسن القول فيهم، فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خالف أمر النبي–صلى الله عليه وسلم–". (٢٩١٢).

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "فالله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالاته أصلا وميراثا؛ فهو أعلم بمن يصلح لتحمل رسالته فيؤديها إلى عباده بالأمانة والنصيحة، وتعظيم المرسل والقيام بحقه، والصبر على أوامره والشكر لنعمه، والتقرب إليه، ومن لا يصلح لذلك، وكذلك هو سبحانه أعلم بمن يصلح من الأمم لوراثة رسله والقيام بخلافتهم، وحمل ما بلغوه عن ربهم". (٢٩١٣)

وقال ابنُ كثيرٍ–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "الصَّحابةُ كُلُّهم عدولٌ عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ لِما أثنى اللهُ عليهم في كِتابه العزيزِ، وبما نطَقَت به السُّنَّةُ النبويَّةُ في المدحِ لهم في جميعِ أخلاقِهم وأفعالِهم، وما بَذَلوه من الأموالِ والأرواحِ بين يَدَيْ رَسولِ اللهِ–صلى الله عليه وسلم–؛ رغبةً فيما عند الله من الثَّوابِ الجزيلِ، والجزاءِ الجميلِ". (٢٩١٤)

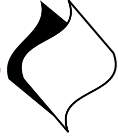
فمن واجب الأمة نحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتهم والترضي عنهم والدعاء لهم كما أمرنا الله تعالى بقوله: **{والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم}** [الحشر: الآية: ١٠].

فهم قوم اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف ونصرته والذب عنه والجهاد معه في سبيل الله ونشر دين الإسلام.

(٢٩١٢) "إعلام الموقعين"، ج ٢، ص ١٦١.

(٢٩١٣) طريق الهجرتين، ص (١٧١).

(٢٩١٤) يُنظر: ((اختصار علوم الحديث)) (ص: ١٨١).



وبعد وفاته كانوا هم الواسطة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين الأمة، فقد بلغوا عن رسول الله ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها ونشروا هذا الدين في شتى بقاع الأرض: وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وذبوا عن هذا الدين بسنانهم ولسانهم فكان لهم بذلك الأجر العظيم والمنزلة العالية عند ربهم وعند نبيهم وعند المسلمين الموحدين جميعا.

وكيف لا يكونون كذلك وهم خير قرون هذه الأمة بشهادة النبي-صلى الله عليه وسلم-.

المسألة الثالثة: وجوب اتباع سبيلهم.

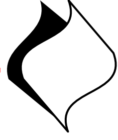
قوله تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}** [التوبة:١٠٠].

قال الإمام ابن كثير-رحمه الله-(ت: ٧٧٤ هـ): "فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.....

وأمَّا أهل السنة فإنهم يترضون عنهم، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله، ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله المفلحون وعباده المؤمنون". (٢٩١٥).

قال تعالى: **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}** [النساء: ١١٥].

(٢٩١٥) تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٠٣).



والمراد بـ{المؤمنين} في الآية: أصحاب النبي ﷺ؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله جل وعلا: **{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ}**.

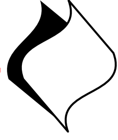
قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد شهد الله لأصحاب نبيه الله ومن تبعهم بإحسان بالإيمان فعلم قطعا أنهم المراد بالآية الكريمة" [٢٩١٦]

وعن العرباض بن سارية–رضي الله عنه–(ت: ٧٥ هـ)، قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا: يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: **((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة))**. [٢٩١٧]

قال تعالى: **{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}** [سبأ: الآية: ٦].

٢٩١٦ الانتصار لأهل الأثر ص: ٣.

٢٩١٧ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦، ١٢٧). وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب في لزوم السنة (٥/ ١٣، ١٥) ح ٤٦٠٧، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم: باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٥/ ٤٤) ح ٢٦٧٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجة في سننه، في المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١/ ١٦). وابن حبان في صحيحه (١/ ١٣٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٩٦) وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في الشريعة (٤٦، ٤٧)، والدارمي في سننه، باب اتباع السنة (١/ ٤٤، ٤٥) وقال الألباني: سنده صحيح، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع، انظر: مشكاة المصابيح (١/ ٥٨) ح ١٦٥.



عن قتادة–رحمه الله–(ت: ١١٨ هـ) {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ} قال: "أصحاب محمد". [٢٩١٨]

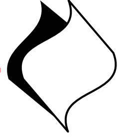
قال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ): "لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد–صلى الله عليه وسلم–، وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم، فذلك حين هلكوا". [٢٩١٩]

كتب عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ) إلى عامل له فقال: "أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السُنَّة فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن الناس لم يحدثوا بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فإن السُنَّة إنما سنَّها من علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم السابقون، عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل فيه لو كان أحرى، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه، ولئن قلت إنما أحدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، لقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محصر، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمع عنهم آخرون فغلوا، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم". [٢٩٢٠]

٢٩١٨ تفسير الطبري (تفسير سورة سبأ الآية: ٦).

٢٩١٩ أخرجه ابن عبد المبارك في الزهد (ج١/ص٢٨١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ج١/ص٦١٧) والطبراني في المعجم الكبير (ج٩/ص١١٤).

٢٩٢٠ البدع لابن وضاح، ٣٠، ٣١، الحلية لأبي نعيم (٥/٣٩)، الاعتصام للشاطبي (١/٤٩).



قال شقيق البلخي–رحمه الله–(ت: ١٩٤ هـ): قيل لابن المبارك–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ): إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: "أجلس مع الصحابة والتابعين أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس". [٢٩٢١]

قال الإمام أحمد: ثنا عبيد الله بن محمد (هو العيشي حافظ) قال: سمعت شيخًا يذكر عن محمد بن سيرين وسئل مرة عن فتيا فأحسن الإجابة فيها، فقال له رجل: والله يا أبا بكر، لأحسنت الفتيا فيها أو قال: القول فيها قال: وعرّض، كأنه يقول: ما كانت الصحابة لتحسن أكثر من هذا؛ فقال محمد بن سيرين (يعني منكرا) لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا". [٢٩٢٢]

وقال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "أصول السُنَّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدل والخصومات في الدين". [٢٩٢٣]

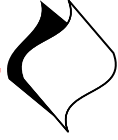
قال ابن قتيبة–رحمه الله–(ت: ٢٧٦ هـ): "وكان أصحاب رسول الله هم مصابيح الأرض وقادة الأنام ومنتهى العلم". [٢٩٢٤]

٢٩٢١ سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٠ وتاريخ الإسلام ١٢/ ٢٣٥.

٢٩٢٢ الحلية (٢/ ١٥٧) من طريق كتاب الزهد لأحمد.

٢٩٢٣ شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة للالكائي (١٥٦/١)، طبقات الحنابلة (٣١١/١).

٢٩٢٤ تأويل مشكل القرآن ص ١٤٨.



وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني–رحمه الله–(ت: ٣٨٦ هـ)، في رسالته: "واللجأ إلى كتاب الله عزوجل وسنة نبيه، واتباع سبيل المؤمنين، وخير القرون من خير أمة أخرجت للناس نجاة، ففي المفزع إلى ذلك العصمة، وفي اتباع السلف الصالح النجاة". [٢٩٢٥]

قال الإمام أبو القاسم اللالكائي (ت: ٤١٨ هـ): "أما بعد: فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون". [٢٩٢٦]

قال ابن قدامة–رحمه الله–(ت: ٦٢٠ هـ): "ومتى اختلف الصحابة على قولين، لم يجز إحداث قول ثالث لأنه يفضي إلى تخطئتهم، وخروج الحق عن قول جميعهم ولا يجوز ذلك". [٢٩٢٧]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الصحابة رضي الله عنهم منشأ كل علم وصلاح وهدى ورحمة في الإسلام". [٢٩٢٨]

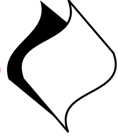
قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "والواجب على كل مســـلم يشـــهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وطاعة رسوله، يدور على

٢٩٢٥ رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص: ١٦٩.

٢٩٢٦ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٧.

٢٩٢٧ المغني (٨/ ١٠٧).

٢٩٢٨ منهاج السنة ٦/ ٣٦٨.



ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخصٍ انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا لرسول الله-صلى الله وعليه وسلم-، ولا لطائفة انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

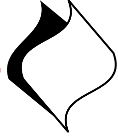
فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء فإنهم قد يجمعون على خطأ، بل كل قولٍ قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ؛ فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مُسَلَّمًا إلى عالمٍ واحدٍ وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا لرسول الله-صلى الله وعليه وسلم-وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول، قبل وجود المتبوعين الذين تُنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله إن كان حقًّا مأخوذًا عمَّا جاء به الرسول، موجودًا فيمن قبله، وكل قول قِيلَ في دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه، فإنه قول باطل". (٢٩٢٩)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة؛ فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم. وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر". [٢٩٣٠]

(٢٩٢٩) منهاج السنة ج٥/٢٦١-٢٦٣.

٢٩٣٠ مجموع الفتاوى، (١٣/ ٣٣٢).



قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بيّنا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق". [٢٩٣١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: **{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}** [النساء: الآية: ٥٩].

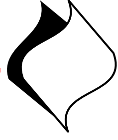
وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين". [٢٩٣٢]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "العالمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الظلم إلى العدل، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه ... ". [٢٩٣٣]

٢٩٣١ اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٥٢٧.

٢٩٣٢ مجموع الفتاوى، (٢٤/ ٩٥).

٢٩٣٣ الفوائد ص ١٠٨. ١٠٩.



قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "كل الخير في اجتهاد باقتصاد، وإخلاص مقرون بالاتباع قال بعض الصحابة اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة". [٢٩٣٤]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان، وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله ورسوله لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق.

وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم، وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم وبينهم في الفضل". [٢٩٣٥]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "فلا أحسن مما قضى به الصحابة–رضي الله عنهم–". [٢٩٣٦]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): عن الصحابة: "فإنهم أفقه الأمة وأعلمهم بمقاصد الشرع وحكمه". [٢٩٣٧]

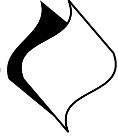
قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "أفهام الصحابة رضي الله عنهم فوق أفهام الجميع، وعلمهم بمقاصد نبيهم وقواعد دينه وشرعه أتم من علم كل من جاء بعدهم" إلى أن قال: "ولم يرتضوا لأنفسهم

٢٩٣٤ مدارج السالكين٢/ ١٠٧.

٢٩٣٥ التفسير القيم صـ ٣٤٣.

٢٩٣٦ الطرق الحكمية ١ / ٣٢٦.

٢٩٣٧ الطرق الحكمية ٢ / ٥٣١



عبارات المتأخرين واصطلاحاتهم وتكلفاتهم فهم كانوا أعمق الأمة علما وأقلهم تكلفا والمتأخرون عكسهم في الأمرين". [2938]

وسنة الصحابة وهي ما جاء عنهم من قول أو فعل أو تقرير إذا كان مما لا يقال من قبل الرأى، ومما لا مجال للاجتهاد فيه، فله حكم المرفوع المسند تحسينا للظن بهم، وجزم بذلك الرازى في المحصول، وغير واحد من أئمة الأصول والحديث. [2939]

وإذا كانت سنتهم في غير ذلك، فقد اختلف العلماء في ذلك. والراجح من هذا الخلاف [2940] أن سنتهم كسنة الرسول يعمل بها، ويرجع إليها، وانتصر لهذا الرأى غير واحد من أئمة الأصول، منهم **الشاطبي- رحمه الله-(ت: ٧٩٠ هـ)** فبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على عدالتهم قال: "فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أى عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به.

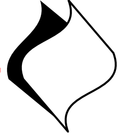
... ثم استدل الشاطبي لما رجح بأدلة منها:

١- ما جاء فى الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم فى طلب الاتباع كسنة النبى صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم: ((**فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**)). (٢)

٢٩٣٨ الطرق الحكمية ١ / ٣٢٤.

٢٩٣٩ انظر: المحصول ٢٢١/٢، والإحكام للآمدى ٨٧/٢، وأعلام الموقعين ١٢٣/٤، وفتح المغيث للسخاوى ١٤٤/١، وتدريب الراوى ١٩٠/١، ١٩١، وتوضيح الأفكار ٢٨٠/١.

٢٩٤٠ انظر: الأدلة المختلف فيها وأثرها فى الفقه الإسلامى للدكتور عبد الحميد أبو المكارم ص ٣٠٣، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى، باب ما جاء فى قول الواحد من الصحابة ٤٣٧/١.



٢- أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبى بكر وعمر حجة ودليلا، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلا، وبعضهم يعد قول الصحابى على الإطلاق حجة ودليلا، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء - وإن ترجح عند العلماء خلافها - ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلى هو المعتمد فى المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنى فى علوم الخلاف الدائرة بين الأئمة المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذاهبهم قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا فى أنفسهم وفى مخالفيهم من تعظيمهم، وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم فى الشريعة، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلا عن النظر معهم فيما نظروا فيه.

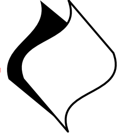
... ويؤيد هذا ما جاء عن السلف الصالح، من تزكيتهم والحث على متابعتهم.

فعن ابن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، قال: "من كان مستنا فليستن بأصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم". [٢٩٤١]

قال الشاطبي-رحمه الله-(ت: ٧٩٠ هـ): "ولقد زلّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم، فضلّوا عن سواء السبيل". [٢٩٤٢]

٢٩٤١ أخرجه البغوى في شرح السنة كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء ٢١٤/١، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٩٧/٢، وذكره ابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين ١٣٩/٤..

٢٩٤٢ الاعتصام ٢/ ٩٦.



وقال عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ): "سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاة الأمر بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرا.

... وفى رواية بعد قوله –وقوة على دين الله – ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر فى رأى خالفها، من اهتدى بها مهتد ... الحديث". [٢٩٤٣]

فقال مالك فأعجبني عزم عمر على ذلك". [٢٩٤٤]

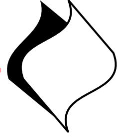
والآثار في هذا المعنى يكثر إيرادها، وقد استوعب كثيرا منها الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه "أعلام الموقعين عن رب العالمين". [٢٩٤٥]

ويقول الإمام الشاطبي–رحمه الله–(ت: ٧٩٠ هـ)، في موضع آخر من كتابه مبينا أن بيان الصحابى حجة، قال: "وأما بيان الصحابة، فإن أجمعوا على ما بينوه، فلا إشكال فى صحته أيضا، كما أجمعوا على

٢٩٤٣ ابن عبد الحكم سيرة عمر ص٤٠، وابن بطة في الإبانة ٣٥٢/١، ورقم ٢٣٠– ٢٣١، والآجري في الشريعة ١٧٤/١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١١٧٦/٢. كلهم عن مالك بن أنس وأعل بالانقطاع ورواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ص١٧٣، واللالكائي ١٠٦/١ من طريق يعقوب بن سفيان الفسوي عن سعيد بن أبي مريم عن رشدين بن سعد قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عمر بن عبد العزيز به، ورشدين ضعيف. انظر التقريب ٢٠٩، وقد صحح هذا الأثر محقق كتاب الشريعة للآجري فقال: والأثر يصح بهذين الطريقين ويقوى بهما. انظر الشريعة ١٧٤/١. وقد أخرجه أيضا قوام السنة في الحجة في بيان المحجة ١٠٩/١– ١١٠ وابن كثير في البداية والنهاية ٥ /٢٤٢ وعزاه محقق كتاب المعرفة والتاريخ إلى الجزء المفقود منه.

٢٩٤٤ الموافقات ٤٥٢/٤ – ٤٥٥، وانظر: الاعتصام ٥١٩/٢.

٢٩٤٥ أعلام الموقعين ١١٨/٤ – ١٥٦، وانظر: الرسالة للشافعى ص ٥٩٦ فقرات رقم ١٦٨٢، ١٨٠٥ – ١٨١١.



الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله تعالى: **{وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا}** [المائدة: الآية: ٦]، وهذا الإجماع حجة موجبة للعلم، ولا يعتد بخلاف من خالفهم، كما حكاه **السرخسى–رحمه الله–(ت: ٤٨٣ هـ)** [٢٩٤٦]، **عن أبي حازم القاضي–رحمه الله–(ت: ١٤٠ هـ)**.

وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بيانهم حجة أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل. ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم في البيان، من وجهين:

أحدهما: معرفتهم باللسان العربى، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف فى فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.

ثانيهما: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد فى فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف فى المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسالة اجتهادية". [٢٩٤٧]

٢٩٤٦ أصول السرخسى ٣١٧/١، وانظر: علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى للشيخ أحمد إبراهيم ص ٢٤، ٢٥.

٢٩٤٧ الموافقات ٣٠٠/٣، ٣٠١.

المسألة الرابعة: **وجوب محبتهم**.

الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها-صلى الله عليه وسلم-، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن.

قال أنس بن مالك-رضي الله عنه-(ت: ٩٣ هـ): "ما فرحنا بشيء فرحنا بقوله-صلى الله عليه وسلم-: ((**المرء مع من أحب**)). قال: فأنا أحب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم". ٢٩٤٨

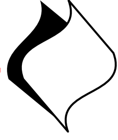
عن أيوب السختياني-رحمه الله-(ت: ١٣١ هـ)، أنه قال: "من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقد برئ من النفاق". (٢٩٤٩)

عن شقيق البلخي-رحمه الله-(ت: ١٩٤ هـ)، قال: "حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة". (٢٩٥٠)

٢٩٤٨ أخرجه: البخاري في "صحيحه" رقم: ٣٦٨٨, ومسلم في "صحيحه" رقم: ٢٦٣٩ بعد ١٦٣.

(٢٩٤٩) البداية والنهاية لابن كثير ٨/١٣.

(٢٩٥٠) المناقب لابن الجوزي ص ٤٩، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/١٢٣٨.



وعن عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤي قال: قلت **للحسن–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)**: "حب أبي بكر وعمر سنة". قال: "لا فريضة". (٢٩٥١)

وعن طاووس–رحمه الله–(ت: ١٠٦ هـ)، قال: "حب أبي بكر ومعرفة فضلهما من السنة". (٢٩٥٢)

عن أبي زرعة الرازي–رحمه الله–(ت: ٢٨٩ هـ)، قال: سمعت قبيصة بن عقبة (ت: ٢١٥ هـ) يقول: "حب أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–كلهم سنة". (٢٩٥٣)

وعن مالك بن أنس–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ): قال: "كان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر–رضي الله عنهما– كما يعلمون السورة من القرآن". (٢٩٥٤)

قال الإمام الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ): "وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَلا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلا نَذْكُرُهُمْ إلا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ". (٢٩٥٥)

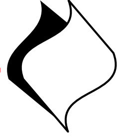
(٢٩٥١): شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/١٢٣٩، وابن الجوزي: مناقب ص ٣٩.

(٢٩٥٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/١٢٣٩، والمناقب لابن الجوزي: ص ٣٩).

(٢٩٥٣) أصول الاعتقاد (٧/ ١٣١٣/ ٢٣٢٧)

(٢٩٥٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: ٤/١٢٤٠، والمناقب لابن الجوزي: ص ٣٩.

(٢٩٥٥) ((شرح الطحاوية)) (ص: ٤٦٧).



وقال أبو عبد الله ابن بطة–رحمه الله–(ت: ٣٨٧ هـ): "ونحب جميع أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–على مراتبهم ومنازلهم أولًا فأولًا: من أهل بدر والحديبية وبيعة الرضوان وأحد فهؤلاء أهل الفضائل الشريفة والمنازل المنيفة الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله أجمعين". (٢٩٥٦)

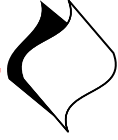
قال ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): "وكلهم عدل إمام فاضل رضي فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم وأن نستغفر لهم ونحبهم وتمرة يتصدق بها أحدهم أفضل من صدقة أحدنا بما يملك وجلسة من الواحد منهم مع النبي–صلى الله عليه وسلم–أفضل من عبادة أحدنا دهره كله وسواء كان من ذكرنا على عهده عليه السلام صغيرا أو بالغًا". (٢٩٥٧)

قال البيهقي–رحمه الله–(ت: ٤٥٨ هـ): "ويدخل في جملة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب أصحابه؟ لأن الله عز وجل أثنى عليهم ومدحهم فقال: **{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا}** [الفتح: الآية: ٢٩].

وقال تعالى: **{لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}** [الفتح: الآية: ١٨].

(٢٩٥٦) ((الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة)) (ص: ٢٧١).

(٢٩٥٧) الإحكام في أصول الأحكام ٥/ ٨٩.



وقال تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}** [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}** [الأنفال: الآية: ٧٤].

فإذا أنزلوا هذه المنزلة استحقوا من جماعة المسلمين أن يحبوهم ويتقربوا إلى الله عز وجل بمحبتهم لأن الله تعالى إذا رضي عن أحد أحبه وواجب على العبد أن يحب من يحب مولاه" [٢٩٥٨]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "واجب على كل مسلم جاء بعد الصحابة–رضي الله عنهم– من عباد الله المؤمنين أن يدعو لهم، ويستغفر لهم، ويترحم عليهم لما لهم من القدر العظيم، ولما حازوه من المناقب الحميدة، والسوابق القديمة، والمحاسن المشهورة، ولما لهم من الفضل الكبير على كل من أتى بعدهم". [٢٩٥٩]

قال السفاريني–رحمه الله–(ت: ١١٨٨ هـ): "فمن أراد السلامة لدينه وأن يسلم له إيمانه فليحبهم جميعا، وأن يحتم ذلك على نفسه، وعلى كل أبناء جنسه لأن ذلك واجب على جميع الأمة واتفق على ذلك الأئمة، فلا يزوغ عن حبهم إلا هالك، ولا يزوغ عن وجوب ذلك إلا آفك". [٢٩٦٠]

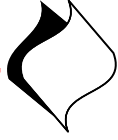
المسألة الخامسة: القول بعدالة الصحابة لا يعني عصمتهم.

إليك بعض النقولات من العلماء التي تؤكد أن عدالة الصحابة لا تعني عصمتهم:

٢٩٥٨ شعب الإيمان للبيهقي (١/٢٨٧).

٢٩٥٩ «طريق الهجرتين» لابن القيم (٥٣٧).

٢٩٦٠ انظر: ((لوامع الأنوار البهية))، للسفاريني (٢/ ٣٥٤).



قال ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): "الصحابة كلهم عدول، ولكنهم غير معصومين من الخطأ، فقد يقع منهم ما يُخالف الصواب، ويجب التفريق بين العدالة والعصمة". ٢٩٦١

قال البيهقي–رحمه الله–(ت: ٤٥٨ هـ): "الصحابة كلهم عدول، ولكنهم غير معصومين من الخطأ، فقد يقع منهم الخطأ والزلل، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم". ٢٩٦٢

قال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، ولكنهم عدول في روايتهم، وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم مجتهدون". (٢٩٦٣)

وقال الخطيب البغدادي–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "عدالة الصحابة ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن، فمن ذلك:

قوله تعالى: **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}** [آل عمران: الآية: ١١٠]،

وقوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}** [البقرة: الآية: ١٤٣].

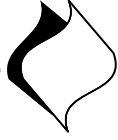
وهذا اللفظ وإن كان عاما فالمراد به الخاص وقيل: هو وارد في الصحابة دون غيرهم.

وقوله تعالى: **{لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}** [الفتح: الآية: ١٨].

٢٩٦١ (الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٨٩).

٢٩٦٢ (المدخل إلى السنن الكبرى، ج ١، ص ١٨٧).

(٢٩٦٣) (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١، ص ١١).



وقوله تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}** [التوبة:١٠٠].

وقوله تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}** [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢].

وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}** [الأنفال: الآية: ٦٤].

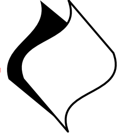
وقوله تعالى: **{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [الحشر: الآيات: ٨- ٩].

في آيات يكثر إيرادها، ويطول تعدادها.

ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة مثل ذلك، وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم....

وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له ...

على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.



وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء". ٢٩٦٤

قال القاضي عياض–رحمه الله–(ت: ٥٤٤ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، ولكنهم عدول، وما وقع منهم يُغفر لهم باجتهادهم وإخلاصهم". ٢٩٦٥

قال ابن عساكر–رحمه الله–(ت: ٥٧١ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، ولكن عدالتهم ثابتة، وما وقع منهم يُغفر لهم باجتهادهم". ٢٩٦٦

قال الإمام النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "اتفق أهل السنة على أن الصحابة كلهم عدول، ولكن ليس معنى ذلك أنهم معصومون من الخطأ والذنوب، بل يُحتمل منهم الذنوب والخطايا، ولكنهم لا يتعمدون الكذب في الرواية". (٢٩٦٧)

قال الإمام النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): شرحًا للحديث: "وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم عدول في نقل الدين، والاجتهاد مغفور خطؤه". ٢٩٦٨

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الذنوب، بل يُغفر لهم ما اجتهدوا فيه وأخطأوا، فإن الله يغفر لهم باجتهادهم، وعدالتهم لا تعني العصمة". ٢٩٦٩

٢٩٦٤ الكفاية في علم الرواية (ص ٩٣- ٩٦).

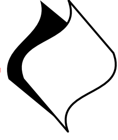
٢٩٦٥ (الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج ٢، ص ٨٣).

٢٩٦٦ (تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٣٢٤).

(٢٩٦٧) (شرح النووي على صحيح مسلم، ج ١٥، ص ١٤٩).

٢٩٦٨ (الأربعين النووية، شرح الحديث رقم ٨).

٢٩٦٩ (منهاج السنة النبوية، ج ٤، ص ٥٤٨).



قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، بل يُحتمل منهم ما يُحتمل من غيرهم من البشر، ولكن عدالتهم ثابتة بالإجماع". ٢٩٧٠

قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ، ولكنهم عدول في روايتهم، وعدالتهم لا تعني العصمة من الزلل". [٢٩٧١]

قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ): "كل من يُثبت للصحابة العصمة فقد غلط، فإنهم بشر يُصيبون ويُخطئون، وعدالتهم لا تعني العصمة من الذنوب". [٢٩٧٢]

قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ): "الصحابة ليسوا بمعصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ والزلل، ولكنهم عدول في نقل الدين ورواية الحديث". [٢٩٧٣]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، بل لهم من الحسنات ما يُكفر سيئاتهم، وهم عدول فيما نقلوه، ولكن هذا لا يعني العصمة". ٢٩٧٤

قال ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "الصحابة كلهم عدول، وليسوا بمعصومين من الخطأ والزلل، ولكن اجتهادهم مغفور لهم، وذنوبهم مغمورة في بحار حسناتهم". ٢٩٧٥

٢٩٧٠ (مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٣١١).

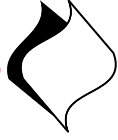
٢٩٧١ (ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٤).

٢٩٧٢ (تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣).

٢٩٧٣ (سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ١٢).

٢٩٧٤ (إعلام الموقعين، ج ١، ص ٧٨).

٢٩٧٥ (البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٢١).



قال الشاطبي–رحمه الله–(ت: ٧٩٠ هـ): "ليس معنى عدالة الصحابة أنهم معصومون من الخطأ والذنوب، بل هم بشر، يُحتمل منهم ما يُحتمل من غيرهم، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم، وما شجر بينهم مغفور لهم". (٢٩٧٦)

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "الصحابة كلهم عدول، وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم مجتهدون، ولكن لا يعني ذلك أنهم معصومون من الخطأ، بل قد يقع منهم الخطأ والزلل". [٢٩٧٧]

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ والزلل، ولكنهم عدول في نقل الحديث وما وقع منهم يُغفر باجتهادهم". ٢٩٧٨

قال السيوطي–رحمه الله–(ت: ٩١١ هـ): "اتفق أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة، ولكن ذلك لا يعني العصمة من الخطأ والمعاصي، فإن العصمة خاصة بالأنبياء". [٢٩٧٩]

قال الشوكاني–رحمه الله–(ت: ١٢٥٠ هـ): "عدالة الصحابة ثابتة بالإجماع، ولكنها لا تعني العصمة من الخطأ، فقد يقع منهم الخطأ والزلل، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم". [٢٩٨٠]

هذه النقولات تؤكد أن عدالة الصحابة لا تعني العصمة، وأنهم قد يخطئون ويزلّون كغيرهم من البشر، ولكن يُغفر لهم ذلك بسبب اجتهادهم وعدالتهم في نقل الحديث والدين.

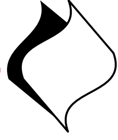
(٢٩٧٦) (الاعتصام، ج ٢، ص ١٨٩).

٢٩٧٧ (الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ١٠).

٢٩٧٨ (فتح الباري، ج ٧، ص ٨٢).

٢٩٧٩ (تدريب الراوي، ج ٢، ص ٢١٤).

٢٩٨٠ (نيل الأوطار، ج ١، ص ٣٨).



المسألة السادسة: الإمساك عما شجر بينهم.

عن عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ)، أنه سئل عما جرى بين الصحابة، فقال لهم: "هذه دماء طهر الله سيوفنا منها؛ فنحن نطهر ألسنتنا منها". [٢٩٨١]

قال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم". [٢٩٨٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الآثار المروية فيما وقع بين الصحابة–رضي الله عنهم– تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١– منها ما هو كذب.

٢– ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهته.

٣– والصحيح منها هم فيه معذورون أما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون". [٢٩٨٣]

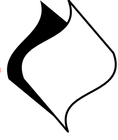
ولهم–رضي الله عنهم–من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم.

قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ): "كما تقرر الكف عن كثير مما تشجر بينهم وقتالهم – رضي الله عنهم – أجمعين وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب... فينبغي طيه وإخفاءه، بل إعدامه لتصفوا القلوب وتتوفر على حب الصحابة والترضي

٢٩٨١ فتح المغيث للسخاوى ٣/٩٦.

٢٩٨٢ "تفسير القرطبي" (١٦/٣٢١.

٢٩٨٣ انظر الواسطية لابن تيمية ص: ١٢٠.



عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء". إلى أن قال: "فأما ما نقله أهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نعرج عليه ولا كرامة فأكثره باطل وكذب وافتراء". [٢٩٨٤]

قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ): "فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يشاهد فيه إلا غالياً في الحب مفرطاً في البغض ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟! فنحمد الله على العافية الذين أوجدنا في زمان قد أنمحص فيه الحق وأتضح من الطرفين وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين وتبصرنا فعذرنا واستغفرنا وأحببنا باقتصاد وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة أو بخطأ إن شاء الله مغفور وقلنا كما علمنا الله ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وترضينا أيضا عمن اعتزل الفريقين كسعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسعيد بن زيد وخلق وتبرأنا من الخوارج الذين حاربوا علياً وكفروا الفريقين". [٢٩٨٥]

عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، قال: "لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون". [٢٩٨٦]

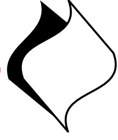
روى الخطابي من طريق حمزة بن الحارث الدهان قال: حدثنا عبد الله بن روح المدائني قال: حدثنا يحيى بن الصامت قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأعمش عن أبي راشد قال: جاء رجل من أهل البصرة إلى عبيد الله بن عمر، فقال: إن رسول إخوانك من أهل البصرة إليك فإنهم يقرءونك السلام ويسألونك عن أمر هذين الرجلين علي وعثمان وما قولك فيهما. فقال: هل غير. قال: لا. قال: جهزوا الرجل فلما فرغ من جهازه قال: أقرأ – عليهم السلام – وأخبرهم أن قولي فيهم: **{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** [البقرة: الآية: ١٤١]. [٢٩٨٧]

٢٩٨٤ «السير» (١٠/٩٢-٩٣).

٢٩٨٥ «السير» (٣/١٢٨).

٢٩٨٦ فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/٦٩)، (٢/١١٥٢). والإبانة لابن بطة (٢٩٤). وانظر: الصارم المسلول (٣/١٠٧١).

٢٩٨٧ كتاب «العزلة» (٤٤).



عن شهاب بن خراش بن حوشب-رحمه الله-(ت: قبل: ١٨٠ هـ) ابن أخي العوام بن حوشب قال: "أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة وهم يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم". [٢٩٨٨]

وقيل للإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية - رحمهما الله -؟ قال: ما أقول فيها إلا الحسنى - رحمهم الله — أجمعين". [٢٩٨٩]

وفي ترجمة الحسن بن إسماعيل الربعي: قال. قال لي أحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة: - "أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين، وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار على: .... والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأفضل الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والترحم على جميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأزواجه، وأصهاره، رضوان الله عليهم أجمعين فهذه السنة الزموها، تلموا أخذها هدى، وتركها ضلالة". [٢٩٩٠]

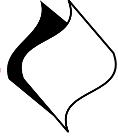
عن أبي القاسم إسحاق بن إبراهيم بن آزر الفقيه (ت: ٢٧٥ هـ) حدثني أبي قال: حضرت أحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه. فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه. فقال: أقرأ **{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [البقرة: الآية: ١٤١]". [٢٩٩١]

٢٩٨٨ رواه ابن عدي في «الكامل» (٣٤/٤) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١٥/٢٢)، وله طريق آخر. فرواه الخلال في «السنة» (ص٥١٣) عن العوام بن حوشب قال: اذكروا محاسن أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - تأتلف عليه قلوبكم، ولا تذكروا غيره فتحرشوا الناس عليهم.

٢٩٨٩ رواه الخلال في «السنة» (٤٦٠/٢)، وابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (١٦٤). وسنده صحيح.

٢٩٩٠ طبقات الحنابلة (٣٤٩/١).

٢٩٩١ رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤٤/٦)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١٤١/٥٩)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (٢٥١/١).



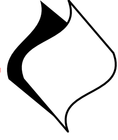
قال اللالكائي-رحمه الله-(ت: ٤١٨ هـ): "أخبرنا محمد بن المظفر المقري قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبش المقري قال: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سألت أبي (ت: ٢٧٧ هـ)، وأبا زرعة-رحمه الله-(ت: ٢٦٤ هـ) عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك. فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته والقدر خيره وشره من الله-عز وجل-وخير هذه الأمة بعد نبيها - عليه الصلاة والسلام - أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب-عليهم السلام-، وهم الخلفاء الراشدون المهديون وأن العشرة الذين سماهم رسول الله وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله وقوله الحق والترحم على جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم...". [٢٩٩٢]

وقال البربهاري-رحمه الله-(ت: ٣٢٩ هـ): "والكف عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير-رحمهم الله-أجمعين ومن كان معهم ولا تخاصم فيهم وكل أمرهم إلى الله-تبارك وتعالى-". [٢٩٩٣]

قال ابن بطة-رحمه الله-(ت: ٣٨٧ هـ): "ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم ولا تنظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك ولا تروه عن أحد ولا تقرأه على غيرك ولا تسمعه ممن يرويه فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه منهم: حماد بن زيد ويونس بن عبيد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبدالله بن إدريس ومالك بن أنس وابن أبي ذئب وابن المنكدر وابن المبارك وشعيب بن حرب وأبو إسحاق الفزاري ويوسف بن أسباط وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وعبدالوهاب الوراق.كل هؤلاء قد رأوا: النهي عنها والنظر فيها والاستماع

٢٩٩٢ «أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٢١).

٢٩٩٣ «شرح السنة» (١٠٢).



إليها وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها. وقد روى عنهم فيمن فعل ذلك أشياء كثيرة بألفاظ مختلفة المعاني على كراهية ذلك والإنكار على من رواها واستمع إليها". [٢٩٩٤]

قال الإمام الصابوني–رحمه الله–(ت: ٤٤٩ هـ): "ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم". [٢٩٩٥]

يقول الإمام الآمدى–رحمه الله–(ت: ٦٣١ هـ): "فالواجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، وإن كان ذلك إنما لما أدى إليه اجتهاد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين.

وإلا فجمهور الصحابة وسادتهم تأخروا عن تلك الفتن والخوض فيها كما **قال محمد بن سيرين–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)**: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–عشرة آلاف فما حضر منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين". وإسناد هذه الرواية كما قال ابن تيمية أصح إسناد على وجه الأرض". [٢٩٩٦]

وعلى هذا فالذى خاض فى تلك الفتن من الصحابة إما أن يكون كل مجتهد مصيبا، أو أن المصيب واحد، والآخر مخطئ فى اجتهاده مأجور عليه.

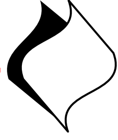
وعلى كلا التقديرين، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة، إما بتقدير الإصابة فظاهر، وإما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالإجماع". [٢٩٩٧]

٢٩٩٤ كتاب «الإبانة» (٢٩٤).

٢٩٩٥ «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (٢٩٤).

٢٩٩٦ منهاج السنة ١٨٦/٣.

٢٩٩٧ الإحكام للآمدى ٨٢/٢ بتصرف وانظر: فواتح الرحموت ١٥٥/٢، ١٥٦، والبحر المحيط ٢٩٩/٤، وإرشاد الفحول ٢٧٥/١، والباعث الحثيث ص ١٥٤، وعقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ مبحث



يقول الإمام الجويني–رحمه الله–(ت: ٤١٩ هـ): "أما التوقف في تعديل كل نفر من الذين لابسوا الفتن، وخاضوا المحن، ومتضمن هذا، الانكفاف عن الرواية عنهم، فهذا باطل من دين الأمة، وإجماع العلماء على تحسين الظن بهم، وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر بالسبيل السابقة، وهذا من نفائس الكلام". [٢٩٩٨]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ولهذا كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع: منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفورا، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضا وذما، ويكون هو في ذلك مخطئا، بل عاصيا، فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك.. ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف". [٢٩٩٩]

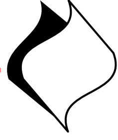
قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله – تعالى –عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين". [٣٠٠٠]

"الحرب التي دارت بين علي بن أبي طالب، وبعض الصحابة–رضي الله عنهم–وموقف أهل السنة منها" ٢/٧٠٠ – ٧٤٨، وانظر: الرد القويم على المجرم الأثيم للشيخ التويجري ص ١٨٢–١٨٤.

٢٩٩٨ البرهان في أصول الفقه ١/٢٤١، ٢٤٢.

٢٩٩٩ منهاج السنة النبوية ٤/٤٤٨ – ٤٤٩، وانظر: ص٤٦٥.

٣٠٠٠ «الفتح» (١٣/٣٧).



عن عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ)، أنه سئل عما جرى بين الصحابة، فقال لهم: "هذه دماء طهر الله سيوفنا منها؛ فنحن نطهر ألسنتنا منها". [٣٠٠١]

قال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ): "لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم". [٣٠٠٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الآثار المروية فيما وقع بين الصحابة–رضي الله عنهم– تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- منها ما هو كذب.

٢- ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهته.

٣- والصحيح منها هم فيه معذورون أما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون". [٣٠٠٣]

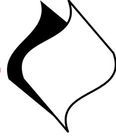
ولهم–رضي الله عنهم–من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم.

قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ): "كما تقرر الكف عن كثير مما تشجر بينهم وقتالهم – رضي الله عنهم – أجمعين وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب... فينبغي طيه وإخفاءه، بل إعدامه لتصفوا القلوب وتتوفر على حب الصحابة والترضي

٣٠٠١ فتح المغيث للسخاوى ٣/٩٦.

٣٠٠٢ "تفسير القرطبي" (١٦/٣٢١.

٣٠٠٣ انظر الواسطية لابن تيمية ص: ١٢٠.



عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء". إلى أن قال: "فأما ما نقله أهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نعرج عليه ولا كرامة فأكثره باطل وكذب وافتراء". [٣٠٠٤]

قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ): "فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يشاهد فيه إلا غالياً في الحب مفرطًا في البغض ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟! فنحمد الله على العافية الذين أوجدنا في زمان قد أنمحص فيه الحق وأتضح من الطرفين وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين وتبصرنا فعذرنا واستغفرنا وأحببنا باقتصاد وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة أو بخطأ إن شاء الله مغفور وقلنا كما علمنا الله ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وترضينا أيضا عمن اعتزل الفريقين كسعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسعيد بن زيد وخلق وتبرأنا من الخوارج الذين حاربوا عليًا وكفروا الفريقين". [٣٠٠٥]

عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، قال: "لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون". [٣٠٠٦]

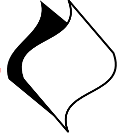
روى الخطابي من طريق حمزة بن الحارث الدهان قال: حدثنا عبد الله بن روح المدائني قال: حدثنا يحيى بن الصامت قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأعمش عن أبي راشد قال: جاء رجل من أهل البصرة إلى عبيد الله بن عمر، فقال: إن رسول إخوانك من أهل البصرة إليك فإنهم يقرءونك السلام ويسألونك عن أمر هذين الرجلين علي وعثمان وما قولك فيهما. فقال: هل غير. قال: لا. قال: جهزوا الرجل فلما فرغ من جهازه قال: أقرأ – عليهم السلام – وأخبرهم أن قولي فيهم: **{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** [البقرة: الآية: ١٤١]. [٣٠٠٧]

٣٠٠٤ «السير» (١٠/٩٢-٩٣).

٣٠٠٥ «السير» (٣/١٢٨).

٣٠٠٦ فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/٦٩)، (٢/١١٥٢). والإبانة لابن بطة (٢٩٤). وانظر: الصارم المسلول (٣/١٠٧١).

٣٠٠٧ كتاب «العزلة» (٤٤).



عن شهاب بن خراش بن حوشب–رحمه الله–(ت: قبل: ١٨٠ هـ) ابن أخي العوام بن حوشب قال: "أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة وهم يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم". [٣٠٠٨]

وقيل للإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية – رحمهما الله –؟ قال: ما أقول فيها إلا الحسنى – رحمهم الله — أجمعين". [٣٠٠٩]

وفي ترجمة الحسن بن إسماعيل الربعي: قال. قال لي أحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة: – "أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين، وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار على: .... والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وأفضل الناس بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والترحم على جميع أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأزواجه، وأصهاره، رضوان الله عليهم أجمعين فهذه السنة الزموها، تلموا أخذها هدى، وتركها ضلالة". [٣٠١٠]

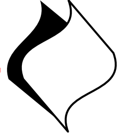
عن أبي القاسم إسحاق بن إبراهيم بن آزر الفقيه (ت: ٢٧٥ هـ) حدثني أبي قال: حضرت أحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه. فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه. فقال: أقرأ **{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** [البقرة: الآية: ١٤١]". [٣٠١١]

٣٠٠٨ رواه ابن عدي في «الكامل» (٣٤/٤) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١٥/٢٢)، وله طريق آخر. فرواه الخلال في «السنة» (ص٥١٣) عن العوام بن حوشب قال: اذكروا محاسن أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – تأتلف عليه قلوبكم، ولا تذكروا غيره فتحرشوا الناس عليهم.

٣٠٠٩ رواه الخلال في «السنة» (٤٦٠/٢)، وابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (١٦٤). وسنده صحيح.

٣٠١٠ طبقات الحنابلة (٣٤٩/١).

٣٠١١ رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤٤/٦)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١٤١/٥٩)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (٢٥١/١).



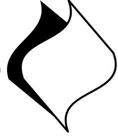
قال اللالكائي–رحمه الله–(ت: ٤١٨ هـ): "أخبرنا محمد بن المظفر المقري قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبش المقري قال: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سألت أبي (ت: ٢٧٧ هـ)، وأبا زرعة–رحمه الله–(ت: ٢٦٤ هـ) عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك. فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته والقدر خيره وشره من الله–عز وجل–وخير هذه الأمة بعد نبيها – عليه الصلاة والسلام – أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب–عليهم السلام–، وهم الخلفاء الراشدون المهديون وأن العشرة الذين سماهم رسول الله وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله وقوله الحق والترحم على جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم...". [٣٠١٢]

وقال البربهاري–رحمه الله–(ت: ٣٢٩ هـ): "والكف عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير–رحمهم الله–أجمعين ومن كان معهم ولا تخاصم فيهم وكل أمرهم إلى الله–تبارك وتعالى–". [٣٠١٣]

قال ابن بطة–رحمه الله–(ت: ٣٨٧ هـ): "ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم ولا تنظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك ولا تروه عن أحد ولا تقرأه على غيرك ولا تسمعه ممن يرويه فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه منهم: حماد بن زيد ويونس بن عبيد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبدالله بن إدريس ومالك بن أنس وابن أبي ذئب وابن المنكدر وابن المبارك وشعيب بن حرب وأبو إسحاق الفزاري ويوسف بن أسباط وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وعبدالوهاب الوراق. كل هؤلاء قد رأوا: النهي عنها والنظر فيها والاستماع

٣٠١٢ «أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٢١).

٣٠١٣ «شرح السنة» (١٠٢).



إليها وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها. وقد روى عنهم فيمن فعل ذلك أشياء كثيرة بألفاظ مختلفة المعاني على كراهية ذلك والإنكار على من رواها واستمع إليها". [٣٠١٤]

قال الإمام الصابوني–رحمه الله–(ت: ٤٤٩ هـ): "ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم". [٣٠١٥]

يقول الإمام الآمدى–رحمه الله–(ت: ٦٣١ هـ): "فالواجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، وإن كان ذلك إنما لما أدى إليه اجتهاد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين.

وإلا فجمهور الصحابة وسادتهم تأخروا عن تلك الفتن والخوض فيها كما **قال محمد بن سيرين–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)**: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–عشرة آلاف فما حضر منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين". وإسناد هذه الرواية كما قال ابن تيمية أصح إسناد على وجه الأرض". [٣٠١٦]

وعلى هذا فالذى خاض فى تلك الفتن من الصحابة إما أن يكون كل مجتهد مصيبا، أو أن المصيب واحد، والآخر مخطئ فى اجتهاده مأجور عليه.

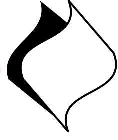
وعلى كلا التقديرين، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة، إما بتقدير الإصابة فظاهر، وإما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالإجماع". [٣٠١٧]

٣٠١٤ كتاب «الإبانة» (٢٩٤).

٣٠١٥ «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (٢٩٤).

٣٠١٦ منهاج السنة ١٨٦/٣.

٣٠١٧ الإحكام للآمدى ٨٢/٢ بتصرف وانظر: فواتح الرحموت ١٥٥/٢، ١٥٦، والبحر المحيط ٢٩٩/٤، وإرشاد الفحول ٢٧٥/١، والباعث الحثيث ص ١٥٤، وعقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ مبحث



يقول الإمام الجويني–رحمه الله–(ت: ٤١٩ هـ): "أما التوقف في تعديل كل نفر من الذين لابسوا الفتن، وخاضوا المحن، ومتضمن هذا، الانكفاف عن الرواية عنهم، فهذا باطل من دين الأمة، وإجماع العلماء على تحسين الظن بهم، وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر بالسبيل السابقة، وهذا من نفائس الكلام". [٣٠١٨]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ولهذا كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع: منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفورا، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضا وذما، ويكون هو في ذلك مخطئا، بل عاصيا، فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك.. ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف". [٣٠١٩]

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله – تعالى –عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين". [٣٠٢٠]

[تعظيم قدر أزواج النبي–صلى الله عليه وسلم].

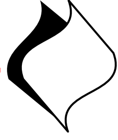
قال المصنف–رحمه الله–:

"الحرب التى دارت بين على بن أبى طالب، وبعض الصحابة–رضى الله عنهم–وموقف أهل السنة منها" ٢/٧٠٠ – ٧٤٨، وانظر: الرد القويم على المجرم الأثيم للشيخ التويجرى ص ١٨٢–١٨٤.

٣٠١٨ البرهان فى أصول الفقه ١/٢٤١، ٢٤٢.

٣٠١٩ منهاج السنة النبوية ٤/٤٤٨ – ٤٤٩، وانظر: ص٤٦٥.

٣٠٢٠ «الفتح» (١٣/٣٧).



"وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه–رضي الله عنهن–، والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين".

الشرح:

أصول أهل السنة أنهم يتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويحفظون لهن فضلهن، وحقوقهن. فقد أبانهن الله من نساء العالمين في الفضيلة فقال تعالى: {**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**}[٣٠٢١].

وجعلهن أمهات المؤمنين فقال تعالى: {**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**}[٣٠٢٢] [٣٠٢٣].

وجعل حرمة الزوجية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم باقية ما بقين فقال تعالى: {**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً**} [الأحزاب: الآية: ٣] فعلينا من حفظ حقوقهن بعد ذهابهن بالصلاة عليهن مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

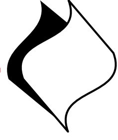
فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[٣٠٢٤].

٣٠٢١ الآية (٣٢) من سورة الأحزاب.

٣٠٢٢ الآية (٦) من سورة الأحزاب.

٣٠٢٣ مجموع الفتاوى (٣/١٥٤) وتفسير القرطبي (١/ ١٢٣، ١٧٧).

٣٠٢٤ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم. فتح الباري (١/ ١٦٩) ح ٦٣٦٠ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (١٧/٢).



فالصلاة على أزواجه تابعة لاحترامهن[٣٠٢٥]. وكذلك الاستغفار لهن، وذكر مدائحهن، وفضائلهن وحسن الثناء عليهن، وما على الأولاد في أمهاتهم اللاتي ولدتهم وأكثر، وذلك لمكانتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزيادة فضلهن على غيرهن من نساء هذه الأمة[٣٠٢٦].

وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم هن من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة:

١- خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[٣٠٢٧].

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها[٣٠٢٨].

٣٠٢٥ جلاء الأفهام (ص ٢٠٠)

٣٠٢٦ شعب الإيمان للبيهقي (١/٢٨٢-٢٨٤).

٣٠٢٧ وهي أولهن، وقد تزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت معه إلى أن أكرمه الله برسالته فآمنت به ونصرته فكانت له وزير صدق وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الأصح ومن خصائصها رضي الله عنها:

١-أنه لم يتزوج عليها غيرها.

٢-أن أولاده كلهم منها إلا إبراهيم فإنه من سريته مارية.

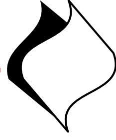
٣-أنها خير نساء الأمة. جلاء الأفهام (ص ١٨٠).

٣٠٢٨تزوجها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين وقيل لثلاث وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى، وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة.

ومن خصائصها رضي الله عنها:

١-أنها كانت أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة" قيل ومن الرجال؟ قال: "أبوها" متفق عليه (خ/٤٣٥٨) (م/٢٣٨٤).

٢-أنه لم يتزوج بكرا غيرها. جلاء الأفهام (ص ١٨٢-١٨٥).



٣-سودة بنت زمعة رضي الله عنها[٣٠٢٩].

٤-حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها[٣٠٣٠].

٥-أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما[٣٠٣١].

٦-أم سلمة رضي الله عنها[٣٠٣٢].

٧-زينب بنت جحش رضي الله عنها[٣٠٣٣].

٣٠٢٩ سودة بنت زمعة بن قيس. تزوجها بعد خديجة، وكبرت عنده وأراد أن يطلقها فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها وهذا من خواصها: أنها آثرت حرمها لعائشة تقربًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحبًا له. جلاء الأفهام (ص ١٨٢).

٣٠٣٠ حفصة بنت عمر بن الخطاب، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد عائشة، وقيل إنها ولدت قبل المبعث بخمسة سنين، وكانت قبل أن يتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم عند حصن بن حذافة وكان ممن شهد بدرًا ومات بالمدينة. وكانت رضي الله عنها صوامة قرامة.

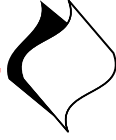
الإصابة (٣٦٢/٤، ٣٦٠) وجلاء الأفهام (ص ١٨٥).

٣٠٣١ واسمها رملة بنت صخر بن حرب، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر بالحبشة، وأتم الله لها الإسلام، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي. وهي التي أكرمت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة، وقالت: إنك مشرك، ومنعته من الجلوس عليه. الإصابة (٢٩٨/٤-٣٠٠).

٣٠٣٢ واسمها هند بنت أبي أمية، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، وتوفيت سنة اثنتين وستين ودفنت بالبقيع، وهي آخر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم موتا، وقيل: بل ميمونة.

الإصابة (٤٠٧/٤-٤٠٨) وجلاء الأفهام (ص ١٩٥-١٩٧).

٣٠٣٣ زينب بنت جحش: وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطب، وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثة، فطلقها فزوجها الله إياه من فوق سبع سموات وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتقول: "زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماواته" توفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع. الإصابة (٣٠٧/٤-٣٠٨).



٨-زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها[٣٠٣٤].

٩-جويرية بنت الحارث رضي الله عند[٣٠٣٥].

١٠-صفية بنت حيي رضي الله عنها[٣٠٣٦].

١١-ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها[٣٠٣٧].

فهؤلاء جملة من دخل لهن من النساء وهن إحدى عشرة.

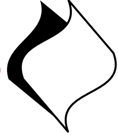
٣٠٣٤ زينب بنت خزيمة الهلالية، تزوجها سنة ثلاث من الهجرة، وكانت قبله عند عبد الله بن جحش فاستشهد بأحد، وكانت تسمى أم المساكين، لكثرة إطعامها المساكين، ولم تلبث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيرا شهرين أو ثلاثة ثم توفيت رضى الله عنها. الإصابة (٤/ ٣٠٩-٣١٠) وجلاء الأفهام (ص ١٩٨).

٣٠٣٥ جويرية بنت الحارث المصطلقية، وكانت سبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها سنة ست من الهجرة وتوفيت سنة ست وخمسين، وهي التي أعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق، وقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من بركتها على قومها. الإصابة (٤/٢٥٧-٢٥٨) وجلاء الأفهام (ص ١٩٨).

٣٠٣٦ صفية بنت حيي من ذرية هارون بن عمران، أخي موسى، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة سبع، فإنها سبيت من خيبر، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفيت سنة ست وثلاثين، وقيل سنة خمسين.

من خصائصها أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعتقها وجعل عتقها صداقها، وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "إنك لابنة نبي وإن عمك لبي وإنك تحت نبي". الإصابة (٤/٣٣٧-٣٣٨) وجلاء الأفهام (ص ١٩٨-١٩٩).

٣٠٣٧ ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها بسرف، وبنى بها بسرف، وماتت بسرف، وهي على سبعة أميال من مكة، وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين، وتوفيت سنة ثلاث وستين، وهي خالة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهي خالة خالد بن الوليد أيضا. الإصابة (٤/٣٩٧-٣٩٩) وجلاء الأفهام (ص ١٩٩).



أمهاتُ المؤمنين يكفيهنَّ هذا الفخر أنهنَّ أمهاتٌ لنا، ويا عجباً كيف يطعن الإنسان في أمه، فهؤلاء أمهات المؤمنين فالله–عز وجل–قال: {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: الآية:٦] فأعطاهنَّ هذا الشرف وهو أعلمُ–عز وجل–أنهم يستحقون لهذا الشرف.

فكيفَ يأتي مَن يطعن في شرفِ أمهات المؤمنين؟! فالطعنُ في شرفهنَّ طعنٌ في شرفِ النبي–صلى الله عليه وسلم– لأنهن أزواج النبي–صلى الله عليه وسلم–، بل طعن في الأمةِ كلها فيجب أن نحفظَ حق النبي–صلى الله عليه وسلم–في أمهاتِ المؤمنين.

[لا يدخل الجنة أحد بعمله].

قال المصنف–رحمه الله–:

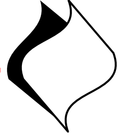
"ويعتقدون ويشهدون أن أحدًا لا تجب له الجنة وإن كان عمله حسنًا، وطريقه مرتضى إلا أن يتفضل الله عليه، فيوجبها له بمنه وفضله، إذ عمل الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله عز اسمه، فلو لم ييسره له لم يهد له أبدا.قال الله عز وجل: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ} [النور: الآية: ٢١]. وفي آيات سواها".

الشرح

كما جاء في الحديث: ((لن يدخل أحدكم الجنة بعمله)). (٣٠٣٨)، والحديث نصُّه عن عائشة–رضي الله عنها–: أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: ((سدِّدوا وقارِبوا وأبشِروا؛ فإنه لا يُدخِل أحدًا الجنةَ عملُه))، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ((ولا أنا، إلا أن يَتغمدَني اللهُ بمغفرة ورحمة))[٣٠٣٩]

٣٠٣٨ انظر صحيح البخاري كِتَابُ المَرْضَى، بَابُ تَمَنِّي المرِيضِ المَوْتَ، برقم (٥٦٧٣)، ومسلم كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى (٢٨١٦)، وابن ماجه (٤٢٠١)، والإمام أحمد في المسند مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ (٤٢٠١).

٣٠٣٩ رواه البخاري في صحيحه ٩٨/٨، حديث رقم ٦٤٦٧، باب القصد والمداومة على العمل.



وفي رواية عن عائشة، قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((سدِّدوا وقاربوا، واعلموا أن لن يُدخِل أحدَكم عملُه الجنةَ، وأنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإن قلَّ.))[٣٠٤٠]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–قال: قال رسولُ الله–صلى الله عليه وسلم–: ((لن ينجِّي أحدًا منكم عملُه))، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ((ولا أنا، إلا أن يتغمَّدَني اللهُ برحمة، سدِّدوا وقاربوا، واغدُوا ورُوحوا، وشيء من الدُّلجة، والقصدَ القصدَ تبلغوا)).[٣٠٤١]

والعلماء يفرقون بين الباء الواردة هنا في قوله: "بعمله" فهذه تسمى باء المقابلة، وبين الباء الواردة في قوله تعالى: {جزاء بما كانوا يعملون} فهذه تسمى باء السبب.

فهناك باء السبب وهناك باء المقابلة والفرق بينهما في المعنى هو أن تكون الجنة ثمناً لعملك فهذا غير ممكن، لأن عملك لو وزن بنعمة واحدة من نعم الله عز وجل لرجحت تلك النعمة على جميع أعمالك، كما جاء في ذلك الحديث الذي صححه ابن القيم[٣٠٤٢] وهو الرجل الذي عبد الله سبحانه وتعالى خمسمائة عام وكان يعيش على تلك الرمانة.

وهو متفرغ متبتل العبادة خمسمائة عام، فلما جاء يوم القيامة قال الله عز وجل: «أدخلوا عبدي الجنة برحمتي قال: لا يا رب بل بعملي، فأمر الله عز وجل أن يوزن عمل هذا الإنسان بنعمة البصر فرجحت نعمة البصر على عمل هذا العبد»(٣٠٤٣).

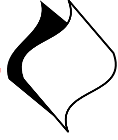
فليست الجنة ثمناً مقابلاً، تدخلها بعملك ولكنها سبب، الأعمال سبب، كما قال تعالى: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، فالعمل سبب وليس ثمن، فلابد من العمل.

٣٠٤٠ رواه البخاري في صحيحه ٨/٩٨، حديث رقم ٦٤٦٤، باب القصد والمداومة على العمل.

٣٠٤١ رواه البخاري في صحيحه ٨/٩٨، حديث رقم ٦٤٦٣، باب القصد والمداومة على العمل، ورواه مسلم في صحيحه ٤/٢١٦٩، حديث رقم ٢٨١٦، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله.

٣٠٤٢ شفاء العليل: ١/ ٣٤٦.

٣٠٤٣ انظر المستدرك للحاكم (١٦٨٨)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤٣٠٠)، قال الشيخ الالباني في السلسلة الضعيفة الجزء الثالث، صفحة (٣٣١): ضعيف.



وأما دخول الجنة كمقابل فلا، فهذا بفضلٍ من الله تعالى ورحمة، فإذاً لا يدخل الجنة أحدٌ إلا برحمة الله عز وجل، والنبي صلى الله عليه وسلم قال كما جاء في الحديث: ((لن يدخل أحدكم الجنة بعمله))، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ((ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى بفضلٍ منه ورحمة)). (٣٠٤٤)

فاعلم أنه لن يدخل أحد الجنة بمقابل عمله، أما دخوله الجنة فيكون بسبب عمله، كما ذكر الله سبحانه وتعالى من أهل الإيمان قال: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} [الانشقاق: الآية: ٧]، إلى أن قال: {جزاء بما كانوا يعملون}، فإذاً هذا الدخول كان سببه عمل العبد.

فإذاً نفرق بين باء السبب وباء المقابلة، فإذا قيل يعني قول الله عز وجل :{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، فتقول هذه باء السبب، والوارد في الحديث ((لن يدخل أحدكم الجنة بعمله)) (٣٠٤٥)، باء المقابلة، فإذاً لن يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله، ولن يعذب الله أحداً إلا بذنبه، {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: الآية:٣٠]، فالإنسان بقدر ذنوبه.

ولو عذب الله سبحانه وتعالى أهل السموات برهم وفاجرهم لكان عذبهم وهو غير ظالمٍ لهم، لأن العبد في كل أحواله مقصر، ولذلك العبد عقب الصلاة وهي عبادة عندما يُسلم يقول استغفر الله استغفر الله استغفر الله.

فلا يجوز أن يقول عن الله سبحانه وتعالى إنه ظالم؛ لأن الله تعالى يقول: {وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}.

فالله تعالى قد جعل للجنة أسبابًا، وأمر الإنسان بالأخذ بهذه الأسباب، فسبب دخول الجنة: الاستقامة على أوامر الله سبحانه وتعالى، ولذلك ذكر العلماء أن الباء في قوله تعالى: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وردت في ثلاثة مواضع: في سورة السجدة آية (١٧)، وفي سورة الأحقاف آية (١٤)، وفي سورة الواقعة آية (٢٤)، وقال سبحانه: {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: الآية: ١٢٧]، وقال أيضًا جل جلاله: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: الآية: ١٩]، فالباء هنا باء السببية، وليست باء المقابلة؛ لأن باء المقابلة هي باء الثَّمن والعِوض، فالعمل ليس ثمنًا للجنة، وإنما سببٌ لدخولها.

٣٠٤٤ سبق تخريجه.

٣٠٤٥ سبق تخريجه.

وقال ابن أبي العز: "فإن الباء التي في النفي غيرُ الباء التي في الإثبات؛ فالمنفي في قوله–صلى الله عليه وسلم–: ((لن يَدخُل الجنةَ أحدٌ بعملِه)) باء العِوض، وهو أن يكونَ العملُ كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلةُ أن العاملَ مستحقٌّ دخولَ الجنة على ربِّه بعمله! بل ذلك برحمةِ الله وفضله، والباء التي في قوله–تعالى :– {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: الآية: ١٧] ونحوها – باءُ السبب؛ أي: بسبب عملكم، والله – تعالى – هو خالقُ الأسباب والمسببات، فرجع الكلُّ إلى محض فضل الله ورحمته[٣٠٤٦]"

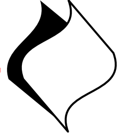
وقال النووي–رحمه الله–: "وفي ظاهر هذه الأحاديث دَلالةٌ لأهل الحق أنه لا يستحقُّ أحدٌ الثوابَ والجنة بطاعته، وأما قوله – تعالى :– {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}]النحل: الآية: ٣٢[، {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}]الزخرف: الآية: ٧٢]، ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يُدخَل بها الجنة، فلا يُعارِض هذه الأحاديثَ، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال، والهداية للإخلاص فيها، وقَبُولها – برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرَّد العمل، وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال؛ أي: بسببها، وهي من الرحمة، والله أعلم[٣٠٤٧]"

يقول شارح الطحاوية في هذه المسالة: "وأما ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضل فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات. فالمنفي في قوله –صلى الله عليه وسلم–: ((لن يدخل أحد منكم عمله الجنة)) باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله، بل ذلك برحمه الله وفضله. والباء التي في قوله: {جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: الآية: ١٧] وغيرها باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خلق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته". [٣٠٤٨]

٣٠٤٦ شرح الطحاوية؛ لابن أبي العز ٢/٦٤٣.

٣٠٤٧ شرح النووي على صحيح مسلم ١٧/ ١١٦.

٣٠٤٨ شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٦٤٣).



[لكل مخلوق أجل].

قال المصنف-رحمه الله-: "ويعتقدون ويشهدون أن الله-عز وجل-أجل لكل مخلوق أجلًا، وأن نفسا لن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا، وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت، وليس له عنه فوت، قال الله-عز وجل-: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: الآية: ٣٤]، وقال: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا} [آل عمران: الآية: ١٤٥].ويشهدون أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله، قال الله عز وجل: {قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران: الآية: ١٥٤]".

الشرح

الأجل: هو الوقت المضروب المحدود في المستقبل. [٣٠٤٩]

فأجل الشيء هو نهاية عمره، وعمره مدة بقائه، فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء. [٣٠٥٠]

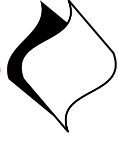
فالله سبحانه قدر آجال الخلائق بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب القتل، وهذا بسبب المرض، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب الحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلق الموت والحياة وخلق سبب الموت والحياة. [٣٠٥١]

أولًا: الأدلة على ذلك من القرآن.

٣٠٤٩ لسان العرب (١١/ ١١).

٣٠٥٠ مجموع الفتاوى (٨/ ٥١٦).

٣٠٥١ انظر:شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٠١).



١-قال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: الآية: ٣٤].

٢-قال تعالى: {قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران: الآية ١٥٤].

٣-قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: الآية: ٢٢] ،

٤-وقال تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ}[النساء: الآية: ٧٨].

٥-وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا} [آل عمران: الآية: ١٤٥] ،

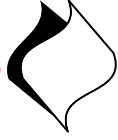
٦-وقال تعالى: {مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ} [الحجر: الآية: ٥].

٧-وقال تعالى: {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [الواقعة: الآية: ٦٠].

ثانيًا: الأدلة على ذلك من السنة

١-عن أبي أمامة-رضي الله عنه-، أن النبي ﷺ قال: ((نفث روح القدس في روعي أن نفسا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته)). [٣٠٥٢]

٣٠٥٢ أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٦٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٠٨٥).



٢-عن ابن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكا ، ويؤمر بأربع كلمات ، ويقال له : اكتب عمله ، ورزقه ، وأجله ، وشقي أو سعيد...)) الحديث. [٣٠٥٣]

٣-عن ابن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((فرغ ربنا من أربع: الخلق والخلق والأجل والرزق)). [٣٠٥٤]

ثالثًا: أقوال العلماء

قال أبو أحمد محمد بن علي بن محمد الفقيه الكرجي القصاب-رحمه الله-(عاش إلى حدود ٣٦٠ هـ): "رد على المعتزلة والقدرية فيما يزعمون أن المقتول ميت بغير أجله فقوله تعالى: {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [الواقعة: الآية: ٦٠] حجة عليهم فيما يرون المقتول ميتًا بغير أجله، وهو جهل بين". [٣٠٥٥]

وقال الإمام الحافظ أبو بكر الإسماعيلي-رحمه الله-(ت: ٣٧١ هـ): "ويقولون [يعني أهل السنة] إن الله-عز وجل-أجل لكل حي مخلوق أجلًا هو بالغه، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وإن مات أو قتل فهو عند انتهاء أجله المسمى له، كما قال الله عز وجل: { قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران: الآية: ١٥٤]". [٣٠٥٦]

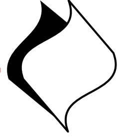
قال جمال الدين أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود السرمري-رحمه الله-(ت: ٧٧٦ هـ): "مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة: "وكل من مات بمرض أو غرق أو جرف أو هدم أو قتل أو في وباء

٣٠٥٣ أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) باختلاف يسير.

٣٠٥٤ أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٣٢٥)، وأبو نعيم في ((تاريخ أصبهان)) (١/١٧٩)، والقضاعي في ((مسند الشهاب)) (٦٠١)، والخطيب في ((الموضح)) (١/٤٧٨) مطولاً باختلاف يسير.

٣٠٥٥ نُكَت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (٤/ ٢١٣).

٣٠٥٦ اعتقاد أئمة أهل الحديث للإسماعيلي (ص: ٧٧).



أو بطاعون أو غير ذلك من أسباب الهلاك، فإنما يموت بأجله، لم يكن ليتأخر عن أجله ولا ليتقدم قبل أجله، والدليل عليه الكتاب والسنة". [٣٠٥٧]

النزاع في المسألة

وقع النزاع بين أهل السنة وأهل البدع في هذه المسألة امتدادا للنزاع في أفعال المخلوقين، واختلفوا بالجواب عن مسائلها، وهي: إذا كان الله قد قدر لعبد من عباده أجلًا ما فقتل قبل غاية أجله، فهل كانت حياته تمتد به حتى أجلها لو لم يقتل؟ بمعنى هل القاتل خرم على المقتول حياته ولولا القتل لعاش أجله؟ وهل صحيح لو صبر القاتل على المقتول لمات لوحده؟ .

فقال بعض المعتزلة[٣٠٥٨]: إنه كان يعيش، وأن المقتول مقطوع عليه أجله، وقالوا: لو كان المقتول قتل بأجله فأين الظلم ممن قد استوفى كل أجله وفنيت حياته، وقال بعض نفاة الأسباب من الجبرية: إنه يموت وجزموا في ذلك [٣٠٥٩]، وكلاهما خطأ.

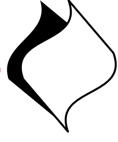
قال أبو الحسن الأشعري: "القول في الآجال: اختلفت المعتزلة في ذلك على قولين:

فقال أكثر المعتزلة: الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل فإذا قتل قتل بأجله وإذا مات مات بأجله.

٣٠٥٧ كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، (ص: ٧٩ – ٨٤).

٣٠٥٨ قال الزركشي "وذهب الباقون من المعتزلة [فيما عدا الجبائي وابنه] إلى أن القاتل قطع أجله المضروب له، وأنه مات بغير أجله". انظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي (٤/ ٧٧٤).

٣٠٥٩ انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٥١٧).



وشذ قوم من جهالهم: فزعموا أن الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان لو لم يقتل لبقي إليه هو أجله دون الوقت الذي قتل فيه.

واختلف الذين زعموا أن الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل في المقتول الذي لو لم يقتل هل كان يموت أم لا على ثلاثة أقاويل:

فقال بعضهم: إن الرجل لو لم يقتل مات في ذلك الوقت، وهذا قول أبي الهذيل.

وقال بعضهم: يجوز لو لم يقتله القاتل أن يموت ويجوز أن يعيش،

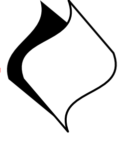
وأحال منهم محيلون هذا القول". [٣٠٦٠]

الإجابة على قولهم:

فقد سئل ابن تيمية-رحمه الله-عن المقتول: هل مات بأجله؟ أم قطع القاتل أجله؟ فأجاب: "المقتول كغيره من الموتى لا يموت أحد قبل أجله ولا يتأخر أحد عن أجله. بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر. فإن أجل الشيء هو نهاية عمره وعمره مدة بقائه فالعمر مدة البقاء والأجل نهاية العمر بالانقضاء. وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء)) [٣٠٦١] وثبت في صحيح البخاري أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: ((كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض)) - وفي لفظ - ((ثم خلق السموات

٣٠٦٠ انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٢٥٦-٢٥٧).

٣٠٦١ أخرجه مسلم (٢٦٥٣).



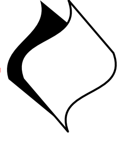
والأرض)).[٣٠٦٢] وقد قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: الآية: ٣٤].

والله يعلم ما كان قبل أن يكون؛ وقد كتب ذلك فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن أو ذات الجنب أو الهدم أو الغرق أو غير ذلك من الأسباب وهذا يموت مقتولا: إما بالسم وإما بالسيف وإما بالحجر وإما بغير ذلك من أسباب القتل. وعلم الله بذلك وكتابته له بل مشيئته لكل شيء وخلقه لكل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب؛ بل القاتل: إن قتل قتيلا أمر الله به ورسوله كالمجاهد في سبيل الله أثابه الله على ذلك وإن قتل قتيلا حرمه الله ورسوله كقتل القطاع والمعتدين عاقبه الله على ذلك وإن قتل قتيلا مباحا – كقتيل المقتص – لم يثب ولم يعاقب إلا أن يكون له نية حسنة أو سيئة في أحدهما.

والأجل أجلان " أجل مطلق " يعلمه الله " وأجل مقيد " وبهذا يتبين معنى قوله صلى الله عليه وسلم ((من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)).[٣٠٦٣] فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا وقال: " إن وصل رحمه زدته كذا وكذا " والملك لا يعلم أيزداد أم لا؛ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر. ولو لم يقتل المقتول فقد قال بعض القدرية: إنه كان يعيش وقال بعض نفاة الأسباب: إنه يموت وكلاهما خطأ؛ فإن الله علم أنه يموت بالقتل فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديرا لما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهذا قد يعلمه بعض الناس وقد لا يعلمه فلو فرضنا أن الله علم أنه لا يقتل أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر فالجزم بأحد هذين على التقدير الذي لا يكون جهل. وهذا كمن قال: لو لم يأكل هذا ما قدر له من الرزق كأن يموت

٣٠٦٢ أخرجه البخاري (٧٤١٨).

٣٠٦٣ أخرجه البخاري (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧).



أو يرزق شيئا آخر وبمنزلة من قال: لو لم يحبل هذا الرجل هذه المرأة هل تكون عقيما أو يحبلها رجل آخر ولو لم تزدرع هذه الأرض هل كان يزدرعها غيره أم كانت تكون مواتا لا يزرع فيها وهذا الذي تعلم القرآن من هذا لو لم يعلمه: هل كان يتعلم من غيره؟ أم لم يكن يتعلم القرآن ألبتة ومثل هذا كثير". [٣٠٦٤]

وأما القاتل إن كان قتل بغير حق فإنه ظالم لتعديه على الحكم الشرعي.

وأما قول نفاة الأسباب من الجبرية: "لو صبر القاتل على المقتول لمات وحده" فغير صحيح، والصواب عدم القطع، والحكم بالإمكان والجواز.

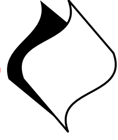
[وسوسة الشياطين].

قال المصنف –رحمه الله–:

"ويتيقنون أن الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين، ويعتمدون استزلالهم ويترصدون لهم، قال الله –عز وجل–: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: الآية: ١٢١]. وإن الله يسلطهم على من يشاء، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء، قال الله عز وجل: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا} [الإسراء: الآيات: ٦٤–٦٥]. وقال: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: الآيات: ٩٩–١٠٠]".

الشرح

٣٠٦٤ مجموع الفتاوى (٨/ ٥١٦-٥١٨).



وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قول المصنف"ويتيقنون أن الله سبحانه خلق الشياطين".

أولًا: أصل خلقهم.

لا شكّ أنّ الجن خَلقٌ من خَلق الله تعالى، وأصل هذا الخَلق -كما هو مذكورٌ في نصوص الكتاب والسُّنّة- من النار،

الأدلة من القرآن:

١-قال تعالى {وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ} [الحجر: الآية: ٢٧]،

٢-وقال تعالى {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن: الآية: ١٥].

الأدلة من السنة:

١-عن عائشة -رضي الله عنها-، قالت "قال رسول الله ﷺ ((خُلِقَتْ المِلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَار، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ)). [٣٠٦٥]

فالجن خُلقوا في أصل خَلقهم من مارجٍ من نار، وقيل في معنى (المارج): "هو طرَف اللهب"، وقيل: "هو اللهب المختلط بسواد"، وقيل "هو أخلَص اللهب وأحسنه" فمن هذا خُلقوا.

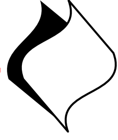
وإبليس هو من بين هؤلاء الجن، وبذلك يُفاخر على آدم ويأبى عن السجود له؛ لأنه يقول {خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: الآية: ١٢].

٢-في الحديث عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: ((الجنُّ على ثلاثةِ أثلاثٍ: فثلثٌ لهم أجنحةٌ يطيرون في الهواءِ، وثلثٌ حياتٌ وكلابٌ، وثلثٌ يحلُّون ويَظعنونَ)). [٣٠٦٦]

فالجن -كما جاء في الحديث- ثلاثة أصناف:

٣٠٦٥ أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

٣٠٦٦ أخرجه ابن حبان (٦١٥٦)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (٢٢/ ٢١٤) (٥٧٣)، والحاكم (٣٧٠٢) واللفظ له. وإسناده جيد رواته أئمة ثقات، وصححه ابن حبان، والألباني في ((صحيح الجامع)) (٣١١٤)، وصحح



ثانيًا: أصنافهم.

جاء في الحديث المتقدم ذكره بيان أصنافهم، وأنهم على ثلاثة أصناف.

صنف منهم يطير في الهواء.

وصنف إنما هو حيّاتٌ وكلاب.

وصنف يحلّون ويظعنون؛ أي رُحّل، يحلّون ويظعنون، حالهم كحال البوادي؛ ينتقلون من مكان إلى مكان.

ثالثًا: مسمياتهم.

من أسمائهم:

١-الجنّي: فالجن يُطلَق على هذا الجنس من الخَلق، وإذا قيل جنّي فهو واحد الجن، وهذا اسم جنس لهذا الخَلق من خَلْق الله سبحانه وتعالى.

وسُمّوا (جِنًا) لاجتنانهم؛ أي لاستتارهم، فعندما نقول (جنّ الليل) أي: استتر الليل. فلاستتارهم عن العيون سُمّوا جِنًا.

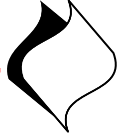
والله -سبحانه وتعالى- يقول في شأنهم {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف: الآية: ٢٧] فهذا الشيطان وكذلك الجن عمومًا بمَن فيهم كافرهم ومؤمنهم وبرّهم وفاجرهم يرون البشر، ولكن البشر لا يرونهم.

٢-ومن أسمائهم (عامر): يُقال أنّ من أسمائهم عامر، والجمع (عوامر)، ولذلك جاء في الحديث من قول **النبي**-صلى الله عليه وسلم-: ((إن بالمدينة نفرا من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئًا من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثًا، فإن بدا له بعد فليقتله، فإنه شيطان)). [٣٠٦٧]

٣-ومن أسمائهم (شيطان): وهذا يُطلَق على مردَتهم؛ فإذا خَبُث أحدهم وأصبح شريرًا أُطلِق عليه اسم شيطان، ومن ذلك **إبليس** يُقال عنه شيطان.

إسناده الحاكم، وقواه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (٦١٥٦)، وجوده ابن عبد البر في ((الاستذكار)) (٥٣٦/٧).

٣٠٦٧ أخرجه مسلم (٢٢٣٦).



٤- ومن أسمائهم (أرواح): ويُقال عنها كذلك إذا عرضَت للعيان؛ إذا رآها الإنسان عياناً فيُقال عنها أرواح.

٥- ومن أسمائهم (عفاريت): أو عفريت، ويُقال عنها كذلك إذا زاد أمره في الخُبث وقويَ شأنه أو عظُمَت قدرته يُقال عنه عفريت، كما جاء في الآية {عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ} [النمل: الآية: ٣٩].

٦- ومن أسمائهم (غيلان): أو غول، وغيلان جمع غول، وقيل (الغول) هو الساحر من الشياطين، فالساحر من الجن يُقال عنه غول، وجمعها غيلان.

قال الخطابي-رحمه الله-: "ويقال: إن الغيلان سحرة الجن، تسحر الناس وتفتنهم بالإضلال عن الطريق، والله أعلم". [٣٠٦٨]

قال ابن الأثير-رحمه الله-: "الغول: أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، فتتغول تغوّلا؛ أي: تتلون تلونا في صور شتى، وتَغُولُهم؛ أي: تُضلّهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وأبطله، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا غُولَ)). [٣٠٦٩]

وقيل: قوله ((لَا غُولَ)) ليس نفيا لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله ((لَا غُولَ)) أنها لا تستطيع أن تضل أحدا ". [٣٠٧٠]

قال الخطابي-رحمه الله-: "قوله: ((لَا غُولَ)) ليس معناه نفي الغول عينا وإبطالها كونا، وإنما فيه إبطال ما يتحدثون عنها من تغولها، واختلاف تلونها في الصور المختلفة، وإضلالها الناس عن الطريق، وسائر ما يحكون عنها مما لا يُعلم له حقيقة.

يقول: لا تصدقوا بذلك، ولا تخافوها، فإنها لا تقدر على شيء من ذلك إلاّ بإذن الله-عز وجل-". [٣٠٧١]

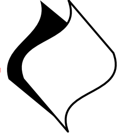
فهذه بعض المسمّيات التي تُطلَق، وهي: جنيٌّ، وعامرٌ، وشيطان، وأرواح، وعفريت، وغول أو غيلان.

٣٠٦٨ "معالم السنن". (٤/٢٣٤).

٣٠٦٩ أخرجه مسلم (٢٢٢٢).

٣٠٧٠ النهاية في غريب الحديث" (٣ / ٣٩٦).

٣٠٧١ "معالم السنن". (٤/٢٣٤).



رابعًا: أكلهم وشربهم.

والجن هُم خَلق من خلق الله تعالى يأكلون ويشربون، وكذلك يتناكحون ويتناسلون، وهذا أمرٌ معهودٌ ومعروفٌ منهم؛ فالرجُل إذا–كما جاء في النصوص– إذا أكَل ولم يُسمّ فإنّ الشيطان يأكل معه،

فعن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–، قال قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((إذا دخل الرجل بيته فذكر الله–عز وجل–عند دخوله وعند طعامه؛ قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، إذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر الله عند طعامه، قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء)). [٣٠٧٢]

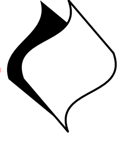
عن حذيفة–رضي الله عنه–، قال: كنا إذا حضرنا مع النبي–صلى الله عليه وسلم–طعاما لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعاما، فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده، والذي نفسي بيده، إن يده في يدي مع يدها)). [٣٠٧٣]

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ–رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: ((من نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ فِي أَوَّلِ طَعَامِهِ، فَلْيَقُلْ حِينَ يَذْكُرُ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وآخره، فإنه يستقبل طعامًا جَدِيدًا، وَيَمْنَعُ الْخَبِيثَ مَا كَانَ يُصِيبُ مِنْهُ)). [٣٠٧٤]

٣٠٧٢ أخرجه مسلم (٢٠١٨).

٣٠٧٣ أخرجه مسلم (٢٠١٧).

٣٠٧٤ أخرجه ابن حبان (٥٢١٣)، وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٩٨).



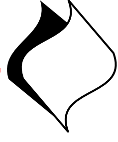
وجن نَصِّيبين عندما جاءوا إلى **النبي** ﷺ سألوه الزاد فعن عامر، قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب. فقلنا: استطير أو اغتيل. قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال: فقلنا يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم)). وفي رواية: إلى قوله: "وآثار نيرانهم. ولم يذكر ما بعده". [٣٠٧٥]

وذكر بعض العلماء أن الجن أنواع: منهم من يأكل ويشرب، ومنهم من ليس كذلك؛ يقول وهب بن منبه: " الجن أجناس، فأما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يموتون، ولا يتوالدون، ومنهم أجناس يأكلون، ويشربون، ويتوالدون، ويتناكحون، ويموتون، قال: وهي هذه السعالي والغول وأشباه ذلك ". أخرجه ابن جرير [٣٠٧٦]

وهذا الذي ذكره وهب يحتاج إلى دليل، ولا دليل.

٣٠٧٥ أخرجه مسلم (٤٥٠).

٣٠٧٦ لوامع الأنوار: (٢/ ٢٢٢).



وقد حاول بعض العلماء الخوض في الكيفية التي يأكلون بها، هل هو مضغ وبلع، أو تشمم واسترواح، والبحث في ذلك خطأ لا يجوز؛ لأنه لا علم لنا بالكيفية، ولم يخبرنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بها. [٣٠٧٧]

خامسًا: تناكحهم وتناسلهم.

والجن يتناكحون ويتناسلون ولهم ذرية، يقول ابن حجر الهيتمي: "واستدلوا لتناكح الجن فيما بينهم بقوله تعالى: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: الآية: ٥٠]. فهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية". [٣٠٧٨]

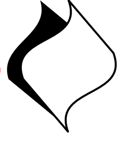
ويقول الألوسي: "والظاهر أن المراد بالذرية: الأولاد، فتكون الآية دالة على أن له أولادًا، وبذلك قال جماعة، وقد روي عن ابن زيد أن الله تعالى قال لإبليس: إني لا أخلق لآدم ذرية إلا ذرأت لك مثلها، فليس يولد لآدم ولد إلا ولد معه شيطان يقرن به. وعن قتادة: أنه ينكح وينسل كما ينكح وينسل بنو آدم". [٣٠٧٩] وبمثل قول قتادة قال الحسن البصري. [٣٠٨٠] والذي يدل على ما رواه ابن زيد ما رواه ابن مسعود

٣٠٧٧ كتاب عالم الجن والشياطين، لعمر بن سليمان الأشقر (ص: ٢١).

٣٠٧٨ ((الفتاوى الحديثية)) (ص: ٦٨).

٣٠٧٩ ((تفسير روح المعاني)) (١٥/ ٢٩٤).

٣٠٨٠ ((تفسير الطبري)) (١/ ٢٢٦).



قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)). [٣٠٨١]

ومن الأدلة على تناكحهم وتناسلهم قوله تعالى: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: الآية: ٥٦].

يقول ابن حجر الهيتمي: "وهذا يدل على أنه يتأتى منهم الطمث وهو الجماع والافتضاض". [٣٠٨٢]

وقال قتادة: "أولاد الشيطان يتوالدون كما يتوالد بنو آدم، وهم أكثر عدداً". [٣٠٨٣]

ويقول الفخر الرازي في الآية المتقدمة: "ما الفائدة في ذكر الجان مع أن الجان لا يجامع؟ نقول: ليس كذلك، بل الجن لهم أولاد وذريات، وإنما الخلاف في أنهم هل يواقعون الأنس أم لا؟ والمشهور أنهم يواقعون". [٣٠٨٤]

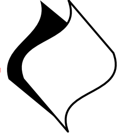
ولو كان الجن لا يتوالدون لانقرضوا وما بقي منهم أحد، لأنه قد ثبت موتهم بكثير من الأدلة، كما هو الشأن عند البشر، فلو كان البشر لا يتوالدون لانقرضوا.

٣٠٨١ رواه مسلم (٢٨١٤).

٣٠٨٢ ((الفتاوى الحديثية)) (ص: ٦٨).

٣٠٨٣ لقط المرجان: (ص: ٥١).

٣٠٨٤ ((التفسير الكبير)) (٢٩/ ١٣٠).



وعن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-، قال: "إن الله جزأ الإنس والجن عشرة أجزاء، فتسعة منهم الجن، والإنس جزء واحد، فلا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة". [٣٠٨٥]

وقال الشعبي: "سألني رجل: هل لإبليس زوجة؟ فقلت إن ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله تعالى: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي} [الكهف: الآية: ٥٠]. فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم". [٣٠٨٦]

ومن الأدلة على أن الجن يتناكحون ولهم ذرية ما ورد في سورة الجن، من أن للجن رجالا، قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: الآية: ٦]، ومتى كان فيهم رجال ففيهم إناث، وذلك يقتضي التناسل". [٣٠٨٧]

ومن الأدلة ما جاء في تفسير الخبث والخبائث في حديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-فيما رواه عبد العزيز بن صهيب قال: "سمعت أنسا يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال: ((اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)). [٣٠٨٨] قال ابن حجر العسقلاني: "والخبث جمع خبيث، والخبائث

٣٠٨٥ رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ص: ٢٣٨٧).

٣٠٨٦ ((أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن)) (٤/ ١٢٢).

٣٠٨٧ ((العقيدة الإسلامية وأسسها)) (٢/ ٢٧).

٣٠٨٨ رواه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

جمع خبيثة، يريد: ذكران الشياطين وإناثهم، قاله الخطابي وابن حبان وغيرهما". [٣٠٨٩] فقد دل هذا التفسير للحديث على أنه يوجد في الجن ذكران وإناث، وهو يقتضي الجماع والتناسل.

وفي قوله تعالى: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ} [الأحقاف: الآية: ٣١]- إخبارًا عن النفر الذين استمعوا إلى القرآن من الرسول–صلى الله عليه وسلم –ما يفيد تناكح الجن وتناسلهم، قال ابن منظور: "والقوم: الجماعة من الرجال والنساء جميعا، وقيل هو للرجال خاصة دون النساء".

وقال: "وقوم كل رجل شيعته وقرابته". وعلى هذا الأساس فإن في الجن رجالًا ونساء وذلك يقتضي التناسل.

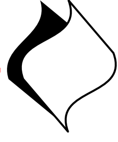
وقد ذكر نفر بأنهم لا يتوالدون، والمراد من الذرية قي قوله تعالى: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي} [الكهف: الآية: ٥٠]. "بأنهم الأتباع من الشياطين، وعبر عنهم بذلك مجازًا تشبيهًا لهم بالأولاد". [٣٠٩٠]

قال الألوسي: "وقيل–ولعله الحق–أن له أولادًا وأتباعًا ويجوز أن يراد من الذرية مجموعهما معًا على التغليب، أو الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يراه، أو عموم المجاز". [٣٠٩١]

٣٠٨٩ ((فتح الباري)) (١/ ٢٤٣).

٣٠٩٠ ((تفسير روح المعاني)) (١٥/ ٢٩٥).

٣٠٩١ ((تفسير روح المعاني)) (١٥/ ٢٩٥).



والصحيح أن الجن يتناكحون ويتوالدون ... ولكن بكيفية لا يعلمها إلا الله سبحانه. [٣٠٩٢]

فقد ذهب كثير من أهل السنة أن إبليس هو أبو الجن كلهم: مؤمنهم وكافرهم، فهو أصلهم وهم ذريته؛ كما روي في "تفسير الطبري"، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن البصري، وغيرهم. [٣٠٩٣]

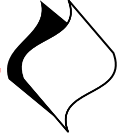
فالراجح من قولي أهل العلم أن الشيطان من الجن، وقد نازع في هذه المسألة بعض المتقدمين والمتأخرين وقد دلّ الكتاب والسنة على ذلك؛ كقوله تعالى عن إبليس وهو يخاطب رب العزة سبحانه: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ} [الأعراف: الآية: ١٢]، وقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: الآية: ٥٠]، وقوله تعالى: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن: الآية: ١٥]، والآيات بهذا المعنى كثيرة جدًا، وهي تفيد أن الشيطان له ذرية، وأن الجن ذريته، وأن الشيطان أصل الجن، كما أنّ آدم أصل الإنس، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية [٣٠٩٤] وقال أيضًا: "والشياطين هم مردة الإنس والجن، وجميع الجن ولد إبليس". [٣٠٩٥]

٣٠٩٢ عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة لعبد الكريم عبيدات –بتصرف– (ص: ٤٢).

٣٠٩٣ "الدر المنثور" (٥/٤٠٢).

٣٠٩٤ "مجموع الفتاوى"(٤/٣٤٦)،(٤/٢٣٥، ٣٤٦).

٣٠٩٥ مجموع الفتاوى (١٥/ ٧)، (١٧/ ٢٩٣).



سادسًا: تشكلهم وصورهم.

ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه لا يمكن لأحدٍ من الإنس–واستثني من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وإخوانه الأنبياء–رؤية الجن على أصل خلقتهم، وهي غير معلومة أصلاً، فالجزم بأنها على صورة معينة لا يسلم لقائله ، واستدل القائلون بعدم إمكانية رؤيتهم على صورتهم الحقيقية بقوله تعالى {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف: الآية: ٢٧].

قال الشافعي–رحمه الله–: "من زعم من أهل العدالة أنه يَرى الجن أبطلتُ شهادته؛ لأن الله عز وجل يقول: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف: الآية: ٢٧]، إلا أن يكون نبيّاً". [٣٠٩٦]

الأصل في الجن أن البشر لا يروهم في صورتهم الحقيقية

وقال ابن حزم رحمه الله : "وأن الجن حق ، وهم خلْق من خلق الله عز وجل، فيهم الكافر والمؤمن، يروننا ولا نراهم". [٣٠٩٧]

ولا ينافي هذا ما ثبت من رؤيتهم على صورة إنسي أو بهيمة ، فالقدرة على الرؤية إنما هي منفية عن رؤية صورتهم الحقيقية .

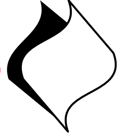
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وأنه–أي : الشيطان–قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ} مخصوص بما إذا كان على صورته التي خُلق عليها". [٣٠٩٨]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–: "والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم، كما أتى الشيطان قريشا في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر، قال تعالى {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ

٣٠٩٦ انظر: "أحكام القرآن" (٢/ ١٩٥، ١٩٦) للقرطبي.

٣٠٩٧ "المحلى" (١/ ٣٤).

٣٠٩٨ "فتح الباري" (٤/ ٤٨٩).



نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: الآية: ٤٨]". [٣٠٩٩]

والشياطين أو الجن عمومًا يتصورون بصورٍ شتّى منها:

١-صور البشر، يتصورون بصور البشر؛ فالشيطان تصوّر لقريش بصورة الشيخ النجدي عندما جاء وحضر معهم في أمرهم عندما تآمروا على النبي-صلى الله عليه وسلم-، [٣١٠٠] وكذلك تصوّر لهم في صورة **سُراقة!** يوم بدر. [٣١٠١]، وكذلك ما جاء في حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-قال: "وكلني رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟)). قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالًا، فرحمته وخليت سبيله، قال: ((أما إنه قد كذبك، وسيعود)). فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((إنه سيعود))، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود، فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله، شكا حاجة وعيالا، فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك، وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود، فقال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت : ما هن ؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت فقال

٣٠٩٩ "مجموع الفتاوى" (١٩/ ٤٤-٤٥).

٣١٠٠ الحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٦٣-٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠١، ٢٥٢ ح: ١٥٩٧٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٦٦-٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٦٨٦) (ح: ١٩٩٤)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٠٩).

٣١٠١ رواه الطبري في "تفسيره" (٧/ ١٣)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٥/ ٤٧).

لي رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: وما هي؟ قال: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية الله لا إله إلا هو الحي القيوم وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب ثلاث ليال، يا أبا هريرة ؟ قلت: لا، قال : ذاك شيطان)). [٣١٠٢]

٢–وكذلك بصور الحيوانات من الكلاب وبالأخص الكلب عندما يكون أسود بهيم! فهذا علامة أنه أنه شيطان! إذا كان أسود أم بهيمًا فاعرف أنه شيطان، ولذلك أمَر النبي–صلى الله عليه وسلم–بقتله.

جاء في الحديث عن جابر–رضي الله عنه–، قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِقَتْلِ الْكِلَابِ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْدَمُ مِنَ الْبَادِيَةِ بِكَلْبِهَا فَنَقْتُلُهُ، ثُمَّ نَهَى النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنْ قَتْلِهَا، وَقَالَ: ((عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ الْبَهِيمِ ذِي النُّقْطَتَيْنِ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ)). [٣١٠٣]

قال النووي–رحمه الله–: "قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((الْأَسْوَدِ الْبَهِيم ذِي النُّقْطَتَيْنِ)) مَعْنَى الْبَهِيم الْخَالِص السَّوَاد، وَأَمَّا النُّقْطَتَانِ فُهِّمَا نُقْطَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ بَيْضَاوَانِ فَوْق عَيْنَيْهِ وَهَذَا مُشَاهَد مَعْرُوف". [٣١٠٤]

وذهب بعض أهل العلم إلى حمل الحديث على ظاهره ، وأن الجن تتصور بصورة الكلب الأسود كثيرًا.

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله : "حمله بعض العلماء على ظاهره، وقال: إن الشياطين تتصور بصور الكلاب السود ، ولأجل ذلك قال–صلى الله عليه وسلم–: ((اقتلوا منها كل أسود بهيم))". [٣١٠٥]

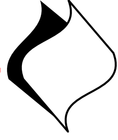
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وقد تنازع العلماء في شيطان الجن اذا مر بين يدى المصلي هل يقطع على قولين هما قولان في مذهب أحمد كما ذكرهما ابن حامد وغيره

٣١٠٢ أخرجه البخاري (٢٣١١).

٣١٠٣ رواه مسلم (١٥٧٢).

٣١٠٤ شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/ ٢٣٧).

٣١٠٥ المفهم (٥/ ٣٨).



أحدهما يقطع لهذا الحديث ولقوله لما أخبر ان مرور الكلب الأسود يقطع للصلاة الكلب الأسود شيطان فعلل بأنه شيطان وهو كما قال رسول الله فإن الكلب الأسود شيطان الكلاب والجن تتصور بصورته كثيرا وكذلك بصورة القط الأسود لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة ...". ٣١٠٦

٣-وأيضًا يتصورون بصور الحيّات، ومعروف من قصة ذاك الصحابي الأنصاري الذي استأذَن **النبي** ﷺ ليعود لأهله، فلمّا عاد وجد أهله خارج الدار! فغضب من ذلك! فقالوا **"تريّث، وانظر ماذا في فراشك!"** فلمّا دخل وجد حيّةً على فراشه، ثم بعد ذلك قتَلَها، ثم بعد ذلك تسلّطوا عليه هؤلاء الجن وقتلوه بهذا! ولذلك قال **النبي** ﷺ **«إنّ فِي المَدِيْنَةِ جِنٌ مُؤمِنُون، فَمَنْ وَجَدَ شَيْئًا مِنْ هَذِه العَوَامِر فَلْيُؤذِنْه ثَلاثًا»**؛ أي يطلب منه ثلاثًا أن يخرج من هذه الدار أو من هذا المكان.

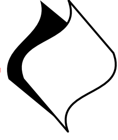
٤-وكذلك يتصورون بصور العقارب، ويتصورون بصور الإبل، ويتصورون بصورٍ شتّى؛ فعندهم قدرة على التشكّل، قدرة على على التشكّل بأشكالٍ كثيرة، ولذلك على الإنسان أن يحذر من بعض الصور والأشكال، وينبغي أن يُكثر من ذِكر الله سبحانه وتعالى حتى يصرف هذه الأشياء إذا كانت متشكّلة بهذه الصور، وكذلك يحترز عند إيذائها أو عند التعرّض لها يحترز منها أشدّ الاحتراز حتى لا تؤذيه!

سابعًا: الذين أنكروا وجودهم.

لا يوجد في طوائف المسلمين من ينكر وجود الجن، بل حتى الكفار من اليهود والنصارى يؤمنون بوجودهم. ولم ينكر وجودهم إلا بعض الملاحدة الشُّكَّاك، الذين يختلقون الافتراضات والتخرصات والتخيلات في كل شيء، فليس عندهم إلا مجرد التجويز والإمكان {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الأنعام: الآية: ١١٦].

ومع ذلك فقد كان كبار هؤلاء الملاحدة يثبتون وجود الجن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عنهم: "وكل ما ينفونه من هذا ليس معهم فيه إلا الجهل المحض، فهم يكذبون بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله.

٣١٠٦ "مجموع الفتاوى" (٥٢/١٩) ، وينظر: "مجموع الفتاوى" (١٤/٢١) ، (١١٣/٣٥).



مع أن عامه أساطين الفلاسفة كانوا يقرون بهذه الأشياء، وكذلك أئمة الأطباء كأبقراط وغيره: يقر بالجن، ويجعل الصرع نوعين: صرعًا من الخِلْط ، وصرعًا من الجن". [٣١٠٧]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وجماهير الأمم يقرّ بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها، ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهّال المتفلسفة والأطباء ونحوهم". [٣١٠٨]

وقال ابن تيمية: "لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمدًا–صلى الله عليه وسلم–إليهم. وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن.

أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى: فهم مقرون بهم، كإقرار المسلمين ...، وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء، تواترًا معلومًا بالاضطرار.

ومعلوم بالاضطرار: أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا صفاتٍ وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره، كما يزعمه بعض الملاحدة...

ولهذا أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن، إذ لم يكن ظهور هذا في المنقول عن الرسول كظهور هذا، وإن كانوا مخطئين في ذلك". [٣١٠٩]

وقال الشبلي–رحمه الله: "وَلم يُنكر الْجِنّ الا شرذمة قَليلَة من جهال الفلاسفة والأطباء وَنَحْوهم.

أما أكَابِر الْقَوْم: فالمأثور عَنْهُم: إِمَّا الْإِقْرَار بهم، وَإِمَّا أَلا يُحْكى عَنْهُم قَول فِي ذَلِك.

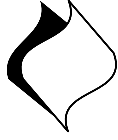
وَأما الْمَعْرُوف عَن أبقراط أنه قَالَ، فِي بعض الْمِيَاه: إِنَّه ينفع من الصرع؛ لست أَعنِي الصرع الَّذِي يعالجه أَصْحَاب الهياكل، وَإِنَّمَا أَعنِي الصرع الَّذِي تعالجه الْأَطِبَّاء.

وَأَنه قَالَ: طبنا مَعَ طب أهل الهياكل، كطب الْعَجَائِز مَعَ طبنا !!

٣١٠٧ "الرد على المنطقيين" (ص: ٤٧٠).

٣١٠٨ مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٢)..

٣١٠٩ "مجموع الفتاوى " (١٨/ ١٠).



وَلَيْسَ لمن أنكر ذَلِك حجَّة يعْتَمد عَلَيْهَا تدل على النَّفْي، وَإِنَّمَا مَعَه عدم الْعلم؛ إِذ كَانَت صناعته لَيْسَ فِيهَا مَا يدل على ذَلِك .. ". [3110]

ثامنًا: هل كان هناك أنبياء من الجنّ.

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

القول الأول : ليس في الجن أنبياء ورسل، وإنما قد يكون منهم نذر، وهذا قول جمهور أهل العلم، واستدلوا على ذلك بأدلة عدة:

١-قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} [يوسف: الآية: ١٠٩]

٢-قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ} [الفرقان: الآية: ٢٠].

٣- قوله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} [العنكبوت: ٢٧].

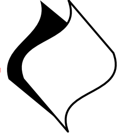
يقول القرطبي-رحمه الله-: "وإنما الرسل من الإنس دون الجن". [3111]

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: الآية: ٢٩]. "وقد استدل بهذه الآية على أنه في الجن نُذُرٌ، وليس فيهم رسل، ولا شك أن الجن لم يبعث الله منهم رسولا — ثم استدل لذلك بالآيات السابقة –". [3112]

٣١١٠ "آكام المرجان" (ص: ٢٢).

٣١١١ الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٦٣).

٣١١٢ تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٠٢).



وهذا القول هو الذي قرره جمهور المفسرين في كتبهم. [3113]

القول الثاني: في الجن من الأنبياء والرسل من جنسهم ، وهذا رأي مقاتل ، والضحاك –كما رواه عنهما ابن جرير الطبري رحمه الله [3114] ، وذكر الخلاف في المسألة–وهو قول ابن حزم–رحمه الله–" حيث يقول : "صح يقينا أنهم بعث إليهم أنبياء منهم". [3115]

واستدلوا لذلك بقوله تعالى: { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأنعام: الآية: ١٣٠].

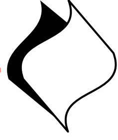
وقد أجاب عن هذا الاستدلال الحافظ ابن كثير رحمه الله بقوله: " فأما قوله تعالى في سورة الأنعام : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) الأنعام/١٣٠، "فالمراد من مجموع الجنسين ، فيصدق على أحدهما وهو الإنس". [3116]

٣١١٣ ينظر: " مفاتيح الغيب " (١٣/ ١٦٠)، " تفسير البيضاوي " (٢/ ٤٥٣)، " البحر المحيط " (٤/ ٢٢٥)، " زاد المسير " (٣/ ١٢٥)، " أضواء البيان " (١/ ٤٩٣). وهو ما قرره . أيضا . شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " (٤/٢٣٤)، والسبكي في " الفتاوى (٢/٦١٨) دار المعرفة، وابن أبي العز في " شرح الطحاوية " (ص: ١٦٦)، والسفاريني في "لوامع الأنوار البهية". (٢/٢٢٣–٢٢٤)، وغيرهم. واختاره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، والشيخ ابن جبرين رحمه الله في شرح الطحاوية ، وكذا الدكتور عمر الأشقر في عالم الجن والشياطين (ص: ٤٣–٤٤).

٣١١٤ "جامع البيان" (١٢/١٢١).

٣١١٥ المحلى " (٧/ ٤٩٤).

٣١١٦ تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٠٢).



والراجح هو قول جماهير أهل العلم أنه ليس في الجن نبي ، لصراحة أدلتهم ، وأما دليل أصحاب القول الثاني فهو محتمل يمكن الجواب عليه بما سبق. [٣١١٧]

تاسعًا: الجن مكلفون.

خلق الله الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: الآية: ٥٦] .

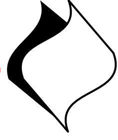
فالجن على ذلك مكلفون بأوامر ونواه، فمن أطاع رضي الله عنه، وأدخله الجنة، ومن عصى وتمرد، فله النار، يدل على ذلك نصوص كثيرة.

ففي يوم القيامة يقول الله مخاطبًا كفرة الجن والإنس موبخا مبكتًا: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأنعام: الآية: ١٣٠] .

ففي هذه الآيات دليل على بلوغ شرع الله الجن، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويبلغهم.

والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ} [الأعراف: الآية: ٣٨]، وقال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ} [الأعراف: الآية: ١٧٩]، وقال: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود: الآية: ١١٩].

٣١١٧ المصدر: موقع الإسلام سؤال وجواب.



والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: الآيات: ٤٦-٤٧] .

والخطاب هنا للجن والإنس؛ لأن الحديث في مطلع السورة معهما، وفي الآية السابقة امتنان من الله على مؤمني الجن بأنهم سيدخلون الجنة، ولولا أنهم ينالون ذلك لما امتن عليهم به.

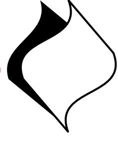
يقول ابن مفلح في كتابه الفروع: "الجن مكلفون في الجملة إجماعًا، يدخل كافرهم النار إجماعًا، ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقا لمالك والشافعي-رضي الله عنهما-لا أنهم يصيرون ترابا كالبهائم، وإن ثواب مؤمنهم النجاة من النار، خلافا لأبي حنيفة، والليث بن سعد ومن وافقهم".

قال: "وظاهر الأول أنهم في الجنة كغيرهم بقدر ثوابهم، خلافا لمن قال لا يأكلون ولا يشربون كمجاهد، أو أنهم في ربض الجنة، حول الجنة كعمر بن عبد العزيز، قال ابن حامد في كتابه: "الجن كالإنس في التكليف والعبادات". [٣١١٨]

وقد عقد الشبلي بابا قال فيه: "باب في أن الجن مكلفون بإجماع أهل النظر" .نقل فيه عن أبي عمر بن عبد البر: أن الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: ١٣]. وقال الرازي في تفسيره: "أطبق الكل على أن الجن كلهم مكلفون".

ونقل الشبلي عن القاضي عبد الجبار قوله: "لا نعلم خلافا بين أهل النظر في أن الجن مكلفون، وقد حكى عن بعض المؤلفين في المقالات أن الحشوية قالوا: إنهم مضطرون إلى أفعالهم، وأنهم ليسوا مكلفين".

٣١١٨ لوامع الأنوار البهية: (٢/ ٢٢٢-٢٢٣).



قال: "والدليل على أنهم مكلفون ما في القرآن من ذم الشياطين ولعنهم، والتحرز من غوائلهم وشرهم، وذكر ما أعد الله لهم من العذاب، وهذه الخصال لا يفعلها الله تعالى إلا لمن خالف الأمر والنهي، وارتكب الكبائر، وهتك المحارم، مع تمكنه من أن لا يفعل ذلك، وقدرته على فعل خلافه، ويدل على ذلك أيضًا أنه كان من دين النبي–صلى الله عليه وسلم–لعن الشياطين، والبيان عن حالهم، وأنهم يدعون إلى الشر والمعاصي، ويوسوسون بذلك. وهذا كله يدل على أنهم مكلفون، وقوله تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ} [الجن: الآية: ١] إلى قوله: { فَآمَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: الآية: ٢]". [٣١١٩]

تكليفهم بحسبهم:

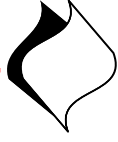
يقول ابن تيمية: "الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلين للإنس في الحد والحقيقة؛ فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساويا لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي، والتحليل والتحريم، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعا بين المسلمين". [٣١٢٠]

كيف يعذبون بالنار وقد خلقوا من النار

يورد بعض الناس شبهة فيقولون: أنتم تقرون أن الجن خلقوا من نار، ثم تقولون: إن كافرهم يعذب في نار جهنم، ومسترق السمع منهم يقذف بشهب من نار، فكيف تؤثر النار فيهم وقد خلقوا منها؟

٣١١٩ غرائب وعجائب الجن، للشبلي: (ص: ٤٩).

٣١٢٠ مجموع الفتاوى: (٤/ ٢٣٣).



الجواب: أن الأصل الذي خلقوا منه النار، أما بعد خلقهم فليسوا كذلك، إذ أصبحوا خلقا مخالفا للنار، يوضح هذا أن الإنسان خلق من تراب، ثم بعد إيجاده أصبح مخالفا للتراب، ولو ضربت إنسانا بقطعة مشوية من الطين لقتلته، ولو رميته بالتراب لآذاه، ولو دفنته فيه لاختنق، فمع أنه من تراب إلا أن التراب يؤذيه، فكذلك الجن.

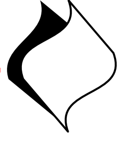
قال أبو الوفاء ابن عقيل: "أضاف الشياطين والجان إلى النار حسب ما أضاف الإنسان إلى التراب والطين والفخار، والمراد به في حق الإنسان أن أصله الطين، وليس الآدمي حقيقة، لكنه كان طينًا، كذلك الجان كان نارًا في الأصل". [٣١٢١]

لا نسب بين الجن ورب العزة:

هذا الذي ذكرناه من أن الجن خلق من خلق الله، وعباد من جملة عباده، خلقهم لطاعته، وكلفهم بشريعته، يقضي على الخرافات التي تنشأ عن الانحراف في التصور، وعن ضمور العلم وكثرة الجهل، فمن ذلك ما شاع عند اليهود ومشركي العرب، من أن الله-تعالى وتقدس-خطب من سروات الجن وتزوج منهم، وكان الملائكة ثمرة هذا الزواج، وقد حكى الله هذه الخرافة وبين بطلانها: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات: الآيات: ١٥٨-١٦٠].

قال ابن كثير عند تفسيره هذه الآيات: "قال مجاهد: قال المشركون: الملائكة بنات الله-تعالى عما يقولون- فقال أبو بكر-رضي الله عنه-: فمن أمهاتهن؟ قالوا: بنات سروات الجن. وبمثل قول مجاهد قال قتادة وابن

٣١٢١ لقط المرجان في أحكام الجان: (ص: ٣٣).



زيد ... ، وقال العوفي عن ابن عباس: زعم أعداء الله أنه–تبارك وتعالى–هو وإبليس أخوان، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا". [٣١٢٢]. [٣١٢٣]

قال المصنف–رحمه الله–:

"يوسوسون للآدميين، ويعتمدون استزلالهم ويترصدون لهم، قال الله–عز وجل–: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: الآية: ١٢١]. وإن الله يسلطهم على من يشاء، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء، قال الله عز وجل: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا} [الإسراء: الآيات: ٦٤–٦٥]. وقال: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: الآيات: ٩٩–١٠٠]".

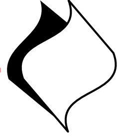
الشرح: يتنوع أذى الشياطين للإنس وهو في الجملة ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يتصل بالجانب الإيماني

الجن قدراتهم تفوق قدرات الإنسان، كما قال تعالى : {قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ} [النمل: الآية: ٣٩]، وكان بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ مسافة بعيدة، وقد أقدرهم الله على التشكل والطيران وغير ذلك، لكنهم مع شدة قوتهم لا سلطان لهم على عباد الله الصالحين، قال تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً} [الاسراء: الآية: ٦٥]، وقال : {وَمَا كَانَ

٣١٢٢ تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٤).

٣١٢٣ المصدر: عالم الجن والشياطين لعمر الأشقر (ص: ٤١–.



لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إلا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ} [سبأ: الآية: ٢١]. بل إن الشيطان يعترف بهذه الحقيقة فيقول: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [الحجر: الآيات: ٣٩-٤٠]، وإنما يتسلط على العباد الذين يرضون بفكره ويتابعونه عن رضا وطواعية، كما أخبر الله بذلك فقال: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِين} [الحجر: الآية: ٤٢] وقد يسلطهم الله على المؤمنين بسبب ذنوبهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالى مع القاضي ما لم يَجُرْ[٣١٢٤]، فإذا جار تبرأ منه وألزمه الشيطان)). [٣١٢٥]

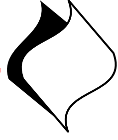
والمسلم يجب أن يكون قبل كل شيء متسلحاً بسلاح الإيمان والعمل الصالح لأنهما خير زادٍ له وخير وسيلة لدحر كيد شياطين الإنس والجن وعلى المسلم أن يوثق حبله مع الله تعالى، فإنه الركن الذي يركن إليه. ويكثر من ذكر الله تعالى على كل حال، ويحرص على أن لا يزال لسانه رطباً من ذكر الله تعالى، فإن الإنسان لن يُعصم من الشيطان بمثل ذكر الله تعالى. فقد صح عن النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ((أن الله تعالى أمر يحي بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وكان منها : ((وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنْ الشَّيْطَانِ إلا بِذِكْرِ اللَّهِ)). [٣١٢٦]

وأن يحافظ على الأذكار الواردة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، كالذكر عند دخول الخلاء، وعند الجماع، وعند سماع نهيق الحمار، وعند دخول البيت وفي الصباح والمساء، وعند النوم . . وغير ذلك من الأحوال والأوقات التي ورد فيها عن النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-ذكر معين.

٣١٢٤ الجَوْر: عدم العدل.

٣١٢٥ رواه الحاكم والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٨٢٣.

٣١٢٦ رواه الترمذي (٢٨٦٣). وصححه الألباني في صحيح الترمذي.



وعليه بالإكثار من قراءة القرآن في البيت لاسيما سورة البقرة، فعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: ((لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ [ولفظ أحمد: يَفِرّ] مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)). [3127]

وقراءة المعوذتين،.

قال أبو حيان: "ولَمَّا كانت مَضرَّةُ الدِّينِ -وهي آفةُ الوَسوسةِ- أعظَمَ مِن مَضرَّةِ الدُّنيا وإنْ عَظُمَت، جاء البِناءُ في الاستِعاذةِ منها بصِفاتٍ ثَلاثٍ (الرَّبُّ، والمِلِكُ، والإلهُ) في قَولِه: قال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ} [الناس: الآيات ١-٣]، وإنِ اتَّحَدَ المطلوبُ، وفي الاستعاذةِ مِن ثَلاثٍ (الغاسقُ، والنَّفَّاثاتُ، والحاسدُ) بصِفةٍ واحدةٍ، وهي الرَّبُّ، وإنْ تَكَثَّرَ الَّذي يُستعاذُ منه". [3128]

وعليك أيضاً أن تطهّر بيتك من كل شيء فيه معصية لله تعالى، مثل اقتناء الصور والكلاب، فإنه إن خلت البيوت من الملائكة كانت مرتعًا ومسكنًا للشياطين، فقد روى أبو طلحة-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال : ((لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة)). [3129]

قال ابن تيمية: "وما يحصل من نوع المكاشفة والتصرف

"ثلاثة أصناف"

١-ملكي.

٢- ونفسي.

٣- وشيطاني.

فإن الملك له قوة والنفس لها قوة والشيطان له قوة، وقلب المؤمن له قوة.

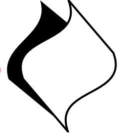
فما كان من الملك ومن قلب المؤمن فهو حق وما كان من الشيطان ووسوسة النفس فهو باطل". [3130]

٣١٢٧ رواه مسلم (٧٨٠)، وأحمد (٧٧٦٢).

٣١٢٨ ((تفسير أبي حيان)) (١٠/ ٥٧٩).

٣١٢٩ رواه البخاري (٣٣٢٢) ومسلم (٢١٠٦).

٣١٣٠ مجموع الفتاوى (١٠/ ٦١٣)..



قال ابن عقيل: "سأل سائل عن حالنا مع إبليس، كيف يكون لنا به قوة وهو يرانا ونحن لانراه.

والجواب:

بأنه لو كانت معاداته تحتاج إلى مناضلة ومضاربة، أضر بنا عدم رؤيته.

فأما وأذيته إلقاء إلى القلوب وسوسة في الصدور، فجواب المسألة منها كما يقال. فكما أن سهامه كالخواطر العارضة يلقيها

بالأفكار الصحيحة الصادرة عن العقول الصاحية السليمة من الهوى، فإذا ألقى إلى النفوس ما ليس بصواب، رده الفعل بأحسن جواب". [٣١٣١]

قال ابن تيمية: "الْوَسْوَسَةُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ مِنْ الْجِنِّ وَنَوْعٌ مِنْ نُفُوسِ الْإِنْسِ؛ كَمَا قَالَ: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} [ق: الآية: ١٦]، فَالشَّرُّ مِنْ الْجِهَتَيْنِ جَمِيعًا وَالْإِنْسُ لَهُمْ شَيَاطِينُ كَمَا لِلْجِنِّ شَيَاطِينُ ". [٣١٣٢]

قال ابن جزي-رحمه الله-: "وعلاج وسوسة الشيطان بثلاثة أشياء:

١-واحدها الإكثار من ذكر الله.

٢-وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه ومن أنفع شيء في ذلك قراءة سورة الناس.

٣-وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه". [٣١٣٣]

وإن من ثمرات التوحيد أنه يمنع من تسلط الشيطان ومن ولاية الشيطان.

قال تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ(١٠٠)} [النحل: الآيات: ٩٩-١٠٠].

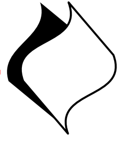
وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ} [الأعراف: الآية: ٢٠١].

قال تعالى {كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: الآية: ٢٤].

٣١٣١ كتاب الفنون لابن عقيل (ص: ٧٠٥).

٣١٣٢ مجموع الفتاوى (١٧/ ٥١٧)..

٣١٣٣ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٣٠).



قال سهل التستري: "ولا يتباعد أحد عن الله إلا بالاشتغال بغير الله، وإنما تدخل الأشياء على الفارغ، وأما من كان مشغول القلب بالله لم تصل إليه الوسوسة وهو في المزيد أبدا، واحفظ نفسك بالأصل". [٣١٣٤]

قال سهل التستري عند تفسير قوله عز وجل: {والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت} [البقرة: الآية: ٢٥٧]: "ورأس الطواغيت كلها النفس الأمارة بالسوء، لأن الشيطان لا يقدر على الإنسان إلا من طريق هوى النفس، فإن أحس منها بما تهم به ألقى إليها الوسوسة". [٣١٣٥]

قال ابن تيمية: "إخلاص الدين لله: يمنع من تسلط الشيطان ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب. كما قال تعالى {كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: الآية: ٢٤]. فإذا أخلص العبد لربه الدين: كان هذا مانعا له من فعل ضد ذلك ومن إيقاع الشيطان له في ضد ذلك. وإذا لم يخلص لربه الدين ولم يفعل ما خلق له وفطر عليه: عوقب على ذلك. وكان من عقابه: تسلط الشيطان عليه حتى يزين له فعل السيئات". [٣١٣٦]

وإن من ثمرات التوحيد أنه يدفع وساوس الشيطان.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: ((وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟")). قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: ((ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ))[٣١٣٧].

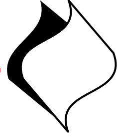
وفي حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْوَسْوَسَةِ. قَالَ:

٣١٣٤ تفسير التستري (ص: ١٨٠).

٣١٣٥ تفسير التستري (ص: ٣٧).

٣١٣٦ مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٣٢-٣٣٣).

٣١٣٧ أخرجه مسلم حديث (١٣٢) وانفرد به.



((تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ))[3138]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هذَا، خَلَقَ الله الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهِ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذلِكَ شَيْئا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ))[3139].

وفي رواية: " آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِه " رواه مسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلِيَنْتَهِ "[3140].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال ((قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ. فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟))[3141].

وأما رواية البخاري فمن قول النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ: ((لن يَبرَحَ الناسُ يتساءَلون حتى يقولوا:.....)) [3142].

واختلف أهل العلم في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ((ذاك صريح الإيمان)) وقوله ((تلك محض الإيمان)) والصريح والمحض من الإيمان هو الخالص، اختلفوا على قولين:

القول الأول: أن مجرد وجود الوسوسة دليل على صريح الإيمان

واستدلوا: بحديث ابن مسعود –رضي الله عنه– في الباب حيث سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن مجرد الوسوسة دون المنازعة، فقال ((تلك محض الإيمان))، وقالوا أيضاً لأن القلوب غير المؤمنة لا توسوس أصلاً لتمكن الشيطان منها، بخلاف القلوب المؤمنة، واختار هذا القول القاضي عياض وهو اختيار الشيخ

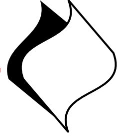
٣١٣٨ أخرجه مسلم، حديث (١٣٣)، وانفرد به.

٣١٣٩ أخرجه مسلم حديث (١٣٤) وانفرد به

٣١٤٠ أخرجه مسلم، حديث (١٣٤)، وأخرجه البخاري في "كتاب بدء الخلق" "باب صفة إبليس وجنوده" حديث (٧٢٩٦).

٣١٤١ أخرجه البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (١٣٦).

٣١٤٢ أخرجه البخاري (٧٢٩٦) وفي ((الأدب المفرد)) (١٢٨٦) واللفظ له، ومسلم (١٣٦)



ابن عثيمين"[3143].

والقول الثاني: أن مدافعة المسلم لها ونفرته من هذه الوساوس هي دليل على صريح الإيمان.

واستدلوا: بحديث أبي هريرة في الباب حيث إن الصحابة شكوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما يجدونه في أنفسهم ونفرتهم منه وتعاظمهم لما يجدونه، والنبي –صلى الله عليه وسلم –سألهم عنه فقال ((وقد وجدتموه؟)) ثم قال لهم ((ذاك صريح الإيمان))، وقالوا المنازعة وكراهة ذلك هي دليل الإيمان وأثره، الذي يردّ وساوس الشيطان، وأما حديث ابن مسعود فهو محمول على حديث أبي هريرة، واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو الأظهر والله أعلم.

قال ابن تيمية: أَيْ حُصُولِ هَذَا الْوَسْوَاسِ مَعَ هَذِهِ الْكَرَاهَةِ الْعَظِيمَةِ لَهُ وَدَفْعِهِ عَنْ الْقَلْبِ هُوَ مِنْ صَرِيحِ الْإِيمَانِ"[3144]

وقال في موضع آخر: "فَالشَّيْطَانُ لَمَّا قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ وَسُوسَةً مَذْمُومَةً تَحَرَّكَ الْإِيمَانُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ بِالْكَرَاهَةِ لِذَلِكَ وَالِاسْتِعْظَامِ لَهُ فَكَانَ ذَلِكَ صَرِيحَ الْإِيمَانِ.... فَهُنَا لَمَّا اقْتَرَنَ بِالْوَسْوَاسِ هَذَا الْبُغْضُ وَهَذِهِ الْكَرَاهَةُ كَانَ هُوَ صَرِيحَ الْإِيمَانِ وَهُوَ خَالِصُهُ وَمَحْضُهُ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقَ وَالْكَافِرَ لَا يَجِدُ هَذَا الْبُغْضَ وَهَذِهِ الْكَرَاهَةَ مَعَ الْوَسْوَسَةِ بِذَلِكَ"[3145].

قال القرطبي في تفسيره [سورة الأعراف الآية: ٢٠٠]: " ((تلك محض الإيمان)) وفي حديث أبي هريرة ((ذلك صريح الإيمان)) والصريح الخالص. وهذا ليس على ظاهره، إذ لا يصح أن تكون الوسوسة نفسها هي الإيمان، لأن الإيمان اليقين، وإنما الإشارة إلى ما وجدوه من الخوف من الله تعالى أن يعاقبوا على ما وقع في أنفسهم، فكأنه قال: جزعكم من هذا هو محض الإيمان وخالصه، لصحة إيمانكم، وعلمكم بفسادها، فسمى الوسوسة إيمانا لما كان دفعها والإعراض عنها والرد لها وعدم قبولها"[3146].

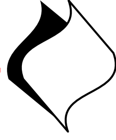
قال القرطبي المالكي: "((قل آمنت بالله)) أمر بتذكر الإيمان الشرعي، واشتغال القلب به لتمحي تلك

٣١٤٣ انظر شرح النووي لمسلم ٢/ ٣٣٣.

٣١٤٤ مجموع الفتاوى.٧ / ٢٨٢

٣١٤٥ مجموع الفتاوى. (١٠ /٥٦٣-٥٦٥)

٣١٤٦ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ٧/ ٣٤٨.



الشبهات، وتضمحل تلك الترهات، وهذه كلها أدوية للقلوب السليمة الصحيحة المستقيمة التي تعرض الترهات ولا تمكث فيها". [٣١٤٧]

القسم الثاني: ما يتعلق بالإيذاء البدني والنفسي:

كما يهدف الشيطان إلى إضلال الإنسان بالكفر والذنوب، فإنه يهدف إلى إيذاء المسلم في بدنه ونفسه، ونحن نسوق بعض ما نعرفه من هذا الإيذاء:

أ- مهاجمة الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

فعن أبي الدرداء-رضي الله عنه-، قال: قام رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فسمعناه يقول: ((أعوذ بالله منك، ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثًا))، وبسط يده كأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله، قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: ((إن عدو الله إبليس، جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك، ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة)). [٣١٤٨]

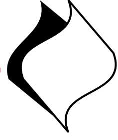
ب- الحلم من الشيطان:

للشيطان قدرة على أن يرى الإنسان في منامه أحلاما تزعجه وتضايقه، بهدف إحزانه وإيلامه.

فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم: أن الرؤى التي يراها المرء في منامه ثلاثة أنواع، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الرؤيا ثلاث: فبشرى، من الرحمن، وحديث نفس، وتخويف من الشيطان)).

٣١٤٧ أخرجه مسلم (٥٤٢).

٣١٤٨ المفهم ١/ ٣٤٥.



وفي رواية عن عوف بن مالك: ((إن الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان؛ ليحزن بها ابن آدم)). [٣١٤٩]

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–، أنه سمع رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يقول: ((إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره، فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره)). [٣١٥٠]

ج– إحراق المنازل بالنار:

وذلك بوساطة بعض الحيوانات التي يغريها بذلك، ففي سنن أبي داود بإسناد صحيح أن الرسول–صلى الله عليه وسلم–قال: ((إذا نمتم فأطفئوا سرجكم، فإن الشيطان يدل مثل هذه (الفأرة) على هذا (السراج) فيحرقكم)). [٣١٥١]

د– تخبط الشيطان الإنسان عند الموت:

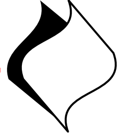
وقد كان الرسول–صلى الله عليه وسلم–يستعيذ من ذلك فيقول: ((اللهم إني أعوذ بك من التردي، والهدم، والغرق، والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا، وأعوذ بك أن أموت لديغا)). [٣١٥٢]

٣١٤٩ رواهما ابن ماجة. انظر صحيح ابن ماجة: ١/٣٤٠. ورقمهما: (٣١٥٤–٣١٥٥).

٣١٥٠ رواه البخاري: (٦٩٥٨).

٣١٥١ صحيح سنن أبي داود: (٤٣٦٩).

٣١٥٢ صحيح سنن النسائي: (٥١٠٤).



هـ- إيذاؤه الوليد حين يولد:

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: ((كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها)). [٣١٥٣]

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن، فطعن الحجاب)). [٣١٥٤]

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: ((ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان، غير مريم وابنها)). [٣١٥٥]

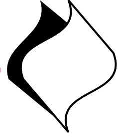
والسبب في حماية مريم وابنها من الشيطان استجابة الله دعاء أم مريم حين ولدتها: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: الآية: ٣٦] . ولذا فإن أبا هريرة قرأ هذه الآية بعد روايته للحديث السابق. [٣١٥٦]

٣١٥٣ رواه مسلم: (٢٣٦٦).

٣١٥٤ رواه البخاري: (٣٢٨٦).

٣١٥٥ رواه البخاري: (٣٤٣١).

٣١٥٦ انظر صحيح البخاري: (٣٤٣١). وصحيح مسلم: (٢٣٦٦).



فلما كانت أم مريم–عليها السلام–صادقة في طلبها استجاب الله لها، فأجار مريم وابنها من الشيطان الرجيم.

وممن أجاره الله أيضا عمار بن ياسر، ففي صحيح البخاري: أن أبا الدرداء سأل علقمة، وكان من أهل الكوفة، فقال: " أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه–صلى الله عليه وسلم–؟ " قال المغيرة: "الذي أجاره الله على لسان نبيه–صلى الله عليه وسلم–يعني عمارا ". [٣١٥٧]

و– مرض الطاعون من الجن:

أخبر الرسول–صلى الله عليه وسلم–أن ((فناء أمته بالطعن والطاعون؛ وخز أعدائكم من الجن، وفي كل شهادة)). [٣١٥٨]

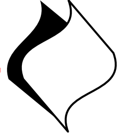
وفي مستدرك الحاكم: ((الطاعون وخز أعدائكم من الجن، وهو لكم شهادة)). [٣١٥٩]

وما أصاب نبي الله أيوب كان بسبب الجن كما قال تعالى: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص: الآية: ٤١] .

٣١٥٧ صحيح البخاري: ٦/٣٣٧. ورقمه: ٣٢٨٧. وانظر أيضا: ٧/٩٠. ورقمه: ٣٧٤٢–٣٧٤٣.

٣١٥٨ صحيح الجامع الصغير: ٤/٩٠. وانظر إرواء الغليل: ٦/٧٠، ورقمه: ١٣٦٧.

٣١٥٩ إرواء الغليل: (٦/ ٧٠).



ز- بعض الأمراض الأخرى:

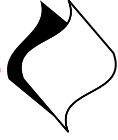
قال-صلى الله عليه وسلم-للمرأة المستحاضة، وهي حمنة بنت جحش: ((إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان)). [٣١٦٠]

ح- مشاركته لبني آدم في طعامهم وشرابهم ومسكنهم:

ومن الأذى الذي يجلبه الشيطان للإنسان أن يعتدي على طعامه وشرابه فيشركه فيهما، ويشركه في المبيت في منزله، ويكون ذلك منه إذا خالف العبد هدي الرحمن، أو غفل عن ذكر الله، أما إذا كان ملتزما بالهدى الذي هدانا الله إليه، لا يغفل عن ذكر الله، فإن الشيطان لا يجد سبيلا إلى أموالنا وبيوتنا.

فالشيطان لا يستحل الطعام إلا إذا تناول منه أحد بدون أن يسمي، فإذا ذكر اسم الله عليه، فإنه يحرم على الشيطان، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة، قال: "كنا إذا حضرنا مع النبي-صلى الله عليه وسلم-طعاما لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا، فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع، فأخذ بيده".

٣١٦٠ صحيح سنن أبي داود: (٢٦٧)، وصحيح سنن النسائي: (١١٠). ولفظ النسائي: ((إنما هي ركضة من الشيطان)).



فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((إن الشيطان ليستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذت بيده، والذي نفسي بيدي إن يده في يدي مع يدها)). [٣١٦١]

وقد أمرنا الرسول–صلى الله عليه وسلم–أن نحفظ أموالنا من الشيطان وذلك بإغلاق الأبواب، وتخمير الآنية، وذكر اسم الله؛ فإن ذلك حرز لها من الشيطان، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((أغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئا، وأطفئوا مصابيحكم)). [٣١٦٢]

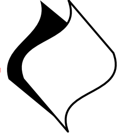
ويشرب الشيطان مع الإنسان إذا شرب واقفا، عن أبي هريرة–رضي الله عنه–: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يشرب قائما، فقال له: (قه)، قال: لمه؟ قال: ((أيسرك أن يشرب معك الهر؟)) قال: لا، قال: ((فإنه قد شرب معك من هو شر منه الشيطان)). [٣١٦٣]

وكي تطرد الشياطين من المنزل لا تنس أن تذكر اسم الله عند دخول المنزل، وقد أرشدنا الرسول–صلى الله عليه وسلم–لذلك، حيث يقول: ((إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال

٣١٦١ رواه مسلم: (٢١٧).

٣١٦٢ رواه مسلم: (٢٠١٢).

٣١٦٣ سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٧٥). وقال فيه الهيثمي: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد ثقات. مجمع الزوائد: (٣/ ٧٩).



الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإن دخل، فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر الله عند طعامه، قال:أدركتم المبيت والعشاء)). [٣١٦٤]

ط- مس الشيطان للإنسان (الصرع) :

يقول ابن تيمية: [٣١٦٥] "دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة: الآية: ٢٧٥]، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)). [٣١٦٦]

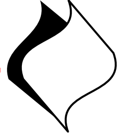
وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: "قلت لأبي: إن أقواما يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع، فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه ."

يقول ابن تيمية: "هذا الذي قاله مشهور، فإنه يصرع الرجل، فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضربًا عظيمًا، لو ضرب به جمل، لأثر به أثرًا عظيمًا، والمصروع مع هذا لا يحس الضرب، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يجر المصروع، وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه، ويحول الآلات ... ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علما ضروريا، بأن الناطق على لسان الإنس، والمحرك لهذه الأجسام، جنس آخر غير الإنسان".

٣١٦٤ رواه مسلم: (٢٠١٨).

٣١٦٥ مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (٢٤/ ٢٧٦).

٣١٦٦ أخرجه البخاري: (٣٢٨١). ورواه مسلم: (٢١٧٥).



ويقول–رحمه الله–: "وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك، وادعى أن الشرع يكذب ذلك، فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك ".

وذكر أن ممن أنكر دخول الجن بدن المصروع طائفة من المعتزلة، كالجبائي وأبي بكر الرازي.[٣١٦٧] [٣١٦٨]

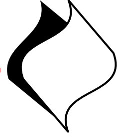
[السحر والسحرة].

قال المصنف–رحمه الله–:

"ويشهدون أن في الدنيا سحرًا وسحرة، إلا أنهم لا يضرون أحدًا إلا بإذن الله، قال الله–عز وجل–: {وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: الآية: ١٠٢]، ومن سحر منهم واستعمل السحر، واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر. وإذا وصف ما يكفر به استتيب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وإن وصف ما ليس بكفر، أو تكلم بما لا يفهم نهي عنه فإن عاد عزر.

٣١٦٧ مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (١٩/ ١٢).

٣١٦٨ المصدر: عالم الجن والشياطين لعمر الأشقر (ص: ٥٩–٦٤).



وإن قال: السحر ليس بحرام، وأنا أعتقد إباحته وجب قتله، لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه".

الشرح:

السحر فيه استعانة بأرواح خبيثة شريرة من الجن والشياطين، تزعم أنها تعلم الغيب وتوهم الناس بذلك، وقد كان بعض الناس يصدقون فيما يزعمون، ويلجئون إليهم عند الكرب، كما قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: الآية: ٦]، ولهذا اشتهر السحر عن طريق الاتصال بهذه الأرواح الخبيثة.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف السحر.

أ-السحر في اللغة:

١. أصل الكلمة:

قال ابن فارس: "(سحر) السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة:

أحدها: عضو من الأعضاء. وهو ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن. ويقال بل هي الرئة.

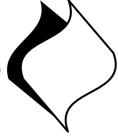
والآخر: خدع وشبهه. قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال هو الخديعة.

والثالث: وقت من الأوقات. فالسحر، والسحرة، وهو قبل الصبح. وجمع السحر أسحار"[٣١٦٩].

٢-معانيها:

قال الخليل بن أحمد: "سحر:

٣١٦٩ مقاييس اللغة لابن فارس مادة (سحر) ٣/ ١٣٨.



السحر: كل ما كان من الشيطان فيه معونة.

والسحر: الأخذة التي تأخذ العين.

والسحر: البيان في الفطنة.

والسحر: فعل السحر.

والسحارة: شيء يلعب به الصبيان إذا مد خرج على لون، وإذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر مخالف للأول، وما أشبهها فهو سحارة.

والسحر: الغذو، كقول امرىء القيس:

ونسحر بالطعام وبالشراب

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

فإن تسألينا: فيم نحن فإننا ... عصافير من هذا الأنام المسحر

وقول الله- عز وجل-: {إنما أنت من المسحرين}، أي من المخلوقين. وفي تمييز العربية: هو المخلوق الذي يطعم ويسقى.

والسحر: آخر الليل"[٣١٧٠].

قال الفراء في قول الله: {فأنى تسحرون} [المؤمنون: الآية: ٨٩] معناه فأنى تصرفون، ومثله {إلا هو} [فاطر: الآية: ٣]، أفك وسحر سواء"[٣١٧١].

فالسحر يطلق في اللغة على معان كثيرة كالخداع، والصرع، والاستمالة، والتمويه، وكل ما لطف ودقّ وخفي سببه فهو سحر[٣١٧٢].

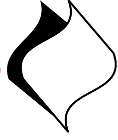
ب–السحر شرعًا:

فالسحر: هو اتفاق بين ساحر وشيطان على أن يقوم الساحر بفعل بعض المحرمات أو الشركيات في مقابل مساعدة الشيطان له أو طاعته فيما يطلب منه .

٣١٧٠ العين للخليل بن أحمد ٣/ ١٣٥.

٣١٧١ تهذيب اللغة للأزهري مادة (سحر) ٤/ ١٧٠.

٣١٧٢ لسان العرب مادة (سحر) ٢/ ١٦٠.



أو هو عبارة عن رقي وطلاسم وتعاويذ وكلام يتكلم به الساحر أو يكتبه أو يعمل به شيئًا يؤثر من خلاله في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة للإنسان المسحور، فمنه ما يقتل، أو يمرض، أو يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر.

وقال بدر الدين العيني: "السحر هو أمر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة لا يتعذر معارضته"[٣١٧٣].

وقيل: هو عمل يقوم به شخص معين، تتوفر فيه شروط مخصوصة، تحت ظروف واستعدادات غير مألوفة، وبطرق سرية غامضة، للتأثير على شخص أو جملة أشخاص"[٣١٧٤].

المسألة الثانية: حقيقة السحر:

ينقسم السحر إلى قسمين:

القسم الأول: سحر غير حقيقي يعتمد على خفة الحركة.

قال الرازي: "المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئا آخر عملا بسرعة شديدة، فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين،

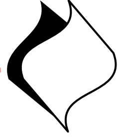
أحدهما: اشتغالهم بالأمر الأول،

والثاني: سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني.

وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدا، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكل ما يفعله، فهذا هو المراد من قولهم: إن المشعبذ يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ العيون إلى غير الجهة التي يحتال فيها وكلما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق في عمله، وكلما كانت الأحوال التي تفيد حس

٣١٧٣ عمدة القاري (١٧/ ٤١٨).

٣١٧٤ كتاب السحر لمحمد جعفر (٣٤).



البصر نوعا من أنواع الخلل أشد كان هذا العمل أحسن، مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدا، فإن البصر يفيد البصر كلالا واختلالا، وكذا الظلمة الشديدة/ وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالا واختلالا، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة"[٣١٧٥].

قال الأزهري: "ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى تظن أن الأمر كما ترى وليس الأصل على ما ترى"[٣١٧٦].

وقال الأزهري: "أصل السحر صرف الشيئ عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيل الشيئ على غير حقيقته قد سحر الشيئ عن وجهه أي صرفه"[٣١٧٧].

وعن هذا النوع يقول فخر الدين الرازي: "اعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله. قال تعالى: {سحروا أعين الناس} [الأعراف: الآية: ١١٦] يعني موهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى وقال تعالى: {يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى} [طه: الآية: ٦٦]

وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد"[٣١٧٨].

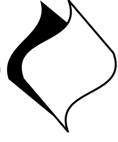
القسم الثاني: السحر الحقيقي: فهو سحر حقيقة لها وجود، وتظهر أثاره على المسحورين قال تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ

٣١٧٥ تفسير الرازي مفاتيح الغيب ٣/ ٦٢٤.

٣١٧٦ تهذيب اللغة للأزهري مادة (سحر) ٤/ ١٦٩.

٣١٧٧ تهذيب اللغة للأزهري مادة (سحر) ٤/ ١٧٠-١٧١.

٣١٧٨ تفسير الرازي مفاتيح الغيب ٣/ ٦١٩.



مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: الآية: ١٠٢].

قال الأزهري: "قال الليث: السحر: عمل يقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، كل ذلك الأمر كينونته السحر"[٣١٧٩].

ومن وسائل السحرة في التقرب إلى الشيطان:

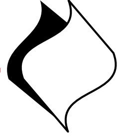
- من السحرة من يرتدي المصحف في قدمية يدخل به الخلاء, ومنهم من يكتب آيات من القرآن بالقذارة، ومنهم من يكتبها بدم الحيض، ومنهم من يكتب آيات من القرآن على أسفل قدميه، ومنهم من يكتب الفاتحة معكوسة، ومنهم من يصلي بدون وضوء، ومنهم من يظل جنباً، ومنهم من يذبح للشيطان فلا يذكر الله عند الذبح، ويرمي الذبيحة في مكان يحدده له الشيطان، ومنهم من يخاطب الكواكب ويسجد لها من دون الله، ومنه من يأتي أمه أو ابنته، ومنهم من يكتب طلسماً بألفاظ غير عربية تحمل معان كفرية.

من هنا يتبين لنا أن الجني لا يساعد الساحر ولا يخدمه إلا بمقابل، وكلما كان الساحر أشد كفراً كان الشيطان أكثر طاعة له، وأسرع في تنفيذ أمره، وإذا قصر الساحر في تنفيذ ما أمره به الشيطان من أمور كفرية، أمتنع الشيطان من خدمته وعصى أمره، فالساحر والشيطان قرينان التقيا على معصية الله.

المسألة الثالثة: هل للسحر تأثير حقيقة.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-: "اعلم أن العلماء اختلفوا في تحقيق القدر الذي يمكن أن يبلغه تأثير السحر في المسحور، واعلم أن لهذه المسألة واسطة وطرفين: طرف لا خلاف في أن تأثير السحر يبلغه كالتفريق بين الرجل وامرأته، وكالمرض الذي يصيب المسحور من السحر ونحو ذلك، ودليل ذلك القرآن، والسنة الصحيحة. أما القرآن فقوله تعالى: {فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه} [البقرة: الآية: ١٠٢] فصرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة بأن من تأثير السحر التفريق بين المرء وزوجه.

٣١٧٩ تهذيب اللغة للأزهري مادة (سحر) ٤/ ١٦٩.

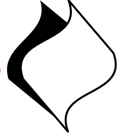


وأما السنة فما ثبت في الصحيحين، وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها بألفاظ متعددة متقاربة: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء، ولا يأتيهن. فقال: ((يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف اليهودي كان منافقا، قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة؟ قال: وأين؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان)) قالت: فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – البئر حتى استخرجه، فقال: ((هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رءوس الشياطين، فاستخرج)) قالت فقلت: أفلا أي: تنشرت؟ فقال: ((أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا)) [٣١٨٠]. اهـ هذا لفظ البخاري في بعض رواياته لهذا الحديث. والقصة مشهورة صحيحة. ففي هذا الحديث الصحيح: أن تأثير السحر فيه – صلى الله عليه وسلم – سبب له المرض. بدليل قوله «أما الله فقد شفاني» وفي بعض الروايات الثابتة في صحيح البخاري، وغيره بلفظ: فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال مطبوب. أي: مسحور. وهو تصريح بأن السحر سبب له وجعا.

٣١٨٠ رواه البخاري (٣٢٦٨) ومسلم (٢١٨٩). وقال ابن القيم رحمه الله : "هديه صلى الله عليه وسلم في علاج السحر الذي سحرته اليهود به: قد أنكر هذا طائفة من الناس، وقالوا: لا يجوز هذا عليه، وظنُّوه نقصًا وعيبًا، وليس الأمر كما زعموا، بل هو من جنس ما كان يعتريه من الأسقام والأوجاع، وهو مرض من الأمراض، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (سُحِر رسول الله حتى إن كان ليخيَّل إليه أنه يأتي نساءه ولم يأتهن، وذلك أشد ما يكون من السحر) قال القاضي عياض: والسحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا يُنكر، ولا يَقدح في نبوته.

وأما كونه يخيَّل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله: فليس في هذا ما يُدخل عليه داخلة في شيء من صدقه؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز أن يطرأ عليه في أمر دنياه التي لم يُبعث لسببها، ولا فُضِّل من أجلها، وهو فيها عُرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أنه يخيَّل إليه مِن أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان " انتهى.

"زاد المعاد" (١٢٤/٤) .



ونفي بعض الناس لهذه القصة مستدلا بأنها لا تجوز في حقه – صلى الله عليه وسلم –، لقوله تعالى عن الكفار منكرًا عليهم. {إن تتبعون إلا رجلًا مسحورًا} [الإسراء: الآية: ٤٧] ساقط؛ لأن الروايات الصحيحة الثابتة لا يمكن ردها بمثل هذه الدعاوى. وسترى في آخر بحث هذه المسألة إن شاء الله تعالى إيضاح وجه ذلك.

وطرف لا خلاف في أن تأثير السحر لا يمكن أن يبلغه كإحياء الموتى، وفلق البحر ونحو ذلك.

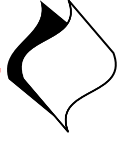
قال القرطبي في تفسيره: "أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر ما يفعل الله عنده إنزال الجراد، والقمل، والضفادع، وفلق البحر، وقلب العصا، وإحياء الموتى، وإنطاق العجماء، وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام. فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون لا يفعله الله عند إرادة الساحر. قال القاضي أبو بكر بن الطيب: وإنما منعنا ذلك بالإجماع ولولاه لأجزناه"[٣١٨١] انتهى كلام القرطبي.

وأما الواسطة فهي محل خلاف بين العلماء، وهي هل يجوز أن ينقلب بالسحر الإنسان حمارا مثلا، والحمار إنسانا؟ وهل يصح أن يطير الساحر في الهواء، وأن يستدق حتى يدخل من كوة ضيقة. وينتصب على رأس قصبة، ويجري على خيط مستدق، ويمشي على الماء، ويركب الكلب ونحو ذلك. فبعض الناس يجيز هذا. وجزم بجوازه الفخر الرازي في تفسيره، وكذلك صاحب رشد الغافل، وغيرهما. وبعضهم يمنع مثل هذا.

قال مقيده–عفا الله عنه وغفر له–: أما بالنسبة إلى أن الله قادر على أن يفعل جميع ذلك، وأنه يسبب ما شاء من المسببات على ما شاء من الأسباب وإن لم تكن هناك مناسبة عقلية بين السبب، والمسبب كما قدمناه مستوفى في سورة «مريم» فلا مانع من ذلك، والله جل وعلا يقول {وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله} [البقرة: الآية: ١٠٢] .

وأما بالنسبة إلى ثبوت وقوع مثل ذلك بالفعل فلم يقم عليه دليل مقنع. لأن غالب ما يستدل عليه به قائله حكايات لم تثبت عن عدول، ويجوز أن يكون ما وقع منها من جنس

٣١٨١ تفسير القرطبي ٢/ ٤٧.



الشعوذة، والأخذ بالعيون، لا قلب الحقيقة مثلا إلى حقيقة أخرى. وهذا هو الأظهر عندي، والله تعالى أعلم"[٣١٨٢].

المسألة الرابعة: أنواع السحر من حيث تأثيرها على من سُحر بها:

وهذا النوع الثاني من السحر لا يسير على وتيرة واحدة إذ أنه متعدد الأنواع، لكن أنواعه ترتبط وتتلاقى في عدة أمور ومن أنواعه:

١) – سحر الصرف أو سحر التفريق

٢) – سحر العطف – المحبة أو التولة

٣) – سحر التخييل

٤) – سحر المرض

٥) – سحر الجنون

٦) – سحر الهواتف .

أولاً : سحر الصرف (التفريق):

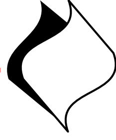
– هو عمل السحر للتفريق بين الزوجين أو لبث البغض والكراهية بين صديقين وشريكين لأسباب معينة وذلك بناء على توصية من قام بالسحر.

قال تعالى: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ} [البقرة: الآية: ١٠٢].

عن جابر بن عبدالله–رضي الله عنه–عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت)) [٣١٨٣].

٣١٨٢ أضواء البيان (تفسير سورة طه: الآية: ٨٩)، ٤/ ٥٨-٥٩.

٣١٨٣ أخرجه مسلم: (٢٨١٣).



قال الإمام بن كثير–رحمه الله–: "وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر ما يخيل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من منظر أو خلق أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة"[٣١٨٤]. بمعنى أن يرى كل منهما ما ينفره من الآخر.

أعراض سحر التفريق :

* تغير الأحوال بشكل فجائي من حب وود لكراهية وبغض .

* تفاقم المشكلات الاجتماعية وكثرة الشكوك بينهما وعدم التماس الأعذار .

* الكراهية المطلقة للأقوال والأفعال الصادرة عن هؤلاء الأشخاص ولأماكن تواجدهم .

* سوء الظن والوسوسة المطلقة بهؤلاء الأشخاص .

* قلب صورة الرجل في عين زوجته وقلب صورة الزوجة في عين زوجها فيرى الرجل زوجته في منظر قبيح والعكس للزوجه.

كيف يحدث سحر التفريق ؟؟ :

– يذهب الرجل إلى الساحر ويطلب منه أن يفرق بين فلان وزوجته، فيطلب منه الساحر أن يعطيه اسم الرجل المراد سحره واسم أمه ثم يطلب منه أثراً من آثاره–شعره – ثوبه – قلنسوته .. فإن لم يستطع عمل له سحراً على ماء مثلاً وأمره أن يسكبه في طريق المراد سحره فإذا تخطاه أصيبب بالسحر أو أن يضعه له على طعام أو شراب.

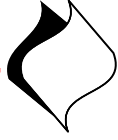
ثانياً: سحر العطف (سحر المحبة):

عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((إن الرقى والتمام والتولة شرك)) [٣١٨٥].

قال ابن الأثير: التولة ما يحبب المرأة الى زوجها من السحر وغيره، وهو عمل وتأثير يسعى الساحر من خلاله للجمع بين المتباغضين والمتنافرين أو الجمع بين الأشخاص عامة لأسباب معينة بناء على توصية من قام بعمل السحر، وجعله من الشرك لاعتقادهم أن ذالك يؤثر ويفعل خلاف ما قدرة الله.

٣١٨٤ تفسير ابن كثير (سورة البقرة الآية: ١٠٢).

٣١٨٥ أخرجه ابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (٣٦١٥) باختلاف يسير.



والمراد بالرقية المعينة في الحديث السابق هي الرقية المحتوية على استعانة بالجن والشياطين وغير ذالك مما يدخل في الشرك؛ أما الرقية بالقرآن أو الأدعية والأذكار المشروعة فهي جائزة بإجماع الفقهاء وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً)) [٣١٨٦].

أعراض سحر المحبة :

* تغير الأحوال بشكل فجائي من كراهية وبغض إلى ود وحب.

* عدم حدوث أية مشاكل اجتماعية مع توفر كافة الأسباب الصغيرة والكبيرة لحدوث مثل تلك المشكلات .

* المحبة المطلقة والشغف الزائد والطاعة العمياء.

* رؤية هؤلاء الأشخاص بأشكال حسنة جميلة محببة للنفس.

– وهذا النوع من السحر له آثار سلبية كثيرة، وفي أغلب الأحيان تكون النتائج عكسية وسلبية بدل أن يسبب توافق ومحبة، يسبب نفور وكره، أو أمراض وأعراض لا تحمد عقباها.

ثالثاً: سحر التخيل:

– هو عمل وتأثير يسعى الساحر من خلاله إلى قلب الحقائق فيرى المسحور الشيء على غير حقيقته .

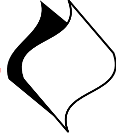
فيحضر الساحر شيء يعرفه الناس، ثم يتلو عزائمه وطلاسمه الشيطانية فيرى الناس الشيء على غير حقيقته .

وهذا النوع من السحر قد جاء بنص القرآن الكريم في قوله تعالى : {قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى، قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى} [طه: الآيات: ٦٥-٦٦]

– يأخذ سحر التخيل شكلاً من الأشكال التالية :

* سحر تخيل بشري : كأن يرى محمد بشكل أحمد، أو يرى الثابت متحركاً والمتحرك ثابتاً، أو يرى الطويل قصير وما إلى ذلك

٣١٨٦ أخرجه مسلم (٢٢٠٠).



* سحر تخيل حيواني: كأن يرى القط فأراً .

* سحر تخيل الأمور العينية: كأن يرى الصندوق حجراً.

* سحر التخيل للانتقال من صفة لصفة أخرى مضادة: كأن يرى الحبل ثعباناً وما شابه ذلك.

سحر تخيل إيحائي: كأن يرى الشخص وكأنه يأكل ناراً أو يطعن نفسه بخنجر أو يُدخل سيفاً في بطنه ويُخرجه من ظهره أو سماع أصوات تنادي عليه وتكلمه .

- أعراض سحر التخيل :

* قلب الحقائق دائما في نظر المسحور، مما يؤدي في بعض الأحيان لإعتقاد الآخرين بإصابة الشخص بالجنون مما يترتب عليه انعزال الشخص على نفسه .

* الشرود والنظرات غير الطبيعية .

* كثيراً ما يلاحظ الدهشة والإستغراب في نظرات المسحور وهذا أمر طبيعي لما يراه المسحور من قلب الحقائق والأمور.

- كيف يحدث سحر التخييل ؟..:

يقوم الساحر بإحضار شيء يعرفه الناس ثم يقول عزيمتة الشركية وطلاسمة الكفرية ويستعين بالشياطين فيرى الناس الشيء على غير حقيقته.

رابعاً : سحر المرض :

هو عمل وتأثير لإصابة الشخص بالآلام والأسقام، فتراه طريح الفراش عليل البدن.

وجاءت الإشارة لهذا النوع في قوله تعالى: {وأذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصيب وعذاب* أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب} [ص: الآيات:٤١:٤٢].

قد يأخذ " سحر الآلام والأسقام "شكلاً من الأشكال الآتية:

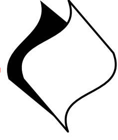
* سحر التشنجات العصبية .

* سحر الأمراض العضوية .

* سحر تعطل الحواس .

* سحر الشلل .

* سحر الخمول



* سحر الاستحاضة (نزيف) ويصيب هذا النوع المرأة .

أعراض سحر المرض بشكل عام :

* الشرود الذهني، واعتزال الآخرين والإنطواء الكامل والكراهية لمن حوله.

* تعطل بعض أعضاء الجسم عن العمل أو الشلل أو فقدان بعض الحواس لوظائفها الطبيعية .

* الضعف العام وعدم القدرة على القيام بالأعمال الدورية .

خامسًا: سحر الجنون:

هو عمل وتأثير لإحداث إضطربات نفسية وعصبية تؤثر تأثيراً مباشراً على المسحور فيظهر وكأنه قد أصيب بالجنون، حيث لا يستطيع التفكير أو التركيز أو التمييز ويتصرف دون وعي وإدراك.

- كيف يحدث سحر الجنون ؟:

يقوم الجني الموكل بالسحر بالدخول في الشخص المسحور والتمركز في مخه - كما كلفه الساحر- ثم يقوم بالضغط على خلايا المخ الخاصة بالتفكير والتذكر أو بالتصرف فيها بأمور يعلمها الله، عند ذالك تظهر الأعراض على الإنسان المسحور.

سادسًا: سحر الهواتف:

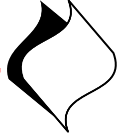
- كيف يحدث سحر الهواتف ؟:

يرسل الساحر جنياً ويكلفه بأن يشغل هذا الإنسان في المنام واليقظة فيتمثل له الجني في المنام بالحيوانات المفترسة التي تنقض عليه وتنادية في اليقظة ربما بأصوات أناس يعرفهم المريض أو بأصوات غريبة ثم يشككه في القريب والبعيد وتختلف الأعراض حسب قوة الساحر وضعفه , فربما زادت الأعراض حتى وصلت إلى الجنون وربما ضعفت حتى لا تعدو الوسوسة .

- أعراض سحر الهواتف :

١- الأحلام المزعجة .

٢- يرى في منامه كأن منادياً يناديه .



٣- يسمع أصوات تخاطبه في اليقظة ولا يرى اشخاصاً .

٤- كثرة الوساوس .

٥- كثرة الشكوك .

٦- يرى في منامه كأنه يسقط من مكان عال .

٧- يرى حيوانات تطارده في المنام.

المسألة الخامسة: حكم الساحر.

قال الإمام مالك-رحمه الله تعالى-: "الساحر الذي يعمل السحر، ولم يعمل ذلك له غيرُه، هو مِثْل الذي قال الله -تبارك وتعالى-في كتابه: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} [البقرة: الآية: ١٠٢]، فأرى أن يُقتَل إذا عمل ذلك هو نفسه؛ اهـ[٣١٨٧].

قال ابن قدامة - رحمه الله تعالى -: "وحَدُّ الساحر القتل، رُوِيَ ذلك عن عمر، وعثمان بن عفان، وابن عمر، وحفصة، وجُندُب بن عبدالله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبدالعزيز، وهو قول أبي حنيفة، ومالك"[٣١٨٨].

قال القرطبي-رحمه الله تعالى-: "اختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم والذمي، فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كُفرًا، يُقتَل ولا يُسْتَتَابُ، ولا تُقبَل توبته؛ لأنه أمر يستسِرُّ به؛ كالزنديق، والزاني، ولأن الله تعالى سمى السحر كفرًا بقوله: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} [البقرة: الآية: ١٠٢].

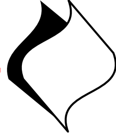
وهو قول أحمد بن حنبل، وأبي ثور، وإسحاق، والشافعي، وأبي حنيفة"[٣١٨٩].

وقال ابن المنذر-رحمه الله تعالى-: ، وكذلك لو ثبتت به عليه بيّنةٌ، ووصفَتِ البينةُ كلامًا يكون كُفرًا.

٣١٨٧ الموطأ ٦٢٨.

٣١٨٨ المغني لابن قدامة ١٠/ ١١٦.

٣١٨٩ تفسير القرطبي ٢/ ٤٧.



وإن كان الكلام الذي ذَكَر أنه سَحَر به ليس بكفرٍ، لم يجُزْ قتله، فإن كان أحدث في المسحور جنايةً تُوجِبُ القصاصَ، اقتُصَّ منه، إن كان عمد ذلك، وإن كان مما لا قصاص فيه، ففيه دية ذلك"[٣١٩٠].

المسألة السادسة: كيفية الوقاية من السحر.

الوقاية من السحر تكون بأمور قبل وقوع السحر وبأمور بعد وقوعه.

أما الأمور القبلية فمنها:

أولًا: تحقيق التوحيد الخالص لله تعالى:

فإذًا حقق العبد التوحيد عرف أن كل شيء بأمر الله، فلا يقع أمر، ولا يحل خير، ولا يرتفع شر إلا بأمره سبحانه وتعالى، وهذا يجعل العبد يدعوه سبحانه في كل نائبة. قال تعالى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.

ثانيًا: الاعتصام بالكتاب والسنة.

ثالثًا: تقوى الله عز وجل والإنابة إليه، ولزوم الطاعات وترك المعاصي.

رابعًا: التوبة النصوح والتخلص من الآثام.

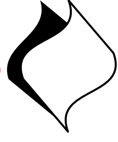
خامسًا: المحافظة على الأذكار والرقى الشرعية التي تكون بآيات من كتاب الله سبحانه وتعالى، أو بأدعية مأثورة من السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وبالأخص قراءة بعض السور والآيات والأذكار الطاردة للشياطين

سادسًا: تطهير البيت من التصاوير والتماثيل: حيث إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل وصور.

المسألة السابعة: بيان حكم النشرة وصورها.

والنشرة في اللغة: التفريق.

٣١٩٠ نقلاً عن تفسير القرطبي ٢/ ٤٨.



وشرعًا: قال ابن القيم: "النُّشْرَة: حلُّ السحر عن المسحور"[3191].

حكمها:

قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: "رجل به طب، أو يُؤخَذ عن امرأته – أيُحَلُّ عنه أو يُنشَر؟

قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع، فلم يُنْهَ عنه"[3192].

قال القرطبي – رحمه الله تعالى –: "واختلفوا هل يُسأَلُ الساحرُ حَلَّ السحر عن المسحور؟

فأجازه سعيد بن المسيب، على ما ذكره البخاري، وإليه مال المزَني، وقال الشعبي: لا بأس بالنُّشْرة العربية،

وكرهه الحسن البصري"[3193].

قال ابن قدامة–رحمه الله تعالى–: "أما من يَحُلُّ السحر؛ فإن كان بشيء من القرآن، أو بشيء من الذكر والإقسام، أو الكلام الذي لا بأس به، فلا بأس به،

وإن كان بشيء من السحر، فقد توقف أحمد بن حنبل عنه"[3194].

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى –: "ويجاب عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((النُّشْرة من عمل الشيطان)) [3195]. بأنه إشارة إلى أصلها، فمن قصد بها خيرًا، كان خيرًا، وإلا فهو شر. قال: ولكن يحتمل أن تكون النُّشْرة نوعين"[3196].

٣١٩١ إعلام الموقعين ٤/ ٣٩٦.

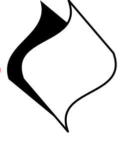
٣١٩٢ أخرجه البخاري معلقًا فتح الباري ١٠/ ٢٣٢.

٣١٩٣ تفسير القرطبي ٢/ ٤٩.

٣١٩٤ المغني ١٠/ ١١٤..

٣١٩٥ رواه أحمد (٣/ ٢٩٤) وأبو داود (٣٨٦٨)، وحسَّنَ الحافظ إسنادَه في الفتح ١٠/ ٢٣٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

٣١٩٦ فتح الباري ١٠/ ٢٣٣.



وهذا هو الصواب؛ فإن النشرة نوعان:

قال ابن القيم–رحمه الله تعالى–: "النُّشْرَة: حلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان:

- أحدهما: حلٌّ بسحرٍ مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمَل قولُ الحسن البصري، فيتقرَّب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.
- والثاني: النُّشْرة بالرقية، والتعوُّذات، والدعوات المباحة، فهذا جائز"[٣١٩٧].

وأجيب عن الأثر الوارد عن سعيد بن المسيب بالآتي:

هذا الأثر في «البُخَارِيِّ» مُعَلَّقًا، فالبخاري رحمه الله لَمْ يصل هذا الأثر، ولَمْ يَرْوِهِ بإسناده؛ لأنه ليس على شرطه، وفي هذا تلبيس مِن بعض الناس عندما يذكر حديث ابن المسَيَّب، يقول هذا في «صَحِيح البُخَارِيّ»، والصواب أنه في «صَحِيح البُخَارِيّ» لكنْ أورده البخاري مُعَلَّقًا. وليس مرفوعا ولا موصولا.

هذا الأثر ممَّا استدل به مَن قال بجواز حَلِّ السِّحْر بالسِّحْر. وليس له في هذا الأثر مُتَمَسَّك.

أَوَّلًا: أنَّ الأثر على فَرْض صحته هو رأي لابن المسَيَّبِ رحمه الله، وعندنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا كُنَّا لَا نُقَدِّم على قول النبي صلى الله عليه وسلم قول كبار الصحابة. فهذا اجتهاد مِن هذا التابعي رضي الله عنه.

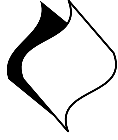
ثانيًا: أنَّ كلام ابن المسَيَّب كلام مجمل والمفترض والواجب أنْ نحمل هذا الكلام على عموم النصوص الأخرى، بأنَّ ابن المسَيَّبِ رحمه الله يرى ما يراه جمهور أهل العِلْم وبما يتفق مع عموم الأدلَّة أنَّ حَلَّ السِّحْر بِسِحْر مثله لا يجوز. وإنَّما أراد أنه يمكن أنْ يعالج هذا بأنواع الطِّب لكنْ بشرط ألّا يكون بِسِحْر آخر أو بأمر مُحَرَّم.

وكذلك يقال فيما رُوِيَ عن الحَسَنِ أنه قال: لا يَحِلُّ السِّحْرَ إلّا ساحر.

ثالثًا: إن الله سبحانه وتعالى يقول: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: الآية: ٦٩].

يقول الشيخ الشِّنْقِيطِي: هذا نَفْي عام أنه لا يمكن أنْ يُكتب له الفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة. ثُمَّ يُلتمس منه العافية لهذا المسحور؟!

٣١٩٧ إعلام الموقعين ٤/ ٣٩٦.



الأَمْر الرَّابِع فِي الردِ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أجازوا حل السحر بسحر مثله: يقال: إنه لو كان جائزا، لو كان حَلّ السِّحْر بِسِحْر مثله جائزا لجاز تَعَلُّم السِّحْر؛ لأجْل أنْ نَحُلَّ به عن هذا المسحور ولَم يقل بهذا أحد مِنْ أهل العِلْم.

الأَمْر الخامس: أنَّ إتيان هؤلاء السَّحَرَة فيه إعانة لهم على باطلهم وعلى جُرْمهم وعلى شِرْكهم وعلى كُفْرهم. والله عَزَّ وجَلَّ يقول: {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.

أَيْضًا من الوجوهِ: أنَّ فيه مساعدة على نَشْر شرهم، وذلك أنَّ العامَّة يغترون بواقعهم فيأتي الشخص الذي ليس به حاجة إليهم؛ لأنه رأى هذا ذهب إليه مسحورا فانحل السِّحْر عنه، وشُفي عنه، فيغتر الآخرون به.

الأَمْر الَّذِي يلي هَذَا: أنَّ الساحر غالبا –وهذا مُجَرَّب ووَاقِع– أنَّ الساحر لا يَحِلُّ السِّحْر عن المسحور إلّا بأنْ يطلب مِن المسحور عملًا أو قولًا، هذا العمل وهذا القول ما هو إلّا كُفْر وشِرْك، يطلب منه أحيانا الاستهانة بكلام الله عَزَّ وجَلَّ، فيعطيه ورقات مِن المصحف مِن كلام الله ويأمره بأنْ يضعه في الحُش، يأمره بالسجود لغير الله عَزَّ وجَلَّ، يأمره بِذَبْح نسيكة –ذبيحة– حتى ولو دجاجة، أو أرنب، ويعطيه أسماء وتمتمات لا يفقه هذا المسكين منها شيئًا وما هي إلّا استعانة بأسماء الجن والشياطين. فأوقعه في الشرك والكفر مِنْ حيث لا يعلم.

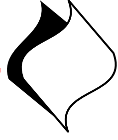
الأَمْر الأخير: أنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لَم يجعل شفاء أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم فيما حَرَّمَ عليها

قال ابن القيم: "ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هي أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية

ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار، والآيات، والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشد، كانت أبلغ في النشرة"[٣١٩٨].

قال ابن القيم–رحمه الله–: "فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء

٣١٩٨ زاد المعاد ٤/ ١٢٦.



أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام ربِّ الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها؟ فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه القرآن فلا كفاه الله"[٣١٩٩].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١) أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته.

٢) أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

٣) أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى"[٣٢٠٠].

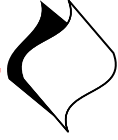
[من آداب أصحاب الحديث].

قال المصنف–رحمه الله–: "ويحرم أصحاب الحديث المسكر من الأشربة، المتخذ من العنب أو الزبيب، أو التمر، أو العسل، أو الذرة، أو غير ذلك مما يسكر، يحرمون قليله وكثيره، وينجسونه، ويوجبون به الحد.

ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات، وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى أواخر الأوقات. ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام. ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتمًا واجبًا، ويعدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما، والارتفاع من الركوع، والانتصاب منه، والطمأنينة فيه، وكذلك الارتفاع من السجود، والجلوس بين السجدتين، مطمئنين فيه – من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها. ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل

٣١٩٩ زاد المعاد (٤/ ٣٥٢).

٣٢٠٠ فتح الباري (١٠/ ١٩٥).



والمشرب، والمنكح، والملبس، والسعي في الخيرات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع واتقاء سوء عاقبة الطمع، ويتواصون بالحق والصبر.

ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه، ويتقون الجدال في الله والخصومات فيه، ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويقتدون بالسلف الصالحين،] من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين، من الدين المتين والحق المبين. ويبغضون أهل البدع، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم، التي إذا مرت بالآذان، وقرت في القلوب ضرت، وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

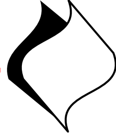
الشرح:

أولًا: أهمية التمسك بآداب الإسلام.

سياق المصنف لجملة الآداب في هذا المصنف يقرره غير واحد من العلماء:

قال ابن تيمية-رحمه الله-في بيان حقيقة العلم الشرعي: "إن الأحكام الشرعية ليست مقصورة على كتب الفقهاء فروعًا وأصولًا، بل ذلك فرع يسير من الأحكام الشرعية بل العلم الأصلي هو العلم الذي بُعِث به الرسل وأُنزل به الكتب؛ وهو:

-علم الإيمان، وعلم أحوال القلوب وما تزكوا به من الخشية والإنابة والتوكل والرضى والصبر واليقين والمحبة والزهد في الدنيا وطلب الآخرة والحب في الله والبغض في الله ومحبة الله وكتابه ورسوله والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين والإخلاص والصدق والشكر لله دائمًا.



-وعلم شروط الأعمال وما يصححها ويفسدها مما يتعلق بالقلوب: من الرياء والعجب والغفلة عن معانيها، وغير ذلك مما هو مبسوط في غير هذا الموضع؛ ومن ذلك: معرفة النفس وشرورها ودسائسها: من الشِّرَة والحرص والحسد والغضب والكبر والبخل وحب الدنيا وحب التعظيم وحب الرياسة؛ ومعرفة الشيطان وكيده ومداخل غروره؛ ومعرفة موازين الأعمال وما الذي ينبغي أن يبدأ به وأيها الذي يرجح على صاحبه عند الله محبة ومنزلة ومراعات موقع نظر الرب وإهمال موقع نظر الخلق؛ ومعرفة حقوق الخلق مثل الوالدين وذوي الأرحام والأئمة من أهل العدل والإنصاف والعلماء العاملين والصلحاء المقتدين والمشايخ المهتدين والجيران وعامة المؤمنين وما الذي يجب لكل منهم من الحق؛ ومعرفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيفيته وصفته.

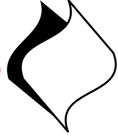
فهذا هو العلم المطلوب من الخلق معرفته:

وهو أصل التوحيد الذي ما أنزل الله كتابًا ولا أرسل رسولًا إلا به، ودعوة الرسل كلهم إليه، وسائر العلوم وسيلة إليه. وبعد ذلك معرفة أحكام الشريعة وأمور الدين. وبعد هذا كله علم الفروع المعروف عن الرسول وعن أصحابه، الأهم منه فالأهم " . انتهى [٣٢٠١]

قال ابن رجب الحنبلي في معرض كلامه عن حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-: أن رجلا سأل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: أي الاسلام خير؟ قال: ((تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)). [٣٢٠٢] قال: "وجمع في الحديث بين إطعام الطعام، وإفشاء السلام؛ لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل، وهو أكمل الإحسان، وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن أتى بفرائض الإسلام ثم ارتقى إلى درجة الإحسان إلى الناس كان خيرا ممن لم يرتق إلى هذه الدرجة وأفضل-أيضا-، وليس المراد أن من اقتصر على هذه الدرجة فهو خير من غيره مطلقًا، ولا أن إطعام

٣٢٠١ انظر: رسالة فضائل الأئمة الأربعة، فصل في اشتراط حفظ القرآن للمجتهد (ص: ١٧ / ١٨).

٣٢٠٢ رواه البخاري (٢٨)، ومسلم (٣٩).



الطعام ولين الكلام خير من أركان الإسلام ومبانيه الخمس، فإن إطعام الطعام والسلام لا يكونان من الإسلام إلا بالنسبة إلى من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر". [٣٢٠٣]

ثانيًا: شرح قول المصنف:

"ويحرم أصحاب الحديث المسكر من الأشربة، المتخذ من العنب أو الزبيب، أو التمر، أو العسل، أو الذرة، أو غير ذلك مما يسكر، يحرمون قليله وكثيره، وينجسونه، ويوجبون به الحد".

الخمر: ما خامر العقل؛ أي: غطاه، على سبيل اللذة والطرب.

وهو محرم بنص كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله، وإجماع المسلمين. قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُنتَهُونَ} [المائدة: الآيتان: ٩١ ،٩٠]، وقال–صلى الله عليه وسلم–: ((كُلَّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَا أَسْكَرَ الْفَرْقُ، فَمِلْءُ الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ)). [٣٢٠٤]

وقال–صلى الله عليه وسلم–: ((كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلَّ خَمْرٍ حَرَامٌ)). [٣٢٠٥]

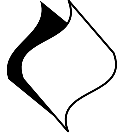
فالشريعة تصون العقول والأبدان، وتمنع ما يفسدها ويضرها، فلا يجوز تعاطي الخمر أيًّا كان مصدره؛ من العنب أو الزبيب أو التمر أو العسل أو الذرة أو غير ذلك. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ يّه، عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ–صلى الله عليه وسلم–، يَقُولُ: ((أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، وَهْيَ مِنْ خَمْسَةٍ؛ مِنْ: العِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالعَسَلِ وَالحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ. وَالخَمْرُ مَا خَامَرَ العَقْلَ)). [٣٢٠٦]

٣٢٠٣ فتح الباري لابن رجب الحنبلي (١/ ٤٣).

٣٢٠٤ أخرجه أحمد رقم (٢٤٩٩٢)، وأبو داود رقم (٣٦٨٧)، والترمذي رقم (١٨٦٦).

٣٢٠٥ أخرجه مسلم رقم (٢٠٠٣).

٣٢٠٦ أخرجه البخاري (٤٦١٩)، مسلم رقم (٣٠٣٢).



وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا)) ٣٢٠٧

وأما ما ذكر عن بعض الفقهاء في الترخيص في شرب النبيذ فقد رد العلماء قول هذا الفريق، فعن سليمان التيمي قال: "لو أخذتَ برخصة كل عالِمٍ اجتمع فيك الشرّ كله"٣٢٠٨.

وقد ورد عن الأوزاعي أنه قال: "لا نأخذ من قول أهل العراق خصلتين، ولا من قول أهل مكة خصلتين، ولا من قول أهل المدينة خصلتين، ولا من قول أهل الشام خصلتين:

فأما أهل العراق فتأخير السحور وشرب النبيذ،

وأما أهل مكة فالمتعة والصرف،

وأما أهل المدينة فإتيان النساء في أدبارهن والسماع،

وأما أهل الشام فبيع العصير وأخذ الديون قال: وهذان الأمران قد ذهبا. أما بيع العصير فليس في الشام اليوم عالم يبيحه، وأما الديون فقد منعهموه السلطان"٣٢٠٩.

وقال ابن تيمية: "كَانَ الْأَوْزَاعِيّ يَقُول من أَخذ يَقُول أهل الْكُوفَة فِي النَّبِيذ وَبقول أهل مَكَّة فِي الْمُتْعَة وَالصرْف وَيَقُول أهل الْمَدِينَة فِي الْغناء أَو قَالَ الحشوش والغناء فقد جمع الشَّرّ كُله أَو كلَاما هَذَا مَعْنَاهُ"٣٢١٠.

وقال الأوزاعي: "من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام"٣٢١١.

وقوله أيضاً: "يُترك من قول أهل مكة المتعة والصرف، ومن قول أهل المدينة السماع وإتيان النساء في أدبارهن، ومن قول أهل الشام الجبر والطاعة، ومن قول أهل الكوفة النبيذ والسحور"٣٢١٢.

٣٢٠٧ رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

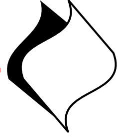
٣٢٠٨ أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٩٢٧) وإسناده صحيح، وانظر المسودة (ص: ٥١٨-٥١٩).

٣٢٠٩ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١/ ٤١.

٣٢١٠ الاستقامة ١/ ٣٧٤.

٣٢١١ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٥٦)، وإسناده حسن.

٣٢١٢ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٥٦) وإسناده ضعيف، وله شواهد ومتابعات، انظر تلخيص الحبير (٣/ ١٨٧).



وعن إسماعيل بن إسحاق القاضي قال: "دخلت على المعتضد فدفع إلي كتاباً نظرت فيه وكان قد جمع له الرخص من زلل العلماء وما احتجّ به كلٌ منهم لنفسه، فقلت له: يا أمير المؤمنين مصنف هذا الكتاب زنديق، فقال: لم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: الأحاديث على ما رويت، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء والمسكر، وما من عالم إلا وله زلة، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه، فأمر المعتضد فأحرق ذلك الكتاب"[٣٢١٣].

وأما الجواب على من قال بأن هذه المسألة من مسائل الخلاف ومسائل الخلاف لا إنكار فيها.

فالجواب على ذلك:

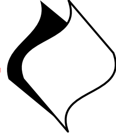
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (قولهم: ومسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم أو العمل،

أما الأول فإن كان القول يخالف سنة أو إجماعاً قديماً وجب إنكاره وفاقاً، وإن لم يكن كذلك فإنه ينكر بمعنى بيان ضعفه عند من يقول: المصيب واحد وهم عامة السلف والفقهاء، وأما العمل إذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره أيضا بحسب درجات الإنكار كما ذكرنا من حديث شارب النبيذ المختلف فيه وكما ينقض حكم الحاكم إذا خالف سنة وإن كان قد اتبع بعض العلماء،

وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيه مساغ فلا ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً، وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد كما اعتقد ذلك طوائف من الناس، والصواب الذي عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد مالم يكن فيها دليل يوجب العمل به وجوباً ظاهراً مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ إذا عدم ذلك الاجتهاد لتعارض الأدلة المقاربة أو لخفاء الأدلة فيها"[٣٢١٤]

٣٢١٣ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٥٦) وإسناده صحيح، وانظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٦٥).

٣٢١٤ بيان الدليل على بطلان التحليل «ص٢١٠-٢١١»، ونقله ابن مفلح في الآداب الشرعية «١ / ١٩١».



وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: "وهذا يرد قول من قال: لا إنكار في المسائل المختلف فيها، وهذا خلاف إجماع الأئمة...–إلى أن قال–: وقولهم: (إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها). ليس بصحيح؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى أو العمل،

أما الأول: فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً وجب إنكاره اتفاقاً وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله، وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار، وكيف يقول فقيه: لا إنكار في المسائل المختلف فيها، والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء.

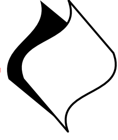
وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً، وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم"[٣٢١٥].

ثالثًا: شرح قول المصنف:

"ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات، وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى أواخر الأوقات. ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام".

الشرح:

٣٢١٥ إعلام الموقعين «٥/ ٢٤٢-٢٤٣». وبنحو قولهما قال السمعاني في «قواطع الأدلة ٥ / ٦٢»، والنووي في «شرح مسلم ٢ / ٢٣».



المسارعة إلى الخيرات من صفات الأنبياء؛ كما قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} [الأنبياء: الآية: ٩٠]، ومن صفات أتباع الأنبياء؛ كما قال: {أُولَٰئِكَ يُسَرِعُونَ فِي الخَيْرَتِ وَهُمْ لَهَا سَبِقُونَ} [المؤمنون: ٦١].

والصلاة أفضل الخيرات، وأشرف العبادات، فتنبغي المسارعة في أدائها في أول أوقاتها؛ لقول النبي–صلى الله عليه وسلم–حين سئل: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا)). (١)، إلا صلاة العشاء، فالسنة تأخيرها حتى يمضي ثلث الليل الأول، ما لم يترتب على ذلك مشقة أو نوم، أو تشاغل .

فالصلاة جماعة مع المسلمين في بيوت الله من أهم الفرائض، وهي من شعائر الإسلام، الواجب على كل مكلف أن يعتني بها، وأن يبادر ويسارع إلى إقامة الصلاة في الجماعة مع المسلمين، وأن يتباعد عن مشابهة أهل النفاق.

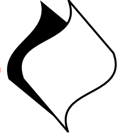
قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها–يعني الصلاة في الجماعة–إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل–يعني من الصحابة–يؤتى به يهادى بين الرجلين–يعني المريض أو كبير السن–حتى يقام في الصف" من شدة حرصهم على أداء الصلاة مع الجماعة.

ويقول النبي ﷺ : ((من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر)) [٣٢١٦] قيل لابن عباس رضي الله عنهما: ما هو العذر؟ قال: ((خوف أو مرض)).

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه أتاه رجل أعمى وقال يا رسول الله ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ ((هل تسمع النداء إلى الصلاة؟)) فقال: نعم. قال: ((فأجب))[٣٢١٧] رواه مسلم في صحيحه.

٣٢١٦ رواه ابن ماجه في (المساجد والجماعات) باب التغليظ في التخلف عن الجماعة برقم (٧٩٣).

٣٢١٧ رواه مسلم في (المساجد ومواضع الصلاة) باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء برقم (٦٥٣)، والنسائي في (الإمامة) باب المحافظة على الصلوات حيث ينادى بهن برقم (٨٥٠).



وفي رواية أخرى عند غير الإمام مسلم: ((لا أجد لك رخصة[3218])).

تأخير الصلاة عن وقتها على نوعين:

النوع الأول: تأخيرها لعذر شرعي.

النوع الثاني: تأخيرها لغير عذر شرعي.

أما النوع الأول: وهو تأخيرها عن وقتها لعذر شـرعي فالفقهاء متَّفقون على أنَّ من أخَّر الصّـلاة فخرج وقتها لعذرٍ لا إثم عليه، وذلك مثل: النِّسـيان لقول النَّبيّ عليه الصَّـلاة والسَّـلام: ((رُفِعَ عن أُمَّتِي الخطَأ، والنِّسـيان، وما اسْـتُكرِهُوا عليْه))،[3219] أو النَّوم؛ لِما رُوِي أنَّ بعض الصّـحابة رضـي الله عنهم: (ذكروا تفريطَهم في النّومِ، فناموا حتّى طلعتِ الشّـمسُ، فقال رسـولُ اللهِ صـلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ: ليس في النّومِ تفريطٌ، إنَّما التفريطُ في اليقظةِ، فإذا نسـيَ أحدُكم صـلاةً أو نام عنها فلْيُصـلِّها إذا ذكرَها، ولوقتِها من الغدِ)[3220]، فلا خِلاف على أنَّ تأخير الصّلاة عن وقتها لعُذرَي النّسيان أو النّوم لا إثم فيه.[3221]

وقد اختُلِف في تأخير الصّـلاة عن وقتها للسّـفر والمطر؛ أي تأخير الظُّهر لتُصـلّى مع العصـر، وتأخير المغرب لتُصـلّى مع العشـاء جمع تأخيرٍ في حال السَّـفر والمطر، فهذان عُذران يُجيزان تأخير الصّـلاة عن وقتها عند جمهور الفُقهاء.

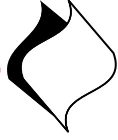
فعن ابن عباس –رضـي الله عنهما–عن النبي –صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم– (كان في السـفر إذا زاغت الشـمس في منزله جمع بين الظهر والعصـر قبل أن يركب، فإذا لم تزغ له في منزله، سـار حتّى إذا حانت

٣٢١٨ رواه أبو داود في (الصـلاة) باب التشـديد في ترك الجماعة برقم (٥٥٢)، وابن ماجه في (المسـاجد والجماعات) باب التغليظ في التخلف عن الجماعة برقم (٧٩٢).

٣٢١٩ انظر المحلى لابن حزم، ٥/١٩٣. صحيح.

٣٢٢٠ رواه الترمذي انظر صـحيح الترمذي:(١٧٧) وقال الألباني صـحيح؛ ورواه ابن ماجة، انظر: صـحيح ابن ماجة، عن أبي قتادة، (٥٧٨) وقال الألباني: صحيح.

٣٢٢١ المصدر: الموسوعة الفقهية الكويتية (الطبعة الثانية)، الكويت: دار السلاسل، ٧/ ١٨٦-١٨٧، بتصرّف.



العصر نزل فجمع بين الظهر والعصر، وإذا حانت له المغرب في منزله جمع بينها وبين العشاء، وإذا لم تحن في منزله ركب حتى إذا كانت العشاء نزل فجمع بينهما)[3222]

قال الشوكاني بعد نقله الرواية عن مسند أحمد: ورواه الشافعي في مسنده بنحوه وقال فيه: وإذا سار قبل أن تزول الشمس أخّر الظهر حتّى يجمع بينها وبين العصر في وقت العصر[3223].

مسألة: تأخير الصَّلاة إلى آخر وقتها

تأخير الصَّلاة إلى آخر وقتها هو ألّا تُصلّى الصَّلاة في أوّل وقتها بل في آخره، قبل انقضاء وقت الصَّلاة بزمنٍ يسيرٍ، وتأخير الصَّلاة إلى آخر وقتها إن كان لعُذرٍ –مثل الأعذار التي سبق الحديث عنها– فلا حرَج ولا إثم في تأخيرها، أمَّا إن كان تأخيرها إلى آخر الوقت دون عُذرٍ فهو خِلاف الأولى؛ إذ إنَّ الأصل والأكمل والأفضل أداء الصّلاة على وقتها[3224]؛ لِما للمُسارعة في الخيرات وأداء العبادة من فضلٍ عند

٣٢٢٢ مسند أحمد بن حنبل:٥/٢٤١؛ سنن أبي داود:٢/١٨، كتاب الصلاة، باب الجمع بين الصلاتين، الحديث ١٢٢٠.

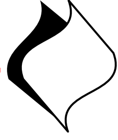
٣٢٢٣ نيل الأوطار:٣/٢١٣.

٣٢٢٤ الصلاة على وقتها في الحضر هو قول أهل السنة وخالف في ذلك كل من:

١– الشيعة الاثنا عشرية؛ فقد اتّفقت الإمامية على أنّه يجوز الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً وإن كان التفريق أفضل.

يقول الطوسي: يجوز الجمع بين الصلاتين، بين الظهر والعصر وبين المغرب وعشاء الآخرة، في السفر والحضر وعلى كلّ حال، ولا فرق بين أن يجمع بينهما في وقت الأولة منهما أو وقت الثانية، لأنّ الوقت مشترك بعد الزوال وبعد المغرب على ما بيّناه .(الخلاف:١/٥٨٨، المسألة ٣٥١).

فقالت الإمامية ـ إنّه إذا زالت الشمس دخل الوقتان ـ أي وقت الظهر والعصر ـ إلاّ أنّ صلاة الظهر يُؤتى بها قبل العصر، وعلى ذلك فالوقت بين الظهر والغروب وقت مشترك بين الصلاتين، غير انّه يختص مقدار أربع ركعات من الزوال بالظهر ومقدار أربع ركعات من الآخر للعصر وما بينهما وقت مشترك، فلو صلّى الظهر والعصر في أي جزء من بين الزوال والغروب فقد أتى بهما في وقتهما، وذلك لأنّ الوقت مشترك بينهما، غير انّه يختص بالظهر مقدار أربع ركعات من أوّل الوقت ولا يصحّ فيه العصر ويختص بالعصر بمقدار أربع ركعات من آخر الوقت ولا يصحّ إتيان الظهر فيه.



الله تعالى، كما جاء في قوله سبحانه: (...فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...)،[سورة البقرة، آية: ١٤٨] وقوله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)،[سورة آل عمران ١٣٣] ولِما كان عليه النَّبيّ -عليه الصَّلاة والسَّلام-وصحابته-رضي الله عنهم-من حرصٍ على أداء الصلّاة على وقتها.[٣٢٢٥]

وأما النوع الثاني: وهو تأخيرها عن وقتها لغير عذر شرعي.

هذا هو واقع المذهب، ولأجل ذلك فالجامع بين الصلاتين في غير الوقت المختص به آت بالفريضة في وقتها فصلاته أداء لا قضاءً .ومع ذلك فلكلّ من الصلاتين . وراء وقت الاجزاء . وقت فضيلة.

فوقت فضيلة الظهر من الزوال إلى بلوغ ظل الشاخص الحادث بعد الانعدام أو بعد الانتهاء مثله، ووقت فضيلة العصر من المثل إلى المثلين عند المشهور.

وبذلك يعلم وقت المغرب والعشاء، فإذا غربت الشمس دخل الوقتان إلى نصف الليل، ويختص المغرب بأوّله بمقدار أدائه والعشاء ب آخره كذلك وما بينهما وقت مشترك، ومع ذلك انّ لكلّ من الصلاتين وقت فضيلة، فوقت فضيلة صلاة المغرب من المغرب إلى ذهاب الشفق وهي الحمرة المغربية، ووقت فضيلة العشاء من ذهاب الشفق إلى ثلث الليل . انظر العروة الوثقى:١٧١، فصل في أوقات اليومية.

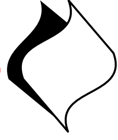
٢- ما ذكر عن الظاهرية وبعض الفقهاء من جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في الحضر من غير عذر من سفر أو مطر أو مرض.

قال ابن رشد: وأمّا الجمع في الحضر لغير عذر فإن مالكاً وأكثر الفقهاء لا يجيزونه، وأجاز ذلك جماعة من أهل الظاهر، وأشهب من أصحاب مالك.

وسبب اختلافهم، اختلافهم في مفهوم حديث ابن عباس، فمنهم من تأوّله على أنّه كان من سفر. ومنهم من أخذ بعمومه مطلقاً، وقد خرّج مسلم زيادة في حديثه وهو قوله: من غير خوف ولا سفر ولا مطر، وبهذا تمسّك أهل الظاهر.بداية المجتهد:٢/٣٧٤، الطبعة المحققّة.

قال النووي: فرع في مذاهبهم من الجمع بلا خوف ولا سفر، ولا مطر ولا مرض، مذهبنا (الشافعي) ومذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد والجمهور انّه لا يجوز، وحكى ابن المنذر عن طائفة جوازه بلا سبب، قال: وجوّزه ابن سيرين لحاجة أو ما لم يتّخذه عادة .المجموع:٤/٢٦٤.

٣٢٢٥ "حكم تأخير الصلاة إلى آخر وقتها" لخالد عبد المنعم الرفاعي.



وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: "تارك الصلاة عمدًا لا يشرع له قضاؤها، ولا تصحُّ منه، بل يكثر من التطوُّع، وكذا الصوم، وهو قول طائفة من السَّلف؛ كأبي عبد الرحمن صاحب الشافعي، وداود وأتباعه، وليس في الأدلة ما يُخالف هذا بل يوافقه[3226]."

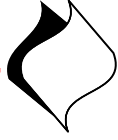
قال ابن القيِّم رحمه الله في مقرِّرًا لهذه المسألة: "ما وقته أوسع من فعله كالصلاة فِعْلُه في وَقْته شرطٌ في كَوْنه عبادة مأمورًا بها، فإنَّه إنَّما أمر به على هذه الصِّفة، فلا تكون عبادة على غيرها... فما أَمَر الله به في الوقت، فتَرْكُه المأمورَ حتَّى فات وقته لم يُمكن فعله بعدَ الوقت شرعًا؛ ولهذا لا يُمكن فعل الجُمُعة بعد خروج وَقْتها، ولا الوقوف بعرفة بعد وقته... ولا مشروع إلاَّ ما شرعه الله ورسوله، وهو سبحانه ما شرع فِعْلَ الصلاة والصِّيام والحج إلاَّ في أوقات مُختصة به، فإذا فاتت تلك الأوقات لم تكن مشروعة، ولم يشرع الله سبحانه فعل الجمعة يوم السبت، ولا الوقوف بعرفة في اليوم العاشر، ولا الحج في غير أشهره.

ومن أخَّر صلاة النهار، فصلاَّها بالليل أو صلاة الليل، فصلاَّها بالنَّهار، فهذا الذي فعله غير الذي أمر به وغير ما شرعه الله ورسوله، فلا يكون صحيحًا ولا مقبولاً...

والله سبحانه قد جعل لكلِّ صلاة وقتًا محدودَ الأول والآخر، ولم يأذن في فعلها قبل دخول وقتها، ولا بعد خُرُوج وقتها، والمفعول قبل الوقت وبعده أمرٌ غير المشروع، فلو كان الوقت ليس شرطًا في صِحَّتها، لكان لا فرق في الصِّحة بين فعلها قبل الوقت وبعده؛ لأنَّ كلتا الصَّلاتين صلاَّها في غير وقتها، فكيف قبلت من هذا المفرِّط بالتفويت، ولم تقبل من المفرط بالتعجيل؟!

وقد أمر الله سبحانه المسلمين حال مواجهة عدوِّهم أن يصلوا صلاةَ الخوف، فيقصروا من أركانها، ويفعلوا فيها الأفعالَ الكثيرة، ويستدبروا فيها القبلة، ويسلمون قبل الإمام، بل يصلُّون رجالاً وركبانًا، حتَّى لو لم يُمكنهم إلا الإيماء، أتَوا بها على دوابِّهم إلى غير القبلة في وقتها، ولو قبلت منهم في غير وقتها وصحَّت، لجاز لهم تأخيرها إلى وقت الأمن وإمكان الإتيان بها، وهذا يدل على أنَّها بعد خروج وقتها لا تكون جائزة ولا مقبولة منهم مع العُذر الذي أصابهم في سبيله وجهاد أعدائه، فكيف تقبل من صحيحٍ مقيمٍ لا عذر له الْبَتَّةَ وهو يسمع داعيَ الله جهرة، فيدعها حتى يخرج وقتها، ثم يصليها في غير الوقت؟! وكذلك لم يفسح في تأخيرها عن وقتها للمريض، بل أمره أنْ يصلي على جنبه بغير قيام ولا ركوع ولا سجود إذا عَجَز عن ذلك، ولو كانت تقبل منه وتصح في غير وقتها، لجاز تأخيرها إلى زمن الصِّحَّة.

٣٢٢٦ "الاختيارات" (ص: ٣٤).



فأخبرونا :أيُّ كتابٍ أو سنة أو أثَرٍ عن صاحب نطق بأنَّ من أخر الصلاة وفوَّتَها عن وقتها الذي أمر الله بإيقاعها فيه عمدًا يقبلها الله منه بعد خروج وقتها، وتصح منه، وتبرأ ذمته منها، ويثاب عليها ثواب من أدَّى فريضته؟! هذا والله ما لا سبيلَ لكم إليه البتة، حتَّى تقوم الساعة ونحن نُوجِد لكم عن أصحاب رسول الله مثل ما قلناه وخلاف قولكم.

فصل في قول أبي بكر الصديق الذي لم يُعلَم أن أحدًا من الصحابة أنكره عليه؛ قال عبدالله بن المبارك: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن زيد: أن أبا بكر قال لعمر بن الخطاب: إنِّي موصيك بوصية إنْ حفظتها: إنَّ لله حقًّا بالنهار لا يقبله باللَّيل، وحقًّا بالليل لا يقبله بالنَّهار... فهذا أبو بكر قال: إنَّ الله لا يقبل عَمَل النهار بالليل، ولا عمل الليل بالنَّهار، ومن يُخالفنا بهذه المسألة يقولون بخلاف هذا صريحًا، وأنَّه يقبل صلاةَ العشاءِ الآخرة وقت الهاجرة، ويقبل صلاةَ العصر نصف النَّهار... فهذا قول أبي بكر، وعمر، وابنه عبدالله، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن مسعود، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وبديل العقيلي، ومحمد بن سيرين، ومطرف بن عبدالله، وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم وغيره"[٣٢٢٧].

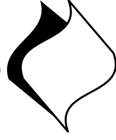
وقال ابن حزم: "من تعمَّد ترك الصَّلاة حتى خرج وقتها، فهذا لا يقدر على قضائها أبدًا، فليكثر من فعل الخير وصلاة التطوُّع؛ ليثقل ميزانه يوم القيامة، ولْيَتُب وليستغفر الله -عز وجل-."[٣٢٢٨]

وقال ابن رجب: "المعذور إنَّما أمره بالقضاء؛ لأنَّه جعل قضاءه كفَّارة له، والعامد ليس القضاء كفَّارة له؛ فإنه عاصٍ تلزمه التوبة من ذنبه بالاتِّفاق... والعامد لم يأتِ نصٌّ بأن القضاء كفَّارة له، بل ولا يدل عليه النظر؛ لأنَّه عاصٍ آثم يَحتاج إلى توبة، كقاتل العمد، وحالف اليمين الغموس... وقد نص الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: على أن المصلي لغير الوقت كالتارك للصلاة في استتابته وقتله، فكيف يؤمر بفعل صلاة حكمها حكم ترك الصلاة؟... ولا يُعرف عن أحد من الصَّحابة في وجوب القضاء على العامد شيء، بل ولم أجد صريحًا عن التابعين-أيضًا-فيه شيئًا، إلا عن النخعي، وقد وردت آثارٌ كثيرة عن السَّلف في تارك الصلاة عمدًا أنَّه لا تقبل منه صلاة، كما رُوي عن الصديق -رضي الله عنه-."[٣٢٢٩]

٣٢٢٧ كتاب الصَّلاة وحكم تاركها (ص: ٧٣ - ٨٠).

٣٢٢٨ "المحلى" (٢/٢٣٥).

٣٢٢٩ "فتح الباري" (٥/١٣٣-١٣٩).



وقد جرى المؤلف على مذهب إمامه الشافعي–حمه الله–في وجوب قراءة الفاتحة على كل مصلٍّ؛ إمامًا كان أو مأمومًا أو منفردًا، في كل صلاة؛ فرضًا كانت أو نفلًا، سريةً كانت أو جهرية، في كل ركعة من ركعات الصلاة. وهو الراجح من الأقوال؛ لعموم قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)). [٣٢٣٠] والخلاف في هذه المسألة مشهور مبسوط في كتب الفروع.

رابعًا: شرح قول المصنف–رحمه الله–:

"ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتمًا واجبًا، ويعدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما، والارتفاع من الركوع، والانتصاب منه، والطمأنينة فيه، وكذلك الارتفاع من السجود، والجلوس بين السجدتين، مطمئنين فيه – من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها.

الشرح:

الطمأنينة ركن من أركان الصلاة، لا تصح الصلاة إلا بتحقيقها في جميع أجزاء الصلاة؛ وهذا مذهب الشافعية [٣٢٣١]، والحنابلة [٣٢٣٢]، وقول أبي يوسف من الحنفية [٣٢٣٣]، وقول عند المالكية [٣٢٣٤]،

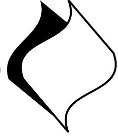
٣٢٣٠ أخرجه البخاري (٧٥٦)، مسلم رقم (٣٩٤).

٣٢٣١ ((المجموع)) للنووي (٣/ ٤١٠).

٣٢٣٢ ((الفروع)) لابن مفلح (٢/ ٢٤٦)، ((كشاف القناع)) للبهوتي (١/ ٣٨٧).

٣٢٣٣ ((فتح القدير)) للكمال ابن الهمام (١/ ٣٠٠)، ((حاشية ابن عابدين)) (١/ ٤٦٤).

٣٢٣٤ ((شرح مختصر خليل)) للخرشي (١/ ٢٧٤)، ((حاشية الصاوي على الشرح الصغير)) (١/ ٣١٦).



وقول داود [٣٢٣٥]، واختاره ابن الهمام[٣٢٣٦] ، وابن عبد البر [٣٢٣٧]، وابن تيمية[٣٢٣٨] ، وابن باز[٣٢٣٩] ، وابن عثيمين[٣٢٤٠] ، وحكي الإجماع على ذلك. [٣٢٤١]

الأدلة من السنة:

١-عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: "إن رجلا دخل المسجد، ورسول الله-صلى الله عليه وسلم- جالس في ناحية المسجد، فصلى ثم جاء فسلم عليه، فقال له رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((وعليك السلام، ارجع فصل؛ فإنك لم تصل))، فرجع فصلى ثم جاء فسلم، فقال: ((وعليك السلام، فارجع فصل؛ فإنك لم تصل))، فقال في الثانية، أو في التي بعدها: علمني يا رسول الله، فقال: ((إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم

٣٢٣٥ قال النووي: "وتجب الطمأنينة في الركوع، والسجود، والاعتدال من الركوع، والجلوس بين السجدتين، وبهذا كله قال مالك وأحمد وداود". ((المجموع)) (٣/ ٤١٠).

٣٢٣٦ ((حاشية ابن عابدين)) (١/ ٤٦٤).

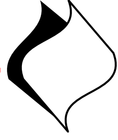
٣٢٣٧ ((الكافي)) (١/ ٢٢٧).

٣٢٣٨ ((مجموع الفتاوى)) (٢٢/ ٦٠١).

٣٢٣٩ ((مجموع فتاوى ابن باز)) (٢٥/ ١٦٣).

٣٢٤٠ ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)) (١٣/ ١٥٩).

٣٢٤١ قال ابن تيمية: (وهذا إجماع الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم كانوا لا يصلون إلا مطمئنين، وإذا رأى بعضهم من لا يطمئن أنكر عليه ونهاه، ولا ينكر واحد منهم على المنكر لذلك، وهذا إجماع منهم على وجوب السكون والطمأنينة في الصلاة قولا وفعلا) ((مجموع الفتاوى)) (٢٢/٥٦٩). وقال أيضا: (الطمأنينة في الصلاة واجبة، وتاركها مسيء باتفاق الأئمة) ((مجموع الفتاوى)) (٢٢/ ٦٠١).



ارفع حتى تستوي قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها)).[٣٢٤٢]

٢- عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود)). [٣٢٤٣]

٣- عن زيد بن وهب الجهني قال: "رأى حذيفة-رضي الله عنه-، رجلا لا يتم الركوع والسجود، قال: ما صليت، ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله محمدًا-صلى الله عليه وسلم-عليها". [٣٢٤٤]

وجه الدلالة: أن قوله: ((ما صليت)) يدل على وجوب الطمأنينة في الركوع، والسجود، وعلى أن الإخلال بها يبطل الصلاة. [٣٢٤٥]

٤- عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ((أَتِمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ)) [٣٢٤٦] ، والإتمام إنما يكون بالطمأنينة.

٥- عن علي بن شيبان-رضي الله عنهما-وكان من الوفد-قال : خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَبَايَعْنَاهُ وَصَلَّيْنَا خَلْفَهُ، فَلَمَحَ بِمُؤْخِرِ عَيْنِهِ رَجُلًا لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ-يَعْنِي صُلْبَهُ-فِي الرُّكُوعِ

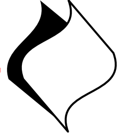
٣٢٤٢ أخرجه البخاري (٦٢٥١)، مسلم رقم (٣٩٧).

٣٢٤٣ أخرجه أبو داود (٨٥٥) بلفظ: ((صلاة الرجل حتى يقيم ظهره)) بدلا من: ((لا يقيم الرجل فيها صلبه))، والترمذي (٢٦٥)، والنسائي (١٠٢٧)، وابن ماجه (٨٧٠) قال الترمذي: حسن صحيح. واحتج به ابن حزم في ((المحلى)) (٣/٢٥٧)، وصححه ابن العربي في ((أحكام القرآن)) (١/٦٤٣)، وصحح إسناده الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (٢/٢٨٠)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٧١٧).

٣٢٤٤ رواه البخاري (٧٩١).

٣٢٤٥ ((نيل الأوطار)) للشوكاني (٢/ ٣١٠).

٣٢٤٦ رواه البخاري (٦٦٤٤) ، ومسلم (٤٢٥).



وَالسُّجُودِ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–الصَّلَاةَ قَالَ: ((يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ)). [٣٢٤٧] أي لا يسوي ظهره عقب الركوع والسجود ، فالحديث دليل على ركنية القومة والجلسة والطمأنينة فيهما .

٦- عن أبي صالح الأشعري أن أبا عبد الله الأشعري حدثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر برجل يصلي لا يتم ركوعه ولا سجوده فقال: ((لو مات هذا على ما هو عليه لمات على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم، فأتموا الركوع والسجود، فإن مثل الذي لا يتم ركوعه ولا سجوده مثل الجائع لا يأكل إلا التمرة والتمرتين، لا تغنيان عنه شيئا))، قال : أبو صالح : فلقيت أبا عبد الله فقلت: من حدثك هذا الحديث أنه سمعه من رسول الله–صلى الله عليه وسلم–؟ قال : حدثني أمراء الأجناد : خالد بن الوليد ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص أنهم سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم. [٣٢٤٨]

وهذا تهديد شديد يخشى على فاعل ذلك من سوء الخاتمة بأن يموت على غير الملة والعياذ بالله.

٧–وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ ... وَنَهَانِي عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ)). [٣٢٤٩]

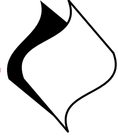
والأحاديث المشتملة على الأمر بالمحافظة على إقامة الركوع والسجود والرفع منهما، والدالة على أن ذلك من أركان الصلاة التي لا تصح الصلاة إلا بها كثيرة جدا، وهي محفوظة في دواوين السنة كالبخاري ومسلم والسنن الأربعة وغيرها، وقد تقدم معنا جملة منها.

والواجب على كل مسلم أن يحافظ على ذلك في صلاته تمام المحافظة؛ فيتم ركوعه والرفع منه وسجوده والرفع منه، ويأتي بذلك على التمام والكمال في صلاته كلها على الوجه الذي يرضي الرب تبارك وتعالى

٣٢٤٧ رواه ابن ماجه (٨٧١) ، وأحمد (٢٣/٤) ، وصححه الألباني رحمه الله في (صحيح الترغيب) (٥٢٦).

٣٢٤٨ رواه أبو يعلى (٧١٨٤) ، وحسنه الألباني رحمه الله في (صحيح الترغيب) (٥٢٨).

٣٢٤٩ رواه أحمد (٣١١/٢) ، وحسّنه الألباني رحمه الله في (صفة الصلاة) ص (١٣١).



، عملاً بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم وتمسكاً بسنته القائل صلى الله عليه وسلم : ((صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)). ٣٢٥٠

وقد ذهب علماء المسلمين استناداً إلى ما تقدم من النصوص الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها إلى أن تعديل الأركان في الركوع والسجود والقومة بينهما والقعدة بين السجدتين فرض في الصلاة وركن من أركانها ، تبطل الصلاة بتركه ، ويلزم من وقع في ذلك إعادة الصلاة .

خامسًا: شرح قول المصنف: "ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام".

الشرح:

هذه جملة من الأعمال الصالحة، والقربات الفاضلة، التي زانت أهل السنة والجماعة، وهي هدي المرسلين، ودأب المؤمنين في كل جيل وقبيل؛

قال تعالى: {مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ ٱللَّهِ انَاءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ الْأَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّلِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: الآيات: ١١٣-١١٥]،

وقال: {وَجَعَلْنَهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَتِ وَإِقَامَ الصَّلَوَةِ وَإِيتَآءَ الزَّكَوَةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} [الأنبياء: الآية: ٧٣]،

وقال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: الآية: ٩٠]،

وقال تعالى: {أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَتِ وَهُمْ لَهَا سَبِقُونَ} [المؤمنون: ٦١]،

وقال تعالى: {كَانُواْ قَلِيلًا مِنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَلِهِمْ حَقٌّ لِلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ} [الذاريات: الآيات: ١٧-١٩].

٣٢٥٠ رواه البخاري (٦٣١).

عن عبدِاللَّهِ بنِ سَلاَمٍ–رضي الله عنه–، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيْل وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ". [٣٢٥١]

أولًا: الأدلة من القرآن.

١– قال الله تعالى: {ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} [الإسراء: الآية: ٧٩].

٢– وقال تعالى: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} [السجدة: الآية: ١٦]،

٣– وقال تعالى: {كانوا قليلا من الليل ما يهجعون} [الذاريات: الآية: ١٧].

٤– وقال تعالى: {والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما} [الفرقان: الآية: ٦٤].

ثانيًا: الأدلة من السنة.

فعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة:لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: ((أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا؟!)). [٣٢٥٢]

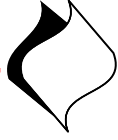
عن عبد الله بن سلام–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)). [٣٢٥٣]

٢– وعن أبي مالك الأشعري–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((إن في الجنة

٣٢٥١ أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

٣٢٥٢ أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

٣٢٥٣ رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١) وأحمد (٢٣٧٨٤)، والدارمي (١٥٠١) صححه الترمذي، والذهبي في ((تاريخ الإسلام))(٣٤/٢)، وجود إسناده النووي في ((الأذكار)) (٣٠٧)، وحسن إسناده ابن الملقن في ((البدر المنير)) (٤٢/٩)، وحسنه ابن حجر في ((الفتوحات الربانية)) (٢٧٨/٥)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٤٨٥)، وقال الوادعي في ((أحاديث معلة)) (١٨٧): يتوقف في الحكم على صحته، حتى يعلم ثبوت سماع زرارة بن أوفى من عبد الله بن سلام.



غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام)). [٣٢٥٤]

٣- عن أبي أمامة الباهلي–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم)). [٣٢٥٥]

٤- عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: ((أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة، الصلاة في جوف الليل)). [٣٢٥٦]

ثالثًا: أقوال السلف:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لولا ثلاث في الدنيا لما أحببت البقاء فيها؛ لولا أن أحمل أو أجهز جيشًا في سبيل الله، ولولا مكابدة هذا الليل، ولولا مجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر لما أحببت البقاء". [٣٢٥٧]

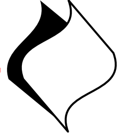
قال ابن تيمية: "وهذه الأمور الثلاثة التي فضل كل واحد من الأئمة بعضها، وهي الصلاة والعلم والجهاد فالأول: الجهاد، والثاني: قيام الليل، والثالث: مذاكرة العلم.

٣٢٥٤ أخرجه أحمد (٢٢٩٠٥)، وابن خزيمة (٢١٣٧)، وابن حبان (٥٠٩) قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٩٥/٣): رجاله ثقات، وحسنه الألباني في ((صحيح الموارد)) (٥٣٣).

٣٢٥٥ أخرجه الترمذي (٥٥٣/٥)، بعد حديث (٣٥٤٩) وابن خزيمة (١١٣٥)، والطبراني (١٠٩/٨) (٧٤٦٦)، والحاكم (١١٥٦). قال الترمذي (٥٥٣/٥): وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال، وحسنه البغوي في ((شرح السنة)) (٤٥٨/٢)، والألباني في ((تخريج مشكاة المصابيح))(١١٨٤)، وحسن إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٤٦٦/١).

٣٢٥٦ أخرجه مسلم (١١٦٣).

٣٢٥٧ أخرجه ابن المبارك في «الجهاد» (٢٢٢)، وعبد الله بن أحمد في زوائد «الزهد» (١١٧)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥١). وروي عن أبي الدرداء. أخرجه أحمد (١٣٥)، وابن المبارك (٢٧٧) كلاهما في «الزهد»، وابن معين في «التاريخ» (٤/ ٣٤٠ - رواية الدوري).



اجتمعت في الصحابة لكمالهم، وتفرقت فيمن بعدهم". [٣٢٥٨]

قال عطاء الخراساني: "قيام الليل:

١-محياة للبدن،

٢-ونور في القلب،

٣-وضياء في الوجه،

٤-وقوة في البصر والأعضاء كلها،

وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحا مسرورا، وإذا نام عن حزبه أصبح حزينا مكسور القلب كأنه قد فقد شيئا، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا". [٣٢٥٩]

قال الإمام الأوزاعي-رحمه الله-: "من أطال قيام الليل؛ هَوَّن الله عليه وقوفَ يوم القيامة". [٣٢٦٠]

قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-: "كان يقال من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار الطاهرة قلوبهم : خلائق ثلاثة، الحلم، والأناة، وحظ من قيام الليل". [٣٢٦١]

قال ابن المنكدر-رحمه الله-: "ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في جماعة.....". [٣٢٦٢]

قال ابن الجوزى رحمه الله: "واعلم أن الأوقات التي يغفل الناس عنها معظمة القدر لاشتغال الناس بالعادات والشهوات ، فإذا ثابر عليها طالب الفضل دل على حرصه على الخير . ولهذا فضل شهود الفجر في جماعة لغفلة كثير من الناس عن ذلك الوقت ، وفضل ما بين العشاءين وفضل قيام نصف الليل ووقت السحر". [٣٢٦٣]

٣٢٥٨ مفتاح دار السعادة (١/ ٣٣٥).

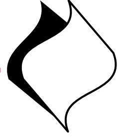
٣٢٥٩ البداية والنهاية (٩/ ٢٩٤).

٣٢٦٠ سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٩).

٣٢٦١ حلية الأولياء (٨/ ٩٥).

٣٢٦٢ قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ٧١).

٣٢٦٣ التبصرة : (٢/ ٥٠).



قال ابن رجب–رحمه الله–: "فضلت صلاة الليل على صلاة النهار لأنها أبلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص".

وقال أيضا: "كما أن قيام الليل يكفر السيئات فهو يرفع الدرجات وقد ذكرنا أن أهله من السابقين إلى الجنة بغير حساب". [٣٢٦٤]

قال الإمام ابن القيم: "قِيامُ اللَّيلِ

١–مِن أنفع أسباب حِفظ الصِّحة،

٢–ومن أمنعِ الأمور لكثيرٍ مِن الأمراض المزمِنة،

٣–ومِن أنشط شيءٍ لِلبدن والرُّوحِ والقلب". [٣٢٦٥]

وقول المصنف: **"للصلاة بعد المنام"**.

يشير المصنف إلى أفضلية قيام الليل في هذا اوقت من الليل فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم تارة إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، وربما كان يقوم إذا سمع الصارخ، وهو الديك، وهو إنما يصيح في النصف الثاني. [٣٢٦٦]

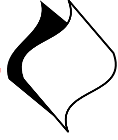
الأدلة من السنة:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ((أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي خالته، قال: فاضطجعت على عرض الوسادة، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس، فمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة، فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فقمت، فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها بيده، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم

٣٢٦٤ انظر: لطائف المعارف (ص: ٣٩–٤١)..

٣٢٦٥ زاد المعاد (٤/ ٢٢٧)..

٣٢٦٦ ((زاد المعاد)) لابن القيم (١/ ٣٢٨).



ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح)). [٣٢٦٧]

عن مسروق بن الأسود، قال: سألت عائشة رضي الله عنها: أي العمل كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: الدائم، قال: قلت: فأي حين كان يقوم؟ قالت: ((كان يقوم إذا سمع الصارخ)). [٣٢٦٨]

قال ابن رجب–رحمه الله–: "المسألة الثانية: في وقت أفضل الوتر.

قد كان كثير من الصحابة يوتر من أول الليل، منهم: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعائذ بن عمرو، وأنس، ورافع بن خديج، وأبو هريرة، وأبو ذر، وأبو الدرداء.

وهؤلاء الثلاثة أوصاهم النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بذلك، فتمسكوا بوصيته.

ومنهم من كان يفعل ذلك خشية من هجوم الموت في النوم؛ فإنهم كانوا على نهاية من قصر الأمل.

وذهب طائفة إلى أن الوتر قبل النوم أفضل، وهو أحد الوجهين للشافعية.

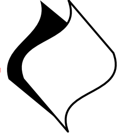
وهو مقتضى قول القاضي أبي يعلى من أصحابنا في كتابه ((شرح المذهب))، حيث ذكر أن وقت الوتر تابع لوقت العشاء، وأنه يخرج وقته بخروج وقت العشاء المختار.

وقال أبو حفص البرمكي من أصحابنا–في شهر رمضان خاصة لمن صلى التراويح خلف الإمام–: فإن الأفضل أن لا ينصرف المأموم حتى ينصرف إمامه.

ونقل مهنا، عن أحمد، أنه كان يوتر قبل أن ينام، وقال: هو أحوط، وما يدريه؟ لعله لا ينتبه.

٣٢٦٧ رواه البخاري (١١٩٨)، ومسلم (٧٦٣).

٣٢٦٨ رواه البخاري (٦٤٦١)، ومسلم (٧٤١).



وهذا يدل على أن الأخذ بالاحتياط أفضل.

وروى شهر بن حوشب، عن ابن عباس، قال: النوم على وتر خير.

وقال عمر: الأكياس يوترون أول الليل، والأقوياء يوترون آخر الليل.

خرجهما وكيع.

وقد سبق هذا المعنى مرفوعاً من وجوه.

والكيس: هو الحذر الحازم المحتاط لنفسه، الناظر إلى عواقب الأمور.

وممن كان يقدم الوتر: ابن المسيب والشعبي.

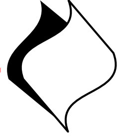
وكان أكثر من السلف يوتر في آخر الليل، منهم: عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وغيرهم.

وروى وكيع، عن الربيع بن صبيح، عن ابن سيرين، قال: ما يختلفون أن الوتر من آخر الليل أفضل.

واستحبه النخعي، ومالك، والثوري، وأبو حنيفة، وأحمد –في المشهور عنه–، وإسحاق، إن قوي ووثق بنفسه القيام من آخر الليل، فأما من ليس كذلك فالأفضل في حقه أن يوتر قبل النوم.

وروي هذا المعنى عن عائشة.

واستدلوا بما خرجه مسلم من حديث أبي سفيان، عن جابر، عن النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قال: ((من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة آخر الليل مشهودة، وذلك افضل)). وفي رواية له: ((محضورة)).



وخرجه-أيضا-من رواية أبي الزبير، عن جابر، عن النبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بنحوه.

وحمل بعض هؤلاء أحاديث الأمر بالوتر قبل النوم على من خاف أن لا يقوم آخر الليل.

وهذا بعيد جدًا في حق أولئك الصحابة، الذين أمروا بالوتر قبل النوم، مع ما عرف من شدة اجتهادهم، وكثرة تهجدهم.

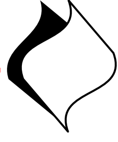
ومنهم من حمله على بيان الجواز، وعدم الكراهة.

ومنهم من أشار إلى نسخة.

وروى الإسماعيلي في ((مسند علي)) بإسناد مجهول، عن السدي، عن الربيع بن خثيم، قال: خرج علينا على حين يبلج الصبح، فقال: إن جبريل أتى نبيكم النبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فأمره أن يوتر أول الليل، فأوتر كما أمره الله، ثم أتاه فأمره أن يوتر وسطًا من الليل، فأوتر كما أمره الله، ثم أتاه فأمره أن يوتر هذه الساعة، فقبض نبيكم-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-وهو يوتر من هذه الساعة، أين السائلون عن الوتر، نعم ساعة الوتر.

وحديث عائشة: ((أنه انتهى وتره الى السحر)) قد يشعر بذلك، وأنه ترك الوتر من أول الليل ووسطه، واستقر عمله على الوتر من آخر، وإنما كان ينتقل من الفاضل إلى الأفضل وعلى هذا: فهل الأفضل الوتر إذا خشي طلوع الفجر، كما دل عليه حديث ابن عمر، وكان ابن عمر يفعل ذلك، ويوتر من السحر.

قال الثوري: كانوا يحبون أن يؤخروا الوتر آخر الليل، وقد بقي عليهم من الليل شيء.



وقال إسحاق: [كانوا] يستحبون أن يوتروا آخر الليل، وأن يوتروا وقد بقي من الليل نحو مما ذهب منه من صلاة المغرب، واستدل بقول عائشة: ((فانتهى وتره الى السحر)).

نقله عنه حرب.

وروى وكيع في ((كتابه)) عن الأعمش، عن إبراهيم، أنه بات عند عبد الله ابن مسعود، فسئل: أي ساعة أوتر؟ قال: إذا بقي من الليل مثل ما مضى إلى صلاة المغرب.

وعن سفيان، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن ابن عباس —بنحوه.

ومعنى ذلك: أنه يوتر وقد بقي من الليل قبل طلوع الفجر مقدار ما يصلي فيه صلاة المغرب، بعد دخول الليل وغروب الشمس.

والمراد: أنه لا يوتر إلا في ليل محقق بقاؤه.

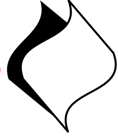
وهو معنى قول النخعي: الوتر بليل، والسحور بليل.

فجعل وقته كوقت السحور بل أشد؛ فإنه قالَ لأن يدركني الفجر وأنا اتسحر أحب إلي من أن يدركني وأنا أوتر.

وكان علي بن أبي طالب يرخص في تأخير الوتر حتى ينشق الفجر، وربما روي عنه أنه أفضل.

وقد سبق عن طائفة من السلف نحوه.

وهؤلاء، منهم من رخص في تأخير السحور–أيضا–، كما يأتي في موضعه — إن شاء الله سبحانه وتعالى.



ولأصحابنا وجه شاذ: أن الوتر في الليل كله، سواء في الفضل". [٣٢٦٩]

قال ابن الجوزي: "واعلم أن السلف كانوا في قيام الليل على سبع طبقات:

الطبقة الأولى: كانوا يحيون كل الليل، وفيهم من كان يصلي الصبح بوضوء العشاء. وكان ابن عمر يحيي الليل. ومن القوم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان، وفضيل بن عياض، ووهيب ابن الورد المكيان، وطاووس ووهب ابن منبه اليمنيان، والربيع بن خثيم والحكم الكوفياتن، وأبو سليمان الداراني وعلي ابن بكار الشاميان، وأبو عبيد الله الخواص وأبو عاصم البغداديان، ومنصور ابن زاذان وهشيم الواسطيان، وحبيب أوب محمد وأبو جابر السلماني الفارسيان، ومالك ابن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحي البكاء البصريون.

الطبقة الثانية: كانوا يقومون شطر الليل، منهم عبد الله بن عباس. قال ابن أبي مليكة: صحبته وكان يقوم شطر الليل يكثر في ذلك والله التسبيح.

الطبقة الثالثة: كانوا يقومون ثلث الليل. وفي الصحيحين من حديث عبد الله ابن عمر عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: ((أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه)). [٣٢٧٠]

وفي حديث عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكن)). [٣٢٧١]

٣٢٦٩ فتح الباري (٩ / ١٦١–١٦٥).

٣٢٧٠ أخرجه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

٣٢٧١ أخرجه الترمذي (٣٥٧٩)، والنسائي (٥٧٢).

وروي أن داود عليه السلام قال: يا رب أي ساعة أقوم لك؟ فأوحى الله–عز وجل–إليه: لا تقم أول الليل ولا آخره، ولكن قم في وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك وارفع إلي حوائجك.

وسأل داود عليه السلام جبريل عليه السلام: أي الليل أفضل فقال: ما أدري، إلا أن العرش يهتز في السحر. [٣٢٧٢]

الطبقة الرابعة: كانوا يقومون سدس الليل أو خمسه.

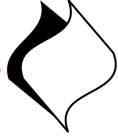
الطبقة الخامسة: كانوا لا يراعون التقدير، وإنما كان أحدهم يقوم إلى أن يغلبه النوم فينام، فإذا انتبه قام. قال سفيان الثوري: إنما هي أول نومة فإذا انتبهت فلا أقيلها.

الطبقة السادسة: قوم كانوا يصلون من الليل أربع ركعات أو ركعتين. وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((صلوا من الليل ولو أربعا صلوا ولو ركعتين)). [٣٢٧٣]

٣٢٧٢ أخرجه الإمام أحمد في "كتاب الزهد": (١٣٦) بسنده عن سيار عن جعفر عن الجريري بمثله. وأورده السيوطي في "الدر المنثور": (٢/ ١٢) ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وأحمد في "الزهد" عن سعيد الجريري.

هذا الأثر هو من الإسرائيليات التي تروى عن أهل الكتاب، وفيه دلالة على فضل الثلث الآخر من الليل، وقد ورد في السنة الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث الدالة على فضل هذا الجزء من الليل، ومن تلك الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم في "صحيحيهما" عن أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له". انظر: "فتح الباري": (٣/٢٩، حديث ١١٤٥) ، كتاب التهجد، باب (٤٤) ، و"صحيح مسلم": (٢/ ١٧٥) ، كتاب صلاة المسافرين. وأيضا، ما روي عن عمرو بن عنبسة– رضي الله عنه– أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخر" رواه الترمذي في "سننه"، كتاب الدعوات: (٥/٢٢٩) ، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. هذا من حيث فضل ذلك الوقت من الليل.

٣٢٧٣ رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٦٦٠٦)، ومحمد بن نصر في "قيام الليل" (ص: ١٢١)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٣٢١٥).



وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات)). [٣٢٧٤]

الطبقة السابعة: قوم يحيون ما بين العشاءين ويصلون في السحر فيجمعون بين الطرفين.......

وفي أفراد مسلم من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا آتاه إياه وذلك كل ليلة)). [٣٢٧٥] " [٣٢٧٦]

سادسًا: شرح قول المصنف: "وبصلة الأرحام".

صلة الأرحام من أعظم الواجبات، وأفضل الطاعات، وقطيعتها من أعظم الذنوب وأخطر الآفات؛ للأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة على النحو الآتي:

أولًا: الأدلة من القرآن:

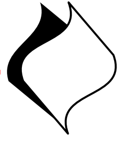
١ - قال الله-عز وجل-: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: الآية: ٣٦]. [٣٢٧٧]

٣٢٧٤ رواه أبو داود بسند صحيح في الصلاة، باب قيام الليل (١٣٠٨ - ١٣٠٩)، وابن ماجة كتاب الصلاة، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل (١٣٣٥).

٣٢٧٥ أخرجه أحمد في المسند (١٤٣٥٥)، إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي سفيان -وهو طلحة بن نافع- فمن رجال مسلم. الأعمش: هو سليمان بن مهران. وأخرجه أبو يعلى (٢٢٨١) ، وأبو عوانة (٢/ ٢٨٩).

٣٢٧٦ التبصرة (٢/ ٢٩٥-٢٩٧).

٣٢٧٧ انظر: أحكام القرآن لعماد الدين الطبري الهراس (٢/ ٣٧١).



٢-وقال الله-عز وجل-: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} [الإسراء: الآية: ٢٦].

٣-وقال-سبحانه-: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الروم: الآية: ٣٨].

٤-وقال-عز وجل-: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: الآية: ٢١٥].

٥-وقال-تبارك وتعالى-: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال: الآية: ٧٥].

وبين الإمام ابن كثير-رحمه الله تعالى-: أن المعنى لقوله تعالى: {فِي كِتَابِ اللَّهِ} أي في حكم الله، وأنها ليست خاصة بالأرحام الذين يذكرهم علماء الفرائض الذين ليس لهم فرض، وليسوا من العصبة، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات، كما نص عليه ابن عباس-رضي الله عنهما-وغيره. [٣٢٧٨]
٦-وقال تعالى: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ} [الأحزاب: الآية: ٦]. أي القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار، وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره. [٣٢٧٩]
٧-وقال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: الآية: ١].
والمعنى: اتقوا الله بطاعتكم إياه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن برّوها وصلوها، قاله ابن عباس-رضي الله عنهما-وغيره. [٣٢٨٠]

٣٢٧٨ تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ص: ٥٩٥).

٣٢٧٩ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص: ١٠٥٢)..

٣٢٨٠ تفسير القرآن العظيم، (ص: ٢٩٣).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببرَّ الأرحام والنهي عن قطيعتها؛ ليؤكد هذا الحقَّ، وأنه كما يلزم القيام بحقِّ الله كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصاً الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حقِّ الله الذي أمر الله به". [٣٢٨١]

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١-عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: ((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره [٣٢٨٢] فليصل رحمه)). [٣٢٨٣]

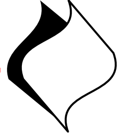
٢-عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: ((من سره أن يُبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه)). [٣٢٨٤]

٣٢٨١ تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٦٢).

٣٢٨٢ ينسأ له في أثره: أي يؤخر له في أجله، وبسط الرزق: توسيعه وكثرته، وقيل: البركة فيه. وأما التأخير في الأجل، فقيل: هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، ورجحه النووي. وقيل: إن التأجيل في العمر بالنسبة لما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ, ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة، إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله عز وجل ما سيقع من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره، ولا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة لما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة، وهو مراد الحديث. وقيل: إن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت، حكاه القاضي، وهو ضعيف أو باطل والله أعلم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٣٥٠).

٣٢٨٣ متفق عليه: البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٧/ ٩٦) برقم ٥٩٨٦ ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٤/ ١٩٨٢) برقم ٢٥٥٧.

٣٢٨٤ البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، برقم ٥٩٨٥.



٣-عن عائشة-رضي الله عنها-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال لها: ((إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار)). [٣٢٨٥]

٤-عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراةٌ في المال، مَنْسَاةٌ [٣٢٨٦] في الأثر)). [٣٢٨٧]

٥-عن جبير بن مطعم-رضي الله عنه-، أنه سمع عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، يقول على المنبر: ((تعلموا أنسابكم، ثم صلوا أرحامكم، والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء، ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرحم[٣٢٨٨]؛ لأوزعه ذلك عن انتهاكه)). [٣٢٨٩]

٦-عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا قرب لرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بعد لها إذا وصلت وإن كانت بعيدة)). [٣٢٩٠]

٣٢٨٥ مسند الإمام أحمد (٦/ ١٥٩). قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٤١٥): ((رجاله ثقات)) وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٥١٩.

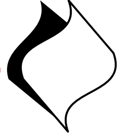
٣٢٨٦ قال الترمذي في سننه: منسأة في الأثر، يعني زيادة في العمر (٤/ ٣٥١).

٣٢٨٧ أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعليم النسب (٤/ ٣٥١)، برقم ١٩٧٩، وأحمد في المسند (٢/ ٣٧٤)، والحاكم وصححه ((((ووافقه الذهبي (٤/ ١٦١)، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٧٦: ((إسناده جيد، ورجاله ثقات)).

٣٢٨٨ داخلة الرحم: علامة القرابة. فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، لفضل الله الجيلاني (١/ ١٥٥).

٣٢٨٩ أخرجه البخاري في الأدب المفرد في باب: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم (ص ٣٩)، برقم ٧٢، وحسن إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص ٥٥).

٣٢٩٠ أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٤/ ١٦١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٧٧.



وزاد البخاري في الأدب المفرد موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما: ((... وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها)).[3291]

ووجه ذكر المصنف–رحمه الله–لصلة الأرحام في هذا المقام هو الاقتداء بالنبي–صلى الله عليه وسلم–في دعوته فإن صلة الأرحام من أول الأمور المهمة التي دعا إليها النبي–صلى الله عليه وسلم–في أول بعثته، ففي حديث سفيان ابن حرب: أن هرقل عظيم الروم قال له حينما سأله عن رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – ((ماذا يأمركم؟قال: أبو سفيان: قلت: يقول: ((اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة)).[3292] [3293]

سابعًا: شرح قول المصنف: "وإفشاء السلام".

أولًا: الأدلة من القرآن:

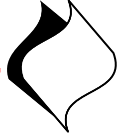
أمر الله تعالى في كتابه بإفشاء السلام، وحث عليه، ورغَّب فيه؛ كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا} [النور: الآية: ٢٧]، وقال تعالى: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} [النور: الآية: ٦١]، وقال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} [النساء: الآية: ٨٦]، وقال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} [الذاريات: الآيتان: ٢٤، ٢٥]،

ثانيًا: الأدلة من السنة:

٣٢٩١ الأدب المفرد ص (٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص٥٦)، وقال في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٧٧ في هذه الزيادة: ((وهذا سند على شرط البخاري في صحيحه، ولكنه موقوف بيد أن من رفعه ثقة حجة وهو الإمام الطيالسي وزيادة الثقة مقبولة)).

٣٢٩٢ البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ برقم ٧.

٣٢٩٣ المصدر: كتاب صلة الأرحام لسعيد بن وهف القحطاني، (ص: ٧–١٥)، بتصرف.



كما جعل النبي صلى الله عليه وسلم إفشاء السلام من علامات الخيرية في إسلام العبد؛ كما جاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((أن رجلًا سأل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: أي الإسلام خيرٌ؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على مَن عرفت ومن لم تعرف)). [٣٢٩٤]

كما جعل إفشاء السلام حقًّا من حقوق المسلم على أخيه المسلم إذا لقيَه؛ كما جاء عن أبي عمارة البراء بن عازب–رضي الله عنهما–، قال: ((أمرنا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بسبعٍ: بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسم))؛ [متفق عليه]. [٣٢٩٥]

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)). [٣٢٩٦]

عن سهل بن حنيف–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((من قال: السلام عليكم كتبت له عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله كتبت له عشرون، حسنة ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتبت له ثلاثون حسنة)). [٣٢٩٧]

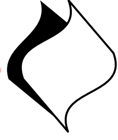
وعن عمران بن الحصين–رضي الله عنه–، قال: جاء رجل إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((عشر)). ثم جاء آخر فقال: السلام

٣٢٩٤ أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

٣٢٩٥ أخرجه البخاري (٥٦٣٥)، ومسلم (٢٠٦٦).

٣٢٩٦ أخرجه مسلم (٥٤).

٣٢٩٧ رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٥/٦).



عليكم ورحمة الله، فرد فجلس، فقال :((عشرون)). ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد فجلس، فقال :((ثلاثون)). ٣٢٩٨

ثالثًا: حرص الصحابة على هذه السنة:

مما يبين ذلك هذه الآثار:

عن الأغر أغر مزينة–رضي الله عنه–، قال :كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، أمر لي بجريب من تمر عند رجل من الأنصار، فمطلني به، فكلمت فيه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، فقال : ((اغد يا أبا بكر فخذ له تمره)). فوعدني أبو بكر المسجد إذا صلينا الصبح ، فوجدته حيث وعدني، فانطلقنا، فكلما رأى أبا بكر رجلٌ من بعيد سلم عليه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أما ترى ما يصيب القوم عليك من الفضل؟ لا يسبقك إلى السلام أحد. فكنا إذا طلع الرجل من بعيد بادرناه بالسلام قبل أن يسلم علينا". ٣٢٩٩

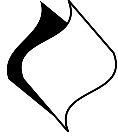
وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، قال كنا إذا كنا مع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، فتفرق بيننا شجرة، فإذا التقينا يسلم بعضنا على بعض". ٣٣٠٠

عن الطُّفَيْلَ بن أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ: أنه كان يأتي عبد الله بن عمر، فيَغْدُو معه إلى السوق، قال: فإذا غَدَوْنَا إلى السوق، لم يَمُرَّ عبد الله على سَقَّاطٍ ولا صاحب بَيْعَةٍ ، ولا مسكين، ولا أحد إلا سَلَّمَ عليه، قال الطُفيل: فجئت عبد الله بن عمر يوما، فَاسْتَتْبَعَنِي إلى السوق، فقلت له: ما تصنع بالسوق، وأنت لا تَقِف على

٣٢٩٨ أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩)، وأحمد (١٩٩٦٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠١٦٩).

٣٢٩٩ الطبراني في الكبير برقم (٧٤٦٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهب برقم (٢٧٠٢).

٣٣٠٠ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧٩٨٧). والحديث حسن إسناده كل من المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٤).



البيع، ولا تسأل عن السِّلَعِ، ولا تَسُومُ بها، ولا تجلس في مجالس السوق؟ وأقول: اجلس بنا هاهنا نَتَحَدَثُ، فقال: يا أبا بَطْنٍ -وكان الطفيل ذا بَطْنٍ- إنما نَغْدُو من أجل السلام، فنُسَلِّمُ على من لَقِيْنَاهُ". [٣٣٠١]
وللسلام آداب وأحكام ، فمن هذه الأحكام والآداب:

١- أن يكون التسليم بصوت مسموع يسمعه اليقظان ولا ينزعج منه النائم، فعند مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال: "كنا نرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه من اللبن، فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان". [٣٣٠٢]

٢- أن يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والصغير على الكبير، والقليل على الكثير؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ)). وفي لفظ: ((والصغير على الكبير)). [٣٣٠٣]

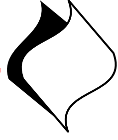
ونقل الحافظ ابن حجر عن الْمَازِرِيّ قوله: " لَوْ اِبْتَدَأَ الْمَاشِي فَسَلَّمَ عَلَى الرَّاكِب لَمْ يَمْتَنِع ؛ لأَنَّهُ مُمْتَثِل لِلأَمْرِ بِإِظْهَارِ السَّلام وَإِفْشَائِهِ ، غَيْر أَنَّ مُرَاعَاة مَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيث أَوْلَى ، وَهُوَ خَبَر بِمَعْنَى الأَمْر عَلَى سَبِيل الاسْتِحْبَاب ، وَلا يَلْزَم مِنْ تَرْك الْمُسْتَحَبّ الْكَرَاهَة ، بَلْ يَكُون خِلاف الأَوْلَى ، فَلَوْ تَرَكَ الْمَأْمُور بِالابْتِدَاءِ فَبَدَأَهُ الآخَر كَانَ الْمَأْمُور تَارِكًا لِلْمُسْتَحَبّ وَالآخَر فَاعِلا لِلسُّنَّةِ، إلا إِنْ بَادَرَ فَيَكُون تَارِكًا لِلْمُسْتَحَبّ أَيْضًا ". [٣٣٠٤]

٣٣٠١ هو في موطأ الإمام مالك، ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب، صححه النووي في رياضه والحافظ كما في الفتوحات الربانية. اهـ قال الحجوجي: رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح، فهو موقوف صحيح. اهـ.

٣٣٠٢ أخرجه الترمذي (٢٧١٩) واللفظ له، وأخرجه مسلم (٢٠٥٥) باختلاف يسير.

٣٣٠٣ أخرجه البخاري (٦٢٣٣)، ومسلم (٢١٦٠).

٣٣٠٤ فتح الباري (١١/ ١٧).



٣- أن يعيد إلقاء السلام إذا فارق أخاه ولو يسيرًا لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه)). [٣٣٠٥]

٤- أن يسلم على أهل بيته عند الدخول عليهم كما سبق.

٥- عدم الاكتفاء بالإشارة باليد أو الرأس، فإنه مخالف للسنة، إلا إذا كان المسلَّم عليه بعيدًا فإنه يسلم بلسانه ويشير بيده ولا يكتفي بالإشارة.

جاء عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال : ((ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وإن تسليم النصارى بالأكف)). [٣٣٠٦]

وإن أشار بالسلام لبعيد أو أصم فإنه يتلفظ به مع إشارته، وإن لم يسمع قوله؛ مخالفةً لمن أمرنا بمخالفتهم.

٦- السلام في بداية المجلس وعند مفارقته لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة)). [٣٣٠٧]

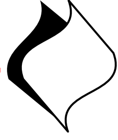
وعن معاوية بن قرة عن أبيه-رضي الله عنه-، قال: "يا بني إذا كنت في مجلس ترجو خيره فعجلت بك حاجة فقل السلام عليكم فإنك شريكهم فيما يصيبون في ذلك المجلس". [٣٣٠٨]

٣٣٠٥ أخرجه أبو داود (٥٢٠٠) واللفظ له، وأبو يعلى (٦٣٥٠)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٨٨٥٦) باختلاف يسير.

٣٣٠٦ أخرجه الترمذي: الاستئذان والآداب (٢٦٩٥) .

٣٣٠٧ أخرجه أبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦) واللفظ له.

٣٣٠٨ أخرجه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٩/ ٢٥) (٥٢)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٢/ ٣٠١) واللفظ لهما، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (١٠٠٩) بنحوه.



وفي المسند عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، أنه قال :((حق على من قام على جماعة أن يسلم عليهم ، وحق على من قام من مجلس أن يسلم)). فقام رجل ورسول الله–صلى الله عليه وسلم–يتكلم فلم يسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((ما أسرع ما نسي)). [٣٣٠٩]

٧- أن يسلم على الصبيان إذا لقيهم، فعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، ((أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– مر على غلمان فسلم عليهم)). [٣٣١٠]

وفيه دليل على التواضع والرحمة، كما أن فيه تربية الناشئة على تعاليم الإسلام وغير ذلك من الفوائد.

٨- البشاشة وطلاقة الوجه والمصافحة.

فعن البراء–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا)). [٣٣١١]

وعن أنس أبن مالك–رضي الله عنه–، قال: "كان أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–إذا تلاقوا تصافحوا ، وإذا قدموا من سفر تعانقوا". [٣٣١٢]

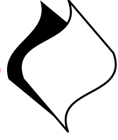
٣٣٠٩ أخرجه أحمد ٣/ ٤٣٨ (١٥٦١٥)، والطبراني في الكبير ٢٠/ ١٨٦ - ١٨٧ (٤٠٨) و (٤٠٩)، والسمعانى في أدب الإملاء والاستملاء (ص ١٧٩).

قال الهيثمي في المجمع ٨/ ٣٥: رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة وزبان بن فائد، وقد ضعفا، وحسن حديثهما. وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٧٠٨).

٣٣١٠ أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

٣٣١١ أخرجه أبو داود (٥٢١٢) والترمذي (٢٧٢٧) وابن ماجه (٣٧٠٣)، وأحمد (١٨٥٤٧).

٣٣١٢ الطبراني في الأوسط [مجمع البحرين في زوائد المعجمين]، (٥/ ٢٦٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، (٨/ ٣٦)، وقال: ((رجاله رجال الصحيح)).



وعن حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: ((إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر)). [٣٣١٣]

وعن قتادة-رضي الله عنه-، قال: قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه: أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: "نعم". [٣٣١٤]

وعن أنس بن مالك-رضي الله عنه-، قال: "كان النبي إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل الذي ينزع". [٣٣١٥]

٩- الحرص على السلام بالألفاظ الواردة في السنة، وعدم الزيادة عليها أو النقصان، أو استبدالها بألفاظ أخرى (صباح الخير، أو يعطيكم العافية) والمحذور أن تكون هذه الألفاظ بديلة للسلام، أما إن سلَّم السلام الوارد في السنة ودعا بعد ذلك بما شاء فلا بأس.

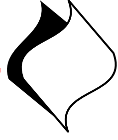
١٠- ألا يبدأ كافراً بالسلام فإن سلم عليه أحد من أهل الكتاب قال: وعليكم.

والكلام هنا في جهتين:

٣٣١٣ أخرجه الطبراني ((الأوسط)) ١/ ٨٤ (٢٤٥)، وقال الهيثمي ٨/ ٣٦: فيه: يعقوب بن محمد بن الطحلاء، لم يضعفه أحد، وبقية رجاله ثقات. وصححه الألباني في الصحيحة (٥٢٦).

٣٣١٤ أخرجه البخاري (٦٢٦٣).

٣٣١٥ أخرجه الترمذي (٢٤٩٠)، وابن ماجه (٣٧١٦).



الأولى: أننا لا نسلم على أهل الكتاب، ولكن يجوز لحاجة البدء بغير السلام من التحايا، كطاب صباحكم. فعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: ((لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام)). [٣٣١٦]

الثانية: إذا سلّم علينا أهل الكتاب، وهنا لا يخلو حالهم معنا من أحد أمور ثلاثة قال الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله–:

الأول: أن يقول بلفظ صريح: السام عليكم فيجاب: وعليكم .

الثاني: أن نشك هل قال: السام أو قال: السلام، فيجاب: وعليكم.

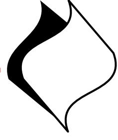
الثالث: أن يقول بلفظ صريح: السلام عليكم. فيجاب: عليكم السلام؛ لقوله تعالى : {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} [النساء: الآية: ٨٦].

فهذه الآية مع قول النبي–صلى الله عليه وسلم–في الصحيحين: ((إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم))، يدلان على هذا التفصيل، وإعمال النصوص كلّها أولى من إهمال بعضها. [٣٣١٧]

قال ابن القيم رحمه الله :" فلو تحقق السامع أن الذمي قال له: " سلام عليكم " لا شك فيه، فهل له أن يقول: وعليك السلام، أو يقتصر على قوله: " وعليك " ؟ فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان. وقد قال تعالى: { وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} [النساء: الآية: ٨٦]، فندب إلى الفضل، وأوجب العدل. ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه صلى الله عليه وسلم إنما أمر بالاقتصار على قول الراد " وعليكم " بناء على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم، وأشار إليه في حديث عائشة

٣٣١٦ أخرجه مسلم (٢١٦٧).

٣٣١٧ انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين رحمه الله (٣/٣٦).



رضي الله عنها فقال: «ألا تريني قلتُ: وعليكم، لما قالوا: السامّ عليكم» ؟ ثم قال: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»، والاعتبار وإن كان لعموم اللفظ فإنما يعتبر عمومه في نظير المذكور، لا فيما يخالفه. قال تعالى: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ} [المجادلة: الآية: ٨]، فإذا زال هذا السبب وقال الكتابي: سلام عليكم ورحمة الله، فالعدل في التحية يقتضي أن يردّ عليه نظير سلامه، وبالله التوفيق". [٣٣١٨]

١١- سلام الرجل على المرأة والعكس:

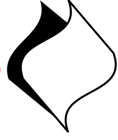
ذكر أهل العلم أن الرجل يسلم على المرأة الأجنبية ويرد عليها السلام، وكذا المرأة تسلم على الرجل وترد عليه السلام بشرط أمن الفتنة ، وعدم المصافحة ، وترك الخضوع بالقول، فإذا لم تؤمن الفتنة ترك إلقاء السلام ورده أيضا.

سُئِلَ الإمام مَالِك هَلْ : يُسَلَّمُ عَلَى الْمَرْأَةِ ؟ فَقَالَ : أَمَّا الْمُتَجَالَّةُ (وهي العجوز) فَلا أَكْرَهُ ذَلِكَ ، وَأَمَّا الشَّابَّةُ فَلا أُحِبُّ ذَلِكَ . وعلَّل الزرقاني عدم محبة مالك لذلك: بخوف الفتنة بسماع ردها للسلام. [٣٣١٩]
وذكر ابن مفلح أن ابن منصور قال للإمام أحمد: التسليم على النساء ؟ قال: إذا كانت عجوزاً فلا بأس به. وقال صالح-ابن الإمام أحمد-: سألت أبي يُسَلِّمُ على المرأة؟ قال : أما الكبيرة فلا بأس، وأما الشابة فلا تستنطق-يعني لا يطلب منها أن تتكلم برد السلام-". [٣٣٢٠]

٣٣١٨ أحكام أهل الذمة (١/ ٤٢٥).

٣٣١٩ شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٣٥٨).

٣٣٢٠ الآداب الشرعية (١/ ٣٧٥).



وإذا كانت النساء جمعًا فيسلم عليهن الرجل. أو كان الرجال جمعاً كثيراً فسلموا على المرأة الواحدة جاز إذا لم يُخَفْ عليه ولا عليهن ولا عليها أو عليهم فتنة. روى أبو داود عن أَسْمَاء ابْنَة يَزِيدَ قالت: مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا .

١٢- عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ بَدَأَ بِالسُّؤَالِ قَبْلَ السَّلَامِ، فَلَا تُجِبْهُ حَتَّى يَبْدَأَ بِالسَّلَامِ.)). [٣٣٢١]

١٣- ولا ينبغي أن يحب أحد القيام له عند اللقاء ، فعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار)). [٣٣٢٢]

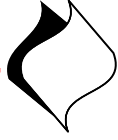
١٤- قال النووي رحمه الله :"إذا سلم على واحد قال سلام عليكم ، أو السلام عليكم بصيغة الجمع ، قالوا: ليتناوله وملكيه". [٣٣٢٣]

١٥- وقال رحمه الله: "والأكمل أن يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيأتي بالواو، فلو حذفها جاز وكان تاركا للأفضل، ولو اقتصر على وعليكم السلام أو على عليكم السلام أجزأه، ولو اقتصر على عليكم لم يجزه بلا خلاف، ولو قال وعليكم بالواو ففي إجزائه وجهان لأصحابنا، قالوا : وإذا قال المبتدى سلام

٣٣٢١ رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (١ / ١٣٦)، والخرائطي في "مكارم الأخلاق" (٨٨٠)، قال الهيثمي-رحمه الله تعالى-: "رواه الطبراني في "الأوسط"، وفيه هارون بن محمد أبو الطيب: وهو كذاب " انتهى. "مجمع الزوائد" (٨ / ٣٢).

٣٣٢٢ أخرجه أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥)، وأحمد (١٦٨٣٠) باختلاف يسير.

٣٣٢٣ شرح مسلم (٩/ ٢٢٥)..



عليكم أو السلام عليكم فقال المجيب مثله سلام عليكم أو السلام عليكم كان جوابا وأجزأه، قال الله تعالى :{قالوا سلاما قال سلام}، ولكن بالألف واللام أفضل". [٣٣٢٤]

١٦- ومن كان في صلاة فسُلم عليه رد بالإشارة .

عن ابن عمر-رضي الله عنهما-، قال: "خرج رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، إلى قباء يصلي فيه، فجاءه الأنصار، فسلموا عليه وهو يصلي، قال: فقلت لبلال: كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي؟ قال: يقول: هكذا-وبسط كفه، وبسط جعفر بن عون كفه راوي الحديث وجعل بطنه أسفل وظهره فوق". [٣٣٢٥]

١٧- إذا دخل بيتا خاليا قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عمر-رضي الله عنهما-، قال: "إذا دخل البيت غير المسكون فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين". [٣٣٢٦]

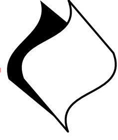
وقال مجاهد : "إذا دخلت المسجد فقل : السلام على رسول الله، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين". [٣٣٢٧]

٣٣٢٤ شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٤١).

٣٣٢٥ أخرجه أبو داود (٩٢٧) واللفظ له، والترمذي (٣٦٨) مختصراً، والنسائي (١١٨٧) باختلاف يسير.

٣٣٢٦ أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (١٠٥٥)، قال الحافظ: سنده حسن، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٠٦) .

٣٣٢٧ تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٦)..



١٨- عن عائشة-رضي الله عنها-، أنّ النبي-صلى الله عليه وسلم- زار المقابر فسلم بقوله : ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، أسأل الله لنا ولكم العافية)). [٣٣٢٨]

١٩- ولا يقال عند ابتداء السلام : عليك السلام.

ففي سنن أبي داود عنْ أَبِي جري الْهُجَيْمِيّ رضي الله عنه قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ: ((لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ؛ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى)). [٣٣٢٩]
ويوضح المراد من هذا الحديث ابن القيم-رحمه الله- بقوله : "وقد أشكل هذا الحديث على طائفة، وظنوه معارضا لما ثبت عنه-صلى الله عليه وسلم-في السلام على الأموات بلفظ ((السلام عليكم))، بتقديم السلام، فظنوا أن قوله : ((فإن عليك السلام تحية الموتى)) إخبار عن المشروع، وغلطوا في ذلك غلطا أوجب لهم ظن التعارض، وإنما معنى قوله: ((فإن عليك السلام تحية الموتى)). إخبار عن الواقع، لا المشروع، أي: إن الشعراء وغيرهم يحيون الموتى بهذه اللفظة كقول قائلهم:

عليكَ سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ ورحمته ما شاء أن يترحما

فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلكَ واحدٍ ولكنّه بنيان قومٍ تهدّما". [٣٣٣٠]

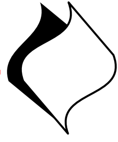
٢٠- ومن أرسل رسالة سلم على المرسل إليه فيها ردّ القارئ بعد قراءة السلام: وعليكم السلام.

٢١ – ولا يقول: السلام على من اتبع الهدى، فإن النبي-صلى الله عليه وسلم-كتبها إلى أهل الكتاب.

٣٣٢٨ أخرجه مسلم (٩٧٥).

٣٣٢٩ أخرجه أبوداود (٥٢٠٩)، والترمذي (٢٧٢٢).

٣٣٣٠ زاد المعاد (٢/٣٨٣).



٢٢- وإذا غلب على ظني أن المسلم عليه لن يرد فلا أترك السلام.

٢٣- ووضع اليد على العاتق عند المقابلة والسلام مما لا حرج فيه.

٢٤- وإذا سلم على جماعة ورد واحد أجزأ، وإن اشتركوا في ذلك أُجروا.

٢٥- وإذا قال لك أحد: إن فلاناً يقرأ عليك السلام، فالسنة أن تقول: عليك وعليه السلام.

٢٦- ويسلم على الأنبياء إذا ذكرهم كما علمنا ربنا في كتابه، قال تعالى: {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} [الصافات: الآية: ٧٩]، وقال: {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [الصافات: الآية: ١٠٩]، وقال : {سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ} [الصافات: الآية: ١٢٠]، وقال : {سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ} [الصافات: الآية: ١٣٠]، وقال :{وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ} [النمل: الآية: ٥٩].

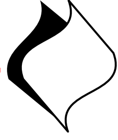
وإذا ذُكر نبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلم قال: صلى الله عليه وسلم، للآية :{إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: الآية: ٥٦]". [٣٣٣١]

ثامنًا: شرح قول المصنف: "وإطعام الطعام".

قال تعالى مادِحًا مواساةَ الفُقَراءِ والمساكينِ بإطعامِهم: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} [الإنسان: الآيتان: ٨-٩].
قال الرَّازيُّ: "قالوا: إطعامُ الطَّعامِ كنايةٌ عن الإحسانِ إلى المحتاجين والمواساةِ معهم بأيِّ وجهٍ كان وإن لم يكُنْ ذلك بالطَّعامِ بعَينِه، ووَجهُ ذلك: أنَّ أشرَفَ أنواعِ الإحسانِ هو الإحسانُ بالطَّعامِ، وذلك لأنَّ قِوامَ الأبدانِ بالطَّعامِ ولا حياةَ إلَّا به". [٣٣٣٢]
قال محمد بن رشد: "إطعام الطعام من أفعال الأبرار، قال الله عز وجل: {إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [الإنسان: الآية: ٥] {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} [الإنسان: الآية:

٣٣٣١ المصدر: الموسوعة الفقهية الكويتية.

٣٣٣٢ ((مفاتيح الغيب)) (٣٠/ ٢١٥).



٦] {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان: الآية: ٧] {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: الآية: ٨] {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ} [الإنسان: الآية: ٩] إلى قوله: {إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} [الإنسان: الآية: ٢٢]". [٣٣٣٣]

وقد ذكر المصنف هذه الخصلة بعد ذكر إفشاء السلام وذلك أخذًا بحديث عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–: أن رجلا سأل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: أي الاسلام خير؟ قال: ((تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)). [٣٣٣٤]

قال ابن رجب الحنبلي: "وجمع في الحديث بين إطعام الطعام، وإفشاء السلام؛ لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل، وهو أكمل الإحسان، وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن أتى بفرائض الإسلام ثم ارتقى إلى درجة الإحسان إلى الناس كان خيرا ممن لم يرتق إلى هذه الدرجة وأفضل–أيضا–، وليس المراد أن من اقتصر على هذه الدرجة فهو خير من غيره مطلقًا، ولا أن إطعام الطعام ولين الكلام خير من أركان الإسلام ومبانيه الخمس، فإن إطعام الطعام والسلام لا يكونان من الإسلام إلا بالنسبة إلى من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر". [٣٣٣٥]

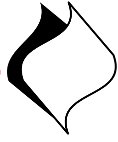
عن أبي موسى–رَضِيَ اللهُ عنه–، قال: قال رسولُ اللهِ–صلَّى اللهُ عليه وسلَّم–: ((فكُّوا العانيَ –يعني: الأسيرَ– وأطعِموا الجائعَ، وعودوا المريضَ)). [٣٣٣٦]

٣٣٣٣ كتاب البيان والتحصيل لابن رشد الجد (١٨/ ١٩٦).

٣٣٣٤ رواه البخاري (٢٨)، ومسلم (٣٩).

٣٣٣٥ فتح الباري لابن رجب الحنبلي (١/ ٤٣).

٣٣٣٦ رواه البخاري (٣٠٤٦).



وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: قلت: يا رسول الله، أنبئني عن أمر إذا أخذت به دخلت الجنة، قال: ((أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، وأدخل الجنة بسلام)). [٣٣٣٧]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((إن الله–عز وجل– يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا ربِّ كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي؟)). [٣٣٣٨]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((من أصبح اليوم منكم صائماً؟)) قال أبو بكر: أنا. قال: ((فمن اتبع منكم اليوم جنازة؟)) قال أبو بكر: أنا. قال: ((فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟)) قال أبو بكر: أنا. قال: ((فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟)) قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)). [٣٣٣٩]

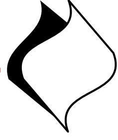
ولفظ البخاري في الأدب المفرد: ((ما اجتمعت هذه الخصال في رجل في يوم إلا دخل الجنة)). [٣٣٤٠]

٣٣٣٧ أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٩٥، ٣٢٣ – ٣٢٤، ٣٢٤، ٤٩٣). ومحمد بن نصر في قيام الليل (ص: ٢١)، وابن حبان في صحيحه (ص: ١٦٨ رقم: ٦٤٢).

٣٣٣٨ رواه مسلم، (٢٥٦٩).

٣٣٣٩ رواه مسلم، (١٠٢٨).

٣٣٤٠ البخاري في الأدب المفرد، (٥١٥)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، (ص: ١٩٥).



وعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: جاء أعرابي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله! علمني عملاً يدخلني الجنة, قال: ((إن كنت أقْصَرْتَ الخطبة لقد أعْرضت المسألة: أعتق النّسمة، وفُكَّ الرقبة، فإن لم تُطِق ذلك، فأطعم الجائع، وأسْقِ الظمآن)) الحديث. [٣٣٤١]

تاسعًا: شرح قول المصنف: "والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين".

قال تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: الآية: ٧٧].

وقال الله تعالى: {وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} [البقرة: الآية: ٢٣٧].

وقالت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد–رضي الله تعالى عنها–، بعد أن أخبرها النبي الكريم–صلى الله عليه وسلم–، بما حدث له في الغار وقال لها: ((... لقد خشيتُ على نفسي)). فقالت خديجةُ: "كلا واللهِ ما يخزيك اللهُ أبدًا، إنك لتصلُ الرحِمَ، وتحملُ الكلَّ، وتكسبُ المعدومَ، وتُقري الضيفَ، وتعينُ على نوائب الحقِّ". [٣٣٤٢]

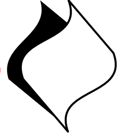
عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم–: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا)). [٣٣٤٣]

والحديث يدل على حرص الإسلام على البر ومراعاة حقوق الناس على اختلاف أعمارهم وأحوالهم. ففي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا))، أي: ليس على طريقتنا وهدينا وسنتنا، ((من لم يرحم صغيرنا))، فيعطيه حقه من الرفق، واللطف، والشفقة، ويحتمل أن المراد صغير المسلمين، ويحتمل أن المراد صغير بني آدم؛ إذ العلة الصغر ((ويعرف حق كبيرنا)) فيعطيه حقه من التعظيم والإكرام، إذ خلق أهل الإسلام رحمة الصغير، ومعرفة الحق للكبير، وخاصة إذا كان له شرف بعلم أو صلاح أو نسب زكي

٣٣٤١ أخرجه أحمد في المسند، ٤/ ٢٩٩، وابن حبان، ٣٧٥، والبيهقي في السنن الكبرى، ١٠/ ٢٧٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥٦٢، برقم ٩٥١.

٣٣٤٢ أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

٣٣٤٣ أخرجه أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩٢٠)، وأحمد (٦٧٣٣) واللفظ له.



وقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)). ٣٣٤٤

قال النووي: "فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة وغير ذلك". ٣٣٤٥

وعن سهل بن سعد الساعدي–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين ، وأشارَ بأصبُعَيْهِ يعني : السَّبَّابةَ والوسطى)). ٣٣٤٦

وعن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–، قال: سئل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: أي الأعمال أفضل؟ قال: ((إدخالك السرور على مؤمن؛ أشبعت جوعته، أو كسوت عورته، أو قضيت له حاجة)). ٣٣٤٧

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((صنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ والآفاتِ والهلكاتِ، وأهلُ المعروفِ في الدنيا همْ أهلُ المعروفِ في الآخرةِ)). ٣٣٤٨

وعن أسلم مولى عمر قال: "خرَجْتُ مع عمرَ بنِ الخطابِ–رضي الله عنه–، إلى السُّوقِ، فلَحِقَتْ عمرَ امرأةٌ شابةٌ، فقالت: يا أميرَ المؤمنين، هلكَ زوجي وترك صِبْيَةً صِغارًا، والله ما يَنْضِجون كُراعًا، ولا لهم زرعٌ ولا ضَرْعٌ، وخَشِيتُ أن تأكلَهم الضَبْعُ، وأنا بنتُ خَفافِ بنِ إيماءَ الغِفارِيِّ، وقد شَهِدَ أبي مع النبيّ صلى الله عليه وسلم، فوَقَفَ عمرُ ولم يَمْضِ، ثم قال: مرحبًا بنَسَبٍ قريبٍ. ثم انصرَفَ إلى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ كان مربوطًا في الدارِ، فحَمَلَ عليه غَرارتَيْنِ ملأَهما طعامًا، وحَمَل بينهما نَفَقَةً وثيابًا، ثم ناولَها بخِطَامِه، ثم قال : اقْتَادِيه،

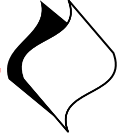
٣٣٤٤ أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

٣٣٤٥ (شرح النووي على مسلم) (١٧/ ٢١).

٣٣٤٦ أخرجه البخاري (٦٠٠٥)، مسلم (٢٩٨٣).

٣٣٤٧ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (مجمع البحرين)، برقم: (١٤٥٥)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥٦٤، برقم: (٩٥٤): ((حسن لغيره)).

٣٣٤٨ أخرجه الحاكم (٤٣٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧٧٠٤) كلاهما مطولا بلفظه.



فلن يَفْنَى حتى يأتيَكم اللهُ بخيرٍ، فقال رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين، أكثرْتَ لها؟ قال عمرُ: ثَكِلَتْك أمُّك! واللهِ إني لأرى أبا هذه وأخاها، قد حاصرَا حِصْنًا زمانًا فافتَتَحَاه، ثم أصبحنا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهما فيه". [3349]

وعن ثابت قال: "مر بي الحسن وأنا معتكف، فقال لي: اذهب تلق فلانا في حاجة، قال: قلت: إني معتكف، قال: "والله لأن أقضي حاجة لامرئ مسلم أحب إلي من أن أعتكف كذا وكذا". [3350]

وقال الحسن أيضا: "والله لأن أقضي لامرئ مسلم حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة". [3351]

وعن الخليل بن أحمد قال: قال محمد بن واسع: "ما رددت أحدًا عن حاجة أقدر على قضائها ولو كان فيها ذهاب مالي". [3352]

عاشرًا: شرح قول المصنف: "والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف".

قال الإمام الحافظ أبو بكر الإسماعيلي–رحمه الله–: "مع لزوم الجماعة والتعفف في المأكل والمشرب والملبس، والسعي في عمل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإعراض عن الجاهلين حتى يعلموهم ويبينوا لهم الحق ثم الإنكار والعقوبة من بعد البيان وإقامة العذر بينهم ومنهم". [3353]

أولًا: معنى العفة.

العِفَّة في اللغة: تدل مادة "عَفَّ" في اللغة على معنيين: الترك، وطلب الشيء". [3354]

٣٣٤٩ أخرجه البخاري (٤١٦٠).

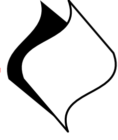
٣٣٥٠ ((اصطناع المعروف)) لابن أبي الدنيا (ص: ٧١) (٨٥).

٣٣٥١ ((اصطناع المعروف)) لابن أبي الدنيا (ص: ٧٢) (٨٦).

٣٣٥٢ أخرجه ابن أبي الدنيا في ((اصطناع المعروف)) (١٢٥).

٣٣٥٣ كتاب اعتقاد أئمة أهل الحديث (ص: ٧٩).

٣٣٥٤ معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٢/ ١٣٢).



وهي مصدر عفَّ، يُقال: عَفَّ عن الحرام يعِفُّ عِفَّةً وعَفًّا وعَفَافَةً أي: كفَّ، وأعَفَّهُ الله، واسْتَعَفَّ عن المسألة أي: عفَّ، وتَعَفَّفَ: تكلف العِفَّةَ، والعِفة الكَفُّ عما لا يَحِلُّ ويَجْمُل، والاسْتِعْفاف طلَبُ العَفافِ".

"والعِفّة الكَفُّ عما لا يَحِلّ ويَجْمُلُ عَفَّ عن المحارِمِ والأُطْماع الدَّنِية. والاسْتِعْفاف طلَبُ العَفافِ". [٣٣٥٥]

وقال الراغب الأصفهاني العفة هي: "ضبط النّفس عن الملاذّ الحيوانيّة، وهي حالة متوسّطة من إفراط وهو الشّره وتفريط وهو جمود الشّهوة". [٣٣٥٦]

قال النووي: "أما العفاف والعفة؛ فهو التنزه عما لا يباح، والكف عنه، والغنى هنا غنى النفس، والاستغناء عن الناس، وعما في أيديهم". [٣٣٥٧]

ثانيًا: الأدلة من القرآن:

العفة حثّ عليها الإسلام، وقد ورد لفظ التعفف في القرآن الكريم في مواطن متعددة والمناسبات متنوعة، ومنها:

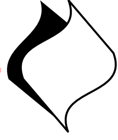
١-قال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: الآية: ٢٧٣].

"يحسبهم ... الْجَاهِلُ بحالهم أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ أي: من تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء، والتعفف التفعل من العفة وهي الترك يقال: عفَّ عن الشيء إذا كف عنه، وتعفف إذا

٣٣٥٥ ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/ ٢٥٣). ((مختار الصحاح)) للرازي (٤/ ١٤٠٥).

٣٣٥٦ ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب الأصفهاني (ص ٣١٨).

٣٣٥٧ شرح صحيح مسلم، (١٧/ ٤١).



تكلف في الإمساك. تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ السيماء والسيمياء والسمة: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا، فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر وقيل رثاثة ثيابهم، لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاءً، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداءً، وقيل: معناه لا يسألون الناس إلحافًا أصلًا لأنه قال: من التعفف، والتعفف ترك السؤال". [٣٣٥٨]

٢-قال تعالى: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: الآية: ٦].

"أي: من كان في غُنْية عن مال اليتيم فَلْيستعففْ عنه، ولا يأكل منه شيئًا. قال الشعبي: هو عليه كالميتة والدم". [٣٣٥٩]

٣- قال تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: الآية: ٣٣].

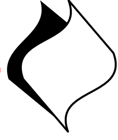
"أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون ما لا ينكحون به للصداق والنفقة، (حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) أي: يوسع عليهم من رزقه". [٣٣٦٠]

٤-قال تعالى: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: الآية: ٦٠].

٣٣٥٨ معالم التنزيل للبغوي، (١/ ٣٣٨).

٣٣٥٩ تفسير ابن كثير، (٢/ ٢١٦).

٣٣٦٠ معالم التنزيل للبغوي، (٦/ ٤١).



ثالثًا: الأدلة من السنة:

وقد حدد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-نطاق الاعتدال والوسطية في الحديث الشريف: "كُلُوا واشْرَبُوا والْبِسُوا وتَصدَّقُوا في غيرِ إسْرافٍ ولا مخيلةٍ". [٣٣٦١]

وقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((ما يكونُ عندي من خيرٍ فلن أدَّخره عنكم، ومن يستعففْ يُعِفّه اللهُ)). [٣٣٦٢]

قال ابن عبد البر: "فيه الحض على التعفف والاستغناء بالله عن عباده والتصبر وأن ذلك أفضل ما أعطيه الإنسان وفي هذا كله نهي عن السؤال وأمر بالقناعة والصبر". [٣٣٦٣]

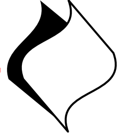
وعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه كان يقول: ((اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى)). [٣٣٦٤]

٣٣٦١ أخرجه البخاري، كتاب اللباس(٧٧/ ٥١)، باب قول الله تعالى: قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده (١/ ١)، ٩، ٣٧.

٣٣٦٢ أخرجه البخاري (١٤٦٩).

٣٣٦٣ ((التمهيد)) لابن عبد البر (١٠/ ١٣٣).

٣٣٦٤ أخرجه مسلم، (٢٧٢١).



وعن جابر بن عبد الله–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((بروا آبائكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم)). [٣٣٦٥]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أنه قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((ثلاثة حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف)). [٣٣٦٦]

قال المباركفوري–رحمه الله–: "أي العفة من الزنا. قال الطِّيبي: إنما آثر هذه الصيغة إيذانًا بأن هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الإنسان وتقصم ظهره، لولا أنَّ الله تعالى يعينه عليها لا يقوم بها، وأصعبها العفاف؛ لأنَّه قمع الشهوة الجبلِّية المركوزة فيه، وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل السافلين، فإذا استعفَّ وتداركه عون الله تعالى ترقَّى إلى منزلة الملائكة وأعلى عليين". [٣٣٦٧]

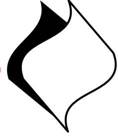
وقد نهى النبي عليه السلام عن الأكل والشرب فوق الحاجة. بقوله صلى الله عليه وسلم: "مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكَلاتٌ يُقِمْنَ صلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لنَفَسِهِ". [٣٣٦٨]

٣٣٦٥ أخرجه العقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (٣/٢٤٩) باختلاف يسير، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (١٠٢٩) مختصراً، والخطيب في ((تاريخ بغداد)) (٦/٣١٠) واللفظ له.

٣٣٦٦ أخرجه الترمذي (١٦٥٥) واللفظ له، والنسائي (٣٢١٨)، وابن ماجه (٢٥١٨)، وأحمد (٧٤١٠) باختلاف يسير..

٣٣٦٧ حفة الأحوذي، للمباركفوري (٥/ ٢٩٦).

٣٣٦٨ أخرجه الترمذي، كتاب الزهد (٤/ ٢٣٠٤ /٢٤١٤)، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (٤٧)، حديث (٢٣٨٠)، ٦٦٤.



قال ابن حجر العسقلاني: "وما جاء من النَّهي عنه محمول على الشّبع الّذي يُثقل المعدة ويُثبط صاحبه عن القيام للعبادة، ويُفضي إلى البطر والأشرّ والنّوم والكسل، وقد تنتهي كراهته إلى التَّحريم بحسب ما يترتَّب عليه من المفسدة. والشبع المعتاد هو أنَّ الثلث للطعام والثلث للشَّراب والثُّلث للنَّفس". [٣٣٦٩]

وفيه قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه: يا بني إذا مُلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة. وقيل: البطنة تُذهب الفطنة.

رابعًا: صور التعفف.

والعفة تأتي بصور متعددة منها:

١-عفة الجوارح: المسلم يعف يده ورجله وعينه وأذنه وفرجه عن الحرام فلا تغلبه شهواته، وقد أمر الله كل مسلم أن يعف نفسه ويحفظ فرجه حتى يتيسر له الزواج، فقال تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [النور: الآية: ٣٣].

٢-العفة في كسب المال.

٣-الترفُّع عن أموال الصدقات، فعن أنس بن مالك-رضي الله عنه-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى تمرة فقال: ((لولا أني أخاف أن تكون صدقة لأكلتها)). [٣٣٧٠]

٤-اجتناب الكسب الحرام.

٥-القناعة والترفع عمّا في أيدي الناس.

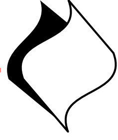
٦-العفة عن الوقوع في الفاحشة:

٧-تكون بالابتعاد عن النظر إلى العورات ومظاهر الفتنة.

٨-عدم حضور مجالس الاختلاط المحرم.

٣٣٦٩ فتح الباري، (١٥/ ٢٥٨)..

٣٣٧٠ أخرجه البخاري (٢٠٥٥)، ومسلم (١٠٧١).



قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين: "والتعفف في المأكل والمشرب والملبس يريد به الاقتصار على الحلال والبعد عن الحرام والبعد عن المشتبه، ومعلوم أن التعفف معناه: التورع.

وذلك لأن الكسب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: حلال صريح، وحرام صريح، ومشتبه، وقد ذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان المشهور: (الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام) ، لذلك أمرنا بالتعفف في المأكل والمشرب والملبس، أي أني لا أقدم على الشيء الذي أخشى أن يكون فيه شبهة وأن يكون من الحرام، بل أبتعد عنه حتى يسلم ديني، وذلك لأن التغذي بالحرام يكسب البدن سوء تغذية، فإذا تغذى بهذا الحرام أو بهذا المشتبه تغذى بدنه على شيء محرم مما يكون سببا في عدم قبوله للنصائح وعدم انصياعه للأوامر والإرشادات وما أشبه ذلك، فيقال: هذا لا تؤثر فيه الموعظة.

هذا لا يقبل النصيحة.

هذا لا يتأثر بالإرشادات ولا بالنصائح ونحوها.

والسبب هو أن لحمه نبت على سحت وتغذى بحرام فأثر ذلك في قسوة قلبه وصدوده عن الخير.

إذا فالتعفف سبب لين القلب، وكذلك الاقتصار على الحلال سبب لرقته ولإقباله على الله ولتقبله النصائح والعظات". [٣٣٧١]

الحادي عشر: شرح قول المصنف: "والسعي في الخيرات".

أولًا: الأدلة من القرآن.

قال تعالى: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: الآية: ٤٨].

٣٣٧١ اعتقاد أهل السنة لابن جبرين (١٦/ ٩).

وقال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِوَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: الآيتان: ٨٩-٩٠].

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: الآيات: ٥٧-٦١].

وقال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر: الآية: ٣٢].

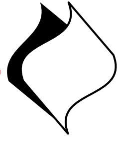
وقال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: الآية: ٢١].

وقال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: الآيات: ٢٢ -٢٦].

ثانيًا: الأدلة من السنة.

حث النبي-صلى الله عليه وسلم-على المبادرة والمسارعة في عمل الخير، قبل أن تتغير النفوس وتتقلب القلوب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا وَيُمْسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)). [٣٣٧٢]

٣٣٧٢ أخرجه "مسلم" (١/ ٧٦).



وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْظُرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ. [٣٣٧٣]

ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في المسارعة والمبادرة إلى الخير ,وعدم تسويف المسابقة إليه , فعَنْ عُقْبَةَ ، قَالَ:صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، بِالْمَدِينَةِ ، الْعَصْرَ ، فَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا ، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ ، فَقَالَ : ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا ، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي ، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ. [٣٣٧٤]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. [٣٣٧٥]

قال الحسن–رحمه الله–: "من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره".

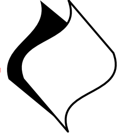
وقال وهيب بن الورد–رحمه الله–: "إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل".

والمسابقة إلى الخيرات خلق لا يتصف به إلا المؤمن الصادق، والمسارعة إلى أعمال البر طبع لا يتخلق عليه إلا من وهبه الله تعالى رجاحة في العقل وانشراحا في الصدر وسلامة في القلب.

٣٣٧٣ أخرجه الترمذي (٢٣٠٦) قال هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. الألباني : ضعيف الجامع الصغير (٢٣١٥)..

٣٣٧٤ أخرجه "البُخَارِي" (٨٥١).

٣٣٧٥ أخرجه "البُخَارِي" (٦) و (٣٥٥٤) و"مسلم" (٧/ ٧٣).



الثاني عشر: شرح قول المصنف: "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة من شعائر الإسلام، والله عز وجل أثنى على هذه الأمة بأن من خصائصها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله قد مدح هذه الأمة بقوله: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}، فهذه الأمة لا تنال الخيرية إلا بهذه الشروط: أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله عز وجل، والله عز وجل قد قال: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، وقال جل وعلا قال: {الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة آتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور}؛ فعَظَّم الله عز وجل هذا الأمر، وهو ما أوجب النبي ﷺ تغييره؛ فقال: «مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يَستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(٣٣٧٦).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب من واجبات الدين، وأمر عظيم من شعائره، لكن بعض المتصوفة أسقطوه، حتى إنهم لا يرون استحسانًا لحسنة، ولا استقباحًا لسيئة، بل إنهم يتبجحون ويتفاخرون بما يرتكبونه من منكرات وقبائح، وكتبهم شاهدة بذلك، ويكفي مثالًا على ذلك «طبقات الشعراني»؛ حيث تجد فيه الكثير من مخازي هؤلاء، وكل ذلك لأنهم أسقطوا شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولذلك نبَّه المصنف على أهمية هذا الباب، ونحن نعلم أن العلماء والأمراء هم مِن أعظم مَن يجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالعلماء لأن الله قد أعطاهم الله الفقه في الدين، ولذلك اشترط العلماء في الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أمورًا منها: أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالمًا بما يأمر به وبما ينهى عنه، ثم أن يكون حكيمًا في أمره ونهيه، ثم بعد ذلك يصبر على ما يلقاه في سبيل القيام بهذا الواجب، فلابد أن تجتمع فيه هذه الأمور الثلاثة (العلم والحكمة والصبر)؛ قال تعالى: {وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

وكذلك يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الولاة والأمراء؛ لأن بيدهم السلطة وقوة التنفيذ؛ قال الله عز وجل: {الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور}.

(٣٣٧٦) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فالولاة قد أعطاهم الله التمكين في الأرض، وبالتالي إذا قام هذا المجتمع على هذه الأسس صلح حاله.

فعلى العبد أولًا: أن يصلح نفسه؛ بأن يأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر؛ لأن النفس أمَّارة بالسوء، وبالتالي لا بد من قَسْرها وحملها على فعل الطاعات واجتناب المحرمات، ثم ينتقل الإنسان من نفسه إلى أهله؛ لقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة}، ولقول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده؛ فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(٣٣٧٧)؛ فيجب على الإنسان أن يكون آمرًا لأهله بالمعروف وناهيًا لهم عن المنكر، ثم بعد ذلك الأقربين إليه، ثم جيرانه، ثم من حوله من المجتمع؛ لأن هذا المجتمع هو كيان واحد، فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر كان ذلك سبب نجاتنا.

وقد قص الله علينا أن سبب هلاك بني إسرائيل أنهم: {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه}.

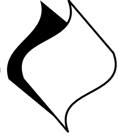
أمَّا غلاة المتصوفة فتجدهم على الضد من ذلك، بل إنهم يَستهينون بالأوامر، ومن ذلك أن أحد شيوخهم سأل مُريدًا عنده؛ فقال له: إذا أرسلتك في حاجة ومررت بمسجد وقد أُقيمت الصلاة؛ فماذا تفعل؟ هل تمضي في حاجتي أو تصلي مع الناس؟ فقال: لا، بل أمضي في حاجتك.

فانظر كيف عطَّلوا أمر الصلاة، وإقامة الصلاة من أوجب الأمر بالمعروف؛ ومع ذلك يثني الشيخ على هذا المريد؛ لأنه قَدَّم أمره على أمر الله عز وجل، وهكذا يُربون أتباعهم على مثل هذه الأحوال، ويرون أنها من أحسن الأحوال وأعظم المقامات.

ومن الشواهد على تعطيلهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعض اجتماعات الصوفية في موالدهم؛ فتجد- والله- من الفضائح والمخازي ما الله به عليم؛ ومن ذلك: أنهم لا يصلون مع الجماعة، وقد لا يصلون بالمرَّة؛ ولا يتناهون عن المنكر؛ فيجتمع الرجال مع النساء، ويتعاطون الخمر والحشيش ونحو ذلك، ويقع ما يقع من المفاسد العظيمة؛ حتى اشتهر أنه كلما وجدت فوضى وزحام؛ فالغالب أنه مولد، فيُعبرون عن الفوضى بكلمة (مولد)؛ لأن بعض هذه الموالد التي يجتمع لها أتباع هؤلاء المتصوفة تُرتكب فيها شتى أنواع الفواحش والمنكرات، وكل ذلك على مرأى ومَسمع منهم.

فبدل أن يُعظموا أوامر الله عز وجل؛ فيأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، عَطَّلوا هذه الشعيرة من شعائر الإسلام.

(٣٣٧٧) أخرجه البخاري (٥٢٠٠) ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.



فعلينا أن ننتبه إلى موطن الخلل الذي يدخل على هذه الأمة، فنحن نرى الأمة وفيها كتاب الله، وفيها سنة نبيه ﷺ، وفيها أحكام الدِّين، ولكن مع ذلك نرى من أحوالها العجب العجاب، فهذا الدَّاء جاء إليها من أمثال هؤلاء الذين عطَّلُوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وجاء في الحديث: ((من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان)) (٣٣٧٨).

ولا شَكَّ أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة من فرائض الإسلام، وشريعة من شرائعه، لكن لا بد أن تؤدى بالوسائل الشرعية، فيجب على المسلم أن يأمر بالمعروف وأن ينهي عن المنكر، لكن لا يخرج على جماعة المسلمين بحجة أنه يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر؛ لأنه إذا خرج عليهم بالسلاح كان إفساده أكثر من إصلاحه؛ ويترتب على خروجه من المنكر أعظم مما هم موجود وقائم.

وهناك شواهد عبر التاريخ مما صنع الخوارج والمعتزلة الذين خرجوا بالقوة على جماعة المسلمين بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فأفسدوا أكثر مما أصلحوا، والقاعدة الأصولية العامة تقول: إن درء المفاسد مُقَدَّم على جلب المصالح؛ فإذا كان هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيجلب مَفسدة، أو سيترتب عليه مفسدة أعظم من المفسدة القائمة؛ فتركه أَوْلَى، وكذلك لا يُزال المنكر بمُنكر أشد منه

والمسلمون فيما يجب عليهم من إنكار المنكر درجات:

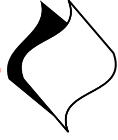
الدرجة الأولى: فمنهم من يجب عليه إنكار المنكر بيده، كولي الأمر ومن ينوب عنه ممن أُعطي صلاحية لذلك، كالوالد مع ولده، والسيد مع عبده، والزوج مع زوجته؛ إن لم يكف مرتكب المنكر إلا بذلك.

الدرجة الثانية: ومنهم من يجب عليه إنكاره بالنصح والإرشاد والنهي والزجر والدعوة بالتي هي أحسن دون اليد والتسلط بالقوة؛ خشية إثارة الفتن وانتشار الفوضى.

الدرجة الثالثة: ومنهم من يجب عليه الإنكار بالقلب فقط؛ لضعفه نفوذاً ولساناً، وهذا أضعف الإيمان.

قال الإمامُ ابن القيم رحمه الله: «فإنكار المنكر أربع درجات:

٣٣٧٨ انظر صحيح مسلم كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، برقم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وابن ماجه (٤٠١٣(، والإمام أحمد في المسند مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ (١١٠٧٢).



الأولى: أن يَزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يَقِلَّ وإن لم يَزل بجُملته.

الثالثة: أن يَخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يَخلفه ما هو شَرٌّ منه.

فالدرجتان الأُولَيَان مَشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة.

فإذا رأيت أهلَ الفجور والفسوق يَلعبون بالشِّطْرَنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحبُّ إلى الله ورسوله؛ كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك.

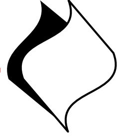
وإذا رأيت الفُسَّاق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مُكاء وتصدية، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلَّا كان تركهم على ذلك خيرًا من أن تُفَرِّغَهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلًا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلًا بكتب المجون ونحوها وخِفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسِّحْر؛ فَدَعْهُ وكتبه الأولى، وهذا بابٌ واسعٌ.

وسمعت شيخَ الإسلام ابن تيمية–قَدَّس الله روحه ونور ضريحه–يقول: مَررت أنا وبعض أصحابي في زمن التَّتار بقومٍ منهم يشربون الخمر؛ فأنكر عليهم مَن كان معي، فأنكرتُ عليه، وقلتُ له: إنَّما حَرَّم الله الخمر؛ لأنَّها تَصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يَصدهم الخمر عن قتل النفوس وسَبْي الذرية وأخذ الأموال؛ فَدَعْهُم"(٣٣٧٩).

الثالث عشر: شرح قول المصنف: **"والبدار إلى فعل الخيرات أجمع"**.

سبق الحديث عن هذه المسألة.

(٣٣٧٩) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣/ ١٢، ١٣).



الرابع عشر: شرح قول المصنف: "واتقاء سوء عاقبة الطمع".

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: في اليأس الغنى، وفي الطمع الفقر، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء". [3380]

سأل الحسن غلاما. فقال له: ما ملاك الدين؟

قال: الورع.

قال: فما آفته؟

قال: الطمع.

فعجب الحسن منه". [3381]

قال مالك: سأل عبد الله بن سلام كعب الأحبار: من أرباب العلم الذين هم أهله؟

قال: الذين يعملون بعلمهم.

قال: صدقت.

قال: (فما الذي نفاه عن صدورهم) بعد أن عِلموه؟

قال: الطمع.

قال: صدقت". [3382]

قال ابن حبان: "من أحب أن يكون حرا فلا يهوى مَا ليس له، لأن الطمع فقر كما أن اليأس غنى، ومن طمع ذل وخضع كما أن من قنع عف واستغنى". [3383]

قال أَبُو حاتم: "الطمع غدة من قلب المرء له طرفان:

أحدهما: القيد في رجليه.

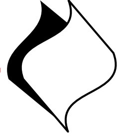
٣٣٨٠ بهجة المجالس (ص: ١٤٥).

٣٣٨١ مدارج السالكين (٢/ ٢٥).

٣٣٨٢ الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني (١/ ١٤٦).

٣٣٨٣ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ١٤٢).

.



والآخر: الطبع على لسانه.

فما دامت العقدة قائمة لا تنفك رجلاه ولا ينطق لسانه؛ فإذا أخرج الطمع من قلبه انفك القيد من رجليه وزال الطبع عَن لسانه فسعى إلى مَا شاء وقال ما أحب". [٣٣٨٤]

قال محمود بن جرير الظبي: "أن لم يصل مالك إلى المساكين، فلا تقطع عنهم رحمتك، من لم يقنع لم يزده المال ثروة، بل يزيده فقرا، القليل مع العافية خير من الكثير مع القوارع، كمال السخاوة قطع الطمع عما في أيدي الناس مع بذل ما في يدك". [٣٣٨٥]

قال ابن حبان: "من أحب أن يكون حرا فلا يهوى مَا ليس له، لأن الطمع فقر كما أن اليأس غنى، ومن طمع ذل وخضع كما أن من قنع عف واستغنى". [٣٣٨٦]

قال ابن حبان: "أشرف المنى ترك الطمع إلى الناس، إذ لا غنى لذي طمع؛ وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف. فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع ولم يعم بصره الطمع". [٣٣٨٧]

قال ابن حبان: "الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة بكماله الإياس عنهم، إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده فقر حاضر، فكيف بما أنت شاك في وجوده أو عدمه". [٣٣٨٨]

قال العلامةُ ابْنُ القيم –رحمه الله-: "لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبَّته المدحَ والثناء والطمع فيما عند الناس إلَّا كما يجتمع الماء والنار، والضبُّ والحوت، فإذا حدَّثتك نفسك بطلب الإخلاص فأَقْبِلْ على الطمع أوَّلًا فاذبحه بسكِّين اليأس، وأَقْبِلْ على المدح والثناء فازهد فيهما زُهْدَ عُشَّاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبحُ الطمع، والزهد في الثناء والمدح ؛ سَهُلَ عليك الإخلاصُ". [٣٣٨٩]

٣٣٨٤ روضة العقلاء (١/ ١٤٣).

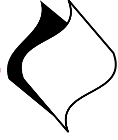
٣٣٨٥ كتاب تتمة صوان الحكمة (ص: ٢٨)..

٣٣٨٦ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ١٤٢).

٣٣٨٧ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ١٤١).

٣٣٨٨ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ١٤١).

٣٣٨٩ الفوائد (١٩٥ ـ ١٩٧).



الخامس عشر: شرح قول المصنف: "ويتواصون بالحق والصبر".

قال-تعالى-: {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)}[العصر: الآيات: ١-٣].

قوله: { وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}

قال ابن جرير رحمه الله في معنى الآية: "أوصى بعضهم بعضاً بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه". [٣٣٩٠]

وقال ابن كثير: "أي: وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات". [٣٣٩١]

قال الشوكاني: "وتواصوا بالحق أي: وصى بعضهم بعضا بالحق الذي يحق القيام به، وهو الإيمان بالله والتوحيد، والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه. قال قتادة: {بالحق} أي: بالقرآن، وقيل: بالتوحيد، والحمل على العموم أولى". [٣٣٩٢]

"والتواصي بالحق يشمل أن يوصي الإنسان نفسه بالحق، ويأمرها بالمعروف، وينهاها عن المنكر، وكذلك يشمل أن يكون ذلك مع غيره ممن يعايشهم، سواء أكانت له ولاية عليهم، أم لم تكن له ولاية عليهم، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حق أهل الإيمان بعضهم على بعض". [٣٣٩٣]

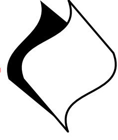
وقوله: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}

٣٣٩٠ تفسير الطبري (٣٠/ ٢٩٠)

٣٣٩١ تفسير ابن كثير (تفسير سورة العصر).

٣٣٩٢ تفسير فتح القدير (٥/ ٦٠١).

٣٣٩٣ شرح ثلاثة الأصول لخالد المصلح (١/ ١١).



الصبر من أعظم خصال الخير التي حث الله عليها في كتابه العظيم، وأمر بها رسوله الكريم -صلى الله عليه وسلم- في سنته المطهرة، وقد وردت مادة (**صبر**) في القرآن الكريم في مائة وأربعة مواضع، على تنوع في مواردها وأسباب ذكرها.

فقد أمر الله نبيه بخلق الصبر فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ** ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال تعالى :﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وأمر الله به المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وأثنى على أهله، فقال تعالى: ﴿ **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وأخبر بمحبته للصابرين، فقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ومعيَّته لهم، فقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وأخبر أن الصبرَ خير لأصحابه، فقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦].

ووعدهم أن يجزيهم أعلى وأوفى وأحسن مما عملوه، فقال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

وبشرهم؛ فقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

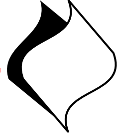
وأخبر أن جزاءهم الجنة فقال تعالى: ﴿ **وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً** ﴾ [الإنسان: ١٢].

وقد قرن الله الصبر بالقيم العليا في الإسلام.

فقرنه باليقين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقرنه بالتوكل، قال تعالى: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ *الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨- ٥٩].

وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة ﴾ [البقرة: ١٥٣].



وقرنه بالتقوى في عدة آيات منها: قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وفي قوله تعالى :﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً** ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[سورة يوسف ٩٠] .

وقرن الله-تبارك وتعالى-الصبر بالعمل، فقال: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود: ١١].

وقرنه بالجهاد، في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠]، وفي قوله تعالى :﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِين** ﴾ [محمد: ٣١].

وقرنه بالاستغفار: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** ﴾ [غافر: ٥٥].

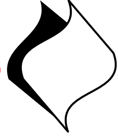
وقرنه بالتسبيح، في قوله تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ** ﴾ [الطور: ٤٨]، وفي قوله تعالى في سورة طه :﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ [طه: ١٣٠].

وقرن الصبر في القرآن الكريم بالحق، في قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ *إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ *إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ – ٣].

وقرنه بالرحمة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧].

وقرنه بالشكر في عدة آيات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥].

وحديث القرآن عن الصبر متنوع وممتع، مما يدل على أهميته ومكانته العظيمة، وكذا الشأن في السنة النبوية، فقد حث النبي-صلى الله عليه وسلم-أمته على هذا الخلق الكريم، وكانت سيرته-صلى الله عليه وسلم-أنموذجاً يحتذى في التخلق بخلق الصبر بشتى أنواعه وأعلى درجاته، ومن قرأ في سيرته العملية وسنته القولية سيجد أن للصبر شأناً عظيماً.



قال صلى الله عليه وسلم: ((**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**)) ٣٣٩٤

وقال بعض السلف: "**الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر**"[٣٣٩٥]

المسألة الثانية: أنواع الصبر.

الصبر ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صبر على الطاعة حتى يفعلها، فإن العبد لا يكاد يفعل المأمور به إلا بعد صبرٍ ومصابرة ومجاهدة لعدوه الباطن والظاهر، فبحسب هذا الصبر يكون أداؤه للمأمورات وفعله للمستحبات.

القسم الثاني: صبر عن المنهي عنه حتى لا يفعله، فإن النفس ودواعيها، وتزيين الشيطان، وقرناء السوء، تأمره بالمعصية وتجرئه عليها، فبحسب قوة صبره يكون تركه لها.

قال بعض السلف: "أعمال البر يفعلها البر والفاجر، ولا يقدر على ترك المعاصي إلا صديق"٣٣٩٦.

وعن سهل بن عبد الله التستري: "ليس من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله، ولا يجتنب الآثام إلا صِدِّيق مقرب، وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر"[٣٣٩٧].

القسم الثالث: الصبر على ما يصيبه بغير اختياره من المصائب،

والمصائب نوعان:

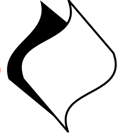
النوع الأول: نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذه يسهل الصبر فيها؛ لأن العبد يشهد فيها قضاء الله وقدره، وإنه لا مدخل للناس فيها، فيصبر إما اضطرارا، وإما

٣٣٩٤ صحيح مسلم (٢٩٩٩)

٣٣٩٥ أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد (٢/٤٥٦) برقم (٢٠٣)، والطبراني في الكبير (٩/١٠٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٧١ ح٤٩٧٦)، موقوفاً على ابن مسعود بلفظ" :**الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله**"

٣٣٩٦ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠ /١٩٧) بإسناده عن سهل بن عبد الله التستري ضمن كلام له طويل بلفظ: "ليس من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله، ولا يجتنب الآثام إلا صِدِّيق مقرب، وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر".

٣٣٩٧ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠ /١٩٧).



اختيارا، فإن فتح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها، وما في حشوها[3398] من النعم، والألطاف[3399] انتقل من الصبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها، فانقلبت حينئذ في حقه نعمة، فلا يزال يجري قلبه ولسانه-أي دأبه وشأنه-فيها: **"رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"**[3400]، وهذا يقوى ويضعِف بحسب قوة محبة العبد لله وضعفها، بل هذا يجده أحدنا في الشاهد كما قال الشاعر يخاطب محبوبا له ناله ببعض ما يكره:

لئن ساءني أن نِلتِني بمساءة = لقد سرني أني خطرت ببالِكِ.

النوع الثاني: أن يحصل له بفعل الناس في ماله أو عرضه أو نفسه.

فهذا النوع يصعب الصبر عليه جداً، لأن النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا النوع إلا الأنبياء والصديقون، وكان نبينا-صلى الله عليه وسلم-إذا أوذي يقول: **"يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر"**[3401].

وأخبر عن نبي من الأنبياء أنه ضربه قومه فجعل يقول: **"اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"** [3402].

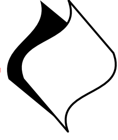
٣٣٩٨ معنى الحشى: الناحية، والمقصود نواحيها أو داخلها. انظر: لسان العرب مادة (حشا) (١٤/١٨٠-١٨١).

٣٣٩٩ اللطيف من الكلام: ما غمض معناه وخفي، واللطف في العمل: الرفق فيه. انظر: لسان العرب مادة(لطف) (٩/٣١٦).

٣٤٠٠ يشير إلى حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أخذ بيده وقال: "يا معاذ والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، أخرجه أبو داود في سننه (٢/١٨١) كتاب الوتر باب في الاستغفار برقم(١٥٢٢) والإمام أحمد في المسند (٥/٢٤٧،٢٤٥). والنسائي في سننه (٣/٥٣) كتاب السهو باب نوع آخر من الدعاء. والإمام أحمد في المسند(٥/٢٤٧،٢٤٥).

٣٤٠١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢٨)، رقم (٣٤٠٥). ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (٣/١٠٩).

٣٤٠٢ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤) رقم (٣٤٧٧). ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد (٥/١٧٩).



وقد روي عنه –صلى الله عليه وسلم– أنه جرى له هذا مع قومه فجعل يقول مثل ذلك، **فجمع في هذا ثلاثة أمور**: العفو عنهم، والاستغفار لهم، والاعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النوع من الصبر عاقبته النصر والعز والسرور، والأمن والقوة في ذات الله، وزيادة محبة الله ومحبة الناس له وزيادة العلم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة الآية ٢٤]"٣٤٠٣.

ويعين العبد على هذا الصبر عدةُ أشياء:

أحدها: أن يشهد أن الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد حركاتهم وسكناتهم وإراداتهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يتحرك في العالم العلوي والسفلي ذرة إلا بإذنه، ومشيئته والعباد آلة، فانظر إلى الذي سلطهم عليك، ولا تنظر إلى فعلهم بك، تستريح من الهم والغم والحزن.

الثاني: أن يشهد ذنوبه، وأن الله إنما سلطهم عليه بذنبه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى الآية: ٣٠]. فإذا شهد العبد أن جميع ما يناله من المكروه فسببه ذنوبه، اشتغل بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي سلطها عليه، عن ذمهم ولومهم والوقيعة فيهم.

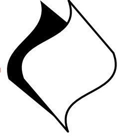
وإذا رأيت العبد يقع في الناس إذا آذوه ولا يرجع إلى نفسه باللوم والاستغفار فاعلم أن مصيبته مصيبة حقيقية.

وإذا تاب واستغفر، وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمة.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلمة من جواهر الكلام: **"لا يرجونَّ عبدٌ إلا ربَّه، ولا يخافنّ عبدٌ إلا ذنبه"**٣٤٠٤

٣٤٠٣ المصدر: قاعدة في الصبر لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: ٩ ، ١٠.

٣٤٠٤ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٢٢/٧) رقم (٩٧١٨)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٦٦٢/٢) رقم (١٥٨٦)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٣٨٣/١) رقم (٥٤٧، ٥٤٨).



وروي عنه وعن غيره: **"ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة"**[٣٤٠٥]

الثالث: أن يشهد العبد حسن الثواب الذي وعده الله لمن عفى وصبر، كما قال تعالى: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الشورى الآية: ٤٠].

ولما كان الناس عند مقابلة الأذى **ثلاثة أقسام** :**ظالم** يأخذ فوق حقه، **ومقتصد** يأخذ بقدر حقه، **ومحسن** يعفو ويترك حقه.

ذكر الأقسام الثلاثة في هذه الآية فأولها للمقتصدين، ووسطها للسابقين، وآخرها للظالمين.

ويشهد نداء المنادي يوم القيامة: "ألا ليقم من وجب أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفى وأصلح"[٣٤٠٦].

٣٤٠٥ رواه الزبير بن بكار في الأنساب)كما عزاه إليه الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/٤٩٧)، ولم أجده في القسم المطبوع من كتاب الأنساب(، أن العباس لما استسقى به عمر قال" :اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة"، ضمن دعاء طويل.

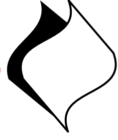
وأخرجه أبوبكر أحمد بن مروان الدينوري (ت: ٣٣٣) في المجالسة وجواهر العلم (٣/١٠٢ –١٠٣ ط. دار ابن حزم) موقوفاً على العباس في دعائه عندما استسقى به عمر، فكان من دعائه" :اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة."

كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/ ٣٥٨ –٣٥٩ ط دار الفكر، ص: ١٨٤ تراجم عبادة بن أوفى –عبد الله بن ثوب). من طريق أبي صالح باذام مولى ابن هانيء عن العباس بن عبد المطلب في حديث طويل.

وقد ثبت في صحيح البخاري استسقاء عمر بدعاء العباس (٢/٤٩٤ مع الفتح) كتاب الاستسقاء –باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا– (ح: ١٠١٠)، دون بيان صفة دعائه على وجه التفصيل، فلم يرد ذكر هذا اللفظ.

وانظر الكلام على هذا الحديث في اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٣٧، ٣٣٨، ط دار الإفتاء).

٣٤٠٦ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم ((إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي ألا ليقم من كان له على الله أجره فلا يقوم إلا من عفى في الدنيا وذلك قوله :﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾)). أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/١١). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١١/١٩٨).



وإذا شهد مع ذلك؛ فوت الأجر بالانتقام والاستيفاء سهل عليه الصبر والعفو.

الرابع: أن يشهد أنه إذا عفى وأحسن أورثه ذلك من سلامة القلب لإخوانه، ونقائه من الغش، والغل، وطلب الانتقام، وإرادة الشر، وحصل له من حلاوة العفو ما يزيد لذته ومنفعته عاجلا وآجلا على المنفعة الحاصلة له بالانتقام أضعافا مضاعفة، ويدخل في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران الآية:١٣٤، ١٤٨].

فيصير محبوبا لله، ويصير حاله حال من أُخِذَ منه دراهم فَعُوِّضَ عنها ألوفاً من الدنانير، فحينئذ يفرح بما مَنَّ الله عليه أعظم فرحٍ ما يكون.

الخامس: أن يعلم أنه ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً يجده في نفسه، فإذا عفى أعزه الله.

وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: ((**ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً**))[٣٤٠٧]

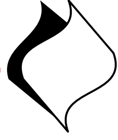
فالعز الحاصل له بالعفو أحب إليه وأنفع له من العز الحاصل له بالانتقام، فإن هذا عِزٌّ في الظاهر وهو يورث في الباطن ذُلاً، والعفو ذل في الباطن وهو يورث العز باطناً وظاهراً.

السادس–وهي من أعظم الفوائد–: أن يشهد أن الجزاء من جنس العمل، وأنه نفسه ظالم مذنب، وأن من عفى عن الناس عفى الله عنه، ومن غفر غفر الله له، فإذا شهد أن عفوه عنهم وصفحه وإحسانه مع إساءتهم إليه، سبب لأن يجزيه الله كذلك من جنس عمله فيعفو عنه ويصفح ويحسن إليه على ذنوبه، ويسهل عليه عفوه وصبره ويكفي العاقل هذه الفائدة.

السابع: أن يعلم أنه إذا اشتغلت نفسه بالانتقام وطلب المقابلة ضاع عليه زمانه، وتفرق عليه قلبه، وفاته من مصالحه، ما لا يمكن استدراكه، ولعل هذا يكون أعظم عليه من المصيبة التي نالته من جهتهم، فإذا عفى وصفح فرغ قلبه وجسمه لمصالحه التي هي أهم عنده من الانتقام.

وأخرجه ابن حبان في روضة العقلاء (ص: ٢٧٦، ٢٧٧) عن الحسن البصري مرسلاً، ووصله البيهقي في شعب الإيمان (١٣٦/١٣) برقم (٧٠٥٠). ورواه هناد ابن السري في الزهد (٤٠٩/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٤/٩) عن الحسن البصري موقوفاً.

٣٤٠٧ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأدب والبر والصلة باب استحباب العفو (٢٠/٨).



الثامن: أن انتقامه واستيفاءه وانتصاره لنفسه وانتقامه، لها، فإن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ما انتقم لنفسه قط.[٣٤٠٨]

فإذا كان هذا خير خلق الله وأكرمهم على الله لم يكن ينتقم لنفسه مع أن أذاه أذًى لله ويتعلق به حقوق الدين، ونفسه أشرف الأنفس، وأزكاها، وأبرها وأبعدها من كل خُلقٍ مذموم، وأحقها بكل خُلقٍ جميل، ومع هذا فلم يكن ينتقم لها.

فكيف ينتقم أحدنا لنفسه التي هو أعلم بها وبما فيها من العيوب والشرور بل الرجل العارف لا تساوي نفسه عنده أن ينتقم لها، ولا قدر لها عنده يوجب عليه انتصاره لها.

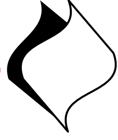
التاسع: إن أوذي على ما فعله لله أو على ما أمره به من طاعته ونهى عنه من معصيته وجب عليه الصبر ولم يكن له الانتقام، فإنه قد أوذي في الله، فأجره على الله، ولهذا لما كان المجاهدون في سبيل الله ذهبت دماؤهم وأموالهم في الله لم تكن مضمونة، فإن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، فالثمن على الله لا على الخلق، فمن طلب الثمن منهم لم يكن له على الله ثمن، فإنه من كان في الله تلفه كان على الله خلفه[٣٤٠٩].

وإن كان قد أوذي على معصية، فليرجع باللوم على نفسه، ويكون في لومه لها شغل عن لومه لمن آذاه.

٣٤٠٨ انظر: صحيح البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي–صلى الله عليه وسلم–. (٥٦٦/٦ مع الفتح) رقم: (٣٥٦٠). وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب مباعدته–صلى الله عليه وسلم–للآثام، رقم (٢٣٢٧–٢٣٢٨).

٣٤٠٩ روى أبو يعلى في مسنده (٣٦/٤ ح ٢٠٤٠ تحقيق حسين سليم أسد)، عن بشر بن الوليد الكندي عن المسور بن الصلت عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: "كل معروف صدقة، وما أنفق الرجل على أهله وماله كتب له صدقة، وما وقى به عرضه فهو صدقة. قال: وكل نفقة مؤمن في غير معصية فعلى الله خلفه ضامناً إلا نفقة في بنيان". قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٦/٣): "وفي إسناد أبي يعلى مسور بن الصلت وهو ضعيف" ورواه أيضا الدار قطني في سننه (٢٨/٣ برقم ١٠١)، والحاكم في مستدركه (٥٠/٢) كلاهما من طريق عبد الحميد بن الحسن الهلالي عن محمد بن المنكدر بنحوه.

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، وشاهده ليس من شرط هذا الكتاب "وتعقبه الذهبي بقوله :"بل ضعفوه".



وإن كان قد أوذي على حضٍ، فليوطن نفسه على الصبر، فإن نيل الحظوظ دونه أَمْرٌ أَمَرُّ من الصبر، فمن لم يصبر على حرِّ الهواجر[3410]، والأمطار، والثلوج، ومشقة الأسفار، ولصوص الطريق، وإلا فلا حاجة له في المتاجر، وهذا أمر معلوم عند الناس أن من صدق في طلب شيء من الأشياء بذل من الصبر في تحصيله بقدر صدقه في طلبه.

العاشر: أن يشهد معية الله معه إذا صبر، ومحبة الله له ورضاه، ومن كان الله معه دفع عنه من أنواع الأذى والمضرات ما لا يدفع عنه أحد من خلقه، قال الله تعالى: ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال الآية (٤٦)]. وقال :﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران الآية (١٤٦)].

الحادي عشر: أن يشهد أن الصبر نصف الإيمان، فلا يبذل من إيمانه جزءاً في نصرة نفسه، فإن صبر فقد أحرز إيمانه وصانه من النقص والله تعالى يدفع عن الذين آمنوا.

الثاني عشر: أن يشهد أن صبره حكم منه على نفسه، وقهر لها، وغلبة لها، فمتى كانت النفس مقهورة معه مغلوبة، لم تطمع في استرقاقه، وأسره، وإلقائه في المهالك، ومتى كان مطيعاً لها سامعاً منها مقهوراً معها لم تزل به حتى تهلكه، أو تتداركه رحمة من ربه.

فلو لم يكن في الصبر إلا قهره لنفسه ولشيطانه، فحينئذ يظهر سلطان القلب وتثبت جنوده، فيفرح ويقوى ويطرد العدو عنه.

الثالث عشر: أن يعلم أنه إن صبر فالله ناصره ولابد، فإن الله وكيل من صبر وأحال ظالمه عليه، ومن انتصر بنفسه لنفسه وكله الله إلى نفسه، فكان هو الناصر لها، فأين من ناصره الله خير الناصرين، إلى من ناصره نفسه أعجز الناصرين وأضعفه.

الرابع عشر: أن صبره على من آذاه واحتماله له يوجب رجوع خصمه عن ظلمه وندامته واعتذاره، ولوم الناس له فيعود بعد إيذائه له مستحيا منه، نادماً على ما فعله، بل يصير موالياً له وهذا معنى قوله: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ *وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [فصلت الآيتان: ٣٤،٣٥].

٣٤١٠ جمع هاجرة: وهي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر، أو نصف النهار عند اشتدادا الحر. انظر: لسان العرب مادة (هجر) (٥/٢٥٤).

الخامس عشر: ربما كان انتقامه ومقابلته سبباً لزيادة شر خصمه وقوة نفسه وفكرته في أنواع الأذى التي يوصلها إليه كما هو المشاهد، فإذا صبر وعفى أمن من هذا الضرر.

والعاقل لا يختار أعظم الضررين بدفع أدناهما، وكم قد جلب الانتقام والمقابلة من شر عجز صاحبه عن دفعه، وكم قد ذهبت به نفوس ورئاسات وأموال وممالك لو عفى المظلوم لبقيت عليه.

السادس عشر: أن من اعتاد الانتقام ولم يصبر، لابد أن يقع في الظلم، فإن النفس لا تقتصر على قدر العدل الواجب لها، لا علما، ولا إرادة، وربما عجزت عن الاقتصار على قدر الحق، فإن الغضب يخرج بصاحبه إلى حد لا يعقل ما يقول وما يفعل، فبين هو مظلوم ينتظر النصر والعز، إذ انقلب ظالماً ينتظر المقت والعقوبة.

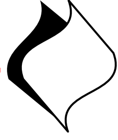
السابع عشر: أن هذه المظلمة التي قد ظُلمها هي سبب، إما لتكفير سيئة، أو رفع درجة، فإذا انتقم ولم يصبر لم تكن مكفرة لسيئته ولا رافعة لدرجته.

الثامن عشر: أن عفوه وصبره من أكبر الجند له على خصمه، فإن من صبر وعفا كان صبره وعفوه موجباً لذل عدوه، وخوفه وخشيته منه، ومن الناس، فإن الناس لا يسكتون عن خصمه وإن سكت هو، فإذا انتقم زال ذلك كله، ولهذا تجد كثيراً من الناس إذا شتم غيره أو آذاه يحب أن يستوفي منه، فإذا قابله استراح وألقى عنه ثقلاً كان يجده.

التاسع عشر :أنه إذا عفى عن خصمه، استشعرت نفس خصمه أنه فوقه، وأنه قد ربح عليه، فلا يزال يرى نفسه دونه وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعفو.

العشرون :أنه إذا عفا وصفح كانت هذه حسنة، فتولد له حسنة أخرى، وتلك الأخرى تولد أخرى، وهلم جرًّا، فلا تزال حسناته في مزيد، فإن من ثواب الحسنة الحسنة، كما أن من عقاب السيئة السيئة بعدها، وربما كان هذا سبباً لنجاته وسعادته الأبدية، فإذا انتقم وانتصر زال ذلك.[٣٤١١]

٣٤١١ المصدر: قاعدة في الصبر لشيخ الإسلام ابن تيمية



السادس عشر: شرح قول المصنف: "ويتحابون في الدين، ويتباغضون فيه".

الشرح:

عن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يلقى في النار)). [٣٤١٢]

فالحديث دل على أن حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله، وهذه الحلاوة لا تحصل إلا بثلاثة أمور:

أ– تكميل هذه المحبة، ٢– تفريعها، ٣– دفع ضدها.

١– "فتكميلها": أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

٢– و"تفريعها": أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

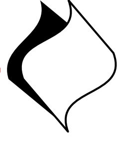
٣– و"دفع ضدها" أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار". [٣٤١٣]

"وهذه المحبة هي فوق ما يجده سائر العشاق والمحبين من محبة محبوبهم، بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثيل لمن تعلقت به.

وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهرا وباطنا وهذا لا نظير له في محبة المخلوق كائنا من كان.

٣٤١٢ أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)

٣٤١٣ مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٦).



ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركا شركا لا يغفره الله كما قال الله تعالى: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله} والصحيح أن معنى الآية: والذين آمنوا أشد حبا لله من أهل الأنداد لأندادهم كما تقدم بيانه أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلا، كما لا يماثل محبوبهم غيره. وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته". [٣٤١٤]

السابع عشر: شرح قول المصنف:"ويتقون الجدال في الله، والخصومات فيه".

الشرح:

أولًا: شرح قول المصنف: **"ويتقون الجدال في الله"**.

تعريف الجدل:

الجدل لغة: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وجادله أي: خاصمه، مجادلة وجدالًا. والجدل: مقابلة الحجة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والجدالُ: الخصومة؛ سمي بذلك لشدته[٣٤١٥]

معنى الجدل اصطلاحًا:

قال بن الأثير: (الجَدَل: مُقابَلة الحُجَّة بالحجَّة. والمِجَادَلَة: المناظَرةُ والمخاصَمة)[٣٤١٦].

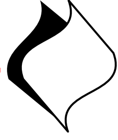
قال الراغب: (الجِدَال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة)[٣٤١٧].

٣٤١٤ روضة المحبين (ص: ١٩٩-٢٠٠).

٣٤١٥ ((مجمل اللغة)) لابن فارس (١١٧٩)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/ ١٠٥)

٣٤١٦ النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٢٤٨.

٣٤١٧ المفردات في غريب القرآن، ص ١٨٩.



وقال الجرجاني: (الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه)[٣٤١٨] .

وقال أيضًا: (الجدال: هو عبارة عن مراء يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها)[٣٤١٩]

تعريف المراء.

معنى المراء لغةً:

المراء: الجدال. والتماري والمماراة: المجادلة على مذهب الشكِّ والريبة، ويقال للمناظرة: مماراة، وماريته أماريه مماراة ومراء: جادلته[٣٤٢٠].

معنى المراء اصطلاحًا:

المراء: هو كثرة الملاحاة للشخص لبيان غلطه وإفحامه، والباعث على ذلك الترفع .[٣٤٢١])

وقال الجرجاني: (المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير)[٣٤٢٢].

وقال الهروي عن المراء: هو (أن يستخرج الرجل من مناظره كلامًا ومعاني الخصومة وغيرها)[٣٤٢٣] .

-الفرق بين الجدال والمراء:

قيل: هما بمعنى واحد.

٣٤١٨ التعريفات، ص ٧٤.

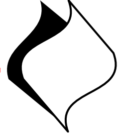
٣٤١٩ التعريفات، ص ٧٥.

٣٤٢٠ لسان العرب، لابن منظور (٢٧٨/ ١٥) المصباح المنير، للفيومي (٥٦٩/ ٢).

٣٤٢١ التعريفات الاعتقادية، لسعد آل عبد اللطيف، ص٢٦٥.

٣٤٢٢ التعريفات، ص ٢٠٩.تهذيب اللغة، (٢٠٤/ ١٥).

٣٤٢٣ تهذيب اللغة، ٢٠٤/ ١٥.



غير أن المراء مذموم، لأنه مخاصمة في الحقِّ بعد ظهوره، وليس كذلك الجدال[٣٤٢٤].

ولا يكون المراء إلا اعتراضًا، بخلاف الجدال، فإنَّه يكون ابتداء واعتراضًا[٣٤٢٥].

ينقسم الجدال إلى قسمين:

١-الجدال المحمود:

وهو الذي يكون الغرض منه تقرير الحقِّ، وإظهاره بإقامة الأدلة والبراهين على صدقه، وقد جاءت نصوص تأمر بهذا النوع من الجدال، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الجدال في قوله تعالى: ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [النحل: ١٢٥]. وقال جلَّ في علاه: وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ [العنكبوت: ٤٦].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم))[٣٤٢٦].

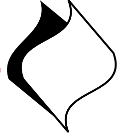
وقد حصل هذا النوع من الجدال بين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبين الخوارج زمن علي بن أبي طالب بأمر علي، فأقام عليهم الحجة وإفحامهم، فرجع عن هذه البدعة خلق كثير[٣٤٢٧]. وكذلك مجادلة أحمد بن حنبل للمعتزلة، ومجادلات ابن تيمية لأهل البدع.

٣٤٢٤ الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص ١٥٨.

٣٤٢٥ الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص ١٥٩.

٣٤٢٦ رواه أبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦)، وأحمد (٣/ ١٢٤) (١٢٢٦٨)]. قال الحاكم صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حزم في ((أصول الأحكام ١/ ٢٧)). وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين ص ٤٣٧.

٣٤٢٧ رواه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٥/ ١٦٥) (٨٥٧٥)، والطبراني (١٠/ ٢٥٧) | (١٠٥٩٨)، والحاكم (٢ / ١٦٤) واللفظ له، والبيهقي (٨ / ١٧٩) (١٧١٨٦). وصحح إسناده ابن تيمية في ((منهاج السنة)) (٨ / ٥٣٠)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٦ / ٢٤٢): رجاله رجال الصحيح، وحسنه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (٧١١).



٢-الجدال المذموم:

هو الجدال الذي يكون غرضه تقرير الباطل بعد ظهور الحقِّ، وطلب المال والجاه، وقد جاءت الكثير من النصوص والآثار التي حذَّرت من هذا النوع من الجدال ونهت عنه، ومن هذه النصوص:

قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ) [الحج: ٣].

وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) [الحج: ٨].

وقوله سبحانه: (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ) [غافر: ٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((المراء في القرآن كفر))[٣٤٢٨].

وقال ابن عثيمين: (المجادلة والمناظرة نوعان:

النوع الأول: مجادلة مماراة: يماري بذلك السفهاء، ويجاري العلماء، ويريد أن ينتصر قوله؛ فهذه مذمومة.

النوع الثاني: مجادلة لإثبات الحق وإن كان عليه؛ فهذه محمودة مأمور بها)[٣٤٢٩].

وقال الكرماني: (الجدال: هو الخصام، ومنه قبيح وحسن وأحسن؛ فما كان للفرائض فهو أحسن، وما كان للمستحبات فهو حسن، وما كان لغير ذلك فهو قبيح) [٣٤٣٠]

ثانيًا: شرح قول المصنف: **"والخصومات فيه"**.

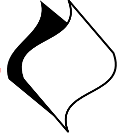
تعريف الخصومة:

الخصومة: هي لجاجٌ في الكلام ليستوفِي به مالاً أو حقًّا مقصودًا، وذلك تارة يكون ابتداءً أو اعتراضًا، بخلاف المراء فإنَّه لا يكون إلا باعتراضٍ على كلام سَبق، والخصومةُ نتيجة طبيعيَّة للجدال والمراء والخَوض في الباطل.

٣٤٢٨ رواه أبو داود (٤٦٠٣)، وأحمد (٢/ ٣٠٠) (٧٩٧٦)، وابن حبان (١/ ٢٧٥) (٧٤). صـــححه النووي في ((التبيان)) (٢٠٦)، وحسـنه ابن القيم في ((تهذيب السـنن)) (١٢/ ٣٥٣)، وصـححه الألباني في ((صـحيح الجامع)) (٦٦٨٧)

٣٤٢٩ العلم ص ١٦٤.

٣٤٣٠ فتح الباري لابن حجر ١١/ ٣١٤



وهذه الخصومة نعني بها الخصومة بالباطِل أو بغير علمٍ، فصاحبها مُتوعَّد بسخط الله تعالى؛ فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث له: ((ومَن خاصَم في باطل وهو يعلمه، لم يزل في سخطِ الله حتى ينزِع، ومَن قال في مؤمنٍ ما ليس فيه، أسكنه الله ردغةَ الخَبال[٣٤٣١] حتى يخرج ممَّا قال، وليس بخارجٍ))[٣٤٣٢]

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إيَّاكم والخصومة؛ فإنها تمحق الدِّين"[٣٤٣٣]

ويقول الأحنف بن قيس رحمه الله: "كثرة الخصومة تنبت النفاقَ في القلب"[٣٤٣٤].

ويقول معاوية بن قرَّة رحمه الله: "إيَّاكم وهذه الخصومات؛ فإنَّها تحبط الأعمال"[٣٤٣٥].

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "مَن جعل دينَه غرضًا للخصومات، أكثر التَّنقُّل"[٣٤٣٦]

فهذه الخصومات وهذا الجدل وهذا المِراء أمرٌ محدَث لا يُوجِد إلا الشك في القلوب ويبعِد عن الحق، ومهما حصل من نفع منه في بعض الأحيان، فهو يسير لكن شره وفير، وقد يقول هؤلاء: نحن نخاصم به أهل الباطل، الذي لا يؤمن بالقرآن والسنَّة، وهذه حجة باطلة فهؤلاء لا الإسلام نصروا ولا الباطل كسروا، فالقرآن، خاطب الكفار وخاطب المشركين وخاطب أهل الكتاب، خاطبهم بقال الله وقال الرسول، وفيه من الحجج والبراهين ما يكفي لبيان الحق ودفع الباطل، ففي القرآن والسنَّة من الأدلة العقلية واليقينية ما يغني ويشفي ولسنا بحاجة إلى فلسفةٍ ولا إلى علم كلام.

٣٤٣١ ردغة الخبال: عصارة أهل النار.

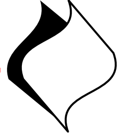
٣٤٣٢ (صحيح الجامع: ٦١٩٦).

٣٤٣٣ (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي: ٢/ ١٢٧).

٣٤٣٤ (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي: ٢/ ١٢٩).

٣٤٣٥ (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي: ٢/ ١٢٩).

٣٤٣٦ أخرجه ابن أبي الدنيا كتاب الصمت وآداب اللسان ص١١٦، وأخرج الأثر ابن سعد في الطبقات ٥/ ٣٧١، وأحمد في الزهد ص ٣٠٢، واللالكائي في السنة ١/ ١٤٤، والدارمي في السنن ١/ ٩١، والفريابي في القدر ورقة أ/ ٦٤، وقال محقق كتاب الصمت رجاله ثقات الحاشية ص ١١٦. والآجري في الشريعة: ١/ ١٨٩).



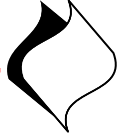
الثامن عشر: شرح قول المصنف: "ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات".

الشرح:

مسألة الموالاة والمعاداة، والحب والبغض، يجب أن يكون مبنى ذلك يكون على أساس الدين؛ لا النسب والقرابة، ولا الوطن والأرض. قال تعالى : {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: الآيتان: ٥٥-٥٦]، وقال: {قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُم وَعَشِيَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ} [التوبة: الآية: ٢٤]، وقال: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ الْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ابآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَاللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٣) [المجادلة: ٢٢]. وقال-صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ)). (١) .

التاسع عشر: شرح قول المصنف:

"ويقتدون بالنبي-صلى الله عليه وسلم-وبأصحابه الذين هم كالنجوم؛ بأيهم اقتدوا اهتدوا، كما كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقوله فيهم، ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين".



الشرح:

أولًا: شرح قول المصنف: "ويقتدون بالنبي –صلى الله عليه وسلم–"

بعث الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة الجامعة الخاتمة ألا وهي رسالة الإسلام التي ارتضاها عز وجل لتكون دينا ومنهاجا، يسير عليه الجن والإنس في حياتهم الدنيا حتى يتم لهم صلاح معاشهم الذي هم فيه، ومعادهم الذي سيصيرون إليه.

ولقد شاء تبارك وتعالى أن يجعل لهذه الرسالة مصدرين للتلقي هما:

١– القرآن الكريم، ٢– السنة النبوية.

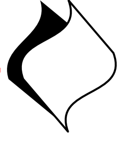
فالقرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول في الإسلام وهو كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام.

والسنة هي المصدر الثاني لأنها مبينة لأحكامه موضحة لإبهامه ومخصصة لعمومه ومقيدة لإطلاقه وشارحة لأحكامه وأهدافه.

قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: الآية: ٤٤].

وقال تعالى: {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل: الآية: ٦٤].

فالرسول–صلى الله عليه وسلم–كما خص بالوحي المتلو وهو القرآن الكريم كذلك خص بالوحي غير المتلو وهو السنة التي لا مندوحة عن اتباعها.

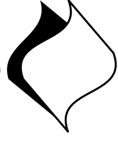


قال تعالى: { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم: الآيتان: ٣-٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)). [٣٤٣٧] وبناء على ذلك فإن القرآن والسنة هما المنهلان العظيمان اللذان تستقي منهما الأمة المسلمة عقيدتها وشريعتها وكل ما فيه صلاح شؤونها في دنياها وآخرتها وهما المنهاج والنبراس الذي سار عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، في طاعتهم واتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لاعتقادهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء بهذين الأصلين وحيا من عند الله عز وجل، كما أنه أمر باتباعهما والأخذ بما فيهما اعتقادا وقولا وعملا. قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} [الحشر: الآية: ٧]، فهم من هذا المنطلق التزموا وتمسكوا بالقرآن والسنة وتلقوهما بالقبول والتسليم والإيمان والتعظيم فأحلوا حلالهما وحرموا حرامهما واتخذوا منهما منهجا لجميع شؤونهم وأحوالهم يرجعون إليه امتثالا لنداء الله حيث قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: الآية: ٥٩].

قال ابن القيم: "إن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول-صلى الله عليه وسلم-هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته". [٣٤٣٨]

٣٤٣٧ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب في لزوم السنة (٥/ ١٠) ح ٤٦٠٤ وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٤٣).

٣٤٣٨ إعلام الموقعين (١/ ٤٩، ٥٥).



ومن هذين الأصلين – الكتاب والسنة – استقى السلف المسلك القويم والمنهج السليم الذي ساروا عليه في طاعتهم واتباعهم لرسولهم ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وهذا المنهج يمكن تلخيصه في النقاط الرئيسية التالية:

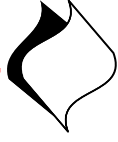
أولًا: اتباع القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وحيا بواسطة جبريل عليه السلام، والذي تولى الله سبحانه وتعالى حفظه بقوله: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر: الآية: ٩].

كما جعله نظاما ومنهجا يهتدي به عباده المؤمنون كما قال تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين} [البقرة: الآية: ٢].

ولقد اعتنى السلف بكتاب الله عز وجل فحفظوه في صدورهم ومصاحفهم وصاروا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وينفذون أحكامه وشرائعه جيلا بعد جيل في جميع جوانب حياتهم الفردية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها من الأمور الدنيوية والأخروية.

كما تفرغ عبر القرون ثلة من خيارهم لدراسته وتفسيره واستنباط أحكامه ومعرفة ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، والاعتبار بدعوته وقصصه، ووعظه وإرشاداته وأمثاله.



وهذا الموقف من السلف الصالح يمثل مظهرا من مظاهر التأسي والاقتداء بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، كما يعد تطبيقا عمليا لما أوصى به عليه الصلاة والسلام أمته حيث قال: ((إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به فلن تَضِلُّوا أبدًا ، كتابَ اللهِ ، و سُنَّةَ نبيّه))..[3439]

ثانيا: اتباع سنته–صلى الله عليه وسلم–والعمل بها:

فلقد أوجب الله على العباد طاعة رسوله–صلى الله عليه وسلم–واتباعه وقد تقدم إيراد الأدلة على ذلك.

[3440]

ولقد عمل السلف بما أوجبه الله تعالى فأخذوا بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وعملوا بها أمرا ونهيا وخبرا، فكانت أقواله وأفعاله وتقريراته هي المصدر الثاني بعد كتاب الله عز وجل الذي تستقي منه الأمة أحكامها وتشريعاتها في شتى شؤون حياتها. قال الإمام الثوري: "إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل". [3441]

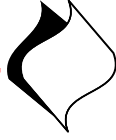
قال ابن تيمية: "فعلى العاقل أن يجتهد في اتباع السنة في كل شيء من ذلك، ويعتاض عن كل ما يظن من البدع أنه خير بنوعه من السنن، فإنه من يَتَحَرَّ الخيرَ يُعْطَهُ، ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقَهُ.". [3442]

٣٤٣٩ أخرجه الحاكم (٣١٨)، والبيهقي في ((الاعتقاد)) (ص٢٢٨) واللفظ لهما، والخطيب في ((المتفق والمفترق)) (٨٠٨) بنحوه مطولا.

٣٤٤٠ إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٧، ٣٠٨).

٣٤٤١ الجامع لأخلاق الراوي، (١٤٢/١) ، وذم الكلام وأهله، (١٨١/١)..

٣٤٤٢ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٠).



ويعتقد السلف أن للسنة استقلاليتها في تشريع الأحكام وهي كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام، فالأحكام التي سكت القرآن عن بيان حكمها وورد في السنة بيانها، فإن السلف يعملون بهذه الأحكام ويأخذون بها، ولا يرون أن هناك تعارضا البتة بين الأصلين.

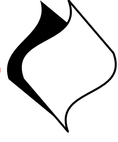
كما يعتقد السلف أن علاقة السنة بالمصدر الأول الذي هو القرآن تسير وفق الأوجه الثلاثة التالية:

١- أن تكون السنة موافقة للقرآن من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها وذلك مثل الأحاديث التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم من غير تعرض لشرائطها وأركانها.

٢- أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرا له، وذلك مثل الأحاديث التي فصلت أحكام وهيئات الصلاة والصيام والحج والبيوع والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن، وهذا القسم هو أغلب ما في السنة وأكثرها ورودا.

٣- أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن على إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه، كالأحاديث التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وأحكام الشفعة وغير ذلك.

فالسنة الصحيحة لا تخرج عن هذه الضوابط، كما أنها لا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائدا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديما لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله التي أمر الله بها على جهة الاستقلال فقال تعالى: {وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول} وقال تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع الله} فهذه الطاعة المأمورون بها هي طاعة مختصة به صلى الله عليه وسلم١، ويجب علينا العمل بها.



فالسلف يؤمنون "بأن الله سبحانه نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم منصب المبلغ المبين عنه، فكل ما شرعه للأمة فهو بيان منه عن الله أن هذا شرعه ودينه، ولا فرق بين ما يبلغه عنه من كلامه المتلو ومن وحيه الذي هو نظير كلامه في وجوب الاتباع، ومخالفة هذا كمخالفة هذا.

فعلى سبيل المثال فإن الله أمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان، ثم جاء البيان عن رسوله صلى الله عليه وسلم بمقادير ذلك وصفاته وشروطه، فوجب على الأمة قبوله، إذ هو تفصيل لما أمر الله به، كما يجب علينا قبول الأصل المفصل، وهكذا أمر الله سبحانه بطاعته وطاعة رسوله، فإذا أمر الرسول بأمر، كان تفصيلا وبيانا للطاعة المأمور بها، وكان فرض قبوله كفرض قبول الأصل المفصل، ولا فرق بينهما، والبيان من النبي صلى الله عليه وسلم على أقسام:

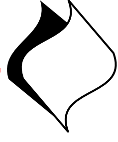
أحدها: بيان نفس الوحي بظهوره على لسانه بعد أن كان خفيا.

الثاني: بيان معناه وتفسيره لمن احتاج إلى ذلك كما بين أن الظلم المذكور في قوله {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} [الأنعام: الآية: ٨٢] هو الشرك وأن الحساب اليسير هو العرض وأن الخيط الأبيض والأسود هما بياض الليل وسواد النهار.

الثالث: بيانه بالفعل كما بين أوقات الصلاة للسائل بفعله.

الرابع: بيان ما سئل عنه من الأحكام التي ليست في القرآن فنزل القرآن ببيانها، كما سئل عن قذف الزوجة فجاء القرآن باللعان ونظائره.

الخامس: بيان ما سئل عنه بالوحي وإن لم يكن قرآنا، كما سئل عن رجل أحرم في جبة بعدما تضمخ بالخلوق فجاء الوحي بأن ينزع عنه الجبة ويغسل أثر الخلوق.



السادس: بيانه للأحكام بالسنة ابتداء من غير سؤال، كما حرم عليهم لحوم الحمر، والمتعة، وصيد المدينة، ونكاح المرأة على عمتها وخالتها وأمثال ذلك.

السابع: بيانه للأمة جواز الشيء بفعله هو له، وعدم نهيهم عن التأسي به.

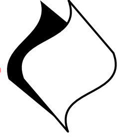
الثامن: بيان جواز الشيء بإقراره لهم على فعله وهو يشاهده، أو يعلمهم يفعلونه.

التاسع: بيانه إباحة الشيء عفوا بالسكوت عن تحريمه وإن لم يأذن فيه نطقا.

العاشر: أن يحكم القرآن بإيجاب شيء أو تحريمه أو إباحته ويكون لذلك الحكم شروط وموانع وقيود وأوقات مخصوصة وأحوال وأوصاف، فيحيل الرب سبحانه وتعالى على رسوله في بيانها كقوله تعالى: {وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ} [النساء: الآية: ٢٤]، فالحل موقوف على شروط النكاح وانتفاء موانعه وحضور وقته وأهلية المحل". [٣٤٤٣]

ومن هذا المفهوم والتصور الواضح لأهمية السنة ومكانتها ودورها في التشريع انطلقت أفعال السلف مترجمة لهذا التصور فكان من تلك الأفعال أن اعتنى السلف بالسنة فتضافرت جهود العلماء من لدن الصحابة والتابعين على حفظ السنة والعناية بها وصيانتها فحظيت منذ ذلك الحين بسياج من الحماية منقطع النظير، وقد اتبع الصحابة في ذلك كل سبيل يحفظ للسنة نورها وصفاءها، وكان من ذلك التحري والتثبت في روايتها خشية الوقوع في الخطأ وخوفا من أن يتسرب إليها التصحيف والتحريف، بل إن بعضهم فضل الإقلال من الرواية. قال ابن قتيبة: "كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية أو أتى بخبر الحكم لا

٣٤٤٣ إعلام الموقعين (٢/ ٣١٤، ٣١٥).



شاهد له عليه، وكان يأمرهم بأن يقلوا من الرواية يريد بذلك أن لا يتسمع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي. وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر والزبير، وأبي عبيدة، والعباس بن عبد المطلب يقلون الرواية عنه بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئا كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل١ وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة".

٣٤٤٤

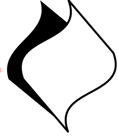
ولقد تبعهم من بعدهم من التابعين ومن بعدهم على ذلك.

وكما احتاط السلف في التحديث احتاطوا وتثبتوا كذلك في قبول الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الذهبي: "كان أبو بكر رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الأخبار، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال: لا أجد لك في كتاب الله شيئا وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا، ثم سأل الناس فقام المغيرة وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس.فقال: هل معك غيرك؟، فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه".

واستشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في إملاص المرأة [٣٤٤٥]، فقال المغيرة بن شعبة٥: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة عبد أو أمة.

٣٤٤٤ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص: ٣٠).

٣٤٤٥ هو أن تزلق الجنين قبل وقت الولادة. النهاية (٤/ ٣٥٦).



فقال عمر: ائتني بمن يشهد معك. قال فشهد له محمد بن مسلمة.[٣٤٤٦]

وحدث لعمر مثل هذه الحادثة مع كثير من الصحابة منهم أبي بن كعب وأبو موسى وفي رواية: قال عمر لأبي موسى: "أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم". [٣٤٤٧]

وعن علي رضي الله عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حديثا نفعني الله بما شاء منه وإذا حدثني عنه غيري استحلفته فإذا حلف لي صدقته ... ". [٣٤٤٨]

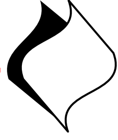
وهذا التثبت من الصحابة رضوان الله عليهم كان الحامل لهم عليه هو ألا يسترسل الناس في رواية الحديث ويتساهلوا فيه من غير تحر وتثبت كاف فيقعوا في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث شعروا أو لم يشعروا، ويدلك على ذلك قول عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعرى: "أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وهذه الشواهد عن ثلاثة من الخلفاء الراشدين تترجم حرصهم وجهودهم في المحافظة على السنة بأن لا يشوبها ما ليس منها.

٣٤٤٦ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب دية الجنين (٥/ ١١١، ١١٢).

٣٤٤٧ أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٩٦٤).

٣٤٤٨ أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢) ، وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في أن الصلاة كفارة (١/ ٤٤٦) ح ١٣٩٥.



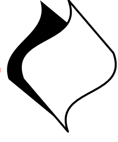
وقد تتابعت الجهود من الصحابة ومن جاء بعدهم على حفظ السنة وحمايتها إلى أن قعدت القواعد ووضعت الضوابط التي يعرف بها قوة الحديث أو وهنه وكان من تلك الضوابط علم إسناد الحديث فقد اعتني بهذا الجانب منذ وقت مبكر، واهتم به العلماء حتى جعلوه من الدين قال عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" وقال: "بيننا وبين القوم قوائم" يعني الإسناد. [٣٤٤٩]

ولقد اشتغل علماء الحديث بنقد الرواة وبيان حالهم ومن تقبل روايته ومن لا تقبل من خلال دراسة الراوي سيرة وتاريخا ومعتقدا وسلوكا، ولم تأخذهم في ذلك لومة لائم، وقد قيل ليحي بن سعيد القطان: " أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟، فقال: لأن يكون هؤلاء خصمي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: لم لم تذب الكذب عن حديثي". [٣٤٥٠]

وهذه لمحة وإشارة لما بذله السلف من جهود في حفظ السنة والذب عنها لتبقى منهلا صافيا تستقي منه الأمة أمور دينها ودنياها وآخرتها حتى يتحقق لها اتباع رسولها محمد صلى الله عليه وسلم الذي أمر الله بالاقتداء به والسير على نهجه والطاعة له في كل ماجاء به صلى الله عليه وسلم.

٣٤٤٩ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي (ص: ٩٢).

٣٤٥٠ السنة ومكانتها (ص: ٩٣) .



ثانيًا: شرح قول المصنف: "وبأصحابه الذين هم كالنجوم [3451]؛ بأيهم اقتدوا اهتدوا، كما كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يقوله فيهم، ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين".

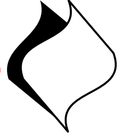
٣٤٥١ هذا الحديث رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (٨٩٥) وابن حزم في "الإحكام" (٦/ ٢٤٤) من طريق سلام بن سليم ، قال : حدثنا الحارث بن غصين ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)) وسلام بن سليم ، ويقال ابن سليمان ، متروك متهم قال ابن معين: ليس حديثه بشـــيء، وقال ابن حبان: يروى عن الثقات الموضـــوعات كأنه كان المعتمد لها. "المجروحين" (١/ ٣٣٩).

وأخرجه الخطيب في " الكفاية في علم الرواية " (ص: ٤٨) والبيهقي في " المدخل " (١٥٢) والديلمي (٤/ ٧٥) من طريق سليمان ابن أبي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا بلفظ : ((إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء ، فأيها أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة)).

وهذا إسناد ضعيف جدا: سليمان بن أبي كريمة ضعيف، وجويبر هو ابن سعيد الأزدي ، متروك ، كما قال الدارقطني والنسائي وغيرهما ، وضعفه ابن المديني جدا. "ميزان الاعتدال" (٢/ ٢٢٢) – "التهذيب" (٢/ ١٠٦)

والضحاك هو ابن مزاحم الهلالي لم يلق ابن عباس، وقال البيهقي عقبه: " هذا حديث متنه مشهور، وأسانيده ضعيفة، لم يثبت في هذا إسناد".

ورواه ابن عساكر في "تاريخه" (١٩/ ٣٨٣) والديلمي في " مسنده " (٢/ ١٩٠) من طريق نعيم ابن حماد حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب مرفوعا : ((سألت ربي عز وجل فيما اختلف



فيه أصحابي من بعدي فأوحى الله إلي: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض؛ فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى)). وهذا إسناد تالف، نعيم بن حماد ضعيف، وعبد الرحيم بن زيد العمي كذاب". التهذيب" (٦/ ٢٧٤).

وذكره ابن عبد البر معلقا (٢/ ١٨٣) من طريق أبي شهاب الحناط عن حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر مرفوعا به. ثم قال ابن عبد البر : "وهذا إسناد لا يصح ، ولا يرويه عن نافع من يحتج به ". وحمزة هذا هو ابن أبي حمزة ، قال ابن معين: لا يساوى فلسا، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن عدى: عامة ما يرويه موضوع". "ميزان الاعتدال" (١/ ٦٠٦)

وقد تواردت نصوص أهل العلم بعدم صحة هذا الحديث:

فقال الإمام أحمد: "لا يصح هذا الحديث" . "سلسلة الأحاديث الضعيفة" ، للشيخ الألباني (١/ ١٤٥) .

وَقَالَ الْحَافِظ أَحْمد بن عَمْرو بن عبد الْخَالِق الْبَزَّار: "هَذَا الْكَلَام لم يَصح عَن النَّبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم" . "البدر المنير" (٩/ ٥٨٧).

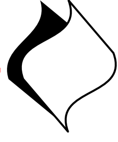
وقال ابن حزم: "باطل مكذوب من توليد أهل الفسق لوجوه ضرورية ". "الإحكام في أصول الأحكام " (٥/ ٦١) .
وقال ابن الملقن: "جميع طرقه ضعيفة" ."البدر المنير" (٩/ ٥٨٧).

وقال ابن القيم: "روي من طرق ، ولا يثبت شيء منها". إعلام الموقعين (٢/ ٢٤٢).

وقال الشوكاني في"الفتح الرباني" (٥/ ١٧٩) "صرح أئمة الجرح والتعديل بأنه لا يصح منها شيء، وأن هذا الحديث لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" .

وقال الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٥٨) : "موضوع".

قال الإمام ابن حزم-رحمه الله-في بيان بطلان هذا الحديث متنا: "من المحال أن يأمر رسول الله-صلى الله عليه وسلم- باتباع كل قائل من الصحابة-رضي الله عنهم-، وفيهم من يحلل الشيء وغيره منهم يحرمه، ولو كان ذلك لكان بيع الخمر حلالًا اقتداء بسمرة بن جندب، ولكان أكل البرَد للصائم حلالًا اقتداء بأبي طلحة وحراما اقتداء بغيره منهم، ولكان ترك الغسل من الإكسال واجبا اقتداء بعلي وعثمان وطلحة وأبي أيوب وأبي بن كعب، وحراما اقتداء بعائشة وابن عمر، ولكان



أ–الأدلة من القرآن:

١–قوله تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}** [التوبة: الآية: ١٠٠].

قال الإمام ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.....

وأمَّا أهل السنة فإنهم يَترضون عنهم، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله، ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله المفلحون وعباده المؤمنون". (٣٤٥٢).

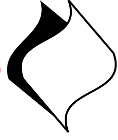
٢–قال تعالى: **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}** [النساء: الآية: ١١٥].

والمراد بـ{المؤمنين} في الآية: أصحاب النبي ﷺ؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله جل وعلا: **{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ}**.

بيع الثمر قبل ظهور الطيب فيها حلالًا اقتداء بعمر، حرامًا اقتداء بغيره منهم، وكل هذا مروي عندنا بالأسانيد الصحيحة". انتهى. "الإحكام" (٦/ ٢٤٤).

فتبين بما سبق بطلان هذا الحديث وعدم صحته سندا ومتنا ، فلا تجوز نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم ، لعموم قوله : ((مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ)). رواه مسلم في مقدمة الصحيح (ص ٧) . والله تعالى أعلم. المصدر: موقع الإسلام سؤال وجواب.

(٣٤٥٢) تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٠٣).



قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد شهد الله لأصحاب نبيه الله ومن تبعهم بإحسان بالإيمان فعلم قطعا أنهم المراد بالآية الكريمة" [٣٤٥٣]

٣–قال تعالى: **{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}** [سبأ: الآية: ٦].

عن قتادة–رحمه الله–(ت: ١١٨ هـ) {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ} قال: "أصحاب محمد". [٣٤٥٤]

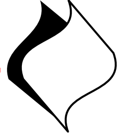
ب–الأدلة من السنة:

وعن العرباض بن سارية–رضي الله عنه–(ت: ٧٥ هـ)، قال: "وعظنا رسول الله–صلى الله عليه وسلم– موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا: يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: **((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)).** [٣٤٥٥]

٣٤٥٣ الانتصار لأهل الأثر ص: ٣.

٣٤٥٤ تفسير الطبري (تفسير سورة سبأ الآية: ٦).

٣٤٥٥ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦، ١٢٧). وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب في لزوم السنة (٥/ ١٣، ١٥) ح ٤٦٠٧، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم: باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٥/ ٤٤) ح ٢٦٧٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجة في سننه، في المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١/ ١٦). وابن حبان في صحيحه (١/ ١٣٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٩٦) وصححه ووافقه الذهبي،



ج–أقوال السلف:

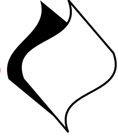
قال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ): "لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد–صلى الله عليه وسلم–، وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم، فذلك حين هلكوا". [٣٤٥٦]

كتب عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ) إلى عامل له فقال: "أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السُنَّة فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن الناس لم يحدثوا بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فإن السُنَّة إنما سنَّها من علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم السابقون، عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل فيه لو كان أحرى، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه، ولئن قلت إنما أحدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، لقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محصر، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمع عنهم آخرون فغلوا، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم". [٣٤٥٧]

والآجري في الشريعة (٤٦، ٤٧)، والدارمي في سننه، باب اتباع السنة (١/ ٤٤، ٤٥) وقال الألباني: سنده صحيح، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع، انظر: مشكاة المصابيح (١/ ٥٨) ح ١٦٥.

٣٤٥٦ أخرجه ابن عبد المبارك في الزهد (ج١/ص٢٨١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ج١/ص٦١٧) والطبراني في المعجم الكبير (ج٩/ص١١٤).

٣٤٥٧ البدع لابن وضاح، ٣٠، ٣١، الحلية لأبي نعيم (٥/٣٩)، الاعتصام للشاطبي (١/٤٩).



قال شقيق البلخي–رحمه الله–(ت: ١٩٤ هـ): قيل لابن المبارك–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ): إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: "أجلس مع الصحابة والتابعين أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس". [٣٤٥٨]

وقال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "أصول السُنَّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدل والخصومات في الدين". [٣٤٥٩]

قال ابن قتيبة–رحمه الله–(ت: ٢٧٦ هـ): "وكان أصحاب رسول الله هم مصابيح الأرض وقادة الأنام ومنتهى العلم". [٣٤٦٠]

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني–رحمه الله–(ت: ٣٨٦ هـ)، في رسالته: "واللجأ إلى كتاب الله عزوجل وسنة نبيه، واتباع سبيل المؤمنين، وخير القرون من خير أمة أخرجت للناس نجاة، ففي المفزع إلى ذلك العصمة، وفي اتباع السلف الصالح النجاة". [٣٤٦١]

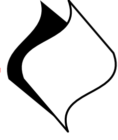
قال الإمام أبو القاسم اللالكائي (ت: ٤١٨ هـ): "أما بعد: فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف

٣٤٥٨ سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٠ وتاريخ الإسلام ١٢/ ٢٣٥.

٣٤٥٩ شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة للالكائي (١/١٥٦)، طبقات الحنابلة (١/٣١١).

٣٤٦٠ تأويل مشكل القرآن ص ١٤٨.

٣٤٦١ رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص: ١٦٩.



الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون". [٣٤٦٢]

قال ابن قدامة–رحمه الله–(ت: ٦٢٠ هـ): "ومتى اختلف الصحابة على قولين، لم يجز إحداث قول ثالث لأنه يفضي إلى تخطئتهم، وخروج الحق عن قول جميعهم ولا يجوز ذلك". [٣٤٦٣]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الصحابة رضي الله عنهم منشأ كل علم وصلاح وهدى ورحمة في الإسلام". [٣٤٦٤]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخصٍ انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا لرسول الله–صلى الله وعليه وسلم–، ولا لطائفة انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

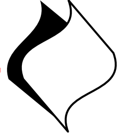
فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء فإنهم قد يجمعون على خطأ، بل كل قولٍ قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ؛ فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مُسَلَّمًا إلى عالمٍ واحدٍ وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا لرسول الله–صلى الله وعليه وسلم–وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول، قبل وجود المتبوعين الذين تُنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به

٣٤٦٢ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٧.

٣٤٦٣ المغني (٨/ ١٠٧).

٣٤٦٤ منهاج السنة ٦/ ٣٦٨.



الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله إن كان حقًّا مأخوذًا عمَّا جاء به الرسول، موجودًا فيمن قبله، وكل قول قِيلَ في دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه، فإنه قول باطل". (٣٤٦٥)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة؛ فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم. وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر". [٣٤٦٦]

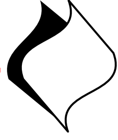
قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بيّنا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق". [٣٤٦٧]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: **{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}** [النساء: الآية: ٥٩].

(٣٤٦٥) منهاج السنة ج٥/٢٦١–٢٦٣.

٣٤٦٦ مجموع الفتاوى، (١٣/ ٣٣٢).

٣٤٦٧ اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٥٢٧.



وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين". [٣٤٦٨]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "العالمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الظلم إلى العدل، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه ... ". [٣٤٦٩]

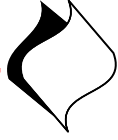
قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "كل الخير في اجتهاد باقتصاد، وإخلاص مقرون بالاتباع قال بعض الصحابة اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة". [٣٤٧٠]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان، وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله ورسوله لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق.

٣٤٦٨ مجموع الفتاوى، (٢٤/ ٩٥).

٣٤٦٩ الفوائد ص ١٠٨. ١٠٩.

٣٤٧٠ مدارج السالكين٢/ ١٠٧.



وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم، وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم وبينهم في الفضل". [٣٤٧١]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "فلا أحسن مما قضى به الصحابة–رضي الله عنهم–". [٣٤٧٢]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): عن الصحابة: "فإنهم أفقه الأمة وأعلمهم بمقاصد الشرع وحكمه". [٣٤٧٣]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "أفهام الصحابة رضي الله عنهم فوق أفهام الجميع، وعلمهم بمقاصد نبيهم وقواعد دينه وشرعه أتم من علم كل من جاء بعدهم" إلى أن قال: "ولم يرتضوا لأنفسهم عبارات المتأخرين واصطلاحاتهم وتكلفاتهم فهم كانوا أعمق الأمة علما وأقلهم تكلفا والمتأخرون عكسهم في الأمرين". [٣٤٧٤]

وسنة الصحابة وهي ما جاء عنهم من قول أو فعل أو تقرير إذا كان مما لا يقال من قبل الرأى، ومما لا مجال للاجتهاد فيه، فله حكم المرفوع المسند تحسينا للظن بهم، وجزم بذلك الرازى في المحصول، وغير واحد من أئمة الأصول والحديث. [٣٤٧٥]

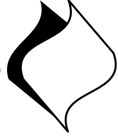
٣٤٧١ التفسير القيم صـ ٣٤٣.

٣٤٧٢ الطرق الحكمية ١ / ٣٢٦.

٣٤٧٣ الطرق الحكمية ٢ / ٥٣١

٣٤٧٤ الطرق الحكمية ١ / ٣٢٤.

٣٤٧٥ انظر: المحصول ٢٢١/٢، والإحكام للآمدى ٨٧/٢، وأعلام الموقعين ١٢٣/٤، وفتح المغيث للسخاوى ١٤٤/١، وتدريب الراوى ١٩٠/١، ١٩١، وتوضيح الأفكار ٢٨٠/١.



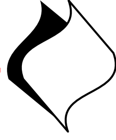
وإذا كانت سنتهم في غير ذلك، فقد اختلف العلماء في ذلك. والراجح من هذا الخلاف [٣٤٧٦] أن سنتهم كسنة الرسول يعمل بها، ويرجع إليها، وانتصر لهذا الرأى غير واحد من أئمة الأصول، منهم **الشاطبي– رحمه الله–(ت: ٧٩٠ هـ)** فبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على عدالتهم قال: "فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أى عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به.

... ثم استدل الشاطبي لما رجح بأدلة منها:

١– ما جاء فى الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم فى طلب الاتباع كسنة النبى صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم: ((**فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**)). (٢)

٢– أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلا، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلا، وبعضهم يعد قول الصحابى على الإطلاق حجة ودليلا، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء – وإن ترجح عند العلماء خلافها – ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلى هو المعتمد فى المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنى فى علوم الخلاف الدائرة بين الأئمة المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذاهبهم قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا فى أنفسهم وفى مخالفيهم من تعظيمهم، وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم فى الشريعة، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلا عن النظر معهم فيما نظروا فيه.

٣٤٧٦ انظر: الأدلة المختلف فيها وأثرها فى الفقه الإسلامى للدكتور عبد الحميد أبو المكارم ص ٣٠٣، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى، باب ما جاء فى قول الواحد من الصحابة ١/٤٣٧.



... ويؤيد هذا ما جاء عن السلف الصالح، من تزكيتهم والحث على متابعتهم.

فعن ابن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)، قال: "من كان مستنا فليستن بأصحاب محمد–صلى الله عليه وسلم–فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم". [٣٤٧٧]

قال الشاطبي–رحمه الله–(ت: ٧٩٠ هـ): "ولقد زلّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم، فضلّوا عن سواء السبيل". [٣٤٧٨]

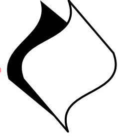
وقال عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ): "سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاة الأمر بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرا.

... وفى رواية بعد قوله –وقوة على دين الله – ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر فى رأى خالفها، من اهتدى بها مهتد ... الحديث". [٣٤٧٩]

٣٤٧٧ أخرجه البغوى في شرح السنة كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء ١/٢١٤، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/٩٧، وذكره ابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين ٤/١٣٩..

٣٤٧٨ الاعتصام ٢/ ٩٦.

٣٤٧٩ ابن عبد الحكم سيرة عمر ص٤٠، وابن بطة في الإبانة ١/٣٥٢، ورقم ٢٣٠- ٢٣١، والآجري في الشريعة ١/١٧٤، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٧٦. كلهم عن مالك بن أنس وأعل بالانقطاع ورواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ص١٧٣، واللالكائي ١/١٠٦ من طريق يعقوب بن سفيان الفسوي عن سعيد بن أبي مريم



فقال مالك فأعجبني عزم عمر على ذلك". [٣٤٨٠]

والآثار في هذا المعنى يكثر إيرادها، وقد استوعب كثيرا منها الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه "أعلام الموقعين عن رب العالمين". [٣٤٨١]

ويقول الإمام الشاطبي–رحمه الله–(ت: ٧٩٠ هـ)، في موضع آخر من كتابه مبينا أن بيان الصحابى حجة، قال: "وأما بيان الصحابة، فإن أجمعوا على ما بينوه، فلا إشكال فى صحته أيضا، كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله تعالى: **{وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا}** [المائدة: الآية: ٦]، وهذا الإجماع حجة موجبة للعلم، ولا يعتد بخلاف من خالفهم، كما حكاه **السرخسى–رحمه الله–(ت: ٤٨٣ هـ)** [٣٤٨٢]، **عن أبي حازم القاضي–رحمه الله–(ت: ١٤٠ هـ)**.

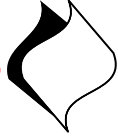
وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بيانهم حجة أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل. ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم في البيان، من وجهين:

عن رشدين بن سعد قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عمر بن عبد العزيز به، ورشدين ضعيف. انظر التقريب ٢٠٩، وقد صحح هذا الأثر محقق كتاب الشريعة للآجري فقال: والأثر يصح بهذين الطريقين ويقوى بهما. انظر الشريعة ١٧٤/١. وقد أخرجه أيضا قوام السنة في الحجة في بيان المحجة ١٠٩/١– ١١٠ وابن كثير في البداية والنهاية ٥ /٢٤٢ وعزاه محقق كتاب المعرفة والتاريخ إلى الجزء المفقود منه.

٣٤٨٠ الموافقات ٤٥٢/٤ – ٤٥٥، وانظر: الاعتصام ٥١٩/٢.

٣٤٨١ أعلام الموقعين ١١٨/٤ – ١٥٦، وانظر: الرسالة للشافعى ص ٥٩٦ فقرات رقم ١٦٨٢، ١٨٠٥ — ١٨١١.

٣٤٨٢ أصول السرخسى ٣١٧/١، وانظر: علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى للشيخ أحمد إبراهيم ص ٢٤، ٢٥.



أحدهما: معرفتهم باللسان العربى، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف فى فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.

ثانيهما: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد فى فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف فى المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسالة اجتهادية". [٣٤٨٣]

العشرون: شرح قول المصنف:

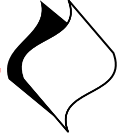
"ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت، وجرت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة. وفيه أنزل الله–عز وجل–قوله: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [الأنعام: الآية: ٦٨]".

الشرح

الآثار الواردة في التحذير من مجالســـة أهل البدع والأهواء كثيرة جدًا في كتب أهل الســنة، من حيث الأصل، قال الإمام البغوي: "وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة، ومهاجرتهم"[٣٤٨٤].

٣٤٨٣ الموافقات ٣/٣٠٠، ٣٠١.

٣٤٨٤ "شرح السنة" (١/٢٢٧).



قال الشاطبي: "فإن الإيواء يجامع التوقير، ووجه ذلك ظاهر؛ لأن المشي إليه والتوقير له تعظيمٌ له لأجل بدعته؛ وقد علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشد من هذا كالضرب والقتل، فصار توقيره صدوداً عن العمل بشرع الإسلام، وإقبالاً على ما يضاده وينافيه، والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل به، والعمل بما ينافيه"[3485].

والتحذير يشمل أمورًا منها:

١-مجالستهم.

٢-مجادلتهم.

٣-الاستماع إليهم.

٤-مصاهرتهم[3486].

٥-مؤاخاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "فالمصاحبة والمصاهرة والمؤاخاة لا تجوز إلا مع أهل طاعة الله تعالى على مراد الله"[3487]

وعَنْ هِشَامٍ، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ وَمُحَمَّدٌ يَقُولَانِ: "لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ"[3488].

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: يَكُونُ مَجْلِسُكَ مَعَ الْمَسَاكِينِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ"[3489].

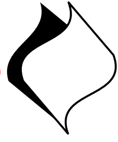
٣٤٨٥ (الاعتصام) (٨٥/١).

٣٤٨٦ عن ابن سيرين قال: "تزوج عمران بن حطان خارجية وقال سأردها قال فصرفته إلى مذهبها". سير أعلام النبلاء: (٤/ ٢١٣).

٣٤٨٧ مجموع الفتاوى (٣٢٧/١٥).

٣٤٨٨ "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٤٠٠).

٣٤٨٩ "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٤٥٧).



وعن سَـعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَدَّتِي أَسْمَاءَ تُحَدِّثُ قَالَتْ: دَخَلَ رَجُلَانِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِـيرِينَ مِن أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فَقَالَا: يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ قَالَ: لا، قَالَا: فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَالَ: لَا، لِتَقُومَانِ عَنِّي، أَوْ لَأَقُومَنَّ"[3490].

وعن سَلَّامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ قَالَ لِأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ، قَالَ أَيُّوبُ وَجَعَلَ يُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ: وَلَا نِصْفَ كَلِمَة، وَلَا نِصْفَ كَلِمَةٍ"[3491].

قَالَ مُسْـلِمُ بْنُ يَسَـارٍ: لَا تُمَكِّنُ صَـاحِبَ بِدْعَةٍ مِنْ سَمْعِكَ فَيَصُـبُّ، فِيهَا مَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ قَلْبِكَ"[3492].

وقال سـفيان الثوري رحمه الله: "من سمع مبتدعاً لم ينفعه الله بما سمع، ومن صـافحه فقد نقض الإسـلام عروةً عروةً" [3493].

قال الإمام مالك: "وكان يقال لا تُمكن زائغ القلب من أذنيك فإنك ما تدري ما يعلمك من ذلك"[3494].

"والهجر الشرعي نوعان:

أحدهما: بمعنى الترك للمنكرات.

والثاني: بمعنى العقوبة عليها.

فالنوع الأول: هو المذكور في قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُـونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُـوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِـيَنَّكَ الشَّـيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام:

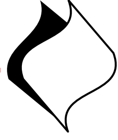
٣٤٩٠ "الإبانة عن شـريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صـحبة قوم يمرضـون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٤٠٣).

٣٤٩١ الإبانة عن شـريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صـحبة قوم يمرضـون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٤٠٧).

٣٤٩٢ "الإبانة عن شـريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صـحبة قوم يمرضـون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٤٤١).

٣٤٩٣ الأمر بالاتباع، للسيوطي، (ص: ١٩).

٣٤٩٤ الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني١/ ١١٩.



٦٨]،.. فهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة مثل قوم يشربون الخمر يجلس عندهم، وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر لا يجيب دعوتهم، وأمثال ذلك...

النوع الثاني: الهجر على وجه التأديب، وهو هجر من يظهر المنكرات، يهجر حتى يتوب منها، كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر"[٣٤٩٥].

والتحذير من المجالسة والاستماع لأهل البدع والأهواء فجاء لأسباب منها:

أولًا: أن المجالسة قد تكون سببًا للدخول في بدع أهل الأهواء وضلالاتهم.

لأنه في مقابل كل بدعة تهدم سنة، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام أيضاً: "من أسباب هذه الاعتقادات والأحوال الفاسدة الخروج عن الشّرعة والمنهاج الذي بعث به الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا، فإن البدع هي مبادئ الكفر ومظان الكفر، كما أن السنن المشروعة هي مظاهر الإيمان، ومقوية للإيمان، فإنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[٣٤٩٦].

ثانيًا: وأنها سبب لدخول الشبه والشكوك.

فعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: "لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا تَعْرِفُونَ"[٣٤٩٧].

وعَنْ عَمْرِو ابْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: "لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ زَيْغٍ، فَيُزِيغَ قَلْبَكَ"[٣٤٩٨].

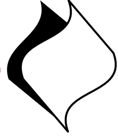
ثالثًا: أنها ممرضة للقلوب.

٣٤٩٥ ((مجموع الفتاوى)) (٢٨/٢٠).

٣٤٩٦ مجموع الفتاوى (١٠/٥٦٥).

٣٤٩٧ "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٣٦٩).

٣٤٩٨ "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٣٧١).



وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ"[3499].

وعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: "لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ"[3500].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الشرائع أغذية القلوب، فمتى اغتذت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث"[3501].

رابعًا: أن في ذلك مساواة بين الحق والباطل.

قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ: إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: أَنَا أُجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَأُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدَعِ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: "هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ"[3502].

خامسًا: أن المجالسة تدل على المجانسة.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ} [آل عمران: ١١٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المرء مع من أحب»[3503].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المرء على دين خليله»[3504].

٣٤٩٩ "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٣٧٦).

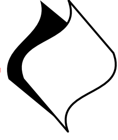
٣٥٠٠ "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٣٧٨).

٣٥٠١ اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨١).

٣٥٠٢ "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٤٣٥).

٣٥٠٣ أخرجه البخاري حديث (٦١٦٨)، ومسلم حديث (٢٦٤٠).

٣٥٠٤ أخرجه الإمام أحمد حديث (٨٠٢٨)، وأبو داود حديث (٤٨٣٣)، والترمذي حديث(٢٣٧٨).



وعن يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، يَقُولُ لَمَّا قَدِمَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ الْبَصْرَةَ: جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى أَمْرِ الرَّبِيعِ يَعْنِي ابْنَ صُبَيْحٍ، وَقَدْرَهُ عِنْدَ النَّاسِ، سَأَلَ: أَيُّ شَيْءٍ مَذْهَبُهُ؟ قَالُوا: مَا مَذْهَبُهُ إِلَّا السُّنَّةُ قَالَ: مَنْ بِطَانَتُهُ؟ قَالُوا: أَهْلُ الْقَدَرِ قَالَ: هُوَ قَدَرِيٌّ"[٣٥٠٥].

وقال الْفُضَيْلَ ابْنَ عِيَاضٍ: "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَف، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِي صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا مِنَ النِّفَاقِ"[٣٥٠٦].

قال الخطابي رحمه الله في شرح سنن أبي داود عند شرحه لقوله ﷺ ((لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي))[٣٥٠٧] وإنما حذر من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب يقول: لا تؤالف من ليس من أهل التقوى والورع ولا تتخذه جليساً تطاعمه وتنادمه". اهـ[٣٥٠٨]

وقال في شرح حديث ((الأرواح جنود مجندة))[٣٥٠٩]: يقول صلى الله عليه وسلم: "إن الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما جعلت عليه من التشاكل أو التنافر في بدء الخلقة ولذلك ترى البَر الخير يحب شكله ويحن إلى قربه وينفر عن ضده، وكذلك الرَّهِق الفاجر يألف شِكله ويستحسن فعله وينحرف عن ضده". اهـ[٣٥١٠]

٣٥٠٥ "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٤٢٦).

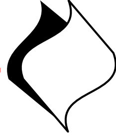
٣٥٠٦ "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: (٤٣٤).

٣٥٠٧ رواه الترمذي في كتاب الزهد من سننه، باب ما جاء في صحبة المؤمنين ٤/٦٠٠ (٢٣٩٥)، وقال: "هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه"، ورواه ابن حبان في صحيحه ٢/٣١٤، والإمام أحمد ٣/٣٨، وأبو داود في سننه ٤/٢٥٩، والدارمي ٢/١٤٠، والحاكم وصححه في المستدرك ٤/١٤٣، والطبراني في الأوسط ٣/٢٧٧، وأبو يعلى في مسنده ٢/٤٨٤، والبيهقي في الشعب ٧/٤٢، والمزي في تهذيب الكمال ١٠/١٧١، وغيرهم.

٣٥٠٨ معالم السنن ط/حلب (٤/ ١١٥).

٣٥٠٩ صحيح البخاري: (٣٣٣٦)، صحيح مسلم: (٢٦٣٨).

٣٥١٠ معالم السنن (٤/ ١١٥).



وهذا هو الأصل في التعامل مع أهل البدع ولكن الهجر له ضوابطه الشرعية المبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد، وهذا مما يختلف باختلاف البدعة نفسها، واختلاف مبتدعها، واختلاف أحوال الهاجرين، واختلاف المكان والقوة والضعف، والقلة والكثرة، فلا بد من مراعاة كل هذا.

فمن الأمور التي يجب مراعاتها في أمر الهجر:

الأمر الأول: مراعاة حال الهاجرين

ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم فإن المقصود به-يعني الهجر-زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف... وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل، ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع -كما كثر القدَر في البصرة والتنجيم بخراسان والتشيع بالكوفة- وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه"[٣٥١١]

الأمر الثاني: التفريق بين من يدعو لبدعته وبين من لا يدعو لبدعته.

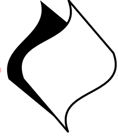
فيستثنى في أمر المجالسة والاستماع عند بعض العلماء ما لو كان ذلك الشخص لديه بعض العلم الصحيح ولم يكن في ذات الوقت داعيًا لبدعته.

قال الذهبي: "وعن الحسن بن الربيع قال: كنا نسمع من عبد الوارث، فإذا أقيمت الصلاة ذهبنا، فلم نصل خلفه.

قال: وقيل لعبد الله بن المبارك: كيف رويت عن عبد الوارث، وتركت عمرو بن عبيد؟ قال: إن عمرًا كان داعيا. ومع هذا، فحديثه في الكتب الستة"٣٥١٢

٣٥١١ ((مجموع الفتاوى)) (٢٠٣/٢٨).

٣٥١٢ سير أعلام النبلاء ٣٠١/٨ -٣٠٤.



وأما إذا كان داعيا لبدعته فيقول شـــيخ الإســـلام ابن تيمية رحمه الله: "إنّ الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم، ولا يصلى خلفهم، ولا يؤخذ عنهم العلم"[3513]

الأمر الثالث: أن بعض أهل البدع قد يحمد من وجه ويذم من وجه.

فلكل أحد حسـناته وسـيئاته كما قرره شـيخ الإسـلام ابن تيميّة رحمه الله في قوله: "إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشـــر، وفجور وطاعة ومعصـــية، ســـنة وبدعة، اســـتحق من الموالاة بقدر ما فيه من الخير، واســـتحق من المعاداة بقدر ما فيه من الشـــر، فيجتمع في الشـــخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا ومن هذا، كاللص الفقير نقطع يده لسرقته، ويُعطى من بيت المال ما يكفي حاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنّة والجماعة"[3514].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "ومن ســـلك طريق الاعتدال عظم من يســـتحق التعظيم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل الســـنة والجماعة خلافا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم".[3515]

وقال شارح الطحاوية: "والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوبا من وجه مبغوضا من وجه، والحكم للغالب.[3516]"

الأمر الرابع: أن أنواع الهجر ثلاثة:

الأول: الهجر ديانة، أي: الهجر لحق الله تعالى، وهو من عمل أهل التقوى، في هجر الســـيئة، وهجر فاعلها، مبتدعًا أو عاصيًا.

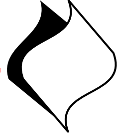
وهذا النوع من الهجر على قسمين:

٣٥١٣ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٢٨/٢٠٥).

٣٥١٤ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٢٨/٢٠٩).

٣٥١٥ منهاج السنة النبوية ٤ / ٥٤٣.

٣٥١٦ شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٥٤٧.



القسم الأول: هجر ترك: بمعنى هجر السيئات، وهجر قرناء السوء الذين تضره صحبتهم إلا لحاجة أو مصلحة راجحة، قال الله تعالى: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: ٥]، وقال سبحانه: {وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل: ١٠]، وقال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٦٨]، وقال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ} [النساء: ١٤٠]، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المهاجر من هجر ما نهى الله عنه)) [أخرجه البخاري في الإيمان.].

القسم الثاني: هجر تعزير: وهذا من العقوبات الشرعية التبصيرية التي يوقعها المسلم على المبتدعة على وجه التأديب، في دائرة الضوابط الشرعية للهجر حتى يتوب المبتدع ويفيء.

وهذا النوع بقسميه من أصول الاعتقاد، والأمر فيه أمر إيجاب في أصل الشرع، ومباحثه في كتب السنن والتوحيد والاعتقاد وغيرها.

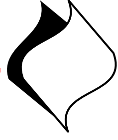
النوع الثاني: الهجر لاستصلاح أمر دنيوي، أي الهجر لحق العبد، وفيه جاءت أحاديث الهجر بما دون ثلاث ليال، رواها جماعة من الصحابة رضي الله عنهم بأسانيد في الصحيحين وغيرها، وجميعها تفيد أن الشرع لم يرخص بهذا النوع من الهجر بين المسلمين إلا بما دون ثلاث ليال. وليس هو مجال حديثنا.

النوع الثالث: الهجر قضاء، وهو من العقوبات التعزيرية للمعتدين، وهذا يبحثه الفقهاء في باب التعزير.[٣٥١٧]

وأما المجادلة والمناظرة لأهل البدع:

فإن الأصل كما تقدم عدم مجادلتهم ومناظرتهم لكن هذا الأصل له استثناء حيث ورد عن السلف أنهم ناظروا أهل البدع والأهواء، وفي شأن هذا الأمر يفصل الأمر لنا شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: "ولعل الراجح في المسألة أن الأمر يختلف باختلاف المِصْلَحَةِ.

٣٥١٧ من رسالة (هجر المبتدع)، بتصرف.



١-فإن كان الخصم في مقام دعوة الناس إلى قوله وإلزام الناس بها أمكن أن يقال له: لا يجب على أحد أن يجيب داعياً إلا إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه، ولا له دعوة الناس إلى ذلك، ولو قدر أن ذلك المعنى حق.

وهذه الطريق تكون أصلح إذا لَبَّسَ مُلَبِّسٌ منهم على ولاة الأمور، وأدخلوه في بدعتهم، كما فعلت الجهمية بمن لبسوا عليه من الخلفاء حتى أدخلوه في بدعتهم من القول بخلق القرآن وغير ذلك، فكان من أحسن مناظرتهم أن يقال: إئتونا بكتاب أو سنة حتى نجيبكم إلى ذلك وإلا فلسنا نجيبكم إلى ما لم يدل عليه الكتاب والسنة.

وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل، وهؤلاء المختلفون يدعي أحدهم أن العقل أدَّاه إلى علم ضروري ينازعه فيه الآخر، فلهذا لا يجوز أن يجعل الحاكم بين الأمة في موارد النزاع إلا الكتاب والسنة.

وبهذا ناظر الإمام أحمد الجهمية لما دعوه إلى المحنة، وصار يطالبهم بدلالة الكتاب والسنة على قولهم.

فلما ذكروا حججهم كقوله تعالى: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام ١٠٢]، وقوله: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ} [الأنبياء ٢]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "تجيء البقرة وآل عمران"، وأمثال ذلك من الأحاديث.

أجابهم عن هذه الحجج بما بين به أنها لا تدل على مطلوبهم.

ولما قالوا: ما تقول في القرآن أهو الله أو غير الله؟ عارضهم بالعلم فقال: ما تقولون في العلم أهو الله أو غير الله؟ ولما ناظره أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث-وكان من أحذقهم بالكلام-ألزمه التجسيم، وأنه إذا أثبت لله كلاماً غير مخلوق لزم أن يكون جسماً.

فأجابه الإمام أحمد: بأن هذا اللفظ لا يُدرى مقصود المتكلم به، وليس له أصل في الكتاب والسنة والإجماع، فليس لأحد أن يلزم الناس أن ينطقوا به ولا بمدلوله.

وأخبره أني أقول: هو أحد، صمد، لم يلد ولم يلد، ولم يكن له كفواً أحد، فبين أني لا أقول هو جسم ولا ليس بجسم، لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام، فليست هذه من الحجج الشرعية التي يجب على الناس إجابة من دعا إلى موجبها، فإن الناس إنما عليهم إجابة الرسول فيما دعاهم إليه وإجابة من دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا إجابة من دعاهم إلى قول مبتدع، ومقصود المتكلم بها مجمل لا

يُعرف إلا بعد الاستفصال والاستفسار، فلا هي معروفة في الشرع، ولا معروفة بالعقل إن لم يستفسر المتكلم بها.

فهذه المناظرة ونحوها هي التي تصلح إذا كان المناظر داعياً.

٢-وأما إذا كان المناظر معارضاً للشرع بما يذكره، أو ممن لا يمكن أن يرد إلى الشريعة.

مثل من لا يلتزم الإسلام ويدعو الناس إلى ما يزعمه من العقليات أو ممن يدَّعي أن الشرع خاطب الجمهور، وأن المعقول الصريح يدل على باطن يخالف الشرع، ونحو ذلك.

أو كان الرجل ممن عرضت له شبهة من كلام هؤلاء.

فهؤلاء لابد في مخاطبتهم من الكلام على المعاني التي يدعونها إما:

١-بألفاظهم.

٢-وإما بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم.

وحينئذ يقال لهم الكلام إما:

أ-أن يكون في الألفاظ.

ب-وإما أن يكون في المعاني.

ج-وإما أن يكون فيهما.

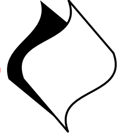
فإن كان الكلام في المعاني المجردة من غير تقييد بلفظ كما تسلكه المتفلسفة ونحوهم ممن لا يتقيد في أسماء الله وصفاته بالشرائع بل يسميه علة وعاشقاً ومعشوقاً ونحو ذلك.

فهؤلاء إن أمكن نقل معانيهم إلى العبارة الشرعية كان حسناً.

وإن لم يمكن مخاطبتهم إلا بلغتهم، فبيان ضلالهم ودفع صيالهم عن الإسلام بلغتهم أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ. كما لو جاء جيش كفار ولا يمكن دفع شرهم عن المسلمين إلا بلبس ثيابهم، فدفعهم بلبس ثيابهم خير من ترك الكفار يجولون في خلال الديار خوفاً من التشبه بهم في الثياب.

وأما إذا كان الكلام مع من قد يتقيد بالشريعة.

فإنه يقال له: إطلاق هذه الألفاظ نفياً وإثباتاً بدعة، وفي كل منها تلبيس وإيهام، فلابد من الاستفسار والاستفصال؛ أو الامتناع عن إطلاق كلا الأمرين في النفي والإثبات.



وقد ظن طائفة من الناس أن ذم السلف والأئمة للكلام إنما لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثة كلفظ (الجوهر) و(الجسم) و(العرض)، وقالوا: إن مثل هذا لا يقتضي الذم، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها، أو سلاحاً يحتاجون إليه لمقاتلة العدو، وقد ذكر هذا صاحب الإحياء وغيره.

وليس الأمر كذلك: بل ذمهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث الألفاظ، فذموه لاشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة، ومخالفته للعقل الصريح، ولكن علامة بطلانها مخالفتها للكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل قطعاً. ثم من الناس من يعلم بطلانه بعقله، ومنهم من لا يعلم ذلك.

وأيضاً: فإن المناظرة بالألفاظ المحدثة المجملة المبتدعة المحتملة للحق والباطل إذا أثبتها أحد المتناظرين ونفاها الآخر كان كلاهما مخطئاً، وأكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وفي ذلك من فساد العقل والدين ما لا يعلمه إلا الله.

فإذا رد الناس ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة فالمعاني الصحيحة ثابتة فيهما، والمحق يمكنه بيان ما يقوله من الحق بالكتاب والسنة٣٥١٨.

وقال ابن عثيمين: "المجادلة والمناظرة نوعان:

النوع الأول: مجادلة مماراة: يماري بذلك السفهاء، ويجاري العلماء، ويريد أن ينتصر قوله؛ فهذه مذمومة.

النوع الثاني: مجادلة لإثبات الحق وإن كان عليه؛ فهذه محمودة مأمور بها[٣٥١٩].

وقال الكرماني: "الجدال: هو الخصام، ومنه قبيح وحسن وأحسن؛ فما كان للفرائض فهو أحسن، وما كان للمستحبات فهو حسن، وما كان لغير ذلك فهو قبيح"[٣٥٢٠].

فهذه الخصومات وهذا الجدل وهذا المــِـراء أمرٌ محدَث لا يُوجِد إلا الشك في القلوب ويبعِد عن الحق، ومهما حصل من نفع منه في بعض الأحيان، فهو يسير لكن شره وفير، وقد يقول هؤلاء: نحن نخاصم به أهل الباطل، الذي لا يؤمن بالقرآن والسنَّة، وهذه حجة باطلة فهؤلاء لا الإسلام نصروا ولا الباطل كسروا، فالقرآن، خاطب الكفار وخاطب المشركين وخاطب أهل الكتاب، خاطبهم بقال الله وقال

٣٥١٨ انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٢٢٨-٢٣٣).

٣٥١٩ العلم ص ١٦٤.

٣٥٢٠ فتح الباري لابن حجر ١١/ ٣١٤.

الرســـول، وفيه من الحجج والبراهين ما يكفي لبيان الحق ودفع الباطل، ففي القرآن والســـنَّة من الأدلة العقلية واليقينية ما يغني ويشفي ولسنا بحاجة إلى فلسفةٍ ولا إلى علم كلام.

[علامات أهل البدع].

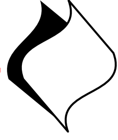
قال المصنف–رحمه الله–:

"وعلامات البدع على أهلها ظاهرة بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم، وتسميتهم إياهم حشوية، وجهلة، وظاهرية، ومشبهة اعتقادا منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم، من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية عن الخير، العاطلة، وحججهم بل شبههم الداحضة الباطلة ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾.

سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول، سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ يقول، سمعت جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي يقول، سمعت أحمد بن سنان القطان يقول: "ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه".

وسمعت الحاكم يقول، سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول، سمعت محمد بن إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبد الله أحمد بن حنبل؛ فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه فقال: زنديق زنديق زنديق حتى دخل البيت.

وسمعت الحاكم أبا عبد الله يقول، سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول، سمعت أبا نصر بن سالم الفقيه يقول: "ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد، ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده".



وسمعت الحاكم يقول : سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الفقي، وهو يناظر رجلاً فقال له الرجل: دعنا من حدثنا! إلى متى حدثنا؟ فقال الشيخ له : قم يا كافر، فلا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا أبدًا! ثم التفت إلينا وقال: ما قلت لأحد قط لا تدخل داري إلا لهذا.

سمعت الأستاذ أبا منصور محمد بن عبد الله بن حمشاد العالم الزاهد يقول، سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد المقرىء الرازي يقول: قرىء على عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وأنا أسمع: سمعت أبي –عنى به الإمام في بلده أباه أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي– يقول: "علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر. وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الآثار. وعلامة القدرية: تسميتهم أهل السنة مجبرة. وعلامة الجهمية : تسميتهم أهل السنة مشبهة. وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة.

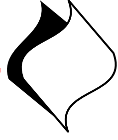
قلت: "وكل ذلك عصبية، ولا يلحث أهل السنة إلا اسم واحد؛ وهو أصحاب الحديث".

قلت: أنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة؛ سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله ﷺ؛ فإنهم اقتسموا القول فيه: فسماه بعضهم ساحرًا، وبعضهم كاهنًا، وبعضهم شاعرًا، وبعضهم مجنونًا، وبعضهم مفتونًا، وبعضهم مفتريًا مختلقًا كذابًا، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تلك المعائب بعيدًا بريئًا، ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبيًا، قال الله–عز وجل–: {انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} [الإسراء: الآية: ٤٨]".

الشرح

كانت قريش تُسمي النبي ﷺ تارةً مجنونًا، وتارة شاعرًا، وتارة كاهنًا، وتارة مُفتريًا. فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامَّة؛ فإنَّ السنة هي ما كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابه، اعتقادًا واقتصادًا، وقولًا وعملًا.

فلا بد من نصيب من هذا الميراث، فكما آذوا النبي ﷺ وشتموه وذموه بهذه الألقاب، فلا شك أن مَن يرث هذا الميراث الذي هو الحق، لا بد أن يتحمل شيئًا من هذه الشتائم والسباب الذي يقوله هؤلاء،



لكن الأمر كما قال الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: الآية: ٣٢].

ألقاب أهل السنة عند مخالفيهم.

قال الإمام أحمد بن حنبل–رحمه الله تعالى–: "وقد رأيت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السنة يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم والوقيعة فيهم والإزراء بهم عند السفهاء والجهال.

فأما المرجئة: فإنهم يسمون أهل السنة شكاكًا؛ وكذبت المرجئة، بل هم بالشك أولى بالتكذيب أشبه.

وأما القدرية: فإنهم يسمون أهل السنة والإثبات مجبرة؛ وكذبت القدرية، بل هم أولى بالكذب والخلاف ألغوا قدر الله–عز وجل–عَنْ خلقه، وقالوا ليس له بأهل تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وأما الجهمية: فإنهم يسمون أهل السنة المشبهة؛ وكذبت الجهمية أعداء الله، بل هم أولى بالتشبيه والتكذيب افتروا عَلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ الكذب، وقالوا الإفك والزور وكفروا بقولهم.

وأما الرافضة: فإنهم يسمون أهل السنة الناصبة؛ وكذبت الرافضة، بل هم أولى بهذا لانتصابهم لأصحاب رسول الله–صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم–بالسب الشتم، وقالوا فيهم بغير الحق، ونسبوهم إلى غير العدل كفرًا وظلمًا وجرأة عَلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ واستخفافًا بحق الرسول–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وهم أولى بالتعبير والانتقام منهم.

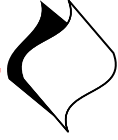
وأما الخوارج: فإنهم يسمون أهل السنة والجماعة مرجئة؛ وكذبت الخوارج فِي قولهم بل هم المرجئة، يزعمون أنهم عَلَى إيمان وحق دون الناس ومن خالفهم كافر.

وأما أصحاب الرأي: فإنهم يسمون أصحاب السنة نابتة وحشوية؛ وكذب أصحاب الرأي أعداء اللَّه بل هم النابتة والحشوية، تركوا آثار الرسول–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وحديثه وقالوا بالرأي وقاسوا الدين بالاستحسان وحكموا بخلاف الكتاب والسنة، وهم أصحاب بدعة جهلة ضلال وطلاب دنيا بالكذب والبهتان.

رحم اللَّه عبدًا قَالَ بالحق واتبع الأثر وتمسك بالسنة واقتدى بالصالحين وبالله التوفيق.

اللهم ادحض باطل المرجئة وأوهن كيد القدرية وأذل دولة الرافضة وامحق شبه أصحاب الرأي، واكفنا مؤنة الخارجية، وعجل الانتقام من الجهمية". [٣٥٢١]

٣٥٢١ عقيدة الإمام أحمد بن حنبل برواية: أحمد بن جعفر الإصطخرى، المصدر: طبقات الحنابلة: (١/ ٣٦).



طعن أهل الأهواء والبدع في الصحابة.

وقد عرف أن من سمات أهل الباطل طعنهم في الصحابة الذين هم أئمة السلف، فها هي الفرق الكبار: المعتزلة والخوارج والشيعة كلهم يطعن في الصحابة رضوان الله عليهم طعنا صريحا[٣٥٢٢]:

أما المعتزلة فقد طعن زعيمهم النظام في أكثر الصحابة وأسقط عدالة ابن مسعود، وطعن في فتاوى علي بن أبي طالب، وثلب عثمان بن عفان، وطعن في كل من أفتى من الصحابة بالاجتهاد، وقال: إن ذلك منهم إنما كان لأجل أمرين: إما لجهلهم بأن ذلك لا يحل لهم، وإما لأنهم أرادوا أن يكونوا زعماء وأرباب مذاهب تنسب إليهم. فنسب خيار الصحابة إلى الجهل أو النفاق.

ثم إنه أبطل إجماع الصحابة ولم يره حجة، وأجاز أن تجتمع الأمة على الضلالة[٣٥٢٣].

وأيضا – كان زعيمهم واصل بن عطاء الغزال يشكك في عدالة علي وابنيه، وابن عباس، وطلحة، والزبير، وعائشة وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين، فقال مقالته المشهورة: لو شهد عندي علي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما؛ لعلمي بأن أحدهما فاسق ولا أعرفه بعينه. ووافقه على ذلك صاحبه عمرو بن عبيد وزاد عليه بأن قطع بفسق كل من الفريقين.

وأما الخوارج فتكفيرهم لعلي وأكثر الصحابة رضي الله عنهم واستباحتهم لدمائهم وأموالهم مشهور معلوم، بل ساقوا الكفر إلى كل من أذنب من هذه الأمة.

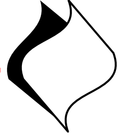
أما الشيعة فشعارهم الطعن في سائر الصحابة – عدا آل البيت – وغلاتهم من السبئية والبيانية وغيرهم قد حكم علماء الإسلام عليهم بالردة والخروج من الدين بالكلية.

والإمامية منهم ادعت ردة أكثر الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

والأشاعرة ونحوهم من المتكلمين ممن يدعي في طريقة الخلف العلم والإحكام، وفي طريقة السلف السلامة دون العلم والإحكام، يلزمهم تجهيل السلف من الصحابة والتابعين وهو طعن فيهم من هذا

٣٥٢٢ الفرق بين الفرق للبغدادي ٣١٨ وما بعدها

٣٥٢٣ فضل الإجماع ص ١٤٠



الوجه. ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله –بعد أن حكى عنهم هذا الكلام–: "ولا ريب أن هذا شـــعبة من الرفض"[٣٥٢٤]. **٣٥٢٥**

فالخوارج طعنوا في أصـــحابِ النبي، طعنوا ما طعنوا وكفَّروا ما كفَّروا. وكذلك جاء من بعدهم المعتزلة حتى يقول عمرو بن عبيد: "لو جاءَ كلا الفريقين عليّ ومَن معه، ومعاوية ومَن معه، يشـــهدون عندي على حزمة بَقْل ما قبلت شـــهادةَ أحدٍ منهم"٣٥٢٦فطعنوا بها في هذه المرجعية، وأطلق عمرو بن عبيد على ابنِ عمر أنه من الحشوية.

طعن أهل الأهواء والبدع في الآثار النبوية.

فإذا سمعت الرجل يطعن في الآثار ولا يقبلها أو يُنكر شيئاً من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم فاتهمه على الإسلام وهذا ما كان عليه حال أهل الكلام من الطعن في الآثار ومن الطعن في الأحاديث فهؤلاء كما ذكرنا سابقاً انتقصوا النصوص وقالوا: إذا كانت أخبار آحاد فهذه لا يحتج بها في باب العقائد فيرمون بها عرض الحائط حتى لو كانت في البخاري ومسلم فهي مرفوضة عندهم فيطعنون فيها من جهة ثبوتها، وما لم يطعنوا في ثبوته طعنوا في دلالته.

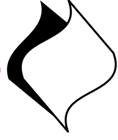
ولذلك استهزئوا في الأحاديث واستهزئوا في آثار السلف الصالح، فإذا رأيت رجل من هذه الشاكلة ومن هذا الصنف فاعلم أنه من أهل الأهواء والبدع، فهؤلاء إنما في الحقيقة يطعنون في الرسول ويطعنون في الصحابة، لأنه إنما عرفنا الله عز وجل وعرفنا رسوله وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة عرفناها من أي طريق؟ من طريق الآثار.

فهؤلاء إذا طعنوا إنما يطعنون في الدين، فنحن إذا لم يكن هذا السبيل إلى معرفة الدين فما هو السبيل إلى معرفة الدين، ولا شك أن القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن، يعني القرآن أحوج إلى السنة لماذا؟ لأنها شارحة، ومفصلة وموضحة فأنت جاءك حكم الصلاة لكن كيف تُصلى هذه الصلاة، وما تفاصيلها ووضوئها وغير ذلك إنما تأخذه من خلال السنة.

٣٥٢٤ مجموع الفتاوى ٤ / ١٥٧

٣٥٢٥ المصدر: موقع الدرر السنية الموسوعة العقدية

٣٥٢٦ العرش للذهبي (١ / ٥١).



فهي شارحة ومفصلة ومبينة لما جاء في القرآن، ثم إن الكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهيٌّ عنه، فالكلام والجدل في أساسه يعني ممنوع وباطل، ويقصد به كلام أهل المنطق وسبل أهل المنطق من الخوض في الأمور بالعقل استقلالاً دون عودة إلى النصوص وباب القدر في الأخص.

فمن سمات أهل الباطل انتقاصهم لعلوم السلف وقولهم: بأن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

قال ابن تيمية: "ولا يجوز أن يكون الخالفون أَعْلَمَ مِنْ السَّالِفِينَ كَمَا قَدْ يَقُولُهُ بَعْضُ الْأَغْبِيَاءِ مِمَّنْ لَمْ يُقَدِّرْ قَدْرَ السَّلَفِ؛ بَلْ وَلَا عَرَفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ حَقِيقَةَ الْمَعْرِفَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا: مِنْ أَنَّ "طَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسْلَمُ "وَطَرِيقَةَ الْخَلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ "فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعِينَ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ طَرِيقَةَ الْخَلَفِ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ: إنَّمَا أَتَوْا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا: أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِيَ مُجَرَّدُ الْإِيمَانِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ لِذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إلَّا أَمَانِيَّ} وَأَنَّ طَرِيقَةَ الْخَلَفِ هِيَ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ الْمَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ الْمَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اللُّغَاتِ. فَهَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ أَوْجَبَ "تِلْكَ الْمَقَالَةَ "الَّتِي مَضْمُونُهَا نَبْذُ الْإِسْلَامِ وَرَاءَ الظَّهْرِ وَقَدْ كَذَبُوا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ وَضَلُّوا فِي تَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الْخَلَفِ؛ فَجَمَعُوا بَيْنَ الْجَهْلِ بِطَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الْكَذِبِ عَلَيْهِمْ. وَبَيْنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ بِتَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الْخَلَفِ". [٣٥٢٧]

سمات مناهج أهل الباطل.

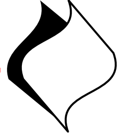
أحياناً لا يعرفَ الإنسان مدى قيمةِ هذه القواعد وهذه الثوابت التي تمت الإشارة إليها إلا إذا عرَّجَ على ذكر بعضِ سمات أهلِ البدع وقارن بينها وبين ما عليه أهل السنَّةِ والجماعة.

وكما قيل: "بضدِّها تتميزُ الأشياء"، "والضدُّ يُظهرُ حسنه الضدُّ"، ومن تلك السمات ما يلي:

أولاً: أنهم يجعلون أقوالهم هي الأصل ويجعلون ما جاء في الكتاب والسنة تبع لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأما سبيل الضلال والبدعة والجهل فعكس ذلك أن يبتدع بدعةً برأي رجالٍ وتأويلاتهم، ثم يجعل ما جاء به الرسول تبعًا لها، ويحرف ألفاظه، ويتأول على وفق ما أصلوه

٣٥٢٧ مجموع الفتاوى ٥/ ٨-٩



وهؤلاء تجدهم في نفس الأمر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول، ولا يتلقون الهدى منه، ولكن ما وافقهم منه قبلوه، وجعلوه حجةً لا عمدة، وما خالفهم تأولوه، كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه أو فوضوه، كالذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني". [٣٥٢٨]

وقال أيضاً: "وأمّا أهل البدع: فهم أهل أهواء وشبهات، يتّبعون أهواءهم فيما يُحبّونه ويُبغضونه، ويحكمون بالظنّ والشبه؛ فهم يتّبعون الظنّ وما تهوى "الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى. فكلّ فريقٍ منهم قد أصّل لنفسه أصلَ دينٍ صنعه؛ إمّا برأيه وقياسه الذي يُسمّيه عقليّات؛ وإمّا بذوقه وهواه الذي يُسمّيه ذوقيّات، وإمّا بما يتأوّله من القرآن، ويُحرّف فيه الكلم عن مواضعه، ويقول إنّه إنّما يتّبع القرآن كالخوارج؛ وإمّا بما يدّعيه في الحديث والسنّة ويكون كذباً وضعيفاً كما يدّعيه الروافض؛ من النصّ والآيات. وكثيرٌ ممّن يكون قد وضع دينه برأيه أو ذوقه يحتجّ من القرآن بما يتأوّله على غير تأويله، ويجعل ذلك حجّة لا عمدة، وعمدته في الباطن على رأيه، كالجهميّة والمعتزلة في الصفات والأفعال، بخلاف مسائل الوعد والوعيد؛ فإنّهم قد يقصدون متابعة النصّ". [٣٥٢٩]

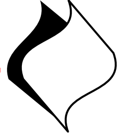
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وجماع الأمر أن الأدلة نوعان: شرعية، وعقليه.

فالمدعون لمعرفة الإلهيات بعقولهم، من المنتسبين إلى الحكمة والكلام والعقليات، يقول من يخالف نصوص الأنبياء منهم: إن الأنبياء لم يعرفوا الحق الذي عرفناه، أو يقولون: عرفوه ولم يبينوه للخلق كما بيناه، بل تكلموا بما يخالفه من غير بيان منهم.

والمدعون للسنة والشريعة واتباع السلف من الجهال بمعاني نصوص الأنبياء يقولون: إن الأنبياء ـ والسلف الذين اتبعوا الأنبياء ـ لم يعرفوا معنى هذه النصوص التي قالوها والتي بلغوها عن الله، أو إن الأنبياء عرفوا معانيها ولم يبينوا مرادهم للناس، فهؤلاء الطوائف قد يقولون: نحن عرفنا الحق بعقولنا، ثم اجتهدنا في حمل كلام الأنبياء على ما يوافق مدلول العقل، وفائدة إنزال هذه المتشابهات المشكلات اجتهاد الناس في أن يعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في تأويل كلام الأنبياء الذي لم يبينوا به مرادهم، أو أنا عرفنا الحق بعقولنا،

[٣٥٢٨] انظر مجموع الفتاوى (٥/ ٢٩)، و (١٦/ ٤٣٣)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٧) و (٣/ ٧٧)، والصواعق المرسلة (٢/ ٤٥٦، و ٦٣٣).

[٣٥٢٩] النبوات لابن تيمية (١/ ٤٢٢).



وهذه النصوص لم تعرف الأنبياء معناها، كما لم يعرفوا وقت الساعة، ولكن أمرنا بتلاوتها من غير تدبر لها ولا فهم لمعانيها.

أو يقولون: بل هذه الأمور لا تعرف بعقل ولا نقل، بل نحن منهيون عن معرفة العقليات، وعن فهم السمعيات، وإن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات، ولا يفهمون السمعيات". [٣٥٣٠]

ثانياً: من سمات مناهج أهل الباطل أن عامتهم لا يعرفون ما جاء في الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله تعالى–: "وهؤلاء قد لا يعرفون ما جاء به الرسول: إما عجزًا وإما تفريطًا، فإنه يحتاج إلى مقدمتين:

أن الرسول قال كذا، وأنه أراد به كذا.

أما المقدمة الأولى: فعامتهم لا يرتابون في أنه جاء بالقرآن وإن كان من غلاة أهل البدع مَن يرتاب في بعضه لكن الأحاديث عامة أهل البدع جهال بها، وهم يظنون أن هذه رواها آحاد يجوزون عليهم الكذب والخطأ، ولا يعرفون من كثرة طرقها وصفات رجالها، والأسباب الموجبة للتصديق بها ما يعلمه أهل العلم بالحديث؛ فإن هؤلاء يقطعون قطعًا يقينًا بعامة المتون الصحيحة التي في الصحيحين كما قد بسطناه في غير هذا الموضع.

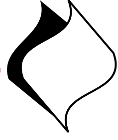
وأما المقدمة الثانية: فإنهم لا يعرفون معاني القرآن والحديث، ومنهم من يقول: الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين بمراد المتكلم، وقد بسطنا الكلام على فساد ذلك في غير هذا الموضع". [٣٥٣١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله تعالى–: "وإذا كانت الطائفة عن الله وعن رسوله أبعد، كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية فقال: لا نسلّم صحة الحديث. وربما قال لقوله–عليه السلام–: كذا.. وتكون آية من كتاب الله. وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر". [٣٥٣٢]

[٣٥٣٠] درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٨–١٩).

[٣٥٣١] انظر مجموع الفتاوى (٥/ ٢٩)، و (١٦/ ٤٣٣)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٧)، و (٣/ ٧٧)، والصواعق المرسلة (٢/ ٤٥٦)، و ٦٣٣).

[٣٥٣٢] مجموع الفتاوى (٤/ ٩٦).



ثالثاً: من سمات مناهج أهل الباطل أنهم يتعاملون مع النصوص بما يوافق أهواءهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وكثير منهم إنما ينظر من تفسير القرآن والحديث فيما يقوله موافقوه على المذهب فيتأول تأويلاتهم، فالنصوص التي توافقهم يحتجون بها، والتي تخالفهم يتأولونها، وكثير منهم لم يكن عمدتهم في نفس الأمر إتباع نص أصلاً، وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجهمية". [٣٥٣٣]

رابعاً: من سمات مناهج أهل الباطل:

١ ـ أنهم يلبسون الحق بالباطل.

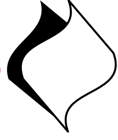
٢ ـ أنهم يقيمون الباطل بدلاً عن الحق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وقوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [آل عمران: الآية: ٧١] هما متلازمان فإن من لبّس الحق بالباطل فجعله ملبوسًا به خفي من الحق بقدر ما ظهر من الباطل، فصار ملبوسًا ومن كتم الحق احتاج أن يقيم موضعه باطلًا فيلبس الحق بالباطل، ولهذا كان كل من كتم من أهل الكتاب ما أنزل الله فلابد أن يظهر باطلًا.

وهكذا أهل البدع لا تجد أحدًا ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل إلا وقع في بدعة، ولا تجد صاحب بدعة إلا ترك شيئًا من السنة، كما جاء في الحديث ((ما ابتدع قوم بدعة إلا تركوا من السنة مثلها)) رواه الإمام أحمد [٣٥٣٤] وقد قال تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [المائدة: الآية: ١٤]

[٣٥٣٣] مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٣٤، ٤٤٤، ٤٤٥)، و (١٨/ ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٢)، و (٧/ ١١٨). ومنهاج السنة (٢/ ١٠٩)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣/ ٧٦)، وكتاب النبوات (ص: ١٦٤)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٥٣، ٥٢٣).

[٣٥٣٤] واللفظ عند أحمد: ((ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة)) (٤/ ١٠٥)، ضعفه الألباني بهذا اللفظ في ضعيف الجامع برقم: (٤٩٨٣) ورواه وفي المشكاة برقم: (٤٨) (١٨٧). الدارمي في سننه (١/ ١٥٨)، وعند عبد الرزاق في مصنفه: ((ما ابتدع قوم بدعة قط إلا استحلوا بها السيف)) (١٠/ ١٥١). وصحح الحديث الذي ذكره شيخ الإسلام في المشكاة برقم: (٤٩) (١٨٨).



فلما تركوا حظا مما ذكروا به اعتاضوا بغيره، فوقعت بينهم العداوة والبغضاء، وقال تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: الآية: ٣٦]". [٣٥٣٥]

فعلى المسلم أن يحذر من هاتين الصفتين الذميمتين فهي من سمات أهل الكتاب". [٣٥٣٦]

خامساً: من سمات مناهج أهل الباطل اتباع المتشابهات والألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة.

قال النبي–صلى الله عليه وسلم–في وصف أهل الأهواء والبدع: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه أولئك الذين سماهم الله فاحذروهم". [٣٥٣٧]

وقد تحدث علماء السلف عن سمات الفرق الهالكة وأسباب تفرقهم وما أحدثوه في الدين تحدثوا من باب النصيحة والتحذير.

فقد سأل عمرو بن قيس الحكم بن عتبة: "ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟ قال الخصومات". [٣٥٣٨]

وقال الفضيل بن عياض: "لا تجادلوا أهل الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله". [٣٥٣٩]

وفي مصنف عبد الرزاق أن رجلًا قال لابن عباس: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم. فقال: كل هوى ضلالة". [٣٥٤٠]

[٣٥٣٥] مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٢–١٧٣).

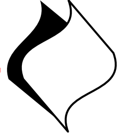
[٣٥٣٦] مجموع الفتاوى (١٥/ ١٥٥–١٥٦)، وانظر أيضا: مجموع الفتاوى (١٩/ ١٩٤)، ومنهاج السنة (٤/ ٥٤٨)، والاستقامة (١/ ٣) و (٢/ ٣٠٠).

[٣٥٣٧] رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)

[٣٥٣٨] رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٨٢).

[٣٥٣٩] رواه الدارمي (٤٠٦).

[٣٥٤٠] المصنف لابن أبي شيبة (١١/ ١٢٦).



وعن أبي قلابة قال: "ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف". [٣٥٤١]

فالله تعالى قد ذم في كتابه من يتتبع المتشابهات ورسوله-صلى الله عليه وسلم- كما عاقب عمر-رضي الله عنه-صبيغًا.

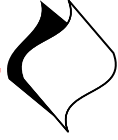
وقد صارت هذه العادة سمة وشعارًا لأهل البدع والأهواء ومنهجًا ينتهجونه في التلبيس، وسلَّمًا للوصول إلى بغيتهم وطريقًا في تحقيق نواياهم السيئة، ومِعْوَلًا يهدمون بها أصول الدين، ويعارضون بها الحق بعد ما تبين للناس، ويلبسون به على عقول العوام ويفسدون به دينهم بإلقاء الشبهات تارة وباستخدام الألفاظ المجملة والمعاني مشتبهة تارة أخرى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-: "ولهذا قال الإمام أحمد في أول ما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، مما كتبه في حبسه قال في أوله: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلي الهدى ويبصرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمي، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضالٍّ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين". [٣٥٤٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-في تعليقه على كلام الإمام أحمد —رحمه الله-: "المبتدعة يستعملون ألفاظ الكتاب والسنة واللغة ولكن يقصدون بها معاني أخر.

[٣٥٤١] الشريعة للآجري (١/ ٤٦).

[٣٥٤٢] الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص: ١-٦). ومجموع الفتاوى (١/ ٣) و (٤ / ٢١٧)، و (١١/ ٤٣٥)، و (١٥/ ٢٨٤) و (١٧/ ٣٠٠)، ومنهاج السنة (٥/ ٢٧٣).



والمقصود هنا قوله: "يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم" [٣٥٤٣] وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهال الناس هو الذي يتضمن الألفاظ المتشابهة المجملة، التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة، وتلك الألفاظ تكون موجودة مستعملة في الكتاب والسنة وكلام الناس، لكن بمعانٍ أُخر غير المعاني التي قصدوها هم بها، فيقصدون هم بها معاني أخر، فيحصل الاشتباه والإجمال". [٣٥٤٤]

سادساً: من سمات أهل الباطل طعنهم في الصحابة.

فها هي الفرق الكبار: المعتزلة والخوارج والشيعة كلهم يطعن في الصحابة رضوان الله عليهم طعنا صريحا[٣٥٤٥]:

أما المعتزلة: فقد طعن زعيمهم النظام في أكثر الصحابة وأسقط عدالة ابن مسعود، وطعن في فتاوى علي بن أبي طالب، وثلب عثمان بن عفان، وطعن في كل من أفتى من الصحابة بالاجتهاد، وقال: إن ذلك منهم إنما كان لأجل أمرين: إما لجهلهم بأن ذلك لا يحل لهم، وإما لأنهم أرادوا أن يكونوا زعماء وأرباب مذاهب تنسب إليهم. فنسب خيار الصحابة إلى الجهل أو النفاق.

ثم إنه أبطل إجماع الصحابة ولم يره حجة، وأجاز أن تجتمع الأمة على الضلالة". [٣٥٤٦]

وأيضًا: كان زعيمهم واصل بن عطاء الغزال يشكك في عدالة علي وابنيه، وابن عباس، وطلحة، والزبير، وعائشة وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين، فقال مقالته المشهورة: لو شهد عندي علي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما؛ لعلمي بأن أحدهما فاسق ولا أعرفه بعينه[٣٥٤٧]. ووافقه على ذلك صاحبه عمرو بن عبيد وزاد عليه بأن قطع بفسق كل من الفريقين.

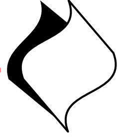
[٣٥٤٣] الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله–ص ١٧٣ . ١٧٤.

[٣٥٤٤] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١ / ٢٢٢) (٦ / ١٩٢)

[٣٥٤٥] الفرق بين الفرق للبغدادي ٣١٨ وما بعدها

[٣٥٤٦] فضل الإجماع ص ١٤٠

[٣٥٤٧] انظر أصول الدين لابن طاهر البغدادي (٢٩٠ –٢٩١)



حتى يقول العمرو بن عبيد: "لو جاءَ كلا الفريقين عليّ ومَن معه، ومعاوية ومَن معه، يشهدون عندي على حزمة بَقْلٍ ما قبلت شهادةَ أحدٍ منهم"[٣٥٤٨] فطعنوا بها في هذه المرجعية، وأطلق عمرو بن عبيد على ابنِ عمر أنه من الحشوية

وأما الخوارج: فتكفيرهم لعلي وأكثر الصحابة–رضي الله عنهم–، واستباحتهم لدمائهم وأموالهم مشهور معلوم، بل ساقوا الكفر إلى كل من أذنب من هذه الأمة.

فالخوارج طعنوا في أصحابِ النبي صلى الله عليه وسلم، طعنوا ما طعنوا وكفَّروا ما كفَّروا.

أما الشيعة: فشعارهم الطعن في سائر الصحابة —عدا آل البيت—وغلاتهم من السبئية والبيانية وغيرهم قد حكم علماء الإسلام عليهم بالردة والخروج من الدين بالكلية.

والإمامية منهم ادعت ردة أكثر الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما الأشاعرة ونحوهم من المتكلمين: ممن يدعي في طريقة الخلف العلم والإحكام، وفي طريقة السلف السلامة دون العلم والإحكام، يلزمهم تجهيل السلف من الصحابة والتابعين وهو طعن فيهم من هذا الوجه. ولهذا قال ابن تيمية–رحمه الله–بعد أن حكى عنهم هذا الكلام–: "ولا ريب أن هذا شعبة من الرفض".[٣٥٤٩][٣٥٥٠].

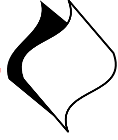
سابعاً: من سمات أهل الباطل انتقاصهم لعلوم السلف وقولهم: بأن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله تعالى–: "ولا يجوز أن يكون الخالفون أَعْلَمَ مِنْ السَّالِفِينَ كَمَا قَدْ يَقُولُهُ بَعْضُ الْأَغْبِيَاءِ مِمَّنْ لَمْ يُقَدِّرْ قَدْرَ السَّلَفِ؛ بَلْ وَلَا عَرَفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ حَقِيقَةَ الْمَعْرِفَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا: مِنْ أَنَّ "طَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسْلَمُ "وَطَرِيقَةَ الْخَلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعِينَ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ طَرِيقَةَ الْخَلَفِ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ: إنَّمَا أَتَوْا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا: أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِيَ مُجَرَّدُ الْإِيمَانِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ لِذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ

[٣٥٤٨] انظر العرش للذهبي (١/ ٥١).

[٣٥٤٩] مجموع الفتاوى (٤/ ١٥٧).

[٣٥٥٠] المصدر موقع الدرر السنية الموسوعة العقدية.



فِيهِمْ: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إلَّا أَمَانِيَّ} وَأَنَّ طَرِيقَةَ الْخَلَفِ هِيَ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ الْمَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ الْمَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اللُّغَاتِ. فَهَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ أَوْجَبَ " تِلْكَ الْمَقَالَةَ " الَّتِي مَضْمُونُهَا نَبْذُ الْإِسْلَامِ وَرَاءَ الظَّهْرِ وَقَدْ كَذَبُوا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ وَضَلُّوا فِي تَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الْخَلَفِ؛ فَجَمَعُوا بَيْنَ الْجَهْلِ بِطَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الْكَذِبِ عَلَيْهِمْ. وَبَيْنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ بِتَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الْخَلَفِ". [٣٥٥١]

ثامنًا: من سمات أهل الباطل أنهم جمعوا بين الجهل والظلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله تعالى–: "وَهَذَا لِأَنَّ الْأَصْلَ الَّذِي اشْتَرَكُوا فِيهِ أَصْلٌ فَاسِدٌ مَبْنِيٌّ عَلَى جَهْلٍ وَظُلْمٍ، وَهُمْ مُشْتَرِكُونَ فِي ظُلْمِ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، فَصَارُوا بِمَنْزِلَةِ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ الْمُشْتَرِكِينَ فِي ظُلْمِ النَّاسِ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمُسْلِمَ الْعَالِمَ الْعَادِلَ أَعْدَلُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ. وَالْخَوَارِجُ تُكَفِّرُ أَهْلَ الْجَمَاعَةِ، وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ الْمُعْتَزِلَةِ يُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ الرَّافِضَةِ وَمَنْ لَمْ يُكَفِّرْ فُسِّقَ. وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ يَبْتَدِعُونَ رَأْيًا، وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهِ". [٣٥٥٢]

تاسعاً: ومن سمات مناهج أهل الباطل أن استدلالاتهم واهية.

ما يحتج به أهل البدع فشبههم لا تخرج عن أحد الأمور التالية:

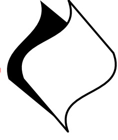
١. إما آيات وأحاديث صحيحة يتأولونها ويتعسفون في تفسيرها حتى توافق ما جاءوا به من الباطل مع أنه ليس فيها دلالة على ما يزعمون ويدعون.

٢. وإما أحاديث واهية أو موضوعة لا يحتج بها ولا يعتمد عليها بل هي مخالفة لأهم قواعد هذا الدين المبنية على الآيات والأحاديث الثابتة الصحيحة.

وهذا الصنف هو أغلب بضاعتهم، بل وأكثر ما يستدلون به عند عرض بدعهم، إما جهلا منهم بحكم هذه الأحاديث، أو لعلمهم بأن هذا النوع من الأدلة هو مما يسهل ترويج باطلهم عند العوام الذين لا يستطيعون أن يميزوا بين الصحيح والضعيف من الأحاديث.

[٣٥٥١] مجموع الفتاوى (٥/ ٨-٩).

[٣٥٥٢] منهاج السنة النبوية (٥/ ١٥٧).



٣. وإما بحكايات مكذوبة منسوبة لبعض أئمة هذا الدين الذين لهم في نفوس الناس منزلة ومكانة. وتلك الحكايات مروية بأسانيد مظلمة عن رجال مجهولين وهي مردودة بما اشتهر عن أولئك الأئمة من أقوال ذكرت في كتبهم أو رويت عن طريق تلاميذهم بأسانيد صحيحة تؤكد زيف تلك، الحكايات المنسوبة إليهم وتبرهن على بطلانها.

٤. أو بمنامات لا تخلو من أحد أمرين إما كذب صاحبها أو تلبيس الشياطين عليه، ويشهد لهذا ويؤكده مخالفتها لقواعد هذا الدين وأصوله.

٥. ويا سبحان الله كيف يتصور أن يترك شرع الله من أجل أحلام ومنامات أو أقوال من تكلم في الدين بلا علم، وليس معه فيما يقول ويدعى دليل شرعي، ويجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

٦. أو بحجج هي من جهة الرأي والذوق هي أوهن من بيوت العنكبوت ولا يخفى ضعفها وفسادها ومخالفتها لقواعد هذا الدين وأصوله إلا على الجهلة وأصحاب الهوى أتباع كل ناعق الذين لم يستضيئوا بنور العلم.

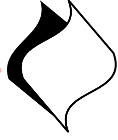
قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله تعالى–: "وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى فعمدتهم: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة، أو منقولات عمن لا يحتج بقوله إما أن يكون كذبا عليه وإما أن يكون غلطا منه إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه كما يفعل النصارى". [٣٥٥٣]

والمقام هنا لا يتسع لعرض تلك الشبه والرد عليها، فمن أراد الاستزادة في هذا الشأن فعليه بمظان ذلك في كتب علماء السلف". [٣٥٥٤]

[٣٥٥٣] الرد على البكري (ص: ٣٥٢)

[٣٥٥٤] انظر:

- أ–قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ب–الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ج–الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية.



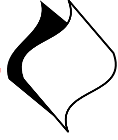
وعن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)). [٣٥٥٥]

عاشراً: من سمات أهل الباطل زعمهم أن أهل السنة أَهْلُ تَقْلِيدٍ لَيْسُوا أَهْلَ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله تعالى–: "وَمِنْ الْعَجَبِ: أَنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَهْلُ تَقْلِيدٍ لَيْسُوا أَهْلَ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ وَأَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ حُجَّةَ الْعَقْلِ. وَرُبَّمَا حُكِيَ إنْكَارُ النَّظَرِ عَنْ بَعْضِ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَهَذَا مِمَّا يُنْكِرُونَهُ عَلَيْهِمْ فَيُقَالُ لَهُمْ: لَيْسَ هَذَا بِحَقِّ. فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ لَا يُنْكِرُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ هَذَا أَصْلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَهُمْ. وَاَللَّهُ قَدْ أَمَرَ بِالنَّظَرِ وَالِاعْتِبَارِ وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي غَيْرِ آيَةٍ وَلَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَلَا أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَعُلَمَائِهَا أَنَّهُ أَنْكَرَ ذَلِكَ بَلْ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى الْأَمْرِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ مِنْ النَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ وَالتَّدَبُّرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَلَكِنْ وَقَعَ اشْتِرَاكٌ فِي لَفْظِ " النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ " وَلَفْظِ " الْكَلَامِ " فَإِنَّهُمْ أَنْكَرُوا مَا ابْتَدَعَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ بَاطِلِ نَظَرِهِمْ وَكَلَامِهِمْ وَاسْتِدْلَالِهِمْ فَاعْتَقَدُوا أَنَّ إنْكَارَ هَذَا مُسْتَلْزِمٌ لِإِنْكَارِ جِنْسِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ. وَهَذَا كَمَا أَنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ يُسَمِّي مَا وَضَعَهُ " أُصُولَ الدِّينِ " وَهَذَا اسْمٌ عَظِيمٌ وَالْمُسَمَّى بِهِ فِيهِ مِنْ فَسَادِ الدِّينِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ. فَإِذَا أَنْكَرَ أَهْلُ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ ذَلِكَ قَالَ الْمُبْطِلُ: قَدْ أَنْكَرُوا أُصُولَ الدِّينِ. وَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى أُصُولَ الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنْكَرُوا مَا سَمَّاهُ هَذَا أُصُولَ الدِّينِ وَهِيَ أَسْمَاءٌ سَمَّوْهَا هُمْ وَآبَاؤُهُمْ بِأَسْمَاءِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَالدِّينُ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ

- د–صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للشيخ محمد بشير السهسواني.
- هـ–الصواعق المرسلة الشهابية للشبخ سليمان بن سحمان.
- وغاية الأماني في الرد على النبهاني للشيخ محمود شكري الألوسي.

[٣٥٥٥] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/ ٥٠–٥١).



وَرَسُولُهُ وَقَدْ بَيَّنَ أُصُولَهُ وَفُرُوعَهُ وَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ قَدْ بَيَّنَ فُرُوعَ الدِّينِ دُونَ أُصُولِهِ كَمَا قَدْ بَيَّنَّا هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ فَهَكَذَا لَفْظُ النَّظَرِ وَالِاعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ ". وَعَامَّةُ هَذِهِ الضَّلَالَاتِ إنَّمَا تَطَرَّقُ مَنْ لَمْ يَعْتَصِمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا كَانَ". [٣٥٥٦]

الحادي عشر: ومن سمات أهل الباطل تكفيرهم لخصومهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله تعالى–: "وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ أَحَدٌ إلَّا وَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ مَقَالَةٌ يُكَفِّرُ قَائِلُهَا عُمُومَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَصْحَابَهُ وَفِي التَّعْمِيمِ مَا يُغْنِي عَنْ التَّعْيِينِ فَأَيُّ فَرِيقٍ أَحَقُّ بِالْحَشْوِ وَالضَّلَالِ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ وَذَلِكَ يَقْتَضِي وُجُودَ الرِّدَّةِ فِيهِمْ كَمَا يُوجَدُ النِّفَاقُ فِيهِمْ كَثِيرًا. وَهَذَا إذَا كَانَ فِي الْمَقَالَاتِ الْخَفِيَّةِ فَقَدْ يُقَالُ: إنَّهُ فِيهَا مُخْطِئٌ ضَالٌّ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ صَاحِبُهَا؛ لَكِنَّ ذَلِكَ يَقَعُ فِي طَوَائِفَ مِنْهُمْ فِي الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَعْلَمُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهَا مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛"[٣٥٥٧]

الثاني عشر: من سمات أهل الباطل اضطراب أقوالهم وتنقلهم من قول إلى قول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله تعالى–: "إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالًا من قول إلى قول، وجزمًا بالقول في موضع، وجزمًا بنقيضه، وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين، فإن الإيمان كما قال فيه قيصر لما سأل أبا سفيان عمن أسلم مع النبي–صلى الله عليه وسلم–: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له، بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا. قال: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب، لا يسخطه أحد. ولهذا قال بعض السلف–عمر بن عبد العزيز أو غيره–: "من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل". [٣٥٥٨]. [٣٥٥٩]

[٣٥٥٦] مجموع الفتاوى (٤/ ٥٥-٥٦).

[٣٥٥٧] مجموع الفتاوى (٤/ ٥٣).

[٣٥٥٨] جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٦).

[٣٥٥٩] مجموع الفتاوى (٤/ ٥٠).

قال المصنف–رحمه الله–:

" كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره، ونقلة آثاره، ورواة أحاديثه، المقتدين بسنته، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصابة من هذه المعايب بريئة زكية نقية، وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية، قد وفقهم الله–جل جلاله–لاتباع كتابه ووحيه وخطابه، والاقتداء برسوله–صلى الله عليه وسلم–في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منهما، وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته، وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته، وعلماء أمته، ومن أحب قوما فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((المرء مع من أحب))".

الشرح:

وقال الإمام الحافظ أبو حاتم الرازي: "علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر. وعلامة الجهمية: أن يسموا أهل السنة مشبهة ونابتة. وعلامة القدرية: أن يسموا أهل السنة مجبرة، وعلامة الزنادقة أن يسموا أهل الأثر حشوية". (٣٥٦٠).

وقال البربهاري: "وإن سمعت الرجل يقول: [فلان] مشبه، وفلان يتكلم في التشبيه، فاتهمه، واعلم أنه جهمي.

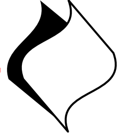
وإذا سمعت الرجل يقول: فلان ناصبي، فاعلم أنه رافضي.

وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد، واشرح لي التوحيد، فاعلم أنه خارجي معتزلي.

أو يقول: فلان [مجبر]، أو يتكلم بالإجبار، أو يتكلم بالعدل، فاعلم أنه قدري؛ لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل الأهواء". (٣٥٦١)

(٣٥٦٠) نقله عنه الذهبي في «العلو» (ص: ١٩٠).

(٣٥٦١) شرح السنة للبربهاري (ص: ١٠٩).



وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتاب: "الغنية" نحو ما ذكر وزاد: «علامة الرافضة: تسميتهم أهل السنة ناصبة، وكل ذلك عصبية، وغياض لأهل السنة ولا اسم لهم إلا اسم واحد وهو: (أصحاب الحديث)، ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع كما لم يلتصق بالنبي تسمية كفار مكة: ساحرًا وشاعرًا ومجنونًا ومفتونًا وكاهنًا، ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنه وسائر خلقه إلا رسولًا نبيًّا بريًّا من العاهات كلها: {انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} (٣٥٦٢).

وقد أعطى المصـنف أمثلة من معتقدات كل من الجهمية، والرافضـة، والمعتزلة، والقدرية، وكيف أنهم جاؤا بلوازم فاسدة نابعة من معتقداتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلا بد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيها نقصًا يذمونهم به، ويسمونهم بأسماء مكذوبة-وإن اعتقدوا صدقها-"٣٥٦٣

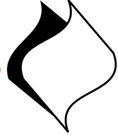
ومقصود المؤلف أن بعض من ألف في مجال كتب الفرق والمقالات وبناء على معتقده المخالف تراه يكيل لأهل السنة الألقاب الشنيعة المنفرة، فتجده قد جمع بين الجهل بمعتقد أهل السنة والظلم لهم، فإن من سمات أهل الباطل أنهم جمعوا بين الجهل والظلم قال ابن تيمية: "وَهَذَا لِأَنَّ الْأَصْلَ الَّذِي اشْتَرَكُوا فِيهِ أَصْلٌ فَاسِدٌ مَبْنِيٌّ عَلَى جَهْلٍ وَظُلْمٍ، وَهُمْ مُشْتَرِكُونَ فِي ظُلْمِ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، فَصَارُوا بِمَنْزِلَةِ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ الْمُشْتَرِكِينَ فِي ظُلْمِ النَّاسِ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمُسْلِمَ الْعَالِمَ الْعَادِلَ أَعْدَلُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ. وَالْخَوَارِجُ تُكَفِّرُ أَهْلَ الْجَمَاعَةِ، وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ الْمُعْتَزِلَةِ يُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ الرَّافِضَةِ وَمَنْ لَمْ يُكَفِّرْ فُسِّقَ. وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ يَبْتَدِعُونَ رَأْيًا، وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهِ،"٣٥٦٤

وقد عرف أن من سمات أهل الباطل تكفيرهم لخصومهم قال ابن تيمية: "وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ أَحَدٌ إلَّا وَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ مَقَالَةٌ يُكَفِّرُ قَائِلُهَا عُمُومَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَصْحَابَهُ وَفِي التَّعْمِيمِ مَا يُغْنِي عَنْ التَّعْيِينِ فَأَيُّ فَرِيقٍ أَحَقُّ بِالْحَشْوِ وَالضَّلَالِ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ وَذَلِكَ يَقْتَضِي وُجُودَ الرِّدَّةِ فِيهِمْ كَمَا يُوجَدُ النِّفَاقُ فِيهِمْ كَثِيرًا. وَهَذَا إذَا كَانَ فِي الْمَقَالَاتِ الْخَفِيَّةِ فَقَدْ يُقَالُ: إنَّهُ فِيهَا مُخْطِئٌ ضَالٌّ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ

(٣٥٦٢) «الغنية» (ص٧١)، مكة المكرمة، المطبعة الميرية، ١٣١٤هـ.

٣٥٦٣ مجموع الفتاوى ٣/ ٥٩.

٣٥٦٤ منهاج السنة النبوية٥/ ١٥٧.



صَاحِبُهَا؛ لَكِنَّ ذَلِكَ يَقَعُ فِي طَوَائِفَ مِنْهُمْ فِي الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَعْلَمُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهَا مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛"[٣٥٦٥]

قول المصنف: " **وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة**".

وقال الإمام الحافظ أبو حاتم الرازي: "علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر. وعلامة الجهمية: أن يسموا أهل السنة مشبهة ونابتة". (٣٥٦٦)

فمن أعظم الافتراءات التي أشاعها المعطلة النفاة لأسماء الله وصفاته، وصفهم أهل السنة والجماعة-كذباً وزوراً-بأنهم مشبِّهة مجسِّمة، وما ذلك إلا لتمسكهم بما جاءهم عن الله-عز وجل-في كتابه أو على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-.

وهي فرية قديمة تلقفها المعطلة النفاة خلفاً عن سلفٍ، يدل على ذلك تقدم كلام السلف في دحض هذه الشبهة ودفع هذه الفرية، من ذلك قول الإمام ابن خزيمة-رحمه الله-: "فاسمعوا يا ذوي الحجا ما نقول في هذا الباب، ونذكر بهت الجهمية، وزورهم وكذبهم، على علماء أهل الآثار، ورميهم خيار الخلق-بعد الأنبياء-بما الله قد نزههم عنه، وبرأهم منه، بتزور الجهمية على علمائنا أنهم مشبِّهة". (٣٥٦٧)

وسبب هذه الفرية على أهل السنة ما قاله شيخ الإسلام: "فالمعتزلة والجهمية ونحوهم من نفاة الصفات، يجعلون كل من أثبتها مجسِّماً مشبِّهًا". (٣٥٦٨)

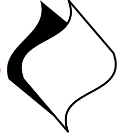
وقد تواترت النصوص من القرآن والسنة والآثار عن السلف الصالح في إثبات الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، فأصل النصوص التي وردت في ذلك قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: الآية: ١١].

٣٥٦٥ مجموع الفتاوى ٤/ ٥٣.

(٣٥٦٦) نقله عنه الذهبي في «العلو» (ص ١٩٠).

(٣٥٦٧) التوحيد لابن خزيمة (١/١١٤)، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٧٩/٣، ٥٣٣)، المختار في أصول السنة (ص ٨٢).

(٣٥٦٨) منهاج السنة (١٠٥/٢).



فالجهمية ينكرون الأسماء والصفات، ويقولون: ليس لله علم ولا سمع ولا بصر، ويقولون: إن من أثبت العلم والسمع والبصر لله فهو مشبه.

ويقولون: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويًا، وكل ذلك من المحال، ونحو ذلك من الكلام. فهذا المعطل لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، وهذا اللازم الذي جاء به المعطل تابع لهذا المفهوم.

فإذا رأيت الرجل يقول لمن أثبت الصفات مشبه، فاعلم أنه جهمي أو معتزلي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكقول الجهمي: مَن قال: إن الله فوق العرش، فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركب محدود، وأنه مشابه لخلقه، وكقول الجهمية المعتزلة: مَن قال: إن لله علمًا وقدرة، فقد زعم أنه جسم مركب، وهو مشبه؛ لأن هذه الصفات أعراض، والعَرَض لا يقوم إلا بجوهر مُتحيز، وكل متحيز جسم مركب، أو جوهر فرد، ومن قال ذلك فهو مُشبه؛ لأن الأجسام متماثلة، ومن حكى عن الناس المقالات، وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها، فهو وربه، والله من ورائه بالمرصاد، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ".٣٥٦٩

وكان الواجب عليهم أن يثبتوا لله استواء يليق بجلاله ويختص به، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي هي من لوازم المخلوقات، ويجب نفيها في حق الله.

فأهل التعطيل وقعوا في أربعة محاذير:

الأول: كونهم مثلوا ما فهموه من النصوص بصفات المخلوقين، وظنوا أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنهم عطلوا النصوص عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله.

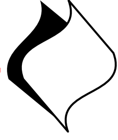
الثالث: أنهم بنفي تلك الصفات صاروا معطلين لما يستحقه الرب من صفات الكمال.

الرابع: أنهم وصفوا الرب بنقيض تلك الصفات، من صفات الأموات والجمادات والمعدومات٣٥٧٠.

والجهمية من المعتزلة ومن وافقهم بنوا دليلهم في نفي الصفات على أن القديم لا يكون محلاً للصفات والحركات، فلا يكون جسماً ولا متحيزاً؛ لأن الصفات أعراض وهم يستدلون على حدوث الجسم بحدوث الأعراض والحركات، وأن الجسم لا يخلو منها، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

٣٥٦٩ الأسماء والصفات لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٨٧.

٣٥٧٠ الرسالة التدمرية ٧٩-٨٠



فهم بهذا القول نفوا صفات البارئ، وجعلوا نفيها يتوقف عليه ثبوت الصانع، وحدوث العالم، فإذا جاء في القرآن والسنة ما يدل على إثبات الصفات لم يكن القول بموجبه.

والمتدبر لحججهم يرى فيها الأمور التالية:

أولاً: أنهم يستدلون لأقوالهم بعبارات مبتدعة، وفيها الكثير من الاشتباه والإجمال، وذلك كلفظ العرض، والجسم، والحيز، والمركب، وغير ذلك، فهم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ليخدعوا به جهال الناس بما يشبهون عليه، وهذه الألفاظ المجملة تتضمن معاني باطلة، ومعاني أخرى صحيحة، فهم بهذا ينفون كلا المعنيين الحق والباطل.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما في هذه الألفاظ من معانٍ، وما تدل عليه من عبارات(٣٥٧١)، وكيف استعملها هؤلاء المعطلة في نفي صفات البارئ عز وجل، حيث ادعوا أن هذه الأمور من مستلزمات الجسمية، والله منزه عن ذلك، وقد بين شيخ الإسلام أن استعمال هذه الألفاظ نفياً وإثباتاً لم يرد عن السلف، ولا جاء به أثر صحيح، ولم يستعملها الأقدمون بالمعنى الاصطلاحي الذي اتفق عليه هؤلاء، بل جميعهم معترفون بأن العلو صفة كمال، كما أن السفل صفة نقص، وما ثبت لله من العلو فهو العلو المناسب لكمال ذاته، المنزهة عن اعتبارات المحدثين ومماثلتهم.

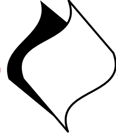
ومعلوم أن القول بأن العلو يستلزم هذه المعاني المبهمة إنما هو مأخوذ من قياس الغائب على الشاهد، ومحاولة تطبيق الاعتبارات الإنسانية على الصفات الإلهية وهذا قياس خاطئ إذ ليس معنى كونه في السماء أن السماء تحويه، وتحيط به، وتحصره، أو هي محمل وظرف له، بل هو سبحانه محيط بكل شيء، وسع كرسيه السموات والأرض، وهو فوق كل شيء، وعلا كل شيء(٣٥٧٢).

ثانياً: إن من استدل به المعتزلة لا أصل له من الكتاب أو السنة بل هو مأخوذ من كلام الفلاسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً ليس بعالم ولا قادر ولا حي(٣٥٧٣).

(٣٥٧١) انظر: شرح ابن تيمية لهذه العبارات في نقض تأسيس الجهمية ١/ ٥٠٤، ٥١١، وفي مجموع الفتاوى ٥/ ٤١٨-٤٣٠.

(٣٥٧٢) انظر: كتاب: موقف ابن تيمية من قضية التأويل ص ٣٨١-٣٨٥.

(٣٥٧٣) مقالات الإسلاميين ٢/ ١٧٧، وموقف المعتزلة من السنة النبوية ص ٥٣.



كما أن مذهب المعتزلة في الذات قريب من مذهب اليونان القائلين بأن ذات الله واحدة، لا كثرة فيها بوجه من الوجوه (٣٥٧٤).

ثالثاً: أن أصل هذه القاعدة التي اعتمد عليها المعتزلة في نفي الصفات إنما هي مأخوذة من قولهم في دليل حدوث العالم (٣٥٧٥)، الذي أثبتوا فيه حدوث العالم بحدوث الأجسام وهذا دليل قد بين الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر: أنه دليل محرم في شرائع الأنبياء، ولم يستدل به أحد من الرسل ولا أتباعهم(٣٥٧٦)، فهي بهذا طريق يحرم سلوكها لما فيها من لخطر والتأويل، وما يلزم عليها من لوازم باطلة؛ لأنها مستلزمة لنفي الصانع بالكلية، وهي مستلزمة لنفي صفاته، ونفي أفعاله، ونفي المبدأ والمعاد، فهذه الطريق لا تتم إلا بنفي سمع الرب، وبصره، وقدرته، وحياته، وإرادته، وكلامه، فضلاً عن نفي علوه على خلقه، ونفي الصفات الخبرية من أولها إلى آخرها، فلو صحت هذه الطريقة لنفت الصانع، وأفعاله، وصفاته، وكلامه، وخلقه للعالم، وتدبيره له، وما يثبته أصحاب هذه الطريقة من ذلك لا حقيقة له، بل هو لفظ لا معنى له، وبهذه الطريقة قالت الجهمية بفناء الجنة والنار، وأن الله بذاته في كل مكان، وقال إخوانهم: إنه ليس داخل العالم، ولا خارج العالم، وقالوا بخلق القرآن، إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة(٣٥٧٧).

فكل هذا تجده لوازم في عقولهم، فيفهمون من إثبات السلف للاستواء على العرش: أن العرش يحوي الله سبحانه وتعالى، أو يحيط به جل وعلا.

وإنما نُفَسِّر الاستواء بمعنى العلو والارتفاع، والكيف لا نَعلمه، وإنما يعلمه الله سبحانه وتعالى.

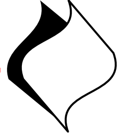
فيأتي هؤلاء بلوازم فاسدة ليركبوا عليها هذا الاستنتاج الفاسد.

(٣٥٧٤) موقف المعتزلة من السنة النبوية ص ٥٣.

(٣٥٧٥) انظر الكلام على دليل حدوث العالم في: مجموع الفتاوى ١٣/ ١٥٣.

(٣٥٧٦) انظر كتاب: رسالة أهل الثغر ص ١٦٤-١٧٢ تحقيق عبدالله شاكر الجنيدي، رسالة ماجستير من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية.

(٣٥٧٧) مختصر الصواعق ١/ ٢٥٦، ٢٥٧، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٤٠-٣٨.



قول المصنف: " وبعضهم ناصبة".

وهذا هو وصف الرافضة لأهل السنة، فالرافضة عندهم أن حب أبي بكر عندهم لا يستقيم مع ولاية عليٍّ–رضي الله عنهما–، فلابد لكي يوالي أحدهم عليًّا أن يبغض أبا بكر، مع أن السلف لم يبغضوا عليًّا–رضي الله عنه–، ولم يُناصبوه العداء، لكن هذه مقاييسهم الفاسدة.

فهذه الملازمة الباطلة الفاسدة لا توجد إلا في معتقد الرافضة وأذهانهم، فمحاولة حصر قضية الولاء والبراء بين الصحابة بأحد هذين خيارين إنما هي لازم قولهم في الصحابة، وأما أهل السنة فإنهم يوالون جميع الصحابة ويحبونهم ولا يفرقون بينهم ويعرفون لهم فضلهم، ويؤمنُون بأن أصحابَ النبي–صلى الله عليه وسلم– كما وصفهم ابن مسعود حينما قال: "من كانَ مُسْتَنًّا، فَلْيَسْتَنَّ بمن قد ماتَ، فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفِتْنَةُ " (٣٥٧٨)، أولئك أصحابُ محمد أبَّرُّ هذه الأمةِ قلوباً وأعمُقها علماً، وأقلها تكلُّفاً، قومٌ اختارهم الله لصحبةِ نبيه وإقامةِ دينه فاعرفوا لهم حقهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، وكما أُثِر عنه–رضي الله عنه–حيث قال: "إنا نقتدي ولا نبتدئ، ونتبعُ ولا نبتدع".

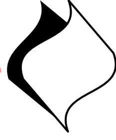
فأصحابُ النبي–صلى الله عليه وسلم–خيرُ هذه الأمة، والله تعالى قد زَكَّاهم في كتابه وأمرَ بلزومِ سبيلهم حيث قال–عز وجل: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة: الآية: ١٠٠]، فرضيَ الله عن السابقين من المهاجرين والأنصار رضاءً مطلقا بدونِ قيد، ورضيَ عنهم بعدهم رضاءً مقيَّداً.. مقيَّداً بأي أمر؟ باتباعهم بإحسان {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}

ونهى الله سبحانه وتعالى عن الافتراقِ عنهم {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: الآية: ١١٥].

فأهل السنة وسط في بابِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ بينَ الرَّافضةِ والخَوَارِجِ.

فالرَّافضة: هم الذين غلوا في عليٍّ–رضي الله عنه–وأهل البيت، ونصبوا العداوة لجمهور الصحابة كالثَّلاثة، وعائشة وحفصة وطلحة والزبير وفضلاء المهاجرين والأنصار، وكفَّروهم ومَن تولاهم، وكفَّروا مَن قاتل عليًّا، حتى وصل بهم الأمر إلى أن كفروا جُلَّ الصحابة إلا نفر يسير جدًّا.

(٣٥٧٨) رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (٢/٩٤٧- رقم ١٨١٠)، وفي إسناده ضعف، إلا أنه أثر مشهور متداول في مصنفات أهل السنة، ومعناه صحيح مستقر عندهم.



وأما الخوارج فقابلوا الرَّوافض؛ فكفروا عليًّا ومعاوية ومن معهما من الصحابة بعد التحكيم، وقاتلوهم، واستحلوا دماءهم وأموالهم.

والنواصب: هم الذين نصبوا العداوة لعليٍّ ومَن والاه، وهم الذين استحلوا قتله بعد أن كفروه، وقتله أحد رءوسهم، وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

أما أهل السنة والجماعة فهداهم الله تعالى للحق والصواب، فلم يغلوا في علي وأهل البيت، ولم ينصبوا العداوة للصحابة-رضي الله عنهم-ولم يكفّروهم، ولم يفعلوا كما فعل النواصب من عداوة أهل البيت. بل يعترفون بحق الجميع وفضلهم، ويوالونهم، ويكفون عن الخوض فيما جرى بينهم، ويترحَّمون على جميع الصحابة، فكانوا وسطًا بين غلو الرافضة وجفاء الخوارج (٣٥٧٩).

ومحبتهم لأهلِ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ محبةٌ شرعيَّة دونَ إفراطٍ أو تَفْريطٍ؛ فهم يَعْرِفُونَ لهم حَقَّهم، ويَحفظونَ وَصِيَّةَ رسولِ اللهِ فيهم، ولا يُغالونَ في مَحَبَّتِهِم؛ ولا يَرفعونهم فوق منزلتهم البشرية غلوًّا فيهم، وكذلك لا ينتقصونهم قدرهم جفاء لهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن معتقد أهل السنة: "ويتبرؤون مِن طريقة الرَّوَافِضِ الذين يُبْغِضُونَ الصَّحابة، ويَسُبُّونَهُم، ومن طريقة النَّواصب الذين يؤذون أهلَ البيت بقولٍ أو عملٍ" ٣٥٨٠.

فأهل السنة والجماعة يتميزون بالوسطية والاعتدال بين الفرق الأخرى التي تقف على طرفي نقيض؛ والحق بين هذا وذاك، وتلكم هي الوسطية والطريقة السوية.

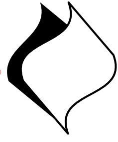
قول المصنف: "وبعضهم جبرية".

وهذا هو وصف القدرية من المعتزلة وغيرهم لأهل السنة، قال الإمام الحافظ أبو حاتم الرازي: "علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر. ... وعلامة القدرية: أن يسموا أهل السنة مجبرة". (٣٥٨١)

(٣٥٧٩) انظر «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» لعبد العزيز السلمان (ص: ٥٠٥-٥٠٨)، المملكة العربية السعودية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠٢هـ.

٣٥٨٠ مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (١/ ٤٠٨).

(٣٥٨١) نقله عنه الذهبي في «العلو» (ص: ١٩٠).



وقال البربهاري: "أو يقول: فلان [مجبر]، أو يتكلم بالإجبار، أو يتكلم بالعدل، فاعلم أنه قدري". (٣٥٨٢) فالقدريَّةُ نَفَوْا مُتعلق قدرة الله بأفعال العباد تنزيهًا لله بزَعْمهم، فأفعالُ العباد عندهم لا تَدخُل تحت مشيئة الله وإرادته.

ولذلك قالوا بهذا اللازم الفاسد الذي لا وجود له في معتقدهم المنحرف عن الحق.

وقد ضَلَّ في هذا الباب (باب أفعال الله) الجبريةُ والقدريةُ، وما زال إلى يوم الناس هذا مَن يَخبط فيه بين قائل بأن العبد مجبر على أفعاله، وبين قائل بأن العبد لا فِعل له ولا اختيار، وإنما هو كالريشة في مَهَبِّ الرِّيح، وأهل السنة والجماعة وسطٌ بين هذا وذاك.

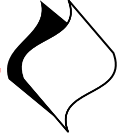
وقد أوضَح شيخُ الإسلامِ رحمه الله هذا في «مجموع الفَتاوى» قول أهل السنة فقال: «وهم في باب خَلقِ الله وأمرِهِ وسطٌ بين المكذِّبين بقُدرة الله الذين لا يُؤمنون بقُدرتِه الكاملة ومَشِيئته الشاملة وخَلقِهِ لكل شيء، وبين المفسدين لدِين الله الذين يَجعلون العبدَ ليس له مَشِيئةٌ ولا قُدرة ولا عمل، فيُعطِّلون الأمر والنهي والثوابَ والعقاب، فيَصِيرون بمَنزِلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فيُؤمن أهل السُّنَّة بأنَّ الله على كل شيء قدير، فيَقدر أن يهدي العبادَ ويُقلِّب قلوبهم، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في مُلكِه ما لا يُريد، ولا يَعجز عن إنفاذ مُرادِه، وأنه خالِق كلّ شيء من الأعيان والصِّفات والحَركات. ويُؤمنون أن العبدَ له قُدرة ومشيئة وعملٌ، وأنه مُختار ولا يُسمُّونه مَجْبورًا؛ إذ المجْبور مَن أُكْرِه على خلاف اختِياره، والله عز وجل جعَل العبدَ مُختارًا لِمَا يفعله، فهو مختارٌ مُريد، والله خالِقُه وخالِقُ اختياره، وهذا ليس له نَظِيرٌ؛ فإن الله ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاتِه ولا في صفاته ولا في أفعاله» (٣٥٨٣).

وقال العلَّامة السِّعْدي "وهدَى الله أهلَ السُّنَّة والجَمَاعَة للتوسُّط بين طائفتين منحرفتين هم القدرية والجبرية، فآمَنوا بقضاء الله وقدَره وشُمولهما للأعيان والأوصاف والأفعال التي مِن جُملتِها أفعالُ المكلَّفين وغيرهم، وآمَنوا بأنه ما شاء اللهُ كان وما لم يشأ لم يكُن، وآمنوا مع ذلك بأن الله تعالى جعَل للعِباد قُدرة وإرادة تقَعُ بها أقوالُهم وأفعالهم على حسب اختِيارهم وإرادتهم، فآمَنوا بكلِّ نصٍّ فيه تعميمُ قدرة ومشيئة،

(٣٥٨٢) شرح السنة للبربهاري (ص: ١١٨).

(٣٥٨٣) «مجموع الفَتاوى» (٣/٣٧٣، ٣٧٤).



وبكلِّ نصٍّ فيه إثباتُ أنَّ العباد يعملون ويفعلون كلَّ الأفعال الكبيرة والصـــغيرة بإرادتهم وقُدْرَتِهم، وعَلِموا أن الأمرينِ لا يَتنافيانِ"(٣٥٨٤).

وبهذا يتبين أن الملازمة الفاسدة إنما هي في أذهان وعقيدة القدرية إذ لا تنافي بين مشيئة الله ومشيئة العبد في معتقد أهل السنة والجماعة.

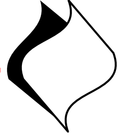
[علامات أهل السنة].

قال المصنف–رحمه الله–:

"وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة، وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلًا منه–جل جلاله–.

أخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ–أسكنه الله وإيانا الجنة–، حدثنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المزكي، حدثنا أحمد بن سلمة، قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له، فكان في آخره: فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وأبا الأحوص وشريكًا، ووكيعًا، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي؛ فاعلم أنه صاحب سنة، قال أحمد بن سلمة رحمه الله: فألحقت بخطي تحته: ويحيى، وأحمد بن حنبل، واسحق بن راهويه، فلما انتهينا إلى هذا الموضع نظر الينا أهل نيسابور، وقال: هؤلاء القوم يبغضون يحيى بن يحيى، فقلنا له: يا أبا رجاء ما يحيى بن يحيى؟ قال رجل صالح إمام المسلمين، وإسحاق بن إبراهيم إمام، وأحمد بن حنبل أكبر من سميتهم كلهم، وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة–رحمه الله–، أن من أحبهم فهو صاحب سنة من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون، وبهديهم يهتدون، ومن جملتهم وشيعتهم أنفسهم يعدون، وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين، منهم محمد بن إدريس الشافعي، وسعيد بن جبير، والزهري، والشعبي، والتيمي، ومن بعدهم، كالليث بن سعد، والأوزاعي، والثوري، وسفيان بن عيينة الهلالي، وحماد بن سلمة، وحماد بن

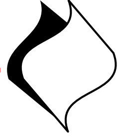
(٣٥٨٤) «التنبيهات اللطيفة» (ص٦١، ٦٢).



زيد، ويونس بن عبيد، وأيوب وابن عوف، ونظرائهم. ومن بعدهم مثل يزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وجرير بن عبد الحميد، ومن بعدهم محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري، وأبي داود السجستاني، وأبي زرعة الرازي، وأبي حاتم، وابنه، ومحمد بن مسلم بن واره، ومحمد بن أسلم الطوسي، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة الذي كان يدعى إمام الأئمة، والمقري كان إمام الأئمة في عصره ووقته، وأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل البستي، وجدي من قبل أبي أبو سعيد يحيى بن منصور الزاهد الهروي، وعدي بن حمدويه الصابوني، وولديه سيفي السنة أبي عبدالله الصابوني وأبي عبد الرحمن الصابوني، وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين بها، ناصرين لها داعين إليها موالين عليها.

وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم بعضا، بل أجمعوا عليها كلها، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم وابعادهم واقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم، قال الأستاذ الإمام رحمه الله: وأنا بفضل الله–عز وجل–متبع لآثارهم مستضيء بأنوارهم، ناصح لإخواني وأصحابي أن لا يزلقوا عن منارهم، ولايتبعوا غير أقوالهم، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع التي اشتهرت فما بين المسلمين، وظهرت وانتشرت، ولو جرت واحد منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه، وبدعوه ولكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه، ولا يغرن إخواني حفظهما الله كثرة أهل البدع، ووفور عددهم فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة، إذ الرسول المصطفى–صلى الله عليه وسلم–قال: ((إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل)) والعلم هو السنة، والجهل هو البدعة، ومن تمسك بسنة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وعمل بها واستقام عليها، ودعا إليها كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الإسلام والملة، إذ الرسول المصطفى–صلى الله عليه وسلم–قال: ((له أجر خمسين)) فقيل: خمسين منهم؟ قال: ((بل منكم)). إنما قال–صلى الله عليه وسلم–ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته.

وجدت في كتاب الشيخ الإمام جدي أبي عبدالله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني رحمه الله: أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان الثوري، أن العباس بن صبيح حدثهم، حدثنا عبد



الجبار بن طاهر حدثني معمر بن راشد، سمعت ابن شهاب الزهري يقول: "تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة".

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني، أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدولي، سمعت محمد بن حاتم المظفري يقول: كان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد فحدثه بحديث أبي هريرة ((احتج آدم وموسى)). فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ قال فوثب به هارون وقال: يحدثك عن الرسول–صلى الله عليه وسلم– وتعارضه بكيف؟ قال:

فما زال يقول حتى سكت عنه.

هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق.

وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد–رحمه الله–مع من اعترض على الخبر الصحيح، الذي سمعه بكيف؟ على طريق الإنكار له، والابتعاد عنه، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول–صلى الله عليه وسلم–.

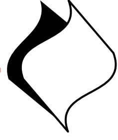
جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويتمسكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة، وجنبنا الأهواء المضلة والآراء المضمحلة، والأسواء المذلة، فضلا منه ومنة. – وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم–".

الشرح

القاعدة الأولى: اعتقاد أهل السنة أن الدين كامل.

يؤمن أهل السنة بقاعدة شرعية تقول: إن الدين كامل، ليس بحاجة إلى من يزيد أو ينقص منه.

- قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، فكل مؤمن يعتقد، ويوقن، ويعلم علمًا يقينيًا أن هذا الدين كامل.



- وقد قال صلى الله عليه وسلم: « تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».[٣٥٨٥]

فكل واحد منا يؤمن ويوقن أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ البلاغ المبين، وأنه نصح للأمة، وأنه جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه.

ثم ألم يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه حتى آداب الخلاء؟! كما قال سلمان الفارسي رضي الله عنه :"علمنا حتى آداب الخراءة" ([٣٥٨٦])،

- وكما قال أبو ذر رضي الله عنه: "تركنا وما من طائر يقلب جناحه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا".

فإذًا الإسلام هو هذا الدين، وهذا الدين هو ما جاء في كلام الله عز وجل، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وفق ما كان عليه فهم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، هذا اتباع وليس ابتداع، وهذا اقتداء وليس ابتداء،

- فكما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إنا نتبع ولا نبتدع، ونقتدي ولا نبتدئ".[٣٥٨٧]
- وقال عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-:" كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة ".[٣٥٨٨]
- وقال ابن عباس لعباس بن حاضر: «عليك بالاستقامة، واتباع الأثر، وإياك والتبدع»[٣٥٨٩].

٣٥٨٥ انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم

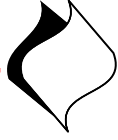
برقم (١٦٨١١)، قال الشيخ الألباني حديث صحيح في السلسلة الصفحة أو الرقم ٩٣٧ / ٦١٠.

٣٥٨٦ انظر: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، حديث رقم (٢٦٢)

٣٥٨٧ انظر: اللالكائي في شرح الاعتقاد ١ / ٦٨.

٣٥٨٨ الإبانة لابن بطة (١/ ٣٣٩).

٣٥٨٩ سنن الدارمي (١٤١)، الإبانة لابن بطه (١٦٤)



- وقال معاذ بن جبل –رضي الله عنه–:"إياكم وما ابتُدع فإن ما ابتدع ضلال"[٣٥٩٠]
- وقال عبد الله بن مسعود—رضي الله عنه–:"اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعةٍ ضلالة" [٣٥٩١]
- والعلم كما يقول الأوزاعي رحمه الله تعالى: "العلم ما جاء عن أصحاب محمد"[٣٥٩٢]. فهذه أول أسس التلقي.
- وذلك يعني أن من سن أو عمل بدعة ظن أنها حسنة فيقال له كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد خان الرسالة "[٣٥٩٣]، فأي إنسان يزعم أنه بهذه البدعة التي جاء بها جعلها بدعة حسنة، فهو يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خان الرسالة، لأن الله تعالى قد أخبر بكمال هذا الدين، فلا يمكن أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد كتم هذا الدين أو أخفى هذا الأمر من أمور الدين، لا في صغيرة ولا في كبير،.

ومع ذلك لا يسلم صاحب السنة من أذى أهل الباطل الذين يصفون صاحب السنة بما يصفونه به من ألفاظ مستبشعة مستقذرة، فيقولون: هذا جمود على النص، ويقولون: هذه حرفية إلى غير ذلك من الألفاظ بغية التنفير.

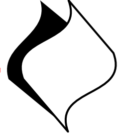
القاعدة الثانية: حفظ أهل السنة للأصلين رواية ودراية.

٣٥٩٠ أخرجه أبو داود برقم(٤٦١١).

٣٥٩١ أخرجه الدارمي في سننه(٢١١).

٣٥٩٢ انظر: كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب معرفة أصول العلم وحقيقته حديث رقم (٨٧٦). حديث مقطوع.

٣٥٩٣ "الاعتصام" للشاطبي (١ / ٢٨).



وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((وجماع ذلك بحفظ أصلين:

أحدهما: تحقيق ما جاء به الرسول، فلا يخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة، والتفسيرات الباطلة، بل يعطى حقه من معرفة نقله ودلالته.

والثاني: أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأيًا ولا روايةً، قال الله تعالى فيما يأمر به بني إسرائيل وهو لنا :﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:(٤١) (٤٢)] فلا يكتم الحق الذي جاء به الرسول، ولا يلبس بغيره من البطل ولا يعارض بغيره)) [٣٥٩٤]

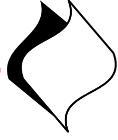
فأهل السنة أعلم الناس بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله، لذلك فهم أشد الناس حبًّا للسنة، وأحرصهم على اتباعها، وأكثرهم موالاة لأهلها؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإنه متى كان الرسول أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق، وأقومهم قولًا وحالًا، لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداءً به أفضل الخلق"[٣٥٩٥]

فلو سئل عن مصادر التلقي فمصادر التلقي بينها المصنف بهذه العبارات القليلة: بأنها السنة التي تركها لنا النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذها عنه أصحابه رضوان الله عليهم، فنحن ملتزمون بها، مستقيمون عليها.

القاعدة الثالثة: ثبات أهل السنة.

[٣٥٩٤] مجموع الفتاوى ج ١٥ / ١٥٥-١٥٦ وانظر أيضا: مجموع الفتاوى ج١٩ / ١٩٤، ومنهاج السنة ج٤ / ٥٤٨، والاستقامة ج١ / ٣ و٢ / ٣٠٠.

[٣٥٩٥] مجموع الفتاوى ٤ / ١٤٠-١٤١



ولذلك من مزايا أهل الحق الثبات، فقول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هو قولنا في هذا اليوم، لم يختلف ولم يتبدل، ليس لنا مصدر إلا من هذا الطريق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة، أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة" [٣٥٩٦]

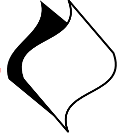
ولذلك أهلُ السنَّةِ قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، وعلى اختلاف أزمانهم وأماكنهم هم على قولٍ واحد في سائرِ أمورِ هذا الدين وبالتحديدِ في أصولِ هذا الدين، لا تجدُ اختلافاً ولا تجدُ اضطراباً فقولهم في أسماء الله وصفاته واحد، وقولهم في بابِ الإيمان واحد، وقولهم في بابِ القدَرِ واحد.. إلى غيرِ ذلك من مسائل الدين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وربنا واحد، ورسولنا واحد، وكتابنا واحد، وديننا واحد، وأصل الدين ليس بين السلف وأئمة الإسلام فيها خلاف، ولا يحلّ الافتراق، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾] آل عمران ١٠٣ >" [٣٥٩٧]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " أما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم، ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين، كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة.. ومن صبر من أهل الأهواء على قوله، فذاك لما فيه من الحق، إذ لابد في كل بدعة – عليها طائفة كبيرة – من الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويوافق عليه أهل السنة والحديث: ما يوجب قبولها، إذ الباطل المحض لا يقبل بحال.

٣٥٩٦ مجموع الفتاوى ١ / ٥١

٣٥٩٧ مجموع الفتاوى ٣ / ٢٠٥.



وبالجملة: فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة.)[٣٥٩٨]

ولذلك قام علماء الإسلام بحفظ آثارهم وأقوالهم، وحفظوها، ونقلوها بأسانيدها كما نقل كلام الله عز وجل، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، فاستقاموا على هذا الأمر. فإذا لو سئل صاحب السنة: ما مصدر التلقي عندكم فالجواب: كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على وفق فهم السلف الصالح. فإذًا الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر.

القاعدة الرابعة: تميز أهل السنة باتصال السند.

تميَّز قول أهل السنة باتصال السَنَد، فما كان عليه أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم فأهل السنة-بحمد الله تعالى-يقولُون به إلى يومنا هذا ويعتقدونه ويدينُون الله عز وجل به، فسندهم متصل، بخلافِ أهلِ البدعِ والأهواء فنجد أن سندهم منقطع؛ ينقطعُ إلى فلانٍ من الناس ولا يمكنُ بأي حالٍ من الأحوال أن يتصلَ ذلك إلى أصحابِ النبي صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أن يتصلَ إلى كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

ويصف الأصفهاني هذا الأمر فيقول: "ومما يدل علي أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار-وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأن جاء على قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دين أبين من هذا؟"[٣٥٩٩]

[٣٥٩٨] مجموع الفتاوى ٤ / ٥٠

[٣٥٩٩] الحجة في بيان المحجة ٢ / ٢٢٤.

القاعدة الخامسة: أن هذا الدين واضح.

يتميز أهل السنة باعتقادهم بأن هذا الدين–بحمدِ الله تعالى–واضحٌ، ومن وضوحه أن كلام الله عز وجل معلومُ المعنى، فيحفظُون لهذا الكتاب حرمته لفظاً، ويحفظونُ له حرمته معنى، ويعتقدون أنه ليس في كتابِ الله عز وجل ما لا يُعلَمُ معناه فهو معلوم من جهة المعنى، وإن كان بعضُ حقائقِ تلك الأمور المغيَّبة أو كيفياتُها أمرٌ قد استأثر به الله تعالى في علمِ الغيب عنده، فيوقنُون أن الهدى في كلامِ الله عز وجل، وأن النورَ في كلامِ الله عز وجل وسنَّةِ نبيه صلى الله عليه وسلم.

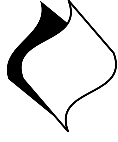
فأهل السنة هم أهل الفهم الرشيد عن الله وعن رسوله، ولذلك تأتي أقوالهم على الاستقامة والسداد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله بعد كلام عن اختلاف المبتدعة :"وإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور، تبيَّن له أن مذهب السلف والأئمة في غاية الاستقامة والسداد، والصحة والاطراد، وأنه مقتضى المعقول الصريح والمنقول الصحيح، وأن من خالفه كان خارجًا عن موجب العقل والسمع، مخالفًا للفطرة"[٣٦٠٠]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَلِهَذَا لَمْ يَجْتَمِعْ قَطُّ أَهْلُ الْحَدِيثِ عَلَى خِلَافِ قَوْلِهِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْحَقُّ لَا يَخْرُجُ عَنْهُمْ قَطُّ، وَكُلُّ مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَهُوَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَكُلُّ مَنْ خَالَفَهُمْ مِنْ خَارِجِيّ وَرَافِضِيّ وَمُعْتَزِلِيّ وَجَهْمِيّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، فَإِنَّمَا يُخَالِفُ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بَلْ مَنْ خَالَفَ مَذَاهِبَهُمْ فِي الشَّرَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ كَانَ مُخَالِفًا لِلسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ، وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ يُوَافِقُهُمْ فِيمَا خَالَفَ فِيهِ الْآخَرَ، فَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ مَعَهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَهْلِ الْمِلَلِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ; فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي الْإِسْلَامِ كَأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي الْمِلَلِ، كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعِهِ"[٣٦٠١]

[٣٦٠٠] مجموع الفتاوى (٥ / ٢١٢).

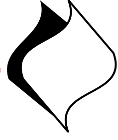
[٣٦٠١] منهاج السنة النبوية ٥ / ١٦٥.



القاعدة السادسة: إن الحق لا يعرف بالرجال، بل الرجال يعرفون بالحق.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: "ليس لأحد من العلماء المختلفين، أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول: الحق ما قاله فلان دون فلان، أو فلان أولى بالحق من فلان. بل الواجب عليه–إن كان ممن له فهم وعلم وتمييز–أن يرد ما اختلفوا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن كان دليل الكتاب والسنة معه فهو على الحق وهو الأولى بالحق. ومن كان دليل الكتاب والسنة عليه لا له كان هو المخطئ، بل هو معذور، بل مأجور، كما ثبت في الحديث الصحيح أنه: عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :«إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ[٣٦٠٢]» فناهيك بخطأ يؤجر عليه فاعله، ولكن هذا إنما هو للمجتهد نفسه، إذا أخطأ، ولكن لا يجوز لغيره أن يتبعه في خطئه، ولا يعذر كعذره، ولا يؤجر كأجره، بل واجب على من عداه من المكلفين أن يترك الاقتداء به في الخطأ ويرجع إلى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة. وإذا وقع الرد لما اختلف فيه أهل العلم إلى الكتاب والسنة كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذي أصاب الحق ووافقه، وإن كان واحدا، والذي لم يكن معه دليل الكتاب والسنة هو الذي لم يصب الحق، بل أخطأه، وإن كان عددا كثيرا، فليس لعالم ولا لمتعلم ولا لمن يفهم–وإن كان مقصرا–أن يقول: إن الحق بيد من يقتدى به من العلماء، إن كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره. فإن ذلك جهل عظيم، وتعصب ذميم، وخروج من دائرة الإنصاف بالمرة، لأن الحق لا يعرف بالرجال، بل الرجال يعرفون بالحق. وليس أحد من العلماء المجتهدين والأئمة المحققين بمعصوم، ومن لم يكن معصوما فإنه يجوز عليه الخطأ كما يجوز عليه الصواب، فيصيب تارة ويخطئ أخرى. ولا يتبين صوابه من خطئه إلا بالرجوع إلى دليل الكتاب والسنة، فإن وافقهما فهو مصيب، وإن خالفهما فهو مخطئ ولا خلاف في هذه الجملة بين جميع المسلمين أولهم وآخرهم، سابقهم ولاحقهم، كبيرهم

[٣٦٠٢] رواه البخاري واللفظ له (٩ / ١٠٨) ومسلم (٣ / ١٣٤٢)



وصغيرهم، وهذا يعرفه كل من له أدنى حظ من العلم، وأحقر نصيب من العرفان، ومن لم يفهم هذا ويعترف به فليتهم نفسه"[٣٦٠٣]

القاعدة السابعة: أهل السنة أبعد الطوائف عن الاختلاف في أصولهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولهذا كلّ طائفة كانت إلى النبوات أقرب، كانت أقلّ اختلافاً، وكلّما كثر بُعدها كثر اختلافها.

المتفلسفة لما كانوا أبعد من أهل الكلام عن النبوات، كانوا أكثر اختلافاً؛ فإنّ لهم من الاختلاف في الطبيعيّات والرياضيّات ما لا يكاد يحصيه إلا الله.

وأما اختلافهم في الإلهيات فأعظم.

والشيعة لما كانوا من أجهل الطوائف المنسوبين إلى الملة، كانوا أكثر اختلافاً من جميع الطوائف.

ثم المعتزلة أكثر اختلافاً من المثبتة للصفات والقدر.

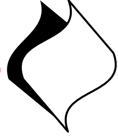
ثم المثبتة المتكلمون فيهم من الاختلاف ما لا يوجد في أهل العلم بالسنة المحضة والحديث وأقوال السلف؛ فإنّ هؤلاء أبعد الطوائف عن الاختلاف في أصولهم؛ لأنهم أكثر اعتصاماً بالكتاب والسنّة من غيرهم. وبطريقتهم تنحلّ الإشكالات الواردة على طريقة غيرهم"[٣٦٠٤]

وقال أيضاً: "وإذا تدبّر العاقل، وجد الطوائف كلّها كلّما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب، كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية"[٣٦٠٥].

[٣٦٠٣] شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ٥

[٣٦٠٤] شرح الأصفهانية ٢ / ٣٧٩.

[٣٦٠٥] مجموع الفتاوى ٤ / ٩٦.



القاعدة الثامنة: أن من سمات أهل السنة أنهم يقولون: إن المسائل التي يقع الخلاف فيها ليست على درجة واحدة.

قرر أهل العلم أن المسائل التي يقع الخلاف فيها ليست على درجة واحدة،

القسم الأول: فثمة مسائل لا يسوغ الخلاف فيها لصراحة أدلتها واتفاق السلف عليها وتسمى المسائل الخلافية، وهذا النوع من المخالفة ينكر فيه القول، ويضلل فيه المخالف، وقد يبدع حسب ضوابط شرعية، وقواعد مرعية.

والقسم الآخر: هي المسائل التي يسوغ الخلاف فيها لتعارض أدلتها فيما يظهر للمجتهد أو لوقوع الخلاف فيها بين السلف الصالح وتسمى المسائل الاجتهادية.

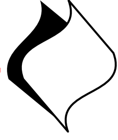
والأصل في مسائل المعتقد أنها من قبيل المسائل الخلافية بخلاف المسائل الفقهية العملية، فالأصل أنها من المسائل الاجتهادية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (قولهم: ومسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم أو العمل،

أما الأول فإن كان القول يخالف سنة أو إجماعاً قديماً وجب إنكاره وفاقاً، وإن لم يكن كذلك فإنه ينكر بمعنى بيان ضعفه عند من يقول: المصيب واحد وهم عامة السلف والفقهاء، وأما العمل إذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره أيضا بحسب درجات الإنكار كما ذكرنا من حديث شارب النبيذ المختلف فيه وكما ينقض حكم الحاكم إذا خالف سنة وإن كان قد اتبع بعض العلماء،

وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيه مساغ فلا ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً، وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد كما اعتقد ذلك طوائف من الناس، والصواب الذي عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد مالم يكن فيها دليل يوجب العمل به وجوباً ظاهراً مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ إذا عدم ذلك الاجتهاد لتعارض الأدلة المقاربة أو لخفاء الأدلة فيها"[٣٦٠٦]

[٣٦٠٦] بيان الدليل على بطلان التحليل «ص٢١٠-٢١١»، ونقله ابن مفلح في الآداب الشرعية «١ / ١٩١».



وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: "وهذا يرد قول من قال: لا إنكار في المسائل المختلف فيها، وهذا خلاف إجماع الأئمة...-إلى أن قال-: وقولهم: (إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها). ليس بصحيح؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى أو العمل،

أما الأول: فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً وجب إنكاره اتفاقاً وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله، وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار، وكيف يقول فقيه: لا إنكار في المسائل المختلف فيها، والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء.

وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً، وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم"[٣٦٠٧].

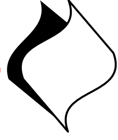
القاعدة التاسعة: من سمات أهل السنة أنهم قليل في زمن الفتن.

- قال الفضيل بن عياض: (عليك بطريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين)[٣٦٠٨].
- وقال سفيان بن عيينة: (اسلكوا سبيل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهله)[٣٦٠٩].

[٣٦٠٧] إعلام الموقعين «٢٤٢ / ٥-٢٤٣». وبنحو قولهما قال السمعاني في «قواطع الأدلة ٥ / ٦٢»، والنووي في «شرح مسلم ٢ / ٢٣».

[٣٦٠٨] المجموع للنووي (٨ / ٢٠٣)، الأذكار له (ص١٦٠)، الاعتصام (١ / ١٣٥)، وأخرجه مسنداً بنحوه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص ٣٣١)، وعزاه النووي في (التبيان ص ١١٥) للحاكم.

[٣٦٠٩] أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٧ / ٤٢٩).



- وقال الحسن البصري: «يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله، فإنكم من أقل الناس»[٣٦١٠]
- وعن عُمارة بن زاذان قال: قال لي أيوب: «يا عُمارة: إذا رأيت صاحب سنة وجماعة فاقبله على ما كان فيه»[٣٦١١].

القاعدة العاشرة: أن أهل السنة يعطون كل ذي حق حقه وهم أبعد الناس عن التكفير.

من سمات أهل السنة أنهم يعطون كل ذي حق حقه وهم أبعد الناس عن التكفير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم"[٣٦١٢].

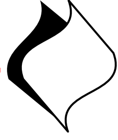
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذه حال أهل العلم والحق والسنّة؛ يعرفون الحق الذي جاء به الرسول؛ وهو الذي اتفق عليه صريح المعقول وصحيح المنقول؛ ويدعون إليه؛ ويأمرون به نصحاً للعباد، وبياناً للهدى والسداد. ومن خالف ذلك لم يكن لهم معه هوى، ولم يحكموا عليه بالجهل، بل حكمه إلى الله والرسول؛ فمنهم من يُكفره الرسول، ومنهم من يجعله من أهل الفسق أو العصيان، ومنهم من يعذره ويجعله من أهل الخطأ المغفور. والمجتهد من هؤلاء المأمور بالاجتهاد، يجعل له أجراً على فعل ما أمر به من الاجتهاد، وخطؤه مغفور له؛ كما دلّ الكتاب."[٣٦١٣]

[٣٦١٠] أخرجه اللالكائي (رقم ١٩).

[٣٦١١] المعجم لابن الأعرابي(٤٣١)

[٣٦١٢] منهاج السنة النبوية ٤ / ٥٤٣

[٣٦١٣] النبوات لابن تيمية١ / ٤٢٢



وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَا يُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهِ، بَلْ هُمْ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ وَأَرْحَمُ بِالْخَلْقِ، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾]آلِ عِمْرَانَ ١١٠. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "كُنْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ"[٣٦١٤] [٣٦١٥]".

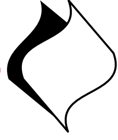
وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: وهو يتكلم عن أهل السنة: "فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطلهم فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض والقول به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه ونفي باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ومعاداة أهله من هذا الوجه فهم حكام بين الطوائف لا يتحيزون إلى فئة منهم على الإطلاق ولا يردون حق طائفة من الطوائف ولا يقابلون بدعة ببدعة ولا يردون باطلا بباطل ولا يحملهم شنآن قوم يعادونهم ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالاتهم بالعدل والله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يعدل بين الطوائف فقال: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[الشورى: ١٥].[٣٦١٦]"

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "والله تعالى يحب الانصاف بل هو أفضل حلية تحلى بها الرجل خصوصا من نصب نفسه حكما بين الأقوال والمذاهب وقد قال الله تعالى لرسوله ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ﴾[الشورى: ١٥] فورثة الرسول منصبهم العدل بين الطوائف وألا

[٣٦١٤] وَرَدَ هَذَا الْأَثَرُ فِي: الْبُخَارِيِّ ٦ / ٣٧ –٣٨ كِتَابُ التَّفْسِــيرِ، سُــورَةُ آلِ عِمْرَانَ، بَابُ {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} وَنَصُّــهُ فِيهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِــيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ قَالَ: خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَانْظُرْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ لِلْآيَةِ ٢ / ٧٧ ط. دَارَ الشَّعْبِ"

[٣٦١٥] منهاج السنة النبوية ٥ / ١٥٧

[٣٦١٦] شفاء العليل ص١١٣



يميل أحدهم مع قريبه وذوي مذهبه وطائفته ومتبوعه بل يكون الحق مطلوبه يسير بسيره وينزل بنزوله يدين بدين العدل والإنصاف ويحكم الحجة وما كان عليه رسول الله"[٣٦١٧].

وقال ابن تيمية: "فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَسْتَعْمِلُونَ مَعَهُمُ الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ وَلَا يَظْلِمُونَهُمْ ; فَإِنَّ الظُّلْمَ حَرَامٌ مُطْلَقًا كَمَا تَقَدَّمَ، بَلْ أَهْلُ السُّنَّةِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، بَلْ هُمْ لِلرَّافِضَةِ خَيْرٌ وَأَعْدَلُ مِنْ بَعْضِ الرَّافِضَةِ لِبَعْضٍ. وَهَذَا مِمَّا يَعْتَرِفُونَ هُمْ بِهِ، وَيَقُولُونَ: أَنْتُمْ تُنْصِفُونَنَا مَا لَا يُنْصِفُ بَعْضُنَا بَعْضًا."[٣٦١٨]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن الصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أنه قد يجتمع في الشخص الواحد والطائفة الواحدة ما يحمد به من الحسنات وما يذم به من السيئات، وما لا يحمد به ولا يذم من المباحات، والعفو عنه من الخطأ والنسيان بحيث يستحق الثواب على حسناته ويستحق العقاب على سيئاته، بحيث لا يكون محمودًا ولا مذمومًا على المباحات والمعفوات، وهذا مذهب أهل السنة في فساق أهل القبلة ونحوهم، وإنما يخالف في هذا الوعيدية من الخوارج والمعتزلة ونحوهم، الذين يقولون: من استحق المدح لم يستحق الذم، ومن استحق الثواب لم يستحق العقاب، ومن يستحق العقاب لم يستحق الثواب"[٣٦١٩]

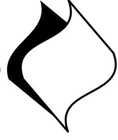
القاعدة الحادية عشرة: أن أهل السنة جمعوا بين الرحمة واللين والشدة والغلظة.

فمن سماتهم الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة، بخلاف غيرهم ممن يأخذ جانبًا من هدي السلف ويدع الجانب الآخر، فيأخذون بالشدة في جميع أحوالهم أو باللين في جميع أحوالهم.

[٣٦١٧] إعلام الموقعين ٤ / ١٤٨

[٣٦١٨] منهاج السنة النبوية٥ / ١٥٧

[٣٦١٩] التسعينية٣ / ١٠٣١



أما أهل السنة فيجمعون بين هذا وهذا، وكل في موضعه، حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال.

وهم حقاً كما قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس"[٣٦٢٠].

وقال أيضاً: "وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَا يُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهِ، بَلْ هُمْ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ وَأَرْحَمُ بِالْخَلْقِ، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ ١١٠].. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "كُنْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ[٣٦٢٢]".[٣٦٢١]"

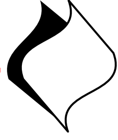
قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن يكون الله-تعالى-فوق العرش لما وقعت محنتهم، أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤوسهم في قصور من معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له، فكان هذا خطابنا، فلهذا لم يقابل جهله وافتراؤه بالتكفير بمثله"[٣٦٢٣]

[٣٦٢٠] منهاج السنة ٥ / ١٥٨

[٣٦٢١] وَرَدَ هَذَا الْأَثَرُ فِي: الْبُخَارِيِّ ٦ / ٣٧-٣٨ كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، بَابُ {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} وَنَصُّهُ فِيهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ قَالَ: خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَانْظُرْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ لِلْآيَةِ ٢ / ٧٧ ط. دَارَ الشَّعْبِ.

[٣٦٢٢] منهاج السنة النبوية ٥ / ١٥٧

[٣٦٢٣] الاستغاثة في الرد على البكري ١ / ٢٥٣



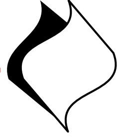
وهذه قصة يذكرها ابن تيمية تدل على عدل أهل السنة وإنصافهم مع أهل البدع بالرغم من أنهم قد يلقون من المبتدعة ما يلقون من اعتداء وسوء معاملة حين تكون الغلبة لأولئك المبتدعة.

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وَأَهْلُ السُّنَّةِ نَقَاوَةُ الْمُسْلِمِينَ، فَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ. وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ كَانَ بِسَاحِلِ الشَّامِ جَبَلٌ كَبِيرٌ، فِيهِ أُلُوفٌ مِنَ الرَّافِضَةِ يَسْفِكُونَ دِمَاءَ النَّاسِ، وَيَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ، وَقَتَلُوا خَلْقًا عَظِيمًا وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، وَلَمَّا انْكَسَرَ الْمُسْلِمُونَ سَنَةَ غَازَانَ، أَخَذُوا الْخَيْلَ وَالسِّلَاحَ وَالْأَسْرَى وَبَاعُوهُمْ لِلْكُفَّارِ النَّصَارَى بِقُبْرُصَ، وَأَخَذُوا مَنْ مَرَّ بِهِمْ مِنَ الْجُنْدِ، وَكَانُوا أَضَرَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْدَاءِ، وَحَمَلَ بَعْضُ أُمَرَائِهِمْ رَايَةَ النَّصَارَى، وَقَالُوا لَهُ: أَيُّمَا خَيْرٌ: الْمُسْلِمُونَ أَوِ النَّصَارَى؟ فَقَالَ: بَلِ النَّصَارَى. فَقَالُوا لَهُ: مَعَ مَنْ تُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: مَعَ النَّصَارَى. وَسَلَّمُوا إِلَيْهِمْ بَعْضَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ. وَمَعَ هَذَا فَلَمَّا اسْتَشَارَ بَعْضُ وُلَاةِ الْأَمْرِ فِي غَزْوِهِمْ، وَكَتَبْتُ جَوَابًا مَبْسُوطًا فِي غَزْوِهِمْ، وَذَهَبْنَا إِلَى نَاحِيَتِهِمْ وَحَضَرَ عِنْدِي جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ، وَجَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مُنَاظَرَاتٌ وَمُفَاوَضَاتٌ يَطُولُ وَصْفُهَا، فَلَمَّا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ بَلَدَهُمْ، وَتَمَكَّنَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ، نَهَيْتُهُمْ عَنْ قَتْلِهِمْ وَعَنْ سَبْيِهِمْ، وَأَنْزَلْنَاهُمْ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مُتَفَرِّقِينَ لِئَلَّا يَجْتَمِعُوا."[٣٦٢٤]

القاعدة الثانية عشرة: من سمات أهل السنة حرصهم على الجماعة والألفة ونبذهم للاختلاف والفرقة.

حرصهم على الجماعة والألفة، ودعوتهم لها وحث الناس عليها، ونبذهم للاختلاف والفرقة بين أهل العقيدة والتوحيد، وتحذير الناس من ذلك، كيف لا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا"، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥، ١٠٦].

[٣٦٢٤] منهاج السنة النبوية٥ / ١٥٩-١٦٠



قال ابن عباس: "تبيضُّ وجوه أهل السنة، وتسودُّ وجوه أهل البدعة"[٣٦٢٥].

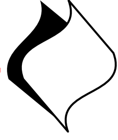
[٣٦٢٥] انظر:

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي(١ / ٧٢ / ٧٤). ولفظه: ((عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: فأهل البدع والضلالة))
- وابن أبي حاتم كما في التفسير (٣٩٥٠، ٣٩٥١): ولفظه ((عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: في قوله ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، قوله تعالى: ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، وبه عن ابن عباس... قال: تسود وجوه أهل البدع والضلالة))
- والخطيب كما في التاريخ ٧ / ٣٩٧: بلفظ: ((﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: فأهل البدع والأهواء، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: فأهل السنة)).
- والجرجاني، كما في تاريخه ص ١٣٢ بلفظ: ((عن بن عباس :﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فهم أهل السنة والجماعة، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فأهل الأهواء والزيغ))
- والشريعة للآجري (٥ / ٢٠٦١)

وهذا الأثر مشهور، وتداوله كثير من العلماء في كتبهم دون إنكار له، كابن تيمية في -مواضع كثيرة جدا-، وابن القيم، وابن كثير، والشاطبي، وغيره.

ولا يلتفت لقول من قال بتضعيف الأثر فالضابط في مثل هذه الآثار ما ذكره شيخ الإسلام بن تيمية حيث قال: (قال الإمام أحمد "ثلاثة علوم ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير" وفي لفظ "ليس لها أسانيد" ومعنى ذلك أن الغالب عليها أنها مرسلة ومنقطعة، فإذا كان الشيء مشهوراً عند أهل الفن وقد تعددت طرقه فهذا مما يرجع إليه أهل العلم بخلاف غيره.) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. من كتاب تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ص ١٦-١٧. ط: الدار العلمية، الهند.

ولعل في هذا تنبيهاً على ما ذكره مشهور حسن في تحقيقه لكتاب إعلام الموقعين حيث قال:" قلت: وإسناده ضعيف جدًا، إن لم يكن موضوعًا؛ ففيه علي بن قدامة ضعيف، وشيخه مجاشع بن عمرو اتهم بالكذب، وشيخه ميسرة مثله، ثم إن المتأمل في هذا التفسير يجد فيه نكارة، وهي أنه مخالف لنص القرآن الكريم، فقد بيّن الله تعالى لنا من هم الذين تبيض وجوههم، ومن الذين تسود وجوههم فقال: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ



فمن منهجهم الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق، فهم حريصون كل الحرص على وَحدة المسلمين، ولَمّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم؛ لعلمهم أن الاجتماع رحمة، وأن الفرقة عذاب، ولأن الله عز وجل أمر بالائتلاف، ونهى عن الاختلاف؛ كما في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

القاعدة الثالثة عشرة: أن أهل السنة يقولون: أن العقل الصريح دائمًا موافقٌ للرسول صلى الله عليه وسلم لا يخالفه قط.

فإن الميزان مع الكتاب، والله أنزل الكتاب بالحق والميزان؛ لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به، فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحاروا فيه، لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه؛ فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحارات العقول لا تخبر بمحالات العقول، فهذا سبيل الهدى والسنة والعلم.

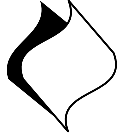
القاعدة الرابعة عشرة: أن أهل السنة يتميزون باعتقادهم أن الصحابةَ–رضوان الله عليهم– لم يكن أحدٌ منهم على بدعة.

وما عُرفوا بذلك برغمِ ظهورِ بعض الفرقِ في زمانهم كالخوارجِ والقَدَرِيَة والشيعةِ ونحو ذلك، ومع ذلك ما عُرِفَ عن أحدٍ من أصحاب النبي أنه قد حادَ عن هذا الطريق.

ونؤمنُ بأن أصحابَ النبي كما وصفهم ابن مسعود حينما قال: "من كانَ مُسْتَنًّا، فَلْيَسْتَنَّ بمن قد ماتَ، فإنَّ الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة"، وكما أُثِر عنه حيث قال: "إنا نقتدي ولا نبتدئ، ونتبعُ ولا نبتدع."[٣٦٢٦]

إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: ١٠٦]"، انظر تحقيق إعلام الموقعين عن رب العالمين لمشهور حسن (٢ / ٤٧٥).

[٣٦٢٦] أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١ / ٩٦)



فأصحابُ النبي خيرُ هذه الأمة، والله تعالى قد زكَّاهم في كتابه وأمرَ بلزومِ سبيلهم حيث قال: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، فرضيَ الله عن السابقين من المهاجرين والأنصار رضاءً مطلقا بدونِ قيد، ورضيَ عنهم بعدهم رضاءً مقيَّداً.. مقيَّداً بأي أمر؟ باتباعهم بإحسان ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾.

ونهى الله سبحانه وتعالى عن الافتراقِ عنهم ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

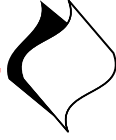
نهى عن الافتراقِ عن هذا الطريقِ وهذا السبيل، والمعالم بحمد لله تعالى واضحة، مرجعيةٌ استقامَ عليها الأوائل وحفظوها لنا بأسانيدها الصحيحةِ الثابتة ونقلوها لنا، وأصبحت–بحمد الله تعالى–ميراثاً سليماً من كل بدعةٍ ومن كل شائبة يتوارثه أهل السنَّةِ جيلاً بعدَ جيل، وينقله الخيارُ من هذه الأمة، ينقله ورثةُ الأنبياء لكلِّ جيلٍ من هذه الأجيال.

فلذلك لا عجبَ أن يتسمَ هذا المنهج بثباته وعدمِ اضطرابه، ولا عجبَ أن يتسمَ هذا المنهج بلزومِ كلام الله وبلزومِ كلام رسوله، ولا عجبَ أن يستمرَ هذا الإسناد محفوظاً جيلاً بعدَ جيل.

فهذه هي مرجعيةُ أهل السنَّة التي بحمد الله تعالى نُقلِت لنا في كتبِ الاعتقاد، ولزِمَها أهلُ السنَّةِ على مدى هذه الأزمانِ وعلى هذه الأعصار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياءِ هم الصحابة، فلا ينتصر لشخصٍ انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لطائفة انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء فإنهم قد



يجمعون على خطأ، بل كل قولٍ قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ؛ فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مُسَلَّمًا إلى عالِمٍ واحدٍ وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول، قبل وجود المتبوعين الذين تُنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله إن كان حقًّا مأخوذًا عمَّا جاء به الرسول، موجودًا فيمن قبله، وكل قول قِيلَ في دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه، فإنه قول باطل[٣٦٢٧].

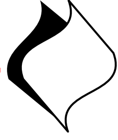
قال الله تعالى :﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]

وقال أيضاً :﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((فقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة، ومعرفة ما أراد بذلك كما كان على ذلك الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومن سلك سبيلهم، فكل ما يحتاج الناس إليه في دينهم، فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا، فكيف بأصول التوحيد والإيمان، ثم إذا عرف ما بينه الرسول نظر في أقوال الناس، وما أرادوه بها، فعرضت على الكتاب والسنة))[٣٦٢٨].

[٣٦٢٧] منهاج السنة ج٥ / ٢٦١-٢٦٣.

[٣٦٢٨] مجموع الفتاوى ٤٤٣ / ١٧



القاعدة الخامسة عشرة: وسطية أهل السنة بين الطوائف والفرق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل الأخرى"[٣٦٢٩]

فأهل السنة هم أعرف الناس بالحق، ولذلك فإن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا ينفردون عن طائفة أهل السنة إلا بقول فاسد، ولا ينفردون بقول صحيح، وكل من كان عن السنة أبعد، كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر[٣٦٣٠].

[٣٦٢٩] مجموع الفتاوى ٣ / ١٤١.

[٣٦٣٠] منهاج السنة ٣ / ٦٧